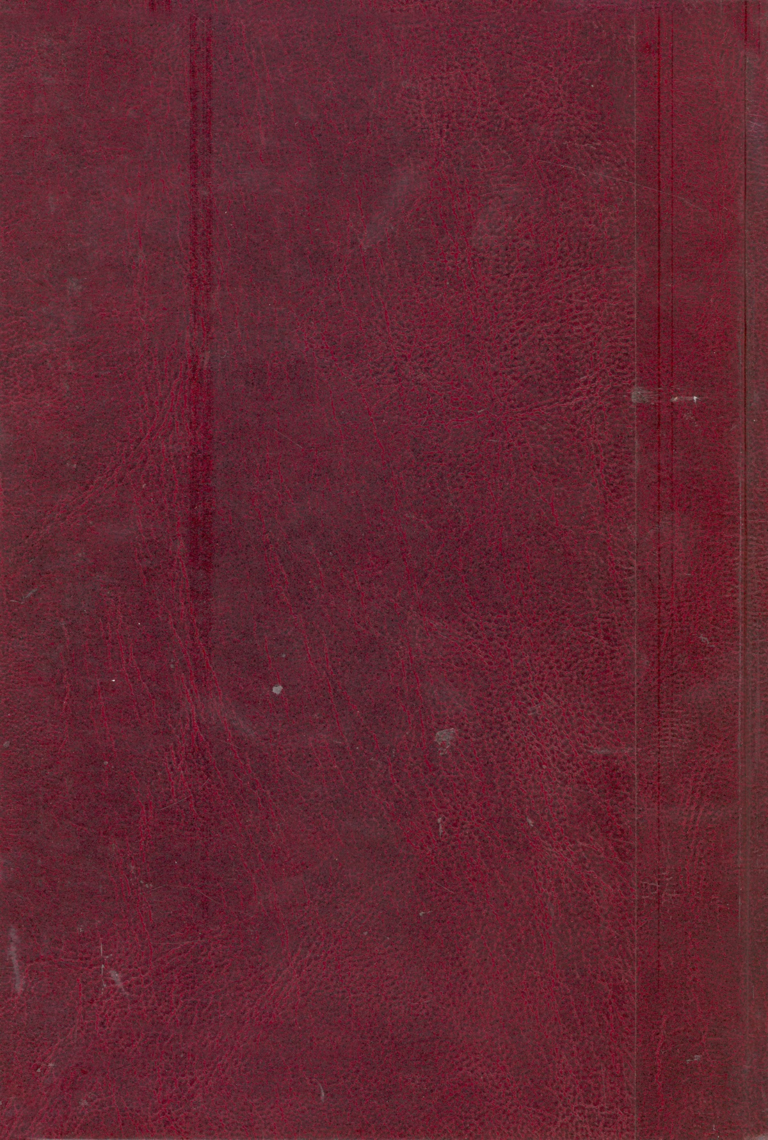
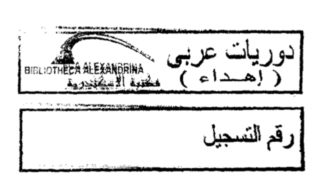
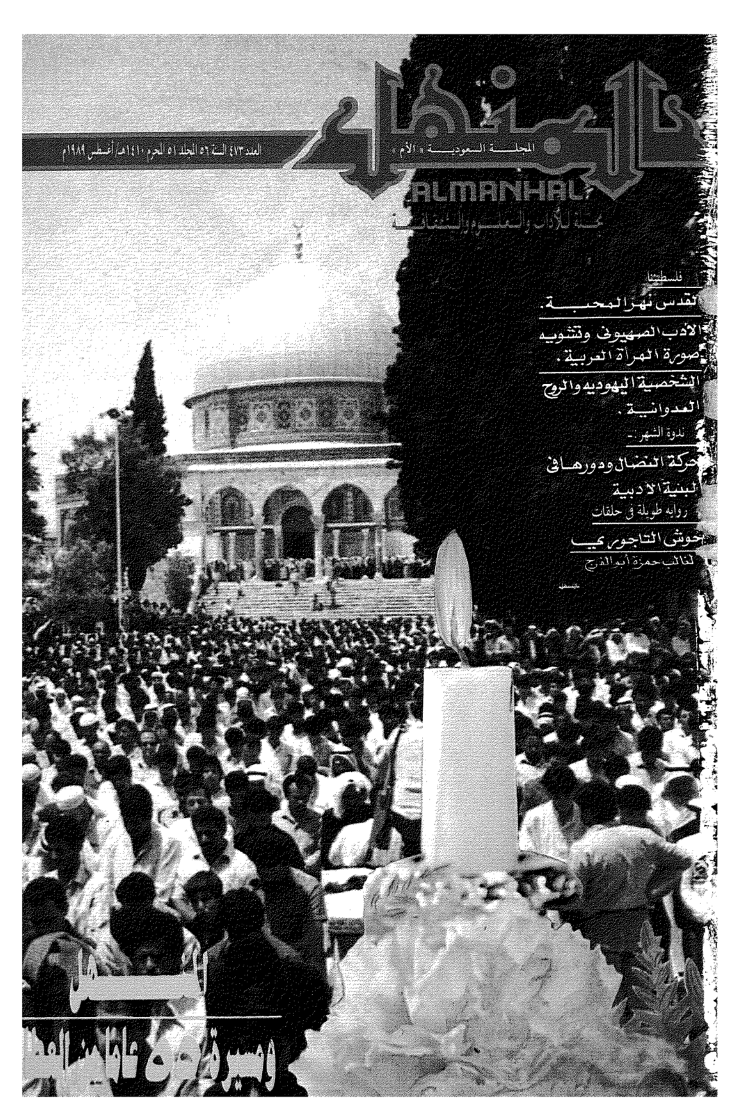



مكتبة الإسكندرية
دوريات إهداء




المنهل
المجلــة السعوديــة « الأم »
العدد ٤٧٣ السنة ٥٦ المجلد ٥١ المحرم ١٤١٠هـ/ أغسطس ١٩٨٩م
ALMANHAL
مجلة للآداب والعلوم والثقافة
فلسطيننا
لقدس نهر المحبـــة.
الأدب الصهيوني وتشويه صورة المرأة العربية.
الشخصية اليهوديه والروح العدوانيــة.
ندوة الشهر:-
حركة النضال ودورها في لبنية الأدبية
روايه طويلة في حلقات
حوش التاجوري
لنائب حمزة أبو الفرج



مقال



اذا كان معنى (التطور) هو: (التحرك) الدائم من حسن الى احسن، واذا كان معنى (التقدم) هو: السير الرتيب الى الأمام، فان المنهل متطور ومتقدم . . ان تطور «المنهل» أريد له بادىء ذى بدء أن يكون ذاتيا نابعا من داخله اولا، ليفيض نور هذا التطور على خارجه ثانيا، فيتفق الداخل والخارج فى التطور والتقديم.

لقد تنوعت موضوعاته، ودسمت، وقسمت الى ابواب ثابتة مركزة، ليجد كل قارىء ما يشتهى ان يقرأه وان يستفيد منه فيما تميل اليه طبيعته من بحوث وفنون . . وازداد حجم اعداده زيادة ملموسة حتى صارت «مجموعة مجلداته السنوية» ضخمة بحيث تكاد اليد الواحدة، تنوء بحمل مجلد منها . . لقد ضاهت فى هذا، مجلة «المقتطف» المصرية المحتجبة في عهد ازدهارها . . وضاهت مجلة «المقتبس» الدمشقية ابان تضوع عبيرها.

واذا كان معنى «المجلة الحديثة» ـ تلك المجلة التى تتناول شتى شؤون العصر وشجونه وفنونه وآدابه وعلومه بالدراسات والعرض المنمق الجامع بين الجاذبية والدقة وجمال العرض ووضوح القصد فان المنهل من حقه ان يُسلك فى هذا السمط على ما نراه ونقدره.

وها هو ذا منهل هذا العام، يقفز قفزة واسعة المدى فى هذا الميدان. مادته أصبحت ازهى مما كانت . . اخراجه اروع . . مظهره الخارجى أجمل . . ومخبره أكمل، وغلافه دخل عليه تحسين جديد يساير عصر التطور وتطور العصر الذى نعيش فيه، وحجمه تضخم عما كان . . وابوابه واضحة الاقسام والتقاسيم.

يُعْنَى المنهل دائما بأن يجمع بين دفتيه انتاج «القاعدة». و«القاعدة» هنا هى براعم الادب وشداته وهواته من ناشئة البلاد، ذوو الطموح الفطرى الى ارتياد مناهل الادب، والعروج الى قممه . . و«القمة» هم كبار رجال الفكر والأدب.

وطـريقـة الجمـع بين هاتـين: (القاعدة) و(القمة) تمثل العمق فى فلسفة المنهل لرقى مستوى آدابنا وتفكيرنا . . على منهج حديث جامع . . شداة الادب وناشئته وهواته اعتاد المنهل أن يسايرهم فى مسيرة هوايتهم، خطوة فخطوة، آخذا بأضباعهم الى الأمام، راسما لهم معالم الطريق، وفاتحا لهم ابواب الكتابة والشعر، متدرجا بهم، كما يتدرج الوالد الشفوق بابنائه الصغار فى معارج الحياة خطوة فخطوة . . نشذب ما يحتاج الى تشذيب من انتاجهم البسيط ونقوم ما يستدعى التقويم، ونشجع بالنشر والتقدير، فهم الرواد والقادة والماهدون وهم نبراس القراء ومنار هواة الأدب الصغار . . فيما ينشر لهم بالمنهل من مقالات وقصائد وقصص وملاحظات ونقدات . . وهكذا تلتقى (القاعدة) و(القمة) الادبيتان والفكريتان على صفحات هذه المجلة فى كثير من الاحيان . . وفى التقائهما رفع لمستوى الأدب من جانبيه: الابتدائى والعالى، على السواء على ما يتراءى لنا ونسير عليه.

المحرم ١٣٩٢هـ/ مارس ١٩٧٢م

المنهل
ALMANHAL
مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة
العدد ٤٧٣ السنة ٥٦ المجلد ٥١ المحرم ١٤١٠هـ/أغسطس ١٩٨٩م
اسسها سنة ١٣٥٥هـ
عبد القدوس الأنصاري

صاحب المجلة رئيس التحرير
نبيه بن عبد القدوس الأنصاري

مستشار التحرير
د. عبد الرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
زهير بن نبيه الأنصاري

سكرتير التحرير
السماني كمال الدين

العلاقات العامة
مصطفى محمد مصطفى

المراسلون
مصر:
الأردن: روكس العزيزى
تونس: د. نور الدين صمود
المغرب: عبد الرحيم عبد السلام
الجزائر: د. بكرى عبد الكريم
تركيا: د. أنور طاهر رضا



ما انسلخ عام إلّا وتجد الناس ينزعون من خيوط مغيبه ملامح عامهم المقبل.

وما أسفر صبح عام جديد إلّا ونجد الناس قد تباكوا على نسيج أمسهم الذى انحلت خيوطه خيطا فخيطا.

الأمل لا ينقضى .. والرجاء لا ينقطع.

والتفاؤل طبيعة الانسان السوي..

ولكن.. تراكمات بلاء السنين المتعاقبة على بنى البشر لم تدع فى أنفسهم مساحة للتفاؤل.

ولكنّا سنلتزم جدار الأمل.. ونُقبّلُ كفّ التفاؤل.

وعسى ان يجعل اللهُ بعد عُسْرٍ يُسْرًا.

المحرر

المركز الرئيسى

جده - الشرفية
ص.ب: ٢٩٢٥ رمز بريدى: ٢١٤٦١
برقيا: المنهل
ت: ٦٤٢٧٨٣١ـ٦٤٣٩٧٦٥ـ٦٤٣٢١٢٤
مكتب الرياض
ص.ب: ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

الاشتراكات

● قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٠٠ ريال
● قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

الاعلانات

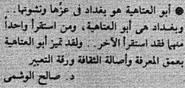
تخاطب بشأنها الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

سعر النسخة

● السعودية: ٨ ريال ● قطر: ٨ريال
● الامارات: ٨ دراهم ● الاردن: ٥٠٠فلس
● السودان ٢٥٠قرش ● مصر: ١ جنيه
● المغرب: ٦ دراهم ● تونس: ٦٠٠ مليم
● موريتانيا: ١٠٠ أوقيه

● غلاف العدد:

... شعلة تليها شعلة من الثقافة والعلم والمعرفة والأدب توقدها مجلتكم المنهل عاما بعد عام.. وركب القافلة يسير.. و(فلسطيننا) أرض البطولات والرسالات نحمل جهادها فى اعماقنا.




حاتم الصكر

● أبو العتاهية هو بغداد فى عزها ونشوتها.. وبغداد هى أبو العتاهية، ومن استقرأ واحداً منها فقد استقرأ الآخر.. ولقد تميز أبو العتاهية بعمق المعرفة وأصالة الثقافة ورقة التعبير
د. صالح الوشمى

● الاهتمام بدراسة أدب العدو الصهيونى أمر استراتيجى لمعرفة حقيقته وما ينطوى عليه من ادعاءات وأكاذيب على المجتمع العربى والاسلامى.. والمواجهة العاطفية بالرد على الأدب الصهيونى لا تجدى شيئا.. بل لابد من مواجهة ثقافية وعلمية.
معالى عبد الحميد حموده


د. حلمى القاعود

● الأدب الأفريقى الجديد أدب إنسانى لا يتخلى عن تراثه.. ويتخذ كغيره من الآداب الرمز والإيحاء للأهداف الاجتماعية.. والتراث الأفريقى يزخر بالكثير من الفنون الشعبية والأحاجى والأساطير التى تعبر فى مضمونها عن الخصائص والسمات الذاتية.
مصطفى عوض الله بشارة


د. صالح الوشمى

● المجامع العربية فى العالم العربى يقوم على كاهلها أعباء إصلاح اللسان العربى واسعافه بما يجد من مصطلحات الأداء العلمى والتكنولوجى المعاصر.. والمجمع العلمى العراقى يبذل جهده لوضع مئات المصطلحات العلمية فى عدة مجالات لها أهميتها.
عبد الجبار السامرائى


غالب حمزة ابو الفرج

● علاقتنا بتاريخنا علاقة غير واعية ولا ناضجة تقوم على التقليد والتقديس.. وتقديس الماضى دفع بنا إلى تصوره تصوراً أسطورياً لا يخضع لقوانين الاجتماع وسنن الحياة الاسلامية.. والطبيعة والتاريخ والنفس هى مجالات الاستدلال والبحث العلمى لمعرفة سنن الله سبحانه فى هذا الكون.
د. محمد الكتانى


د. محمد الكتانى

● الشعر النضالى فى بدايته لم يكن يهتم بالاغراء اللغوى والاصطناع البديعى قدر اهتمامه بايصال قضيته إلى جمهور واسع اكثره غير متعلم.. وفى عصر اليقظة بدأ الشعر - بخاصة - يستنهض طاقته الفنية القصوى.
د. على جواد الطاهر

إشـــــارة:

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق فى تحديد أولويات النشر، ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بنوع أو شكل الموضوع أو مكانة الكاتب.

● يشترط فى الإسهامات المقدمة عناصر الجدة، العمق والرُصانة العلمية. مع رجاء ان تشفع المادة المرسلة بالصورة الموضوعية والتوضيحية ـ ان لزم الموضوع ـ وصورة للكاتب مع نبذة مختصرة.

الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ت: ٢٤٥٧٤٥

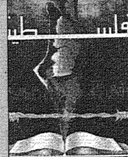
دار المسيرة للطباعة/ ابو ظبى ت: ٣٣٨٢٨٥

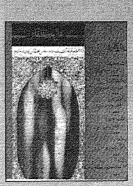
دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ت: ٤١٤١٨٢

وكالة التوزيع الاردنية/ عمان ت٦٣٥١٥٢

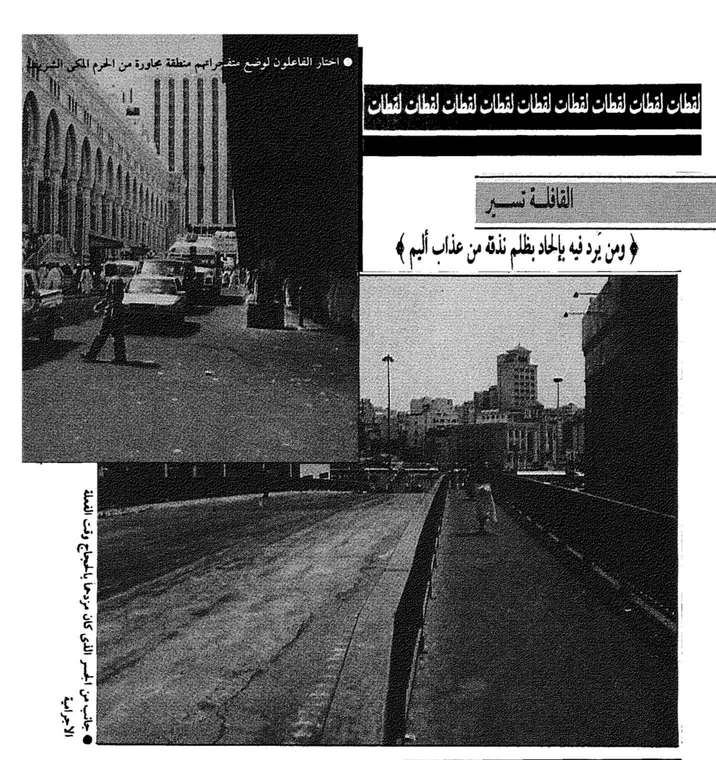
مجلاتنا الداخلية









● اختار الفاعلون لوضع متفجراتهم منطقة مجاورة من الحرم المكي الشريف

لقطات لقطات لقطات لقطات لقطات لقطات لقطات لقطات

القافلة تسير

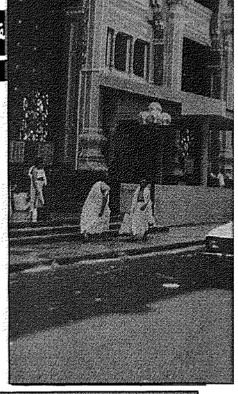
﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾

● جانب من الجسر الذى كان مزدحما بالحجاج وقت الفعلة الاجرامية

الحج أشهر معلومات.. أشهر خير وبركة تتنزل فيها الرحمات وتعمها البركات وتحيط بها نفحات الرب.. رب كريم بعباده يرعاهم بعين رعايته.. ويكلؤهم بعين عنايته.. تتلاقى قلوب المؤمنين فى الحج قبل أن يزدحم الكتف بالكتف.. وهنا اللقاء لقاء محبة فى الله وأخوة رفيعة.

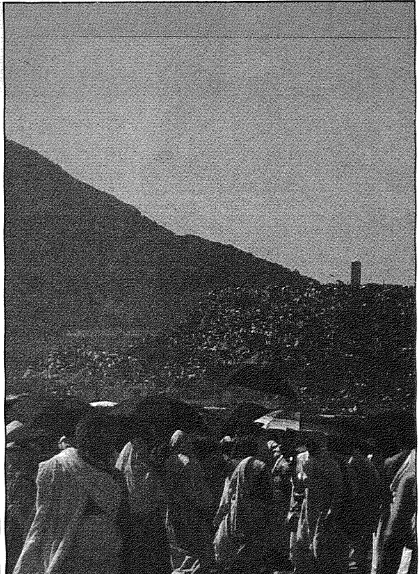
﴿وأذّن فى الناس بالحجّ يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فجٍّ عميق﴾.. وكان نداء سيدنا ابراهيم فى الأزل.. ويتلاحق النداء فى قلوب المؤمنين.. **﴿ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾**.

وأشهر الحج ليست ككل الأشهر وأيامه ليست ككل الأيام.. فهى أيام لها حرماتها **﴿ذلك ومن يُعَظّمْ حرمات الله فهو خير له عند ربه﴾**.. وأيام الحج لها عند الله سبحانه وتعالى مكانتها والحرم المبارك، مكة المكرمة جعلها الله سبحانه وتعالى حرماً آمنا.. مكان أمن واطمئنان للمؤمنين **﴿من دخله كان آمنا﴾** بل يمتنع قطع شجر الحرم أو قتل شىء فيه أو صيد طيره، فما بالك





● البيت الحرام من الجو وتظهر المنطقة التي سيقام عليها مشروع التوسعة الجديدة.



● ازدحم في عرفة حجاج وفدوا من جميع اصقاع العالم.

بالانسان.. الانسان الذى له مكان التكريم.

لهذا كله كان موسم الحج أيام اجتهاد فى العبادة وتقرب وزلفى الى الله سبحانه، ولا ينبغى لأحد أن يأتى بعمل أو فعل يخالف هذه ويناقض هذه القيمة الروحية أو يكسر فعاليتها.. أو يخدش حرمتها.. ولما كانت للأماكن المقدسة فى مكة المكرمة واماكن المشاعر والمدينة المنورة مكانتها عند الله سبحانه وفى قلوب المؤمنين فان حكومة المملكة العربية السعودية قد اولتها كل عنايتها وجل اهتمامها.. وظلت محط العمل الدؤوب عند خادم الحرمين الشريفين وولى عهده الأمين.

وما ذلك الا لتوفير أقصى درجات الراحة والاطمئنان للزائر والمعتمر والحاج.

وفى كلمته التى القاها بمناسبة حج هذا العام يقول خادم الحرمين

القافلة تسير



● قامت حكومتنا بتوفير مئات من سيارات الاسعاف فى موسم الحج ضمن خطتها الصحية .

الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز *«ونحن سعداء بوجودكم معنا كل عام فى مكة المكرمة والمدينة المنورة وفى عرفات ومنى ومزدلفة . . وقد نذرنا انفسنا لهذه المسؤولية . . ونسأل الله تعالى أن يعيننا ويوفقنا»* .

ويؤكد خادم الحرمين الشريفين هذا المضمون فى قوله *«إن بلادنا مفتوحة للجميع ولا يسعدنا شىء قدر سعادتنا بلقاء إخواننا من جميع الاقطار الاسلامية فى هذه الايام المباركة من أجل اهداف سامية وغايات عليا بعيداً عن أدران الحياة وسفاسف الامور فلا مكان للعدوان ولا للشعارات فى هذه الأماكن المقدسة»* .

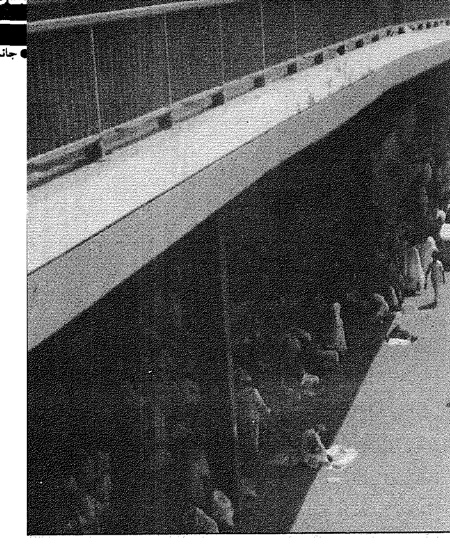
وعلى هذا النهج من العمل فى المجال الإسلامى والحرص عليه بل والعمل من اجل المجتمع الاسلامى الكبير والامة الاسلامية كان الجهد الدؤوب من خادم الحرمين الشريفين وحكومته الرشيده .

ويضيف حفظه الله فى قوله . . *«فقد سرنا فى المجال الاسلامى على نحو ما كان عليه أسلافنا وتوسعت دائرة ومحيط العمل الاسلامى الهادف الى خير جماعة المسلمين وتم توظيف المزيد من الطاقات والامكانات فى اعمال نسأل الله سبحانه ان تكون خالصة لوجهه وابتغاء مرضاته وتطلعاً للوفاء بما شرفت به المملكة العربية السعودية من خدمة الحرمين الشريفين»* .

ويؤكد خادم الحرمين الشريفين مرارا ضرورة تضامن المسلمين تحت راية دين الله سبحانه، ونبذ الخلافات والفرقه . . «إنَّ المملكة العربية السعودية كانت منذ نشوئها وظلت داعية إلى دين الله وتضامن المسلمين ولا زالت تدعم كل جهد اسلامى جماعى فيه وحدة الكلمة والموقف ولا ننشد من ذلك سوى وجه الله وخدمة دينه القويم» .

وفى الوقت الذى تمتد فيه جذور الدعوة للوحدة الاسلامية

لقطات لقطات لقطات لقطات لقطات لقطات لقطا



● جانب من الجسر الذى وقع فيه الانفجار الآثم.

فى الوقت الذى تعمل فيه المملكة بكل جهدها وطاقتها لتيسر لضيوف الرحمن ووفود بيت الله الحرام كل وسائل الراحة والاطمئنان لاداء مناسكهم تأتى قلوب ملئت حقداً وضغينة لزعزعة وحدة هذا الصف الآمن.. ولكن الله سبحانه وتعالى ألطف بعباده.

ولقد استنكرت كل الدول الاسلامية بل كل دول العالم هذا الحدث الغاشم الاحمق.

وان كانت المملكة العربية السعودية تلتزم فى سياستها جانب الاعتدال والسلام والمحبة فانها لن تسمح لأحد ان يتجاوز حدوده كما جاء فى كلمة خادم الحرمين الشريفين «.. *ولقد كنا وما نزال وسنظل إن شاء الله دعاة محبة وسلام، بيد أننا لن نسمح لأحد ان يتجاوز حدوده فيستغل صمتنا أو يمس أراضينا أو يسىء إلى مقدساتنا..*».

والى عام آخر وحج آخر ومسيرة الخير والسلام والامن والامان سائرة فى ربوع مملكتنا الفتية تحفظها عناية الله عز وجل ويقودها خادم الحرمين الشريفين ايده الله - وولى عهد الامين وحكومتهم الرشيدة بكل ايمان ومهارة وعزيمة رجال.

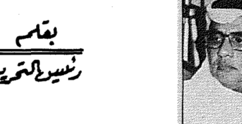
«المنهل»

بسم الله الرحمن الرحيم
﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾
(الآية ١٢٥ البقرة)

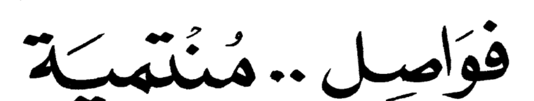
بين الدول الاسلامية جميعها وفى الوقت الذى يتجمع فيه المسلمون لأداء مناسك حجهم هذا العام ورغم كل الجهود الخيرة التى تقدمها المملكة العربية السعودية، رغم كل هذا وفى هذا الظرف بالذات تمتد أيدٍ آثمة فى محاولة يائسة منها لزعزعة أمن الحجيج وإحداث فتنة حمقى بين الناس..

تمتد هذه الأيدى الآثمة لتحدث ثلاثة انفجارات مدوية فى الساحة الخارجية للحرم المكى الشريف.. وبفضل من الله سبحانه لم يلحق بالحجيج أذى يذكر..

وما أسوأ أن يتجرد الانسان من دينه.. وما أحمق الانسان عندما يسعى لتحطيم اسمى معانى الخير فى قلوب الناس.







يتعـين علينا مع دخول المنهل عامه السادس والخمسـين ان ننحـوا فى تصدينا لهذا العدد لتلمس منظـومة العطاء التى هُيِّئتْ فى تلك الاصدارات المتتابعة منه والتى أملتها ظروف الـريادة الملهمة وافرزتها رسالة القلم الواعية اطارها الوسيلة ومحتواها الاهداف . .

ويتعين علينا ـ ايضا ـ ان نتجاوز ذلك الفعل المؤثر الذى تحتفظ به الذاكرة أداء ورسالة الى ما تحتضنه فى اعطافها ـ جديداً جديراً بالاخذ والعطـاء . . حصيفـاً مفعـما بتجسـدات المتلقى . . مستقبليـاً يطرق سجف التجربة ويطرح تصوراته .

ويتعين علينا ـ كذلك ـ ونحن جزء فى رحاب حركـة الفكر والمعرفة وبعد كل هذه الاعوام الطيبات المتلاحقة والمضنية احيانا ان نستظهر من خلال استنباطاتنا معابر ومسالك ننفذ منها الى ما يميزنا لسواها ـ نقيضا لما اخذنا نتعامل مع اكثره فى اغلب الاحيان ـ خاصة وان حركة الحياة وجرسها يتطلب منا الكثير . الكثير . .

ويتعين علينا ـ حتما ـ وبظروف واقعنا كوسيلة دورية «مجلة» ان نقتصر فى «فواصلنا المنتمية» هذه ـ فنخصص ولا نعمم . . ونـوجـز ولا نفـرط . . ونمسك ولا نجنح . . ونتفاءل ولا نغـرق . . ولابـد والحـال ما ذُكِـر ان ندخل لعصـريـة التقنين والتقييم منطلقين من هذه الفـواصل ونظائرها المتشابهات التى يفرضها اصحاب العلاقة على ارضية الواقع المستقبلى .

■ المجـلات الـدوريـة فى مفهـومها العام : اعطاء القارىء معلومات عامة متنوعة فى جميع

المعارف ولكثير من انشطة الحياة. . فهى اذن تتجه للقارىء الباحث فى موسوعية ميسرة للمعارف الى حد كبير.

ولنا وقفة وموقف من هذا النص:

من المستحسن ـ هنا ـ وكما افاضت به الذاكرة ان نورد ذلك المثل الصينى الذى يقول: **(لابد ان نعرف شيئا عن كل شيء. . وان نعرف كل شيء عن شيء).**

ولم يخرج العقاد فى تعريفه للثقافة عن هذا المضمون.

* ومن المنصف ان نبحر معه وصولا الى عمق توصيفنا الاثير (الاخذ من كل فن بطرف).

** والسؤال المباشر هنا ايضا. هل نحن فى دورياتنا عموما وتأثيراتها نكون مع. . أوضمن. . اوضد.

** ام هل نحن «تخصيصا» وكدوريات لها تأثيراتها العقدية والفكرية والحضارية والعقلية نحتاج الى وقفة مع تلك الدلالات. . والى موقف من ذلك المصطلح؟ . .

اننا ازاء تحد حضارى يفرض نفسه. . ونعايش شواهقاً تعبر عن ذاتيتها. . وان لنا فى اتساعات الزمن واستدراكاته واستغلاقاته ما يحتم على دورياتنا ان تضع نفسها على مساطر كل تلك المواجهات الفكرية وصولا للآفاق المرغوبة وارتساماتها المطلوبة. . ولا يتسنى لنا ذلك إلا باشتقاق وفرض مسارات متميزة متباينة. . ومناهج مميزة قد نتحسس فيها الماضى «عصور التقييم لا التلقين» عندما كانت المعارف المرسلة بوسائلها المعبرة تصدح بالفعل وتينع بالاثر. . وقد نتلمس فيها الحاضر غير البعيد عنا عندما كانت الدوريات ـ وبعضها لا زال قائما ـ منارات عطاء متين. . واندية تواصل اثير.

لابد والحال هذه ـ ان نكون مع هذه الفرضية التى تتوافق مع المعطيات الثقافية الماثلة والتى هيأها لشعوبنا وائمنا ولاة الامر فينا.

اننا نحتاج بكل هذا وذاك الى طرح مدارس صحفية خاصة بنا. . والى استنباط منابع ثقافية ما احوجنا الى إقتفاء اثرها ومسك تأثيراتها.

ان سبل التنشيط واوليات وسائل التأثير عديدة متشعبة متى ما وجدت الاستنطاق واملت الاستنباط. . وجمهرة القراء هم فى ازمنتنا هذه فصيل فيصل نابض واع ذكي يود بسرعة الزمن وتخصيص الوقت ان يعرف كل شيء فى شيء ـ فلابد لنؤثر دوريا ان ننطلق (معه) للتخصصية واشباهها ونظائرها ووفق البعد الذى اوجزته فى مداخلة سابقة.

وبهذا ـ ومن جانب آخر ـ تفتح المجلات الدورية مجالات فكرية موجهة نأخذ من اشتقاقاتها ومعطياتها من «كلٍّ بطرف».

قد تشع تساؤلات. . وقد يقول احدهم: هل نطرح جديدا يُذوِّب قديما؟. . هل

نحدث ثورة توفيقية تهز الموروث المألوف؟ . .
هل نرضي بهذا قارئنا ونمول بقاء الدورية وانتشارها؟ . . وفي تهكم: هل نطيق صبرا على فقد وسائلنا ودورياتنا؛ التعددية المتباينة؟ واجمالا: هل نلغي امتياز دورياتنا؟ . . '

اقول لهم ولنفسي: ليس هذا الذى قصدت ـ كثيرا ـ بتجاوزاته وموضوعيته ـ ولكنها مناسبة اردت بها ان تكون الدورية مؤثرة فى آن واحد. اذ لابد لها ان توجه مطبوعتها وشهريا وجهة واحدة فى نسق متلازم متسامق يصل مباشرة للمتلقى المتشوق للمعرفة المتذوق لها. . فيجد فيها خصب ازمنته واشباع ثرى حسه (وعلى قدر اهل العزم تأتى العزائم).

استطراداً

علينا ان لاننغلق فى اقليميات الثقافة اذ لابد ان ننتشر وان نملأ تلك المساحة التى لم تعد محدودة مقطوعة فى عصر العلم والانفتاح والتواصل ـ لقد اصبحت كل المساحات قريبة منا وفى متناول ايدينا.

لقد اردت بهذه الالمامة المفرطة قليلا ان اتجاوز حدود السرد الموزون الى تنظير يمس القاعدة لتنطلق إلى الذروة التى ارجو أن نعتنى بها جميعا.

* * *

من خلال الواقع المعاش وبعوامل نفسية محضة يحجم البعض عن تناول دوريات القطاعات العامة والتعامل معها الا في بعض ما كان منها غير منتمٍ ونحن وكثير من بلدان العالم العربى تعج اسواقنا المكتبية بهذا الكم من هذه الوسائل المصدرة التى قد نفقد معها وبها اجتذاب المتلقى واحكام السيطرة الفكرية للمجلة ـ وربما الكتاب. المسألة اذا اصبحت دعوة فكرية قومية أمينة تدعو وفى صراحة عقلية مخلصة وجادة الى طرح هذا التصور والتحاور فيه على اعلى المستويات المهيئة له ولامثاله وصولا الى افراز توصياتها لتقدم للمجالس العلوية والجهات المعنية حتى تعمل فيها الرأى وتحدد بها التوجهات. . وبهذا نحرز مع الزمن اعدادا من المثقفين ناخذ منهم وعنهم. . فندحض بهم المقولة القائلة عدم وجود قارىء. . واول الطريق خطوة.

* * *

عن موضوع عدم قبول الجامعات لما ينشر فى الدوريات. . ، اعنى واتحدث. . وأجدد: اصبحت الجامعات لا تعتمد الدوريات كمصادر اكاديمية تعتد بها. . او تحتكم اليها. . او تقيمها. . وفى ندرة الوسيلة المحكّمة. . ومحدودية المطبوعة الجامعية المتخصصة. . وتعددية البحوث المصنفة نجد انه من الواجب الملح ان تأخذ الجامعات بهذه المشاركات وان تعتمدها كمصادر اكاديمية متى ما تيقنت باثرها وتأثيرها. . وعطائها واحاطتها.

وفى ساحاتنا وسائل صحفية ودوريات ثقافية تذكر فلا تنكر ـ ومن حقها ان تحتل هذه المساحة. وفى هذا تقدير مرسل للمطبوعة

يحتم عليها ان تحافظ على مستواها وتمسك بقدراتها - بل ويدفع سواها الى تنافس شريف عفيف - ومن هنا تنطلق صيحة الاصالة والمعاصرة ويتأصل مدلولها.

* * *

هناك معادلة لم نصل بعد الى معالجتها جيدا فى صحافتنا - وتتلخص فى المقولة التى تتساءل «على ايهما نركز - على بناء العقول.. ام بناء المضمون».. اننا لا ننساق فى سذاجة لمعابر تلك الاطلاقة الديموماغوية «أيهما ولد قبلا الديك ام الدجاجة؟» ولكننا - وبالضرورة - لا بد ان نتجه للإنسان الذى كرمه الله عز وجل فنثرى عقله وحسه ووجدانه بالطيب المباح.. وبالجيد المتاح - فى اطار ملكات التعبير.. واشراقة المعنى.. وضبط الكلمة.. وبهذا يفرز المضمون عطاءه ويفرض ذاتيته.. وما أحرانا فى دورياتنا بان نتساق فى مقدرة وذكاء الى هذه المعابر معاً.

تحية بمناسبة دخول المنهل عامه السادس والخمسين:

تحية المنهل

شعر:
منصور دماس
خميس مشيط



نِصفُ قرْنٍ وأوْجُها يتسامى
وذُراها تعلو النجومَ مَقاما

نصفُ قرنٍ ذاعتْ بغير تدنٍّ
هكذا الرّوضُ بالوفا يتنامى

نصفُ قرنٍ ومنهلُ الفكْر - فيْضاً -
تمنحُ العقلَ فى الثَّراء وساما

منهلٌ إنّها الحقيقةُ تأبى
فهي أندى من الرِّياضِ قوَاما

كان أوْلى إلى المناهلِ - قدْراً -
لو أضِيفتْ وأفْردُوها تَماما

فهى أحلى من البساتين ينْعاً
ومِنَ العِقدِ زُهرة وانتظاما

نصفُ قرنٍ ومزْنُها هاطلاتٌ
وجناها أحلى الثِّمار دواما

نبْعُ شهْدٍ لكنَّها ذات طعم
كوْثريٌّ فى الشَّهر يُؤتى لِزاما

جنّةٌ إنها يطيبُ جناها
كلّ حينٍ.. فيها التفكُّهُ دَامَا

يرحمُ اللّهُ ذا البذورِ بروْضٍ
منه يجنِى محبّةً وسلاما

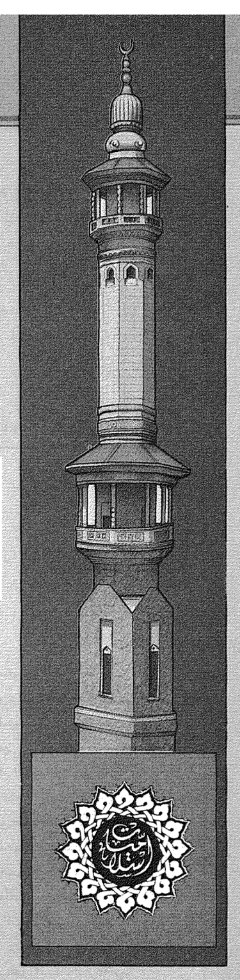
اتقنَ الغرْسَ مُسبغَ الرِّيِّ حتى
جذبَ الناسَ للثِّمار غراما

وإذا ودَّعَ الحياة فعنهُ
خَلَفٌ صالحٌ يُوالي المراما

فلنبارِكْ أمّ المجلّاتِ حبّاً
وذويها معزّةً واحتراما

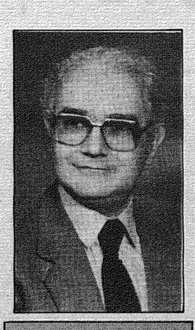
إنْ عشقنا يبادرَ الفكْرِ منها
وَلَعاً إنَّ للجنوسِ ذِمَاما

أضواء على الرسالة



يحتاج الاسلام اليوم الى أضواء عليه كما تدعى هذه المقالة؟.

■ **قد تجنح طائفة كبيرة منا إلى القول بأن الاسلام فى غنى عن الاضواء. لا بالنسبة للمسلمين ولا بالنسبة لغير المسلمين، وقد تجنح طائفة أخرى الى القول بعكس القول السابق، بناء على ما تراه وتجده من مسيس الحاجة الى البيان، فى عصر يتسم بالمزايدات الفكرية والغزو الفكرى المضاد ونحن من هذه الطائفة.**



للدكتور محمد الكتانى
عميد كلية الآداب والعلوم الانسانية بتطوان ـ المغرب

■ إلا أن الحاجة التى ألمسها لدى المسلمين فى إلقاء المزيد من الضوء الكاشف على دينهم، هى الحاجة الى فهم دينهم فى سياق التاريخ الانسانى أكثر من حاجتهم الى فهم هذا الدين فى عزلة هذا السياق.

إننا نرى المسلمين أو معظمهم يحتفلون كل سنة بعدد من الأعياد الدينية والذكريات الدينية المجيدة وفى مقدمتها ذكرى الهجرة النبوية أو مطلع السنة الهجرية وذكرى المولد النبوى أو غيرها من الايام التاريخية فى الاسلام، فنتساءل: **هل يجوز أن نعتبر هذه الظاهرة الاحتفالية تعبيرا عن وعى تاريخى**

المحمديـــة

● الاحتفالات الدينية تعبير عن وعى تاريخى وإحساس بما يترتب على هذا الوعى من نتائج.
● علاقتنا بتاريخنا الاسلامى علاقة غير واعية ولا ناضجة تقوم على التقليد والتقديس.

أو تعبيرا عن إحساس بالتاريخ الاسلامى بما يترتب على هذا الوعى من نتائج؟؟.

●● وهذا التساؤل يسوقنا الى تساؤل ضمنى، وهو: ما المراد بالوعى التاريخى وماذا يترتب عليه من نتائج؟.

يكفى أن نجمل الوعى التاريخى فى صورة أساسية، وهى اعتبار التاريخ الانسانى مرجعا لفهم الحقائق الاجتماعية والسنن الالهية فى حياة الانسان. فالتاريخ هو الذى يكشف لنا عوامل التقدم والتخلف، والازدهار الماضى بعين الحاضر والنظر الى الحاضر من خلال فهم الماضى.

فهم الدين فى سياق التاريخ الانسانى

إن الاسلام يفرض على معتنقيه هذا الوعي التاريخي بحكم ما يكون للمسلم من صلة بتاريخ الاسلام، والمام بتوجيهات القرآن الداعية الى الموعظة والاعتبار.

■ مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ سيروا فى الأرْضِ فانْظُروا كيف بدأ الخلق﴾.. وقوله تعالى: ﴿أفلَمْ يسيروا فى الأرضِ فينظروا كيف كان عاقبةُ الذين من قبلِهم، ولدارُ الآخرة خيرٌ للذين اتقوا، أفلا تعقلون﴾.. وقوله تعالى ﴿أفلَمْ يسيروا فى الأرض فتكونَ لهم قلوبٌ يعقلون بها أو آذانٌ يسمعون بها﴾.

●● ولكن الى أى حد يتحقق للمسلم عن طريق هذا الالمام وعى بتاريخ أمته، وعقيدتها وأطوار قوتها وضعفها؟؟.

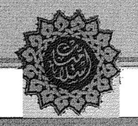
●● وتحضرنى فى هذا المقام فكرة لاحد المؤرخين العرب المعاصرين(١) وهى تقسيمة التاريخ بالنظر الى علاقته بأهله إلى نوعين:

● تاريخ هو عبء على كاهل أهله وقيد من قيود حياتهم.
● وتاريخ هو حافز مثير دافع للمبادرة والممارسة الابداعية.

يقول هذا المؤرخ:

« من الواضح أن التاريخ فى حد ذاته هو هو لا يتغير، وأنه لا يمكن لاحد أن يبدله أو يعود به فيفك خيوطه لينسجه من جديد، أما الموقف المتخذ منه فهو تابع لدرجة الاستعداد ونوع الاهلية، وما ادخره القوم (أفراد أو جماعات) من معرفة وخبرة وما اكتسبوه من صفات خلقية وعقلية.

■ فلكم من تاريخ جليل حافل كان لاهله عامل استكانة وتأخر. وكم من تاريخ هزيل مظلم كان لابنائه مثار نعمة ومبدأ انطلاق»(٢).



● تقديس الماضى دفعنا الى تصوره تصوراً اسطورياً لا يخضع لقوانين الاجتماع وسنن الحياة الانسانية.

● رسالة الاسلام حققت للبشرية النقلة المعرفية والاخلاقية والربانية.

● أصحاب الأفكار المنحرفة حولوا الاسلام الى مجرد برنامج اصلاح اجتماعى تفرزه التناقضات الداخلية للمجتمع.

■ **فهل تاريخنا نحن المسلمين عبء علينا، يثقل كاهلنا ويحول بيننا وبين الحركة الحرة أم هو حافز لنا على التقدم والابتكار والممارسة القويمة للحياة الناجحة المتطورة؟؟.**

من المؤسف أن نقول ان علاقتنا بتاريخنا علاقة قد قطعها الكثير من السلبيات.

■ إن من المظاهر السلبية التى تتميز بها علاقتنا بتاريخنا الاسلامى مظهر التقليد فى تقديس هذا التاريخ وعبادته من غير فهمه وتحليله، وحتى حين نقرأه فلا نقرأه إلا بعين التقليد أو بعين الاجلال. فلا ننفذ الى حقائقه لا فى حالة التقليد ولا فى حالة الاجلال.. ويترتب على هذه العلاقة غير الواعية لدى الكثيرين الاقتصار على اعتبار الماضى أفضل من الحاضر باستمرار.. أو الحنين الى استرجاع الماضى بدل التفكير فى إبداع المستقبل، كما يترتب على ذلك تصور ذلك الماضى تصورا أسطوريا لا يخضع لقوانين الاجتماع وسنن الحياة الانسانية.

يرد هذا على الخاطر كلما حضرت ذكرى من ذكريات تاريخ الاسلام، ولاسيما ما يتصل بظهور الاسلام، أو يتصل بتاريخ العصر النبوى وسيرة صاحبه عليه أفضل الصلاة والتسليم. فأتساءل: **هل يفهم المسلمون حق الفهم، ويعون حق الوعى هذه السيرة النبوية وذلك التاريخ، فيجدون فيها القوة على مواجهة التحديات ومغالبة القوى المناوئة؟؟ أو يجدون فيها المنهج القويم لمواجهة نفس المشكلات والتحديات والقوى التى واجهت ظهور الاسلام؟.**

■ الحقيقة أن معظم المسلمين لا يعرفون الوجه الحقيقى للسيرة النبوية، ولا الاطوار التى تقلبت فيها الدعوة الاسلامية إلا ما تصوره بعض الكتابات والاشرطة التى لا يمكن أن تتجاوز حدود الصور المرئية أو تنفذ الى جوهر الحقائق التاريخية.

■ والحقيقة المؤلمة أيضا أن أطفالنا وتلاميذ مدارسنا وطلاب جامعاتنا لا يعرفون هذا التاريخ الحافل بالنضال فى سبيل العقيدة وبناء الامة الاسلامية معرفة مثمرة واعية، إما لانهم يدرسون هذه السيرة وذلك التاريخ دراسة سطحية عابرة مختزلة فى سن مبكرة لا تقوى على الفهم والاستيعاب. وإما أنهم يدرسونها دراسة سردية فارغة من أى تحليل أو عمق فى التوثيق والتمحيص من خلال مسيرة التاريخ العالمية. فإذا درسوا ما سواهما من تاريخ الغرب الحديث أو التاريخ الحديث والمعاصر بدا لهم ما يقال عن الاسلام كأنه اسطورة من الاساطير لا غنى فيها للعمل ولا مظهر فيها من مظاهر التاريخ المنهجى الدقيق.

■ فإذا أضفنا الى ذلك ما حفل به تاريخ الاسلام من خلال ما تصوره الكتابات الاجنبية عنه باللغات الأوربية التى لا يجد غيرها بعض المسلمين وما شاع فى هذا التصور من عداء للاسلام ولرسول

الاسلام ومن إثارة الشبهات وترديد الاضاليل، عرفنا ما يقوم فى سبيل فهم هذا التاريخ والوقوف على حقائقه من عقبات وحواجز فى وجه شبابنا ومثقفينا.

■■ ولكى ندرك عظمة الرسالة المحمدية يجب أن نقدر الحاجة الانسانية إليها حق قدرها. وهذه الحاجة إنما تتمثل داخل الزمن التاريخى الذى يتحد بالعصر الذىجاءت الرسالة الاسلامية لتخرجه من الفوضى وظلام الشرك، ومن الصراع الدائر بين القوى والطبقات والشعوب والأفراد على حد سواء.

فلنلق نظرة مجملة على الواقع الاقليمى فى الشرق الادنى، أى الجزيرة العربية وما حولها من دول وأقطار عند ظهور الاسلام.

الواقع الاقليمى

كان العالم على عهد ظهور الاسلام كثير الشبه بعالمنا المعاصر، من حيث انقسامه بين كتلتين، شرقية وغربية كانتا تتصارعان فى سبيل المزيد من السيطرة على البلاد المتاخمة لها. وفى سبيل التوسع الاستعمارى لاستخلاص الجزية وتسخير الأهالى وتأمين طرق التجارة. فكان الفرس يمثلون يومئذ الكتلة الشرقية، وكان البيزنطيون يمثلون الكتلة الغربية، وكانت كفة النصر أو الهزيمة ترجح هذه القوة أو تلك حسب العوامل الداخلية والخارجية المتاحة لكل منها فى ظرف من الظروف.

■ ولم يكن المجتمع العربى فى الجاهلية مغلقا على نفسه، بعيدا عن مؤثرات هذه الحياة السياسية التى تهب عليه من الدول الكبرى المجاورة، فقد كانت الجزيرة العربية بالاضافة الى ما تعانيه من أحوال التمزق والصراع القبلى ملتقى للصراع بين القوتين العظميين يومئذ. فدولة الفرس كانت تتاخم العرب من ناحية الشرق ودولة الروم كانت تتاخم العرب من ناحية الشمال، بالاضافة الى أن الفرس كانوا يحتلون جنوبى الجزيرة العربية ويتحكمون فى باب المندب، المنفذ الاساسى للبحر الاحمر. ولكنهم كانوا يقفون على الضفة المقابلة للحبشة التى كانت تابعة عقائديا لدولة الروم.

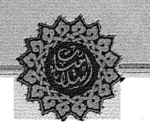
■ كان العرب إبان هذا الصراع الدائر بين القوتين إما انصارا للكتلة الشرقية الفارسية، وإما أنصارا للكتلة الغربية البيزنطية. وكانت القبائل المتاخمة للدولتين فى العراق كاللخميين، أو فى الشام كالغساسنة تدور فى فلك القوة التى تستعملها كحليف لها. . فكان العرب إذن ينخرطون رضوا أم كرهوا فى الحرب الدائرة بين القوتين.

■ وفى القرن السادس الميلادى كانت اوضاع الامبراطوريتين العظميين تتردى وتسير من سىء الى أسوأ بسبب الصراع المذهبى والفكرى الداخلى، داخل المجتمع الفارسى بسبب الصراع بين المزدكية والزرادشتية، أو داخل المجتمع الرومانى بسبب الصراع بين المذاهب المسيحية التى تختلف حول طبيعة المسيح عليه السلام على طوائف شتى تحول معها ذلك الصراع الى جدل بيزنطى يضرب به المثل فى العنف والعقم على حد سواء.

■ يضاف الى هذا العامل الداخلى عامل الحروب التى كانت دائرة بين الدولتين العظميين بغير فتور أو انقطاع وهى حروب ظلت تستنزف خيرات الأهالى، فيُحْملون بالقوة على تغذيتها بأجسادهم وأموالهم من غير أمل فى نصر حاسم.

■ كان الصراع يتهدد الجزيرة العربية، ويحاول أن يستقطب القبائل العربية المتاخمة فى العراق أو الشام للتحرك فى فلكه. وقد شهدت مكة فى هذا الاتجاه غزو أبرهة الحبشى للكعبة ومحاولته هدمها ومن ورائه فيما يقول المؤرخون البيزنطيون.

■ لقد كان عرب متنصرون وعرب متهودون تأثروا بالديانتين عن طريق التبشير والاتصال. فكان



● ارتفع الاسلام بالانسانية على المستوى القومي والعرقي ودعا الى وحدةٍ مبدأ التفاضل فيها للتقوى لا غير.

● أنشأ الاسلام أمة العقيدة مكان أمم القوميات المتصارعة والتكتلات العرقية.

● لم يدع الاسلام إلى محو الروابط الموجودة فى المجتمع ما دامت متكاملة مع الرابطة الاعتقادية.

العرب المتنصرون يعطفون على البيزنطي، ولكنهم قليلون لان البيزنطيين كانوا لا يتورعون عن التدخل فى الجزيرة العربية، وحمل خلفائهم فيها على تنصير العرب أو جعلهم يتحركون فى فلك بيزنطة وضمان أمن قوافل التجارة الرابطة بين الشمال والجنوب والشام واليمن.

■ وكان معظم العرب يميلون إلى الكتلة الشرقية الفارسية يومئذ لانهم أعداء بيزنطة أو أعداء أبرهة الحبشى الذى حاول يومئذ أن يحول العرب عن الكعبة الى كاتدرائية بناها فى صنعاء فجاء لهدم الكعبة عام الفيل.

أما فى الجزيرة العربية وسطا وأطرافا فكانت تلتقي التيارات والمذاهب الاعتقادية لتفتت المجتمع العربي، من مجوسية ومسيحية ويهودية ووثنية بينما كان يشعر أفراد هنا وهناك أوتوا صفاء الذهن وقوة الحدس أن ما يحول بين العرب وبين القوى الكبرى المتاخمة لهم والمتعالية عليهم إنما هو وحدة شاملة توقظ الوجدان العربي وتوجهه الوجهة الجامعة.

■ وشهادات المؤرخين على تطلع العالم فى مستهل القرن السابع الميلادى إلى انقاذ شامل لا تعز على الباحث المنصف.

■ يقول دانسون[3] «فى القرنين الخامس والسادس كان العالم المتمدين على شفا جرف هار من الفوضى، لأن العقائد التى كانت تعين على إقامة الحضارة كانت قد انهارت، ولم يكن ثمة ما يعتد به مما يقوم مقامها. فبدا ان المدنية الكبرى التى كلف بناؤها جهود أربعة الاف سنة مشرفة على الزوال. فالناس حتى فى البلدان المتحضرة كانوا يتجهون الى الهمجية بسبب الصراع.. لقد كانت تلك المدنية القديمة بمثابة شجرة ضخمة تمتد ظلالها لتشمل العالم القديم كله، ولكنها شجرة تترنح وتتداعى للسقوط، بعد أن تسرب إليها العطب حتى اللباب. وبينما كان هذا الفساد الشامل يستشرى إذا بالرجل الذى سيغير كل شىء يولد فى مكة، فكان خير دواء لذلك الداء».

■ وقال هنري توماس ودانالي توماس[4] «فى القرن السابع حين بدا على الدنيا أنها أصيبت بالجفاف وحين فقدت اليهودية نسقها واختلطت المسيحية بميراث العقائد البربرية والرومانية نبع فى الشرق فجأة ينبوع صاف من الايمان ارتوى منه نصفا العالم.. هذا الينبوع الصافى إنما انبثق من أجدب بقعة فى الارض قاطبة، انها صحراء الجزيرة العربية».

●● ماذا حملت الرسالة المحمدية من مناهج التغيير والعلاج والتصحيح؟.

الاسلام .. ومناهج التغير والتصحيح

■ قبل الاجابة عن هذا السؤال نلتفت إلى طائفة من الناس تراود أذهانهم فكرة كون الاسلام كان

عبارة عن برنامج إصلاح اجتماعي شامل كما نفهم اليوم برامج الاصلاح التى طلع بها على الناس مُنظِّر اجتماعي أو زعيم سياسى، وحينئذ يدخل الاسلام فى عداد حركات الاصلاح التى تفرزها المتناقضات الداخلية للمجتمع. كما حاول أن يفسر ظاهرة الاسلام أحد المفكرين الماركسيين من العرب(٥).

■■ نلتفت الى هؤلاء لنقول لهم إن تاريخ ظهور الاسلام وإن احتمل هذا التفسير، فإن الاقتصار عليه سيجعلنا نتساءل: لم لم يظهر هذا الاسلام فى بلاد فارس أو فى بلاد الروم أو فى بلاد الحبشة أو مصر! ؟ وقد كانت كلها مسرحا للتناقضات الاجتماعية حافلة بالصراع الطبقى إلى أقصى الحدود؟.

●● وماذا كانت حاجة ذلك الاسلام أو الرسالة المحمدية فى هذا الاطار المحدود إلى الانطلاق من مسائل العقيدة الالهية، وتقويض كل ما كان يروج فى العالم يومئذ! ؟

■ إن الرجوع الى التاريخ، تاريخ العقائد والاديان والرسالات يعلمنا الكثير من الحقائق ويكشف لنا عن الكثير من الاطوار التى لا يبصرها غير الذين شرح الله صدورهم للحقيقة، والعلم.

■■ فالرسالات السماوية ظاهرة متعاقبة فى التاريخ ولكن هذه الرسالات - كما يلاحظ ذلك مَنْ يدرسها(٦) كانت تنتقل من طور الى طور، وكأنها تهيء الانسان وفق منهج معلوم لتحقيق كمال الرسالات لا من حيث طبيعتها وحسب، ولكن أيضا من حيث مضمونها، ومن حيث عموم المخاطبين بها.

■ فمن الرسالات السماوية ما كان ينطوى على تكاليف الزعامة الروحية حين يأتى الوحى الإلٓهى أو تأتى الدعوة الإلٓهية لتمكن لزعيم القوم من هداية قومه روحيا لانه مطالب بالإصلاح كما هى رسالة ابراهيم الخليل قبل الميلاد بنحو تسعة عشر قرنا.

فمن الرسالات السماوية ما كان يقوم على صيانة أمة من الامم فى وجه أمة أخرى تستذلها او تستعبدها كما هى رسالة موسى عليه السلام بعد ذلك.

■ ومن الرسالات ما كان تحقيقا لوعود متعاقبة ينتظرها الموعودون بها، وتفسرها كل طائفة منهم بما ترجوه منها كرسالة المسيح عليه السلام.

■■ فلما جاءت الرسالة المحمدية جرت على نسق الرسالات فهى ليست بدعا من الظاهرة العامة **﴿قُلْ ما كنتُ بِدْعاً من الرُسل وما أدرى ما يُفْعلُ بى ولا بكم، إنْ أتَّبعُ إلاَّ ما يُوحَى إلىَّ وما أنا إلاَّ نذيرٌ مبين﴾**، ولكنها كانت اكتمالا حقيقيا للظاهرة العامة من جميع الجوانب التى ألمحت إليها. من حيث الطبيعة والمنهج والمخاطبين.

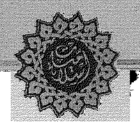
<u>يقول أحد العلماء</u>: (٧)

«كانت الاديان والشرائع السالفة قبل الاسلام تجيء خاصة بعشائر ثم بقبائل أو مدن، ثم بأمم. ، لأنك تجد الدين الذى يناسب حالة أمة أو قبيلة لا يناسب حال غيرها، إلا أن أصول ذلك كله لا تختلف كما أنبأ بذلك القرآن: **﴿شرع لكم من الدين ما وَصَّى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصَّينا به ابراهيمَ وموسى وعيسى أنْ أقيموا الدينَ ولا تفرَّقوا فيه﴾**.

■ وقد صرحت الأديان السالفة كلها والشرائع السابقة للاسلام بتخصيص دعوتها بقوم دون سواهم وحسبك أن موسى عليه السلام فى اختراقه أمما وبلادا كثيرة فى جهات مرور بنى اسرائيل فى طريق التيه لم يدع إلى اتِّباعه غير قومه السائرين معه. ولما جاء عيسى لم يدع إلى اتباعه غير بنى إسرائيل.

■■ وجاءت الرسالة الاسلامية فارتقت الرسالة السماوية بها ومن خلالها إلى الاوج المطلوب منها من جميع النواحى.

■ فهى رسالة عامة لسائر البشر، وليست خاصة بقوم أو أمة أو شعب من الشعوب. **﴿وما أرسلناك إلاَّ كافة للنَّاس بشيراً ونذيراً﴾**. **﴿قل**



> ● الطبيعة والتاريخ والنفس هى مجالات الاستدلال والبحث العلمى لمعرفة سنن الله فى هذا الكون.
>
> ● الاسلام أنشأ أمة العقيدة بدل امة السلالة والعرق والعصبية والقومية، وأمة الوسط بدل امة التطرف والغلو.

يا أيها الناسُ إنى رسولُ اللهِ إليكم جميعا﴾.

وهى رسالة متكاملة لا ينفصل تامة الفروع، لاى يستقبل فيها التوجيه الروحى عن السلوك اليومى ولا العقيدة عن العمل ولا الفكر عن الممارسة وهى رسالة يمتزج فيها الدين بالشريعة، وهى تحمل الاحكام العامة فى كل شؤون الحياة الاجتماعية من سياسة واقتصاد واجتماع وحرب وسلم.

■ ثم هى رسالة اقتضت بحكم الاسس السابقة كلها، اقتضت قيام دولة أو نظام، لان الدين لا ينبغى أن يظل عرضه لتعطيل احكامه ومنهجه، وهو ينفذ الى كل تفاصيل البنية الاجتماعية والسياسية. فيحركها من داخلها، فهل يعقل مع ذلك أن يقال عنه إنه يمكن أن ينفصل عن الدولة كما يروج ذلك المخدوعون بالديماغوجيات؟.

«فلما اكتملت للاسلام هذه الصفات علمنا أنه الدين المراد لله تعالى أن يكون دين البشر كلهم، وأن ما تقدمه من الاديان كان تمهيدا له وتدرجا الى قمته»(٨).

■■ ومن ثم اعتبر الاسلام إكمالا للدين من حيث هو. أى من حيث كون الدين اعتقادا ونظاما وأحكاما من شأنه تحقيق الصلاح فى المبدأ والسعادة فى المعاد.. فقال: **﴿اليوم أكملتُ لكم دينكُمْ وأتممتُ عليكم نعمتى، ورضيتُ لكم الاسلامَ دينا﴾**.

كونية الدين باعتباره هداية من الله لخلقه من الحقائق التى أعلنها القرآن. وكونية الدين تعنى أنه ما دام للكون رب قد خلقه وأتقن صنعه وهيأ أسباب استمراره وسنن انتظامه، فمعنى ذلك أنه لابد للفكر الذى يعى هذه الحقيقة أن يتجه الى عبادة هذا الخالق، فالربوبية تقتضى الربانية أى الاعتراف والعبادة والايمان. وعالمية الاسلام نتيجة من نتائج الاقرار بكونيته.

وهنا يحسن أن نقف على خصيصة من خصائص السلوك النبوى كما تمثل فى سيرة الرسول ﴿ﷺ﴾. فقد يتخيل متخيل أن الاسلام وهو دين انبثق من بلاد عربية وحمله رسول عربى إلى العرب أنه خاص بالعرب، وأنه بداية لحركة قومية عربية. ولما كان الشعور بالقومية نوعا من الشعور بالكرامة والاعتزاز بالاصول بالنسبة للفرد والجماعة فقد يخيل للمتخيلين أن الاسلام مثل هذه النزعة القومية أو تقيد باطارها.

كان الرسول ﴿ﷺ﴾ يعتز بعروبته ويعتز بأنه ولد يوم أعز الله العرب بنصرهم على دولة الاكاسرة، وكان يحب قومه ولا يحب من يبغضهم ولكنه لم يكن يبغض مثل النعرة القبلية وكان يقول: **«لا فضل لعربى على أعجمى ولا لقرشى على حبشى إلا بالتقوى»**.

■ ومن عجائب الحكمة فى هذا السلوك النبوى كما قال أحد الباحثين أن يأتى إنكار العصبية القومية من رسول هو فى قمة الشرف بين قومه المعتزين بالعصبية، فلو كان هذا النبى محروما من تلك العصبية فى أمته أو عشيرته أو أسرته لما كان من انكاره للعصبية من عجب.. ولكانت دعوته الى المساواة بين بنى آدم رسالة من معدنها لا تستغرب من

صاحبها ولا من قومه، ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم كان فى الذروة من فخار النسب والعصبية. وكان نسبه العريق ملتقى الانساب من أقوى الاقوياء»(٩).

■ فمن رسول محاط بكل أسباب التعلق بالعصبية القومية والاعتزاز بالنسب والشرف، منيع فى قومه وأسرته تأتى الدعوة إلى المساواة بين البشر، وبأنه لا فضل لعربى على أعجمى ولا لقرشى على حبشى إلا بالتقوى.

■■ وبذلك تتأكد عالمية الاسلام بارتفاعه على المستوى القومى والعرقى وإن لم ينكر الاسلام الاعتزاز بالاصول والاعتداد بالمزايا التى للاقوام.. والغاية من نفى هذه العصبيات القومية كلها إنما هى جعل العقيدة كلها هى الرابطة الحقيقية فى المجتمع الانسانى. وهى المقوم الاوحد لوجود الامة.

وهذا هو المنعطف الذى حققه الاسلام فى تاريخ الانسانية جمعاء. لانه أنشأ امة العقيدة مكان أمم القوميات المتصارعة ومكان التكتلات العرقية.

أمة العقيدة ومواجهة القوميات

■ لقد كان ظهور الاسلام نقله للنوع الانسانى من ماض مشحون بالصراع فى غير طائل الى حاضر، قد يكون فيه الصراع ولكن من أجل المبادىء والقيم.. فنحن إذا القينا نظرة على كل الروابط والجوامع والأواصر التى كانت تربط الامم القديمة أو المجتمعات القديمة فيما بين أفرادها لاحظنا أن تلك المجتمعات كانت واقعة فى نقيصتين:

أولاهما: أنها كانت مجتمعات مؤسسة على العلاقات النسبية التى تعتبر القبيلة أوسع دوائرها.

ثانيتهما: انها كانت بمثابة تجمع او تعصب عرقى أو قبلى يعتبر الخارجين عن دائرته أجانب ان لم نقل أعداء.

وبهذه الصورة تجتمع السلالية والعدوانية فى مفهوم العصبية الى حد قولهم **«انصر أخاك ظالما أو مظلوما»**.

فجاء الاسلام برابطة العقيدة **﴿والمؤمنون والمؤمناتُ بعضُهُم أولياء بعضٍ، يأمرون بالمعروفِ وينْهوْن عن المنكر ويُقيمونَ الصلاة ويُؤتون الزكاة ويُطيعون اللهَ ورسولَهُ﴾.. ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾.. ﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهودَ والنصارى أولياء، بعضُهُم أولياء بعضٍ، ومن يتولهم منكم فإنَّه منهم﴾**.

■ هكذا جعل الاسلام رابطة الدين رابطة فوق جميع الروابط، رابطة تمحى امامها كل الروابط الاخرى إن تعارضت معها، من غير أن يدعو الاسلام إلى محو تلك الروابط الموجودة أو القائمة فى المجتمع إذا ما تكاملت مع الرابطة الاعتقادية. لان الله هو الذى خلق الخلق على هذا التنوع السلالى لحكمة بينها.. **﴿يا أيها الناسُ إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن إكرمكم عند الله أتقاكم﴾**.

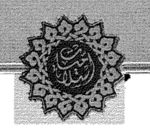
■ لقد أعلن القرآن انه أنشأ أمة جديدة حين جعل الامة الاسلامية هى الامة الوسط التى تتجاوز التطرف إلى أقصى الطرفين. **﴿وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسولُ عليكم شهيدا﴾**.

فأى وسطية يعنى القرآن؟.

لابد من أن نرجع الى سياق التاريخ ـ كما قلنا ـ لندرك أى وسطية تحققت بظهور الامة الاسلامية.

■■ جاءت الرسالة المحمدية، والعالم ينقسم الى كتل شتى من حيث الاعتقادات التى كان لها تأثير عميق فى الحياة الاجتماعية والاخلاقية للشعوب التى تدين بها.

●● فهناك الكتلة التى قال عنها إنها كانت تدين بديانات سماوية ولكنها محرفة ـ اليهود والنصارى



والصابئة ـ وهذه الكتلة كانت منقسمة فى تصوراتها الرئيسية ومذاهبها الى طوائف عديدة حولت اتباعها الى خصوم يتبادلون العدواة والبغضاء ويزعم كل منهم أنه الآخذ بالحق، وما سواه ضلال.. ﴿وقالت اليهودُ ليْسَتِ النَّصارى على شىء وقالت النَّصارى ليستِ اليهودُ على شىء وهم يتلون الكتاب، كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم﴾.

●● وهناك الكتلة الوثنية التى كانت تدين بعقائد تتشخص لها فى معبودات ماثلة للعيان كالكواكب والصور والآلهة المتعددة، كما نجد عند العرب فى العصر الجاهلى، وعند غيرهم من الشعوب كالهند وشرقى آسيا.

●● وهناك الكتلة المجوسية التى تقول بإلهين اثنين، هما إله الخير وإله الشر أو إله النور وإله الظلام وتتفادى بهذه الاثنينية القول بصدور الخير والشر معا عن إله واحد وكانت هى الاخرى على مذاهب شتى، أبرزها المانوية والمزدكية والزرادشتية التى تجاذبت السلطة فى بلاد فارس قبيل ظهور الاسلام.

●● وهناك الكتلة التى تجاذبتها المذاهب الفلسفية كاليونان ومن تأثر بفلاسفتها الطبيعيين والاخلاقيين، وهم الذين يدَّعون أن العقل وحده الموصل إلى الحق وأن المنهج الذى يقوم على التجربة والاختبار واعتماد المنطق هو المنهج الكفيل بإنجاح مساعى الانسان فى كل مجال.

الوسطية العادلة

ظهر الاسلام وسط هذه التيارات وغيرها مما تفرع عنها فواجه فى الحقيقة كتلتين:

■ الكتلة المتطرفة نحو إنكار المادة والحياة الانسانية الطبيعية باعتبارها شرا والخلاص منها سعادة، كما هى مذاهب البوذية والهندوكية والروحانيين من الصابئة والترهبيين من النصارى.

■ الكتلة المتطرفة نحو انكار الروح وتقديس المادة.. والاسلام يقوم على العقيدة السماوية القائمة على الاعتراف بالالوهية لله والربوبية له، وإفراده بالعبادة وبأن الانسان مادة وروح، وأن له بعد الموت بعثا وجزاء على ما قدمت يداه.

■■ وأعلن الاسلام أن رسالة محمد ﴿ﷺ﴾ هى خاتم الرسالات وأن جوهر الدين واحد. وأن الخلاف إنما هو فى التشاريع والمناهج الخاصة ﴿لكلٍّ جعلنا منكم شرعة ومِنْهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدةً ولكن ليبلوكم في ما أتاكم﴾.

●● فثبت الاسلام منهج الوحى، وأعلن عن كون الاسلام هو خاتمة الاديان وأن نبى الاسلام خاتم الانبياء تكريما منه للبشرية التى لم يعد من اللائق بعد أن استكملت رشدها أن تظل ما مأخوذة نحو الهداية بغير زمام العقل والاستدلال.

●● وثبت منهج العقل والتجربة بما دعا اليه القرآن من إجالة النظر فى ملكوت السماوات والارض وما خلق الله من شىء إعلانا منه أن الطبيعة والتاريخ والنفس هى مجالات الاستدلال والبحث العلمى لمعرفة سنن الله فى هذا الكون.

■■ وبهذا كان الاسلام وسطا وكانت الامة الاسلامية امة وسطا فلا هى تميل نحو الروح وتلغى المادة، ولا هى تميل نحو المادة وحدها وتلغى الروح.

وقد حققت الامة الاسلامية هذا التكامل فى ثقافتها وبنائها الحضارى فجمعت من ناحية بين تراث الانسانية الثقافى، وتمثلت خير ما فيه وصححت أخطاءه ونمت رصيده. وبين علومها التى أنشأتها من ناحية أخرى أى من كتابها المنزل وسنتها المروية وشريعتها وادابها.

■ وكانت الرسالة المحمدية إذن بالنسبة للسياق التاريخى للبشرية نقلة نوعية من تاريخ الى تاريخ، ومن فلك الى فلك آخر وأهم ما فى هذه النقلة النوعية نستخلص المميزات الاتية:

■■ الانتقال بالرسالة السماوية الى أوجها بإكمال الدين الذى

ارتضاه الله للانسانية بعد أن هيأها اليه عبر رسالات سابقة كلها كانت تمهيدا للاسلام الكامل.. ﴿اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي، ورضيت لكم الاسلام دينا﴾.

■■ تعميم الخطاب الإلهي للبشرية جمعاء، والخروج بالرسالة السماوية من خطاب شعب أو قبيل مخصوص بالرسالة ليتم بذلك تعميم الهداية.

■■ اقتران العقيدة بالشريعة والدين بالحكم ليكون الدين دستورا للحياة العملية ومهيمنا على شؤونها ورقيبا عليها.

■■ إنشاء أمة العقيدة بدل أمة السلالة والعرق والعصبية القومية. وأمة الوسط بدل أمم التطرف والغلو.

خلاصة الخلاصة في ضوء هذا التحليل أن الرسالة المحمدية (رسالة الاسلام) حملت الى العالمين رسالة الوفاق بين عناصر الوحدة الكونية، بعد أن كانت تلك العناصر كلها حربا على بعضها البعض في أوهام الاعتقادات وسلوك المعتقدين، **فالروح حرب على المادة.. والمادة حرب على الروح.. والعقل حرب على الدين.. والدين حرب على العقل.. والفرد حرب على الجماعة.. والجماعة حرب على الفرد.. والشعوب حرب على بعضها.. والعناصر المتكاملة** للذات الانسانية مكبوتة لحساب واحد منها له حق القيادة من هوى أو غريزة أو فكر أو وجدان فهي معه في نزاع لا يهدأ له أوار.

■ فجاء الاسلام ليجعل العقل والقلب والروح والمادة.. والواقع والمثال والمحدود واللامحدود والطبيعي وما وراء الطبيعي.. جميعها متناسقة في حركة هادفة، ولذلك تحول الانسان المأزوم الى إنسان مبدع لانه اكتشف حقيقته وسعادته وطمأنينته في الانقياد لسنن الكون. وعلم علم اليقين أنه خرج كما وصف القرآن من الظلمات الى النور، فأبدع ما أبدع، وأنشأ ما أنشأ، وانفتحت له الافاق. فلم تمض عقود من السنين حتى كان الاسلام يطرق العالم القديم مشرقا ومغربا. ولم يكن ذلك بقوة السيف، لان الامم المفتوحة كانت قادرة على محو هؤلاء الفاتحين لو كان الامر يتعلق بالسيوف ومعدات الحروب.

هذه هي النقلة المعرفية والاخلاقية والربانية التي حققتها رسالة الاسلام.. وليس هناك أفضل في نظري من تحقيق نقلة جديدة لنا نحن المسلمين إلا العودة الى شريعة الوفاق وتخلص الانسان المسلم من الصراع الذي يغشاه ويشغله بالليل والنهار، برده إلى منهج الاسلام من حيث التوسط بين طرفي الغلو في كل سلوك وفكر وممارسة.

■ بقي ان نعود الى سؤالنا الاول او ملاحظتنا الاولى التي بنينا عليها مدخل هذه المقالة وهي:

●● هل نعي تاريخنا هذا حق الوعي؟ وهل ندرك عوامله وسننه الكونية حق الادراك. من خلال السياق التاريخي للانسانية؟ وبعبارة أخرى: هل ننظر الى التاريخ من خلال الحاضر، والحاضر من خلال الماضي؟؟.

■ وجاء الاسلام في عالم منقسم مشحون بالصراع لا وجود فيه للعرب إلا من حيث كونهم أتباعا للفرس أو للروم أو حلفاء لهما، فأوجد أمة العقيدة ووحد العرب.

●● كيف سلك سبيل تحقيق هذا الانتصار. وماذا كان وراء انتصاره من عوامل الروح وعوامل المادة، عوامل أملتها السماء وعوامل أملتها طبيعة السياسة والصراع؟؟.

ذلك ما نريد أن يعرفه المسلمون فينكبون على قراءة تاريخ الاسلام، وتاريخ دول الاسلام، من منظور التاريخ العام ومن منظور الرسالة السماوية.

الهوامش

(١، ٢) قسطنطين زريق - نحن والتاريخ ص ٢٠٨

(٣) المجتمع الاسلامي - شلبي - ص٨

(٤) الاسلام دعوة عالمية للعقاد - ص٢١

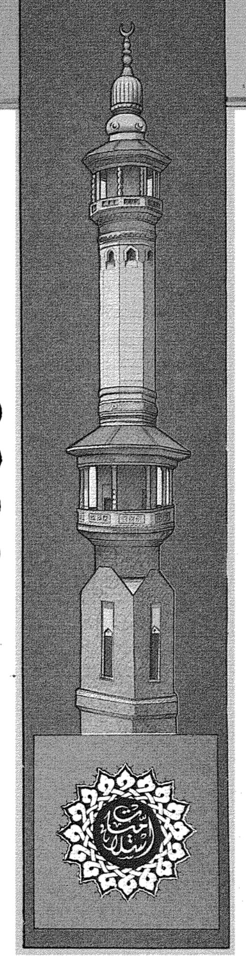
(٥) انظر النزاعات المادية لحسين مروة.

(٦) العقاد مثلا: مطلع النور ١١٤/..

(٧) أصول النظام الاجتماعي في الاسلام للطاهر ابن عاشور ١١/١٢

(٨) أصول النظام الاجتماعي - ص١٤

نماذج من سيرة



- إن من أروع ذكريات هذه الأمة الاسلامية فى فجر دعوتها تلك المواة
- ابراهيم عليه السلام كان في ريعان شبابه حينما استنكر عبادة الاصنام
- انتهز يوسف عليه السلام فرصة لبثه فى السجن لنشر العقيدة الص
- نجح عمر بن الخطاب ان يكون داعياً مثالياً لإيمانه الكبير وت
- نجاح الدعوة السلفية بنجد كان بسبب صمود الحق فى شخصية الش

الحمد لله الذى أرسل الرسل وأنزل الكتب، وشرع لعباده من الـدين، وسنَّ لهم منهج الطريق المستقيم، ليعيشوا آمنين مطمئنين ودعاة الى الخير مصلحين نحمده على آلائه، ونشكره تبارك وتعالى على نعمائه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فى أرضه وسمائه. ونشهد أن محمدا عبده ورسوله وخاتم انبيائه، أرسله على فترة من الرسل فأظهر به الحق، وأرشد به الخلق صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبائه، الذين حملوا من بعده علم الدين ولوائه، يدعون من ضل الى الهدى ويبصرون بنور الله ويصبرون على الأذى فرضي الله عنهم أجمعين وعمن سار على دربهم ونسخ على منوالهم، واهتدى بهديهم الى يوم الدين.

■ أمـا بعـد: فإن القرآن الكريم أرسى قواعد الدعوة ومبادئها وعين وسـائلهـا وطرائقها، قال تعالى:

﴿أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾ ﴿وانّ ربّك هُو أعْلمُ

الدعاة



بقلم الدكتور:
صالح بن غانم السدلان عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بالرياض

ف البطولية التى كان قطب رحاها سيد الامة صلى الله عليه وسلم.

حيحة بين السجناء.

واضعه العجيب.

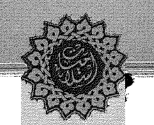
خ ابن عبد الوهاب واتباعه الميامين.

بمنْ ضلَّ عن سبيلهُ وهُو أعلمُ بالمُهتدينَ﴾.

وقال عز من قائل: ﴿قُلْ هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتّبعني وسُبحان اللهِ وما أنا من المُشركِيْن﴾.

وعلى هذا استمر عليه الصلاة والسلام فى الدعوة إلى الله وايضاح الحق حتى أظهر الله الدين على يديه، وأتم عليه وعلى أمته النعمة ثم بعد أن توفى صلى الله عليه وسلم حمل أصحابه رضوان الله عليهم من بعده مشاعل هذا النور، وساروا على الطريق فدعوا الى الله وانتشروا فى أرجاء المعمورة دعاة للحق وهداة للخلق لا يخشون فى الله لومة لائم يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله هداة مهتدين ودعاة مصلحين، ومن المعلوم أنه كلما تأخر الزمان، وابتعد الناس عن آثار الرسالة، حدثت البدع وفشا الجهل وانتشرت الخرافات واشتدت غربة الدين وظن الناس أن الدين هو ما وجدوا عليه آباءهم وإن كان بعيدا عنه ولكن الله تعالى لا يخلى الأرض من قائم لله بمحجة لا تثنيه عن عزيمته قوة، ولا توهنه عن قصده شدة، وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن طائفة من أمته لا تزال على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله، وقد وقع مصداق ما أخبره صلى الله عليه وسلم فلا يزال ـ بحمد الله ـ فضل الله على هذه الأمة يتوالى بظهور المجددين ممن قيضهم الله ليجددوا للأمة دينها ويعيدوها الى اسلامها الصحيح ونبعها الصافى المتمثل فى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﴿ﷺ﴾ فكانوا بحق كالطود الأشم فى وجه الأعاصير والنجم الهادى فى الليالى الحالكات.

■ وفى هذه العجالة ـ يسعدنى ـ أن أذكر طرفا من سيرتهم ونموذجا من صبرهم وثباتهم سائلا المولى عز وجل أن يوفق دعاة اليوم أن يكونوا صورة صادقة لما كان عليه سلفهم ويجعلوا من أنفسهم دعاة الى الله بأقوالهم وأفعالهم ـ وأن يكون قصدهم بجهادهم وتحملهم التبعات هداية الخلق إلى الاسلام الصحيح وتعليمهم كما علمهم معلم البشرية محمد بن عبد الله ﴿ﷺ﴾ وبذل النصيحة لهم ولهم فى رسولهم الكريم صلى الله عليه وسلم وخلفائه الأبرار أسوة حسنة ﴿لقد كان لكُمْ فى رسولِ اللّه أسوة حسنة لمن كان يرْجُو اللّهَ واليوم الآخِرِ وذكر اللّه كثِيراً﴾.



مراحل الدعوة النبوية

إن من أروع ذكـريـات هذه الأمـة الاسلاميـة فى فجر دعوتها تلكم المواقف البطولية التى كان قطب رحاها سيد الأمة، ومنقذها بهدى الله من الضلالة، والبشير النذير الذى أخذ بحجزاتها أن تتهاوى أو ترسب فى قيود الذلة والاستكانة.. ومن حق الأمة الاسلامية أن تزهو بتلك المواقف الكريمة التى لم تكن إلا لتقرير قضية عادلة، هى قضية الاسلام وتنظيم العلائق بين الخالق والمخلوق ثم بين الانسان وأخيه الانسان.

لقد صمد الرسول ﴿ﷺ﴾ ثلاثة عشر عاما يغالب الطغيان ويصاول موجات الباطل ويستعذب الأذى ويحتمل الصعاب برحابة صدر ورباطة جأش وطمأنينة نفس ومضاء عزيمة ويقين ثابت بأن الله تعالى سوف يعلى كلمته وينصر دينه ويؤيد عبده ولو كره المشركون وأعداء الله الجاحدون.

■ تطالعنا سيرته عليه الصلاة والسلام أنه بُعث على رأس الأربعين من عمره بعد أن اكتمل شبابه واشتد أزره وتهيأ لأمر الله الذى اختاره له، فتلقى النبى ﴿ﷺ﴾ أوامر عديدة للقيام بالدعوة - قال تعالى: ﴿**يا أيُّها المُدَّثِّرُ قُم فأنذِرْ - وربَّك فكبِّرْ وثيابك فطهر - والرُّجز فاهْجُر - ولا تمنُنْ تستكثِرُ ولربِّكَ فاصبر**﴾.. أوامر بسيطة فى الظاهر ولكنها بعيدة المدى والغاية قوية الأثر والفعل، يأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقوم بالانذار، والانذار هو أظهر ما فى الرسالة وتوجه له صلى الله عليه وسلم بأن يوقظ البشرية ويخلصها من أدران الشرك والفساد ويدلها على طريق الخير قبل فوات الأوان، وإشارة الى ما سيلقاه من أذى المعاندين وسخرية المخالفين وأمره بالصبر على كل ذلك بقوة وجلادة لا لينال حظا من حظوظ نفسه بل لمجرد مرضاة ربه وهداية خلقه.. وظل رسول الله ﴿ﷺ﴾ يدعو الى الله سراً طيلة ثلاث سنوات، فبدأ بألصق الناس به وآل بيته وأصدقائه وكل من يتوسم فيه خيرا ممن يعرفهم ويعرفونه فأجابه جمع عُرِفوا فى التاريخ الاسلامى بالسابقين الأولين، ثم تنزل الوحى يكلف رسول الله ﴿ﷺ﴾ بمعالنته قومه ومجابهة باطلهم ومهاجمة أصنامهم. وبدأت المرحلة الثانية وهى الدعوة الى الله جهارا، وجاء نداء السماء بالأمر بإظهار الدعوة قال تعالى: ﴿**وأنذِرْ عشيرتكَ الأقربين**﴾ فدعا رسول الله ﴿ﷺ﴾ فعمَّ وخَصَّ وأوضح لأقرب الناس اليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلات بينه وبينهم وأن عصبية القرابة التى يقوم عليها القوم آنذاك قد ذابت فى حرارة هذا الانذار الآتى من عند الله تعالى. ولم يزل الرسول ﴿ﷺ﴾ كذلك حتى نزل قوله تعالى: ﴿**فاصدعْ بما تُؤمر وأعرِضْ عن المشركين**﴾.. فقام رسول الله ﴿ﷺ﴾ يُعدِّدُ خرافات الشرك وترهاته، ويذكر حقائق الأصنام ويضرب بعجزها الأمثال، فهاجت قريش وماجت بالغرابة والاستنكار وأخذت تستعد لهدم هذه الدعوة التى اندلعت فجأة وتخشى أن تأتى على تقاليدها وموروثاتها، ولجأت إلى أساليب شتى تقمع بها هذه الدعوة.

خصوم الدعوة ومسالكهم لمحاربة الدعوة ورجالها

كثيرا ما تقابل الدعوات المخلصة التى يقوم بها الدعاة والمصلحون بالصدود والإعراض من جانب أهل الصلف والكبرياء، وكثيرا ما يلقى الدعاة الى الله من أهل الشر والدعاة اليه صدودا وإعراضا وسخرية واستهزاء وتعذيبا وإيذاء.. وها هى قريش تتفجر بمشاعر الغضب وتموج بالغرابة وإلا ستنكار حين ما سمعت صوت الحق يرتج دويُّه فى أرجاء مكة فتلجأ إلى السخرية والتحقير والاستهزاء والتكذيب

● الدعوات المخلصة التى يقوم بها المصلحون كثيراً ما تقابل بالصدود والاعراض.

● واجه الأنبياء من عنت وصلف أقوامهم ما لم يواجهه غيرهم.

وقصدها من ذلك تخذيل المسلمين وتوهين قواهم بما يصفون به الرسول من تهم كاذبة، فمرة يرمونه بالجنون ومرة يصمونه بالسحر والكذب ومرة يشوهون ما جاء به ويثيرون الشبهات والدعايات الكاذبة وينشرون الأباطيل الواهية حول دعوته، ولما لم تفلح هذه البذاءات ولم تنجح هذه الافتعالات انتهى بهم المطاف الى أن يصمموا على قتله وتفريق دمه بين القبائل.. وأنى لهم ذلك.

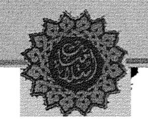
قال تعالى: ﴿يرُيدون ليطْفئوا نور الله بأفواههم والله متمُّ نوره ولو كره الكافرون﴾ (سورة الصف آية ٨).

وما أشبه اليوم بالبارحة.. فأعداء الدعوة والناقمين عليها يحاربونها بشتى الوسائل والطرق ويقفون فى وجهها وقفة العداء والكيد والتضليل، ويتهمون رجالها ـ زوراً وبهتانا ـ الرجعية والتخلف عن مسايرة ركب الحضارة ـ وما على الداعية إلا أن يستمسك بعزته ولا يفرط فى رسالته ولا يفتر عن الدعوة الى الله فقد كان صلى الله عليه وسلم يتحلّى بالصبر والاستمرار على الدعوة ويجمع القلوب ويقرر أمر العقيدة السليمة ويغرس المبادىء الصحيحة فى قلوب أصحابه بالتؤدة والأناة والحكمة والقوة، ويوطن نفسه على مواجهة العواصف العاتية ويجاهر بالنصيحة ويطلب الاصلاح ويكون مثلا أعلى فى كل شىء لتؤثر دعوته فى القلوب وتؤثر فى النفوس وتؤتى ثمارها الطيبة بإذن الله.

الهجرة الى المدينة عامل من عوامل تأمين الدعوة الاسلامية

إن هجرة الرسول ﴿ﷺ﴾ من مكة الى المدينة كانت معينا فياضاً بالتضحية والفداء ومن أعظم المواقف التى وقفها الرسول ﴿ﷺ﴾ من خصومه. غيّر به مجرى الأحداث وضيّع على خصومه فرصة الانتقام وأحبط مسعاهُمْ وبلبل افكارهم وأثبت فشلهم، وأسفر عن تأييد الله له، وحمايته من كيد الكائدين وطيش الطغاة والجاحدين.

■ إن النبى ﴿ﷺ﴾ حين عزم على الرحيل من مكة الى المدينة أحكم خطة هجرته وأعد لكل فرض عدته واستجمع كل أسباب الحيطة والحذر واستفرغ جهده فى سبيل تأمين دعوته، مستشعرا قوة اليقين فى نفسه وروعة الايمان فى قلبه، وقد أصبح هو ومن آمن معه من أصحابه بعد بيعة العقبة الثانية ـ كما تعلمون ـ يشعرون بأن قوة جديدة تقف الى جانبهم وأن أرضا طيبة تتهيأ لإستقبالهم، من أجل ذلك أمر الرسول ﴿ﷺ﴾ أصحابه بالهجرة من مكة الى المدينة، فصاروا يتسللون من مكة فى ظلام الكتمان والخفاء، يحذرون قريشا ويخشون خطرها ويرجون ألا تحول بينهم وبين الانتقال من هذا الوسط الخبيث وتلك البيئة الفاسدة الى جو المدينة الطاهر الجميل، وهكذا أشرقت المدينة بنور الحق وانتشرت فيها مبادىء الاسلام، واصبحت مكانا يأمن فيه المسلمون على انفسهم من أذى المعتدين وطغيان الظالمين وقبل كل شىء هم قد أمنوا على دينهم الذى هو أعز عليهم من كل شىء وينضوون تحت لوائه وأخذوا فى المدينة يدعون الى الله ويؤدون العبادة آمنين مطمئنين.



نوح عليه السلام

لقد تكرر اسم نوح عليه السلام فى القرآن الكريم خمساً وأربعين مرة نذكر بعضا منها بذكر الآيات والسور التى ورد اسمه فيها ثم نعقب ذلك بذكر نموذج من هديه فى الدعوة الى الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ولقدْ أرْسلْنا نُوحاً الى قومه فلبثَ فيهم ألف سنة إلّا خمسين عاما فأخذهُم الطُوفانُ وهُمْ ظالمُون﴾ (آية ١٤ من سورة العنكبوت).

قال تعالى: ﴿إنَّا أرسلنا نوحاً إلى قومه أنْ أنذرْ قومَكَ من قبل أنْ يأتيهُم عذابٌ أليمٌ، قال يا قوم إنى لكم نذيرٌ مبين﴾.. اقتضت سنة الله تعالى فى خلقه أن تعترض دعوة الايمان نماذج من الفتن وألوان من الصعاب والعقبات والعوائق التى يتذرع بها أعداء الله للوقوف فى وجه الدعوة وأصحابها وها هو تاريخ البشرية الطويل من لدن نوح عليه السلام الى يومنا هذا ملىء بالقوى المرصودة فى طريق دعوة الله معلنة تبجحها واستعلاءها وتمردها بلا حياء ولا تحرج... وقد لبث نوح فى قومه عمرا طويلا مديدا ألف سنة إلا خمسين عاما ثم لم يؤمن له إلا القليل فأخذهم الطوفان وهم ظالمون.

■ وفى الآية التى بعدها ﴿إنا أرسلنا نوحا الى قومه﴾. (الآيات) تتصدر هذه الآيات سورة نوح التى تقص قصته مع قومه وتصف تجربة من تجارب الدعوة فى الأرض وتمثل دورة من دورات العلاج الدائم الثابت المتكرر للبشرية وشوطا من أشواط المعركة الخالدة بين الخير والشر والهدى والضلال والحق والباطل.

■ إن نوحا عليه السلام تتمثل فيه صورة الكفاح النبيل الطويل لاقرار حقيقة الايمان والاصرار والثبات والجهد المضنى والعناء المرهق ولكن هذا الجهد وهذا الكفاح الموصول من لدن نوح عليه السلام الى محمد عليه الصلاة والسلام ثم الى يومنا هذا يذوب فى استقرار حقيقة الايمان بالله فى القلوب ولن تبلغ البشرية آفاق الكمال المقدر لها إلا بهذه الحقيقة فعلى الداعية الى الله أن يستلهم هذه العبر ويجابه الصعاب وينهض بواجبه ويدأب على الدعوة ويتحين كل فرصة واضعا نصب عينيه جهاد النبيين واصرار المرسلين على أن تكون كلمة الله هى العليا أيا كانت المشاق ومهما كانت المتاعب.

ابراهيم عليه السلام

■ إن ابراهيم عليه السلام كان حنيفا مسلما مائلا عن كل ملة إلا الاسلام معتقدا أن الاسلام هو الرسالة الأولى والأخيرة الى جميع البشر، وكذا اعتقد من جاء بعده من ذريته اسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط حتى أسلموا هذه العقيدة ذاتها الى موسى وعيسى عليهما السلام ثم آل الأمر أخيرا إلى ورثة ابراهيم من المسلمين، وقصة ابراهيم مع قومه فى القرآن الكريم ترينا أن نظام الحياة ومنهج السلوك وقواعد الأخلاق والآداب، لن تقوم ولن تثبت إلا إذا ارتبطت بالعقيدة ارتباط الروح بالجسد.

■ إن ابراهيم كان فى ريعان شبابه حينما آتاه الله رشده، فاستنكر عبادة الأصنام وحطمها، ذلكم أنه نظر بعقله وقلبه بوعى وحكمة الى آلهتهم فهزأ بها وسخر منها وكسرها. ولم يقف الأمر عند هذا الحد وإنما سخر من عقولهم وتأفف منهم قائلا ﴿أفٍّ لكُمْ ولما تعبدُون منْ دون الله﴾ (الآية الانبياء ٦٧). عندها أخذتهم العزة بالاثم كما تأخذ الطغاة والعاجزين دائما حينما يفقدون الحجة ويعوزهم الدليل فيلجأون الى القوة الغاشمة والعذاب الغليظ.. ﴿قالوا حرِّقُوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين﴾ ولكن رحمة الله وتأييده الملازمين للدعاة أبدا أبطلت قولهم وأحبطت كيدهم ﴿قُلنا يا نارُ كُونى بَرْداً وسلاماً على إبْراهيم﴾. فانظر أخى الداعية بعين البصيرة الى أبى الأنبياء لقد ابْتُلىَ فصبر

● لكى تتوغل الدعوة فى قلوب الناس لابد ان يتبع الداعى سبل الحكمة والموعظة الحسنة.

● البعد عن التشدد والتطرف فى الرأى خير وسيلة لوصول الغاية المرجوة للداعى.

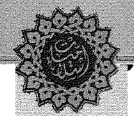
وأعطى فشكر وكانت الخاتمة الكريمة اللائقة به وبصبره الجميل أن جعل الله من ذريته خير أمة أخرجت للناس يهدون بأمر الله ويقيمون شرع الله على هدى وبصيرة؛ فلا بد لأصحاب الدعوات أن يحتملوا تكاليفها وأن يصبروا على التكذيب بها والايذاء من أجلها ولابد أن يثبتوا على الحق مهما كان الثمن ومهما كانت التضحيات.

■ قال تعالى: ﴿ولقد آتينا ابراهيم رُشدَهُ من قبل وكُنّا به عالمين. . إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكِفُونْ. . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين. . قال لقد كُنتُم أنتمْ وآباؤكم فى ضلال مُبين. . قالوا أجئتنا بالحقِّ أم أنت من اللاعبين. . قال بل ربّكم ربُّ السمواتِ والأرضِ الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين. . وتالله لأكيدَنّ أصنامكُم بعد أن تُولّوا مُدبرين. . فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون. . قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين. . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم. . قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم. . قال بل فعله كبيرهم هذا إن كانوا ينطقون. . فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون. . ثم نُكِسَوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون. . قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضرُكمْ أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون. . قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين. . قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم. . وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين. . ونجيناه ولوطا الى الأرض التى باركنا فيها للعالمين. . ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين. . وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوصينا اليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾ (سورة الأنبياء الآيات من ٥١:٧٣).

■ وبعد هذا البيان: فلا عجب أن نرى الثناء العظيم من الله عليه بأن جعله ـ عليه السلام ـ أبا للأنبياء وإماما للخلفاء وقدوة للمرسلين وهو المختار من بين الرسل بالخلة والاصطفاء ومنه تتفرع شجرة النبوة ورمز الايمان. . ابتلى فصبر وانتصر فشكر؛ فكان عبدا وفيا فجعله الله أمة وحده واتخذه خليله. . قال تعالى: ﴿إنّ ابراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفا ولم يكُ من المشركين﴾ وقال ﴿واتخذ الله ابراهيم خليلا﴾. . فأجيبوا دعاة الاسلام نداء ابيكم ابراهيم فى البرية ﴿ربِّ انهُنَّ أضْللن كثيراً من النّاس فمنْ تبعنى فإنّه منى ومن عصانى فإنك غفورٌ رحيم﴾ (ابراهيم آيه٣٦).

يوسف عليه السلام

يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام ذكر اسمه فى القرآن الكريم فى ست وعشرين آية من القرآن الكريم فى سورة يوسف والأنعام والمؤمن (غافر) وقد وصفه الله بالصديقية ولهذا يسمى الصديق يوسف أو يوسف الصديق وهو من أشهر أنبياء بنى اسرائيل، جاء قومه بالبينات ودعاهم الى التوحيد ونبذ عبادة الأصنام ومر عليه السلام بمحن شديدة وحياة عصيبة تنقل



فيهـا بين العسـر واليسـر والشـدة والـرخاء والضيق والسعة، حسده اخـوته فدبروا له المكيدة وألقوه فى الجب ولولا تأييد الله له ورحمته به لكـان من الهالكين، وأحبته امرأة العزيز وراودته عن نفسه ولكن الله حفظــه من كيــدهــا ونجـاه. . فاستجـاب له ربـه فصـرف عنـه كيدهن إنه هو السميع العليم. . ودخل السجن ظلما وعدوانا ومكث فيـه بضـع سنين، وانتهز الفرصة ليبـث بين السجنـاء عقيـدتـه الصحيحـة ويهز كل قوائم الشرك والطاغوت والجاهلية ويفصح عن عقيدته ودعوته: **﴿إنّى تركتُ ملّة قومٍ لا يُؤمنون بالله وهُمْ بالآخرة هم كافرون. . واتّبعتُ ملة آبائى ابراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نُشرك بالله من شىء ذلك من فضل اللّه علينا وعلى النَّاس ولكنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يشكُرُون﴾** (يوسف آية ٣٧، ٣٨).

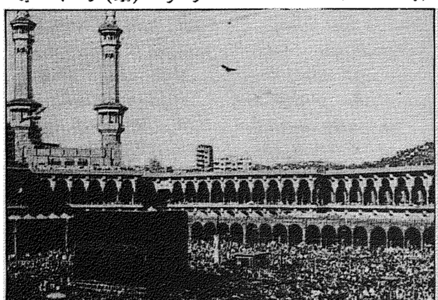
■ وذلـك شأن أولى الفضـل من الناس لا يفقدون صفاء دينهم إن فقدوا صفاء دنياهم ولا يهونون أمام أنفسهم، أمـام نكبة حلت بهم. فإن تكـاثر المصائب اشارة الى ما يرشح له المرء من خير وما يراد له من كرامة وما رأيناه فى هذه العجالة من قصـة يوسف عليـه السـلام، يؤكــد أن عظم المنـزلـة مع ثقـل الأحمال ومعاناة الصعاب.

سليمان بن داود عليه السلام

ورث ـ سليمان أباه داود وكان مع حداثـة سنه من ذوى الفطانة والذكاء وحسن التدبير والسياسة، وقـد أعطـاه الله الحكمـة وحسن القضـاء. . قص علينا القرآن قصة سليــمان مع ملكـة سبأ (بلقيس) وهى قصـة رائعة قصها الله على رســولــه ﴿ﷺ﴾ وضمنهـا خير التعـاليم والمـواعظ تثبيتا له ولأمته على الحق **﴿وكُلًّا نَقُصُّ عليك من أنباء الرُّسُل ما نُثبِّت به فُؤادك﴾**.

■ إن هدهدا كشف لسليمان عليه الســلام ما عليـه ملكـة سبأ من الشــرك والضــلال فبعث إليهم سليمان أن يسلموا لرب العالمين؛ فحـاولـوا استـرضـاءه بالمال؛ فلم تفـدهم المحـاولة شيئا فقد رفض المال وأنذرهم جنودا لا قبل لهم بها وحينئـذ نزلـوا على ملك سليمان وجاءوا مسلمين؛ لأنهم أيقنوا هم وملكتهم أن سليـمان عليه السلام ليس ممن يعمـل للمال وأنـه لابـد آخـذهـم بالبأس المـاحق إن لم يسلموا. . نعم: أرادت بلقيس ـ وقد توقد ذكاؤها وفطنتها ـ أن تختبر حقيقـة سليـمان فأرسلت له هدية لتسكتـه بها إن كان ممن يرضـون بذلــك، وإن كان من أربــاب العقائد والايمان بما يدعوها اليه فى خطابه فسوف يرد الهدية ولا يقبل إلا السـيف فلما تبين لها أنه صاحب مبــدأ وداعيـة توحيـد لم تتردد فى مبايعته والدخول فى مملكته.

■ قال تعـالى على لسان بلقيس **﴿وإنّى مرسلةٌ اليهم بهديَّة فناظِرة بم يرجع المرسلون﴾** وقال تعالى على لسان سليمان لما وصله رسول بلقيس بالهدية: **﴿فلمَّا جاء سليمان قال أتمدُّوننى بمال فما آتانى الله خير مما آتــاكُـم بل انــتُـم بهديَّــتكُـمْ تفرحون. . إرجعْ اليهم فلنأتينَّهُمْ بجنود لا قبل لهم بها ولنُخرجنهُمْ**



منهـا أذلـةً وهم صاغـرون﴾ . .

(الآيات . . سورة النمل) .

■ فعلى الدعاة الى الله أن يفرّقوا للنـاس بين الأحـوال المشـروعـة للهـديـة والأحـوال الممنـوعـة لها فالهدية المشروعة اذا كانت وسيلة من وسائل الدعوة الى الله وترسيخ المودة بين المسلمين وتقوية وشائج المحبـة بينهم وممنوعة مرفوضة إذا أريـد من ورائهـا إبطـال حق أو إحقاق باطل أو إعاقة الداعية الى الله عن إكمال مسيرته وظهور دعوته .

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

عمر بن الخطاب بن نفيل ثانى الخلفاء الراشدين، يعد من أقوى رجـال التـاريخ شكيمة وأشدهم بأسـا وأسدهم رأيا وأبعدهم نظرا وأعفهم نفسـا وأطهـرهم ذمـة وأنقـاهم ذيـلا، حياته جديرة بأن تدرس درسا وافيا دقيقا تَلِحُّ على من يطالعها أن يعتبر بالعبر ويتعظ بالمواعظ ويقتبس من تلك الأخلاق القويمة والخصال الكريمة ليستفيد منها وينتفع بها ويفيد غيره من أهله وأمته .

■ إن عمـر رضى الله عنه، كان يقـدر المسئولية حق قدرها والقيام بالعمل المنوط به من أهم مبادئه، وكـان يبغض أن يكـون الانسـان خاليا عن العمل عالة على غيره، لأن الفـراغ مفسـدة وقـد أمـر المنقطعـين الى العبـادة أن يعملوا ويحصلوا على أرزاقهم ومن أقواله «إن كان الشغـل مجـمـدة فالفراغ مفسـدة» وقال رضى الله عنه «لا يقعـد أحـدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة، وأن الله تعـالى إنـما يرزق النـاس بعضهم من بعض» وهو بهذا يطبق قواعـد الاسلام العملية فالاسلام دين عمل ونشاط وسعى وليس دين كسل وقعود وتوان وغفلة .

■ قال تعالى : ﴿هُوَ الذِّى جعل لكمْ الأرضَ ذَلُـولاً فامشُـوا فى منـاكِبهـا وكُلوا مِنْ رِزْقـه واليـه النُشور﴾ . . وكان رضى الله عنه مع عظيم شأنـه ورجـاحـة عقله واشتهـار عدلـه وفضله وتمسكـه بكتـاب الله وسنة رسوله ﴿ﷺ﴾ متواضعا يحب أن يعرف عيوبه . إن كانت له عيوب حتى يصلحها ولا يتمادى فى الخطأ لذلك قال «أحب الناس إلىَّ من رفع إلىَّ عيوبى» .

■ كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يسمى أصحابه بخير صفاتهم التى امتازوا بها فسمى أبـا بكـر «صـديقـا» وسـمـى عمـر بن الخطـاب «الفاروق» وسمى خالد بن الوليد «سيف الله» . . نعم فهو الصادق المصـدوق صلى الله عليـه وسلم فقد كان عمر رضى الله عنه جريئا مهابا مقداما لا يحب الاختفاء ولا يبالى بالأعداء جعل الله الحق فى قلبه وعلى لسانه وفرق به بين الحق والباطل .

■ **من حكمـه وكلماتـه المأثورة رضى الله عنه :**

١ ـ ثلاث مهلكـات : شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه .

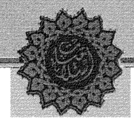
٢ ـ حسن الرجل ماله وكرمه دينه ومروءته خلقه .

٣ ـ تعلمـوا العلم وتعلموا للعلم السكينـة والحلم وتـواضعـوا لمن تتعلَّمـون منـه ليتواضع لكم من تعلِّمـون ولا تكـونـوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم .

■ وهـكـذا يرسـم عمـر لقـادة المسلمـين ودعاتهم قواعد عامة فى الدعوة والأخلاق والتواضع والعدل والاهتمام بشئون الرعية وتوجيه من يحتـاج الى التـوجيـه والارشاد . . وكـل ذلـك على ضوء كتاب الله وسنة رسوله ﴿ﷺ﴾ فما أحرانا أن نهتدى بهديه ونحتذى حذوه ونعمل بالدين ظاهرا وباطنا .

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

إن إرادة الله غالبة وجنده هم المنصـورون . . لقـد ارتقت فى جنبات أرض نجد كلمة التوحيد الخالصة لله تعالى وكان هذا إيذانا بتـدمير دولة الطاغوت التى تمثلها قباب الموتى وأضرحة الأولياء، وما يغـرى به الشيطـان أتبـاعـه من



الاستعانة والاستغاثة بالشجر والحجر والأصنام.. ومهما طال المدى فإنه لابد للظلام أن ينقشع وللصبح أن ينجلي... وجاءت جيوش الدعوة السلفية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن ترهب أعداء الله وأعداء دينه، والذى أحب أن أنبه الأنظار اليه أن هذه الدعوة فى إبان قيامها تعرضت ككل الدعوات لسيل جارف من الاتهامات الباطلة ولكن بعزم صادق ويقين لا يتزعزع وعقيدة تملأ القلب والوجدان. انبرى الامام لهؤلاء الأدعياء يرد كيدهم فى نحورهم ويبين للأمة الاسلامية حقيقة ما يدعو إليه مجاهدا فى كل موقع محاربا فى كل ميدان. مؤمنا بربه واثقا من تأييده ونصره له حتى لقى ربه.

■ وليس بخاف على أحد ما وقع لآل سعود وآل الشيخ على يد محمد على والى مصر بتحريض من السلطان العثمانى فقد جاء جيش الظلم الى نجد ودخل الدرعية وسلط المدافع عليها فحصد أهلها وخرب دورها وهدم حصونها وقتل كثيرا من آل سعود وآل الشيخ وأخذ الكثير منهم أسرى الى مصر. وصمدّ أتباع الدعوة السلفية لتلك الحرب الضارية وواجهوها بسلاح الحق الذى يدعون إليه وقطعوا دابر الشرك وقمعوا البدع والضلالات وكشفوا الشبهات عن هذا الدين الحنيف، ولا تزال بحمد الله تعالى أعلام الدعوة السلفية عالية خفاقة فى بقاع الأرض برجال أحبوها واعتزوا بها وحكام يبذلون كل ما لديهم فى نصرتها.

■ أخى الداعية الى الله: ما أردنا تفصيل الحوادث ولا سرد الوقائع إنما أردنا أخذ العبرة والعظة ويكفى أن نستشعر أن هناك فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله وأن الحق دائما منصور وإن قل أهله وأن الباطل منكسر مدحور وإن ملأ الأرض خزيه.

شيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله

شيخ الاسلام ابن تيمية كان شعلة لا تنطفىء وقوة لا تلين ودرسا لا يمحى وخلقا عظيما وجهادا جبارا.. ذو الفضائل المتكاثرة والحجج الباهرة، إمام الأئمة، بركة الأمة، علامة العلماء وارث الأنبياء برهان المتكلمين، قامع المبتدعين، سيف المناظرين رافع لواء الدين، حجة المسلمين، اللاحق بالصالحين والمشبه بالماضين أبو العباس تقى الدين ابن تيمية رحمه الله.

●● جاء هذا العالم فى وقت عم فيه الجهل وانتشر فيه الظلام ومد الفساد اخطبوطه فى أعناق المصلحين ودعاة الاسلام يحاول خنق أنفاسهم، فجاء هذا الحبر ووضع شعلة القرآن ونور السنة على طريق المسلمين وهداهم الى التوحيد الصحيح والعقيدة السلفية الصافية ونبذ الخلافات المذهبية والطرق الصوفية والفرق الضالة؛ فكان نصيبه من الحاقدين على الدعوة والدعاة أن اضطهدوه واتهموه بالضعف فى الدين والمروق من الاسلام - وحاشاه أن يكون كذلك - ولكنه كان ثابت الجأش قوى القلب صادقا فى توكله واعتماده على ربه.

لقد هال ابن تيمية أن يرى المسلمين فى عصره وقد أتى عليهم حين من الدهر ينحرفون عن التوحيد الخالص ويتخذونه لفظا فقط يتمتمون به فى تسبيحاتهم وصلواتهم ويتساقطون على قبور الأنبياء والأولياء يستغيثون بهم ويدعونهم فى الشدائد وينذرون لهم؛ فسارع الى انقاذهم متحملا جميع الأذى منهم؛ فألف الكتب والرسائل الكثيرة داعيا المسلمين الى تطهير عقائدهم من الشرك ولكن كبر ذلك على مدعى العلم والمقلدة والخرافيين منهم فضاقوا به وبدعوته ووشوا به الى الحكام واتهموه بالكفر فزجوا به فى أعماق السجون تارة فى القاهرة وتارة فى دمشق وتارة فى الاسكندرية ومع ذلك لم يحل السجن بينه وبين دعوته الاصلاحية ولم تفتر له همة طوال مدة سجنه وعكف على التأليف والتصنيف وبقيت آثاره

● جاء ابن تيمية فى وقت كثر فيه الجهل وانتشرت البدع وتعددت المذاهب وخنقت أنفاس المصلحين.
● العقيدة المكينة معين لا ينضب من الصبر على إعراض الناس والثبات على المبدأ بيقين.

شاهدة على صدقه فى دعوته وإخلاصه لربه؛ فطاب حيا وميتا رحمه الله.

عوامل الصبر والثبات

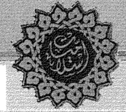
إن العقيدة المكينة معين لا ينضب للنشاط الموصول والحماسة المذخورة واحتمال الصعاب ومواجهة الأخطار، وتلك طبيعة الايمان إذا تغلغل وتمكن فى النفوس، فإنه يضفى على صاحبه قوة تنطبع فى سلوكه كله فإذا تكلم كان واثقا من قوله وإذا اشتغل كان راسخا فى عمله، وإذا اتجه كان واضحا فى هدفه؛ فما دام مطمئنا الى الفكرة التى تملأ عقله والى العقيدة التى تعمر قلبه فقلما يعرف التردد سبيلا الى نفسه وقلما تزحزحه العواصف العاتية عن موقفه، لا يستعبده العرف الغالب ولا تتحكم فيه التقاليد السائدة ولو أدى إلى تصحيحها أن يبذل فيها نفسه ويضحى فيها بروحه؛ مادام واثقا فيما يراه أنه الحق؛ فلزام على الداعية الى الله أن يكون رجل مبدأ متميز، يعاشر الناس على بصيرة من أمره، إن رآهم على الصواب تعاون معهم وان رآهم مخطئين جابههم بآراء حرة وأفكار صريحة وحقائق واضحة تكشف لهم عن خطئهم لا يخشى فى الله لومة لائم ولا تعنيه قوة النقد أو جراحات الألسنة وغير حاسب لرضا الناس أو بغضهم حسابا ولا وزنا، فماذا عسى أن يفعل الناس لامرىء اعتز بإيمانه واستشعر القوة لصلته بربه واستقامته فى دينه؟. إنهم لو تألبوا عليه جميعا ما نالوا منه قليلا ولا كثيرا.

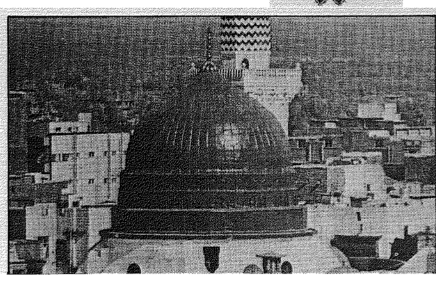
ويجب على الداعية الى الله أن يوطن نفسه على المكاره دون ضجر، وينتظر النتائج مهما بعدت ويواجه الأعباء مهما ثقلت ويظل موفور الثقة بادى الثبات بقلب لا تعلق به ريبة وعقل لا تطيش به كربة؛ فقد اكد الله أن الابتلاء لا محيص عنه لكى نأخذ اهبتنا للنوازل المتوقعة ولا تذهلنا المفاجآت.

■ قال تعالى: ﴿ولنبلونَّكُمْ حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلُو أخباركم﴾ (آية ٣١ سورة القتال).
■ وقال تعالى: ﴿وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾ (آية ١٨٦ من سورة آل عمران).. وقال تعالى: مخاطبا نبيه ﴿ﷺ﴾ الذى احتمل ما احتمل وعانى من أمر الدعوة ما عانى متجردا من كل سند أو ظهر إلا من الله وحده ثم بمن آمن بدعوته ﴿فاصْبر كما صبر أُولُو العزم من الرُّسل ولا تستعجلْ لهم كأنَّهم يوم يرون ما يُوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾ (آية ٣٥ سورة الأحقاف).
■ من عوامل الصبر والثبات أن لا يمالق الداعية أو يداهن على حساب دعوته أو يصانع على حساب الحق بما يغض من كرامته ويحط من قدره بل عليه أن يكون صريحا يواجه الناس بقلب مفتوح ومبادىء معروفة.

الوسائل التى يتخذها الداعية لضمان نجاح دعوته

للدعوة أثر كبير فى فلاح الأمم وتسابقها فى مضمار الحياة الزاهرة وهذا ما يجعلها بالمكانة السامية ويجعل صاحبها عزيز الجانب قوى الارادة إذا أخذ بالوسائل التى تضمن له ـ بإذن الله ـ نجاح دعوته





- من هذه الوسائل

أولاً: أن يتصف بمكارم الأخلاق ويتحلى بالشيم النبيلة والشمائل الكريمة ويتسم بالجد والوقار والمروءة وسمو الأخلاق والترفع عن سفاسف الأمور.

ثانياً: أن يحسن اختيار الوقت ومعناه أن يختار وقتا مناسبا يكون الناس فيه على استعداد للتلقي فيذكر حيثما وجد فرصة للتذكير ومنفذا للقلوب.

روى البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: **«كان النبي ﴿ﷺ﴾ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا»** (صحيح البخاري ك العلم باب ١١ ج١/٢٥ ط استانبول - تركيا.

■ قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

«باب ما كان النبي ﴿ﷺ﴾ يتخولهم (أي يتعهدهم) بالموعظة والعلم كي لا ينفروا» .. والمعنى كان يراعي الأرقات في تذكيرهم ولا يفعل ذلك كل يوم لئلا يملوا .. ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، والضابط الحاجة مع مراعاة وجود النشاط.

(انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج١/١٦٢ المطبعة السلفية بمصر).

ثالثاً: أن لا يؤذي مشاعر السامعين بأن يكون دائما متشائماً كارها لكل وضع ثائرا على كل واقع متفننا في سرد العيوب في الأفراد أو في المجتمعات - إلا لتصوير واقع بقصد علاجه أو تحسينه - ويحسن أن تكون عنده النكتة الأدبية والابتسامة الرضية والأخوة الحميمة والقلب الواسع والأمل العريض وآيات القرآن خير برهان على ذلك.

■ قال تعالى: **﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾** (الأحزاب ٤٥).

رابعاً: ان يلتزم الوقار وحسن السمت واتزان النظرات وتقسيم الموضوع ليسهل استيعابه وفهمه لدى السامعين ويعرض الموضوعات التي يهتم بها الناس أو تضيف اليهم جديدا، ويتحسس الداء فيضع له الدواء.

خامساً: إن النفس تستأنس بالمثل ويلتمع في جوانبها ضوء من وضوحه وجمال حكمته فعلى الداعية الى الله أن يحرص على ضرب الأمثال لتقريب المعنى الى الأفهام، وقد كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يورد الأمثلة المروية في حديثه ولا يرى بذلك بأسا؛ فالمثل حكمة والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها، وقد اجتمعت ميزات المثل في عبارات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﴿ﷺ﴾؛ فجرت بذلك على الألسنة وزادت بها ثروة الأمثال وشرفت.

■ قال تعالى: **﴿وتلك الأمثالُ نضربُها للنّاس لعلهم يتفكّرون﴾** (الحشر آية ٢١).

ومن العبارات النبوية التي صارت مثلا بل أمثالا: قوله صلى الله عليه وسلم: **«لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»**، وقوله: **«إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى»** وغير ذلك ومن أراد الاستزادة فعليه بكتاب الاتقان للسيوطي، وغيره من الكتب

الأدبية التى عنيت بالأمثال القرآنية والنبوية والعربية .

سادساً: أن يعنى بنفسه بأن يكون فى لباسه ورائحته ومظهره مألوفا لا صاحب لباس شهرة أو أن تصدر عنه حركات غير مألوفه . . عن مالك رضى الله عنه قال: **«ما أحب لامرىء أنعم الله عليه ألا يرى أثر نعمته عليه وخاصة أهل العلم»** (مالك ـ آراؤ وعصره وحياته وفقهه ـ محمد أبو زهرة ص٤٦ ، ٤٧ ـ دار الفكر العربى بمصر) .

وكان رضى الله عنه يهيىء لنفسه عند التحديث عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ سمتا أحسن ومظهرا أروع ما يكون ؛ فكان إذا حدث توضأ وتهيأ ولبس أحسن ثيابه ولم يكن يجلس على المنصة إلا إذا حدث حديث رسول الله ﴿ﷺ﴾ .

■ **أخى الداعية :**

إنك تدعو إلى أشرف دعوة وتدعو الى الاصلاح وائتلاف القلوب والمشاعر وستقابل فى دعوتك بالصدود والاعراض إن ضاق صدرك ولم تستلهم الرشد وستصل كلمتك الى سويداء القلوب وتصادف موقعاً من النفوس إن دعوت إلى الله بالحسنى واتخذت القدوة والاسوة من نبى الهدى ﴿ﷺ﴾ والسلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن سار على دربهم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

آفاق حركة النقد الأدبي في المغرب

● هل حقاً أن ظاهرة «القصة القصيرة» فى الادب العربى المعاصر ترتبط بطبيعة التغيرات التى طرأت على المجتمع العربى حاليًا.

عبد السلام فزازى ـ فاس

■ إن الغاية القصوى التي تتوخاها كل الدراسات النقدية الاروبية الحديثة هى السعي الحثيث والمتواصل للحصول على منهج يمكن أن يوضع وبكل الحاح أرضية لائقة تكون بمثابة منبع تنطلق منه كل التأملات حول قيمة المعرفة، فالاتجاه الذي عرفه النقد الحديث يظهر وبكل وضوح قويا ومتماسكا إلى حد جعله يضيء الطريق أمام نقاد الامس أنفسهم، وذلك عندما يحاول التأكيد على أنه لم يبق منهم سوى بعض الاقتراحات والمحاولات المنهجية.

■ وهكذا يمكن لنا أن نقول: إذا كان تطور الحركات الادبية يؤدى حتما إلى تطوير الاساليب وجعلها حديثة، فقد برزت للعيان فى جل الاقطار الاروبية دراسات حديثة غايتها البحث عن مشاركة النقد والتعلق به تعلقا متينا مما أدى بالنقاد إلى استخراج مناهج متميزة جعلت النقد يظهر هو الآخر كعمل ابداعى ولا سيما عندما صار يبحث عن ادواته ويتخذ مكانه فى مجال مادته. وبما أن كل عمل أدبى يمثل عالما مستقلا وقائما بذاته، فقد حاول النقد الحديث معارضة ذلك العالم بعالمنا الواقعى وبما ينطوى عليه من طقوس ومواصفات.

■ ولمعرفة طبيعة هذه التجارب فقد عمد النقاد في أروبا إلى توظيف العلوم اللسانية والفلسفات الحديثة والانتروبولوجيا وغيرها من العلوم والايديولوجيات التى تخول لهم ابتداع لغة نقدية جديدة ترمى إلى تحديد نظريات حاسمة وترمى كذلك الى خلق علاقة حميمة بين النقد والادب، وبالتالى فقد أمكن تحقيق مشاريع فكرية استطاعت أن تقف بموازاة قناعتهم السياسية، كما استطاعت أيضا أن تواجه معرفة جديدة تلحَ على تطوير الواقع الفكرى وتركيز قيمته.. ومع تصاعد النظريات وكذا المناهج فقد صار ممكنا لأروبا أن تعيش اليوم عصر النقد الادبى الذى يواكب التحولات الاجتماعية والثقافية والسياسية على أن الأمر لا يبدو كذلك بالنسبة للعالم العربى الذى ما يزال تائها فى خضم ظروف سلبية تحتم على المثقف اعادة النظر إلى «وفى» كل مستلزمات الحياة الثقافية.

لذلك فإذا كانت المحاولات الابداعية تأخذ صيغا تعبيرية جديدة وتجرب العديد من الاشكال المستحدثة، فإن النقد الادبى لا يزال عندنا فى مرحلة التشتت ولا اقول فى مرحلة التجزئة رغم محاولة بعض الرواد لاظهار الوان من المهارات تحمل القارىء على الاعتماد وامتلاك ثقافة واسعة تخول له فرض نظرية او مناهج

...دبي الحديث ... نموذجًا

متميزة، فى حين أن النقاد العرب لا يرددون حاليا سوى بقايا المذاهب النقدية الاوروبية التى لازالت تختلط لديهم.

■ ولعل من اهم الاسباب التى أدت الى تدهور هذا الفن انسلاخ النقاد عن مفاهيم النقد العربى القديم ومقولاته، ثم محاولتهم ترسيخ مفاهيم جديدة انطلاقا من لا شيء.

■ هذه الملاحظات تسمح لنا بطرح سؤال جديد الا وهو: **لماذا يظهر فى تاريخ الادب العربى المعاصر شكل ادبى معين يسيطر على وجدان الفرد المبدع، الا وهو القصة القصيرة؟**. وهذا طبعا مجرد مثال، **وهل حقا هذه الظاهرة الثقافية ترتبط بطبيعة التغيرات التى طرأت على البناء الاجتماعى للمجتمع العربى فى تلك المرحلة؟. واذا كانت هذه الصلة قائمة فما هى طبيعتها؟**.

هناك افتراض يمكن أن يعطينا اجابة مؤقتة.. نعم هناك ارتباط سلبي بين طبيعة التغيرات السريعة وهى اجتماعية، وسيطرة هذا الشكل الادبى فى هذه المرحلة.

سؤال آخر يمكن طرحه: **ما هي الدلالة التاريخية والاجتماعية والنفسية لهذه الظاهرة؟** افتراض آخر يسمح لنا ان نقول: **«ان التغيرات السريعة تحدث خللا فى ميزان القيم، وتجعل الفرد ينعزل عن بنيته الاجتماعية ويرى العالم من خلال منظور فردى»**.

■ وطبيعة هذه الظاهرة الادبية تجعلنا نركز اهتمامنا فى البحث عن قضية العلاقة بين خصائص البناء الاجتماعى من ناحية وبناء الشكل القصصى من ناحية أخرى لنحاول ان نجيب على السؤال: **لماذا سيطر هذا الشكل الادبي دون الاشكال الادبية الأخرى فى هذه المرحلة؟**. وللاجابة عن هذا السؤال يقتضى منا ان نتتبع الظاهرة فى مراحلها ومستوياتها المختلفة اي فى البناء الاجتماعى وفي أعماق المبدع وفي بناء العمل الادبي وبكيفية أخرى اصبح من الضرورى ان نلجأ الى العلوم الانسانية والتجريبية سواء على المستوى المحلى أو على المستوى العالمي: ذلك لان النظرية النقدية المعاصرة تعتمد اليوم وبصفة اساسية على العلوم الانسانية والتجريبية حتى أصبح يقال اليوم أنّ النقد الادبى سوف ينضم قريبا الى صف العلوم الانسانية والتجريبية.

وبما أن النقد أصبح يشع كمحاولة للتمييز بين التجارب وتقويمها فإنه كان من الصعب بالنسبة لهم القيام بذلك لافتقارهم الى نظرية فى الابلاغ والتوصيل. ومن خلال هذا المنطلق، فإذا كان النقد لم يعرف عند العرب القدامى كمحاولة لكشف مخالق صنعة الكلام واسرارها، فإن ذلك يعنى أنه لم يكن فنا خالصا له مقاييسه ومناهجه. لذا فإن تعامله مع العمل الادبى كان لا يتعدى حدود توظيف الاحكام التقريرية التى تدخل فى نطاق علم البلاغة والبيان، واستعمال المفاهيم التى ترتكز تسميتها على علم الجمال الادبى بقدر ما كانت تستند إلى قواعد ترجع ظواهر التعبير الى مصادرها اللغوية او الشعرية.

■ واذا كانت مبادرات العقاد وطه حسين وغيرهما من الادباء ترمي الى تجاوز تعشرات تاريخ الادب

● اذا أردنا نهضة ادبية جديدة فليعانق الاساتذة الجامعيون الابداعات الأدبية الشابة.

● الرجوع الى تراثنا النقدى القديم سيفيدنا كثيراً فى تطوير الحركة النقدية.

العربى، والى تحرير العقل من سيطرة القيم والمقاييس السائدة فى ميدان النقد فإن الثورة الاشتراكية فى مصر قد اوجدت جيلا من النقاد الذين طرحوا أنفسهم كبديل أو كامتداد لجيل الرواد.

ولعل عمل هؤلاء يقوم على تبني مناهج تجمع بين النقد التأثيرى والاجتماعى والسياسى، والتكاملي والواقعي الاشتراكي.. وينطبق هذا الأمر مثلا على عطاءات النقد المغربى الذى ظلت آفاقه غير محدودة المعالم إلى غاية الستينات. وانطلاقا من هذا التاريخ فقد انصبت اهتماماته على اصدار الاحكام الفنية وتفسيرها: وهذا يعنى اننا كنا نجسد انفسنا امام عينات من النقد يحرص اصحابها على تقديم بعض الاشارات والتوصيات التى تسعى الى طرح منظومة نقدية تحدد ـ عبر قواعدها وتقنياتها ـ الفضاء الابداعي الذى يتحرك الكاتب فى نطاقه. ورغم هذا التعامل الجديد الذى شمل الحركة النقدية فإننا لمن نتمكن من ارساء مناهج ثابتة خصوصا بعد ان ظل النقد التقليدى سائداً فى قوالبه اللغوية الساذجة. ولولا تدخل بعض الاساتذة الجامعيين الذين اعتمدوا على اصناف المعرفة فى دراستهم لبعض التجارب الناضجة لما تطورت مفاهيم الفن، ولانحصر الابداع فى نطاق التعبير الساذج والتعليق الكسيح.

■ ان من بين الاشكاليات التى يقوم عليها النقد المغربى خصوصا والعربى عموما خضوعه لممارسات ارتجالية ادت إلى عرقلة مسيرته كما حالت دون وقوفه على مناهج لها قواعدها ومقاييسها ذلك أن العلاقة بين الناقد والعمل الادبى لا تحدث الا فى حالات نادرة، أى حينما يتمكن الاديب من نشر عمله حين ذاك تتم عملية توليد مقالات بعد أن يلتقط اصحابها الخلاصات والاحكام الجاهزة التى تفرضها قراءة سريعة متحيزة لا تنظر الى العمل الادبى الابداعى من الداخل، وانما تخضع لتذوق حد نسبى ولإلهامات فردية تسيىء الى وضعية النقد، وتجعل منه مجرد تطبيق فوضوى يجمد فضاء الابداع.

■ الانسان العربى المثقف فطم على النقد وتشبع بأصوله ومقاييسه فكيف لا يستطيع ولوج الدراسات النقدية الحديثة التى نبهتنا الى اكتشاف عالمها العظيم لخلق نهضة ادبية جديدة ومهما كان الامر صعبا فإننا نستطيع الوصول الى هذه الغاية اذا ما نحن اعدنا النظر فى مشكلة تدريس الادب وكذا اذا ما تجرد الاساتذة الجامعيون من عقدهم لمعانقة الابداعات الادبية الشابة وتقويمها كنتاج يساهم فى حركة تاريخنا التليد، هذا من جهة أما من جهة أخرى فإننا اذا ما قمنا باعادة قراءة جديدة لتراثنا النقدي والادبى، فإننا سنعمل لا محالة على اكتشاف بلاغة جديدة وعلى اقتناء تصوير جديد للتاريخ يحملنا على الانطلاق من داخل النص وفى كل هذا لابد أن نفيد من تراثنا النقدى القديم لايجاد مناهج نقدية حديثة.

مقاييس النقد الفنية عند ابن عبد ربه

بقلم الدكتور:
عبد الباسط أحمد على حودة



تحدثت فى مقال سابق ـ فى منهلنا العذب(١) ـ عن مقياس من المقاييس النقدية عند ابن عبد ربه (٢٤٦ ـ ٣٣٨هـ) وهو مقياس المُثُل الاسلامية. وقلنا إن كتاب: العقد الفريد، قد عبَّد الطريق للنقد المنهجى عند الآمدى والقاضى الجرجانى لما فيه من معايير ومقاييس نقدية تعبر عن شخصية صاحبه المستقلة، ونظرته فى القيم التى سادت نتاج الشعراء والكتاب فى القرون الاسلامية الأولى، وفصلنا القول فى المضمون الذى ارتكز على المثل الاسلامية.

■ وفى هذا المقال نجلى ـ بعون الله وتوفيقه ـ القول فى (**المقاييس الفنية**) التى عنى بها لخدمة المعنى والمضمون؛ لأن الإطار أو الشكل الفنى الذى ينظر فيه إلى جمال الصورة، وتنسيق الأسلوب، وحسن التركيب والصياغة، ومراعاة المقام عند النظم ودقته يؤدى الى سحر البيان الذى تتطامن النفوس أمامه؛ لما فيه من الرقة والدقة واللطافة فى النص الأدبى؛ ولتحقيق هذه الغاية تراعى قواعد النحو والبلاغة بفنونها المختلفة من مراعاة المعانى والبيان والبديع، وكل ذلك لخدمة المعانى والتصرف فيها واخراجها فى صورة أكمل وأشمل، وهى محاولات للابتكار والتجديد فى الأساليب..

كما استفاد صاحب العقد الفريد، فى تقويم نقده من نظرات وآراء السابقين عليه، الأمر الذى جعل من كتابه علامة بارزة فى تراثنا الأدبى.

فقه اللغة والنحو

من المقاييس التى تلفت النظر عن ابن عبد ربه مراعاة الجوانب العلمية فى وضع الأساليب الأدبية، وقد أمعن النظر وأدام الفكر واستعان على صدق ذلك بوقائع وقصص راسخة فى التاريخ الأدبى شعرا ونثرا، وربما تكون هذه النظريات قد طرقها قبله بعض المعنيين بالدراسة النقدية، لكنه يركز فى مواضع كثيرة من كتابه العقد الفريد، على حسن استخدام القواعد العلمية، التى لا يستغنى عنها فى النظم وجمال الأسلوب، غير انه يحذر من

الافـراط والاكثـار من الجـوانب الـعـلـميـة التى قد تقضى على الفائدة المرجوة. فالهدف من العلم توليد وبعث خواطر الذكر، لتنبيه الفكـر، وإثـارة مكـامن الارادة لتحكم أسباب العمـل الأدبى، وإذن يكون العلم ذِكْراً ثم فكرا، ثم إرادة ثم عملا. فتحصيل العلم وحشوه والاحاطة به، دون حسن استخدامه ضرر لا فائدة فيه، بل إن استعمال القليل من العلم - عند المقتضى - كاستخـدام الملح فى الطعـام (فقليـل العلم يستعمله العقل، خير من كثيره يحفظه القلب)(٢).

ونفهم من كلامه أن الهدف من علوم اللغـة إصـلاح الأسـاليب، وخـدمـة العبـارات والارتقاء بها، حتى تبـدو حلوة الاستعمال، دنية القطـوف، سهلة المأخـذ متماسكة النظم، خالية من اللحن، دون إسراف فى تقعيد القواعد، وحشد الشـواهـد فالعناية بالشكل تكون على حساب المضمون، ولذا يقول (من أكثر من النحو حمقه)(٣) وليس معنى ذلـك أنـه يقـر التحلل من القـواعد، وشيوع اللحن فى النثر والشعـر أو حتى أسلوب الحـوار، فهـو يورد قول عبـد المـلك بن مروان(٤) (اللحن فى الكلام، أقبح من التفتيق فى الثوب، والجدرى فى الـوجـه) وقـولـه (الاعـراب جمال للوضيـع، واللحن هجنـة على الشـريف) وقـولـه أيضـا (تعلموا الـنحـو كما تـتـعـلمـون السنن والفرائض) وقال رجل للحسن: إن لنا إماما يلحن. قال: أميطوه عنـكـم؛ فإن الإعـراب حليـة الكلام. وقال الشاعر:

النحو يبسط من لسان الألكن
والمـرء تكـرمـه إذا لم يلحن
فإذا طلبت من العلوم أجلها
فأجلهـا منهـا مقيم الألسن

■ وروى ابـو عبيـدة قال: مر الشعبى بقوم من الموالى يتذاكرون النحو، فقال لهم: لئن اصلحتموه إنكم لأول من أفسده. وقال رجل للحسن: يا أبـو سعيـد، فقـال: أحسب ان الدوانق شغلتك عن أن تقول يا أبا سعيد.

وقال الشاعر:

النحـو صعب وطويل سلمه
إذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمـه
يريـد أن يعـربـه فيعجمـه

■ وابن عبـد ربـه فيـما تقـدم لا يتهـاون فى معـرفـة القـواعد التى تصـون الكـلام من الخطأ الـذى يشوه المعنى ويذهب بهاءه ويحط من قدر قائله، بل يضع قواعد النحو فى مرتبـة السنن والفـرائض التى تصلح الـدين والـدنيـا، ولكن يصعب الاحـاطـة بكـل قواعـد النحـو، وعلى من يريـد إصلاح الأساليب والكلام، أن يتخير من القواعد ما يؤدى إلى هذه الغاية.

ويسـوق ابن عبـد ربـه - فى التدليـل على نظـريتـه - قصصا ونوادر وتعليقات فى (باب الاعراب واللحن)(٥) فقـد كان السـابقـون يتحـرجون من اللحن؛ لأنه يؤثر على المضمون وإيصال المعانى إلى الناس؛ وهذا وحده يكشف لنا عن أسس النقد الفنى عنده، وأثره فى تقويم النص وتجليته.

قيـل لعبد الملك بن مروان: لقد عجـل عليـك الشيب يا أمـير المؤمنين، قال: شيبنى ارتقاء المنابر وتوقع اللحن.

وقـال المأمون لأبى على المعروف بأبى يعلى المنقـرى: بلغنى أنك أمى، وأنك لا تقيم الشعر، وأنك تلحن فى كلامك. فقال: يا أمير المؤمنين، أما اللحن فربما سبقنى لسانى بالشىء منه، وأما الأمية وكسـر الشعـر فقـد كان النبى ﴿ﷺ﴾ أميـا، وكـان لا ينشـد الشعر. قال المأمون: سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتنى عيبا رابعا وهو الجهل، يا جاهل إن ذلك فى النبى ﴿ﷺ﴾ فضيلة وفيـك وفى أمثـالـك نقيصة؛ وإنما منع ذلك النبى ﴿ﷺ﴾ لنفى الظنة عنه، لا لعيب فى الشعر والكتاب، وقد قال تبارك وتعالى ﴿**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون**﴾.

■ وكان عمر بن عبد العزيز جالسا عنـد الوليد بن عبد الملك، وكان

الوليد لحانا، فقال: يا غلام ادع لى صالح، فقال الغلام: يا صالحا، فقال له الوليد: انقص ألفا، فقال عمر: وأنت يا أمير المؤمنين فزد ألفا.

وقال رجل لشريح: ما تقول فى رجل توفى وترك أباه وأخيه، فقال له: أباه وأخاه، فقال: كم لأباه وأخاه، قال: لأبيه وأخيه، قال: أنت علمتنى فما أصنع؟.

وحكى عن بعض المغربين فى اللحن، أن جارية له غنته:

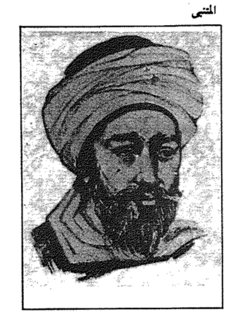
إذا ما سمعتُ اللومَ فيها رفضتُهُ

فيدخل من اذنٍ ويخرج من أخرى

فقال لها: من أخرى (بكسر الراء) أما علمتك أن (من) تخفض؟.

■ ها نحن نرى صاحب العقد الفريد يتمسك بقواعد العربية فى الأساليب المختلفة حتى فى لغة التخاطب التى تجرى فى مجالس العلماء والأمراء، وأحيانا يتساهل فى إيراد الكلمات دون تشادق أو تقعر إذا جرى الحديث فى طرفة أو نادرة أو ملحة ومفاكهة بين الاخوان فحكاية النادرة المضحكة بالفصحى يطمس حسنها لو أراد أن يوفيها حقها من الاعراب (ألا ترى أن مزبِّداً المدينى أكل طعاما فكظه، فقيل له: ألا تقى؟ قال: وما أقى؟ خبز نقى ولحم طرى؟ مرتى طالق لو وجدت هذا قيئا لأكلته).

■ ويذكر بابا فى اللحن



المتنبى

والتصحيف يتحدث عن أعلام اشتهروا باللحن، وعن استخدام بعض ألفاظ اللغة فى غير ما وضعت له أو تحريف الألفاظ مما يؤثر على فهم المعنى وإضاعة المقصود من العبارة.. فقال: وكان أبو حنيفة لحانا، على أنه كان فى الفتيا ولطف النظر واحد زمانه، وسأله رجل يوما فقال له: **ما تقول فى رجل تناول صخرة فضرب بها رأس رجل فقتله، أتقيده به؟ قال: لا، ولو ضربه بأبا قبيس.**

ودخل شبيب بن شيبة على إسحاق بن عيسى يعزيه عن طفل أصيب به، فقال فى بعض كلامه: أصلح الله الأمير، إن الطفل لا يزال مُحْبنطيا على باب الجنة يقول: لا أدخل حتى يدخل أبواى، قال إسحاق بن عيسى: سبحان الله ماذا جئت به؟ إنما هو مُحْبنطئ، أما سمعت قول الراجز:



أبو العلاء المعرى

إنى إذا أنشدت لا أحبنطى

ولا أحب كثرة التمطى

قال شبيب: ألى يُقال مثل هذا وما بين لابتيها أعلم منى بها؟ فقال له إسحاق: وهذه أيضا، أللبصرة لابتان يالكع؟ فأبان بتقريعه عواره، فأخجله فسكت؛ لأن الوقوف على اللغة بضبط اللفظ واشتقاقه للمعنى المراد أساس التقويم. **قوله المحبنطى**: الممتنع امتناع طلب لا امتناع إباء، وهو بالطاء غير معجمة، ورواه شبيب بالظاء المعجمة. وقوله: ما بين لابتيها خطأ، إذ ليس للبصرة لابتان وإنما اللابة للمدينة والكوفة، واللابة: الحرة، وهى الأرض ذات الحجارة السود.

■ ويعرض صاحب العقد الفريد، مسائل كثيرة فى النحو، منها ما جاء موافقا للقواعد المشهورة، ومنها ما هو مخالف لها،

ومنها ما هو من نوادر الكلام الذى له وجه عند العرب(٦) فقد قالوا فى تثنية الواحد، وجمع الاثنين والواحد، وإفراد الجمع والاثنين، فى أشعارهم الكثير، كما جاء فى القرآن الكريم من هذا القبيل ومن امثلة ذلك قول جرير:

لما تذكرتُ بالديرين أرّقنى

صوتُ الدجاج وقرعٌ بالنواقيس

وإنما هو دير الوليد معروف بالشام، وأراد بالدجاج الديكة.

ويورد من أقوال العرب ما يفيد تذكير المؤنث وتأنيث المذكر، كقول مالك بن أسماء ابن خارجة الفزارى:

ومررنا بنسوة عطراتٍ

وسماع وقرقفٍ فنزلنا

مالهم لا يُبارك اللهُ فيهم

حين يُسألنَ منحنا ما فعلنا

■ فذكر الضمير العائد على النسوة. وقال عامر بن جوين الطائى، وقد استشهد به سيبويه فى كتابه:

فلا ديمة ودقت ودْقَها

ولا أرض أبقل إبقالها

■ فذكّر الأرض. وقال تبارك وتعالى: **﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾** وإنما ناداه رجل من بنى تميم. وقوله: (وألقى الألواح) وإنما **هما لوحان**.

■ ويتضح من الأمثلة القليلة التى اخترناها مما عرضه ابن عبد ربه أنه يحاول تبرير وتسويغ بعض الأخطاء التى يقع فيها الشعراء فى تراكيبهم المختلفة، ويضع بابا فيها (**غلط فيه على الشعراء**) وهو هنا سابق للقاضى الجرجانى الذى اتخذ هذا المسلك فى كتابه الوساطة وتحدث عن (**أغاليط الشعراء**).

■ ومن دعائم النقد الأدبى تفسير النصوص وعرضها على استعمالات اللغة المتعددة مما يجعل الاختلاف فى المعنى بسبب استخدام كلمة دون أخرى؛ ولذلك فإن ابن عبد ربه لا يغفل هذه الجوانب فيفسر بعض الكلمات، ويذكر لهجات بعض القبائل، وما خالط العربية من كلمات بعض الأمم الأخرى، أو بعض الموانع التى تمنع اللسان من المنطق الصحيح، إما فى وضوح الصوت وخلوه من التمتمة، والعُقلة والحُبْسة واللفف والغمغمة والطمطمة واللكنة وغيرها، وإما إنها مثل كشكشة بكر أو شنشنة تغلب أو غير ذلك مما عنى بشرح مدلوله ومفهومه فى إيضاح المعانى وتقريبها، فقد يتفق اللفظ ويختلف فى المعنى.

■ دخل على الوليد بن عبد الملك رجل من أشراف قريش، فقال له الوليد: من حنفك؟ قال: **فلان اليهودى. فقال: ما تقول؟ ويحك. قال: لعلك إنما تسأل عن ختنى**(٧) يا أمير المؤمنين هو فلان.

●● وشرح النصوص وتحليلها مع توجيه اللغة فيها والوقوف على قواعد النحو والصرف هى مجالات عملية وتطبيقية فى النقد الأدبى قديمه وحديثه، إذ لا تخلو رسالة جامعية من النقد اللغوى والصرفى والعروضى والبلاغى مع نقد المنهج.

البلاغة والبيان

الروح التى يتمتع بها ابن عبد ربه هى روح الشاعر والأديب الكاتب، وتلك الروح تسبح فى أزاهير التراث الحافل بقيم القرآن الكريم، وعبق الخلق النبوى، فتجد فى القرآن نمطا لن يصل إليه الإنس والجن، وفى النص النبوى جوامع الكلم، وبهذه الروح يقيس النقد على أسس من البيان الأدبى والاتقان اللغوى، والنهج البلاغى وهو يرى أن النقد الأدبى يستمد كثيرا من مقاييسه من ضروب البلاغة الصافية.

ومن هنا كان كتاب العقد الفريد مؤثرا قويا لدراسة البلاغة والبيان لتقويم الأساليب وتراكيبها، وتأثيراتها على النفس الانسانية، فالنصوص ينظر إليها منخلال، حسن البيان، وتزيين العبارات والقرب من المعنى البعيد، والدلالة بالقليل على

الكثير، والطلاقة والجرأة دون تهيب المواقف، مع السيطرة عليها بحسن المقاطع والمطالع والبعد عن الإطالة التي تفضي إلى الملل والعمد إلى ما يروح القلوب، ويفكه الأسماع.

■ وإذا تأملنا الكتاب نجده يتوسع فى الموضوعات السابقة وفى غيرها بصورة تدل على براعة صاحبه وبعده عن الاحتذاء والتقليد، وهو يكشف عن عمق ثقافته وتنوعها من خلال تعدد مصادره، ونرى قتناعه بفكرته بعرض موضوعه مرة بمرة واستقصاء كل ما من شأنه صقل وتجويد الأسلوب.

■ ففى معرض حديثه عن البلاغة يأتى بعدة تعاريف وحدود عربية وغير عربية، فالبلاغة عند سهل بن هارون(٨) سياسة البلاغة أشد من البلاغة وقيل لجعفر بن يحيى ابن خالد: ما البلاغة؟ قال: التقرب من المعنى البعيد، والدلالة بالقليل على الكثير. وقيل لابن المقفع: ما البلاغة؟ قال: قلة الحصر، والجرأة على البشر، قيل له: فما العى؟ قال: الاطراق من غير فكرة والتنحنح من غير علة، وقيل لأخر: ما البلاغة؟ قال: تطويل القصير، وتقصير الطويل. وقيل لأعرابى: ما البلاغة؟ فقال: حذف الفضول، وتقريب البعيد. وقيل لارسطاطاليس: ما البلاغة؟ فقال: حسن الاستعارة. وقيل لجالينوس: ما البلاغة؟ فقال: إيضاح المعضل، وفك المشكل. وقيل للخليل بن احمد: ما البلاغة؟ فقال: ما قرب طرفاه وبعد منتهاه. وقيل لخالد بن صفوان: ما البلاغة؟ قال: إصابة المعنى والقصد للحجة. وقيل لأخر: ما البلاغة؟ قال: تصوير الحق فى صورة الباطل، والباطل فى صورة الحق. وقيل لابراهيم الامام: ما البلاغة؟ فقال: الجزالة والإصابة.

■ ولا شك أن تعريفات البلاغة كثيرة، وان ابن عبد ربه قد وقف عليها، ولكنه يختار منها ما يعبر عن ذوق الناقد المجرب إنشاء الشعر والنثر، ورأيه فى البلاغة القدرة على التصرف فى الكلام بحسن البيان، والسيطرة على المستمعين أو القارئين واقناعهم بوجهة نظره بحيث يسلمون بها، ولا ينتظرون قولا آخر بعد كلامه، وذلك يقتضى حسن التصوير وجمال التعبير، وإصابة المعنى القريب بألفاظ قليلة وحسن الاستعارة بحذف فضول القول، وكل ذلك يقرب الحجة، بحيث يقنع الآخرين فى تصويره: الحق فى صورة الباطل والباطل فى صورة الحق. ومن الأمثلة التى يوردها ويعجب بها، ويعدها من الأجوبة المسكتة فقد قال النبى(٩) ﴿ﷺ﴾ لعمرو بن الأهتم: أخبرنى عن الزبرقان، قال: مطاع فى أدانيه(١٠) شديد العارضة، مانع لما وراء ظهره قال الزبرقان: والله يا رسول الله لقد علم فى أكثر من هذا ولكن حسدنى. قال عمرو بن الأهتم: أما والله يا رسول الله، إنه لزمِرُ(١١) المروءة، ضيق العطن، أحمق الوالد، لئيم الخال، والله يا رسول الله ما كذبت فى الأولى، ولقد صدقت فى الأخرى؛ رضيت عن ابن عمى فقلت فيه أحسن ما فيه ولم أكذب وسخطت عليه فقلت أقبح ما فيه ولم أكذب فقال النبى ﴿ﷺ﴾ إن من البيان لسحرا.

●● ويتحدث عن (فصول فى البلاغة) ويعنى بالبلاغة ما جاء فى كتاب الحسن بن وهب إلى إبراهيم بن العباس(١٢) (وصل كتابك، فما رأيت كتابا أسهل فنونا، ولا أملس متونا ولا أكثر عيونا ولا أحسن مقاطع ومطالع، منه، أنجزت فيه عدة الرأى وبشرى الفراسة، وعاد الظن يقينا والأمل مبلوغا والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات.

●● ويركز ابن عبد ربه على المعنى السابق ويؤكده فى فصول أخرى من كتابه «العقد الفريد» بما يعمق البلاغة ويصفها بما فى النص الآتى(١٣): قيل لعمرو بن عبيد: ما البلاغة؟ قال: ما بلّغك الجنة وعدل بك عن النار، قال السائل ـ وهو حفص بن سالم ـ ليس هذا ما

أريد؛ قال: فما بصَّرك مواضع رشدك، وعواقب غيك؛ قال: ليس هذا ما أريد؛ قال: من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يسمع، ومن لم يحسن أن يسمع لم يحسن أن يسأل، ومن لم يحسن أن يسأل لم يحسن أن يقول؛ قال: ليس هذا ما أريد قال قال النبى ﴿ﷺ﴾ إنا معشر النبيين بكاء - أى قليلو الكلام، وهو جمع بكيء - وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله، قال السائل: ليس هذا ما أريد؛ قال: فكأنك تريد تخير الألفاظ فى حسن إفهام، قال: نعم قال: إنك إن أردت تقرير حجة الله فى عقول المكلفين وتخفيف المئونة على المستمعين، وتزيين المعانى فى قلوب المستفهمين بالألفاظ الحسنة رغبة فى سرعة استجابتهم، ونفى الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الناطقة عن الكتاب والسنة، كنت قد أوتيت فصل الخطاب.

هذه قلة قليلة من النصوص والأقوال فى حدود وتعريفات البلاغة، تعبر عن آراء ابن عبد ربه، لأنها من اختياره ويبدو ميله إليها وإعجابه بها.

■ ومن عيوب البلاغة وآفاتها، فى الخطابة، استعانة الخطيب بالغريب وكذلك التشادق بالالفاظ ونظره فى عيون الناس، ومس لحيته، والخروج عما بنى عليه الكلام، والتكلف، وقلة الدربة والثقافة وعدم تخير اللفظ وترديد الألفاظ وتكرير المعانى.

■ ويتضح من نقد ابن عبد ربه أنه يميل إلى الايجاز، فيفضل الأمثال والتوقيعات لأن الايجاز أشرف الكلام كله حسنا، وأرفعه قدرا، وأعظمه فى القلوب موقعا وأقله على اللسان عملا، ما دل بعضه على كله، وكفى قليله عن كثيره، وشهد ظاهره على باطنه، وذلك أن تقلَّ حروفه وتكثر معانيه.

■ ومن مقومات الأساليب التى ترفع من قدرها، دخول الكناية، وهى من قبيل الايجاز الذى يحبذه، وهى كثيرة فى كلام العرب، وفى القرآن الكريم، كنايات لطيفة عن المعنى الذى يقبح ذكره، كالكناية عن الجماع بالملامسة، وعن الحدث بالغائط وغير ذلك كثير(١٤) وللكناية مع الايجاز مجالات أخرى فهى تورى بصاحبها عن الكذب أو الكفر، وتعطيه فرصة للتصرف وحسن التخلص من أشد المآزق، ومن أمثلة ذلك: لما ولى الواثق وأقعد للناس أحمد بن أبى دواد للمحنة فى القرآن، ودعا إليه الفقهاء، أتى فيهم بالحارث بن مسكين، فقيل له أتشهد أن القرآن مخلوق؟ قال: أشهد أن التوراة والانجيل والزبور والقرآن، هذه الأربعة مخلوقة، ومد أصابعه الأربع فعرض بها وكنى عن خلق القرآن، وخلص مهجته من القتل.

وقال معاوية لصعصعة بن صوحان: اصعد المنبر فالعن عليًّا، فامتنع عن ذلك وقال: أو تعفينى؟ قال: لا، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: معاشر الناس، إن معاوية أمرنى أن ألعن عليا، فالعنوه لعنه الله.

■ وبعد:

فإن اللغة والتفقه فيها، والنحو والاحاطة بقواعده التى تصلح الكلام، والبلاغة وضروبها بما يقتضيه المقال لكل مقام، هى أسس ودعائم النقد الأدبى عند ابن عبد ربه، وقد سبق بها أساطين النقد، وفتح للآمدى والقاضى الجرجانى وعبد القاهر، مجالات واسعة للوصول إلى النقد المنهجى.

الهوامش

---

(١) المنهل: رجب ١٤٠٨هـ

(٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٨، ٩، ١٢، ١٣، ١٤) العقد الفريد ج٢ ص٢٠٧، ج٢ ص٢٠٨، ج٢ ص٤٧٨، ج٢ ص٤٨٢ وج٥ ص٣٨٧، ج٤ ص٤، ج٤ ص٤، ج٤ ص٢٣٤، ج٢ ص٢٦٠، ج٢ ص٤٦٩

(٧) الختن (بتحريك التاء) الصهر أو كل من كان من قبل المرأة.

(١٠) عشيرته الاقربين.

(١١) زمر المروءة: قليلها.

● الأدب الافريقى الجديد ادب انسانى لا يتخلى عن تراثه.



■ يواجه الأديب الأفريقى المعاصر عدة قضايا أدبية وفكرية تتمثل فى لغة التعبير الفنى، وتعدد اللهجات المحلية، وعدم توافر وسائل النشر بقدر كاف.

ولا شك ان تراث أفريقيا يزخر بالكثير من الفنون الشعبية، والأحاجى والأساطير التى تعبر فى مضمونها عن القيم الانسانية والخصائص، والسمات الذاتية والابداعية المتفردة للشعوب الأفريقية.



بقلم:
مصطفى عوض الله بشاره
(السودان)

■ ولقد وضح اتجاه الزنجية كمذهب أدبي فى أغلب الأعمال الأدبية والفنية من شعر، وقصة، ورواية.. وفى هذا الصدد قال الشاعر المعروف «ايميه سيزار» فى أول مؤتمر دولى للكتاب الزنوج عقد فى باريس سنة ١٩٥٦م: (انهم يقولون لنا اختاروا بين الولاء لأفريقيتكم بما يستتبعه هذا من تأخر ورجعية الى الوراء، وبين التقدم وما يستتبعه من شقاق وخلاف).

● ونحن نرد على قولهم هذا فى بساطة فنقول انه لا ينبغى أن يكون هناك خيار فى هذا الاتجاه، فالحياة نفسها لا تقبل هذا الخيار، ولا أحسب ان المجتمعات الأفريقية وحدها تتعرض دائماً للمفاضلة بين القديم والجديد فى مراحل من حياتها.. ومن ثم، فان المجتمعات الافريقية لا يمكن أن تهرب من هذا القانون الأزلى، وليس من شك أيضاً فى انه ستبقى فى ثقافتنا عناصر كثيرة من تراثنا القديم.. ويسترسل الشاعر فى حديثه الى أن يقول: اننا نرفض أن نخضع تماماً للعناصر الجديدة، ونرفض تماماً فكرة ان تنسحب من ثقافتنا الأفريقية كل آثار التراث الأفريقى القديم.

■ وهكذا كما يقول الشاعر سيزار، فان الأدب الأفريقى الجديد، أدب انسانى لا يتخلى عن ماضيه، وفى ذات الوقت، ينهل من معين الثقافات الحديثة.

■ ويعتبر الشاعر الأفريقى **(ايميه سيزار)** من المهتمين بالاتجاه الزنجى فى مذكراته التى ضمنها ديوانه عن العودة الى وطنه الكبير «أفريقيا» ويصور بابداع وروعة لواعج الشوق والحنين، ومشاعر الغربة والبعد عن قومه وعشيرته وعن غابات قارته، وأحراشها، وحيواناته الوديعة.

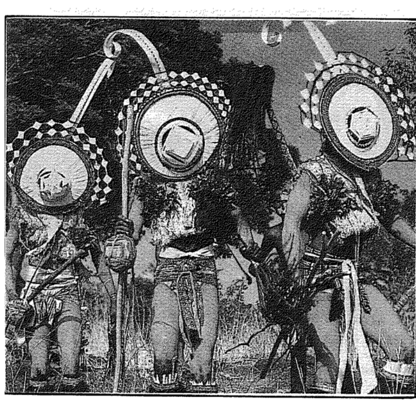
■ وقد عبر الشاعر **(أنوما كانى)** عن الاتجاه الزنجى فى كثير من قصائده. وابرز قصائده التى دعا فيها الى الاحتفاظ بالأصالة والذاتية الزنجية قصيدة: **(كل الذى وهبتنى اياه)** والتى يقول فيها:

●● كل الذى وهبتنى اياه يا افريقيا:
البحيرات والغابات والخلجان

●● كل الذى وهبتنى اياه من ضروب الموسيقى، والرقص، وحكايات الأنس الجميل حول نار المصطلى..

●● كل ما وسمتنى به فى جلدى من مواد ملونة ورثتها عن أبى وجدى فهى فى دمى أبداً لا تنمحى..

■ والشاعر الأفريقى **(أوستاس برودنسو)** يعبر عن عميق أشواقه وحنينه لوطنه **(الأم)** افريقيا فى قوله:



●● كنا نعيش ببساطة وسعادة.. منذ فجر الحياة.. كنا.. أخوة جميعاً.. نأكل فاكهتنا، ونشرب من ينابيعنا ونستنشق الهواء.. ونغنى.. ونرقص.. ويغمرنا ضوء القمر.. ثم جاء يوم حين نزلوا على شواطئنا هؤلاء الحيتان، واختفى السلام، والأغانى والرقصات.. عندما انقضت على اكواخنا تلك النسور.

■ وقد انتشر مذهب الزنجية وعبرت عنه دواوين الشعراء، وأقاصيص الأدباء أمثال داماساى، ورابيمانا بونجارا، وليوبولد سنجور، وتوتولا أوكارا، ومبولى ليس، وطائفة أخرى من كتاب وشعراء الأدب الأفريقى الحديث.

■ ومعظم أشعار، واقاصيص **(هازقيل مفهليل)** و**(م. بولس)** تكشف عن مأساة التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا، وما ظل يعانيه الأفريقيون من تعسف البيض واضطهادهم لهم ردحاً من الزمن.

ويحفل جنوب أفريقيا بعدد كبير من الشعراء والكتاب، وفى مقدمتهم الكاتب القصصى **(فرديناند أيونو)** وهو من أدباء الكاميرون، وكذلك **(مونجوبيتى)** الذى عالج فى احدى اقاصيصه موضوع المبشرين وتدخلهم السافر فى الشؤون الداخلية للبلدان الأفريقية وما يبثونه بين صفوف المواطنين من الدسائس، والشرور، والأحقاد.

■ ومن السنغال، برز على مسرح أدب القصة الطويلة (بيراجديوب) الذى أورد (ليوبولد سنجور) عرضاً لروايته (**الكونت أمادو كومبا**) فى دراسة أدبية عن النثر الزنجى، كتبها فى عام ١٩٤٨م، وقال فيها عن (بيراجديوب) انه كاتب مبدع يمتاز بدقة الأوصاف، وغرابتها، كأن يقول مثلا فى وصف مطلع يوم جديد: (كانت السماء قد انتهت لتوها من غسل وجهها) كما يعتبر (سنجور) كتابات (بيراجديوب) مرجعاً مهماً للأمثال الأفريقية الشعبية التى ذكرها (بيراجديوب) فى أعماله الأدبية، ونورد منها هذه النماذج:

●● **(أمنح المرأة حبك ولكن لا تمنحها ثقتك)**

●● **(اذا كان لابد من التعاون، فأبحث عن أولئك الذين ينتمون الى نفس جنسك ويحيون نفس حياتك).**

●● **(لا يعرف الانسان فائدة جسده حتى يضطر مرة الى الجلوس).**

■ والرمزية.. احدى الاتجاهات الأدبية المعروفة التى تزخر بها أقاصيص الكاتب الأفريقى (**كامارا لاى**) وفى قصته الرمزية (**نظرة الملك**) يروى المؤلف قصة رجل أوروبى يدعى (**كلارنيس**) ألقت به عصا الترحال والتشرد فى أدغال افريقيا، وقد نشأت صداقة بينه وبين أحد البؤساء من أهل افريقيا.. ويرجوه ذات يوم أن يتوسط له لدى الملك ليلحقه بأى وظيفة مناسبة فى القصر، ولكن الملك يرفض طلبه، ويعرض عنه ويلح الأوروبى النازح على صديقه البائس لكى يعيد على أسماع الملك رجاءه وتوسلاته عساه يعطف، فيأمر بتوظيفه والحاقه بالقصر.. ويرفض الافريقى مطلبه، ويصر على موقفه، ويجيب على طلب الأوروبى قائلا: «**حتى لو أردت أن تلحق بوظيفة عازف على الطبلة مثلا**» فان هذه الوظيفة بالقصر وراثية يلحق بها أبناء النبلاء وعلية القوم ولا يجيد العزف على الطبول بايقاعاتها المميزة الا المتمرسون من المختصين وانت ـ بلا شك ـ تعرف العزف على الطبلة ولكن عزفك مهما كان جيداً فانه يختلف تماماً عن ايقاعنا الأفريقى الأصيل.. ولهذا السبب، فان النظر سيصرف عن أمر تعيينك لمثل هذه الوظيفة.

■ وواضح ان هذه القصة تعالج بأسلوبى: (الرمز) و(الايحاء) النفسى العلاقة بين أوروبا وافريقيا، وما ستؤول اليه الصلات التاريخية بين القارتين عندما ينطلق المارد الأسود من قمقمه، عظيم البأس، قوى الارادة والشكيمة ليحقق أهدافه وتطلعاته فى الحياة الحرة الكريمة.

■ أما الفلسفة الأفريقية، فهى تشتمل على أربعة عناصر من التصورات العقلية المهمة باعتبار الانسان، والحيوان، والمكان، والزمان، وادوات الوجود، وظواهره المتعددة من أميز عناصر الفلسفة الأفريقية.

وتعتقد مجموعة من القبائل الأفريقية بتناسخ الأرواح كقوة روحية يمنحها السلف لسلالته، ويرمزون بكلمتى (**ماجرا والظل**) لائتلاف الروح والجسد فى الكائنات الحية.

■ وهذه قصيدة للشاعر السنغالى (بيراجديوب) يشير فيها الى فكرة تناسخ الأرواح بقوله:

●● **كلا.. لن تنتهى صلاتهم.. أولئك الراحلون**

●● **انهم الطفل عندما يبكى أو يمرح.. وفى وهج النار المستعر**

●● **انهم لا يمكثون فى أعماق الأرض بل يحيون فى كل قطرة من الندى تعلق هامة العشب والزرع.. وفى الصخور.. والغابات.. والبيوت.**

■ وبعد.. لقد قصدت من هذه الدراسة الموجزة عن الأدب والفلسفة الأفريقية توجيه الاهتمام الى تراث هذه القارة الفتية لعلها تعين الدارسين على معرفة بعض ملامح وخصائص البيئة الأفريقية من خلال ابداعات الأدباء والشعراء فى سعيهم المتصل، الجاد للبحث عن الأصالة والجذور.

أدب القتال

فى تاريخ الحروب التى خاضها المسلمون لنشر العقيدة الاسلامية، وحضارتها عبر ودروس كثيرة، بل هي فى الحقيقة آداب وتعاليم واهم هذه الاداب ما ينبغي ان يكون عليه شعور المحارب المسلم بأن قوته وسيلة مادية محدودة وان الوسيلة الاساسية لتحقيق هدفه شعوره المطلق بان نصره متوقف على ارادة الله ونصره له، وأنه بدون هذه الارادة لا يستطيع تحقيق ما يريد وإن اجتمعت له كل عوامل القوة **﴿ولا تقولنّ لشيء إنيّ فاعلٌ ذلك غدا الا أن يشاء الله﴾**.

ويُعَدّ ايمان المسلم بهذا أساسا فى عقيدته الا ان وساوس النفس قد تداخله فتطغى نظرته المادية على نظرته الروحية فينظر الى أمر ما نظرة الاعجاب بنفسه إلى ان يحدث له حادث يفكره بما ينبغى ان يكون عليه.

■ لقد اعجب بعض المسلمين بكثرتهم، وقوتهم فى غزوة حنين فايقنوا بالنصر على عدوهم حين ظنوا ان عشرة الاف من المقاتلين لن ينهزموا أمام قبيلة صغيرة خرج اعضاؤها لقتال المسلمين فى تحالف قبلي ضيق.. لكن الكثرة لم تغن شيئاً فحدثت الهزيمة ولم يبق مع رسول الله ﴿ﷺ﴾ الا مائة رجل من المجاهدين الصامدين الى ان أثر فى الجند نداء الهدى بالعودة الى القتال والصمود.. لقد سرت فيهم استجابة الله لدعوة رسوله حين دعاه بان ينجز له ما وعده.. كما سرت فى اعدائهم حبات التراب التى رماها عليهم رسول الله حتى لم يبق منهم أحد الا واصابته فى عينيه وفمه.

■ حقا لقد ولت الكثرة الادبار عندما سيطر العجب عليها الى أن أمد الله المجاهدين بعونه فجاءتهم جنوده تقاتل معهم فيما أخبر بذلك شيبة بن عثمان. قال: خرجت مع رسول الله ﴿ﷺ﴾ يوم حنين والله ما أخرجنى اسلام ولا معرفة به ولكني أبيت ان تظهر هوازن على قريش فقلت وانا واقف مع رسول الله: يا رسول الله انى أرى خيلا بلغا فقال: يا شيبة انه لا يراها الا كافر فضرب بيده على صدرى ثم قال: اللهم اهد شيبة ثم ضربها ثانية وثالثة فوالله ما رفع يده عن صدرى فى الثالثة حتى ما كان أحد من خلق الله أحب اليّ منه(١).

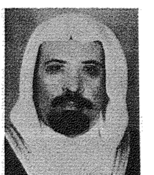
■ لقد كان الدرس واضحا للمحاربين تأديبا وتعليما.. أدبهم الله على ما بطن فى نفوسهم من العجب بكثرتهم وعلمهم بان النصر لا يكون الا من عنده مهما كانت قوتهم وعددهم ***﴿لقد نصركُمُ اللهُ فى مواطن كثيرة ويوم حُنينٍ اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارضُ بما رحبت ثم وليتم مدبرين﴾.. ﴿ثم انزل اللهُ سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين﴾.***

قلت: وفى تاريخ الحروب التى خاضها المسلمون الذين جاؤا بعد رسول الله ﴿ﷺ﴾ وصحابته شواهد كثيرة على الالتزام بها فى تلك الغزوة من آداب وتعاليم. وأهم هذه الاداب الحرص على ان تكون العبارات فى الحرب وعن الحرب عبارة ايمان والتزام، واقرار بان النصر من عند الله.. عبارات تتجنب العجب، وترد النصر الى القادر عليه.. عبارات حمد وثناء تشكر الله على ما يمن به على عباده من نصر على اعدائهم.

قلت: ونجد واحدة من هذه الشواهد فى الرسالة البليغة التى كتبها صلاح الدين الأيوبى الى الامام الناصر لدين الله يبشره فيها بفتح طبرية وعكا، وما معها من سواحل الشام.

■ لقد استهلها بقوله: «والحمد لله على ما انجز من هذا

بقلم: الدكتور
عبد الرحمن بن حسن النفيسة
الرياض



الوعد، على نصرة هذا الدين الحنيف من قبل ومن بعد». . ثم قال. . «الحمد الله الذى نصر سلطان الديوان العزيز وأيده واظفر جنده الغالب وأنجده، وجلا به جلابيب الظلماء وجدد جدوه، وجعل بعد العسر يسرا. وقد أحدث الله بعد ذلك أمرا، وهون الأمر الذي ما كان الاسلام يستطيع عليه صبرا، وخوطب الدين بقوله «ولقد مننا عليك مرة أخرى» فالأولى فى عصر النبى والصحابة، والأخرى هذه التى عتق فيها من رق الكآبة، فهو قد أصبح حرا، فالزمان كهيئته استدار والحق ببهجته قد استنار. والكفر رد ما كان عنده من المستعار، وغسل ثوب الليل بما فجر الفجر منها انهار النهار، واتى الله بنيان الكفر من القواعد، وشفى غليل صدور المؤمنين برقراق الموارد ذات البوارد، أنزل ملائكة لم تظهر للعيون اللاحظة ولم تخف عن القلوب الحافظة غزاة الاسلام بمسوِّميها وترادف نصره بمردفيها واخذت القرى وهي ظالمة فترى مترفيها كأن لم يثروا فيها».

■ ثم قال فى مقطع آخر من الرسالة. . «والحمد لله الذي أعاد الاسلام جديدا ثوبه، حديدا حبله، مبيضا نصره. مخضرا نصله، متسعا خضله، مجتمعا شمله. والخادم يشرح من نبأ هذا الفتح العظيم، والنصر الكريم مايشرح صدور المؤمنين ويمنح الحبور لكافة المسلمين ويكرر البشرى بما انعم الله به - من يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر الى يوم الخميس منسلخة - وتلك سبع ليال وثمانية أيام حسوما سخرها الله على الكفار ﴿**فترى القوم فيها صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية**﴾. . ورايتها الى الاسلام ضاحكة كما كانت من الكفر باكية، فيوم الخميس الأول فتحت طبرية وفاض رى النصر من بحيرتها، ووقفت على جسرها الفرنج بقلقها وحيرتها، وفى يوم الجمعة والسبت كُسِرَ الفرنج الكسرة التى مالهم بعدها قائمة، واخذ الله اعداءه بايدي اوليائه اخذ القرى وهي ظالمة، وفى الخميس منسلخ الشهر فتحت عكا بالامان، واقيمت بها أعلام الايمان وهى ام البلاد، واخت إرم ذات العماد، واصبحت كأن لم تغن بالكفر ولم تفتقر من الاسلام اذ بلغ المسلمون من اعدائهم المراد».

■ وقبل ان يختم الرسالة التى حملها نيابة عنه الامير رشيد الدين قال: «فالحمد لله حمدا لا تضرب عليه الحدود ولا تزكى بازكى منه العقود، وكأنه بالبيت المقدس وقد دنا الاقصى من أقصاه، وبلغ الله فيه الأمل الذي علم أن لن يحصيه واحاط بأجله وأقصاه، ولكل أجل كتاب، وأجل العدو هذه الكتائب الجامعة ولكل عمل ثواب، وثواب مَنْ جُزيَ بطاعته جنات نعيمه الواسعة، والله المشكور على ما وهب والمسؤول فى ادامة ما استيقظ من حد الاسلام وهبّ».

قلت: لقد أسر المسلمون وقتلوا فى تلك المعارك ثلاثين الفا من الصليبيين وهو عدد كبير جدا بمقياس ذلك الزمان ومع ذلك فهذه عبارات صلاح الدين فى كل مقطع من مقاطع رسالته. . عبارات تنكر الذات، وتفيض بالشكر لله على ما هيأ لأمة الاسلام من نصر فى تلك المعارك التاريخية.

■ لقد وصف نفسه بـ الخادم المطيع لامامه المنفذ لاوامره فى انضباط المحارب وايمان المجاهد. . لم يقل ان النصر فى تلك المعارك كان بجهده او جهد جنده او قوتهم، او عددهم بل كان يرده الى نصر الله وعونه فيحمده على ما افضل، ويشكره على ما مَنَّ وأنعم.

قلت: ليت الذين كانوا يكتبون ويلفظون عبارات الحرب في ايام النكسة الكبرى عام ١٩٦٧ قرؤا هذه العبارات التى كتبها صلاح الدين ليروا فيها تربية خلقيه، ودرسا أدبيا بليغا يعكس ايمان المسلم، وحرصه على عقيدته ونبذ الالفاظ التى تتنافى مع هذه العقيدة كما كانت تلك التى انحرفت فصكت الاسماع واشمئزت منها القلوب لمجافاتها لهذه العقيدة.

رحم الله صلاح الدين ورضى عنه وارضاه فلولا جهاده وبطولاته وايمانه وفوق ذلك توفيق الله له لما كانت ارض الاسلام على النحو الذى هى عليه الان. . والله المستعان.

التوبــــة

التوابون هم المؤمنون ومن تاب تاب الله عليه . . والى الله المتاب والمآب وما أجمل ما قرأته في صفحة من صفحات (الوطن العمانية) الجريدة اليومية الصادرة في (مسقط) تقول عن التوبة :

ما احوج الانسان الى تنقية نفسه من الشوائب وغسلها من الذنوب والمعاصى حتى تصبح كالثوب الأبيض الناصع البياض . . انت تزيل الدنس من الثوب الأبيض بالماء الساخن والصابون . . أما نفسك فانك تقضى على ذنوبها وتطهرها من معاصيها بالتوبة . . التوبة الخالصة هى التى تعيد للنفس صفاءها ونقاءها، وتخرج بها من الظلام لتغمسها فى النور.

التوبة النصوح هى التى تُقبل عليها بنية خالصة وصادقة، وقلب خاشع يشعر بالندم على ما فرط من الذنوب والمعاصى . التوبة التى تقبل عليها وانت لا تتوقع دنو أجلك . . التوبة النقية هى التى تغسل نفسك من الذنوب . وتطهرها من الآثام . . واقرأ قول الله تعالى :

﴿إنَّما التوبة على الله للذين يَعْملون السوء بجهالةٍ ثم يتوبون من قريب، فاولئك يتوب الله عليهم، وكان اللهُ عليما حكيما، وليست التوبة للذين يعملون السيِّئاتِ حتى إذا حضر احَدَهَم الموْتُ قال إنى تبت الآن، ولا الذين يموتون وهم كفار﴾ (النساء١٧) .

■ واليك أخى المسلم هذه المناجاة العذبة :

« يــــارب »

إلـــيــك أتــوبُ
إلـــيـك أُنـــيــب
إلـــيـك أوجِّـــهُ
ذلَّ الـــولاء
فانـــت الـــرقـيـبُ
وأنـــت الحــبـيـب
وانـــت المــجـيـبُ
سمــيـــع الــدعـــاء
دعـــاك خشـــوعـــى
وســـالتْ (دمــوعى)
وصَعَّدتُ فى الليل حرَّ البكاء
فوارت عيـــونــى
دمـــوعَ الـشجـــون
ولألأت الجفنَ حتى استضاء
ولـــبـــى ركـــوعـــى
وبـــين الــضـــلوع
أضاءت صلاتى عبابَ السماء
وطــهـــرت كأســـي
وجـــردتُ نفـــســى
فلم تبق إلا ثياب الحياء
ومـــنـيـــتُ روحــى
بأســـو الجـــروح
فاســـعـــد فؤادى
ولـــبِّ الـــرجـــاء
أنـــرْ لي طريـــقـــى
وكـــنْ لى رفـــيـقـى
وصُنّى عن الحقد والكبرياء
والهـــم جنـــانـــى
أبَـــرَّ المـــعـــانـــى
وحـــبَّ الجـــمــيـــع
وصـــدْقَ الـــوفـــاء
وكـــن بى عطـــوفـــا
وكـــن بى رؤوفـــا
وهـــوِّن علـيـنـــا
قضـــاء الــســـماء
وأصـــلحْ أمـــامـي
واحـــســن ختـــامى

بقلم - عثمان الصالح الرياض



وخُــذنــى إلــيــك
نَقِــيَّ الــرِّدَاء
وأســعــد شعــورى
وظــلِّلْ نشــورى
وصلِّ على خاتم الانبياء

الرســالة

- الرسالة- التى أعنيها وهى التى كان يصدرها - أحمد حسن الزيات - كانت ومازالت إلى اليوم مصدراً من مصادر الأدب ونبعا من منابعه . . وكانت لا تزال ولن تزال مرجعاً مهماً للأدب والباحث والأديب، وكانت الكلمة الجميلة التى قرأتها فى جريدة الوطن العمانية الصحيفة اليومية كتبها - الاستاذ مجدى يقول فيها ما يلى :

كانت الرسالة المنبر العربى الوحيد الذى جمع كل الأقلام العربية . . للتمهيد للوحدة والقومية العربية سابقة بذلك الجامعة العربية .

وكانت الرسالة بمثابة النافذة المفتوحة للمفكرين العرب وبدون مبالغة . . فان معظم الكتاب والشعراء والادباء والمفكرين قد خرجوا من معطف مجلة الرسالة التى كان يصدرها الأديب الكبير احمد حسن الزيات .

وقد تبنت الدكتورة سعاد الصباح مشروع اعادة طبع مجلة الرسالة فى أربعين مجلدا . . ان مثل هذا الحدث الثقافى انما يكشف ان الثقافة اكبر من السياسة بمراحل . . وان المثقف العربى لا يمكن أن يعيش طويلا . . خاضعا للرياح السياسية العشوائية .

ولعل اكبر دلالة من «مشروع الرسالة» انها توقظ الذاكرة الثقافية للانسان العربى . . الذى تنهشه تيارات . . وامور صغيرة ذات اليمين وذات الشمال . . انتهى .

■ ومن هنا أتساءل عن طلاب الأدب . . افلا يحصلون عليها ويملكون هذا السِّفْر . . ولكن لا اعتقد انها طبعت ولكنها مصورة وقد غالى مصورها بقيمتها . . كما أن لهذه المجلة مجلات تنطلق من مشكاتها ولو ان أعمارها قصيرة هى - الكتاب ويرأس تحريرها عادل الغضبان - والثقافة ويرأس تحريرها احمد امين وكلاهما علق نفيس كما ان مجلة الأزهر ومنبر الاسلام نفيستان وهما يصدران الى اليوم .

مختــارات

** يحكى ان إبليسا لعنه الله ظهر لعيسى عليه السلام فقال : ألست تقول لن يصيبك إلا ما كتبه الله عليك؟ قال نعم . قال فارم نفسك من ذروة هذا الجبل فانه ان يقدر لك السلامة تسلم .
فقال : يا ملعون . إن للّه أن يختبر عباده وليس للعبد ان يختبر ربه .
** سئل الفضيل بن عياض عن احسن العمل فى قول الله تعالى : **﴿الذى خلق الموتَ والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾** . . فقال : هو أخلصه وأصوبه، قالوا : يا أبا على ما أخلصه وأصوبه؟ فقال : إن العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا وصوابا - والخالص أن يكون لله، والصواب ان يكون على السنة، ثم قرأ قول الله عز وجل **﴿فمن كان يرجو لقاء ربِّه فليعمل عملا صالحا ولا يشركْ بعبادة ربِّه أحدا﴾** .
** **علق رجل عجوز أمريكى ملحد فوق رأسه لافتة مكتوب عليها GOD IS NO Here** أى (الله غير موجود) ولما دخل عليه حفيده الصغير طلب منه ان يقرأ تلك اللافتة فقرأها هكذا : GOD IS Nowhere أى **(الله موجود الآن)** فآمن العجوز . . إنها الفطرة التى فطر الله الناس عليها .

(١٢١) العبرانيون

كان ابراهيم ـ عليه السلام ـ كلدانياً، ولد بارض الكلدان بالعراق، ونُبّئ هناك، فلما أوذي أمره الله بالعبور إلى أرض كنعان ـ فلسطين ـ فلما عبر سُمِّي العبري، ودُعِي نسله بالعبريين، غير بنى اسماعيل تعربوا فصاروا عرباً.

الا أن اليهود استبقوا الاسم واطلقوه على لغتهم بعد ذلك.

(١٢٢) يعقوب ليس عبراني اللغة

جاء فى كتاب «البرهان فى علوم القرآن) إن (يعقوب) اسم عبراني، غير أنه وافق العربية، أى مرة تعقب مرة.

وفى هذا القول نظر، إذ أن يعقوب هو حفيد ابراهيم ـ عليهما السلام ـ وابراهيم كما تقدم كلداني الأصل واللغة، وليس من المعقول أن يكون اسحاق قد أصبح له لغة غير الكلدانية حتى يسمى ابنه من مشتقاتها، فعادة البشر المحافظة على لغاتهم عدة أجيال، فاذاً يعقوب اسم كلداني.

(١٢٣) بعض ما يغفل عنه الناس من الأسماء

يقرأ كثير من المثقفين: (سيف الدولة الحمدانى، وأبو فراس الحمدانى بفتح الميم فى (الحَمَداني) ظناً منهم أنه الفصيح.. والصواب: (الحَمْداني) بسكون الميم، نسبة إلى جد الأسرة (حَمْدَان).

ويقرأ البعض «يونس بن متّى) عليه السلام، وهو ذو النون نبى أهل نينوى، الذى قال الله تعالى فيه: ﴿وذو النون إذ ذهب مغاضباً﴾.

ومتى أبوه، وصواب اسمه (مَتّى) بتشديد المثناة فوق مع القصر، فهو: يونس بن متى. نوح ـ عبد الغفار: نبى الله نوح عليه السلام ـ قيل إنه ظل ينوح من مخافة الله حتى ناداه الله يا نوح. وكان اسمه عبد الغفار، وتقول حكاية: إن سيدنا نبى الله نوح جاءه كلب شنيع الخلقة، فقال نوح: ما اكرهنى لك أيها الكلب. فانطق الله الكلب فقال: يا عبد الغفار اتكره الخالق أم المخلوق؟. يقصد أن المخلوق لم يكن بوسعه خلق نفسه والاّ لخلقها فى أحسن ما يمكن، فشعر عبد الغفار عليه السلام بخطئه فبكى، وظل يبكى حتى ناداه الله بأني قد غفرت لك يا نوح.

(١٢٤) إن الله يمسك السماء

قال الزركشى فى «البرهان» حُكِي عن ابن ميمونة بنت شاقولة البغدادية ـ احدى المتعبدات ـ قال: كان فى دارها حائط له جوف ـ أي آيل الى السقوط ـ فقالت: هات رقعة ودواة، فناولتها، فكتبت فى الرقعة شيئاً، وقالت: ضعه فى ثقب منه، ففعلت، فبقى نحواً من عشرين سنة، فلما ماتت ذكرتُ ذلك القرطاس، فقمتُ فأخذته فوقع الحائط، فاذا فى الرقعة: **﴿إن الله يُمسكُ السموات والأرض أن تزولا﴾**.

يا ممسك السموات والأرض، أمسكه.

ويعقب الزركشى، قائلا: هذا النوع ـ يعنى استنباط الحكمة من القرآن ـ لن ينتفع به إلا من أخلص لله قلبَه ونيتَه وتدبُّر الكتاب فى عقله وسمعه، وعمَّر به قلبه، وأعمل به جوارحه،.. إلخ.

(١٢٥) زمن الرسائل

كان للرسالة دور مهم فى حياة الناس ومن القواعد المسلَّم بها: كان المسافر إذا وصل إلى البلد المسافر إليه أرسل رسائل لأهله ولاخوانه واقاربه وأحبابه، واذا مضت فترة لم ير فيها صديقان بعضهما بادر أحدهما بارسال رسالة الى صديقه يسأل عن الأحوال والأخبار، وكانت رسائل بعض العلماء قد تبلغ صفحات فيها الوصايا والتأويل والحث على الاجتهاد فى طاعة الله والتحصن من الذنوب.

بقلم عاتق بن غيث البلادي
مكة المكرمة



أما إذا قدر للبدوى أن يرسل الى صاحب المدينة فكثيراً ما تشتمل الرسالة على السؤال عن الأسعار وفى رد صاحب المدينة السؤال عن الأمطار وما يجلب إلى الأمصار.

أما رسائل العامة فكان لها منهج آخر بعيد عن كل المنافع ومعالجة الوعظ والارشاد، فهي بسيطة كبساطتهم رقيقة كرقة شعورهم، وهذا نموذج من رسالة مؤرخة فى ١٥/٥/١٣٧٢هـ:

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ورضاه ومرضاته وأعز واشرف وازكى تحياته عدد من صلى وصام وحج بيت الله الحرام وطاف بين زمزم والمقام مقام سيدنا ابراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

سلام الله يغشاكم وعين الله ترعاكم
ولو غاب النظر عنكم فليس القلب ينساكم»

■ وكان إذا أرسل أحدهم الى عزيز فلم يجب وكان المرسل ينتظر بشوق أرسل رسالة أخرى، وحرق طرفها، كناية عن أن قلبه يحترق، وقد يعمد أحدهم إلى إرسال ورقة بيضاء وظرف غفل داخل الرسالة، لمزاً للمرسل إليه أنه عاجز عن شراء ورقة وظرف يرسلها إليه.

وقد رأيت بعض الشركات العالمية أحيت هذا التقليد، فهى ترسل إليه نشرة ومعها نموذج للرد وظرف كتب عليه العنوان. وكنت فى الطائف سنة ١٣٧٥هـ فطلبت منى بدوية أن اكتب لها رسالة إلى أهلها، ولما فرغت من الرسالة، قالت: هات هات فأخذت القلم ووضعت على آخر الرسالة خطين متقاطعين وانشدت:

خُطّ العراقى عليه وسوم
عرقى على القلب بافعاله

■ والعراقى: العودان اللذان يوضعان على فم الدلو بشكل متقاطع، وهى عندهم كناية عن الغبن ونفاد الصبر، لأن المريض بوجه الفؤاد يكوى على الغضنة التى بين ملتقى الأضلاع كيًّا معرقي، أى علي شكل الصليب.

(١٢٦) اتسع الخرق على الراتق

هذا من امثال العرب المعروفة، ومناسبة ضربه هنا انني كنت على متن الخطوط السعودية ذات مرة، وقدمت إلي مجلتها، فاذا فيها خريطة المملكة، وإذا فيها عدد غير قليل من اسماء مدننا كتب بطريقة مغلوطة فتناولتها بالتصحيح ثم نزعت الخريطة وطلبت إيصالها الى ادارة الثقافة أو مثلها فى الخطوط، ويبدو أن الرسالة وصلت فعلا، فقد ركبت مرة أخرى هذه الخطوط فقدمت إلي المجلة (عدد جديد) فاذا تلك الأسماء قد صححت، ولكن بقيت ثلاثة أسماء يبدو أنه يصعب تصحيحها، فالخطأ إذا شاع استحكم حتى يصير معه الصواب خطأ، وهذه الأسماء هي: رفحة، ابقيق، الخفجي.

●● والصواب فيها: رفحة: رفحاء أى مؤنث أرفح إذا كانت من الصفات، أو رفحى على وزن سلمى.

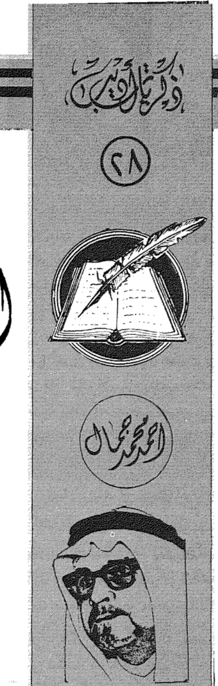
●● أما ابقيق فصوابه: (بقيق) تصغير بق، ولكن البادية يسكنون الحرف الأول فى مثل هذا فيتبادر الى الذهن أن سكون الحرف الأول سببه همزة قبله، وليس كذلك.

●● الخفجي: الخفقي، ولكن البادية هناك ينطقون القاف بين الأضراس فيشتبه مع الجيم حتى أن أحد الصحفيين كتب مرة فقال: كنا عند أمير كذا فقال: (جهوة) أى قهوة. وظهر فى بعض الخرائط: (جليب كذا - وواضح أنه (قليب) أى بئر.

وقبل أيام رأيت أحد المقررات الجغرافية الابتدائية وبه خريطة، فاذا فيه مدينة كتب عندها (سلايل) فوجئت بهذه المدينة التى لا أعرفها، ولكن المفاجأة لم تطل، فقد ظهر انها مدينة (السليل) وأن اخانا الجغرافي العربى أخذه من نص بالأحرف اللاتينية فهو لا يعرف حتى المدن فى بلاده، ومع هذا يؤلف فى الجغرافيا.

(١٢٧) حلاوة المقال: قال الحلي:

إذا كنت ما تدري فتلك مصيبة
وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم



في مهرجان الشباب العربي

● ساهم الوفد السعودي في المهرجان بالحفاظ على الشخصية العربية الاسلامية.

● الاتحاد السوفيتي ما يزال يهجر الآلاف من اليهود الى فلسطين.

كنتُ احد أعضاء الوفد السعودى الى مهرجان الشباب العربى الرابع المنعقد فى الرباط بالمملكة المغربية خلال الايام ١١ الى ١٨/ ٨/ ١٣٩٩ هـ(١).

وقد كتبنا لسمو الامير فيصل بن فهد الرئيس العام لرعاية الشباب تقريراً عما عدنا به من انطباعات عن الشباب العربى ممثلا فى الوفود التى شاركتنا فى الحوار الفكرى حول القضايا التالية:

* دور الثقافة فى التنمية العربية والانسان العربى.
* مناقشة قضية فلسطين والقضايا الأخرى العربية والاسلامية
* دور الشباب فى بناء اقتصاد عربى جديد.
* دور الشباب العربى فى بناء أمة عربية متحررة.
* علاقة الشباب العربى بالشباب الافريقى وشباب العالم الثالث.

■ لقد ساهم الوفد بعضو منه فى كل ندوة من الندوات المذكورة أعلاه وبذل جهده فى الحفاظ على الشخصية العربية الاسلامية فى كل ما دار حوله الحوار من موضوعات وقضايا، كما حرص على ان يبقى (الاسلام) هو المصدر والمرجع لكل إصلاح أو تطور ـ وخلال هذا الحوار تبين له ما يأتى:

أولا: أن معظم الشباب المغربى واليمنى والعراقي والفلسطيني والسوري متأثر جدا بالمبادىء الاشتراكية الماركسية.

ثانياً: أن كافة أوراق العمل المطروحة للحوار فى جميع الندوات خالية تماما من ذكر «الاسلام» ومنهجه الفكري والعقائدي والخلقى. وقد وجدنا صعوبة كبيرة وصداً عنيفا من الوفود الاخرى.. فى مجادلتنا لتثبيت الاتجاه الاسلامى فى الحوار.





د. حسن باجوده . د. هاشم عبده هاشم . - الأمير فيصل بن فهد -

ثالثا: إن وفود المغرب واليمن والعراق وسوريا وفلسطين تركز فى مناقشاتها وأفكارها على ربط التطوير الثقافى بالاقتصاد والانتاج والخروج على أنظمة الحكم العربية الاسلامية التى لا تسير فى فلك الاتحاد السوفياتي.

وهذا يدل دلالة واضحة على اتجاه أفكار هؤلاء الشباب الى التأثر المادى الشيوعى الذى يرد كل الأحداث والتطورات الى (المادة) وحدها.

■ وقد استطاع الوفد السعودى الممثل فى اللجان الخمس - بحمد الله وتوفيقه - استبعاد التوصيات الداعية الى تطبيق المنهج الشيوعى المادى والقرارات التى غمزت فيها المملكة كما استطعنا ان نعمم المطالبة بالبعد عن النظامين الرأسمالى الغربى والشيوعى الشرقي بعد ان كانت كل الاوراق المطروحة والافكار المقترحة تركز على الاستعمار الغربى وحده.. وأثبتنا دور الاسلام المؤكد فى تمييز شخصية الانسان العربى المسلم، وضرورة اعتماده كأساس فى بناء التراث العربى الاسلامي الأصيل.

واكدنا فى الوقت نفسه - فى حوارنا وفيها أثبتنا من توصيات - الدعم السوفياتي السياسي والمادي للصهيونية تماماً كما يفعل الغرب.

فروسيا اول دولة اعترفت باسرائيل حتى قبل امريكا وهى ما زالت تهجِّر عشرات الألوف من يهود روسيا لزيادة عدد سكان اسرائيل، وإقامة المستعمرات فيها كما تخلت عن تزويد مصر وسوريا ومنظمة التحرير بالأسلحة الفعالة وقطع الغيار اللازمة لها.

ونرى ان إعلامنا وجامعاتنا لا تقوم بما يجب عليها فى تنوير الرأى العام العربى بين الشباب السعودى والاجنبى بحقيقة الموقف السعودى المحايد والمؤيد لنضال الشعب الفلسطينى مادياً وسياسياً.

وقد رأينا شباب فلسطين فى المؤتمر أبعد ما يكون عن معرفة هذه الحقيقة، وهو ميال ومتأثر بالاتجاه الماركسي رغم انه ضد مصلحة قضيته.

■ ومن ملاحظاتنا - خلال هذه الندوة - ان بعض البلاد العربية بعثت بعض فتيات ممن يمارسن الرياضة البدنية وقد مارسنها فعلا خلال بعض الاستعراضات الرياضية امام اعين الشباب وامام الحاضرين من الجمهور.

(١) تألف الوفد السعودى مني ومن السادة الدكتور حسن باجودة - والدكتور محمد سعد الشويعر - وعبد الآله المهنا - وعبد الله عالم - وهاشم عبده هاشم.



عام مبارك

بمناسة حلول العام الهجرى الجديد

يطيب لأسرة مجلة المنهل أن تتقدم باسمى التهانى وأجمل الأمانى

إلى خادم الحرمين الشريفين

الملك فهد بن عبد العزيز السعود

وصاحب السمو الملكى الامير عبد الله بن عبد العزيز

ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطنى

وصاحب السمو الملكى الامير سلطان بن عبد العزيز

النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

وحكومة المملكة العربية السعودية الرشيدة

والشعب السعودى الكريم جعله الله للجميع عاماً مباركاً

المجلة الأولى
العدد ٤٤ المحرم ١٤١٠هـ

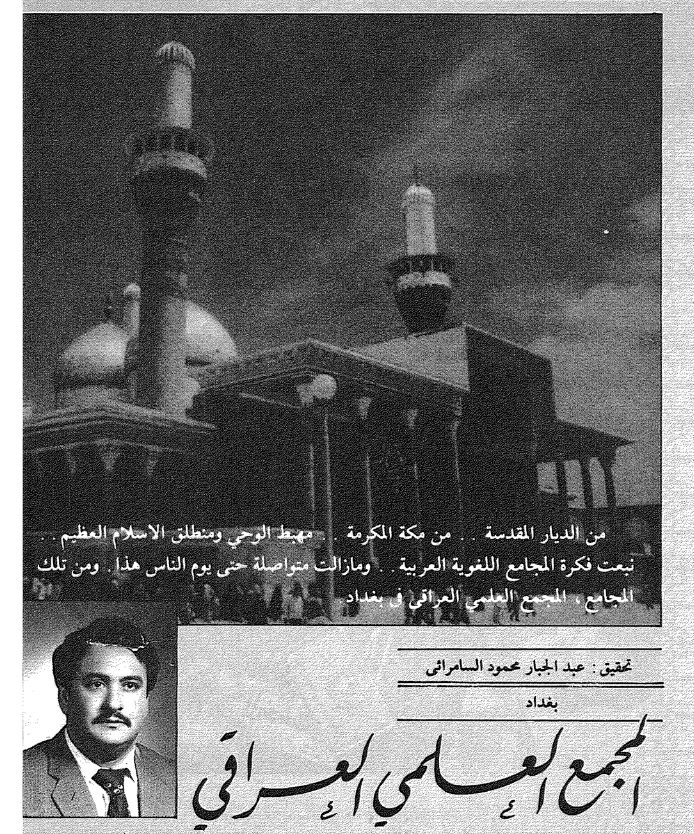


السائح

تغرب عن الأوطان في طلب العلا
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحبة ماجد



- المجمع العلمي العراقي — تحقيق/ عبد الجبار السامرائي
- فرنسا.. ومهرجانات الفرح — قسم التحقيقات



من الديار المقدسة . . من مكة المكرمة . . مهبط الوحي ومنطلق الاسلام العظيم . . نبعت فكرة المجامع اللغوية العربية . . ومازالت متواصلة حتى يوم الناس هذا . ومن تلك المجامع ، المجمع العلمي العراقي في بغداد .

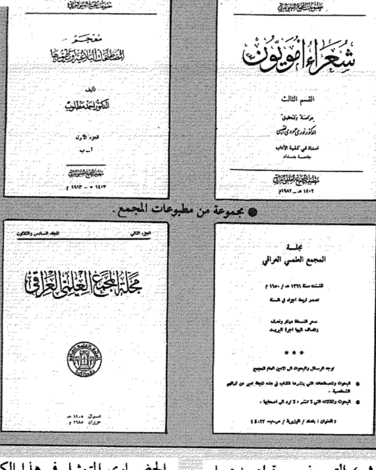
تحقيق : عبد الجبار محمود السامرائي

بغداد

المجمع العلمي العراقي

● ان زوال الأمم عبر التاريخ ، لم يكن مرجعه فناء اجساد ابنائها ، بقدر ما هو تركهم لغتهم .

● تغلغل الشعوب في الأمة العربية ، وحركة الاختلاط أدت إلى ضرورة الحفاظ على اللسان العربي



● مجموعة من مطبوعات المجمع.

العرب وفكرة المجمع العلمي

اثبت التاريخ، ان الاسواق الأدبية والمنتديات العقلية التي انشأها العرب قبل الاسلام وبعده، إن هي في الواقع إلاّ مجامع للعلم ورثنا منها طبيعة النسب وروح اللغة ومفاهيم إزاء المجتمع والكون والمعتقدات الاخلاقية.

وخير شاهد على ذلك (ندوة قريش) التي وضع قواعدها (قصي بن كلاب) في مكة المكرمة، فقد كانت تلك الندوة امتداداً أصيلا للنماء الروحي الاجتماعي والسياسي والاقتصادي. وهذه الندوة صارت فيما بعد أساسا أصوليا لكل المنتديات التي اندرجت في التاريخ كسوق عكاظ وصنعاء وذي المجاز ودومة الجندل والشحر وحباش والمربد، وبيت الحكمة (في بغداد على عهد المأمون).. وكذلك (المستنصرية) في بغداد.

ورغم حالة التفتت التي ألمت بالعرب المسلمين وخاصة بعد أن تغلغت الشعوبية في صفوفهم، الا أن العرب ظلوا يواصلون تعزيز وجودهم التأريخي من خلال المحافظة على تراثهم ولغتهم وعقيدتهم ولم تستطع كل محاول الهدم والتخريب والاحتلالات العدوانية أن تلغي وجودهم الحضاري المتمثل في هذا الكم الهائل من التراث الثر.. الذي شهدت به الأعداء قبل الاصدقاء (والفضل ما شهدت به الأعداء).

فكرة المجمع العلمي العراقي

ومنذ مطالع القرن العشرين شرع بعض الغياري والاحرار من رجال السيف والقلم في العراق في تبني فكرة تأسيس مجمع علمي عراقي.. او بالأحرى تأليف جمعيات أدبية وعلمية، هدفها بث الدعوة القومية العربية عن طريق الانتاج الفكري والأدبي، والاعلان عن رفض العقل العربي لسياسة التتريك ـ تلك السياسة العنصرية التي مارستها الدولة العثمانية بحق العراقيين بحكم احتلالها لهذا البلد العربي الذي ما كانت لتحله لولا الجراح المثخنة

● إرهاصات تاريخية لفكرة المجامع العلمية العربية

● المجمع يضم أعضاء من علماء العرب والمسلمين وغيرهم الذين يقدمون الكثير من المعونات العلمية.

التى مني بها بسبب موجات الغزو والاستلاب التى ألمت به ابتداءا من عهد الاحتلال المغولى وما بعده.

وكان فى طليعة الجمعيات التى حملت على عاتقها لواء النهضة (المنتدى الأدبى ١٩٠٩م) التى تزعمها الشاعر معروف الرصافى، و(الجمعية العلمية الأدبية فى البصرة ١٩١٠م) وكان سليمان فيضي أحد أبرز اعضائها وكذلك ابراهيم حلمي العمر و(جمعية النادى الأدبى فى الموصل) و(جمعية العلم).

■ وفى عهد الاستعمار البريطانى للعراق نهضت تجارب جديدة لتأسيس مجامع علمية وفكرية، فقد أنشىء (المعهد العلمى) من قبل خمسة عشر مثقفاً عام ١٩٢١م، ومن بين هؤلاء المؤسسين: (احمد عزة الأعظمى، جعفر حمندى، محمد جعفر الشبيبى، وثابت عبد النور).

■ وفى عام ١٩٢٥ كان ثابت عبد النور قد تقدم بطلب رسمى الى وزارة المعارف بتأسيس (مجمع علمى). وارتأت الوزارة ان تشكل لجنة عليا، ضمت كلا من طه الراوى ومعروف الرصافى وانستاس الكرملى، الا أن هذه اللجنة لم تواصل أعمالها الا لفترة حتى بادر الشعراء الشبيبى والزهاوى والشرقى والمؤرخ عباس العزاوى لتأسيس (نادى القلم العراقى) فى منتصف الثلاثينات من القرن العشرين الميلادى، وكانت أعمال هذا المجمع علامة مضيئة فى تأريخ الأدب العربى وتعضيد البحث والنشر وتوحيد الأدباء العرب.

■ وبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، دعت وزارة المعارف العراقية عدداً من المثقفين والعلماء فى البلاد الى تأليف (لجنة النشر والترجمة) لمساعدة المؤلفين فى طبع آثارهم، وأصبح رئيسها طه الراوى وسكرتيرها المؤرخ جواد على وقد قدر لهذه الهيئة ان تكون الحلقة الأخيرة فى عملية تأسيس (مجمع علمى عراقى) الذى وضعت لبنته الأولى فى سنة ١٩٤٧ برياسة الشيخ محمد رضا الشبيبى والذى احتوى نظامه على تسع وعشرين مادة توزعت على مختلف الاغراض، كالعناية بسلامة اللغة العربية، والبحث فى تاريخ العرب وحفظ المخطوطات والوثائق واحيائها وتشجيع الترجمة ونشر الروح العلمية فى البلاد.

المجمع العلمي العراقى الحالى

يحتل الاهتمام باللغة العربية (لغة القرآن الكريم) الأهمية الأولى من بين مهام المجمع العلمى العراقى، لان اللغة وعاء الفكر واداة التعبير ووسيلة الاتصال والعامل الأقوى فى ديمومة الأمة وخلودها - كما يعبر الدكتور صالح احمد العلي رئيس المجمع الحالى.

■ إن زوال الأمم عبر التاريخ، لم يكن مرجعه فناء اجساد ابنائها، بقدر ما هو تركهم لغتهم، واخذهم لغة أخرى بدلها. لأن (اللغة هى الرابطة الأقوى التى تجمع الأمة وتعمل على تماسك ابنائها وتعين على استمراريتهم وخلودهم بما تستوعبه من أفكار) وما تحتضنه من ابداعات.

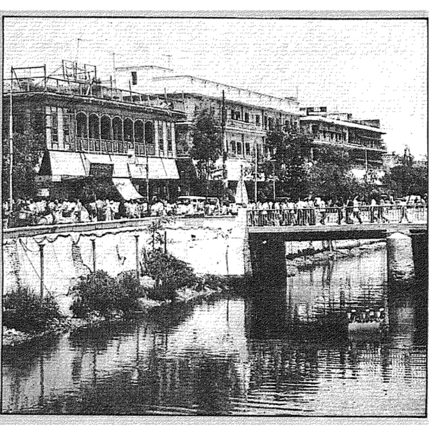
■ ان الغرب، حاول الاطباق علينا سياسياً وفكرياً وهنا تقف اللغة العربية اداة للصمود ووسيلة للبقاء، غير انها لم تفلح فى أداء واجبها ما لم يكن لها سدنة يرعونها ومخلصون يثبتونها ومفكرون يعملون على تطويرها.



اولى المجمع العلمى منذ تأسيسه اهتماما خاصا للعمل على جعل اللغة العربية مواكبة للتقدم الحديث.. من خلال لجان متخصصة من اعضاء المجمع، وتستعين هذه اللجان بخبراء من ذوى الاختصاص فى العلوم الحديثة، مع ايمان بوجود تثبيت مكانة اللغة العربية وبقابليتها على استيعاب المصطلحات الحديثة.

■ ان كل لجنة تقوم بدراسة دقيقة للمصطلحات الأجنبية ومتابعة التعابير العربية المعبرة عنها، واختيار أدق التعابير الملائمة.

وضمانا لسلامة اللغة العربية، فان المصطلحات التى تعدها اللجان توزع على اعضاء المجمع لدراستها وإبداء رأيهم فيها.. وقد اثمرت جهود اللجان عن اعداد وطبع آلاف المصطلحات فى الرياضيات والفيزياء والكيمياء والهندسة وعلوم الزراعة وعلوم الحيوان وعلم النفس والعلوم التربوية وتوزع ما يطبع من هذه المصطلحات على المختصين من العلماء والمؤسسات فى داخل القطر وخارجه، وقد حظيت هذه المصطلحات بالتقدير فى الاوساط المختصة بعد اقرارها من لدى المجمع العلمى العراقى.



لجنة اللغة العربية:

وضعت هذه اللجنة خلال سنة واحدة ثلاث مائة مصطلح، وعشرة مصطلحات للألفاظ الحضارية المستعملة فى العراق، وهى اما أعجمية دخيلة وإما محرفة من أصل عربى. ونظرت فى اكثر من عشر رسائل رسمية، تضمنت طلب وضع مصطلحات واسماء تجارية ونحوها تنفيذاً لقانون سلامة اللغة العربية.

وتداولت اللجنة كذلك مع لجنة الكيمياء وضع بعض القواعد العامة لمصطلحات الكيمياء، وترجمة اللاحقتين (IC و ICS) كما درست بعض المبادىء الاساسية فى اختيار المصطلحات العلمية الجديدة ووضعها تلك التى اقرتها ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات فى الرباط بالمملكة المغربية، ومقترح تأليف معجم لغوى تأريخى للغة العربية وعوامل ضعف استعمال اللغة العربية الفصحى، وتابعت دراسة بعض ما وصل اليها من مقررات بعض المجامع اللغوية العربية.

لجنة التاريخ والحضارة:

ومهمتها دراسة التراث دراسة علمية وتقدير مقوماته واظهار خصائصه والاشارة الى ما يجب انماؤه وابرازه، وتعمل هذه اللجنة على ما يلى:

١ ـ تناول كتب الحديث والافاضة

● المجمع العلمى العراقى يبذل جهده لوضع مئات المصطلحات العلمية فى مجالات مختلفة فى العلوم والآداب.

فى استعراضها وتدقيقها واصنافها للكشف عن الاحوال الاقتصادية والسياسية فى صدر الاسلام، وبالخصوص فيما يتعلق بالكتب الموضوعة فى الصحابة والصالحين ومزايا جمعها ودرسها. كما تدرس اللجنة كتب الفقه والدين الاسلامى والعلم لاستنباط قواعد التاريخ والحضارة.

٢ ـ البحث فى وضع خطوط علمية لكتابة التأريخ العام للعرب والتمسك بمنهج البحث العلمى ومحاكمة بعض كتب التأريخ العربى، وبالنظر فى منهجة كتب الاجتماع والفهارس والمفاخرات والتطرق فى مسألة الرواية والنقل والاستنساخ.

٣ ـ تدارس النصوص التراثية كسيرة ابن اسحاق، وضرورة الاهتمام بمتابعة مصادره، أو ما يتعلق بكتب السيرة والمغازى، وأهمية الوثائق فى الخط العربى والمصطلحات الواردة فى الدواوين والكتب السلطانية وضرورة الاعتناء باسلوب المخاطبات.

لجنة التراث العلمى:

تدرس هذه اللجنة مفهوم ـ العلم ـ فى العهود الاسلامية والمراحل الاخيرة من عصرنا. وأهمية الطب فى تلك العهود، ودور التوثيق فى ذلك. . وتوصلت اللجنة الى المناهج العلمية التى تنمى ثقافة الأطباء وتجاربهم، وبحثت فى تطور التقنية فى مجالات العطور والاصباغ ومواد الأدوية والبناء، وقد وضعت أمام البحث مصادر الدراسة العلمية للشعوب القديمة، ومدى ملاءمتها للعصور الحديثة.

لجنة الهندسة:

انجزت هذه اللجنة عشرات المصطلحات الجديدة المتعلقة بالهندسة المدنية وقد أقر نشر المصطلحات التى تبدأ بالحرف (A.H).

لجنة علم النفس:

وتقوم هذه اللجنة بانجاز مئات المصطلحات الحديثة، من بينها مصطلحات حرف (A) كما انها تقوم بمشروعها الكبير فى وضع معجم لعلم النفس والطب العقلى.

لجنة التربية:

وعلى صعيد علوم التربية فقد واصلت لجنة التربية عملها فى وضع مصطلحات المعجم التربوى ودققت فيما سبق وضعه للحروف (A.B.C.) على وفق ما جاء فى «قاموس التربية» لمؤلفه Cartcr Cood وانجزت نحو ثمانمائة مصطلح جديد وتواصل النشاط لاستكمال مشاريعها التربوية.

لجان أخرى:

واضطلعت لجان أخرى فى الزراعة والكيمياء والقانون والاقتصاد والنشر والتأليف بإعداد وانجاز براجمها وتنفيذ جداول محاضرها بشكل دؤوب.

صلات المجمع وروابطه:

تابع المجمع العلمى العراقى تعزيز صلاته وتوثيقها بالمجامع العلمية العربية والمؤسسات المعنية بدراسة الميادين الثقافية التى يعنى المجمع بتنميتها. . كما ان المجمع يضم عدداً كبيراً من الاعضاء المؤازرين من علماء الأقطار العربية والاسلامية والغربية، ويقدم الكثير من هؤلاء الاعضاء معونات علمية لها قيمتها فى اداء المجمع واجبه.

فرنسا .. ومهرجانات الفرح

وصفوها بأرض الجمال والنور .. والعطور

ومئتا عام تمر . . منذ الثورة الفرنسية (١٧٨٩م) إلى عامنا هذا (١٩٨٩م) . . ومئة عام من الزمان على تشييد برج ايفل ١٨٨٧م.

وتُضاء القاعات والصالات . . وتتحول فرنسا بأسرها الى وهج وضياء . . تمتد الاحتفالات والمهرجانات فى فرنسا . . اشترك فى هذه المناسبة الوطنية أعلام الفن والغناء . . أعلام المثقفين والأدباء . . بل اشترك كل الشعب الفرنسى فى مهرجان الفرح .

■ «لوتيتيا» اسم أطلقه الرومان على العاصمة الفرنسية باريس . . وجاءها الاسم (باريس) من قبيلة (الباريزى) التى تحتل شمال وسط فرنسا . . حتى القرن الحادى عشر الميلادى كان الحى الذى يسمونه (لاسيتيه) أو جزيرة فرنسا هو كل باريس . . وكانت فرنسا مكونة من عدة مقاطعات لكل مقاطعة حدود دولية وسياسية .

وعبر القرون تبتنى فرنسا حضارتها وتشيد ذاتيتها وتصبح محط أنظار كثير من العلماء والفنانين والرسامين والشعراء وغيرهم من جيل النهضة ومَنْ تلاهم .

وتنشأ فيها المعاهد الاكاديمية والفنية والجامعات والمؤسسات العلمية والثقافية وغيرها . يؤمها طلاب العلم والمعرفة من البلدان التى استعمرتها ومن غيرها .

■ فى ١٢٥٧م كانت فكرة (روبرت دى سوربون) فى انشاء جامعة لدراسة اللاهوت . . واصبحت مرتبطة بالكنيسة والدراسات الكنيسه اللاهوتية . . ثم ادخلت فيها بعد ذلك دراسات أخرى حتى اصبحت من جامعات العالم المشهورة . . وفى قاعات السوربون اقيمت محاضرات

● بوابة النصر الشهيرة.



وندوات لعدد من المشاهير وقادة الفكر فى عصر النهضة مثل: غيرو ـ ميشليه ـ كوزان.

لا مجال فى هذه الالماحة ان نفصل الحديث عن فرنسا ولكنها مجرد لمحات سريعة فرضتها مناسبتها.

التغير الاجتماعى والسياسى فى فرنسا تبعه تغير ملحوظ فى المدارس الأدبية والفنية حيث نجد (**الرومانسية ـ الواقعية ـ الطبيعية ـ الوجودية ـ الخ**) وفى الفنون نجد: (**الانطباعية ـ التوحشية ـ التكعيبية**).. ونطالع فى الرسومات لـ: **دى لاكروا ـ كورو ـ ديكاس ـ رينوار ـ ماتيس ـ فلامنك ـ بيكاسو ـ سيزان** وغيرهم.. كما نطالع لمجموعة من اعلام الشعر والقصة والرواية.

برج ايفل

كان ذلك فى اليوم السابع من مايو عام ١٨٨٧م يوم احتفال فرنسا بمرور قرن على ثورتها الشهيرة التى انتصر فيها النظام الجمهورى. فى ذلك اليوم تحقق حلم بابل القديم المتمثل فى انطلاق برج من بطن الأرض بأعجوبة.

لقد استقطب هذا البرج العظيم كل الناس من جميع انحاء فرنسا، فالجميع كان متشوقا لرؤية ذلك الوحش الحديدى.

■ غستاف ايفيل هو صانع هذه الاعجوبة.. ولد بمدينة «ديجون» فى عام ١٨٣٢م درس الهندسة ارضاء لوالديه، ولهذا فقد فشل فى دراستها، مما دعاه للاتجاه الى الكيمياء التى نجح فيها وتخرج من كليتها عام ١٨٥٥م، ثم شرع فى البحث عن عمل على الرغم من ثراء اسرته، اشتغل مهندساً فى خطوط السكك الحديدية نهاراً ومساعد مقاول فى الصناعات الثقيلة ليلا، وهذا ما مكنه من انجاز مشاريع ضخمة منها جسر «بوردو» الذى يعتبر اول جسر يربط مدينتى «بوتى» و«ليموج» الفرنسيتين من هنا جاء تلقيب ايفيل برجل الجسور.

الا ان كل ذلك لن يكن ليرضى طموحات ايفيل الكبيرة فقد كان يحلم بانجاز عمل رائع يبهر به العالم.. عمل يحقق حلم بابل المتمثل فى انشاء برج عظيم يصل ارتفاعه الى ١٠٠٠ قدم.. ولقد تقدم العديد من المصممين لوزارة التجارة والصناعة الفرنسية بخصوص اقامة برج حديدى ذى قاعدة مربعة وذلك على ميدان «**الشونز دى مارس**» وفاز المشروع الذى قدمه ايفيل.. وقد قدرت تكاليف البرج بثمانمائة مليون واربعمائة لوبيل فرنسى «**عملة فرنسية ذهبية**».

■ بدأت اعمال الحفريات فى

● قصر فرساي.

المشـروع يوم ٢٦ من ينـايـر ١٨٨٧م ولم يكن المشروع ليبدأ بسهولة حيث واجه معارضة من قبـل سكـان المنطقـة المحيطـة بميـدان «الشـونـزدى مارس» الـذين اعربوا عن مخاوفهم من احتـمال وقـوع هذا العمـلاق الحـديـدى على منـازلهـم المجـاوره.. وكـان هنـاك من سكان المنطقة من رفع شكاوى ضد الحكـومة الفرنسية وبلدية مدينة باريس.

ومـا كان من ايفيل والحال هذه الا ان يتـعهـد بتحمـل المسئولية فى حال حدوث مكروه بما فى ذلك هدم البرج اذا لزم الامر.

وهكـذا تواصـل العمل فى المشروع رغم الصعوبات التى واجهها العاملون فيه مثل طبيعة التربة المقام عليها البرج وكانت من الطين، ووجود طبقة كثيفة من المياه، حيث ان نهر السين لم يكن يبعد كثيراً عن مكان الحفريات.

ولـكـن ايفيـل استطـاع بعـزيمتـه وثبـاته المعهودين ان يتجـاوز كل هذه العقبـات، وكانت مصانعه فى ذات الوقت تقـوم بصنـع القطـع الحديدية الـلازمـة للبرج مبـدياً فى ذلك مهارة ودقة نادرتين، اذ أنه وضع حسـاباً لكل شىء بما فى ذلك احتمال حدوث الهزات الأرضية.

وعلى سبيـل المثال لو وقع زلـزال وأدى الى تحطيم الـبرج فان بالامكـان اعادة تركيبه من جديد، وهنا تكمن عبقرية ايفيل.

■ وفى يوم الاحـد ٣١ مارس ١٨٨٩م رفع ايفيل بنفسه العلم الفـرنسى من الطـابق الثـالث للبرج، وفى تلك الـلحظـات التاريخية اطلقت المدفعية إحدى وعشرين طلقة.. ولقد تصادف فى الوقت نفسه ان هبت عاصفة ثلجية شديدة اهتز لها كل شىء فيـها عدا الـبرج الـذى صمـد امـامهـا بوزنـه البالغ ٧ مليون كيلو غرام من الحديد، وطوابقه الثلاثه التى تضم إربعة مطاعم فخمـة ومصعـده الكهـربـائى الـذى دخـل التـاريـخ كأول مصعد عرفته فرنسا.

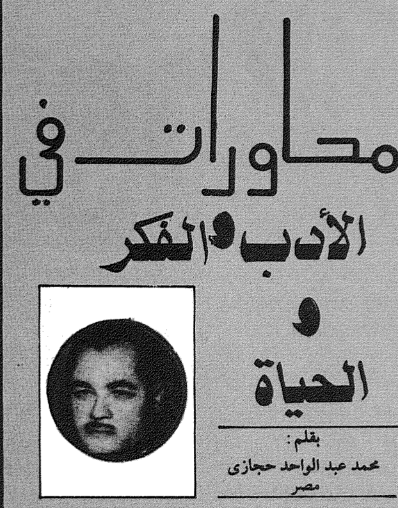
■ ومنذ ذلك اليوم دخل البرج فى عالم الاسـاطـير البـاريسيـة وتغنى به الشعراء مثل ابو لينير، وكوكتو ورسمه دولونى فى لوحاته الشهـيره.. كما استخـدمـه تريشات فى عام ١٩١٢ ليجرب منـه طائـرتـه، الا ان التجربة فشلت وتـوفى مخترعهـا «مخترع الطائرة».

■ وفى يونـيـة عام ١٩١٢ استخـدم الـبرج كأول محطة ارسال اذاعى فى العالم.. وفى عام ١٩٣٤م وضـع فى الـبرج أول جهاز تلفزيونى.. وفى عام ١٩٥٣ احتفل البرج بزائره رقم ٢٥ مليون.. وتوجد فى اعلى الـبرج شقـة زجـاجيـه محظـور دخـولهـا على الـزوار، اذا أنها ملك لورثة غستاف ايفيل.

■ ومن المفارقات الطريفه التى ترتبط بالبرج انه فى الوقت الذى لم يمت خلال عملية تشييده أى عامـل فانـه أصبح اليوم مكانا مفضلا للانتحار لدى اليائسين من الحياة.

وهكذا أصبح البرج مصدر دخـل كبـير لفـرنسـا اذ يؤمـه السائحون من جميع انحاء العالم.

ويكفى ان نقول فى ذلك ان برج ايفيـل هو أحـد عجـائـب الدنيا السبع.



محاورات في الأدب والفكر والحياة

بقلم:
محمد عبد الواحد حجازى
مصر

هذه المحاورات: الحياة عطاء . . والحوار حول معطياتها تجديد واثراء للعطاء . . ويظل التلازم قائماً بين الحياة وبين جدل الفكر الطامح المجنح، وما هذه المحاورات إلا شرائح من الحياة . .

هذه المحاورات: تتناول فيما تتناول الحياة والأحياء . .
الناس فى سلوكهم وتصرفاتهم وطرق تعاملهم مع أنفسهم والآخرين . . تتناول فلسفة الناس تجاه الحياة وتجاه بعضهم.

هذه المحاورات: مواضيع شتى، خواطر عدة، سوانح وملاحظات يربط بينها الانسان ورؤيته لكل ذلك . ثلاث حلقات نشرت من هذه (المحاورات) هى بالتوالى فى أعداد (محرم ـ جمادى الأولى ـ رجب ١٤٠٧هـ).

هذه المحاورات: جعلت (العيون) بداية محورها، تناولت المحاورة الأولى الحديث عن (العيون) وتاهت فى جمال العيون . . فالعيون هى الواحة التى يلتقى عندها العشاق ويتغنى بها الأدباء ويمتد بهم حديث (العيون) فى المحاورة الثانية . . اما المحاورة الثالثة فقد ارتنا (دموع العاشقين . . وكما يقولون (ما أجمل الحب، وما أشقى المحبين) وهنا نقف عند (عيون الناس) فالناس بين: محب ومبغض . . فرح وحزين . . حاسد وساحر . وقانا الله جميعاً شر (عيون) السوء .

المحاورة الرابعة

عيون ٤

- العين فى ذاتها لا تعرف الحـ
- نظرة المنفعة امكانية تكافـ
- قد يكون الحسود أخطر مـ

مضى ما يقرب من أسبوعين لم أذهب خلالهما إلى «جنينة الليمون» فقد شغلتنى أمور تتعلق بأسرتى فى القرية . . وما أحسب أيضا إلا أن أموراً قد شغلت صديقى وربما كان أكثر انشغالا منى فأنا أعلم مشكلاته مع أقربائه الذين استأجروا أرضه . . وما أبسط مشكلات الفلاحين وما أعقدها فى نفس الوقت . . وكانت الفترة التى قضيتها فى قريتى فترة استرواح واستجمام غيرت فيها هواء بهواء، وجددت فيها مناظر بمناظر . . فقد كان الهواء ندياً رخيا نسماته عبقة بعبير الأرض وكأنه يحمل أنفاس الحياة وإن كان فى بعض الأيام ثقيلاً راكداً من شدة القيظ فركد على الصدور مما جعل الناس يضيقون بالدنيا.

وكانت المناظر كما كان عهدى

الناس..

ـداع ولا تعرف التزييف ولكنها تقع ضحية لخداع الناس.
ـح من اجل تحقيق واقع ينفع صاحبه.
ـن العلو.. والقرآن تعوذ من الحسد.

بها هدوءاً ووداعة وخضرة ساجية تقر بها العيون وتنشرح لها الصدور ويرف لها الخيال رفيف الوئام والصفاء.. هكذا ريفنا منذ ثلاثة آلاف عام؟.. منذ خمسة آلاف عام؟.. لا أدرى، كل ما أنا على يقين منه أن الأمر أبعد من ذلك وأعمق فى ضمير مصر ووجدانها.. ومن ضميرها ووجدانها عرف الناس كيف يحبون وكيف يحيون.. ومن ضميرها ووجدانها علمتهم كيف يدافعون عن حبهم وحياتهم.. ومن ضميرها ووجدانها علمتهم كيف يبنون للحب والحياة.

هكذا أنت ياريفنا من قديم، ماء وخضرة.. وكلمة سلام.

وعدت بشوق كبير الى لقاء الصديق الطيب الكريم، وذهبت الى «جنينة الليمون» مبكرا على غير ما تعود منى وجلست أنتظره.. وما هى إلا دقائق حتى حضر مشرق الوجه بالود الأمين، وتصافحنا ثم جلسنا، ثم نظر إلىّ معاتبا.

■ وقال: ماذا يارجل؟.. عاش من شافك.. كيف حال من كنت عندهم؟

● قلت: خير

■ قال: ومالك تقولها هكذا وأنت ضيق الصدر؟.. هلا تركت هذا لى؟.. أهناك من يذهب الى الريف الكريم المضياف ويرجع مهموماً هكذا؟.. أهناك ما هو أحلى من الهدوء والجمال والخضرة والناس الطيبين البسطاء؟.. أهناك أشهى من طعام الريف، الفطير والجبن والقشدة واللبن الحليب والمحمرات والمشويات؟ هل تنكر هذه النعم أم أنك تتنكر لها؟. فضحكت من كل قلبى وكأننى لم أضحك من قبل وانتهز هو هذه الفرصة.

■ وقال: أزح عن نفسك هذا الكابوس الثقيل الذى رجعت به وعد إلى مرحك.

● قلت: ريفنا جميل وطيب وعريق، لكن آه من الناس.

■ قال: مالك وللناس؟

● قلت: وهذا هو سبب غمى هذه المرة

■ قال: غمك؟ هل حدث شىء؟ هل أصابك مكروه هناك؟

● قلت: أبداً، ولكننى عدت محزونا مما شاهدت وسمعت.

■ قال: الناس هم الناس يا صاحبى

● قلت: أعلم ذلك جيداً ولكن ما حيلتى؟.. هل تعرف ماذا يشبه كلامك؟ كلامك قريب من كلام



الطبيب الذى يقول لمريضه: لا تفكر. لا تجعل للهموم سلطاناً على نفسك.. وهل يعيش الناس بغير التفكير؟.. وهل تحيا النفوس بغير الهموم والزعل؟.

■ قال: كلام الطبيب صحيح، فما يقصده هوألا تبلغ الانفعالات النفسية درجة المرض الذى يؤذى الشعور والفكر والجسم.

● قلت: هل تقصد أن يعتدل الانسان فى عواطفه؟

■ قال: نعم..

● قلت: وكيف نضمن الاعتدال؟ وما حدوده؟.. الاعتدال فى العواطف شىء أقرب الى الفكاهة إذ لو اعتدلت أنا فمن يضمن لى أن يعتدل الناس فى عواطفهم ومشاعرهم ونياتهم؟.. ولو اعتدلت أنا فى عواطفى فهل أستطيع أن أحقق ما أصبو إليه أم أن تحقيق الأمنيات يتطلب معدلاً معينا فى سرعة العواطف؟.. إذ أن الناس متباينون فى إمكاناتهم وقدراتهم ومتمايزون فى أهدافهم وغاياتهم.

■ قال: إذن فما الذى يغضبك من الناس مادمت تعرف خلالهم، وخصالهم؟.

● قلت: إن معرفتى بهم هى سر ما أشكوه من بث وحزن.. لقد رابنى ما لم أشهده من قبل: رأيت نوعاً من الختل والخداع، ونوعاً من الغش والتدليس، ونوعاً من المغالطة والتزييف، ونوعاً من المراء والنفاق.. وكل ذلك نشأ باسم ماذا؟.. لا أدرى.

■ قال: ولماذا لا تدرى؟ باسم الحياة.

● قلت: عجبا لك يا أخى، وهل يزيف الناس باسم الحياة؟.. ويخدع بعضهم بعضا، ويأكل أحدهم لحم أخيه ميتا باسم الحياة؟ فأى حياة هى إذن؟

■ قال: هى الحياة التى تشغل أبصارهم وتملأ خيالهم.. كل منا يا صاحبى الأسيف الوجيع ينظر إلى الحياة نظرة خاصة، لأن كُلًا منا من أسرة أو عائلة، وللعائلة أو الأصل وضعها الاجتماعى والمالى. كما أن لها تطلعاتها وأخلاقياتها وطريقتها الخاصة التى تعامل بها أبناءها وتتعامل بها مع الناس.

ومحصلة ذلك أن لكل فرد شخصية معينة تحمل طابع أسرته كما تحمل الطابع العام للفطرة البشرية.. وبالطابع الخاص يجاهد الفرد فى تحقيق إمكانات الفطرة المحكومة بزمانها وبيئتها.

قلت: فالنظرة إذن رغبة فطرية فى تحقيق إمكانية؟

■ قال: وهل فى ذلك شك؟

● قلت: أتدرى بم يذكرنى كلامك هذا؟

■ قال: لا.. وعساه يذكركم بشىء طيب

● قلت: يذكرنى بقول أبى العلاء:

يحسن مرآى لبنى آدم
وكلهم فى الذوق لا يعذب
ما فيهم بَرٌّ ولا ناسك
إلا إلى نفع له يجذب

■ **قال: قول كريم ومعنى عظيم سوى أن فيلسوفنا يشتم الناس أجمعين.. فهو ينعتهم بأنهم**

مراءون، متظاهرون، يعبدون المراء والتظاهر.. كما أنه يزرى عليهم شغفهم بالتزين وبديع الرواء. فماذا أقول إذن؟.. هل يمج ذوق أبى العلاء بهاء الفتنة؟ هل ينفر قلبه من الحسن وجاذبيته؟.. بأى عين ينظر «حكيم المعرة» الى الدنيا؟.

■ قلت: - مستنكراً - بنظرة سوداء..

● قال: هى نظرة تشاؤم بغير شك.. لقد رمى بنى آدم بالقبح والسقم.. وأن الذوق السليم هو الذى يستقبحهم ويستهجن ألوانهم، وأشكالهم.. وذلك اتهام خطير فهو يسلب بنى آدم إحدى خصائصهم الفطرية.. ألم تُزين لهم الشهوات؟.. ألم يُرَغَّبوا فى الحسن والجمال؟.

■ قلت: الزينة رداء نستتر خلفه من أعين الناس ومن أعيننا ذاتها، قد نخدع بها الناس وذلك هو الشائع إن لم يكن هو الغالب.. وقد نهيىء بها أنفسنا أملاً فى تحقيق إحدى إمكانات الفطرة..

وما فى ذلك عيب، ولكن العيب أن نتخذ من حسن المظهر قنائص للأبصار فنسكرها به عن الحق الأمين ونخدعها عن الطريق الآمن المستقيم.

● قال: ولكن أبا العلاء يتهم الناس أجمعين فهم لا يُعْذَبون ولا يساغون..

■ قلت: عنده حق وألف حق.. وأظن أنك لا تنكر أن المخادعة والتضليل من أبشع الخلال وأغلب الصفات بين الناس.



● قال: أنا لا أنكر، ولكن أن ينسحب الاتهام على البَرِّ والناسك فذلك هو التشاؤم غاية التشاؤم.. وذلك هو التجنى غاية التجنى.

■ قلت: ليس فى الأمر تجن كما تتوهم.

● قال: كيف؟

■ قلت: البَرّ والناسك لا يُعرفان بغير مظاهر البر، وعلامات النسك تظهر على الجسم وتتجسد فى السلوك؛ فما لم تر العينُ المظاهرَ فلن تعرف بَرًّا أوناسكا.. فحين يتهم أبوالعلاء البر والناسك فهو لا يقصد باراً بعينه وناسكاً: بل يقصد المخادع المضلل بالبر والنسك.. يقصد الدجال المتبطل بالبر والنسك.. يقصد المزدهى المتخايل بالبر والنسك.. يقصد المتاجر المحاكى بالبر والنسك.

● قال: لكن هذا هو ما تراه عيوننا، فكأن عيوننا تخدعنا؟

■ قلت: العين فى ذاتها لا تعرف الخداع ولا تعرف التزييف ولكنها تقع فريسة أو ضحية لخداع الناس وتزييفهم من ناحية.. ومن ناحية أخرى فنحن نحب أن نرى ما تشتاقه نفوسنا وتنزع إليه إمكاناتنا. ولهذا فإن البصر يتجاذبه عاملان: نفس الغير، ونفس الذات. فنفس الغير تخدع بظاهرها، ونفس الذات تقع فى شرك الخداع نتيجة لطبيعتها وفى كلتا الحالتين فالعين تعانى من اصطراع الامكانات التى تحملها النفوس المكافحة.

وقد عبر أبو العلاء المعرى عن هذا المعنى وإن كانت وجهته فى أساسها على غير ما نذهب إليه..

فهو يقول:

رأوك بالعين فاستغوتهم ظنن
ولم يروك بفكر صادق الخبر
والنجم تستصغر الأبصار صورته
والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر

■ فهو هنا يحمل الطرف جانبا من المسئولية وذلك مما لا يمكن إنكاره.. ولذلك فقد جاء الاختلاف فى تفسير معانى الحياة نتيجة لاختلاف النظرة إليها تلك النظرة التى هى فى أساسها كيان قبل كل شىء.. فالشاب العاشق حين ينظر إلى الشمس لحظة شروقها يراها بعين الأمل المتفتح



والشوق اللهيف.. وليس كذلك يراها الشيخ الذى سكنت جوارحه.

وحين يرى الشاب العاشق غروب الشمس فهو يرى فيها غياب وجه الحبيب مما يثير لواعج الهوى ويشير الخيال بالأحلام والرؤى وما قد تحفل به من هواجس الغرام والعتاب والخصام..

أما الشيخ فقد يرى فى غروب الشمس ذكريات ماضية وقد يرى فيها نذيراً بقرب أجله وانقضاء عمره.

ولأمرٍ ما قالوا: «الكعكة فى يد اليتيم عجبة» واليتيم هو البائس المحروم الذى قطع من أبويه. فحين تقع فى يده «كعكة» فإنه ينظر إليها بعين دهشة تملؤها الفرحة وكأن الكعكة كنز عجيب ليس له نظير. عينه تنظر إليها باعتزاز، وأنانية تمنع فمه من أن يقترب منها حباً لها وإشفاقاً عليها.

ولعل هذا المثل يصور نظرة المحرومين والبؤساء حين يصيبون نعمة تطفىء قليلا من لظى حرمانهم وبؤسهم.. غير أن نظرة اليتيم الى الكعكة قد تؤجج ظنونه فيمن حوله فتغريه على الانتقام منهم حقداً عليهم أو للانتقام منهم استرداداً لما سلبوه منه واغتصبوه.

وبذلك أستطيع أن أؤكد لك أن النظرة الثائرة هى لباب كل تحول اجتماعى.

● قال: وما النظرة الثائرة؟.. نظرة ناقدة؟.. وما النظرة الناقدة؟.. أليست نظرة منفعة هى الأنانية الصرفة؟

■ قلت: هى نظرة منفعة، لكن ليس من اللازم أن تكون أنانية صرفة..

● قال: ومع ذلك فهى التى تؤلف وتعاطف بين الناس.

■ قلت: نعم.

● قال: فكأن النظرة النفعية هى التى تحدد طبيعة العلاقات الاجتماعية بين الناس.

■ قلت: وهذا يبدو لى صحيحا، فمن الناس من لا يزورك ولا يطريك سلاما أو يحتفى بك احتراماً وتبجيلا إلا من خلال المصلحة.. فإن كانت مصلحته عندك سعى إليك فإن قضيتها له تجاهلك بعدها ثم نأى بجانبه.. ومن هنا جاء شقاء الناس.

فنظرة المنفعة نظرة إمكانية.. تكافح من أجل أن تتحقق فى واقع ينفع صاحبه وهى فى كفاحها تصطدم بعقبات ومعوقات هى مادة الصراع والتناضل بين الناس.. وإنها للمادة التى تؤلف تاريخ الجنس البشرى منذ أرومته الأولى..

● قال: وكأنك تريد أن تقول إن التحاسد هو سبب الصراع بين الناس.

■ قلت: الحسد نظرة عين تُكَنّ ضغناً أسوداً خبيثاً بلغ من خبثه وما جره من مصائب أن نسج الناس حول عين الحسود كثيراً من الأساطير. اعتقدوا فيها اعتقاداً مطلقاً وسلموا بها تسليم الإذعان الذى لا حيلة لهم فيه.

■ ففى العصور الغابرة كان المصريون القدماء يتعوذون من العين الحاسدة بهذه الرُّقيَة: «هرول إلى الخارج انت يا من تأتى فى الظلمة، يا من تأتى إلينا وأنفه الى خلفه ووجهه فوق ظهره، إنى لن أسمح لك بأن

تأخذه منى . . لقد أعددت لك ما يحميه منك: من نبات إفت، إنه يسبب الآلام . . ومن البصل الذى يلحق بك الضـر، ومن الشهـد الحلو المذاق للأحياء من الرجال والمر المذاق لمن هم هناك (يعنى الموتى) . . ومن الأجزاء المؤذية من سمـك «إبـدو»، ومـن فك «مررت»، ومن العمود الفقرى للسمكة» . .

■ وأعتقد أن الايمان بقدرة العين على إيقـاع الشر بالغير ميراث مشـترك بين الشعوب كافة ـ أو هكـذا يخيـل اليهم ـ والأمـر فى حقيقته بيد الله سبحانه . . إذ لا تأثير لشىء على آخر ولا لإنسان على آخر نفعاً أو ضراً إلاّ بمشيئة الـله وحـده فهـذا هو المؤرخ «بلوتارك» يذكر لنا أن سكان طيبة عرفـوا بقـدرتهم على تدمير ما يريـدونه بنظـرة واحـدة من أحد أفـرادها . . وكتب «بليني» كذلك عن أنـاس يستطيعـون أن يبـدلوا أشكـال الأشيـاء بنظرة واحدة كما ذكـر «جريناكر» أن لفتيات قبائل «البوشمان» وقت حيضهن نظرات تحيل الرجل إلى شجرة.

ولكن ما قد يبـدو غريبا عند الناس هو أن التنافس أو التحاسد يشمل جميع أنواع الحيوانات ويزداد قسوة وضراوة بين أعضاء النوع الواحد .

■ قلت: ولعل هذا التقرير يشفى تساؤل أبى العلاء حين قال:



هل تعرف الحسدَ الجيادُ كغيرها
فالبهم تحسـد بينها غراؤها

● قال: ومن هنا كثرت الشكوى من الزمان والأيام . .

■ قلت: الزمان لا يمكن إنكاره والشكوى من الزمان لا يمكن تجاهلها .

● قال: ومـا الـزمان والأيام؟ وما هي طبيعة الشكوى من الزمان والأيام؟

■ قلت: أنا لا أتعامل مع الزمان إنما أتعامل مع الناس من خلال الزمان .

● قال: يظهـر أنـك تنكر الزمان والتـاريـخ . . وتنكر الشكوى من الـزمـان والتـاريـخ . . ألا ما كان أعمق المتنبى حين قال:

صحب الناسُ قبلنا ذا الزمانا
وعنـاهم من شأنـه ما عنـانـا
وتـولـوا بغصـة كلهم منـ
ـه وإن سرَّ بعضهم أحيـانـا
ربـما تحسن الصنـع ليـاليـ
ـه ولكن تكـدر الاحسـانـا

■ قلت: نظـرة المتنبى إلى الحياة نظـرة رجل أعمال طموح حريص على تحقيق أحلامه وأمانيه ولذلك جاءت حكمته حكمة عملية يقبلها أكثر الناس ويسلمون بعمقها وبلاغتها .

وأحب أن أطمئنك: إننى لا أنكـر الـزمـان ولا باستطاعتى أن أتجـاهله ولكننى أنكـر أن يكـون الزمان شيئا متعالياً على الوجود، أو شيئاً خارجاً عن دائرة الوجود إنما هو من طبيعـة الوجود . . فالوجود متـزمن بالـزمـان، إن أجيـز هذا التعبيـر، ولـذلك فإننى أتساءل: هل صحب النـاس الـزمـان، أم

● الحسد نظرة عين تُكِنّ ضغناً أسود خبيثاً بلغ من خبثه وما جره من مصائب ان نسج الناس حول عين الحسود كثيرا من الأساطير. . واعتقدوا فيها اعتقاداً مطلقاً.

صحب الناس الناس؟ . . وهل تولى من تولى بغصة من الزمان أم بغصة من الناس؟ . . وهل لياليه هى التى تحسن الصنع أم أن الناس هم الذين يحسنون ويسيئون؟ .

● قال: نعم، هم الناس. .

■ قلت: ولذلك فالشكوى من الزمان هى فى حقيقة أمرها شكوى من الناس. . أنظر كيف صور أبو تمام الأيام. . لقد قال فيها:

أثارتنى الأيام بالنظر الشزر
وكانت وطرفها لى غضيض

●● فهل نظرت إليه الأيام حقيقة أم أن من حوله من الناس هم الذين صوبوا أعينهم نحوه لحاجة فى نفوسهم؟

● قال: لا ريب انهم الناس تغيَّر هو نحوهم، أو تغيروا هم نحوه.

■ قلت: ويبدو أن الخصام كان عنيفاً إلى الدرجة التى جعلت أبا تمام يظن أن قد صارت لأيام الزمان عيون غاضبة حاقدة. . فهى تنظر إليه شزرا بعد أن كان الود شائعا تعبر عنه العيون وتنطق. . وعلى النقيض من ذلك حين تكون المحبة سائدة والرضى يضىء النفوس، فإن المرء يحس وكأن الأيام ترمقه بعيون فرحة. . كأن عيون الزمان ترمقه بنظرة الرضى والصفح الجميل. . لذلك كانت نظرة الأنانية النفعية ـ أو الحسد ـ مؤججة للقلق الذى يثير الخوف من الحاسدين حتى يتخيل المحسود أن كل ما حوله قد أصبحت له عيون تحسد وتمقت. . وذلك ما أحس به أبو فراس الحمدانى من المناوئين له نفاسة وحقدا فقال فيهم:

رمتنى عيون الناس حتى أظنها
ستحسدنى فى الحاسدين الكواكب.

■■ فبعد همته وشرف غايته أثارا المنافسة بينه وبين أقرانه مما جعله يتصور أن ليس المنافسون وحدهم الحاسدين، بل إن الكواكب البعيدة التى لا يستطيع أحد بلوغها ستحسده وتبغضه معهم. . وقد يكون البغض الذى يضمره الحسود بغضا أسود فيتمنى أن يصاب بالعمى حتى لا يرى غريمه وهو يرفل فى النعمة. . قال أبو العلاء المعرى:

وكم عين تؤمل أن ترانى
وتفقد عند رؤيتى السوادا

■■ فإذا قلت إن الحسد يورث فى الكفر أو يصير إلى الكفر فليس ذلك من قبيل المبالغة. . فاليهود دفعهم حسدهم للاسلام إلى تفضيل الكفر ومظاهرة الكافرين؛ قال سبحانه: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتوا نصيباً من الكتاب يُؤمنون بالجِبْت والطَّاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا﴾** (٥١ سورة النساء).

● قال: عجبا لهؤلاء القوم كفرهم القديم هو كفرهم الحديث؛ فالصهيونية العالمية تقرر فى بروتوكولاتها: ونحن نحكم الطوائف باستغلال مشاعر الحسد والبغضاء التى يتّوجها الضيق والفقر وهذه المشاعر وسائلنا التى نكتسح بها بعيداً كل من يصدوننا عن سبيلنا. . كما تقرأ أيضا: ولهذا السبب يجب أن نحطم كل عقائد الايمان، وإذ تكون النتيجة المؤقته لهذا هى إثمار ملحدين فلن يدخل هذا فى موضوعنا.

■ قلت: ولقد يتساءل بعض الناس أو تتساءل أنت نفسك: أيهما يا ترى أشد خطراً، العدو أم الحسود؟ وكيف نتقى عين كل منهما؟ وأبادر فأقول ما قاله الشاعر نور الدين الطغرائى (٥١٣هـ):

جامل عدوك ما استطعت فإنه
بالرفق يطمع فى صلاح الفاسد

واحذر حسودك ما استطعت فإنه

إن نمت عنه فليس عنك براقد

ورضى الحسود زوال نعمتك التى

أوتيتها من طارف أو تالد

فاصبر على غيظ الحسود فناره

ترمى حشاه بالعذاب الخالد

■■ فنظرة العدو إليك غير نظرة الحسود: نظرة العدو تنبىء عن اختلاف ظاهر صريح. موضوع تتنافسان عليه أو تتصارعان حوله.. كل منكما يبتغيه ويحرص على امتلاكه.. وكل منكما يشن حربه وفق ما يراه فلا مواربة هنا ولا استخفاء هناك.. قد يواربك العدو ويلبس عليك ولكنه «عدو» على كل حال، عدو عليم أنت به وواثق أنت مما ينظر إليه. ولذلك فأنت بنظرتك تحاول أن تقدر وتدبر كى تتخذ ما يبطل حيله وألاعيبه.

■■ أما الحسود فهو على غير ذلك، ليس بعيداً عنك وليس معادياً لك؛ ولكنه قريب ويتقرب وربما تودد إليك وتحبب.

إنه لا يجهر بالعداء ولكنه يُسْكنه أغواره الحالكة السواد مسدلاً على وجهه لمحة تعاطف مخادعة.. وذلك يقتضى الحذر لأن لمحة التعاطف هنا تموه وتزيف العداء الذى يتسعر به باطنه الرقيب المغتنم للسهو الغفلة.

واحذر حسودك ما استطعت فإنه

إن نمت عنه فليس عنك براقد

■ والحذر من الحسود يكون بالنظرة المضادة وهى النظرة الصابرة المصابرة التى لا تخدعها كلمات الحسود ولا تقلقها البغضة المتحيرة فى عينيه.. ولذا فإن النظرة المضادة - نظرة الصبر والمصابرة - هى خير عزاء، وهى خير دواء لأنها تقتل الحسود قتلاً وتبدد نظراته تبديدا، فتزداد حرقته وحسرته:

فاصبر على غيظ الحسود فناره

ترمى حشاه بالعذاب الخالد

■ وبذلك تكبح نظرة الحسود وتروع نفسه حتى تبدو الدنيا فى عينيه وكأنها أضيق من الخاتم كما يقال، أو كما قال الطرمّاح بن حكيم:

ملأت عليه الأرض حتى كأنها

من الضيف فى عينيه كفة حابل

■ وطفق صاحبى يضحك ضحكات مرحة خفيفة أشبه بالتهكم الرشيق..

وقال: لكن الناس لا يقرونك على نصيحتك ولا يرضون منك أن تتدخل فى شئونهم.. إذ كيف تطالبهم بأن يتخلوا عن وضع «خمسة وخميسة» على سياراتهم أو بداخل مكاتبهم ودكاكينهم؟.. وكيف تطالب صاحب العمارة الجديدة بألا يضع على واجهتها ذئباً محنطاً؟.. وكيف تطالب من أسمت ابنها: «شحته» أو «غراب»، أو «زعير» خوف الحسد بأن تتخلى عن الاسم الذى اختارته لأنه فى يقينها يقيه شر العيون وشر الزمان بل ويقيه خطفة الموت؟ إنك إن تطالبهم بذلك فلن تجد غير اجابة واحدة: **«الحسد ذكر فى القرآن يا أستاذ.. ألست مسلما»؟**.

وبذلك تجر على نفسك مشكلات قد تتطور إلى اتهامات.. ومن يدرى؟.

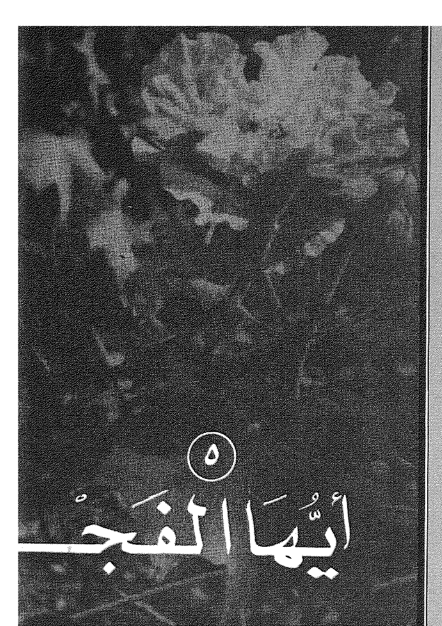
■ قلت: حقيقة ان الحسد قد ذكر فى القرآن الكريم، ولكنه جاء على غير ما أول الناس وفهموا.. فمسلكهم نحو الحسد تشوبه أثارةٌ من وثنية لا يرتضيها الايمان المنزه.. أنا لا أشك فى إيمانهم بأن الله واحد لا شريك له؛ ولكننى لا أقبل لهم تلك الأثارة الوثنية.

■ إن القرآن الكريم تطهير للعقل والفكر.. وهداية للعقل والفكر.. ودعوة للتعقل والتفكر.. وفوق هذا تطهير النفس الانسانية من أدران الوثنية ومعتقداتها الباطله.

ومعنى هذا أن القرآن الكريم يحتفظ للعقل بحيويته وطهارته، وفوق كل شىء بصلته المؤمنة الواعية بالله رب العالمين.

● البَرّ والناسك لا يُعرفان بغير مظاهر البر، وعلامات النسك تظهر على الجسم وتتجسد فى السلوك.





مناجاة يراع خفاق .. يستطيب التجربة وينفعل بالوجد .. يرتحل فى أعماق الذات الانسانية فيحصد المعنى المُعنّى .. ويتواصل مع نمير الكلم العذب فيطوع شارده ويعصف بركيكه وصولاً لغرض انفاسه فى طواعية واقتدار عبورا للمتلقى والمبدع على حد سواء.



عزيز ضياء

كانت تمشي وحدها
تصعد الجبل العالى لتسقى وردتها
وكانت تنظر بخضرة عينيها
بسواد أهدابها
بتفتح قلبها
وكانت ترى هنا وهناك
براعم الورود
منتشرة فى الدروب.

* * *

قالت اختها: ميلى الى الدرب السهلة
حيث تنبت الورود فى الرمال
فى صميم الرمال البيضاء
لا شوك لهذه الورود ولا شموخ
هى موطىء لقدميك العاريتين



* * *

وكانت تائهة عن أختها
تجرح قدميها اشواك الدروب
تحث الخطى الى هناك
حيث تنبت وردتها الوحيدة
فى مهب العاصفة
على القمة . . . فى شرفة الظلام

* * *

وتفتحت البرعمة الصغيرة
فى الصـــخرة
فى الصخرة العطشى المتحجرة
جميلة كالفجر . . . رائعة كالليل . . رحبة كالسماء
من دموع عينيها شربت فلم ترتو
من دمائها الحمراء اغتسلت
فكانت غرسة جديدة . . فى تربة غريبة

* * *

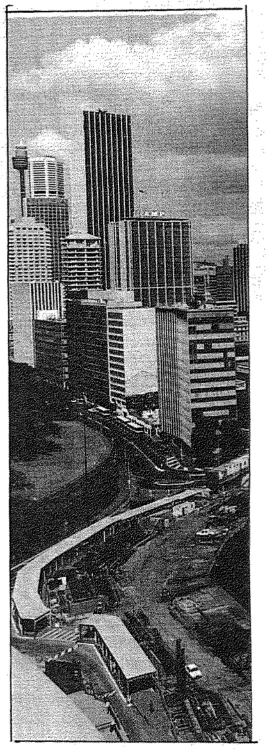
من يسقى براعم الورد . . . يا أخت الورد
من يمسح دمع الصباح . . . عن وجناتها المحمرة
من يضمها الى صدره . . . فى هزيع الليل البارد
من يقيها حرارة الشمس المحرقة

* * *

وانحنت على الصخر . . .
وشقت من ضلوعها الى قلبه طريقاً
وهمست فى أذنه . . . نفحة واحدة من نفحات حبها
وكرت على المنحنى، وهى تتمتم
ايها الصـــخر . . .
ايها الصـــخر . . . اسهر على وردتى . .

حالسنهله

حياته في المدينة



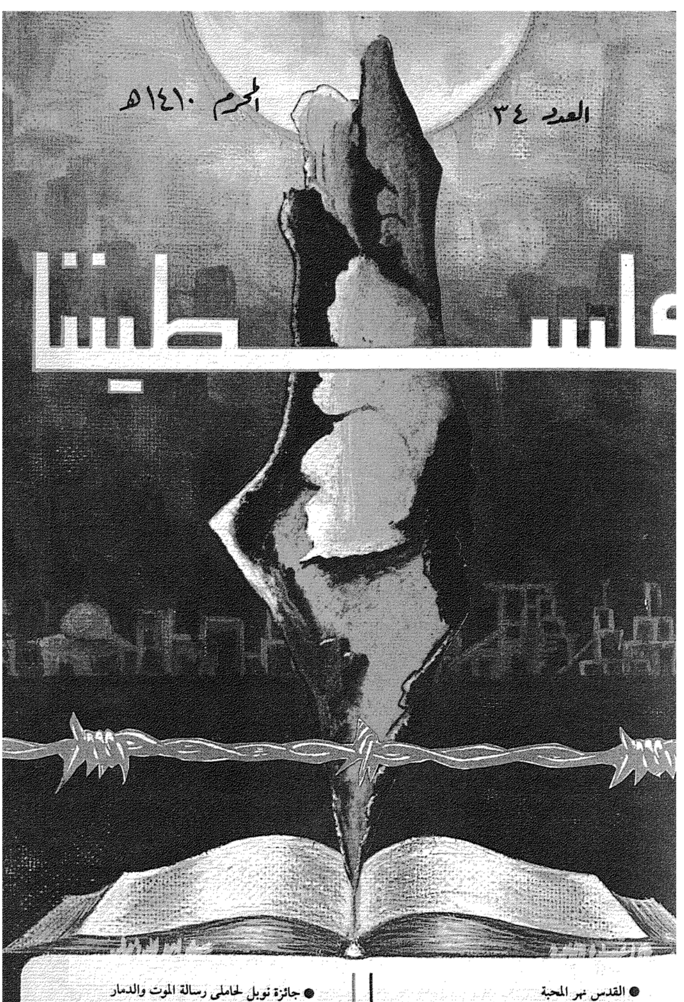
حياته فى المدينة . .
المدينة الكبيرة
بين الف عملاق
من حجر . . . من حديد . . . من شرر
غابات من حديد . . . ودخان . . . من ضجر
حياته فى المدينة . . .
المدينة الكبيرة .

* * *

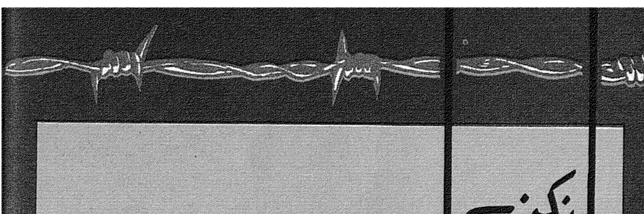
حياته فى المدينة . . . وملايين البشر
يأكلهم الشارع الطويل . . . تمضغهم الأرصفة
تحفر عيونهم . . . تثقبها الرؤى والصور

* * *

الـرؤى والصـور . . . ومـلايـين البشـر . . . فى صدورهم قلوب
لكنها من حجر
جمدها الضجر
رمدها الضياع . . . والضنى . . . والسهر .
حياته فى المدينة . . .
المدينة الكبيرة
لا أحد يشعر بها
لا احد يهمه أمرها
والشارع الطويل . . . لاهث منبهر
كل ما يرجوه . . . نظرة من قمر
لكنه . . . بعيد . . . فى ضمير القدر . .
كل ما يرجوه . . . ضائع مندثر . .



- القدس نهر المحبة
- من أعلام فلسطين
- الاحابيل الصهيونية فى العالم الاسلامى
- التلمود ودوره فى تاريخ اليهود
- جائزة نوبل لحاملى رسالة الموت والدمار
- الأدب الصهيونى وتشويه المرأة العربية
- الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح العدوانية



لنكن صرحاء

ولكن :. تنبت الأرض ألف وليد ووليد:

أتنبت الأرض ألف وليد و. . وليد. . صرخة عالية دوت فى أعماق هذا الجندى المسكين.

ـ مند أن وطئت أقدامنا تراب هذه الأرض رويناها بالدماء.

ـ انتزعنا الارض من أصحابها وانتزعناهم منها.

ـ اقتلعنا القرار السياسى المؤيد لنا اقتلاعاً من الدول الاوربية واميريكا.

ـ دخلنا حروبا كبرى من أجل إسكات هذا الصوت ـ صوت النضال ضدنا.

ـ بل من أجل اسكات كل صوت عربى ينادى بارض فلسطين.

ـ خط بارليف (الذى نسف. . ؟) ـ حزام الامان فى ارض لبنان. .

ـ هجرناهم حتى من مخيماتهم فى لبنان. . ومن لم يخرج نسفناه ومخيمه.

ـ بعد كل هذا . . تنبت الأرض منهم ألف وليد ووليد

وفرك الجندى عينيه . . كابوس . . هذا كابوس مزعج

ـ ما بنا ان رضينا بالسلام؟ سلام يكسبنا راحة البال . . واطمئنان الآمن. .

ـ وفلسطين تبغى السلام. . (ويربت على كتفيه الوليد) ويهمس فى أذنيه الوليد. .

ـ ما فتحت منظمة التحرير باباً للسلام إلا أوصدته اسرائيل وصدت عنه صدودا

ـ ما فتحنا باباً للحوار الهادىء إلا أغلقته اسرائيل ـ ومن وراء اسرائيل أمريكا.

ويظل اليهود ـ حمقاً وسفها من عند أنفسهم ـ يرمون الدفاع عن النفس بالارهاب. . وصد العداء بالوحشية.

ـ يرموننا بالقنابل الحارقة . . وان رميناهم بحجر قالوا: هؤلاء شذاذ آفاق، وقتله، وارهابيون.

ـ سادتى . . لنكن صرحـاء.

من منا يستحق ان يُهْوىَ به فى مكان سحيق؟؟.

فلسطيننا

القدس نهر المحبة

شعر الدكتور: محمد عليان
جامعة أم القرى ـ كلية التربية

عينـاك نهرٌ للمحبَّةِ فى دمى
بهما أشقُّ سحائبَ الأحزانِ
أيقظتِ فى قلبى أحاسيسَ الهوى
فطغى هواكِ على القدودِ البانِ
وسكنتِ فى أعماقِ قلبِ عاشقٍ
وأقمتِ فى عقلى وفى شريانى
وحملتُ عشقَكِ واحةً آوى لها
إنْ زاد فى ألمى بنو الانسانِ
وحسبتُ أنَّ البُعْدَ يبنى حاجزا
فإذا بشوقى دائمُ الغليانِ
بوركتِ يا أرضَ القداسةِ والمنى
ورعاكِ ربٌّ ماله من ثانِ
يا أرضَ إسراء النبىِّ محمدٍ
لا تحزنى فالنَّصْرُ دانٍ دانِ
لا تَذْرفى دمعاً فعينُكِ دُرَّتى
وسلاحُ قلبى العامرِ الايمانِ
عينـاكِ يا قُدْسى مناراتُ الهدى
للتائهين وكلِّ ذى حيرانِ
أين اغتربتُ فإنَّنى فى موطنى
ألقَى المودة من بنى عدنانِ
مازال طيرُكِ يا أعزَّ مدائنى
يشدو باسمِكِ أعذبَ الألحانِ
يا ثالثَ الحرمين كم قد شاقنى
وجدٌ إليك يفيض بالأشجانِ
هل شاقك الفاروق يأتى فاتحاً
أم زدتَ شوقاً للنبى العدنانى
أمُّ القرى يا قدسُ من أثر الجوى
تبكى بدمعٍ ساخنٍ هتَّانِ
يافا لهيبُ الشوق يذرع أضلعى
ويمُور فى قلبى هوى بيسانِ
حيفا وعكا قلعتان بموطنى
ازددن رفضاً للأثيمِ الجانى
هذى قُرانا والمدائنُ مِرْجَلٌ
يغلى ليمحق دابرَ الشيطانِ
صهيونُ ارحلْ لا مقام بارضِنَا
ودعِ البلادَ لأهلها والبانى
اغتلتَ وجهَ الفجر عِثْتَ بقدسنا
وزرعتَ فيها الحقدَ للإنسانِ
هيهات أن تنسى الأجنَّةُ حقَّها
للحقِّ سيفُ ماحق الطغيانِ
هلَّا سألتِ القدسَ يا بْنَةَ موطنى
عن خيلِ طارق عن بنى مروانِ
عن جندِ حُطِّينٍ وعن بدرٍ لنا
عن سيف مجد من بنى حَمْدانِ
تُنبئك أنَّ الفجرَ من رَحمِ الدُّجى
سيزيلُ كلَّ معالم الطوفانِ
ويسجلُ التاريخُ أعظمَ نَصْرِه
وتعودُ كلُّ شقائقِ النُّعْمانِ
والنَّرْجِس البرىّ يملأُ مُرْجَنَا
وأزاهرى أحييْتُ لنا بستانى
ويعودُ طيركِ يا بلادى شادياً
فوقَ المآذن فى ذُرا الأغصانِ
يا زهرة للكونِ يحميها لنا
ربُّ الخلائقِ مُنْزل الفرقانِ
يا قدسُ يا حباً أخبئه
فى القلبِ فى شريان شَرْيانِى
القدسْ نهرٌ للمحبَّةِ دائما
يروى القلوبَ وواحةَ الظمآنِ
للقدسِ عذب القول نبض عواطفى
أنت الثريا فى سما الأوطانِ

من أعلام فلسطين :

الصفحات الأخيرة من يوميات الأديب الفلسطيني

خليل سكاكيني

بقلم : زياد عودة

■ بينما كنت أقرأ يوميات الأديب الفلسطيني الراحل خليل السكاكيني المتوفى سنة ١٩٥٣ في القاهرة، والتي ضمها كتاب حمل عنوان «كذا أنا يا دنيا» . . وقد أشرفت ابنته هالة على جمعها وترتيبها واخراجها في كتاب صدر عن المطبعة التجارية في القدس سنة ١٩٥٥ ، لفت انتباهي في الصفحات الاخيرة من الكتاب بعض الصفحات الحزينة التي سجل فيها مأساة وطنه سنة ١٩٤٨ ساعة بعد ساعة ، ويوما بعد يوم ، يصف فيها الأحوال الخطيرة التي وصلت إليها فلسطين وخاصة مدينة القدس مسقط رأسه .

تلك الأحوال التي غيّرت مسيرة التاريخ : فصارت فلسطين العربية ملكا لأناس غرباء ، تآمروا على أصحابها الشرعيين ، وتمكنوا بقوة السلاح والمؤامرات أن يستولوا على قسم كبير فيها سنة ١٩٤٨ ليقيموا عليها ما يسمى بـ «دولة اسرائيل» وهي كارثة قومية وانسانية أصابت أبناء فلسطين في الصميم .

فلسطين منارة العلم والأدب ، أرض الاسراء والمعراج ، وثالث الحرمين الشريفين . ومهد السيد المسيح رمز المحبة والسلام . . تمثل للأمة العربية القلب النابض بالحياة والأمل بسبب اتصالها الطبيعي بمعظم البلدان العربية .

■ من أجل هذا لم تسلم هذه المنطقة من هجمات الغزاة والأعداء على مر العصور . . وجاءت الغزوة الاستعمارية الصهيونية في بداية هذا القرن لتزعزع الأمن في فلسطين والمنطقة العربية . . وتحقق للغزاة ما خططوا له وتم تشريد شعب بأكمله من وطنه بالقوة المسلحة ، ليسجل التاريخ صفحاته ، أبشع جريمة ارتكبها الصهاينة ضد شعب آمن فوق وطنه وأرضه .

هذا الشعب الذي فقد الوطن والدار والأرض والأمان ، فقد بالاضافة الى ذلك أعظم ذكريات عمره وحياته . . فكل بيت في فلسطين يحمل ذكرى عزيزة ورائعة لأبنائه الذين تركوه رغما عن أنوفهم على أمل العودة بعد أيام . . ولكن الزمن طال ، فقد انقضى على ضياع فلسطين أربعون عاما .

■ وقد خسر الأدب العربي الحديث في فلسطين بسبب ذلك ، ثروة ادبية رائعة ممثلة في المكتبات الخاصة والعامة والانتاج الأدبي والمخطوطات القيمة لكثير من شعراء وأدباء فلسطين الذين اضطروا الى مغادرة مدنهم وقراهم إثر تدهور الموقف في فلسطين وقيام الصهاينة باستعمال أقصى ما لديهم من أدوات الموت والدمار من أجل تنفيذ مخططاتهم الرامية الى احتلال فلسطين وضاعت مئات المخطوطات الشعرية والأدبية والعلمية التي لم يتمكن أصحابها من اخراجها معهم ، وصارت ذكرى مؤرقة لأصحابها تمثلت في فقدان وطنهم وحرمانهم من أجمل وأغلى الأشياء لديهم .

■ ومن الذين تأثروا بذلك الشاعر الفلسطيني الراحل عبد الكريم الكرمي «أبو سلمى» والأديب المؤرخ الراحل عبد الله مخلص ، وكذلك الأديب اكرم زعيتر ، والاستاذ مصطفى مراد الدباغ وغيرهم من أعلام السياسة والفكر والأدب .

■ وقد سجل الشعراء والأدباء لحظات الفراق بدماء قلوبهم ودموع أعينهم وهم يصفون مأساتهم ومأساة أبناء وطنهم بحرقة ولوعة . . تلك اللحظات التي صارت ذكرى أليمة يكتوون بنارها وهم في الغربة يعانون البعد الوطن .

■ لقد أحب السكاكيني وطنه حباً ملك عليه حواسه وسجل ذلك فى صفحات عديدة من يومياته فجاءت آية فى الرقة والجمال يعبر فيها عن حبه وانبهاره بوطنه الغالى فلسطين:

«لقد عرفت فلسطين كلها سهولها وجبالها مدنها وقراها وباديتها، تجولّت فيها مرارا فى الصيف والخريف والشتاء والربيع، ولا أجول فيها مرة إلاّ علمت قيمتها فى نظرى. لو اشتراها المشترى بكل مال الدنيا لكان الرابح ولو باعها البائع بكل مال العالم لكان الخاسر. ، كل قطعة فى الأرض قد تجد لها مثيلا وعنها بديلا الا فلسطين فلا تحولها مثيلا ولا عنها بديلا فيا حسن من يشتريها ويا سوء حظ من يبيعها، كل أرض فى العالم أرض إلا فلسطين فهى مناظر ساحرة فتانة».

■ وفى موقع آخر من اليوميات يسجل هذه الكلمات:

● «هذه الأيام أجمل أيام فلسطين، لو استطعت لجعلت حياتى سفرا مستمرا من قرية الى قرية استنشق الهواء النقى المغسول كأننى آكل ألذ المأكولات، أو أشرب أفخر المشروبات وأمتع النظر بأجمل المناظر التى تفاخر بها فلسطين العالم كله».

■ وظل أديبنا وفيا لوطنه، متمسكا بمنزله حتى فى أحرج الأيام واكثرها ضراوة حين اشتد القتال فى منطقة القلمون بالقدس، وهو الحى الذى كان يقيم فيه فاضطر للسفر الى القاهرة بعد أن وجد نفسه فى موقع لا يحسد عليه إثر الهجمات البربرية على القدس والتى ذهب ضحيتها مئات القتلى والجرحى.

فمن كلمة له بعنوان «لئلا ننسى» ثبتها فى يومياته، يصف ما مر به من أهوال وهو فى منزله بمنطقة القلمون بالقدس التى تم احتلالها من قبل الصهاينة سنة ١٩٤٨.

«نحن فى علياء القلمون بالقدس، الى الجانب الأيمن من ضواحى مدينة القدس. فى الشهر الرابع سنة ١٩٤٨، والقتال بيننا وبين المهاجمين مستحرّ مستمر، ولا يمر يوم إلا كان القتال فيه أشد منه قبله.

● القتال مستحر مستمرّ تمر الليلة ونحن أيقاظ لا تأخذنا سنة ونحن وقوف فى الطبقة السفلى من الدار وراء أكياس الرمل لا نقعد ولا نصيب شيئا من الراحة.

● القتال مستحرّ مستمر، والنجدات تأخرت والعتاد أوشك أن ينفد.

■ أما (القائد) ابراهيم ابو دية فانتقل برجاله الأبطال الى مكان آخر قريب ليستأنف القتال، أما نحن فقد ترددنا كثيرا قبل أن أجمعنا على ترك تلك الناحية الى أجل قريب.. أوعينا فى حقائبنا بعض ما نحتاج اليه من الثياب، وتركنا سائر الأشياء فى بيتنا الى أن نرجع..؟

■ حرصت أن آخذ دفاترى وأوراقى لعلى أحتاج إليها، ولكن نسيت الجميع.. وها هو يناجى داره، تلك الدار التى كانت تمثل له الوطن والأهل والحياة:

«الوداع يا دارنا يا مستودع الأمانات يا مجمع الخلان، يا مقصد الزوّار واالسمّار فى الليل والنهار. لم يكن يمر بك أحد ولو ابن سبيل إلا دخل فشرب القهوة.

● الوداع يا دارنا، يا مستقر القيادة يا ملتقى أقطاب السياسة ورجال الصحافة وكبار الخطباء والفنانين من مصر ولبنان وسوريا والعراق».

ويعرج على وداع مكتبته، تلك المكتبة التى كان لها منزلة خاصة فى نفسه: «الوداع يا مكتبتى يا دار الحكمة، يا رواق الفلسفة، يا معهد العلم، يا ندوة الأدب كم أحببت فيك الليالى الطوال أقرأ وأكتب والليل ساج والناس نيام ولا يهون من وجدى إلا أنى نقلت يومياتى وهى كثيرة تملأ ألوفا من الصفحات الى مكان أمين.

الوداع يا كتبى النفيسة المختارة.

الوداع يا كتبى لست أدرى ما حل بك بعد رحيلنا.

الوداع يا كتبى يعز على أن أحرم منك وأنا على أهبة الرحيل من هذه الدنيا.

وفى غربته فى القاهرة كان يحن الى العودة الى فلسطين المغتصبة ذلك الحنين الرائع الذى لا حدود له.

وظل يلهج باسم فلسطين يمنى نفسه بالعودة السريعة إليها، وهو الشيخ المسن، الى أن فارق الحياة يوم الخميس مساء فى الثالث عشر من شهر آب ١٩٥٣م بالقاهرة عن عمر يناهز الخامسة والسبعين عاما ودفن فى القاهرة بعيدا عن مسقط رأسه وموطن ذكرياته.

الأحابيل الصهيونية في ... العالم الإسلامي

اهداف اسرائيل

انه لامر مؤكد ان القادة الصهاينة وعلى رأسهم اسرائيل فى محاولاتهم من اجل استيطان اليهود فى الارض الموعودة المزعومة انها يتحدون العالم الاسلامى باسره. وجدير بالذكر ان محاولاتهم هذه ليست جيدة بل لها ماض يصل إلى ١٥٠ سنة على ان تطبيقها يتم بمراحل.

●● **كان الهدف الاول** من اهداف الصهيونية هو اسقاط الامبراطورية العثمانية لانه تبين لليهود بشكل قاطع ان فلسطين لن تكون ديارا لاسرائيل بدون اسقاط هذه الدولة الاسلامية. وقد نجحوا فى تحقيق هذا الهدف.

●● **كان الهدف الثانى** هو تمزيق العالم الاسلامى الى اجزاء صغيرة. ونجحوا فى هذا الهدف ايضا.

●● **كان الهدف الثالث** هو فصل الشعب التركى عن العالم الاسلامى.

●● **الهدف الرابع** هو ابعاد الشقة بين دول العالم الاسلامى، وتسعير الانشقاقات الموجودة بحيث تتحول الى مواجهة بالسلاح. ومثال ذلك الحرب العراقية الايرانية، اذ واجه فيها المسلم اخاه المسلم لكسر شوكته، وبالتالى ضعفت القوى الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية فى كلا الطرفين. . لقد صرح مسؤول اسرائيلى عن رأيه عندما سئل عن الحرب العراقية الايرانية قائلا: «**اننا نستمتع بمشاهدتها**». وهذا الجواب بحد ذاته يحمل معان كثيرة.

●● **الهدف الخامس** هو التستر وراء القوى الكبيرة لتبنى الدعاية لمن يؤيد قضيتهم من البنوك والشركات الدولية ومؤسسات الطبع والنشر القوية، والرفع من شأن من يؤيدهم من الشخصيات واسكات كل الاصوات التى ترتفع ضدهم، واخمادها واضعاف فعالياتها.

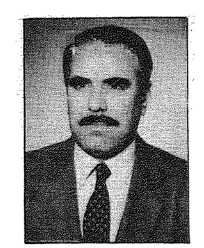
●● **الهدف السادس** من اهداف الصهيونية هو سد الطريق على اية محاولة تسعى الى الوحدة والتكامل والتطوير بين دول العالم الاسلامى باى شكل من الاشكال. وقد اخذوا بنظر الاعتبار جميع التضحيات التى تتطلب ذلك فى ازالة تأثير خصومهم.

●● **اما الهدف السابع** والمهم جدا فهو الوقوف حجر عثرة امام تطور وتنمية العالم الاسلامى وبشكل خاص التحول الى الصناعة الذرية وامتلاك الاسلحة الذرية ومعرفة مثل هذا التحول اينما حدث، وازالته فورا دون السماح بتطويره.

■ لقد ضربت الطائرات الاسرائيلية مركز المفاعل الذرى العراقى سنة ١٩٨١م بشكل خاطف وكانت فرنسا هي التى تدعم العراق فى اقامة مثل هذا المركز.

لماذا تخيف القنبلة الذرية الاسلامية الصهيونية؟

■ الصفحات التالية عبارة عن ترجمة ثلاث مقالات نشرت في الجريدة اليومية التركية «تركيا» اعد هذه المقالات : احمد آرواسي، وهو صحفي تركي مشهور له عمود في الجريدة المذكورة. لقد جمعت هذه المقالات تحت عنوان واحد، لأنقلها الى قراء مجلة المنهل الغراء. وبالرغم من ان بعض افكار المقالات السابقة معروفة للجميع الا ان عبء التذكير يقع علينا عسى ان تنفع الذكرى المؤمنين. اضف الى ذلك فان المقالات لا تخلو من ملاحظات ذات اهمية. آمل بعملي هذا أن أكون قد اديت واجبا نحو ديني واخوتي.



د. انور طاهر رضا
تركيا

طالما ان القادة الصهاينة هم الذين يوجهون اسرائيل واليهودية في العالم فان اليهود في ورطة من امرهم. ان هدف اقامة دولة يهودية من النيل الى الفرات انما يضع اليهود لا في مواجهة العرب فحسب بل في مواجهة العالم الاسلامي جميعا.

يرى القادة الصهاينة انه لن يكون هناك سلام قبل تحقيق الارض الموعودة. ولكن الفرص تستغل للقيام بالاعيب السلام المزيفة.

رغم ان الصمود الاخير للفلسطينيين وضع القادة الصهاينة في موقف حرج جدا الا ان امل النصر لدى الصامدين يبدو بعيدا. وما تعلمناه من وسائل النشر والطبع ان القادة الصهاينة قد احتاروا من امرهم امام الاطفال الفلسطينيين الذين يستخدمون الحجارة لمواجهة اليهود. وقد استخدموا تدابير للقضاء على هذه الثورة بحيث تنسى قساوة هتلر، الا انهم حصلوا نتيجة لذلك على كراهية العالم باجمعه. اضف الى ذلك فان الرأى العام العالمى ادرك جيدا حق الفلسطينيين. ومع ذلك فان القادة الصهاينة يستعدون لضم جميع الاراضى الفلسطينية الى اسرائيل.

■ لقد تعلمنا من بعض وسائل النشر والطبع ان الظلم الصهيونى قد اثار ردود فعل قوية فى اوساط كثيرة فى العالم بحيث ان اليهود الموجودين فى اسرائيل والعالم بدؤا يخشون ذلك. ويقال ان البعض منهم اضطروا الى تقديم احتجاجات الى دولهم وحكوماتهم. ومن يدرى ولربما بين هؤلاء اناس هم ضد الصهاينة المغامرين فعلا. على ان كثيرا من وسائل الاعلام حاولت ان تثبت بالصور ان المدنيين اليهود فى اسرائيل شاركوا الجنود اليهود القساة فى محاولاتهم لسحق الفلسطينيين المسلمين. وهذا يعنى ان الصهيونية تجر اليهود كما تجر نفسها الى كارثة.

■ يواصل القادة الصهاينة ظلمهم فى الوقت الحاضر دونما خوف من اى شىء. وقد استعدوا لذلك وخططوا له قرونا طويلة. ان المصدر الوحيد لخوفهم هو استيقاظ العالم الاسلامى وتعاونهم، والاعتماد على مصادرهم الطبيعية، وصنع الطاقة الذرية والسلاح الذرى. نعم ان الرعب الذى يعانى منه الصهاينة هو القنبلة الذرية الاسلامية. ذلك لان هذا السلاح سيكون يوما ما الملجأ المادى الوحيد للعالم الاسلام.. لابد وان يتملك هذا السلاح. وليس هذا الامر بمزاح، فان الالاعيب من قبل الصهاينة بدأت تتطور.. نعم ان العالم الاسلامى لابد وان يستعد لحرب البقاء.

ان الحوادث التى تجرى فى جنوب شرق الاناضول فيها اصابع صهيونية ايضا ضمن ما فيها من اصابع. فالصهيونية ترجح الدخول معنا فى حرب غير مباشرة بدلا من الحرب المباشرة. ذلك لان سلب الجنوب الشرقى من الاناضول من الاتراك صعب الا ان سلبه من دويلة مصطنعة امر سهل للغاية.

جهود اسرائيل فى فصل الاتراك عن العالم الاسلامى

يجب الا ينظر الى دور الصهيونية بعين الاستصغار بجانب كثير من القوى الامبريالية التى جاهدت من اجل عزل الشعب التركى عن الاسلام والعالم الاسلامى وبخاصة اذا حللنا الاحداث التى جرت فى الـ١٥٠ سنة الاخيرة بشكل خاص فان ذلك يظهر بوضوح.

ومثل هذا التحليل يقع على مؤرخينا اكثر مما يقع علينا. ان الجهود التى بذلت فى هذا الموضوع والتى تبذل فى الوقت الحاضر ليست بدرجة صغيرة. وهكذا فقد نُشِرَتْ فى بلدنا كثير من الكتب والمقالات التى تلقى الضوء على هذا الموضوع، ولا يزال غيرها ينشر تباعا. انصح قرائى الشباب ان يبحثوا عن هذه الكتب واحدا اثر آخر ويقرأوها وينقدوها. فانا احاول ان اشير الى البعض منها فقط.

■ فى سنة ١٤٩٢م سقطت الدولة العربية - الاسلامية فى الاندلس - واسس الحكم المسيحى هناك مرة اخرى. لقد سام الاسبان الاسرى الافراد والجماعات المسلمين واليهود الذين وقعوا تحت ايديهم اشد العذاب، بما لا مثيل له فى التاريخ. كانت البحرية العثمانية تسيطر على البحر المتوسط فى تلك الفترة، وقامت بما تستطيع ان تقوم به، اذ هربت المسلمين واليهود الذين كانوا يعانون تحت الظلم القاسي على شكل جماعات وانقذتهم من ذلك. رجحت جماعات المسلمين الاقامة فى شمال افريقيا، بينما رجحت اليهود اللجوء الى الممتلكات العثمانية. وهكذا حصل ونتيجة لذلك فقد استقرت الآلاف من اليهود فى استانبول وسلانيك.

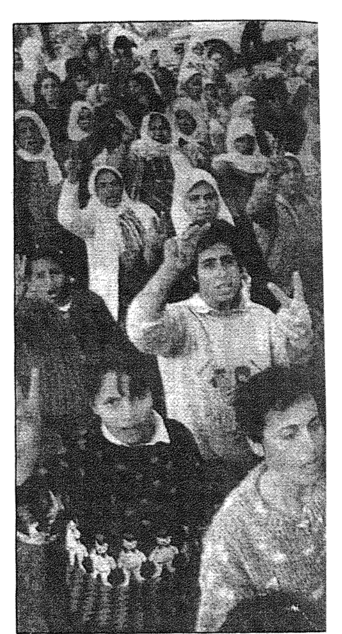
عاش اليهود حياة حرة لم يجدوها منذ عصور. كانت النتيجة انهم امتلكوا اموالا كثيرة، فحسنوا من اوضاعهم. الاجتماعية. لم يتدخل احد فى شئونهم الدينية او فى لغتهم او الارباح التى حصلوا عليها، الى درجة ان بنتا يهودية استطاعت ان تسرق قلب السلطان سليم الثانى، حيث تزوجها، واطلق عليها اسم السلطانة نور بانو، واضحت عروس الدولة العثمانية فى قصر بيلاجيك. ارتقى بعد ذلك



خالها ياسف ناصى، ليكون يوسف ناصى، وتولى فى القصر وزارة الخارجية. وبعد فتح قبرص عين هناك اميرا. وقد تعلمنا فيما بعد ان ياسف ناصى، عندما كان اميرا على قبرص، وضع الحجر الاساسى لاسرائيل اليوم بتأسيس ست قرى يهودية.

■ لقد قرأنا فى الصحف ان يهود هذا اليوم سيقيمون فى سنة ١٩٩٢م احتفالات واسعة على النطاق العالمى بذكرى مرور ٥٠٠ عام على قبول العثمانيين لهم، وتذكر فضل الاتراك عليهم. ولا شك ان ذلك تنظيم من نوع آخر. والهدف منه هو عزلنا عن العالم الاسلامى، والا فاين اليهود من رد الفضل على العثمانيين الاتراك؟.

يعرف الكل، او حتى السلطان الاصم، ان



الصهيونية العالمية قد بذلت ما فى وسعها من اجل اسقاط الدولة العثمانية خلال العصور التاريخية، وذلك بالتعاون مع اعدائها. حتى يمكن ان يقال ان الـ١٥٠ سنة الاخيرة كانت عبارة عن حرب تركية ـ صهيونية غير مكشوفة اديرت بمكر من اجل اسقاط امبراطوريتنا. كان اليهود فى الجزيرة العربية اكثر عروبة من العرب انفسهم، وفى البانيا اكثر البانيةً من الالبانيين انفسهم، وفى تركيا اكثر تركية من الاتراك انفسهم. ولا مجال لذكر اهانات كتابهم وعلمائهم واحدة اثر اخرى. لذلك فاننا نكتفى بذكر بعض الاسماء. فمثلا كان أ. ونبرى فى تركيا قد اقام نفسه مدافعا عن اللغة التركية، بينما كان هو فى الاصل جاسوسا يكتب تقارير ضد الامبراطورية العثمانية الى القصر الانكليزى.



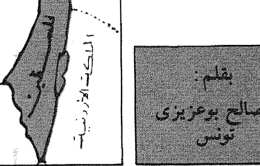
وهو يهودى، ومن مواليد المجر. كذلك كان مويز الب تكين وليون كاهون من المتركين اليهود الذين دخلوا الدين الاسلامى كذبا ورياء. كانا يدافعان عن فكرة ان الاتراك انما يهينون مدنيتهم القديمة المتقدمة. ولم يكونا اصلا الا جاسوسين.

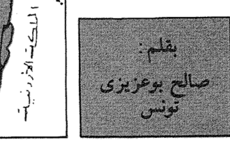
■ ومن يكون قرة صو غير جاسوس؟ وقد انزل من العرش الداهية الكبير السلطان عبد الحميد الثانى. كان هذا بدهائه يحافظ على الامبراطورية العثمانية. وخلال عشر سنوات سبب تقطيع اجزاء الدولة العثمانية. الم يتعاون الجواسيس الصهاينة مع الاعداء فى سوريا وفلسطين خلال الحرب العالمية الاولى، واطلقوا الينا الرصاص من الخلف؟ ان الاعتماد على صداقة الصهاينة واثارة العداوة والبغضاء بين المسلمين، وكسر شوكة احدهم بالاخر، ما هو الا حماقة. وفى هذه اللحظة بالذات فان الصهيونية تبحث عن الطرق الكفيلة لعزل الاتراك عن الاسلام والعالم الاسلامى. ان بن زوى رئيس دولة اسرائيل التى اسست سنة ١٩٤٨م، وبن جوريون رئيس وزرائه فى تلك الفترة، ما هما الا يهوديان صهيونيان من مدينة استانبول.

التلمود ودوره في تـــــ

● يتجه الفكر اليهودى الى تحديد مصدر التلمود فيعتبرونه منزلاً من السماء وبعضهم يعتبره من وضـــ

● رغم التصوير الاسطورى للتلمود إلا ان اليهود لا يزالون يعتبرونه أحد اهم كتبهم الشرعية.





■ العلاقة بين اليهود وبقية الشعوب مرت بتوترات وأخذٍ وردٍّ نتيجة للتعصب اليهودى والانحرافات التى أصابت اليهودية وجعلت اليهود يتقوقعون على انفسهم ليخرجوا بعد غيبوبة دامت قرون كثيرة بفكرة تكوين «وطن اليهود» وبعد أن عاشوا فى أمان فى مختلف انحاء الوطن العربى والاسلامى أصبحت العلاقة اليوم متوترة نتيجة للغدر اليهودى ومحاولة تكوين وطن لليهود على حساب العرب والتى آلت إلى تصارع وتطاحن لا يزال أواره يشتعل إلى يومنا هذا.

وقد لعب الفكر اليهودى والعامل العقائدى دوره الى جانب العامل السياسى فى إمداد هذه المعركة بطاقة ممولة تزيد فى حدة هذا النزاع وكما هو معلوم فإن كل العوامل المذكورة آنفا لم تلعب هذا الدور، فقط فى معركة المسلمين اليوم مع اليهود، بل هى قديمة قدم التاريخ اليهودى..

وقد أردت فى هذا البحث أن أكشف الستر عن أحد أهم الركائز الفكرية العقائدية الموجهة للمسار الاسرائيلى اليوم واليهودى عبر التاريخ ألا وهى: **«التلمود ودوره فى تاريخ اليهود»** الذى يعتبر الكتاب الرئيسى والمشرع الهام إلى جانب التوراة - فى حياة اليهود - إذاً ما هو التلمود؟ وما هو دوره فى تكوين الفكر اليهودى؟ وما هى نتائج ذلك على مسار العلاقة الاسلامية اليهودية؟.. هذا ما سنتعرض له فى هذا البحث ولكن بدون تعمق فى الموضوع.

■ ***التلمود معناه «التعليم» وهو أحد المشروعات اليهودية يتكون من جزئين «المشناه» وهو الاصل و«جمارا» وهو شرح لمشناه:***

(١) مشناه معناه **«المعرفة»** ويزعم اليهود أنه أنزل على موسى عليه السلام بطور سيناء ثم انتقل عبر تواتر الاجيال حتى القرن الثانى للميلاد فقام أحد الحاخامات ويدعى «يهوذا هاناسى» بجمعه ولكن التاريخ يثبت أن مشناه هو أول لائحة قانونية وضعها اليهود بعد التوراة وقد تفننوا فى وضع الاحكام الشرعية التى احتواها بما يوافق اهواءهم.

ويحتوى المشناه على ستة احكام:

١ - الحيـــاة الزراعيـــــة.
٢ - الصيـــام والاعيـــــاد.
٣ - العلاقـــة الزوجيــــــة.
٤ - القوانين المدنية والجنائية.
٥ - قوانيـــن الصـــــلاة.
٦ - قوانيـــن الطهـــارة.

وعند الرجوع الى اصل هذه الاحكام فإن بعضها يرجع الى الحاخامات وبعضها مجهول المصدر.

(٢) والجمارا معناه **«التكملة أو الاكمال»** وهو ينقسم إلى قسمين:



ريخ اليهود

ـع الحاخامات وآخرون يعتبرونه جاء ليكمل التوراة . .

● تمسك اليهود بالأرض يقوم على الجانب الدينى

● جمارا فلسطين وقد سجل حوالى سنة ٤٠٠م بـ (أورشليم).

● جمارا بابل وقد سجل حوالى سنة ٥٠٠م.

■ وجدير بالذكر أن التلمود قد نسخ على عدة حالات وتفنن الحاخامات ورجال الدين اليهود فى شرحه وجمعه وزيادة فصول وحذف أخرى وسن قوانين وإبطال أخرى وذلك تماشيا مع الاهواء اليهودية ومصالحها العامة . . فتلمود أورشليم حذفت بعض قوانينه واحكامه وأبدلت بأخرى كلما عنَّ لليهود ذلك وهذا دليل على أن اليهود زيفوه ليوافق حياتهم خاصة فى القرون الوسطى وسط المجتمعات الغربية (أوروبا) كما حدثت تغييرات فى تلمود بابل نتيجة للعلاقات المتوترة بين المسيحيين واليهود فى القرون الوسطى والتى أدت إلى تعدد مخطوطاته وعدم اكتمالها وتوافقها.

■ ويتجه الفكر اليهودى إلى تحديد مصدر التلمود فيعتبرونه منزلاً من السماء ولكن بعضهم يعتبره من وضع الحاخامات اليهود ولكنهم فى الأخير يتفقون على أن التلمود جاء ليكمل التوراة ذلك بأنه أضاف إليه بعض الاحكام والقوانين التى تلائم الواقع اليهودى وتخدم مصالحه عبر الازمنه . . ويقول أحد اليهود «إن نداء مقدسا قال: كلمات هذا (أى التلمود) وذاك (أى التوراة) كلمات الله الحى» وهذا ما يؤكد الافتراءات اليهودية على الذات الالهية ونسب التلمود لها رغم ما يحمله من بهتان وضلال كما أنهم واجهوا المسيحية بشدة ووصفوا المسيح عليه السلام بالساحر وقد وصفوه كذلك باوصاف يصعب ذكرها.

وهذا ما جعل الكنيسة بأوروبا تقع فى صراع معهم مدة طويلة أدت احيانا إلى إحراق التلمود ومنع قراءته . . كما يرون أن الخطيئة وراثية وأن خطأ آدم يعود على ابنائه ولابد أن يكفّروه . . كل هذه الترهات هى قليل من كثير من ترهات وأساطير الفكر التلمودى اليهودى حتى يصل بهم التهور إلى القول بأن السحر منزل من الله عن طريق الانبياء الذين نقلوه إلى الحكماء.

ويذكر ظفر الاسلام خان فى كتابه «**التلمود تاريخه وتعاليمه**» فيقول: ظهرت البدعة الصهيونية (فى القرن التاسع عشر) التى نادت لأول مرة بالعمل لاقامة دولة يهودية ولم يكن قادة الصهيونية قد اتفقوا فيما بينهم أول الأمر على الارض التى تقام عليها دولتهم اليهودية: فى أوغندا أو الارجنتين أو أوستراليا؟ وكانت خريطة أوغندا تزين منصة المؤتمرات حتى سنة ١٩٠٤م . . وحتى ذلك الوقت لم تكن علاقة اليهود بفلسطين أكثر من علاقة روحية.

والحقيقة هى أن الحركة الصهيونية السياسية لم تتمكن من الاستيلاء على فلسطين العربية إلا بسبب أطماع بريطانيا فى بقاء الاستعمار، من ناحية ولإحلال قوم غرباء فى المنطقة التى كانت ستشهد عما قريب حركة وحدوية غير عادية بسبب العلاقات التى تربط بين الشعب الذى يعيش من الخليج العربى إلى المحيط الاطلسى. وهذا ما يفسر الحقد الصليبى اليهودى ضد الاسلام والذى رأى فى الصهيونية العالمية قوة حيوية مساعدة له للنفوذ فى العالم الاسلامى من العمق واجتثاث كيانه تدريجيا وهكذا أقيمت إسرائيل فى عمق الوطن الاسلامى ورغم التصوير الاسطورى الذى صبغ به التلمود فإن اليهود لا يزالون يعتبرونه أحد أهم كتبهم الشرعية.

■ *وأخيرا وفى عجالة لابد من أن أوجه نداء إلى الطاقات الفكرية فى العالم العربى والاسلامى لتنكب على دراسة الفكر الصهيونى واليهودى بعمق لأننا لا نستطيع أن ندفع أذاهم مالم نطلع على فكرهم ونضعه تحت المجهر فى مخابر التحليل لأن اليهودية والصهيونية لم تدخل وتتسرب فى قلب وطننا إلا بعد أن حللت الفكر العربى والاسلامى فرأت أن الظروف ملائمة.*

جائزة نوبل لحاملي

رسالة الود

حين أوصى نوبل بأن توزع فائدة ثروته البالغة تسعة ملايين من الدولارات لثلاثة علماء عالميين انما اراد ذلك تكفيرا عن ذنب اقترفه بحق الانسانية حين أخرج اليها مادة احرقت الانسان ودمرت مقتنياته وهدمت القصور والحدائق، فخصص جائزته للاديب والعالم ورجل السلام ممن ادوا خدمة جليلة للانسانية.. لان مادة الديناميت التى اخترعها كانت سببا للفتك بالانسان والاشياء معا ولانها استعملت للشر بدل الخير فكانت ولادة جائزة نوبل تكفيرا عن عمل فكري لم يكن يهدف للشر بل للفائدة البشرية فأتت نتيجته معكوسه..



شمس الدين العجلانى
دمشق

من هو نوبل

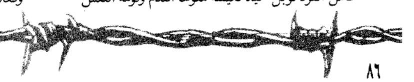
ولد الفرد نوبل في استوكهولم عام ١٨٣٣ وتوفى عام ١٨٩٦ ودرس الهندسه الميكانيكية فى سان بطرسبرج في روسيا وأمضى فترة التدريب في الولايات المتحدة الامريكية حيث بدأ حياته العملية مهندسا ثم انصرف الى اختراع المواد المتفجرة وخاصة مادة «**الديناميت**» حيث حصل على براءة اختراعه عام ١٨٦٢ وسجل باسمه ١٢٩ اختراعا وأصبحت ثروته لا تحد بأرقام حين اشرف على خمسة عشر مصنعا للمتفجرات.

عاش الفرد نوبل حياة تعيسه ملؤها الندم ولومة النفس وذلك بعد اختراعه لمادة الديناميت حيث ايقن انه قدم الهلاك للبشرية.

وازاء ذلك سعى الفرد نوبل عن طريقة يكفر بها عما اقترفته يداه وتمثل الحل بواسطة (**برت كنكي**) المرأه التي أحبها وهو في سن الثالثة والاربعين من العمر حيث اقترحت عليه تخصيص جائزة للسلام العالمي تمنح لمن يقدم خدمة جليلة للبشرية فتكون هذه الجائزة تكفيرا عما اقترفته يداه.

جائزة نوبل

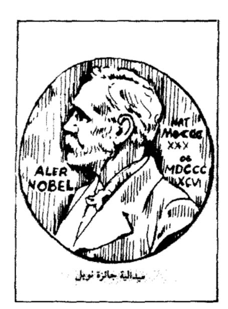
وفعلا أوصى الفرد نوبل بأن توزع فوائد ثروته على







■ نوبل..



ميدالية جائزة نوبل

أناس اعطوا العالم جهدا وفكرا وخلدوا للاجيال عملا كبيرا افادوا به البشرية.

وتشكلت بعد وفاة نوبل لجنة عالميه تشرف على توزيع واقرار هذه الجائزة وتم وضع قانون خاص لها.

ومنحت جائـزة نوبـل للاداب لاول مرة للاديب الفرنسي رينيه فرنسوا ارماند سولي بريدوم وذلك عام ١٩٠١م ثم منحت للعديد من الادباء الانسانيين الذين كان نتاجهم عملاً انسانياً خالداً يعبر عن الحريه والاخاء والمحبة.. ثم ما لبثت ان تكالبت القوى المعادية للانسانية لتهيمن على جائزة نوبـل وتجعلهـا ذات صبغه سياسيه وتمنحهـا لحاملي رسالة الموت والدمار..؟ فمنحت جائزة نوبـل للاداب لثلاث ادباء صهاينة على الاقل لهم باع طويل في تدمير الاخلاق وقتل براءة الاطفال.

■ **عجنـون**: ولد الروائي والقاص الصهيوني شاموئيل يوسف عجنون عام ١٨٨٨ فى بلده (غاليشيا - البولندية) وتلقى تعـاليم التلمـود والتوراه فيها على يد الحاخامات اليهـود ثم هاجر الى ارضنا الطيبة فلسطين عام ١٩٠٨ حيث استقر فيها اربع سنوات ثم تركها الى اوروبا وعاد اليها بعد ١٣ عاما.

قبل أن يمنح عجنون فى اواخر عام ١٩٦٦ جائزة نوبل لم يكن معروفا خارج كيانه الصهيوني ولم يكن معروفا لدى قراء اللغات غير العبرية ولم يكن له باللغة الانكليزية سوى ثلاثة كتب مترجمة نشرتها مؤسسة دعائية صهيونية اسمها (شـوكن) وهـذا يؤكـد بطـلان ما ذهبت اليه الاكاديمية السويدية حين اعلنت ان من بين اسباب منحه جائزة نوبل كونه: اول كاتب فى اللغة العبرية اخترقت شهرته حواجز اللغة.

■ لقد جاء منح جائزة نوبل لعجنون شهادة ادبية مزورة وغير شرعية لانها تكرس ما هو غير انساني وتسعى لاعطائه قيمة حضارية.. لان قيمة عجنون باعتراف معظم نقاد ادبه جاءت من قدرته على الكتابة بلغته العبرية فقط.. في حين عودة سريعة لاعماله نستطيع ان نلحظ ان نتاجه هو ادب عنصري رجعي يدعـو لاغتصـاب وطن وقتل شعب ففي (قصص اسـرائيليـة) تقف البطله تاهيـلا لتقـول: انني ادعـو الله ان يأتي اليوم الذي تتوسع فيه حدود اورشليم حتى تصـل دمشق وفي كل الاتجاهات، بينما يعتبر فى روايته «**قلب البحر**» ان صيدا وصور المدينتين العربيتين من ضمن الكيان الصهيوني التوراتي المزعوم..؟.

■ ان قيمة عجنون (الصهيونية) الاساسية تكمن في دعوته للهجـرة وللتوسع وللمزيد من الغزو وهذه هى الاسباب الموجبه التى جعلت الاكاديمية السويدية تكرس له جائزة نوبـل للاداب.. ان منـح جائزة نوبل لشاموئيل يوسف عجنـون يعني (وثيقة بلفور) أدبية على حد قول الشهيد غسان كنفاني.

■ **بيلـو**: فى عام ١٩٧٦ تبنت الامم المتحـدة قرارا باعتبـار الفكـر الصهيونى فكرا عنصريا وفى العام نفسه ردت الصهيونية على هذا القرار بأن منحت ارفع جائزة

ادبية عالميه لكاتب صهيوني يدافع عن الفكر الصهيونى العنصرى . . ففى عام ١٩٧٦منحت الاكاديمية السويدية جائزة نوبل للاداب للاديب الصهيوني (سول بيلو) الذي كرس اعماله لاحياء ما اسماه بالتراث اليهودي حيث مزج كتاباته بما تأثر به من تعاليم التلمود العنصرية فكرس اليهودى البطل الذى لا يقهر والقادر على تحمل كافة المصاعب، والنصر حتما فى النهاية لكونه يهودى . . لقد استطاع بيلو ان يحقق شهرة وانتشارا لنفسه ولاعماله العنصرية حين تبناه الاعلام الامريكى الصهيونى على اساس انه يكتب باللغة الانكليزية .

■ سنجر: ولد اسحق باشفيز سنجر فى بولندا عام ١٩٠٤م لعائلة يهودية متزمتة فقد كان أبوه وجده حاخامين تخرجا من المدارس الدينية اليهودية التابعة لطائفة **(الهاسيديم أي الاتقياء)** وقد تأثر سنجر بمعتقدات هذه الطائفة وبآراء التلمود حيث يقول: فتحت عيني على ثقافة نشأت فى بابل، ثقافة التلمود وبذلك ظهرت تعاليم التلمود العنصرية اللااخلاقيه في جميع أعماله . . وكذلك ظهر المخلوق اليهودي «السوبرمان» فى اعمال سنجر فاليهود كما يذكر في مجموعته القصصية **«جميل الاحمق»** مازالوا يحتفظون بلغتهم القديمة . . يقرأون الصحف والكتب ويعرفون ما يجرى في العالم . . اما عنصرية سنجر العرقية فتتبدى حين يشطب على جميع الكتاب اليهود الذين اندمجوا فى مجتمعاتهم زاعما أن الكتابة العظيمة تكون بالانتماء الى اليهود «لا يستطيع انسلاخي ان يصبح كاتبا عظيما . . ان اردت ان أكون كاتبا عظيما علي أن اكتب عنهم (عن اليهود)» .

■ وازاء ذلك منحت الصهيونية ايزاك باشفيز سنجر جائزة نوبل للاداب عام ١٩٨٧ . . ؟ هذا وقد سعت الحركة الصهيونية لمنح جائزة نوبل للاديب الصهيوني ايلي ديزيل على اساس انه احد وجوه الحركة الصهيونية العنصرية ولكن باءت هذه المحاولة بالفشل . . وبذلك يتضح جليا ان الاكاديميه السويدية قد انحازت عن خطها الطبيعى ، وفقدت بذلك جائزة نوبل معناها الانسانى حيث ارادها



الفرد نوبل تكفيرا عما اقترفته يداه من شر للانسانية فكتب فى وصيته قائلا عن جائزته للاداب ان مستحقها «الذى انتج في الاداب نتاجا هاما ذا وجهة مثالية» . . فأين نتاج عجنون وسنجر وبيلو من النتاج الانسانى . . ؟ .

■ **وأخيرا :**

لقد استطاعت الحركة الصهيونية ان تمنح جائزة الفرد نوبل لثلاثة من ادبائها وقد تمنحها للعديد منهم في السنوات القادمه لتكرس ما هو غير انساني على اساس اخلاقى . . وقد غابت هذه الجائزه عن عباقرة الادب العربى والذين عرفوا عربيا وعالميا وترجمت اعمالهم الانسانية للعديد من اللغات الاجنبية ومع ذلك كانوا خارج هذه الجائزة . . ؟ لأنهم يدعون من خلال اعمالهم للانسانية للحب والحرية والاخاء لانهم يسعون لتحرير الارض والانسان من براثن الاستغلال والعبودية . . وكأن جائزة نوبل وقف على غير العرب . . الا انه واخيراً منحت هذه الجائزة لاديبنا العربى الكبير نجيب محفوظ .

■ ان الحركة الادبية الصهيونية كانت تسير منذ البدايه فى خط مواز للحركة الصهيونية السياسية فى نسق واحد مخطط مدروس فجند الادب الصهيونى لخدمة قضية سياسية مسبقه دون اعتبار لاي حقيقه أو حق . بل ان القصد كان واضحا فى جعل الباطل حقا عن طريق تشويه الحق العربى الصريح وتزييف الحقيقة التاريخية الساطعة وفى سبيل هذه الغاية دأب الفكر الصهيونى على تحويل الرأي العام العالمي فكانت أكبر عملية تزييف اجتاحت الفكر الانساني حين منحت جائزة نوبل للادب العنصري العرقي لتكسبه صفة الانسانية .

من المعروف ان المرأة العربية كانت القاسم المشترك فى كافة الكتابات التى وضعها من ارادوا مهاجمة المرأة العربية، بوصفها نصف المجتمع العربى والاسلامى.

والمعروف ان الفكر الغربى الحاقد تولى كبر هذه الجريمة الشنيعة وتولى مهاجمة المرأة العربية واتهامها باتهامات هابطة، ودون جدال فان هذه الاتهامات خلقت رأياً عاماً غربياً عن المرأة العربية، بالاضافة الى انه لم يتيسر - فى فترات مضطربة للحكم فى بعض الدول العربية - الرد على هذه الحملات الخطيرة لتشويه المرأة العربية والمسلمة.

معالى عبد الحميد حموده

القاهرة

الأدب الصّهيوني..

وتشويه صورة المرأة العربيـة

● الإهتمام بأدب العدو الصهيونى أمر استراتيجى لمعرفة حقيقته وسلوكياته.

● المواجهة العاطفية بالرد على الادب الصهيونى لا تجدي والمطلوب التزام مواجهة علمية وثقافية.

● ضرورة تحليل الاعمال الادبية الصهيونية للكشف عن اهداف اليهود فى مواجهتهم ضدنا.

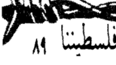
وقد شارك الادب الصهيونى فى هذه الحملة، على الرغم من تحفظنا هنا على مصطلح (الادب الصهيونى) أو (الادب اليهودى) لانه ليس هناك أدبا خاصاً باليهود او الصهاينة، وان (الادب) اليهودى ما هو الا اقتباسات من مجموعة كبيرة من بعض مكونات الادب الغربى.

ولكن الخطورة اننا لم نلتفت - الا مؤخرا - لما يكتبه اليهود ضد العرب والمرأة العربية، ولا يظن احد ان الاهتمام بأدب العدو غير مطلوب، بل هو امر ملح وضرورى، وهو من ضمن الاستراتيجية الثقافية للامة العربية والاسلامية فى مواجهة العدو الصهيونى.

■ ويحضرنا فى هذا المقام واقعة بالغة الاهمية تتمثل فى ان الولايات المتحدة الامريكية طلبت اثناء الحرب العالمية الثانية من مجموعة من الباحثين الامريكيين دراسة الشعب اليابانى، وظروفه، وعاداته، وسلوكياته.

ومن جهة اخرى فان العدو الصهيونى سبقنا فى هذا المقام، ولا نبالغ عندما نقول ان العدو الصهيونى - فى مجال الادب والثقافة - اهتم بالادب العربى والثقافة العربية اكثر بكثير من اهتمامنا بما يسمى بالادب اليهودى او الادب الصهيونى.

■ ومن (الطبيعى) من وجهة النظر الصهيونية، اليهودية، ان يتم تشويه صورة المرأة العربية فى (الادب) الصهيونى، ولكن من (غير الطبيعى) ان لا نهتم نحن بهذا التشويه،



● « الادب الصهيونى » ما هو إلا اقتباسات من بعض مكونات الادب الغربى.
● تشويه اليهود للمرأة العربية المسلمة بالوسائل الأدبية هدف صهيونى خطير.

ومن (غير الطبيعى) ،ان ينصرف فريق كبير من الكتاب والادباء والباحثين العرب الى ميادين اخرى ساهمت فى انحدار الثقافة العربية نفسها، ومن ناحية اخرى ابتعد اولئك الباحثون عن مواجهة هذه الصورة المشوهة عن العرب عامة والمرأة العربية خاصة فى كتابات (الادب) الصهيونى، وفى الوقت نفسه ظل الغرب سنوات طويلة يقرأ ويقرأ ما أفرزته العقارب الصهيونية من افتراءات ضد المرأة العربية المسلمة، ولما لم يجد الانسان الغربى أى رد او تفنيد لما يقوله (الادباء) اليهود فان الصورة اكتملت فى ذهن الانسان الغربى، وصدق كل ما يقال عن المرأة العربية كما شوهتها الاقلام الصهيونية.

خير مبرر لابادة الشعوب تحقيرها

رفع الكيان الصهيونى شعار: «**خير مبرر لابادة الشعوب هو تحقيرها**»، وأخذ الكيان الصهيونى هذا الشعار طبق الاصل وطبقه فى سلوكياته البشعة ضد العربى، والمرأة العربية.

وخليق بنا ألا نرفع الشعارات ـ فقد سقطت الشعارات التى تسببت فى هزيمتنا ـ ولكن خليق بنا ان نتعرف على (الأدب) الصهيونى واليهودى، وكذا نتعرف على المصادر الثقافية التى كونت الانسان اليهودى بكل ما فيه من عنصرية، وعنف، ودموية وحقد.

ونكرر القول ـ للمرة المائة ـ اننا لن نستطيع ان نواجه عدونا الا اذا عرفناه ومن (الغباء الثقافى) اذا جاز التعبير ان نبعد الادب والثقافة عن باقى اسلحتنا وخططنا فى مواجهة العدو الصهيونى.

صورة المرأة العربية:

● صورة المرأة العربية فى (الادب الصهيونى) صورة مزدوجة، سواء عن ارتباطها بالاسرة، والزوج. أو عن كونها شخصية (مستقلة) ويركز القصص الصهيونى على ان المرأة العربية الغرض من وجودها فى حياة العربى هو فقط (لامور غريزية) ويبرز هذا الغرض فى قصة (عائشة) للقاص الصهيونى: موشيه سميلنسكى ويلاحظ اختيار القاص الصهيونى لاسم من اسماء زوجات النبى ﴿ﷺ﴾، وهذا الاختيار ليس حالة استثنائية، لكنه حالة عامة فى العديد من القصص الصهيونية.

● وتتحدث القصة الصهيونية دائما عن ان المرأة العربية موجودة، بل خلقت، لاشباع الغريزة عند العربى، كما تربط كثير من القصص الصهيونية بشكل كبير بين تعدد الزوجات كهجوم وافتراء ضد الشريعة الاسلامية.

● يقول القاص الصهيونى: موشيه سميلنسكى فى روايته (القرية العربية) مصورا المرأة العربية: (المرأة العربية ملك الرجل، وهى غير مستقلة، ولا تقرر مصيرها ولا مستقبلها بنفسها، وهى دائما تحت سيطرة الرجل منذ ولادتها من بطن أمها، فهو الذى يوجهها ويسيرها. فهى من صغرها تحت سيطرة الأب، واذا مات تنتقل السيطرة عليها الى أخيها الاكبر، واذا لم يكن لها أخ، فالعم أو الجد أو اى قريب آخر. وعندما تتزوج تنتقل المسئولية عنها الى الرجل الذى يتزوج بها. والمرأة العربية لا تجرؤ على مواجهة الرجل او مجادلته، اما عن خجل او خوف واما تحت تهديد العصا).

■ هذا نموذج على سبيل المثال ـ لا الحصر ـ لتشويه صورة المرأة العربية وهو تشويه خطير. فتحقير المرأة المسلمة العربية وارد فى العرف الصهيونى، والهجوم على الشريعة الاسلامية وارد، ومحاولة تصوير القيم الاسلامية المرتكزة الى دين الله انها السبب فى تردى حال المرأة العربية المسلمة وارد، وكأن القاص اليهودى الملعون يريد من المرأة العربية ان تقرر مصيرها بنفسها وان تخرج من تحت القيم التى حددها الدين، وان تجادل زوجها وتسيىء اليه حتى تكون فى نظر القاص اليهودى الحاقد **(متقدمة) و(متطورة) و(حضارية)**.

ويلاحظ ان الصورة الموجودة عن تشويه المرأة العربية عند (الادباء) الصهاينة هي نفسها الموجودة عند كثير من ادباء وكتاب المجتمعات الغربية المعادية لامتنا العربية الاسلامية.

● **أما القاص الصيهوني (بنيامين تموز) في قصة: «شجرة الزيتون»** فقد صور المرأة العربية في قصته المذكورة: (ضعيفة، ولا وزن لها ولا قيمة، ومتخلفة، وغبية) ثم وصفها القاص الصهيوني الفاجر بأوصاف لا نستطيع ذكرها حرصا على مشاعر القارىء الكريم.

● أما القاص الصهيوني (يهودا بورلا) فيصور الفتاة العربية في قصته: (حب في الخفاء) بانها (تستخدم السحر كي تتزوج من (جدعون) اليهودي بطل القصة، وانها جاهلة تفرط في شرفها كثيرا في لقاءاتها المتعددة مع الشباب اليهود؟.)

تلك كانت مجرد نماذج على سبيل المثال لا الحصر، بالاضافة لعشرات النماذج عن الفتاة والمرأة العربية، وكذا هناك عشرات بل مئات المقالات (الادبية) والثقافية التي تنشرها وسائل الصحافة الصهيونية التي تصور المرأة العربية بأشنع الصور وأحطها وتحقير الحياة الاجتماعية العربية، وتصوير المكانة المهينة التي وصلت اليها المرأة العربية حسب نظرة (الادب) الصهيوني، على ان السبب في هذا كله قومها، ودينها، وعادات العرب وتقاليدهم.

ما هو الحل؟

بداية فانه من القصور العقلي والثقافي ان نظن ان الحل هو كتابة بعض المقالات الساخنة والموضوعات الرنانة نرد بها على كل هذه الافتراءات وينتهي الامر، كلا فهذا اسلوب غير علمي، وغير ناجح. ولكن الحل يستلزم مواجهة ادبية وثقافية وعلمية نستخدم فيها امكاناتنا - وهي كثيرة - الادبية والثقافية لمواجهة هذه الغزوة الادبية الثقافية الصهيونية التي تستهدف تحقيرنا، وتشويهنا والصاق الافتراءات المتعددة بالمرأة العربية.

الواجب اذن - والدعوة موجهة للادباء والباحثين والكتاب العرب والمسلمين - نقد الاعمال (الادبية) الصهيونية وتحليلها، والكشف عن اهدافها الصهيونية الخبيثة، ومن جانب اخر على بعض الادباء العرب التخلي عن تلك التفاهات الادبية التي اغرقوا بها الاسواق العربية، وأفسدوا العديد من شبابنا العربي، وعليهم الالتفات الى تحليل الحياة الاجتماعية للكيان الصهيوني وابراز عيوبه ومساوئه، وفضح هذا كله في اعمال يمكن ان تكون لها درجة كبيرة من الاهمية لمواجهة ما يقوم به الكيان الصهيوني الذي وظف كل شيء بما في ذلك الثقافة والادب من اجل خدمة اهدافه ومخططاته.

■ انه من الخيانة ان نترك الساحة هكذا في ميدان الادب والثقافة، للكيان الصهيوني ليفعل ما يريده، ومن نافلة القول ان نقول ان مواجهة العدو الصهيوني بالعبارات المطاطة، وحضارة السنوات القديمة، واهرام خوفو، وخفرع ومنقرع، وقدماء المصريين، وغير ذلك أمر لا يغني ولا يسمن من جوع.

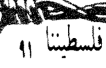
■ ان مواجهة الكيان الصهيوني بالذات في الثقافة والادب والفكر تستلزم ان تكون مواجهة عصرية باسلوب علمي وادبي وثقافي شامل نجند فيه كل قوانا، ومواردنا وكفاءاتنا.

كما ينبغي على المسئولين عن الحياة الثقافية في مجتمعاتنا تخفيف القيود المفروضة على الحركة الثقافية والادبية في بعض مجتمعات امتنا العربية والاسلامية، حتى يمكن اتاحة الفرص العديدة للادباء والباحثين العرب للتصدي لهذه الهجمة الثقافية العنصرية التي تستهدف المرأة العربية والعربي والامة العربية والاسلامية.

وفضح الدعاية الصهيونية واجب قومي وعربي واسلامي، والتركيز على فضح هذه الدعاية خاصة بعد انتشارها في كثير من المجتمعات الغربية والمطلوب اعادة تصوير المرأة العربية في الادب بصورتها الشريفة، النقية، الطاهرة.

■ واذا كان المستعمرون الجدد: يهود القرن العشرين قد رفعوا شعار: **(خير مبرر لابادة الشعوب هو تحقيرها واهانتها)** فان خير ما ينفعنا في هذا المقام أن نعرف عدونا، ونعرف كيف يفكر، وكيف يكتب، ثم نحلل المجتمع الصهيوني تحليلا شاملا.

واذا عرفنا عدونا، نكون قد قطعنا نصف الطريق في قهره والانتصار عليه واعادته الى حجمه الطبيعي.



الشخصية اليهودية الاسـ

● الروح العدوانية عند اليهود أصبحت سمة واضحة فى تكوين النفسية اليهودية رسَّبتها فى أعماقهم مجمـ
● محاولة الانتقام من الآخرين، وفرض الذات عليهم، والإحساس بالتفوق العرقى .. كلها معالم واضـ

■ كثيرون لا يتصورون هذه الوحشية التي يواجه بها جنود الاحتلال الاسرائيلى أطفال ونساء الانتفاضة الفلسطينية وقد يكون ذلك نابعا من أن الدراسات عن «الشخصية اليهودية الاسرائيلية» لم تحظ باهتمام واسع من الباحثين العرب المعنيين بالدراسات الاسرائيلية وذلك باستثناء بعض الدراسات القليلة ذات الأهمية الخاصة فى هذا المجال. ولهذا وتعميما للفائدة رأيت أن أعرض لهذا الكتاب.

والكتاب أصدره المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت فى رمضان ١٤٠٦هـ - يونيو ١٩٨٦م.



جابر محمد بيومى
القاهرة

مؤلف الكتاب د. رشاد عبد الله الشامي حصل على درجة الدكتوراه فى الفكر الصهيونى الحديث من جامعة عين شمس عام ١٩٧٣م، وصدرت له العديد من الكتب منها: انشاء وتطوير سلاح الطيران الاسرائيلى (ترجمة) الفلسطينيون في الأدب الاسرائيلي والاحساس الزائف بالذنب.. آثار الحروب على المجتمع الاسرائيلى.. وهو يعمل حاليا أستاذا ورئيسا لقسم اللغة العبرية وآدابها بكلية آداب عين شمس ويقع الكتاب فى حوالى ٢٦٠ صفحة من القطع المتوسط وقد قسمه المؤلف إلى خمسة فصول ومقدمة مختصرة.

فى المقدمة

يقول المؤلف إن هذه الدراسة استهدفت محاولة الوصول الى فهم موضوعى لظاهرة سلوكية تدخل فى صميم الطابع القومي للشخصية اليهودية الاسرائيلية وذات جذور متأصلة فى صميم تكوينها السيكولوجى وهي ظاهرة «الروح العدوانية» تجاه العرب بشكل خاص.

■ وهذه الدراسة - كما يقول المؤلف - لم تقف عند حد رصد عدد من عوامل خلق وتثبيت هذه الخاصية السلوكية ومحاولة تأصيل جذورها فى النفسية اليهودية قبل قيام إسرائيل وبعدها، ولكنها حاولت - أن تفسر المغزى الكامن وراء هذا كله، استشرافا وتنبوء باحتمالات السلوك الاسرائيلى الجماعى تجاه العرب على ضوء هذه العوامل استنادا الى الوقائع والمؤثرات المادية والنفسية التى يحفل بها سجل الماضي والحاضر.

ـرائيلية والرّوح العدوانية

ـوعة من الأحداث الدامية التى شهدوها فى تاريخ حياتهم.
ـحة فى الشخصية اليهودية.

الفصل الاول

الشخصية اليهودية فى إطار الانعزالية الجيتوية

يوضح المؤلف أهم العناصر التى تحكمت فى يهود شرق أوربا حتى عشية عصر التنوير اليهودى (الهسكالاه) ومنها:

العزلة اليهودية

فى شرق أوربا اتخذت مناطق الانعزال اليهودى تسميات متعددة مثل: الشتتل، القاهال، الجيتو.

ويعتبر «الجيتو» أشهر الأشكال الانعزالية اليهودية فى العالم، بحيث أصبح يطلق على سبيل التعميم على كل شكل من أشكال الحياة اليهودية الانعزالية وسط الشعوب التى عاشوا بينها، و«الجيتو» عبارة عن حي أو عدد من الشوارع المخصصة لاقامة اليهود.

وبعد أن استعرض المؤلف الأقوال المختلفة فى أصل كلمة «جيتو» قال إنه حسما لهذه الشكوك اصطلح على أن التسمية تستخدم لا لتعبر عن «الجيتوهات» الاجبارية فقط وإنما لتعبر عن المجتمع الانعزالي الاختيارى لليهود أيضا.

وقد ظلت هذه العزلة الاختيارية من قبل اليهود قائمة الى أن أصدر البابا بولس الرابع نشرة بالعبرية فى عام ١٥٥٥ توصى لأول مرة بعزل اليهود إجباريا.. وقد كان لهذا التأكيد على العزلة بعض النتائج بالنسبة للواقع اليهودى الجيتوى منها:

(١) قلل من اختلاط اليهود بالمسيحيين يوما بعد يوم وبالتالى زادت الشبهات تجاه اليهود.

(٢) *انعدام الاحساس بالأمن لدى اليهودى خارج أسوار الجيتو، وهكذا أصبح اليهودى يشعر بأنه يوجد خارج أسوار الجيتو عالم غريب ومعاد وشرير، أما داخل الأسوار فكان يجد الأمن والثقة والايمان العميق بأنه ينتمى الى الأمة المقدسة والشعب المختار.*

(٣) *تعمق لدى اليهودى الاحساس بأن الجيتو هو درع الأمان للحفاظ على الجماعة اليهودية وشريعتها، وأن هذه الاقامة الانعزالية هى الشرنقة التى تحافظ على حياته الروحية الى أن يحين الوقت الذى يشاء فيه الرب إعادته الى ما يسمى «أرض الميعاد».*

الدين اليهودى

يقول المؤلف إن الدين اليهودى من العوامل التى عمقت من طابع العزلة اليهودية وذلك من خلال القوانين الدينية اليهودية الخاصة بقوانين الطعام وتحريم الزواج المختلط والختان وصلاة الجماعة وعادات الدفن الخاصة.

وفى ظل المناخ الانعزالى تبلورت السمات السيكولوجية الأساسية للشخصية اليهودية الجيتوية التى كان أبرزها: عقدة التناقض بين الشعور بالاستعلاء والشعور بالدونية والاضطهاد.

■ ويقول المؤلف أن شعورهم بالاستعلاء جاء نتيجة تغلبهم - بتضامنهم الاجتماعى والدينى - على كل مشاريع الابادة التى خططت من أجلهم فكان من الطبيعى أن يأخذهم الزهو والغرور بهذا البقاء الدائم، وجعلوا هذه

الظاهرة مرتبطة باختيار إلهى لهم دون سائر الشعوب وبإرادة إلهية لا قبل للبشر بمقاومتها ومن هنا لا يتردد اليهود فى تسمية أنفسهم «شعب الله المختار» وقد تحول هذه الاستعلاء وعدم الاعتراف بندية الآخرين إلى اضطهاد من قبل الشعوب التى يعيش اليهود بينها.

الفصل الثانى

الشخصية اليهودية فى إطار الانعزالية الصهيونية

وفيه تحدث المؤلف عن «**حركة التنوير اليهودية**» **أو** «**الهسكالاه**» وكيف أسهمت هذه الحركة فى الاعداد الفكرى للصهيونية عن طريق خلق طبقة متوسطة يهودية متشربة بالثقافة اليهودية والولاء الكامل لتراثها الدينى الغيبي ولكنها مشبعة بالأفكار السياسية والاجتماعية الغربية وهذا الازدواج الفكرى هو الذى أفرز القيادات والزعامات الصهيونية القادرة على التحرك فى إطار معتقداتها الغيبية ولكنها تجيد فى الوقت ذاته استخدام المصطلحات والوسائل العلمانية.. كما بعث دعاة الحركة البطولات العبرية القديمة أمثال شاؤول وشمشون وذلك حتى تنفض الشخصية اليهودية عن نفسها شيئا من خنوعها وتصبح شخصية سوية.. ثم تحدث المؤلف عن سمات النمط اليهودى الصهيونى وقال إن معالم هذه الشخصية فى إطار الانعزالية الصهيونية تتضح من خلال أدبيات الفكر الصهيونى المتنوعة وهذه السمات هى:

التمرد على اليهودية التقليدية والانجراف نحو العلمانية:

يقول المؤلف إن الصهيونية قد وجهت سهامها المسنونة ضد الدين اليهودى باعتباره مصدرا للتخلف، وقد ساعدت كحركة علمانية على تدمير الموطن الروحى وحجر الأساس للحياة اليهودية فى «الجيتو» وهما «**المعبد**» و«**بيت همدراش**». وقد خلق هذا صراعا داخل الحركة الصهيونية حيث كان الأديب اليهودى يتطلع إلى رؤية روابطه مع الماضي اليهودى متداخلة مع ميوله نحو قيم الثقافة العلمانية.

● اختيار اليهود للعزلة الجيتوية إيثار للشذوذ.

● خطورة الانعزالية الصهيونية تكمن في طبقة يهودية مثقفة دينياً الحاديًا وسياسيا تخريبيًا.

● تمرد الصهاينة على اليهودية التقليدية وانجرفوا نحو الفساد العلماني.

ثم يسوق المؤلف النماذج الأدبية التى تدل على ذلك، ومنها قول «**حييم نحمان بياليك**» فى قصيدة له بعنوان «**أمام دولاب الكتب**» حيث يقول:

يا عجائز الكتب إنى أنظر فيك ولا أعرفك
كخرزات لؤلؤ سوداء انفرط عقدها
سطوركم لى، وصفحاتكم ترملت،
وكل حرف يشعر باليتم فى نفسه
هل ضعفت عيناي أم ثقلت أذناي
أم أنكم عفن، وموتى أبديون
ولم يعد لكم أثر في أرض الأحياء

■ فالأدب الصهيونى مليء بالتعبيرات التي تعاملت مع الدين اليهودى باعتباره حائلا دون سعادة الانسان اليهودى، وقد ترتب على هذه النظرة الصهيونية الجديدة إعادة فحص للماضى اليهودى، حيث خضع هذا الماضى لوجهة نظر نقدية للتراث اليهودى.

رفض الاندماج فى الشعوب، أو نبذ العبودية اليهودية:

رأى الصهاينة أن الاندماج فى الشعوب هو السبب وراء ما أطلقوا عليه «**التخريب النفسى والمادى**» الذى أصاب اليهود فى روسيا وغيرها من البلدان.

وقد صور الشاعر الصهيونى «حييم نحمان بياليك» فكرة الاندماج فى الشعوب على أنها شكل من أشكال العبودية يشيدون من خلاله الأبنية والصروح لهذه

الشعوب بينما شعبهم هو الأحوج الى مثل هذه الجهود، ففى قصيدة له بعنوان: «**حقا، إن هذا قصاص الرب أيضا**» يقول:

حقا إن هذا قصاص الرب وسخطه العظيم
الذى تنكره قلوبهم
زرعتم دمعتكم المقدسة فى كل المياه
ونظمتم من خيوط النور شعرا خادعا
وأفضتم روحكم على كل رخام أجنبي
وفى أحضان الأصنام وأغرقتم أنفسكم
وبينما لحمكم ينزف دما بين أسنان النهمين إليكم

الرغبة فى الانتقام من الأغيار وتبني العنف:

يقول المؤلف إن من السمات التى ميزت الفكر الصهيوني هى أنه جرد اليهودى من إنسانيته بعزله عن سائر البشر ثم جرد سائر البشر من إنسانيتهم بجعلهم متفرجين على المأساة اليهودية. وقد ترددت كثيرا شعارات مثل «**الانتقام**» و«**الثأر**» و«**الامساك بالسيف**» فى التعبيرات الشعرية التي كتبها شعراء الصهيونية.

رفض الشخصية اليهودية الجيتوية:

يقول المؤلف إن سعى الصهيونية نحو خلق شخصية جديدة تمثل النمط اليهودى الصهيونى كان يقوم على الرغبة فى التخلص من كل أمراض وعيوب الشخصية اليهودية الجيتوية بإضفاء صفات جديدة على هذا النمط.

وقد تمت عملية رفض الشخصية اليهودية الجيتوية عن طريق الهروب من الواقع الذى ألمَّ بها فكان الفرار من الجيتو والفرار أيضا من الاندماج فى غير اليهود والدعوة إلى إقامة نظام جديد يكون متناقضا مع نظام الجيتو.

ويسوق المؤلف قصيدة لـ «بياليك» تدل على ذلك وفيها يقول:

نحن الأبطـال.
جيل العبودية الأخير وأول جيل للخلاص.
بيدنا وحدنا، بيدنا القوية
أزلنا نير العبودية عن جلال كاهلنا

الفصل الثالث

الشخصية اليهودية فى إطار الجيتوية الاسرائيلية

يقول المؤلف إن مفكروي وزعماء الصهيونية أصروا على ضرورة إنشاء دولة يهودية فى فلسطين لتكون بمثابة جيتو دولي يحفظ لليهود ذاتيتهم المميزة ويحول دون استيعاب الآخرين لهم على طول المدى.

ثم يقول المؤلف - قبل أن يتحدث عن الهجرات اليهودية المختلفة إلى فلسطين - إن تنوعات الخصائص الفكرية والديموغرافية فى هذه الهجرات تكشف عن التباين داخل إطار البنية العامة للمجتمع الصهيونى الذى يصبح من العبث البحث فى داخله عن تناسق سلوكى أو تجانس حضارى.

وبعد أن ذكر المؤلف الهجرات اليهودية المختلفة إلى فلسطين يقول إن المجتمع الاسرائيلى أصبح يتكون من ثلاث جماعات هى:

مجموعة اليهود الاشكنازيم:

وقد هاجرت الى فلسطين إما فرارا من معاداة اليهودية التى مارسها عديد من المجتمعات الأوربية، وإما اعتقادا منها فى الصهيونية كحركة قومية، وقد عرف هؤلاء المشكلة اليهودية وعانوا تجربتها بأشكال مختلفة وفى أوقات متعددة، عرفوها كصراع ثقافى بين الفكر والقيم المعاصرة والعقيدة اليهودية التقليدية.. وكصراع داخلي بين الرغبة فى الاندماج بالمجتمع من ناحية والخوف على ضياع هويته اليهودية من ناحية أخرى.. ثم كصراع خارجى بينه وبين المجتمع الذى يعيش فيه.. ثم عرفها على شكل النازية الألمانية.

مجموعة اليهود السفارديم:

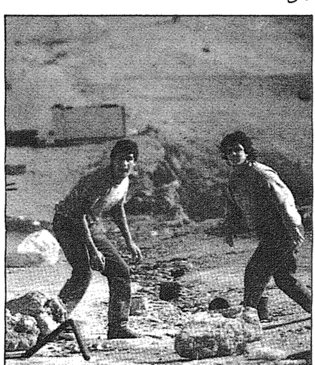
وهم مجموعة الطوائف الشرقية التى هاجرت الى فلسطين وهذه المجموعة لم تواجه المشكلة اليهودية أصلا ولم تواجه وتختبر معاداة اليهودية بمفهومها الأوربى، وقد

هاجرت إلى فلسطين تحت ضغط الحركة الصهيونية وإرهابها أو أملا فى مستوى معيشى أفضل وتمت هجرتهم لا على شكل هجرة فردية بل على صورة رحيل جماعى للسكان.

مجموعة اليهود الصباريم:

وهى المجموعة التى ولدت على أرض فلسطين ولا تعرف لها وطنا آخر سوى إسرائيل بعد قيامها. وهى لا تعرف عن معاداة اليهودية للاسامية إلا ما يقال لها عنها حيث ولدت فى مجتمع أغلبيته يهودية ولم تواجه هذه المعاداة ولذلك فليس لديها عقدة اضطهاد كالتى عند آبائها ولم تشعر أبدا بإحساس الأقلية الذى عرفه آباؤها من قبل.

■ ثم يسأل المؤلف: **فمن من بين هؤلاء يمثل الشخصية اليهودية الاسرائيلية؟** ويخلص الى أن السفارديم لا يمكمن أن يمثلوا الشخصية اليهودية الاسرائيلية وأن الاشكنازيم والصباريم هما الممثلين الحقيقيين للشخصية اليهودية الاسرائيلية.. ويلخص إجمالى الظروف والملابسات التى تجعل النمط الاشكنازى داخل إسرائيل هو أحد الأنماط الممثلة للشخصية اليهودية الاسرائيلية فيما يأتى:



● المجتمع الاسرائيلى يتكون من ثلاث مجموعات أخطرها «الاسكانزيم» و«الصباريم».

● أدت بريطانيا دورها لاسرائيل ولما انتهى هذا الدور ورثتها الولايات المتحدة الامريكية.

●● أن هؤلاء هم واضعو أسس الفكر والحركة الصهيونية وقادتها وأشد ارتباطا بظروف حياة اليهود فى شرق وغرب أوربا ومن هنا فإن اليهود الأشكنازيم هم الذين أسسوا الدولة اليهودية فى فلسطين والقائمون على حكمها منذ إنشائها وحتى الآن.

●● أن الاشكنازيم يحتلون قمة الهرم الاقتصادى الاجتماعى فى إسرائيل وهم الذين يسيطرون على كل مراكز القوة السياسية والاقتصادية والعسكرية والأيديولوجية فى إسرائيل بحيث يرتبط كل ما هو متصل بتاريخ إسرائيل وثقافتها وتراثها بتاريخ وثقافة اليهود الاشكنازيم فى أوربا الشرقية والغربية.

أما الصباريم فهم بمثابة الأبناء الحقيقيين والورثة الشرعيين والامتداد الحضارى للاشكنازيم.

الفصل الرابع

بعض السمات الأساسية للشخصية اليهودية الاسرائيلية

■ يحدد المؤلف فى هذا الفصل خصائص الشخصية اليهودية الاسرائيلية.. نذكر منها:

الاحساس بالوطنية الاسرائيلية:

يقول المؤلف إن ما أصبح يميز قطاعا كبيرا من ممثلي

الشخصية الاسرائيلية أن هؤلاء يشعرون أنهم يعيشون كمواطنين عاديين فى أى دولة لأنهم ولدوا فى هذه الأرض وتحدثوا بلغتها كلغة أم ولم يعرفوا لهم وطنا آخر غير إسرائيل، ومن هنا فإن بعض الباحثين يرى أن هؤلاء يضعون اسرائيليتهم قبل يهوديتهم، حيث إنهم يعتقدون أنهم موجودون على هذه الأرض ليس لأنهم يهود ولدوا عليها بإسرائيليين عبريين.

رفض الحل الأرثوذكسي للعلاقة مع التراث اليهودي:

يقول المؤلف إن اليهود الاشكنازيم لا يزالون يخجلون من ماضيهم ولكى يقنعوا أنفسهم بأنهم أصبحوا الآن من الجنس الأبيض الفاتح تسيطر عليهم حاجات ملحة لإبداء الازدراء للعناصر التى تتشابه معتقداتها وعاداتها مع معتقدات وعادات أجدادهم وليس أمام هؤلاء الذين يودون أن يشطبوا اسمهم من قائمة الماضى البغيض إلا أن يتحولوا للالحاد.

أما **«الصباريم»** فهم يؤمنون بالتراث اليهودى اسما ولكنهم فى داخل أعماقهم يريدون أن يصبحوا شعبا جديدا مختلفا، أن يكونوا تابعين للحضارة الغربية وتصبح **«أرض الميعاد»** بالنسبة للكثيرين منهم مجرد **«صدفة تاريخية»** بمعنى أنهم يعيشون فيها عيشة طيبة ولكن إذا ما واتت أحدهم فرصة أفضل فى أى مكان فلن يتردد فى أن يحزم أمتعته ويغادر البلاد.

التجمع حول السلطة فى حالة التهديد من الخارج:

حيث ترى الغالبية العظمى بأنه ليس من المعقول أن يكون ممثلو السلطة مخطئين فى أى قرار يتخذونه وأنهم لا يمكن أن يتصرفوا أى تصرف يمكن أن يجلب الضرر للدولة أو للشعب.

الاحساس بالافتقاد للجذرية:

يقول المؤلف: نظرا لأن قضية الاستمرارية التاريخية اليهودية فى فلسطين هي من القضايا ذات الأهمية الخاصة بالنسبة للوجود اليهودى فى فلسطين باعتبارها من المقولات الرئيسة التى يقوم عليها الفكر الصهيوني فإن البحث عن أدلة تثبت هذا الاستمرار أصبحت من الأشياء التى تشغل بال الجهات الرسمية بالاضافة إلى كثير من الأفراد، ومن هنا أصبح الولع بالآثار بين الاسرائيليين هواية شعبية أو **«رياضة قومية»**.

إن التنقيب عن الآثار بالنسبة للاسرائيليين هو نوع من تأكيد الذات لأنه يمثل ماضيهم الخاص، فقصور هيرودسى التى اكتشفت فى ماسادا أو بقايا مدينة دمرها يشوع يعد تأكيدا لحقهم فى أن يكونوا هناك اليوم وعنوانا رمزيا لشرعية الدولة.

الروح العدوانية أو التوحد فى المعتدى:

يقول المؤلف فى تحليله للروح العدوانية عند الشخصية اليهودية أنه قد نفذت إلى لب مكونات هذه الشخصية الحقيقة السيكولوجية التى تتمثل فى أن أولئك الذين سبق أن عوملوا باستخفاف من الآخرين هؤلاء قد يحاولون إخفاء هواجسهم الداخلية عن الأشخاص الآخرين، إلا أن افتقارهم للثقة فى أنفسهم يظل قائما ومن أجل هذا السبب نراهم عندما يجدون الأشخاص الآخرين أضعف منهم يمارسون معهم نفس الاستخفاف ونفس القسوة اللذين احتملوهما فيما مضى.

■ لقد تعرض اليهود الأوربيون للقتل والعجز والطرد والتشريد والمهانة على أيدى النازى وإزاء هذا الموقف كان المخرج لدى اليهودى هو التوحد فى المعتدى، أن يغدو اليهودى الضحية نازيا له ضحاياه يَقْتُل بدلا من أن يُقْتَل. وهكذا تشكلت فى فلسطين العصابات الارهابية وهكذا كانت مذابح دير ياسين وكفر قاسم، ثم كانت التصرفات الوحشية للجيش الاسرائيلى فى الأراضى المحتلة بعد حرب ٦٧، ثم فى لبنان ضد الشعب الفلسطينى على النحو الذى حدث فى مذابح صابرا وشاتيلا.

■ والهدف الجماعى لعملية التوحد فى المعتدى هو أن يتحول الحمل ذئبا وهكذا لا يبقى أمامه خطر يخشاه وعندما يتحول الحمل ذئبا يظل يشعر فى أعماقه بالحمل فى داخله، وتكون شراسته المبالغ فيها لمغالبة خوره ومشاعره القديمة، مغالبة الحمل القابع فى أعماقه ويظل يرى فيمن

يفرض عليه دور الحمل - أى ضحيته - يظل يرى فيه نفسه. أى أن القاتل يرى نفسه قتيلا فى ضحيته، وهنا يستمر فعل القتل، وكأنه بذلك يهرب من صورته مقتولا من ضحاياه.

■ وقد كانت نتائج النازية على الشخصية اليهودية الاسرائيلية بعيدة المدى فقد اتخذ من «النازى» مثلا أعلى له، ويتجسد هذا فى اصطناع القوة التى كانت الأداة فى يد المعتدى لكى يتحول الاسرائيلى من مضطَهَد إلى مضطهِد، فلقد أحضر الاسرائيليون النازية معهم من أوربا إلى فلسطين متمثلة فى التعصب والتفرقة العنصرية والتردد والخضوع للقوة.

الفصل الخامس

جذور ودوافع الروح العدوانية تجاه العرب فى الشخصية اليهودية الاسرائيلية

■ يسوق المؤلف فى هذا الفصل جذور ودوافع الروح العدوانية تجاه العرب فى الشخصية اليهودية الاسرائيلية ومنها:

استلهام الروح العدوانية فى التراث الدينى اليهودى:

يقول المؤلف إن هناك من النصوص التوراتية ما يغذى الوجدان الاسرائيلى بمبررات العنف والقسوة والوحشية ومنها ما ورد عن «يشوع بن نون» بعد أن تمكن من دخول أريحا: وقتلوا كل من فى المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ حتى البقر والغنم بحد السيف (سفر يشوع ٦: ٢٠-٢١)، وفى دير ياسين وغيرها كرر الاسرائيليون ما فعله «يشوع» عند دخوله أرض كنعان وفق ما جاء فى التوراه.

■ وقد دعمت كتب التراث اليهودى التى جاءت بعد العهد القديم - كالتلمود - هذه القيم وتمسكت بها كذلك الفرق اليهودية المختلفة. وقد أعلن الحاخام العسكرى الاسرائيلى موشيه جورن «أن الحروب الثلاثة التى جرت بين إسرائيل والعرب خلال سنوات ٤٨، ٥٦، ٦٧ هى فى

● اليهود يستلهمون من التراث الدينى اليهودي الروح العدوانية والوحشية.

● الرفض العربى للوجود الاسرائيلى ظاهرة تُرعب الذهنية الاسرائيلية، وهو أخطر ما يهدد اسرائيل «الدولة الشاذة».

منزلة الحرب المقدسة فأولها لتحرير أرض إسرائيل والثانية لاستمرار دولة اسرائيل أما الثالثة فقد كانت لتحقيق نبوءات أنبياء إسرائيل.

استلهام الروح العدوانية فى الفكر والسلوك الصهيونى:

إن الفكر الصهيونى يزخر بمبررات لا نهاية لها للعنف المسلح الذى لا يفتقر الى أسانيد من الدين اليهودى، بالرغم من أن أغلبية المستوطنين اليهود لم يكونوا يمارسون اليهودية وكان كثيرون منهم ملحدين علنا وقد كان تراث الصهيونية - استنادا الى هذا التراث الدينى هو الذى أباح العنف وأحل القسوة والجريمة، فيقول جابوتنسكي «فيلسوف العنف والارهاب فى الحركة الصهيونية»: تستطيع أن تلغى كل شىء: القبعات والأحزمة الملونة والافراط فى الشراب والأغانى أما السيف فلا يمكن إلغاؤه. عليكم أن تحتفظوا بالسيف لأن الاقتتال بالسيف ليس ابتكارا ألمانيا بل هو ملك لأجدادنا. إن السيف والتوراة قد نزلا علينا من السماء. وهكذا فإن العنف يصبح الأداة التى يتوسل بها الصهاينة لاعادة صياغة شخصية اليهودى. فاليهودى - فى هذا التصور - يحتاج إلى ممارسة العنف لتحرير نفسه من نفسه، إن العنف يصبح هنا مثل الطقوس الدينية التى تستخدمها بعض القبائل البدائية حينما يصل أفرادها إلى سن الرجولة، لأن اليهودى حينما يمارس العنف والقتل يتخلص من مخاوفه ويصبح جديدا بالحياة.

وحينما بدأت الصهيونية فى التطبيق العملى فإنها جعلت من اللحم العربى ومن الدم العربى معهدا لتخريج خبراء القتل المجانى، وكان الهدف من هذا العنف هو تفريغ فلسطين من العرب وأطلق «بيجين» صرخة: لولا النصر فى دير ياسين لما كانت هناك دولة إسرائيل.

عسكرة المجتمع الاسرائيلى:

بعد أن قامت إسرائيل رأى «بن جوريون» أن الاحتراف هو الشكل الضرورى للمواجهة العسكرية الشرعية لاسرائيل، ولما كانت المواءمة بين قدرات الجيش المحترف وأهداف الصهيونية ومراميها المستقبلية أمرا يستحيل تحقيقه فى ظل إمكانات بشرية محدودة تعجز عن تشكيل جيش محترف كبير يحقق هذا التواؤم، لذلك كان من الضرورى الاعتماد على جيش يضم المجتمع كله يمكن تعبئته عند الضرورة لتوفير الحجم المناسب من القدرة العسكرية لفترات مؤقتة محددة وهى الفترات التى يتم خلالها إنجاز المهام المصيرية والأهداف القومية الكبرى بالعمل العسكرى المباشر. ومن هنا أصبح ضروريا معالجة هذا الأمر على المستوى القومى، حتى يمكن تحويل المجتمع الى مجتمع عسكرى.

■ ويقول المؤلف: يجب علينا أن نلحظ كيف أن المجتمع الاسرائيلى ليس مجتمعا عسكريا وأنه على العكس من ذلك أمة محاربة. والفارق أن المجتمع العسكرى يعنى أن الأداة العسكرية ذات المهنة العسكرية هى التى تتحكم فى مساراته، أما الأمة المحاربة فيعنى أنه فى حالة المواجهة يصير جميع أفراد المجتمع السياسى مقاتلين قد اتخذ كل منهم موقعه فى دفع العجلة القتالية.

الرفض العربى للوجود الاسرائيلى:

يقول المؤلف إن التهديد يثير الغضب والروح العدوانية والخوف هو سبب معظم انفعالات العنف، وهو أيضا يولد أشرس أعمال العنف وغالبا مالوحظ أن الخوف من مصيبة يولد انعكاسات أخطر بكثير من المصيبة ذاتها، فالتهديد بالمجاعة مثلا عندما يستغله المحرضون بذكاء يثير اضطرابات أكثر بكثير من المجاعة الحقيقية، لأن المجاعة الحقيقية تولد الوهن أكثر مما تولد الاضطرابات.

■ ويقول المؤلف: إن الرفض العربى للوجود، الاسرائيلى سحب من تحت أقدام إسرائيل إمكانية الخروج من مأزق اليهودية التاريخى الذى يتجلى فى رفض المجتمعات لليهود، لقد رفضهم المجتمع المسيحى فى الغرب كأفراد ورفضهم العالم العربى كدولة، مما كثف فى الوجدان الاسرائيلى الاحساس بمشاعر العداء ذات الجذور التاريخية من الأغيار تجاهه وهو ما يسبب لهم تمزقا نفسيا عميقا.

■ إذن فالرفض العربى هو العنصر الرئيسى فى الحيلولة دون تحقيق الصهيونية لواحد من أهم أهدافها وهو **«الملجأ الأمن»** لليهود وهو الذى يدفعها الى الادعاء بأنها دولة معزولة فى الشرق الأوسط يحيط بها الأعداء من كل جانب، ولابد لها لكى تدافع عن نفسها وتنتقم من الاعتداء عليها من أن تحتفظ بقوة عسكرية متنوعة وتدعى بأن تورطها فى القتال إنما مرده أنه لا توجد رغبة مماثلة فى السلام لدى الجانب العربى.

الطابع الامبريالى لإسرائيل:

عندما ظهرت الصهيونية على مسرح الأحداث فى بداية القرن العشرين كان الخط الواضح والمميز لسياستها





الخارجية هو الارتباط بالقوة الكبرى التى يمكن أن تساعدها فى تحقيق أمانيها بإقامة دولة يهودية فى فلسطين. ولهذا فإن الصهيونية السياسية فى أولى مراحل وجودها (فى الفترة من عام ١٨٩٧ إلى عام ١٩١٤) توددت إلى السلطان التركى والقيصر الألمانى، فى محاولة لاكتساب موافقتها على المخططات الصهيونية وإبان الحرب العالمية الأولى تحولت بؤرة الحملة عندما اتضح أن بريطانيا ستكون هى الوارثة للحكم فى فلسطين. وقد تحقق الهدف الأساسى للسياسة الخارجية الصهيونية يوم ٢ نوفمبر عام ١٩١٧ عندما أعلنت الحكومة البريطانية «وعد بلفور» معترفة بحق الصهيونيين فى إقامة وطن قومى يهودى فى فلسطين.

وقد قدر الزعماء الصهاينة ـ من هرتسل حتى حييم وايزمان ـ الأهمية التى من الممكن أن تكون للمساعدة الأدبية والسياسية من جانب القوى العالمية الامبريالية من أجل تحقيق هدف الصهاينة وهو كسب اعتراف الرأى العام العالمى بشرعية ما استولوا عليه من الأرض. وكانت وجهة نظرهم أن الاعتماد على قوة امبريالية كبرى من شأنه أن يحسم أمورا ثلاثة على درجة من الأهمية بالنسبة للمخطط الصهيونى وهى:

(١) منح شرعية للصهيونية.

(٢) الدفاع عن الدولة اليهودية وتشجيع نموها وتطورها الاقتصادى.

(٣) أن يدرك العرب أن المقاومة من أي نوع كانت لا معنى لها.

■ ونظرا لإدراك هذا الأمر فقد سعى وايزمان والآخرون إلى أن يقووا خلال سنوات إنشاء الدولة اليهودية وسنوات الانتداب البريطانى فى فلسطين «العلاقة البريطانية معهم». ولما تقوضت العلاقة البريطانية الصهيونية خلال السنوات ١٩٤٥ـ١٩٤٧م وجهت القيادة الصهيونية اهتمامها بالكامل نحو الولايات المتحدة الامريكية كبديل لبريطانيا دعما لنظرية أن الصهيونية لكى تنجح فى تنفيذ مخططها وحمايته فلابد من تأييد خارجي.

والامر ليس قاصرا على توجهات إسرائيل فحسب، بل إن الدعم الذى تقدمه أمريكا لاسرائيل هو دعم يحقق لها مصالح على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لهذه المصالح فى الشرق الأوسط.

■ وهكذا فكما أخذت بريطانيا على عاتقها مسئولية أمن الاستيطان الصهيونى قبل قيام الدولة فإن الولايات المتحدة هى الأخرى أسهمت فى أمن إسرائيل بصورة مزدوجة: ضمان القدرة العسكرية الرادعة للجيش الاسرائيلى وضمان وجودها الاقتصادى.

■ ويخلص المؤلف إلى أن استمرار الروح العدوانية لاسرائيل تجاه الدول العربية ـ بشكل عام ـ والفلسطينيين بشكل خاص ـ يعتمد كليا على قيام إسرائيل بدور امبريالى بالنيابة عن أمريكا، فهى تتلقى المساعدات الاقتصادية وكميات هائلة من الأسلحة مقابل الحرب التى تشنها إزاء أى بادرة عربية لا تتسق مع المخطط الصهيونى التوسعى من ناحية ومع المصالح الامبريالية فى المنطقة العربية من ناحية أخرى.

■ وبعد: فأرجو أن أكون قد وفقت فى عرض هذا الكتاب المهم فى دراسة الشخصية اليهودية بالرغم من صعوبة عرضه لأن كل صفحة فيه تحتاج للقراءة ولا يمكن أبدا أن يغنى عرض هذا الكتاب عن قراءته فهو فعلا يحتاج الى قراءة لكل صفحة به حتى نعرف كل ما أورده عن الشخصية اليهودية الاسرائيلية.

ندوة الشهر

من آفاق الفكر العراقي

النضال.. ودوره في الحركة الأدبيّة والثقافيّة

كل شهر
موضوع جديد
وتطلع جديد . .
وشراع يعبر أعماق
أمتنا العربية
والاسلامية
يستقرىء ماضيها
ويعيش حاضرها
ويتطلع الى
مستقبلها

الندوة من اعداد ومشاركة

الدكتور على جواد الطاهر

الأدب، كان ولا يزال الشعلة المتقدة فى ضمير الأمم . . وبخاصة الأمة التى يمر تاريخها بكثير من المداخلات السياسية والاجتماعية وبكثير من التحولات فى عدد من مناحي حياتها . . ويظل شعر الملاحم النضالية عالقاً فى قلوب أفراد الأمة . . فالنضال ضد المستعمر الغاشم وضد الظلم والبغى، وضد مصادرة الحريات . . والادب بأنواعه يظل يحمل لواء المدافعة لاسترداد الحقوق لأهلها، لا سيما الشعر بخاصة .

العراق الشقيق ـ كغيره من البلدان العربية ـ مرّ عبر تاريخه الحديث بالعديد من أوجه الغزو والاعتداء من قبل العثمانيين والاتراك والاستعمار الانجليزى مما أشعل فيه جذوة الجهاد والدفاع والنضال لاسترداد حقوقه والابقاء على وحدته . . وما كان فى العراق كان فى غيره من البلدان العربية من غير شك .

ولا شك أن الادب بكل انواعه واشكاله وبخاصة الشعر قد كان الحادى والرقيب فى حركة النضال تلك بل المؤثر فعلاً فى توجهها ورفع حرارتها .

ومن هنا جاء محور هذه الندوة (حركة النضال . . ودورها فى البنية الادبية) .

ويسعد المنهل ان تعقد هذه الندوة فى العراق الشقيق استطلاعاً لآراء بعض الأساتذة العلماء الادباء والمفكرين فى هذا القطر الشقيق .

ونأمل فى بداية هذه الندوة أن نجد من الاستاذ الدكتور على جواد الطاهر مقدمة مختصرة يبين لنا فيها الاطوار التى مرت بها حركة أدب النضال ـ ان صحت هذه التسمية ـ؟؟

● فى عصر اليقظة بدأ الشعر ـ بخاصة ـ يستنهض طاقته الفنية القصوى اضافة الى الفكرة النضالية الـــ

● الشعـر النضـالى فى بداياتـه لم يكن يهتم بالاغـراء اللغـوى والاصطناع البديعى قدر اهتمامه بايصـ

● الشيخ محمد البصير يعتبر (لسان الثورة) وشاعرها.. وتمثل أشعاره وخطبه خطاً بارزاً فى تاريخ الثـــ

● فى فترة الثـلاثينيـات ظهر تحول واضح فى طبيعـة موضـوع القصيدة.. فتناولت قضايا المجتمع ومشـ

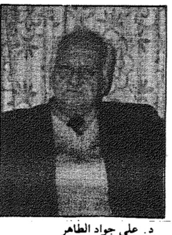
يسعد المنهل ان تعقد هذه الندوة فى العراق الشقيق استطلاعاً لآراء بعض الأساتذة العلماء الادباء والمفكرين فى هذا القطر الشقيق.

ونأمل فى بداية هذه الندوة أن نجد من الاستاذ الدكتور على جواد الطاهر مقدمة مختصرة يبين لنا فيها الاطوار التى مرت بها حركة أدب النضال ـ ان صحت هذه التسمية ـ؟؟

الأدب .. وحركة النضال

د. على جواد الطاهر

■ لا نبعد عن الصواب كثيراً اذا قلنا إن مراحل النضال متلاحقة فى تاريخ الأدب الحديث فى العراق. وقلنا إن السمة الغالبة على الأدب فى هذا القطر هى سمة النضال. ولابد من أن يكون هذا الوضوح، فى البواعث الأساسية التى دعت رئاسة تحرير «المنهل» الى اختيار



د. على جواد الطاهر

المحور العراقى بين محاورها.

■ وكلمة «النضال» عامة وخاصة، سياسية واجتماعية وأدبية. وهى فى الحالين ـ والأحوال ـ مجلى من مجالى الضيق بالشر والردىء والمتخلف، والسعى الى الخير والجيد والمتقدم.

واذا كان النضال يذهب ـ أول ما يذهب ـ الى مناصبة الأجنبى ـ الدخيل المتحكم بمصير البلد والأمة ليخفف من غلوائه وليرعوى وليغادر، وإلا فالحرب بيننا. وأنت يا بن الوطن الى ما يفعله الأجنبى بك ابتزازا واحتقاراً واعتداء وتجهيلا وهيا الى الوئام والانسجام، والى العمل المجدى والى الحرب.

■ ويكون الذى يكون من تضحيات على أنواعها ما بين التشريد والاعتقال والسجن والنفى والقتل.. ثم التخلص من نير الاجنبى ليعيش القطر مستقلا ويعيش الناس أحرارا فى تدبير شؤونهم واستغلال ثرواتهم.. اذا كان الاستقلال تاما وتولت الحكم سلطة وطنية بمعنى الكلمة.. وإلا فان النضال يبقى متصلا إذا حنث الأجنبى بوعوده واذا بقى يعمل من وراء ستار يصنعه من أبناء البلاد، بل يبقى النضال ضد أبناء البلاد أنفسهم إذا حكموا جائرين وتصرفوا مبتزين.

■ بل إن النضال لا يعنى حصره بقطر واحد، وإنما هو من أجل مجموع الأقطار العربية. والأديب الذى يقول كلمته شعراً أو خطابة أو قصة أو مسرحية او نقداً من اجل قطره، يقولها كذلك من أجل العرب كلهم حيث يكونون ما بين الخليج والمحيط، وتقع فلسطين فى المركز من القضية. ويتعدى الحدود

نى يريد ايصالها للمتلقى.

ال قضيته إلى جمهور واسع اكثره غير متعلم.

ورة ضد الاتراك.

كلاته الحياتية.

القومية الى الانسانية جمعاء، ومن أجل المضطهدين من بنى البشر فى كل مكان حرباً على المستعمرين المبتزين من كل نوع.

■ واذا كنا ألفنا أن نسمى هذا نضالا سياسيا أو ألفنا أن نقصر كلمة النضال على السياسة، فلذلك وجه ولا شك، ولكن النضال أعم وأوسع، النضال أن تدفع عن وطنك وامتك ومجتمعك الصغير والكبير عناصر الشر والتخلف، وأن تدعو الى الخير والتقدم، فانت تناضل عوامل الجهل والفقر والمرض، وتناضل عادات غير لائقة، وتناضل ما تعانيه المرأة والفلاح والعامل.. من غمط الحقوق وسلب الحريات وابتزاز الجهود.. انك تدفع الباطل من أى نوع، وتطالب بحق الفرد والمجتمع.. ضمن مقتضيات كرامة الانسان وفى منطوق الحقوق والواجبات.

■ وعلى هذا النضال أو ذاك تتوزع الأجناس (الأنواع) الأدبية ويصبح سمة مميزة للأدب الحديث وغالبة على الأدب الحديث: الشعر، الخطابة، المقالة، القصة، المسرحية، النقد الأدبى والدراسة.

وإذا كان للشعر المكان الأول البارز فى النضالين، وصار له التاريخ الطويل من العصر العثمانى الى الحكم الانكليزى الى ما عرف بالحكم الوطنى.. وبرز فى هذا التاريخ الطويل فانه يرد على اللسان من الشعراء - أول من يرد -: الزهاوى والرصافى والكاظمى وجواد الشبيبى.. ويرد كذلك البصير ومحمد رضا الشبيبى ومحمد باقر الشبيبى ومحمد صالح بحر العلوم.. حتى يبلغ الشعر قمته الفنية مع الجواهرى.

ويشرع ما عرف بالشعر الحر يلحق بها عرف بالشعر العمودى ويتألق فيه السياب فى أشهر من يذكر وفى أعلى ما حقق الفن.

والخطب ليست كثيرة، وإلا فأين - مثلا - هى خطب البصير؟ وهى بسبب من الارتجال عرضة للضياع، ولعلها لم تكن من الفن على الدرجة التى تحفظ لها البقاء

المشاركون فى الندوة

الأستاذ الدكتور على جواد الطاهر:
- ● ليسانس دار المعلمين العالية/ بغداد
- ● ليسانس جامعة القاهرة - دكتوراه دولة فى الآداب جامعة باريس ١٩٥٩م.
- ● عمل استاذاً فى جامعة بغداد، وجامعة الرياض

■ من مؤلفاته:
- ● الشعر العربى فى العصر السلجوقى - مقدمة فى النقد الأدبى فى القصص العراقى المعاصر - منهج البحث الأدبى - وراء الأفق الأدبى معجم المطبوعات العربية السعودية.

الأستاذ عبد الخالق الركابى
- ● بكلوريوس فنون تشكيلية

■ من مؤلفاته:
- ● موت بين البحر والصحراء - شعر ١٩٧٦
- ● نافذة بسعة الحلم - رواية ١٩٧٧
- ● من يفتح باب الطلسم - رواية ١٩٨٢
- ● حائط البنادق - قصص قصيرة ١٩٨٣

الاستاذ حاتم الصكر
- ● سكرتير تحرير مجلة (الأقلام) الصادرة شهرياً عن وزارة الثقافة والاعلام.
- ● عضو المكتب التنفيذى لاتحاد الأدباء والكتاب فى العراق.

■ من مؤلفاته:
- ● مراثىء المدن البعيدة - شعر ١٩٧٥
- ● طرقات بين الطفولة والبحر - شعر ١٩٨٠
- ● الأصابع فى موقد الشعر - مقدمات مقترحة لدراسة القصيدة ١٩٨٦
- ● مواجهات الصوت القادم - دراسات فى شعر السبعينات ١٩٨٩

الاستاذ باسم عبد الحميد حمودى
- ● يعمل رئيسا لتحرير مجلة التراث الشعبى ومديراً للتأليف والنشر فى الشؤون الثقافية العامة.
- ● بكالوريوس تاريخ.

■ من مؤلفاته:
- ● النقد الادبى فى القصة العراقية ١٩٦١
- ● الوجه الثالث للمرأة ١٩٧٣
- ● النار والزيتون ١٩٨٢
- ● رحلة مع القصة العراقية ١٩٨٠
- ● الناقد وقصة الحرب ١٩٨٦
- ● فى دراما قصيدة الحرب ١٩٨٨

الاستاذ ياسين النصير

من مؤلفاته:
- ● قصص عراقية معاصرة - مشترك ١٩٧١
- ● القاص والواقع ١٩٧٥
- ● وجها لوجه - دراسات فى المسرحية العراقية ١٩٧٦
- ● الرواية والمكان (١) ١٩٨٠
- ● الرواية والمكان (٢) ١٩٨٦
- ● دلالة المكان فى قصص الاطفال ١٩٨٥

● الجواهري في شعره النضالي صوت شعب، وله في لغة النضال اليومي وفرة من القول الماضي والفعل الموحي.

● رغم ارتباط شعر الجواهري بالجمهور فانه لم يضحِّ بالفن بل ازداد نضوجه في اشعاره.

وتخرجها عن الحاجة الآنية للاستنهاض والاستثارة بما يقوم على الحماسة وحدها دون عناصر الابداع الأخرى. وأكثر ما بقى منها ما كان للمعارضة خاصة في مجلسي النواب والأعيان فقد كانت الجرائد تحفل به وتعيد نشره وانك لواجد قدرا منه في جريدتي «الاستقلال» و«الزمان».. و«البلاد» كذلك.. والمقالات كثيرة مرافقة للصحافة في نشوئها وتطورها ولكنها بقيت في الغالب تقريرية مباشرة تكتنفها اللهجة الخطابية وتتسم بالاسهاب عندما تصدر عن المعارضة. وهنا نشير مرة اخرى الى جرائد الاستقلال والزمان والبلاد.. وجرائد تنشأ و«تسد» لمعارضتها ولا يطول بها الزمن، وربما غيرت اسمها، واحتالت على الصدور. وقد وقعت تحت تلك الطائلة أكثر الجرائد ومنها جريدة الرأى العام لافتتاحيات صاحبها الجواهري فيها. هذا اذا لم نتقدم في التاريخ الى مرحلة أو مراحل أخرى.

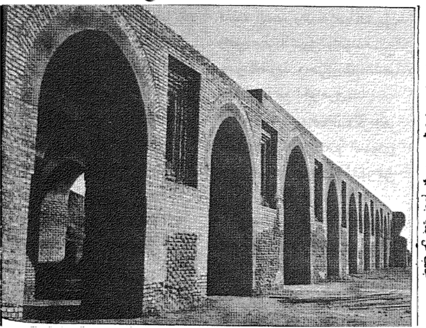
وتأتي مقالة «صوت الأهالي» على خط ملحوظ من التأمل والدراسة ولم يكن «سد» الجريدة عقابا وحيداً، فمع السد تأتي الغرامة والتوقيف والمحاكمة والسجن..

المقالة العراقية السياسية جديرة بالدراسة مصدراً للتأريخ وللشعور الوطني، ومثلها الاجتماعية. ولكنها - في جملتها - لا تخرج عن الأداء المباشر المستثير الى الفن الذي يحفظ لها بقاء أدبياً ويتعب الباحث عن هذه المقالة قبل أن يحصل على عدد محدود ويصل الى أسماء محدودة.

ولا تتخلف «القصة» عن السياسة ونظريات عامة للاصلاح والثورة، ولكن أكثر ما تتناوله بالنقد - وقل المناضلة - الجوانب الاجتماعية من جور في توزيع الثروة، ومن عادات لم يعد لها مجال، ومن دعوات الى التقدم.. ثم ما صار تاريخاً من الأحداث السياسية والاجتماعية والفكرية.. دون أن يخلو ذلك التاريخ من صلة الماضي بالحاضر الذي تتناوله القصة.

■ والمسرحية تقرب من القصة وربما تعرض المؤلفون هنا - كما تعرض المؤلفون هناك - الى أذى توقعه السلطات الحاكمة عليهم على اختلاف في الدرجة.

وحين يكون التأليف المسرحي مجتلبا وفي أوليات مراحله فانه يلبي حاجة في نفس المؤلف أو الفرقة في ايصال صوت وطني الى الجمهور، ولا يبلغ في ذلك الدرجة الفنية



جانب من بقايا جامع ابي دلف الذي يشهد حالياً حركة تعمير

المطلوبة فضلا عما يغلب عليه من اللهجة العامية. واذا كان الأمر كذلك ضاع أكثره. وبقى منه المكتوب الذى بقى صاحبه فى الميدان، او الذى تهيأ له كاتب متطور يرتفع به عن الغرض الآنى ـ وهذا قليل ـ ومن مصادر قلته ما يمكن أن يتعرض له صاحبه من أذى لدى وقفته المعارضة او ما يمكن أن يخفض من مستواه من عوامل تحيط به.

■ اما النقد الأدبى ـ وهو مع ما هو معلوم من طبيعته الخاصة بين الأجناس الأدبية ـ فقد أسهم فى النضال كذلك. ومن اسهامه أن يعرض للمنشئين والقراء نظرات ونظريات بناءة فى السياسة والمجتمع والانسانية تدعو الى التوجه نحو الحياة إصلاحاً للفاسد وتأكيداً للصالح وسعياً نحو الأفضل لما للأدب من تأثير ولما يجب أن يكون عليه من الرفعة (غاية وفنا)، وما يجب ان يترفع عنه من اسفاف وشر وعمالة. وهو على هذا يشجع ـ أيما تشجيع ـ الشاعر أو القاص او المسرحى.. المناضل، الوطنى، الانسانى. وربما بلغ به ذلك درجات الحماسة فبالغ فى التشجيع وغلب المناسبة على الجانب الفنى. فهو ـ أى النقد الأدبى ـ فى أساسه ـ وأساس الذى كان سائداً منه ـ دعاوة تنسجم مع النضال وتحارب مالا ينسجم معه ولا يؤدى اليه. والسيادة لدى النظرية والتطبيق لمنطوق «الأدب للحياة».



د. علي جواد الطاهر. حاتم الصكر ـ ياسين النصير ـ باسم حمودى ـ عبد الخالق الركابى

■ حتى إذا هدأت الأمور قليلا، أخذ العنصر التأملي من الناقد مكانه، وأخذ الفن مكانه كذلك دون أن «يسقط» الناقد «الغيور» فى السوء المنسوب الى نظرية «الفن للفن».

والجمهور ناقد آخر وهو يستجيب على وجه رائع للأديب الذى يناضل من أجله ويلتزم قضيته ويعكس آلامه وآماله ـ الويل الويل لمن حاد عن هذه الجادة بتفاهة أو عمالة او ملاينة. ان سلطان الجمهور العراقى فى النقد رهيب.. يصعب تجاهله، ولابد من «صلافة» خارقة لمن تحدثه نفسه بالتجاهل أو أن توقعه نفسه بالتجاهل، ولا ولن ينفعه ما يقدمه ـ بعد ذلك من «تبريرات».

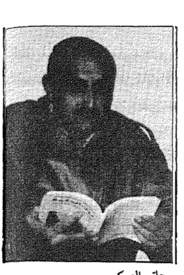
المحور ـ إذاً ـ محور «النضال فى الأدب العراقى الحديث» بارز، مهم، جدير بالبحث، وإعادة البحث. ولقد قامت عليه ـ كما رأينا ـ الأجناس الأدبية كلها ـ على اختلاف فى الدرجة.

وطبيعى أننا ـ هنا ـ نقف عند الأبرز الأعم الأخطر، تاركين التفصيلات الى الدراسات، وقد تهيأ عدد لا بأس به من هذه الدراسات. وهى فى طريقها الى الزيادة والتركز.

الشعر أوّلاً

■ ويأتى الشعر فى الأبرز الأعم من الأجناس الأدبية. ويبدأ بالعهد العثمانى، أو بمعنى أدق لدن تمادي السلطان العثمانى بالجور والابتزاز، وتمادى ولاته بالظلم والجشع، فكان تنبه العرب عموما لحالهم، ومنهم العراقيون وقد رأوا الخراب فى كل مكان على حين يمضى الغرب فى الحضارة من وجوه شتى.

وبدأ النضال هادئا فى حدود الصلة المقبولة بالعثمانيين، ثم ازداد لدى زيادة الظلم من جهة والتنبه من جهة، ثم قيام الأتراك أنفسهم بالنضال نفسه، والمطالبة


حاتم الصكر

● فى فترة الاحتلال نضج الوعى الوطنى لدى الشعب وتجاوب كل افراد الشعب مع قادة النضال.

● الأدباء فى نتاجهم الأدبى ـ شعراً أو نثراً ـ لا تقف حركة نضالهم فى حدود بلدانهم وانما يشمل كل الوطن العربى.

● المقالات المناضلة رغم كثرتها تعمها الصيغة التقريرية.

بالاصلاح أو العدل، فكان من الطبيعى أن يلتقى العرب مع مناضلى الأتراك، وأن يدخلوا جمعياتهم السرية. ثم كان الطبيعي كذلك أن يضيق العرب ذرعاً بقومية الاتحاديين ونقضهم العهود وتكشيرهم عن أسنان الانانية وتبنيهم سياسة التتريك.

■ والشعراء ألسن فى الأحوال كلها. والمهم الأول فى شعرهم الفكرة ـ أو ما نسميه اليوم المضمون ـ وقلما نظر السامعون أو القارئوب أو الناشرون الى المبنى ـ الشكل ـ وهكذا كان الزهاوى شاعراً كبيراً بل إنه شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء. وكان فى شعر الرصافى من الركيك ما فيه.. ولكن المهم ـ كما قلنا: الفكرة ثم إن الناس فى عهد جديد من مفهوم الأدب الجديد أى السمح السهل المترفع عن الإغراب اللغوي والاصطناع البديعي ـ والشعر الجديد يخاطب جمهوراً واسعا، أكثر وغير متعلم من أجل أن يوصل اليه قضية.

تحديث الشكل

المنهل:

حديث الدكتور على جواد الطاهر يفتح الباب لمجموعة مداخلات فى الشعر من حيث بداياته ثم نهجه فى سبيل تطوره مع الحفاظ على قضيته الأساسية فى النضال.. وفى هذا يقول الاستاذ حاتم الصكر:

الأستاذ حاتم الصكر

■ إضافة إلى ما ورد فى المقدمة؛ يتجلى نضال العراقيين فى الأدب بشكل آخر وهو الاستجابة الفنية أى المقارعة بتحديث الأشكال ـ فى الشعر خاصة ـ مما يراد له أن يرقى إلى مستوى تلك المقارعة المصيرية سواء بمحاولة الكتابة بمستوى القوى التي سيطرت على البلاد؛ وكان لها آدابها المتقدمة دون شك.. أو بمستوى استنهاض طاقة الفن القصوى. حينذاك يضغط ثقل المضمون على الشكل فيبحث الشاعر عما يلبى حاجته لتوصيل أفكاره وعكس موقفه أدبياً ـ أى بأسلوب راق ـ مؤثر فى الوقت نفسه.

وبهذا نستطيع تعليل انتعاش الشعر فى عصر اليقظة عندنا وترافق ذلك بوصول المخترعات ودخولها إلى الشعر، والوصف بصورة خاصة الى جانب شيوع مصطلحات السياسة والجهاد فى الشعر بالنظر لظروف الحرب أيضاً. سواء أكان ذلك بعد الحرب الأولى أم بعد الثانية.

وشاعر العراق المناضل لا ينسى كذلك أحداث أمته فى بلدانها. فهو يكتب عن الغزو الايطالى لليبيا ومواجهة السوريين للاستعمار الفرنسى (نتذكر هنا معلقة الشهداء للزهاوى):

على كل عود صاحبُ وخليلُ
وفي كل بيت رنّة وعويلُ

■ ويجسد ذلك الكاظمي بوضوح في قوله:

إنما الشام والعراق ومصرُ
أخوات وإن تفرّقنَ حينا

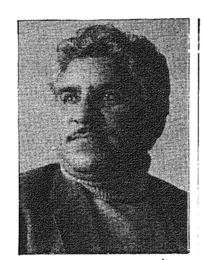
■ وفي المدى الانساني نستطيع استذكار القصائد التي تحدثت عن شرور النازية وما جرته على البشرية من أهوال.. وكذلك هجاء هتلر بصفة خاصة (عند الشرقي والدجيلي).

الشعر.. المواجهة

المنهل:
وفي اطار الشعر والمواجهة يشير الأستاذ ياسين النصير إلى نقطة لها أهميتها حيث أصبح الشعر جزءاً من الوعي القومي والوطني العام وليس ضرباً من ضروب المواجهة والاعتراض والاحتجاج فحسب.. ويقول..

الاستاذ ياسين النصير

■ لقد اخذ النضال - يومذاك - طابعاً له سمة شمولية وذلك من خلال اشتراك قطاعات واسعة من الشعوب العربية فيه، لقد شعر العرب ان شيئا من الغاء هويتهم، وخصوصيتهم - لا سيما ان ارضهم مهبط الرسالات - قد حدث باحتلال العثمانيين لاراضيهم، رغم ان العثمانيين مسلمون وتعتمد


ياسين النصير

الشريعة الاسلامية في طرق الحكم او في سواه، إلّا ان العرب شعروا بوجود من يطمس هويتهم، وبمن يجعلهم تابعين او ملحقين بسياسة تُضع قراراتها خارج حدود منطقتهم.. هنا نجد الشعراء وضمن عمومية هذا الاساس قد وقفوا ضد الاحتلال وضد مسبباته ودعاواه، ودعوا ضمن ما دعوا اليه الى تكوين دولة عربية تعتمد على الارث والتراث في هذا المجال، فالشعر اتخذ سمة المواجهة العامة، بمعنى انه جزء من وعي عام.

ناقلا ولو بشكل خفي طبيعة الشعر نفسه، من انه كان في بعض ابوابه ضربا من ضروب المواجهة والاعتراض ، ولذلك لم يكن الشعر في هذا المجال ضربا من ضروب الاساليب الفنية المعترضة وانما كان جزء من وعي نضالي اشمل، وطريقة من طرق القول المعمول به اجتماعياً، وسلاحا من اسلحة الثقافة العربية فكانوا به يخالفون العثمانيين وكانوا به يثبتون شخصيتهم النضالية حتى ولو كان القول فيه مشتتا، وكانوا فيه يوضحون ان الهاجس الوطني لا يعرف الحدود او البلدان.. الا ان نقطة مهمة يمكن الانتباه لها وهي ان الاسلام كان الدافع لشعراء عراقيين وايضا هناك بعض الشعراء العراقيين قد وقفوا مع الدولة العثمانية في كل حروبها ضد الدول الاجنبية.. في حرب المورة عام ١٨٢٦م ايام السلطان عبد العزيز وحرب القرم



● ناضل الشعر فى فترة الدولة العثمانية ضد طمس الهوية العربية الاسلامية.

● ظل الشعر جزءً من حركة نضال اشمل.. وسلاحاً من اسلحة الثقافة العربية.

● الشعر فى عمومه فى تلك الفترة يعتبر (شعر معانٍ) يقصد به إثارة الجماهير العربية وحثهم على الثورة.

ايام السلطان عبد الحميد عام ١٨٥٥م وفى الحرب مع اليونان ايام السلطان عبد المجيد عام ١٨٩٧م.

■ وقد اسهم الشعر الشعبى اسهاماً واضحاً فى حث الناس على الثورة فكانت الاهازيج والهوسات اساليب قول فاعل فى تجميع الناس وانهاض هممهم.

والشعر الشعبى يومذاك صوت العامة لغتها، مواجهتها، فهو الكلام البليغ الذى يقال فى المضايق وسوح المعارك، يقال فى تأبين شهيد، وفى حث ابن على القتال.. قاله الرجل كما قالته المرأة قاله المقاتل الشاب كما قاله الشيخ الهرم.. فالشعر الشعبى ابان المحن والنكبات يتحول الى شعر نضالى وفى العراق على مدى العهود كان للشعر الشعبى صوت بليغ.

الاستاذ/ عبد الخالق الركابى



عبد الخالق الركابى

■ يبدو لى أن غلبة سمة النضال على الأدب العراقى جاءت كنتيجة حتمية لطول معاناة العراقيين من جور المحتلين فيما أن الأدباء هم صفوة المجتمع وعياً وثقافة فهم بالنتيجة اكثرهم احساساً بوطأة الظلم وقسوته: وهكذا بعد مرور اربعة قرون على هيمنة العثمانيين على العراق وغالبية الأقطار العربية الأخرى باسم الدين، ادرك العراقيون ان العثمانيين ليسوا سوى محتلين مهما لبسوا لبوس الدين وقد ترسخ هذا الادراك اكثر بعد حدوث الانقلاب العثمانى وصعود «الاتحاد والترقى» الى الحكم. فعلى الرغم من دعوة جماعة (تركيا الفتاه) الى الحرية والمساواة لكنهم سرعان ما كشفوا عن كونهم لا يختلفون عمن سبقوهم فقد اسفروا عن عدائهم الصريح للعرب الذين كانوا يكشفون عن نزعتهم القومية، بل انهم حاربوهم دون هوادة.

■ وقد تنبه الأدباء العراقيون الى حقيقة الحكم العثمانى حينما رأوا ان هدف السلطة لا يتعدى:

● فرض الهيمنة الاقتصادية والسياسية عليهم.

● تسلط مجموعة من المقربين للسلطة وأصحاب المنافع الخاصة.

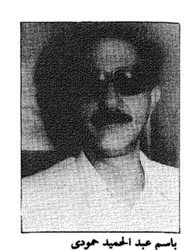
● عدم الاهتمام بتنمية الموارد الطبيعية فى العراق بل وإماتة ما هو قائم منها.

● تأجيج الصراعات الطائفية والعشائرية لما لها من آثار مدمرة للوحدة القومية للشعب الواحد.

وكل هذا فى مجموعه يؤدى إلى اتساع حركة النضال والمقاومة من أجل وطن موحد ومستقبل أفضل.. وحفاظاً على هوية الامة من الضياع أو الاضمحلال.

الاستاذ باسم حمودى:

المقدمة التاريخية الممتعة اللامة التى



باسم عبد الحميد حمودى

بدأ بها الدكتور الطاهر هذه الندوة تعطى الخطوط العريضة لحركة الابداع الادبى وتشير الى اسماء كامثلة لا على سبيل الحصر وقد كنت اتمنى ان اجد الحبوبي محمد سعيد فيمن وقفوا ضد العثمانيين وكنت اتمنى ان يسترسل استاذنا فى حركة التجديد فى الشعر الحديث ليصل الى السياب ويستطرد فيه وصوله وكنت اتمنى ايضا ان يتحدث د. الطاهر - وهو الخبير العارف وصاحب المؤلف الرائد عنه - اعنى عن الرائد محمود احمد السيد فى القصة والرواية ولكنه شاء ان يختصر ليفتح الطريق لنا جميعا.

د. على جواد الطاهر:

آمل أن يأتى ذلك عند المواقف التفصيلية.

ونعود - فى هذا - الى العهد العثمانى، مكتفين بما ورد فى التعليقات على المقدمة عن بيان مؤزارة الشعراء العراقيين للعثمانيين لدى الاعتداء الأوربى على السلطنة وعن التفصيل فى عوامل الاثارة فى سوء السياسة العثمانية لرعاياها ونقول:



د. الطاهر - النصير - حمودى - الصكر - الركابى

الشعر العراقى فى العهد العثمانى وثورة العشرين

المنهل:

مراحل العطاء الشعرى فى حركة النضال متعددة وغزيرة والشعراء هم ألسن هذه الحركة وألسن الشعب المناضل.. ونأمل أن يوقفنا الاستاذ الدكتور على جواد الطاهر على نماذج لبعض شعراء الحركة النضالية.؟

د. على جواد الطاهر

■ تبدأ المقدمة فى القرن التاسع عشر (الرابع عشر الهجرى) والسلطان العثمانى جائر وولاته ظالمون وموظفوه مبتزون.. والنتيجة المنطقية لمثل هذا الحكم الخراب والتأخر والجهل والفقر.. وفى الناس من يتملق الحاكم طمعاً أو خوفاً وفيهم - ولا سيما اذا مسه الشر مباشرة أو يحدث قريباً منه - من يتململ ويتذمر وقد يزيد سيراً فى الطريق.. ويستعدى ويستنهض.

واذا كان المنتظر أن تقوم لشعر النضال دولةفان هذا المنتظر لم يقع على الوجه الذى نتمناه لأسباب موضوعية تجعله سابقاً لأوانه وبعيداً عن العلم بظروفه.

■ لم يقع على شكل نضال بمعنى الكلمة، ولكن وقع شيء منه جدير بالذكر لأنه الاستجابة الممكنة فى حينها ولأنه بدأ يستمر ويقوى ويستحيل نضالا بمعنى الكلمة.

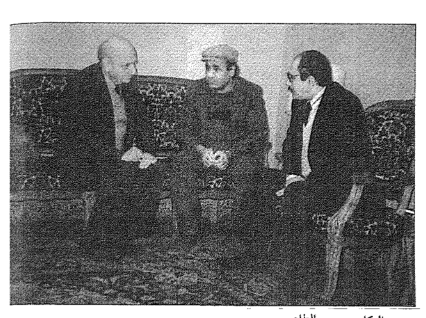
لقد ظهر البدء فى الشكوى والاستنهاض والاستثارة والامل وقلما وجدناه مباشراً وصريحا.. أقول - وقلما - لأننا لا نعدمه حتى لدى شعراء المدح كعبد الباقى العمرى وعبد الغفار الأخرس، ولدى ناثر من قضاة الدولة كأبى الثناء الألوسى.

ولكن الشاعر الجدير بالذكر ـ والوقفة عنده ـ هو عبد الغنى جميل (١١٩٤ / ١٧٨٠
١٢٧٩ / ١٨٦٣) وقد لقى من عنت الوالى على رضا ما لقى ورأى من عسفة ـ الى عسف الآخرين قبله وبعده ـ ما رأى (مباشرة وغير مباشرة) فمضى يتألم للحال التى يعانيها العراق، وللحال التى عليها أهله بين متهافت على وظيفة ومكسب وبين نائمين على الضيم، ويقرن التألم بالايقاظ والتهديد والتذكير بالمجد وبيان مساوىء الدخيل.

وأصعب ما ألقى رياسة ناقص
مساويه إن عُدَّتْ كثير قليلها
وما ساد فى أرض العراقين ماجد
من الناس إلا نَذْلُها ورذيلها

ولو وصل الينا شعره كاملا لوصل الينا خير كثير.

■ ويزداد الظلم ويزداد معه الشعور بالظلم.. ولم يكن العراق القطر الوحيد الذى يعانى والقطر الوحيد الذى يجب أن يشعر ويتذكر ويناضل. بل إن الاتراك أنفسهم واقعون فيما وقع غيرهم فيه. ويكفى أن تحصر السلطة بيد متجبر هو السلطان عبد الحميد ويوجد فى الاتراك من ضاق بالظلم وعمل ضده فى السر ويوجد كذلك مدحت باشا داعية للعدل فيكون للخلافة كلها قانون اساسى (الدستور ١٨٧٦) ومجلسان أحدهما للنواب (المبعوثان) وثانيهما للشيوخ (الأعيان) ولكن ما أسرع ما عاد السلطان الى تفرده فنفى مدحت وألغى الدستور واستبد بالحكم.



حمودى الركابى د. الطاهر

هذه الاجراءات بالغا ما بلغت من الشدة، لم تحل دون العمل من أجل الاصلاح، وان العمل هذا يُجِدّ فى ايقاظ الناس وتنبيههم الى حقوقهم وواجباتهم.

وتسير الأحوال على هذا.. نحو إعادة الدستور وينفذ الوعى الى الأقطار الأخرى.. ويتلقى الشعراء هذا الوعى ويؤيدونه فاذا المقدمات التى رأيناها تزداد وتتوطد.. نراها فى شعر الكاظمى والشيخ جواد الشبيبى والشيخ محمد رضا الشبيبى ومن سواهم. ويشتهر ـ خصوصا ـ الزهاوى والرصافى. وكان الزهاوى مقيما انذاك فى الأستانة نفسها يرى ويسمع ويتأثر واذا كان قد مدح يوماً السلطان عبد الحميد، فإنه ليعلن بدءاً جديداً للثورة عليه وكأنه يؤنب نفسه فى سكوتها على ما ترى وتسمع (١٨٩٧، أو١٨٩٨).

ألا فانتبه للأمر حتَّامَ تغفلُ
أما علَّمتْكَ الحالُ ما كنتَ تجهلُ
لهم أثر للجور فى كلِّ بلدة
يُمَثِّل من أفعالهم ما يمثل
إذا نزلوا أرضاً تفاقم خَطْبُها
كأنهم فيها البلاء الموكل
وذى سلطة لا يرتضى رأى ناصح
إذا قال قولا فهو لا يتبدَّلُ
ايأمر ظلُّ الله فى أرضه بما
نهى الله عنه والرسولُ المبجَّلُ
فيفقرُ ذا مال وينفى مبرأ
ويسجنُ مظلوماً ويسبى ويقتل
تمهَّل قليلا لا تغظ أمة إذا
تحرَّك فيها الغيظُ لاتتمهل

■ وربما كان الرصافى أعنف وأعمق وأصدق وأثبت.. وهو ينظر ما هو حاصل فى العراق من دمار وفناء وما عليه الحكم العثمانى من جور وتجبر كما تهيأ له أن يعيش حينا فى الأستانة فيرى الاحوال من كثب ويطلع على حركات الاصلاح عن قرب فيعجب لقعود أبناء وطنه ـ وأمته ـ عن المطالبة بالحق والثورة على الباطل فينظم ـ فيما ينظم ـ «تنبيه النيام»:

عجبتُ لقوم يخضعون لدولة
يسوسهم فى الموبقاتِ عميدُها
وأعجب من ذا أنهم يرهبونها
وأموالُها منهم ومنهم جنودُها

■ وينظم مخمسه « ايقاظ الرقود » وفيه :

حكومة شعبنا جارت وصارت
علينا تستبد بما أشارت
فلا أحداً دعته ولا استشارت
وكل حكومة ظلمت وجارت
فبشرها بتمزيق الحدود

الأحرار يعملون والجمعيات تعمل، وللاتراك أنفسهم جمعية «تركيا الفتاة» ولابد، لابد من العودة الى الدستور والأمور جارية اليه.

وفى ايران ما يشبه الذى فى السلطنة العثمانية صراع بين أهل المشروطية (وهى الدستور) وأهل المستبدة.. ويمتد شعاع من ذاك العراق، وتجد المشروطية أهلها، وفى هؤلاء الشيخ محمد جواد الشبيبى.. وتجد للشعراء كثيرا مما يبين سوء الحال فى العراق، وفى ديوان الشيخ محمد رضا الشبيبى وحده الكثير الكثير ذو الدلالة.

تعلن المشروطية فى إيران سنة ١٩٠٦، ويعلن الدستور فى الدولة العثمانية سنة ١٩٠٨ فيبلغ الفرح بالعرب (خاصة) درجة عليا، بانين عليه - وعلى القائمين بفرضه من الاتراك الذين عرفوا بالاتحاد والترقى - آمالا جساما تخلصهم من آلامهم الجسام.. وتجد الفرح والأمل فى قصائد لو جمعت لألفت ديوانا مما قاله: الزهاوى والرصافى والشبيبى وكاظم الدجيلى والازري وخيرى الهنداوى وحبيب العبيدى.. ويكمل تلك القصائد قصائد قيلت سنة ١٩٠٩ لدى الاطاحة بالسلطان عبد الحميد ونشير هنا الى ما نظمه الكاظمى.


خليل الزهاوى


معروف الرصافى


الشبيبى

ويهمنا من جملتها فضح الطغيان وبيان ما يفعله العمل الصالح من نتائج ومما زاد - خصوصاً - من إيمان العرب بحقهم وثقتهم بأنفسهم، وسيزداد الايمان فيستحيل عربيا أو وطنياً عندما ظهر الاتحاديون «قوميين» متعصبين وكأن الدنيا كلها للأتراك ولابد من تتريك الآخرين وفيهم العرب، لقد كانت خيبة كبيرة بهم وبما أساءوا فى تعريف الدستور والتصرف به.

ولذلك آثاره فى العمل العربى، العراقى، وفى الشعر بالطبع فليس صحيحا أو معقولاً أن يقعد الشعراء عن إعلان أسفهم لما آل اليه معنى الدستور، وإعلان سخطهم على ما يسعى اليه الاتحاديون القائمون على الحكم والدستور.

■ يتعقد الموقف لدى دخول عنصر جديد وقل عدو طاغ، فقد استولى الانكليز على البصرة (١٩١٤) وشرعوا بالزحف.

فما العمل؟ الموقف محرج، أن تكون بين الأتراك وقد فتوا فى عضدك والانكليز وهم بعيدون جداً عنك؟ كان خيار العراق - مثلا - بحركة خرجت من النجف محاربة الانكليز فأعلنوا الجهاد وساروا بقيادة العلامة الشاعر (محمد سعيد الحبوبى) وفيهم من الشعراء الشباب كذلك الشيخ محمد رضا الشبيبى، وبلغوا «الشعيبة».. ساروا يساندون الجيش التركى وهاجموا الانكليز وكان الطبيعى أن ينتصر الانكليز ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م، وفى سر انتصارهم ضعف الاتراك وسوء قيادتهم وفساد أسلحتهم ونقص مؤونتهم. وقد نظم الشيخ محمد رضا الشبيبى قصيدة عرض فيها الموقف كما هو دون أن يقصر فى السخرية من القائد التركى (سليمان عسكري بك) الطامح - عن قلة تدبر - الى استرجاع البصرة، المتعجل بالحرب قبل استكمال متطلباتها مع مرض أناخ عليه:

● وينفذ الوعى إلى الأقطار العربية كلها ويتلقى الشعراء هذا الوعى ويعمقونه فى الجمهور.

● الأنواع الأدبية على اختلافها استوعبت الحركات النضالية عند الشعوب ويبقى للشعر أثره الأكبر فى هذا التوجه.

● الجانب الدينى الاسلامى كان الدافع لكثير من شعراء النضال.

وقصائد حلوه فى محفته

البى «الشعيبية» من زوراء بغدادِ

أفاتكَ بالعِدَى جيشٌ مدبّره

معطّلُ الجسم ملقى فوق أعوادِ

جرى سليمان فى استعجال مصرعه

مجرى كفاة بأمر الحرب فُوّادِ

■ أحسب أن موقف العراق هذا من الاتراك - بعد ما عانى منهم ما عانى - على الغاية من حال يجب على الدولة التركية أن تقدره وتقدر القائمين به وتمنحهم من المنح ما يربو على كل جيل.

■ احسب؛ ولكن الذى حدث هو العكس تماما، فعاث الحاكمون منهم فى العراق بمدن منه فساداً وظلماً وحرباً.. وهنا، هنا كان الطبيعى - فى رد الفعل على الظلم ونكران الجميل - الانفضاض عنهم والانقضاض عليهم والعمل على طردهم.

■ وقال الشيخ محمد رضا الشبيبى قصيدة جعل عنوانها «ثورة على الأتراك او شكوى وعتاب» وللعنوان دلالته:

لا الجبن ثار فأطفانا ولا البُخلُ

الثائر الحقد بالأقوام والدخلُ

يا مَن يعزّ علينا أن نؤنّبهم

من حيث لا ينفعُ التأنيبُ والعذلُ

جفوتُمونا وقلتم: نحن ساستكم

مُنى مطيتُها الاخفاقُ والفشلُ

كم تنبذون لنا نبذاً فنعذركم

لقد تقطعت الأعذارُ والعللُ

أما صَفَحْنا عن الماضى لأعينكم؟

أما أُديلت لكم أيامُنا الأولُ؟

***

نحن الأُلى عرضٌ فى جنب جوهركم

فيه نصالُ المنايا الزُرق تتصلُ

قومٌ من العرب وخزُ النحل حظّهم

وحظّ قومٍ سوانا الأَرْيُ والعسلُ

عند المغانم لانُدْعى ويفدحنا

من المغارم ثقلٌ، ليس يُحتملُ

تأبى الحوادثُ إلّا أنْ تَمَلّكُمُ

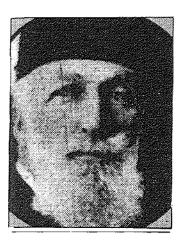
ولا - ودين التآخى - ما بنا مللُ

أين الرهين بأموال لنا ذهبت؟

ومن يفيد باخوان لنا قُتلوا؟

إمّا شهيد معلى فوق مشنقة

أو موثقٌ بحبال الأسر مُعتقلُ

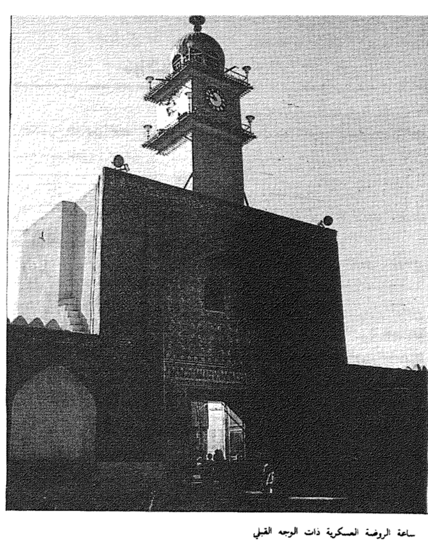


السلطان عبد المجيد

■ لقد صارت المعادلة واضحة الأتراك قوم، العرب قوم.. تركيا وطن، العراق وطن..

ثم إن المسألة لم تعد مسألة الأتراك وإنما هى مسألة هؤلاء الانكليز الزاحفين الى بغداد وقد دخلوها «محررين لا فاتحين» كما اذاع قائدهم «مود» وادعى..

وما هى إلا أن بان زور الدعوى وشرع الأنكليز يجورون ويبتزون ويخربون.. ولم يبق - حينئذ - إزاء العراقيين الا الثورة عليهم مهما يكلف الأمر وبغياب من تكافؤ الأسلحة والأعتدة. وهكذا شرع الوطنيون يوقظون ويعبئون ويستعدون.. ومع الثوار، وفى طليعتهم أحيانا الشعراء (باستثناء الزهاوى والرصافى) وقد شب جيل جديد منهم يؤيد ويساند بما يستطيع من فنون القول: الخطابة. المقالة، والشعر أولا: حسين كمال الدين، محمد حبيب العبيدى، سعد صالح، عيسى عبد القادر، محمد الباقر الحلى، عطا الخطيب، عبد الحسين الحويزى، خليل عزمى، عبد الحسين الازرى، خيرى الهنداوى، محمد على اليعقوبى، أبو المحاسن، عبد الرحمن البناء.



ساعة الروضة العسكرية ذات الوجه القبلي

■ الشعـراء كثيرون ومنهم من قال قصيـدة واحـدة، ومنهم من كرر القول، (وكان الشيخ محمد رضا الشبيبي ـ وهو من العاملين فى الإعداد للثورة فى الشام عائداً من الحجاز).

والحماسة على اشدها والوطنية على اصدقها ومع الوطنية عروبة ودين.

والشعر فى عامته شعر معانٍ، شعر موجه لعامة الناس يقصد به إثارتهم وتنبيههم وحثهم على الثورة والتطوع لها وكانت الاستجابة كبيرة وكان الدور مهماً جداً.

■ وبرز بين شعراء الثورة كلهم الشيخ محمد مهدى البصير فكان حقا لسان الثورة وشاعرها تشهد له ساحة جامع «الحيدر خانة» فى بغداد ومن كانت تغص بهم من جماهير يشتعلون حماسة لدى سماع شعره أو خطبه فيخرجون من الجامع هادرين فى مظاهرات رهيبة.

وهو والثورة وشعره وخطبه خط بارز فى تاريخ الثورة إعداداً لها ومساهمة فيها ومعاناة لاتهامات الانكليز ومحاكماتهم حتى اذا خابت الثورة كان حظه النفي مع من نفى من زعماء الثورة الى جزيرة هنجام.

■ وكانت قصائده تنشر وتحفظ.. وهى فى مجموعها يمكن ان تكون ديوانا مستقلا وقد كونت فعلا، فقد جمعها صاحبها وبوبها ونقحها (قليلا) ونشرها باسم «البركان» ثم اعيد نشر البركان بعد وفاته.

واشتهرت لها قصيدة بدت «معلقة» فى شعر الثورة هى:

إنْ ضاقَ يا وطنى عليَّ فضاكا
فلتتَّسِعْ بي للأمامِ خُطاكا
بك هِمْتُ أو بالموتِ دونك فى الوغى
روحى فداك متى أكونُ فداكا
ومتى بحبِّك للمشانق أرتقى
كى ترتقى بعدى عروشُ علاكا
ماذا عليَّ وما خسرتُ مكانةً
أنى أموتُ لكى أصونَ حِماكا
قد كان حجرك ما حييتُ يضمني
فاذا قُتِلْتُ فقد سكنتُ حشاكا

■ وأدرك شاعر شاب هو محمد مهدى الجواهرى مواقف من الثورة ولم يفته أن ينظم ـ فى أعقابها سنة ١٩٢١ عينية مطلعها:

لعل الذى وَلّى من الدهر راجعُ
فلا عيشَ إنْ لم تبقَ إلّا المطامعُ

***

ستأتيك يا طفلَ العراقِ قصائدى
وتعرف فحواهنَّ إذ أنتَ يافعُ
ويوم نَضتْ فيه الخمول غطارفُ
يُصان الحمى فيهم وتُحمى المطامعُ
تشوّقُهُم للعزّ نهضةُ ثائرٍ
حنين ظِماء أسلمتها المشارع
هُمُ افترشُوا خدَّ الذليل وأوطئت
لأقدامهم تلك الخدود الضوارعُ
لقد عظموا قدراً وبطشاً وإنما
على قدر أهليها تكون الوقائع
وما ضرَّهم نبوُ السيوف وعندهم
عزائم من قبل السيوف قواطع
إذا استكرهوا طعم الممات فأبطأوا
أُتيح لهم ذِكْرُ الخلود فسارعوا

■ ويفتح النضال مع الجواهرى صفحة جديدة تتمم الصفحات السابقة ونزيد وعدد على مقتضى الحال الجديده التى أعقبت تلك الثورة، ومقتضى تراكم التجارب

الشعرية والموهبة الخاصة فى سمو الفن مع سمو المعنى .

الشعر: وثورة العشرين

المنهل :

ونتوقف قليلا عند ثورة العشرين ضد الاحتلال البريطانى . . فقد أفرزت أحداث هذه الثورة شعراً مناصراً لقضية شعبه ومكافحاً ومناضلا . .

يقول فى ذلك الاستاذ حاتم الصكر :

الاستاذ حاتم الصكر

■ ثورة العشرين ضد الاحتلال البريطانى كان للشعر دور بارز فيها فثمة قادة ودعاة متحمسون للثورة من الشعراء ولا غرابة أن نال بعضهم النفى والسجن بعد ذلك .

كما أظهرت الثورة العراقية الكبرى التى انطلقت رسمياً فى الثلاثين من حزيران عام ١٩٢٠ أن هناك شعراء مجهولين صقلت الأحداث مواهبهم فكتبوا وأبدعوا فتأرخ بشعرهم رفض الشعب العراقى للاحتلال، وتضحياته الغالية فى سبيل ذلك . كما استطعنا أن نستقرىء يوميات الثورة من خلال شعرهم . لقد انطبع شعر ثورة العشرين بالحماسة وسيادة الروح الفدائية المتمثلة فى استرخاص النفس فى سبيل حرية الوطن وكرامته . كما نجد فى تفحص نتائج الثورة وشهدائها ومراثيهم بعض الأسى على فشل هذا الحلم التحررى، فيقول السيد محمد الهاشمى :

قبر الشهيد أجلّ قدراً أن يُرى
قفر الجوانب خالياً فى بلقع
قم وانظر الوطنَ الذى حاميتَه
ماذا يقاسي من أسى وتفجّع

■ ومن أحداث الثورة المسجلة شعرياً : إغراق الثوار للسفينة الانكليزية (فاير فلاي) ومهاجمة القطار العسكرى الانجليزى وتحطيمه والاستيلاء على مقرات القوات الاجنبية وسواها . . مما حدث فى أشهر الثورة الأربعة .

■ إن ثورة العشرين حتى فى ذكراها السنوية كل عام كانت مناسبة للمطالبة بالحرية والتذكير بأن النصر لا يتم إلا بالكفاح والتضحيات مع ملاحظة تواضع المستوى الفنى لشعر الثورة وطغيان النظم .

تدرج الوعى الابداعى

المنهل :

الى جانب الشعر الفصيح كان يقف الشعر الشعبى . كما كان للمرأة دورها أيضاً . . وهنا تتعدد الجمعيات السرية والعلنية التى تدعو الى تحرر العرب

ولا شك ان للصحافة العربية الوافدة الى العراق من بعض البلدان العربية دورها فى إذكاء حركة النضال . . ؟

الاستاذ عبد الخالق الركابى

■ **هناك ظاهرة فى استطاعة المتتبع** للدور النضالى فى الأدب العراقى ملاحظتها بيسر : وهذه الظاهرة تتمثل فى تدرج وعي المبدع فى النضج مع تعاقب الاعوام واحتدام الصراع مع المحتلين وتراكم الخبرات . . فلو بدأنا بثورة العشرين - باعتبارها أهم ثورة كان من نتائجها تأسيس ما سمى بالحكم الوطنى - نرى الى جانب هيمنة الشعر التقليدى بروز فن تلقائي كان له دور كبير فى إثارة حماسة الجماهير الفلاحية، وهذا الفن يتمثل بـ (الهوسه) وعلى الرغم من صعوبة إمكان إدراج هذا النمط الفطري ضمن الفنون الابداعية المألوفة الا ان المتتبع لن يستطيع تجاهله وتجاهل تأثيره على رجال ومقاتلى تلك الثورة .

■ ويلاحظ من اسم هذا الضرب الشعرى : تتميز (الهوسه) بمشاركة الجمهور للشاعر فى ترديد الشطر الاخير منها مصاحبين ذلك برقص ايقاعى يتخلله اطلاق الرصاص .

ويلغ أثر (الهوسات) على المقاتلين حداً أن بعضها كان سبباً مباشراً فى رفع معنويات الثوار ومن ثم انتصارهم : وقد ذكر المرحوم على الخاقانى نماذج من تلك (الهوسات) ضمنها كتابه **(فنون الادب الشعبى)** فحينما وصل القائد الانجليزى (هاملتت) الى نهر (باهيزه) وهو فى طريقه لدخول الناصرية ردد شاعر المقاتلين العراقيين (هوسه) تنتهى بـ (شرناها أو عيت باهيزه) فاستهات

المقاتلون فى الدفاع عن النهر فعجز الانكليز على عبوره.

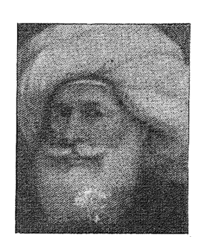
وبلغت جثث الجنود الانجليزى من الكثرة على اثر هزيمتهم فى احدى المعارك ان «بنات آوى» اخذت تتقاتل على نهش تلك الجثث، فقال الشاعر هذه (الهوسه):

واوي الكوت اجه متعني او متمور
يكول شمل ربيعه شكثويبها اكسور
طلع واوي العارضيه يكول من ياخور
يتكلب وهله يندهونه

■ وكان للمرأة دورها فى هذه الثورة فقد عرف قسم منهن باسم «العماريات» اى المزغردات اذ انهن كن بزغاريدهن واشعارهن يثرن نخوة المقاتلين على مواصلة الكفاح، وقد ذكر الخاقاني نماذج من شعرهن فى كتابه «فنون الادب الشعبي» فحينما وصل الجيش الانكليزى الى (العارضيات) وانطلق صوت الرصاص اخذت احدى (العماريات) تحرض ابناء قومها على الوقوف فى وجه الغزاة.

■ وباحتلال الانكليز للعراق ازدادت حركة النضال تأججاً فعلى الرغم من إدعاء هؤلاء انهم دخلوا العراق محررين لا فاتحين لكنهم سرعان ما اسفروا عن حقيقتهم فتكررت المآسى السابقة بل ازدادت قسوة بفعل كون مرتكبيها اجانب وعلى ديانة اخرى فسلاح الدين الذى استشعره العثمانيون طويلا وجد الانكليز انفسهم مجردين منه.

■ وفى فترة الاحتلال نضج الوعى



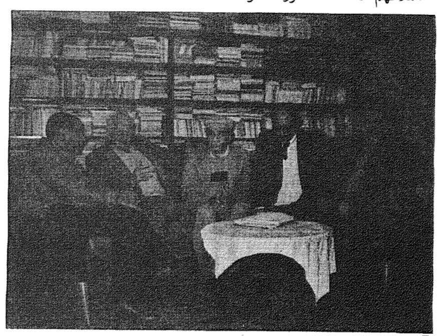
محمد على

القومي بعدما تعددت الجمعيات السرية والعلنية التى اصبحت تدعو الى تحرر العرب.

■ وكان للصحافة المهربة من الشام الى العراق عن طريق النجف اثر لا ينكر فى الهاب المشاعر القومية وكان الفرنسيون قد نصبوا (فيصل) ملكاً على الشام وكانت جريدة (العقاب) من اشهر تلك الصحف، وقد اسهمت هذه الجريدة فى تمجيد ثورة (سعد زغلول) فى مصر عام ١٩١٩ مبينة كيف ان المصريين برغم عدم امتلاكهم الاسلحة المتطورة تمكنوا من فرض مطالبهم على الانكليز بضربهم بالحجارة والعصى.

■ وهكذا جاءت ثورة العشرين نتيجة طبيعية لكل هذه الامور. ومهما تعددت او تناقضت الآراء حول هذه الثورة أكانت ثورة دينية ام عشائرية ام شعْبية فمن المؤكد انها كانت من اخطر الثورات فى تاريخ العراق الحديث: فقد نضجت فيها حركة النضال وبلغت الذروة كما انها نظمت نفسها فأصدرت صحفاً خاصة بها وهى بالتالى كانت السبب المباشر لادراك الانكليز بان من المحال حكم العراق بشكل مباشر فكان ان تأسس كيان الدولة العراقية عقب هذه الثورة العظيمة وبسببها.

الشعر العراقى حتى أخريات الأربعينيات



النصير ـ حمودى ـ الركابى ـ الطاهر الصكر

● المقالة العراقية السياسية جديرة بالدراسة باعتبارها مصدراً للتاريخ وللشعور الوطنى.

● القصة حملت مشعل النضال فى الحياة الاجتماعية وما يتداخلها ويعتريها من تغيّر بحثاً عن الأفضل فى مجالات الحياة المتنوعة.

● بدأ النضال منذ السلطنة العثمانية وبدأ يزداد بازدياد تيار الظلم.

المنهل:

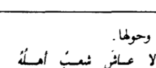
ومع تطور حركة شعر النضال واتساع دائرة نضاله من حركة ميدان القتال إلى الميدان الاجتماعى حيث تموج حياة الناس اليومية بما ينبغى ان يصلح.

ولا ينسى الشعراء فى خضم هذا العراك ما يحدث فى الوطن العربى الكبير حيث يجد متسعاً فى شعر الشعراء عامة..

ونقف مع الاستاذ النصير يستعرض لنا حركة نضال الشعر من خلال الجواهرى كنموذج لذلك.

الاستاذ ياسين النصير

■ نشأ الجواهرى فى النجف، مدينة الشعر النضالى والعلم وأول ما تعامل معه، كان ثورة العشرين حيث مناخها النضالى يفرض على الشاعر القول فيها وحولها.



لا عاش شعبٌ أهلُهُ
لسانُهم مُقيَّدُ

■ وإذ يشب الشاعر تشب معه (القصيدة الموقف)، وتشب معه القضية الوطنية، فاذا به صنواً لكل طارق جديد يقول الشعر فى الموقف الذى يفصح عن قضية سواء اكانت هذه القضية عراقية محلية أم عربية أم عالمية. وأول ما يطرق حسه الشعري: التمزق العربى فاذا به يناشد القوم وحدتهم واتحادهم.

يا نائمين على الأذى
لا شامكم شامٌ ولا بغدادكم بغدادُ
مُضيِّعتْ حقوقُ ذوى الحقوقِ
وضُيّعتْ تلك العهودُ وخاستْ الأسادُ

■ ومع الاتحاد العربى، دعوات وآمال واحباطات فالعراق فى أوائل العشرينات مخاض ثورى وفكر ينمو. وعندما تزور العراق شخصية وطنية، نجد الجواهرى سباقاً للقول فيها وفى الوطنية



● طه حسين

وعندما يستدعى لمصر بدعوة من طه حسين يلقى قصيدة كلها وطنية وعندما يزور دمشق او بيروت لا يدخر وسعاً فى القول والمجاهرة مما يتطلب الموقف الرسمى لابعاده من البلاد أو ملاحقته.

■ وتحل أعياد ثورة العشرين والجواهرى يتابع النهوض الجماهيرى بذكراها ويرى ضمن ما يراه تردى الأوضاع الداخلية وسيطرة القوى المتخلفة على مقاليد الحكم والسلطة ويرى الناس شعباً وفئات.

وتحدث فى سوريه ثورة ١٩٢٦ الداخلية على المستعمر الفرنسى فيسابق الجواهرى أقرانه ليقول عن سوريه وعن العراق معاً عن الوطن المنكفىء بعد ثورة ١٩٢٠ وعن الوطن الثائر بوجه الفرنسيين.

■ وحال الجواهرى المناضل حال كل وطنى يجد فى أية مناسبة تحدث فى هذه البقعة او تلك مناسبة يحدث بها شعبه ويستذكر معهم نضالهم. فالشعر عند الجواهرى سلاح جماهيرى فاعل.. ويحدث ان يموت سعد زغلول الوطنى المصرى. فاذا بالجواهرى يقول فيه:

سعدُ أما موطني فَمُهدَّدُ
إن لم يُغذ بنبانه بهلاك

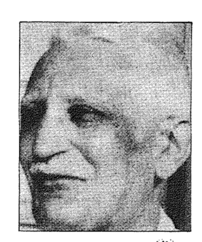
■ وبمثل ما يحدث فى سوريه ومصر يحدث فى فلسطين، فعام ١٩٢٩ شهد انتفاضة كبرى كان الجواهرى اول الكاتبين عنها ومن خلالها عن النضال الفلسطينى وكأن الجواهرى فى تلك القصيدة يتنبأ بأن نضال هذا الشعب نضال دائم ومستمر.

تطور فكرة النضال

■ فى الثلاثينيات تتطور فكرة النضال فى شعر الجواهرى وفى المجتمع العراقى. ففى السابق كانت الفكرة مرتبطة بعد ثورة العشرين بمناضل أو شخصية ثقافية زائرة، اما فى هذه المرحلة فقد اصبحت الموضوعات الاجتماعية والأوضاع المتردية هى مادة شعره النضالى.

فى هذه الفترة يتابع الجواهرى حركة المجتمع، احزابه، افكاره، تطلعاته، قضاياه، مشكلاته، علاقات العراق الخارجية، علاقاته الداخلية، تأثير العالم الخارجى، ودور العراق فى الوطن العربى. فالثلاثينيات شهدت المهام الكبيرة الملقاة على عاتق شاعر ارتبط بالوطن ارتباط الرحم.

■ كل هذه الاحداث جعلت من الجواهرى شاهداً عليها، وشاهداً من النوع المسجل الامين لاحداثها والقائل القول الخاص فى افكارها وتطورها. فعندما تنشأ المعارضة



للسياسة يكون الجواهرى احد المدونين الكبار لاتحادها وتطلعاتها. وعندما تتعرض شخصية وطنية لهجوم ينتصر لها وعندما تغلق جريدة وطنية يكون الجواهرى عدوا لغالقيها. ولا تُغيِّب المناسبات السابقة، مناسبات العشرينيات فثورة ١٩٢٠ لها فى كل عام احتفال كبير يلتقى فيه الخطباء والسياسيون والشعراء ويكون الجواهرى احد هؤلاء ملقياً قصيدة او متحدثا فيها.. وهى عند الجواهرى مقياس للاوضاع وللمقام. واذ تتصاعد جماهيرية الثورة تتصاعد سياط الجور.

■ ومع الاوضاع السياسية يستحضر الجواهرى الشخصيات الشعرية الكبيرة، يستحضر المتنبى ويستحضر الفرات والنيل، ويستحضر بغداد ودمشق والمدن العراقية العريقة.

وألفينني فى كلّ خطب ينوبُه
أدافعُ عنه ما استطعتُ دفاعا

■ ومرة اخرى يكتب عن ثورة فلسطين فى عام ١٩٣٦، ومعها عن دمشق وسوريه وعن مصر، وعن البلاد العربية التى بدأت تتحرك ضد محتليها، وفى كل مرة يضع الجواهرى العراق وأوضاعه فى الصدارة منها. واذ تنتهى الثلاثينيات وقد وقف الجواهرى بشعره النضالي على ارضها كلها نجده فى الاربعينيات يكثر القول الخاص فى احداث بلده. فلقد نضجت احداث العراق واشتد ساعد الوطنيين والمعارضة، وارتبطت البلاد بمعاهدات



واحلاف، فاتسع الوعي الجماهيري، وقويت السواعد، وتجددت الأفكار. وأصبحت الأحداث العالمية وحروبها ذات تأثير في الاوضاع الداخلية. وهكذا اصبح الشعر النضالي موقفاً عالمياً. فهو ضد النازيين عندما يهاجمون المدن، وضد الحلفاء حين ينزلون تونس.

■ لشعر الجواهري النضالي هوية معروفة فهو لسان جماهيري لا لسان فرد يقول الشعر. لذلك ترجم في شعره ما تتطلبه الجماهير وما يفرضه الموقف الوطني. وعندما تغلق جريدته «الرأي العام» وقد اغلقت مرات عديدة نجد الجواهري يسخر من امر الإغلاق ويترجم في قصيدة ساخرة موقف الشعب من انظمة الجور ومنع الرأي ابان الاستعمار الانجليزي فيقول بقصيدة عنوانها: «طرطرا».

وطَبِّلي لكلِّ ما
تُجزى الفتى وزمّري
واغتصبي لضفدعٍ
سماتِ ليثٍ قسوَر
وعطّري قارورة
وبالمديح بَخّري
وألبسي الغبيَّ والأحمـ
ـق ثوبَ عبقري
وأفرغي على المخانيث
دروعَ عنتَر

■ ومرة اخرى يستذكر فلسطين وما جرى لها، ويستذكر معها كل المحن التي مر بها العراق. ويصادف موت «جعفر ابو التمن» وهو زعيم من زعماء الوطنية،

الجواهري

فينشد الجواهري قصيدة يقول فيها:

ومُمثّلين تصنُّعاً ووراءهم
خلف الستار فلقن متواري
ومفرّقين مذاهباً وعناصراً
مُتكلّفين سياسة استعمار
وتساءل المتعجّبون لحالة
نكراء من هم أهلُ هذي الدار
هي للصحابة من بني الأنصار
من كلّ بدري وكلّ حواري
للحاكمين بأمرهم من غيرهم
ولصفوة الأسباط والأطهار
أأبا عزيز والحديث كما رووا
شجن، ومُرُّ القول عذبٌ جاري
والحابسين زئيرهم بصدورهم
فاذا انفجرن به فأي ضواري
لا تيأسوا ان لم يلح من ليلة
فجر ولم تؤذن بضوء نهار

■ وقارىء شعر الجواهري في الاربعينيات يجده قمة في الابداع وقمة في الوطنية. والقصيدة تحت يديه سياط يلهب بها ظهور الحكام الظالمين والمستعمرين المبتزين حتى لتحسب أن النضال فكرة كان وراء تحديث القول الشعري في العراق. وعندما يخلو بلد من النضال الجماهيري والوطني تخلو قصائد ابنائه من التجديد، ففي مقصورته المشهورة يستجمع الجواهري كل الحوادث والاحداث التي مرت بالعراق وبه وبصحبه.

سلام على هضبات العراق
وشطّيه والجرف والمنحنى
على النخل ذي السعفات الطوال
على سيّد الشجر المقتنى
على الرطب الغض اذ يُجتلى
كوشي العروس واذ يجتنى
سلام على قمر فوقها
عليها هفا واليها رنا
سلام على جاعلات النقيق
على الشاطئين بريد الهوى
سلام على بلد صنته
وإياي من جفوة او قِلى

■ وتحدث وثبة كانون عام ١٩٤٨م حيث يثور الشعب ضد السلطات التي ربطت العراق بمعاهدة «بور تسموث» الجائرة مع بريطانيا. وفي المظاهرات العارمة يسقط فيها «جعفر الجواهري» اخو الشاعر ويسقط معه نخبة من المناضلين في معركة سميت بمعركة الجسر وفي الانتفاضة هذه يقول الجواهري.

أتعلمُ أم أنتَ لا تعلمُ
بأن جراحَ الضحايا فمُ
فمٌ ليس كالمدّعي قولةً
وليس كآخر يسترحِمُ
أتعلم ان رقابَ الطغا
ة أثقلها الغُنْمُ والمأثم
أتعلم أنّ جراحَ الشهيدِ
تظلُّ عن الثأر تستفهمُ
أتعلم أن جراحَ الشهيدِ
من الجوع تهضم ما تلهم

● والنقد أيضاً لم يغب عن ساحة النضال والحياة السياسية لما يعرضه من نظرات ونظريات بناءة فى السياسة والمجتمع والانسانية.

● قيمة حركة النضال فى العالم العربى والاسلامى استوحت التراث الإسلامى الخالد.

● الجمهور ناقد يستجيب للأديب الذى يناضل ويلتزم قضيته.

نُمِصّ دماً ثم تبغي دماً
وتبقى تُلِحُّ وتستطعم
فقل للمقيم على ذُلّه
هجيناً يسخَّر او يلجم
تقحَّمْ لُعنْتَ أزيزَ الرُّصاص
وجرِّبْ من الحظِّ ما يُقسَم

■ وفى يوم الشهيد يعيد الجواهرى ذكرى جعفر ورفاقه ثانية وما المناسبة كلها الا استذكار بوطنية الوطنيين وتذكيراً بظلم الظالمين واحتقارا لمن أسهم فى ربط العراق واقتصاده بمعاهدات الجور والحرمان.

يومَ الشهيد تحيةٌ وسلامُ
بك والنضال تُؤرَّخُ الأعوامُ
بك والضحايا الغر يزهو شامخا
علم الحساب وتفخر الأرقام
بك والذي ضمَّ الثرى من طيبهم
تتعطر الأرضون والأيام

■ وبمرور السنوات تصبح وثبة كانون عام ١٩٤٨ مادة جماهيرية وثورة حقيقية فالذكرى بها، تذكير بكل النضال والتذكير بها تذكر لكل الثورات الشعبية المحيطة ومع الشهيد جعفر، شهيد وشهداء.. وهذا «قيس الألوسي» يجعل الجواهرى منه رمزاً للنضال فيصبح دم الشهداء دماً لكل العراقيين.

دمَ «الشهداء» لا تذهبْ هَباء
ولا تجمد بقارعةٍ ضياعا
ولا تَشكُ الضياع فإنَّ فينا
دماء سوف تشربها تباعا

■ وثانية وثالثة تدخل فلسطين مع الوثبة تأتى فلسطين هذه المرة محتلة مقتسمة. تأتى فلسطين مجروحة، مليئة بالرعود والوعود.. ومعها يعود الجواهرى جامعاً كل المحن والمشكلات.

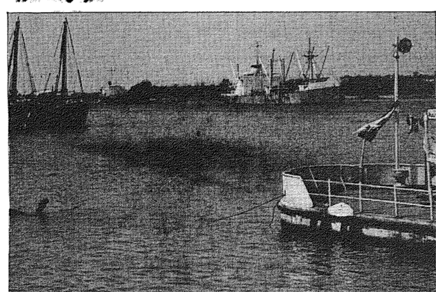
حماة الديار لم تترُك لشعري
فلسطينُ سوى كلمٍ مُعَادِ
بكيتُ مصابَها يفعاً ووافت
نهايتها وهُم عداوى
حماة الدار إني لا أمارى
وإنْ قلتُ الجديدَ ولا اصاوى
وليس تملق الجمهورِ مني
ولا التضليل من شِيَمي وزادي

■ والجواهرى فى شعره النضالى صوت شعب وسياط شعب، وله فى لغة النضال اليومى وفرة من القول الماضى والفعل الموحى، واشتقاقات فى اللغة، وهجر ألفاظ مبتذلة، واحياء الفاظ مهملة. وتراه فى كل موقف يلخص حال شعب ظُلم، وحال شعب غُلب، فكان شعره لساناً جماعياً ولغة عربية ثرة، وكانت رؤاه أفكاراً ناصعة الضوء.

أطبِقْ دجى أطبق ضبابْ
أطبق جهاماً ياسحاب
أطبق دماراً على حماة
دمارهم أطبق عذاب
أطبق على هذى الكروش
يمُطُّها شحمٌ مُذاب
من حولها بقر يخور
وحوله غرثى سغاب
اطبق الى ان ينتهى
للخاطبين بك احتطاب

■ فى الخمسينات يتسع افق نضال شعر الجواهرى باتساع حركة الجواهرى النضالية، وباتساع حركة المجتمع النضالية، فهى مرحلة مخاض كبير ومرحلة نضج ثورى ليس على ارض العراق حسب بل فى ارض الكنانة وفى سوريا حيث الحرب مستعرة وفى كل مكان. وكان الجواهرى لا يرى فى كل هذه السعة النضالية الا حركة مجتمعه العراقى ضمنها فلقد تردت الاوضاع الاقتصادية والسياسية وكثرت التساؤلات حول مصير الموارد والتعليم والصحة، حول ما يذاع وما يقال من آمال

منظر من شط العرب



ووعود. وقد لخص الجواهرى معاناة الشعب بقصيدة «تنويمة الجياع» قال فيها:

نامي جياعَ الشعب نامي
حرستْك آلهةُ الطعام
نامي فإن لم تشبعي
من يقظةٍ فمن المنام
نامي على زَبَدِ الوعودِ
يُدافُ في عسلِ الكلام
نامي على جور كما
حُلِمَ الرضيعُ على الفطام
وقعي على البلوى كما
وقع «الحسامُ» على الحسام
نامي على حبيش من الآ
لام محتشدٍ لهام
اعطي القيادة للقضا
ء وحكّميه في الزمام
واستسلمي للحادثا
ت المشفقاتِ على النيام
ان التيقظ لو علمـ
ـت طليعة الموتِ الزؤام
والوغي سيف يبتلي
يوم التقارع بانثلام

■ في الفترة نفسها ينظم الجواهرى قصيدة فى انتفاضة الشعوب الايرانية ضد الحكم وفى انتفاضة شعب مصر ضد الانكليز فى الاسماعيلية وينظم وهو فى السجن، او وهو فى العمل، او فى السفر، فالقضية الوطنية حاضرة فى كل موقع. فالنضال شعر، والشعر عنده نضال والتاريخ النضالى للثقافة لا يقاس بدون الجواهرى شاعراً وناثراً وصحفياً وأدبياً خطيباً.. وكلنا وعلى اختلاف مذاهبنا وأهوائنا نقرأ للجواهري وكأنما نقرأ للشعر فينا نضاله وفينا مبدأيته وثوريته.. واذ يورد فى شعره مصر وفلسطين والجزائر ودمشق وبيروت، فانما يورد فى كل قصيدة عنهم بغداد والعراق.. واذ ترد شعوب واقوام ترد الشعوب العربية.. فالجواهرى لا يقول بشعره النضالي القول الخاص او المجزوء وانما يقول القول العام والانساني يورد الاحداث المتشابهة ويورد المحن التى تبتلى بها الشعوب. يورد كل هذا وذاك وهو مطمئن الى ان الغد وان طالت ايامه للشعب المكافح.. ففى قصيدة يقول فيها.

جيش العراق ولم ازل بكَ مُؤمناً
وبأنك الأمل المرجى والمنى
وبأنّ حلمك قد يطولُ به المدى
لكنَّ عزمك لن يحيقَ به الونى
جيشَ العراقِ إليك ألف تحية
تُستاف كالزهر الندي وتُجتنى
هذا العراقُ وهذه ضرباته
كانت له من قبل الف ديدنا
ساء العروبة والعراق صميمها
ان يشتكى وقد استبيح من الغنى

■ وتعد الخمسينات فى شعر الجواهرى مرحلة ناضجة عرف فيها جاد القول، واضح الرأى قوى الحبكة، مدرك لحركة المجتمع الانسانى كله. وله فيها قصائد طوال يصحب على مقل هنا ان يقف عندها فمن اي المواقع مسكتها اعطتك موقفه، وابانت شكيمته. فالجواهرى اب لكل شعر نضالى والشعر فى العراق منذ وجد شعر نضالى. وتعد مرحلة الجواهرى بحق مرحلة النهوض والتحدى لكل قوى الظلم والقهر والاستبداد. لعل دجلة والفرات والنيل انهر لا ترى الا ويرى شعبها المناضل. ودجلة من دون انهر العالم له عند الجواهرى خصوصية فهو مكان له فيه ذكريات ومكان له فيه تاريخ لا يذكره الا متى ما اغترب عنه.

حَيَّيت سفحك عن بُعد فحيّيني
يادجلة الخير يا ام البساتين
حييت سفحك. ظمآنا ألوذ به
لوذ الحمائم بين الماء والطين

يا دجلة الخير يا نبعاً افارقه
على الكراهة بين الحين والحين
انى وردت عيون الماء صافيةً
نبعاً فنبعاً فما كانت لترويني
يا دجلة الخير: ادري بالذي طفحت
به مجاريك من فوقٍ الى دون
ادري على اي قيثار قد انفجرت
انغامك السمر عن انات محزون
ادرى بانك من الف مضت هدراً
للان تهزين من حكم السلاطين

■ وبعد، فما نقوله ـ هنا ـ عن النضال فى شعر الجواهرى قليل فالعراق منذ ان عرف عرف مناضلا ضد قوى الظلم والطغيان وشعر الشعراء لم يقف عند مرحلة او اخرى انه شعر ارتبط بحقيقة مجتمع يتطلع وبحقيقة شعب لا ينام على ضيم.

الاستاذ حاتم الصكر:

■ نستطيع استقصاء مواضع عديدة فى شعر الجواهرى بطريقة الاستاذ النصير. ولكن الأهم فى نظرى الاشارة إلى أن الشعر الوطنى وجد فى قصائد الجواهرى جماهيريته. أى أصبح الجواهرى شاعراً جماهيرياً يلاحق معهم الأحداث ويعلق عليها ويؤرخها.

والملاحظ أن الجواهرى بعد أن ربط الشعر بالناس وأنزله الى حياتهم ومداركهم؛ لم يُضحِّ بالفن بل ازداد نضوجه وهو يلتصق بقضايا مجتمعه معبراً عنها بحرارة وحماسة.

■ لا أوافق الاستاذ النصير قوله إن الجواهرى ختم مجاهدته بالشعر بعد انتصار ثورة ١٤ تموز الوطنية عام ١٩٥٨ بل ظلت له مساهمته الواضحة فى بناء الوطن وإرساء دعائم المجتمع الجديد.. يشاركه فى ذلك شعراء كثيرون من مدرسته أو من المجددين.

د. الطاهر:

وطبيعى اننا أخترنا الجواهرى مثلا بارزاً وإلا فشعراء النضال فى العراق كثيرون، والنضال سمة ـ وقد تكرر ذلك بسمة غالبة على الشعر العراقى.

ويرد ـ مثلا ـ اسم محمد صالح بحر العلوم صاحب قصيدة «أين حقى» والقائل:

حاشاك أن ترضى وأنت محمدٌ
ان تستغِلَّ جهودَ الفَ يدٍ يدُ

والقائل:

أى السجون ـ لحد الآن ـ لم ترها
عينى وأية عين فيه لم ترنى

الاستاذ باسم حمودي:

اذا اردنا ان نضع محمد صالح بحر العلوم الى جوار الجواهرى فى المسألة النضالية فالجواهرى يطغى عليه فى الصورة وعمق التأثير مثله فى ذلك مثل السيد محمود الحبوبى والشاعر صالح الجعفري واحمد الصافى النجفي ولكنهم كما اسلفت لا يرقون فنيا الى مستوى الشاعر الجواهرى.

د. الطاهر:

ولنتذكر ان الرصافى بقى حياً حتى عام ١٩٤٥، وتعددت مواقفه الوطنية، وبقيت قصائده الوطنية تحفظ وتدرس ويستشهد بها.

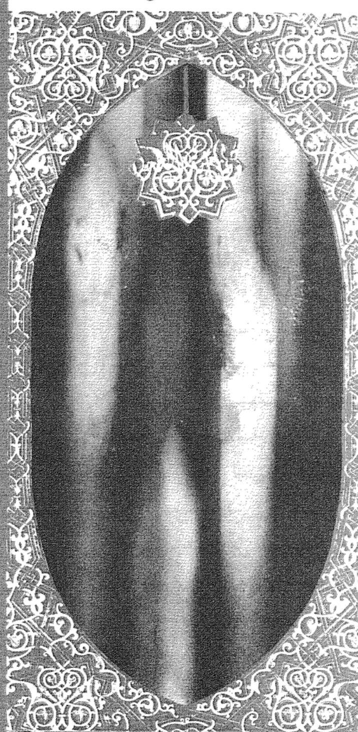
كما انه كان مع حركة رشيد الكيلانى مارس ١٩٤٠، ومعه فى ذلك مجموعة من الشعراء تقدم ابراهيم الوائلى فكان صاحب اول قصيدة القيت من دار الاذاعة.

■ وللعراق فى مختلف عقود الزمن شعراء كثيرون اسهموا بشكل وآخر فى السياسة وبالجانب النضالى منها وفى هذا الجانب ما يتعدى القطر الى العرب كلهم وتقع «فلسطين» فى الصميم حتى ان كتاباً قد صدر بعنوان «فلسطين فى الشعر النجفى» ورسالة عن «الجزائر» فى الشعر العراقى. ومن هؤلاء الشعراء الذين سيمضون مع العقود.. «على جليل الوردى، على الحلي، مصطفى جمال الدين، ابراهيم الوائلى، عبد المنعم الفرطوسى، حسين مروان، محمد على اليعقوبى، حازم سعيد، نعمان ماهر الكنعانى، حافظ جميل، محمد جميل شلش، مرتضى فرج الله، رءوف الجبورى، كاظم جواد، رشدى العامل، ماجد العامل، عبد الأمير الورد، كاظم السماوى، شاذل طاقة وغيرهم وغيرهم.

الندوة موصولة

المختار

إذا الشعر لم يهززك عند سماعه فليس خليقاً أن يقال له شعر



العدد ٤٨ المحرم ١٤١٠هـ

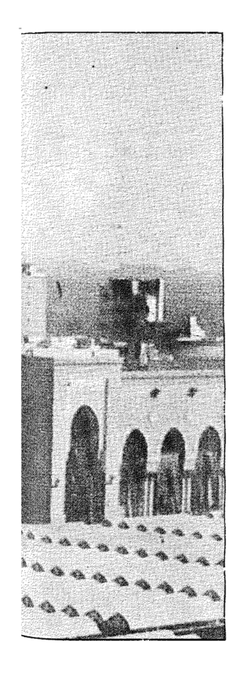
المشرف

محمود عارف

قصائد العدد



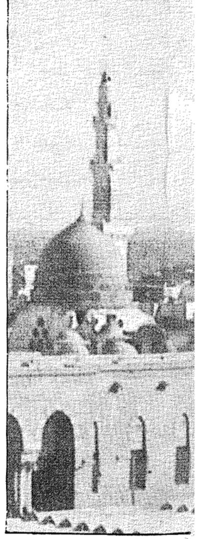
عبـرة من الهجـ



هجر الرسولُ محمدٌ أم القُرى
لما رأى فيها الضلال مسيطِرَا
والبطشُ بالضعفاء سُنّة حُكمِها
وسُراتها فى البغْى قد بلغوا الذُرا
ورأى أساطين الضلالة قادة
لم يتركوا للحقِّ فيها.. مِنْبَرا
ورأى قوارينَ التجارة.. دِأبُهم
مصّ الدماء من الفقيرِ إذا اشْتَرى
والنّاسَ تنحِتُ ربَّها من صخرة
لا تسمعُ الداعينَ منهم أو تَرى
والبعضَ يصنعُ ربَّه من عجوة
إن جاع يأكُلُه.. ويصنعُ آخرا
وعبادة الأوثان ديناً سائداً
وعبادة الرحمن أمراً مُنْكَرا
والرأي رأي الحاكمينَ.. وغيره
مهما يكنْ.. رأىٌ كريهٌ مُزْدَرى

ـــرة

رفـضـوا الـنـبـيَّ المـصـطـفـى.. وهـو الـذى
كان الـبـشـيرَ لهم وكـان المُـنْـذِرَا
هَجَـر الـضـلالَ.. مُكـبِّـلا أمَّ الـقـرى
ولـيـثـربَ الـزهـراء.. سار مُهـاجِـرَا
قد راحَ ينـشـرَ ديـنـه من يثـربٍ
حتـى يقـوم.. كما أُريـد ودُبِّـرا
درْسٌ بليـغٌ للذى ضاقـتْ به
أرضٌ.. ولم يجد الـسـبـيـلَ مُيَـسَّـرا
لابـدَّ يهجـرُهَـا.. لأرضٍ غيرهـا
ليـذيـعَ منهـا ما يشـاء ويُـنْـشُـرا
وبـيـثـربٍ.. وجـد الـرسـولُ حفـاوة
بقُـدومـه مع صحـبِـهِ فاسـتْـبـشَـرا
وعـلا الـوجـوه وضـاءة من نُورِه
وعـلى الـثـغـور، سَرَى الـنـشـيـدُ مُعـبِّرا
يا أيّهـا المـبـعـوث.. أنـت نبيُّـنَـا
أنـت المطـاعُ.. أعـدَّ منَّـا الـعَـسْـكَـرا
إنَّـا لك الأنـصـارُ. آمـنَّـا بما
أوحـى إلـيـك الـلهُ.. يا خير الـورى
فأعَـدَّ جيـشـاً لاجـبـاً متـمـرِّسـاً
ضمَّ الـنـصـيرَ.. ومـن أتـى مُسْـتَـنْـصِـرا
حمل الـنـصـيرُ مع المـهـاجـر رايـةً
فى ظلِّهـا سار الخـمـيسُ مُكـبِّرا

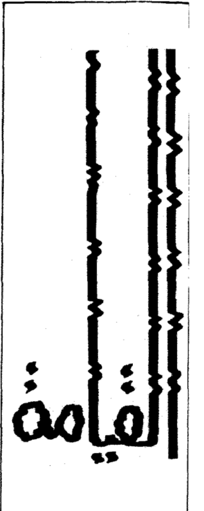


شعر: احمد فهمى خطاب

مصر



اللهُ أكبرُ حانَ يا أمَّ القُرى
عودُ الحبيبِ إلى الحبيبِ مُظفَّرا
عاد المهاجرُ آزراً ومؤزرا
ومضى لمَكَّةَ فاتحاً ومُحرِّرا
وأتاه نصرُ الله والفتحُ الذى
قد كان حلماً صار صُبْحاً مُسْفِرا
وتواكبتْ أفواجُ كالأمواجِ
تشهدُ أنَّ نُورَ محمدٍ فيها سَرَى
ووراء خيرِ الخلْقِ سارُوا جحفلا
ملأ البطاح كأنهم أُسْد الشَّرَى
وسعى إلى البيت العتيق مُسبِّحاً
ومُحَمْدِلاً ومُحوقلاً مُسْتَغْفِرا
وأصار مكة للسلام مثابةً
لم يبق فيها للصدام مُعَسْكَرَا
فأقرَّ للإنسانِ أمناً سابغاً
من بعد خوفٍ قد نفى عنه الكرى
لم يدْعُ للإسلام إلا بالحجا
والسيف يدفع عن حماه من اجترا
تلك الحقيقةُ لا مِراء وغيرها
محضُ افتراءاتٍ وخابَ مَنِ افْتَرى
هى عِبْرَةٌ من هجرة لمحمد
واللهُ ينصرُ منْ لهُ قَدْ هاجَرا





شعر: ابراهيم خليل العلاف

مكة المكرمة

على وَشْــكِ أن تُحصــى علامــاتُهــا الــصــغــرى
ولم يَبْــقَ إلَّا أن تَحلَّ بها الـكـبرى

أرى بركــات الأرض كفـكَـفَ مدَّهــا
غلاء وشــحٌّ، واكــتـســى أهــلُهــا فقــرا

ملايــين هلكــى ، والطــفــولــةُ بيــنهــا
معــذبــة، قد لاكــهــا الــسُّــقْــم مُجتَرّا

يلاحِــقُــهَــا المــوتُ الــزؤامُ كأنَّــه
حصــاد، وحــاجــات لها أُتْخِــمــتْ كُفْــرا

وقــد هالــت الأمــراضُ يَسْــري عضــالُها
تلاشَــتْ مناعــاتٌ قد استــمْــرأتْ عُهــرا

وأضــحــى فســادُ الــبَّر والــبحــرِ واقــعــاً
وقــد باتَ جُلّ الــكــونِ يســتــشــعــرُ الــضُّــرا

كذلــك أشــتــاتُ الــكــوارثِ جمَّة
هى الــعِــبرُ الــصــفــراء، تســتــلفــتُ الــفــكــرا

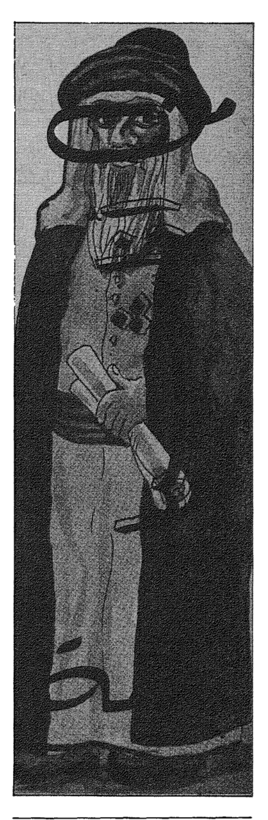
وإجــرامُ أوكــارٍ تبــثُّ سُمُــومَــهــا
بها الــنشء يشــقــى، تنــشــرُ الــســوء والــعُــهْــرا

ومــالــتْ موازيــنُ الــفــضــائــل يســرة
وقــد جنــحــتْ ضعــفــى ولم تحَــتــمِــلْ شرا

وأضــحــى سبــاقُ المــالِ حُمَّى رهــيــبــةً
وغــايــة جُلِّ الــنــاسِ فاصْطَــرَعَــتْ غَدْرا

تصــدَّى لها الإغــراء يَطْــغــى غروُره
وأعــجــزهــا الإفــلاسُ فاضطــربــتْ صبْرا

ولم تمتــلىء أرواحُــهــا بســكــيــنــةٍ
يُمَــكِّــنُــهــا الإيــمانُ فاســتــســلمــتْ حَيْرى



إذا ابُتُليتَ بأمرٍ
منَ الأمورِ عظيمِ
وأرهقتْكَ الليالى
بألف ألف لئيم
ومرَّ يومُك سَحْقَاً
لخطْوِكَ المستقيم
لا تَبْتَئس ، وتسلَّح
بكبرياء الحليم
واصبرْ .. لعلَّ نهاراً
يلوحُ خلف السَّديم
يمد ألفَ شعاعٍ
إلى الظلامِ المُقيم
فكمْ ترنَّحَ ليلٌ
وكمْ تلاشى ظلامْ
وكم تألَّقَ فجرٌ
على رُبُوعِ الوئامْ
وكم تبدَّل حالٌ
وما لحالٍ دوامْ
فَسِرْ على الأرضِ هوناً
واعزفْ نشيدَ السَّلامْ
وازرعْ مشاتلَ حبٍّ
تخضرّ بين الأَنَامْ
يظل ذِكْركَ فيها
لألف عامٍ .. وعامْ

للشاعر : يس الفيل
مصر

يا ربة الدار

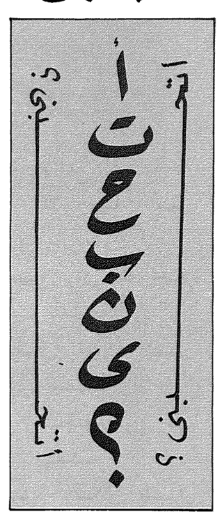
يارَبَّة الدارِ هل في الدارِ من مُتَعٍ
بلا جوارك؟ كلا رَبَّة الدارِ
الدار - دونك - قفْرٌ، والديار بلا
روحٍ، ولا النيلُ يُروى غُلَّة الجارِ
إنْ أكتمُ الشوقَ، أو أبديه تلْمسُهُ
منك الجوانحُ تياراً بتيَّارِ
ويسمعُ القلبُ مِنك الرَّدَّ يبعثُهُ
هَمْسُ الضلوعِ كنجوى بين سُمَّارِ
هوى الهَوَى كالهواء الطَّلقْ تنْفُثُهُ
مِنَّا النفوسُ بإعلانٍ واسرارِ
لكنَّها «الأنفسُ» الشتَّى تُلوِّنُهُ
بقَدْر طاقتها من كلِّ مِعْيارِ
ما باعَدَ اللَّهُ أكباداً مُؤلَّفَةً
بالحبِّ لو سَبحتْ ما بين أمصار
نهرُ المحبَّةِ مجراها، ومركَبُهَا
فُلْكٌ من اللَّهُ سَوَّاه بِمقْدارِ
لا يغرق الرَّاكبوه حين يغسلهُمُ،
غُسْلَ الطهارة من رجسٍ وأقذارِ
غيثُ السماء له ريٌّ وتحليةٌ
تَعُبُّ منه نميرَ الحبّ أشعاري





شعر ابراهيم امين فوده

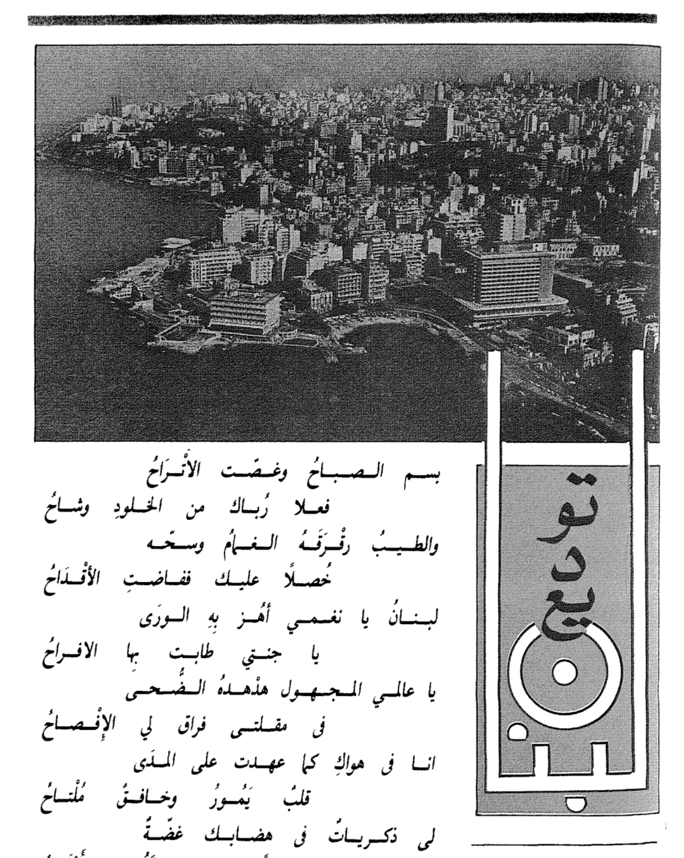
مكة المكرمة



سألتْ سؤالَ تدلُّلٍ: أتُحِبُّني
فأجبْتُها: اللهُ أعلمُ لا سِواه
وهمستُ في آذانها
لحناً تملْمُلَ في الشِّفاه
أنا قد عشقْتُكِ اذ تفتْ
تحُ فيك برعومُ الحياه
ورميت قلبي في خِضَمٍّ
لستُ أدري منتهاه
أنا لستُ أعلمُ ما أقولُ
ولستُ أدري ما أُغنِّي
أنَا في هواكِ نَسيْتُ أحْـ
ـلامي وأوْتَاري وفَنِّي
أنا قد سئِمْتُ بكلِّ شيء
غير حُبِّكِ لي ودنِّي
أنا قد عَشِقْتُكِ بسمةً
في خاطري وسُكُونِ ظنِّي
إنْ كُنتِ سائِلتِي هواي
فهاكِ من شِعْري دليلْ
هو نفحةُ الآلامِ مِنْ
رُوحي ومِنْ قَلْبي العليلْ
فترفَّقِي بشوارِدٍ
هي كُلُّ ما عِنْدي خليلْ
واذا أتَتْكِ فبارِكي
مِنها دموعاً قَدْ تسِيلْ



للشاعر احمد خليل عبد الجبار



توديع لبنان

احمد خليل عبد الجبار

بسم الصباحُ وغصّت الأَتْراحُ
فعلا رُباك من الخلودِ وشاحُ

والطيبُ رقْرَقهُ الغمامُ وسحّه
خُصلًا عليك ففاضتِ الأقْداحُ

لبنانُ يا نغمي أهُز بِهِ الورَى
يا جنتي طابت بها الافراحُ

يا عالمي المجهول هدْهدهُ الضُّحى
فى مقلتى فراق لي الإفْصاحُ

انا فى هواكِ كما عهدت على المدَى
قلبٌ يَمُورُ وخافقٌ مُلْتاحُ

لى ذكرياتٌ فى هضابك غضّةٌ
دوماً اذا رددتُها أرْتاحُ

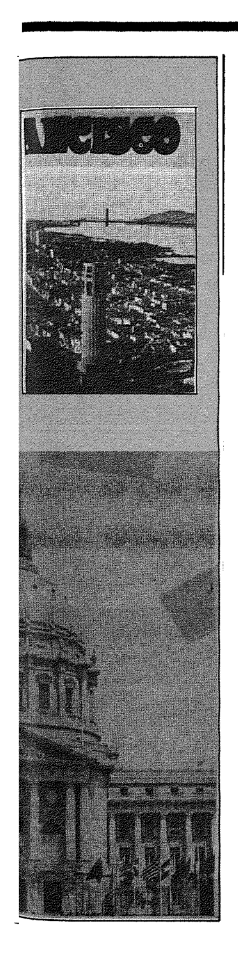
كُمْ فى الظلام شدوتُ باسمِ حبيبِها
وشدا معي صنّينُ والأدواحُ
كمْ مرّة فى الليلِ يغمُرُني الأسى
وتحزُّ فى قلبي العليلِ جِراحُ
وأتيْتُهُ فى الظلماء وحدِي والكرى
إنْ رقَّ جُنحاً هاضَ منهُ جناحُ
والنَّجْمُ فى أُفق السماء كأنه
قَلِقٌ لحالي مُجتوٍ لَمّاحُ
والبدرُ يُخفي بالضباب دموعَهُ
كي لا اراها حُرقةً . تجْتاحُ
لى ذكرياتٌ لو ابوحُ بِسرِّها
يجْفُ الزمان وتزهق الإصباحُ
لبنانُ يا أحلى غناء فى فمي
وأعزَّ سلوى للحياة تُتاحُ
لبنان يا ذكراى صفت لها الرُّوى
ارجوحةً يَسرى بها الملاّحُ
غداً الرَّحيلُ فليْتَ يصرعُنى غدٌ
وتلفُّنى قبل النَوى أشباحُ
قلبي هنا كفَّنْتُ حُلْمَ شبابِهِ
وبكته فى ملكوتِها الأرْواحُ
للِمْ معِي لبنانُ زهرَ صبابتِى
ذبُلَ البنفسجُ وانطفا المِصْباحُ

سان فرنسكو



محمد بن احمد العقيلى

يا سان فرنسسكو، ماذا يُلهم الشاعرْ
من أُفقكِ الطلقِ أو من شطِّكِ الساحرْ
أو من مغانيك الزهراء زاهيةً
بالحُسْنِ والفنِّ والابداعِ للشاعرْ
حُلم الفراديسِ فى دنيا الجمالِ على
تألقِ الوجدِ فى زهْوِ الصِّبا الباكرْ
ونفحة العطرِ فى أرجاء ضاحيةً
فى الروضِ والغيمِ يمرى سُحْبَهُ الماطِرْ



مفاتنٌ كأساطيرِ الخيالِ بدتْ
تسبى النُّهى وتشدُّ القلب والخاطرْ
تَجسَّدَ الحسنُ واستجلى الجمالُ بها
وأشرق الفنُّ يزهو بالسَّنى الباهِرْ
أرض مُوشَّاة بالأزهار مفعمةٌ
بالورد، والنور، يعبق نَشْرُها العاطِرْ
نهارُها وَهْجُ أفراحٍ مخضلةٍ
ظلالها ومساها بهجة السامر

* * *

وربوة تستَحمُّ الشمسُ لاهيةً
فى شطِّها ويُغنِّى موجُها الكاسِرْ(1)
والشمسُ تحْضُنُها والبدرُ يلْثُمها
والشُّهبُ تسبح فى تيارها الزاخِرْ
ويرقصُ القمرُ الوضّاء مُنتشياً
فى حُلَّةٍ من شعاعٍ رائقٍ غامِرْ
فترتشِفُهُ النجومُ الزُّهرُ، ضاحكةً
وينتشي الكونُ فى لألائه الهامرْ
تذوبُ فى نسمةِ الإصباح أغنية
تستوقفُ الطيرَ فى أجوائه نافِرْ
فى نغمةٍ كنشيد الحُورِ شائقة الا
نغامِ يَقْصُرُ عنها العازفُ الماهِرْ

وزرقة في سماها لا تفارقها
يزينها البدرُ في لألائه رافل

وهضبة كسنام النجم شامخة
حُلُم الصِّبا في تجليّ العاشقِ الشاعِرْ

كم وقفة لي في أعلى معالِمها
عصراً، أشاهِدُ أروع منظرٍ ساحرْ

ثُمْنا وقد دلكتْ شمسٍ المساء إلى
خميلةٍ يتغنى حسنُها السافر

رئة المدينة بل نزه البلاد بلْ
فردوسَها المخصب المخضللِ الناضِرْ

بحر يموج اخضراراً لا يحيطُ بِهِ
طرْفٌ فيسبح في أرجائه ماخِرْ(٢)

رفه النَّماء على خضراء باسقةٍ
من الجنان وروض مُثمرٍ زاهِرْ

روض من السندس الفواح صادحة
طيوره، وينابيع لها هادر

خمائلٌ كبُرودِ الوشْي ناشرة
ظلالُها وزهورٌ بوحُها صادِرْ

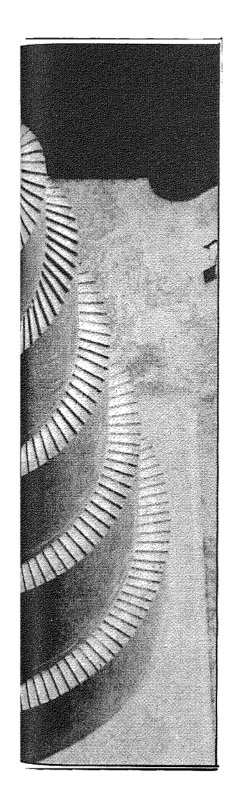
---

(١) كاسر: مائل، قال الراجز يصف ناقته السريعة:

كأنها بعد كلال الزاجر
ومسحه مر عقاب كاسر

(٢) ماخر: جاري، قال تعالى ﴿وترى الفلك مواخر﴾: جواري.

من بغداد

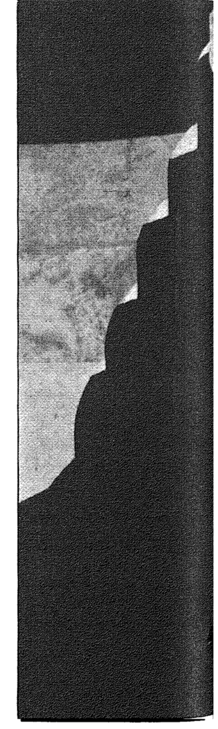


ضُيِّعْتُ بين «البانِ» و«العلَمِ»
وقبسْتُ من أثرٍ ونضحِ دمِ
وجعلتُ «مُنْعرجِ اللِّوى» عِدَة
ووهبْتُهُ قلبي فضجَّ فمِى
ونَشَدتُ بعضَ هوى تضيفني
عُلِّقْتُهُ فى «السَّفحِ» من «إضمِ»
يا وَيْحَ أصداء سلمْتُ بها
وشممتُ رَيَّاها «بذي سَلَمِ»
وحمِدْتُ ما اسْتبْقَيْتُ من صِلةٍ
ومِلاكُ ما ثمَّرْتُ من ألمِ
أنا بالهَوَى وحديثه غَرِضٌ
وبكُلِّ ما أسْدَيْتُ من كرمِ
ليهزُّني أنْ رُحْتُ من طربٍ
أشدو بما ألهَمْتُ من نغمِ
وبما صُرِفْتُ إليه من أنِقٍ
يصبو إليَّ بنفْحِهِ كَلِمي
طوراً يجيء بسلسلٍ شبمِ
ويجيء أُخرى فى لظى ضَرمِ
وأعودُ من كُلٍّ ببعض أسى
حرَّانَ أرقب رافه النَّسمِ

داد

شعر د. ابراهيم السامرائي

★ صورة من الجو للملوية سامراء ★



إني لَيُرضيني اليسيرُ بما
يشفي وأحْسَبُه من النِّعَم

ثَقُلَتْ عليَّ حياة مُحْتَرِبِ
وهُرِعْتُ من همٍّ إلى سَقَمِ

أقنعْتُ نفسي أن مُنْحدري
مازال في عجزٍ عن الهِمَمِ

وبقيةٌ مازلت أعركُها
مني وأصرفها عن العدم

هي عُدَّتي وَوِقاء مُصْطخبي
وذماء مَحْروبٍ ومُهْتَضَمِ

إرثٌ حَمِدْتُ جهاد مُورثِه
ووجدتُهُ يقوى على الهَرَمِ

ووجدتُه بشديدِ مُنَّتِهِ
يختال في أثوابه القُدُمِ

آليتُ لا أُزهى ببارقةٍ
بل جُزْتُها حجّاً إلى القممِ

وأخذتُ نفسي أخذ مُحْتملٍ
ضُرّاً فأرضى غاليَ الذِّممِ

لا أبتغيها دأبَ منصرفٍ
عن حاضرٍ لوذاً الى صَنَمِ

***

قسماً بما أعليتُ من نشبٍ
واف سما لسنائِهِ قَسَمي
لم أخلُ عنه وما تخلّجني
جرّاه غاشيةٌ من البرمِ
ولقد رضيتُ سبيل مُحْتسِبٍ
لا تعتريه غضاضةُ الندمِ
وهبتُ نَفْساً أن أُحطَّ بها
فأسومها لحماً على وضمِ
عَظُمَ الإباء اذا شقيت به
ولذاك كلّ بلاء ذي حِكَمِ
ولأنتَ من جرّاه ذو نَصَبٍ
مما شُغِلْتَ به من الحُلُمِ
وكذاكَ كلُّ مجاهدٍ حربٍ
أسرى مع السارينَ في الظُلَمِ
إنَّ العُلَى قدرٌ ويطلُبُها
إنّ قلَّ فيها الأهلُ ذو شَمَمِ
إني إلى لمْحٍ تخطَّفني
منها لأكْرمُ سالفَ الرِّحِمِ
ولما سعيتُ إلى سماحتها
لأروح في سَمْحٍ من الحُرَمِ
ألفيهِ في سِحْرٍ من الكلِمِ
يفْترُّ بين السِّفْرِ والقلمِ

المختار

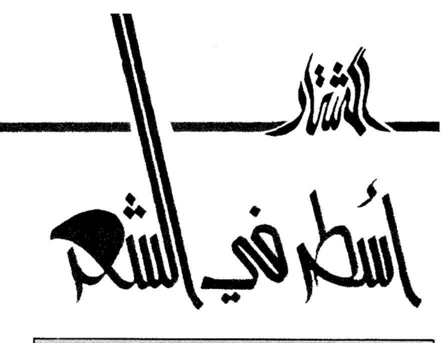
أغنية مسافرة

شعر: فاروق شوشـــه

إليكِ . . . يا مسافرة
أغنية مسافرة
ليس لها أرضٌ ولا قرارْ
الشط ناء ، والمزارُ يا فريدتى مزارْ.
وغُنْوتى قصيرة ، وعابرة
لكنَّ فى أعماقها انتظارْ
إليكِ يا مسافرة . . .

* * *

الحلم أثقل الجفونَ ، فلْنَنَمْ
وعشَّشت فى المقلتين زُغْبُ أمنياتنا الصغارْ
وديعة الغد الغريق فى رحابة العيون ، والألم والهفتا . . .
لو أقبل النهار . .
طارت ، وزفَّ خافق لدى مُستطارْ
يا ليلَ: يا حكاية الفراغ والشجون
يا أنتَ
مُلتقاىَ والهمومُ والصحابْ
وموعدى مع السرابْ
مازال بين راحتى كتابْ
أوراقه البيضاء فى نقاوة العذراء
والأحرف العجماء فى سطوره شتاء
كئيبةٌ كمقبرة . . .
والهفتا . . .
لم تنخلع لِوَمْضَةٍ أو خاطرهْ
ولا انتهت إلى كُلَيْمةٍ تضئُ فى الضباب
حياتى المهاجرة . . .
إليك يا مسافرة . . .
اللفظة التى تموت دون أن تمسها شفةْ
وكان فى أعماقها بحارْ ،
والهمسة التى وراء مقلتين تختنق
وملْء صدرِها انبهارْ
وغنوة قصيرة وعابرة ،
وسيلتى إليك
لو يسعف النهار
تهاوت السنونْ
واحترقت عيونْ
وانهار من سقيفتى جدارْ
يا طول أن يلفنا انتظارْ
إليك يا مسافرة! .





قراءة فى قصائد العدد ٤٧٢

بقلم الدكتور: حلمى محمد القاعود
القاهرة

يناغى الموضوع الاسلامى فى الشعر العربى المعاصر وتراً حساساً لدى المتلقى بصفة عامة واذا عرفنا أن معظم الشعراء المعاصرين أخذتهم موجة التقليد الجارفة للنماذج السيريالية والمعتمة التى تدور فى متاهات معقدة وغامضة، أدركنا قيمة الشعر الذى يخاطب الوجدان مباشرة، ويلمس مناطق التفاعل فى الشعور الانسانى.. وهذه من خصائص الموضوع الاسلامى بلا ريب.

■ وأحسب أن القصائد التى نشرت فى العدد الماضى من «المنهل» الغراء كانت من ذلك النوع الذى يصل إلى القلب ويخاطب الاحساس مباشرة لأنه يعتمد على الوضوح الاسلامى بالدرجة الاولى.. وبالرغم من أن «الموضوع الاسلامى» كان «الحج» فقد حملت القصائد هموم الشعراء، وهموم الأمة معاً.. وشاركت فى ذلك القصائد التى تحدثت عن الحنين الى الوطن أو عبرت عن تجربة عاطفية تتداخل مع تجربة حضارية.

وفى سطور قليلة سأوجز الاشارة الى قصائد العدد الماضى من «المشتار» لنرى بعض ملامحها ودلالاتها.

■ **«الحج هجرة الى الله»** قصيدة الشاعر أحمد فهمى خطاب، أقرب إلى النظم الخارجى الذى يعرف بالحج، ويحكى رحلة الحاج التاريخية، وهتافه لله.. وإن كانت القصيدة تشير إلى تميز من أدى الفريضة خالصة، وهجر الضلال وهاجر إلى الهدى:

يا سعد من أدى الفريضة راجياً ... أن يقبل الرحمن ما أداه
لا يقبل الرحمن إلا طيباً ... من قاصد لله دون سواه
يا عز من بالحج أكمل خمسه ... وعن الهداية لم تنم عيناه
وبدربه يمسى ويصبح هاجراً ... لضلاله.. ومهاجراً لهداه

■ **«صرخة فى الحج»** للشاعر إبراهيم فودة، تبدو أنضج وأقوى قصائد العدد كله، وصاحبها شاعر متمرس له عدد من الدواوين الجيدة، وفى «صرخة الحج» يتعانق الهم الذاتى مع الهم العام وعناء الشاعر مع عناء الأمة.. وهنا يكون الحج ليس مجرد مناسبة «روتينية» يقوم فيها الشاعر بمجرد نظم بعض المعانى المكروره والمألوفه، وإنما مناسبة لتفجير الهموم العامة والخاصة سعيا للنجاة من آثارها والتخلص من أعبائها.

■ يبدأ الشاعر قصيدته بالتوجه الى الله بالدعاء، وبوساطة الجملة المعترضة، نستشعر هول المحنة التى يعيشها الشاعر على المستوى الشخصى:

إليك وقد طال البلاء داعثيا
وفيك وقد عز الرجاء رجائيا

■ وهذا الدعاء يعبر عن يقين راسخ وأمل قوى بأن الله هو مفرج الكرب مهما تكاثفت الظلمات وتراكمت الغيوم:

ومنك إذا الظلماء حاقت بمؤمن
ضياء معانيه فمنك ضيائيا
ويارب هل يخفى عليك فأشتكى؟
معاذك لكنى أناجيك داعيا
وأستلهم النجوى، ضياء بصيرتى
يبدد عن نفسى الغيوم الغواشيا

■ وباليقين الراسخ والأمل القوى يطرح الشاعر القضية الشخصية أمام ربه طلبا للرضوان والعفو ويتساءل عن ذنبه: ما هو؟ ولماذا يعانى الآن؟ وهل هذا العناء تكفير عن ذنوب قديمة؟ ثم يعود الى نفسه فيراها لم تذنب، ولم تؤذ أحداً ولم تخن أمانة.. ثم هو فى كل الأحوال يرى نفسه أمام جلال الله الرحيم مخلوقاً ضعيفاً لا يستحق مجرد السؤال والوقوف للحساب.

ويارب ما ذنبى لديك؟ لعلنى
أكفر عن ما كنت بالأمس جانيا
وتشهد ما آذيت نفساً ولم أخن
أمانة قومى، بل رعيت الأمانيا
وعفوك فوق المذنبين وسعتهم
برحمتك الكبرى فما بال شانيا

■ من الهم الخاص ينتقل الشاعر إلى الهم العام، ويتوجه إلى ربه بالدعاء ويسأله عما نعيشه ونحياه من محن وآلام.. ويارب هل يرضيك؟.. وفى موضوعية يعترف الشاعر بأننا أجرمنا فى حق نفوسنا فهانت على الناس، وصرنا هدفاً لغارهم، ويبين سبب الجريمة: البعد عن النهج والوحى والعهد والميراث:

ومن ضيع الموروث أنى له إذاً
سبيل لأن يبنى؟ وما كان بانيا

■ وتكون النتيجة بعد تضييع الموروث أو الميراث: إما الغربة والرحيل، أو الاقامة فى ذلك وقهر وهوان:

وأهل الحمى إما عن الدار راحل
وإما مقيم بات فى الذل ثاويا
وإنّا جميع فى الهوان وفى الاذى
وإما باينت تلك المغانى المغانيا

■ ويستمر الشاعر فى إنشاده على هذه الوتيرة التى ترى أن ما تعانيه الأمة كان بسبب تقصيرها فى أداء واجبها، وبعدها عن المنهج.. ويربط كل هذا بالمناسبة «الحج»، حيث يرى الموسم يتكرر، ويأتى حجيج بعد أن يذهب آخرون، ولكن الحال باقية كما هى:

وملء ثنيات الفؤاد مواجع
تهد الجبال الشامخات الرواسيا

■ إذا فالشاعر يحلم بتغيير الحال، وأن يكون ما بين الموسم والموسم فرصة للانفراج والنجاة.. وهذا الحلم فيما يبدو لا يتحقق أولا تبذل فى سبيل تحقيقه ولو خطوات بالرغم من يقينه الراسخ وأمله القوى الذى أعلن عنه فى مطلع القصيدة.. ومن ثم ينسحب إلى ذاته مرة ثانية، ليرصد ما يعانيه، فقد تصور قوم أنه يعيش على النيل هانىء البال قرير العين، ولكنه على العكس من ذلك يحمل هموم الأمة:

فقد علموا أنى فتى لا تغره
مفاتن دنياه ولا عاش ساهيا

■ ويعبر الشاعر بأكثر من صورة عن هذا المعنى ويبين أن هدفه الأسمى والأغلى هو بلوغ الأمانى التى تعتمل فى صدر الأمة:

وأغلى أمانى النفس أن نبلغ المنى
على أى كف حرة فى بلادنا
فخذها إذا ما شئت بيعة مخلص
على منهج الأحرار قد عاش راضيا

■ الحرية ومنهج الأحرار أو الكف الحرة.. قضية الشاعر



سعياً لبلوغ أمانى الأمة المكلومة والجريحة طرحها من خلال المناسبة السنوية أو المؤتمر السنوى الكبير الذى تلتقى فيه الأمة بكل عناصرها وأشكالها وألسنتها حول الكعبة، وهنا لابد أن يذكر الشاعر بقضيته، ويحرض على اقتحام العقبات وتجاوز المحن والآلام.. وكمعظم قصائد إبراهيم فودة، فإن «صرخة فى الحج» تتميز بصياغة مطبوعة يساعده عليها لغة مطواع، وموسيقى فطرية بعيدة عن التكلف والافتعال.. وإن كان ذلك لا ينسينا أن عين الشاعر وأذنه كانتا مشدودتين إلى قصيدة «شوقى» الشهيرة والتى غنتها «أم كلثوم» والتى يعرفها الناس باسم «الى عرفات الله» بيد أن «إبراهيم فودة» فى كل الأحوال، كان أقرب إلى استثمار المناسبة لطرح الهم العام والهم الخاص، فى إطار فنى جيد.

■ وفى ظل الحج، تبقى من قصائده فى عدد **«المنهل»** الماضى قصيدة **«الله أكبر»** للشاعر أحمد العربى وتبدو على النمط نفسه الذى سارت عليه قصيدة الشاعر أحمد فهمى خطاب، فهى أقرب الى النظم الخارجى الذى يرصد أحداث الحج، ويحكى عن الأماكن المقدسة وتاريخها.. مع إشارة إلى النبى ﴿ﷺ﴾ وتاريخ الدعوة الاسلامية فى عهده وما لقيه من صعاب حتى جاء نصر الله والفتح.. وكان صيحة الله أكبر عنوانا على هذا النصر.. ولكن الشاعر فى ختام قصيدته الطويلة، يطلب من المسلمين أن يستضيئوا بسيرة النبى ﴿ﷺ﴾ فى مواجهة واقعهم ومستقبلهم:

هذا هو النهج الذى قد سنه
فينا الرسول وذاك خير شعار
أفيستضىء المسلمون بشعلة
وهاجة من هذه الأنوار؟

■ تنشر **«المنهل»** قصيدتين للشاعر **«أحمد خليل عبد الجبار»** إحداهما بعنوان **«حنين الى الوطن»** والثانية بعنوان **«أمانى العمر»** والقصيدتان مكتوبتان فى عام ١٩٤٦، ١٩٤٧م، أى منذ أربعين عاماً تقريباً، ولا أدرى الحكمة من وراء نشر قصائد قديمة، اللهم إلا إذا كانت من تراث مهمل، ولكن القصيدتين جيدتان بصفة عامة، وإن كانت تغلفهما غلالة رقيقة من الحزن وهذا شىء طبيعى بالنسبة لمن يعيش فى الغربة. يقول الشاعر فى قصيدته الأولى «حنين الى الوطن»:

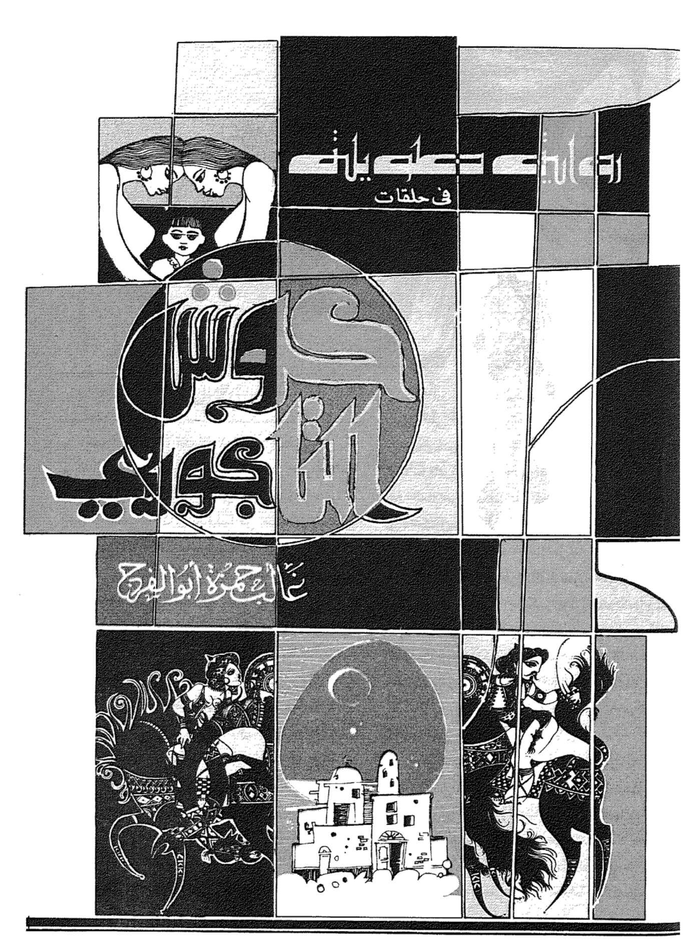
وأناجى الليل أرعى نجمه
واللظى ينهب لبى وحشايا
لا الدجى يصغى ولا الفجر يعى
يا بلادى لعذابى أو أسايا
ضل بى فى عالم الوهم السُّرَى
والنوى حاد بدربى وخطايا

■ وتتكرر النغمة نفسها فى القصيدة الثانية «أمانى العمر»:

أسير وحولى الدجى مطبق
وحظى من الدهر ما غيبا
كأن الحياة لها لجة..
يزف القنوط بها مركبا
أحدق فى الأفق فى صحوه
فيرخى على سحره غيهبا

■ تبقى قصيدة الشاعر **«منصور دماسة»** وتحكى تجربة عاطفية تتعانق أو تتداخل مع التجربة الحضارية أو القومية، وتحمل معانى جيدة، وإن كان التعبير عنها يبدو أسيراً لسيطرة العقل وحدة الذهن، وهو ما يقلل التدفق الشعورى والعاطفى، وينقل الشعر من مرحلة الطبع الى مرحلة الصنعة.. ومع هذا فختام القصيدة يضم بيتين قويين:

إن صار حب الغرب مهزلة
فبحبنا يتطاول الشرق
وكأن بين الحب من سفه
لا يرعوى وتعقل، فرق..


رواية طويلة
في حلقات
غالب حمزة أبو الفرج

الحلقة الأولى



الفصل الاول

عندما كان طفلا كان كل شيء فيه يجعلني أظن بأنه لي أنا الصغيرة التي لم تكن تريد أن تكبر. . حتى أحلامي كنت أهديها له . . أنمقها في نومي لتكون جديرة به وعندما أصحو أبحث في تلافيفها عن أشياء كثيرة مشتركة أراها بعيني وكأنها تدلني على شخصيته التي فقدتها ذات يوم.

سنوات عمري كانت مجرد ذكريات لماضٍ أكاد أحس به يتجمع من حولي ويلتقي بقلبي ليمنح دقاته مزيدا من القوة رغم وهنه . . ففي حنايا القلوب مسالك ودروب نلمس ظلها يطل من بين أعيننا دون أن ندرى أو حتى نشعر . يتسلل من باطن أعماقنا شعاع أمل وكأنه يريد أن يختار طريقه على أرض هذا العالم في مسيرة طويلة نحس بلفح هجيرها على وجناتنا نحن الصبايا . .

وأنا . . . أنا أدرك معنى العجز عند الانسان عندما تضيق حلقات الأمل ويخبو شعاعه في النفس . .

فعندها تضيع الابتسامة من خلال الهواجس التي تنتاب الواحد منا ونصبح وكأننا نعايش الهجر والفراق والنسيان . . لا نلمح في سماء حياتنا ظلا لأمل يمكن أن نحتمي وراءه أو للحن يمكن أن يهدى أقدامنا التائهة في هذا العالم الذى حولنا . .

العالم . . ؟ العالم في رأيي لحن مميز يدق على أصابع الزمن على أكثر من وتيرة . . تشجينا أفراحه . . . تشقينا أتراحه ولكننا مع ذلك كله لا نتسربل بالشقاء أبدا . . . لا لأننا قادرون على اجتياز المجهول وانما لأن ما يعيننا في هذا العالم هو اكتشاف هذا المجهول من خلال أمل ينبض في داخلنا ويدفعنا الى محاولة ذلك . .

كم من فتاة عاشت حياتها وفق ما ترضى وتحب . . . وكم من فتاة نقشت على الماء اسطورة حب ضاعت بين الأمواج الهادرة حتى اذا ما تكسرت كل تلك الأمواج بدت حروف الكلمات وكأنها تغرز أظافرها على تراب الحياة في محاولة ركض جديدة في مساحات الزمن لادراك السعادة في أعمق معانيها . . وما أحلى السعادة عندما يتسربل الانسان بعد عذاب وتعب بشذاها الطيب وهي تضمخ كل جزء من حياته وعمره . .

اسطورة تتناقلها الجدات وتحكيها للحفيدات اللواتي يتطلعن الى الحياة الطويلة التى أمامهن بعيون يملؤها الأمل والرغبة الملحة في اكتشاف المجهول فيها . .

كثيرة ومثيرة ورائعة وشقيه هى تلك الذكريات يمتد اليها البصر ليزرع على أكتاف الصبايا عبر الماضي والحاضر أحلاما جديدة . . . أحلاما قد تتحقق وقد لا تتحقق . . . وقد يتحقق بعضها ولا يتحقق البعض الآخر وهذا هو الأرجح فيصبحن وكأنهن على موعد مع المفرح

النفس الانسانية يتدافع فى داخلها نبض الحياة . وبدافع البقاء بدافع الانسان . . ومن ورائه آمـالـه وطمـوحـاته . . وحياة الانسان قصة طويلة ، فيها الفرح والمسرة ، وفيها الحزن والألم . . متناقضات . . يجمع الانسان أطرافها بين جنبيه . . وهو لا يدرى الى جنب يتكيء . . والحياة شباك تصطاد ، وهى نفسها رماح تتكسر ومن خلال هذه الاصطراع يبقى للانسان الامل . . نعم يبقى الأمل . .

والكاتب المبدع البارع يرقب مسيرة الحياة من عدسات عيون الأحياء . . يرصد ويخزن ويدون فى ذاكرته فى أعماقه . بل من شدة مراقبته واختزانه يخشى ان يتقمص شخوص . . لكنه فى النهاية يتحول هذا (الكاتب) إلى نبض كله . . فيسجل ويدون . . ويروى قصة شريحة من شرائح الحياة و«حوش التاجورى» شريحة من شرائح الحياة . يلتقطها القاص من عمق وجدانه . . شخوص بكـل أبعـادهم ، النفسيـة والاجتـماعيـة والفكـريـة . . أحـداث بكل عمقها وترسب مضامينها وخلفيـاتها . . والأستاذ القاصى المبدع غالب حمزة ابو الفرج لا يحتاج الى تعريف منا فمؤلفاته وأعماله تقدمه للقارىء العربى . . وبين يدى القارىء روايته هذه (حوش التاجورى) يسعد المنهل ان ينشرها فى حلقات متتالية .

المنهل

☆☆☆☆☆☆☆☆

والمعكر صفو الحياة معا . .

ولكن . . . من منكم يستطيـع أن يقـرأ التاريخ فى دموع امرأة؟؟ . . من منكم التقى مع الماضي فى ظل دمعة وابتسامة كما حدث لي أنا؟ . . . ان هذا لهو أمر لا أدرى كيف أعـبر عنـه . . . نعم لا أدرى كيف أعبر عنه وأنا أعايش التاريخ . . . تاريخ حياتي أعايشه وهو يتجسد . وأعايشه أحيانا ماضيا لا يريد أن يتجسد فى محاولة لارغام نفسى على النسيان . . ولكن هيهات أن أنسى . .

أفكارنا تعايشنا لحظات السعادة والشقاء معا . . وحتى عندما نهيل عليها التراب نجدها تتجسد فى أشياء صغيرة نسيناها في أكمام الورود والأزهار وعلى الجداول الصغيرة .

من منكم أرهف سمعه لصراخ الاقدام وعويلها وهي تمشي على هذه الأرض؟

ومن منكم التقى بالفـرحـة تتمايل على شفاه أوراق الشجر والدوالي؟؟

فى الـزمن القـديم كانت الحياة وبدء الخليقة عندما التقى آدم بحواء ملاءى ـ بأشياء ومعانٍ كثيرة ومنذ ذلك اليوم وحواء تبحث عن آدم بشغف . . ترمق طفولته وتتطلع الى حياته ورجولته لتضع رأسها على كتفيه وتلقى بكل أثقـال الدنيا من كاهلها على كاهله . . الا أنا ومثيلاتي على قلتهن .

كثيرات أولئك اللواتي يعايشن الغربة ويحلمن بأوراق الورد وهي تتناثر تحت أقدامهن هدية يوم اذن فجره على الاستيقاظ .

آدم هذا الذى أبحث عنه أخاله لا يدرى ولا يعرف ان كل شىء يخصني سوف أضعه بين يديه . . فهو فى نظرى من نفس الطينة . . أما بالنسبة اليه فكل شىء يكاد أن يكون غير ما أريد .

■ هذه هى أفكـاري وأنـا بعد فتاة مراهقة لم تشب عن الطـوق بعـد . . تلبس أحـلامها أول من تراه أمامها . . ولكن فى طريق الأحـلام يسـترد الانسـان عافيتـه فجأة ويفتقدها فجأة وهو في كلتا الحالتين يعيش نبضات قلبه الـواجف الـراجف . . تلك هى مسـيرة الحيـاة تغـرس سكاكينها فى قلوبنا ثم تستلها فجأة وهي تحاول أن تضمد الجراح التى شاهت ألوان دمائها .

وفى الطريق تقسو الأقدام أحيانا على الزهور التى يفر بها الريح بعيدا عن جناحها وتظل كالمرأة التي ترضى أن تعيش بعيدا عن أرضها والتي فى كثير من الأحيان تكون حالتها أن تظهر مالا تبطن . . وفي الحقيقة ، إن في الغربة مرارة وقسوة على الرجال والنساء على السواء .

فى الزمن الردىء تصاب القلوب بعسر فهم وتلبك لا تملك معه القدرة على أن ترى خيوط الفجر وهى تشرق من خلف سجاف الأمل . . . لا لأننا عجزنا عن أن نعي الحقـائق ونفهم الـواقـع وانما لأن الضباب الذى تعودت



أعيننا أن تراه مجللا بالرماد يظل دائما يطل بصور وأشكال وكأنه يسيطر على سويداء القلوب الناعمة فيسحقها ويمحقها.

أكثر الصدمات ايلاما للمرأة هى عندما تفقد حبها وتضيع أقدامها في الطريق وهي تبحث عن حب قد ضاع..

وأنا من أنا ... طفلة كبرت وشاخت قبل أوانها ... ذهبت بها رياح التماسيح فوق أشجار الشوك ثم القت بقلبها فى طريق الأوهام بضاعة واجفة لا تدرى من سيلتقط هذا القلب... قد يرفض بعض النسوة المصير الذى يريده لها الآخرون وقد تنصاع البعض منهن دون وعي... ففي مجتمعاتنا تظل الانثى مكسورة الجناح تبحث عن الأمل وهى تلتقط فُتَاتَه من على موائد الكبار أمثال أمها وأبيها أو خالها وعمها.. ففي عيون الكبار تكمن حكايا الأمس واليوم ومن بين شفاههم تخرج الحروف قاسية لا تقنع.. لكننا وفى مثل هذا المجتمع الذى نعيش نرضى بكل هذا الذى قُسِمَ وتظل تطلعاتنا نحو الأفضل محوطة برغبات مكتومة قد لا تخفى عليهم وان كان هؤلاء الكبار يضيقون بها وينسون أنهم كانوا مثلنا فى يوم من الأيام..

لعبة المرأة فى عالمنا الحاضر ان تصبح ذكية وقادرة.. ذكية تعرف كيف تطوع الآخرين لأفكارها ومبادئها.. وقادرة على امتلاك نفسها وقلبها ولسانها أيضا فى كثير من الأحوال.. العالم يضيء ويشرق بكل أنواع هذا النور الذى أصبح أكثر من فنار لاكبر السفن وهى تجوب أرجاء البحر وأمواجه.. ومع هذا تتساقط القلوب عند أول داهمة تدهم الانسان كما تتساقط أوراق الشجر فى الخريف..

والمرأة هي المرأة منذ ذلك اليوم الذى دخلت فيه أبواب التاريخ.. أنوثة وعفوية وجمال ومكر وخداع وزينة وحسن وحب وكره أيضا.. الا أن المرأة لا تلعب لعبتها مع الرجل بمقدار ما يلعب الرجل لعبته مع المرأة.

المرأة هذا الكائن البرىء الجميل قد تصبح أكثر شراسة من اللبؤة عندما تستثار... وقلب المرأة بل ومعظم أحساسها ينصرف الى أطفالها فهي أولا وأخيرا كما يقولون عنها أم الرجال وصانعة الأجيال.

يتهمون المرأة بأنها صائدة رجال وينسون بأنها فى كثير

من الأحيان هي التى تسقط فى الشباك . .

وأنـا من أنـا فى ظل هذه الانانية المفرطة التى تسود رؤوس بعض الناس . . وما أكثرهم في دنيا الناس!! .

فى طريق الأمس حفيت قدماى وأصابت قلبي رجفة ظلت تلازمنى طيلة السنوات الماضية وحتى اليوم . .

وفى طريق اليـوم لا أفتقـد النضوج وان كنت أفتقد ظلالا كانت تدثرني وأنا طفلة . . بين ظلال الأمس وقسوة الأيام تعربد موسيقى اليأس كما تعربد موسيقى الجاز فى رأس زنجية جميلة طفقت ترقص فى حلبات الأرض بحثا عن معاني كلمات الأغنية التى تسمعها للناس . .

أشياء صغيرة نهملها ونحن أطفالا وحتى عندما نكبر ثم تبدو مع الأيام شيئا جادا ومثيرا يتدخل فى حياتنا ويلقى ببصـماته على أجسادنا ووجوهنا وأنامل أيدينا وقلوبنا . . نحس بتيـاره الحارق يسرى فى عروقنا يدفع بعضنا الى مزيـد من التـذوق لأنواع الحياة التى يرفضها بعضنا . . والحياة هى الحياة جميلة كما نراها وبغيضة ومحزنة كما نراها أيضا فى بعض الأحيان .

أجمل أسوار الحب تلك التي يستطيع أن يقف عندها الانسان لا التى يقفز عليها . . وأحلى أسرار الحب تلك التى نحتفظ بها فى قلوبنا لا نشارك أحدا فى فهم معانيها أو سبر أغوارها .

والانســان هذا الكـائن الذى يمتلىء جسده عروقا وشرايين تتشابك وتتداخل هو الأجمل دائما عندما يعرف ما يريد وتعرف أقدامه طريقها بتؤدة وتفكير واحساس بمعنى الجمال ومكامنه .

فى فورة اليأس ننسى لحظات السعادة التى عشناها ولا نفتقدها لأننا كنا أشبه بذلك الأعمى الذى فقدت عيناه النـور فضـاع فى زحـام الطريق . . يتخبط بين الاجساد الفـارهة حتى اذا ما امتدت اليه يد صغيرة أو كبيرة هدأ روعه وعرفت خطواته أناشيد الطريق التى شاخت قبل الآوان .

بعض الناس يحرص على ارتياد الصحارى والمناطق النـائيـة بحثا عن زهرة برية اندست بين صخور التلال الصغـيرة والبعض الآخر لا يرى فى الصحراء سوى أنها مجرد ساحات فضاء لا تنتهي .

فى قيـظ الصحـراء نحلم بالأنهار وهى تمتلىء بالمياه الحلوة الصافية . . . لكننا نختلف فى أحلامنا فيها عندما يأتي الخريف والشتاء وتبدو برودة الطقس أكثر مما نتحمل .

نعم عندما كان طفلا صغيرا كان كل شىء فيه يجعلني أظن بأننى له أنا الصغيرة التى لم تكن تريد أن تكبر .

وتمضى الأيام وكل شىء في حياتنا يصبح شيئا آخر قد تغير . . غيرته الايام وصنعت منه السنون جدرانا صماء لا نعرف ماذا تريد أن تقول . .

ولقد قالت سنوات حياتنا الكثير الكثير . . قالته ونحن بدورنـا نرهف اسماعنا ونشد أبصارنا لنعرف ونتعرف . . نفهم ونستوعب حتى اذا ما غدت بنا الايام شعرنا بالهوة السحيقـة التي تفصلنا عن شط الامان . . . فكم كانت جميلة ووارفة أحلامنا وهي تتهادى فى حدائق الدهر بين أزهـار الورد والياسمين والفاغيه وعلى مقربة من أشجار الليمون الكبيرة .

اختفت الخضرة بين أعين البعض وأصبحت أشجار الليمون أشجارا يابسة لم تعد تحنو على أجساد بعضنا كما كانت تفعل . . وبدأت رحلة الشوق ملأى بأشواك الشك التى أخذت تسد منافذ الحياة أمام أقدام أولئك الذين لا يقوون على السير . . . ولكن . . . تلك كلمة نقولها لكنها معي تكون أكثر من كلمة . . . إنها أشبه بجمل متراصة يأخذ بعضها برقاب بعض فى تؤدة ويسر لتدلنا في النهاية على قدراتنا التى نضيق بها ساعة يأس . .

ترى هل استطاع اليأس أن يدمر كل شىء من حول هذا القلب الصغير.

ذاك ما أريد أن أحكيه ببساطه فلربما استطعت من خلال ما أقول أن أشد الأفكار للبحث عن الطريقة التي يمكن للاخريات أن يرينها قادرة على منحهن الحياة فى ظل هذه الـدنيـا التى نظل نعيشها ونعشقها رغم كرهنا وبغضنا لها فى كثير من الأحيان .

●● من بين مئات الأوراق المتراكمة على مكتبى الصغير تمتد يدى لتعبث بورقة صفراء صغيرة أضافت اليها سنوات العمر شيئا من الشحوب خلته وأنا أطالع مرآتي كأنه قد أصـاب وجهي الطفـولي أيضـا فكما كنت أسمع الناس يقولون انني امرأة لا يمكن للسنين والأيام أن تقهرها أو حتى تضيف الى وجهها شيئا من تجاعيدها التي كنت أراها تعلو وجوه صديقاتي وغيرهن ممن حولي ممن أعرف أو لا أعرف.

لكنى مع كل هذا ألمح شبح ابتسامة صغيرة تبدو على وجهي وكأنهـا تداعب مخيلتي التى أخـذت تتزاحم من خلفها ذكريات الأمس القريب والبعيد معا.

ربما فاتنى أن أعرف نفسي الى قارئي الذى سيطالع هذه السطور ولهذا فها أنذا أذكر من أنا وأتحدث عن حياتى الماضية والحاضرة وأنا راضية عن كل أحداثها. . . مقتنعة بكل تفاصيلها. . راجية أن تكون شعاع ضوء ينير حياة كل انثى تسعى وراء سعادة نفسها وسعادة مَنْ حولها. .

تنتابني حيرة من أين أبدأ؟ . . . وهاتف من أعماقي يعـود بي الى الوراء . . . الى طفولتى . . . الى بداية احساسي بالحياة والناس وكل أولئك الآخرين الذين كانو يعيشون من حولي وأولهم أمي الحبيبة.

عشت طفولة سعيدة . . . نعم فقد عشت طفولتي مع الحب والحنان أسقتني كؤوسها أمي . . . تلك المرأة التي فقدتها قبل أن أكبر ولكنها علمتني أن الحياة حب وكفاح وركض في مساحات الزمن في محاولة لاقتناص السعادة الحقيقية.

امي جاءت من الانـاضـول. . . جاءت برفقة أبيها لاداء فريضة الحج ولزيارة المدينة المنورة ـ حلمه الوردى وهاجسه الدائم ـ ثم تركها في عُهْدة أبي بعد أن زوّجه لها.

لا تستغربوا كيف يمكن أن يتم زواج كهذا، فأم أبي هى أيضا من نفس المنطقة التى ولدت فيها أمي. . بل وتمت الى أمي بصلة القرابة، بمعنى انها من نفس العائلة وان كانت قد تغـيرت القـاب الاسـر فـى تركيا بعد أن استقام الامر لاتاتورك وزملائه. .

امي شقراء الشعر ناصعة البياض . . . قوامها رشيق أكاد أراه يطل في عيون مرآتي وأنا أرمقها بعد أن كبرت فأنا أشبهها رغم اختلاف لون بشرتي عن لون بشرة أمي وأبي . .

أما اختى التى تكبرنى بخمسة أعوام فقد كانت كما يقول أبى صورة طبق الأصل عن أمي التى أحب. . وأمي توفيت. . . ذهبت الى بارئهـا وهي فى ريعـان الصبا والشبـاب. . مهـلا مهلا. . لا تظنوا بأبى الظنون فلقد أعرض أبي عن الزواج بعد وفاة أمي وكان عزاه الوحيد وسلواه أن يراني أنا وأختى نكبر أمام ناظريه.

فى بيتنـا فى حوش التاجورى على مقربة من بستان الحجـاريـة بالمـدينـة المنـورة ولـدت. . وفى نفس البيت كبرت. . . وعـرفت طفولتي أسرار الحياة فى تلك المدينة سنوات وسنوات أحس بها تلازمنى حتى وأنا أكتب كل حرف من قصتى هذه. . . فأنا وان كنت قد غيرت طريق حياتى بأفكارى التي لازمتني وأنا صغيرة. . . تلك الأفكار التي أخـذت تمارس حقهـا فى البقاء فى أعماق أعماقي فى رحلة الحياة الصغيرة الا أنني لا أزال مشدودة الى ذلك الحوش.

كل شيء فى حوش التاجورى يذكرني بمعان وأحداث ارتبطت بها نفسى. . . الجـيران. . . الصـديقـات. . . الأهـل. . . الأخـوة. . . العاب الاطفال المختلفة. . . عربـات الكـارو التي انقـرضت. . . حاجـة فاطمـه. . التكـرونيـة التي كانت تجوب كل بيت من بيوت الحوش تساهم في غسيل ملابس المواليد الذين وفدوا.

كان الحـوش أشبـه باسـرة كبيرة متماسكة. . . يحزن الجميـع لحزن أى بيت ويفـرح كل واحـد منـا بفـرح الآخر. . . لطالما شعرت بالاسى لموت عجوز أو عجوزة من هنـا وهناك. . . ولطالما سعدت أيضا بزفاف هذه أو تلك من بنات الحوش الصغير.

بيتنـا رغـم وقـوعـه فى حوش التاجورى الا أنه يطل ببعض نوافذه على طريق سيل أبو جيده وعلى مقربة من بيتنا كانت شجرة نبق كبيرة تمتد فروعها حتى تصل بين



نوافذ بيتنا ونوافذ البيوت الأخرى فى الجهة المقابلة.

عنـدمـا كبرت كتبت أسمي على هذه الشجرة... شجـرة الـوفـاء... فلطالما استمعنا الى زقزقة العصافير والنغارى وهي تجرى حرة طليقة تحط على هذا الغصن أو ذاك تردد انشودة حب وقصة وفاء للمكان ومن بالمكان.

كنت أقـارن بيني وبين هذه الطيور فأجد أن الطيور أكثـر حرية مني أنا الانسانة التي أعيش في ظلال الحب الذى القاه... ربما لأنني كنت أرى في تغريد هذه الطيور ما يسعدني ويجعلني أتمنى أن أكون مثلها ولكن هيهات.

بجـوار بيتنـا كان بيتـه ... لم أكن أظن بأن الايام سيشتد عودها فتنأى بنا عن ذلك الحي... لكني مع كل هذا كنت أحس بأن كل شيء يتغير..

ثريـا أختى التى تكبرني والتي ذهبت لكتاب البنات قبلي كانت تحدثني كثيرا... لم أكن أفهم من حديثها شيئا لكني وبعـد أن أخذت طريقي أنا الاخرى الى الكتاب بدأت أفهم.

سارة ابنة جارنا وأخت فريد والتي قضينا طفولتنا معا هي الاخـرى كانت تشـاركنـا مشوار الصباح من حوش التاجورى الى الساحة فقد كنا ندرس معا فى كتاب خوجه هانم... أمـا فريـد فقـد أخـذ طريقـه الى المـدرسـة الناصرية... بعد أن كبر فريد وسافر الى مكة ليستكمل تعليمه شعرت بأن شيئا قد فقد مني..

لا أكذب اذا قلت بأنني لم أكن أحب فريد منذ طفولتي ولكني حتـما أكذب اذا قلت لكم بأنني قد عرفت بمعني احساسي بجمال رفقة فريد ورغبتي في اللعب معه ما يعني على أنني أحبه.

عندما غاب عن بيتنا بدأت أقلق... أحسست بأن من واجبى أن أصمت فقد كانت ثريا أختى هى الأخرى قلقة لغياب فريد.

وبدأت أكتب رسائلي اليه ثم أمزقها... حتى ذلك اليوم الذى التقيت به وقد عاد في اجازة قصيرة.

لم تكن الحـواجز بعد قد تصدت لي أو له ولذلك لم تحرمني الايام من لقائه والحديث معه في بيته أو في بيتنا... لكن تلك الفرحة التى غمرتني تماما بدت لي كأنثى أهميتها لأول مرة عندما أراد أبي في احدى تلك الايام أن يغادر المدينة الى جدة.

ولقد خيرني أبي فى أن أبقى مع جدى وبعض أفراد العائلة في بيتنا الجديد عند باب الكومة أو الذهاب معه فاخترت الذهاب الى جده.

قلت له وأنا واقفة الى جوار بركة المياه الكبيرة فى بستان المصرع ذلك الذى دعينا اليه نحن وأسرة فريد من قبل خاله «سنذهب الى جده واتمنى أن ألقاك هناك»... وقبل أن يتفوه بكلمة أخبرته أيضا عن عزمي على اتمام تعليمي.

كان التعليم فى بدايـة عهدنا به فقد بدأت المدارس تكثـر وتنتشر وأصبح متاحاً للفتاة أن تتعلم... وسألني باستخفـاف «وماذا تريدين أن تتعلمي؟.»... وقلت فى استحيـاء متجـاهلة تلك الابتسـامـة المستخفـة بكلامي

«سأصبح طبيبة . طبيبة تعالج بنات جنسها فى المستقبل .

نظـر الى وجهي ثم قال بجـدية بعد أن لمس العزم والاصرار في صوتي «ذاك أمر شائك ويستغرق وقتا طويلا فدراسة الطب تحتاج الى سنوات وسنوات . . . وما المانع؟ . . تساءلت .

أجاب «الفتاة في بلادنا تحب أن تتزوج والأهل يفضلون تزويجها في سن مبكرة . . » .

سادت لحظات صمت بيننا قطعها بصوت لا أدرى كيف أصفه . . «وأنت الا تفضلين الزواج؟ . . أعني ألا تريدين أن تتزوجي»؟ .

قلت : بلى! ولكن زواجي لا يمنع من أن أكمل دراستي .

قال : ـ ضاحكا وهو يحاول انهاء الحديث وكأن الكلام فى موضـوع اتمـام دراستي لأصبـح طبيبة ضرب من الخيال وأحلام اليقظة ـ «أحلامك كثيرة وأمل أن تتحقق» .

نظرت الى وجهه أنا هذه المرة وقلت لنفسي لماذا لا أقـول له بأنـه هو أيضا من جملة أحلامي التي أتمنى أن تتحقق ويومها عرفت بأنني أريد فريدا زوجا وحبيبا ولكن . . . . ؟

بدأت أتـابـع خطواته وهو يمضي لشأنه وقبعت أنا بجانب أختي التي رأيتها تحاول أن تعرف كل الذى دار بيني وبينــه . . . لكنني لم أشف غليلهــا بل تركتهــا حائـرة لاعتقـادى أن الأمر يهمني وحدى . . وعندما ألحت علي ضحكت وقلت «ولكن لماذا تسألين؟» .

وجـاء جواب أختي كالصـاعقة فلقد قالت : «الا تعرفين بأنى سأتزوجه؟ . . »

صمت لحظة أحاول فيها استيعاب ما تقول أختى ثم سألتها عندما وعيت تماما معنى ما قالت «وكيف سيكون هذا الأمر؟» .

كان السؤال بصوت خفيض حاولت معه الا أظهر انفعالي ودهشتي وحيرتي مما اسمع .

وحدثتنى اختى باسهاب عن حبها له الذى بدأ يوم علمت عن طريق الصدفة أن والدها ووالده قد اتفقا على زواجهما من بعض بعد أن يكبرا .

أحسست بالدوار ينتابني فهذا حلم من أحلامي ينهار قبـل أن يتحقق . . . حلم جميـل من أحلامي تلك التي وصفها فريد بأنها كثيرة وكبيرة . .

وصممت أن أتماسك . . . وبدأت رؤيتي للحياة تأخذ مسارا آخر شعرت معه بأنني أكره هذه الاخت . . ومن كل قلبي .

أحيـانا كان يذهب تفكيرى الى حد الظن بأنها ربما تكون كاذبة لكنني كنت ألوذ دائما بالصمت الرهيب محاولة من خلاله أن ألف الحبال حول أوهامي على أمل أن أجد الطريقة التى استطيع بها الوصول لمعرفة الحقيقة .

لم أعدم الوسيلة لأن أتعرف على جزء من الحقيقة التى ألف وأدور حولها وأنا أحادث أخته سارة التى فاجأتني هي الاخرى قائلة وهى تبتسم «ولماذا تسألين؟ حقا الا تدرين ما يجرى وراء ظهرينا؟» .

أجبتهــا بهدوء « لا » ولم أكن كاذبـة . . . وبـدأت الحكـاية تتكشف أمامي حقيقة واضحة . . . عرفت من أخته أن أباه وأبي قد اتفقا على أن يتزوج فريد بأختي وان الامور تسير فى طريقها المرسوم . . . اذن الكل يعرف ما عدا الصغيرة التي هى أنا كنت أشبه بالتائهة عندما تناهي الى سمعي صوت أختـه سارة تكمل حديثها بهمس أما هو . . . ثم انقطع ذلك الهمس ولم تشأ ان تكمل حديثها بل لم تعد بحاجة لأن تكمل ذلك الحديث فقد فهمت ما تعني . . . فريد يريدنى أنا . . . يحبني أنا . . . أنا . . . ولكنـه لا يجرؤ على الكشف عما يجول بخاطره لأحد الا لها . . أعني الا لأخته سارة .

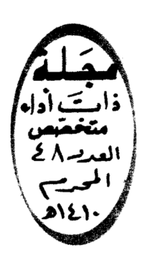
ومن يومها اتخذت سارة صديقة أمضي الساعات تلو الساعات أردد على مسامعها ما أكتب من أشعار تحكي لوعة ما أعاني ثم بعد ذلك ألقي بكل ما كتبت طعما للنيران وأنا ـ واجفة . . .

لقد كنت حريصة على ألا أظهر ما بي وخصوصا لاختي . .

الرواية موصولة

(العدد القادم ـ الفصل الثانى)

النساء .. شقائق الرجال





الاشراف

د. ابتسام صادق — الرياض

حياة عبد الحميد عنبر — جدة



طموح المــ بين الإيجابية والسـ

الطموح هو أن يعيش الانسان وفى داخله أمل يسعى لتحقيقه وأن ينظر دائما الى الغد المشرق.

● فالطموح هو القدرة على التحدى ورفض الهزيمة والسعى الى الوصول الى حياة أفضل مهما صادف الانسان من مصاعب.

● **والطموح نوعان**: نوع يتعلق بتحقيق مكاسب عاجلة فى الحياة الدنيا.. ونوع يتعلق بتحقيق جزاءات آجله فى الحياة الآخرة.

● والطموح الدنيوى هو ذلك الطموح الذى يدفع الانسان الى رفض الواقع بامكانياته المحدودة ومحاولة الوصول الى السعادة الدنيوية والاستمتاع بمباهج الحياة وأن يضمن استقرارا حياتيا ما أمكنه ذلك.

● أما الطموح الأخروى فهو على النقيض من ذلك الدنيوى من حيث انه يدفع الانسان الى متطلبات الحياة المادية والسعى الدائم الى الحفاظ على المبادىء والقيم مهما كلفه هذا الامر من عناء ومشقه.. ومهما كانت حياته بهذا الشكل بعيدة عن مظاهر الترف والحياة السهلة المنعمه.

ويتحدث القرآن الكريم عن طموح الانسان فيقول الله تعالى فى كتابه الكريم: ***﴿مَنْ كان يريدُ العاجلةَ عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد، ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا، كُلّاً نُمِدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربِّك وما كان عطاء ربك محظورا﴾***.

■ ويقول ايضا جل وعلا فى كتابه الكريم: **﴿منكم مَنْ يريدُ الدنيا، ومنكم من يريد الآخرة﴾**.

■ ويقول ايضا فى سورة الشورى وهو أصدق القائلين: **﴿مَنْ كان يريد حرثَ الآخرة نزد له فى حرثه، ومَنْ كان يريدُ حرثَ الدنيا نؤتِهِ منها وما له فى الآخرة من نصيب﴾**.

والنوع الأول من الطموح تندرج تحته الأغلبية العظمى من البشر الذين لا يعبأون الا بالجزاءات العاجلة.. كأن يحوزوا الثروة أو المال، وأن يصلوا الى المراكز العالية المرموقة.. ولو فاتهم الحصول على هذه الأشياء خارت قواهم وسدت فى وجوههم الأبواب. ولو أنهم نظروا وتعقلوا لعلموا أن المنح قد يكون قمة العطاء.. فرب كسب يحرم منه الانسان أو خير يفوت الانسان فيحزن لذلك أشد الحزن وقد يكون فيه الخير الكثير وربما يأتى ما يظنه الانسان خيرا فإذا به يفتح عليه أبوابا من الشر لا يستطيع لها رداً. يقول تعالى: **﴿وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾**.

■ وقصة ثعلبه بن حاطب ـ ذلك الرجل الذى سمى لكثرة تردده على المسجد وأدائه للصلاة فى جماعة بـ (حمامة المسجد) خير دليل على ذلك، ولكن الرجل ظن أن عطاءه من الحياة قليل، وأنه غير آخذ من نعم الحياة كما يأخذ غيره، وتصور الخير فى كثرة ماله ـ فطلب من رسول الله ﴿ﷺ﴾ ان يدعو الله له أن يرزقه مالا كثيراً فأفهمه رسول الله ﴿ﷺ﴾ أن الخير قد يكون فى قليل يستطيع الانسان أن يؤدى شكره، وقد لا يكون الخير فى كثير لا



بقلم : منى أحمد محمود

يستطيع الانسان آداء شكر المنعم عليه حيث قال له صلوات الله وسلامه عليه «يا ثعلبه . . قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه» فأصر ثعلبه على موقفه قائلاً لرسول الله : (والله لأعطين كل ذى حق حقه فدعا له الرسول ﴿ﷺ﴾ فزاد ماله وكثرت غنمه وابله حتى صارت كالدود وفق ما ترويه كتب السيرة فما كانت نتيجة ذلك؟ . . إنشغل الرجل بماله فما استطاع أن يواظب على أداء الصلوات فى جماعه، ثم انشغل أكثر وأكثر فصار يؤدى الجمعة فى جماعة فقط . فأرسل رسول الله ﴿ﷺ﴾ اليه من يطلب الزكاة فامتنع قائلاً : ما أراها إلا اخت الجزية ونزل القرآن يلحق ثعلبة بطائفه المنافقين فهل كان الخير فى القليل أم فى الكثير؟ **﴿ومنهم من عاهد الله لان آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾** .

■ فالإفراط فى الطموح الدنيوى قد يدفع المرء الى محاولة الحصول على كل ما يريد ويسعى لتحقيق أحلامه بعجلة مهما كلفه الأمر وذلك دون دراسة أو روية، والعجلة دائما تؤدى الى المهالك كما قال الرسول ﴿ﷺ﴾ **«إن العجلة من الشيطان»** .

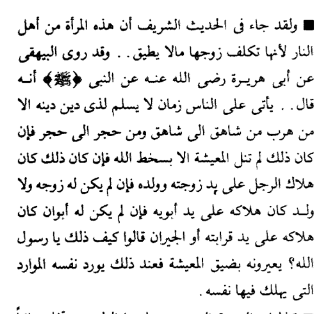
وكذلك فإن الافراط فى الطموح الأخروى قد يدفع المرء الى نسيان نفسه وولده أملا فى نعيم الآخره ومغانمها فقد يلجأ مثلا الى التبرع بماله كله للفقراء ويترك ورثته محتاجين . ولنا فى رسول الله أسوة حسنة، فقد أراد سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه أن يتصدق بثلثى ماله لله وللمسلمين حين مرض فغضب رسول الله ﴿ﷺ﴾ وقال له «أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس» . . فقال سعد بن أبى وقاص «أتصدق بشطره» . . فقال له الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ «الثلث والثلث كثير» .

■ وهكذا نرى ان الاسلام لا يريد من الفرد المسلم ان تتعلق طموحاته كلها بجزاءات آجلة تتحقق فى حياته الأخرويه . وإنما عليه أن يسعى لتحقيق طموحات دنيويه وأخرويه أى ان يعمل للدنيا وللآخرة وأن يوازن بين كلا الطموحين . ومن اليسير ان نلتقى بهذا المعنى فى حديث رسول الله ﴿ﷺ﴾ الذى يدلنا فيه على ان الامل فى الغد لا يجب ان ينقطع حتى وإن تأكد الانسان أن النهاية قد قربت حيث يقول فى ذلك صلى الله عليه وسلم «اذا قامت القيامة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع الا يقوم حتى يغرسها فليفعل» .

اختى المسلمة : هكذا ترين أن اسلامنا الذى نحمد الله عليه لا يقف عثرة فى وجه طموحات المرأة كما يزعم البعض بل على العكس من ذلك فقد قدم الاسلام نماذج لبعض النساء الفضليات اللاتى حُزْنَ الثروة حتى كان الرجال يعملون فى تجارتها الواسعة وهى خديجه رضى الله عنها .

وهناك السيدة عائشة تلك التى اعترف لها الاسلام بإمكانات خاصة لديها فى الحفظ والرواية بل والنصح والارشاد فأتاح لها الفرصة لأن تكون وبحق راوية تروى عن سيد المرسلين بل وتنصح للأمة .

■ فطموح المرأة مطلوب ولكن المرأة المسرفة فى الطموح الدنيوى هى بلاء كبير يبتلى به زوجها لأنها دائماً تنظر الى ما فى يد غيرها وتطمع فى المزيد والمزيد والزوج عاجز عن تلبية احتياجاتها المتعددة فتدفعه بذلك الى ارتكاب الجرائم من سرقة أو غش أو اختلاس أو رشوه لارضائها .



■ ولقد جاء فى الحديث الشريف أن هذه المرأة من أهل النار لأنها تكلف زوجها مالا يطيق. . وقد روى البيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﴿ﷺ﴾ أنه قال. . يأتى على الناس زمان لا يسلم لذى دين دينه الا من هرب من شاهق الى شاهق ومن حجر الى حجر فإن كان ذلك لم تنل المعيشة الا بسخط الله فإن كان ذلك كان هلاك الرجل على يد زوجته وولده فإن لم يكن له زوجه ولا ولد كان هلاكه على يد أبويه فإن لم يكن له أبوان كان هلاكه على يد قرابته أو الجيران قالوا كيف ذلك يا رسول الله؟ يعيرونه بضيق المعيشة فعند ذلك يورد نفسه الموارد التى يهلك فيها نفسه.

■ كذلك الزوجة التى ينعدم لديها الطموح وتخلد دائماً الى الخمول الفكرى وتستسلم للواقع مهما كان سيئاً ولا تحاول تغييره الى الأحسن ببث الطموح والأمل فى نفس زوجها وتشجيعه على العمل والمثابرة من أجل النجاح. . وكذلك التى تحرم على نفسها زينة الحياة الدنيا كلاهما نموذج مرفوض. . ويقول سبحانه وتعالى **﴿قل مَنْ حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾**.

أختى المسلمة: هكذا ترين أن الطموح يجب أن يكون معتدلا فعليك ألا تسرفى فيه فتكونين بذلك عونا للشيطان على زوجك وعليك أن توائمى بين متطلباتك واحتياجاتك وبين امكانات زوجك المالية فتكونين بذلك سنداً له وعوناً فى مواجهة الحياة.

فعلى المرأة أن تكون شريكاً لزوجها مساعداً ومخلصاً تسعى لمرضاته وتحرص على طاعته وتصونه فى ماله وعرضه وولده.

والسيرة العطرة زاخرة بالأمثلة المفيدة التى تؤكد حاجة الزوج الى زوجة وفيَّة مخلصة.

■ فقد تزوج اسماعيل عليه السلام من امرأة من نساء العرب ولم يرها أبوه ابراهيم عليه السلام. . وعندما قرر ابراهيم عليه السلام زيارة ابنه فى مكه طرق الباب ففتحت



زوجة اسماعيل وسألته من أنت؟. . فأجاب: شيخ كبير. . قالت: وما حاجتك؟. . قال: اين صاحب الدار؟. . (وكان اسماعيل بالخارج). . قالت: مازال فى عمله خارج المنزل. . قال: كيف حالكم؟. . قالت: بئس الحال: معيشة كفاف وشظف ليس فيها طيب لحم ولا ترف. . وذمت حالها مع زوجها فتألم أبو الانبياء من قولها وقال لها: حين يأتى صاحب الدار إقرئيه السلام ومريه أن يغير عتبة داره.

وحين عاد اسماعيل فهم رسالة والده وفارق هذه الزوجة القانطة من رحمة الله التى لا تصون بيتها وزوجها وتزوج بغيرها وحين عاد فى العام التالى ابراهيم عليه السلام لزيارة ابنه سره ما رآه من زوجته الجديدة من الحفاظ على أسرار زوجها وصونه فى غيابه. . وطلب منها أن تقرىء اسماعيل السلام حين يعود وتبلغه ان أباه يأمره أن يثبت عتبة داره. . أى يبقى على هذه الزوجه المحبه الصالحة الفاضلة.

■■ وبذلك نجد أنه لكى يتوازن طموح المرأة ويعتدل ولا يتطرف لابد لها أن تدرك الوصية الخالدة لرسول الله ﴿ﷺ﴾ فى حديث مضمونه: خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكراً صابراً. . من نظر فى دينه الى من هو فوقه فاقتدى به، ونظر فى دنياه الى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به الله عليه، كتبه الله شاكراً صابراً، ومن نظر فى دينه الى من هو دونه ونظر فى دنياه الى مَنْ هو فوقه فأسف على ما فاته منه لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً» رواه الترمزى.

تاريخ التأريخ

عند العرب والمسلمين

د. سعاد مصطفى جلال الدين

■ إن التاريخ من أهم ميادين المعرفة الانسانية التى اهتم بها العرب والمسلمون وتدارسوها وألَّفوا فيها، ويرجع اهتمامهم بها إلى ما قبل الاسلام، حيث كانوا يعتقدون باهمية الدم فى تقرير خلق الانسان، ويؤمنون بأن اعمال الأباء والاجداد تسبغ على الابناء مكانة فى المجتمع وهذا ما دفعهم إلى الاهتمام بالنسب، وحفظ شجراته وتدارسها والاهتمام معها بالتاريخ.

■ ان الأصل التاريخى لكلمة تاريخ يعود إلى اليونان والى مصطلح **Istoyia** وهو يعنى كل معرفة مكتسبه بواسطة البحث والتحرى ثم ضيق المعنى ليشمل العلوم الانسانية، ومن هذا المصطلح تم اشتقاق الأصل الانكليزى والفرنسى والالمانى لمصطلح التاريخ.

وفى لغتنا العربية تأتى كلمة التاريخ والتأريخ والتوريخ بمعنى الإعلام بالوقت وتاريخ شيء من الأشياء قد يدل على وقته الذى ينتمى إليه مضافاً إليه ما وقع خلال هذا الوقت من حوادث ووقائع.

■ ويرى بعض المفكرين ان كلمة تاريخ جاءت من أصل غير عربى وأنها مشتقه من لغات أخرى كالكلدانية والسريانية وان هذه الكلمة لم تظهر فى الأدب الجاهلي كما أنها غير مذكورة فى القرآن الكريم ولا فى احاديث الرسول ﴿ﷺ﴾.

ولقد قال هنري جونسون فى كتابه تدريس التاريخ بأنه على الارجح ان كلمة تاريخ هى كلمة عربية الأصل ومعناها الزمان أو الوقت وأن التاريخ علم أصيل على بعض الاقوال لم يأخذه العرب من غيرهم وكذلك لم يقتبسوا اسمه من الاغريق او من غيرهم.

والشك قليل فى أن المصريين كانوا من السباقين الى العناية بالتاريخ وتسجيله على الآثار وتدوينه على الأوراق ولقد كان المصريون القدماء على احساس دقيق بالتاريخ وثقة تامة بأهميته. فحرصوا على تخليد تاريخهم حتى لا يضيع وحتى تظل سجلاته تروى للاجيال أخبار انتصاراتهم على الطبيعة وعلى الناس.

■ ومن اشهر المؤلفات التاريخية التى ظهرت فى منطقة الشرق القديم حوليات الكاهن المصرى مانيتون الذى وضع فى عصر البطالسة تاريخاً لقدماء المصريين اخذه من المراجع المصرية القديمة ولقد كتبه بالقرن الثالث قبل الميلاد باللغة اليونانية ولم تبق منه إلاّ اقتبسات قصيرة. وهنالك أيضاً تاريخ بابل الذى الفه بيروس البابلى وقد استمد من مصادر بابلية قديمة وكتبه باللغة اليونانية. وكان العرب فى العصر الجاهلى وهو العصر السابق لظهور الاسلام ولا سيما عرب الشمال اى عرب الحجاز يتناقلون أخبار حياتهم الاجتماعية وامجادهم وحروبهم وايامهم الشهيرة عن طريق الرواية الشفوية على هيئة أشعار وقصائد واخبار متفرقة معتمدين فى ذلك على قوة الذاكرة.

■ ولذلك فلقد نقش عرب الجنوب أخبارهم على جدران معابدهم وقصورهم ومبانيهم ولقد تضمنت هذه الكتابات - وهى بالخط المسند - وثائق ملكية وسجلات دولتى حمير الأولى والثانية واخبار ملوكهم ودولهم وشؤونهم العامة وبعض الحوادث التاريخية.

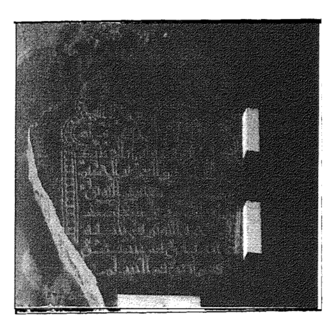
أما عرب الحيرة فقد دونوا بخطهم أخبار مملكتهم واودعوها أديره الحيرة وكنائسها.

■ وعندما ظهر الرسول ﴿ﷺ﴾ كانت اليهودية والنصرانية منتشرتين فى الجزيرة العربية ولهما آراء متشابهة فى التفسير التاريخي للحياة الانسانية غير أن الدين الاسلامي الذى بشر به الرسول ﴿ﷺ﴾ كان يتميز بالوضوح والقدرة على تفهم أسس هذا الوجود بصورة واضحة جداً ومن غير تعسف. والواقع ان مفاهيم الاسلام أوضح من ناحية العقيدة من مفاهيم اليهود والنصارى الدينية. لقد أدرك الرسول ﴿ﷺ﴾ الوجود التاريخى العظيم وان العالم سينتهى يوم القيامه وهو يوم الفصل الذى تسأل فيه كل نفس عما فعلت فى الحياة الدنيا، ويوم القيامة حادث ثابت معروف فى المستقبل وقد وصف القرآن الكريم وصفا دقيقا بحيث اصبحت أحداثه واضحة للناس وكأنها قد حدثت فى الماضى القريب رغم انها لم تحدث بعد، لقد كانت تأريخا للمستقبل بنفس المعنى لوجود تاريخ للماضى.

ان تقدير قيمة اعمال الحاضر رافقه تقدير واضح بين الحدود لقيمة احداث الماضى. لقد كان الرسول ﴿ﷺ﴾ نفسه غاية عمليات التاريخ التى بدأت منذ ان خلق الله العالم..

■ لقد وجه الرسول ﴿ﷺ﴾ دعوته الى قومه العرب «وانذر عشيرتك الاقربين» «وانه لذكر لك ولقومك»..

وهكذا قدم الرسول ﴿ﷺ﴾ صورة كونية لتاريخ الماضى ان افكار الرسول ﴿ﷺ﴾ التاريخيه نشَّطَتْ دراسة التاريخ نشاطا لا مزيد عليه فقد اصبحت أعمال الافراد واحداث الماضي وحوادث كافة الشعوب أموراً ذات اهمية دينية، كما ان شخصية الرسول ﴿ﷺ﴾ كانت خطاً فاصلاً واضحاً فى



كل مجرى التاريخ، ولم يتخط علم التاريخ الاسلامى المتأخر هذا الخط قط.

■ ومن الدوافع العملية لدراسة وكتابة التاريخ توفر المادة التاريخية والقصص التاريخي فى القرآن الكريم مما دفع مفسري القرآن الكريم الى البحث عن معلومات تاريخية لتفسير ما جاء فيه، وقد اصبح الاهتمام بالمادة التاريخية على مر الزمن احد فروع المعرفة التى تمت بالارتباط بالقرآن.. لقد ورد فى القرآن الكريم معلومات تاريخية تختلف عما يدعي اليهود وجوده في التوراة ولقد ذكر الرسول ﴿ﷺ﴾ ان اليهود والنصارى حرفوا التوراة وتمسك المسلمون بما جاء فى القرآن.. لقد كان شعور الرسول التاريخي عميقاً.. ولقد كان التاريخ يملأ تفكيره، لدرجة كبيرة.. ولقد ساعدت دعوته وسيرته ومغازيه من حيث العموم فى تقدم نمو التاريخ الاسلامي فى المستقبل.

ولم يظهر مصطلح التاريخ بمعنى الانسان والزمن وما يطرأ على أحوال الانسان من تغيرات الزمان الا فى عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه.. ولقد ورد هذا الاصطلاح لأول مره منذ ان أدخل الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضى الله عنه التقويم الهجرى وكان ذلك فى بداية يرجع تاريخها الى سنة ٢٢هـ مما يدل على أن هذا الاصطلاح كان معروفاً فى ذلك الحين. لقد



اتخذ الخليفة الراشد عمر بن الخطاب هجرة الرسول ﴿ﷺ﴾ من مكة الى المدينة بداية لتاريخ دولة الاسلام وكان ذلك بعد مشاوراته مع أولي العلم من المسلمين لان وقت الهجرة لم يختلف فيه أحد. وكذلك فقد تم الاتفاق على جعل شهر المحرم بداية للسنة الهجرية.

■ ولقد بدأ العرب بتدوين التاريخ بعد ظهور الاسلام، ولقد تنوعت صور الكتابة التاريخية عند العرب والمسلمين الى اقصى الحدود حيث اشتهر عدد من المؤرخين العرب والمسلمين الذين عملوا فى صناعة التاريخ فهم لم يتركوا مجالاً إلا وكتبوا فيه، فمنهم من اهتم باخبار العصر الجاهلى مثل: هشام الكلبى وابن الحائك الهمذانى، ومنهم من اهتم بسيرة ومغازى الرسول ﴿ﷺ﴾ مثل: محمد بن اسحاق، ومحمد بن عمر الواقدى.. ومنهم من اهتم بتاريخ الطبقات مثل الواقدي وابن ابى أصيبعة.. ومنهم من اهتم بفتوح البلدان مثل الواقدي والبلاذري.. ومنهم من اهتم بالتواريخ العامة مثل الطبرى وابن الاثير والمسعودى.. وآخرون اهتموا بتواريخ البلدان مثل الخطيب البغدادي وابن عساكر. ولقد اتبع المؤرخون طريقتين رئيسيتين فى كتاباتهم التاريخية اولاهما التأليف حسب السنين او ما يسمى بالمنهج الحولي وهنالك ايضاً طريقة الحياة البشرية بجميع مظاهرها من نظم اقتصادية وعلاقات اجتماعية ومذاهب خلقية وحياة دينية وفكرية وفنية وسياسية.

■ ويظل هنالك اتفاق عام بين المؤرخين والمفكرين فى ان التاريخ يهدف الى الاهتمام بماضى البشرية بجوانبه المتعددة السياسية والحضارية.

■ ولقد كان علم التاريخ الاسلامى فى كل العصور وثيق الارتباط بالتطور العام للحركة الاسلامية وكانت مكانة المعرفة التاريخية فى التربية الاسلامية ذات اثرحاسم فى المستوى للكتابة التاريخية، وان نمو المدنية الاسلامية من اروع الاحداث فى تاريخ الفكر الانسانى وسيبقى مثار اعظم الاعجاب.



نساء من الشرق

مي زيادة وأدب الصالون

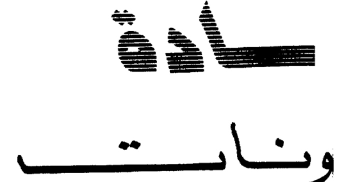
الحلقة الأولى



● «أديبة وشاعرة، دوى صوتها فى عالم الأدب والأدباء عاليا خفاقا، ونالت من الشهرة ما لم تنله أديبة مثلها، فى عصرها، وقد ساعدتها لباقتها فى أن تحظى بشهرة خاصة لدى مشاهير الأدب والفن والسياسة، حتى أطلق البعض عليها «ساحرة الأدباء والشعراء» وكانت صاحبة أول صالون أدبى معاصر يجد إقبالا واهتماما من مفكرى عصرها».

المولد والنشأة: ولدت «مارى إلياس زخور زيادة» سنة ١٨٨٦م وكان ميلادها فى بلدة الناصرة عاصمة منطقة الجبل فى فلسطين والناصرة هى موطن أمها السيدة «نزهة معمر» فالأم فلسطينية والأب لبنانى، كان يعمل بالتدريس فى الناصرة، وتزوج وأنجب ابنته الوحيدة، ثم شبت الطفلة عن الطوق، ودرست فى مدرسة إبتدائية فى الناصرة، ثم مدرسة الراهبات اليوسفيات فى الناصرة، وأدركت الفتاة الثالثة عشرة من عمرها، ولاحت ملامح ذكائها وتعلقها بالكتاب والدرس، فأرسلها ابوها إلى مدرسة الزيارة فى «عين طورة» بلبنان، وبقيت فيها أربع سنوات، ثم حولها الى مدرسة اللعازريات فى بيروت حيث أنهت فيها دراستها، وعادت إلى بلدتها التى أحبتها وذكرتها فى خواطرها، وقد حملت معها كتبها وكراريسها معتزة بها راجعة إلى أوراقها بين حين وآخر لترى نفسها فيها وآمالها. عادت إلى الناصرة متوقدة الذهن والاحساس.. تخلو دائما إلى نفسها.. مصاحبة كتبها دون أقرانها أو قريناتها. لقد بدأت تقرأ وتطالع سير الرجال الذين تعلموا، وأثروا فى الجماهير القارئة وسير الشعراء والكتاب والكاتبات، وكانت «مى» تجيد اللغة الفرنسية وساعدها هذا على إطلاع أرحب وأوسع، فقد اطلعت على الآداب الفرنسية وهى مازالت فى عهد الصبا المبكر. وفى عزلتها الأثيرة. كانت تضع على أوراقها ما يعن لها من بواكير زهيراتها الأولى التى بدأت تتفتح بها مواهبها.

■ وضاق الحال بالوالد «إلياس زيادة» بالناصرة، ففكر فى الرحيل، وعقد العزم على مصر فيمم وجهه شطر القاهرة عام ١٩٠٨م حيث انفتحت للفتاة أبواب عالم جديد. وقد



بقلم : هبة عبد اللطيف مصطفى   مصر

كتبت «مى» عن تنقلها قائلة : «ولدت فى بلد، وأبى من بلد، وأمى من بلد، وسكنى فى بلد، وأشباح نفسى تنتقل من بلد إلى بلد، فلأى هذه البلدان أنتمى، وعن أى هذه البلدان أدافع؟».

مى وبدايات الكتابة:

بدأ أبوها يتلمس طريقه بين زحمة الصحف المصرية، فأنشأ مجلة «المحروسة» وبدأ القلم يستقر فى يد «مارى» بعد إنتقالها مع أهلها فى القاهرة، فنشرت باكورة أعمالها بتوقيع مستعار «إيزيس كوبيا» وايزيس زوجة أيزوريس فى الأسطورة المصرية ورمزت بها «مى» عن مريم البتول وكوبيا فى اللاتينية «زيادة» و«مى» الاسم الذى اشتهرت به «مارى» بعد ذلك، فهو الحرف الأول من إسمها - والأخير من «مارى» وكانت أمها تجد إطراء فى هذا الاسم لأن له ذكرى فى نفسها فكانت أم «مى» طالبة ممتازة عهدت إليها مدرستها بتمثيل دور فى رواية للشاعر «كورنيه» وكانت بطلة القصة تدعى «كامى» ولكن ناقلها إلى العربية أسماها «ميًا» فكانت تثير بهذا الاسم ذكرى عزيزة وعكفت «مى» على دراسة اللغات الأجنبية فأتقنت منها بضع لغات مكنتها من الإطلاع على الفكر الأجنبى، فقرأت لنوابغ الفكر والشعر والتاريخ والفلسفة. وقد قالت عن نفسها: «إنها ذات جوع فكرى لا يكتفى وعطش روحى لا ينضب».

■ وأخذت تظهر رويدا رويدا فى ساحة الأدب والأدباء، وكان لمجلة «المحروسة» فضل كبير فى ظهورها. وتفتحت مواهب «مى» فى الشعر، ولكن بالفرنسية، وأتقنت فن المقال والخطابة والنقد، وكانت بارعة، كأن كلماتها أنغام موسيقى، ثم دلفت إلى النقد حتى أصبحت رائدة فى الدراسات الأدبية والنقدية.

ومع تفوق «مى» الثقافى ونبوغها العقلى كانت على قدر كبير من الجمال، وهذا وصف أحد الأدباء لها: «إن ميًا فى صورتها كانت مثل نغم ميلودى منسجم، كل لحن فيه على حدة يجود بصوت، كذلك كانت هيئة «مى» وملامحها فعيناها تحيران بما فيهما من شعاع، وأنفها الأقنى الذى يمسك بعصا ناظم الجوقة يؤلف قسمات وجهها الذى يمثل فيه القمر الوردى أنوثتها وبسمة فيها».

■ كانت تملك الجانبين المادى وهو الجمال الظاهرى والروحى وهو الجمال الخفى المتمثل فى روحها الحانية وسلامة ذوقها ورقة حديثها وعذوبته، مع ما يجلل هذا الجمال من ثقافة ونبوغ حتى أصبحت من رائدات الإبداع الأدبى فى عصرها وإن كان قد سبقها فى الظهور عائشة التيمورية الشاعرة، وملك حفنى ناصف الأديبة الشاعرة، ولكنهما كانتا تتحدثان من وراء حجاب ولم تظهرا فى المجتمعات مثلها.

■ وبظهور «مى» فى الساحة الأدبية ألهبت قلوب المفكرين والكتاب بالشوق واللهفة، فلم تكن مجرد فتاة تنبض أنوثة وتشع ذكاءا، بل كانت مفكرة ممتازة وصاحبة أسلوب ينم عن ثقافة غير ضحلة، وقد احتفى بها المفكرون والمعاصرون لها الذين يمثلون إتجاهات مختلفة تجعلهم فى تناقض واختلاف دائم، فإذا ما تكلموا عن «مى» أجمعوا على تقديرها ولم يختلفوا كثيرا حولها.

مى والصالون الأدبى:

كان صالونها هو ملتقى المفكرين والأدباء والشعراء، ولم يكن صالون مى هو الأول، ولكن سبقتها إليه الأميرة «نازلى فاضل» ولكن الفرق بينهما أن صالون نازلى كان للخاصة، وكان صالون مى للمفكرين من جميع الطبقات.

● وكان صالون «مى» شبيه بمنتدى فكرى يرتاده: أحمد زكى واسماعيل صبرى، وأحمد شوقى، وخليل مطران، وحافظ ابراهيم، وولى الدين يكن، ومصطفى صادق الرافعى، وشبلى الملاط، وعباس محمود العقاد، منصور فهمى، وأنطون الجميل، ابراهيم عبد القادر المازنى، وطه حسين. وشيخ الخطاطين نجيب هواوينى. وغيرهم كثير.

● وكان موعد اللقاء فى صالون «مى» هو الثلاثاء من كل أسبوع، ولم يكن يتخلف أحد عن الموعد إلا لمرض أو لظروف خارجة عن ارادته بل كان الكل يحاول أن يسبق الآخر فى الموعد حتى يحظى بدقائق منفردة مع «مى» وقد ظهر اعجاب الشعراء «بمى» إعجابا شديدا ويدل على ذلك آثارهم الشعرية، ولم يقف الاعجاب بمى لمن يرتادون الصالون بل تخطى حدود مصر إلى بلاد الشام، ولبنان على وجه خاص، ومنهم نقولا فياض وشبلى الملاط. وسوف نفرد مقالا يتناول «مى والشعراء»، وآخر يتناول «مى والأدباء».

نماذج من آثار مى:

فى النقد: تحديد الخطأ والصواب أساس فى نقد العلوم الرياضية والطبيعية واللغوية، أما النقد الأدبى فلا إطلاق فيه، وعمل الناقد البصير هو التحليل لتقرير ماهية كتاب أو أثر، فينبىء الناقد بذلك نفسه، وينبىء المؤلف أو المنشىء، وينبىء الجمهور معينا نزعة من نزعات العصر. لعل كلمة نقد هى التى أوهمت معالج النقد وأوهمت





احمد شوقى — عباس العقاد



مصطفى الرافعي — ابراهيم المازنى

الناس أنه لابد من الطعن والتعامل ليكون النقد «بارعا» فلو وضعنا «تمييز» مكانها كانت أوفى بالغرض. عاطفة واحدة قد تكفى لتكون شاعرا وفنانا أما للناقد فلا أقل من عاطفتين اثنتين: إحداهما للشعور مع موضوعه، ومثله، وبدرجة انفعاله، والأخرى للتميز عنه، والعودة إلى شخصية الناقد ليستمد منها قوة التبين والحكم... لا يحتاج الشاعر إلى أكثر من الشعر ولا يحتاج العالم إلى غير العلم، أما الناقد فإن لم يكن ذا إلمام بالعلوم والتواريخ، جامعا بين الفطانة والصدق، ذا مقدرة لمسايرة أبعد شاعرية، وتفهم أدق فكرة وقبول كل نظام، والتقمص فى كل فرد والخضوع لكل تأثير، إن لم يكن ذلك كله تصحبه مواهب أخرى، فلست أدرى ماذا يكون ولا هو يدرى كيف يتصدى للنقد العام، النقد وحى لأنه يدرك الوحى ويحتضنه، وحرية، لأنه لا تمييز فى العبودية.

لماذا تبقى العربية حية؟.. من هو المنبه إلى تكوين هذه المدنية؟. مصدر تلك الحضارة فهو القرآن الكريم، لقد ذاع القرآن بسرعة لم يظفر بها كتاب قبله، ولا بعده،

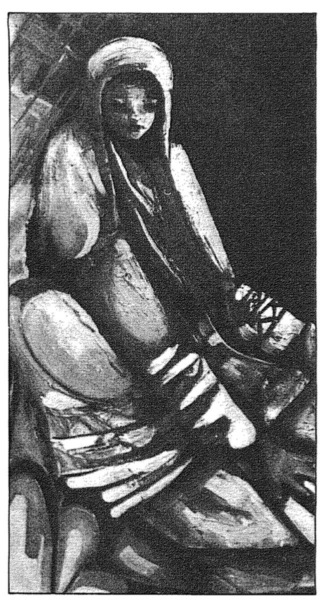
ولم يقصر انتشاره على الشعوب التى نزل بينها وتوافقت تعاليمه ومدركاتها وطبيعتها. بل خضعت له بعدئذ أمم لها من حضارتها السحيقة ما قد كان يعد كافيا للتفلت من سطوته ورفض الاذعان لأحكامه. قال جماعة من المؤرخين: إن التمدن العربى كان تمدنا إسلاميا صرفا. والقرآن مصدر جميع العلوم التى عنى بها المسلمون فى أوج حضارتهم.. فلتفسير آياته وسوره وجدت علوم الكلام وعلوم المنطق.. ولتفهم ما فيه من نظام وتشريع وجدت علوم الشرع والفقه.. ولم تكن غاية المؤرخين الأولين من العرب إلا تحديد وقت نزوله وتدوين الأحاديث النبوية.

■ **شرقنا الجميل**: أجل شرقنا جميل ولكن الروح التى تحييه أجمل منه، ومياه الشرق عذبة، وأعذب منها العواطف الغزيرة المتدفقة فى صدر الشرقى. وكل ما فى الشرق من جبال وأودية.. من مروج وسهول.. من أنهار وأشجار بهى بهيج وأبهى من كل ذلك وأبهج تلك المكارم فى ثنايا الروح الشرقية والتاريخ الشرقى تاريخ مجد وفخر - ولكن هناك شيئا أعظم منه وهو الذكاء الشرقى الذى أوجد التاريخ.

■ **مى ومناحى أخرى**: لم ينحصر نشاط الأديبة «مى زيادة» فى الكتابة بل كان لها مشاركات إجتماعية، واتصلت بالقضايا العصرية والسياسية إتصالا فكريا، وكانت قضية المرأة من أهم ما شغلها لتحريرها من الظلم الاجتماعى الذى كانت تعانيه من عدم تعليمها وعدم مساواتها وإعطائها حقوقها، ولم تكن متعصبة لبنات جنسها تعصبا أعمى، بل كانت تنظر إلى وضع المرأة من الزوايا الانسانية وخبرت عبر تجربتها الشخصية وتأملاتها ومطالعتها بأنه ليس هناك عائق طبيعى يحد من إنطلاق المرأة وتقدمها وبلوغها المراتب الرفيعه فى العلم والعمل إذا أفسح لها فى المجال وأتيحت لها الفرصة. ولم تكتف «مى» بنشر مقالاتها حول قضية المرأة فى المجلات والصحف بل كتبت عن الرائدات فى عصرها، فأعدت كتابا عن كل من «باحثة البادية» وعائشة التيمورية.. ووردة اليازجى.

مى والصحف والمجلات: أفردت الصحف والمجلات العربية صفحاتها لفكر «مى» ومقالاتها فكتبت فى: الرسالة، والأخبار، والأهرام، والهلال، والمقتطف، والزهور، والمكشوف، وغيرهن.

والجدير بالذكر أن مى قد كتبت تحت أسماء مستعارة فحملت مقالاتها التوقيعات التالية: إيزيس كوبيا، عائدة، شجية، كنار، السندبادة البحرية الأولى، مدموزيل صهباء، خالد رأفت، ثم الآنسة مى، واستقرت عليه.



الكاتبة الأمريكية بيرل باك (١٨٩٢-١٩٧٣)

الحائزة على جائزة نوبل للآداب



تخصصت بيرل باك فى وصف الحياة الصينية، لكنها تخصصت فى الوقت نفسه فى وصف الحياة العامة، وهى أكثر أديبات أمريكا حظاً فى نيل الجوائز الأدبية ومنها جائزة بولتيزر وجائزة نوبل فى الآداب لعام ١٩٣٨، قال عنها الأديب سنكلر لويس الذي سبقها إلى نيل الجائزة: «هناك من يقول إنه رغم شهرة بيرل باك، فإن كتبها ليست أدباً عظيماً حقا أربما لأنهم يقارنون إنتاجها بالآثار النفسية الحديثة، ولكن فى جميع قصصها عظمة البساطة، بساطة اللغة والتعبير والأسلوب».

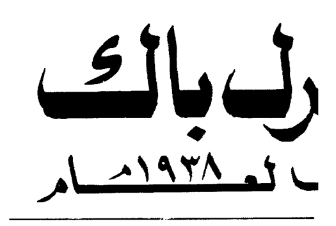
■ ولدت بيرل باك عام ١٨٩٢ فى فرجينيا الغربية وانتقلت مع والديها إلى الصين منذ طفولتها، ودرست فى مدرسة داخلية فى شنغهاى ثم رحلت إلى أمريكا لتكمل تعليمها، وما لبثت أن عادت إلى الصين وتزوجت شاباً أمريكيا وعاشت هناك فترة طويلة شهدت فيها أحداث كثيرة كإحدى المجاعات والحروب الأهلية وكانت تقوم بتدريس آداب اللغة الانجليزية فى جامعة «نانكنج» وفى أثناء دراستها فى إحدى الكليات الأمريكية وعندما عادت للمرة الثانية إلى الصين أحست برغبة فى الكتابة لكنها كانت تعتقد أنها لم تصبح بعد أهلاً لذلك فقالت عن نفسها فيما بعد:

«كنت أعرف فى أعماق نفسي أنى سأصبح كاتبة ولكني لم أكن أهلاً لذلك، إني أؤمن بأن الكاتب لا يجب أن يعالج الرواية قبل أن يبلغ الثلاثين وتعركه الحياة بتجاربها».

لكن ظروف الحياة والوسط الصينى الذى عاشت فيه دفعاها للكتابة لتصور بصدق وأمانة هذا المجتمع وتصف بشكل خاص حياة الفلاح الصينى.

أول إنتاج قصصي لبيرل باك هو رواية بعنوان **«ريح الشرق وريح الغرب»**(١) ترجمتها الأديبة الراحلة سميرة عزام إلى اللغة العربية.

على أن هذه الرواية لم تحز شهرة فائقة ولم يصبح أدب بيرل باك أدباً عالمياً إلا بعد ظهور روايتها الرائعة **«الأرض الطيبة»** وهى الحلقة الأولى من ثلاثية **«بيت الأرض»** التى تتضمن «الأرض الطيبة» و«الأبناء» ثم «بيت منقسم» وقد ظهرت فى مجلد واحد باسم بيت الأرض عام **١٩٣٥**.



سماء زكى المحاسني سوريا

وهى ثلاثية تحكي تاريخ أسرة صينية خلال ثلاثة أجيال.

قورنت هذه الثلاثية بـ/ مسلسلة إميل زولا المعروفة عن الأرض ولقد تجاوز توزيع رواية الأرض الطيبة فى أمريكا وحدها مليون نسخة، وكانت السبب الرئيسى فى شهرة بيرل باك رغم إنتاجها الأدبى الوافر. والرواية بمثابة لوحات متتابعة تصور الحياة فى الصين والأحداث التقليدية من زواج وإنجاب للأطفال وبحث عن أسباب الرزق ووفاة... الخ.

■ وقد أصبحت بيرل باك بروايتها هذه من أشهر الأديبات العالميات، ومثلت روايتها فى السينما. وعلى الرغم من الانتقادات التى وجهها بعض النقاد إلى هذا العمل الأدبى الرائع، ومنها أنه عمل تقليدى يخلو من الإثارة الروائية فإننا نجد أن الجميع يتفقون على تقدير فن بيرل باك الأدبى وتصويرها للشخصيات بعاطفة وإحساس، مما يجعل أبطال روايتها أبطالاً واقعيين أقرب إلى قلوب القراء.

■ ومن أجل هذا التصوير الصادق منحت بيرل باك أكبر جائزة أدبية فى العالم وهى جائزة نوبل فى ١٠ ديسمبر عام ١٩٣٨، وكان قرار منحها الجائزة مبنيا على: [٨]«لوحاتها الملحمية الخصبة والأصيلة عن حياة الفلاحين الصينيين، وتحفها الأدبية فى مجال السيرة الذاتية».

■ وقال السيد «بيرها لستروم» رئيس الأكاديمية فى الخطاب الذى ألقاه لدى تسليمها الجائزة مشيداً بأعمالها الأدبية: «إنه عندما قررت الأكاديمية السويدية منح جائزة هذا العام إلى بيرل باك لأعمالها الأدبية المرموقة التى تمهد الطريق من أجل التعاطف الانسانى بين مختلف فئات البشر وكذلك لدراسات بيرل باك فى عالم المثل الانسانية التى تشكل المضمون الأساسى لأعمالها».

■ وكانت بيرل تجد سعادة قصوى فى الكتابة وفى هذا الصدد تقول:

«إنى من هؤلاء الناس الذين لا يشعرون بالسعادة إلا وهم يكتبون القصص جيدة كانت أم رديئة.. إنى بكل أسف من هؤلاء الذين لا يعرفون كيف يعيشون ما لم يكتبوا.».

■ وهكذا استمرت بيرل فى الكتابة، فكان يظهر لها فى العام كتاب أو كتابان حتى تجمع لديها عدد ضخم من القصص والروايات والأبحاث والدراسات والترجمات وزادت على الأربعين، وكانت تصرف جانباً كبيراً من وقتها للحقل الاجتماعى والتربوى والانساني بصفة عامة.

■ تناولت بيرل باك فى أدبها قضايا كثيرة فى المجتمع وتحدثت كثيراً عن الأسرة وعن كل عضو من أعضائها، فكتبت مثلاً عن الأم وتحكى فى هذا الكتاب قصة كل أم فى كل عصر من العصور وفى كل بلد من البلدان، وإن كانت قد خصت بحديثها الأم فى الصين، ترجمت هذه القصة أيضاً إلى اللغة العربية بقلم الأديبة إدفيك جريدينى شيبوب.

■ ومن روايات بيرل باك «الرائد» وتصف فيها حياة المهاجرين الذين وفدوا على أمريكا وعمروها من بعد.

وروايات أخرى مثل **«جناح النساء»**، **«لوحة زواج»**، **«الموجة الكبرى»**، **«الزوجة للأولى»**.

وضمن نشاطها الاجتماعى أسست «بيرل باك» مؤسسة للأطفال(٢) تضم كثيراً من الأطفال الذين تبنتهم

● انى من هؤلاء الناس الذين لا يشعرون بالسعادة إلا وهم يكتبون القصص جيدة كانت أم رديئة.. إنى بكل أسف من هؤلاء الذين لا يعرفون كيف يعيشون ما لم يكتبوا. «بيرل باك»

أو تبناهم غيرها من الأمريكيين، وكان ذلك عام ١٩٦٧ .

■ ومن أصـدق رواياتهـا **«الطفلة التى لا تنمـو أبـداً»** وتتحدث فيها عن ابنتها المتأخرة عقلياً، وقد عبرت فيها عن حاجة مثل هذه الطفلة إلى الرعاية والمساعدة.

وتقول الكاتبة «إلفريدا فيبونت» فى كتابها «قصة من قصص بيرل باك فى حياتها الخاصة:

لم يكن يستطيع أن يؤلف هذا الكتاب إلا من هو مثل بيرل باك فى صبرها وقوة احتمالها فهو كتاب يمس شغاف القلب.

■ وفى عام (١٩٥٤) أصـدرت بيرل باك كتابها «عوالمى العـديـدة» وهـو ترجمة تامة لحياتها الشخصية تسرد فيها أحداث طفولتها وشبابها، وتتحدث عن تجربتها ككاتبة فتقول:

«كنت أعرف فى سري كما عرفت دوماً أنني سأكون يوماً من الأيام كاتبة، غير أني لم أكن قد اتخذت للأمر عدته بعد. كنت أشعر أني لا أزال فارغة، وإني لأعرف اليوم، بطبيعة الحال، أن الفراغ هو الوضع الطبيعى لأيام الصبا،

فما ينبغى لكاتب، على ما أعتقد، أن يحاول كتابة قصة قبل الثلاثين، وحتى فى هذه السن لا يصح له أن يكتب ما لم يندمج بالحياة اندماجاً لا فكاك له فيه، ولا أمل بالخلاص بعد له، وذلك لأن الكاتب الذى يخرج إلى العالم بحثاً عن مادة لقصصه، كما يذهب صائد السمك فى عرض البحر ليصطاد، لن يكتب قصة ناجحة بكل تأكيد. ينبغى أن تمارس الحياة مراساً عفوياً، غير واع وأن تخاض معركتها خوضاً كاملاً لا لغاية سوى الحياة نفسها، قبل أن تصبح أخيراً مادة صالحة لقصة.

■ لقد كان لبيرل باك مكانة مرموقة فى عالم الأدب والفكر فبالاضافة إلى جائزة نوبل فى الآداب حازت على جائزة بوليتـزر (١٩٣٢) وجائزة وليام دين هاول وانتخبت عام (١٩٥١) عضواً فى الأكاديمية الأمريكية للآداب والفنون التى تقتصر عضويتها على خمسين عضواً فقط من الأدباء البارزين، وأصبحت رئيسة «رابطة الشرق والغرب».

■ ولقـد استأثـرت هذه الكاتبة بإعجاب النقاد والأدباء وتحفز البعض من كبار الأديبات فى الوطن العربى لترجمة آثارها الأدبية الجميلة الى العربية وفى مقدمتهم الدكتورة سهير القلماوى اذ قالت عن هذه الاديبة الامريكية المرموقة(٣).

■ لقد قرأت **«الأرض الطيبة»** سنة **١٩٣٥** قبل أن تنال صاحبتها عليها جائزة نوبل سنة **١٩٣٨**، وتعلقت منذ ذاك ببيرل باك فقرأت لها أكثر مؤلفاتها بل لقد حفزني حبي لها يوماً أن أترجم لها مجموعة من القصص القصيرة، إن جمال أسلوبهـا فى البسـاطة وجمال عاطفتها فى التدفق التلقائى النقى وجمـال منـاظرهـا ووصف أحـداثها وعواطفها فى اللمسـات الحـانيـة التى تستعملهـا فى عملية رسمها. ومـارست بيرل باك مهنة الصحافة فأصدرت مع زوجها مجلة بعنوان «**مجلة آسيا**» ولم تبدع فى مجال الرواية فحسب بل إنها كتبت للمسرح، وألفت للأطفال ومن كتبها لهم «**المـوجـة الكـبرى**»، وقد اهتمت بأدب الأطفال وكتبت مسرحيات للتلفزيون، بالإضافة إلى بعض المقالات فى

الصحف المختلفة.

■ غير أن أروع إنتــاجها الأدبي كان في القصـة التى نجحت في كتـابتهـا ولها فضل في تعريف أمريكا والعالم بصفـة عامـة بالصين والشرق عن طريق انتاجها الأدبى الــذى استطـاعت فيـه أن تتغلغـل إلى أعـماق النفس الإنسانية بوضوح وبساطة وعفوية.

الهوامش

(١) موسـوعة أدبـاء أمريكا - تأليف د. نبيل راغب، دار المعارف بمصر، ١٩٧٨، (ج١).

(٢) بيرل باك، صلة وصل بين شتى العوالم ومثال للعبقرية النسوية - عبد اللطيف شرارة، مجلة العلوم - بيروت، ع (٦) حزيران ١٩٦٣.

(٣) بيرل بك، أول أمريكية تفوز بجائزة نوبل - بقلم منيرة عبد الجواد دكروري، تقديم د. سهير القلماوي، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر.

الصين ملهمة الادباء







ابو عواد

(٣٨٣)

إذا كنتِ فعلا ممن يحرص على حياة زوجية ترفرف على جنباتها السعادة والأمان. . فتجنبى تلك الفئة من النسوة اللواتى يتحدثن بصوت جهور. . ويحسن فنّ القيادة. . فقد لا يكون زوجك سهل الانقياد مثل غيره - وتذهبين ضحية.

(٣٨٤)

عزيزتي. . من السهل أن ينخدع البعض ويطلب يدك ويزداد تمسكاً مهما غلا مهرك. . لكن حمله على الاحتفاظ بك. . قد لا يكون بنفس تلك السهولة.

(٣٨٥)

فى اعتقادى أن كلمة - شكراً - ألطف مليون مرة من كلمة «مرسى» والى اللقاء أفضل من «هاى» أليس كذلك ؟.

(٣٨٦)

يا سيدتى إن التى تنسى أصلها وتلبس قناعاً مصطنعاً وتفضل أن تعيش بذلك القناع تشبه ذلك الممثل الذى يستمر متقمصاً شخصية العمل - الدرامى - الذى كان يؤديه أمام عدسة التصوير وينسى اسمه الحقيقى.

(٣٨٧)

أنا لا يهمنى اطراء حواء أو هجومها وانى لأوثر أن يكون دورى امتداداً لدور «المبكيات» لا «المضحكات».

(٣٨٨)

انى لا استغرب المامك بكافة أنواع البارفانات - وأسماء المشاهير من مصممى الأزياء غير أن ما أستغربه حقاً هو انك نسيت طبخة «المجدره» وأن «الفريكة» من «الحنطه».

ام عمـــرو

(٣٨٣)

الزوجة تلجأ لتعلية الصوت واستخدام الحيل عندما لا تجد من يجلس ليستمع إليها ويناقش رأيها بتفهم أو تتصور أنها فى معركة تستلزم إستخدام هذه الأساليب.

(٣٨٤)

غلاء المهور هو من أسوأ الإهانات التى قدمت للمرأة. ! . الزواج الناجح يبنى على حسن الاختيار وعدم الإنبهار بالمظهر فى كل من الزوج والزوجة معاً.

(٣٨٥)

الأطفال لا يولدون بقاموس والا تكلم العالم كله لغة واحدة. انهم يرددون مفردات قاموس الأم والأب والمعلم والمعلمة والمذيع والمذيعة. فلنُعلِّمْ هؤلاء اللغة التى نريدها وسيتعلمها الصغار ذكوراً واناثاً على السواء بعفوية ويسر. ربما بعد ذلك تختفى كلمات الخواجات من مجتمعاتنا.

(٣٨٦)

لا تنسى اصولها إلا من قَصَّتْ هذه الاصول فنمت فرعاً بلا جذور.

(٣٨٧)

تعديل السلوك غير المرغوب فيه يكون أسهل وأسرع واكثر ثباتا بالتشجيع والحث وليس بالتقريع واللوم. هذا رأى علماء النفس والتربية المسلمين وغيرهم، والله أعلم.

(٣٨٨)

المرأة تتعلم ما تسمعه من أمها وجدتها وخالتها وما تقدمه لها المجلات والبرامج الاذاعية والتلفزيونية ليل نهار. والمعركة غير متكافئة.



ام عمــــرو

ابو عواد

٣٨٩

جمالك يعطى عنك الانطباع الأول . . غير أن الذى يحسم الموقف لك أو عليك هو مستوى تفكيرك وثقافتك وأسلوبك فى التعامل . . فما الجمال الا قناعاً.

٣٩٠

لا تحرصى كثيراً على المظهر . . ويفوتك تحسين المخبر . . فكم من وردة جميلة المظهر . . زاهية الألوان . . تأسر الناظرين . . يتبين فيما بعد أنها بلاستيكية لا حياة ولا شذى فيها.

٣٩١

وأنت تطيرين فرحاً بهذه الخادمة التى أصبحت تحسن صنع كل شىء . . وطهى كل طبق . . يصبح على عينى غشاوة . . أتخيل ما يمكن أن يكون عليه حالنا بعد سفرها . . وقد نسينا صنع كل شىء.

٣٩٢

يقال ان بكاء المرأة ليلة زواجها . . ينقلب ضحكا بعد الزواج . . وضحك الرجل ليلة الزواج ينقلب بكاءا فيما بعد . . والله أعلم.

٣٩٣

الزوجة ـ الدبلوماسية ـ تستطيع أن تجعل من الرجل القوى ـ انقياديا ـ لكن بشرط أن تلقى السلاح.

٣٩٤

يقال ان حزن الزوجة الزائد على فقد شريك حياتها ربما لوقوعها تحت عذاب الضمير لأن المرحوم وافته المنية وهو غير راض عنها.

ام عمــــرو

٣٨٩

حقيقة يكون جمال «المظهر» تغطية سريعة الذوبان والتحلل لحقيقة المخبر.

٣٩٠

لا يختلف اثنان على أن البريق الكاذب يزول، ولو بعد حين وأن العبرة بالمخبر لا بالمظهر.

٣٩١

عندما تشعر المرأة بقيمة ما تقدمه على وجوه وفى تعبير من حولها سترفض حتماً إدخال الخادمة الى المطبخ وربما الى أماكن أخرى كثيرة من المنزل.

٣٩٢

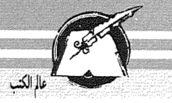
الزواج الحقيقى هو بكاء مشترك وضحك مشترك . أما هذا الذى يبكى فيه طرف ويضحك آخر فعلينا أن نبحث له عن اسم ومعنى آخر.

٣٩٣

لقد اصبحت الطرق الحديثة واسعة وممهدة تتسع ليسير فيها الزوجان معاً جنباً الى جنب، كل يؤدى دوره فى رحلة الحياة الشاقة والممتعة معاً، ليس هناك حاجة الآن الى وجود قائد وجندى وسلاح فى ساحة الحياة الزوجية.

٣٩٤

إن النساء لا يملكن القدرة على تجديد ما يفنى من حياتهنّ بسهولة مثل بعض الكائنات الأخرى؟ فإنهن يصبن بحزن أكبر على فقد شريك الحياة وقد يتكدّرْن على سنوات العمر القادمة أو التى ولت.



قراءة فى كتاب :

ابو العتـ

لمحـــــات من حيـــــ

● شعـر أبى العتـاهيـة كسـاحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى واكتـمالاً لوحـ

● أبـو العتـاهيـة هو بغداد فى عزها ونشوتها . . وبغداد هى أبو العتاهية فى تبذله وزهده كما تميـز أبو العتـ

● فى وعظيـاتـه ينطلق أبـو العتاهية من العقيدة الاسلامية قبل ان يتأثر باقوال الفلاسفة و يحمل رسـ

■ كتاب «**أبو العتاهية ـ لمحات من حياة حافلة**» من إصدارات الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون فرع الـدمـام . . وتأليف الاستـاذ الكـاتب عبد الله بن أحمد الشبـاط . . والكـاتب الشباط شخصية أدبية ذات ميول تاريخيـة ، متـواجـد على السـاحـة الاعـلاميـة المقـروءة والمسمـوعـة . . ولـه جيل من التلاميذ نهلوا من (جريدة الخليـج العـربى) المحتجبة والتى اشرف على اصدارها وتولى رئاسة تحريرها فترة من الزمن .

بلغت صفحات كتابه هذا مائة واحدى عشر صحيفة بالحجم المتوسط والنسخة التى بين يدى خالية من تاريخ الطبـع وسنـة الاصـدار، ويؤكد الدكتور محمد بن على الهرف فى المقدمة التى كتبها تصديراً للكتاب : بأن المؤلف الشباط ادرك بحاسته التاريخية والادبية مدى الارتباط بين المدينة التى يعيش فيها الشاعر ـ ابو العتاهية ـ وبين الشعر الذى ينتج منه ولو بعد فترة من الزمن .

■ ويأتى تأكيد المؤلف الشباط بأن حديثه عن أبى العتاهية حديث عن مدينـة بغـداد حيث يقول : والذى أريد أن يدركه القارىء تماماً هو أن الحديث عن أبى العتاهية هو الحديث عن بغداد بحكامها وقرائها وشعرائها ، ومغنيها ، وهو ايضا الحديث عن الدولة العباسية فى طور الازدهار الفكرى ، وقيام المدارس اللغوية والادبية فى انحاء الدولة الاسـلاميـة . . وهـو الحـديث عن الفرس والترك الذين تغلغلوا فى الـدولـة فأصبحـوا يملكون مقدراتها . . وهو حديث الحنـيـن عن الاصــالــة فإن فترة بدئت بهارون الرشيد ، وختمت بالمتوكل هى فترة ذهبية فى عصر العلم والثقافة الاسلامية ، وهو ما يجوز بان نسميه بعصر الانفتاح على العـالم ، والاغـتـراف من مكنـونـات الثقافة وخزائن الفلسفة والمعرفة من الشرق أو الغرب .

■ ويقول : لقد بهرتنى بغداد الرشيد والمأمون والمعتصم ، ومـا وصلت إليه من مكانة علمية وزعامة سياسية حيث تحولت إلى مركز حضارى فأحببت الحديث عنها حديث العاشق الولهان .

اهيـــة

ـاة حـافلـــة




ابو العتاهية

عبد الله شباط

الموضوع كان من الأفضل أن يتوسع الحديث عن فن أبي العتاهية .

ة يعمق المعرفة وأصالة الثقافة ورقة التعبير.

، واعظاً مذكراً اينها وحيثها وجد بكلام سهل يفهمه العامة .

بقلم الدكتور:
صالح بن سليمان الوشمي

وتجاه هذا التأكيد والميول فى الحديث عن بغداد كان حريـا بأن يسمي المؤلف كتابه هذا بعنوان «**أبو العتاهية وحـديث عن بغـداد**» فبغـداد بلد الرشيد وقلعة المأمون العلميـة، وصـورة الحضـارة الاسـلاميـة العربية جديرة بالحـديث الطويل، وقمينة بالبحث والدرس المتعمق فى جذور أصالتنا وأمتنا الاسلامية فقد استطعنا بهدى كتابنا السماوى أن نضع حضارة ونبنى تراثاً نفتخر به ويفتخر بنا .

ولا مانع كما أحب الاستاذ الكريم الشباط أن يكون أبو العتاهية مدخلاً لمثل هذه الدراسة . . فشخصية أبى العتاهية ذات الشطرين إن صحت التسمية هى صورة كما يرى المؤلف من صور بغداد الاسلامية العربية .

وينصب اعجاب المؤلف بأبى العتاهية : بأنه اعطى صورة رائعـة للانسـان السـوى بدأ فقيراً معدماً، ومات غنيـا . . بدأ خليعا مترفاً، ومات زاهدا، بدأ محباً للدنيا مقبلاً عليها، ومات راغبا عنها .

■ ثم يقـول هذه عظمة ابى العتاهية التى شدتنى إليه وجعلتنى أدرس جوانب من شخصيتـه الفذة فى اسلوب يتنـاسب مع مقـامه فى نفسي . . فأبو العتاهية لم يذهب مذاهب الصوفية، ولم يقتل نفسه شوقاً إلى الحبيب، وإنما بكى نفســه لأنهــا ستلقى الحبيب، وذنب المحب لدى الحبيب عظيم، وجـرمـه كبـير، وإنسـانيته امام جبروت الخالق وقدرته ووعده ووعيده تخاف، والخوف أحد طرق الهداية إلى الطريق القويم . . ثم يقول : اذا فأبو العتاهية هو بغداد فى عزها ونشوتها . . وبغداد هى أبو العتاهية فى تبذله وزهده .

■ ولهـذا استـل المؤلف الشبـاط ابا العتاهية بشخصيته المتنـاقضـة تعبيراً عن بغداد . . او مدخلاً لدراسة مدينة بغداد العباسية . . ذات الثراء، وصاحبة المجد، وملتقى الحضــارات . . حيث انصهـرت فى محيطهـا فئـات من الشعوب كلها ذات حضارة، كان للامة العربية الاسلامية فضل استيعابها .

■ والمؤلف لم يقسم كتـابـه الى أبـواب وفصول بل إلى

● ميول أبي العتاهية للعنصر العربي فى الدولة العباسية دفع بخصومه الى اتهامه بالزندقة كما كان للفترة التى قضاها فى السجن أكبر الأثر فى زهده ورجوعه واستقراء واقعه.

موضوعات تربط بينها وحدة الهدف من الكتاب، وفكرة الموضوع المنبثقة من رغبة الكاتب فى الحديث عن (**أبو العتاهية. . وبغداد**) لوجود قاسم مشترك بينهما رآه الكاتب وحاول ابرازه فى تضاعيف موضوعات هذا الكتاب حيناً، وحيناً يكون حديثه عن ابى العتاهية وحده.

■ وأولى تلك الموضوعات حديثه عن مدينة السلام - بغداد - وعن أصل تسميتها وتعددها، وأنها قبل أن تصبح عاصمة المملكة الاسلامية كانت سوقا يقصدها أهل الصين، وأن أول من انشأها الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور، واستقدم لها الصناع والبنائين من الشام والموصل، والجبل وأقام عليها من أهل الفضل والمعرفة والعفة نظراء ومشرفين على التنفيذ.

■ وهكذا بدأت بغداد بخطوة ثم خطوات حتى اصبحت مدينة السلام تتميز بهندسة ذات شكل دائرى، وامتلأت بالناس، وعجت بالحركة حتى قال فيها بعض من سكنها: ما مررت بطريق من طرق هذه المدينة إلا ظننت أن الناس قد نودى فيهم فاجتمعوا بذلك الطريق. . وقيل لمن لم يدخلها:

ما رأيت الدنيا ولا الناس.

■ وتظل ذكريات بغداد العاصمة الاسلامية تنثال على المؤلف ويكتبها وهو المشوق المشدود إلى تراث اجداده، وامجاد آبائه، ثم يعرج على تناقضها فيقول إجتمعت فيها النزارية والعدنانية إلى جانب التركية والفارسية واجتمعت فيها السلفية والصوفية إلى جانب الزنادقة والخوارج والباطنية واجتمعت فيها فرق الشطار والمحتالين، والدجالين، إلى جانب فرق العلماء والمصلحين والمتعلمين، وشهدت صراع جعفر البرمكي مع الفضل بن الربيع.

■ ثم يقول: لقد استمرت بغداد مركزاً للعطاء حتى دخلها التتار سنة ٦٥٦هـ فكان ذلك الانحدار العظيم لا لبغداد وحدها وإنما للامة الاسلامية بأكملها حيث داس التتار كرامتها وقتلوا خليفتها وسدوا الانهار بعصارة فكر علمائها ومفكريها، ويرى فيها صورة متكررة لرؤى متناقضة مختلفة، فبغداد الاغنياء، وبغداد الفقراء هى بغداد الجهال، وبغداد العلماء، وبغداد السوقة، وبغداد الفقهاء، تجتمع كلها فى صورة مجسمة واحدة هى أبو العتاهية، فمن اراد الحديث عن بغداد فليقرأ عن ابى العتاهية، ومن اراد الحديث عن أبى العتاهية فليقرأ عن بغداد.

■ وموضوع (**الازدهار**) امتداد للموضوع الاول مدينة السلام حيث خصه المؤلف بالحديث عن ثراء الدولة العباسية التى عاصمتها بغداد. . وتطرق الى الثراء الفردي ايضا حيث شملت الاحصاءات التى عرضها طرفاً من دخل علية القوم فى ذلك الوقت، وحبذا لو اعطى المؤلف جانباً للصورة الأخرى فى بغداد من طبقة الفقراء والمعدمين. . فالشاعر يقول:

بغداد أرض لأهل المال طيبة
وللمفاليسِ دار الضنك والضيقِ

■ ولا ريب عليه فى هذا فقد اصبح موضوع كتابه مقاسمة بين ابى العتاهية وبغداد. . ولم يترك المؤلف الشباط الجانب الفكرى - او الثروة الفنية - للدولة العباسية فقد أرخى العنان لقلمه وأشار إلى دور الترجمة وأثر تقريب الخلفاء والامراء والوجهاء للعلماء والمؤلفين، مما زاد فى كمية الانتاج الفكرى عند بعض المؤلفين الذين اصبحت لهم مجلدات كبيرة، وتلك ثروة فكرية كبيرة. . وثمرة من

ثمرات بغداد الاسلامية، كما ألمح المؤلف إلى جانب اللهو والغناء فى حياة بعض أهل بغداد الذى كان ناتج لقاء حضارات ذابت فى محيط بغداد العربية الاسلامية، فكان للترف والغناء عشاق وهاوون كأبى العتاهية الذى اندفع - كما يروى عنه - قائلا لمخارق المغنى: «**يادواء المجانين**».

ولكنه ما يلبث ان يعود الى حياة الزهد كنتيجة حتمية او اعتراضية ضد حياة اللهو التى كان لها فى العصر العباسى شعراء وقف ابو العتاهية نفسه يوماً ما فى معيتهم.

■ ففى موضوع (**الخزاف**) يحدثنا الكاتب فى حديث متواصل الفقرات مشدود العبارات عن شاعره البغدادى أبي العتاهية.. وأنه من مواليد الكوفة وقد نشأ فى باديتها ويعود فى ولائه الى عنزة.. وأسمه: اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان.. وكنيته: ابو اسحاق.. ودخل بغداد فى عهد المهدى.. عمل مع أخيه بين طين وكير.. لاعداد الاوانى الخزفية.. طاف ازقة بغداد بالاقفاص المليئة بالجرار يعرضها للبيع. ومع هذا لم يهمل حلقات الدرس.. وندوات الشعر والادب فى مساجد بغداد الرحبة.. قضى أيامه الاولى فيها كطالب مغترب لا أهل ولا مال.. وعن طريق خال الخليفة المهدى يزيد بن منصور وصل الى بلاط الخلافة العباسية وعرفه الناس بأبى العتاهية بعد وصف المهدى له حيث قال «**إنك إنسان متحذلق مُعِتّه**».

■ وبعد القاء قصيدته على المهدى بحضور شعراء من بغداد والتى منها:

أتته الخلافة منقادة
إليه تجرر أذيالها
ولم تك تصلح إلا له
ولم يك يصلح إلا لها

■ نال بها المكافأة وانتزع شهادة شعراء بغداد وهو الشاعر الكوفي.. وبعد هذا الموقف يرى المؤلف أن ابا العتاهية ودع سوق الخزف والجرار فلم يعد بحاجة إلى صناعتها حيث فتحت امامه قصور الخلافة.. ثم يستعرض الكاتب الشباط - سريعاً - العلاقة بين الشاعر ابى العتاهية وخلفاء بنى العباس بدءاً بالمهدى الذى ظل ملازماً له حيث كانت العلاقة بينهما قوية ثم الهادى والرشيد الذى كان لا يفارقه فى سفر ولا حضر.. وقد بلغ من إعجاب الرشيد به أن امر بكتابة اشعاره وقراءتها على أولاده.

■ ويبدو أن ابا العتاهية اتجه لحياة الزهد والتنسك فى خلافة هارون الرشيد اذ بعد موت الرشيد زهد فى الدنيا وانقطع عن قصور الخلفاء ولم يعد يزورها الا لماما.. واعتاد فى عهد الخليفة المأمون ان يزوره كلما عاد من الحج ويهدى إليه بردا ومطرفا ونعلا ومساويك فيأمر له الخليفة بعشرين الف درهم..

وفى الكتاب نطالع موضع (الشاعر) وهو دراسة حاول فيها المؤلف الاستاذ عبد الله الشباط أن يتعمق فى فلسفة الشاعر ابى العتاهية فيبدأ بالرأي الذى يقول: إن أبا العتاهية من الشعراء الذين واجهوا الواقع وعاشوه بكل اوضاعه.. ثم يدرج مقارنة خاطفة بين ابى العتاهية المسلم واعتبره شاهداً من الحضارة العباسية، و(**ت.س اليوت**) شاعر من الحضارة الغربية المعاصرة فيقول: إن أبا العتاهية صور الحياة على أنها عرض زائل تتبعها حياة خالدة فيها الشقاء او النعيم، بينما اليوت صور الحياة على أنها سهل مقفر لا حياة فيه.. ولا يرتجى منه أمل.

■ يقول المؤلف: ولم ترتفع روح إليوت للبحث عما بعد الموت ولا لوجود الحياة مزرعة للخير والشر كما صورها شاعرنا العربى من قبل ألف ومائة عام.

■ وكان بودى أن وضح فى مقارنته هذه ان أبا العتاهية عبّ من نبع اسلامى صاف يؤمن بالبعث ويرى الدنيا متاع الغرور، وهى مزرعة الآخرة. وشتان بين هذا النبع ونبع إليوت؟

■ وفى محاولة المؤلف للكشف عن أصالة وفلسفة الشاعر أبى العتاهية يستشهد بقوله فى رثاء صديق له اسمه: **على بن ثابت** وهو يرحل الى مثواه فيقول:

بكيــتـك يا علي بدمــع عيــنــي
فما اغـنــى الـبـكــاء عليـك شيئـا
وكــانــت فى حيــاتــك لي عظــات
وأنــت الـيــوم أوعــظ منــك حيــا

■ ويتبـع هذا الشـاهد بقول للاصفهانى عن فكرة ابى العتاهية فى هذين البيتين وأنه اخذها من أقوال الفلاسفة حين حضروا تابوت الاسكندر فقال أحدهم: كان الملك أمس أهيب منه اليوم . . وهو اليوم أوعظ منه أمس . . وقال آخـر: **(سكنت حركة الملك لذاته فحركنا سكونه جزعا لفقده) ١هـ.**

■ ويعلق عليها المؤلف بقوله: أرأيتم كيف حول شاعرنا تلك الاقوال إلى بيت واحد من الشعر لطيف المعنى سهل الحفظ قوى العبارة وهذا لعمرى دليل على عمق معرفته وأصالة ثقافته ورقة تعبيره.

وأنا مع المؤلف فى هذه الرؤية ولكن بودى أن ناقش المؤلف تعليق الاصفهـانى وزميله الآخـر. لأن تأثر ابى العتـاهية بهذه الرؤية انبعث من اعتقاده بالموعظة الحسنة التى ارشدنا اليها هادى الامة سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ بتذكر هادم اللذات، ورؤية الاموات بعد ما كانوا معنا فى هذه الدنيا الفانية احياء. . ونحن وراءهم على الاثر وأى عظة هذه.

■ إن ابا العتاهية ينطلق من عقيدة اسلامية قبل ان يتأثر باقـوال الفلاسفة. . والتى لا يمنع اطلاعه عليها حيث حفلت دور الترجمة فى بغداد فى وقته بالشىء الكثير من هذا.

■ ثم يأتى موضوع (مع النقاد) ويعرض فيه المؤلف بايجاز شديـد لآراء معـاصـري الشـاعـر والمتقـدمين من النقاد والشعراء فى تقويم شعره ويبدأهم بقول شيخ الادباء فى عصره عبد الملك بن قريب الاصمعى الذى أعطى تصورا عاما عن فن ابى العتاهية حيث قال: شعر ابى العتاهية كساحة الملوك يقع فيه الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى.

■ وهذا الموضوع جاء به المؤلف الماما سريعاً ولم يتدخل فيه بأى رأى. . وكنت افضل ان توسع فى الحديث عن فنه فى رأى نقـادنـا المعاصرين ممن درسوا الشاعر وذلك اكتمالاً لوحدة الموضوع.

وفى موضوع **(شاعر الشعب)** يقول الشباط: إن ابا العتاهية لم ينس منبته وأصله فهو واحد من ابناء الشعب وإن اوصله حظه الى قصور الخلافة، ويراه عندما يخاطب العـامة يختار لشعره من الفاظهم بل يقول كلاماً مفهوماً للجميـع ينظمـه شعـرا فيصـير شعرا يطير فى الآفاق. . وتتناقله الرواة، وأن شعبيته لا تقف به عند حد قول الشعر ففى تصرفاته الشخصية وطريقته فى الحديث فيخاطب كل انسـان بعفوية وعلى السليقة لا يتخير الكلمات. . وانه شخص يحمـل رسـالته واعظاً مذكراً اينما وحيثما وجد فى المسجد وفى السوق. . وفى المقابر بكلام سهل يفهمه العامة.

■ ثم يأتى المؤلف بمـوضـوع **(الخصومات)** وهو امتداد واكمال لدراسة حياة الشاعر فى مجتمعه بل فى مقر إقامته بغداد. . وكان الاحرى أن يشير إلى رابطة المكان فى حياة الشاعر وهى مدينة بغداد خاصة وقد نالت الشطر الكبير من حديث المؤلف فى بداية كتابه هذا.

■ وأجاد المؤلف الشباط فى تقسيم خصومات الشاعر فى مجتمعه إلى ثلاث فئات. . الأولى خصومات سياسية قال عنها: فالدولة مقسمة فى عصره إلى حزبين الحزب العربى بزعـامـة الفضل بن الربيع ومن ورائه زبيدة والاصمعى والامـين والجاحظ ومسلم ابن الوليد، والحزب الفارسى بزعامة جعفر البرمكى ومن ورائه اخوه ووالده يحي والحسن بن سهـل، والفتـح بن خاقـان ومن الشعـراء والبة ابن الحباب وابن مناذر وسلم الخاسر وبشار وابو نواس.

■ ويرى المؤلف أن الشاعر ابا العتاهية فى البداية وقف موقف الحياد لكنه رأى نفسه معزولاً عن الفريقين ففضل التقـرب من الحـزب العـربى فخص فى مدائحه المهدى والرشيد والامين والفضل بن الربيع، والقادة من العرب

الذين لا يشك في عروبتهم.. وقد حاول الحزب الآخر استمالته الى صفهم فيقول: ولكنه في كل مدائحه واشعاره في بيت الخلافة لم يعرض للمأمون ولم يمدحه كما لم يشر للبرامكة ولم يعرض لاى فرد من تلك الجماعة لا بخير ولا بشر تجاهلا حتى غلت نار الحقد.. فحاولوا الكيد له وإيذائه وابعاده عن الرشيد حتى صوروه للرشيد عندما تاب ونسك وترك قول الشعر في الغزل إنما فعل ذلك مخالفة ومكابرة فيسجن.. ثم يصاب في الاتهام بالزندقة ويطعن في عقيدته لانه صور حور الجنان بإمرأة آدمية.

■ وهكذا يحاول المؤلف أن يعمق فكرة ميول ابى العتاهية العربية وجنايتها عليه في موقفه حتى اتهم بالزندقة لابعاده عن جو الصراع بين الحزبين.

اما الفئة الثانية من الخصوم فيراها المؤلف تنحصر في خصومات شخصية ويسوق الشواهد لها، ويقول إن رفضه لأولئك الاشخاص لم يكن سببه الا مقته الشخصى للغرور والتيه على الناس.

والفئة الثالثة كانت زمرة من الشعراء.. وابو العتاهية لا يحب منافرة الشعراء والتهاجى لانها كثيرا ما تكون سببا لشرخ الاعراض والطعن في الانساب.. وهو لا يتعرض لهذا الباب الا في القليل النادر واشعاره في هذا الضرب ضعيفة لا تصل الى مستوى الهجاء عند معاصريه كما يقول الكاتب.

■ اما موضوع **«دمية القس»** فيبدو أنه مداخلة من الكاتب كاد فيها أن يفتش عن نفس الشاعر ابى العتاهية العاشقة او اللاهية في بداية حياته وتعرفه على الخليفة المهدى.. وعلى الرغم من أن الكاتب لم يطل الحديث واقتضبه الا أنه استطاع ان يضع ايدينا على مدخل جيد لدراسة عواطف ابى العتاهية الشاعر وهو يلهو مع العابثين.. ويرى الكاتب أن عشق ابى العتاهية **«لعتبة»** جارية المهدى وقد اوحت إليه بابيات أربعة اوردت نفسه موارد التهلكة دون أن يدري حتى اتهم في عقيدته فسجن وأهين لهذا السبب حين قال:

كأنَّ عتبة من حسنها
دمية قس فتنت قسها
يارب لو أنسيتنيها بما
في جنة الفردوس لم أنسها

■ وكان احرى بالمؤلف الشباط ان ناقش اسباب توبته ورجوعه من حياة اللهو والعبث الى حياة الزهد.. وهل لهذه التوبة علاقة بسجنه؟. لقد ذكر البعض بأن سبب زهده هو رفض محبوبته عتبة الذهاب معه حين وهبها له الخليفة المهدى..

واكتفى المؤلف بالاشارة في قوله: نظر الى نفسه فاذا هو يبتعد عن ملكوت الله ويكاد يسقط في هاوية الشياطين شياطين الحب، وشياطين الشعر، وشياطين الملذات فاذا هو على حافة شفيرها.. ونظر إلى تلك اللذات العابرة التى كان يظنها غاية فاذا هى سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء.. ما أحسن التوبة.. وما أحلى الرجوع الى الصواب.. فودع ذلك الغرام الميئوس منه.. ودع دنيا الملذات وعاد الى واقعه يجلوه ويفكر فيه، فلم يجد أحلى ولا اعظم من أم البنين فهى أحق بالغرام.. وهى أحق بالتمجيد.

واعتقد أن لسجنه أثراً كبيراً في رجوعه الى الزهد واستقراء واقعه وأن سجنه قاس وطويل.. تقرأ هذا في مقاطع نغمات حزينة يبعثها وهو وراء القضبان حيث يقول في أم أولاده:

من لقلب متيم مشتاق
شفه شوقه وطول الفراق
طال شوقى الى قعيدة بيتى
ليت شعرى فهل لنا من تلاق
هى حظى قد اقتصرت عليها
من ذوات العقود والأطواق
جمع الله عاجلا بك شملي
عن قريب وفكنى من وثاقى

■ والمؤلف يعود إلى زهد الشاعر في موضوع (الناسك)


الاصفهانى


الجاحظ

حيث يراه زهداً حقيقياً كما سنرى ان شاء الله.

ويتطرق المؤلف الاستاذ عبد الله الشباط فى كتابه (ابو العتاهية) لبخل الشاعر وتقتيره على نفسه وعلى عياله وخدمه رغم صلاته وهباته الكثيرة من ممدوحيه وقد قدرت بعد كنزها بمليونين وخمسمائة ألف درهم.. ويورد شواهد على بخله من اقوال أعدائه فى العصبية العربية وهى اقوال فى رأيي مشكوك فيها.

■ وأما اقوال الشاعر نفسه فيرى المؤلف أنه يفلسف فيها البخل حيث يعطيه صورة الزهد فى الدنيا ويرى أن يعود الانسان نفسه على الشدائد لان مظاهر البذخ والاسراف فى الملذات ليس لها دوام.

■ وأخيراً يرى ان أبا العتاهية لم يكن كريماً على اى حال.. ولكنه لم يكن بخيلا بخل الحرص والتكالب على الدنيا.. والتهالك على المادة.

والواقع أن شخصاً يقول:

اذا المرء لم يعتق من المال نفسه
تملكه المال الذى هو مالكه
ألا إنما مالي الذى أنا منفق
وليس لي المال الذى أنا تاركه
إذا كنت ذا مال فبادر به الذى
يحق والا استهلكته مهالكه

■ إن لم يكن كريما أريحيًا فهو مقتصد يرفض الاسراف.

■ ويختم المؤلف هذا الموضوع بقوله فى بداية صفحة ٧٨: وكان عزوفه عن قول الشعر الغزلي اولى خطوات السلوك الجديد الذى اراده خاتمة حياته التى تصور انها ضاعت بين اللهو والمرح.. الخ وحتى نهاية هذه الصفحة من الكتاب أرى أن مكان كامل هذه الفقرة التى احتوتها صفحة ٧٨ هو موضوع (**نظرته للحياة والناس ص٩٥**).

■ وفى موضوع (الناسك) يناقش فيه زهد ابى العتاهية يعرض نماذج من شعره ويرى أنه عزف عن الملذات وانصرف عن الترف النعيم وهو فى اوج مجده.. وأنه ليس كعزوف المحروم عن الملذات لعدم وجدانه.. ولا كانصراف الشيخ عن دعاوات الصبا الذى قد يصرفه وقاره وشيخوخته.. ويقرر الكاتب بأن زهد الشاعر جاء به عن قناعة نفسية فهو زهد حقيقي لم تفرضه الظروف فقد جاء فى وقت بذلت فيه أمام الشاعر كل مطالب الحياة بوفرة.. وهوزهد حقيقى لأنه جاء بعد تمحيص وتدقيق لشئون الحياة.. فكانت حياته اشبه بالمخاض الذى اولد هذه النتيجة ولم يكتف بممارستها بل أخذ يدعو إليها ويحسن طريقها ويلهج بها فى اشعاره.

وأفضل الزهد زهد كان عن جدة
وأفضل العفو عفو عند مقدرة
لا خير لا خير للانسان فى طمع
يصير منه إلى ذل ومحقرة

■ وكان بودى أن ناقش المؤلف فى هذا الموضوع شك بعض المعاصرين فى صدق زهد ابى العتاهية وأنه يصطنع القول فيه اصطناعا.. وهناك من جعل من بخله وتقتيره على اهله محملا للشك فى زهده.. ومن قال: إن زهديات ابى نواس اصدق من زهديات ابى العتاهية.

■ ويأتى المؤلف بموضوع «**فى رحاب التوحيد**» وهو اكتمال لصورة موضوع الناسك.. وفيه يعرض الماما للمحنة التى مر بها أبو العتاهية وهى حملة إتهامه بالزندقة بحجة انه لا يذكر الجنة ولا النار بشعره وتشبيهه حور الجنان بامرأة آدمية.. وأمثالها من الاشاعات المغرضة كاتهامة وهو يقنت على سطح بيته ليلا بأنه يصلى للقمر.. ويرى الكاتب بان هذه الاشاعات اثرت فى مكانته عند الخليفة هارون

الرشيد. . ولكنه فى النهاية ينجح فى الامتحان وينتصر على نفسه وعلى الناس ويثبت بأن الايمان بالله هو القوة الحقيقية لدى الانسان وهو رأس المال فى هذه الحياة الدنيا.

■ ويعرض فى موضوع (**نظرته للحياة والناس**) نماذج من شعر ابى العتاهية تصور نظرته للحياة حيث الشباب والكهولة والشيخوخة ثم الموت. . فهو ينظر اليها وهى دار ممر لا دار مستقر. . ويرى الناس من حوله على صور متعددة فمن اتيحت له فرص التسلط ينسى الآخرة ويتجاهل روابط القربى وحرمتها. . والكذب داء او وسيلة عن طريقها تتحقق الاطماع.

■ ويقول المؤلف إن اراءه مبثوثة فى شعره مبعثها ما شاهده وما سمعه فى ذلك المجتمع الحافل بالمتناقضات فالمنصب يغير الحال. . وقد تسوء المعاملة عند صاحبه. . يقول:

حب الرئاسة أطغى من على الارض
ويجيء بغي بعضهم منها على بعض

■ والحمق شريحة أخرى فى مجتمع المتناقضات. . يقول:

احذر الاحمق واحذر وده
إنما الأحمق كالثوب الخلق
كلما رقعته من جانب
زعزعته الريح يوما فانخرق

■ ويشترط ابو العتاهية فى اصطفاء الاصدقاء والأخوان شروط منها:

احب من الاخوان كل مؤات
ومن يغض الطرف عن عثراتي
يرافقني فى كل خير أريده
ويحفظني حياً وبعد مماتي

■ وأن تكون الاخوة لله وفى الله. . ولكنه قلما يجد بغيته:

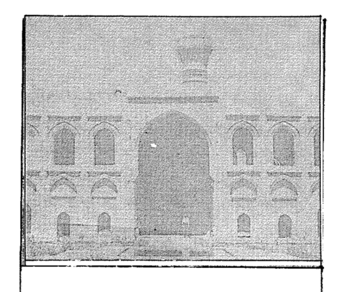
طلبت أخاً فى الله فى الغرب والشرق
فأعوزني هذا على كثرة الخلق
فصرت وحيدا بينهم متصبراً
على الغدر منهم والملامة والملق

■ يختم المؤلف الاستاذ عبد الله احمد الشباط كتابه (**أبو العتاهية لمحات من حياة حافلة**) بموضوع. . «**النهاية. . ولا نهاية**» يكرس فيه إيمان ابى العتاهية الذى اكثر من مشاهد القبر البرزخية لكل ابن إنثى وإن طالت سلامته. . ويقول انه توفى سنة عشر ومائتين من الهجرة. . وأن أثر إبى العتاهية فى تذكير الانسان بنهايته بقى شاهداً من شواهد التاريخ على عظمته وعبقريته وحسن صنعته.

■ وفى ختام هذه الرحلة الشيقة التى قادنا فيها قلم الكاتب عبد الله احمد الشباط فى زحمة دار الخلافة وحاضرة العباسيين «بغداد» مقتفيا اثر الشاعر ابى العتاهية ومكانته بين زخم من العطاء الفكري ملأ مدينة السلام وعاصره ابو العتاهية. . فى ختام هذا العرض اشير الى قبسات او لمحات فنية جاءت ضمن مقاطع من شعر ابى العتاهية. . ووظفها الكاتب الشباط فى نسيج استعراضه الشيق اعرضها هنا دون الالتزام بالتوزيع الموضوعي لها الذى التزم به الكاتب ولكنها على اى حال ينتظمها حس ابى العتاهية وذوقه الفني الذى وحد بين قصائده. . يقول فى الخليفة هارون واصفا لقوته بتقدير واعجاب:

وزحف له تحكي البروق سيوفه
وتحكى الرعود القاصفات حوافره
اذا حميت شمس النهار تضاحكت
الى الشمس فيه بيضه ومغافره

● كان عزوفه عن قول الشعر الغزلي اول خطوات السلوك الجديد الذى اراده «ابو العتاهية» خاتمة لحياته التى تصور انها ضاعت بين اللهو والمرح.


المدرسة المستنصرية فى بغداد أول

جامعة اسلامية فى العالم اسست عام ٦٢٥هـ

■ ويقول:

رأيت الهوى جمر الغضا غير أنه
على حره في صدر صاحبه حلو

■ وقوله:

أنت ما استغنيت عن صاحبك الدهر أخوه
فاذا احتجت إليه ساعة مجك فوه

■ وقوله:

من طلب العز ليبقى به
فان عز المرء تقواه
لم يعتصم بالله من خلقه
من ليس يرجوه ويخشاه

■ وقوله:

وارع الجوار لأهله متبرعاً
بقضاء ما طلبوا من الحاجات
واخفض جناحك ان رزقت تسلطاً
وارغب بنفسك عن ردى اللذات

■ وقوله:

اياك من كذب الكذوب وافكه
فلربما مزج اليقين بشكه

ولربما ضحك الكذوب تكلفاً
وبكى من الشيىء الذى لم يبكه
ولربما صمت الكذوب تخلقا
وشكا من الشيىء الذى لم يشكه
ولربما كذب امرؤ بكلامه
وبصمته.. وبكائه.. وبضحكه

■ وفى نهاية هذا الاستعراض الذى ارجو أن لا يكون مملاً قد تتضح الرؤية لقارىء كتاب الاستاذ الكريم عبد الله الشباط «أبو العتاهية» بما يلى:

١ ـ نجاح الاستاذ فى مداخلته بل محاولته لطريقة دراسة حياة الشاعر ابى العتاهية التى تعبر عن منهجين متضادين فى الحياة الادبية والفكرية وحتى الاجتماعية فى بغداد فى عصر ازدهار الخلافة العباسية.. وقد وفق الاستاذ فى ايجاد المبرر للمقارنة بين عشقه لبغداد مدينة التراث الاسلامي العربي وحبه لشعر الشاعر ابى العتاهية.

٢ ـ هذه الدراسة تقيم الدليل القاطع على حب الكاتب عبد الله الشباط للتراث الاسلامي العربى.. وارتباطه به، وكأنه يقول إن لنا قاعدة ثابتة ننطلق منها.. فلا نتخلى عنها فى زيف حضارة عصرنا ولنصل حاضرنا بماضينا المشرق.. ونكون خير خلف لخير سلف.. وطالب الاحفاد بمعرفة ماضى الاجداد المجيد.. واختتم بحثه هذا بمقطوعة للشيخ عبد الله بن على العبد القادر يرسم بها ضرورة هذا التوجه.. منها قوله:

لفقد الرجال تراثنا رجالا
وصرف الزمان يريك المحالا
هم أورثونا مقاماتهم
وما أورثونا النهي والفعالا

٣ ـ هناك بعض الثغرات التى يستلزم البحث اكمال جوانبها منها ما يتلخص فى رأيي بما يلى:

(أ) لم يعط المؤلف القيمة الفنية لشعر ابى العتاهية ما تستحقه من هذه الدراسة.. وكأنه اقتصر على الجانب

العملي فى حياة الشاعر ودوره التعاملى مع طبقات ذلك المجتمع ولا ريب فله ما اراد.

(ب) فى موضوع (الشاعر) خلته يعرج على دراسة اسلوبه السهـل الممتنـع وهذا جزء من الدراسة الفنية المطلوبه - فيناقش انسياب التعبير فى قصيد الشاعر مع عمق فى كثير من التصوير، وارتباطه بالايمان بالآخره كقوله:

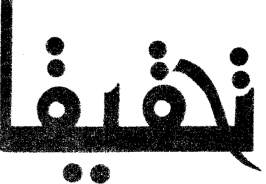
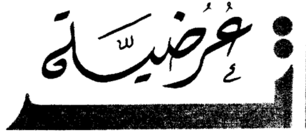
وارى الايـام لا تدني الـذى
ارتجـى منـك وتـدنـى اجـلى

■ ولكنه اكتفى بأن قال: وطوع الشعر لارادته حتى أنه قال لو اردت أن أجعل كلامي كله شعرا لفعلت.. وهذا يدل دلالة واضحة على قدرته الشعرية وتمكنه من فنه.

(ج) يظهر أن المراجعة بعد الطبع كانت غير دقيقة مما ابقى على بعض الاخطاء التى ترجع تبعيتها على الطبع وهى مشكلة عويصة مثال: كلمة المهدى والصحيح الهادى وهو الخليفـة العبـاسى أخـو المهـدى وذلك حسب التسلسل الزمنى والسياق فى عبارة المؤلف **«وما جاء فى كلمة وثائقى والصحيح وثاقى ليستقيم وزن البيت.. وتتسق العبارة»**.

■ وجـاء فى صفحـة -٧٨- ما نصه لقوله تعالى: **﴿وفى أنفسكم الا تفكـرون﴾** ولعله خطأ مطبعى وصحتـه ما قصد الكاتب الاستدلال به فى قوله تعالى: **﴿أولم يتفكروا فى أنفسهم﴾** أو فى قوله تعالى: **﴿وفى انفسكم افلا تبصرون﴾**.

٤ - اعتذر الكاتب عن توثيق المراجع فى الهامش رغم أنه اشار إلى بعضها فى متن البحث معللا ذلك بان إعداد هذه الـدراسة جاء نتيجة امتزاج لقراءات قديمة بالحس الادبى.. وأن لا يكون هذا الكتاب مجرد مرجع او وثيقة تحفـظ بدار المحفـوظـات للرجـوع إليها عند الحاجة.. وللاستاذ الكاتب ما اشترط الا أن التوثيق يزيد فى قبول المعلومة عند القارىء خاصة فى الدراسات التى تأتى وليدة شوق واعجاب بالتراث وعسى أن لا يبخل علينا الكاتب الشباط بالكثير من هذا المعين..

الكتب العربية التى نشرت فى مصر بين عامي ١٩٠٠ ـ ١٩٢٥ إعداد عايدة ابراهيم نصير ـ القاهرة قسم النشر بالجامعة الامريكية بالقاهرة، دار الأمل للطباعة والنشر ١٩٨٣ـ٥٦٩ـ+١ص ك

العمـل جيـد، نافـع يخدم البـاحثـين، مبوب على موضـوعـات المعرفة ومنها اللغة العربية والمعاجم والنحو واللهجـات العـامية والعروض. . آداب اللغة العربية، الشعر، المسرحيات، القصص، المقالات. . . الخ.

ولا يخلو عمل ببليوجرافى من فوات أو سهو أو استحالة الكـمال، ومجـال الاستدراك واسع وليس ذلك من وكدنا هنا، ولكن لابد من قليل.

١ ـ من الخطأ المطبعى ص ٢٤٧ «ياليل الصبر لأبى الحسن الحصرى» والصحيح: ياليل الصب وتكرر الخطأ ص ٢٥٢.

٢ ـ ومن الخطأ التأريخى وضع كتاب (شعر) صفى الدين الحلي: درر. النحـور فى مدائح الملك المنصور فى باب «عصر صدر الاسلام وبنى أمية» مع ان صفى الدين الحلي من القرن السابع الثامن، والمؤلفة تعرف تأريخه «٦٧٧ ـ ٧٥٠هـ».

وجـاء ص٣٥٤ «الهـمـذانى. . ، ٣٥٨ـ٣٩٨هـ، مقـامـات بديـع الزمانى الهمذاني. .» فى العصر التركى المملوكى وهو كما تعرف المؤلفة تاريخه من العصر العباسى الثانى.

وعـادت فوضعته فى باب «القصص» بخطأ مطبعى فجـاء (ص٢٧٢) الهـمـزانـى وجـاء ص ٢٥٣ «ابن التعـاويـذى. . . ديوان سبط ابن التعاويذى» فى العصر الـتركى المملوكى، وهـو من العصـر العبـاسى (٥١٩ ـ ٥٨٣هـ) وكذلك الزوزني شارح المعلقات (ص٢٥٤).

٣ ـ ووضعت فى باب «الشعر العربى ـ العصر الحديث» كتب مصطفى صادق الـرافعى النثرية: حديث القمر، رسائل الأحزان، السحاب الأحمر.

الكتب العربية التى نشرت فى مصر بين عامي ١٩٢٦ ـ ١٩٤٠ ـ إعداد عايده إبراهيم نصير ـ القاهرة، قسم النشـر بالجامعة الامريكية بالقاهرة. دار الأمل للطباعة والنشر ١٩٨٠ ـ ٣١٥ ص+٧.

١ ـ ص ١٣٥: شعر جاهلي ـ ابن هشام. . شرح بانت سعاد لكعب بن زهير.

أ ـ اذا كان المقصود الشرح فهو من القرن الثامن الهجرى.

ب ـ واذا كان المقصود القصيدة فهى اسلامية ليست جاهلية، وصاحبها مخضرم.

٢ ـ ص ١٣٦ مجنون ليلى ليس من العصر الجاهلى، انه من العصر الاموى. . وليس بشار من صدر الاسلام وبنى أمية، انه اموى ـ عباسي، وأبو تمام (ص١٣٧) عباسي، والنابغة الذبيانى جاهلى وليس من صدر الاسلام أو بنى امية.

٣ ـ ص ١٣٨ ليس البوصيرى من العصر العباسى الأول.

وأكثـر الـذين وردوا على انهم من العصر العباسي





د. على جواد الطاهر

الأول هم من الثاني . . غير أغلاط فظيعة .

٤ ـ ص ١٥٩ بلاغـة ـ أحمـد ضيف. بلاغة العرب فى الاندلس، القاهرة ١٩٢٨ ـ ليس هذا كتابا فى البلاغة .

٥ ـ ص ١٨٩ ـ ١٩٠ الديانات ـ على مبارك . علم الدين ـ القـاهـرة، مطبعـة حجـازى ١٣٥٣ ـ ليس هذا عِلْمَ الدين٨ .

٦ ـ الخطأ فى التبويب غير قليل سواء أكان فى العصور أم فى المـوضـوعات . . ثم يأتى اللسان المصرى ـ الطباع ـ فيجعـل من زكى محمـد حسن (ص ١٢٦) ذكى محمـد حسن، ومن ابن هذيل (ص١٣٠) ابن هزيل .

والخطأ المطبعى يجعل من حلبة الكميت (ص١٣٣) حليـة الكميت، ومن الأسمار (ص١٣٤) الأسماء . ومن التجيبى (ص١٣٨) النجيبى .

دليل المطبوعات المصرية ١٩٤٠ ـ ١٩٥٦ إعداد أحمد محمـود منصـور، الـدكتور شعبان عبد العزيز خليفة، الـدكتـور محمـد فتحى عبد الهادى، زينب عبد الفتاح عوض الله، القـاهـرة، قسم النشر بالجامعة الامريكية بالقاهرة، مطابع اخبار اليوم ١٩٧٥ ـ ٤١٩ ص ك .

١ ـ متقن اذا قيس الى العملين السابقين .

٢ ـ ص٣ : دوائر المعارف، أبو حيان التوحيدى، على بن محمد (ت نحو ٣٠٠هـ) الامتاع والمؤانسة . . . »

الخطأ كبير فى تاريخ الوفاة . وأكثر ما يذكر الباحثون المحدثون للوفاة عام (٤٠٠هـ) وقد ورد هذا التاريخ فى مكان ما من هذا «الدليل» (ص٧) ومنهم من يذكر عام ٤١٤هـ على غير تأكد، ومنهم من يكتفى بانه توفى بعد الـ ٤٠٠هـ .

٣ ـ فى الدليل «كشاف المؤلف» لم أجد فيه «أبو حيان» مع انـه قدمـه باسم «ابـو حيـان» وان فى الكشـاف «ابن، أبـو . . .» ولم اجـد فيـه «التـوحيـدى» ولم أجد على بن محمد٨٨ . . ولأبى حيان على بن محمد التوحيد عدة كتب فى الدليل (تنظر ص٧) .

٤ ـ ومن الخطأ المطبعى ص٧ «العبـائـر» وصحيحهـا : البصائر . ودخل الخطأ المطبعى الى «كشاف العنوان» على انه الصحيح فقد وردت البصائر فى حرف العين : العبائر وزاد «كشاف العنوان» فى الخطأ خطأ لسان الطابع المصرى فصار اسم «البصائر والذخائر» . «العبائر والزخائر» .

فجـر الاسلام ـ تأليف أحمد أمين ـ القاهرة، ط٣، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٤/ ١٩٣٥ .

ص ١٨٩ «اشتهر بالبصرة الحسن بن يسار، مولى زيد بن ثابت، ومحمد بن سيرين، وكان أبوه من سبى ميسان، وأمه صفية مولاة أبى بكر الصديق وهو من فقهاء البصرة، وكذلك الحسن البصري، وكان أبوه أيضاً من سبي ميسان» . .

على هذا الخبر شيء من اضطراب التركيب . فقد يحسب قارىء : الحسن بن يسار ومحمد بن سيرين والحسن البصـرى ثلاثـة وهم اثنـان لأن الحسن البصرى هو هو



الحسن بن يسار ولا يفترض بالقرّاء كلهم أن يعلموا ذلك.

دكتور سيد حامد النساج - رحلة التراث العربي - القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٨٥-٣١٩ ص٤.

١ - موضوعاته: بخلاء الجاحظ. المقامة. أغاني الأصفهاني. المستطرف. المرشد الأمين لتعليم البنات والبنين (تأليف الطهطاوى) - على شيء من التجميع والسطحية.

٢ - ص ١٧١ «ان «أسواق الذهب» للشاعر أحمد شوقي، جاء نسخة مطابقة لمقامات الحريري. إذ قلدها تقليداً يكاد يكون حرفيا؛ فلم يدخل أي شيء يمت الى العصر الحديث بصلة».

لم يأت «أسواق الذهب» نسخة من مقامات الحريري، ولا وجه للموازنة - إلاّ من جهة السجع فقط، فليس فى الاسواق حكاية أو حادثة وإنما هو أفكار وخطرات يمت كثير منها الى العصر الحديث.

٣ - ص ١٨٠ «ترجمت مقامات الحريري الى اللغة العبرية. وقد احتفظ تاريخ الأدب باسم واحد ممن ترجموها الى تلك اللغة، هو الخريزى. . المتوفى فى الثلث الأول من القرن الثالث عشر. وقد ظهرت ترجمته لتلك المقامات عام ١٢٠٥م. . ومن الكتاب العبريين من حاكى المقامات مثل «سالمون بن زقبيل» وهو من كتاب القرن الحادى عشر فى اسبانيا».

ابن قتيبة - بقلم الدكتور محمد زغلول سلام القاهرة، دار المعارف، نوابغ الفكر العربي (١٨) مطابع دار المعارف ١٩٦٧-١٢٠ص.

١ - ص ١٩ «. . . محمد بن سلام الجمحي (. . .) اشتهر كتابه «طبقات فحول الشعراء». . . الصحيح جدا: طبقات الشعراء، فهكذا عرف على مدى التاريخ. . ولم يسم بطبقات فحول الشعراء إلاّ حديثا (سنة ١٩٥٢).

٢ - ص ٢٨:

«زوامل فى الأشعار لا علم عندهم
بجيِّدها إلا كعلم الأباعر
لعمرك ما يدرى البعير إذا غدا
بأحماله، أو راح، ما في الغرائر»

أحفظها: زوامل للأشعار. . . اذا غدا بأوساقه - وهى فى لسان العرب كذلك للأشعار، بأوساقه والبيتان لمروان ابن أبى حفصة.

٣ - ص ١١٥ (جورجى زيدان»: جرجي.

يعقوب صرّوف - بقلم عيسى ميخائيل سابا. القاهرة، دار المعارف، نوابغ الفكر العربي (٣٧)، مطابع دار المعارف د. ت: ١١٠ص.

١ - ص ٥ « ادعى سلفاؤه الخلافة» أسلافه أو سلاّفه.

٢ - ص ٥ «سلاطين بنى عثمان المتوسدين على أريكة العرش». . المتربعين أو المستوين أو الجالسين. لأن «وسدته الشيء توسيداً فتوسده إذا جعلته تحت رأسه» (ومنه الوسادة) وعلى هذا يكون المتوسدين أريكة العرش كأنها تحت رأسهم. . ما لم يرد «السُّدة» ويختلف - حينئذ - التعبير.

٣ - ص ٧ «اعرورت البلاد العربية من خصبها» يريد عرت أو تعرت أو عرى البلاد العربية واعتراها ما أفقدها خصبها واستعماله غير صحيح لأن اعرورى تعنى: سار فى الأرض وحده.

٤ - ص ٩ «يترشفون لبانات العلم والأدب»: ألبان أو لبن لأن اللبانات جمع لبانة وهى الحاجة.

٥ - ص ٢٢ «دبج يراعه» دبجت يراعته. «اليراع: القصب واحدتها يراعة بهاء».

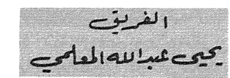
٦ - ص ٣٤ «الشواعر الانسانية» ومعلوم ان الشواعر جمع شاعرة.

٧ - ص ٣٠ «لا يعرف الشوق إلا من يكابدُهُ ولا الصبابةَ إلا من يعانيها».

البيت لمحمد بن بختيار المعروف بالأبله البغدادى المتوفى سنة ٥٨٠؛ أو ٥٧٩ على رواية.

أخطاء مشهورة





الحصر والاستثناء

من الأخطاء المشهورة خطأ يتردد غالبا على السنة الخطباء فنسمع أحدهم يتحدث عن شيء نافع جليل فيقول: وان دل هذا على شيء فانما يدل على الاهتمام بالانجاز، سبحان الله. . انه يبدأ العبارة بما يفيد انكار دلالة هذا الشيء النافع المفيد على أى شيء من النفع او الفائدة ثم يحصر دلالته على شيء محدد هو ما يذكره بعد أداة الاستثناء مع انه لو ترك الحصر والاستثناء لكان ذلك أبلغ تعبيرا وأوسع مجالا للدلالة على فائدة ما يتحدث عنه فاذا كان الحديث مثلا عن انشاء مصنع حديث فلا ينبغى أن تحصر دلالة قيام المصنع على الاهتمام بالانجاز لأن قيام المصنع يدل على أكثر من ذلك ولا ينبغى أن يحصر المتكلم دلالة قيام المصنع فى الاهتمام بالانجاز فقط.

■ نعم هذا الاسلوب: اسلوب الحصر والاستثناء يمكن أن يستعمل اذا أردنا فعلا الحصر والاستثناء فاذا تكلم شخص ما بكلام غير مقبول يمكن أن نقول: ان دل هذا الكلام على شيء فانما يدل على الجهل فقد نفينا دلالة كلامه على شيء ثم حصرنا الدلالة فيه على الجهل فقط استثناء من عموم عدم الدلالة وهذا يقع فى معرض الذم والاستنكار ولا يقع فى معرض المدح والاستحسان.

قد يقال ان هذا التعبير استخدام لاسلوب المدح بما يشبه الذم على غرار قول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بها من قراع الدارعين فلول

■ فالشاعر يقصد استعمال هذا الاسلوب للفت النظر وشد الانتباه الى ما سيورده من عبارات المدح بعد أن فاجأ السامعين بما يوحى بأنه سيورد لهم بعض عيوب ممدوحيه وذلك لتكون المفاجأة عاملا فعالا فى استقرار المديح فى اذهان المستمعين.

وقد ورد الحصر فى القرآن الكريم فى مواقع عديدة بألفاظ مختلفة نذكر منها على سبيل المثال قوله تعالى: **﴿وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لـمَّا جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين﴾**، (سورة الاعراف الآية ١٢٦).

وقوله تعالى: **﴿وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾** (سورة البروج الآية الثامنة).

■ ففى هاتين الآيتين الكريمتين ذكر سبحانه وتعالى أن فرعون لم ينقم على السحرة الذين آمنوا بالله الا أن آمنوا بعد أن جاءتهم البينات من الله وأن اليهود لم ينقموا على المؤمنين الذين قتلوهم ورموهم فى الاخدود الا انهم مؤمنون بالله العزيز الحميد مع أن الايمان ليس موجب نقمه بل أنه موجب اعتزاز واكرام ولكن الكفره ينقمون على المؤمنين ايمانهم وجاء التعبير بالحصر تدليلا على براءة المؤمنين من كل ذنب وانه لا ذنب لهم الا الايمان وهو ليس ذنبا فى الواقع ولكنه كان ذنبا من وجهة نظر الكفار. . والله أعلم.

مِيثاقُ شَرَفٍ

يقدمه الاعلام بالمملكة العربية السعودية



وزير الاعلام
السعودى
على الشاعر

● اقامت وزارة الاعلام بالمملكة العربية السعودية فى ختام مناسك الحج لعام ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، حفلاً تكريمياً للوفود الاعلامية الاسلامية والعربية الذين ساهمت بلدانهم - وهى ٤٠ دولة - فى نقل وقائع هذا الحج.

وقد ألقى معالى الاستاذ على الشاعر وزير الاعلام السعودى، كلمة ضمنها ميثاقاً شرفياً اسلامياً للاعلام العربى والاسلامى ومن ابرز هذا الميثاق الاعلامى:

١ - الالتزام بعدم بث ونشر ما يصدره أعداء امتنا فى صحافتهم وعبر وكالات انبائهم ونشرات اذاعاتهم، من تجريح دولة ضد أخرى.

٢ - الرد على حملات الاعداء ودحض افتراءاتهم بشكل جماعى وباسلوب موضوعى.

٣ - تجنيد الاعلام الاسلامى بتوعية الابناء والبنات من اجيال امتنا المسلمة لتوعيتهم وتحذيرهم من اخطار سموم المخدرات الشرسة.

٤ - الاختيار الامثل والأحسن لما يسمح بدخوله إلى اوطاننا الاسلامية من الصادرات الاعلامية الاجنبية بمختلف انواعها ووسائلها المقروءة والمرئية والمسموعة وبكل اشكالها الثقافية والاجتماعية والتربوية والترويجية.

● ميثاق عملي ايضاً ●

■ ويعد هذا الميثاق الشرفى الاعلامى معبراً اسلامياً جيداً بين شعوبنا الاسلامية والعربية وهو ميثاق عملي كما ينبغى ان يكون فى دول امتنا المسلمة عبر وسائل إعلامها ككل.

ومما يزيده دفعاً وحيوية انطلاقه من هذه الأرض الطيبة واماكنها المقدسة وفى رحاب بيت الله الحرام والمسجد النبوى الشريف.

■ لهذه الحيثيات فإنه ينبغى تطبيقه وتنفيذه كميثاق تكليف لا تشريف فحسب، ولأنه يتوافق مع ما قرر فى مؤتمرات وزراء الاعلام الاسلامى الثلاثة.

مؤتمر النصر العربى فى التاريخ



شعار
اتحاد المؤرخين العرب

د. مصطفى
عبد القادر النجار

فى بغداد عقد المؤتمر السنوى للجمعية العمومية لاتحاد المؤرخين العرب.. وجاء ضمن توصياته وقراراته اعادة انتخاب الدكتور مصطفى عبد القادر النجار وبالاجماع امينا عاما للمؤتمر للسنوات الست المقبلة لجهوده فى قيادة الاتحاد طوال الفترة الماضية وما قدمه من انجازات كبيرة.

كما تم استحداث منصب النائب الثانى للامين العام وانيط بالدكتور لبيد ابراهيم من العراق،

واستحدث منصب الامين العام المساعد لشؤون التراث ورشحت الدكتورة نجاح القابسى من ليبيا فيما انيط مهمة منصب الامين المساعد لشؤون جامعة الدول العربية الذى استحدث هو الاخر بالدكتور الباجى بن ماحي من تونس.

واقر المؤتمر سعى الاتحاد لتأسيس (كلية التاريخ العربى للدراسات العليا) على امل استكمال الخطوات اللازمة لذلك قريبا.

واكد المؤتمر قراره الذى اتخذ قبل عامين باعتبار اليوم الثانى من شهر تشرين الاول (اكتوبر) من كل عام يوم «المؤرخ العربى» ودعا الدول العربية إلى الاحتفال به بما يليق ومكانة المؤرخ العربى.

ويستعد الاتحاد لعقد ندوات ومؤتمرات عدة فى العراق واليمن والجزائر وليبيا ومصر وموريتانيا والصومال والولايات المتحدة لمناقشة عدد من القضايا التاريخية.

وبارك المؤتمر مساعى الاتحاد التى بذلها فى الفترة المنصرمة لحضور مؤتمرات ونشاطات تاريخية عالمية واهلته بجدارة لقبوله عضوا فى عدة اتحادات ومعاهد ومراكز تاريخية تتوزع بين الولايات المتحدة وبروكسل وامستردام وباريس وسيريلانكا وتونس والرباط.

واتخذ المؤتمر الخطوات الاساسية لاستكمال الترشيحات اللازمة لوسام وشهادة المؤرخ العربى كما دعا الأقطار العربية والجمعيات التاريخية فى الوطن العربى الى احياء احتفالات خاصة بالمؤرخين العرب الذين اصبحوا فى ذمة الخلود تخليداً لجهودهم وعرفانا بما قدموه لأمتهم وتاريخها الجديد.

معرض الكتاب العربى
الاسلامى الأول فى عمان

تحت رعاية وزارة التراث العمانية تقرر فى سلطنة عمان أن يقام ـ خلال شهر أغسطس الحالى «معرض الكتاب العربى الاسلامى الأول».

وقد وجهت الوزارة ـ مؤخرا ـ الدعوة الى عدد كبير من دور النشر والتوزيع المحلية والخارجية والمؤسسات والهيئات العلمية، داخل السلطنة وخارجها ومجامع اللغة العربية المعروفة، ودور الكتب ومراكز البحث فى مختلف أنحاء العالم للاشتراك فى المعرض.

ومن المتوقع أن تشترك فى المعرض معظم الدول العربية والإسلامية.

الندوة الإسلامية العـ
وإعداد المُعَلمِّ المسـ

فى رحاب مكة المكرمة وفى مقر رابطة العالم الاسلامى فى (أم الجود) عقدت اعمال الندوة الاسلامية العالمية فى دورتها السابعة عشرة.. وكان موضوع هذه الدورة (اعداد المعلم المسلم) إذ يمثل المعلم حلقة الوصل بين الاجيال المتعاقبة واللبنة الأولى فى عملية البناء الاخلاقى والعلمى والثقافى والتربوى لصرح الاجيال الاسلامية.. وهذا بدوره يستلزم ان يعد المعلم المسلم اعداداً خاصاً يؤهله لتحمل المسؤولية العظيمة.. وخرجت الندوة بمجموعة من التوصيات والقرارات منها:

(١) اختزال درجات السلم التعليمى للتلاميذ مع عدم الاخلال بالكيف.

(٢) الاقتصار بشأن المناهج على جوانب التخصص وحذف ما لا يفيد فى اعداد المعلم.

(٣) الاهتمام بتلاوة القرآن وتجويده وحفظه فى منهج اعداد المسلم.

(٤) الاهتمام باللغة العربية نطقاً وكتابة فى منهج اعداد المعلم.

(٥) الحرص على النطق بالفصحى فى اثناء التدريس.

(٦) الاهتمام بعلوم الثقافة الاسلامية والتطبيق العملى لها فى سلوك الطلاب.

(٧) انشاء معاهد نموذجية لتهيئة المعلم المسلم حيث الاقليات المسلمة.

(٨) تهيئة المعلم المسلم كى يشارك بفعالية فى مختلف اوجه النشاط الفكرى والاجتماعى.

(٩) اقتناص العناصر التى يبدو عليها الاستعداد الفطري للاسهام الايجابي مستقبلا فى العملية التعليمية.

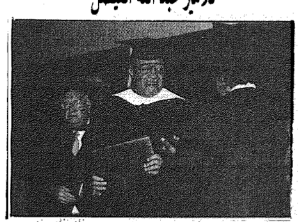
(١٠) وجوب التزام المعلم المسلم بأن يكون اسوة حسنة.

(١١) تشجيع ابناء البيوتات العلمية على الاستمرار فى العملية التعليمية التى اسهم فيها الآباء والاجداد.

(١٢) اختيار معلمى المرحلة الابتدائية وتهيئتهم تهيئة خاصة لاهمية المرحلة.

(١٣) مراعاة طاقة المدرس بحيث يكون عدد ساعات التدريس وعدد الطلاب معقولين.

دكتوراه فخرية وشهادة تقدير امريكيتان للامير عبد الله الفيصل

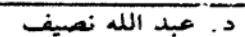


● تسليم الدكتوراه الفخرية للامير عبد الله الفيصل

منحت جامعة شو فى ولاية نورث كارولينا الامريكية، الدكتوراه الفخرية فى الاداب للامير عبد الله الفيصل، وذلك اعترافا بانجازاته فى مجال الآداب وتقديرا له ولاعماله الخيرية والانسانية. وفى بوسطن منح مستشفى ديكونين شهادة تقدير للامير عبد الله الفيصل وقد اقيمت على شرفه فى نورث كارولينا وبوسطن عدة حفلات تكريمية بهاتين المناسبتين.

ـالمية

ـــلم



د. عبد الله نصيف

(١٤) الاستفـادة من خريجى جماعـات تحفيظ القرآن الكريم فى تدريس القرآن الكريم والتجويد.

(١٥) اقـامـة دورات تدريبية قصيرة وعاجلة لاعداد المعلم المسلم على نطـاق العالم الاسلامى وذلك فى المنـاطق التى لا تتـوفـر فيهـا معـاهد لاعداد المعلم وخصوصا فى المناطق ذات الاقليات الاسلامية.

(١٦) الـدعوة الى تأصيل الاعداد المهني فى كليات التربية حتى يسهل التنسيق فيها بينها.

(١٧) دعوة رابطة العالم الاسلامى الى عقد ندوة عالمية تضم جميـع المهتمـين فى الـتربية لوضع خطة موحدة ومنهج موحد لاعداد المعلم المسلم.

(١٨) اعطـاء المـزيـد من الاهتمام الى المرأة المسلمة واعدادها لتكون أما صالحة يتخرج من تربيتها شباب تعتز بهم الامة مع الاهتمام بمدارس وكليات التربية الخاصة بالمسلمين.

(١٩) عقـد دورات تدريبيـة للبنـات الـلاتي يقمن بالتعليم بين الاقليات الاسلامية فى مختلف انحاء العالم.

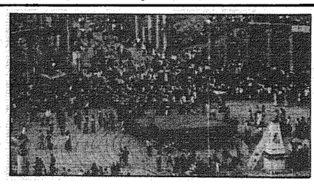
(٢٠) دعوة وزارات الاعلام فى العالم الاسلامى مراعاة خلو البرامج فيها من كل ما يتنافى مع روح التربية الاسلامية.

(٢١) دعـوة وزارات الاعلام الى تخصيص حصص تعليمية كافية تدعم المسار التربوى الاسلامى.

(٢٢) يشكــر المشــاركـون فى النـدوة رابطـة العـالم الاســلامى على رعايتها للندوة كما يشكرون حكومة خادم الحـرمـين الشـريفـين على جهـودها فى خدمة الاسلام والمسلمين ودعم الرابطة فى كل ما تقوم به من نشاطات.

واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فعاليات مهرجان جرش الثقافى والفنى



●● جرت بالاردن فى الشهر الماضى ذى الحجة/ يوليو فعـاليـات مهرجـان جرش للثقافة والفنون الشعرية والمسـرحيــة والمـوسيقيــة وذلـك فى الفـترة ما بين ١٤٠٩/١٢/٢هـ - ١٤٠٩/١٢/١٧هـ المـوافـق ١٩٨٩/٧/٥م - ١٩٨٩/٧/٢٠م.

شارك فى هذا المهـرجـان مجموعـة من الشعـراء والمثقفــين والفنـانـين من الاردن والمملكـة العـربيـة السـعـوديـة ومصر وتونس والعراق ولبنان والمغرب كما شاركت مجمـوعـات من اكثر من ٩ دول اجنبية من ابرزها اندونيسيا والهند والولايات الامريكية والاتحاد السوفيتى وقد ضم المهرجان منتدى للشعر والشعراء ومعرضاً للكتاب ومعارض للمهن الحرفية وضم ايضا عروضاً للفنون الشعبية ومعارض للمهن الحرفية وضم ايضـا عروضـاً للفنـون الشعبيـة والغنائية والموسيقية والمسرحيات الادبية والثقافية والفنية وشارك من المملكة العـربيـة السعودية الشعراء: صاحب السمو الملكى الامير عبد الله الفيصل والاساتذة محمد الفهد العيسى السفـير السعـودى بالاردن وحسن عبد الله القرشى وعبـد الفتـاح أبـومـدين ومحمـد الحـربى وعبـد الله الصيخان والاستاذة خديجة العمرى.

وكـان مصـدر مسؤول عن المهرجان قد ذكر ان الهـدف من اقـامته تدعيم اواصر الثقافة بين الاردن والدول العربية من جهة وبين العالم الخارجى من جهة اخرى فى المجال الثقافى وتقديم الاردن اشعاعاً ثقافيا للمسـاهمة فى التراث الثقافى العالمى.

سؤال

القصيدة الحديثة

القصيدة: يقولون: «الظرف الاجتماعي والثقافي يستدعي منا مراعاة خاصة فيما يطرح من اعمال إبداعية شعرية جديدة».

الى اى حد يمكن ان تصدق هذه المقولة . . ؟؟

● هل الواقع الثقافى الحالى فى العالم العربى لا يرقى لفهم القصيدة الحديثة . . ام ان القصيدة ذاتها اصبحت غير مفهومة لأسباب تتعلق بتركيبها . . ؟؟

■ اولا الظروف الاجتماعية هى التى تؤطر الظروف الثقافية بل وتحاول ان تعترى الملامح الثقافية فتحقنها بمصل الظرف الاجتماعى . . لكن الثقافة الموقف والثقافة الدور والثقافة الفاعلة تظل فى النهاية هى التى تشكل الملمح الاجتماعى الاصيل والصحيح . . والعمل الابداعى هو نتاج هذا الاحتدام بين الواقع الاجتماعى ومتطلباته . . وهو نتاج القشرة الثقافية ولبها .

وفى يقينى ان الاعمال الشعرية عندما تحاول ان تدخل المعيارية الاجتماعية كمؤثر خارجى فى مضمونها من باب (المراعاة) على حد تعبيركم فان القصيدة تفقد عذريتها وتفقد عفاف (عفويتها) لانها ازاء المراعاة تكون رهينة لذلك الهاجس الاجتماعى الذى قد يقوض بناءها وتدفقها .

ولكننى لا اعنى ان القصيدة تخلق لتكون نقمة على المجتمع ولكن فى نفس الوقت هى بؤرة الهم الاجتماعى وعلى المجتمع عندما يتلقى هذا (الهم) بصورة مكثفة ومركزة فان عليه الا يفسر هذه الحالة بانها (عارض يخدش حياء المجتمع) . . فالمراعاة الاجتماعية هنا هى (بذرة الفناء) للقصيدة او لاي عمل ابداعى .



عبد الله الخشرمى

الواقع الثقافى فى العالم العربى بهمه العريض هو الذى انتج القصيدة . . وتركيب القصيدة الحديثة هو تركيب بنية المجتمع العربى البالغ التعقيد . . والمثقف العربى يدرك جيدا القصيدة الحديثة بشتى بناءاتها حتى وان اعتبرها البعض مغرقة فى الطلسمية . . واذا كان تركيب القصيدة الحديثة مداعاة للنقمة من البعض فان هؤلاء البعض استمرءوا تلقف الصور المكرورة منذ عصر المعلقات حتى عصر شوقى وحافظ ولم يعد لهم قدرة على سبر اعماق المعنى والتوغل فى قالب التجديد الذى يدهش المثقف ويرعب المستهلك للصور المتهالكة والمنزوعة من الدهشة وقوة التأثير .

على أى حال فليس للمثقف العربى تعامل حقيقى الا مع القصيدة الحديثة والتى يقبل فصل المؤثرات فى فضاء وعيه ما لم تأته القصيدة مشحونة بالرؤى والصور الغير مسبوقة والمفعمة بالتشديد حتى وان بدا عليها الغموض من اول سماع او قراءة .

«عبد الله خشرمى»
رئيس تحرير مجلة التجارة

الشللية . . الثقافية

●● المنهل: العالم العربى فى جانبه الإبداعى اختلطت فيه الاقلام وتعددت الأصوات مع كثرة متناهية . . وفى كل مطبوعة نقرأ لمن يطلقون عليهم أدباء . . بل وأحياناً قمة ابداعية حتى انتشر الضباب أمام أعين القراء .

ترى ما أسباب هذه الظاهرة التى يمكن ان تكون أقرب الى الشللية الثقافية؟ .

■ الشللية، ظاهرة بين اناس لهم اهداف مشتركة ينتمون الى الثقافة والفن انتماء لا يرتكز على اسس نظرية معرفية، وهم فى الأغلب مدعون ومتحذلقون يركبون الموجات الثقافية الجديدة الآتية من الغرب عموما دون ان يجمعهم مشروع ثقافى أو افق مستقبلى يرنون اليه . وكل ما يجمعهم ويوحدهم انهم كتلة بشرية لا تزيد عن كونها صدى وليست صوتا فاعلا، بهذا المعنى تنتهى «الشللية» من تلقاء نفسها ولا تذهب بعيداً فى «مشروعها» الثقافى حتى النهاية انها كائن متواجد



يحى توفيق عمر

الشعر الابداعى

●● الابداع قيمة جمالية فى ذاته . . هذه مقولة يؤسس عليها بعض النقاد آراءهم . . ترى ما هو الابداع فى منظور الأستاذ الشاعر يحيى توفيق حسن . . ؟؟

■ الشعر الابداعى فى تصورى مصدرة الشعور والعاطفة والحس والذوق لا العقل - شيء تدركه القلوب بتجليها وتلهمه النفوس الرفيفة المجبولة على استلهام الشعر بما غرس فيها من خصائص ابداعية شيء تحسه وتدركه بالغريزة والشعور ويلهم للمبدع الهاما لا يمكن تعليله او عقلنته او تبريره وتكييفه وأنت كمتذوق تحسه فيشدك ويسحرك ويذهلك دون ان تستطيع له تفسيرا .

والنقاد الذين حاولوا أو يحاولون اليوم ارجاع الابداع فى الشعر الى علم البديع بمحسناته اللفظية انما يحاولون عبثا فالمرأة الجميلة هى المرأة الجميلة لكن الفارق بين هذه وتلك التى تدير الرؤوس وتصعق الأفئدة وتسحر القلوب شيء من المستحيل تبريره وتفسيره أو تحديد معاييره وأنت ترى غروب الشمس كل يوم ولكن الايام التى ترى فيها منظر ذلك الغروب ساحرا يشدك ويهزك أيام معدودة ومع ذلك فكله منظر غروب . . انه سر الابداع .

فالابداع روح وحس ندركه وننفعل به بضمائرنا ولكننا لا نستطيع ابدا ان نعلله أو نكيفه فهو شيء غير مادى فكيف نستطيع ابدا ان نعلله أو نكيفه وان نقننه بقوانين أو نحدد له ابعادا أو قوالب . . والابداع فى الشعر هو روح الشاعر المطبوع الملهم وحضوره وشخصيته فى شعره حسب درجة تجليه العاطفى وتألقه الذاتى والانفعالى لحظة صياغته للقصيدة . . قد يرتفع ويسمو به ذلك التجلى والتألق والحضور حتى يصل به الى عمق اعماق المتلقى وقد يركد فى ذاته وتخمد شعلته فى عاطفته قبل ان يستطيع نقل وتسجيل انفعالاته أو معاناته نتيجة اخفاقه فى الخلاص بروحه وأحاسيسه من اعباء وقيود مادية الحياة المعاشة فتخذله قدراته وطبعه عن استلهام التعابير الرائعة التى يبث دفق روحه من خلالها والتى يهتدى اليها تلقائيا بغريزته وطبعه عند فورة تجليه وقوة انفعاله .

يحيى توفيق حسن
جده

لا يفعل شيئا الا التشويش على هذه الساحة .

والشللية تزكى نفسها وتكيل المديح لأعضائها وهى تخلق اسماء ادبية لا موهبة لها تردد نفس الخطاب الثقافى المشترك وتستمر فى اعتناق وهم انها موجودة، وهكذا تفرقع بالونات محسوبية سلفا . وهى ليست ظاهرة ثقافية حقيقية بل ظاهرة هرضية، تتقاطع وتتجاذب داخل علاقة دائرية معروفة بحكم صداها لكن لا فعالية لها ولا تأثير على المدى البعيد انها دائرة صداقة أكثر منها دائرة ثقافية، ذات مشروع مستقبلى .

بامكاننا الحديث عن «الشللية» كظاهرة ثقافية ذات افق نظرى وابداعى، كجمعيات ادبية فاعلة، وذلك فى غياب منبر ثقافى قادر مثل «جمعية النهر الخالد» فى القاهرة والتى نشطت فى بداية الستينات حيث جمعت حولها بعض المثقفين المصريين والسودانيين ساهموا بنصيب وافر فى مجلة «الآداب» اللبنانية كذلك يمكننا الحديث عن ظاهرة مجلة «شعر فى بيروت» بالاضافة الى «خميس شعر» الاسبوعى كان لشلة «شعر» تأثير كبير على الشعر العربي الحديث، تنظيراً وإبداعا ما يزال صداه حتى الآن خصوصا فى الجانب المتعلق بالحداثة .

هذه الظاهرة ظاهرة شللية بالفعل لأن لها مشروعا وتصورا ثقافياً خاصاً مضادا للمفاهيم الاخرى الثقافية السائدة وهى اذ ترفض ابداعات بعض الكتاب، فانها انطلاق من هذا المشروع وهذا التصور الذى ينسجم وقناعاتها المكتسبة .

بالنسبة للمغرب العربى، لا يمكن الحديث عن وجود ظاهرة «الشللية» لمجرد ان مجموعة توجد هنا وأخرى توجد هناك، ذلك ان الأمر يتعلق ببعض المنابر . فالحزب السياسى بغض النظر عن كونه جمعية قانونية، هو نفسه شلة يجمعها هدف مشترك ومستقبل مشترك تبلوره صحيفته ومجلته وتروج لأفكاره النظرية السياسية وبرنامجه الثقافى وهكذا تبدو الخارطة العربية السياسية : كل حزب ينشر فكر وإبداع المنتمين اليه حتى ولو كان رديئاً .

الشاعر : محمد بنيس
صاحب مجلة الثقافة الجديدة

المجموعة الشعرية لعبد الحميد عنبر

«اللجين المذاب» مجموعة شعرية لعبد الحميد عنبر رحمه الله أحد رجال الادب والشعر والصحافة السعوديين، نشرته مؤخراً السيدة حياة إبنة الشاعر.

هذه المجموعة عبارة عن أول آثار الشاعر وآخرها لأنه - كما اوضحت جامعة الديوان قد فقدت أعماله بسبب كثرة تنقله وترحاله إلا هذه المجموعة التي سبق نشرها متتالية في جريدة «المدينة» السعودية وهي مجموعة قصائد معدودة لكن كلها مواكبة للأحداث، مليئة بالحماس والعاطفة التي تلهم وهل هناك أجمل من عاطفة الوطن؟.. كما قالت الجامعة.. جامعة الديوان وشعر عبد الحميد عنبر قوى السبك.. سهل الأداء يقرؤه القارىء بهدوء لاعتدال نفس الشاعر في شعره إسمعه في تحيته للوافدين لأداء مناسك الحج:

يا وفود الله أهلا ومرحباً
في حمى الرحمن في أرض الحرم
أنتم أهل وجيران فما
فيكم إلا نسيب وابن عم
فعلى الرحب فهذى داركم
دار فيض ورضاء و نعم

■ ومناسبة «الحج» في مثل هذه التحية لا تفوت الشاعر الذي يهتبلها فرصة قائلا:

إنما المسلم مدعو إلى
نصرة الدين فلا لوم أو ذم
ايها الكاتب في مجمعنا
أنت مدعو لاشهار القلم
أيها الشاعر في ندوتنا
أنت مدعو فبادر لا تنم
فلم الحج اذا ما لم يكن
مقصد أسمى وكسب يُغتنم

■ فهذا - كما ترى - عطاء عملي يقدمه الشاعر لمجتمعه وأمته. وكثير من شعر المجموعة كان شعراً مناسباً في الزمان والمكان لنشاط مجتمع الشاعر. الذى قدم باستثناء



غلاف الديوان

قصيدة يتيمه في الغزل بعنوان «ذكرى» وهي على - فرديتها ويتمها - مفعمة بعواطف شاعر مكبوت وأرى أن يقرأها القارىء في ديوان هذه المجموعة مباشرة.

وقد يكون شاعرنا أكثر عنفواناً وجرأة في هذه القصيدة الوحيدة في الديوان ولو وصل إلينا غيرها - ومن المؤكد انه قد قال غيرها - لاستطعنا أن نقدم حكماً نقديا متكاملا والأمل معقود في السيدة حياة عبد الحميد عنبر أن تحاول جاهدة وبإكثار في الحصول على اعمال أبيها الشاعر عامة وشعره في النسيب خاصة لأن قصيدته اليتيمة هنا - تنم عن قدرة شعرية جيدة للأداء العاطفي.. الأمر الذى قد يكون خاصية اخرى من خاصيات شاعرنا العنبر لا في المناسبات وحدها بل في كل أغراض الشعر بما فيه الغزل والنسيب.

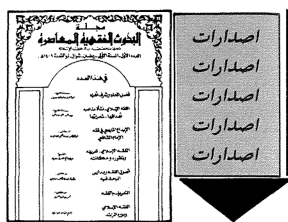
رسائل للمحرر

سعادة الاستاذ نبيه بن عبد القدوس الانصاري

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

بالاشارة الى خطابكم رقم ٩/٧٥٣٨ تاريخ ١٤٠٩/٧/١٦ فأتمنى لمجلة المنهل العريقة المزيد من العطاء والتطوير على الطريق الذى انتهجته بتأصيل الثقافة العربية والاسلامية وتقديم المادة الثقافية البحثية المتنوعة والهادفة الى الارتقاء بذوق القارىء العربي المسلم وتوسيع مداركه وتبصيره بماضيه وحاضره ومستقبله.

ولا شك ان فكرة اخراج الاعداد الممتازة والمتخصصة من كل عام هي فكرة رائدة وتدل على خبرة متمرسة ورؤية سليمة لواقعنا العربي والاسلامي ومعالجة للمسائل



غلاف المجلة

■ «**مجلة البحوث الفقهية المعاصرة**» مجلة متخصصة فى الفقه الاسلامى . . صدر العدد الأول عن الأشهر (رمضان ـ شوال ـ ذو القعدة) وهى مجلة فصلية . . صاحبها ورئيس تحريرها الدكتور عبد الرحمن بن حسن النفيسه.

وجاء فى كلمته الافتتاحية لهذا العدد مبيناً المنهج المتبع فى هذه المجلة والغاية المرجوة منها: «هذا هو العدد الاول من مجلة البحوث الفقهية المعاصرة بداية لطريق طويل ندرك ما يوجبه السير فيه من جهد لا يحد حدوده إلا تحقيق الهدف الذى نستشرفه ـ باذن الله ـ فى كل خطوة من خطوات هذه المجلة لتحقيق ما صدرت من أجله.

ويقول: (. . والسبب لاصدار هذه المجلة الشعور بالحاجة الى أداة علمية متجددة ومتخصصة فى الفقه الاسلامى).

ونحمل معه الأمل الجميل فى ان تحقق هذه المجلة الوليدة اهدافها من خلال بيان ما تحويه الشريعة الاسلامية الخالدة من حلول علمية وعملية للمشكلات والقضايا التى تواجه المسلم فى هذا العصر المادى المزدحم بكل الاثقال والاعباء.

وجاء العدد الاول يحمل أقلام عدد من العلماء الاخيار فى عدة موضوعات فقهية . . ونكرر امنياتنا لهذه المجلة بالتوفيق والسداد.

بالعمق الذى تتطلبه.

واننا اذ نتابع نشاطكم ومواصلتكم لهذا العطاء . . فاننا لا نألوا جهدا فى المشاركة والاسهام بكل ما يقتضيه الحال لرفعة هذه الدورية التى فرضت وجودها ومكانتها بما قدمته وتقدمه ـ باذن الله ـ للقارىء . . آملين ان يحقق المولى عز وجل مسعاكم ويسدد خطاكم.

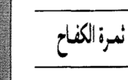
وتقبلوا خالص تحياتى.

الامين العام
لرابطة العالم الاسلامى
د. عبد الله عمر نصيف

●● **المنهل:**

لعله لا يغيب عن ذاكرة القراء الكرام أن الأعداد (المتخصصة والممتازة) التى تصدرها (المنهل) تمثل جهداً علمياً مركزاً ومرصوداً لخدمة جوانب علمية وثقافية وأدبية وفنية لها قيمتها وأهميتها فى مجالها . . وهذا ما يجعلنا نحمل على عاتقنا عبء هذا العطاء ونشكر للدكتور عبد الله نصيف إلماحته الكريمة هذه.

ثمرة الكفاح



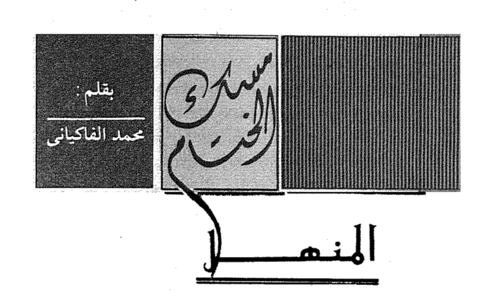
غلاف الكتاب

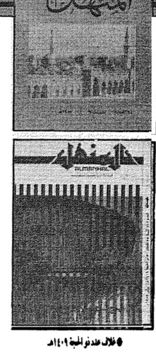
■ صدر عن مطابع مؤسسة الجزيرة للصحافة والنشر بالرياض كتاب «**ثمرة الكفاح**» لمؤلفته (بهية عبد الرحمن بوسبيت).

يقع الكتاب فى ١٩٤ صفحة من القطع المتوسط . . ويعرض فى مقالات متنوعة لأنماط وتصرفات ودخائل نفوس مختلفة من المجتمع بحيث يكون فيه المتحلى بالصفة الحسنة، والمتصف بالصفة السيئة، والمستبد، والضعيف، تعالج المؤلفة فيه حالة كل نمط من هذه الأنماط بطريق مباشر او غير مباشر نتيجة احتكاك واختلاط بأصحابها، لذلك يعتبر الكتاب مفيداً فى حقله الاجتماعى.



● غلاف العدد الأول من المنهل ذو الحجة ١٣٥٥هـ





● غلاف عدد ذو الحجة ١٤٠٩هـ

بين الماضي المجيد والحاضر الجديد

● منذ إنشائها منذ اكثر من نصف قرن ظلت المنهل تؤدى دورها الثقافى والأدبى والعلمى . .

● الأعداد الممتازة والمتخصصة فتح جديد متميز فى عالم الأداء الصحفى والعلمى .

● الجديد الموضوعى، قيمة يرتكز عليها المنهل فى أدائه .

ان ولادة مجلة المنهل العذب النمير، وهى تدخل عامها السادس والخمسين بحلول السنة الهجرية المجيدة ١٤١٠هـ، بكل ثبات وشموخ . . وهى تتصدر الدوريات الصحفية والمجلات العربية بحسن مقالاتها العلمية والادبية والثقافية والشعرية المتزنة وكذلك مجلاتها الداخلية الاربع، وحسن تبويبها واخراجها الحسن والوانها الزاهية .

■ لقد اصبحت المنهل العذب منارة للأجيال العربية والاسلامية فى شتى بلاد العالم العربى والاسلامى وان الابداع والتنسيق فى المقالات التى تكون فى طياتها من علم وفكر وفلسفة اسلامية التى تسرح بالقارىء الى قارات العالم ليشاهد من خلال مواضيعها ومن وراء صفحاتها الخالدة .

خصائص المنهل:

ان مجلة المنهـل كانت منـذ وجـودهـا فى عالم الصحـافـة منتـدى للعـالم والاديب، والكـاتب، بالاضافة الى انها مدرسة لها روادها، وطلابها نشؤا وتبنـوا معهـا، والمنهل التى اخذت على عاتقها أن تحتضن الاديب الناشىء والشاعر الملهم وتقف الى جانبـه وتجعل نفسها ملكا له ينشر فيها ما ينتج من ادب وشعـر ليقـوى ويكـبر تدريجياً حتى يصبح بالمستقبل اديبا وشاعرا فذا وكاتبا عريقا، بالاضافة لذلك كانت المنهل مربية اجيال ومدرسة علم وابداع وثقافة ومؤدبة وموجهة.

■ لقد مضى على صدور المنهل العذب منذ تأسيسها اكثر من نصف قرن وهى الآن وبمشيئة الله تعالى تدخـل عامها السادس والخمسين فى ظل مؤسسها المربى الكبير الاستاذ عبد القدوس الانصارى «رحمه الله» وتسلم من بعده امر هذه الراية المضيئة والخفاقة فى عالم الادب والمعـرفـة، نجله الاخ نبيـه بن عبد القدوس الانصارى الذى اضاء هذه الشعلة العلمية بثبات وموضوعيّة وحسن متابعة.

والمنهـل وّلله الحمـد فى هذه الاعـوام المبـاركـة لازالت وهى دؤوب فى سيرهـا المتزن. وهى تسهر على ما يرد عليهـا من مواضيـع ومقـالات فتنظمه وتنقحه وتصدره لقرائها فى اسلوب سلس وشائق وفى لغة فصيحة.

■ وبهـذه المنـاسبـة الكـريمـة اكـرر تهنئتى القلبية لاصحـاب المنهـل وللمحـررين والقـائمـين عليها بمنـاسبـة عيدها السـادس والخمسين والتى برهنت بتلك الاعوام على وفاء صدقها وسيرها الحثيث فى اقدام وثبات لم يتغير فى عالم الصحافة.

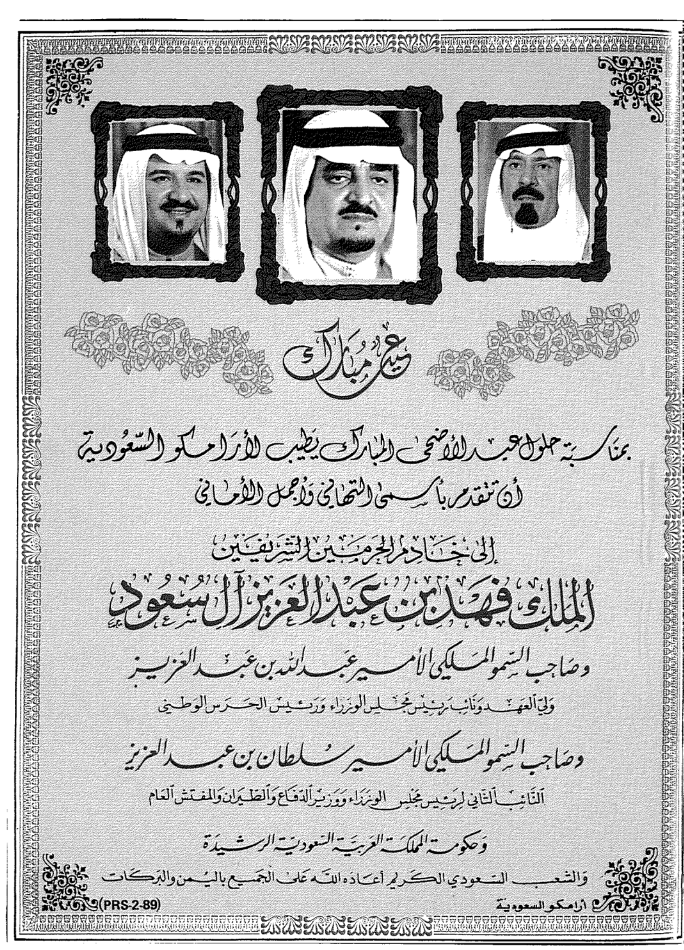
واني بهذه المناسبة الجليلة استعين بقول الشاعر الـذى كرم هذه الشعلة النيرة وقد اعطاها شيئا من موهبتـه ومن قريحتـه المستـوحـاة وحبـه لهذه المجلة ولصاحبها والمشرفين عليها من محررين وغيرهم.

هو منهـل عذب رحيـق
هو مرتـع خصـب رشيـق
هو مورد صاف رقيـق
هو سلسـبيـل فى طريـق
هو سلوة لا بل رفيـق
هو صاحـب لا بل شقيـق
هو ملجأ رحـب عميـق
هو بلبـل شاد انيـق
هو مشعـل عاد عريـق
هو درة تهدى صديـق

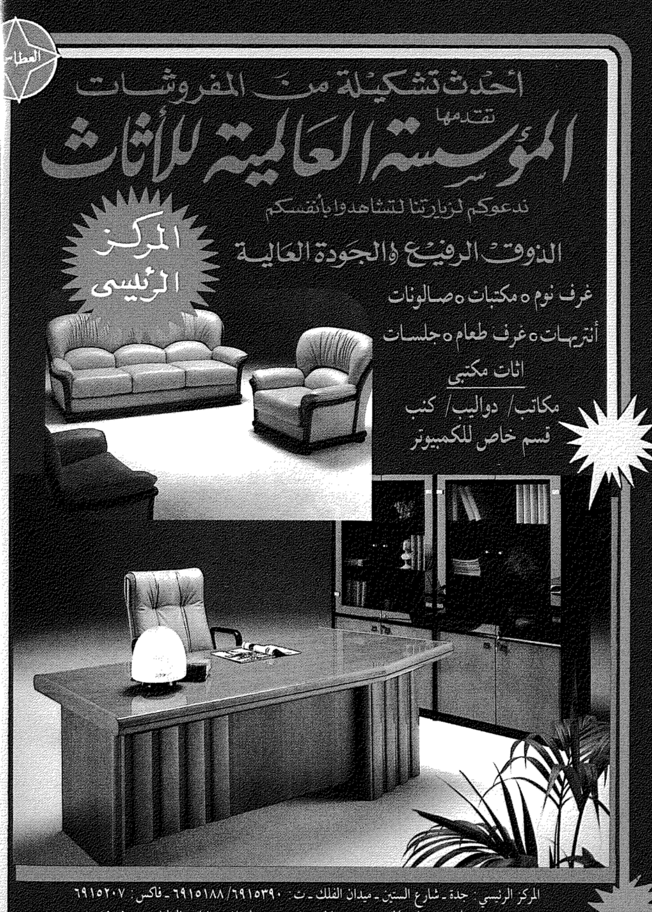
■ وفى الختام:

ان مجلة المنهل العذب الصافى، ان دلت فانها تدل على عبقـريـة منشئهـا «رحمه الله».. وعلى حسن متـابعـة وادارة السـاهـرين عليهـا وعلى وجـودها وكيـانهـا. والبـازلـين اقصى جهـودهم فى رعـايتها واصدارها. والمحافظين على العمل فى ربط ماضيها التليد بحاضرها الزاهي ومستقبلها المشرق ان شاء الله واختتم كلمتى هذه بتحية للمنهل الغامر.. من مخلص فى وده شاكر.

وكل عام وانتم بخير



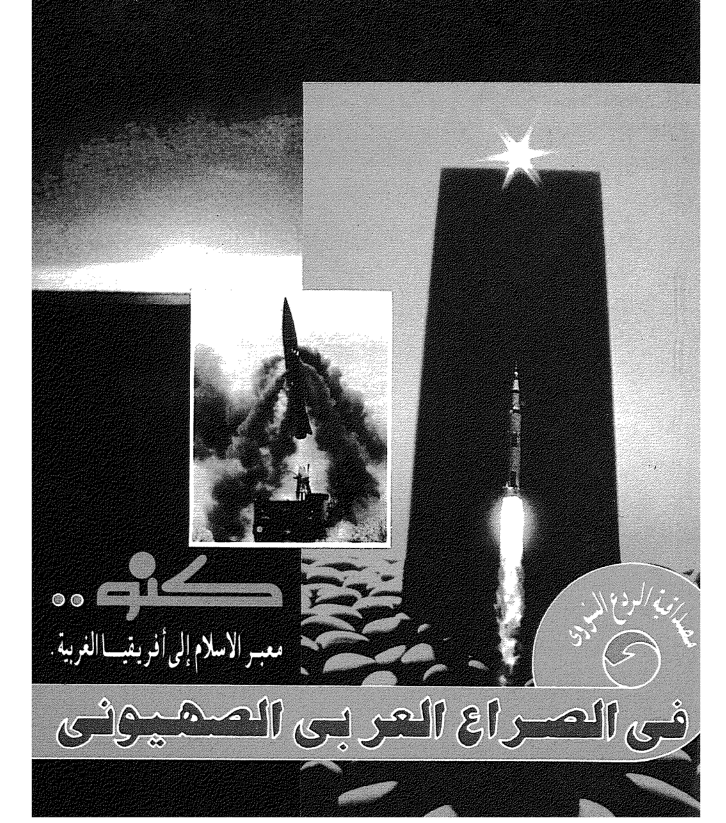
دار الاصفهاني للطباعة بجدة


أحدث تشكيلة من المفروشات
تقدمها
المؤسسة العالمية للأثاث
ندعوكم لزيارتنا لتشاهدوا بأنفسكم
الذوق الرفيع في الجودة العالية
المركز الرئيسى
غرف نوم ○ مكتبات ○ صالونات
أنتريهات ○ غرف طعام ○ جلسات
اثاث مكتبي
مكاتب/ دواليب/ كنب
قسم خاص للكمبيوتر
المركز الرئيسي: جدة ـ شارع الستين ـ ميدان الفلك ـ ت: ٦٩١٥٣٩٠/٦٩١٥١٨٨ ـ فاكس: ٦٩١٥٢٠٧
جدة ـ شارع الجامعة ـ مركز الامير متعب ـ هاتف ٦٨٨١٧٩٢ الرياض ـ شارع العليا ـ ت ٤٥٤٩٠٩٦
مكة المكرمة العزيزية ـ جوار جامعة ام القرى ت: ٥٥٨٩١٩٠/ ٥٥٨٩٠٤٦ ـ فاكس ٥٥٨٩٢٦٨

المنهل
ALMANHAL

مجلة العرب الأدبية

العدد ٤٧٤ السنة ٥٦ المجلد ٥١ صفر ١٤١٠هـ/ سبتمبر ١٩٨٩م





مقال



فى السيرة النبوية الشريفة ما يدلنا على ان هجرة النبى ﴿ﷺ﴾ الى المدينة المنورة كانت لها ارهاصات سابقة، مهدت لها السبيل، ودلت على انها حدث خطير يكتنفه «توقع» مرعب من المشركين و«ترج» مبهج من المسلمين لحدوث الهجرة.

فقد روى لنا اصحاب «السيرة النبوية» العطرة ان «النبى» ﴿ﷺ﴾ كان يقف بمنى، على منازل القبائل من العرب، فيقول: «يا بنى فلان انى رسول الله اليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وان تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وان تؤمنوا وتصدقوا بى، وتمنعونى حتى ابين عن الله ما بعثنى به».

فهذه «الجملة المشرقة» التى رواها المحدثون ضمن خطبه عليه السلام فى القبائل العربية المشركة، وهى قوله: (وان تمنعونى) هى مفتاح ارهاصات هجرته المرتقبة، والتى تحققت فيما بعد الى «طيبة» الطيبة.

ومما يثبت لنا «وعى» العرب المشركين لحتمية هذه الهجرة، فى الوقت المناسب والممكن وهو الوقت الذى يقوم بعض العرب بتحمل مسؤولية وعواقب «منع الاذى عنه صلى الله عليه وسلم» دفاعا عن الحق ـ ان احدهم وهو «بحيرة بن فراس من بنى عامر بن صعصعة» قام الى الرسول بعدما اتى الرسول قومه فى منى، بموسم الحج، وعرض عليهم نفسه، فقال فى نفسه: «والله لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش لاكلت به العرب» ثم قال له: «أرأيت ان نحن بايعناك على امرك، ثم أظهرك الله على من خالفك ايكون لنا الامر من بعدك؟ قال: «الأمر لله يضعه حيث يشاء». ومن ثم أعرض الرجل عن الرسول الكريم، وقد خاب قال «ابن فراس»: ولكنه بعد ان رجع الى قومه بنى عامر، وكان فيهم شيخ كبير لا يقدر على حضور موسم الحج، حدثوه بحديث الرسول، فوضع يده على رأسه ثم قال: يا بنى عامر، هل لها من تلاف؟ هل لذناباها من مطلب؟ والذى نفس فلان بيده ما تقولها اسماعيلى قط، وانها لحق.. فأين رأيكم كان عنك؟.. ولابد أن ابن فراس قد تأثر خاطره وتعكر مما رأى قبلا ومما سمع لاحقا.

وجاء الرسول جولاته المباركة فى احياء العرب الحجاج، ولم يكتب الله السعادة من بينهم بادىء ذى بدء الا لأهل المدينة المنورة من (الخزرج والاوس) حينما بايعه جماعة منهم بالشعب عند العقبة بمنى، فى قصة من قصص البطولة والتضحية والايمان العميق بالله ورسوله.. وقد تكلم معهم الرسول كلاما نبويا صريحا دخل الى شغاف قلوبهم واستجابوا له خير استجابة من أعماق القلوب.. قال لهم فيما قال ليلتها: (ابايعكم على ان تمنعون منه نساءكم وابناءكم).. انه المغزى الكبير والمطلب الاسمى الرفيع الذى طلبه من كل العرب حينما عرض على جموعهم قبول رسالته فأعرضوا عنه وعنها، وقد وافق الانصار على اعطاء هذه البيعة ذات التبعات الجسام، لما اراد الله لهم من الخير والسابقة فى الاسلام.

صفر ١٣٨٧هـ



المنهل
ALMANHAL
مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

العدد ٤٧٤ السنة ٥٦ المجلد ٥١ صفر ١٤١٠هـ/ سبتمبر ١٩٨٩م

اسسها سنة ١٣٥٥هـ
عبد القدوس الأنصاري

صاحب المجلة رئيس التحرير
نبيه بن عبد القدوس الأنصاري

مستشار التحرير
د. عبد الرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
زهير بن نبيه الأنصاري

سكرتير التحرير
السماني كمال الدين

تصميم وإخراج
عبد الرحيم فؤاد بدر الدين

العلاقات العامة
مصطفى محمد مصطفى

المراسلون
مصر:
الأردن: روكس العزيزي
تونس: د. نور الدين صمود
المغرب: عبد الرحيم عبد السلام
الجزائر: د. بكري عبد الكريم
تركيا: د. أنور طاهر رضا

بطاقة تقديم

بالعقل فكّر.. بالعقل أبدع.. بالعقل بنى الانسان مجده العظيم.. تتوالى السنون ويظل الانسان هو الانسان.. بالعقل امتاز وتميز.. فكان تاريخ وكانت حضارة وكان تراث وآثار.. وبدخول القرن العشرين بتقنياته وتطوراته.. بعلومه وإبداعاته.. ينتظم فى سلك القرون.. يذوب.. ويظل الانسان لحمة الحضارات المتوالية..

ومن قرننا العشرين إطلالة نتلمس فيها خطى الانسانية على دروب آلاف القرون المتعاقبة حين ينصهر الزمن.. الماضى والحاضر والمستقبل.. ويبقى شامخاً عظيماً.. صانع الحضارات.. إنسان التاريخ.

وسبحانك اللهم خير معلم، علمتنا ما لم نكن نعلم.

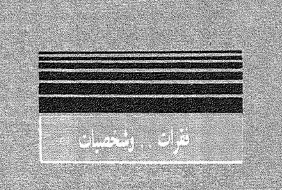
المحرر

المركز الرئيسي
جده - الشرفية
ص.ب: ٢٩٢٥ رمز بريدي: ٢١٤٦١
برقيا: المنهل
ت: ٦٤٣٢١٢٤ ـ ٦٤٣٩٧٦٥ ـ ٦٤٢٧٨٣١
مكتب الرياض
ص.ب: ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

الاشتراكات
● قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٠٠ ريال
● قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

الاعلانات
تخاطب بشأنها الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

سعر النسخة
● السعودية: ٨ ريال ● قطر: ٨ريال
● الامارات: ٨ دراهم ● الاردن: ٥٠٠فلس
● السودان: ٢٥٠قرش ● مصر: ١ جنيه
● المغرب: ٦ دراهم ● تونس: ٦٠٠ مليم
● موريتانيا: ١٠٠ أوقيه




د. عدنان عبيد العلى

● ينبغى على الشباب المسلم أن يكون اكثر وعياً بمسؤوليته، وأن يتطلع إلى المركز الذى يجب أن تكون فيه أمتنا، لا سيما وأن جذور الدين متأصلة فى المسلمين ولا يضيرها فى شىء تصرفات قلة ضلت طريق الهدى.


قاسم الخطاط

● العمل الابداعى النشط الذى يمارسه المبدع ويشعر بالمسؤولية تجاهه ويحس بأهميته كثيراً ما يطغى ويسيطر على بعض المتطلبات البيولوجية. ومشكلة الكتابة الابداعية تتعلق أساساً بالتركيز فى التطورات المختلفه فى الفكرة الابداعية.

ص ٣٢

● تطور القصة مرتبط بعلاقة جدلية مع الانسان المبدع ولها اتصال وثيق بواقع الفرد والمجتمع عبر الزمان والعلاقات الداخلية والخارجية.

ص ٣٨


محمد حسن نقى

● الكبر نار. والنار قوة وعنف وحركة وأضواء متصاعدة. وكل هذه النوازع نلمسها فى نفسية المتكبر. ونظرة الكبرياء هى أساس البلاء. فهى تمزق النفس إلى نفوس تحترب كأعداء ألداء. فنفس المتكبر أهواء ونزعات.

ص ٦٣


محمد على قدس

● جسم شكسبير مخازى اليهود ولذلك حقدوا عليه، واختفاء (تاجر البندقية) من على المسرح الكلاسيكى فى لندن منذ نصف قرن - تحت ضغط النفوذ الصهيونى - دليل على ذلك.

ص ٨٤


د. نصر عبد الرحمن

● أدركت اسرائيل أن العرب يتفوقون عليها فى الأسلحة التقليدية فعملت على امتلاك السلاح النووى لردم الهوة النوعية فى الأسلحة فى محاولة جادة منها لتأكيد تفوقها الاستراتيجي على العرب.

ص ١٠٤

● غلاف العدد

[illegible]

وكلاء التوزيع

تهامة للتـوزيـع/ جده ت: ٦٦٩٥٠٠٠

وكـالـة الاهرام للتوزيع/ القاهرة ت: ٧٥٥٥٠٠

الشركة التونسية للصحافة/ تونس ت: ٢٤٢٤٩٩

إشارة:

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق فى تحديد أولويات النشر، وتخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بنوع أو شكل الموضوع أو بمكانة الكاتب.

● يشترط فى الإسهامات المقدمة عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية... مع ملاحظة أن تشفع المادة المرسلة بالصورة الموضوعية والتوضيحية ـ ان لزم الموضوع ـ وصورة للكاتب مع نبذة مختصرة

الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ت: ٢٤٥٧٤٥

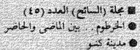
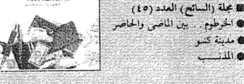
دار المسيرة للطباعة/ ابو ظبى ت: ٣٣٨٢٨٥

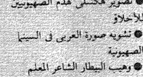
دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ت: ٤١٤١٨٢

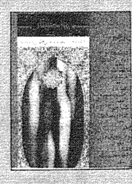
وكالة التوزيع الاردنية/ عمان ت ٦٣٥١٥٢

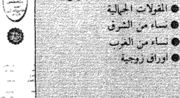


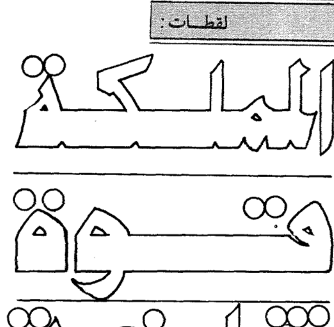








في ذكرى اليوم الوطني

- **ذكرى اليوم الوطني تكريس للوحدة الوطنية**
- **المملكة اليوم قوة حقيقية تؤمن بالله ونعمـ**
- **اليوم الوطني في حياة الأمة فرصة للتأمـ**
- **تأمين حقوق الفرد المشروعة في الحياة الحرة الكـ**

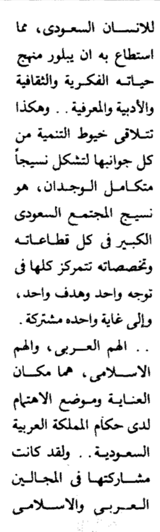
السياسة المتزنة الحكيمة، الاقتصاد القومى المتنامى، المجتمع الآمن المتحضر، الفكر المعطاء، الثقافة الهادفة، العلم البانى، كل هذه وغيرها مجرد أسطر فى صفحات فى عطاء الدولة الطموح.. كلها عطاء من عطاءات اليوم الوطنى.

إذن، (اليوم الوطنى) ليس هو استرجاع ذكرى عابرة، ولكنه أداء وإنهاء مغروسان فى أعماق أبناء هذه الأمة.. غراس نضر ناضج، بذره مؤسس هذا الكيان الكبير الملك عبد العزيز ـ عليه رحمة الله ـ غرسه وسقاه بكل عطاء نفسه الطموح، وروحه الوثاب، وبصيرته النافذة.. وذكائه المتقد.. ورعى هذا الغراس من بعده ونماه ابناؤه، أبناء هذا الكيان الكبير، الوطن المؤمن، والبلد الطيب.

بناء الوطن وازدهاره وتنميته ليس بالأمر السهل، انه جهد السنين واخلاص اليقين.

البناء الحضارى المتزن لأى دولة لابد أن يستند الى عنصرين إساسيين هما: المادى والروحى.. والدولة السعودية الحديثة أقامت قواعد هذين العنصرين بكل دقة، فارتفعت قواعدها الحضارية عالية فى توازن تام.

قامت هذه الدولة من أول يوم على عقيدة التوحيد الخالصة.. فى مجال بنياتها الأساسية استطاعت ان تحقق المعجزات، فأقامت المشاريع الضخمة العملاقة مما يمثل عصب بنيتها الاساسية.. ومع كل هذا تتزامن جوانب التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية



ـــة التى بناها الملك عبد العزيز.

ـــل لنشر العدل والاستقرار والسلام.

ـــل والنظر بعمق لما تحقق من انجازات.

ـــريمة والمستقرة وتنمية الوطن بمدخراته وثرواته المختلفه.

للانسان السعودى، مما استطاع به ان يبلور منهج حياته الفكرية والثقافية والأدبية والمعرفية.. وهكذا تتلاقى خيوط التنمية من كل جوانبها لتشكل نسيجاً متكامل الوجدان، هو نسيج المجتمع السعودى الكبير فى كل قطاعاته وتخصصاته تتمركز كلها فى توجه واحد وهدف واحد، وإلى غاية واحده مشتركة.

.. الهم العربى، والهم الاسلامى، هما مكان العناية وموضع الاهتمام لدى حكام المملكة العربية السعودية.. ولقد كانت مشاركتها فى المجالين العربى والاسلامى مشاركة فاعلة نابعة من وحدة الهدف والمصير المشترك.

فى ظل الرخاء الشامل والتخطيط العلمى المدروس والاستقرار للمواطن فى الداخل استطاعت المملكة العربية السعودية ان تنطلق إلى الخارج بنفس هذا المفهوم الذى يدعو إلى ان يسود العالم الأمن والاستقرار والرخاء.. وركزت جهودها بصفة خاصة فى العالمين العربى والاسلامى.. ولم تغفل واجبها نحو الاخوة الانسانية بعامة.

ولذا استطاعت المملكة أن تحقق مبدأ التوازن فى الداخل والخارج حتى بات المواطن نفسه ـ فى اطار هذا التوجه ـ يدرك أنه جزء من الأسرة الدولية.. متفاعل معها، متعاطف مع قضاياها تعاطفه مع احتياجاته الذاتية وتطلعاته.. وهذه الرؤية تسندها أدلة الواقع ومعطياته.

وهذا المنظور المتوازن المعتدل لسياسة المملكة العربية السعودية الخارجية ينطلق من إيمانها المطلق بحق جميع شعوب الارض فى الحرية والعدل والسلام.. لا شك ان مجموع هذه الخصائص والمميزات المتوازنة التى تقوم عليها اركان هذه الدولة الجديدة بان تجعلها تحتل مكانتها البارزة فى هذا العالم بكفاءة واستحقاق.. بل وتنطلق إلى المستقبل القريب والبعيد بنظرة شمولية فيها العمق والدقه من منطلق أبعاد استراتيجية ثابتة ومحددة ويمدها من ورائها عمق تاريخى واخلاقى فى دائرة منظور إسلامى خالد.

● بوابة العالم للتعرف على التقدم وأوجه الإزدهار الحضار

المملكة بين الأمس وال

● الترحيب الشامل الذى وجده المعرض خطوة جديدة وقفزة ناج



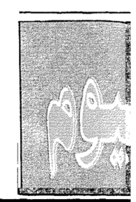
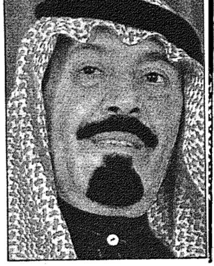
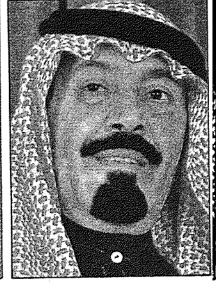
شهدت العاصمة الأمريكية «واشنطن» مساء يوم الجمعة ١٤٠٩/١٢/٢٥هـ الموافق ١٩٨٩/٧/٢٨م انطلاقة فعاليات معرض «المملكة العربية السعودية بين الأمس واليوم» الذي سيقام في واشنطن وعدة ولايات امريكية أخرى على مدى عدة أشهر.

وقد افتتح المعرض نائب الرئيس الأمريكي السيد/ دان كويل وصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز امير منطقة الرياض ورئيس اللجنة العليا المنظمة للمعرض بمركز المؤتمرات بواشنطن وذلك في حفل كبير حضره رئيس مجلس النواب. وبعد أن قص نائب الرئيس الأمريكي الشريط ايذانا بافتتاح المعرض توجه إلى أقسام المعرض ترافقه عقيلته والحضور حيث استمعوا إلى شرح من سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز عن أقسام المعرض ومحتوياته.

■ يضم المعرض المشاركات الثقافية والحضارية والفنية والفلكلورية المعبرة عن التدرج التاريخي للمملكة بدءا بالواحة ثم الصحراء والخيمة ثم المناطق الأثرية كقرية الفاو ومدائن صالح الحضاريتين ثم العصر الاسلامي ثم المجتمع القديم في المملكة العربية السعودية وينتهى بالمراحل المتطورة الحديثة للمملكة وخطط التنمية فيها وعلاقات المملكة بدول العالم..

ويعتبر معرض المملكة بين الامس واليوم بوابة سعودية متنقلة للتعريف بالتقدم وأوجه الازدهار الحضارى الذى تشهده المملكة العربية السعودية

...تعيشه المملكة.


...ـة فى طريـق التعـاون والصـداقة بين الشعـبين السعـودى والأمريكى

اليوم بالمقارنة بتراثها الثقافى والحضارى.

■ وكان معرض المملكة قد اقيم فى محطات سبعة سابقة فى جمهورية مصر العربية وتونس والجزائر والمغرب وبريطانيا والمانيا وفرنسا.. حيث عرضت المجسمات المعبرة عن الحرمين الشريفين فى مكة المكرمة والمدينة المنورة قبل وبعد مشروعات التوسعة.. كما شارك رجال الفن والثقافة فى هذا المعرض.

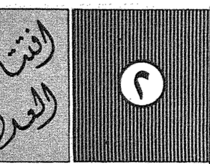
■ ويعد وجود معرض المملكة العربية السعودية بين الأمس واليوم فى امريكا قفزة ناجحة وخطوة موفقة ليؤكد فى العالم الجديد وصول المملكة للتقدم الحضارى والثقافي والسير المستمر فى هذا المضمار المزدهر فى كافة المجالات المادية والمعنوية.

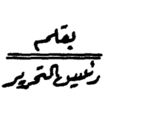
هذا وقد رحبت وسائل الاعلام الامريكية بهذا المعرض الثقافى على لسان المسؤولين هناك الذين عدوا المعرض السعودى وقيامه فى الولايات المتحدة الامريكية خطوة جديدة فى طريق التعاون والصداقة بين المسؤلين فى البلدين الصديقين مما يثبت دعائم العلاقات السعودية الامريكية فى الاتجاهات والمجالات المختلفة.

■ ومن فعاليات المعرض الثقافية فى الولايات المتحدة الامريكية عرض اللوحات التشكيلية الفنية والتى رسمتها أيد سعودية والكتيبات التى تتحدث عن جوانب النهضة فى المملكة العربية السعودية والمحاضرات العلمية.

وبالمعرض أجنحة متخصصة لهذه الغرض كما ساهم الطلبة السعوديون هناك فى مجال الشرح والتعليق للزوار الامريكان والاجابة على اسئلتهم واستفساراتهم حول ما هو معروض. وتعد هذه خطوة جيدة وبناءة حيث ان هؤلاء الطلبة على معرفة بالاسلوب والنفسيات الامريكية من خلال اختلاطهم بهم.







بقلم
رئيس التحرير

فواصل.. منتميـــة

كبرا ما تنساق العاطفة التحليلية ومعالجاتها خلف تخوم الجمل المفخمة.. او السياقات المنغمة.. التى همها اثارة الجدل المهنى للعاملين بمهنة الصحافة.. واحترافهم حق الكلمة وصناعة الحدث الاعلامي.. وبالتالى: سحق - ذاتهم - بين رحى الانفعال.. ولحظات المعاناة.. وانعدام الضمانات.

« **وهذا حق.. وواجب مشروع** »

رتلاً ما تحجم هذه المعالجات عن ان تتطاول لهز جذور الاثر - ذاته - فتدعوه فى عقلانية متطورة لان يفرض تلك الوسيلة (صحيفة كانت او مجلة) على القطاعات العريضة من شعوب هذا العصر المتفتح لتصبح السيدة السائدة فى حواضرهم ومرابعهم.. وفى عقولهم..

« **وهذا أدعى.. وأولى بالعناية** »

فى انسياق عواطفنا الانسانية المسطحة «وبنفس الحماس» ان نعرج إلى مناقشة «التأهيل» وموقعه من كل ذلك على.. الدارس.. والمطبوع.. والطموح..

« **وهذا موقف.. أدنى بالقبول** »

هجير هذه الاطلالة العجلى لتتخلل - او قل لتتعمق «فواصلنا المنتمية» فى استطراقها او استقصائها ضرورات فعل الوسيلة - ذاتها - قبل معالجة متعلقاتها وتحسس تأهيلاتها. ولكل حادث حديث.

* * *

■■ احسب ان كل الوسائل المصدرة معزوفة فى اطار جمل موسيقية متمحورة ومتجددة. من هنا كان لابد ان لا نخلط من حيث المنهج بين هذا او ذاك الا بقدر ما يحدده مضمون الامتياز ومسماه.. فالكل روح فى

جسد ولا يمكن بحال ان يغرقنا الاداء فى توليف شكل الاسم على المسمى بحجج التنوع والتعددية والمنافسة الا من وقائع ما تفرضه مجالات العطاء وضبط اجناسه وابعاده وروافده.

***

■■ (ما يطرح فى هذه المطبوعة . . لا يمثل وجهة نظرها . . الخ . .)

فاذا كانت «المطبوعة» بشتى صنوفها تلتزم باداء مُوجِّهٍ ورسالة مؤثرة فانه من عجمة القول وخواء الوصف ان نُبقى هذه المقولة على صدر بعض وسائلنا الثقافية المصدرة ونُبرزها . . ولعل فى هذا التوصيف ما يُفسَّر بعدم قدرة مَنْ يملكون التوجيه فى مسك المُصدِّر وتوجيهه الوجهة الصحيحة. وهذا فى حد ذاته قصورٌ ينبىءُ عن تقصير علني فى أداء الرسالة المطلوبة ومن الواجب ان نحذفه ونمحوه.

* * *

■■ اذا عرجنا إلى وسائلنا - وكثيرا من المجلات اعنى - واخذنا فى تصفحها وتمحيصها وجدناها تسير على منهاج: انّا وجدنا آباءنا. . . نراها منذ أنْ وضع أساسها . . وحَدَّد إطارها. . ونَوَّع مضامينها. . رئيسُ تحريرها او هيئتها العاملة لم تشتقّ كثيرا مخصبا الا فى جزئياتها الفنية ورواسمها المتوافقة. . كأننا عجزنا «ونحن الرسل» عن أن نأتى بجديد يواكب حركة العطاء وابداعاته - او كأننا انصرفنا فى غير ما قُدْرة. . للشكل قبل المضمون. . وللاسراف بعد المرصود. . . أو كأننا قد فرغ سماطنا من ان يطرح وجبة دسمة مستطابة. .

لم ألمس (وهذه مصارحة من نوع آخر) تجديدا او اقتناصا لافكار اولية رائدة مسرحها كثرة كاثرة من مجلاتنا على الرغم من ثبات موجهيها. . او تناقلهم. . او استبدالهم. . الا فيما قل أو ندر. ؟. وانطبعت وسائلنا بكثرة التفخيم واحتراز التفخيخ . . وبقى اغلبها يراوح مكانه لا يعنيه الا حرصه على الصدور فى اليوم المعتاد.

* * *

■■ المستقبل ملك لأولئك الذين يخططون له . . . ومن نافلة القول ان نقول: ان الماضى كان المستقبل فى يوم ما الا فيما شع وتواتر وتسامق. . . لذلك ففرض جدية المطبوعة وتوجهاتها ومعاصرتها. ومستقبلها لم يعد فى طفولية التوصيف فى الماضى المندثر «مذمة» ينفر منها المطلع والمتلقى على حد سواء - بل اصبحت بمسوغات التقييم والتصنيف منارا مشعا يرتاده المريدون وينهل منه الشداة والمثقفون. وما اكثرهم فى زمننا هذا وعلى ثرى الارض العربية والاسلامية.

■ فالانتقال اليهم . . والتعمق فى ذاتيتهم . . ومواكبة مسيرتهم. . وتكثيف معطياتهم. . كل ذلك امر واجب الاداء والتمكين.

■ رصد البحوث الجادة الموثقة امر تقتضيه جدوى المستقبل الثقافى لأولئك النفر الذين يبرمجون مساره ويفرزون قنواته ليفرض - مع الزمن - قارئا مجدا يتعود على هوية الاطلاع وصولا الى تعميق ملكة اقتناء الكتب والبحث عنها وقراءتها - وهذا فى حد ذاته رسالة. ولا يخفى يسير سبل هذه المداخلة الثمينة اذا ما اخذنا فى الاعتبار ان هذا البحث المهمش او هذا الموضوع الموثق يتناوله افراد قد يتجاوزون مجموعة اعداد المطبوعة.

وحتما ستذوب علتنا . . ونفرض معادلتنا المطلوبة لوجود قارىء مواظب ملتزم .

* * *

■■ « براشيم » وجزئيات التواصل الادبي والفكرى والمعرفى المقيد بصفحتين «مثلا» لم تعد «بحال» الاكسير الثقافي المطلوب فى عصر مواكب للحضارات وآخذ منها . . وفى زمن يصطخب بالعلم ومدرك له . . وفى قرن يتوق للانفراجات التعليمية والتربوية ويصطلى بزخمها . . وفى امم محصلاتها فاقت سطحيتها . . وفى شعوب ادركتهم «الصحوة» فاخذوا يميزون ما يقتنون . . وفى افراد داهمتهم «القلة» فباتوا ينفقون فيما يستفيدون .

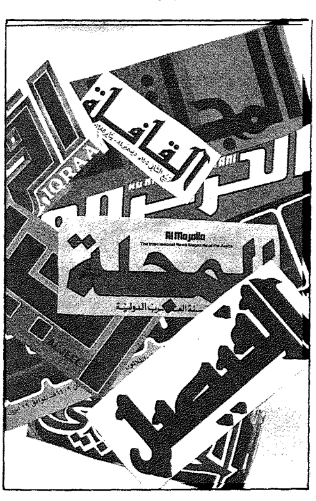
■■ من هنا وبكل هذه المضامين . . وخلال كل هذه التوافقات ـ احسب انه بات من المحقق ان يتفاعل اصحاب التوجيه فى مجلاتنا عموماً مع هذه الفرضيات فيستبدلوا فى موضوعية . . المبسط بالعميق . . والادنى بالثمين .

* * *

■■ لا مندوحة من ان تبث «المجلات» ثقافة العصر الزمنية والمكانية من خلال مراسليها وممثليها الكثر المنتشرين فى ارجاء المعمورة ـ كأن تستحثهم لاستقطاب الجديد الذى لم تصل اليه بعد وسائل توصيل الخبر او المعلومة من واقع الشواهد الدقيقة المتعددة والمتلونة هنا وهناك . . وفى شكل مصنفات موثقة مصورة مضغوطة تشمل : الاثر والشاهق . . والمتفق والمخالف . . والمؤطر والموثوق به . .

■ عندئذ تتقارب المسافات ويعرف العالم بعضه بعضا فيأتلف فى وحدة انسانية قوامها الحب والوئام والسلام . . وهذه رسالة «المتابعات الثقافية» فى ازمنتنا المنفتحة بعضها على بعض ـ وباسلوب معاصرتها .

* * *



■■ واعرج ـ فى تحفظ ـ الى تلك الاعلانات المفخمة . . إلى تلك التواصلات المنغمة . . التى فرضها التبادل الاعلامي الصحفي المكثف ـ عن صدور هذه المطبوعة او تلك . . وضاق به نطاق تصوراتنا الرامية الى ان العمل الجيد والجاد يعلن عن نفسه . اما ما كان منه موضوعيا ومتوازنا فاهلا به لتعميق جدوى ثقافتنا . . ومرحبا به فى ساحتنا وعلى صدر صحائفنا فى حده الادنى الملتزم بشرف الكلمة وميثاق العطاء .

نبيه الانصارى

ثورة المعلومات





الشرق الأوسط

■ المحافظة على القارىء واتساع قاعدة القراء سنة بعد اخرى يتطلبان من الصحيفة جهدا آخر هو فى الحقيقة اصعب واجبات الصحافة الحديثة وأهمها، ويتمثل ذلك فى انتاج صحيفة تكون مريحة ومفيدة للقارىء ومبهرة له فى نفس الوقت من ناحية الشكل أو المضمون.

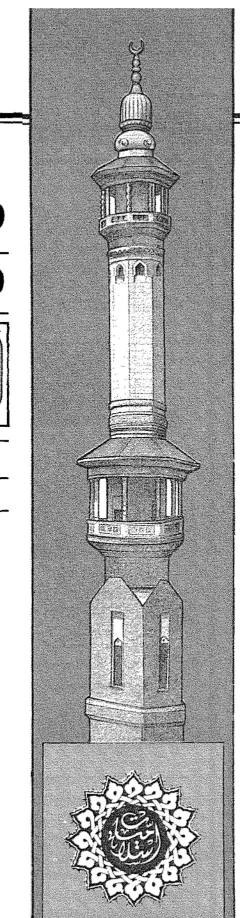
فمن ناحية الشكل ضمن التقدم العلمى والصناعى، انتاج مطبوعة يومية على درجة كبيرة من الاتقان والجودة والجمال أيضا، وفى وقت قياسى، وطباعتها ايضا فى اماكن متعددة بحيث تصل فى وقت مناسب الى كافة قرائها المحتملين.

■ يبقى بعد ذلك تحديث مضمون المطبوعة او بتعبير آخر جعلها مقنعة ومفيدة ومبهرة لعقل القارىء، عن طريق سرعة نقل المعلومات، والانفراد بالموضوعات والاخبار التى لا تستطيع الوسائل الاعلامية الاخرى الوصول اليها، وبسط جميع وجهات النظر امام القارىء لمساعدته فى تكوين رأيه ووجهة نظره، وتبنى القضايا واثارة الموضوعات التى تسهم فى حل مشاكله واسعاده، واتخاذ المواقف التى تتفق ومصالح مجموعة القراء.

■ نعى تماما هذا التحدى الذى تفرضه علينا «ثورة المعلومات» وتحرص دائما على تبنى الوسائل التكنولوجية الحديثة، فنحن نقوم الآن بتنفيذ اكبر مشروع من نوعه باللغتين العربية والانجليزية تشهده المنطقة العربية لانتاج الصحف والمجلات بطريقة الكترونية وسيمكننا عند الانتهاء منه من انتاج مطبوعاتنا بواسطة الكمبيوتر، بل ونقلها بواسطته وبدقة تصل الى مائة فى المائة الى نقاط الطبع المختلفة، ولن يكون هذا النظام خاصا بالصحف اليومية الثلاث التى تصدرها الشركة بل ان المجلات المصورة والملونة سيكون فى امكانها بث صفحاتها الملونة بواسطة الكمبيوتر الى اكثر من مركز طباعة مما يتيح لها فرصة أوسع لمواكبة التطورات ومتابعة الأحداث.

■ ان المطبوعة الناجحة امام تحدى «ثورة المعلومات» هى باختصار تلك التى تنجح فى ان تكون جزءا من تلك الثورة ومن حياة القارىء الذى لا يمكن له الاستغناء عنها أو اسقاطها من برنامجه اليومى.

محمد وهشام حافظ



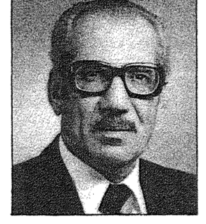
● التناقض القائم الآن بين تعاليم الدين الحنيف والواقع المعاش، اضـــ

● وجود الشر فى المجتمع لا يحل بالتطـــرف المتشـــائم ولا بالاســـ



بقلم : قاسم الخطاط

تونـــــــس



الشباب أمل الأمة المشرق، وصورة مستقبلها المأمول، ومساعدها القوي الذي يدفع عنها الخطوب، وسورها المنيع الذي يحمي حماها، وقلبها النابض بالحيوية والقوة، ومصدر طاقاتها الخلاقه التى تصنع مستقبلها.

والبعض من الشباب المسلم فى وطننا العربي يشعر اليوم أنه يعيش ممزقاً بين واقع لا يرضاه فى غالب الاحيان، وتطلعات يحسب انه لا يستطيع الوصول اليها.

■ وهذه الحيرة التى يعانيها الشباب المسلم، تجعل اليأس يتسرب الى نفسه والتوتر يسود حياته، فيندفع الى اتخاذ مواقف متشددة متصلبة تبتعد به عن امكانية ممارسة الحوار الهادىء المثمر. وهو يحس فى تصلبه وتشدده انه يمارس حالة من حالات الدفاع عن النفس وعن المبادىء التى تشبعت بها هذه النفس.

■ وهو يتطلع الى اقامة مجتمع تسود فيه تعاليم الاسلام بحيث يعيش الناس كما كانوا يعيشون فى عهد النبي ﴿ﷺ﴾ وفى عهد خلفائه الراشدين أو فى حال اقرب ما تكون اليها.

● **والمشكلة هنا تجيء من طريقة واسلوب النظر الى الواقع والى التطلعات.**

فالشاب الذى تشرب مبادىء

ـافة إلى التناقضات الاجتماعية والتقلبات السياسية والضغوط الاقتصادية أدت إلى تطرف بعض الشباب.

ـتسلام له أو الهـــــرب من ميــدان اصـلاحه، بل بالمواجهة المدروسة الثابتة.

ـم بين واقعه وتطلعات ـه

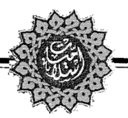
الاسـلام وتغلغلت مثله العليا في اعماق نفسـه، وعـرفت جوارحه نشوة الايمان، هذا الشاب المؤمن، ينظر الى الواقع الذي يعيش فيه، فيشعر بصدمة أليمة قاسية، ذلك لانه يريد ان يرى هذا الواقع في صورة تتلاءم مع ايمانه، ومع المثل العليا التى جاء بها الاسلام، ومع مكـارم الاخلاق التى اعلن النبى صلوات الله وسـلامـه عليه، انه جاء ليتممها. فاذا بالصورة تجيء حوله مخالفة لتعاليم الاسلام سوداء في نظره. انه يكاد يرى ان معظم ما يجرى حولـه مخـالف لتعــاليم الاسلام بصورة أو بأخرى. وان الـنــاس الـذيـن يعـيش بيـنهم مسؤولـون عن هذا الـذي يجري وتتضخم هذه الفكـرة في اذهـان الـبعض حتى يحســون ان هؤلاء الـذين يعيشـون بينهم اعداء لهم ولعقيـدتهم، بل انهم يعتـبرونهم كفاراً في بعض الاحيان كما حدث بالنسبـة لجماعـة التكفـير والهجرة التى تألفت في مصر منذ سنوات.

■ فقـد ترك افـراد هذه الجـماعة وظائفهم واعمالهم وهجروا أهليهم واقاربهم الذين اعتبروهم كفاراً، واعتـزلـوا النـاس وهـاجروا الى اماكن اختاروها بعيداً عن مناطق سكنــاهم وراحــوا يعيشــون في تجمعات خاصة بهم. وانتهى الأمر بهم الى اختطـاف وزيـر أوقـاف سابق هو المرحوم الشيخ الذهبى، وتقدموا الى الحكومة بمطالب لقاء اطــلاق سراحــه. ولـمــا رفضت الحكـومـة مطالبهم قتلوا الرجل. وانتهى أمـر هذه الجـماعة باعدام بعضهم وسجن البعض الآخر.

والآن نتســاءل: هل الــواقــع الــذى تعيش فيه مجتمعاتنا هو على مثل هذه الصورة القاتمة؟ وما هو السبيل الى اصلاح هذه المجتمعـات والوصول بها الى الصــورة المشـرقـة التى يتطلع اليها كل مسلم مخلص لعقيدته ولأمته؟.

واقـع مجتمعاتنا الاسلامية التي نعيش فيها ليس قاتما الى هذا الحــد بالـتأكيـــد، وليس ميئـوسـاً منـه. هناك ممارسات تجري من حولنا مخالفة لتعاليم الاسلام، ولكن هذا لا يعطينا الحق في ان نتهم الناس بالكفر، لأن من كفـرَّ مسلماً فقد كفر، ولا يجوز لنا ان نشكك في ايمان الناس لانه لا يزكى الانفس الا الله سبحانه وتعالى.

ولا يجوز لنــا ان نتشـاءم ويتطرق اليأس الى قلوبنا حين نرى صوراً للشر من حولنا، بل علينــا ان نتلفت من حولنــا باحثــين منقبــين، وحينـذاك سنجـد ان هناك صوراً للخير كثـيرة، بل سنرى بالتأكيد ان صور الخير اكثر بكثير من صور الشر.



■ لقد وجد الخير والشر منذ وجد الانسان على هذه الارض.. أبو الانبياء آدم عليه السلام زحف الشر الى احد ولديه فدفعه الى قتل اخيه. ولكن هل انتصر الشر على الارض؟.

■ لقد كانت للشر صولات وجولات وانتصارات، ولكن النصر الاخير في النهاية كان للخير دائماً، وسيظل كذلك الى ان يرث الله الارض ومَنْ عليها.

■■ ولو حولنا انظارنا عن الممارسات المخالفة للاسلام والمساوىء الموجودة في المجتمع الذي يعيش فيه، الى الجانب الآخر، جانب الخير، لوجدنا ان الغالبية العظمى ممن نعيش بينهم من أهل الخير، وان غالبية أهل الخير هؤلاء من الذين يتبعون تعاليم الدين في معظم ممارساتهم، وان من بين هؤلاء أناس كثيرون ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه، ولو اتعبنا انفسنا قليلا وفتشنا عنهم لوجدناهم.

■ اذن: فان الصورة في مجتمعاتنا التي نعيش فيها ليس على الدرجة التي نتصورها من السوء وسيادة الشر وقلة الخير. وان طريق الاصلاح مفتوح.

صحيح ان مهمة من يريد ان يتصدى للاصلاح شديدة الصعوبة، لكنها ليست مستحيلة. وحين يكون الايمان صادقاً تتضاءل الصعوبات وتتراجع أمام عزيمة المؤمن الصادق.

■■ كيف نبدأ الطريق الى الاصلاح؟ وما هي الاساليب التي علينا ان نتبعها في الدعوة الى تعاليم الاسلام والى نبذ الممارسات المخالفة للاسلام في المجتمعات التي نعيش فيها؟.

ان خير قدوة يمكن ان يتطلع اليها الشباب المسلم وهو يبحث عن الطريق الى الاصلاح، وهو شخص النبي محمد ﴿ﷺ﴾ والاساليب التي اتبعها واستطاع بها ان يحوّل اهل الجاهلية من القبائل المتناحرة المتقاتلة، الى قوة حطمت الاكاسرة والقياصرة وما يمثلونه من ظلم واستبداد، ونشرت في ارجاء الارض اعظم وارقى ما عرفته الانسانية من المثل العليا، وارست دعائم الحق والخير والحرية واحترام آدمية الانسان.

هذا النبي ﴿ﷺ﴾ الذي كرمه الله اعظم تكريم في عشرات من آيات الذكر الحكيم، وقرن اسمه بلفظ الجلالة. قال تعالى:

● ﴿استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم﴾ - ٢٤ الانفال.

● ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح﴾ - ١٧٢ آل عمران.

● ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول﴾ - ٢٧ الأنفال.

● ﴿واعلموا ان ما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول﴾ - ٤١ الانفال.

● ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا﴾ - ٤٧ النور.

● ﴿فاذا تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول﴾ - ٥٩ النساء.

● ﴿ومن يطع الله والرسول فاولئك الذين أنعم الله عليهم﴾ - ٦٩ النساء.

● ﴿واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾ - ١٣٢ آل عمران.

● ﴿قل أطيعوا الله واطيعوا الرسول﴾ - ٥٤ النور.

● ﴿واطيعوا الله واطيعوا الرسول﴾ - ٥٩ النساء و٣٣ الدخان.

■ ثم جاء القول الفصل في الآية الكريمة:

● ﴿من يطع الرسول فقد اطاع الله﴾ - ٨٠ النساء.

■ هذا الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ الذي وضعه الله تعالى في هذا

المكان العظيم كيف بدأ الطريق، وما هي الاساليب التى اتبعها فى الدعوة الى دين الله؟.

■ لقد رسم الله تعالى لنبيه ﴿ﷺ﴾ الطريق، وحدد له الاساليب التى يتبعها فى الدعوة الى دينه. قال تعالى:

● ﴿لا اكراه فى الدين، قد تبين الرشد من الغي﴾ - ٢٥٦ البقرة

● ﴿وقل جاء الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ - ٢٩ الكهف.

● ﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هى أحسن﴾ ١٢٥ النحل.

● ﴿ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى أحسن﴾ ٤٦ العنكبوت.

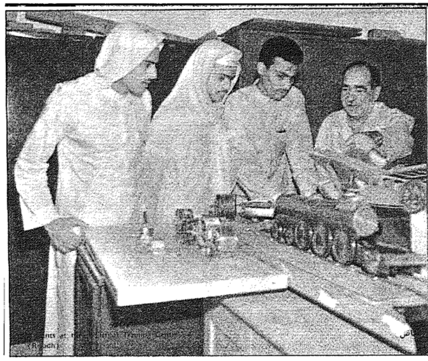
● ﴿ ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ ٣٤ فصلت

● ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ ١٥٩ آل عمران

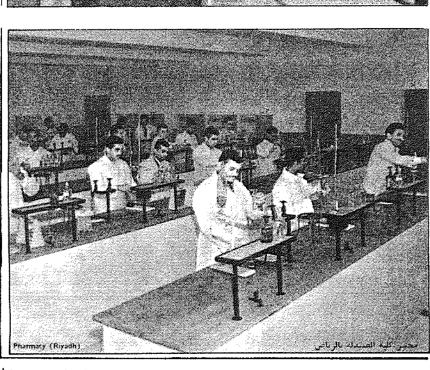
● ﴿فذكر انما انت مذكر، ليست عليهم بمسيطر﴾ ٢١و٢٢ الغاشية(٢).

■■ ان الابواب مفتوحة على مصراعيها امام الشباب المسلم ليؤدى اجل الخدمات لعقيدته وللمجتمع الذى يعيش فيه، باتباع آداب الدعوة متمثلة فى الابتعاد عن الاكراه والقسر، والدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتى هى أحسن، والدفع بالتى هى أحسن، والابتعاد عن الفظاظة وغلظة القلب، وعن الظهور بمظهر السيطرة والاستعلاء، واتخاذ هيئة المذكرين المتواضعين المتسامحين.

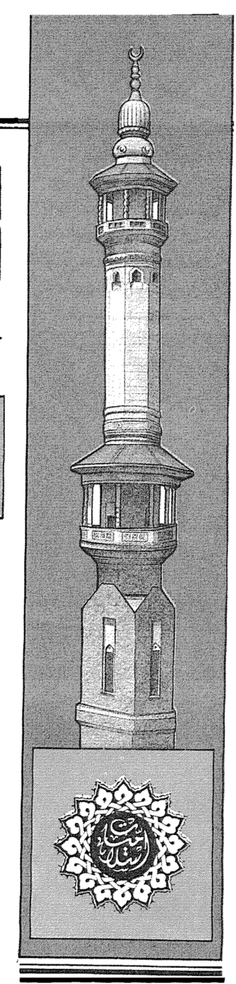
﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾



...nts at ... Training Centre (Riyadh)



Pharmacy (Riyadh) — مختبر كلية الصيدلة بالرياض



● نظم وأحكام ومبادىء الدين الاسلامى فيها من سعة الاف

● ينبغى على الشباب المسلم ان يكـون اكثر وعيـ

● الدعـوة الى الاستمـداد من القـرآن الكـريم والاهتـ

● جذور الدين متأصلة فى المسلمين ولا يضيرها فى شىء تصرفـ

الدعوة إلى القرآن

■ يجب علينا أن نستيقظ من سباتنا العميق لنستقبل حياة جديدة، ونتطلع الى المركز الذي ينبغى أن تكون فيه أمتنا الاسلامية، وننظر من خلال التاريخ الى ما كان لها فى سابق الزمان، تحت راية الاسلام، من صورة رائعة: قوة فى السلطان، وبسطة فى الأرض وحضارة زاهرة واستمتاع بطيبات العيش وزينة الحياة التى أخرج الله لعباده، ونتوق إلى أن يكون لنا فى حياتنا الجديدة مثل هذه الصورة الحافلة بكل مظاهر النشاط والحياة والقوة والعزة.

■ ولقد كان القرآن الكريم هدانا الذى اهتدينا به فى صدر الاسلام واستمددنا منه نشاطنا وحيويتنا. فكان لذلك الأثر الأكبر فى تلك الصورة الرائعة القوية التى كانت لها.

وليس من ريب فى أن القرآن الكريم سيظل أقوى مؤثر فى حياة أمتنا الاسلامية لأنه كتابها الدينى ومن واجب كل مخلص لدينه وأمته وإنسانيته أن يبذل جهده فى سبيل ذلك، لأن القرآن قد احتوى من النظم والقواعد والمبادىء والتلقينات ما من شأنه أن ينهض بها إلى ذرى الكمال فى كل مجال من مجالات الحياة، ويوجهها فى أحسن السبل وأشرفها وأنزهها وأعدلها وأتمها صفاء وسناء وكمالا وحقا، ولأن الدين الإسلامى الذى يمثله القرآن ليس ديناً روحيا أو أخلاقيا فحسب، كما هو حال جل الديانات الأخرى، بل هو دين كيان وسياسة ونظام وعمل وواقع، ثم هو دين إنسانية شاملة، وإمام عام سياسي واجتماعى، يدخل فى

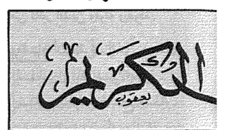
بقلم: احمد سعدى الفرندوانى
«اندونيسيا»

ـف والسمو ما نستطيع به أن تواجه كل جديد تفرزه الحياة الحديثة ونستوعب منه ما يسير على نهجها.

ـا بمسؤوليته ويتطلع إلى المركز الذى يجب ان تكون فيه أمتنا الاسلامية.

داء به تحتوى جميع عناصر الاستجابة لما احتواه من النظم والقواعد والمبادىء.

ات قلة ضلت طريق الهدى.



نطاقه الناس جميعهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم وطبقاتهم ومواطنهم فلا جرم أن يكون مدد أمتنا هذه فى حياتها الجديدة، تستمد منه نشاطها وفعاليتها وحيويتها، وتستبين منه صراطها المستقيم الذى تسير عليه فى شؤونها السياسية والاجتماعية والأخلاقية الشخصية حتى تكون لها تلك الصورة التى تتوق إليها والمركز الذي نتطلع إليه.

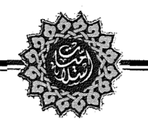
■ والدعوة الى الاستمداد من القرآن الكريم والاهتداء بهداه والسير عليه تحتوى جميع عناصر الاستجابة، لما احتواه من تلك النظم والقواعد والمبادىء والتلقينات ولا يستطيع أى فرد أن يرتاب فى قوتها وتأثيرها النافذ العميق فى نفس الأمة، إذا ما صدرت عن قوة وجد وإيمان وحسن فهم.

وقد يقول قائل: «ما بالنا ندعو إلى الرجعة الى الوراء أربعة عشر قرناً بينما العالم يتقدم طائراً الى الأمام؟ وما بالنا نبقى في الاطار الشرقي القديم الضيق، والتعاليم التي أفقدتها قدسيتها المرونة والحركة وقابلية التطور وأن نجمد على ذلك فى حين يجب أن تشتد الدعوة الى الانطلاق التام ثم إلى التغرب واعتناق أساليب الغرب فى كل ناحية من نواحي الحياة، لأنها هي الأفق الأوسع القائم على العلم والتجربة، والضامنة لحرية الفكر وانطلاق العقل والتجدد المستمر، دون ما عائق من دين وعقبة من تقليد قديم، ولأن الجمود أمامها، إنما يؤدى الى الانكسار والخذلان واندقاق العنق والبقاء فى الضعف والذل والمهانة والغباء، وتحت وطأة الغربيين واستغلالهم؟.»

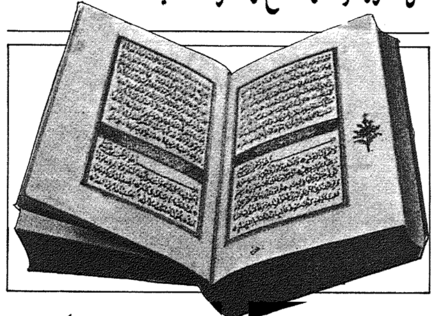
فنحن نقول له:

إننا إذ ندعو الى القرآن الكريم الذي نزل قبل أربعة عشر قرناً لا ندعو إلى رجعة وقهقرى، وإنما إلى تجديد وثورة على ما نحن فيه من جمود، لأنه قد انطوى على سعة من الأفق ومرونة فى التطبيق وسمو فى الأسس والأهداف ما يكفل تقدمنا إلى الأمام قدماً، إذا نحن تفهمناه وسرنا عليه.

إنه لا يمكن لأي كان أن يدعي صادقاً بأن أي عصر استطاع أن يتفلت من تأثير المثل العليا والأفكار الفلسفية الإصلاحية والأخلاقية والاجتماعية والإنسانية التى ألهمتها الأديان والفلاسفة النبهاء منذ القديم. وان مما لا يمكن أن ينكر أن ما عند الغرب اليوم من آداب وأفكار ونظريات ومثل وفلسفة، بل ونظم وتقاليد يرجع كثير منها الى ذلك القديم. وإن الدعوة الى استلهام القديم لا يمكن أن تكون شاذة أو دعوة الى القهقرى دائماً، لأن البشرية سلسلة متصلة الحلقات وأجيال متواثقة الصلات يمد



● التفكير المادى الذى طغى على الحياة الغربية كاد يعطل فى الناس كل شعور الرحمة والتسامح والاخوة الانسانية.



بعضها بعضا، ويرث بعضها بعضا، وتظل أولاها ممتزجة بأخراها، وأخراها مقتبسة من أولاها. وإن القول بغير ذلك هو تجاهل للحقائق والوقائع، وتحكم لا مبرر له ولا سند.

ثالثاً: إن من الحقائق التى لا يُمارى فيها، أن النظام شىء وتطبيقه شىء آخر. وإن عدم تطبيق نظام ما لا ينتج عنه دائماً عدم صلاح ذلك النظام. وإن شذوذ أمة أو جماعة أو حكومة فى ظرف ما عن الطريق القويم وارتكاسها فى الفوضى والعماء والمنكرات لا يتأتى دائماً عن عدم صلاح ما عندها من نظم وتقاليد، وإنه كثيراً ما يتأتى عن عوامل متنوعة أخلاقية واجتماعية وسياسية وداخلية وخارجية ونفسية واقتصادية وإن هذا ليس محصوراً فى بلد دون بلد، ولا فى دولة دون دولة، ولا فى زمن دون زمن، بل هو شىء ممكن الحدوث فى كل بلد وفى كل دولة وفى كل زمن، وإن التذكير الذى ندعو إليه إنما يرمي الى تفهم واستجلاء ما فى القرآن الكريم من أهداف ونظم ومبادىء وقواعد؛ والتنبيه على ما فيه من سمو وصلاحية، لا يمارى فى فائدة الاستلهام منها والرجوع إليها فى يقظتنا الجديدة إلا مكابر أو مغرض.

رابعاً: إننا نقول مساجلة إن جذور الدين متأصلة فى الناس تأصلا لا يمكن لأى قوة أو دعوة أن تقتلعها منهم وان وجود واحد فى كل مائة ألف أو خمسين ألفاً يفكر هذا التفكير الذى يفكر به المعترضون ـ لا يعنى أن الناس يمكن أن يتفلتوا من تأثير الدين وقوته ونفوذه.

وما دام أن القرآن الذى هو كتاب المسلمين المقدس عامة ـ بين أيديهم يتلونه صباح مساء.. ويعتقدون بأنه نبراسهم ومرجعهم.. وفيه من النظم والمبادىء والقواعد والتقاليد والأحكام والتلقينات ما يمس جميع نواحى حياتهم بمقياس أوسع كثيراً مما فى أى كتاب دين مقدس آخر، فإن صلتهم به وتأثيره فيهم لا يمكن أن ينقطع مهما تقلبت الظروف وتطورت الأحوال.

وما دام أن فى هذه القواعد والنظم والمبادىء والتقاليد والأحكام والتلقينات من المرونة وسعة الأفق والسمو والإحاطة ما فيها، فإن من الخير كل الخير أن تشتد الدعوة إلى تفهمها والاستبصار بها والاستمداد منها.

■■ وإن من الشر كل الشر أن يترك السواد الأعظم الذي يدين بالقرآن ويقدسه ويتأثر به فى غفلة وجهل وعماء عما فيه، يستغلهم

المستغلون ويتحكم فيهم الجامدون. وإن في انتشار هذه الدعوة بين المثقفين خاصة لمن شأنه أن يجعلهم أصحاب التأثير، وأن يمكنهم من قيادة هذا السواد الأعظم وتوجيهه الى ما فيه الخير والحق والصلاح والقوة والنور.

إن فى تلك النظم والمبادىء والأهداف والتلقينات من المرونة وسعة الأفق والسمو وتوخي الصلاح، ما يبيح اقتباس ما هو صالح نافع من أي كان، وما يدعو بكل قوة الى الأخذ بأحسن الوسائل، والاستعداد فى كل ناحية من نواحي الحياة، وإثارة الهمم وإيقاظ الضمائر وتحريك النشاط فى الناس وبعبارة أخرى: ما يدعو بكل قوة الى كل ما فيه كمال الانسانية وخيرها وتقدمها ورفعتها.. وما يفتح الطريق واسعاً ليقوم بنيان الأمة وكيانها على التفكير الحر والعلم دون عائق.

سادساً: إن الخوف من خطر إقامة بنيان على تعاليم ونظم مستمدة من الدين ومن استلهام هذه التعاليم والنظم إنما يكون صحيحاً حينما تدعو الى التعصب المذموم والجمود الضار.. وتقف عثرة فى سبيل الإصلاح والصلاح والتجدد

● إن شذوذ أمة أو جماعة فى ظرف ما عن الطريق القويم وارتكاسها فى الفوضى والمنكرات لا يتأتى عن عدم صلاح ما عندها من نظم وتقاليد، وانه كثيراً ما يتأتى عن عوامل متنوعة.

والاقتباس.. وتحدد للناس جزئيات حياتهم وأشكالها وكيفياتها.. وتحد من نشاطهم وحيويتهم.. وتضطرهم إلى البقاء ضمن نطاق ضيق جامد.. وكل هذا منتف كل الانتفاء من التعاليم والنظم والمبادىء والأهداف العامة التى انطوت فى القرآن الكريم.

سابعاً: إن المادية والتفكير المادي قد طغى على المدنية الغربية حتى كاد يكون صبغة عامة لها.. وحتى كاد يعطل فى الناس شعور الرحمة والبر والتسامح والوئام والأخوة الانسانية.. وحتى كاد يميت فى الانسان ـ أو هو أماته فعلا ـ الضمير الذى يمكن أن يمد صاحبه بنوازع الخير والبر والحق والإحسان والإنصاف.

وحتى صار وجه الحياة الانسانية كالحاً وصارت الحياة جحيما لا يطاق ـ لأن ميزانها الوحيد هو المادة وما تنتجه من قسوة وتناحر وأنانية.. وجشع وضعف شعور.. واستغراق فى الشهوات.. وتحله من روابط التقاليد والآداب الكريمة والعواطف الانسانية، وتبيحه من الوسائل فى سبيل تحقيق نزوات النفوس ومطامعها ورغباتها التى تمليها تلك الصبغة ولأن التوازن قد انفقد بالمرة «تقريباً» بين الروح والمادة،

والقلب والعقل والعاطفة والعلم، مما أقض مضاجع العلماء والباحثين الاجتماعيين فى الغرب نفسه.

■ فمن الحق والخير أن نعمل جميعاً على إيجاد التوازن بين.. الروح والمادة.. والقلب والعقل.. والعاطفة والعلم.. وأن ننتفع بعثرات الغرب المادية وعيوبه ونعتبر بها، وأن نغذى ضمير الانسانية بما فيه نوازع الخير والبر ـ والرحمة والعفو والتسامح والحق والعدل والاحسان والإنسانية والدعوة التى ندعو إليها كفيلة بكل ذلك. ومن أجل هذا نتمنى أن تشتد، والله من وراء القصد.

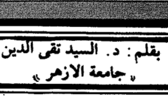
المثل الأعلى للانسـ

يرسم القرآن الكريم صورة مشرقة للانسان الناضج فى سلوكه وأقواله وأفعاله فيرى أنه لابد أن تتوافر فى هذا الانسان أمور عدة هى: الايمان ـ الانفاق فى سبيل الله ـ اقامة الصلاة ـ ايتاء الزكاة ـ الوفاء بالعهود ـ الصبر فى البأساء والضراء وحين البأس.

■ وعند التأمل فى هذه الأمور نجد أن بعضها يربط الانسان بالملأ الأعلى فهو مؤمن موحد مؤد شرائع الله وأحكامه، وبعضها يتصل بالمجتمع الذى يعيش فيه ويسعد بسعادته ويشقى بشقائه فهو انسان لا يعيش لنفسه وحسب بل يمد يد العون والمساعدة لاخوانه فى الانسانية على اختلاف مللهم ونحلهم لأنهم جميعا عباد الله رب العالمين.. وبعض هذه الأمور مما يشيع الثقة بين الناس ويزرع المحبة فى المجتمعات. ويأتى على قمة هذه الأمور فضلا عن الانفاق والزكاة يأتى الوفاء بالعهد وفى الأخير يأتى المحك الحقيقى لكل ما تقدم ـ يأتى الاختبار العملى فى أحلك المواقف وأقساها ليكون برهانا صادقا بل ونتيجة منطقية لكل ما تقدم ذلك أن الصابر فى



البأساء والضراء وحين البأس لا يكون الا ذلك المؤمن الذى باع نفسه وماله لله أولا ثم للانسانية ثانيا. ومن هنا نرى ان القرآن الكريم قد قدم النموذج البشرى الذى ينبغى أن يطمح اليه الانسان فى قوله تعالى: ﴿***ليس البرّ أن تُولوا وجوهَكُم قِبَلَ المشرقِ والمغربِ ولكنَّ البرَّ مَنْ آمن بالله واليومِ الآخرِ والملائكةِ والكتابِ والنبيين وآتى المال على حُبِّه ذوى***



بقلم: د. السيد تقى الدين
« جامعة الازهر »

...ات في القرآن الكريم

القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ .

والبر اسم جامع للطاعات وأعمال الخير المقرِّبة الي الله ومنه بر الوالدين وهو استرضاؤهم بكل ما أمكن.

■ البر الذي يجب صرف المهمة اليه بر من آمن وقام بهذه الاعمال:

أولا: الايمان بالله وباليوم الآخر وبالملائكة وبالكتب السماوية وبالنبيين.

ثانيا: ايتاء المال على حبه أى على حب المال فعن أبي هريرة أنه قيل لرسول الله ﴿ﷺ﴾ أي الصدقة خير، قال أن تتصدق وأنت صحيح حريص تأمل البقاء وتخشى الفقر ولا تهمل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا. وعن أبي الدرداء أنه ﴿ﷺ﴾ قال: مثل الذي تصدق عند الموت مثل الذي يهدى بعد ما شبع.. والسبب انه عند الصحة يحصل ظن الحاجة الى المال وعند ظن الموت يحصل الاستغناء.. وبذل الشيء عند الاحتياج أدل على الطاعة من بذله عند الاستغناء عنه.. والاعطاء عند الصحة أدل على كونه متيقنا بالوعد والوعيد من اعطائه حال المرض والموت.

ثم ذكر تعالى ممن يؤتون المال أصنافا ستة **(القرابة - اليتامى - المساكين - ابن السبيل - السائلين - المكاتبين)**.

أما الثالث والرابع: من الاعمال التي ينبغي أن يقوم بها الانسان ليكون بارا ومن ثم يكون نموذجا بشريا يقتدى به فهما: اقامة الصلاة وايتاء الزكاة.

■ لقد ذكر الله سابقا ايتاء المال على حبه ثم قفّا بايتاء الزكاة ومن حق المعطوف أن يغاير المعطوف عليه فأكد الظن أن في المال حقا سوى الزكاة وكيف لا وقد اكتنف الايتاء فرضان هما: الايمان واقامة الصلاة، وقال صلى الله عليه وسلم: لا يؤمن بالله واليوم الآخر من بات شبعان وجاره طاو الى جنبه.. ولا خلاف أنه اذا انتهت الحاجة الى الضرورة وجب على الناس أن يعطوه مقدار دفع الضرورة وان لم تكن الزكاة واجبة عليهم ولو امتنعوا من الاعطاء جاز الاخذ منهم قهرا.

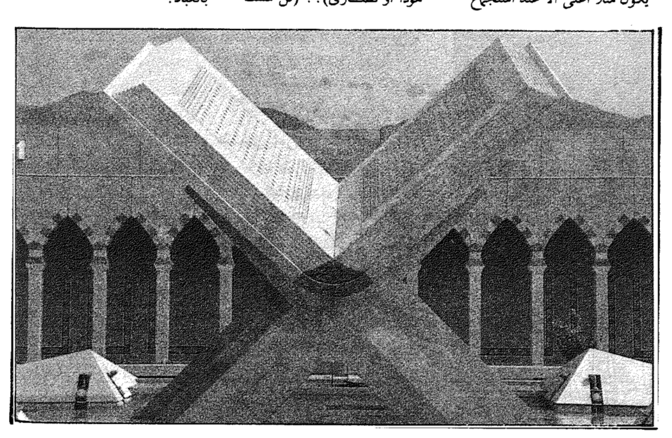
الخامس: والموفون بعهدهم اذا عاهدوا. والمراد بالعهد ما أخذه الله من العهود على عباده بقولهم وعلى ألسنة رسله اليهم بالقيام بحدوده والعمل بطاعته فقبل العباد ذلك حيث آمنوا بالأنبياء والكتب، ويندرج فيه ما يلتزمه المكلف ابتداء من تلقاء نفسه مما يكون بينه وبين الله كالنذور والأيمان أو بينه وبين رسول الله ﴿ﷺ﴾ كبيعة الرضوان - بايعوه على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره.. وعلى ألا يقولوا الا بالحق أينما كانوا لا يخافون في الله لومة لائم.. أو بينه وبين الناس واجبا كعقود البيع والشراء وغيرهما أو مندوبا كالمواعيد



ـ ولهـذا قال المفسرون ههنا: هم الذين اذا وعدوا أنجزوا واذا حلفوا أو نذروا أوفوا واذا ائتمنوا أدوا واذا قالوا صدقوا.

الصـابرين فى البأساء والضـراء وحـين البأس تلك هى صفات الانسان الكامل فى القرآن الكـريم للانسـان الذى يُعَدّ مثلا أعـلا لابـد أن تجتمـع فيـه هذه الاوصاف ومن قام بواحدة منها لم يستحق الوصف بالبر فلا ينبغى أن يظن الانسان أن الموفى بعهده من جملة من قام بالبر وكذا الصابر فى البأساء بل لا يكون قائما بالبر ولا يكون مثلا أعلى الا عند استجماع هذه الخصال حتى قال بعضهم ان البر من خواص الأنبياء.

■ والحق أنـه ليس بمستبعـد أن يوجد فى الأمة موصوف بالبر يكون مثلا أعلى يُحتذى به لأن كمال البر لا يكون الا فى النبى ولا سيما نبينا محمد ﴿ﷺ﴾ ـ ثم ان أهل الكتاب كما أخَلُّوا بجميـع أوصـاف الـبر أخلوا بالايمان بالله «**وقالت اليهودُ عُزيزٌ ابن الله.. وقالت النصارى المسيحُ ابن الله**» و«**قالت اليهود يدُ اللهِ مغلولة**».. وذهبت اليهود الى التجسيم والنصـارى الى الحلول والاتحاد وأنكروا المعاد الجثمانى.. وقالوا (لن يدخل الجنَّة الا مَنْ كان هوداً أو نصـارى).. (لن تمسنـا النارُ الا أياماً معدودة.. وقالوا ان جبريـل عدونـا وكفـروا بالكتب السـماوية ﴿**أفتؤمنـون ببعض الكتـاب وتكفـرون ببعض**﴾.. وقتلوا النبيـين وطعنوا فى نبوة سيد المرسلين.. واتسموا بسمة الشح حتى (اشـتروا بآيـات الله ثمنـا قليلا).. ونقضوا العهود (أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم).. ولم يصـبروا فى اللأواء (لن نصـبر على طعام واحد) ولا حين البأس (اذهب أنت وربـك فقاتلا انا ها هنـا قاعـدون).. فالعجب كل العجب فيهم أن ادعـوا الـبر ولا شىء من البر فيهم والله بصير بالعباد.



تصوير القرآن الكريم لحرفة الزراعة

د. على على صبح / الازهر

القرآن الكريم حينما يصور مهنة الزراعة يعطيها اهتماما بالغا أكثر من غيرها، من التجارة والصناعة والصيد لأن الزراعة هى المصدر الأول لمواد الغذاء عند الانسان والحيوان على السواء - بل قد تكون مصدرا كبيرا من مصادر الصناعة الحديثة فى المواد الغذائية.. ولأنها أيضا عمل مبارك كثير الخير والنماء اذا أفاضت الأرض والسماء بخيراتها.. وتمثل أبرز خصائص التوكل على الله وذلك من يوم أن توضع البذرة فى الأرض حتى يصل حصادها إلى أيدى الناس لتكون غذاء شهيا يعين على طاعة الله عز وجل.. لذلك يقول النبى ﷺ «ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فتأكل منه طير أو انسان أو بهيمة إلا كان له صدقة».

ويصور القرآن الكريم الزراعة



ليقيم من خلالها منهجا تشريعيا أخلاقيا يجدد فيها القيم الإنسانية النبيلة التى يتعامل بها الإنسان مع ربه عز وجل ومع أخيه الإنسان ومع الطير والحيوان وكل روح خلقها الله عز وجل لتظل هذه القيم السامية مع الزارع فى كل عصر وجيل، فهى باقية مع تطور الآلات الزراعية من جيل إلى آخر ومن زمن إلى زمن فالآلات الزراعية تتطور وتتغير حسب الظروف والتقدم الحضارى، لكن القيم الأخلاقية التى شرعها القرآن خالدة لا تتغير ولا تتبدل بل تظل صالحة لكل الأجيال والأزمان؛ لأنها هى المنهج الذى تدور عليه الحياة ليضع فى كل مجتمع سلوكا





يتناسب مع ظروفه وعصره الحضارى.

■ وموضع الحديث هنا مهنة الزراعة من خلال التصوير القرآنى فقط دون الحديث الشريف فله مجال آخر.

يحث القرآن الكريم المعجز على تعمير الأرض واستغلالها بالزراعة فتنشق عن عطائها الموفور من الحبوب والبقول والفواكه والخضروات والمراعى.. والنخيل والأعناب.. والزيتون والرمان.. والتين والأشجار. ليتأمل الانسان فى نعم الله وخيراته فيشكره ويثنى عليه.

قال تعالى: ﴿فلينظر الانسانُ إلى طعامِهِ أنّا صَبَبنا الماء صبّاً ثم شققنا الأرضَ شقّا فأنبتنا فيها حبّاً وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبّا متاعا لكم ولأنعامكم﴾.. وقال تعالى: ﴿وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضراً نُخرجُ منه حبّاً متراكبا ومن النخل من طلعها قِنوان دانيةٌ وجناتٍ من أعنابٍ والزيتونَ والرمانَ متشابهاً وغيرَ متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إنّ فى ذلكم لآياتٍ لقوم يؤمنون﴾.. وقال تعالى ﴿وهو الذى أنشأ جنات معروشاتٍ وغيرَ معروشاتٍ والنخلَ والزرعَ مُختلفاً أُكلهُ والزيتونَ والرمانَ متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتو حقّه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾.. وقال تعالى: ﴿هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شرابٌ ومنه شجرٌ فيه تُسيمون يُنبتُ لكم به الزرع والزيتونَ والنخيلَ والأعنابَ ومن كلِّ الثمراتِ إنّ فى ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون﴾.. وقال تعالى: ﴿وفى الأرض قِطع متجاوراتٌ وجنات من أعنابٍ وزرعٍ ونخيلٍ صنوان وغير صنوان يُسْقى بماء واحدٍ ونفضل بعضها على بعضٍ فى الأكُل. إنّ فى ذلك لآياتٍ لقوم يعقلون﴾.. ويقول تعالى: ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسِى وأنبتنا فيها من كلِّ زوج بهيج تَبصِرة وذكرى لكلِّ عبدٍ مُنيب، ونزّلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحبَّ الحصيد، والنخلَ باسقاتٍ لها طلعٌ نضيد رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج﴾.. ويقول تعالى: ﴿أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾.. ويقول تعالى: ﴿ألم تر أن الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيعَ فى الأرضِ ثم يُخرجُ به زرعاً مختلفاً ألوانُهُ ثم يهيج فتراه مُصفَرا ثم يجعله حُطاما إنّ فى ذلك لذكرى لأولى الألباب﴾.

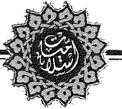
■ ويصور القرآن الكريم الزراعة فى مجال الاختبار والفتنة فمن أدى شكر هذه النعمة لا يتعرض لمحنة الله وعذابه فى الدنيا والآخرة لأنه وفى حق الله فيها وأحسن ولايته عليها فيضاعف له العطاء فى الدنيا والآخرة ومن لم يؤد شكر هذه النعمة باتباع ما أمر الله تعالى

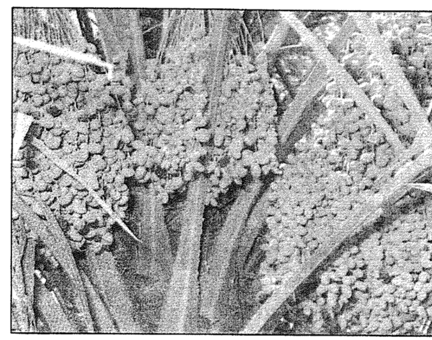
واجتنـاب ما نهى عنه أصبحت نقمـة عليـه تجلب له الغضب والعذاب الأليم فى الدنيا والآخرة قال تعـالى يصـور ذلـك فى بيان معجـز خلاب : ﴿ومثـلُ الـذين يُنفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصـابها وابل فآتت أُكلها ضعفين فإن لم يصبهـا وابل فطل والله بما تعملون بصـير ـ أيود أحدُكم أن تكون له جنّةٌ من نخيلٍ وأعنابٍ تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمـرات وأصـابـه الكبرُ وله ذريةٌ ضعفاء فأصابها إعصارٌ فيه نار فاحترقتْ كذلك يُبيِّنُ اللهُ لكم الآياتِ لعلكم تتفكرون﴾ .

ويقول تعالى : ﴿لقد كان لسبأ فى مسكنهم آيـة جنتـان عن يمين وشـمال كُلُوا من رزقِ ربِّـكـم واشـكـروا له بلدة طيبـةٌ وربٌّ غفـور، فأعرضُوا فأرسلنا عليهم سيل العرمِ وبّدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتىْ أُكُل خمطٍ وأثْل وشىء من سِدْرٍ قليل ـ ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نُجازى إلا الكفور﴾ .

ويقـول فى قصـة الـرجلين ابتـلاهما الله عز وجـل أحـدهما بالفقـر فصـبر فرضى اللهُ عنـه والآخر بالمال والولد وجنات تجرى من تحتهـا الأنهار فأغواه الشيطانُ ونسى الـرحمنَ ولم يشكر ربه على نعمه فغضب اللهُ عليه بل أشرك به وليس بعد الشرك ذنب فأحبط اللهُ عمله فى الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿واضربْ لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحـدهما جنتـين من أعنـابٍ وحففنـاهما بنخـلٍ وجعلنـا بينهما زرعا ـ كلتا الجنتين آتتْ أُكلها ولم تظلم منه شيئا وفجَّرنا خلالهما نهرا وكـان له ثمـر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنـا أكثـرُ منـك مالا وأعزُّ نفرا﴾ . . ﴿ولولا إذ دخلتَ جنتك قلت ما شاء اللهُ لا قوة إلا بالله إنْ ترنِ أنا أقلَّ منك مالاً وولدا فعسى ربى أن يؤتـين خيراً من جنتـك ويُـرسِلَ عليها حُسْبانا من السماء فتُصبِـحَ صعيـدا زلقا، أو يُصْبح ماؤهـا غورا فلن تستطيع له طلبا وأحيـط بثمره فأصبح يُقلِّبُ كفيه على ما أنفق فيها وهى خاويةٌ على عروشهـا ويقول ياليتنى لم أشركْ بربى أحدا ولم تكن له فئةٌ ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا﴾ . . ﴿واضـرب لهم مثـل الحياة الدنيا كماء أنـزلناه من السماء فاختلط به نباتُ الأرض فأصبح هشيما تذروه الـرياحُ وكان الله على كل شىء مقتـدرا المال والبنون زينة الحياة الـدنيـا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا﴾ .

■ وكـذلـك حين يصـور القـرآن أصحـاب الجنـة فى قولـه تعالى : ﴿إنَّـا بلونـاهم كما بلونا أصحابَ الجنَّة إذ أقسموا ليصرمُنَّها مصبحين ـ ولا يستثنـون ـ فطـاف عليهـا طائفٌ من ربـك وهم نائمـون. فأصبحتْ كالصـريم، فتنـادوا مُصبحين أن اغدُوا على حرثكم إن كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون ألَّا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حردٍ قادرين، فلما رأوهـا قالوا إنَّا لضالون، بل نحن محرومـون قال أوسطهُم ألَمْ





أقـلْ لكم لولا تُسبِّحـون قالـوا سبحـانَ ربُّنا إنَّا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على بعض يتـلاومـون، قالوا يا ويلنا إنَّا كنا طاغين، عسى ربُّنا أن يُبدلنا خيراً منها إنَّا إلى ربِّنا راغبون، كذلك العذابُ ولعذابُ الآخرةِ أكبرُ لو كانوا يعلمون﴾.

■ ورؤيا الملك التى فسرها يوسف عليه السلام بأن يستمر الناس فى الزراعة سبع سنين وتظل الحبوب فى سنابلها ومخزنها الطبيعى محفوظة من الآفات والحشرات لكى يقاوم الجدب الذى سيحدث فى المستقبل بإرادة الله عز وجـل وهى تُعـدّ معجـزة ليوسف عليه السلام وهنا يشـرع القـرآن الكـريم الادخـار لتوقع واحتمال النقصان فى السنين العجاف: قال تعالى:

﴿قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصـدتم فذروه فى سُنبله إلا قليلا مما تأكلون، ثم يأتى من بعد ذلـك سبعٌ شدادٌ يأكُلْنَ ما قدمتم لهنّ إلا قليلا مما تُحصِنون، ثم يأتى من بعد ذلك عامٌ فيه يُغَاثُ الناسُ وفيه يعصِرون﴾.

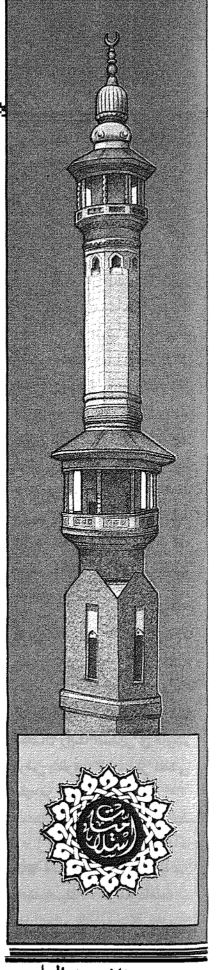
■ وتلقيح الزروع لكى تثمر بعد ازهـارهـا قرره القـرآن قبـل أن ينكشف فى علوم الأحياء منذ خمسة عشر قرنا، ويحدث التلقيح تلقائيا عن طريق الرياح واحتكاك الزهور بعضهـا ببعض لتكـون الثمـرة ناضجـة على أتم وجـه يقـول تعالى: ﴿والأرضَ مددناها وألقينا فيهـا رواسِيَ وأنبتنـا فيها من كلِّ شيء موزون، وجعلنـا لكم فيها معايش ومَنْ لستم له برازقين وإن من شيء إلا عندنا خزائنُهُ وما نُنزلُهُ إلا بقـدر معلوم، وأرسلنا الرياح لواقـح فأنـزلنـا من السـماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾.

■ أما دعوة خليل الله إبراهيم عليه السلام المستجابة وطلبه من الله عز وجـل ان يعمر الله أرض الجزيرة الجدباء، وتلك الصحراء بالزروع والثمار فتحـولت تلك الجبال إلى زروع وثمار وأفاض الله عليها من بركات السماء وكل يوم جديد ترى بقعة جديدة عامرة بالثمار والزروع وستظل دعوة إبراهيم باقية مباركة فيها إلى يوم القيامة قال تعالى:

﴿ربنا إنى أسكنتُ من ذريتى بوادٍ غير ذى زرعٍ عنـد بيتـكَ المحرَّم ربنًا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئـدة من النـاسِ تهوى إليهم وارْزُقهُم من الثمراتِ لعلَّهم يشكرون﴾.

■ وهذه هى القيم الأخلاقية لمهنة الـزراعـة التى جاء بها القـرآن الكـريم.. أما فقه المزارعة وباب إحياء الموات من الأرض وغير ذلك مما يتصـل بالـزراعـة فقـد تولى الحديث الشريف والفقه الإسلامى شرحـه بالتفصيـل فى نظـام فريد شهـد به وبـدقـة أحكـامه أعداء الإسلام والفضل ما شهدت به الأعداء.

السخرية في القرآن الكريم

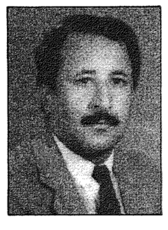


د. عدنان عبيد العلي
« البصرة »

استخـدم القـرآن الكـريم السخرية ومشتقاتها ومرادفها العام فى مواضـع كثـيرة من آيه الكريم باختلاف فى الاسباب والغايات. اما لفظة السخرية ومشتقاتها فقد ذكـرت ثلاث عشـرة مرة ـ وهـو استخدام يتفق والطبيعة البشرية التى نزل لمخـاطبتها وتـوجيهها وليـسـت هي ممثلة لذات الله. فالقرآن فى السخـريـة وفي غيرها يمثـل الموقف والصراع البشريين باختـلاف وسـائله وأسلحتـه فى الدفاع والمواجهة، والمقابلة بالمثل أو بالهجوم حين يقتضي الموقف ذلك.

■ امـا المرادفات العامة للسخرية فقد استعملها القرآن الكريم وفق الاعـداد التـاليـة(١): بسم (١) ضحك (١٠) فكه (٥) هزل (١) هزىء (٣٢).

●● ان القـرآن الكـريم قد أباح السـخـريـة، والهـزء بلفظهـا ومفهـومهـا غير القـائمين على التجريح.. ولكن لفظة السخرية



كانت اكثر اباحة فى الاستعمال ضد من سخـر منهم، ولكنهـا اباحـة محدودة بغـايات مشروعة وأسباب معقولة فهى فى الاستخدام القرآني جاءت لاغـراض الجـزاء.. أو الدفاع.. والتقويم.

■■ اما مرادفاتها العامة ـ باستثناء بسم ـ فقد اقترنت ـ غالبا ـ بالجهل كالضحك والفكاهة والهزل. غير ان ما يلفـت النظـر ان القـرآن الكـريـم لم يستعمـل الهجـاء ومشتقـاتـه. قال تعالى فى سخره الجزائى عن النبى نوح وقـومـه: ﴿ويصنع الفُلْكَ وكلّما مَرَّ عليه ملأ من قومـه سخـروا منه قال: إنْ



تسخروا مِنّا فإنّا نسخرُ منكم كما تسخرون﴾(٢) . . وهي سخرية قابلت الفعل بمثله . وفي الاستهزاء قال في وصف المنافقين : ﴿واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنّما نحن مستهزئون، الله يستهزىء بهم ويمُدّهم في طغيانهم يعمهون﴾ .

وقد امتازت سخرية القرآن الكريم بالايجاز والتسامي والدعوة الى التفكير. فنقلت الهجاء العربي في الشعر من التهكم الساذج والتنابذ الطفولي الذي كان منصبا على العيوب الجسمانية، أو الفقر، أو الاستضعاف الاجتماعي، والطبقي الى السخرية العقائدية والفكرية والاخلاقية - فنهى عن السخرية الاعتدائية المتطاولة في قوله: ﴿لا يسخر قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيرا منهم﴾ .

■ اما آيات السخرية بالمعنى فكانت اكثر عدداً، واستخداما ففي معرض السخرية من العقيدة الوثنية قوله: ﴿أفرأيتم اللاتَ والعُزّى ومناة الثالثةَ الأخرى ألكُم الذكرَ وله الأنثى تلك إذن قسمةٌ ضيزى﴾ .

■ وفي السخرية من حجة المشركين الواهية واستدلالهم الساذج على صحة عقيدتهم قوله تعالى: ﴿إنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون﴾ .

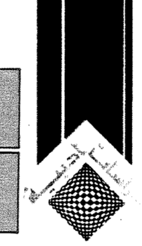
■ وفي السخرية من اعمال الكافرين: ﴿مثل الذين كفروا بربّهم أعمالهم كرماد اشتدتْ به الريحُ في يومٍ عاصفٍ لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد﴾ . . وقوله: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعةٍ يحسبه الظمآنُ ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا﴾ . . ﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلاّ دعاء ونداء صُمّ بُكمٌ عُميٌ فهم لا يعقلون﴾ أو قوله: ﴿اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم﴾ .

■ وسخر من الذين اتخذوا من دون الله منهجا في قوله: ﴿مَثَلُ الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوتِ اتخذتْ بيتاً وإنّ أوهَنَ البيوتِ لبيتُ العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾ . او قوله: ﴿والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسطِ كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه﴾ . وسخر من اليهود سخرية مرة لاذعة في قوله: ﴿مثل الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثلِ الحمارِ يحمل أسفارا﴾ .

●● وكان للمنافقين نصيب وافر من سخرية القرآنالكريم ، وفيهم قال: ﴿واذا رأيتهم تُعْجِبُكَ أجسامُهُم وان يقولوا تسمعْ لقولهم كأنّهم خُشُبٌ مُسَنَّدة يحسبون كلُّ صيحةٍ عليهم﴾ . وفي موضع آخر قال: ﴿ولكنهم قومٌ يَفْرقُون لو يجدون ملجأ أو مغاراتٍ أو مُدَّخلاً لولوا إليه وهم يجمحون﴾ فهم ﴿أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد﴾ .

■ كما سخر من الجبناء الرعاديد الذين يخشون من وجود (اسم) القتال في الآية القرآنية: ﴿فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم﴾ .

●● اما مرادفات السخرية من الضحك . . والفكاهة . . والهزء . . فلم يستخدمها للاغراض السابقة .



مهمة الأدب ووظائفه الاجتماعية والتعبيرية

حينما نحاول تناول الأدب بالدرس والتحليل تواجهنا عقبات كئود، فلا ندرى أهذه المهمة فى غاية الخطورة أم أنها فى سهولة ويسر على كل باحث فى هذا المجال. ولكن بإمعاننا النظر فى القضية يمكن أن تكون إشكالا شائكا لأنه لا يمكن أن نتصور أدبا سهلا نذعن له أو نرضى عليه بهذه السهولة دون مناقشة أو تمحيص لقضاياه الفكرية، وإشكالاته المنهجية.

الغلاب سعيد
المغرب

■ إن الأمر ليس سهلا كما يظنه بعض الدارسين بل يحتاج إلى عمق نظر وتبصر بجلاء لكل ما يتعلق بهذا الأدب على المستويين الابداعي والتاريخي.

لقد كلف الأدب أصحابه جهدا وعناء حتى صار منقحا منظما ورغم ما كلف أصحابه من الجهد، لكننا ظفرنا بشيء ذى بال وقيمة حينما تعرفنا على قضاياه وإشكالاته، كيف نشأ وترعرع بين أحضان الأدباء بإنتاجهم الفكري وإسهاماتهم المتنوعة التى قدموها على طبق الانتاج والخلق والعطاء.

كل هذا أدركناه وفهمناه ورضينا به أبلغ الرضى من تاريخ وجود الأدب إلى نهاية مجال الابداع الأدبى وسيرورته. لكن الأمر يتعلق ببعض الجوانب المبهمة على بعض الناس الذين لا يعتبرون الأدب فى شيء وهم لا يزالون يعتقدون أن الأدب ليس له دخل فى الحياة الاجتماعية ولا يساهم فى تقدم الانسانية بقليل ولا كثير؟.

■ فالاجابة على هذا التساؤل يستمد استراتيجيته من الأدب نفسه ومن وظيفته الأساسية فى الحياة، فالأدب هو أولا وقبل كل شيء تعبير عن النفس، عن قيم شعورية فى صور موحية ولذا فمن البديهى أن تتأثر الذات بالمحيط الخارجى فتتخذ بذلك موقفا خاصا من الانسان نفسه ومن المجتمع.

فليست مهمة الأدب مقتصرة على جانب دون آخر بل شملت مناحى الحياة بأجمعها، فالانسان مزود بحمولة لغوية وما أشد حاجته للتعبير عن رؤاه، ومواقفه وهو مضطر إلى ذلك لأن هناك ضرورة حتمت عليه ذلك. فلو عدنا أدراجا إلى التاريخ ذاته ليشهد معنا أو لنا على أن الشاعر كان يطلق عنان لسانه لقول الشعر ويتعاطى لفن الكلمة لأنه يجد فى ذلك تلذذا ورغبة فى قول الشعر والتعبير عن النفس ثم البيئة المحيطة به.



■ والأديب بدوره فى حاجة الى الأدب لأنه متى وجدت لديه رغبة الكتابة ووجدت لديه الميول نحو تدوين إحساسه أو سرد ظروفه وقضاياه ومشاكل مجتمعه وجدته جالسا على كرسيه يقضي معظم أوقاته يفكر ويتأمل لكي يصوغ لك كل المشاكل بأسلوب أدبي جذاب.

والفنان هو الآخر ينشيء لوحة ويرسمها تكون لديه رغبة فى الرسم وحاجة لاختيار الألوان المناسبة لرسمه لكي يبدع فى فنه وهو فى ذلك مضطر أن تكون لديه ملكة التعبير حتى يقنع الآخرين بفنه ويكون لديهم فكرة عن عمله.

فلا شيء فى هذه الحياة يخلو من التعبير فكل ما نحس به نعبر عنه فى أفق تعبيري منسجم مع عمل الشاعر أو الفنان ومزاجه الخاص.

فليس إذن لأحد من حق فى أن يتحامل على الأدب أو ينكر من مهمته شيئا لأن الذي يتحامل عليه لم يعلم عنه شيئا أو يريد أن ينحرف به.

■ إن الأدب يكمن فى ذات الانسان ووعيه لأنه يتذوقه وينعم به فلا يخرج إلى الحياة إلا حينما يحس به ويغذيه من زهرة الثقافة وطلب الفهم والتحصيل، ومع ذلك سيدرك الانسان فى نفسه القوة والمهارة على إنجاب أدب متين ورصين.

■ إننا نسعى إلى إبعاد التحامل على الأدب لأننا لسنا من الذين يحملون صورة قاتمة فى عقولهم ولأن الذين يتحاملون عليه لم يرزقوا ملكة أدبية قيمة، أو ذوقا أدبيا قويما للفهم الجيد والصحيح للأدب، لفهم ماهيته ومهمته.

■ ومن ثمة فإن الأدب عم فى جميع مناحي الحياة وحمل ما حمل معه من آراء ورواسب تجمعت فيما بينها وشكلت منظومات فنية جاءت منتظمة من شعر بليغ ونثر جميل، ومقطوعات أدبية غنائية وسير ذاتية ورحلات متنوعة.

■ وهكذا إذا حاولت النظر فى الأدب وارتأيت طبيعته ومادته لوجدته ثريا بما يحمله إليك من معانٍ جميلة وألفاظ سمحة وأساليب مختلفة جادت بها قرائح الشعراء والأدباء لوجدت روائع الفن الجميل الذى يحملك إلى ما ترغب فيه وما تسعى إليه، إنه يحملك إلى دنيا الجمال والابداع الفنى ويخلق لديك رغبة البحث والاطلاع فلا تستطيع أن تكشف هذا إلا إذا رغبت نفسك الأدب وأظهرت ميلك إليه وأضنيت روحك بالجهد والكد لكي تصل إلى شيء تظفر به فى حياتك.

■ أما عن صورة الأدب فتجعل الأديب ينظر إلى الأشياء بعمق ودقة دون أن يركن إلى سعادة أو نائبة بل عليه أن يترجمها بإحساس ويعبر عنها متى وجدت لديه حاجة للتعبير عن رؤيته.

■ وليست لفظة أدب كلمة تلقى جزافا كما تلقى حجراً على مجرى الغدير بل تحمل أسمى المعاني وأرقى الدلالات من سلوك وأخلاق ومعارف، وفنون مختلفة المضامين. ، ولهذا تدعونا الحاجة الى تجاوز بعض التعاريف الفضفاضة لأنها غير مستعملة فى دائرة الأبيات بل لابد من البحث عن صياغة تعريف مناسب لظروف الحياة، وسياق المرحلة حتى يصبح الأدب ينظر إليه بعين الرضى والتفاؤل.

■ ولن يكون من العبث السعى نحو خلق أفق للأدب نحس به ونطمئن إليه ذلك أنه متى وُجِدَ الأدب وجدت معه الحياة لأنها فى حاجة الى من يجسد أعماقها ويفسر أحوالها ويعيش معها هنيهات من الوقت يترنم لهمسها ويستجيب لها حينما تدعوه الضرورة للتعبير عن آمالها وآلامها.

■ فالأديب هو وحده الانسان الذي باستطاعته التعرف على لغز الحياة وأسرارها لأنه وحده الذي يملك أسلوب التعامل معها بلين حينما تدعو الحاجة لذلك ويقسو حينما تتعقد لديه الأحوال وتتشابك الأوضاع. ومن هنا يبرز دور الأديب فى تجسيد صورة الحياة

والتعبير عنها في صورة الأدب بقيم شعورية وفنية.

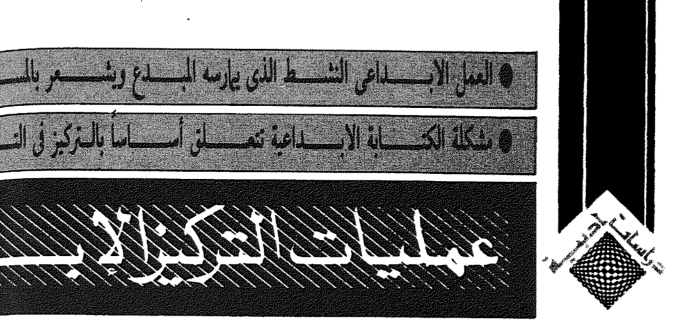
ولكن الخطر كله يكمن في عجز الانسان عن التعبير عن إحساسه أو من خلاله ما يشعر به في محيطه الخارجي، وما أشد موقفه وهو يحس بهذا العجز الدفين في قرارات نفسه، وما أكثرهم ممن يعانون من تفريغ مكبوتاتهم ويعيشون صراعا مع أنفسهم ومع الآخرين.

■ وإذا نحن تعرفنا على هذه الأشياء كلها وعلى هذه الأمور التي تمخضت عن الأدب وتصنفت في أشكال مختلفة لتكوّن وحدة أدبية في المبنى والمعنى، والصورة، لا شك يتضح لنا أن الأدب ضروري بين مجالات الحياة وحضوره ثابت في مختلف مناحيها. وكرد على الذين حاولوا تهميش الأدب ونبذه وجعله في مهملات التراث فالرأي عندنا مخالف تماما لذلك، إذ لابد من الدعوة إليه في جميع جوانبه وقضاياه والنظر إليه بعمق حتى نحدد مجالات الابداع والعطاء.

■ فالأدب لم يصب بالعقم إلا في ظل أناس لم يعرفوا شيئا عنه وعن خصوصياته ومجالاته وعن أشواطه ومراحله وعن أجياله المتعاقبة طوال السنين.. ومع كل هذا يأتي من درس الآداب الغربية محاولا تطبيق معارفه منها على الأدب العربي وهذا يُعدّ حيفا وظلما في حق أدبنا العربي فلو نظرنا بعمق لوجدنا لكل الآداب قوانينها وقواعدها الخاصة فَلِمَ هذا التعسف في الممارسة؟.

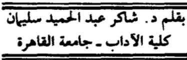
■ إن الأدب العربي بوظائفه الحياتية والاجتماعية مرتبط بالانسان في أعمق جذوره وحضوره في الحياة الاجتماعية يعني بالتعبير عن مشاكل الانسان النفسية والاجتماعية ومن هنا لا يمكن للانسانية أن تتقدم إلا بالأدب أي حينما تجسد مواطن الضعف فيها وتكشف لنا طبيعة العلاقات التي تربطها مع غيرها وتحدد نوعية الرؤية التي تنظر بها للأشياء والأمور؛ إذ ذاك يمكن أن تحقق الانسانية تقدما ملموسا في مسيرتها الاجتماعية. والأدب لا يمكن أن يتقدم إلا بفضل رواده من أدباء، وباحثين ونقدة مع كتابة تاريخه الصحيح؛ وإخراجه من مهملات التراث المنسي حتى يتمكن من الوقوف على قدميه والسير إلى الأمام.

■ علينا حينئذ أن نربي جيلا عالما بعصره، ومحيطا بما تحمله الساحة الادبية والفكرية والعلمية وإذا كانت جميع الجهود بذلك من أجل تطوير الأطر التقنية والعلمية فلابد من تطوير الأدب حتى يخوض غمار الحياة ويعم مناحي المعرفة وهذا لا يتحقق إلا بفضل المكلفين بذلك حتى تكلل جهودهم بالتوفيق والنجاح.



● التركيز الابداعى لا شك تصحبه بعض العمليات النفسية بعضـــها لصـــالح الحركة الابـــ

● العمل الإبداعى يتطلب التفاعل الحميم بين التركيز والتنظيم، والعفوية والتلقائية.. بين الوعى واللاوعـــ


بقلم د. شاكر عبد الحميد سليمان
كلية الآداب ـ جامعة القاهرة



■ التركيز هو ما يسم المبدع بصفة خاصة خلال عمليات الابداع الفعلية حين ينشط الذهن بقوة للعمل وفى تلك اللحظات التى يشتد فيها التفكير سعيا وراء فكرة محددة أو فى طريقها للتحدد من اجل توضيحها، ومن ثم تحقيقها وبلورتها فى اعمال ابداعية متميزة، فالاتجاه الابداعى لابد له من تحقيق فعلى، وإلا فانه يظل حبيس وجدان المبدع، والتركيز كما يعرفه بعض علماء النفس هو ذلك النشاط العقلى الذى تتآزر فى أدائه كل النشاطات العقليه المركزية، ويمكن ان نجد خلال عملية التركيز مثالا لما يمكن ان يكون للعمليات النفسيه من سيطرة على بعض العمليات البيولوجيه،

فعمليات النوم او طلب الراحة او تناول الطعام قد تحدث لها ارجاءات ـ قد تطول وقد تقصر ـ مادام هناك عمل ابداعى نشط يمارسه المبدع ويشعر بالمسئولية تجاهه ويحس بأهميته، فالنشاط الابداعى قد يطغى على بعض هذه العمليات البيولوجيه التى قد تقوم بدورها باضعاف العمليه الابداعيه ـ مؤقتا ـ اذا تزايدت الى حد كبير او قد تشق لها طريقا للاشباع من خلال التعب الذى قد يعترى المبدع خلال فترات الارهاق او التعب الذهنى او انكسار التركيز، وقد عبر تشيكوف عن هذه الحالة بقوله «لقد كتبت قصة . . . انكببت عليها الليل بعد النهار، يتصبب عرقى، مجهدا نفسى حتى يصاب ذهنى بالركود.. مرفقى يؤلمنى من الكتابة ورأسى غائم».

■ ويقول الشاعر الانجليزى «ستيفن سبندر» ان مشكلة الكتابة الابداعية تتعلق اساسا بالتركيز، والتركيز بالنسبة للكتابة يختلف بالطبع عن حالته بالنسبه لحل مسألة حسابيه، انه تركيز للانتباه بطريقة خاصة، وعن طريقه يكون

ؤولية تجاهه ويحس باهميته كثيراً ما يطغى ويسطر على بعض المتطلبات والعمليات البيولوجيه.

طورات المختلفة فى الفكرة الإبداعية مع الوعى التام بكل متضمنات الموقف.



ـداعية وبعضها فى شكل سالب.

ـى، بين الحلم والواقع.

الشاعر واعيا بكل متضمنات الموقف والتطورات المختلفة لفكرته.

بعض المعانى الشائعة لمفهوم التركيز

نلاحظ وجود بعض الخلط او عدم التحديد بين الباحثين والكتاب فى استخدامهم لمفهوم التركيز الابداعى فيوحد بعض الباحثين مثلا بين استخدامهم لمفهوم التركيز بالمعنى الابداعى والتركيز بالمعنى «اليوجى» او كما يستخدم لدى اتباع رياضه اليوجا «الهندية» او طريقة الزن.. الصينيه بل لقد اتضح لنا أيضا ان هناك أربعة استخدامات مختلفه لمفهوم التركيز وقد يخلط البعض فى استخدامها فيجعلها مفهوما واحدا، **وهذه الانواع الاربعة هي:**

(١) ان يستخدم مفهوم التركيز لكى يشير الى العمليات العقليه المتآذرة او المتعاونة والهادفة الى الوصول لغرض معين، وعادة ما يكون اتجاه التركيز هنا موجها الى داخل المبدع، الى عالمه الباطنى اكثر من اتجاهه الى خارجه، الى العالم المحيط به اى ان التركيز الابداعى هنا يكون متعلقا بالعمليات الذهنيه والوجدانيه الداخليه اكثر من تعلقه بالانتباه للموضوعات الخارجيه، كما ان التركيز هنا يتم بكفاءة فى ظل غياب التشتيت والضوضاء.

(٢) ان يستخدم مفهوم التركيز لكى يشير الى عمليات مواصلة واستمرار الانتباه المتعلقة بموضوع خارجي وعادة ما يسمى هذا النوع من التركيز بتركيز الانتباه وهو هام جدا فى اثراء العالم الباطنى للمبدع بموضوعات ومثيرات ومنبهات ومواقف خارجية يلتقطها بشكل جيد ومتميز ثم يقوم بعد ذلك باجراء عمليات الابداع الداخلية عليها.

(٣) ان يستخدم التركيز لكى يشير الى الحبكة فى العمل الفنى او كون هذا العمل مكثفا غير مترهل، متماسكا غير منداح منضغطا غير متفكك، وهذا النوع من التركيز الذى يتعلق اساسا بالناتج الابداعى او بالعمل الابداعى الفعلى المكتوب على هيئة قصيدة شعرية او رواية او قصة قصيرة او لوحة فنية او مقطوعة موسيقية هو فى الواقع النتاج المتميز لعمليات تركيز التفكير وتركيز الانتباه السابق ذكرهما.

(٤) الاستخدام الرابع لمفهوم التركيز هو الشائع لدى اتباع مذهب «اليوجا» الهندى او مذهب «الزن» الصينى وهو غالبا ما يختلط بالنوع الاول من التركيز (التركيز الذهنى) فتستخدم كلمات مثل التأمل والاستغراق والاندماج



● لابد أن تتوفر فى عمليات التركيز خصائص الاستمرارية والتوجه نحو الهدف وحماية الذهن من التشتت والانزلاق فى مسالك هامشية.

للاشاره اليه، وقد تكشف لكاتب المقال ان هناك عددا ليس بالقليل من الباحثين السيكولوجيين وخاصة فى السنوات الاخيرة وكما توضح ذلك اعداد مجلة **«الملخصات السيكولوجيه»** التى تنشر ملخصات لاغلب الدراسات والابحاث السيكولوجيه فى العالم يهتمون بدراسة هذه الحالات وحالات اخرى كالتنويم المغناطيسى ويحاولون ربطها بعمليات الابداع، اما مفهوم التركيز الابداعى فقد بدا وكأنه أهمل او اشير اليه بطريقه عابرة او اختلط لدى عديد من الباحثين بمفهوم **«التأمل المتعالى»** الآتى من جنوب شرق آسيا، وقد انتشرت التدريبات الخاصة به فى الولايات المتحده وأوربا فى العقد الثامن من هذا القرن (١٩٧٠-١٩٨٠) وتتكون من جلستين كل منهما من ١٥-٢٠ دقيقة يوضع الفرد فيها فى وضع مريح مغلق العينين ويركز على صوت او فكرة معينه ويسمح لذهنه بالتعامل الحر معها، ويقال ان هذا يتيح للذهن ان يكون حرا فى ان يتحرك اكثر الى المستويات الابداعيه من التفكير.

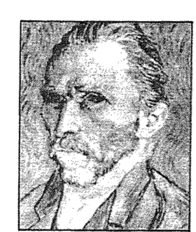
■ ويعتبر هذا النوع من التركيز مختلفا عن التركيز الابداعى الذى هو تركيز على قضية حقيقية او مشكلة تتجلى لصاحبها بطريقة ما فى الواقع، وهو يحاول ان يجد لها حلا او تجليا ابداعيا ومن ثم فهو يعمل جاهدا ويبذل اقصى ما فى وسعه من اجل ذلك، وعدم وصوله الى الابداعات التى يرى ضرورة الوصول اليها لا يسلمه الى حالة **«النرفانا»** او الصفاء الروحانى التام بل يوصله الى الضيق والقلق والاضطراب وعدم الاستقرار وهى تلك الحالـه التى عبر عنها فنان تشكيلى شهير هو **«فان جوخ»** احسن من غيره بقوله فى خطاب لاخيه ثيو معبرا عن هذه الحاله بأن قلبه كان يتآكل من الالم المبرح الناجم عن وجود دافع للعمل دون التمكن الفعلى من القيام به وشبه نفسه بانه «كالسجين فى شىء ما مرعب، وقد شاءت له الظروف ان ينكص الى حالة من العدم وفى كهف مخيف».

■ فلدى المبدعين الحقيقيين تكون هناك دائما مشكلات حقيقية، ومميزه او قضايا فعلية يحاولون ايجاد التجليات الابداعية المناسبة لها من خلال التركيز عليها، ومن خلال فهمها وتطويرها وابتكار امكانيات جديدة للحياة الانسانية من خلالها، هذا التركيز الابداعى ليس تركيزا على ألغاز لا حل لها كما فى حالة طريقة «الزن» التى يهتم اتباعها اثناء التركيز بالتفكير فى اسئلة مثل: ما هو صوت تصفيق اليد الواحدة؟ مع علم الشخص ان مثل هذه الاسئلة لا توجد لها حلول. ان التركيز الابداعى هو محاولة لدفع موضوع الابداع الى الامام، الى النور والضياء والوضوح، والى الجودة والاصالة والتناسب والجمال والكمال، وهى محاولة دائمة للتغيير والتطوير الى الافضل وليست محاولة للحفاظ على الوضع الراهن فالمبدع كائن ايجابى متفاعل متنبه متطور ومعايش لواقعه لا مفارق له او متباعد عنه ومن خلال هذه المعايشة تكون عمليات التركيز الابداعى اكثر مرونة وانطلاقا.

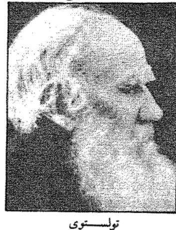
بعض ميسرات التركيز

هناك بعض العمليات التى يقوم بها المبدع من اجل تسهيل عمليات التركيز او جعلها اكثر

يسرا واكثر مناسبة لانضاج الفكرة الابداعية وتختلف هذه العلميات او الشروط الضرورية لعمليات التركيز باختلاف المبدع واختلاف ظروفه فبوشكين مثلا كان يفضل الكتابة فى الخريف وكان روسو وديكنز يفضلان الكتابة صباحا بينما كان بايرون ودستويفكى يكتبان مساء.. ولم يكن شيلى ليكتب الا بعد ان يضع قدميه فى طست من الماء البارد وكان تشيكوف يكتب فى شبابه على حافة النافذة ولم يكن تولستوى يجلس للكتابة الا بعد ان يكون على مكتبه رزمة من الورق الجيد، ولم يكتب الشاعر الفرنسى بيرانجية اغانيه الا فى المقاهى الرخيصة، وكان ايليا اهر نيورج يجد جو المقاهى مناسبا للكتابة ايضا، وقد اعتكف مارسيل بروست فى حجرته اعتكافا يكاد يكون كاملا فكان يقضى معظم وقته فى الفراش يكتب كالمحموم فى غرفة مبطنة بالفلين ليمنع عنها الصوت، ويغلق جميع النوافذ باحكام ويملأ جو الحجرة بالمطهرات وكان يخشى الا يمتد به العمر ليفرغ من كتابة «**البحث عن الزمن الضائع**» الذى استمر يعمل فيه بصورة متصلة من سنة ١٩١٠ حتى وفاته سنة ١٩٢٢. وكان اميل زولا يفضل العمل فى ظل اضواء صناعية نهارا.



فان جوخ



تولستوى

وكان كبلنج يكتب بأشد الاحبار زرقه، وكان موزرات يفضل ان يقوم بتمرينات معينه قبل العمل، وكان الشاعر الفرنسى دى موسيه يعتقد انه تسهل عليه عملية قرض الشعر اذا ارتدى ملابس العظماء واكد الروائى الامريكى ترومان كابوت انه لا يستطيع ان يقوم بالتركيز ما لم يكن مستلقيا وفى يده سيجاره وبجانبه قدح من القهوه او الشاى وقد حذر الباحث جيزيلين فى كتابه **(العمليه الابداعيه)** من الاعتماد الكبير على مثل هذه الظروف فكلما قلت حاجة المبدع الى الاعتماد على الاشياء والظروف الخارجية كان اكثر امنا واكثر بعدا عن الظروف الطارئة والمثيرة للاضطراب فالذى يلجأ الى الاعتماد على الكحوليات او على ورقة ذات حجم معين او على بيئه معينه مفضله لديه لتسهيل عمله يقوم بتضييق حرية العمل على نفسه، ولذلك فقد يلجأ الى الضوابط الالية او السحرية بدلا من الاعتماد على مهاراته وبراعته وحساسيته ولعل اوضح مثال على ذلك هو الكاتب الانجليزى الدوس هكسلى الذى لجأ فى نهاية حياته الى استخدام العقاقير المهلوسه مؤكدا اهميتها فى النشاط الابداعى، هذا رغم ما اكدته البحوث والدراسات الحديثه من آثارها الضاره على الوعى والتفكير والوجدان والسلوك. ان هذه العمليات التنظيمية المصاحبة لعمليات التركيز هى عمليات مساعدة، من خلالها او فى ظلها تحدث حالات استثارة وتحميس او تحفيز للعمل، لكنها ليست هى المؤدية بذاتها الى الابداع، فالابداع قد يحدث معها وقد يحدث بدونها ايضا وهى قد تكون معوقة او ميسرة للعمل وربما كانت لها آثار ايهامية بمعنى ان المبدع يعتقد انه يبدع احسن اذا توفرت شروط معينة رغم علاقاتها غير المباشرة او غير المبررة احيانا بالابداع وربما ارتبطت لدى المبدع



مواقف وخبرات معينة كانت لها آثار تدعيمية واضحة، ومن ثم فهو يفضل وجود هذه الشروط التنظيمية لانه يشعر فى ظلها باحساسات مريحة ودافعة للعمل وقد تكون الآثار التدعيمية، والمريحه لهذه الشروط التنظيمية قد تكونت خلال عمليات انتاج الاعمال المبكره للمبدع وما صاحبها من صعوبات.

بعض العمليات النفسيه المصاحبة للتركيز

(١) عمليات الاقتراب من الافكار:

الاقتراب هو الدوران حول الفكرة من اجل توضيحها او اكمالها او تجاوز مرحلة الغموض فيها، وهذه العمليات هى المرحلة المتقدمة من عمليات التركيز ويحاول المبدع هنا ان يحدد ويقدر طاقته ابعاد فكرته من خلال معايشته لها واقترابه منها وابتعاده، عنها وتقليبها على وجوهها المختلفه، ونظره اليها من جهات عديدة وقد تساهم الهاديات او المساعدات او المثيرات الخارجيه والداخليه فى تقدم وتطور هذه العمليات وفى تعميق واخصاب الافكار.

(٢) عمليات الغلق الذهنى او صعوبات التفكير:

مع تزايد عمليات التركيز ومحاولات الاقتراب من الافكار والرؤى الابداعيه قد تتضح هذه الافكار والرؤى وقد تزداد غموضا وتوغلا فى الابهام، بل قد تصبح الابعاد التى كانت تبدو قريبة من الوضوح اكثر غموضا واختلاطا واشد صلابه ومقاومة للتعديل، فالجهد او الممارسة المضاعفة لبعض المهارات او النشاطات قد تحدث حالة من التصلب او الاجهاد الزائد، وعمليات الغلق الذهنى قد تطول وقد تقصر ويتوقف هذا على مدى واقعيه المبدع ومدى الحاح الفكرة عليه ومدى اهتمامه بها ومدى خبرته بالابداع وعملياته ومن ضمنها عمليات الغلق الذهنى نفسها، ومدى تحديده لهدفه وما يتوفر لديه من صلابة فى الارادة وكذلك مدى اتاحة او توفر المعلومات والافكار والخبرات المناسبة لديه، واخيرا مدى تشجيع او احباط الظروف الاجتماعية له ولابداعاته فالفنان او المبدع عموما قد يمر بفترات غلق او ثبوط فى الهمة وقد تستمر هذه الفترات سنوات لكن المهم هو ان يستمر ويواصل مسيرته رغم كل شىء وقد عبر الروائى العربى نجيب محفوظ عن هذه الحالة فى حديث له مع الناقد فؤاد دوراة بقوله «اتعلم ما الذى جعلنى استمر ولا أيأس؟ لقد اعتبرت الفن حياة لا مهنة، فحينها تعتبر مهنة لا تستطيع الا ان تشغل بالك بانتظار الثمرة، اما انا فقد حصرت اهتمامى فى الانتاج نفسه وليس بها وراء الانتاج، كنت اكتب واكتب لاعلى امل ان الفت النظر الى كتاباتى ذات يوم بل كنت اكتب وانا معتقد اننى سأظل على هذا الحال دائما» ويشير ذلك الى اهمية ان يكون هناك لدى المبدع شعور بوجود هدف لحياته وافكاره هدف قد لا يكون الطريق اليه واضحا او ممهدا، لكن.. فى داخل المبدع يكون هناك احساس داخلى بالاتجاه والتوجه، احساس بحالة هدف ممكن حتى إن لم يكن هناك وعى تام بالخطوات او المعرفة الموصلة اليه.

(٣) التركيز والالهام:

تعددت الاسماء التى اطلقت على هذه العمليات ما بين الوحى والالهام والاستبصار والحدس والاشراف والتنوير كما اختلف المصدر الذى يعزى اليه حدوثها باختلاف المراحل التاريخية التى مر بها الانسان من ربات الشعر الى اللاشعور إلى العقل الصرف والارادة البحتة، وقد اكد العديد



● بائعتا الفاكهة . . للفنان موريليو

من الكتاب والفنانين وعلماء النفس اهمية صفات التلقائية والعفوية والمفاجاة والادهاش والكشف فى هذه العملية ومنهم على سبيل المثال لا الحصر كولريدج وهاوسمان وموزارت وبو انكاريه ووالاس وستيفن سبندر وسلفادور والى همنجواى وغيرهم.

■ هذا بينما اكد اخرون اهمية الارادة والوعى خلال هذه العملية، فمثلا ادجار الان بو يقول **«ان الخطأ كل الخطأ هو ان تفترض هبوط الوحى الصحيح عليك من فوق، انك لكى تكون مبتكرا ما عليك الا ان تربط الاجزاء وتركبها بعناية وبصيرة وفهم»**.

■ وقال تشيكوف ايضا معززا هذه الوجهة من النظر اذا انكر المرؤ ان العمل الابداعى يتضمن مشكلات واغراضا فان عليه ان يعترف بان الفنان يبدع دون تفكير او عزم سابق، ومن ثم فاذا جاءنى مؤلف يتباهى بانه كتب قصة دون فكرة مسبقة، وتحت الهام مفاجىء فاننى سأسميه مجنونا.

■ والخلاصة ان العمل الابداعى يتطلب التفاعل الحميم بين التركيز والتنظيم بين العفوية والتلقائية وبين الارادة والتحديد، بين التماسك والانسياح بين الوعى واللاوعى بين الحلم والواقع، بين الحاضر والماضى والمستقبل، بين الانا والآخر وفى كل ذلك تلعب عمليات التركيز الابداعى دورها الهام والاصيل فعمليات التركيز هى عمليات ابداعية يقوم بها المبدع فيحشد لها كل طاقاته الذهنية والدافعية والجسدية، وهى عملية موجهة نحو هدف ومتواصلة رغم العقبات والمشتتات وهى تتم بصورة افضل فى حالة استبعاد هذه المشتتات وحصر الذهن فى موضوع واحد ينمو ويتطور، فهو تركيز على حركة نمو وارتقاء الافكار والرؤى والتصورات، وقد تصحبه صور ذهنية عديدة دون ان تفقد الخط المشترك بينها، وهو تركيز موجه نحو هدف، وهو تركيز متحرك دينامى ينمو لكنه لا يتشعب واذا تشعب فانه لا يتوه، انه كالموجة تجى وتضغط وتوتر لكنها لا تضيع ابدا وتتوفر فى عمليات التركيز خصائص الاستمرارية والتوجه نحو الهدف والدافعية وهى تقوم بحماية الذهن والافكار الابداعية من التشتت او الانزلاق فى مسالك هامشية.

رؤيـــة نقـــدية



- عليـنـا أن نلـتف حـول تراثنـا الأدبى ونزيح الستـار عـن الجـ
- القصـة القصـيرة كقطـعة أدبيـة أو كنـص أدبى لم تـظهر إلا فى بـ
- تطـور القصة مرتبـط بعـلاقة جـدلية مع الانسـان المبـدع ولها اتصـ
- الكثـير من كتاب القصـة يستلهمـون من تراثهـم ما يطعمـ

علاقة القصة العربية

تمتاز القصة العربية بعراقتها وقدمها . . وكانت كليلة ودمنة ـ حسب رأى بعض النقاد ـ أول ظهور للقصة القصيرة الفنية .

كما تعتبر «ألف ليلة وليلة» المقتبسة عن الفارسية والهندية أول خيط فنى للقصة الطويلة أو ما يسمى اليوم بالرواية إلى جانب بعض السير الشعبية التى تزخر بها الساحة الادبية العربية مثل السيرة الهلالية وسيرة عنترة . . وبعض القصص الاخبارية التى تتضمن بعض الجوانب الحياتية العربية كأيام العرب ومغامرات المكدين فى المقامات الكثيرة والمتنوعة .

وأريد هنا أن أشير إلى من يدعي أن القصة القصيرة ولدت بالغرب فى القرن التاسع عشر الميلادى وأن تاريخ الأدب العربى

بقلم صالح بوعزيزى

لا يحتوى على قصة قصيرة واحدة . ولكن أقول بلا تكلف إلى كل من يدعي هذا القول أو يتبناه أن يعود إلى الكتب العربية الادبية والسير والحكايات الشعبية وسيرى مدى زيف هذا الادعاء وأشير هنا إلى خطورة هذا الادعاء وانعكاسه السلبى على تراثنا الادبى وواجب علينا أن نقاوم وندحض هذه الترهات والخزعبلات غير المنطقية وأن نقوم بإحياء تراثنا الادبى .

■ كما أضيف أن القصة العربية لها مصادرها العديدة وإن كانت القصة العربية لم تصل مرحلة النضج التام والكمال والاستقلال وهذا راجع الى مرحلة من مراحل تطورها سبقتها مراحل وتتلوها مراحل أخرى فالقصة تتطور مرتبطة بعلاقة جدلية مع الانسان المبدع ولها اتصال وثيق بواقع الفرد والمجتمع عبر الزمان والعلاقات الداخلية والخارجية .

■ وقد عرف تراثنا الادبى العربى القصة بجميع فروعها : القصة الخبر، أو القصة التاريخية، كما عرف الحكاية الشعبية، أو النادرة، قصص الحيوان، والقصة الفلسفية، والمقامات التى طغت عليها البنية الفنية .

■ وهنا أذكر المصادر والمنابع الاولية للقصة العربية وهى تنقسم إلى :

أولا : المنابع الاصلية وأهمها القرآن والسير.

ثانيا : المنابع الخارجية وأهمها الكتب المترجمة أو المقتبسة عن الحضارات الفارسية والهندية وخير

■ القصة العربية وعلاقتها بالتراث مثار جدل وبخاصة فى حركة القصة الحديثة وطبيعة توجهاتها المرتبطة بواقع الحياة اليوم.. وان كان هذا لا يمنع من استحضار التراث فى الذاكرة إلا أن السؤال يظل قائماً.. ما مدى ارتباط القصة الحديثة بالتراث ومعطياته؟.

ومن هنا جاءت هذه (الرؤية النقدية) للأستاذين صالح بو عزيزى.. ومحمد على قدس.

ـــوانب المجهـــولة فيه.

ـــداية القـــرن العشـــرين.

ـــال وثيـــق بواقـــع الفرد والمجتـــمع عبر الزمان والعـــلاقات الداخـــلية والخـــارجية.

ـــون به نصـــوصهم القصصـــية، ويستخـــدمون أسماء كرموز يتم توظيفها فنيا لخدمة النـــص.



دليل على ذلك «كليلة ودمنة» و«ألف ليلة وليلة».

■ ومثلما تأثرت القصة العربية بغيرها من الاداب الأخرى تأثرت القصة الغربية بالقصة العربية ويظهر هذا التأثر مثلا فى قصة «روبنسون كروزو» لدانيل ديفو بقصة حى بنى يقظان لابن طفيل إلى جانب بعض التأثيرات الأخرى بالقصص العربية سواء منها المترجمة والمقتبسة أو العربية الخالصة ولكن المهم والمفيد أن كل هذه المصادر وصلت أوروبا عن طريق عربية وبلغة وصورة فنية عربية.

■ نتبين من هنا أن القصة العربية لها تاريخ موغل فى القدم ولكن واجهتها بعض النكسات أهمها عندما استولى الاتراك والمماليك على الحكم فى العالم العربى وطوقوا الحياة الادبية والعلمية ولكن مع ظهور محمد علي وبداية عصر النهضة بدأت الروح تعود بعد أن تأثر محمد علي بالحضارة الاوروبية والاثر الكبير لحملة نابليون الذى احضر معه المطبعة الحديثة وانشأ المكتبة والمدرسة والمسرح والصحف والمجامع العلمية والادبية بمصر ـ وتأثرت بلاد الشام بذلك وخاصة سوريا ولبنان وتتالت البعثات التعليمية نحو المدارس الاوروبية وظهرت طبقة جديدة من المثقفين وعادت الحياة الادبية والعلمية الى تدفقها من جديد.

■ ويذكر بعض مؤرخى القصة القصيرة أنها ظهرت بلبنان على يد ميخائيل نعيمة بقصة «العاقر» سنة ١٩١٥م واعتبرها الدكتور محمد يوسف نجم: «هى الخطوة التى كان ينتظرها هذا اللون من أدبنا حتى يزدهر وتكتمل فيه شروط الفن الصحيح».. وظهرت بمصر قصة «فى القطار» لمحمود تيمور سنة ١٩١٧ أما فى تونس ـ فقد ظهرت فى الثلاثينات على يد مجموعة من كتاب مجلة «العالم الادبى» التى كان يصدرها زين العابدين السنوسى.. وظهرت بعد ذلك فى الجزائر. أما فى السعودية فقد ظهرت القصة القصيرة الفنية فى أواخر الثلاثينات وخاصة على يد عبد القدوس الانصارى فى مجلته المنهل الذى شجع على انباء هذه الثمرة.

ونلاحظ أن الصحف والمجلات هى الوعاء الذى حمل



القصة القصيرة فى بدايتها لينقلها إلى القراء.

■ وبعد أن سلطنا الضوء على بعض الجوانب التاريخية للقصة القصيرة أريد أن أشير الى بعض الخصائص التى تمتاز بها القصة القصيرة.

● هى سرد لقطعة أو موقف أو حدث أو صورة من الحياة الانسانية دون تعمق أو إطالة.

● القصة القصيرة تكون حوادثها محبوكة بدقة وبسرعة.

● إن القصة القصيرة تستطيع أن تلبى حاجيات القارىء للمعرفة ولارهاف حسه واشباع ذوقه فى وقت قصير دون ملل ولا ضجر.

● القصة القصيرة يمكن أن تنشر فى المجلات والجرائد لكل من يريد ذلك لسهولة انجازها ونشرها.

ختاما

ما أحرانا فى وقتنا الحاضر أن نلتف حول تراثنا الادبى ونحاول قدر الامكان أن نزيح الستار عن الجوانب المجهولة ونجعلها مضيئة ليستطيع كل قارىء أو راغب فى المعرفة أن يلم بتراثنا الأدبى والوقوف أمام بعض الادعاءات المغرضة التى تحاول طمس هويتنا وتراثنا.

رؤيـــــة نقــــدية

القصة القصيرة والتراث

محمد علي قدس - جدة

فن القصة القصيرة من ألصق الفنون الادبية بروح العصر. ومن اكثرها حداثة ومعاصرة حيث انه فن حديث العهد فى أدبنا العربى، واذا كنا نملك موروثاً شعرياً هائلاً يمتد إلى ما يزيد على الالفى سنة، فإن تراثنا القصصي لا يمكن مقارنته بذلك التراث الشعرى الذى تزخر به المكتبة العربية.

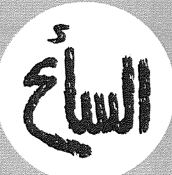
فاتحة أردت أن أنطلق منها للحديث عن علاقة القصة العربية القصيرة بالتراث.. هذه العلاقة تتجسد فى شكلها الاولى: فى الحكاية الشعبية، بدءاً من حكايات «الف ليلة وليلة» و«الزير سالم» و«عنترة بن شداد» والمقامات للحريرى والهمذانى وغيرهما.. وذلك هو التراث الحقيقى فى ادبنا العربى للقصة.. أما القصة القصيرة كقطعة أدبية أو كنص أدبي فهى لم تظهر سوى فى بداية القرن العشرين.

وللقصة او النص القصصي قديماً وحديثاً علاقته الحميمة بالتراث.. حيث إن الكثير من كتاب القصة يستلهمون من تراثهم ما يطعمون به نصوصهم القصصية عند انشائها، ويستخدمون أسماء كرموز يتم توظيفها توظيفاً فنياً يخدم النص القصصي ويربط ما بين المعاصرة والتراث.

ويأتى الاديب العربى القاص الاستاذ جمال الغيطاني بتجلياته فى مقدمة القصاصين العرب الذين أحسنوا استلهام التراث وتطويعه.

وعلاقة القاص بالتراث ترتبط أساساً بالموروثات الشعبية والبيئة الاجتماعية والثقافية والعلاقة بالتاريخ. فالقاص لكي يكون صادقاً لابد أن ينطلق من قاعدة الواقع المعاش. والقصة أحياناً تكون سجلا موثقاً لتاريخ أمة وكيان حضارة ورصد لحياة مجتمع بأسره. وما يمكن أن يعبر عن هذه الحقيقة ما نملكه من تراث قصصي رغم حداثته يتمثل فى قصص أحمد السباعي وعبد القدوس الانصاري ومحمد علي مغربى وحسن عبد الله القرشي وغيرهم. ففى الأعمال القصصية لهولاء تراث لعاداتنا وتقاليدنا.. وسجل موثق لتاريخنا الاجتماعي والثقافي فالقاص المبدع مؤرخ صاحب تجربة.. ومصور دقيق أمين فى نقل صوره ولوحاته.

المجلة الأولى

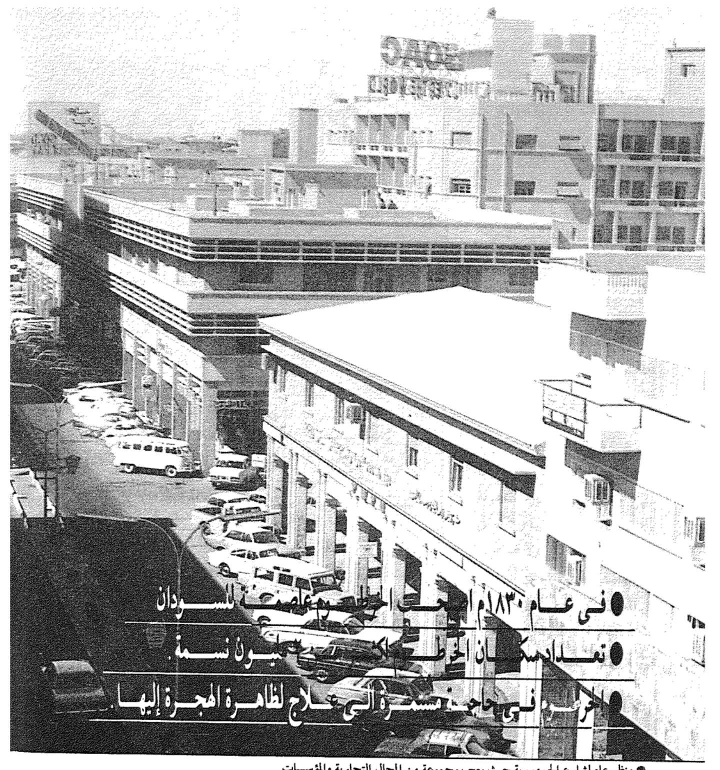


العدد ٤٥ صفر ١٤١٠هـ

تغرب عن الأوطان في طلب العلا
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحبة ماجد



- الخرطوم .. بين الماضي والحاضر — مصطفى عوض الله بشارة
- مدينة كنو — بابكر حسن قدرماري
- المذنب — عبدالله بن أحمد الشباط



● فى عام ١٨٣٠م أصبحت الخرطوم عاصمة للسودان

● تعداد سكان الخرطوم أكثر من مليون نسمة.

● الخرطوم فى حاجة مستمرة الى علاج لظاهرة الهجرة إليها.

● منظر عام لشارع الجمهورية حيث يعج بمجموعة من المحال التجارية والمؤسسات.

الخرطوم عاصمة السودان بين الماضى والحاضر

الخرطوم .. أم درمان .. الخرطوم بحرى

■ ثلاث مدن كبيرة اشتهرت فى السودان بأسم (العاصمة المثلثة).

** ولكل مدينة من المدن الثلاث تاريخ .. وأمجاد .. وحضارة.

بقلم
مصطفى عوض الله بشاره

الخرطوم: مدينة جميلة ذات تاريخ حافل مجيد، ظلت عبر القرون تشهد ملتقى النيلين الخالدين: الأبيض والأزرق، وترعى مودتها وتبادلها حباً بحب ووفاء بوفاء.. وقد تغنى بحسنها وروعتها شعراء مبدعون نذكر منهم: التجانى يوسف بشير. وقد حركت مشاعره، وألهمته شعراً يفيض عذوبة ورقة، وهو يتأمل باحساسه المرهف نهر النيل الخالد الذى ينساب فى جلال وتؤدة، ويجرى مجرى الدماء فى العروق.

مدينة كالزهرة المونقه
تنفح بالطيب على قطرها
ضفافها السحرية المورقه
يخفق قلب النيل فى صدرها
تحسبها أغنية مطرقه
نغمها الحسن على نهرها
مبهمة الحانها مطلقه
رجّعها الصيدح من طيرها

■ والشاعر المصرى احمد ابو المجد عيسى يبدى اعجابه بمدينة (الخرطوم) ويشيد بها فى قصيدته: (ليالى الخرطوم) وهو يجتر فى مخيلته ذكريات حلوة حيث يقول:

وكم جلسة فوق الضفاف فريدة
تطالعنا فيها عيون الجآذر
على (مقرن النيلين) والأفق منصت
لمسرى شراع بالصبابات سائر
وللشعر أنغام تغنى بلحنها
رفاق رفاق كابتسام الأزاهر
وللموج فى سحر الطبيعة أنه
كأنه مشتاق الى ظل هاجر
وللبدر من خلف الخمائل وقفة
كوقفة محروم على البعد ساهر

●● ونقلب صفحات التاريخ، لنقرأ عن مدينة (الخرطوم):

■ فى عام ١٥٠٤م، كانت (الخرطوم) فى بداية نشأتها قرية صغيرة غالبية سكانها يشتغلون بصيد الأسماك.. وفى مرحلة أخرى من مراحل تطورها، يذكر المؤرخ الانجليزى «تشارلس ديديير» الذى زار الخرطوم فى عام ١٨٥٤م بأنها تأسست كمدينة فى عام ١٨٢٣م وقد أضحت فيها بعد مركزاً للكشف الجغرافى فى مناطق النيل الأعلى.

● ويقول بعض المؤرخين عن مدينة (الخرطوم) انها شهدت تطوراً كبيراً فى بداية ١٨٢١م مع

دخـول محمـد على باشـا الى السودان ومع أولى مراحل تنظيم مهام الادارة الحكومية لا سيما بعد ان انـتـقـلت الـيـهـا المعـدات والمخـزونـات والمستلزمـات التى تحتاجها السلطة انذاك.

■■ وفى عام ١٨٣٠م تم الاعلان عنهـا كعـاصمة للبلاد.. وكانت مدينة الخرطوم القديمة تتكون من عدة أحـيـاء من أهمهـا: حى الحكمدارية.. الذى تجمعت فيه دواوين الحكـومـة ومصـالحهـا.. وبيـوت كبار الموظفين.. وثكنات الجيش والمرافق التابعة له.

■ وفى هذا الحى كان يوجد قصر الحكمـداريـة الذى تم تشييده فى عهد احمد مختار باشا وعلى الجانب الشـرقى منـه ثم بنـاء (السـراى) الذى أعد لسكنى الحكمدار وأسرته.

■■ والى الشـرق من (السراى) كانـت (الـشـونـة) أى مخزن الغـلال.. وكـان يعمـل بهذه (الشونة) احمد بن الحاج أبو على المشهـور بكـاتب الشونة، والذى وضـع المخطـوط المنسوب اليه فى تاريخ سلطنة الفونج وأوائل العهد التركى فى السودان، وقد سرد فيه وقائع ومشاهد عن مدينة الخرطوم.

■ وكـان معظم سكـان مدينـة (الخرطوم) القديمة من مواطنى بعض الدول العربية الشقيقة ومن الأوروبيين الذين شغلوا الوظائف المهمة فى مجالات الهندسة والطب والمحاسبة.

■ واذا نظرنا الى عدد السودانيين بالنسبـة الى عدد الـوافـدين من الـدول الأخـرى فى ذلـك الحـين لوجـدنـا المـواطنـين السـودانيـين يشكلون نسبة ضئيلة جداً..

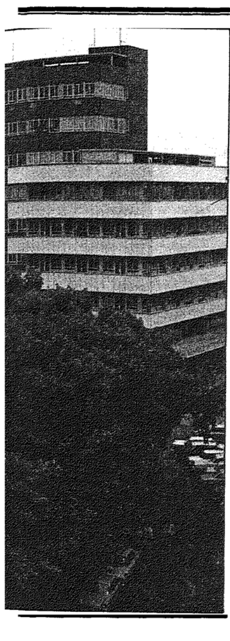
■ وكما قدر أحد الرحالة عددهم فى أواخـر العهـد الـتركى بخمس السكـان أى بنحـو عشـرة آلاف مواطناً سودانياً فقط.

■ ولهـذا: فقـد كان نصـيـب الـسـودانيـين من ثروة مدينتهم وخيراتها ضعيفاً وقليلاً بالقياس الى نصيب الوافدين من الدول الأخرى.

●● وفى عام ١٩٠٤م شهـدت مدينـة الخرطوم تطوراً ملحوظاً.. حيث تم تشييـد العـديـد من المنشآت التى شملت الطرق وبناء مستشفى عسكـرى.. ومكـاتب البـريـد والـبرق والأشغـال.. والفندق الكبير ومصنع الثلج. ثم كلية غردون.

وازداد العمران بمدينة الخرطوم بعـد ان نال السودان استقلاله فى عام ١٩٥٦م.

■ وخـلال العقـدين الماضيين كما يقول الخبراء المختصون ازداد عدد سكـان مدينـة الخـرطـوم من ٢٥٣٫٠٠٠ نسمـة (طبقـا لتعداد ١٩٥٥م/١٩٥٦م) الـى ٧٩٩٫٨٠٠ نسـمـة فى عام



١٩٧٣م، ثم قفـز الى ما يقارب «٢» مليـون نسمـة فى منتصف الثمانينيات، كما زاد عدد سكان الحضر داخل مديرية الخرطوم من ٢٫٥٠٪ سنة ١٩٥٥م الى ٧١٫٩٪ سنة ١٩٧٣م وطبقـا لتقـديرات المختصين فان نسبة الزيادة السنوية قد وصلت الى ١٢٪

ويـرى نائـب مديـر ادارة التخطيـط العمرانى بالعاصمة أن من أبـرز الظواهر التى تميز النمو الحضرى للخرطوم تفوق فى نسبة

ازديـادها المدينة الثانية التى تليها وهى مدينـة (بـورتسـودان) بنحو ست مرات.

الامر الذى يصنف (الخرطوم) ضمن المدن المتفردة سكانيا فى السودان.

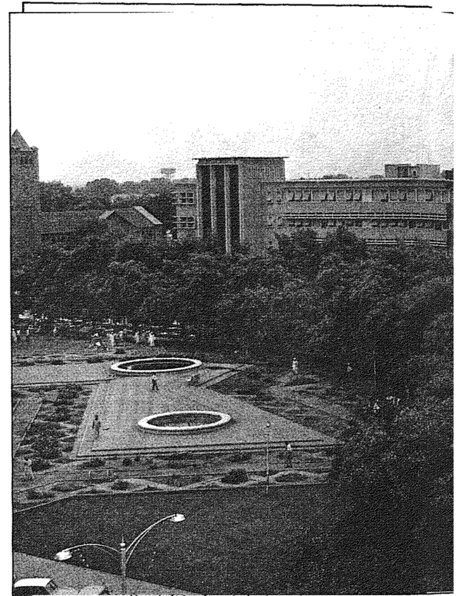
■ ولعل من نافلة القول ان نشير الى ان أسباب هذه الزيادة تعزى الى تضافر الزيادة الطبيعية والتى وصلت الى نسبة ٣٤٪ من الألف مع الهـجـرات المتـواصلة التى تتعرض لها المدينة.

■ وفى هذا الصدد يشير المختصون الى ان اكثـر من ٧٠٪ من جملة (نسبـة) النـزوح الحضـرى فى السـودان تتجه نحو (الخرطوم) لا يشكـل ضيقاً ومعاناة لسكان هذه المدينة الكبيرة وحدها فحسب بل تشاركها المعاناة والضيق مدينتنا أم درمان.. والخرطوم بحرى.

ولابد من السعى الجاد لايجاد الحلول الـلازمة لعـلاج ظاهـرة الهجـرة المتزايدة من الأرياف الى المدن الكبيرة.

●● ومن أشهر أسواق الخرطوم فى وقتنا هذا: « السوق الأفرنجى.. السـوق العـربى.. السـوق المـركـزى.. سوق العمارات.. سوق الخرطـوم (اثنين).. سوق السجانه.. السوق الشعبى.

●● وفى الخـرطوم جامعتان هما: جامعة الخرطوم وجامعة القاهرة - فرع الخرطوم.



● جانب من مبنى وزارة الخارجية فى الخرطوم والحديقة المجاورة لها.



● حديقة الحيوانات فى الخرطوم

● التركيز على التعليم الديني للصبية يمثل الوجه المميز لمدينة (كنو).

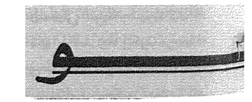
● شهدت مدينة كنو في الغرب الافريقي تطوراً تدريجيا الى اليوم وهي مركز اجتماعي وتجـ

● في كنو توجد مكتبات خاصة وعامة تحوي كتب التفسير والعربية والتاريخ.



ـاري وثقافي للولايــة.

بابكر حسن قدرماري
المركز الاسلامي الافريقي الخرطوم



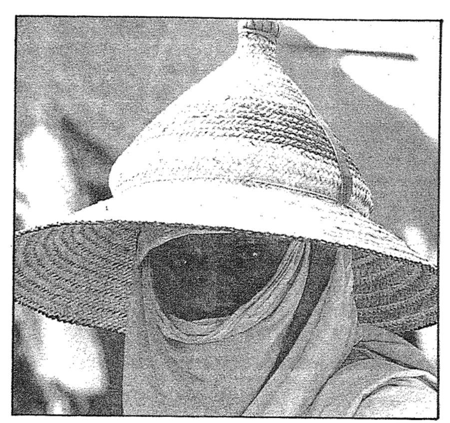
● احد اكبر مساجد نيجيريا.

هي من اكبر مدن شمال نيجيريا في الماضي والحاضر وهي مدينة تجارية حيث كانت من المراكز الكبرى التي تنتهي عندها القوافل التجارية من شمال الصحراء الكبرى وكان سوقها كاسور كرمي من أكبر الأسواق في غربي افريقيا يغشاه التجار من شتى النواحي(١)

عدد سكانها نحو خمسة ملايين نسمة وكلهم مسلمون عدا الوافد اليها والذي لا تتعدى نسبته ١٪ من جملة السكان. وكنو مدينة وما جاورها تابع لها ومكون لما يعرف منذ القدم بإقليم كنو، وهو واحد من أقاليم بلاد الهوسا الرئيسية وقد وصفت كنو بأنها أبرك هذه الاقاليم السبعة(٢) وتعتبر كنو اهم ولايات الهوسا ويرجع تاريخ المدينة المدون إلى القرن العاشر الميلادي، وتذكر المراجع التاريخية أن أهل كنو قبل هذا التاريخ كانوا يسكنون بجوار تل دالا (والآن حي من أحياء كنو).

●● مدينة كنو اليوم عاصمة الولاية وينتهي عندها خط السكة الحديدية شمال البلاد، وهي ميناء جوي كبير يستقبل الطائرات الدولية وكذا الداخلية وتخرج منها طرق برية الى شتى مدن نيجيريا حيث إنها من كبرى المراكز التجارية ليس في البلاد فحسب بل في غرب افريقيا وفوق كل هذا فهي مركز ثقافي هام تتركز فيها المؤسسات التعليمية العربية الاسلامية، التقليدية والحديثة.

انتشار الاسلام في كنو



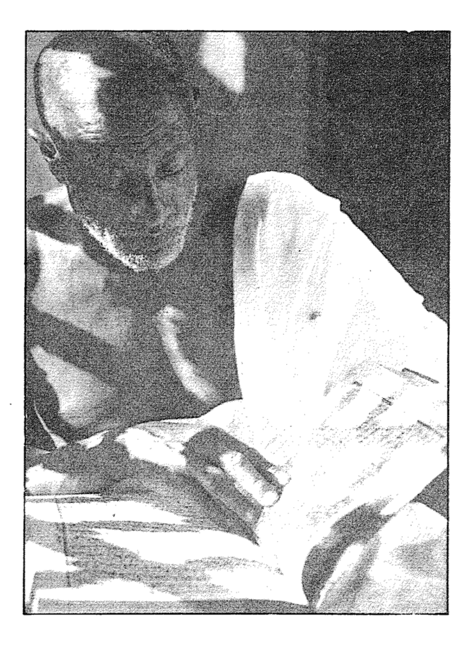
وصل المسلمون من التجار وعلماء الدين المسلمين مدينة كنو قبل القرن العاشر وذلك بحكم مركزها التجارى إلا أن أول ملك أسلم فى كنو هو الملك الحادى عشر على ياجى بن تشاميا وذلك فى النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادى(٣) ويرجع ذلكم الحدث التاريخى إلى أن وفدا من المونغرا (من السنغال) قد وصل الى مدينة كنو بقيادة زعيمهم عبد الرحمن زيتى وقد اتصل الوفد بملك كنو على ياجى ودعاه الى الاسلام والى نشره ثم بناء المساجد واقامة شعائر الاسلام، فقبل الملك بعد الاقتناع فأسلم، ثم أصدر الى كل المديريات التى تحته بنشر الاسلام والتمسك بتعاليمه، وبنى مسجداً فى مدينة كنو ثم عين بعض اعضاء الوفد فى مناصب ذات أهمية فى المجتمع الاسلامى.. فعين عبد الرحمن زيتى قاضيا وغردامس إماماً ومحمد الأول مؤذنا وأوتا مشرفا على ذبح اللحوم على الطريقة الشرعية. ومن هذه الرواية نستنتج ان الاسلام كان معروفاً فى كنو قبل هذا التاريخ وذلك من الحفاوة والاكرام الذى قوبل به وفد السنغال المسلم.

■ لقد بذل الملك على ياجى قصارى جهده فى نشر الاسلام فى كنو وولاية كنو وما جاورها كما قام بشن غارات عنيفة ضد المجوس وأبلى بلاء حسنا. وتعاقبت الملوك الى عهد محمد رمفا(٤) ذلك العهد الذى يستحق الذكر لما حدث فيه من نشاط كبير نحو نشر الاسلام والثقافة العربية ولكون هذا الملك من أشهر ملوك كنو فى تلك القرون. وفى عهده وصلت كنو الى ذروة شهرتها، فأصبحت مركزاً تجارياً وثقافيا هاما لا فى نيجيريا فحسب بل فى غربى افريقيا كلها، وفى عهده قام الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلى التلمسانى بزيارة الى كنو فاستقبله الملك استقبالا عظيما وأكرمه غاية الاكرام.

وكان لهذه الزيارة أثر بالغ فى نشر الثقافة الاسلامية فى هذه المدينة بل شمال البلاد قاطبة. وقد اتخذ محمد رمفا من هذا الشيخ صديقا أمينا وشيخا له حتى أصبح المغيلى مستشارا خاصا للملك يستشيره فى امور دينه ودولته وساعد الشيخ الملك فى تأسيس دولة اسلامية مبنية على أسس اسلامية سليمة وأمره بتكوين مجلس استشارى يضم الوزير والقاضى والامام وبعض رجال الدولة وكان المغيلى يجلس بنفسه ويشترك فى تنفيذ أموره وخلفه ابنه بعد مغادرته لكنو، ولا يزال افراد ذريته يجلسون فى مجلس أمير كنو الى يومنا هذا.. وللمغيلى قضية مشهورة كان قد كتبها لمحمد رمفا لتكون مرجعا له فى سياسته وكانت بدون شك بمنزلة دستور حكومى دقيق، أكد

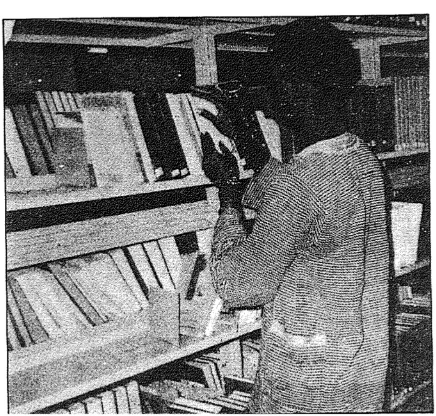
فيها المغيلي وجوب درء المفاسد الدينية والدنيوية بالقوة فقال: إنه لابد من درء المفاسد الدينية والدنيوية بالمقامع الشرعية على حسب الطاقة البشرية، ولا يجوز أن يُترك مفسد على فساده مع إمكان رده عنه بسبي أو لعن أو حبس أو ضرب او صلب أو قتل أو نفي أو غير ذلك من العقوبات الشرعية.

ولابد من منع كل انواع الشرك وجميع المحرمات ولابد ان يهتم بكل ما فى مملكته وشكل مصالح رعيته فلا يترك الغشاشين والمطففين فى السوق بل يعاقبهم بالحبس والضرب والقتل. وفى آخر القضية أشار عليه بالقيام بالعدل فى سياسته وبألا يفرق بين رعيته فى اقامة الحدود الشرعية فقال «واعلم ان الناس فى حكم الله ورسوله سواء فلا تخرج من ذلك عالما ولا عابدا ولا شريفا ولا أميرا واقم حق الله على جميع عباد الله بالتقوى لا بالهوى».



■ ولقد كان لهذه الزيارة التى قام بها الشيخ المغيلى الى كنو صدى كبير ونتائج عظيمة تركت أثرا واضحا لا فى كنو فحسب، ولكن فى ولايات الهوسا جميعها، ومن ذلك الوقت نستطيع ان تقول إن مدينة كنو بل الولاية كلها ولاية اسلامية حقا وبدأت بعدئذ تلعب دورا هاما فى خدمة الثقافة الاسلامية فى الولايات الاخرى واستمر الاسلام ينتشر ويتسع ثم اصبحت مركزا ثقافيا تفد إليها وفود عديدة من العلماء وطلاب العلم من كل صوب.

■ ومن الذين اسهموا فى نشر الاسلام والثقافة الاسلامية هنا العالم ابو العباسى احمد بابا التمبكتى الذى كتب عن كنو وغيرها من بلاد الهوسا رغم انه لم يزرها)، والمعروف ان الملك أسكيا (١٤٩٤م/١٥٩١م) وقد استولى على كل من ولايتى زنفرا وغوبر وعلى ثلاث مدن عظمى من بلاد الهوسا أولها كنو ثم كسنا وزاريا.. فهو بذلك قد ترك بعض الأثر الاسلامى فى كنو وفى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى قام الشيخ عثمان بن فودى بحركة اصلاحية



● الاهتمام الملحوظ بالمكتبات وخاصة فى المراكز الاسلامية.

اسلامية فى بلاد الهوسا مما كان له الأثـر الأكـبر فى تثبيت قواعـد الاسلام فى هذه البلاد بما فى ذلك كنو حيث تم تعيين أول أمير لمدينة كنـو والـولايـة من الشخصيـات المـوالية لحركـة الشيخ عثمان بن فودى وهو (مالم سليمان) (١٨٠٦م الى ١٨١٩م) ومن هنـا استمـر تسلسـل الامـراء على مدينة كنو والولاية معا إلى يومنا هذا والأمير الحالى هو أدو بايرو.

الحركة العلمية للثقافة الاسلامية والعربية فى كنو

لقد لفتت مدينة كنو أنظار عدد من العلماء منذ وقت مبكر كما سبق أن ذكرنـا ومن ثم زارهـا البعض وكتب عنها البعض الآخر، ونتيجة للحركة العلمية التى نشطت فعلا حتى نهايـة القـرن الثـامن عشـر الميـلادى فقد توفرت كتب متنوعة كانـت ولا تزال ثمـرة الثقـافـة الاسـلامية والعربية لهذه المنطقة، ولا تزال مدينـة كنـو هى السـوق الكبرى التى تشترى منها الكتب فى غرب افريقيا قاطبة، وكما انتشرت المؤسسـات التقليـديـة والمـدارس الاسـلامـيـة الـتى اهـتـمـت بالدراسات الاسلامية والعربية ايما اهتمام كما سنرى.

المؤسسات التعليمية التقليدية

تميـزت مدينة كنو بعد دخول الاسـلام فيها وبصفة خاصة منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادى بكثـرة مؤسسـاتهـا التعليميـة الاسـلامية التقليدية والتى عرفت باسمـاء شتى «الخلوة» والـدهليـز والمدرسة حيث يتجمع الدارسون لدراسة القرآن الكريم فى الإبكار والمسـاء وبعد صلاة الظهر، بنين وبنات من صغار السن واحيانا كل جنس على انفراد وهو السائد الآن فى مدينـة كنو داخل السور فهناك مئات من الخلاوى القرآنية حيث يستعمـل الـدارسـون والدراسات فيها الالواح الخشبية، اما الكتابة فـالقلم التقليـدى (من القصب) وحـبر الـدواة الـذى يصـنعـه الـدارسون بأنفسهم ـ فنار القرآن حيـة الى يومنا هذا فى مدينة كنو وذلك حتى بين الذين انخرطوا فى الـدراسـة فى المدارس الحديثة من البنين والبنات حيث يتردد الجميع على هذه الخـلاوى فى الصبـاح البـاكر وفى المساء وبعضهم يتجه إليهـا بعـد صلاة الظهـر عقب رجـوعه من المدرسة وكثير منهم لا يتوقف إلا عند ختم القرآن الكريم قراءة وكتابة بل حفظاً عند بعضهم.

■ وتـركـز الخلاوى القرآنية على

تدريس القرآن قراءة وكتابة وحفظاً مع تدريس الأحرف العربية هناك اكثر من مائتين من هذا النوع فى مدينة كنو داخل السور، والدراسة فيها مستمرة بصورة منتظمة وكثير منها الآن يستعمل الاضاءة الكهربائية فى المساء والصباح الباكر وقليل ظل يوقد نار الحطب للاضاءة كما هو الحال سابقا.

● بعد أداء الصلاة.. يصغون باهتمام لدروس العلماء.



المدارس الاسلامية الخاصة

وهى خطوة متقدمة على الخلاوى القرآنية سابقة الذكر، وقد أنشأها الأفراد والجمعيات الاسلامية فى المدينة كما أعانت الحكومة فى الولاية كذلك على انشاء بعضها، وهى مدارس شبه منظمة فهى مرحلة بين الخلاوى القرآنية والمدارس الحديثة من حيث النظام والادارة، وتدرس فيها المواد التالية، القرآن الكريم وتفسيره والدراسات الاسلامية واللغة العربية والتاريخ الاسلامى ومبادىء الرياضيات ومبادىء اللغة الانجليزية ولغة الهوسا. ومع ان هذه المدارس خاصة إلا أنها الآن تجد بعض الرعاية والاشراف من قبل وزارة التربية والتعليم بواسطة مركز الدراسات الاسلامية الذى أنشىء لرعاية المؤسسات الاسلامية التقليدية والارتقاء بمستواها فى ولاية كنو.

المعاهد الدينية الخاصة

وهناك معاهد عدة خاصة أنشأها الافراد فى مدينة كنو تقوم بعمل المدارس الاسلامية الخاصة وتزيد على رسالتها بتقديم بعض الدراسات المتقدمة فى مجال الفقه واللغة العربية وآدابها - من هذه المعاهد فى مدينة كنو(٦):

«معهد كبرا.. معهد الوزير غدادو.. معهد شلغ.. معهد والى سليمان.. معهد الاديب ابراهيم ميغرى».

التعليم الاسلامى العربى النظامى الحديث

رفض الشمال المسلم فى نيجيريا التعليم الغربى الكنسى والذى تركته السلطة البريطانية فى أيدى الطوائف الدينية المسيحية، عليه رأى مسئول التعليم فى شمال البلاد لابد من اغراء المسلمين للانخراط فى التعليم الابتدائى بغرض خلق كادر من الكتبة والموظفين فادخلت فى المناهج بصيصا من الدراسات الاسلامية والعربية، وبذلك فتحت أول مدرسة حكومية فى شمال البلاد بمدينة كنو فى عام ١٩٠٩م ثم تتابع فتح المدارس الابتدائية على نسقها فى اجزاء البلاد الشمالية.

■ وفى عام ١٩٣٠م انشئت مدرسة الشريعة الاسلامية فى كنو، وكان الطلاب يدرسون الشريعة الاسلامية واللغة العربية بهدف تخريج معلمين للمرحلة الابتدائية فى مادتى اللغة العربية والتربية الاسلامية وكذلك تخريج مساعدى قضاة للمحاكم الأهلية ثم فتحت مدرسة اخرى فى عام ١٩٣٤م فى كنو سميت بمدرسة الشريعة الكبرى، وكانت أول مدرسة من



● إحدى مدارس تحفيظ القرآن الكريم.

نوعها فى غرب افريقيا(٧).

■ وقد لعبت دوراً هاما فى نشر الثقافة الاسلامية والعربية فى نيجيريا واصبحت مركزاً يغشاه الطلبة من كل المحافظات فى نيجيريا بل من البلاد الافريقية المجاورة ـ ثم ادخلت تجديدات عديدة فى مدرسة الشريعة الكبرى عام ١٩٤٧م واصبحت تسمى مدرسة العلوم العربية وأضيف لها قسم لتدريب المدرسين فصارت معهدا كبيرا يلتحق به الطلاب من المدارس القرآنية المتعددة والمدارس الوسطى ويدِّرس فيها عدد من المعلمين السودانيين والمصريين والوطنيين وهكذا الأمر الى يومنا هذا.

واصبح المتخرجون من هذه المدرسة ينالون شهادة التدريس من الدرجة الثانية ويتقاضون رواتب كرواتب غيرهم من مدرسى المواد الاخرى من الذين يحملون نفس الشهادة ـ كانت لهذه البداية والتغيرات أهمية كبرى فى تاريخ التعليم العربى الحديث فى نيجيريا فقد رفعت ولاول مرة الروح المعنوية للمدرسين الذين يعملون فى تدريس التربية الاسلامية واللغة العربية كما رفعت بذلك من قيمة المادتين فى المدارس الحديثة. ثم انفتحت مناطق شمال نيجيريا تحذو حذو كنو في تأسيس معاهد ومدارس على ما يقرب من مدرسة العلوم العربية فى كنو، ولكنها جميعا دونه فى الأداء والمستوى والأثر الثقافى الى يومنا هذا.

■ ولم يتوقف امر التعليم العربى الاسلامى فى كنو بل تم تطوير مدرسة العلوم العربية فى كنو بأن زادت عدد سنوات الدراسة فى مجال التدريس والقضاء الشرعى ثم اتيحت لبعض الدارسين فرص التوجه الى السودان للمزيد من التدريب والدراسة بمعهد بخت الرضا.

تم بعد هذا تشكيل لجنة خاصة عقدت جلساتها فى عامى ١٩٥٢ و١٩٥٣م للاهتمام بشأن التعليم العربى والدراسات الاسلامية عامة وتطويرها والاهتمام بها وخرجت بتوصيات مبشرة ومن ثم واصل تطور اللغة العربية والدراسات الاسلامية فى شمال نيجيريا بل فى البلاد قاطبة انطلاقا من مدينة كنو، فقد تم انشاء كلية بايرو للغة العربية عقب استقلال البلاد، وكان يشرف على دراسة االلغة العربية فيها البروفسر عبد الله الطيب، فكانت بذلك أول قسم للمرحلة الجامعية فى تاريخ البلاد ثم تطورت الكلية الى جامعة ذات طابع اسلامى عربى فى عام ١٩٧٦م وأهم كلياتها هى الدراسات الاسلامية والتى تضم قسما للغة العربية وقسما للتاريخ واقساما أخرى بل يتلقى الدارسون فيها دراسات عليا، فتقدم الاطروحات فى شتى مدار الدراسات الاسلامية والعربية والتاريخ الاسلامى.

■ ولما كان لهذا الاشعاع من أثر طيب فى نفوس المسلمين، فقد تم فتح جامعات أخرى فى شمال

البـلاد اهـتـمـت أيـما اهتـمام بالـدراسـات الاسـلامية والعربية والتـاريـخ الاسـلامى بل هنـا دراسات شرعية فى كليات القانون فى كل من ولايـة برنـو وسكـوتـو وبلاقو بالاضافة الى جامعة بايرو فى كنو وذلك منذ السبعينيات الى وقتنا هذا.

وبالاضافة الى هذا فهناك كلية الـدراسـات الشرعية بكنو، وهى مؤسـسـة مستقلة تحت اشـراف الـولاية وهى تؤهل قضاة شرعيين تنصب كل دراسـاتهم فى الشريعة الاسلامية والدراسات المساعدة لها وهذه الكلية الحديثة هى فريدة من نوعها فى الدولة بل فى غرب افريقيا قاطبة، اضف الى هذا هناك أربع مدارس ثانوية عليا اسلامية محورها الـدراسـات الاسـلاميـة والعربية ويشرف عليها المركز الاسلامى بكنو.

الكتب والمكتبات العربية الاسلامية

تزخر مدينة كنو اليوم بكتب ومكتبات اسلامية عربية مما لا مثيل له فى غرب افـريقيـا فهناك سوق خاصـة للكتب العربية تتوفر فيها تفـاسـير القـرآن الكـريم الحديثة والقـديمـة وكتب الحـديث العامة وكتب الفقه واللغة العربية وآدابها وهناك مكتبات صغيرة، فى انحاء المدينة حيث تباع الكتب العربية الاسـلاميـة هذا بالاضـافـة الى الكتب المتنوعة فى شتى المجالات الاسلامية والعربية فى مكتبة جامعة بايـرو بكنـو وأخـرى بمكتبة كلية الشـريعـة بالاضـافـة الى اعـداد ضخمة من المخطوطات العربية فى هاتين المكتبتين ومكتبة مدينة كنو، ففى الأخـيرة عدد من مخطـوطات علماء دولة سكوتو الاسلامية منها:

(أ) الشيـخ عثـمان بن فودى ومن مخطوطاته فيها:

- عمدة علماء الفقه.
- تحفة الألباب ونخبة الاعجاب فى التصوف.
- تحذيـر الاخوان عن ادعاء المهدية الموعود به آخر الزمان.

(ب) عبـد الله بن فودى ولـه من المخطوطات فيها:

- كتـاب مطية الـزاد الى المعاد فى التصوف والوعظ ـ مخطوط سنة ١٢٣٣هـ.
- ضيـاء المجـاهـدين حماة الـدين الراشدين ـ مخطوط عام ١٢٢٦هـ.
- كتـاب الحصـن الـرصـين فى التصريف.. وهو نظم.
- مختصر الحصن الرصين.

(ج) ومخطوط واحد لمحمد بللو بن عثـمان بن فودى وهـو: النصيحـة الوضيئة فى بيان أن حب الدنيا أس كل خطيئة.

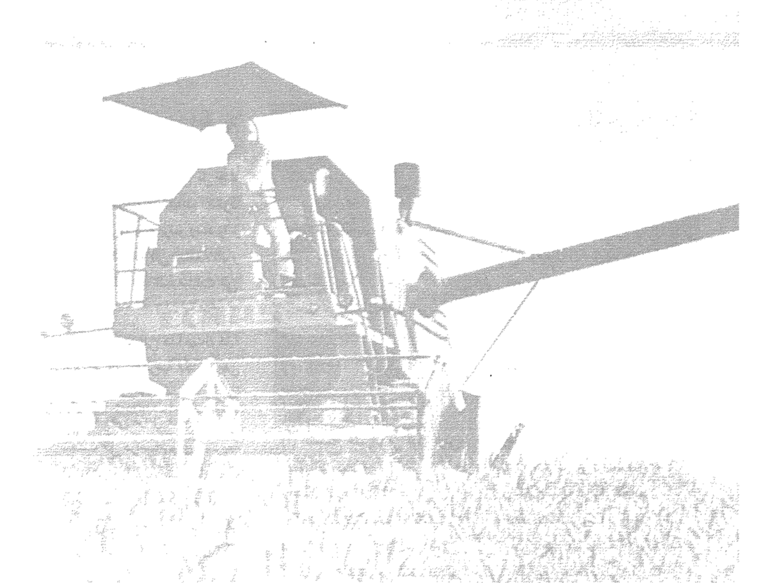
وبمكتبة كنو اعداد ضخمة من الكتب فى اللغة العربية والحديث والفقه والتفسير.

وهنـاك أيضـا المركـز الثقافى العربى والذى يحتوى على مكتبة عربية اسلامية.

■ وبهذا يحق لنا أن نؤكد أن مدينة كنـو مركـز اشعـاع هام للثقـافـة الاسلامية والعربية قديما وحديثا، ليس فى نيجيريا فحسب ولكن فى غرب افريقيا كلها. ولا يزال عطاء هذا المركـز فى تزايـد وتوسيع.. ونسأل الله التـوفيق للقائمين بأمر هذه الثقـافـة فى هذا المركز وغيره حتى تعم الثقـافـة الاسـلاميـة والعربية ارجاء افريقيا شبرا شبراً.

الهوامش

(١) حركة اللغة العربية وآدابها فى نيجيريا ـ دكتور شيخو احمد سعيد غلادنث ـ دار المعارف ـ القاهرة ص٤٤
(٢) انفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور ـ محمد بللو بن عثمان بن فودى ـ القاهرة بدون تاريخ ص٤٤.
(٣) حركة اللغة العربية وآدابها فى نيجيريا ص٤٥ وما بعدها.
(٤) نفس المصدر ص ٤٧ و٤٨
(٥) الثقافة العربية فى نيجيريا: على أبو بكر ـ الطبعة الاولى ـ بيروت ص٤٦
(٦) مؤسسات التعليم العربى الاسلامى فى شمال نيجيريا ـ رسالة ماجستير لم تنشر ـ عبد الرحمن محمد على المكى ص٨٢
(٧) حركة اللغة العربية وآدابها فى نيجيريا ص ١٠٠



المذنـــــب

الاستاذ عبد الرحمن بن عبد الله الغنايم من مواليد المذنب عام ١٣٧٢هـ وبها تلقى تعليمه الابتدائى. ولذلك فهو مرشح لأن يكتب عن هذه البلدة التى هى مسقط رأسه والتى رأى فيها بشائر نور الحياة.. لذلك فان كتابه عن المذنب جاء حافلا ومليئا بالمعلومات المفيدة عن هذه المنطقة الواقعة فى طرف القصيم الجنوبى والتى تمتد الى شعيب الامية. أما من الناحية الشرقية فتمتد الى نفوذ صعافيق ونفوذ الشقيفة على مساحة تزيد عن ١٥٥٠كم.. ومدينة المذنب التى يحمل هذا الكتاب اسمها تتوسط المنطقة.

● هـــذه هـى مدينتـــك اخـــي المواطـــن

● المذنـــب مدينـــة فى القصيـــم لها ميـزات اى منـ

● الحركة الزراعية فى المذنب.. والقمح يمثل أحد المحاصيل الهامة.

عبد الله بن احمد الشباط

● التمور . لها انتاجيتها المميزة لتركيز العناية بها .



■ وقد بلغ سكان المنطقة حسب احصاء عام ١٤٠٠هـ حوالى ١٩٠٠٠ نسمة . . ويتبع المذنب اداريا : التامرية - العمار - روضة الحسور - المربع - الخرما - الملقى - ربيق - المربقية وسامودة وعليا - الرحيمية - المقلعة - خريمان - المليكى وأم طليحة .

■■ فاذا أضفنا سكان هذه المناطق الى سكان مدينة المذنب فان عددهم يزيد عن ٤٠ ألف نسمة .

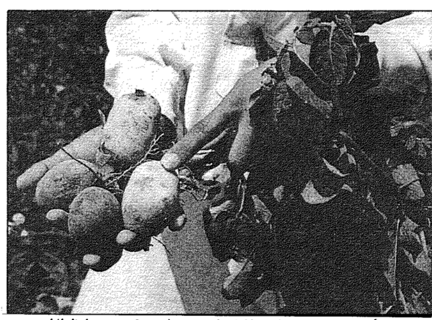
■ وقد ذكر ياقوت - كما أشار المؤلف - أن أصل المذنب هو مسيل الماء بخفيض من الأرض بين تلعتين . . ونسب الى ابن شميل قوله : وان المذنب كهيئة الجدول يسيل عن الروضة ماؤها الى غيرها فيتفرق ماؤها فيها والتى يسيل عليها الماء مذانب .

■ وفى حديثه عن المذنب فى الأدب العربى استشهد بقول لبيد بن ربيعة :

طرب الفؤاد وليته لم يطرب
وعناه ذكرى خلة لم تصقب
سقها ولو انى اطيع عواذلى
فيما يشرن به بسفح المذنب
لزجرت قلبا لا يريح لزاجر
ان الغوى اذا غوى لم يعتب

■ والمذنب تابعة لليمامة فى العصور المتقدمة . . حيث ان سائر بلاد القصيم كان يؤدى خراجها لوالى اليمامة كما ذكره ابو عبيد البكرى فى معجم ما استعجم (ص١٣) . .

منطقة زراعية .



● بدأت تتطور حركة ومعطيات الانتاج الزراعي وهذه نوعية من محصول البطاطس.

كما ورد ذكر المذنب فى شعر بشر ابن ابى خازم والطويق بن عاصم الشميرى.. والمذنب تجمع على المذانب كما فى قول لبيد بن ربيعة:

ألم تلملم على الدمن الخوالى

لسلمى بالمذانب فالقفاف

وكذلك وردت فى شعر للأسود بن يعفر والنمر بن تولب.

■ ولقد أحسن المؤلف صنعا حينما جلا هذه الناحية المهمة فى تاريخ هذه المدينة حيث أورد ما ذكره المؤرخون والجغرافيون القدماء عن منازل القبائل القديمة معرجا على عمران المذنب الذى ذكر انه ما بين القرنين الخامس والسابع حيث توجد آثار يعتقد انها ترجع الى القرن السادس أو السابع الهجرى.. ومن تلك الآثار قصر باهلة وخشم خرطم شرق المدينة وخشم الكيس والآبار الهلالية.

■ وفى الباب الثانى يتحدث المؤلف عن التكوين الجيولوجى لمنطقة المذنب.. والانهيارات الأرضية.. ثم وضعها جغرافيا معرجا على النباتات والحيوانات البرية.. وفى موضوع الانهيارات يلخص المعلومة كما يلى:

يمكن القول ان معظم التكوينات الجيولوجية فى منطقة المذنب يرجع الى الزمن الجيولوجى الأول.. وأقدمها الحجر الرملى التابع لمنطقة (ساق) الذى يعتبر هو المستودع للمياه الجوفية العميقة التى تستخرج عن طريق حفر الآبار الارتوازية.

■ ومن الانهيارات التى حدثت بالمنطقة: خسف المذنب ـ خسف الخسيفات وخسف نبعه.. ويرجع سبب هذه الانهيارات الى اذابة المياه الباطنية القريبة من سطح الأرض والتى يستغلها الأهالى بواسطة (الغليان) للحجر الجيرى القابل للذوبان.. ومن النفوذ الرملية يذكر «نفوذ الشقيقة ونفوذ صعافيق».. أما الأودية فهى تتكون على شكل شعبان منها: «شعيب العمار وشعيب ابو عاذر وشعيب معيرضة» وشعيب الدالوبى وشعيب المعذر وشعيب روضة الزرع».

■ اما النباتات الطبيعية فهى لا تختلف عن نباتات وسط نجد.. وكذلك الحيوانات البرية المعروفة فى وسط الجزيرة العربية.

■ وفى الباب الثالث يتحدث المؤلف عن الزراعة وتطور الانتاج الزراعى.. حيث تعتبر منطقة المذنب من أشهر جهات القصيم الزراعية لتوفر التربة الزراعية الخصبة والمياه العذبة.. بالاضافة الى خبرة السكان حيث اشتهرت بوفرة القمح فقيل فى المثل (ارخص من تبن المذنب).

■ وفى عام ١٣٨٦هـ تأسست الشركة الزراعية الأهلية فقامت باستغلال بعض الأراضى الخصبية الى جانب توزيع الأراضى على المزارعين وافتتاح المصرف الزراعى الذى أخذ بمد المزارعين بالقروض بالاضافة الى الخدمات التى يقدمها المكتب الزراعى.

■ أما الانتاج الزراعى الذى كان مقتصرا فى الماضى على التمور والقمح فقد تطور وتنوع فأصبح يزرع العنب والرمان والأترج

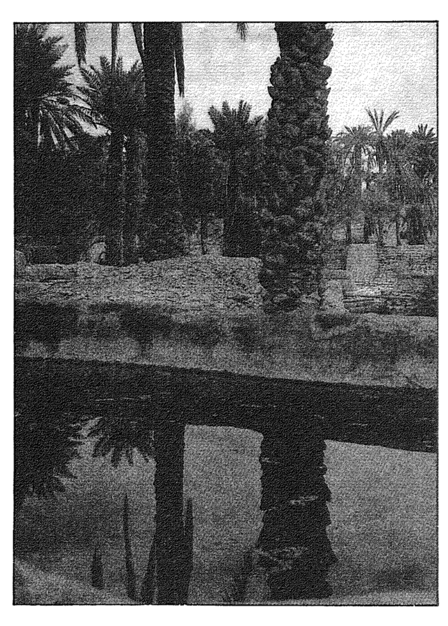
والتين والبرتقال والليمون . . وقد بلغ انتاج القمح عام ١٤٠٣هـ ما يزيد عن ٣٠٠٠ طنا . . وبلغ مجموع المساحات المزروعة ٨٦٣٢٩ دونما . . وعدد الأبار الارتوازية ٤٤٥ بئرا .

■ وفى الباب الرابع يتحدث المؤلف عن العادات والتقاليد بما فى ذلك مواد البناء وتخطيط المنازل والتعامل التجارى والصناعات اليدوية . . ثم ينتقل الى عادات الزواج والأعياد والتى لا تختلف كثيرا عن العادات فى انحاء وسط الجزيرة العربية . . وكذلك أدوات الصيد والألعاب لولا اختلاف المسميات فى بعض المناطق .

■ وفى الباب السادس ينتقل المؤلف للحديث عن التطور العمرانى بما فى ذلك مياه الشرب والانارة والمواصلات . . حيث تطور عدد السكان من ٢٠٠٠ نسمة كما اشار الى ذلك عمر كحالة الى ٣٠٠٠ كما ذكر حافظ وهبة .

■■ والمؤلف بالرغم من انه اعتنى بعدد قطع الأراضى الموزعة على الأهالى ٢٧٥٨ عام ١٤٠٣هـ عدا ما يخص المرافق الا أنه لم يشر الى عدد السكان ولو تقديرا .

■ أما عن الانارة فقد ذكر انها بدأت عام ١٣٨١هـ بجهود فردية الى أن تأسست شركة كهرباء المذنب عام ١٣٩٥هـ .



■ وعن المواصلات ذكر ان اهم الطرق المعبدة هو طريق القصيم الرياض وحائل بطول ٩٥٠كم وقد افتتح مطار المليدا فى اوائل عام ١٣٨٤هـ ويبلغ عدد المساجد ٢٦٠ مسجدا منها ١٤ جامعا .

■ وعن الحركة العلمية يذكر المؤلف اثنين من علماء المذنب المتقدمين أولهما: الشيخ عبد الله بن احمد بن غصب الناصرى المولود فى الداخلة عام ١٠٧٠هـ وقد برز فى علم الفقه والفرائض ثم انتقل للمذنب . . ثم طلبه أهل عنيزة لتولى القضاء عام ١١١٠هـ وتوفى عام ١١٦١هـ . . والثانى : الشيخ عبد الله بن دخيل الذى انتقل الى المذنب عام ١٢٩٠هـ ثم ارتحل منها وعاد اليها عام ١٣٢٢هـ حتى توفى عام ١٣٢٤هـ . . وكان له أثر فى نشر العلم فى المذنب . . ولا ادرى كيف قفز المؤلف الى تعليم البنات دون أن يعرج على تعليم

■ وشعراء المذنب كلهم من شعراء النبط . . وقد عد منهم المؤلف كلا من ناصر البخيت وناصر العتيق وصالح الزومان ومقبل الزومان وصالح بن سليمان الجار الله ومحمد الوهيد والوضاحي وعلى الفجحان ومحمد الركباني وغيرهم .

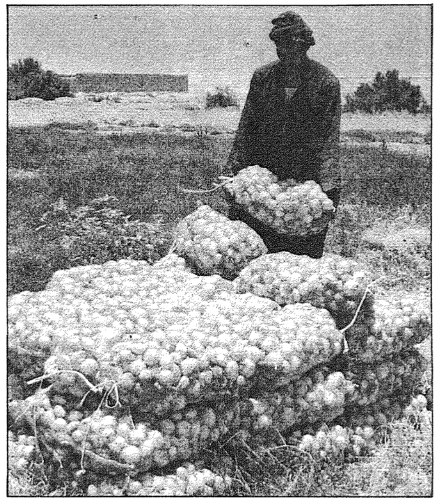
والملاحظات على هذا الكتاب اهمها :

١ ـ ان المؤلف لم يشر الى الشعر العربي الفصيح ولا اعتقد ان منطقة كالمذنب في وسط القصيم تخلو من الشعراء .

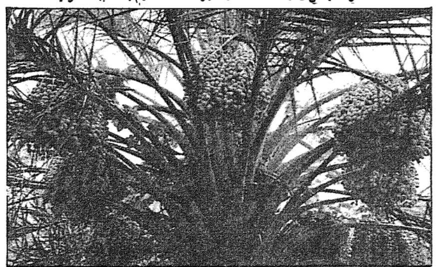
٢ ـ لم يشر الى تعليم البنين وهو جزء من البنية الأساسية للمجتمع والذى عليه يقوم التطور الاجتماعي والثقافي والصحى والاقتصادى .

٣ ـ اعتمد المؤلف على التقارير والاحصائيات الرسمية فى الحديث عن التطور دون ان يكون له رأى خاص فى هذه النواحى .

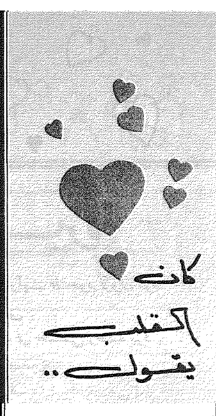
■ وهذه الملاحظات مع أهميتها لا تقلل من جهد المؤلف . . الا اننا كنا نطمع فى ان يكون العمل اكثر شمولية لكل النواحى التى يعالجها الكتاب . . فهو صورة من صور بلادنا المشرقة .



● محصول البصل وفترة الحصاد . . وتشتهر منطقة القصيم بعامة بهذه النوعية



البنين . . فقد ذكر ان تعليم البنات فى الماضى كان يقوم على جهود فردية الى ان تم افتتاح اول مدرسة حكومية عام ١٣٨٦هـ . . وقد وصل العدد الى ١٤ مدرسة ابتدائية ومدرستان متوسطتان ومدرسة ثانوية ومعهدا لاعداد المعلمات .



مناجاة يراع خفاق .. يستطيب التجربة وينفعل بالوجد .. يرتحل فى أعماق الذات الانسانية فيحصد المعنى المُعنّى.. ويتواصل مع نمير الكلم العذب فيطوع شارده ويعصف بركيكه وصولاً لغرض انفاسه فى طواعية واقتدار عبورا للمتلقى والمبدع على حد سواء.



عزيز ضياء

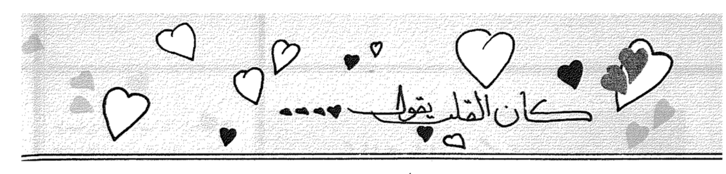
قالت الحياة كلمتها

قالت الحياة كلمتها
تلك الكلمات التى يظنها الناس انشودة
قالت الحياة للأحياء
للذين يعيشون ليحيوا
وظننتها انا حلا . . وسبيلا الى السلام

* * *

الحياة للاحياء
للذين يعيشون ليحيوا
وظننتها انا حلا . . . وسبيلا الى السلام
سلام الروح . . . والنفس . . . والجسد
فاذا بى مكبلة بالأغلال
كل ما حولى شتاء وجليد
لا شىء يشيع الدفء فى روحى
ولا نسمة أمل
ترفع عن عاتقى الأغلال
الأغلال الثقال . . .
اغلال الحياة للاحياء . . .
والصبا . . . ذلك الفجر الذى يطل من
عيون ، فيها اطياف الشوق . .
كم اسرع يلملم بساطه السحرى
كيف ؟؟؟ سماء . . . مشت عليه الغيوم
والفراغ . . .
الأغلال الثقال
مكبلة بالأغلال
كل ما حولى شتاء وجليد
عواصف وانواء . . .
وما زالوا يقولون . . الحياة للأحياء
للذين يعيشون ليحيوا . .
هراء . . . خواء . .

* * *



الرَّاعيــة الصغـــــيرة



كنت طفلا ، يوم رأيت النجوم لأول مرة
كنت فى حضن أمى . . .
ورغم ذلك سرت فى جسمى رعشة برد
فانتبهت لذاتى الصغيرة
أحسست انى اعرف ما لم اعرف من قبل

* * *

وما اكثر ما عرفت، بعد ذلك المساء
وما اكثر ما سعدت بها أعرف
وما اكثر ما شقيت
وفى ذات صباح
عند الغدير، حيث ترعى الماشية وتشرب
رأيتهـــا . . .
تلك الراعية الصغيرة . . .
رأيتها قبل ذلك مئات المرات
ولكن فى ذلــك الصبــاح، رأيت فى وجههــا الصبوح الباسم
الصغير ما لم أر من قبل
رأيت الجمال . . . عرفته . . . وليس قليلا أن تعرف الجمال .
ومـرت اعـوام . . . امتلأت حيـاتى خلالها بالكثير من المعرفة
بالكثير من الوجوه الصباح
بالكثير من السمات الحلوة والقسمات الباسمة
ولكن . . . تلك الراعية الصغيرة
فى ذلك الصباح .
كانت وحدها صورة الجمال . . .
كانت وحدها التى ما زلت اذكرها ، كلما رأيت الوجوه الصباح .

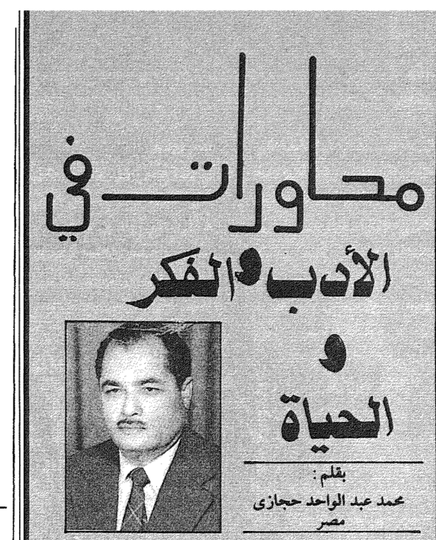
لم يعد يا أماه



هذا وقت عودته . . . ولم يعد يا أماه
يغيب عنا . . . يطيل غيابه . . .
يقود تلك الشاحنة فى جوف الليل . . .
فى بطون الأودية والشعاب
ولكنه يعود . . فى مثل هذا الوقت يعود
ولم يعد . . لم يعد أبى يا أماه

* * *

ومضت أيام . . . نهارها كلياليها
سوداء مظلمة . . . ولا شىء الا الصمت
شاحنات كثيرة تمر . . .
اصوات رجال ترتفع فى مشرق الشمس
وفى ذلك البيت . . . فى الزقاق العتيق
لا شىء الا الصمت . . . والليل الطويل
ولم يعد ابوها . . .
ابتلعه الليل
اطبقت عليه حفنة من تراب الأودية والشعاب
وقالت امها :
لن يعود يا بنيتى . . .
ولكنه سيظل هنا
فى هذا القلب . . .
وفى قلبك الصغير . . .
فى قلوب اليتامى لا يموت الأب . .
قلوب اليتامى وحدها . . . هى التى تعرف كيف تنطوى
على الآباء والأمهات . .



هذه المحاورات: الحياة عطاء . . والحوار حول معطياتها تجديد واثراء للعطاء . . ويظل التلازم قائماً بين الحياة وبين جدل الفكر الطامح المجنح، وما هذه المحاورات إلا شرائح من الحياة . .

هذه المحاورات: تتناول فيما تتناول الحياة والأحياء . .

الناس فى سلوكهم وتصرفاتهم وطرق تعاملهم مع أنفسهم والآخرين . . تتناول فلسفة الناس تجاه الحياة وتجاه بعضهم.

هذه المحاورات: مواضيع شتى، خواطر عدة، سوانح وملاحظات يربط بينها الانسان ورؤيته لكل ذلك . ثلاث حلقات نشرت من هذه (المحاورات) هى بالتوالى فى أعداد (محرم ـ جمادى الأولى ـ رجب ١٤٠٧هـ).

هذه المحاورات: جعلت (العيون) بداية محورها، تناولت المحاورة الأولى الحديث عن (العيون) وتاهت فى جمال العيون . . فالعيون هى الواحة التى يلتقى عندها العشاق ويتغنى بها الأدباء ويمتد بهم حديث (العيون) فى المحاورة الثانية . . اما المحاورة الثالثة فقد ارتنا (دموع العاشقين . . وكما يقولون (ما أجمل الحب، وما أشقى المحبين) وهنا نقف عند (عيون الناس) فالناس بين: محب ومبغض . . فرح وحزين . . حاسد وساحر . . وقانا الله جميعاً شر (عيون) السوء.

تتمة المحاورة الرابعة

عيون

● الكبر، نار . . والنار قوة وعنـ

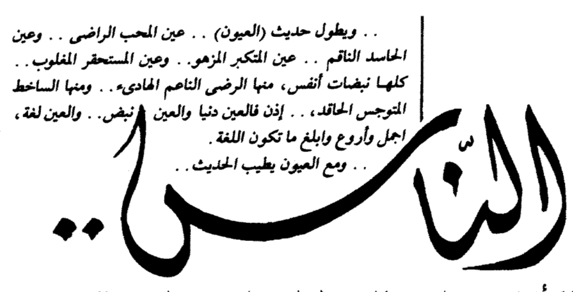
● نظرة الكبرياء أساس البـ

● نظرة الحسود نظرة (نقـ

قال: الصواب هو ما تقول . . لكن ألست معى فى أن نظرة الحسود هى نفس نظرة المنافق؟

قلت: نظرة الحسود من نوع نظرة المنافق، فالمنافق يظهر لك استحسانه ورضاءه فى تبسط بيِّن . . وقد يوافقك على ما تصنعه إن كان ما تصنعه يخدم هدفه كأن يدنيه منه ويذلله له . . وقد لا يوافقك وحينئذ تراه يزين لعينيك ما يريده بأسلوب جذاب طلى فيه نفحة من إخلاص ومسحة من حب لا تخطئها فى عينيه . . ومن ثم كانت نظرة المنافق نظرة رواغة تتعب الادراك فى التعرف عليها والاحاطة بها.

لكن نظرة الحسود أقل روغاناً، إنها تحاول ولكنها لا تصبر لأن نار الحسد الحقود سرعان ما تطبع فيها



.. ويطول حديث (العيون) .. عين المحب الراضى .. وعين الحاسد الناقم .. عين المتكبر المزهو .. وعين المستحقر المغلوب .. كلها نبضات أنفس، منها الرضى الناعم الهادىء .. ومنها الساخط المتوجس الحاقد .. إذن فالعين دنيا والعين نبض .. والعين لغة، اجمل وأروع وابلغ ما تكون اللغة.

.. ومع العيون يطيب الحديث ..

ـف وحركة وأضواء متصـــاعدة .. وكل هـــذه النوازع تلمســـها فى نفسية المتكـــبر.

ـلاء .. فهى تمزق النـــفس إلى نفوس تحترب كأعـــداء ألداء .. فنـــفس المتكبر أهواء ونزعات.

ـادة) باحثة عن العيوب، تظهرها إن كانت خافية، وتجسمها إن كانت ضئيلة، وتتخرصها افتراءاً وكذبا ..

سمة الضيق والحرج .. فترى فى حركة العين اختلاجات النفور والحسرة، أو النفور المشوب بالكراهية .. وكلها أحوال فيها تعلو الوجه مسحة من الذبول الكابى يحاول صاحبه جاهداً أن يبدده ببسمة باهتة تعبر عنها كلمة أو كلمتان ينتزعها الحسود من صدره وكأن قد أصابته غصة.

ولذلك فإن نظرة الحسود نظرة نقادة، باحثة عن العيوب، تظهرها إن كانت خافية وتجسمها إن كانت ضئيلة لا تستلفت الانظار .. أو تتخرصها افتراء وتشير إليها قائلة: افتحوا أعينكم أيها الناس .. افتحوها جيدا.

قال: آنذاك يقلل الحسود من شأن كل عظيم ويصغر من أمر كل نبيل شريف فيشير إليه قائلا: ماذا ترون؟ أتحسبون أنكم ترون عظيما لم تأت به القرون الغابرة؟ .. أتظنون أنكم ترون شيئا كريما ينفع الناس؟ .. هيهات .. هيهات .. لقد زيف عليكم وخدع أبصاركم بحيله وألاعيبه.

وهكذا الحسود دائما لا يرى شيئا ذا قيمة إلا استخدم فيه أسلوب الاستثناء: سوى أننى، غير أننى أرى، إلا أننى أرى.

قال: صدق من قال: «حبيبك يبلع لك الزلط وعدوك يتمنى لك الغلط» .. إنه مثل شعبى يتأسى به الناس فى ساعات العسرة ويتمثلون به فى أوقات الشدة .. فحبيبك هو من يؤثرك بقلبه ويرجو لك من الخير مثل ما يرجوه لنفسه؛ وربما افتداك براحته وصحته وماله فى سبيل خيرك ومرضاتك.

وتأتى عبارة: «يبلع لك الزلط» لتجسد مدى ما قد يتكلفه الحبيب من أجل حبيبه .. ومدى ما قد يبذله صوناً للحب .. إنه يرى الزلط زلطاً ومع ذلك فهو أشهى عنده من حب الرمان، وألذ وأطعم وأسهل هضما من التفاح الأمريكانى.

أما عدوك ـ فالعياذ بالله منه ـ فهو حاسدك ومبغضك؛ إنه يتمنى لك الغلط .. وكلمة «يتمنى» فى هذا المثل الشعبى العذب تصور نفسية الحسود فالتمنى شوق ولهفة، والشوق واللهفة علامتان على نفس متوترة قلقة، وفى نفس الآن هى نفس مخدوعة يوهمها العداء بأن هاهنا غلطاً، أو أن هاهنا عيباً وفساداً .. فماذا نقول إذن سوى أن الحبيب بنظرة منه

● التكبر فى باطنه إحساس بالقصور والمهانة يغطى المتكبر عليها بالاستعلاء وازدراء الغير.

● أخوف ما يخافه المتكبر المتعالى عيون المحرومين والمظلومين لأنها تخبىء فى حدقاتها المجهول الذى لا يعلم عواقبه.

● نظرة المنافق نظرة (روّاغة) تتعب الإدراك فى التعرف والإحاطة بها.

● العاشق ينظر بعين حبيبه.. فهو ينظر بروحه، ويفكر بعقله.

يصير الزلط تفاحاً، وأن العدو بنظرة منه يحيل التفاح الى زلط كأنه شواظ من نار ونحاس.

■ هذه هى نظرة الحبيب وتلك هى نظرة العدو. نظرة الحب لا ترى فى المحبوب إلا ما هو جميل.. لا.. لا.. إنها ترى كل ما فى المحبوب جميل حتى ولو كان منفراً للعيون.. ولو كان مقبضاً للنفوس تصدف عنه وتتحاشاه.

وأظن أن الناس كانوا موفقين الى حد بعيد حين قالوا: مرآة الحب عمياء، لأن الحب..

قلت: على الفور وقبل أن يستطرد فى حديثه ـ مرآة الحب عمياء؟.. حقيقة؟.. أنا لا أظن ذلك..

قال: ولكننى أظن بل أعتقد لأن الحب إذا طغى حجب البصر عن كل ما عدا المحبوب أو عن كل مالا يرضى عنه المحبوب.. إن العاشق ينظر بعيون حبيبه إلى ما حوله ومن حوله فهو ينظر بروحه وعقله.. فإذا فكر أو قدر فهو يفكر ويقدر بعيونه؛ وإذا مال الى شىء وأحبه، مال إليه أيضا وأحبه.. أصدقاؤه هم أصدقاؤه وأعداؤه هم أعداؤه؛ فمن ذلك قيل: مرآة الحب عمياء.. فكان المحب أسير نظرة المحبوب.

قلت: ولماذا لا يكون العكس هو الصحيح؟.. أى يكون المحبوب أسير نظرة العاشق المحب؟ فكم من محبوبين هم أسارى نظرات محبيهم وعاشقيهم.. ترى المعشوق ينظر إلى عيون حبيبه فيعرف من لمحها ما تريد وما تقضى به وتشير. ومن رفيف رموشه واختلاج نظراته يتلقى إشارات لها مغزاها ومعناها ولها دلالاتها التى لا يدركها ويدرك بواطنها إلا هو.. فإذا هو سميع مجيب، لا يتردد ولا يسائل ولكنه ينهض بما كلف به فى حب وإخلاص وتفان.

فنظرة الحب حين تتجاوب بها عيون المحبين هى نظرة إيجابية عميقة لا تعرف السلبية أبداً لأنها تستجيب استجابة عمل وفداء.

قال: أقول لك الحق: نظرة الحب هى نظرة الرضا، ولعل نظرة الرضا أشمل معنى وأعمق دلالة.

يقول الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدى المساويا

قلت: فما هو الرضا الذى تتصوره؟

قال: هو الطاعة المطمئنة والتقبل الهادىء الوديع.. فحين تكون العين هى عين الرضا أو أن النظرة هى نظرة الرضا فإنها تغتمض عن أى عيب تراه فتتجاهله وصدق الشاعر حيث يقول:

ومن لا يغمض عينه عن صديقه
وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

■ وربما تستملح عين الرضا ما يراه الناس سيئا، كذاك الذى يقول له الناس: إن ابنك هذا شقى سىء الخلق.. فيرد عليهم بقوله: ابنى أنا؟ ابنى مثال الأخلاق الطيبة.. هو ابنى وتربيتى.. أو كالتى تكون ابنتها على شىء من القبح

أو الدمامة فلا تجتذب عيون العرسان ولا تستهوى قلوب عشاق الجمال ومع ذلك فهى تقول: ابنتى أحلى العرايس.. **(ابنتى تقول للقمر: قم وأنا أقعد مطرحك)**.. **(العيون عيون غزلان.. والفم خاتم سليمان)**.. وتزيد السخرية حين تغنى لها صويحباتها: **(اتمخطرى يا حلوه)**.. يازينة.. والحلوة الزينة عمشاء فسكاء كقرد فر من خط الاستواء.



قلت: يا عجبا.

قال: لا تعجب فالقرد فى عين امه غزال.

قلت: لا أدرى إن كان الناس قد ظلموا القرد أم ظلموا أمه، أم ظلموا الغزال.

قال: هى نظرة حب.

قلت: فإن لم تكن أمه؟

قال: ولكن عين السخط تبدى المساوئا.

قلت: آه من عين السخط.. إنها تكلفنا كثيراً جداً.

إن كاتمونا البِغَض نمت عيونهم
والعين تظهر ما فى القلب أو تصف

قال: وقد لا تنم نظرة البغض أو السخط على عداوة أو حسد.

قلت: فأى شىء يكون إذن؟ أيكون حباً شديداً؟.

قال: من الحسد ما هو كبر أو عجب.

قلت: الكبرشىء.. والعجب شىء آخر، ومع هذا فكل منهما طبقة أو درجة من درجات الحسد.

قال: وما التكبر والعجب إلا نظرة عين تدل على ما تعانيه النفس من صراعات وأطماع.

قلت: لا شىء أبغض إلى نفسى من نظرة المتكبر. إننى أمقتها لأننى أدرك مقدار خطورتها عليه هو ذاته وكذلك على غيره سواء أكان هذا الغير فرداً أو جماعة.. وإننى لأعجب من أمر المتكبر ولم يتكبر؟.. وما الذى سيلغه من تكبره؟.. يخيل إلى أن التكبر نزعة من نزعات الانسان الفطرية.

قال: لا مجال للتخيل ولكنها الحقيقة فالتكبر نزعة طبيعية فى الانسان يمر بها فى موقف من مواقف حياته.. فتراه وقد لبسه الكبر وغمر كيانه؛ وصدق الحق سبحانه حيث يقول: **﴿كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى﴾** (٦ سورة العلق).

■ فهذه الآية الكريمة تبين لنا السبب الأصيل الكامن وراء كل مظهر من مظاهر التكبر فهو يرجع أساساً إلى حالة الامتلاك لشىء مع نظرة مقارنة إلى الغير. فإذا أفاء الله على عبد من عباده بنعمة من نعم الحياة كالمال أو الصحة أو العلم أو المرتبة الاجتماعية أو أي ميزة من الميزات التى يتحلى بها الناس ويتباهون ـ إذا أفاء الله على عبد من عباده بنعمة من تلك النعم فإن صدره قد يلتهب بانتشاء نفسى يسيطر على مشاعره يدرك معه أن ليس كمثله أحد من الناس.

وفى لحظة الانتشاء والزهو هذه ينظر الى ذاته وإلى باطنه بسرور فياض يطغى على عين بصيرته



التى ينظر بها الى داخله فلا يرى سوى صورته.

■ وبتلك العين التى أصابها العمه من شدة الزهو والانتشار ينظر الى الغير نظرة موازنه وتقييم استعلائى - إن أجيز هذا التعبير - فيقول فى نفسه: أنا.. من أنا.. وهم، من هم؟.. ألا يعرف هؤلاء الرعاع من أنا؟.. ألا يعرفون أنفسهم؟.. هل نسوا أصلهم.

■ وبنظرة الموازنة تلك ينظر الى نفسه وإلى الناس فيخيل إليه أنه يطاول النجوم بعداً وسمواً وخلوداً.. أما غيره، أما سائر الناس فهم دهماء لا يعقلون، وأجلاف الذوق لا يحسنون التمييز. لقد خلقوا لينظروا إليه فحسبهم ذلك.. وخلقوا ليتلقوا عنه فحسبهم ذلك.. وخلقوا عبيداً لاشارته فحسبهم ذلك.

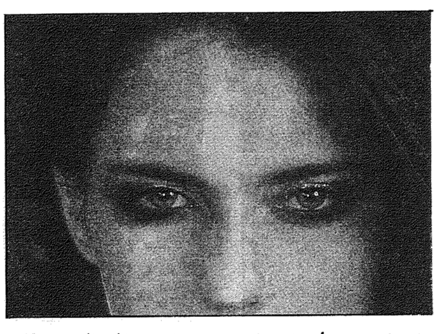
قلت: التكبر نظرة أنانية بدأت والخليقة مازالت فى مهدها؛ قال تعالى لابليس: **﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى استكبرت أم كنت من العالين. قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين﴾**.. لقد نظر إبليس الى نفسه بعد أن رأى غيره؛ فلو لم يكن هناك غير لما كانت هناك حاجة الى نظرة التقييم والمفاضلة. فشرط التكبر إذن وجود الغير على حالة ليست متمثلة فى المتكبر. ولذلك نظر إبليس الى ذاته نظرة اعتزاز وحرص.. ونظر إلى آدم عليه السلام نظرة كبرياء وازدراء؛ وجاءت كلمته معبرة عن شعور المتكبر فقال: **«أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين»**.

قال: فى تصورى يا صديقى العزيز أن هذه الآية الكريمة تحمل أخصب الصفات الدالة على طبيعة الكبرياء؛ فالنار قوة وعنف وحركة وأضواء متصاعدة ولا تكذبك عينك أن تلمس هذه النوازع فى نفسية المتكبر؛ فالمتكبر يحس بذاته كيانا متعاظما فيقول: **«أنا» «أنا خير منه»**.

ولفظة **«أنا»** إحساس بالذات، وعبارة: **«أنا خير منه»** تعبير عن نظرة الذات الى ما تمتلكه من مؤهلات.. فكأن المؤهلات والخصائص هى التى تتكلم هنا وهى التى تعرض نفسها فى إدلال على الغير إلى أن ينظر إلى نفسه ليعرف قيمته وليعرف مم خلق ولم خلق.. وليعرف أن ليس من حقه ولا فى مكنته أن يحاول النهوض ليتساوى مع غير أو ليقترب منه.

قلت: إن عليه - فى شريعة أولئك المتكبرين - أن يقنع ويخشع.. بذلك نادى فرعون، وينادي كل فرعون، وما أكثر الفراعنة بين الناس؛ فلقد قال: **﴿يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون﴾** (٥١ سورة الزخرف).. وكذلك نظرة الكبرياء دائما: اعتزاز وتعال وفى نفس الوقت تحقير وامتهان.

■ ومن ثم كانت نظرة الكبرياء هى أساس البلاء فهى تمزق النفس الى نفوس تحترب كأعداء الداء.. فليست نفس المتكبر واحدة ولكنها أهواء ونزعات.. إنها تنظر هنا وتنظر هناك، وتتكبر على هذا



وتتجبر على ذاك . . إنها تعيش فى قلق دائم وتوتر لا يخبو.

وهل هناك متكبر إلا وهو مشدود الأعصاب فاغر العينين كأن كل عين منها فم تمساح عضه الجوع؟ .

قال: لا تنسى أن قلق المتكبر خوف من المهين الذليل، وخوف من البائس المحروب، وخوف من الصامت فى صبر وإصرار. . نعم المتكبر يخاف وإن تجبر وعتى واستظهر الأمان والاطمئنان. . إنه يخاف من نظرات الفقير المستعبد. . يخاف من نظراته الساكنه سكون البحر ساعة الظهيرة؛ وما من ريب فى أنها تخدعه بسكونها وهدوئها واستسلامها فيظن بها البلاهة والعى فيمعن فى التجبر ويستمرىء الطغيان.

■ والمتكبر يشعر شعوراً غامضاً بعيون المحروم المستعبد وكأنها تهدده بسكونها لأن سكونها غيب مظلم مجهول لا يدرى ما قد يسفر عنه. . إنه سكون ولكنه انفعال عنيف يستنفر مشاعر الخوف والتوجس، قد تهدأ فيه الأعصاب حينا ولكن الظنون والأوهام لا تلبث أن تنوش الصدر كهوام ضارية خرجت لفريستها.

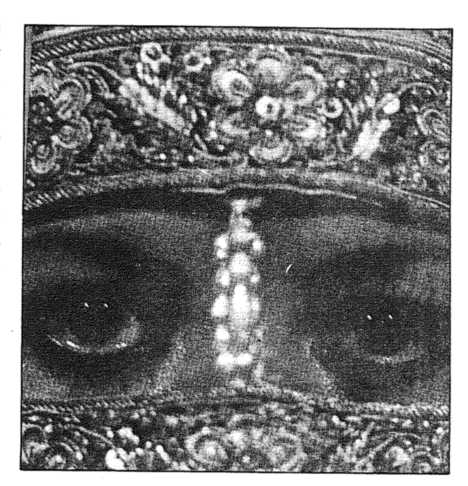
والتكبر ليس إحساساً بالقوة أو القدرة فحسب ولكنه فى جانب منه إحساس بقصور أو مهانة يغطى المتكبر عليها بالاستعلاء أو الازدراء للغير. . ومن ثم فهو قد يستعين بها يلفت الأنظار اليه بخطواته ولفتاته وكلماته وكذلك قد يستعين بثوبه وشارته وركوبته. وبتلك المظاهر يحاول أن يغتصب العيون ضغطاً على الصدور وقهراً للنفوس.

قلت: يا صديقى العزيز، لقد أحاط القرآن الكريم إحاطة شمول حكيم بطبيعة المتكبر ومزاج شخصيته وما قد يأتيه من فعال يقتحم بها عيون من هم دونه أو من يتوهم أنهم دونه؛ فقال سبحانه: **﴿ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾** (١٨، ١٩ سورة لقمان).

فتصعير الخد والمشى اختيالا وفخرا، ورفع الصوت فى عنجهية وأنفة، كلها من علامات التكبر الذى يبغضه الله ويأباه؛ يقول صلى الله عليه وسلم: «من تعظم فى نفسه واختال فى مشيته لقى الله وهو عليه غضبان». . ومن تعظيم النفس والاختيال فى المشية أن يتباهى المرء بملابسه فيسير منتفشاً بها مزهوا؛ قال صلى الله عليه وسلم: **«لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطرا»**.

قال: وهل يستأهل الكبرياء كل ذلك؟ . . هل يستأهل أن يقول فيه صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر؟».

قلت: نعم فالتكبر كما ذكرت لك من قبل، هو أساس البلاء: أساس التناحر الطبقى والطائفى



والعنصرى.. أساس الصراع والحقد الاجتماعى.. أساس التمايز الذى تسحق فيه آدمية الانسان وكرامته.. فالكبرياء يستثير نظرة الشقاء وما تنطق به من أسى وحرمان،، ويستثير نظرة الشقاء فى غيظها وتحرقها للانتقام.. ويستثير نظرة الشقاء فى إصرارها العنيد على انتزاع حقها المغتصب.

■ ومعنى ذلك أن الكبرياء مثير لنيران الفتن بين الناس ومؤجج لعداء الحقد الذى يحرق أسباب التواد وأواصر التراحم.. ومن يدرى؟ فقد يثير من الشكوك ما تعبث بمكنون الضمير من عقيدة وإيمان.. وهنا تكون الطامة.

قال: حقاً، وإنها لحكمة بالغة أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الكبر على المتكبر صدقة».. فما معنى أن أتكبر على المتكبر وليس لدى من الوجاهه وحسن الهيئة مثل ماله؟.. وما معنى أن أتكبر على المتكبر وليس لدى من سطوة النفوذ والسلطان مثل ما له؟.. وما معنى أن أتكبر على المتكبر وليس لدى ما أدل به وأتباهى؟.

■ فى تصورى أن الكبر على المتكبر لا يستلزم شيئا من ذلك ولا هو بحاجة إليه.. الكبر على المتكبر يكون بردعه بنظرة مضادة فيها تحد واستخفاف وإباء.. يكون بردعه بنظرة جسورة استمدت جسارتها من ايمانها بالله الذى: ﴿وله الكبرياء فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ (٣٧ سورة الجاثية).

■ واستمدت جسارتها من ايمانها بأن الناس أمام الله سواء.. فما خلقوا وهم أبناء رجل واحد وامرأة واحدة، إلا ليتعارفوا ويتآلفوا.. معيار التفاضل بينهم هو التقوى والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (١٣ سورة الحجرات).

■ واستمدت جسارتها من إيمانها بأن هذا المخلوق العاتى المتخايل سرعان ما يعتريه الضعف والوهن ثم يدركه الموت فإذا هو عظام نخرة تتأذى العين منها وتزور عنها؛ قال تعالى: ﴿الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾ (٥٤ سورة الروم).

■ وبتلك النظرة المؤمنة الجسورة

أو النظرة الثورية يرتدع المتكبر فيعاود النظر الى ذاته ويفتح عينيه على حقيقته وحقيقة كبريائه وخيلائه.. وبذلك فإنه قد يعود بعد المداولة الباطنية والحوار الذاتى إلى الاستقامة والاطمئنان النفسى وتعود نظرته الى الناس نظرة حب وإخاء موصولة بنظراتهم وآمالهم. فإن لم تكن كذلك فعساها تكون ثورة على الكبرياء والمتكبرين تطيح بما استلبوه واغتنموه.

قلت: ألا قاتل الله التكبر والمتكبرين، الحديث عنهم مرهق ثقيل.. لقد أضاعوا علينا ليلتنا وعكروا صفونا وصدعوا رءوسنا.. لا.. لا.. يا صاحبى لا تكبر ولا متكبرين، ولا حسد ولا حاسدين.. إننى أشعر بالهم الشديد كلما سمعت عنهم أو نظرت إليهم.

سحنتهم تغمنى ومنظرهم يثير أعصابى ويستفزنى.

أنا من عشاق الجمال، أنا على مذهب عمر بن أبى ربيعة، شعاره شعارى، وسنته سنتى:

إنى امرؤ مغرم بالحسن أتبعه

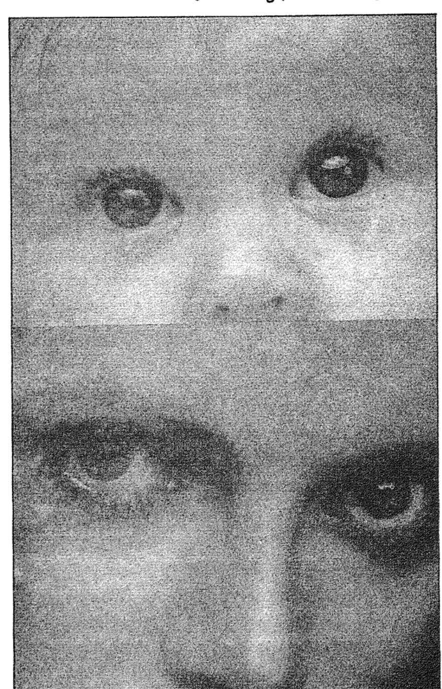
لاحظ لى فيه إلا لذة النظر

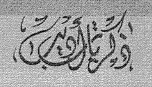
■ هيا يا صاحبى فقد انصرم من الليل أكثره، ومن يدرى فلعلنا فى رجوعنا ننعم برؤية الغيد الحسان فنسرى عن أنفسنا مما أصابها من ذكر المتكبرين الثقلاء.. لعنهم الله.

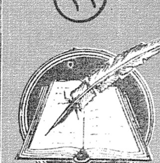
قال: ألم تشبع من رؤية الحسان؟.. صحيح، لا يملأ عين ابن آدم غير التراب.

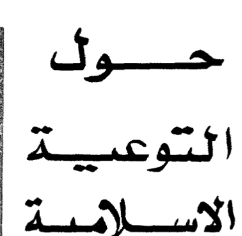
قلت: فهلا متعناها قبل أن يطمسها التراب طمسا؟

وضحكنا ثم اتخذنا طريق العودة نثرثر فى بعض أمور المعاش حتى بلغنا المكان الذى نفترق عنده فودع كل منا صاحبه وتمنى له الخير والسلامة.









حول التوعية الإسلامية









تلقيت الرسالة التالية يوم ١٣/٢/١٣٩٣هـ من معالى وزير المعارف الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ :

سيادة الاخ الاستاذ احمد محمد جمال ـ مكة المكرمة ـ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ـ بناء على قرار اللجنة العليا للتوعية الاسلامية بتأريخ ٣٠/١/١٣٩٣هـ بعمل مسح شامل للطاقات والامكانيات البشرية القادرة على القيام بأعباء الدعوة الى الله فى مختلف المجالات والقطاعات وبث التوعية الإسلامية السليمة فى نفوس الأفراد والجماعات، وقطاعات الشباب ورغبة فى تنسيق هذه الطاقات فى عمل منظم وفق برنامج شامل.

«ونظراً لما عرف عنكم من اهتمام بمثل هذا النشاط فإننى آمل إسهامكم فى ذلك بموافاتنا فى أقرب وقت ممكن ببيان للاشخاص الموثوق بهم من سعوديين أو غير سعوديين، الذين ترون فيهم الاستعداد والقدرة على الاسهام فى هذا العمل الاسلامى، سواء كانوا أساتذة أو طلابا او مهنيين ترون إمكان الاستفادة منهم مع توضيح عناوينهم آملين من الله لكم التوفيق فى خدمة الاسلام والمسلمين ـ وتقبلوا تحياتى ودمتم».

● ورددت على معاليه ـ يرحمه الله ـ بالإجابة التالية يوم ٣/٣/١٣٩٣هـ.

معالى الاخ الكريم الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ.

وزير المعارف ورئيس اللجنة العليا للتوعية الاسلامية ـ وفقه الله لما يحبه ويرضاه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ثم أشكر معاليكم على حسن ظنكم بشخصي الضعيف، وقد تأخرت فى الرد على خطابكم رقم ١٢١/ت/٥٣ فى ١٣/١٢/١٣٩٣هـ لأنى أطلت التفكير فيما رغبتم إليَّ إبداءه لكم عن الاشخاص الذين يوثق بإخلاصهم للاستعانة بهم فى نشاط التوعية الاسلامية.

ولقد أطلت التفكير والتأمل والنظر. فى ما يسمى (بالتوعية الاسلامية) وفى الوزارات والادارات المتعددة التى تقوم بنشاط فى هذا المجال كوزارتكم ووزارة الحج، وادارة البحوث العلمية والافتاء ـ وفى الآثار والردود التى أنتجها

هذا النشاط الذى اختلفت مصادره واتحد هدفه وشكله . . ولم يكن له مع الأسف الشديد الاثر المطلوب .

فقد تكررت الخطب والأحاديث والمحاضرات والندوات فى المساجد والمدارس، ومواسم الحج ، وفى الاذاعة والتليفزيون ـ وكلها أو كلهم يتحدثون عن (الاسلام) والغزو الفكري والثقافي ـ وصلاحية الاسلام لكل زمان ومكان ـ وانه لابد من العودة اليه ، للانتصار على الاعداء ـ وللازدهار ايضا فى معايشنا ومرافقنا ـ والاسلام هو الدين الحق ، وما عداه باطل ، وسرد طويل للاحاديث النبوية والآيات القرآنية والنماذج التاريخية .

حتى سئم الشباب والطلاب وملوا بل (قرفوا) من شيء اسمه الاسلام ، واعتقدوا أن الحديث عنه هو حديث عن (خيال) أو (مستحيل) لماذا؟ لأنهم يفتقدون (الإسلام) حقيقة وسلوكاً فى المدارس، بل فى المساجد، والكليات والجامعات والمتاجر والادارات الحكومية ، وفى الشارع والسوق والنادي والطريق . . وفى الاذاعة والتليفزيون كذلك .

يا صاحب المعالى . . الحديث ذو شجون ويطول السرد والعرض لو طاوعت نفسى فكتبت اليكم بكل الحقائق المريرة التى نعيشها . . ولكني اكتفى بأن أقترح أن تحول لجنة التوعية الاسلامية التى ترأسونها كل نشاطها إلى (الداخل) أعنى داخل المدارس والمعاهد والكليات ، فهي الميدان الحقيقي والجدير بالتوعية بل بالتربية الاسلامية .

«فالخنفسة» متفشية فى كل المدارس بل حتى فى الجامعات ، ومعها البنطلونات المحزقة والملونة واختلاف الازياء ـ والاغاني والرقص ـ وافتقاد الماء للشرب والتطهر والوضوء للصلاة والمكيفات . . اثناء فصول الحر، وفى فترة الاختبارات خاصة . . الى جانب المدرسين الامريكيين والانجليز الذين لا يتورعون عن ابداء آرائهم ووجهات نظرهم ودعاياتهم لكل مساوىء الاخلاق والعقائد السيئة .

هذا هو الواقع المرير الذى يعيشه طلابنا وشبابنا ، وهم فى واد . . والتوعية الاسلامية بكل نشاطاتها ورجالاتها وبكل ندواتها ومحاضراتها فى واد آخر .

إذاً فهى عبث وهدر، وجهود ضائعة وأموال سائبة . . ولابد من تدارك للأمر، ومسارعة بوضع خطة عملية تربوية داخل القطاع التعليمى ، نحقق فيه اولا كل حاجات شبابنا وطلابنا : الإدارية والتعليمية والتربوية ونغزوهم مع ذلك او بعد ذلك بالحديث عن الاسلام وروعته وجلاله وصلاحه وفلاحه .

اما أن نحدث الجائع عن لذة الطعام دون أن نقدمه له ، او نحدث الاعمى عن جمال الطبيعة ، او الاصم عن روعة الموسيقى ـ فاعتقد ان معاليكم اول من ينكر ذلك ويرفضه ويأباه . . وفقكم الله واعانكم على ما يحبه ويرضاه .

■ لقد أثبتُّ هاتين الرسالتين عن التوعية الاسلامية . . لأؤكد أن الوضع الاجتماعى والثقافي والتربوى في المجتمعات الاسلامية كلها مازال كما كان ، . وقد يستمر غدا كما هو الآن اذا ظللنا مكتفين بالمقالات والخطب على المنابر ومواعظ المساجد وأحاديث الاذاعة والتلفاز . . دون تخطيط وتنظيم ، ومراقبة عملية لتوعية إسلامية صحيحة تستند إلى القول والعمل معاً والى النظرية والتطبيق جميعا .

■ لقد كثر كلامنا ـ نحن المسلمين ـ وقلَّت بل انعدمت أعمالنا وكثرت صحفنا ومجلاتنا وموجات إذاعاتنا وشاشات تلفازاتنا وندواتنا ومؤتمراتنا التى تفيض بالأبحاث والدراسات العلمية والاخلاقية ، ومعجزات القرآن وروعة السنة النبوية و. و. دون أن نرى اثراً واحداً لهذا (الكلام) الكثير المتدفق فى نفوس الشباب من الجنسين وسلوكهم .

■ اننا نفتقد العمل والتطبيق ، كما نفتقد «فى كثير من الاحيان» القدوة من القادة والسادة ومن الآباء والأمهات ، ومن المدرسين والمدرسات .

وما لم يتحقق العمل الصالح وتبرز القدوة الحسنة فى مجتمعاتنا ـ بمدارسها وبيوتها وجامعاتها وأسواقها ـ فإن كلمة الله تصدق علينا : ﴿كبُرَ مَقْتاً عند اللهِ أنْ تقولوا مالا تفعلون﴾ .

(١٢٨) كانوا يهدون الفول والشعير.

ذكر النهروالى فى (البرق اليمانى) أن ابراهيم باشا الذى كان عُيِّن لعمارة عين زبيدة فى أواخر القرن العاشر الهجرى، أهدى إلى محمود باشا المعزول عن اليمن هدايا من ضمنها: ثلاثون أردباً فولا وثلاثون اردباً شعيراً.

(١٢٩) من قواعد المجتمع

الذى لا يبتسم فى الدنيا لا يُبكى عليه حين يغادرها. . تقدير الرجال عوارٍ متبادلة. . الثقة رأسمال الفضلاء.

(١٣٠) ثلاث تنتج ثلاثا

إذا ضعف السلطان فسد أهل الزمان. . إذا سادت الدهماء فسد القضاء، واذا فسد القضاء عم البلاء.

(١٣١) حامل العقارب

جاء رجل إلى ابن سيرين - رحمه الله - فقال: رأيت بعين النائم اننى أحمل كيساً مملوءاً عقارب، وانها كانت تلسعني من ورائه. فقال له الامام: انت عاديت أو باش الناس.

(١٣٢) الاسماء المركبة

قبل سنوات أصدرت وزارة الصحة السعودية أوامر منها منع تسمية المواليد بالأسماء المركبة، فما قصة الأسماء المركبة؟.

لم تعرف العرب الأسماء المركبة لا فى الجاهلية ولا فى صدر الاسلام، حتى إذا دخلت الأمم غير العربية فى الاسلام احبته وأحبتهالعرب فصاروا يسمون محمداً وعليا والحسن ونحو ذلك. ويبدو أن بعضهم كان يسمى محمداً وينوي إن رزق آخر أن يسميه علياً، ولعدم ضمانه أن يرزق ابناً آخر أراد أن يضمن الاسمين معاً، فصاروا يسمون (محمد على) اسم واحد.

وعندما جاء محمد على باشا لغزو الجزيرة فى أول القرن الثالث عشر الهجرى تشبث أهل الحجاز بهذا الاسم لانبهار المغلوب بصفات الغالب، ثم تزيدوا وتفننوا فى الاسماء المركبة بعد ذلك فسموا: , محمد على، ومحمد صالح، ومحمد عيد، ومحمد حسن، الخ.

(١٣٣) ملهي الرعيان

يوجد فى البادية طير غريب الخلق عجيب الطباع، يشبه القطاطة وليس بقطاطة، له عينان توحيان بالمكر أو السكينة، إذا اقترب منه الانسان طار طيراناً بطيئاً قريباً من الأرض ثم يقع بحيث يمكن أن تناله حذفة العصا، فيطمع من يراه ويظن أنه فى الامكان مسكه فيسرع إليه حتى يكاد يقترب منه، فاذا هو يطير طيرة خفيفة ثم يقع، وهكذا كم ألهى الجاهل هذا الطير واتعبه ثم خيب أمله.

هذا الطير يسمى (ملهي الرعيان) ذلك أن بعض الرعاة يظل يطارده حتى تضيع رعيته.

(١٣٤) دَيْدَبة وطِرْمامة

ضافنى ذات مرة بدوى قح أو كما يقولون (بغباره). كان كثيرا ما يضحكني ببدائهه الفطرية فقد كنا جلوساً فى حوش الدار فأطل طفل من الشرفة، فقال الضيف: (هذا الورع اللى فى رأس الطناف لو طاح تكسر).

المضحك فى قوله هو (الطناف) فهو فى عرفهم المكان الوعر المشرف من رأس الجبل، مثل قمم السروات. ودخل ذات مرة بعد العشاء فسألته عما إذا كان يوجد أحد فى الشارع؟ فقال: (ديدبة) الديدبة: القطار الذى لا يكاد



بقلم عاتق بن غيث البلادى
مكة المكرمة

يترك فراغاً فى الطريق.

وقلت له ذات يوم : إنك لم تصل الفجر هذا اليوم . فقال : أمسيت البارح (طرمامه) . . أى متعب جداً حتى لا يكاد يعى ما حوله.

ومثل هؤلاء الناس ينطقون بالسليقة ولو سألته ما معنى طرمـامة لم يزد على قوله (تعبان؟ أما أصل الكلمات فلا يفكرون فيه اطلاقاً، فقد ورثوه وكفى.

ويبدو أن كلمة «طرمامة» مأخوذة من الطرم، وهو أن لا يسمع الانسان ولا يتكلم «أطرم» ثم صاغوا منها فعلالة مثل صمصامة.

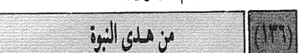
(١٣٥) استنوق الجمل

هذا مثـل ضربـه طرفـة بن العبـد أحـد أصحـاب المعلقات، اعتراضا على شاعر كان يمدح النعمان ويصفَ جملاً فلم يلبث أن أتى بصفـات النـاقـة فقـال طرفـة : (استنـوق الجمـل) وقبل مدة نشرت احدى الكليات فى القصيم تقـريـراً يقـول: إن المختصين هناك حللوا لبن الجمال، هكذا (الجمال) فوجدوا فى لبنها من الصفات كيت وكيت.

هذا الاقليم الذى خرَّج ستة من شعراء المعلقات هم : امـرؤ القيس وصـاحبـه الفحـل ومعـاصـرهما عبيـد بن الأبـرص، وعمـرو بن كلثوم الذى أوقد فى (خزاز) احد •جبال القصيم، وعنترة العبسى، وزهير صاحب الحوليات.

هذا الاقليم الذى خرَّج هؤلاء ومئات الشعراء غيرهم وكـان قاعدة شماء من قواعد اللغة العربية، أصبح أهله يحلبون الجمال، ويؤكدون أن لدرها نفعاً.

وكأنى اسمع مَنْ يقول: إن من قال هذا ليس من أهل القصيم، إنما هو ممن جيء بهم ليسهموا فى تعليم ابنائنا، والا فإن أهل القصيم يعرفون ما يحلبون، فنقول لهم : إنما عمل هؤلاء بمساعدتكم ونشروا باسمكم وقرأتم وسكتّم، والسكـوت علامة الرضا، فجزاكم الله خير الجزاء على هذا الكشف الذى لم تُسْبقوا إليه.

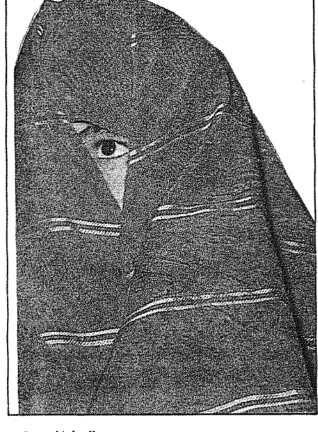


ثلاثة يستجاب دعاؤهم : المظلوم ، والمسافر ، والوالد.



قال الشاعر اللبناني طانيوس عبده:

لو حُمَّ واسـتـوهـبـوه من حرارتـه
لما تنـازل من حُمّاه عن درجـه





العدد ٣٥
صفر ١٤١٠هـ
فلسطيننا
● أغانى بلادى
● فلسطين فى الشعر الفلسطينى
● بنو اسرائيل كما يراهم شكسبير
● تصوير هكسلى هدم الصهيونيين للأخلاق
● تشويه صورة العربى فى السينما الصهيونية
● من أعلام فلسطين (وهيب البيطار الشاعر والمعلم)

لنكن
صرخة

وتأتى الرياح

■ السلطات الاسرائيلية حولت العديد من الثكنات العسكرية المنتشرة فى المدن والقرى والمخيمات الى معتقلات مؤقتة يستمر فيها المعتقلون لمدة تزيد عن شهرين حيث يتعرضون لأبشع أساليب التعذيب الهمجى ولا رقابة إلا رقابة الجلادين أنفسهم.

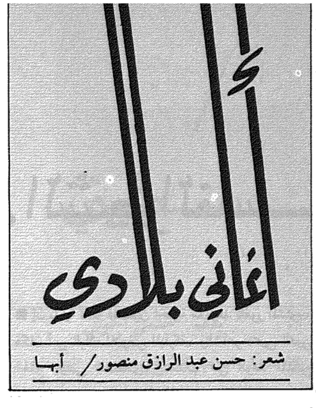
وهناك سجن أنصار (٢) والخليل (٢) وعتليت.. وفى جنوب غرب رام الله ونحال عوز والدهنية ونابلس والظاهرية وبين بئر سبع والخليل تفتح السجون أبوابها حيث يزج آلاف الفلسطينيين من النساء والشيوخ والأطفال لأبشع أساليب التعذيب.. داخل المعتقلات والسجون فلا سياسة غير سياسة تكسير العظام وانتهاك آدمية الانسان.

ومن المعروف أنه منذ بداية الانتفاضة وحتى اليوم والخطر مفروض على الصحفيين ومراسلى وكالات الأنباء من الوصول الى هذه السجون والمعتقلات.. فبماذا أتت الرياح؟؟.

بالنسبة لاسرائيل: فقد قامت بإرسال فريق من علماء النفس الى المناطق المحتلة لدراسة الأوضاع النفسية لجنود الاحتلال وتقديم النصح لهم.. وجاءت استنتاجات علماء النفس مؤكدة العواقب الوخيمة على الجنود أنفسهم حيث أفادت بأن وضع الجنود إذا ما استمر على هذا الحال من ممارسة العنف بحق أبناء الشعب الفلسطينى سيؤدى الى استمرار ظاهرة العنف وملازمتها للجيش فى حياتهم المدنية بين بعضهم البعض.. وسيأتى اليوم الذى يقتلون فيه أنفسهم بأيديهم.

على الصعيد الفلسطينى: لا شىء يعترض الطريق.. لهيب الانتفاضة يشتد أواره.. ثورة البركان تستعر.. لا تبقى ولا تذر.. فالشعب أراد الحياة ولابد لليل أن ينجلى...

«فلسطيننا»



أغانى بلادى أغانى السماء
أغانى البطولة ، لحن الفداء

أغانى الجراح وكم من جريحٍ
تغنى فأشجى الثرى والسماء

أغانى بلادى من القلب تأتى
ولا زيف فيها وليس الرياء

أغانى بلادى مزيجُ هموم
وفيضُ يقينٍ وحلوُ رجاء

وأشجان ثكلى وعُرْسُ شهيدٍ
مضى مستقلًّا قطار العلاء

وفرحةُ أم تزغرد لما
رأت فى ابنها عزمة ومضاء

تودعه بالنشيد ودمعٍ
يفيض سخياً بغير بكاء

تقول بلهفة أمٍ رءومٍ
بنى تقدم ولبِّ النداء

إذا لم يكن للحروب الرجال
وصاروا جوعاً من الجبناء

فمن سيكون لها يا بنى
إذا صرتم يا رجالُ نساء؟.

نذرتك يا ابنى ليومٍ عظيمٍ
وقد صح نذري وحان القضاء

وللنّار يا ابنى أحب إلينا
من العار والذل والانحناء

أحبك يا ابنى إذا عشت حراً
أو اخترت تمضى مع الشهداء

إذا الناس غنوا لحُبِّ حبيبٍ
وسحر جمالٍ عيونِ الظباء

فإنّ عيون فلسطين أحلى
وأنضر لوناً وأنقى صفاء

وإنّ تراب فلسطين كحلٌ
به تشتفى العين من كل داء

وانّ حصاها لأجملُ لونا
من الدر والشهب ذات الضياء

وحسن الأحبة من حسنها
فمنها البداية والانتهاء

تئوب إليها فنونُ الجمالِ
كما تعرف البحر قطرة ماء

نحب على أرضها كلَّ حسنٍ
وهل يُعشق النجم دون سماء؟

فكيف نغنى لشيىء سواها
وهل لسواها يطيب الغناء

وإن نساء بلادي حقول
وفيها سنابل من كبرياء

وفيها عطور زهور بلادي
نمت وازدهت فى فجاج العراء

وليست نساء بلادي نساء
يُربين طفلا كباقى النساء

ولكن كأرض بلادى الطهور
نجود بخير وفير العطاء

فيثمرن أسداً ويزرعن فيهم
بذور الحياة ومعنى الوفاء

وفى موطنى تربة لا تجود
بغير معانى الوفا والاباء

فيحملها فى الحياة رجال
ويعطونها فتية نجباء

فلسـطين في الشـعر الفلسـ

قال الشاعر الفلسطينى «برهان الدين الغبوشى»:

بلادى إليـك العـذاب المذابْ
بصـفحة عمرى وهـذا الكتـابْ
فأنت الحيـاة وأنتِ المماتْ
وأنتِ الطعـامُ وأنت الشـرابْ
وقفنـا لأجلك .. لا ننحنـى
لغير جلالِكِ فوق التراب
ألا فاطمئنّي ولا تقنطى
فإن القنوطَ نذيرُ الخراب
ستعلو بنودُكِ فوق البنودِ
وتُشرقُ شمسُك بعد الغياب
ويجمع شملك بعد الشتات
ويبسمُ ثغرُك بعدَ اكتئاب

فلسطين العربية

دمعة مرة فى عين كل عربى وشوكة أليمة فى قلب كل مسلم، لأنها قطعة غالية لها فى أفئدتنا الحب ولها التكريم.. ففيها ثالث الحرمين.. وكانت إحدى القبلتين.. ومعراج الرسول ﴿ﷺ﴾ إلى السماء العلا.. وقد دنسها اليهود الأنجاس وشردوا جزء كبيرا من أهلها، وقد فاضت قرائح الشعراء إلهاما مؤلما فى حبها وفى نكبتها، وما أكثر ما قيل شعرا وما سيقال فى حبها.. وهذا المقال مقصور على بعض أبنائها الشعراء وما كتبوه منها حبا ودمعا.. وتسجيلا لأثر العدو الغاشم.. ودعوة للجهاد المقدس.

■ إن بداية نكبة فلسطين الحبيبة مع وعد بلفور المشئوم، فكان أس البلاء للأرض المباركة، والشاعر «محيى الدين الحاج عيسى الصفدى» يتحدث عن الوعد المشئوم فيقول:

كم كان وعدُكَ يا بلفور مشأمةً
أعوذ بالله من شؤمِ المواعيدِ
جر البلاء، وأسباب البلاء إلى
أرض مباركة الأمصار والبيد
ظن اليهود بأن الوعد أرجعهم
لعهد يوشع أم أيام داودِ
وما دروا أن مقت الله حل بهم
ما حيلة العبدِ فى تقدير معبودِ
وأنهم أينما حلّوا أو ارتحلوا
معاقَبُونَ بتنكيلٍ وتشريد
ما ذاك إلا لكيدٍ فى طبائعِهِمْ
للناسِ يجرى كمجرى الماء فى العودِ
توارثوه فما ينفكُّ ميزتهم
منذُ التمائم فانظر أى مولودِ
ليعلموا فلعل العلْمَ يردعُهم
أو يخرج الحسن من أحشاء جلمود
دون البلادِ وتهويدِ البلاد كما
يرون عزم أباة غير مردود
وأمة وَثَبَتْ تحمى حقيقتها
فى ذا الوجود ولا ترضى بموعود
فاللهُ يشهدُ والتاريخُ مرتقبٌ
فيه الصحائفُ من بيضٍ ومن سود

ـــــطيني

بقلم : حلمى الخولى

■ والشاعر «**ابراهيم الدباغ**» يتعجب من القوم المزورين - اليهود - الذين جعلوا وعد بلفور المشئوم كأنه أمر أتى من السماء ، فقال :

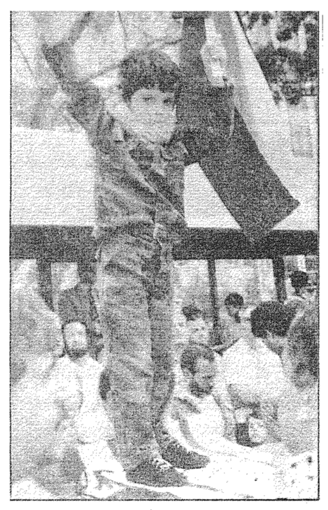
ما وعـد بلفـور من أمـر السـماء ولا
فى الجدب من أرضنـا زرع لمحتطَبِ
هل وعـد بلفـور تشـريـع إذا فَرَطَـتْ
اغلوطـة منه تدعـو النـاس للعجب؟

■ ويشرح الشاعر «إسكندر الخورى البيتجالى» ما هية ذلك الوعد المزيف، وانه من أمور السياسة الخادعة فقال :

وعـدٌ ولا هـو كالـوعـودْ
خدعـوا بـه أمـم اليـهـود
أم تُنـوّمُ طفـلهـا
والطـفـل يُخدع بالـنـشـيـد
كالـمغـرم المفتـو
ن يقـنـعُ بالـتـعـلل بالـوعـود
والخَـتْـلُ فى شرعِ السـياسـة
ليـس بالأمـرِ الجـديـدِ

■ ونفذ اللئام ما نادى به وعد بلفور فى وعده المشئوم ، وبدأ العدو الغاشم يهجرّ أبناء الوطن السليب ، والشاعر «**خالد نصره**» يصور لحظة النزوح عن ربوع الوطن فقال :

رضِعـتُ من ثدى حرمـانـى محبتـه
وإن أخـذتُ بذنـبٍ لسـتُ جانـيـه
فكـم حقـوقٍ أضـاعـتـهـا ثعـالبُـهُ
وكـم دمـاء أريـقـتْ من أضـاحـيـه



وكـم قبـور نبشـنـاهـا لأنـفـسـنـا
ونـحـن نحـسبُـهـا مثـوى أعـاديـه
فارقـتُـه ويـدى تغـفـو على كبـدى
فى لوعـة واليـد الأخـرى تحيـيـهِ
وسـرتُ لسـت أظـن الـله يغـفـر لى
وإن شقـيـت بـه مما يعـانـيـه
مما أراه للبـؤس مـن صـور
قد شوّهـتْ حلم عمـري كُلَّ تشـويـهِ
من كل لاجئـة لاذت بخـيـمـتـهـا
تناشـدُ القـلـبَ أن يخلو لماضـيـهِ
وتـذرفُ الـدمـعَ والـشكـوى تكفكِفُـهُ
وتـنـشـر الأمس فى بطء وتطـويـهِ

■ والشاعر يوسف الخطيب رأى عندليباً مهاجرا فوجدها سانحة له يبّث فيها آلامه وأكداره ووجّه الحديث للعندليب فقال :

أتـراكَ مثـلي يارفـيـقُ تمرّ فى الـزمـنِ
عبر المهـالـك والـليـالـى الـسـود والمحنِ
لا صـاحـبٌ يرخـى عليـك غلالـة الـكـفـن

تذرو بقيــة عمـرك الـصـادى بلا ثمـنِ
لكأن فى عيـنـيـكِ بعضُ اللمـح من وطـنِي
وأكـاد ألمح فى وجـومـك لون مأسـاتـى
جُرحـى وملحمـتـى وتـشـريـدى وآهـاتـي
أنـا ها هنـا يا صاحـبـى أقـضـى عشيـاتـي

■ ويتجه الى العندليب فى لهفة يسأله عن أخبار موطنه الحبيب، ويتمنى لو أحضر له شيئا ولو ضئيلا منه فقال:

لـى لهفـة يا صاحبـى مشبوبـة النـار
هل بعـض أخبـار تحدثهـا وأسـرار
للظـامئـين على متـاه الـوحشـة العـارى
كيـف الحـقـول تركـتـهـا فى عرس آذار
ومتـى لويت جنـاحـك الـزاهى عن الـدار
عجـبـا تراك أتـيـتـنـا من غير تذكـار
لو قشـة مما يرن بـبـيـدر الـبـلد
خَبأتُهـا بين الجـنـاح وخـفـقـة الـكـبـدِ
لو رمـلتـان من «المثـلث» أو رُبـا «صفـد»
لو عشـبـة بيـد ، ومـزقـة سوسـنٍ بيـد
أيـن الهـدايـا مذ برحـت مرابـع الـرغـد
أم جئـت مثـلى بالحنـين وسـورة الـكـمـد

■ ودائما تهيجه ذكراه فى وطنه المهجور فيصاب بالأسى والهم، وتعود به الذاكرة إلى أيام سلفت كان فيها المجد للأجداد جزاء بما جاهدوا واجتهدوا فى مثل عمورية فقال:

تهيـج بى ذكـرى الـتـاريـخ جامحـةً
ويـعـتـرينـى الأسى دومـا فيقعُـدُ بي
توزَّعـتـني دروبٌ لا لقـاء لها
الـذلُ فى الـنفس، والـعـليـاء فى الكُتب
كأنـما أنـا جمع اثـنـين: سيـف وغـى
معـذب الـروح من غمـد من الخَشَـب
أغـزو عمـوريـة فى الـليـل أحـرقُهـا
وشـلـو أختـى غذاء الطـير فى الـثُـقُـب؟
لو كنـت من مازنٍ لم يـسـتـبـح وطـنى
بنـو الـلقـيطـة من صرَّافـةِ الـذهـب

لكنـت غمَّسْـتُ رُمحى فى حنـاجـرهِـم
أو غمَّسُـوا هُمْ رمـاحَ الغـدرِ فى غضَبي
لكـنَّـنـى وبـنـى شعـبـى تخطـفـنـا
قِيـلُ الـزعـامـةِ لابـد من هرَبِ
فكـلُ عرشٍ على بُقـيـا جماجـمـنـا
أرسـى قوائـمـه مختـالـة الطُّـنُـبِ
لم يدر أن عظـامَ الأبـريـاء به
ألـغـامُ ثأرٍ تدوى ساعـةَ الـغـضـبِ

■ ويتعجب من أمور كثيرة محيرة له، كلها تثير الدموع وترفع صوت البكاء:

ما للجـمـاهـير لم ترفـع مشـانـقـهـا
للفـاجـريـن ولم تزأر ولم تَثِـبِ
لا أمطـرت فى سماء الـعـرب غائـشـة
وفى الجليـل الـربـا محبـوسـة السُّحُبِ
وفى الجـلـيـل عذارى ينـتـحـبـن دمـا
تـسـرى الحـمـيـة فى عرق ولا عصـبِ
هل الطـريـق إلـى يافـا مضـيـعـة
ومـن دمـاهـا منـار ألـف ملتـهـب
واخـجـلتـنـا وبـيـوتُ النـاس أرفعُهـا
وبيت أهـلي عويـل الـريح فى الحزبِ

■ والشاعر «محمود نديم الأفغانى» يحرم فرحة الأعياد إن

لم تعد أرضه محررة، فيأتي العيد ولكن دموعه لا تجف على الماضي المنصرم في ربوع الوطن وجناته فقال:

يا عيد في مهجتي البركان مشتعل
فلا تلم أدمعي يا عيدُ لا تَلُمِ
تلفّت القلبُ للماضي فأرّقهُ
وكنت أحسب أمي غير مُنصرمِ
ذكرتُ عهد الحمى والقلبُ منفطرٌ
فرحتُ أبكي الحِمَى من مهجتي ودمي
ذكرتُ أمسي به والدهر يبسمُ لي
فجن شوقي وزاد الوجدُ في ألمي
فأين من أعيني الجناتُ في وطني
وأين مني رعاة العهد والذمم؟
وأين تلك الليالي الخالداتُ غدتْ
عفا الزمانُ عليها فهي كالحلمِ؟
لم أنسَ أمسكِ يا يافا وما برحت
ذكراكِ ملء خيالي دائما وفمي
فأنت لحن نشيدٍ رحتُ أنشده
وأنتِ قيثارة الالهامِ في كَلِمي
عشقتُ فيكِ الرُّبا خضراء زاهرة
وهمتُ بالبحرِ لا بالبانِ والعلمِ
فليس قومي بأرضِ الغاب مسكنهم
ولا منازلهم يوما بذي سلم

■ وبدأت آثار العدو الغاشم تظهر للعيان فأصبح بنو الوطن غرباء والغرباء أصبحوا ملاك الوطن. وظهرت خيام اللاجئين عبر ربوع الوطن وعبّر عن ذلك الشاعر الدكتور «رجا سمرين» فقال عن الخيام:

وصمة أنتِ في جبين الدهور
يا خياما في القفر مثل القُبُورِ
يا نشاز الأنغام يا سُبّة التاريخ
والناس في جميع العصورِ
أنت مأوى للبؤس شيّدكِ الظلمُ
على رسم حقّنا المهدُورِ



أنتِ سفرُ الآلام سطرك البغي
بأيدٍ مخضوبة بالشُّرُور
كم حوى نسجُكِ الأرث عزيزا
يسفح الدمع في دجى الدَّيجورِ
راثيا عيشة الكريم وعهدا
قد قضاه مُنعّما في القُصُورِ
يوم ان كان في الديار كريما
يترع الكأس من مدام السُّرُور

■ ويغيب الشاعر عن وطنه فترة من الزمن ويعود فيراه غير ما تمنى له فقال:

كم كنتُ يا وطني أودُّ بأن أعود إلى رباك
فأراك موفور الكرامة قد نصرت على عِداك
لكنني قد عُدْتُ والأعداء تنعمُ في ثراك
وبنوك قد هاموا حيارى في المغاور للهلاك

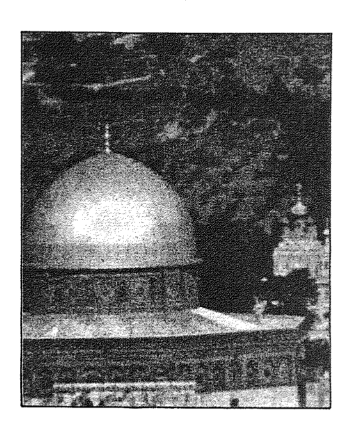
■ والشاعر «معين بسيسو» يصور بؤس المهاجرين من أثر العدوان الغاشم غير الانساني على ابناء الوطن السليب فقال:

أخي في الكفاح، أخي في العذابْ
أتسمع مثلي عواء الذئاب
تُفزّع أطفالنا النائمين
وتنذرُ أحلامهُمْ بالخراب
ويفتح أعينهم في الظلام
دويُّ الرصاص ولمع الحِراب

طريقهمُ ملأتها القبور
ورنت بها ضحكاتُ الغُراب
ولكنَّ خلف دجاها الكثيب
تطل منازلهم والقباب
وهم يرفعون إليها العيون
ولا يملكون إليها الذهاب
وهم والليالى تنسى الغريب
وتلقى على الذكريات الحجاب
مضوا يحفرون بدمع العيون
ودمع القلوب طريق الاياب

■ والشاعر «محيى الدين الحاج عيسى» قد أنشأ قصيدة وضع عنوانها «النكبة الكبرى» وكأنه قد رصد الأحداث المفجعة وأرخ لما فعله الصهاينة اللئام فقال:

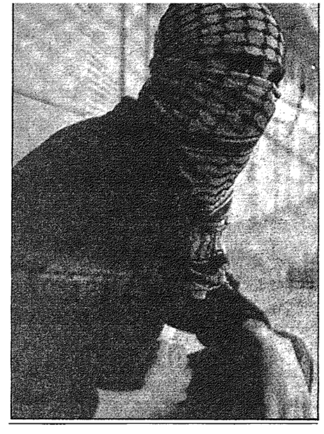
فى ثالث الحرمين رنة ثاكلٍ
وأنين مفجوعٍ له ترديدُ
وطن يضيعُ فيا قلوبُ تفطرى
وتجرّدى للرزء فهو عتيدُ
وطنٌ تمزّق قاطنوه وشرّدوا
فبكل ارض نازح وطريد
وطنٌ يضيعُ وأمة عبثت بها
أيدى البغاة فعاث فيها السيدُ
يا من شهدت رحيلهم يوم النوى
وجوعهم إثر الجموع تميد
أرأيت كيف الرزء يصدع أمة
والنازلات الصم كيف تعود
نزحو وخلوا جازعين ديارهم
ولهم هنالك مطرف وتليدُ
قد حازها أعداؤهُم وتجردوا
منها كما يتجرد العنقودُ
«حيفا» ولا أدرى يروعك يوْمُها
أم يوم «عكا» الأسودُ المنكودُ؟



وتختنقُ صرخاتِهم كالنجوم
إذا خنقتها حبالُ السحاب

■ إن التراب من أفعال الصهاينة الأنجاس يئن من رجسهم لأنهم شرذمة تخلوا عن إنسانيتهم، وطفرت الحيوانية البغيضة تعتلى قلوبهم فصارت بغير رحمة تلهو بإنسانية أبناء الوطن، يلقون لهم بالفتات ويحرمونهم منازلهم فقال الشاعر فى نفس القصيدة.

أخى يا ابن هذا التُراب الحزين
أتسمع مثلى أنين التراب
وقد ملأته جيوشُ العراة
أسارى الرغيف سكارى العذاب
يشدهم الغاصب المستبد
كما شدت العنكبوت الذباب
يخدرهم بفتات الرغيف
ويُسكرهُم ببقايا الشراب
ويسكنهم هاويات الخيام
ويلبسهم باليات الثياب



أم يوم «يافا» والعدوُ يدكُّها
أم يوم «سلمة» والمنايا السود؟
أم «ديرُ ياسين» وقد طاف الردى
فيها وأفنى أهلها التشريدُ؟
أم «رملة» الصِّيد الكرام أمية
هُتكت ولم يحفظ حماهم صيدُ؟
و«قُرى» كجناتِ الخلود بحسنها
درست وحل بأهلها التبديد

■ ويصور الشاعرُ خروج أهل «صفد» إلى وادى الطواحين وهم يتلفتون مودعين. . تبكى الثواكل والأبطال تسقط أجسادهم ولا تجد من يهيل عليها التراب صونا لانسانيتها فتركوا فى العراء طعاما للسباع وللطيور فقال:

هذا هو الوادى وتلك صخوره
برزت وذاك طريقه المنشود
كيف المسير وكل شبر مزلق
منه وكل حُفيرة أخدود
لم يبق بين المسالك غيره
سدت وصار لغيرنا الاقليد
ساروا وهُمْ يتلمسون رسومهُ
يتعثرون ورشدهم مفقود
يتلفتون مودعين فثاكلٌ
تبكى وشيخٌ ذاهلٌ ووليدُ
كم مرضع ناءت بحمل رضيعها
تسعى لتنجُو والنجاء بعيد
وأشاوس صملوا لكرات العدى
كم خر منهم أروع صنديد
جثمانه للطير أصبح مطعما
أو للسباع ولا يعاب شهيدُ
لم يبق من يلقى عليه ترابه
رحل الجميعُ وقلبهم مكدود

■ والشاعر «هارون هاشم رشيد» يرسم ملامح المشرد بلا وطن بعدما عاث اللئام الفساد فى الأرض فقال:

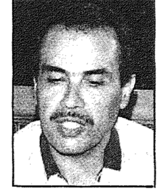
عيناه تبحثان فى الفضاء
فى التيه من مجاهل الشقاء
عن أمه الغارق فى الدماء
عن ذكريات ومضها إباء
وهو يدب بادى العناء
يخطو وما فى دربه ضياء
لأنه مشرد بلا وطن
وأغمض العينين فى ذهول
والدرب قد طال وقد يطول
فأبصرَ الحقول والسهولْ
جرداء نام فوقها الذبول
ومثلما تزمجرُ السيول
زمجر لا يدري ما يقول
لأنه مشردُ بلا وطن

■ وهل هذا هو كل فلسطين. . قد شرد الأهل. . وملأت قلوبهم الدموع. . وتركوا الوطن مغلوبين على أمرهم وانتهى الأمر؟ أم ظلت فلسطين فى قلوبهم يحيون على ذكراها يحلمون بيوم لقائها. . وماذا فعلوا من أجل هذا؟ كل ذلك موضوع المقال الثانى من البحث إن شاء الله.

بنو إسرائيل كما يراهـ

● وقف الصهاينة من مسرحية «يهودى مالطة» لمارلو المعاصر لشكسبير نفس موقفهم من مسرحية تاجر البندقية لأن فضائحهم مجسدة فيها.

● شخصية بارباس اليهودي عند مارلو شبيهة تماماً لشخصية شايلوك عند شكسبير وكلاهما يمثل الشخصية الصهيونية الكريهة لانطوائها على الخسة ،الخبث وكل الصفات التى تعادى القيم الانسانية.



د. نبيل راغـــــب

■ يضمر الاسرائيليون الكثير من الحقد والكراهية للشاعر الانجليزى وليم شكسبير بسبب تجسيده لكل مخازيهم وأطماعهم وأغراضهم الدنيئة فى شخصية شايلوك بطل مسرحية «تاجر البندقية» وفى النصف الثانى من القرن الحالى بدأت حربهم الخفية كعادتهم ضد شكسبير وذلك بمحاولاتهم الوقوف فى وجه أية محاولة لاخراج هذه المسرحية سواء على مسارح أوروبا أو أمريكا. . حتى المسارح الكلاسيكية فى لندن مثل مسرح جلوب ودرورى لين والأولد فيك لم تقدم مسرحية «تاجر البندقية» منذ حوالى نصف قرن برغم تخصصها فى تقديم مسرحيات شكسبير سواء التراجيدية أو الكوميدية أو التاريخية، وبرغم أن «تاجر البندقية» من أعظم المسرحيات الكوميدية التى أنتجتها قريحة شكسبير ومع ذلك نجح الاسرائيليون كعادتهم فى دفنها بالحياة، بل إن الأمر تعدى هذه الحقيقة الى كليات الآداب فى جامعات أوروبا وأمريكا حيث أصبح من النادر أن يدرس طلبة الأدب الانجليزى هذه المسرحية ضمن أعمال شكسبير المسرحية، واذا حدث أن ذكرت فمجرد اشارة عابرة، فالأساتذة يخشون التركيز على

[illegible] النفوذ الصهيوني أكبر برهان على ذلك

[illegible] الدليل الحي على أن الصهاينة [illegible]

ـــم شكســـــبير

هذه الكوميديا مخافة أن يتهموا بمعاداة السامية وبالتالى فالطرد من الجامعة وهو أقل عقاب ممكن أن يحيق بهم.

■ وعندما كنت فى لندن، تعرفت على مخرج مسرحى متعاطف مع القضية العربية الى أقصى حد وخاصة بعد زيارته لمصر فى أغسطس عام ١٩٦٢م مع فرقة الأولدفيك التى قدمت عرضين على مسرح أبي الهول بالهرم: «روميو وجوليت» لشكسبير والثانى «القديسة جون» لبرناردشو، وهذا المخرج يدعى جورج هاو وقد قاد الكورس فى مسرحية «روميو وجوليت» قال لى: إنه وقع فى حب مصر وشعب مصر وجو مصر منذ تلك الزيارة ويود لو أتيحت له الفرصة لزيارتها مرة أخرى وتقديم مسرحيات جديدة على مسرح أبو الهول.. وتطرق بنا الحديث الى مسرح شكسبير فقال لى: سأقول لك سرا خطيرا لم يذع حتى الآن فى الصحف أو المجلات، وأعتقد أنه لن يذاع ولكن الوسط المسرحى فى لندن يعرفه تماما برغم أن أحدا لا يثرثر عنه نظرا للنفوذ الصهيونى الخطير على المسرح الانجليزى، والسر هو أن عميد المسرح البريطانى السير لورانس أوليفييه فكر منذ أكثر من عشر سنوات فى اخراج مسرحية «تاجر البندقية» على خشبة المسرح الملكى البريطانى، ووقفت زوجته السابقة فيفيان لى خلف الفكرة بكل قوتها وحماستها على أساس أن يقوم السير نفسه بدور شايلوك وبالطبع فإن الدوائر الصهيونية شملت الخبر كعادتها وفجأة وجدنا السير لورانس أوليفييه يعدل عن اخراج الفكرة الى حيز الوجود بل إن الأمر لم يقتصر على ذلك بل طلق زوجته ورفيقة عمره فيفيان لى فى ظروف غامضة وتزوج من ممثلة ناشئة تدعى جوان بلورايت تصغره فى السن والعقلية والنضوج. وقد اكتشفنا فيما بعد أن هذه الممثلة تنتمى الى أصل يهودى. ولم يقتصر انتقام الصهيونية من فيفيان لى على هذا الحد بل نجدها تموت بالتهاب رئوى فى ظروف غامضة أيضا بعد الطلاق بسنتين فقط.

يهـودى مالطـة

هذا ما قاله لى المخرج الانجليزى بالحرف عن لورانس أوليفييه و«تاجر البندقية» وقد وعى أوليفييه الدرس جيدا حتى إنه فى الأسابيع الأولى من حرب اكتوبر المجيدة تزعم حملة فنية لتأييد اسرائيل ضد العرب متنكرا لمجده المسرحى العظيم، وقد وقف الصهاينة نفس الموقف من مسرحية «**يهودى مالطة**» لكريستوفر مارلو الكاتب المسرحى المعاصر لشكسبير لدرجة أنها لم تخرج مرة واحدة على أى مسرح منذ بداية هذا القرن.

■ ولكن لماذا كل هذا الحقد الدفين الذى يكنه الصهاينة لشكسبير؟ الرد على هذا السؤال يكمن فى مسرحية «تاجر البندقية» نفسها وشخصية شايلوك الكريهة التى بلور فيها شكسبير الشخصية الصهيونية على حقيقتها الزاخرة بالخسة والخبث والدناءة والكراهية والحقد والشراسة والعنف وكل الصفات التى تعادى الانسانية بكل

خصائصها الرحبة، ولم تكن المسرحية مجرد افتراء على الصهاينة الأبرياء بل كانت صدى دراميا مجسدا للجو الاجتماعي والسياسي الذي عاشه كل من شكسبير ومارلو. فقد هرب الى انجلترا عام ١٥٥٩ طبيب يهودى برتغالى يدعى رودريجو لوبيز، وقام بفتح عيادة صغيرة فى لندن، وكعادة اليهود عندما يستغلون وسائلهم الخفية فى جذب الزبائن فقد بلغت شهرة الدكتور لوبيز آفاق انجلترا مما أغرى الملكة اليزابيث الأولى بتعيينه طبيبا خاصا لها.

■ ولكن لوبيز لم يكن مجرد طبيب بل كان طليعة لطابور خامس من الجواسيس الذين يتجسسون على انجلترا لحساب أسبانيا وبذلك كان يحصل على دخل كبير من عمله فى انجلترا وعلى دخل آخر كبير أيضا من عمله كجاسوس لأسبانيا، ولكن ايرل اسكس الذى كان من أقرب رجال البلاط الى الملكة اليزابيث استطاع أن يكشف خيانته عندما عثر على بعض الخطابات المتبادلة سرا والتى تقدم الدليل الذى لا يقبل الشك فى أن لوبيز كان يتقبل الرشاوى من ملك أسبانيا لكى يدس السم فى الدواء الذى يقدمه الى الملكة، وبالفعل قبض على لوبيز وحوكم وثبتت ادانته مع بقية أفراد الطابور الخامس المتعاونين معه فى المحاكمة العلنية التى عقدت فى محكمة جيلدهول، وقد تم تنفيذ حكم الاعدام فيه فوق المقصلة فى ٥ يونيو عام ١٥٩٤ أى بعد قضاء حوالى ٣٥ عاما فى انجلترا، وفوق المقصلة قبل اعدامه دافع أمام جمهور الحاضرين عن براءته وأنه سيعدم ظلما وأنه «يحب الملكة كما يحب المسيح تماما» وبدلا من أن يتعاطف معه الجمهور فقد انطلقت الضحكات هنا وهناك عندما أكد حبه للمسيح أيضا، وكان شكسبير من ضمن المشاهدين لمشهد الاعدام.

■ وفى أواخر نفس عام ١٥٩٤ مثلت مسرحية «يهودى مالطة» لمارلو، وكان لها تأثير كبير على شكسبير عندما كتب «تاجر البندقية» عام ١٥٩٨، وقد نجحت مسرحية مارلو نجاحا ضخما بحيث طافت معظم مدن انجلترا الرئيسية وفيها نجد باراباس اليهودى - مثل شايلوك عند شكسبير - يملك الأموال الطائلة ويتحكم فى ابنته الوحيدة لكى يبعدها عن الوقوع فى غرام أى شاب مسيحى، فقد كان يضمر للمسيحيين أشد البغض والكراهية ويتحين الفرص للانتقام منهم، وكان كل همه مركزا فى تمجيد أبناء جنسه وتدمير الأجناس الأخرى سواء بالقول أو بالفعل. هذا هو المحور الذى دارت حوله كل أفكاره وآماله التى عبر عنها فى مناجاته المنفردة فوق خشبة المسرح، ولنأخذ المناجاة التالية نموذجا على هذا:

- لست انتمى الى قبيلة السذج المتسامحين الذين ليسوا بالأنداد
- الذين سرعان ما ينسون الاساءة فى السبوت والآحاد.
- نحن اليهود نبصبص بذيولنا كالكلاب طمعا فى رضى الأسياد.
- ولكننا عندما نبتسم فنحن نتأهب للعض السريع بينما تزخر نظراتنا بالبراءة والوداعة كالحمل الرضيع.
- لقد تعلمت فى فلورنسا كيف أقبل يد كل وضيع.
- وأهز كتفى فى لا مبالاة عندما ينادونى بالكلب.
- اعتدت هذه المعاملة من أجل أغراضى فى السلب والنهب.
- سيأتى اليوم الذى أشاهدهم فيه يتضوّرون جوعا فى الدرب.
- أو متسكعين حول المحفل اليهودى يقتلهم الجوع والقلق.
- وعندما يستجدون مقدمين لى الطبق لاضع فيه طعاما مما سلق.
- فلن أمد اليد بالصدقة فقط بل سأبصق فى الطبق.

تاجر البندقية

من هذه المناجاة استمد شكسبير معظم الملامح الرئيسية لبطله شايلوك، ولا داعى لسرد أحداث المسرحية فهى معروفة لدى الجميع منذ أن وقّع شايلوك عقد اقراض انطونيو ثلاثة آلاف دوقية بضمان بضائعه القادمة على السفن عبر البحار، وفى حالة عدم السداد فان لشايلوك الحرية فى الحصول على رطل من اللحم من جسم



انطونيو. وبالفعل تأتى الأنباء بغرق السفن فيستعد شايلوك للانتقام الرهيب، ولكن بورتشيا خطيبة باسانيو تهرع الى المحاكمة وتنقذ انطونيو من وحشية شايلوك باستغلال مقدرتها العقلية الفائقة فى الدفاع عنه، ورغم هزيمته المنكرة وضياع أمواله لتعريض حياة مواطن صالح للخطر فنحن لا نتعاطف معه وهذا ما حرص عليه شكسبير وعلى تأكيده دراميا طوال المسرحية، وبرغم أن بعض النقاد المتعاطفين مع الصهيونية من أمثال ج. ب. هاريسون يحاولون التلميح بأن شكسبير قد خلق من شايلوك شخصية تراجيدية بسبب الاضطهاد الذى كان يلاقيه على ايدى الايطاليين المسيحيين، الا أن هذا الفرض النقدى ليس له أى أساس من الصحة لأن المسرحية كوميديا لا تحمل أية لمسات تراجيدية وفى نفس الوقت فان العداء الذى كان يضمره للمسيحيين هو السبب فى هذه المعاملة السيئة التى كان يلقاها على أيديهم وليس لمجرد ديانته كيهودى، وقد بلور شكسبير فى شايلوك كل الخصائص الرئيسية للشخصية اليهودية بحيث ظهر أمامنا كشخصية حية ذات أغراض محددة وكنمط يجمع كل صفات بنى جنسه ويدافع عنهم كلما حانت الفرصة بل وينتقم لهم اذا تمكن من ذلك.

وانتقامه من انطونيو لم يكن انتقاما من مجرد شخص يحمل له العداء ولكنه انتقام من كل المسيحيين ممثلين فى أنطونيو، وفى الفصل الأول/ المشهد الثالث عند اول ظهور لشايلوك نجده يؤكد هذه الحقيقة فى حديثه مع باسنيو فيقول عن أنطونيو:

- أنا أمقته لأنه مسيحى العقيدة.

●● بل أكثر من هذا فهو بكل المشاعر الصديقة.

- يقرض الآخرين بدون ربا وبالتالى فهو يضيع علىَّ الفوائد

- التى كان من الممكن أن أحصل عليها من سكان البندقية.

- اذا وقع فى قبضتى يوما فلن أترك عنقه.

- بل سأطفىء نار الحقد القديم التى تشتعل فى قلبى الذليل

- فهو يكره أمتنا المقدسة، أمة اسرائيل

- ويحاربنى فى كل مكان يجتمع فيه التجار.

- ويفسد صفقاتى ويحول ذهبى الى أحجار.

●● هذا هو كل ما يثير اهتمامه:

- ملعونة هى قبيلتى.

- اذا سمحت لنفسى أن أسامحه.

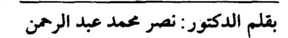
■ هذه هى الشخصية الصهيونية كما يراها شكسبير، لا تعبد سوى المال ولا تمقت سوى الأديان الأخرى، تدس بديتها فى كل شىء والدين منها براء. فليس عجيبا أن تتبرأ كل الشعوب من هذه الشرذمة على مر الأزمان والعصور، والعيب ليس قطعا فى كل هذه الشعوب مجتمعة بحيث يمكن أن تدعى الصهيونية أن هناك مؤامرة دولية وأزلية تحاك ضدها. فالعيب فى هذه الشرذمة التى لا تعرف الولاء لأى مبدأ أو وطن ولا تجيد سوى التكالب على جمع الثروات فى كل وطن تحل به. والعجيب أن الأمة العربية بكل سماحتها ورحابتها هى الأمة الوحيدة فى التاريخ التى لم تضطهد اليهود، ومع ذلك فهى الأمة الوحيدة التى عانت من وجود اسرائيل على مدى ثلاثين عاما دون سبب سوى أن الشعوب الأخرى أرادت أن تتخلص منها فى بلادها عن طريق وضعها بعيدا عنها فى فلسطين. وهذه الشرذمة لا ينضب لها حقد حتى على مسرحية لشكسبير كتبها منذ حوالى أربعة قرون، ومع ذلك ستظل المسرحية خالدة خلود المسرح العالمى ذاته، وستظل شخصية شايلوك الدليل الحى على أن الصهاينة لم ولن يتغيروا.

● رواية (العالم الجديد الرائع) لـ(هكسلى) ركزت على مجموعة هائلة من نماذج الفساد الخلقى والاجـ

تصوير "هكسلي" م

● الدس هكسلى فضح كثيراً من ظواهر الفساد الذى تنشره منظمات الصهيونية فى المجتمعات غير اليهودية فى مختلف أنحاء العالم.

● تقول (برونكولات صهيون) إذا تصرفتم بذكاء فسينهار صرح الاخلاق فى أشد الامم تمسكا بالاخلاق فى أقل من عشر سنوات.



بقلم الدكتور: نصر محمد عبد الرحمن

■ نحا الأديب الانجليزى (ألدس هكسلي) (١٨٩٤-١٩٦٣م) نحواً فلسفياً اجتماعياً فى كتابة رواياته القصصية - إذ كان يسلط الضوء فى كل واحدة منها على عدد من الآفات التى أصابت حضارة القرن العشرين.. ويجسد مسببات تلك الآفات.. ويبين آثارها على الحياة الاجتماعية. ففي رواية «العالم الجديد الرائع»(١) (١٩٣٢م) تناول بالتحليل أنواعاً كثيرة من ظواهر الفساد الذى تنشره منظمات الصهيونيين فى المجتمعات غير اليهودية فى مختلف أنحاء العالم ومنه الفساد الفكرى والروحى والدينى والأخلاقى والسيكولوجى والثقافي والسياسى والاجتماعى... لاحظ (هكسلى) لدى مراقبته لما يجرى فى المجتمعات المعاصرة فى أوروبا وأمريكا أن المنظمات الصهيونية كانت تحقن جسم كل مجتمع من مجتمعات تينك القارتين بسموم الفساد الشامل.. وصمم على تصوير هذا النشاط الصهيونى التخريبى فى الرواية المذكورة.. وعلى تجسيد النتائج الوبيلة التى تنتظر العالم إذا ظل ساكتا على هذا الهدم. ما أكثر تشعبات هذا الفساد الشامل الذى صوره (هكسلي) فى رواية «العالم الجديد الرائع». وبما أن مقالة نقدية واحدة لا تتسع لعرض جميع جوانب ذلك الفساد الذى عممه الصهيونيون فى الدولة العالمية التى سموها دولة (العالم الجديد الرائع) فإن المقالة الحالية سوف تقتصر على دراسة جانب واحد وهو فساد الخلق.

حرص الصهيونيين على هدم الأخلاق

لا شك فى أن (هكسلى) رأى فى واقع المجتمع البريطانى والمجتمع الأمريكى اللذين عاش فيهما دلائل أكيدة على حرص المنظمات الصهيونية على إفساد أخلاق غير اليهود. إن أشياء كثيرة فى سياق رواية «العالم الجديد



ـــدم الصهيونية للأخلاق

الرائع» تبين أنه كان يعرف عن الصهيونيين اتخاذهم من هدم أخلاق غيرهم وسيلة لاضعاف الأمم الأخرى.. وأنهم يخططون دائماً للسيطرة على تلك الأمم عن طريق نهك قوتها بالمذاهب الأخلاقية الهدامة. يقول مقررهم فى البروتوكول التاسع من «بروتوكولات حكماء صهيون»:

«عليكم أن توجهوا اهتماماً خاصاً إلى وجوب تمكين مبادئنا من أن تطغى على الأخلاق الخاصة بالأمة التى أنتم بها محاطون.. فإذا تصرفتم بذكاء فى نشر مبادئنا فستجدون أنه قبل مضي عشر سنوات سينهار صرح الأخلاق فى أشد الأمم تمسكاً بالأخلاق وبذلك نضيف أمماً أخرى إلى قائمة الأمم التى خضعت لسلطاننا»(٢).

■ كثيرون هم الأدباء الغربيون الذين فهموا الخطط الصهيونية الرامية الى تخريب الأخلاق فهماً عميقاً، فصوروا فى أعمالهم الأدبية الانحلال الخلقى الذى ساد فى هذا المجتمع أو ذاك بفعل تلك المخططات، وبتدبير من المنظمات الصهيونية. ولكن الجديد فى حبكة رواية (هكسلي) «العالم الجديد الرائع» هو القالب الكبير الذى صاغ فيه هذه الفكرة العامة، وهو عبارة عن دولة عالمية تشمل معظم أصقاع الكرة الأرضية، تخيل الكاتب أن أتباع الصهيونى صاحب البلايين (فورد) أحكموا سيطرتهم عليها عبر عمل تخريبى متواصل مفسد للأخلاق، دام ستة قرون كاملة.

إن هذا الزمن الطويل الذى استغرقه الفعل التخريبى ينم عن خصلة الإصرار العنيد على نشر الفساد الذى يتصف به العقل الجماعى الصهيونى، وعن تصميمهم دوماً على القضاء على الأديان والأخلاق والنظم الاجتماعية الخيرة. وبالإضافة الى طول زمن الفعل، احتوت رواية «العالم الجديد الرائع» على عدد كبير جداً من الوسائل والتقنيات التى يستخدمها اتباعه فى سعيهم الى تحقيق ذلك الغرض. أحد الأمثلة على تلك الوسائل هو ما نقرأه فى الرواية عن وجود كلية اسمها «كلية هندسة العواطف» بما فى هذه التسمية من سخرية مرحة، ومن تناقض بين وجود هذه الكلية وبين حقيقية محاربتهم لجميع أنواع العواطف الصادقة داخل نفوس أفراد رعيتهم.

إعلام مفسد للأخلاق:

قلد (هكسلي) فى رواية «العالم الجديد الرائع» استعمال الصهيونيين المعاصرين له فى الواقع الأوروبى والأمريكى لسلاح الدعاية السامة من أجل هدم الأخلاق. لقد استند فى عرضه للجزء الخاص بالدعاية الصهيونية فى سياق الرواية على المعلومات التى كان يتداولها الناس فى عصره عن وضع الصهيونيين لوسائل النشر والدعاية الأوروبية والأمريكية تحت أيديهم، من صحافة ومسارح وشركات للسينما، وعن جعلهم لها واسطة لإفساد أجيال الشباب عن طريق إغوائهم بالشهوات البهيمية ولإشاعة الانحلال الخلقي الذي يحمل معه أمراضاً اجتماعية كثيرة تستنزف قوى المجتمعات غير اليهودية.

■ بناء على ذلك الواقع التاريخي للدعاية الصهيونية فى أوروبا وأمريكا عرض (هكسلي) فى رواية «العالم الجديد الرائع» صوراً كثيرة لوسائل الدعاية التى دمرت بها السلطة الفوردية الأخلاق فى الدولة العالمية، وأغرت بواسطتها

النفوس بالانغماس فى اللهو الفاسق. أحد الأمثلة على ذلك هو وصفه للمناظر الداعرة التى يحتويها فلم السينما المجسامية (ستيريوسكوب) الذى عرض فى إحدى دور اللهو فى الرواية. وقد أراد (هكسلى) من ذلك الفيلم أن يكون رمزاً لنشاط شركات السينما الصهيونية التى كانت تنشر فى عصره الدعارة والفجور وتلهي الناس عن واقعهم وعن قضاياهم الجوهرية. ومثال ثان هو وصفه لمبنى «دار الدعاية» فى الرواية: وهو مبنى ضخم مؤلف من ستين طابقاً.. وقد أراد بذلك الوصف أن يذكر قراءه بامتلاك المنظمات الصهيونية لمؤسسات الدعاية الضخمة وبتوظيفها لها فى بث الدعاية المسمومة، وعلى الأخص فى أقطار أمريكا وأوروبا.

ومثال ثالث هو وصف (هكسلي) لعمل مكبرات الصوت الموزعة فى أجزاء كثيرة من كل مبنى كبير مثل مباني المعامل وعلى جوانب الشوارع من أجل تكرار الشعارات الزائفة على مسامع الناس، وكذلك وصفه للأبواق الكبيرة الذهبية اللون المثبتة فوق ساحات أماكن اللهو والتى تنطلق منها باستمرار أصوات تهتف باسم (فورد) وأناشيد تمجد (فورد) وتذكر الناس بواجب عبادته والخضوع له. وهذه الأصوات ترمز إلى الغاية البعيدة من الدعاية التى ينشرها الصهيونيون ـ غاية تحقيق حلمهم التاريخي بإخضاع البشر جميعاً لحكمهم تحت قيادة حاكم أوتوقراطى صهيونى بعد أن يمهدوا لقبول الناس بهذا الحكم المستبد بإشاعة فساد الحياة بين الناس وبتدمير أخلاقهم ـ وبإماتة حقائق الأشياء فى عقولهم.

نظريات من أجل هدم الأخلاق:

يدلنا أيضاً على اعتناء (هكسلى) بموضوع كشف هذا التخطيط الصهيونى الهادف إلى هدم أخلاق الأمم، وعلى حرصه على تحذير العالم كله من هذه الداهية الدهماء، ما نجده فى رواية «العالم الجديد الرائع» من فضح لوسيلة ثانية من وسائل الصهيونيين التى يحققون بها هذا الهدف ـ وسيلة إخراج منظماتهم لعلماء مفسدين من بين ظهرانيهم، يكلفونهم بوضع النظريات الفاسدة التى تستخف بالقيم الأخلاقية.. ويحملونهم مهمة ترويج الأفكار الهدامة.. وينشئون لهم المراكز فى بعض مدن العالم.. لكى ينطلق منها نشاطهم الرامى إلى ضرب القيم الخلقية.. وإلى تخريب النفوس.. وإلى زعزعة أسس الحضارة الانسانية.

■ لابد أن (هكسلي) كان يعرف مثلا أن الصهيونى (دركهايم) وضع نظرية تقيم علم الاجتماع على أساس أن نظام الأسرة نظام مزيف. وكان يعرف أيضاً أن الصهيونى (فرويد) أكمل تأدية هذه المهمة التى شرع (دركهايم) بها عندما وضع نظرية ترجع كل الميول والنزعات الدينية والخلقية والفنية والاجتماعية إلى الغريزة الجنسية.. وأدرك (هكسلي) أن غرض المنظمات الصهيونية من هاتين النظريتين ومثيلاتهما هو تحطيم نظام الأسرة، لأنها وجدت أن نظام النظريتين ومثيلاتهما هو تحطيم نظام الأسرة، لأنها وجدت أن نظام الأسرة هو أكبر عقبة فى طريقها نحو الهدف الذى يحقق حلم الصهيونيين التاريخى بالسيطرة على العالم عن طريق هدم الأخلاق. فلربما قرأ (هكسلي) الكلمات التى عبرت بها المنظمات الصهيونية عن نواياها الشريرة فى البروتوكول العاشر من «بروتوكولات حكماء صهيون» إذ قالت: **«سوف ندمر الحياة الأسرية عند الأمميين.. وسوف نفسد حالتهم التربوية»**(٣).

■ وانطلاقاً من كل هذه المعرفة وهذا الادراك عزم (هكسلى) على أن يسلط الأضواء على هذه الخطة الصهيونية الرهيبة ضد نظام العائلة، وعلى أن يجسد النتائج الأثيمة التى أتت بها؛ فتصور نجاح المنظمات الصهيونية فى تنفيذها لها بإحلال طريقة تفريخ الأطفال الاصطناعى فى الأنابيب محل التوالد الطبيعى، ورسم فى الرواية صورة مجتمع عالمى بلا عائلات ـ مجتمع لا تربط بين أفراده رابطة ما غير رابطة الشهوة، وهى الصورة التى

أرادها للحياة الاجتماعية (دركهايم)، والتى نادى بضرورة تحقيقهـا (فـرويـد)، الذى يذكره (هكسلى) بالإسم فى الرواية التى نحن بصددها.

وعرض (هكسلى) استهزاء أصحاب السلطة الفوردية بنظام الأسرة لكى يثير فى نفس القارىء شعور الاحتقار نحو أولئك المستهزئين. فمدير «مركز التفريخ والاشراط» يسخر من عناصر النظام العائلى ـ وهى العناصر التى ترمز إليهـا الكلمات «أب» و«أم» و«زوج» و«زواج بواحـدة فقط»؛ والإنسان العادى فى المجتمع الفوردي يحمر وجهه من الخجـل عنـدمـا يذكـر كلمـة «التوالد» (ص٣٠)؛ والحـاكم العـام لغـرب أوروبا يندد تنديداً شديداً بنظام التـوالـد فى الحيـاة الانسـانيـة الماضية وبتفاصيل النظام العائلي، ويستقبح «بيت الأسرة» الذى كان عماداً للحياة الاجتماعية قبل إلغائهم لنظام الأسرة، ويقول عن بيت الأسـرة إنـه «كـان قذراً من النـاحية المادية ومن الناحية السيكـولوجية. . . ، تفوح منه رائحة كريهة ـ هى رائحة العواطف الأسرية.

يا للمودة الخانقة يا للعلاقات الخطرة الحمقاء الوسخة بين أعضاء المجموعة العائلية. . (ص٣٩ـ٤٠)، ويستنتج الحـاكم العـام من كل ذلك أنه «لاعجب فى أن أولئك القـدمـاء المسـاكـين كانـوا مجانـين وشـريرين وتعيسين» (ص٤٣)، ويـذكر يداً بيضاء لـ(فورد) أو (فرويد) (إن الحاكم العام لا يستطيع أن يجد فرقاً بين الاثنين) انه «كان أول من اكتشف المخاطر المرعبة التى تنطوى عليها الحياة العائلية» (ص٤١). إن الحاكم العام يذكر لهما هذه اليد البيضاء لأنهما كان لهما تأثير كبير فى مجال تحويل سلوك أفراد الجنس البشـري إلى سلوك حيـوانى دنىء، وفى تحقيق غرض إلغاء عناصر الخير والنبل فى السلوك الإنسانى.

وأما (هكسلي) فإنه يعرض هذه الحقائق من أجل إثارة غضبنـا على صانعى ذلك التخريب. وفضلا عن ذلك فإنه يجلب (جون) من بلاد بعيدة، ويعرضه لنا فى الرواية فى إصراره على اتباع سبيل الشرف والعفة فى العلاقة بين الرجل والمرأة. . وعلى ضرورة ارتباطهما برباط الزوجية . . وعلى بذل المحبـة والـوفاء لأمه . . وذلك لأن (هكسـلي) يريـد أن يقـدم لنـا عنصر مفارقة بين (جون) رمز القوة الخلقيـة، وبـين قوى الفـوضى الأخـلاقيـة التى تمثلهـا القيادات الصهيونية فى الرواية إذ أن الأشياء تتميز بضدّها.

ظواهر انحلال الخلق:

يتناول (هكسلي) بالتحليل ثلاثة أنواع من ظواهر فساد الخلق فى روايـة «العـالم الجـديد الرائع» وهى: «فوضى الجنس . . عادة إدمـان العقاقير المخدرة. . الإكثار من أماكن اللهو التى تقدم لروادها المتع الجماهيرية السـخيفة».

فوضـى الجنـس:

لاحظ (هكسلي) فى واقع الحياة فى أوروبا وأمريكا دأب المـنظـمات الصهيـونيــة على نشـر فوضى الجنس فى المجتمعـات فصور تلك الظاهرة فى رواية «العالم الجديد الرائع» ـ ولكنه كبر الصورة وجعل ألوانها غامقة.

إن استناد (هكسلي) على الواقع فى رسم جميع الصور فى رواياته هو شىء موجود فى طبيعته وهذا القول ينطبق على صورة فوضى الاتصال الجنسي التى رسمها فى هذه الـروايـة. . وبهـذا الصدد يقول لنا (هكسلي) فى مقدمة الـرواية إن العالم أو أجزاء كثيرة منه، ربما لا تحتاج إلى الانتظار مدة ستة قرون قبل انتشار فوضى الجنس على نطـاق واسع ـ إذ أنه لاحظ أن عدد حالات الطلاق فى بعض مدن الولايات المتحدة الأمريكية قد تساوى مع عدد حالات الزواج فى سنة ١٩٥٢م وهى السنة التى كتب فيها المقدمة، أى بعد عشرين سنة من تاريخ نشر الرواية فى عام ١٩٣٢م؛ ويضيـف (هكسلي): «بعد سنوات قليلة،

بلا شك، سوف تباع رخص الزواج كما تباع رخص اقتناء الكلاب فتكون صالحة لمدة اثنى عشر شهراً»(٤).

وانطلاقاً من هذا الواقع، فإن (هكسلي) جسد في روايته ترسيخ أصحاب السلطة الفوردية لجذور الفوضى الجنسية في دولتهم، وأكد تعمدهم في ذلك وتشجيعهم حرية الاتصال الجنسي بكل الوسائل الممكنة مثل وسيلة الإصرار على هدم نظام العائلة عملا بالمبادىء التى وضعها مؤسس دولتهم (فورد)، ومثل وسيلة تعليم الأطفال منذ نعومة أظفارهم شعارات تحبب تلك الفوضى إلى قلوبهم، من بينها شعار يقول: «كل واحد يخص كل شخص آخر»؛ وقد جهدوا في نشر الفوضى الجنسية عبر السنين لأن انتشارها يرسخ لهم دعائم الاستعباد في علاقتهم مع شعب الدولة الفوردية، علما منهم أن الحرية كما يقول (إدموند بيرك) «لا تستطيع أن تعيش طويلا عند شعب يعاني من الفساد»(٥).

وتوضيح السبب في هذا التعمد والتخطيط هو أن حكام الدولة العالمية الصهيونية أطلقوا حرية الاتصال الجنسي وروجوها وشجعوها بهدف إزالة كل نوع من أنواع التوتر الغاضب، أو الحمية، في الأفراد، وكذلك التوتر العاطفى الابداعى لأن حيازة الأفراد لهذين النوعين من التوتر يتنافى مع تثبيت حالة العبودية التى فرضها أولئك الحكام على شعب الدولة الفوردية العالمية.

لقد سار أولئك الحكام في تعاملهم مع شعبهم على المبدأ القائل بأن الحياة في حضارتهم المصطنعة يجب أن تعتمد على إطلاق كل امرىء العنان لهواه ولشهواته، وأخذوا تبريرهم الفاسد لذلك النهج من (فرويد)، فقالوا إن العفة تؤدى إلى ثورة العواطف وإلى التهلك العصبى وهما حالتان تقودان إلى عدم الاستقرار، وإن المراقب النزيه للتطورات الفكرية والاجتماعية في القرن الحالى لا يسعه إلا أن يلاحظ الآثار الفظيعة التى خلفتها هذه المكيدة الصهيونية ضد الانسانية جمعاء. إن (هكسلي) يسخر من هذه المكيدة في مقدمة روايته، إذ يدعوها «ثورة ثورية حقاً» لأنها تغيير في «نفوس البشر ولحمهم»، وليست ثورة مقتصرة على «العالم الخارجى» (ص١٠).

ويصرح (هكسلي) أيضاً في المقدمة بأن هذا الجهد المفسد الذى أتى به (فرويد) وأعوانه شبيه بالنظرية التى جاء بها (سارى) (١٧٤٠-١٨١٤م)، لأن نظرية (سارى) كانت أيضاً «ثورة في داخل الرجال والنساء والأطفال، حيث اعتبر أجسامهم مشاعاً بين الناس جميعاً، ودعا إلى العناية بتطهير عقولهم من كل آداب السلوك الأصيلة، ومن جميع أنواع القيود التى حملتها إلينا الحضارة التقليدية» (ص١٠).

■ يعرض لنا (هكسلي) في رواية «العالم الجديد الرائع» صوراً كثيرة ذات معنى من صور فوضى الجنس، لكي يؤكد لنا وجود هذا التخطيط الصهيونى المقصود. أول صورة من تلك الصور هى صورة طفلة صغيرة السن راودت طفلا صغيراً في حديقة «مركز التفريخ والاشراط» فامتنع، فأثار امتناعه قلق المربية عليه، وهو ما جعلها تأخذه إلى مساعد المراقب السيكولوجى لعرض حالته عليه، مخافة أن يكون تمنعه ناتجا عن شذوذ سيكولوجى فيه؛ وقد كانت هذه الحادثة مناسبة انتهزها مدير «مركز التفريخ والاشراط» من أجل أن يطلع طلابه على شكل العلاقات الجنسية قبل التغيير الذى أحدثه (فورد) و(فرويد)، ومن أجل أن يهزأ ويهزأوا معه من الصيغة الأخلاقية التى كانت عليها. ثم انضم إلى جمعهم الحاكم العام لغرب أوروبا في تلك اللحظة، وراح يقود الحوار بتعليقاته الساخرة عن اشتمال تاريخ العلاقات الجنسية على نظام العائلة، وعلى الزواج بواحدة فقط، وعلى الرومانسية في الحب، وازدرى بها كلها، لأنها كانت تتضمن «تركيز الاهتمام، وحصر الدوافع والطاقات في مجرى واحد» (ص٤٢)، وكانت تخالف القواعد الفوردية، ولا تتفق مع مطلب الاستقرار الفوردى، الذى يعتبرون توفره شرطاً أساسياً لوجود الحضارة، والذى يستلزم هدم الحواجز العاطفية وتكثير القنوات، لأن ذلك ضرورى لمنع

فيضان العواطف وطوفان الجنون(٧).

■ وفى نفس الوقت الذى كان يجرى فيه حديث الحاكم العام إلى الطلاب عن الخط الأساسي للسياسة العامة المتجهة إلى إفساد الأخلاق جرت محادثة ثانية بين (هنري فوستر) وموظف يشغل وظيفة «مساعد محتم الأقدار» عن ممارساتها الشخصية فى مجال فوضى الجنس ومحادثة ثالثة بين (لينينا كراون) و(فاني كراون) عن اهتماماتها فى ميدان الإغراء الجنسى.

■ إن هذه المحادثات الثلاث الهامة التى تتطور فى وقت واحد على صفحات الفصل الثالث تؤدى الغرض الذى توخاه الكاتب منها ـ وهو مضاعفة اشمئزاز القارىء من الانحـلال الخلقي والفسـاد السلوكى الـذى يصنعـه الصهيونيـون أينما حلوا. فسياسة الانحلال العام التى يوضحهـا حديث الحـاكم العـام وحـديث «مـدير مركز التفريخ والإشراط» هى بمثابة الجذور من الشجرة الخبيثة التى تمثل شكل الحياة الذى صاغه الفورديون فى دولتهم العـالمية؛ وتفاصيل محادثات المواطنين الأربعة المذكورين عن ممارساتهم الشخصية فى مجال السلوك هى بمثابة الثمار الخبيثـة التى تحملها تلك الشجرة. وأما الهمسات التى تتداخل مع تلك الأحاديث ونقرأها موزعة هنا وهناك فى صفحات ذلك الحوار غير منسوبة الى شخص بذاته فهى رجع صدى فى داخل الأذهان عامة للدروس التى تعطى للأطفال الصغار أثناء نومهم وتتردد فى تلك العقول بعد أن يكبروا، بطريقة تداعى الأفكار. أما ساق تلك الشجرة الخبيثـة وأغصانها فتمثلها فى الرواية بعد الفصل الثالث تجارب (لينيناكروان) فى مجال الفسق الجنسى التى تؤلف سلسلة من مغـامرات الشهوة الجنسية التى لا تنتهى إلا بانتهاء الرواية.

■ إن المجتمع الفوردي لا ينظر إلى الإباحة على أساس أنهـا رذيلة شخصية أو اجتماعية كما يفعل مجتمعنا، لان الإباحية هى سياسة الدولة عندهم.. وهى السلوك الذى يتبعه مجتمعهم لأن حكامه الصهيونيين قد رسموا خطتهم



فرويد

منذ البداية على أساس أن يكون الانغماس فى الملذات الآنية أُلهيّة يتلهى بها الشعب، فلا ينتبه إلى تخريبهم لحياته.

المخـــدرات:

والأُلهيـة الثـانية التى وفرها الحكام الفورديون لكى يتلهى بها الشعب فى دولة (العالم الجديد الرائع) من أجل أن يضمنـوا استمرار استعبادهم له هى المخدرات. لقد عممـوا إدمـان المخدرات وقدموا كميات وافرة من المادة المخـدرة التى سمـوها (الصوما)، وهى مخدر قوى جداً ومتنوع فى استعمالاته وتأثيراته. وقد اتخذوه وسيلة يمنعون بها يقظـة شعبهم لأنـه يدمر الأعصاب ويضعف الإرادة وينهـك القـوة المعنـويـة فى الشخصية الانسانية، فيضع الناس فى حالة سبات تهون عليهم عيش الذل والعبودية الـذى فرضـه حكـامهم الفورديون عليهم وتجعلهم غير مبـالـين بحقيقـة أوضاعهم. لقد أظهر (هكسلى) فطنة عظيمـة واطـلاعـاً واسعاً على نوايا الصهيونيين الشريرة وخططهم البغيضـة المهلكـة فى تنـاولـه لموضـوع إدمـان المخدرات فى رواية «العالم الجديد الرائع».

أماكن اللهـــو:

المظهـر الثـالث للانحلال الخلقى: وللإعراض عن

الأمور الجوهرية في الحياة، في النموذج الذي تخيله (هكسلي) لدولة الشر التي يحلم بتأسيسها الصهيونيون

هو انتشار أماكن اللهو العامة الكثيرة التي توفر المتع الجماهيرية السخيفة مثل المشاهد الجنسية التي تثير الأحاسيس البهيمية. لقد أثبت (هكسلي) بتناوله لهذا

الموضوع في الرواية المذكورة أنه عالم بدهاء الصهيونيين في فن اتخاذ دور اللهو مراتع لنمو الفساد والأخلاق السيئة ـ في الحاضر والماضي ـ في المجتمعات غير اليهودية. فقد

صور لنا في رواية «العالم الجديد الرائع» ما يجرى في عدد من أماكن اللهو الفاسدة المفسدة التي هيأها (فورد) وأتباعه ودبروا طريقة عملها بكيفية تحقق أغراضهم

المنكرة. أحد الأمثلة على فهم (هكسلي) لهذا النوع من أنواع الكيد الصهيوني هو ما يصوره من فجور وفسق يرتكبه المحتفلون بتأدية «طقوس عيد التضامن الفوردي»

وهو عيد يتكرر في كل أسبوعين من أجل تعظيم (فورد) في «دار الغناء الخاصة بأحفاد (فورد)». وقد رمز الكاتب أيضا إلى الحقد الذي يضمره الصهيونيون دوماً لأصحاب الديانات الأخرى.

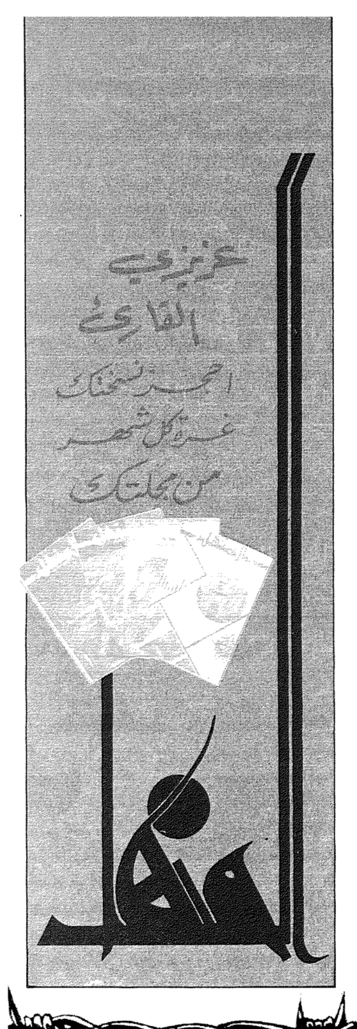
■ إن وصف (هكسلي) لما يجرى في هذا العيد هو لوحة فنية كوميدية تحاكي الطقوس السرية العربيدة التي كانت تؤدى في بعض الديانات القديمة محاكاة ساخرة، وإن نشوة المشاركين فيه تتطور حتى تصبح قصفاً معربداً شبيهاً بالقصف المعربد الذي يحدث في تلك الطقوس. وهذه اللوحة الفنية التي رسمها (هكسلي) في الرواية ترمز إلى نجاح الجهد الصهيوني في نشر آفة فساد الخلق في كثير من مجتمعات العالم.

الرمزية في الرواية:

أشرت في هذه المقالة الى بعض الرموز التي اختارها (هكسلي) لرواية «العالم الجديد الرائع» اختياراً حسناً لكي يعبر بها تعبيراً فنيا عن أفكاره وعن شعوره بالتقزز وبالخوف مما سيؤول إليه العالم من فساد إذا لم يوقف الصهيونيون عند حدهم. إن عنصر الرمزية أساسي جداً في الأعمال الفنية عموماً؛ ونظرا لأهميته، جعلته فيلسوفة علم الجمال (سوزان ك. لانجر) محوراً لنظريتها التي تفسر الأعمال الفنية والتي تقول: «إن الفن هو إبداع الصيغ التي ترمز إلى الشعور الانساني»(٨).

■ إن كاتب الرواية القصصية مثلا يعرف أنه لا يستطيع أن يجد وسيلة أقوى من الرمزية يستعملها في التعبير عن فكره ومشاعره بشأن ذلك الجانب من جوانب الواقع الحياتي الذي اختاره موضوعاً لروايته؛ وهكذا فإنه يسعى إلى تعميق إحساس قرائه بالمشكلة التي تعالجها الرواية عن طريق استعمال رموز قوية الدلالة، وتكون الرموز في الرواية القصصية كثيرة العدد جداً.. وتتعدد أشكالها وأنواعها إذ تشتمل على عدد كبير من الأشخاص والأفعال والأحوال والعلاقات والأسماء والكلمات.. ولكن أهم الرموز هو ما كان معبراً عن الفكرة العامة وعن القيم المتجسدة في تلك الفكرة ـ أي عن المعنى الذي يدل عليه مجموع الأفعال التي تحدث في الرواية.. وبقدر ما يكون هذا المعنى أكثر اتساعاً تكون عظمة العمل الأدبي أكثر؛ وهذا الشرط من شروط عظمة الرواية القصصية متوفر في رواية «العالم الجديد الرائع»، لأن المعنى الذي تتضمنه هذه الرواية يتعلق بمستقبل الانسانية كلها.. وبالتخريب التام الذي سيلحق بها إذا سمحت للصهيونية بتنفيذ مخطط الافساد الشامل الذي تمهد به لغرض التسلط المجنون على العالم.

■ لقد أحسن (هكسلي) اختيار الأشخاص الذين يرمز بهم إلى المعنى الذي قصد إليه (فورد) مثلا، يرمز إلى القيادة الاستبدادية التي يريد الصهيونيون أن يفرضوها على سكان العالم؛ و(لينينا كروان) هي رمز لانحلال



النفوس ولفساد الأخلاق الذى بثه الصهيونيون بوسائلهم الكثيرة كما أحسن (هكسلى) اختيار الأفعال التى ترمز إلى ما كان يفكر فيه أثناء كتابة الرواية . . فاستخدام الفوردين العملي لوسائل الدعاية المختلفة التى نقرأ عنها فى الرواية هو رمز لنشاط الصهيونيين الدعائى المخرب للعقول فى الدول الأوروبية والأمريكية فى القرن العشرين؛ واستبدال التوالد الانسانى الطبيعى بتفريخ الأطفال فى الأنابيب يرمز الى توجيه الصهيونيين للعلوم وجهة مدمرة من أجل إفساد الحياة الانسانية فى العالم. وفى كل هذا دليل قوى على أن (هكسلى) كان واحداً من الأدباء الجيدين الذين يمتلكون القدرة على معرفة الصيغ التى ترمز الى المشاعر معرفة جدسية؛ وهذه القدرة على اختيار الرموز الأدبية التى تصلح أن تكون أوعية مناسبة للمغزى الذى ترمى إليه الرواية، وعلى صياغتها صياغة تزيد من تماسك أجزاء الرواية مع بعضها البعض، تجعل رواية «العالم الجديد الرائع» واحدة من الروايات الجيدة التى تزيدنا خبرة بالأمور الجوهرية فى الحياة الانسانية.

الهوامش

---

(١) تفاصيل نشر الرواية الانجليزية هى كما يلى:
Aldous Huxley. Brave New World (London: Granada Publishing Ltd., 1977).

(٢) «الخطر اليهودى: بروتوكولات حكماء صهيون»، ترجمة محمد خليفة التونسى. الطبعة الرابعة (دار الكتاب العربى، بيروت ١٩٦١) ص١٤٣-١٤٤.

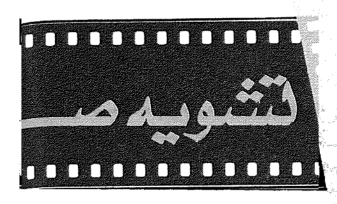
(٣) المرجع السابق ص ١٥٠.

(٤) Huxley Brave New World, Foreword, P. 14.

(٥) Edmund Burke, Letter to the Sherrifs of Bristol, 1777.

(٦) Brave New World, Ch. 3.

(٧) Susanne K. Langer. Feeling and Form: A Theoty of Art (London: Routledge & Kegan Paul Ltd., 1953), P. 40



● السينما الصهيونية عرضت فيلم «حياة اليهـ

● السينما الصهيونية هى السينما التى تخدم مباشـ



شمس الدين العجلانى

اصبحت السينما فى وقتنا الحاضر أهم وأخطر الفنون على الاطلاق لكونها تحظى بجماهيرية واسعة سواء عبر صالات العرض أو عبر التلفزيون وأجهزة الفيديو، وقد تنبهت الاجهزة الصهيونية على مختلف اشكالها وأنواعها لفن السينما وخطورته وتأثيره الكبير فى خدمة أهدافها غير الانسانية.

■ ومنذ أن اكتشفت بروتوكولات حكماء صهيون وظهرت للوجود نرى أنها اهتمت بهذا الفن وسعت لتسخيره لاهدافها العنصريه وكذلك أكد المؤتمر الصهيونى الاول على أهمية السينما فى خدمة أهداف الحركة الصهيونية.

■ وازاء هذا الاهتمام المبكر بالسينما الصهيونية جاء الفيلم الصهيوني الاول عام ١٨٩٩ في حين جاء الفيلم العربي الاول عام ١٩٣٧ ثم تتالت الافلام الصهيونية فجاء فيلم عن «حياة اليهود» فيلم آخر يتحدث عن المقاومه الصهيونيه للعرب على أساس أنهم مُستعمِرون واليهود اصحاب الارض وكان هذا الفيلم بعنوان «ابن الارض» وفى عام ١٩٣٨ عرض الفيلم الصهيوني (هذه ارضك) الذى يدعو اليهود للهجرة الى ارضنا الطيبة وابتدأت بعد ذلك الصهيونية بدخول عالم هوليود للسيطرة عليه.

ما هي السينما الصهيونية:

السينما الصهيونية ببساطة هى السينما التى تخدم مباشرة أو غير مباشرة المفاهيم والاهداف الصهيونية المنبثقة عن بروتوكولات حكماء صهيون أو هى السينما التى تسهم جزئيا او كليا فى حملات الدعاية الصهيونية المناهضه للقيم الانسانية والساعية لتثبيت مزاعم الحركة الصهيونية.. وليس بالضرورة أن تكون هذه السينما قاصرة فى تواجدها على النشاط السينمائى «الاسرائيلى» وانما تتعداه الى النشاط السينمائى العالمي بأجمعه.

■ ولقد هدفت السينما الصهيونية فى خطواتها الاولى لنقل الفكر الصهيونى الى اليهود انفسهم والى الشعوب الاخرى لتكريس مفاهيمهم فى دعم فكرة الوطن القومى اليهودى ثم تباكت السينما الصهيونية على اضطهاد اليهود فى كل مكان لاستدرار عطف العالم عليهم ماديا ومعنويا.

■ والان يتكالب صناع السينما الصهيونية لوصف «اسرائيل» بالجنة القابعة وسط الدول المتخلفة حضاريا وبأن هؤلاء ارهابيون قتلة..؟.

■ هذا وقد ركزت الحركة الصهيونية منهجها فى عالم السينما منذ عام ١٨٩٧ على أسس هى:

● العمل للسيطره على تقاليد السينما انتاجا وتوزيعا.

● تسريب مجموعة كبيرة من الفنانين الصهاينة بمختلف الاختصاصات للدخول لصناعة السينما.

● تأمين مجموعة من الكتاب السينمائيين المروجين للمفهوم الصهيونى.

● استغلال احدث ما توصل اليه العلم فى صناعة السينما لانجاح الافلام الصهيونية.

● استغلال افلام الجنس والافلام البوليسية لتنفذ من خلالها لمآربها.



ـورة العربي في السينما الصهيونية

...د) وآخر يتحدث عن المقاومة الصهيونية للعرب على اساس انهم مستعمرون واليهود أصحاب الأرض.

...ة أو غير مباشرة المفاهيم والاهداف الصهيونية المنبثقة عن بروتوكولات حكماء صهيون.

■■ ويمكن اجمال هدف السينما الصهيونية في:

- **السعي للربح التجاري لاستغلال هذا الربح في السياسة الصهيونية الاستعمارية.**
- **اداء دورها لتثبيت ركائز الاستعمار الاستيطاني بشتى اشكاله وانواعه.**
- **تشويه صورة الانسان العربي أمام الرأي العام العالمي.**

العربي في السينما الصهيونية:

في السينما الصهيونية نرى اليهودي انسان طيب وشهم يساعد المحتاج، يحاول اصلاح المجتمع الذي يعيش فيه، اليهودي مظلوم محتقر بلا سبب، اليهودي يُحرق ويُعذب وهو لا حقَّ له في البقاء.. ففي فيلم **«دانيل»** للمخرج الصهيوني **«سيدني لوميت»** نرى ان اليهودي انسان طيب يسعى لحرية مجتمعه ولكنه في النهاية يُقتل بلا ذنب..؟.. وفي فيلم **«الاختيار»** اليهودي معذب على يد النازيين بلا سبب.. بينما العربي في هذه السينما الصهيونية متوحش ارهابي، ملثم بالكوفية كرجال العصابات، ففي فيلم **«ابدا لا تقل أبدا مرة أخرى»** كانت صورة العربي على انه انسان جاهل يؤمن بالخرافات ويحب الجنس.. بينما صور فيلم **«صحارى»** العربي بالهمجية وتأتي **(جين فوندا)** في فيلمها **«الدحرجة»** لتشوه صورة العربي وتحث المواطنين في الولايات المتحدة الامريكية على عدم التعامل مع العرب.

■ وضمن هذه الحملة الصهيونية المسعورة المناهضة للعرب يجرى الان تصوير فيلم بعنوان **«السفير»** ويتم تصوير مناظره الخارجية بالقرب من مدينة أريحا وهو من بطولة (روبرت ميتشوم ـ ويخرجه لي تومسون ـ ويحاول هذا الفيلم تبرير العمليات الارهابية الصهيونية ضد المواطنين العرب على اساس انهم ارهابيون..؟ هذا وهنالك مشروع عقد لفيلم اسمه **(فوق جسر بروكلين)** تم الاتفاق عليه ما بين مناحيم جولان ممثلا لشركة **«كانون»** واليوت غولد ـ مارغوهيمنغواي ـ سيد كيسار ـ والفيلم محاولة لتوضيح الاضطهاد المزعوم الذى يعيشه اليهودى في كل مكان من العالم ويصور اليهودى على انه انسان مسالم يريد العيش بسلام.. وطبعا يتعرض الفيلم للتشهير بالانسان العربى وتشويه صورته.

وأخيرا: ان ما سبق وذكرناه عن افلام الصهاينة التى تحاول تشويه صورة العربى للرأى العام العالمي فانها تعرض في الاسواق التجارية في دول العالم ولكن هنالك اتجاه آخر دخلته السينما الصهيونية وهو استغلال المهرجانات السينمائية والمؤتمرات المختلفه لصالح اهدافها العنصريه.

تشوية صورة العرب

● ليست السينما الصهيونية قاصرة فى نشاطها على التواجد السينمائى فى «إسرائيل» وانما تتعداه إلى النشاط السينمائى العالمي بأجمعه.

● فى فيلمها المسمى «الاختيار» اليهودى معذب على يد النازيين بلا سبب.. بينما العربى فى هذه السينما الصهيونية، متوحش وإرهابي.

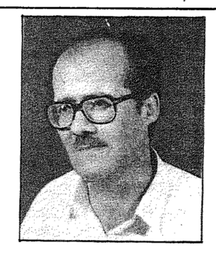
فخلال الإعداد لمهرجان (كان) السينمائى عام ١٩٨٣ عزمت الاجهزة الصهيونية على فرض السينمائي الصهيوني مناحيم جولان فى عضوية لجنة التحكيم لهذا المهرجان ولكن لظروف طارئه استُبْعِدَ من عضوية اللجنة وأخذ وعدا بأن يُعيِّن في المهرجان القادم عضوا أو رئيسا للجنة التحكيم وقد اعتذر رئيس المهرجان عن استبعاد مناحيم جولان من لجنة التحكيم كاسرا بذلك تقاليد المهرجان..

ومن جهة أخرى يتسرب النفوذ الصهيونى الى المؤتمرات الدولية وبرامج الوفود العربية والعالمية وهذا ما حصل لاحد الوفود العربية التى فوجئت بالملصقات تملأ ردهات احدى الفنادق العالمية التى تنزل فيها الوفود العربية والدولية المشاركة فى إحدى المؤتمرات وتدعو هذه الملصقات الوفود المشاركة لحضور فيلم ضاحك وتمثل هذه الملصقات صورة عربى يرتدى الزى العربى ويتقلد الخواتم الذهبيه فى اصابع يديه التى تحتضن واحده فيها امرأة عارية وفي الثانية صبيا صغيرا ويقف هذا العربى فوق بئر من النفط وبرج ايفل.. ويصور هذا الفيلم ان العربي يأتي الى باريس بأمواله الطائلة ليصرفها على الملذات، هذه بعض ملامح ممارسات السينما الصهيونية لتشويه صورة الانسان العربى امام الرأى العام العالمي.

من أعلام فلسطين

وهيب البيـ

بقلم: زياد عوده / الأردن



فى نهاية عام ١٩٨٦م، صدر عن دار الكرمل بعمان، الديوان الأول للشاعر الفلسطينى المرحوم وهيب البيطار المتوفى سنة ١٩٨٥. وقد احتوى على باقة من الأعمال الشعرية.. حيث قام إبنه عبد الرحمن بالاشراف على جمع القصائد وطباعة الديوان.

■ ومن خلال اطلاعنا على مقدمة الديوان التى كتبها إبنه، ندرك المصاعب الكبيرة التى تقف فى طريق الانسان المبدع حين لا يجد من يساعده على نشر انتاجه الأدبى. وهذه احدى مصائب المبدعين فى وطننا العربى الكبير. أولئك الذين يخسرون كثيرا لعدم تمكنهم من نشر نتاجهم الأدبى فى حياتهم. وخاصة من أبناء فلسطين الذين اكتووا بنيران النكبة وتشردوا عن ربوع وطنهم الحبيب، يجوبون أنحاء الدنيا، يبحثون عن ملاذ لهم وعيونهم شاردة وقلوبهم متعلقة بالوطن المحتل.

■ وما أكثر أمثال وهيب البيطار من الشعراء والادباء الفلسطينيين الذين لم تر آثارهم الشعرية والأدبية النور،

ـطار .. الشاعر والمعلم

ظل انتاجهم مطويا فى أدراج النسيان إلى أن يأتى من نفض عنه الغبار، وينشر على الناس رغم ما فى ذلك من ماذير، إذ قد يقوم بهذه المهمة شخص غير متمكن.

■ ولهذا ليس غريبا أن تخرج علينا دواوين وكتب غير رتبة، أو مشروحة شرحا وافيا يضىء الجوانب غير لواضحة بين السطور، مما يسىء الى صاحب العمل من حيث يراد الاحسان إليه.

■ واكبر مثال على ذلك، الديوان الذى بين أيدينا، والذى م نشره بعد وفاة صاحبه بسنة ونيف، حيث تم وضع عنوان غير مناسب له.. فاختيار العنوان يحتاج الى فن إلى دراية فى الموضوع وليس كصاحب العمل يستطيع أن ضع عنوانا مناسبا له.

احتوى الديوان على أربع وستين قصيدة متنوعة لأغراض جاءت على امتداد مائة وست صفحات من لقطع الكبير. ومن خلال قراءتنا للقصائد التى احتواها لديوان ـ والتى يعود معظمها إلى اكثر من خمسين عاما ـ لاحظنا أن هناك مجموعة من القصائد غير مؤرخة مما يوقع الباحث فى حيرة شديدة إذ كان ينبغى على جامع القصائد أن يتنبه إلى هذه الأمور حتى يتتبع القارىء المراحل التى مر بها الشاعر فى شعره.

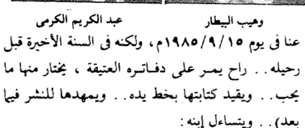
تساؤلات

ومع هذا يبدو أن إبنه عبد الرحمن قد تنبه إلى ذلك وأشار إليه فى الكلمة التى صدَّر بها الديوان حيث يقول:

«بالرغم من المحاولات المتكررة لاقناعه بنشر ديوان شعره خلال فترة حياته إلا أنه كان يصر على موقفه بالرفض، وقد بقى على موقفه هذا حتى رحيله المفاجىء



وهيب البيطار — عبد الكريم الكرمى



عنا فى يوم ١٥/٩/١٩٨٥م، ولكنه فى السنة الأخيرة قبل رحيله.. راح يمر على دفاتره العتيقة، يختار منها ما يحب.. ويقيد كتابتها بخط يده.. ويمهدها للنشر فيما بعد).. ويتساءل إبنه:

● لماذا كان راغبا عن النشر؟.. بل لماذا قل انتاجه الشعرى خلال الخمسة والعشرين عاما الأخيرة من حياته؟.

■ أسئلة بقيت بلا جواب.. وربما أبلغ إجابة عليها يتمثل فى صمته وعزوفه عن الانخراط فى الحياة العامة خاصة فى الفترة التى تلت إحالته على التقاعد فى مطلع عام ١٩٧١م.

■ إذن فشاعرنا كان يعيش حالة قلق رهيبة دفعته إلى الصمت واختيار الوحدة بعيدا عن الناس.. يراقب الأحداث التى كانت تمر بها أمته العربية وخاصة بعد أن أصبحت مدينة نابلس مسقط رأسه أسيرة فى أيدى سلطات الاحتلال سنة ١٩٦٧ لا تستطيع الوصول إليها.. أو العيش فيها فى الوقت الذى أحيل فيه على التقاعد وبحاجة إلى المكان الآمن الذي يأوى إليه.. وهل بعد هذه المأساة من مأساة؟ أن يجد الانسان نفسه مشردا بعيدا عن وطنه لا يستطيع أن يلوذ إليه..؟

ـ سيرة حياة ـ

ولد شاعرنا فى مدينة نابلس فى ٢٣ ذى الحجة لعام ١٣٣٤هـ الموافق ٢٠ تشرين الاول من عام ١٩١٦ والتحق فى مدارسها الابتدائية والاعدادية وحصل على شهادة الدراسة الاعدادية من مدرسة النجاح الوطنية بنابلس سنة ١٩٣٤ . . وبعدها سافر الى القاهرة والتحق بمدرسة دار العلوم حيث حصل على اجازة التدريس فى التربية والآداب سنة ١٩٣٨ . . وخلال أعوام الأربعينيات حصل المرحوم على إجازة تخوله ممارسة المحاماة والمرافعة أمام المحاكم الشرعية فى فلسطين.

■ ومنذ تخرجه من القاهرة التحق بسلك التدريس وقد درس فى معظم مدارس مدن فلسطين . . وعمل مع الشاعر ابراهيم طوقان فى القسم العربى لاذاعة فلسطين وساهم مساهمة فعالة بتقديم مجموعة من الأشعار والأحاديث الأدبية وبعد نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨ عمل الفقيد مدرساً فى المدرسة الصلاحية بنابلس ثم مديرا للمدرسة الفاضلة فى طولكرم لغاية عام ١٩٥٦ . وتقلب بعدها فى عدة وظائف إدارية مهمة فى وزارة التربية والتعليم فى الأردن.

وقد شارك فى تأليف العديد من الكتب المدرسية مع مجموعة من زملائه فى وزارة التربية والتعليم، نذكر منها : **«المورد العذب» و«مبادىء البلاغة» ومجموعة «أدبنا فى مختلف العصور» و«الأدب الاعدادي» و«اللغة العربية» و«قصص من شكبير» و«قصص من كليلة ودمنة» و«الروضة»** كما كتب الشاعر الكثير من المقالات والابحاث فى عدد من المجلات الأدبية.

■ يبدو أن شاعرنا بدأ يقرض الشعر وينظم القصائد فى وقت مبكر من حياته، فقد احتوى الديوان على عدة قصائد نظمها الشاعر وهو فى الثامنة عشرة من عمره وهى قصائد قوية، تدل على أن صاحبها متمكن من اللغة، فهو من بيت علم وأدب . . فوالده الشيخ رشيد البيطار من رجال العلم الذى رعى مسيرة ابنه العلمية والأدبية، ومكنه من متابعة دراسته العليا فى القاهرة.

وكتب شاعرنا فى جميع أغراض الشعر . . فكما أبدع فى الغزل أبدع فى الوطنيات . . فمن خلال قراءتنا لقصائد الديوان، نلمس ذلك، عبر عشرات القصائد القصيرة والطويلة.

■ ويبدو أن شاعرنا قد تأثر فى بداية حياته بالشاعر الفلسطينى الكبير عبد الكريم الكرمى **«أبو سلمى»** وخاصة فى قصائده الوطنية . . رغم أنهما متقاربان فى السن، ومن محافظة واحدة . . فأبو سلمى من مواليد مدينة طولكرم سنة ١٩٠٩ والشاعر وهيب البيطار من مواليد مدينة نابلس سنة ١٩١٦ . . فالهم الوطنى الكبير، الذى تمثل فى احتلال بريطانيا لفلسطين وعزمها على إنشاء وطن قومى للصهاينة فى فلسطين العربية . . وما نتج عن ذلك من اضطرابات وكوارث انهالت على رؤوس العرب من أصحاب البلاد الشرعيين . . كل ذلك حمل الشاعر على أن يلتزم بقضية بلده وينظم القصائد الوطنية التى تندد بالاستعمار وتدعو أهل فلسطين إلى الصمود والثبات فوق أراضيهم . . وتمجد الشهيد الذى بذل روحه رخيصة فى سبيل عزة وطنه . . والفدائى المجاهد الذى يحمل روحه على راحته ويخوض لجج الموت دون خوف أو وجل.

■ فمن قصيدة **«شهيد يودع أمه قبل استشهاده»** حيث يروى فيها قصة استشهاد المجاهد محمد الشيخ ياسين الذى استشهد سنة ١٩٣٦ وأثر ذلك على أمه . . تلك الأم الصابرة التى تحملت نبأ استشهاد إبنها برباطة جأش . . وهذا شأن الأم الفلسطينية التى كانت ومازالت تقدم الشهيد تلو الشهيد من أجل تحرير الوطن المحتل من الصهاينة المعتدين . . نقتطف منها هذه الأبيات :

كَبُرتْ نفسُهُ فتاهَتْ وتاها
وتناهت فى كبرها وتناهى

هالها أن دهرها مستبدّ
فأرادتْ فى الخسف ألا يراها
عقدت عزمها وسارت وئيدا
تتسامى إلى العلا عيناها
إن فى القبر للعزيز مناحيا
وطنا ساميا ومجدا وجاها

* * *

بهتت أمه غداة أتاها
وبلفظ الوداع فاهَتْ وفاها
وكأنى بها وقد عقد الحزن لسا (م)
نيها وغلَّ الشفاها
زفرت من صميمها زفراتٍ
اودعتها آمالها وهواها
من تُرى فى المصاب يطفى لظاها
من لخطب الزمان مَنْ يرعاها
كان ذخرا لها فهاهي تدعوه
وكانت إذا دعت لباها

* * *

راح كالليث زائرا يتهادى
شاكيا آلة تذل الجباها
لم يبال الأذى ولم يرهب الحرب
تسامى فى الخافقين لظاها
إن مَنْ صاحبَ الحياة عزيزا
لا يطيق انتكاثها وأذاها

■■ إلى أن يقول فى نهاية القصيدة:

بلغ النعيُ أمّه وشجاها
بالنفس الرؤوم ما أحناها
ذرفت دمعةً من القلب ثكلى
وتداعت من الشجى رُكبتاها
كان ذخرا لها هى تدعوه
وكانت إذا دعت لباها

ولئن مات أحمد فرداه
قد أفاد الأوطان فخراً وجاها

■ وبمناسبة مرور مائة يوم على بدء الاضراب العام فى فلسطين سنة ١٩٣٦م نظم الشاعر قصيدة بعنوان «الوطن الليث» يمجد فيها وطنه الذى ابتلى بالاستعمار.. وقد ألقيت بالجامع الكبير فى نابلس وجاء فيها:

لقد هَمَّ هذا الليث والسيف ما همَّا
فقرِّي فإن الحر لا يقبل الظلما
لقد طالما رام امتهانك ظالم
«ولم تقبلي إلا لخالقه حكما»
إذا أنت لم تبق على الدهر حرة
«فلا أسعدت سعدى ولا انعمت نعمى»
وان نحن لم نحفظ حياضك من أذى
فلست لنا مأوى ولست لنا أمّا
أحاطت بك الأحداث ترى لئيمة
وراشك هذا الدهر مستهترا سهما

■■ إلى أن يقول:

ويا وطني إنى على العهد جاثم
سأدفع عنك الخطب والردع ما أما
وقفت عليك النفس لا استردها
ولا أبتغى منها جزاء ولا نعمى

فى مصر

وفى غربته، أثناء تلقيه العلم فى مصر، كان الوطن يعيش فى ذاكرته، ووجدانه.. ويلهمه أن يكتب أحلى القصائد إليه.. فمن «رسالة شوق الى بلادى وقد نظمها سنة ١٩٣٧ فى القاهرة يبث لواعجه وشجونه وشوقه إلى بلاده البعيدة القريبة، يقلقه ما يجرى فيها من أحداث جسام.. نقتطف منها هذه الأبيات:

ما لهذا الفؤاد لا يتسلى
مُمعنا فى الشجون حقداً وغلًا

قد براه الضنى وأجهده الصبر
وأمسى عنه الهدوء تخلى
فاذا زاره الرقاد لماماً
هاجه زفرة من القلب ثكلى

* * *

يا بلاد الآباء حبك أضحى لفؤادى
دون المشاغل شغلا
يا بلاد الآباء عز على النفس
غريب يبغيك زيفا وختلا
راح يرمى صروحك الشم بالنار
ويردى ابناءك الغر قتلى
وبروحى اخوان بأس تفانوا
فى دفاع عن تالدٍ ان يُذَلّا
نحن قوم أيامنا ناصعات
قد تخذنا صحف المعالى سجلا
كلل النصر يا فلسطين، فغناك
وحلى ربوعك المجد حلى

فلسطين .. الحب الكبير

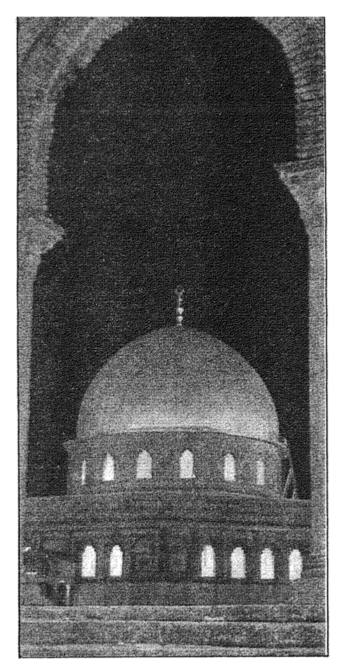
كانت مأساة فلسطين، التى انتهت باحتلالها من قبل الصهاينة وطرد أهلها منها شر طردة، الجرح الدامى الذى ترك أثره العميق فى نفوس أبناء فلسطين الذين تشردوا فى أنحاء العالم وكلهم أمل بالعودة إليه. . يتذكرونه كل لحظة من لحظات العمر. . وقد عبر شاعرنا عن حبه وشوقه لوطنه فى أكثر من قصيدة وفى أكثر من مناسبة. . ففى ذكرى الهجرة النبوية الشريفة تخطر فلسطين على باله ذكرى عزيزة وغالية. . فلسطين: البلد المقدس. . الذى أضحى بين ليلة وضحاها ضحية بيد الجلادين الذين عاثوا فساداً ودماراً فى الأرض المباركة، وأساؤا الى مشاعر أبناء فلسطين العرب الذين هالهم ما جرى ويجرى من ممارسات إجرامية وارهابية ضد الأرض والانسان.

■ فمن قصيدة «العلا للقوى» نقتطف الأبيات التالية:

أنا يا شعر حالم الروح نشوان
مشوق إلى العلا والمآثر
خاتم الأنبياء، مرحى ليوم
خضته ثابت الخطى غير حائر
لم تطق فى الهوان صبرا، فهاجرت
ولله وللعلا ما تهاجر
ولئن هزك الحنين إلى مكة
واستعصت على الفراق المشاعر
فلتعد ظافرا إلى الوطن المحبوب
شتان بين عان وظافر
مرغ الحق فيه ناصية الباطل
واجتث اصله، وهو صاغر
إيه طه ذكراك هزت فؤادى
وأثارت شجوى وما كان ثائر
قَدَرٌ نافذ أصاب فأصمى
ويلتا ما أشد فعل المقادر
لم يزل فى دمائنا فضل كبر
قد ورثناه كابرا عن كابر
كل آت على الزمان قريب
والعلا للقوي والدهر دائر

شاعر الغزل

قبل أن نختتم هذه المقالة، نحب أن نشير إلى أن الشاعر قد نظم عشرات القصائد الغزلية والوجدانية التى أثبت فيها أنه صاحب إحساس مرهف. . فحب إبنة الجيران، ملك عليه حواسه فكتب لها عدة مقطوعات شعرية وهو فى ريعان الصبا. . فقد اخترنا هذين البيتين من قصيدة بلا عنوان نظمت بتاريخ ١٨/٧/١٩٣٩ وجاء فيها:



ليت شعري أما نظرت بوجهي
ليت شعري أما قرأت بعيني
فسطور الهيام في كل عضو
جد منحوتة وحسبك مني

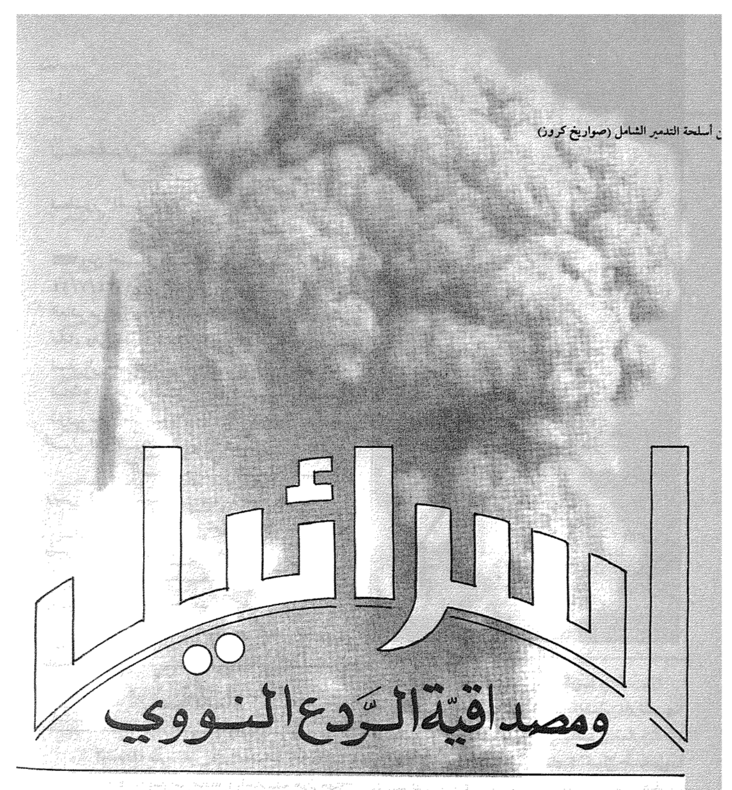
■■ ومن قصيدة «الوداع» التي نظمها بتاريخ ١٩٣٤/٧/٢٤م إثر تخرجه من مدرسة النجاح الوطنية في العاشر من تموز سنة ١٩٣٤م وكان عمره آنذاك ثمانية عشر عاما، وهي قصيدة غزلية قالها في وداع حبيبته وهو يستعد للسفر إلى مصر لمتابعة دراسته العليا.. وهي قصيدة جميلة استطاع الشاعر من خلالها أن يصور ما يمور في أعماقه من شوق، نختار منها هذه الأبيات:

أقول لك الوداع وليت شعري
أأصبر بعد إلقاء الوداعِ
وبي شوق إليك وجد وجد
يضاعف حرقتي ومدى التياعي
وليس للوعتي شافٍ سوى أن
ألف نحيف خصرك بالذراعِ
رجائي كل صبح منك خد
أقبله بمصر وذا وداعي

أنَّةُ مُعَلِّم

وفي القصيدة التي حمل الديوان عنوانها «أنّة معلم» يأبى شاعرنا إلا أن يعبر عن مشاعره وأحاسيسه حول مهنة التعليم.. تلك المهنة التي أمضى فيها معظم سنين حياته معلماً وإداريا.. واستطاع أن يسبر أغوارها بعد أن عانى الشيء الكثير من هذه المهنة الشاقة حيث يقول فيها:

مدَّني بالذي يُؤسِي وينسي
يا لسان القلوب يا صنو حسي
أنا في غمرة من الألم المحض
أقاسي بين يومي وأمسي
قد غرست الآمال شتى فنونا
فذوى للشقاء والهم غرسي
فجعتني الحظوظ في أمنياتي
وأباحت أفراحها لكل جِبْسي
ولو أني تركت عزة نفسي
ما تجرعت في الأسى كل كأسِ
مهنة تقتل الأديب لتبني
فوق أشلائه بنية رمسي
فهو عند الجهال باق بذكرا
ه وإن لفة الزمان المنسي
مهنة حطمت قواي والموت
بشبابي ما بين دَرْسٍ ودرس



التفكير الصهيوني في الاستراتيجية النووي

● أدركت اسرائيل أن العرب يتفوقون عليها في الاسلحة التقليدية فعملت على امتلاك السلاح النـ

● عمدت اسرائيل إلى إقامة دولة علمية متطورة تسعى لاستخدام أحدث منجزات العلوم والتكنولوجيا لبـ

الحلقة الاولى

يقترب التفكير النووى الاسرائيلي من احتلال موقعه المركزي في العقيدة الامنية الاسرائيلية او «استراتيجية الحرب والردع» والتى تستهدف تحقيق الاهداف الصهيونية على المدى البعيد والحفاظ على بقاء الدولة الصهيونية وضمان أمنها وتفوقها وتأجيل حلول لحظة اليأس بالنسبة لمحاولات الحفاظ على صميم وجودها.

بات احتكار السلاح النووى في العقيدة الحربية الاسرائيلية يمثل وسيلة التفوق الاستراتيجية الحاسمة على العرب في ظل احتمال وصول سباق التسلح التقليدى القائم بين العرب واسرائيل الى طريق مسدود، واقتراب التفوق النوعى الاسرائيلى في مجال السلاح التقليدى من بلوغ نقطة الاشباع.

فمنذ الخطوة التاريخية التى أقدم عليها الزعيم العربى الراحل جمال عبد الناصر بكسر احتكار السلاح في الشرق الاوسط عام ١٩٥٥ ادركت اسرائيل ان امتلاك السلاح التقليدى كمّاً ونوعا لن يبقى حكرا عليها بفضل الامكانيات الذاتية العربية. ولذا فالخيار النووى الاسرائيلى من هذا المنطلق هو محاولة لردم الهوة النوعية في الاسلحة والتى قد تبرز بين اسرائيل والدول العربية على المدى البعيد، ازاء عدم قدرتها على الاحتفاظ بالحد الادنى من النسب الكمية في مواجهة الاسلحة الكثيرة التى تتحسن نوعيتها ويستمر تدفقها على الدول العربية، وسوف تحل إن عاجلا أو آجلا تلك المرحلة التى تتضاءل فيها قدرة اسرائيل على الاستمرار في تصعيد سباق التسلح التقليدى والذى يكاد يبلغ الذروة.

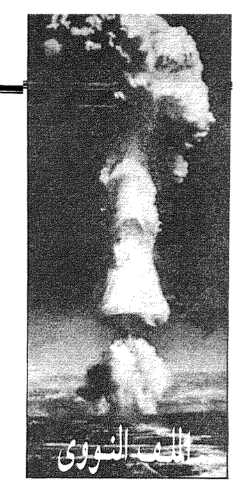
■ واذا صرفنا النظر عن عوامل القوة العربية الاخرى وفي مقدمتها القوة البشرية فالقدرات الحربية العربية ليست هينة بدورها كما يشير اللواء طلعت مسلم.. فالتعداد السكاني اكثر من اربعين ضعفا (لاسرائيل) والقوات المسلحة العربية اكثر من عشرة أمثال اسرائيل، والناتج القومي العربى اكثر من عشرة امثال اسرائيل، إذ يبلغ عشرين بليون دولار بينما الناتج القومي الاسرائيلي اقل من ناتج مصر القومي، هذا فضلا عن ان عدد الدبابات العربية يساوي أربعة أمثال الاسرائيلية وكذلك الطائرات(١).

■ قبل ثلاثين سنة ونيف وضع قادة حزب العمل الاسرائيلى الاسس النظرية للاستراتيجية النووية الاسرائيلية، وكان اللجوء المبكر لهذا الخيار نظرة استراتيجية بعيدة المدى اتسم بها العمل الصهيوني

...ة يرجع تاريخه الى ١٩٤٩.

...ووى لردم الهوة النوعية فى الاسلحة فى محاولة جادة منها لتأكيد التفوق الاستراتيجى الحاسم على العرب.

...ناء دولة تقنية عصرية وايجاد بنية نووية متطورة فى قلب العالم العربى.



وتفكير قادة الحركة الصهيونية والذين انشأوا نظاما للتعامل مع التفاصيل الدقيقة والمهام الاستراتيجية فى كل ما يتصل بتحقيق هدفهم بتهويد فلسطين واقامة الدولة الصهيونية وضمان صميم وجودها بكل الوسائل المتاحة جنبا الى جنب مع التوجه المخطط نحو استخدام الطاقة النووية فى التنمية الاقتصادية لدولة عصرية وضمان تفوقها النوعي على محيطها العربي .

■ هناك مجالان استهدفت القيادة الصهيونية من خلالهما تأكيد التفوق الاستراتيجى الحاسم على العرب بواسطة احتكار اقامة بنية تحتية نووية متطورة فى قلب العالم العربى : التنمية المتصاعدة فى مجال الاقتصاد وفقا لأحدث منجزات العلوم والتكنولوجيا فى اطار بناء دولة تكنولوجية عصرية، والتفوق العسكرى والأمنى فى مجال السلاح التقليدى وغير التقليدى، وقد اصبحت اسرائيل فعلا إحدى اثنتى عشرة دولة رأسمالية عالية التطور.

وكانت الوظيفة السياسية لهذا الخيار واضحة منذ البداية : احراز التفوق الحاسم على العرب فى مجال اخر غير مجال السلاح التقليدى وردعهم بواسطة الرعب النووى، وتجميد حركتهم ومنع تطورهم، وشل قدرتهم على التفكير والعمل فى مواجهة العدوان والتوسع الصهيوني وفرض الامر الواقع عليهم ونزع اية آمال تساورهم حول **«تحرير فلسطين»** .

■ يقود البحث بعمق وموضوعية فى هذا الموضوع الشاق والعسير الى نتيجة رئيسية حاسمة وهي ان اسرائيل تسعى نحو احتكار نووي، هذه الاستراتيجية التى تتحدد ملامحها اكثر فأكثر كلما تقادم الزمن هي نتاج تفاعل عضوي لا ينفصم عراه بين عنصرين رئيسيين :

الاول : هو بناء القوة النووية الاسرائيلية بحد ذاتها .

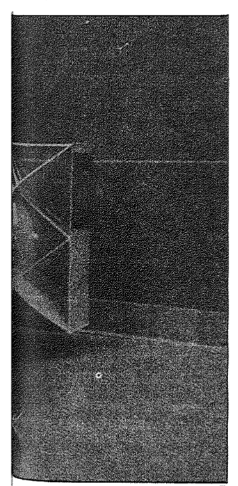
والثاني : هو استخدام القوة العسكرية لمنع التطور النووي العربى، بل وربما منع التطور العلمي والتكنولوجي العربي الذي يتيح تطوير قوة نووية عربية .

● تعمل الصهيونية بكل امكان...

● (توازن الرعب النووى) ب...

ويؤدى غياب أيٍّ من هذين العنصرين حتما وبالضرورة الى انهيار بنية استراتيجية الردع النووي الاسرائيلي بكاملها .

■ **فالاحجام عن استخدام القوة العسكرية لمنع تطوير قوة نووية عربية يؤدى الى نشوء ما يسمى بحالية «توازن الرعب النووى»** بين العرب واسرائيل الامر الذى تقوم الاستراتيجية الاسرائيلية على منع



ــــاتها العسكرية لمنع التطور النووى العربى وكل ما من شأنه أن لا ينبح تطور قوة نووية عربية.

ــــين العرب واسرائيل يظل الهاجس الأول للصهاينة مما يدفعهم إلى استنزاف القوة العربية وإضعافها.

حدوثه بكل الوسائل المتاحة وفى مقدمتها استخدام الوسائل العسكرية وكذلك اضعاف واستنزاف عوامل القوة العربية التى قد تساعد على امتلاك العرب للسلاح النووى.

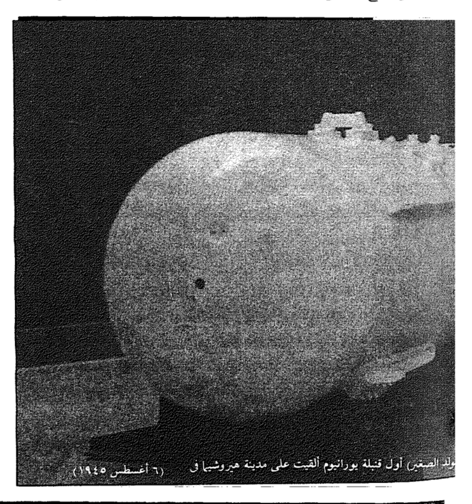
ذلك ان قيام حالة من الرعب او الردع «النووي المتبادل» يفقد الردع النووي الاسرائيلى مصداقيته وفاعليته فى الردع الوحيد الجانب، ويلغى تطلع اسرائيل نحو التفوق فى مجال السلاح غير التقليدي.

هذا فضلا عن المزايا الاستراتيجية التى يتيحها احتكار اسرائيل للسلاح النووي، ففي ظل وجود مظلتها النووية فانها ستخوض معاركها مع العرب بالسلاح التقليدي بدون قيود وبحرية اكبر وتحقق نجاحات افضل وأسرع.

■ اما الاقتصار على اللجوء الى القوة العسكرية فحسب لتدمير عوامل القوة العربية العسكرية والنووية، دون السعي نحو امتلاك قوة نووية خاصة رادعة فمن شأنه ان يفضي حتما ومهما طال الزمن الى تفوق استراتيجي عربى ليس فى مجال السلاح التقليدى فحسب ولكن فى مجال السلاح غير التقليدى ايضا، ولكن هذا الاحتمال دفنته والى الابد الحقائق المتصلة بالشوط الذى قطعته اسرائيل فى بناء قوتها النووية والصاروخية، والعمل النووى على امتداد السنوات الماضية والذى افضى فى النهاية الى مخاض ولادة هادئة للقنبلة النووية الاسرائيلية.

■ وهكذا تقوم الاستراتيجية الاسرائيلية على دمج الاحتياجات العسكرية والاهداف السياسية بالتطور العلمى والتكنولوجي واستخدام منجزاته لتحقيق تفوق نوعي رادع للعرب الامر الذى تجسد فى تدمير المفاعل النووي العراقي فى السابع من تموز يوليو ١٩٨١ تكريسا لمبدأ اسرائيلى معروف هو منع العرب من تطوير قوة نووية وسط مظاهر عارمة من الاثارة والصخب الاعلامي، فقد كانت اسرائيل اول من اعلن عن تدمير المفاعل العراقي.

■ ومن بن غوريون الى بيغن الى



ولد الصغير) أول قنبلة يورانيوم ألقيت على مدينة هيروشيما فى (٦ أغسطس ١٩٤٥)




● الرجل (البدين) أول قنبلة بلوتونيوم ألقيت على مدينة ناغازاكى: اليابان (٩ أغسطس ١٩٤٥م).

شامير. شهدت نظرية الردع النووى الاسرائيلى تطورا ملموسا فاذا كان بن غوريون وتلامذته لاحقا قد استهدفوا من وراء بناء القوة النووية الاسرائيلية ممارسة الردع السياسي والنفسي للعرب فقد حاول بيغن ومن بعده شامير منح هذه النظرية محتوى ماديا ملموسا لكي تتمتع بمصداقية فعلية لدى العرب وذلك بنقلها من حيز النظرية الى حيز التطبيق واراد أن يفهم العرب ان اقامة بنية نووية مهما كانت متواضعة وبغض النظر عن طبيعتها السلمية غير مسموح به قطعا، كما اراد ان يرفع كلفة اية خطة عربية لتحرير الاراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ بصورة تعجز عنها اية دولة عربية واي تفوق نوعي للمقاتلين والسلاح التقليدى.

واذ جرى اختبار مبدأ بيغن وشامير بنجاح واثبت نجاعته حين وضع موضع التنفيذ فقد اغرى اصحاب الرؤوس الحامية لارتكاب حماقات جديدة. فحسب رأى هؤلاء فان اسرائيل تتخذ مجازفة بالغة الخطورة اذا اتاحت الفرصة لبناء المفاعل النووي العراقي بحيث تتوفر امكانية تكنولوجية لاستئناف محاولة تطوير سلاح نووي. . واذا تنازلنا عن الميزة التى يمنحنا اياها مبدأ شامير الان، فمن المحتمل فى المستقبل الا يكون امامنا مفر من استخدام الجيش لازالة الخطر النووي عن رؤوسنا فى الوقت المناسب(٢).

■ وبهذا الصدد يشير استاذ جامعي اسرائيلى انه «**اذا واصلنا الجلوس من دون عمل اي شيء فمن المحتمل ان نجد انفسنا بين عشية وضحاها نعيش في ظل تهديدات نووية لم نكن نريدها على الاطلاق، وسوف تضطر اسرائيل - سواء عاجلا او آجلا - إلى التصدي علانية للتحدي النووي، وخير البر عاجله**»(٣).

■ وهكذا تبقى احتمالات قيام اسرائيل بهجمات على غرار الهجوم على مفاعل (تموز١) مفتوحة من اجل احباط محاولات التقدم العلمي والتكنولوجي فى العالم العربى وتدميرها فى المهد ولن يغير

● ضرب اسرائيل للمفاعل النووى العراقى محاولة تخويفية لاستخدام الذراع الطويل والعصا الغليظة ضد كل ما يهدد أمنها.

من الامر شيئا كون المنشآت النووية العربية مخصصة للاغراض السلمية ولانتاج الكهرباء طالما ان مشروعا نوويا لانتاج الطاقة الكهربائية يمكن ان يستخدم فى انتاج مادة خام تسهل صناعة القنبلة النووية، طالما غالبية المفاعلات النووية قادرة على انتاج البلوتونيوم وهي مادة يمكن استخدامها لاغراض مدنية وعسكرية على حد سواء، كما اعطت مهاجمة المفاعل النووي العراقي ايضا اشارة الى ان اسرائيل لا تعتمد على وعود الغرب بمراقبة المنشآت النووية.

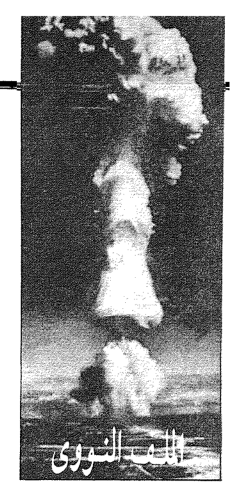
فالدولة الصهيونية تمتلك الوسائل والقدرة غير المحدودة، والاهم من ذلك الارادة المحررة والمفوضة امريكيا لضرب احتمالات التطور النووي العربي فى المهد بغض النظر عن طبيعتها السلمية وحرمان العرب من تطور نووي خاص بهم، ولعل هذا هو الركيزة الاساسية للاستراتيجية النووية الاسرائيلية والهدف ذو الاولوية راهنا في استراتيجية الاحتكار النووى الاسرائيلي والذي ترجمه الليكود الى واقع ملموس.

■ وقد بات امتلاك اسرائيل للسلاح النووي عنصرا حاسما فى سياستها الخارجية واصبحت مسألة مصداقية الردع النووي واحتمالات امتلاك هذا السلاح وتزويده للعرب من قبل طرف ثالث يظل المشكلة الرئيسية للاستراتيجية الاسرائيلية.

فاسرائيل لن تسمح لمفاعل نووي عربي يشكل تهديدا لها ان ينمو فى الشرق الاوسط، وازاء الافتراض القائل باحتمال تزويد الباكستان للعرب بالقنبلة النووية جرت الدعوة لانعاش «نظرية بيغن» التى حددت علانية منذ عام ١٩٨١ ان الذراع الاستراتيجية الطولى لاسرائيل ستحول بالقوة دون انتاج القنبلة النووية العربية.

وقد لاقى هذا التهديد آذانا صاغية فعلا، فثمة ذعر في كراتشي من احتمال القيام بعملية عسكرية اسرائيلية، لهذا سارعت الباكستان الى تهدئة غضب اسرائيل وقلقها بواسطة مصر موضحة ان القنبلة الاسلامية «غير مخصصة للشرق الاوسط ولن يسمح باستخدامها فى الصراع العربى الاسرائيلى»(٤).

ورغم هذه التطمينات وفاعلية القيود الامريكية المفروضة على السياسة الباكستانية وارتباط باكستان بالمعسكر الغربى فلن تتراجع اسرائيل عن الخيار العسكرى لضرب المنشآت النووية الباكستانية اذا ما شعرت ان السلاح النووي قد يتسرب الى العرب سواء بموافقة الحكومة الباكستانية أو بدونها، وبهذا الصدد يشير يوفال نئمان بوضوح الى انه «يتعين على اسرائيل ان تحترس بشكل خاص، فلربما يتسرب السلاح الى العرب، وفى هذا الصدد تظهر اهمية عمليات مثل عملية عنتيبي ومثل ضرب مقر قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في



تونس، والتى تظهر قدرة اسرائيل على ضرب الاهـداف التى تقع على بعد آلاف الكيلومترات منها، واذا اضـفـنـا هذه الـقـدرة الى التحذير الذي تنطوى عليه عملية ضرب المفاعل العراقي، والبيان ـ الاعتراف ـ الذى صدر فى اعقابها، فانها تتيح فرصة طيبة لان يحترس بعض الحكام من امداد العرب بسلاح نووي»(٥).

■ وفى هذا السياق فان تساؤلا مشروعا يطرح نفسه ويتبادر الى الـذهن وهـو هل سيكون بامكان مصـر تحت غطـاء ما يسـمـى **«بمعاهـدة السلام مع اسرائيل»** تنفيـذ مشروعها النووي الطموح دون مواجهة التحديات الاسرائيلية؟.

■ هنـا يجيب الاسـرائيليون ايضا بوضوح ان اتفاقية السلام ليست كتاباً مقدساً وان مشكلة السلام لا تقيـد اعتباراتنا حين تكون المسألة متعلقة باتخاذ قرار في شأن عرض للقـوة على مسـتـوى كبـير لحل مشكلة تتعلق بالامن القومي.

وفى غضـون ذلك لا تستثنى القيادة الاسرائيلية امكانية العمل بوسائل سياسية باعتبارها استمرارا للحرب بوسائل اخرى ـ او الحركة المكثفة لملء الفراغ ـ بين حربين، الا ان هذا العمـل يأتي بعـد ان يكـون استخـدام القـوة قد انجز هدفه، وهو تدمير المنشآت النووية العـربية او ترافق معه ولكن ليس قبله، لمنـع حدوث **«توازن رعب نووي»** بين العرب واسرائيل.

«فـالشـرط المسبق لنجـاح المجهود الدبلوماسي هو عدم تنازلنا سلفـا عن الخـيـار العسكـرى والاحتفـاظ بحقنـا فى استخـدامه بعدما اثبت سلاح الجو الاسرائيلى ما يستطيع فعله فى اجواء بغداد(٦).

■ وفى اسرائيل يسوقون المبررات المختلفة لاحتكار اسرائيل للسلاح النـووي وبـين هؤلاء وزير سابق للعلوم والتطـويـر ـ يوفـال نئمان ـ الـذى يزعم بأنـه لا يبـدو ان من المـمكن الاحتفـاظ فى الشـرق الاوسط بميزان رعب ثابت، لكن اذا كان هذا ممكنا فانه ما كان ليحل مشـاكل حماية دولة اسرائيل وينبع هذا من التكـوين الجغرافي، ومن ابعـاد اسـرائيل الضيقة حتى نهر الاردن فكم بالاحـرى، اذا عدنا الى حدود الهدنة لعام ١٩٤٩، كما انـه ليس هنـاك تماثـل فى درجـة التعـرض للخطر والاضرار، فبينما يتمتـع العـرب بميـزة الانتشـار الميـداني فى ساحـة هائلة تتركـز الاهـداف فى اسـرائيـل في اماكن محددة، لهذا فسياسة اسرائيل هي منـع ظهـور خطر حصول العرب على سلاح نووي، وقد نجحنا فى ذلك على مدى ٣٨ عاما، وليس هناك سبب يدعونا للتخلي عن هذا الجهد، فالمسألة تتطلب نشاطا استخباريا(٧).

■ وتأخـذ اسرائيل بعين الاعتبار احتـمالات فشـل استخـدام القوة العسكـريـة المجردة فى احبـاط محاولات التطوير النووي فى العالم العربي على المدى البعيد، اذ لا يمكن وقف التطور النووي العربى بالمطلق. الا انهـا بذات الـوقت تراهن على انـه فى الـوقت الذى تصل فيه القوة العسكرية الى لحظة العجز عن تنفيذ هذا الهدف فلربما تكـون دوافـع العـرب لامتـلاك السلاح النووي قد اختفت او ساد حسـب زعـم الاسـتـراتـيجـيـين الاسرائيليين ـ نضوج على الاقل فى انظمة الدول العربية وفي قدرتها على الانتاج فى ميزان رعب ثابت، فتصبـح مهمـة القـوة العسكـرية محاولـة تأجيل حلول هذه اللحظة

الخطيرة قدر المستطاع لمدة جيل او جيلين آخرين، والمتمثلة فى نجاح العرب فى تطوير مظلة نووية، حتى نصل الى مثل هذا الوضع فى العلاقات(٨).

غير ان فكرة احتكار اسرائيل للسلاح النووي والذي لا يزال يحاط بالغموض والتكتم تحمل فى ذاتها بذور ضعفها ووهن عناصرها وانعدام تماسكها على المدى البعيد، فلقد وضعت الاستراتيجية الاسرائيلية على اساس توفير مصداقية للردع النووي للعرب وشل قدرتهم على مجرد التفكير بالتفوق على اسرائيل واحراز نصر عسكرى عليها والحيلولة دون اقامة حالة من «توازن الرعب النووي» بين العرب واسرائيل، وسنرى لاحقا فيما اذا كان ممكنا تحقيق هذه الاهداف.

لكن لابد من المسارعة الى القول بأن السياسة الاسرائيلية القائمة على قاعدة **«أنا أحارب فأنا موجود»** وعلى اعتبار القوة الوسيلة الكفيلة لإرغام العرب على التسليم بوجود اسرائيل وسيطرتها على فلسطين بحدودها التاريخية تنطوي على سلبيات وثغرات عديدة.

■ صحيح ان المواجهة مع اسرائيل ستكون اكثر خطورة واعلى تكلفة بما لا يقاس مع الحروب السابقة، لكن الاجيال العربية القادمة ستمضي حتما الى تحطيم التفوق النووي الاسرائيلي ومحو ما يعتبر وصمة عار واذلال لامة كبيرة ذات مكانة فى التاريخ من قبل دولة عدوانية صغيرة: فلكل عصر من عصور التاريخ العربى كان للامة العربية ابطالها وقادتها الذين نجحوا فى مواجهة التحديات ولن يكون هذا العصر استثناء فى تاريخها.

وعلى الرغم من انه لا يظهر حتى الآن أن العنصر النووي يؤثر فى قرارات الدول العربية تجاه اسرائيل الا انه من المستحيل منع انتقال الخبرة النووية الى العرب خاصة فى اللحظات التى يجرى فيها الاعلان عن حيازة اسرائيل لهذا السلاح المدمر وحين يسرع هذا السلاح بالاخلال بتوازن القوى النووية العالمية.

■ ان وجود قوة نووية لدى اسرائيل سيحمل العرب عاجلا أو آجلا على امتلاك هذا السلاح عبر التطوير الذاتي المدعم بالمعونة الخارجية.. كما ان تطور وتنوع تقنيات السلاح النووي وعالمية التكنولوجيا واحتمال نشوء سوق سوداء فى المستقبل لترويج المواد الاساسية التى تدخل فى تركيب هذا السلاح تحت ضغط الحاجة الى المال والسيولة النقدية قد تجعل العرب قادرين على الحصول على بلوتونيوم ويورانيوم مخصب يمكن تحويله الى قنبلة نووية من دون الحاجة الى اجراء تفجيرات ذرية وربما من دون الحاجة الى مفاعل على افتراض نجاح اسرائيل المطلق فى تدمير المفاعلات النووية العربية.

فقد بلغت مواد وتقنيات الافناء الجماعي للارواح البشرية مستوى عاليا من التطور وكشف العبث بجهاز اشعة للتصوير فى البرازيل جرى اهماله فى عيادة طبية قديمة ويحتوى على مادة (السيزيوم - ١٣٧) على قدرة كمية قليلة من هذه المادة على ازهاق الارواح البشرية او تشويهها مدى الحياة حيث توفي اربعة اشخاص واصيب (٢٤٧) شخصا بالامراض والتشوه فى مدينة (غوياميا) البرازيلية.

ونشير ايضا الى تزايد استخدام التكنولوجيا المدنية بنجاح فى انتاج منتوجات عسكرية وخاصة ادوات الفتك الشامل.

■ وفى ظل النظام الدولي المعاصر وعلاقات القوى السائدة فيه فان الدول الصغيرة والمتوسطة تستطيع خوض معاركها والحفاظ على بقائها بامتلاك كميات نوعية من السلاح فى اطار تحالفها الوثيق مع القوتين الاعظم، فالردع النووي الاسرائيلى المستند الى شبكة من العلاقات الوثيقة والمعقدة والتى تربط اسرائيل بالولايات المتحدة،



● إحراز التفوق الحاسم على العرب وردعهم وتجميد حركتهم ومنـــ

● العلاقات الوثيقة والمعقدة التى تربط اسرائيل بالولايات المتحدة تجعـ

تجعـــل فى رأيـــى من الاتحـــاد السوفياتى موضوعيا القوة الوحيدة المقابلة القادرة على توفير مظلة نووية لمواجهة التحدي النووي الاسرائيلي فى ظل استمرار فقدان العرب لقوة نووية خاصة بهم ومن انتاجهم.

■ وقـدمت حرب اكتـوبر ١٩٧٣ بدورهـا «بـروفة» لما قد يحدث فى المستقبـل على مسرح الصراع فى الشرق الاوسط. فقد هدد الاتحاد السـوفيـاتي ومن جانب واحـد بالتـدخل لاجبار اسرائيل على احترام وقف اطلاق النار المعلن فى ٢١ اكتـوبـر والعودة الى الخطوط التى عبروهــا عنــدمـا استكملوا محاصرة الجيش الثالث المصرى فى ٢٤ اكتــوبــر ١٩٧٣، ولاعطـاء التهــديــد مصــداقيتــه احضـر السـوفيـات سفينـة حاملة لرؤوس نوويـة الى ميناء الاسكندرية فرد الامـريكان انذاك باستنفار نووي عالمي بما فيــه استنفـار وحـداتهم القـريبة العاملة فى اوروبا، وبهذا الصدد فقد اشار الفريق اول محمد فوزى وزيــر الحــربيـة المصـرى السابق الى حادثة ذات دلالة كبيرة وذلـك فى منـاظرة حول القدرات العسكـرية والسياسية الاسرائيلية مع اللـواء طلعـت مسـلم رئـيس وحـدة البحـوث العسكرية بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بمؤسســة الاهــرام قائـلا «حدث خلال إحــدى المعـارك العــربيـة الاســـرائيليــة (والمقصـــود حرب اكتـوبـر) عنـدمـا نشـرت إحدى المجلات الاجنبية تصريحا لمسؤول فى وكالة المخابرات الامريكية يعلن فيـه امتلاك اسرائيل لثلاث عشرة قنبلة نووية وان الاتحاد السوفياتى ارسـل الى احدى الدول العربية رؤوسا نووية لبعض الصواريخ.. هنـــا توقف الصـــراع(٩). فأعـاد السـوفيـات سفينتهم النـووية من ميـنــاء الاسكنـــدريـة الى مينــاء نيكـولاييف والغى الامريكان من جانبهم الاستنفـار النـووي، وقد اكد اللواء طلعت مسلم بدوره هذه الواقعة فى المقابلة ذاتها.

ولادة القنبلة النووية الاسرائيلية

لسنـا هنـا بصدد سرد تاريخ تطور الصناعة النووية فى اسرائيل ولا المشـاركة فى لعبة «**الاحاجى**» لفـك لغــز الســلاح النـــووي الاسـرائيـلي ولا الخوض فى تفسير الاهــداف الشخصيـة والسيـاسية الكــامنــة والمعلنة وراء ما عرف بقضيـة الفني السـابق فى مفـاعل ديمـونـا الذرى «**مردخاي فعنونو**» وتصريحاته التى اطلقها فى لندن في اواخر سبتمبر واوائل اكتوبر ١٩٨٦ للصحف البريطانية «**ديلي ميرور**» و«**الصندي تايمز**».

■ فقـــد كتب الكثـــير حول هذا المـوضـوع فى الصحـافـة العـربية والعـالميـة واستحـوذ على اهتـمام العــديـــد من مراكـــز الابحـاث الـدولية، غير ان امتلاك اسرائيل للسلاح النووي برأينا أصبح اليوم من الحقائق الثابتة والتى لا يمكن تجاهلهـا إلاّ تبريرا للعجز والجهل واليأس الذي يلف عالمنا العربى، فجـريمـة الابـادة النووية يرتكبها اثنـــان على الــدوام: عدو أحمق أصيب بالجنـون، ومغفـل جاهل معـــدوم الارادة اقـعـــده اليأس

ـــع تطورهم وشل قدرتهم على التفكير والعمل ، كل هذه تمثل المخططات الرئيسية للصهيونية .

ـــل من الاتحاد السوفيتى القوة الوحيدة القادرة على توفير مظلة نووية لمواجهة التحدى النووى الاسرائيلى .

والاحباط عن محاولة البحث عن وسائل درء المخاطر قبل وقوعها رغم امتلاكه لطاقات هائلة بها لا يقاس مع عدوه، ومن الخطأ النظر باستخفاف الى موضوع القوة النووية الاسرائيلية والتى تستحوذ اليوم على اهتمام عالمى واسع اكثر منه عربى ، وسواء اصبحت حيازة هذا السلاح حقيقة قائمة او مؤجلة فى اسرائيل فان الوقائع تشير الى انها قادرة على صنعه بالتأكيد، بل ان اعلان اسرائيل عن امتلاك قنبلة نووية ودخولها للنادي النووي الدولي اصبح مسألة قرار سياسي اكثر منه مشكلة تكنولوجية، وعلى الرغم من تضارب الآراء بهذا الشأن الا ان كل الدلائل تشير الى امتلاك اسرائيل للوسائل والبنى اللازمة لصنع هذا السلاح المدمر، فالانجازات النووية الاسرائيلية لم تولد في فراغ بل نشأت وتطورت فى بيئة من الصناعات كثيفة المهارة فى اسرائيل .

■ وفى الوقت الذى كان فيه البرنامج النووي الاسرائيلي يمضي بهدوء ويجري فيه التعتيم الكامل على انجازات اسرائيل النووية، كان الاعلام الصهيونى يقوم بتضخيم القوة العربية ودور العلماء الالمان تذاك فى صناعة صواريخ الجمهورية العربية المتحدة المدمرة والمهددة لوجود اسرائيل، فقد شن بن غوريون حملة دعائية تضليلية فى أوساط الإعلام الدولي واستمرت قائمة فى الحياة العامة فى اسرائيل لفترة تزيد عن العام، وكان هذا التضليل والضجيج ضروريا لانه ضرب عصفورين بحجر واحد فقد مكن من ابتزاز المانيا الغربية من جديد والحصول على معونات وتعويضات اضافية، واعطى تبريرا وغطاء جيدا لتسريع البرنامج النووي ولكي تمضي اسرائيل قدما فى تنفيذه غير عابئة بالاعتراضات والاحتجاجات العربية والدولية .

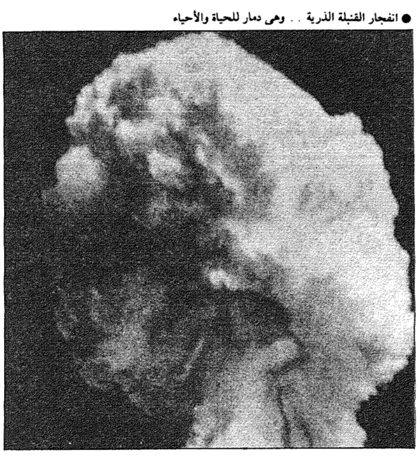


● عدد من مشاهير العلماء الذين أشرفوا على صنع القنبلة الذرية

■ ويشكل هذا الحادث مجالا للمقارنة المحزنة بين الاعلام الصهيوني والاعلام الغربى ففي حين جرى العمل فى المشروع النووي الاسرائيلي فى اطار شديد من التكتم الرسمي والاعلامي حتى حين افتضاح امره مع بداية الستينات، كان الاعلام الغربي **«الغوغائى»** يملأ السماء ضجيجا حول الصواريخ العربية ووقع فى الشرك حين استحوذ جانب واحد من هذه القضية على جل اهتمامه وهو الاشادة وكيل المدائح للصواريخ العربية وصانعيها والتى ستضرب قلب تل ابيب، تشجعه فى ذلك ادعاءات اسرائيل المبالغ فيها حول التفوق الحربى العربى واستخدام العلماء الالمان فى انتاج

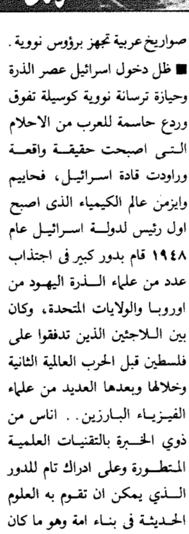


● انفجار القنبلة الذرية .. وهى دمار للحياة والأحياء



صواريخ عربية تجهز برؤوس نووية .

■ ظل دخول اسرائيل عصر الذرة وحيازة ترسانة نووية كوسيلة تفوق وردع حاسمة للعرب من الاحلام التى اصبحت حقيقة واقعة وراودت قادة اسرائيل، فحاييم وايزمن عالم الكيمياء الذى اصبح اول رئيس لدولة اسرائيل عام ١٩٤٨ قام بدور كبير فى اجتذاب عدد من علماء الذرة اليهود من اوروبا والولايات المتحدة، وكان بين اللاجئين الذين تدفقوا على فلسطين قبل الحرب العالمية الثانية وخلالها وبعدها العديد من علماء الفيزياء البارزين.. اناس من ذوي الخبرة بالتقنيات العلمية المتطورة وعلى ادراك تام للدور الذي يمكن ان تقوم به العلوم الحديثة فى بناء امة وهو ما كان يتطلع اليه اليهود(١٠).



فلا غرابة ان يتم ارساء حجر الاساس فى اول برنامج نووي فى العام الاول من قيام دولة اسرائيل، وحتى قبل ان يعلن عن اقامتها اوفد بن غوريون عددا من كبار علماء الطبيعة اليهود للتخصص وسبر اغوار العلم الجديد الناشيء آنذاك. علم الذرة، ومن ابرز هؤلاء عاموس دى شاليط ويغثال تالمي.. وفي عام ١٩٤٩ اسس معهد وايزمن فى تل ابيب دائرة لابحاث النظائر المشعة، وطلب بن غوريون رئيس الوزراء ووزير الدفاع فى نفس العام من فرنسا تقديم المشاركة المطلوبة، وبدأ التعاون الفعلي مع فرنسا عام ١٩٥٣ وكشف عنه عام ١٩٥٤، ثم توالت الاتفاقيات وتعددت الاطراف المشاركة فى اقامة البنية التحتية النووية الاسرائيلية. وشرعت اسرائيل فى عام ١٩٥٧ بالتعاون مع فرنسا فى اقامة اول مفاعل نووي اسرائيلي فى ديمونا، وهكذا تضافرت جهود دول الغرب الامبريالي من أجل إقامة حصن نووي منيع فى الشرق الاوسط، فاذا كانت فرنسا قد اسهمت فى المجهود الرئيسى لاقامة البنية النووية التحتية الاسرائيلية فقد اسهمت الولايات المتحدة والعديد من الجمعيات والشركات الحقيقية والوهمية وعبر عمليات التجسس والتهريب فى ولادة القنبلة النووية الاسرائيلية وتحسينها

وتطوير انظمة الاطلاق ووسائل حمل السلاح النووى وفى مهلة سنوات قليلة كما يشير ستيفن غرين اشترك الارهاب الفاشيستى والحركة الصهيونية فى جلب العلوم الطبيعية الى هذه المنطقة بكثافة(١١).

■ وفى الثالث من ايار/ مايو ١٩٥٢ وقع بن غوريون وثيقة تشكيل اول لجنة حكومية للطاقة النووية فى اسرائيل برئاسة البروفيسور ارنست بيرغمان مهمتها تقديم المشورة لرئيس الوزراء حول الافاق المستقبلية لاستعمالات الطاقة النووية وتطوراتها، وتركزت جهودها لاحقا حول ايجاد طريقة مناسبة لاستخلاص اليورانيوم الموجود فى توضعات الفوسفات بالقرب من البحر الميت وانتاج الماء الثقيل وهو مادة مكلفة تستخدم فى تبريد عمليات الانشطار النووي ومهدىء للنيترونات، وقد نجح الخبراء الاسرائيليون فى ابتكار طريقة حديثة لانتاج الماء الثقيل جرت مقايضته لاحقا بتجهيزات نووية مع فرنسا.

ويعتبر تاريخ تأسيس هذه اللجنة هو بداية صناعة القنبلة النووية الاسرائيلية وخلال السنوات الماضية عملت هذه اللجنة بنشاط من اجل الاستفادة من خبرات الدول الغربية فى الطاقة النووية، واستخدمت جهاز «الموساد» فى الحصول على المعلومات والمواد الضرورية.

كما استفادت اسرائيل من ابتكار الماني غربي عام ١٩٦٠ لطريقة عزل المواد القابلة للانشطار عن وقود المفاعل المستهلك باستخدام نابذة تعمل على الغاز، وكانت الطريقة الالمانية بسيطة ورخيصة الى الحد الذى يسمح للدول الصغيرة كاسرائيل بانتاج اسلحة نووية من دون بناء معمل لعزل البلوتونيوم، والاهم من ذلك ان نابذة الغاز اصغر حجما من معمل العزل، ويمكن اخفاؤها بسهولة اكبر.

■ واستنادا الى مصادر ذات مصداقية عالية فقد وصلت اسرائيل اليوم الى مرحلة تخزين القنابل النووية (ادخال القنبلة النووية فى القبو) فهي تمتلك اليوم ترسانة نووية يصل حجمها الى (٢٠٠) قنبلة نووية بما فيها قنابل نووية من الطراز الجديد (قنبلة نووية اندماجية) ومن اجل توفير عناصر ومستلزمات هذا السلاح استخدمت اسرائيل المفاعل النووي الذى اشترته من فرنسا فى الخمسينات والذى ترفض اسرائيل حتى اليوم وضعه تحت اشراف الوكالة الدولية للطاقة الذرية وبدأ تشغيله فى اوائل عام ١٩٦٤ بانتاج البلوتونيوم الذى يسمح لاسرائيل بواسطة مفاعل مخبأ للعزل او نابذة تعمل على الغاز بانتاج مواد نووية قابلة للانشطار وصالحة للاستخدام فى صناعة الاسلحة النووية.

■ ومن اجل انتاج الوقود النووي «تستخدم اسرائيل الاورانيوم العالي التخصيب الذى تحصل عليه من الولايات المتحدة والبلوتونيوم الذى تشتريه من فرنسا وتنتج اسرائيل فى السنة الواحدة حوالي ٤٠ كغم من الخامات الاساسية الكافية من اجل انتاج (٥-١٠) قذائف نووية.

غير ان القنبلة ليست الا عنصرا واحدا فى نظام الردع النووى وفى منظومة شديدة التعقيد للتسلح النووي لذلك تعمل اسرائيل الى جانب صناعة القنبلة النووية وتقليص حجمها ووزنها على انتاج انظمة ووسائل اطلاقها والصواريخ القادرة على حملها، وفى السنوات الاولى اتجهت نحو استخدام الطيران ففي كانون الاول/ ديسمبر ١٩٦٩ طلبت اسرائيل تزويدها بطائرات (فانتوم - ف٤) ولكنها اشترطت ان تكون هذه الطائرات مجهزة بنواصي واجهزة مخصصة لحمل القنابل النووية وذلك حسب ما اوردته صحيفة نيويورك تايمز (١٢)، الا ان الابحاث وعمليات الانتاج انتقلت اليوم الى مرحلة اعلى، فالجهود اليوم تنصب على انتاج



● يقـــوم العـــدو الاســـرائيلي من خـــلال اعـــلام مركـ

● بفضــــل أجهـــزة الكمبيــــوتر الحــــديثة تمكـــن الخـ

الصواريخ والرؤوس النووية المدمرة لصــواريــخ يصــل مداهــا الى (١٤٥٠) كم، وذلك بهدف حيازة سلاح نووي تكـتيـكـى ذى قوة تفجير صغيرة ومتوسطة لاستخدامه فى المجابهـات القادمة مع العرب وبــما يتلاءم مع الخصـوصيـات الميدانية والجغرافية للصراع العربى الاسـرائيلى وقـد تمكنت اسرائيل من اجـراء تجربة ناجحة لصاروخ من طراز (يريحو -٢) فى ايار/ مايو ١٩٨٧ بصحـــراء النقب ويصـل مداه الى (٧٠٠) كم وتعمل الان على تجهيزه برؤوس نووية.

وحـــتى وقـت قريـب ظلت اسـرائيل تعاني من مصاعب تقنية فى مجال الـتطـبيق والاستخـــدام الفعـلي للشحنــات والقــذائف النووية التي تمتلكها وذلك بسبب امتناعها حتى الان عن الاعتراف رسميا بحيازتها للسلاح النووى، ويحـاول الخــبراء الاسـرائيليـون التغلب على هذه المصاعب التقنية وتجـاوز العقبـات السيـاسيـة، فبمسـاعدة اجهزة كمبيوتر حديثه جرى شراؤها فى الولايات المتحدة الامــريكيــة استطــاع الخــبراء الاسرائيليون التغلب على مسألة تحديد قوة التفجير المحتملة وتقدير مدى فاعلية استخدامها فى ظروف الشرق الاوسط وتطوير «موديلات» و«احجام» تتلاءم مع سناريوهات الحـــروب المتـوقعـة، كما نجحت اسرائيل فى الحصول على (٢٠٠) جهــاز تفجير من نوع كرايتـون يستخدم فى صناعة القنبلة النووية من الولايات المتحدة ايضا.

■ وبفضـــل اجهـــزة الكمبيـوتـر الحــديـثــة هذه تمكـن الخــبراء الاســرائيليـون ايضـا من اعـادة تصنيـع او تطـويـر تقنيات لانتاج قنابل هيدروجينية شديدة الانفجار وان لم يشرع بعد فى انتاجها.

ولا شك ان اسـرائيـل تدرك وهى تقـوم بتنفيذ برنامجها النووي ان استخـدامهـا للسلاح النووي ليس بدون قيود وليس محررا، فهذا السلاح يمكن ان تستخدمه فقط فى لحظـات الـيأس طالمـا ان استخدامه بأي شكل سيؤدى حتما الى هلاك دولة اسرائيل ذاتها.

■ ومن الجـدير بالذكر وفي خطوة ملفتة للانتباه قام الاتحاد السوفياتى مؤخـرا بتـزويـد الـوكـالة الدولية للطـاقة وسكرتارية الامم المتحدة بصـور التقطتهـا اقـماره الصناعية للمنشـآت النـوويـة الاسـرائيليـة وكذلك اهم المعلومات عن التسلح النـووي الاسـرائيـلي رافقتها حملة اعلامية سوفياتية صحفية واذاعية ضد التسلح النووي الاسرائيلي.

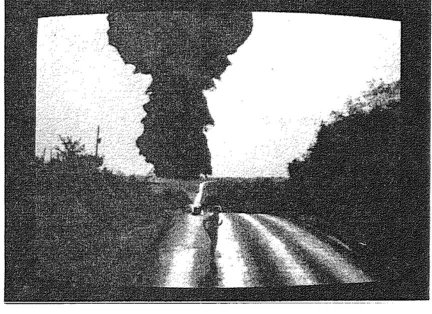
مصداقية الردع النووي الاسرائيلى للعرب

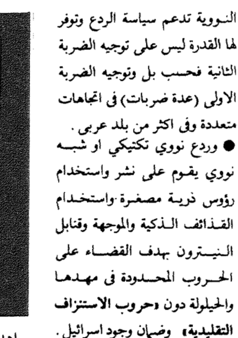
ينقسـم الـبعـد الـنـووى فى الاستراتيجية الاسرائيلية الى قسمين:

● ردع نووي استراتيجى يتطلب سلاحـا هيـدروجينيـا، وتطـويـر وسـائـل اطـلاق وانظمة صواريخ موجهـة وصواريخ مضادة متحركة ودقيقة محمية من اصابتها بأسلحة تقليدية او نووية اى نظم متطورة للاسـتـخـدام الفعــال للرؤوس

ــز وموجــه بتضــخيم القــوة العــربية لنســـف اســـرائيل من الوجـــود.

ــبراء الاســرائيليون من تطــوير واعــادة تصنيــع القنبــلة الهيــدروجينية شــديلة الانفجار.





النووية تدعم سياسة الردع وتوفر لها القدرة ليس على توجيه الضربة الثانية فحسب بل وتوجيه الضربة الاولى (عدة ضربات) فى اتجاهات متعددة وفى اكثر من بلد عربى.

● وردع نووي تكتيكي او شبــه نووي يقوم على نشر واستخدام رؤوس ذريـة مصغرة واستخدام القـذائف الـذكية والموجهة وقنابل النيـترون بهدف القضـاء على الحـروب المحـدودة فى مهـدهـا والحيلولة دون «حروب الاستنزاف التقليدية» وضمان وجود اسرائيل.

■ حقا ان اسرائيل لم تصل بعد ـ وان كانت فى طريقهـا اليـه ـ الى بلوغ مرحلة الردع الاستراتيجي، فقد عملت على تطـويـر انظمة السـلاح النووي التكتيكى الاكثر ملاءمـة لواقـع منطقـة الشـرق الاوســط ومـيـادين المجـابهـة العسكرية فيها.

■ فأنظمــة الســلاح النـووى الاســتراتيـجـى تهدف الى ردع العرب عن حرب تدميرية ساحقة ضد اسـرائيـل بما فى ذلك الحرب النـوويـة، القـنـابـل الهيدروجينية وانظمة اطلاقها هى وسائل للقيام بضـربة اولى ساحقة وشاملة ضد اهداف عديدة عسكرية واقتصاديه وبشـريـــة فى عالم عربى مترامي الاطـراف «فـالقنابل الهيدروجينية كفيلة بضرب العالم العربى كله، ضرب اهداف ارضية، وآبار نفطية وهي لا تميـز بين معتدٍ أو إرهابى عربى، بما فى ذلك ارهابى نووي، وبـين قرينـه وجاره، وهى ليست ادوات للاحتفـاظ بمناطق مأهولة بالعـرب وضمها وهى ليست خلا «حــروب محدودة» و«حــروب استنـزاف» تعلم العـرب خوضها منذ سنة ١٩٦٩ فصاعدا (١٣).

وطـالما يفتقد العرب الى ردع نووي ولا يشـكـلـون فى نظـر الاسرائيليين تهديدا لصميم وجود اسرائيل فان تكريس الجهد لاقامة ردع نووي استراتيجى يصبح عملا لا ضرورة له ويحتمـل التأجيـل، لهذا جرى تكريس الجهود لصالح اقـامة ردع نووي تكتيكي (قنابل نووية متوسطة القوة، صغيرة الحجم).

■ واذا كانت نظـريـة النـزاع فى العصر النووي وخاصة بين القوتين الاعظم تقـوم على مدى اقتنـاع الخصم بأنه فى حالة قيامه بتوجيه الضربة الاولى فانه سيتلقى ضربة استراتيجية مميتة فان هذا لا يتوافق مع واقـع اسرائيل فى صراعها مع العـالم العـربى، فتوجيه الضربة الاولى من قبـل العـرب، على



افتراض حصولها ربما لن يتيح لاسرائيل بسبب ضيق مساحتها فرصة القيام بتوجيه الضربة الثانية، وحتى لو تمكنت من توجيه ضربة ثانية على العالم العربى من قبل قواعد بحرية متحركة مثلا او طائرات حربية فان هذا سيحدث بعد ان تكون اسرائيل قد انتهت فعلا من الوجود كدولة. في حين ستتضرر اجزاء فقط من العالم العربى الكبير، وهذا ما يفسر ايضا وبدوره لماذا كان خيار اسرائيل السعي نحو فرض احتكارها للسلاح النووي فى المنطقة فى الظروف الراهنة طالما انها لم تصل بعد الى انتاج سلاح الردع الاستراتيجى.

وتبدو اسرائيل محدودة الخيارات فى ظل الواقع الجغرافى والسياسى للصراع ولا تمتلك سوى تجنيد كل طاقاتها ومواردها من اجل تأمين قدرتها على توجيه الضربة الاولى بحيث تشل قدرة العالم العربى على توجيه الضربة الثانية، وذلك بالنظر الى افتقادها للقدرة على توجيه ضربة ثانية حاسمة.

ولهذا فما زال بامكاننا اذن ان نشهد مزيدا من المواجهات بالسلاح التقليدى بالرغم من انها ستكون اكثر خطورة واعلى كلفة بما لا يقاس مع الحروب السابقة. فالشرق الاوسط ليس على ابواب حرب الازرار على كل حال. لكن المشكلة تكمن فى احتمال رفض العرب للتهديد النووي التكتيكي ايضا وبالتالي لجوء اسرائيل الى استخدام السلاح النووي الاستراتيجي فى المستقبل.

■ يقول الدكتور منير باعيل «اذا دخل التسليح النووي الى الشرق الاوسط يبدو انه سيكون من الحماقة الافتراض ان ديناميكية الرعب والردع المتبادلة القائمة بين الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة ستسود بطريقة مماثلة ايضا بين جميع البلاد العربية واسرائيل ويبدو ان التغلب على القيد الجغرافي يرتبط بتحدٍ تكنولوجي وعلمي واقتصادى وتنظيمى كبير جدا، لا يمكن تحقيقه فى حدود المواعيد الدقيقة، وعلى ذلك فان العالم العربى سيتمتع على المستوى السياسى للردع النووي بقدرة تخويف اكبر من قدرة دولة اسرائيل، حيث ان اسرائيل ستضطر فى ميزان الرعب النووي لان تضع فى كفة الميزان وجودها نفسه فى الوقت الذى سيعرض فيه العالم العربى للخطر اجزاء منه فقط حتى ولو كانت هامة جدا(١٤).

النزاع فى ظل توازن الرعب المتبادل

لم تعرف البشرية فى تاريخها القديم والحديث نظاما حربيا للردع كنظام الردع النووي.. هذا النظام الحديث نشأ واخذ يتبلور شيئا فشيئا منذ اكتشاف السلاح الذرى واستخدامه ضد هيروشيما ونجازاكى يومي ٦و٩ اغسطس ١٩٤٥ من قبل الامريكيين، وخلال الاعوام المتبقية لنا في هذا القرن هناك احتمال بأن يدمر هذا النظام الحديث انماط الفكر الاستراتيجي التقليدى والتى منحت الاولوية المطلقة لسلاح تقليدي واعداد الجيوش بكثافة، ولا شك ان عالمنا اليوم يترحّم على صانعى البارود، وأبى الاستراتيجية العسكرية كارل فون كلاوزفيتر، فلم يعد اليوم القائد او الخبير الاستراتيجي موجود فى ساحات القتال وانما فى المختبرات يختبر مدى قدرة التدمير الفائقة

للسلاح الجديد والمتطور وفى غرف البحث والتفكير المريحة دون ان يضطر الى خوض اي قتال.

■ ان مجرد محاولة تصور الحرب النووية يمكن ان يؤدي الى شلل فكري ودمار وجداني. . هناك فرضيات متعددة بشأن تجسيد نظرية الردع النووي ولكنها تلتقى جميعا عند نقطة محددة وهى اقناع الخصم بقدرتك على توجيه ضربة استراتيجية حاسمة له اذا ما حاول شن الحرب او التهديد بسلاح نووي الامر الذى سيحفز الطرفين على البحث عن قواعد للسلوك «تحكم تصرفاتها وتمنع استخدام السلاح النووي الرادع».

ويشير توماس شلينغ صاحب نظرية النزاع فى العصر النووي الى ان الصعوبة فى استخدام الردع النووي الاستراتيجى تكمن فى رفض الفريق الآخر صاحب التفوق التقليدى والمصلحة فى التوسع وضرب خصومه بوسائل اخرى الاعتراف بالتهديد النووي التكتيكى لقواته التقليدية، وبالتالى فانه يهدد من جانبه باستخدام سلاحه النووى الاستراتيجى ردا على هذا التهديد، ويؤكد شلينغ بأن الاتفاق وحده بين الفرقاء على قواعد السلوك «هو الذى يمنع استخدام الاسلحة الذرية والهيدروجينية الاستراتيجية ردا

● تبدو اسرائيل محدودة الخيارات فى ظل الواقع الجغرافى والسياسى للصراع. . وهى تعمل دائماً لتوجيه الضربه الأولى لارباك العرب.

● (الردع) و(الردع المضاد) ينطوى على سباق طولى مستحيل لا نهاية له فى أنظمة السلاح النووى والسلاح الرادع المضاد.

على استخدام السلاح النووى التكتيكى»(١٥).

■ اما اليكس فيشمان فيرى ان القدرة الرادعة تعتمد الى حد كبير على صورة الردع بمعنى التقييم الموضوعي الذى يجريه العدو لقدرتك وبشكل ظاهرى يعتمد الردع على عنصرين: الاول هو المنع، والثانى هو العقاب والمقصود فى الحالتين هو اقناع الخصم بأنه ليس من المنطقي ان يقوم بشن الحرب، واذا كنت فى الردع القائم على المنع تحاول اقناع العدو بأنه اذا بادر بشن الحرب فلن يحرز اى انجاز بسبب قدرتك على منعه من احراز انجازات فانك فى الردع القائم على العقاب تحاول اقناع العدو بأنه اذا شن الحرب، فسوف يتم دحره ومعاقبته عقابا شديدا على مبادرته.

ويعتبر ميزان الرعب النووي بين الدول الكبرى واردا فى نظرية العقاب بمعنى الردع المتبادل القائم على القدرة المتبادلة لاحداث دمار لا يمكن احتماله والذى يمنع الطرفين من المبادرة بشن الحرب(١٦).

■ وهكذا ينطوى الردع والردع المضاد على سباق طولي مستحيل لا نهاية له فى انظمة السلاح النووى والسلاح الرادع المضاد الذى يستهدف منع الخصم من شن حرب نووية على اساس امكانية القضاء على قدرته فى القيام بهجوم نووي.

والواقع ان وجود قنابل نووية لدى دولتين متصارعتين من دون وجود قدرة على توجيه الضربة الثانية بفعالية ونجاح لا يضمن الاستقرار، وهذه القدرة متوقفة على امكانية استمرار بقاء انظمة الاطلاق بعد هجوم الضربة الاولى، فالضربة الثانية من شأنها وحدها ان تردع الخصم عن شن هجوم نووي، وقد تولدت حالة ميزان الرعب بين الدولتين الاعظم من قدرتها على توجيه الضربة الثانية بنجاح، واذا جعلنا هذا



الواقع مقياسا للنظر فيما سيحدث بين العرب واسرائيل على افتراض امتلاك العرب لسلاح نووي خلال خمسة عشر او عشرين سنة فاننا نجد انه فى حالة اقامة «توازن رعب» بين العرب واسرائيل مستقبلا فان على اسرائيل لكى تتجنب رد الفعل العربى ان توجه ضرباتها فى اتجاهات متعددة ضد اكثر من بلد عربى، وربما ايضا ضد اهداف متحركة (سفن، صواريخ، غواصات، طائرات) تحمل على متنها صواريخ حاملة لرؤوس نووية، وهى المهمة التى ستكون اصعب واقل دقة من ضرب اهداف ارضية، وعلى عكس اسرائيل فالعرب يتمتعون بميزة القدرة على اخفاء انظمتهم وسهولة اخفائها وتيسر نقلها فى اراض مترامية الاطراف، كما ان تدمير المفاعل النووي العراقي يمثل بحد ذاته درسا غالي الثمن من اجل اجادة تحصين وتمويه وحماية القوة النووية العربية فى المستقبل.

■ هذه التدابير تقلل من قدرة المبادر الى الهجوم النووي على تحديد مواقع انظمة الاسلحة النووية للخصم وتوجيه ضربة ساحقة اليها خاصة اذا كانت متحركة كما ان الكثافة السكانية فى الدول العربية تمنح العرب ميزة القدرة على امتصاص الضربة الاولى والاحتفاظ بقوة الضربة الثانية فى حين ان قنبلة واحدة او ثلاثة كحد اقصى توجه الى وسط اسرائيل وجنوبها تكفي لوضع حد لوجودها كدولة، كما ان اسرائيل ستواجه على المدى البعيد عدة دول عربية تملك اسلحة نووية مما يتطلب استعدادات هائلة للقيام بضربة اولى ناجحة فى جميع الاتجاهات او ضمان القدرة على امتصاص الضربة الاولى - الامر الذى يستحيل فى واقع اسرائيل - وتوجيه الضربه الثانية فى اكثر من اتجاه شريطة ان تكون دقيقة التصويب فتدمر جميع اهدافها مرة واحدة حتى تتجنب رد الضربة الثانية وتحول دون تكرار الضربات النووية.

وعلى افتراض انه تبقى لدى العرب قنبلة واحدة بعد نجاح اسرائيل فى تسديد الضربة الثانية جرى اخفاؤها باحكام فانه يكفى اطلاق هذه القنبلة من البر او البحر لكى توجه ضربة عربية ثانية مميتة الى اسرائيل وتحسم الصراع على عكس العالم العربى الذى يحتاج الى عدة قنابل وصواريخ متوسطة وبعيدة المدى لتوجيه ضربات ناجحة لاهم مراكزه السكانية والاقتصادية والعسكرية، هذه الميزات التى يتمتع بها الجانب العربى تفتقد اليها اسرائيل بسبب ضيق مساحتها مما يقلص امكانية الاخفاء والتنقل فهل فكر استراتيجيو الردع النووى فى اسرائيل مليا فى الثمن الذى سيتحتم على اليهود الاسرائيليين دفعه مقابل استخدام او حتى امتلاكهم للسلاح النووي.

غير ان الاستخدام العربى للسلاح النووي ليس بدون قيود بدوره فلا يمكن استخدام هذا السلاح من جانب العرب دون الاضرار بثلاثة ملايين من الفلسطينيين على الاقل من المقيمين فى فلسطين المحتلة وكذلك عدة ملايين من السكان العرب فى المناطق القريبة من فلسطين المحتلة وممن سيتأثرون بالاشعاعات الذرية وتساقط المطر النووي، هذا بالاضافة الى انه توجد اماكن كثيرة مقدسة وذات اهمية دينية وتاريخية بالنسبة للعرب

فى فلسطين ستتعرض بدورها للتدمير.

فكارثة تشرنوبيل فى ربيع ١٩٨٦ والناتجة عن خلل فني اكدت انه حتى المناطق البعيدة لن تكون بمنجى عن الاثار المدمرة للانفجار النووي.

■ وهذا يبرز بدوره ان القيود التى تحول دون استخدام السلاح النووي من قبل احد الطرفين ضد الاخر ليست قليلة ولن يكون استخدام هذا السلاح المدمر مطلق الحرية.

ويزعم بعض الباحثين الاستراتيجيين الاسرائيليين الداعين الى انتهاج سياسة ردع نووى معلنة ان من شأن هذه السياسة ان تؤدي الى الاستقرار فى ساحة الشرق الاوسط فالتعادل النووي الثابت والقائم بين الدول الكبرى يمكن ان ينتقل الى المستوى الاقليمى.. ولكن استقرار هذا التوازن مشروط بأن لا تكون انظمة السلاح النووي عرضة للتدمير المفاجىء وان يملك كل طرف القدرة على توجيه الضربة الثانية الحاسمة وهذا يتطلب بدوره تطويرا مستمرا للوسائل التكنولوجية واستثمار الاموال الطائلة فى هذا المجال.

وبين انصار هذا الفريق من الاستراتيجيين الاسرائيليين نجد من يعتقد بأن قيام اسرائيل ببناء قوة نووية علنية، وقيام الدول العربية بالمقابل بامتلاك اسلحة نووية سيؤدى الى تحسين وضع اسرائيل الامني والاقتصادي فدعاة اضافة الاسلحة النووية الى الاسلحة التقليدية فى المنطقة يزعمون بأن ذلك سيؤدى الى حدوث تطورات ايجابية بالنسبة لاسرائيل منها: ان امتلاك دول المنطقة للاسلحة النووية سيؤدى الى خلق «توازن رعب كالتوازن القائم بين الدولتين الاعظم، وهذا يحول دون نشوب حرب كبيرة».

غير ان هذا المنطق لا يصمد امام الحقائق السياسية والتاريخية والنفسية هذا على الرغم من ان مناقشة قضايا استخدام السلاح النووي فى الصراع العربي الاسرائيلي تبقى افتراضية من حيث انه لم يجر استخدام مثل هذا السلاح فى المجابهات الاقليمية والعالمية منذ القائه لاول مرة على هيروشيما ونجازاكى فى اغسطس ١٩٤٥م.

■ فالاسلحة النووية فى واقع الصراع العربي الاسرائيلي لا تستطيع منع المواجهات بالاسلحة التقليدية. وتجربة السباق النووي بين الدول العظمى بحد ذاتها لم تؤد الى تقليص جيوشها التقليدية، ولم نشهد تقلصا فى العدد ولا فى نوعية السلاح التقليدي لدى جيوش حلفي وارسو والناتو هذا علاوة على ان الشرق الاوسط ليس على ابواب حرب الازرار على كل حال.

وقدرة الدولة على توجيه ضربة مفاجئة ناجحة برغم توقعها ان ردا انتقاميا على مثل هذا الهجوم يعتبر امرا محتملا الا ان قدرتها على تلقى الضربة الاولى والرد بتوجيه الضربة الثانية بالسلاح النووي هو وحده الذى يمكن ان يردع العدو من شن هجوم نووي لكن اسرائيل لن تستطيع الفوز بالضربة القاضية حتى لو عبأت كل طاقاتها المتاحة، فالعرب او الاجيال القادمة لن تكتفي بالبحث عن رد نووى فحسب ولكنهم سيعملون على خلق الشروط الافضل لامكانية الضربة الثانية القاضية بما سيضفي ديناميكية اكبر على مسارات التطوير النووي للمحافظة على الردع، وقد ادت التطورات التكنولوجية الى سباق تسلح حثيث وباهظ الثمن بين الدولتين الاعظم.

■ وعليه فالاستنتاج القائل بأن اسرائيل لن تستطيع انهاء النزاع العربى الاسرائيلي الطويل عن طريق القوة هو استنتاج صحيح تماما.

■ فى اوساط الاستراتيجيين الاسرائيليين ثمة آراء تقول انه من الممكن حماية الاسلحة النووية عن طريق اخفائها او وضعها على



قواعد متحركة تحول دون تحديد مكانها واصابتها من قبل الدولة المهاجمة، وتستطيع اسرائيل فعلا اخفاء اسلحتها او وضعها على متن سفن صواريخ متحركة او غواصات تختبىء تحت الماء، ويمكنها ان تقوم بنشر رؤوس ذرية على طائرات متحركة او غواصات تختبىء تحت الماء ويمكنها ان تقوم بنشر رؤوس ذرية على طائرات حربية، مما يجعل امر تحديد اماكنها واصابتها اكثر صعوبة ويتطلب فى الجانب العربى تطوير او امتلاك انظمة للكشف عن اماكن الغواصات والسفن والطائرات والتحديد الدقيق لاماكنها وضمان دقة اصابتها غير ان مشكلة اسرائيل الاساسية تكمن فى دقة الاسلحة النووية الموجهة وفي مساحتها الصغيرة التى تقلص امكانية اخفائها فالمساحات المحدودة والمسافات القصيرة تشكل عقبة فى طريق اقامة قوة نووية تسمح بتوجيه الضربة الثانية على افتراض قيام العرب بتوجيه الضربة الاولى، لكن الفرصة تبقى متاحة امامها لتوجيه الضربة الثانية من البحر او الجو اذا جرى حل المشكلات التقنية والتعقيدات السياسية الناشئة عن وجود قواعد بحرية وجوية متحركة (سفن، صواريخ، غواصات، طائرات) للاسلحة النووية فى منطقة البحر الابيض المتوسط وتمويهها وتحصينها ضد الضربات النووية العربية المحتمل ان توجه اليها فى الضربة الاولى.

وعلى عكس اسرائيل يتمتع العرب بميزات استراتيجية جغرافية وسكانية فلديهم مساحات اكبر ومواطنين اكثر وامكانياتهم فى اخفاء السلاح النووي فى اماكن نائية اكبر من امكانيات اسرائيل الامر الذى يجعلهم قادرين على استيعاب الهجوم النووي وتوجيه الضربة الثانية بنجاح، ومما يزيد فى تعقيد وضع اسرائيل هو مهاجمتها لعدة اهداف فى عدة دول عربية وليس فى دولة واحدة، مما يتطلب قوة قادرة على توجيه الضربات فى اكثر من بلد وان لم يكن فى غالبية البلدان العربية ففي خمسة او ستة بلدان على الاقل، وهو عمل يتطلب حل العديد من التعقيدات السياسية والتكنولوجية على حد سواء، وهناك مشكلات تتمثل بفاعلية اجهزة الانذار المبكر ومدى الحاجة اليها فى منطقة تتجاور فيها اسرائيل مع الدول العربية ولا تفصل بين المواقع السكانية والاستراتيجية لكل منها سوى بضعة كيلومترات.

■ اما وسائل الانذار المبكر التى قد تستخدمها اسرائيل للتنبيه الى هجوم نووى فهي ليست حلا مثاليا بدورها فى المسافات القصيرة القائمة بين الجانبين العربى والاسرائيلي، فالمسافات القائمة بين الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة تمتد الى الاف الكيلومترات بينما تقبع اسرائيل فى وسط العالم العربى، ولهذا فان الوقت المتاح لاتخاذ القرار بالرد بعد ان يدق جرس الانذار من الضآلة مما قد يتسبب فى مزيد من التعقيدات ويضع اصحاب القرار فى وضع شديد التعقيد وامام خيارات صعبة لا تتيح امكانية الرد الحازم والتفكير بروية واتزان لاتخاذ قرار صحيح ورادع فى ظل فقدان الاتصال المباشر والسريع بين الجانبين.

■ وهناك ايضا مشكلات اخرى لا يتسع لها المجال وتتصل بالنواحي التكنولوجية وتتلخص فى مدى قدرة الدول الصغيرة ذات الخبرة

الناشئة في مجال الطاقة النووية على السيطرة والتحكم بالانظمة والمنشآت النووية وتقليص احتمالات الخطأ في استخدام الطاقة النووية واذا لاحظنا انفجار مكوك «تشالنجر الامريكي» وصاروخ «ايريان الاوروبي» واحتراق مفاعل تشرينوبيل السوفياتي وتسرب الاشعاعات النووية منه وغيرها من الحوادث في دول تمتلك تكنولوجيا معقدة وخبرة عالية في هذا المجال، فهل تستطيع دول صغيرة في اول الطريق النووي تجنب وقوع حوادث واخطاء في اطلاق الصواريخ وتسرب الاشعاعات، لقد زاد حادث مفاعل تشرينوبيل في ربيع ١٩٨٦ من شرعية المخاوف ازاء قدرة هذه الدول على اقامة سيطرة ذات مصداقية على مشروعاتها النووية.

■ هناك من يعتقد بأن العناصر التكنولوجية اقل تأثيرا على توازن الرعب من العناصر السياسية والنفسية، الا انهم مع ذلك يعترفون بأن التركيز على تحليل العناصر النفسية والسياسية لا يشير الى ان الشرق الاوسط سيكون افضل لو امتلك سلاحا نوويا(١٧).

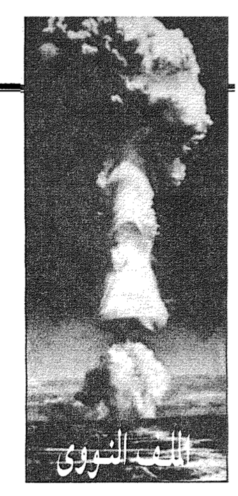
فالرعب النووي المتبادل في منطقة تعج بعوامل الصراع وتولد العدوانية والتوسعية الصهيونية يوميا لدى العرب شعورا بالقهر والاحباط لن يسهم في تعزيز الاستقرار النفسي، فهو ليس مشكلة تقنية تعالج في المختبرات وورش الفك والتركيب، فالعوامل السياسية والتاريخية والنفسية للنزاع ربما تتفاقم في ظل انتشار السلاح النووي حيث يحتمل في نفوس العرب شعور بالقهر والاحباط سينقلب حتما الى نقيضه، الى التصلب والمواجهة في ظل حيازة اسرائيل لسلاح نوعي غير تقليدي وفي منطقة اعتادت على التقلبات الحادة السياسية والمزاجية والنفسية، وبامكاننا تصور ما قد يحدث في ظل فقدان الاتصال المباشر والسريع بين الجانبين وهو احد العناصر الهامة في «توازن الرعب» القائم بين الشرق والغرب، وهذا بحد ذاته ليس مشكلة تكنولوجية بقدر ما هو مشكلة سياسية فباستثناء مصر لا يوجد اى اتصال مباشر - على الاقل في الظرف الراهن - بين اسرائيل وجاراتها الا عبر طرف ثالث.

■ ان السلام النووي او السلام المفروض بواسطة التهديد النووي ينطوي بحد ذاته على اخطار ما حقه على الشعوب التى تملكه وعلى الجنس البشرى.

فتقدم التكنولوجيا الحربية والنووية وطابع السلاح العصري لا يدع لاية دولة املا في حماية نفسها بوسائل السلاح التقليدى او الوسائل العسكرية فقط حتى لو انشأت اقوى دفاع حولها، هذا التطور يضع اسرائيل امام خيارين لا ثالث لهما في نهاية المطاف وفى لحظة مواجهة الحقيقة فاما القبول بتسوية عادلة ومقبولة للصراع العربى الاسرائيلى على اساس الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره على ارض وطنه واقامة دولته الخاصة به او الفناء الذاتي مع الاخرين وليس لوحدهم، فالامن القائم على التخويف وحتى الردع لا يمكن ان يضمن سلامة اسرائيل الى الابد.

كما ان عناية اسرائيل بأمنها لا يكفي لاستتباب الاستقرار طالما ظل العرب يشعرون بتهديد امنهم وتجاهل مصالحهم وحقوق الشعب الفلسطينى.

■ ومن هذا المنطلق فادخال السلاح النووي الى الشرق الاوسط لا ينقص بل يزيد المخاوف والهواجس التى لا يمكن في ظلها التحكم في السياسات والتصرفات وظهور السلاح النووى ينقص الوقت ويقلص الفرص والامكانيات في حال نشوب الازمات لاتخاذ قرارات سياسية عقلانية ذات صلة بقضايا الحرب والسلام، ويضعف السلوك المتمدن وضبط النفس، كما انه يجعل حالة اللاحرب واللاسلم اكثر هشاشة، وهو يضمن لكل



طرف خطرا متساويا، واستمراره يؤدي الى ايصاله الى حدوده القصوى بحيث لا يعود حتى عامل التوازن النووي عامل ردع عسكري وسياسي ونفسي.

■ حقا ان توازن الرعب يفضي الى التعامل بواقعية مع الحقائق، ويقتضي عقلانيا الوصول الى اتفاق حول قواعد السلوك التى تحول دون استخدام الاسلحة النووية، الامر الذي لن يقوم الا في بيئة الحل السياسي للصراع العربى الاسرائيلي - لكن المشكلة في الشرق الاوسط ان التنازلات فى الجانب العربي كانت دائما تصطدم بمزيد من التعنت والامعان فى سياسة العدوان والتوسع فى الجانب الاسرائيلى واختلاق الاعذار والمبررات والقيام بالمناورات السياسية المعقدة بهدف تقليص فرص السلام العادل والشامل فى المنطقة، فالسلام مع العرب بالنسبة للقيادة الصهيونية يعني القبول بالشروط الاسرائيلية فحسب او رجحان كفة الشروط والقيود الاسرائيلية فى اي اتفاق مع العرب، واذا كان العرب قد قدموا كثيرا من التنازلات قبل بدء ظهور السلام النووي بيد اسرائيل، فما هو مطلوب منهم ان يقدموا فى ظل التهديد النووي وهل يبقى لديهم ما يقدمونه سوى التخلي النهائي عن القضية الفلسطينية؟.

ولا يعتبر توازن الرعب بحد ذاته مقياسا مضمونا لاحلال السلام لذلك وجدنا ان الدولتين الاعظم قد وضعتا فى الحسبان اسوأ الاحتمالات وهو احتمال نشوب قتال بالاسلحة النووية فوضعت سناريوهات متعددة للقتال النووي وكيفية مواجهة الحرب النووية حيث شاهدنا نماذج من هذه السيناريوهات الامريكية فى افلام «رامبو» وغيرها من الافلام التى تتحدث عن السوبرمان الجديد فى افلام هوليود، كما تجري التدريبات على مواجهتها وتجنب آثارها فى كلا الجانبين.

ولن يضعف امتلاك اسرائيل للسلاح النووي درجة اعتمادها على الولايات المتحدة وارتباطها بها، ولم تحل هذه العلاقة العضوية دون اسرائيل والشروع فى تطوير

● إن السلام النووى او السلام المف

● السعار الـدينى ونزعة التعصـ

سلاح نووي خاص بها.

■ وبهذا الصدد يشير الكاتب الامريكى ستيفن غرين الى انه «من الخطأ ان يقال ان قرارات اسرائيل سنة ١٩٥٧ ببناء مفاعل ديمونا ومباشرة برنامج لتطوير الاسلحة النووية بالتعاون مع فرنسا، تمت على الرغم من موقف ادارة ايزنهاور الصريح ضد انتشار الاسلحة النووية».

فالامر لم يكن كذلك قط وفي الواقع فان بعض السياسات الامريكية فى تلك السنين حيال انتشار الاسلحة والتقنية النووية، كان من شأنها - ولربما - ان تؤدى عن غير قصد الى تشجيع اسرائيل على اعتماد خيار الاسلحة النووية، فخلال سنوات ١٩٥٤-١٩٥٦ ضاعف ايزنهاور من غموض السياسة الامريكية حيال الاسلحة النووية، وذلك بمعارضته المتكررة **(لمقترحات من رئيس وزراء الهند الراحل جواهر لال نهرو)** بعقد معاهدة كهذه الا في اطار نزع السلاح الشامل، ولربما كان بن غوريون يسمع هذا الكلام، فبعد هذا التاريخ بستة اعوام اى فى سنة ١٩٦٢ كان لا

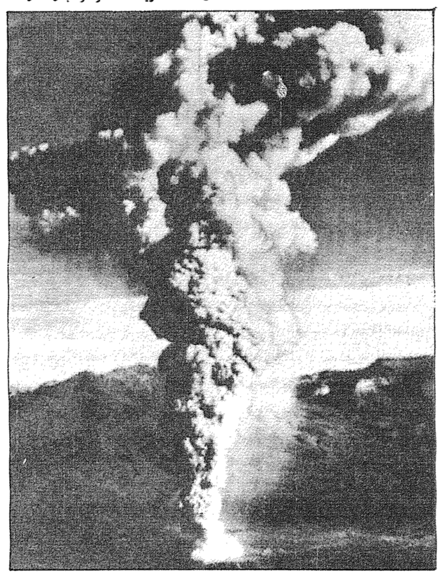
ـروض بواسطة التهديد النووى ينطوى على أخطار ما حقه على الشعوب التى تملكه وعلى الجنس البشرى.

ـب والشعور بالتفوق العنصرى على (الأغيار) يشكل الزيت الذى يغذى آلة الدولة الصهيونية.

يزال يحاول طمأنة الكنيست الى ان للبحوث الذرية الاسرائيلية الجارية اهدافا سلمية فحسب(١٨).

■ واذا كانت فرنسا قد اسهمت فى المجهود الرئيسي لاقامة البنية النووية التحتية لاسرائيل فقد اسهمت الولايات المتحدة بدورها فى المجهود الرئيسي المتصل بتطوير السلاح النووي، فى تصغير حجمه وجعله اكثر دقة فى اصابة الهدف، فالعلاقات الامريكية الاسرائيلية شديدة التشابك والتعقيد وتسمو فوق جميع الاعتبارات ومصالح الاخرين وفي مقدمتهم حلفاء امريكا من العرب بالتأكيد، فالمساعدات الامريكية لاسرائيل التي ليس لها سابقة فى التاريخ القديم والحديث وشبكة الاتفاقيات التى تربط اسرائيل بالولايات المتحدة (مثل اتفاقية منطقة التجارة الحرة، مذكرة التفاهم الاستراتيجي، مذكرة انضمام اسرائيل الى برنامج الدفاع الاستراتيجي الامريكي وغيرها) جعلت المصالح الامريكية الاسرائيلية المشتركة في الشرق الاوسط ومناطق اخرى من العالم ـ وتبعا لذلك السياسات ـ متداخلة

● الطاقة الذرية .. عصر الرعب والدمار



الى حد بعيد بشكل لم يعد ممكنا معه التمييز فيها اذا كانت هناك مصالح امريكية متميزة عن المصالح الاسرائيلية او العكس فرغم مرور العلاقات الامريكية الاسرائيلية بعدد من الازمات الخطرة، الا ان الغلبة كانت دائما للحليف والشريك الاسرائيلي، وهذا ما حدث بعد العدوان الثلاثى على مصر، وحين تبنت الولايات المتحدة ودعمت العدوان الاسرائيلى على العرب عام



١٩٦٧، وهـذا ما حدث حين اغـرق سلاح الجـو الاسـرائيلى سفينـة التجسس الامـريكيـة «ليـبرتي» فى البحـر المتـوسـط فى السـابع من حزيران يونيو ١٩٦٧ حيث لقي حتفـه (٣٤) جنـديـا وضـابطا امريكيا وجرح العشرات والتى مثلت استهانة مخزية بأرواح الامـريكيـين وقمـة الاستسـلام الامريكي لحلفائهم الاسرائيليين، حسب قول الكـاتب الامـريكى ستيفن غرين فى كتـابـه الشهـير «الانحيـاز» ولم تكن بدون مغزى اشـارتـه الى مقتـل الرئيس جون كينـدي فى تشـرين الثانى نوفمبر ١٩٦٣ فى الوقت الذي كانت تمر فيـه العـلاقـات الامـريكيـة الاسـرائيليـة فى حقبة برود شديد بسبب تبني الـولايـات المتحـدة مشـروع قرار فى الجمعيـة العـامة للامـم المتحـدة لحل مشكـلة الـلاجئـين الفلسطينيـين(١٩).

ويكفى ان نشير الى انه فى المرات القليلة التى وضعت فيها الولايات المتحدة مصير العالم موضع تساؤل ووصـل فيهـا فى حافـة الصـدام النووي كان حين اعلنت الولايات المتحـدة الاستنفـار النووى مرتين منـذ عام ١٩٧٠ دعـما للسيـاسـة العدوانية والتوسعية الاسرائيلية.

■ ولما كان امتلاك اسرائيل للقنبلة النووية ليس الا عنصرا واحدا فى منظـومـة شديـدة التعقيد للتسلح النـووي، لهذا شرعت فى تطـوير صواريـخ متوسطة المدى من طراز (يريحو-٢) يصل مداها الى ١٤٥٠ كم قادرة على حمل رؤوس نوويـة متـوسطة الحجم، ولابد لها ايضا من تطوير شبكة للصواريخ المضادة لحمايتهـا من اي هجـوم نووي او صاروخي، وهنـا تبرز على نحـو استثنـائى مدى خطـورة ادخـال اسـرائيل فى الاستراتيجية النووية الـكـونيـة للولايـات المتحـدة الامـريكية خاصـة فى مرحلتهـا الاعلى والمتمثلة فى اشـراكهـا فى برنامج حرب النجوم ليس بالنسبة لموازين القوى العربية الاسرائيلية بل وايضـا فيـما يتصـل بمـوازين القوى العالمية.

غير ان هناك اسبابا ذات طابع دولي قد تحول دون اسـتـخـدام اسـرائيـل للسـلاح النـووي، فبـاستثنـاء الـدولتين الاعظم فان الشرق الاوسط هو المكان الوحيد الـذي يجري فيـه سبـاق التسلح بأحـدث الاسلحـة، الامر الذي يشكـل وسيلة من وسائل احتكار مناطق النفوذ وتعزيزها وتوسيعها او كسـر احتكـار مناطق النفوذ، كما يشكـل مصـدرا مهـما من مصادر الـدخـل بالعملة الصعبة بالنسبة للدول المـصـدرة للسـلاح وفي طليعتها الولايات المتحدة والاتحاد السـوفياتى لكن الدولتين الاعظم بالذات وصلتا فى الشرق الاوسط اكثر من مرة الى حافة المواجهة، وبـانتشـار السـلاح النـووي فى الشرق الاوسط سيتعاظم شعورهما بخطـر المـواجهـة بينهما وبخطورة استخدام هذا السلاح الامر الذي سيحفـز كلا الدولتين على وضع ضوابـط لكبح جماح الدول المعنية من استخـدام هذا السلاح المدمر الذي لن تبقى آثاره حبيسة الشرق الاوسط.

■ ويمكننـا، منطلقين من حسن النـوايـا ان نفـترض سيـادة نظـرة حضـاريـة فى الغـرب يحتـل فيها الحـرص على الارواح البشـريـة بدون تمييـز وامن وسـلامة كوكبنا الارضـى وزنـا كبـيرا فليس من مصلحة الولايات المتحدة ولا دول الغرب ان تتحـول اسـرائيل الى عنصـر من شأنه ان يورط امريكا والعالم فى حرب نووية، ان خمسة

حروب تقليدية حتى الان لم تكن كافية لتوريط القوى العظمى فى الصراع بصورة حادة، اما الحرب النووية فهي امر مختلف تماما.

■ وفى الجانب العربى فان القادة والمفكرين الاستراتيجيين الابرز فى العالم العربى علاوة على انهم يشكون فى حيازة اسرائيل لخيار نووي رادع تعلن عنه فالفريق اول محمد فوزى وزير الحربية المصرية السابق يرى ان الخيار النووي امر مشكوك فيه، فهو شكل من اشكال الحرب النفسية واسرائيل تستخدمه للردع النفسي قبل ان يكون للردع العسكرى وذلك لاخضاع الدول العربية واجبارها على قبول مبدأ التفاوض، **«ومن هنا اشك بأن اسرائيل قد دخلت بالفعل مجال الاسلحة النووية لانها لم تدخل مرحلة التجارب العملية»**، الا انهم يستبعدون على افتراض صدق ما يشاع ان تلعب اسرائيل بسلاح الحرب النووية لان هذا لا يتوافق مع مخطط الدول العظمى، والذى يحجم لعبة الحرب فى دول العالم الثالث ويجعلها قاصرة على الحرب التقليدية المحدودة(٢٠).

■ اما اللواء طلعت مسلم الخبير العسكري بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام فلا يعتبر السلاح النووي حتى فى حال الاعلان عن وجوده «معيار تفوق مطلق بالنسبة لاسرائيل، فالنظام العالمي لن يتحمل دولة مثل اسرائيل فى حالة تهديدها باستخدام السلاح النووي، لان هذا معناه حرق العالم اجمع» لكنه يظهر تخوفا بذات الوقت من احتمال بقاء العرب بدون غطاء نووي في مواجهة الردع النووي الاسرائيلي وذلك بسبب تدهور العلاقات العربية السوفياتية، ويشير بهذا الصدد الى انه «اذا ادخلنا فى الحسبان القوى النووية التي تملكها اسرائيل والتحالف الاستراتيجي بينها وبين امريكا فماذا سيكون العمل؟ الدول العربية ليس لديها قوة نووية، والعلاقة بين الاتحاد السوفياتى وبين اصدقائه قد تطرح علامة استفهام فى المجال النووي، وعندنا تجربة فى عام ١٩٧٣، حيث كان الاتحاد السوفياتى على وشك اعطاء مصر سلاحا نوويا لمواجهة اسرائيل، لكن الان وفى ظل هذه الظروف المغايرة والمعقدة هل سيكرر الاتحاد السوفياتى التجربة، لا نستطيع الاجابة على هذا التساؤل(٢١).

الخيارات البديلة للردع الاستراتيجي

اذن هناك قيود تحد من فاعلية الردع الاستراتيجي وتضعف مصداقيته ليس كخيار عسكرى فحسب ولكن ايضا كوسيلة للردع السياسي او التهديد السيكلوجى خاصة فى حالة وجود رد فى الجانب العربي على السلاح النووي الاسرائيلي، وحتى لو استمرت اسرائيل فى احتكار السلاح النووي فان استمرار تجاهل العرب له قد يحفز اسرائيل على استخدامه الامر الذي لن يبقيها بمنأى عن خطر الاشعاعات النووية والفناء الجماعي.

لذلك لاحظنا الطبقة المعنية بشؤون اسرائيل الاستراتيجية من السياسيين والعسكريين والاكاديميين تضع فى حسبانها هذه الاحتمالات فتغدو فى طريق البحث عن خيارات اخرى وسط ظاهرة خطرة من ادمان التكنولوجيا فى اسرائيل مثل التوجه نحو خلق ما يسمى بالخيار النووى التكتيكى عبر تطوير رؤوس نووية مصغرة لاستخدامها فى ميدان المعركة، وان كانت اثارها فى ميدان الجسم لا تختلف كثيرا عن نموذج القتال النووي، فالدكتور شاي فيلدمان الاستاذ بمعهد الدراسات الاستراتيجية بجامعة تل ابيب وصاحب كتاب **«الردع النووي الاسرائيلي ١٩٨٣»** يرى ان هذا السلاح يساعد على سد الثغرات الموجودة فى الردع الاستراتيجي باعتبار السلاح النووى التكتيكي



يشكل ردا على حشودات القوات التقليدية، ولان السلاح النووي الاستراتيجي لا يمثل ردعا كافيا(٢٢).

الا ان هذه الصيغة المستحدثة للخيار النووي لم تحل مشكلات جوهرية عديدة، فثمة فارق بين النجاح في المختبر وبين التطبيق الناجح لهذه الابتكارات فى ساحة الحرب، وهناك مشكلة تكنولوجية تنتظر الحل فالاسلحة النووية التكتيكية تتطلب دقة كبيرة فى الاطلاق وتصغير رؤوسها المتفجرة بالاضافة الى كلفتها العالية فى المراحل الاولى لانتاجها على الاقل، والتى لن تقل عن كلفة انتاج سلاح نووي، الا ان هذه المشكلات التقنية والمالية قد وجدت لها حلا فى اجهزة الكومبيوتر الحديثة واجهزة التفجير من نوع «كرايتون» التى حصلت عليها من الولايات المتحدة وستجد المشكلات الاضافية مزيدا من الحلول فى دوائر ابحاث برنامج الدفاع الاستراتيجي الامريكي (حرب النجوم) والممول امريكيا، الامر الذى يقدم تأكيدا جديدا على المخاطر الاستراتيجية التى تنتظر مستقبل الامة العربية والمترتبة على التحالف العضوي والاستراتيجي الامريكي الاسرائيلي حيث يمثل هذا المشروع الحربي الاستراتيجي احد نماذجه الاكثر تحدٍ وخطورة للامن القومي والتطور التكنولوجي والنووي العربي، فبرامجه ومشروعاته تنطوى على ابحاث تتصل بتطوير اسلحة الليزر جرت تجربتها مؤخرا (نوفمبر ١٩٨٧) فى صحراء نيومكسيكو والتي بامكانها التصدي للصواريخ المهاجمة وتدميرها وحرق مدن بكاملها خلال دقائق وذلك بعد تطويرها الى سلاح هجومي.

■ ويعطى اشتراك اسرائيل فى برنامج الدفاع الاستراتيجي دفعا قويا للبرنامج النووي الاسرائيلي، فستشارك اسرائيل فى حوالى (١٤٠) مشروعا مشتركا لحرب النجوم منها حوالى (٩٠) مشروعا تتعلق بمواد استراتيجية واجهزة كمبيوتر ومجالات علم الاحياء والرياضيات وقد اعطى الاتفاق الموقع بين امريكا واسرائيل عام ١٩٨٦ حول مشاركة الاخيرة فى برنامج الدفاع الاستراتيجي الحق فى التنافس بشروط متساوية مع الصناعات الامريكية لكسب عطاءات من مشروع حرب النجوم فى مجالات الفضاء كما وافقت الولايات المتحدة على فتح الابواب امام اسرائيل فى المجالات التكنولوجية المتعلقة بآفاق النشاط التى تهمها، وحصولها على تسهيلات مختلفة فى مجال تبادل المعلومات، والزيارات والمشاركة فى مؤتمرات (مغلقة) متعلقة بشبكة الدفاع الفضائي، كما نصت المذكرة الموقعة بين الطرفين على تشكيل لجنة مشتركة من الدولتين للمتابعة والاشراف على التعاون فى مجال مشروع الدفاع الاستراتيجي(٢٣).

ومقابل مشاركتها فى الابحاث والاستفادة من الخبرات فانها ستأخذ دورها فى المستقبل كقاعدة للصواريخ الموجهة والصواريخ المضادة وسيكون لها نصيب فى الانتفاع من برنامج تقني يكون مفيدا لاحتياجاتها مثل الصواريخ القصيرة والمتوسطة المدى والانظمة الدفاعية المضادة للصواريخ والتي تنطلق من الجو وتقلل من فترات الانذار المبكر بالنسبة لأى حرب قادمة فى الشرق الاوسط.

■ الهب هذا المشروع حماس

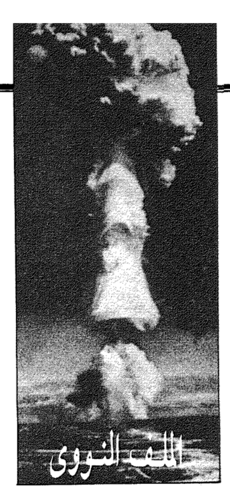
الاسرائيليين واثار خيالهم بقدر ما اسال لعابهم وهم يرون الموارد الضخمة المرصودة لهذا المشروع، وقد لاقى صداه الفوري فى اسرائيل فتصاعدت الانتقادات **«للتفكير الامني التقليدى»** باعتباره تفكيراً ساذجاً اعطى ثقلا زائدا لمشاكل الامن الجاري، فجرت الدعوة للاستفادة القصوى من هذا المشروع باعتباره فرصة بالنسبة لاسرائيل لتطوير انظمة اسلحة حديثة بالمجان من النوع الذى يعرضه مشروع ريغان، انظمة يمكنها ان تحيط اسرائيل بحماية فعالة ضد الصواريخ والطائرات المقاتلة المعترضة والهجومية والسمتية والدبابات والاهداف العسكرية الاخرى، ومن خلال الاستفادة من الموارد الاقتصادية للولايات المتحدة والاستعانة بالمعلومات التى يتوصل اليها البحث والتطوير الامريكي، فأنظمة سلاح الطاقة الحركية (الصخور الذكية او القذائف الذكية وسلاح الطاقة الموجهة كأشعة الليزر بأنواعها المختلفة يجري التركيز على تطويرها فى اطار مشروع ريغان، هذه الشبكات وحدها قادرة على تخليص اسرائيل من خطر الدمار الشامل نتيجة لهجوم صاروخي ومن ضرورة توجيه الضربة الوقائية المسبقة لتلافى دمار كهذا(٢٤).

● إدمان التكنولوجيا فى بيئة عنصرية وتوسعية له خطره على السلام والأمن القومى والعالمى.

غير ان هذا الخيار «النووي التكتيكي» هو مثل الخيار النووي الاستراتيجى قد يجعل اسرائيل كلها ساحة حرب وسكانها اهدافا مثالية للقصف والابادة ومن شأنه ايضا ان يجر المنطقة الى حرب نووية وقد لا تبقى حبيستها، فالسلاح النووي التكتيكي اذا استخدم سيحدث تصعيدا نوويا، فالمسافة قصيرة بين استخدام السلاح النووي التكتيكى والسلاح النووي كرادع استراتيجي، بل ان استخدامه يسرع فى تحول الحرب التقليدية الى حرب نوووية وسيكون استخدام هذا السلاح بمثابة دعوة للحرب والرد عليه بالسلاح النووي من الجانب الاخر. ثم ان القوات المتقاربة والمشتبكة ستتأثر حتما كلها وبدون استثناء من جراء استخدام احداها لهذا السلاح ضد الآخر.

ويعتمد استخدام هذا السلاح مثله مثل سلاح الردع الاستراتيجي على عنصر المفاجأة وشل قدرة الطرف الاخر على توجيه ضربات مماثلة اذا كان فى حوزته مثل هذا السلاح. ولهذا فاستخدام السلاح النووي التكتيكي يأتي بنتائج عكسية ولا يشجع على الاستقرار بل يفاقم النزاع واذا ما حدث وحققت اسرائيل مزايا استراتيجية فى ميدان المعركة من جراء استخدام سلاح نووي تكتيكي فان هذا سيكون فى عالم حكم على نفسه بالطيش والفناء.

ومن هذه الخيارات ايضا والتى تعمل اسرائيل على حيازتها، الردع الذي يعتمد انتاج واستخدام اسلحة شبه نووية مثل قنابل النيوترون وتعزى اسباب اللجوء الى هذا الخيار إلى ان قنابل النيوترون هي وسائل للفتك البشري فحسب وبكونها لا تدمر مدنا وقرى ولا تلوث مناطق شاسعة، ولا تخلق موجات صاعقة ودرجات حرارة عالية ومطر نووي مضيء وتلوثا لاجيال المناطق التى تضرب بها فهذه الاسلحة المشعة المحدودة تصيب السكان والجنود في منطقة محددة ومقلصة ومهما كانت محصنة، وهذا من شأنه ان يقلص الثمن الباهظ فى الرجال والعتاد الذي تدفعه اسرائيل فى حرب مع العرب بوسائل اخرى، غير ان القنبلة النيوترونية تبقى ذروة تطور اسلحة وقذائف الفتك والدمار



التقليدية لكن هذه القنابل لن تظل بدورها بدون رد في الجانب العربي مما يفقدها تأثيرها ومصداقيتها في الردع السياسي والعسكري، فستواجه بحرب بيولوجية وكيماوية من الجانب العربي والتى اطلق عليها بعض الباحثين (**قنابل الفقراء النووية**) وفي اطار الاستعدادات لمثل هذا النوع من الحروب فقد اقتنت اسرائيل حوالي اربعة ملايين من الاقنعة الواقيع من الغاز والتى تكفي للجيش والسكان اليهود طبقا لتصريح ادلى به اسحاق رابين وزير الدفاع الاسرائيلي(٢٥).

■ واستنادا الى تجربة المواجهات العربية الاسرائيلية منذ اكتوبر ١٩٧٣ وحتى غزو لبنان عام ١٩٨٢ فقد اخذ الاستراتيجيون الذين يقع على عاتقهم سبر اغوار المستقبل واستشراف آفاقه واحتمالاته بالدعوة الى ما يسمى بالردع المختلط «اى الحفاظ على قوة ردع نووية الى جانب تفوق نوعي في السلاح التقليدى والذي يعتمد استخدام الاسلحة الدقيقة، والذخيرة الذكية الموجهة والفتاكة والتي تستقر في الهدف بدقة متناهية بوسائل بصرية الكترونية او بواسطة اشعة ليزر حيث يمكن اصابة مراكز القيادة والتوجيه والتموين وتجمعات الجيوش وحسم المعركة اذا ما جرى استخدام عنصر المفاجأة بحذاقة في دقائق بدون تحريك الجيوش، فمن جانب لا تشكل الاسلحة النووية بديلا للجيش التقليدي لدولة مثل اسرائيل تقوم على ارض لا يزال يعيش عليها نصف شعبها الاصلي، وحيازة السلاح النووي لدى كل من حلف وارسو والناتو لم يؤد الى تقليص الجيوش التقليدية على الرغم من انهما لا يخوضان حربا بالسلاح التقليدى ولا يواجهان مثل هذا الاحتمال في ظل توازن الرعب النووي القائم بينهما، ومن جهة اخرى فقد شكلت نتائج حرب لبنان التي واجه فيها جيش اسرائيلي ضخم بضعة مئات من رجال المقاومة الفلسطينية مثالا على مستوى انسحاق القوة التى تحاول تنفيذ هجوم في المعركة الحديثة فالمهمة الهجومية التى حددها الجيش الاسرائيلي في لبنان نفذت في وقت اطول بكثير مما كان مخططا لها(٢٦).

وبرأينا ان الخيار المرجح في اسرائيل راهنا هو خيار الردع النووي التكتيكي بالنظر الى توافقه الاكيد مع واقع وخصائص المرحلة الحالية من الصراع العربى الاسرائيلي وذلك دون ان تتخلى اسرائيل بالتأكيد عن مواصلة السعي نحو خيار الردع النووي الاستراتيجي.

كما ستواصل اسرائيل سياسة الغموض النووي واحاطة برنامجها النووي ومنشآتها بمزيد من التكتم والسرية حيث يجرى تطوير وانتاج عدد من الرؤوس الذرية المصغرة المتفجرة والدقيقة ذات قوة تفجير صغيرة نسبيا تتراوح ما بين (١٥٠-٢٥٠) كيلو طن، اي حوالي ربع قوة القنابل التى القيت على المدن اليابانية، غير انه يجب عدم الاستهانة بالقدرة التدميرية لهذه القنابل فهى قادرة على تدمير الصواريخ الذرية داخل مخابئها الحصينة وتستطيع كل منها ابادة الحياة والمدنية على الارض ابادة تامة، فبامكان هذه القنابل ابادة ما بين (١٥-٣٠) الف شخص في حدود (١٠-٢٠) كم مربع وبما يضمن عدم تأثرها بالاشعاعات الذرية وتساقط الغبار الذري.

كما تواصل اسرائيل برنامجها لتطوير انظمة اطلاق وصواريخ متوسطة المدى وصواريخ مشادة وتطوير سلاح الجو والاحتفاظ بالارض - العمق، وقوة الصد الامامية الكافية لصد اي هجوم برى عربي ، كما تنكب على تصغير رؤوسها النووية لوضعها فى الصواريخ وقذائف المدفعية وربما تستطيع نشر رؤوس نووية متفجرة على متن الطائرات الاستراتيجية وسفن الصواريخ والغواصات القادرة على الحركة والاختفاء وذلك بالنظر الى ملاءمة هذا الخيار لظروف الصراع العربي الاسرائيلي حيث تتداخل خطوط المجابهة وبالنظر الى قرب التجمعات السكانية الاسرائيلية من خطوط المواجهة مع العرب واستحالة وقايتها من خطر الاشعاعات النووية في حال استخدام سلاح نووي استراتيجي.

■ فنحن اذن امام اربعة عناصر متجددة للردع الاسرائيلي، فبالاضافة الى الردع النووي الاستراتيجي هناك الردع النووي التكتيكي وشبه النووي وعنصر الردع القائم على التحسن الجوهري للنوعية التكنولوجية فى سباق التسلح والسلاح الدقيق واستخدام الذخيرة الذكية والموجهة.

الا ان جميع هذه الخيارات تنطوي على تطوير النزاع من اشتباك بالاسلحة التقليدية الى صراع بالسلاح غير التقليدي كما تنطوى ايضا على خطر الابادة للعنصر البشرى طالما ان حادثة عرضية فى البرازيل اثبتت ان مجرد العبث بجهاز تصوير قديم بالاشعة يحتوى على مادة السيزيوم (١٣٧) قد اودى بحياة اربعة اشخاص واصابة (٢٤٧) بالتلوث والاشعاعات الصادرة عن مادة السيزيوم والذي انتشر عبر انحاء مدينة غويانا البرازيلية فى اكتوبر الماضي(١٩٨٧) بعد ان عبث اطفال صغار بجهاز تصوير بالاشعة عثروا عليه ضمن حطام مصلحة خاصة وقع تهديمها منذ سنوات.

هذه الخيارات جميعها حتمية ومتوقعة باعتبارها وليدة شرعية لايديولوجية الدولة الصهيونية المندمجة فى تطور علمي وتقني جرى توظيفه لصالح تحقيق اهدافها التوسعية تلك الايديولوجية التى لم تدع مكانا الا لخيار وحيد فحسب وهو استخدام القوة والحرب من اجل التوسع واستكمال تهويد فلسطين.

■ وتظهر هذه الخيارات بدورها مخاطر ادمان التكنولوجيا فى بيئة عنصرية وتوسعية على السلام والامن الاقليمي والعالمي فى دولة تجهد من اجل توظيف التكنولوجيا المتقدمة على جميع المستويات لردع العالم العربي.

■ انشأت اسرائيل **«سلالم امن»** قبل اللجوء الى التهديد بالسلاح النووي فنظرية الردع النووي الاسرائيلي كانت تميز بين حرب تدميرية او هجوم واسع النطاق حتى **«الخط الاخضر»** يهدد صميم وجود دولة اسرائيل، وبين حرب محدودة على اطراف المناطق المحتلة عام ١٩٦٧، فالردع النووي الذي هو فى طور التبلور فى الفكر الاستراتيجي الاسرائيلي لا يشكل وسيلة لمنع حرب محدودة على اطراف المناطق بقدر ما هو وسيلة للحيلولة دون حرب تدميرية والتوغل الى قلبها الحيوى وراء الخط الاخضر(٢٧)، اي ان هناك خطوطا حمراء يؤدي تجاوزها الى استخدام السلاح النووي، غير ان احتمالات تطور حركة الاستيطان اليهودي للاراضى الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ خلال (١٥-٢٠) سنة وتجذرها مع مرور الزمن والذي تراهن عليه القيادة الصهيونية لجعل سيطرتها على هذه المناطق امرا واقعا ومقبولا على الصعيد العالمي وحيازة اسرائيل لوسائل الردع الاستراتيجى (القنبلة الهيدروجينية) قد تجعل من استخدام الخيار النووي بالنسبة الى «المواجهات العسكرية التى



هي من غير المتوقع ان تشكل خطرا على وجود دولة اسرائيل في حدود عام ١٩٦٧ فى حد ذاته احتمالا قائما فى مثل هذا النوع من المواجهات فى السنوات المقبلة»(٢٨) .

فتوافر العنصر النووي فى ظل حدوث مجابهات عسكرية يبقى احتمالات استخدام هذا السلاح المدمر مفتوحة فى المستقبل فربما يجرى توسيع اطار مبررات استخدام الردع النووى بحيث تشمل التهديد المحتمل لاسرائيل ليس فى حدود ما قبل يونيو ١٩٦٧ ولكن ايضا لوجودها العسكري والاستيطاني فى الاراضي الفلسطينية والعربية المحتلة فى يونيو ١٩٦٧ ، فاذا كان العرب قد اعفوا انفسهم من التخوف من التهديد النووي الاسرائيلي اذا قاتلوها على اطراف هذه الاراضى فان عليهم ان يتوقعوا فى المستقبل حسب «العقيدة الامنية الاسرائيلية المتجددة» ان يتوقعوا استخدام هذا التهديد فى هذه الحالة .

■ وقد اشار شلومو اهرونسون بوضوح الى مثل هذا الاحتمال قائلا بأنه قد تنشأ الحاجة الى تهديد العرب «بالسلاح النووي لا سيما اذا حققوا انجازات اولية كالتى حققوها فى حرب يوم (الغفران) وستكون السيطرة على هذا الوضع امرا صعبا لا سيما اذا وجد السلاح الذري فى الجانب العربى ، وهكذا يحتمل ان تصبح المناطق المأهولة بالعرب والتى تسيطر عليها اسرائيل ، فتيل تفجير لحرب ذرية(٢٩) .

ونسب الى شارون قوله ان «على اسرائيل ان تثير شكا فى قلب العرب بأنها ستضربهم ضربة مهلكة فى الصميم فى اللحظة التى يبادرون فيها الى حرب اية حرب» وقد جاءت حرب شارون فى لبنان من جملة اهداف اخرى لاعطاء مصداقية لهذا الردع الكونى المكثف(٣٠) .

■ وكانت حرب اكتوبر ١٩٧٣ قد طرحت مثل هذا الاحتمال حين نشأ فى اسرائيل فى الايام الاولى لحرب اكتوبر تخوف من احتمال توغل عربى داخل حدود ١٩٤٩ لا سيما بعد التقدم السريع للجيش السورى فى الايام الاولى للحرب نحو طبريا ووقوع منطقة الجليل بكاملها تحت رحمة مدفعيته ، ففى ظل تأخر وصول احتياطي الدروع والصعوبات التى واجهها الطيران الاسرائيلي الذي افقدته الصواريخ المضادة للطائرات تفوقه النوعي والعددي فى الجو، لجأت اسرائيل على الفور الى تزويد صواريخ حربية برؤوس نووية ونصبت هذه الانظمة بصورة مكشوفة فى ذروة الازمة ، في مرتفعات الجولان السورية بناء على تعليمات موشيه دايان وزير الحرب انذاك ، ولكن حين نجح الجيش الاسرائيلي فى صد الجيش السورى وايقاف زحفه بعيدا عن حدود عام ١٩٤٩ انتفت الحاجة الى التهديد النووي .

■ ويشير نوفال نئمان بصدد اللحظات الحرجة او لحظات اليأس التى قد تستدعى استخدام الردع النووى قائلا «فاذا ما بدا فعلا اننا خسرنا الحرب واننا على اية حال سنتعرض للدمار، فمن الجائز ان نصبح على استعداد لاستخدام سلاح نووي والانتحار كما حدث فى مسادا ، وكما حدث فى قلعة يورك وربما اكثر من ذلك كما حدث فى غيتو وارسو(٣١) .

الا ان استخدام السلاح النووي لن يكون الخيار الاخير لدولة محاصرة او على وشك السقوط فحسب، بل ان اسرائيل يمكن ان تلجأ الى استخدامه فى

لحظة شعور غامر بالتفوق ايضا فاستمرار حالة الصراع بين العرب واسرائيل فى ظل ظهور السلاح النووى فى اسرائيل ووصول سباق التسلح التقليدي مع العرب الى طريق مسدود يغري اسرائيل الطرف المتفوق وصاحب المصلحة فى التوسع وقهر العرب واضعافهم بالنزوع الى تهديد خصومه بوسائل غير تقليدية للابقاء على صميم وجودها وتفوقها بذات الوقت.

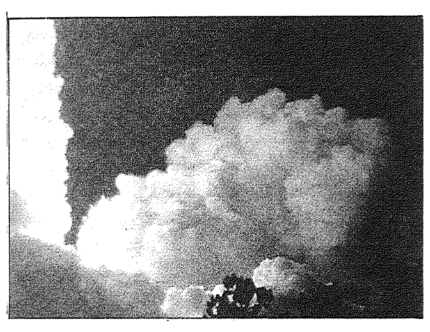
■ وعلى اساس الافتراض المعقول بأن الدول العربية تضع في الاعتبار انه في حالة وجود خطر على الكيان الصهيونى فانه قد يستخدم الخيار النووي، فى حين تضع اسرائيل فى الاعتبار انها لا تستطيع الى ما لا نهاية الصمود فى سباق التسلح التقليدي مع الدول العربية، فان الامر يتطلب استخلاص استنتاجين.. يتعين على العرب ان يعرفوا ان ثمة محاولة القاء عبء على اسرائيل مرتفع بشكل محرم، ويتوجب على اسرائيل ان تعرف انه فى كل مواجهة عسكرية مع العرب ستتضاءل قدرتها على الردع بسلاح تقليدى، وكلما زاد تفوق العرب فى السلاح التقليدى تنظر اسرائيل بالتالى الى الهجوم العربى باعتباره يشكل خطرا على وجودها ويرد احتمال استخدامها للخيار الذري.. ونحن الان فى مرحلة تتضاءل فيها قدرة اسرائيل على الاستمرار في تصعيد سباق التسلح وتتضاءل فيها حدود ذلك بالنسبة الى العرب ايضا(٣٢).

فضرب هيروشيما ونجازاكى فى ٦و٩ اغسطس ١٩٤٥ على التوالى بالقنابل الذرية من قبل الامريكيين لم تكن محاولة لتجربة سلاح جديد فى سكان اليابان الآمنين فحسب او لسحق عدو عجزت الاسلحة التقليدية عن هزيمته بقدر ما كان استعراضا للقوة وتأكيدا للتفوق الاستراتيجي الحاسم فى مجال السلاح غير التقليدي وفى لحظة شعور غامر بالنصر والتفوق العسكري والحضاري والتكنولوجي فى مواجهة القوة الجديدة الصاعدة انذاك والتى ستشكل الخصم الرئيسى لها على الساحة الدولية الامر الذي رد عليه الاتحاد السوفياتى بعد ذلك بأربع سنوات باجراء اول تفجير ذرى عام ١٩٤٩.

■ واذا كانت الحرب النووية لم تحدث حتى الان بين الدولتين الاعظم فلأن الصراع بينهما يدور بالواسطة اى بواسطة شعوب اخرى وعلى اراضي دول أخرى، فلا يوجد احتكاك مباشر بين قواتهما تؤدي الى اشتعال شرارة الحرب كما هو الحال بين العرب واسرائيل، وهما وقد وصلتا الى حالة من توازن الرعب فقد فرض عليهما هذا الواقع وضع اتفاقيات حول «قواعد السلوك» وتقنيات «الاتصال الفورية» التى تمنع حدوث الاحتكاك المباشر، وتمنع ـ ان حدث ـ استخدام الاسلحة الذرية او الهيدروجينية، تدعمها عقلانية واضحة فى الجانبين، هذا الوضع غير متوفر فى الشرق الاوسط فالصراع العربى الاسرائيلي ليس مرشحا على المدى القريب على الاقل للوصول الى نهاية سعيدة، والصراع العسكري المجمد او حالة اللاحرب واللاسلم السائدة لا تعني انتهاء الصراع، هذا علاوة على ان الاحتكاك العربى الاسرائيلى بالسلاح قائم ويومي واسرائيل لديها التفوق العسكرى النوعي، وعوامل التفجير السياسية والتاريخية موجودة وهى تنمو ككرة الثلج، ودرجة العقلانية اقل بها لا يقاس فى الشرق الاوسط، فالسياسة الاسرائيلية تستمد جذورها من المعتقدات الدينية المزعومة والاساطير التاريخية، فالسعار الديني ونزعة التعصب والشعور بالتفوق العنصرى على «الاغيار» يشكل الزيت الذى يغذى آلة الدولة الصهيونية وتدور بفضله وحسب.

■ هذا الواقع العدائي بين العرب واسرائيل هو الذى تغذيه من الناحية الاسرائيلية عوامل سياسية ونفسية لا تنضب تضخها يوميا





الايديولوجيات الصهيونية مقابل عوامل القهر والاحباط التى تتراكم يوميا لدى العرب بفعل النهج العدوانى والعنصرى الغريزى للدولة الصهيونية باعتبارها اكبر «مولدة» للارهاب وفى ظل امتلاك بنية نوييـة متطورة يقود الى التصلب وتصعيد مسار النزاع ولا تترك مجالا للتراجع خاصة فى ظل فقدان تقنيات وقنوات الاتصال بين الجانبين بفعل عدم وجود حل سياسى للصراع العربى الاسرائيلي، فمن بين العناصر الاكثر اهمية فى ميزان الرعب هو وجود خطوط اتصال مباشرة بين الاطراف المتصارعة او المتنافسة الامر الذى لا يمكن توفيره فى الشرق الاوسط فى ظل استمرار الواقع الراهن والذي يحول دون وضع قواعد مشتركة للسلوك تقلص احتمالات استخدام السلاح النووي او تطوير النزاعات بالسلاح التقليدي الى نزاعات نووية «ففى الشرق الاوسط ثمة افتقار الى التجربة على صعيد الاستراتيجية النووية والعداء العميق، الامر الذي سيدفع بالحكومات الى استعدادات اكبر لاستخدام السلاح النووي(٣٣).

فظهور العنصر النووي فى صراع الشرق الاوسط فى ظل فقدان اى امل بالحل السياسي سيزيد من حدة الصراع العربى الاسرائيلي ويجعل مخاطره اكثر بكثير مما كانت عليه فى السابق على الصعيدين المحلي والدولي خاصة وان «السلالم الامنية» التى انشأتها اسرائيل بدأت بالانهيار فعلا مع تقادم الزمن وربما لن تعرف **«العقيدة النووية الاسرائيلية»** خطوطا حمراء لاستخدام السلاح النووي فى المستقبل فى بيئة صراع ساخن وعداء تاريخي وسياسي مستحكم.

ونستنتج من ذلك ان التكنولوجيا النووية فى حد ذاتها ليست عاملا ثوريا لضمان صميم وجود اسرائيل وتحقيق اهدافها التوسعية على المدى البعيد ولا تمثل عاملا ثوريا يخدم **«نظرية الامن الاسرائيلية»**.

ولن يحل الردع النووى الاسرائيلي بمختلف خياراته ومستوياته مشكلات اسرائيل الامنية الاستراتيجية في القرن القادم، هذا علاوة على العواقب المترتبة على سلاح نووي لم يخبر الا مرة واحدة عام **١٩٦٩** مقابل سواحل افريقيا الجنوبية وربما مرة اخرى تحت الارض فى صحراء النقب بقوة تفجير متوسطة، وكما فى الحرب الكلاسيكية كذلك فى

الحرب النووية، فان كسب الحرب لا يمكن الا بتحمل المخاطر والاخذ بزمام المبادرة بالهجوم وحده الامر الذي يستحيل بالمطلق فى وضع اسرائيل امام عالم عربى مترامي الاطراف.

■ ومن هذا المنطلق ايضا فالصعوبات والقيود والعواقب الوخيمة والتي من شأنها ان تحد من استخدام اسرائيل لسلاحها النووي فى حالة اقامة توازن رعب نووي بين العرب واسرائيل ليست قليلة، وستواجه اسرائيل مع بداية القرن القادم مشكلات فى غاية التعقيد، انها مظهر من مظاهر تجليات جدلية الحياة والواقع بكل تعقيداته وعلاقاته وعناصره المتشابكة والمتناقضة.

وستكتشف القيادة الصهيونية كم كان بدون طائل اهدار الطاقات والموارد والوقت لايجاد حلول عسكرية للنزاع، فهى تخرج من مأزق لتجد نفسها تغرق في مأزق اخر أشد رعبا وخطورة، واسرائيل فى واقعها السياسي والجغرافي تحمل فى ذاتها بذور ضعفها وفنائها على المدى البعيد يضفى عليه امتلاكها للسلاح النووي مظهرا مرعبا اذا ما جرى التفكير فيه بروية وموضوعية، فالقنبلة النووية هى اخر وصفة لعلاج مأزق اسرائيل المزمن.

« للبحث صلة »

الهوامش

(١) وجها لوجه، الفريق اول محمد فوزى واللواء طلعت مسلم، مقابلة مع مجلة العربي العدد (٣٣٠) ايار/ مايو ١٩٨٦.

(٢) اريه ناوور يجب عدم التنازل عن مبدأ بيغن يديعوت احرونوت ٣١/ ٣/ ١٩٨٥.

(٣) د. افنير كوهين، محاضر فى الفلسفة بجامعة تل ابيب، اسرائيل والقنبلة الذرية «هارتس» ٢/ ٥/ ١٩٨٦.

(٤) دان مرغليت «العودة الى نظرية بيغن» هارتس ٧/ ٨/ ١٩٨٧.

(٥) بروفيسور يوفال نئمان، عقيد احتياط، وزير سابق للعلوم والتطوير «اسرائيل والردع النووي» معراخوت، العدد ٣٠٨ نيسان/ ابريل ١٩٨٧. (٦) اريه ناوور، مصدر سبق ذكره.

(٧) بروفيسور يوفال نئمان. (٨) بروفيسور يوفال نئمان، سبق ذكره.

(٩) وجها لوجه، الفريق اول محمد فوزي، مصدر سبق ذكره.

(١٠) ستيفن غرين، الانحياز - علاقات امريكا السرية باسرائيل، مؤسسة الدراسات الفلسطينية الطبعة الاولى، نيقوسيا ١٩٨٥ ص١٢٩. (١١) ستيفن غرين، ص١٢٩.

(١٢) The new york Times 18 july 1970

(١٣) شلومو اهرونسون، استاذ فى الجامعة العبرية «استراتيجية اسرائيل النووية، نظرية الامن التقليدية: الافلاس والبديل، على همشمار ٢٩/ ٥/ ١٩٨٥.

(١٤) د. مشير باعيل، معراخوت، تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٩، دان سغير، «سياسة الغموض النووي لاسرائيل - حدود الردع هارتس ١٨/ ١١/ ١٩٨٦.

(١٥) شلومو اهرونسون، مصدر سبق ذكره.

(١٦) اليكس فيشمان «الردع - تغيير ميزان الردع» على همشمار ٢٥/ ٢/ ١٩٨٦.

(١٧) د. افرايم عنبر، محاضر فى العلوم السياسية بجامعة بار - ايلان «الوهم النووى» سكيراه حودشيت، مجلة ضباط الجيش الاسرائيلي، التقرير الشهري، العدد السابع ٣٠/ ٨/ ١٩٨٥.

(١٨) ستيفن غرين، ص١٣٥. (١٩) ستيفن غرين، صص١٦٢، ١٨٧-٢١٥.

(٢٠) من حوار اجرته مع الفريق اول محمد فوزى مجلة المنار الشهرية، السنة الثانية العدد التاسع ايلول - سبتمبر ١٩٨٧.

(٢١) من مقابلة مع اللواء طلعت مسلم الخبير العسكري بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية اجرتها مجلة المنار الشهرية السنة الثانية، العدد التاسع ايلول/ سبتمبر ١٩٨٧.

(٢٢) دان سغير، السلاح النووي وامن اسرائيل، موثوقية الردع الاسرائيلي «هارتس» ١٢/ ٢/ ١٩٨٧.

(٢٣) من مذكرة التفاهم الموقعة بين اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية حول اشتراك اسرائيل فى برنامج الدفاع الاستراتيجي (حرب النجوم) معاريف ٨-٩/ ٥/ ١٩٨٦.

(٢٤) عوديد لوفيتش «حرب الكواكب - التقصير الاسرائيلي -» حوتام (ملحق على همشمار الاسبوعى) ٢١/ ٢/ ١٩٨٦. عوديد لوفيتش «حرب الكواكب - العقد المهدور» حوتام (ملحق على همشمار الاسبوعي) ٢٨/ ٢/ ١٩٨٦. عوديد لوفيتش «حرب الكواكب - المطلوب تحول كبير» حوتام (ملحق على همشمار الاسبوعى) ٧/ ٣/ ١٩٨٦.

(٢٥) من كلمة القاها اسحاق رابين امام تلامذة مدرسة دانمارك فى القدس، هارتس ٢٨/ ١/ ١٩٨٧م.

(٢٦) رؤوبين فدهتسور، المراسل العسكرى لصحيفة هارتس «تحديات البحث والتطوير الامنيين» هارتس ١٢/ ٢/ ١٩٨٦.

(٢٧) شلومو اهرونسون «استراتيجية اسرائيل النووية» على همشمار ٢٤/ ٤/ ١٩٨٥.

(٢٨) الياهو سلبتير «سالت شرق اوسطي» هارتس ١٤/ ٢/ ١٩٨٥.

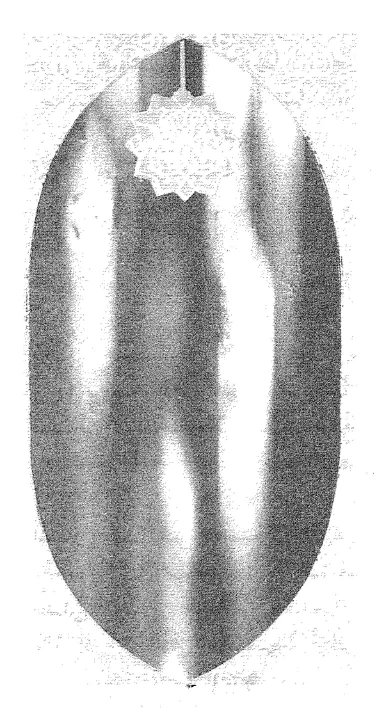
(٢٩) شلومو اهرونسون «بين المراخ والليكود - الردع النووي فى استراتيجية الحزبين» هارتس ١٠/ ٧/ ١٩٨٤.

(٣٠) شلومو اهرونسون «بين المعراخ والليكود.. الجزء الثاني من البحث، هارتس ١١/ ٧/ ١٩٨٤.

(٣١) بروفيسور يوفال نئمان، اسرائيل والردع النووي. (٣٢) الياهو سلبتير.

(٣٣) Robert J. Pranger and Date R. Tahtinen, Nuclear threat in the middle Eost washington, D.C American Enterprise institute, 1973, P.1.5

المختار



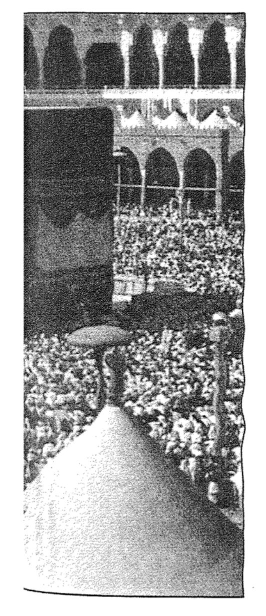
قصائد العدد

العدد ٤٩ صفر ١٤١٠ هـ

المشرف

محمود عارف

يا ربي عفواً



حاضرةَ الدمعةِ ، يا عيني
مأسورَ الحسْرة ، يا قلبي
حيرني أمركما إني
لا أعرف ـ حقاً ـ ما خطبي

* * *

أتألَّمُ أحياناً ، لكنْ
أتساءلُ ، ماذا يُؤلمني ؟؟
أبكي تتعذَّبُ نفسي
ولهيبُ الحسرةِ يحرقُني

* * *

وأظلُّ حزيناً ، لكني
لا أعرفُ أسبابَ جراحِي
قد مَلَّ النَّجمُ مرافقتي
وتأوَّه مني مصباحي

* * *

أسئلةٌ ظلَّتْ في ذهني
ما وجدتْ في النَّفس جوابا
ملَّتني حتى أسئلتي
جعلتني أزدادُ عذابا

* * *

يا دنيا ماذا يجعلني ؟
أتألَّمُ في داخلِ نفسي
أتراكِ قَسَوْتِ على قلبي ؟
أتراكِ مشيْتِ على حِسِّي ؟



فأجـابـتْ ، وعـليـهـا ثـوبٌ
منــسـوجٌ بخُـيُـوطِ الـفِـتَـنِ
لا تنس بأنَّـك فـي زمـنٍ
منطـلـق فاجـرٍ مـع الـزمـنِ

***

لا تنظـر للخـلْـفِ ولـكـن
أنظُـرْ للحـاضِـرِ والآتـي
المـاضـي ولَّـى وبـعـيـدٌ
أن يحيـا مِنْ بَعْـدِ وفـاة

***

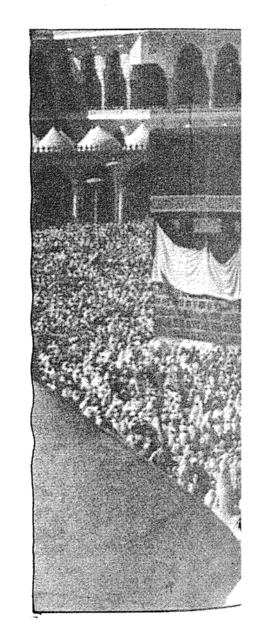
عِشْ عُمْـرَكَ فى أحْـسَـنِ حالٍ
وتمـتَّـعْ ، فالـعُـمـرُ قصـيرُ
لا تَـمْـنَـعْ نَفْـسَـكَ من شيىءٍ
يأتـيـك هنـاء وسُـرُورُ

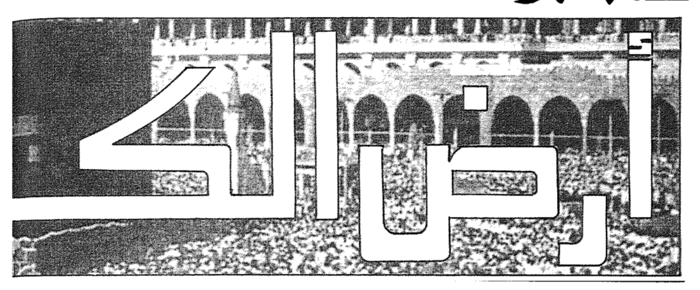
***

وانـســاق فؤادي ، فانـتـفـضـتْ
فـى نفـسـي روحُ الإيـمـانِ
قائـلـة: كذبـتـك الـدُنْـيا
كـم خَدَعـتْ قبـلك ، ذا شأنِ

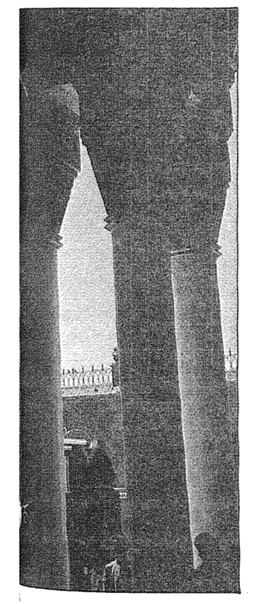
***

وتـيـقَّـظَ حِسِّـي مبـتـهـجـاً
وتَـكَـلَّل بالـفـرحـةِ قلبـي
وغـدوتُ أُردِّدُ ، فِي صـدقٍ
يا ربِّـي عفْـواً يا ربِّـي

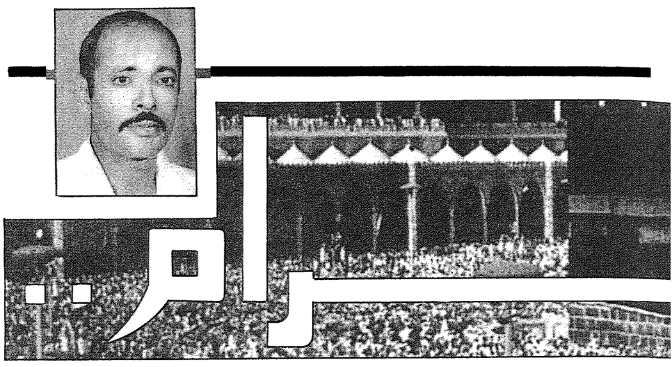


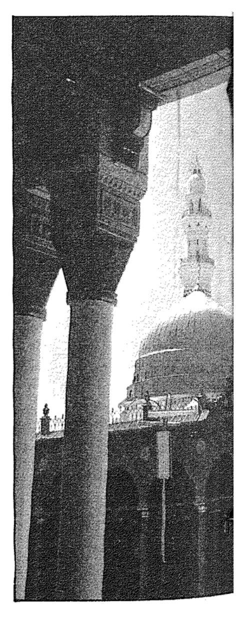


اسماعيل السيد بريك

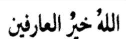


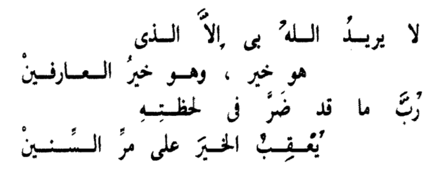
أرضُنا أرضُ الكرامْ
شعبُهَا شعْبُ أمينْ
عاش يدعو للسلامْ
عاش مرفوع الجبين
سائل التاريخَ عنه
منذ آلاف السنين
كم حضاراتٍ بناها
كم أذلَّ المعْتَدِين
أرضُنَا أرضُ الكرامْ
شعبها شعبُ أمينْ
كعبةُ الرحمنِ فيها
قِصةُ المجدِ الدَّفِينْ
يا بُناةَ المجدِ هيًّا
أقسموا أغْلى يمينْ

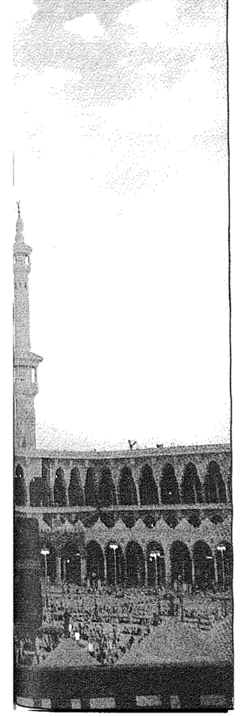




لنْ يمسَّ المـجـدَ منَّـا
طامـعٌ فيـنـا لعـين
سوف نمـضـى للمـعـالـى
فى سِجِـلِّ الخـالـديـن
أرضُنَا أرضُ الكـرام
شعبهـا شعـب أميـن
أرضُـنــا سادتْ وغـنَّـتْ
غنـوةَ الـنـصـرِ المـبـينْ
تُشْـهِـدُ الـدنـيـا بأنَّـا
خير من يحمـي الـعـريـنْ
نحــن دمَّــرنــا الأعــادي
من جنـودِ الطـامـعـين
نحــن أبطــالُ الـبـوادى
نحــن شعــبٌ لا يلين
أرضُنَـا أرض الكـرامْ
شعبهـا شعـبٌ أميـنْ







اللهُ خيرُ العارفين

لا يريدُ اللهُ بى إلاَّ الذى
هو خير ، وهو خيرُ العارفينْ
رُبَّ ما قد ضَرَّ فى لحظتِهِ
يُعْقِبُ الخيرَ على مرِّ السِّنينْ

هلا رحمناه

إنَّ الذين حنوا للظُّلم هامتَهُمْ
لا يعرفون لعزِّ الشَّعْبِ معناه
مَنْ ذَلَّ فى نَفْسِهِ هل يرْتَجى أملاً
فى عزِّ أمَّتهِ؟ هلاَّ رحمناه

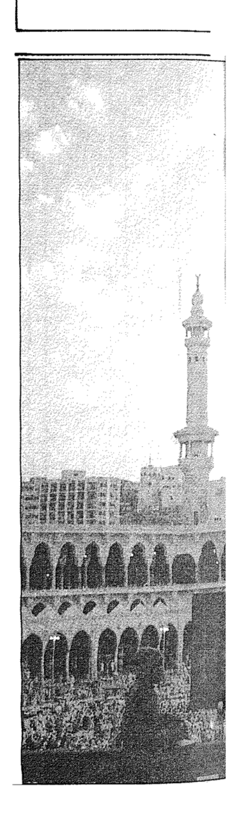
حيرة العقلاء

يحتارُ بين الجدِّ والهزَلِ
قلبٌ على آلامِهِ يغلي
كاد الصوابُ يضيعُ بينهما
ويتوه بين ضياعِهِ عقلي



ـات

ابراهيم فوده



يا صفاء القلوب

يا صفاءَ القلوبِ صبَّرتُ قلبى
من فراغ أحسه لفراقِكِ
أنقذينى من الفراغِ فإنى
لا أحسُّ الحياةَ دون وفاقِكِ

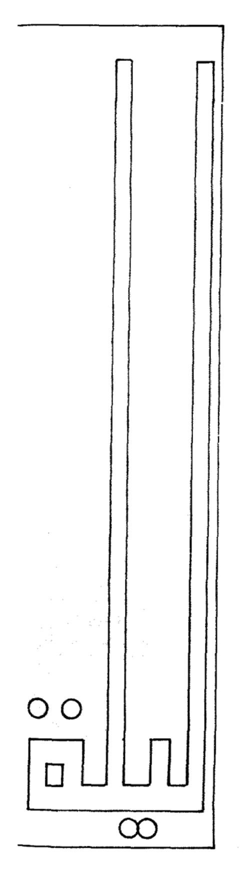
الجمال يشرح الصدر

ليس بينى وبينها أيّ شىء
وهى والله ما رمتْ لي بشىء
غير ان الجمالَ يشرحُ صدرى
ما بدا لي من غير شرٍّ وسوء

إلى عداة النساء

يا عداةَ النساءِ لا مَهْرَبَ العُمر
فان البيوت من صنعهن
هنَّ شرٌّ لابد منه وإنّا
نحن شرٌّ لابد منه لهنّ





هتـفَ الـكـونُ وغـنّـى بِالـنـشيـدِ الـعُـلوى
كلما وقـعـتْ لحنـى ردّد الـفـوجُ صداه
وانـتـشت دنيـا الليـالى بالقصيـد العبقـري
ورنـا «صـنـين» يشـكـو للروابـى ما عراه
أنـفسٌ تصبـو وأرواحُ على الـنـاى الـشّجى
وفؤادى يتـلـظّـى من غرامٍ قد براه
هدهـدتهـا نشـوة المـهـمـوم فى كأسٍ دمـى
الهـوى يا قلبُ بحـرٌ لسـتَ تدرِي مُنْتَـهـاه

* * *

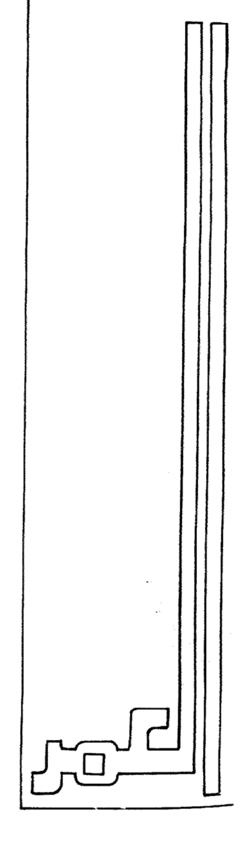
موكـبٌ للحُـور يمـشى فوق هامـات الـزمـان
سامـرُ الحـي دعـانـا والـصبـايـا الخفـراتْ
حولـه الأنـجـمُ طافتْ وشعـاعـاتُ الامـاني
والهـوى العُـذْريِّ فينـا ارقصتـه النغـماتْ
وسـرت فى اثـره رعـشـاتٌ للأغـانـىٍ
يا حبـيـب الـقـلب غن وتـغـنّى يا حيـاة
ثمـل الـنـورُ عليـهـا وزهـورُ الاقـحـوان
مزمـر الشعـرِ شجـاني وشجتني الـذكـريـاتْ

* * *

موكـبٌ من عالمِ الـليـل وأحـلام الـصّبـاح
يا حبيبى طابَ فى الليـل لقـانـا وهـوانـا
رنّـحـتْـهُ نغـماتُ الحـبّ فى كفِّ الـريـاح
وتـلاقـتْ فى دُجـاه بخـشـوعٍ مُقـلتـانـا



احمد خليل عبد الجبار



فجميلٌ فى غدو وجميلٌ فى رواح
نظرة تممها الوجدُ فباحت شفتانا
قبلة الطُّهْر عليه والهوى فوق الوِشاح
يعلمُ العشّاق ما فيها ويدريها بكانا

* * *

موكبٌ للقلب زفتْهُ الأمانى النَّضِرات
ما لهذا الحبّ يا قلبى لا تنضب ماؤه
الدُّنى فيه سكارى والعذارى مرحات
خفِقَ المزمارُ لا يخبو علَى الذكرى نداؤه
رقص العمرُ به وحدا فيه الحداة
كلما الشوقُ تهادى هزّه فى الشوقِ داؤه
وارتمى اللحن فغنَّته القوافى الثائراتْ
ولهُ اخمده اليأس واحياه رجاؤه

* * *

موكب الفرحة والسحر واعراس الليالي
كلّ طيفٍ يتراءى كخيالي فى التمنّي
همهمتْ فيه السواقي وشدتْ فيه الدوالي
يا حبيبى هذه ليلتنا هيّا نُغنيً
ليليّةُ لبنانُ فيها سامر ضاحِي الهلال
انتَ فى فكري احلامي وفى دنياي فني
والزمانُ البكرُ فيه حلمُ طيفٍ من خيالِي
يا حبيبى انْ حُبّي زورقٌ يبعدُ عني

شباب الشيخوخة

وتمـرُّ الأيَّـامُ عجْلى .. فما أعُـرفُ خطْـوى إلاَّ بجهـدٍ جهيـدِ
عَقَّني الشَّيْبُ.. واستطـال فأبقاني قعيداً أشكـو انغلاق وصيدى
بعـد أنْ دلَّـلَ الشَّبـابُ. فقـد كنْتُ به عارمـاً بعـزمٍ شديـد
ناضـراً كالـوُرود تَنْفـحُ بالـعِطـر.. والهـو بمعْصَمٍ وبجيـدِ
كيف ولَّى هذا.. ولم يَبْقَ إلاَّ .. شقْوَةُ العيش وانقِطاعُ الـوَريـدِ

***

إسقِنى أيُّـهـا المشيبُ بكأسٍ .. عافهـا طارفى .. وعَبَّ تليـدى
ذاقهـا القـاعِدونَ قَبْلى عنِ السَّعْى .. بِسِجْنٍ داجٍ وقيْـدٍ حَديدِ
ما الـذى يَصْـنعـونَ والهـرمُ الـرَّاجفُ قد أطْفأ اللظى بالجليـدِ
وأراهُمْ من العـوادى أفـانيـنَ .. بضُـرِّ الونى.. وشَـرِّ الـوَعِيـدِ
فَتهـاووا إلى الحضيضِ .. وقـد كانوا بعالىِ الذُّرى وغالىِ الصعيدِ

***

أهُـوَ الشَّيْبُ من هوى بالمغـاويـر الى الـدَّرْكِ .. فارْتَضَوْا بهوانـه
أم هو الـضعْفُ حين يَعْصِفُ بالحـرِّ .. ويُبْقيـه مُوثَقـاً بجرانـه؟
فيظـل الغَبْـين يَطْـوى بجَنْبيـهِ جراحـاً .. تضـرَّجَتْ بِسِنـانِهْ
وهـو اللَّيْثُ ليس يُقْعِـدُه الـدَّهْـرُ .. ولا ينحنى بطُول زَمـانِهْ
يَتحـدَّى الخُطـوبَ حتى وإنْ جارَتْ عليه. وزَلْـزلَتْ من كيـانـه
هو بالشَّيْبِ والـزَّمـانَـة كالطَّـوْد.. ينـامُ الإعْصـارُ فى أحضـانِهْ
لَمْ يخفْ قطُّ من مرازئـهِ الـكُثْـرُ .. ولـكنْ يخافُ من وُجـدانِـهْ
رُبَّ خُسْـرٍ يخافُهُ الكـادحُ الطَّـاوى.. فيلقى الرَّبـاحَ مِن خُسرانِهْ
ولـقـد يَفْضُـلُ المشِيبُ إذا كان كريـمـاً يَقْتـاتُ من أشْجـانِـهْ
عَهْـدهُ بالـشَّبـابِ إنْ كان لا يُفْـتـنُ إلاَّ بغـيـده ودنـانـه

***

عاتبـتْـنى نَفْسـى فقـد كنتُ غَضْبـانَ لما قد أصـابَنى مِن بلاءِ

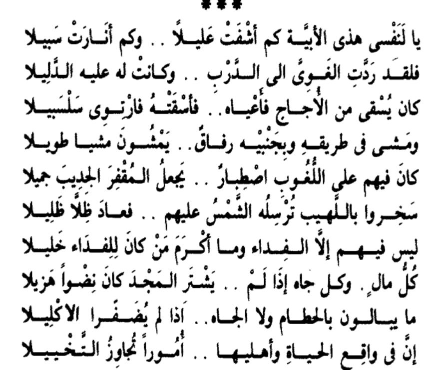




محمد حسن فقى

لِمَ هذا المُراء - يا أيُّها القائلُ هُجْراً - عن شَيْبِكَ الوضاءِ
أنْتَ بالشَّيْب ما انْحَدَرْت الى القاعِ. ولكنْ سموْتَ للجْوزاءِ
وحواليْك مِن رعِيلكَ رَهْطٌ.. نَعِمُوا من حياتِهِمْ بالشتاءِ
إنَّ للصَّيفِ والشتاء التحاماً.. ليس يَنْفَكُّ.. فى دَمِ الأحْياءِ
الجُمانُ النَّفيس أنْتَ .. وما حالَ جُمانٌ غالٍ الى حَصْباءِ
إنَّ هذا تَحَوُّلَ قَطُّ ما صارتْ إليهِ طبيعةُ الاشياءِ
فانْطَلِقْ للسَّمواتِ أنْتَ وأتْرابُكَ.. للسعى فى رحاب السَّماءِ
كي تَعودَ الحياةُ فى هذه الأرْضِ .. بلا ذِلَّةٍ ولا بأساءِ
يَرْتَوى من فُراتِها العَذْبِ مِن دُونِ ذِيادٍ عنه جميعُ الظِّماء

* * *



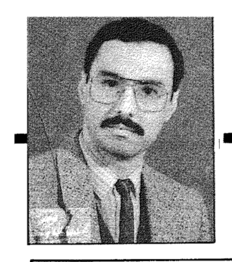
يا لَنَفْسى هذى الأبِيَّة كم أشْفَتْ عَليلاً .. وكم أنارَتْ سَبيلا
فلقد رَدَّتِ الغَوىَّ الى الدَّرْبِ .. وكانتْ له عليه الدَّليلا
كان يُسْقى من الأُجاج فأعْياه.. فأسْقَتْهُ فارْتوى سَلْسَبيلا
ومَشى فى طريقهِ وبِجَنْبَيْه رفاقٌ.. يَمْشُونَ مشيا طويلا
كانَ فيهم على اللُّغوبِ اصْطِبارٌ .. يَجعلُ المُقْفِرَ الجديبَ جميلا
سَخِروا باللَّهيب تُرْسِله الشَّمْسُ عليهم .. فعادَ ظِلاً ظَليلا
ليس فيهم إلاَّ الفِداء وما أكْرَمَ مَنْ كانَ لِلفِداء خَليلا
كُلُّ مالٍ. وكل جاه إذا لَمْ .. يَشْتَرِ المَجْدَ كانَ نِضْواً هَزيلا
ما يبالون بالحطام ولا الجاه.. اذا لم يُضَفِّرا الاكْليلا
إنَّ فى واقِع الحياةِ وأهليها .. أُموراً تُجاوِزُ التَّخْييلا

* * *

وأراني مُكَبَّلاً بالمقاديرِ .. فما لى حَوْلٌ ولا لى انْطِلاقُ
اتمنَّى انعتاقَ رُوحى.. وما أقْوى عليه .. وعَزَّنى الإنْعِتاقُ
ليس لى فى الوِصالِ رَأىٌ .. فلا كانَ وِصالٌ يَسُومُنى وفراقُ
رُبَّما كانَ فى المَحاقِ تمامٌ .. دُونَ عِلْمى .. وفى التَّمامِ مَحاقُ

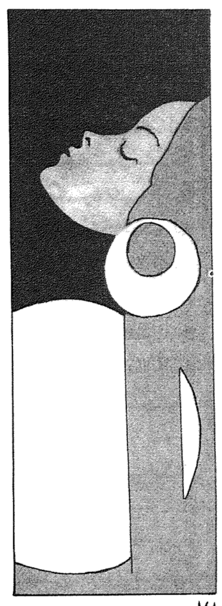






نداء الحب

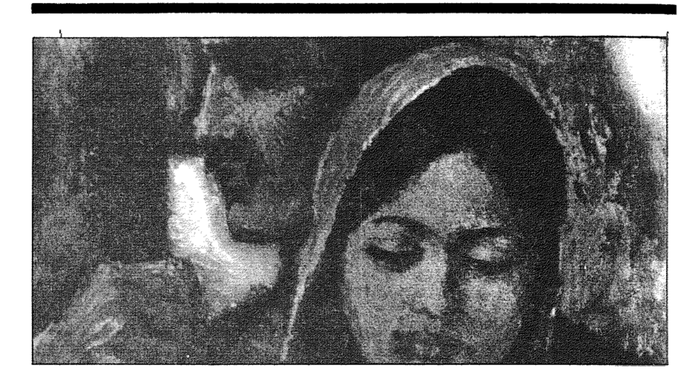
شعر: لطفي عز الدين



حبيبي .. يا رفيق العمر .. يا قيثار أنغامِي
ويا أحلى أبتساماتٍ بدتْ فى ثغر أيامِي
ويا وحيي وإلهامِي .. ويا أحلامَ أحلامِي

***

حبيبي .. عُدْ مع الفجر .. إلى الأغصانِ .. للظلِّ
لتسمع من شفاه الزهر قصَّتهُ مع الليلِ
وتبْصر فوق وجنته بِقايا قبلةِ الطلِّ
حبيبي .. قد فرشتُ العشَّ بالريحانِ والزنْبَقْ
وهذا العشّ تكسوه عواطفُ ـ قبلِ ـ لم تُخلقْ
فحلّقْ ـ قد مضى زمنٌ ـ وقلبُ العش لم يخفقْ
حبيبي .. عشنا ناداك يا طير المنى أقبلْ
وضمّ لصدركَ الأغصان .. والأوراق واستقبلْ
خيوط النّور يغزلها جمال صباحنا المقبلْ
حبيبي .. يا حبيب الرّوح .. رجِّع لي الحكاياتِ
فبي شوقٌ إلى الاصغاء .. فى ليل الصّباباتِ
لما تحكيه عن ماضٍ .. وما ترجوه من آتِ





د. أحمد عبد القادر المهندس
الرياض

كنتَ فجراً ضاحكاً بل كنتَ إعصاراً قويا
كنتَ شوقاً كنتَ حباً وحبيباً عبقريا
كنت لحناً يملأ الآفاق باللحنِ شجيا
كنتَ عصفوراً يغني يذرعُ الأجواء طيا
أيها العصفور هيا نملأ الكأس هنيا

***

أيها الفجرُ تبسّم أيها الاعصارُ دمدمْ
أيها الشوقُ ترنّم ، أيها الحبُ تكلمْ
أيها العصفورُ ترجم كلَّ شيء يترنمْ
بسمةُ الحبّ دواء لحبيب كان مغرمْ
قلبُهُ أضحى هشيماً كلّ ما فيه تحطمْ
دلَّهُ بالله واعلم أنَّ قلبي يَتألَّمْ
واسقه كأساً لذيذاً من نعيم الحب يسلمْ



المُغْرَم الصَّبّ

حلفتُ بأعلامِ المُحَصَّب(1) من منىً
وما ضمَّ ذاك القاعُ والمنزل الرَّحبُ

وكُلٍّ بجاويٍّ(2) يجرُّ زمامَهُ
إذا ما تراخت فى أزِمَّتها النُّجبُ

وترجيع أصواتِ الحجيجِ وقد بدا
وقورِ النَّواحى تستبدُّ به الحُجْبُ

وروعةِ يوم النحر والهدي(3) حائرٌ
وكلٍّ دمٍ أودى بِجُمَّتِه الركبُ

لقد جلَّ ما بينى وبينك عن قلىً
سواء تناءى(4) البُعْدُ أو بَعدَ القُرْبُ

ولي دمعُ عينٍ لا يُرنِّق(5) ساعة
ونارُ غرامٍ بين جَنبيَّ لا تخبو

وقلب يمور(6) الطرف إنْ قرَّ فى الحشا
وطرف إذا سكَّنته نَفَرَ القلبُ

وجسمٌ إذا جردته من قميصه
على الناسِ قالوا هكذا يفعل الحبُ

فمالي على ما بى أُعنَّفُ فى الهوى
ويَرْمِضُني العذل المُؤرِّق والعَتْبُ؟

على حين أعطيكَ الوفاء مَصرّحاً
وأصفيك محضَ الوُدّ ما عظُمَ الخَطْبُ



ـــبّ

وكـــنــتُ إذا فارقــتُ دارَك ساعــةً
صمــتٌ فلا جِدٌ لديّ ولا لعــبُ
ألا ليــت شِعْــري هل أبــيــتَــنّ ليــلةً
بميثــاء[7] يلطى[8] فى أبــاطحــهــا الــتُّربُ؟
تطــرَّقــهــا[9] ماء الــغــمام ودرَّجــتْ
بها الــريــحُ مُخضــرًا كما نُشِــرَ الــعَــصْــبُ
وهــل أذْعــرِن قلب الظــلام بفــتــيــةٍ
تَهادَى بهم قُودُ الــســوالــف[10] أو قُبُّ[11]؟
وهــل أرِدنْ ماء وردنــا بمــثــلــه
جميــعــاً وفى غصــن الهــوى وَرَقٌ رَطْــبُ
وهــل لى بدارٍ أنــت فيــهــا إقــامــة
فأَنشــر ما تطــوِى الــرســائــل والــكــتــب؟
سلوتُ المــعــالي إن سلوتُــك ساعــةً
ومــا أنــا إلا مغــرمٌ بالــعُــلَى صَبُّ

---

(١) المحصَّب: موضع رمى الجمار بمنى
(٢) النوق البجاوية: من بجاوة وهى ارض النوبة
(٣) الهدى من الابل: اول رعيل منها.
(٤) فى الاصول تدانى والصواب ما اثبتناه لان السياق لا يقبل غيره.
(٥) يرنق: يكدر
(٦) يمور: يضطرب
(٧) ميثاء: الارض السهلة.
(٨) يلطى: يلزق
(٩) تطرقها: اصابها, درج بمعنى طوى، والعصب ضرب من برود اليمن وقيل هى برود مخططة.
(١٠) قود جمع اقود وهو الشديد العنق. والسوالف ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط الى قلت الترقوة
(١١) قب جمع اقب الذى مؤنثه قبّاء وهى الدقيقة الخصر الضامرة البطن.
(*) القصيدة من كتاب (نسيب الشريف الرضى) جمع وتحقيق وشرح وخط الدكتورة عاتكة الخزرجى.

المشتار

أسطر في الشعر


نظرات فى قصائد المشتار لشهر محرم ١٤١٠هـ

فاروق صالح باسلامة

●● فى هذا العدد من المنهل يضم «المشتار» فى طياته عدة قصائد شعرية ذات توجه إيمانى وآخر اجتماعى من البيئة العربية الأصيلة التى طهرها الاسلام منذ اربعة عشر قرناً من الزمان . . ولعل قصيدة «**عبرة من الهجرة**» للشاعر احمد فهمى خطاب تجسد هذا المعنى يوم هاجر الرسول ﴿ﷺ﴾ مكة إلى المدينة وطيبة الطيبة . . هذه القصيدة تعبر بالايمان عن توجه الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ لبناء دولة الاسلام الكبرى بعد أن صدع بالدعوة فى مكة ولقى في ذلك العنت والاذى الشديدين، لكن شاعرنا لا يصور هذا ويقف فى محله بل راح يصور الوضع الجاهلى المتردى فى مكة معبراً فى ذلك عن الناحية الدينية والاجتماعية . فالاوثان منتشرة والمجتمع يكفى ان يوصف بالجاهلية والداخلون فى الدين مستضعفون . عندها انسجم امر الهجرة الكريمة مع متطلبات المرحلة التى يمر بها النبى الكريم فى دعوته وبنائه الدولة الاسلامية .

الشاعر هنا وفق فى تصوير الهجرة ويمضى فى وصفها واهميتها بالغا فى ذلك غاية النجاح . . ولعل من علائم ذلك تصوير الشاعر لتمام انشاء الدولة الاسلامية وكيف عاد الرسول الكريم الى مكة بعد استتباب أمر دولته فى المدينة المنورة ليفتحها داعياً إلى الله سبحانه واستمع معي الى هذه الابيات لتصوير تلك العملية الايمانية التى طبقها الرسول الكريم تنفيذاً لأمر الله جل وعلا :

هجرَ الرسولُ محمدٌ أمَّ القرى
لما رأى فيها الضلال مسيطرا
قد راح ينشر دينَهُ من يثرب
حتى يقوم . . كما أريد ودبرا
فأعد جيشاً لاجباً متمرساً
ضم النصير ومن اتى مستنصرا

***

الله أكبر حان يا أم القرى
عود الحبيب الى الحبيب مظفرا
عاد المهاجر آزرا ومؤزرا
ومضى لمكة فاتحا ومحررا
وأتاه نصر الله والفتح الذى
قد كان حلماً صار صبحاً مسفرا

■ وهى ابيات مختارة من القصيدة أردت بها الاختصار ليمضى القارىء الى القصيدة التى سبق ان قرأها كما يتذكر.

● أما الشاعر ابراهيم خليل العلاف ففي قصيدته «القيامة» يتنبأ بمجيء الساعة الكبرى بعد ظهور علاماتها الصغرى كما يقول ولم يبق على ظهورها سوى العلامات الكبرى «فالجوع» و«المرض» و«الفساد» و«الاجرام» و«الفقر» و«جمع المال» و«الطمع» و«الجشع» علامات كثيرة تنبيء عن قيام الساعة بين عشية وضحاها: وكلها بادية واضحة في هذا الزمن من يوم الناس في مشارق الارض ومغاربها: فهو يريد ان تصحو أمته من سباتها لعلها تعي المستقبل الذى أضحى قاب قوسين أو أدنى.

■ أما قصيدة «من اناشيد الحكمة» للشاعر يس الفيل فهى تتناول فكرة حياتية قد يصطدم بها كثير من الناس، فالليالي والأيام قد تترصد إنسانا ما فتوقعه في شباكها وتجعله يترنح وجعاً وألما نفسيين ولا يستطيع هذا الانسان مقاومة أو حراكاً والشاعر يأتي ليعالج القضية بحكمة عقلية فيقول مخاطباً هذا الانسان ليصبره ويواسيه:

لا تبتئس، وتسلّح
بكبرياء الحليمْ
واصبر .. لعل نهاراً
يلوح خلف السّديم
يمد ألفَ شعاع
الى الظلام المقيم

■ ولا يكتفي الشاعر يس الفيل بهذه المواساة للانسان البائس، بل اننا نجده يشد من عضده ويشجعه قائلاً بقافية جديدة:

فسِرْ على الأرض هوناً
واعزفْ نشيد السلام
وازرع مشاتِلَ حبٍّ
تخضر بين الأنام
يظل ذكرك فيها
لألف عام وعام

■ ونأتي الى قصيدة اخرى في المشتار لنجد الشاعر ابراهيم أمين فودة يخاطب ربة الدار قائلاً:

يا ربة الدار هل في الدار من متع
بلا جوارك؟ كلا ربة الدار
الدار ـ دونك ـ قفر، والديار بلا
روح ولا النيل يروى غلة الجار

■ وعلى هذه الوتيرة يمضى الشاعر الفودة سائلا ربة الدار الاطمئنان والوفاق والاستقرار لعله يهدأ ولا يكون غريباً عندها: أو بمعنى آخر يعرض الشاعر حبه لصاحبة الدار قائلاً:

ما باعد اللّهُ أكباداً مؤلفة
بالحبِّ لو سبحت ما بين أمصار
نهر المحبة مجراها، ومركبها
فلكٌ من الله سواه بمقدار

■ ولكن مهما يكن فشاعرنا قوى الارادة مُفْعم قلبه بالايمان، راض بما قسمه الله له ازاء هذه الدار وربتها ليقرر في آخر قصيدته انه مؤمن.. راض بكل شيء مهما تخلل ذلك التعب والنصب:

غيث السماء له ري وتحلية
تعب منه نمير الحب أشعاري

■ والشاعر أحمد خليل عبد الجبار له قصيدتان في المشتار أولاهما بعنوان (أتحبنى) وهى غزلية والاخرى بعنوان (توديع لبنان) التى لا تخلو هى الاخرى من الغزل والنسيب.. والشاعر في قصيدته الأولى يعبر عن تساؤلات محبوبته التى لا تكاد تصدق انه يحبها ـ وهنا يهتبل الشاعر هذه الفرصة ليجيب محبوبته على جميع تساؤلاتها:

سألتْ سؤال تدللٍ : أتحبني
فأجبتها : الله أعلم لا سواه
وهمست في آذانها
لحناً تململ في الشفاه
انا قد عشقتُكِ إذ تفتـ
ـتح فيك برعومُ الحياه

■ وعلى هذه الوتيرة يمضى الشاعر احمد عبد الجبار في سكب حبه وبث لوعته لمحبوبته:

المشتار

أسطر في الشعر

إن كنتِ سائلتي هواي
فهاك من شعري دليل
هو نفحةُ الآلام من
روحي ومن قلبي العليل
فترفقي بشواردٍ
هي كل ما عندي خليل
واذا أتتك فباركي
منها دموعاً قد تسيل

■ اما في قصيدته وهو يودع لبنان الحب والجمال فيؤكد الشاعر عبد الجبار على حبه الذى لا ينسى للبنان ؛ ذلك انه عايش الجمال في لبنان من قبل مجيء نار الحرب التى قضت على الاخضر واليابس هناك. ويعدد الشاعر هنا ذكرياته فى سماء لبنان وأرضها :

لى ذكريات لو أبوح بسرها
يجف الزمان وتزهق الاصباح

■ ليقول بعدها مودعاً باكياً :

لبنان يا أحلى غناء فى فمى
وأعز سلوى للحياة تتاح
لبنان يا ذكراى صفت لها الرؤى
أرجوحة يسرى بها الملاح

■ ومثل جمال لبنان أو بفارق بسيط يأتي الشاعر محمد احمد العقيلى يصور لقراء المنهل جمال سان فرانسسكو فى أمريكا انه يصورها لا تصويراً شاعرياً وانما يصورها تصويراً فنياً شاعريا معا. وقد انبهر العقيلى بسان فرانسسكو لأنه يزورها اول مرة وهى مدينة تستحق وصف الشاعر لها بقوله :

ارضٌ موشاة بالأزهار مفعمةٌ
بالورد والنورِ، يعبق نشرها العاطرْ
نهارها وهجُ أفراح مخضلةٍ
ظلالها، ومساها بهجةُ السامرْ

■ وشاهد بنفسك أخي القارىء هذه المدينة الجميلة في وصف الشاعر لأنه قد كال لها الكيل الكثير الكريم وصفاً وتناولا وتقسيماً وتعبيراً جميلاً قادراً على الأسر والحب. وهاك صورة من بعض الجوانب لهذه المدينة التى صورها الشاعر العقيلى بقوله :

وربوة تستحّم الشمس لاهية
فى شطها ويغنى موجها الكاسرْ
والشمس تحضنها والبدر يلثمها
والشهب تسبح فى تيارها الزاخرْ

■ واخيرا نأتي لآخر قصيدة فى مشتارنا العذب الجميل ألا وهى قصيدة (من بغداد) للشاعر الدكتور ابراهيم السامرائي . والشاعر السامرائي يقتفى فى تعبيره الشعرى عن بغداد آثار شعراء العرب القدامى خاصة فى المقدمات الطللية فهو يبدأ قصيدته بقوله :

ضُيِّعْتُ بين «البان» و«العلم»
وقبستُ من أثرٍ ونضحِ دمِ
وجعلتُ «منعرج اللوى» عدة
ووهبتُهُ قلبي فضجّ فمي

■ ولعل هذه القصيدة فى المشتار هى بيت القصيد كما يقولون للسهولة التصويرية التى جعلها الشاعر فى قصيدته وحسن تناوله وسرعته الخاطفة فى هذا التناول وهو ترشيح شخصى منى وللقراء أن يحكموا بنظراتهم النقدية فقد يخالفونى وعندها قد نتفق أو لانتفق .

ندوة الشهر



الحلقة الأخيرة

النضال.. ودوره في الحركة الأدبيّة والثقافيّة

كل شهر
موضوع جديد
وتطلع جديد . .
وشراع يعبر أعماق
أمتنا العربية
والاسلامية
يستقرىء ماضيها
ويعيش حاضرها
ويتطلع الى
مستقبلها

الندوة من اعداد ومشاركة
الدكتور علي جواد الطاهر

الأدب، كان ولا يزال الشعلة المتقدة في ضمير الأمم . . وبخاصة الأمة التي يمر تاريخها بكثير من المداخلات السياسية والاجتماعية وبكثير من التحولات في عدد من مناحي حياتها . . ويظل شعر الملاحم النضالية عالقاً في قلوب أفراد الأمة . . فالنضال ضد المستعمر الغاشم وضد الظلم والبغي، وضد مصادرة الحريات . . والادب بأنواعه يظل يحمل لواء المدافعة لاسترداد الحقوق لأهلها، لا سيما الشعر بخاصة.

العراق الشقيق ـ كغيره من البلدان العربية ـ مرّ عبر تاريخه الحديث بالعديد من أوجه الغزو والاعتداء من قبل العثمانيين والاتراك والاستعمار الانجليزي مما أشعل فيه جذوة الجهاد والدفاع والنضال لاسترداد حقوقه والابقاء على وحدته . . وما كان في العراق كان في غيره من البلدان العربية من غير شك.

ولا شك أن الادب بكل انواعه واشكاله وبخاصة الشعر قد كان الحادي والرقيب في حركة النضال تلك بل المؤثر فعلاً في توجهها ورفع حرارتها.

ومن هنا جاء محور هذه الندوة (حركة النضال . . ودورها في البنية الادبية).

ويسعد المنهل ان تعقد هذه الندوة في العراق الشقيق استطلاعاً لآراء بعض الأساتذة العلماء الادباء والمفكرين في هذا القطر الشقيق.

● جاءت أحداث (الخمسينات) حافزا لارتباط الشعر الحرّ بقضايا المجتمع وأحداثه الكـ

● من المعالم الواضحة فى قصيدة الشعر الحرّ كسرها لحدود الأغراض الشعرية السائدة، حيث تعالج القصـ

● نضوج مستوى قصيدة الحرب مع قصيدة المواجهة التى تلاحق الحدث المباشر أهّلها لتلاحق كفاح الانسـ

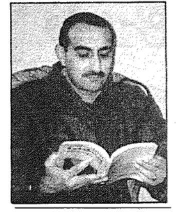
● فى مرحلة الستينات لم يكن لدى القاص فهم واضح للقصة النضالية أو للنضال فى القصة .. وذلك نتيجـ

الشعر الحر .. وقضايا المجتمع

المهل فى التدرج التاريخى لحركة الشعر بخاصة والأدب بعامة، جاء الشعر الحرّ ليؤكد دوره الفاعل فى قضايا المجتمع وأحداثه الكبرى مع الاحتفاظ التام بمزاياه الفنية فى التعبير والصورة، وشكل البنية الاساسية له كقيمة فنية.. ومواصلة وارتباطاً بمعطيات هذه الندوة، فإننا نأمل أن يتناول الحديث دور هذا القطاع الهام فى الاداء الشعرى؟

الأستاذ حاتم الصكر:

ارتبط الشعر الحديث الحر فى العراق بنتائج الحرب العالمية الثانية وقد تبع هذه الحرب بسنوات حدثان مهمان هما وثبة كانون ١٩٤٨ وتقسيم فلسطين فى العام نفسه.



حاتم الصكر

ثم جاءت أحداث عام ١٩٥٢ و١٩٥٦ و١٩٥٨ حافزاً لتأكيد ارتباط الشعر الحر بقضايا المجتمع وأحداثه الكبرى مع محاولة الا يخسر مزاياه الفنية.

■ لقد اصبحت الأحداث الوطنية والقومية موضوعاً للشعر (إضافة إلى مواجهة الاستعمار وأذنابه من المتسلطين: نصرة ثورة الجزائر واستنكار الغزو الأجنبى لمصر فيما عرف بالعدوان الثلاثى).

■ بل كان طريفاً أن تحاول نازك الملائكة فى قصيدتها الحرة الأولى تصوير الطاعون الذى اجتاح مصر - قصيدة الكوليرا - وأن يكتب السياب مطولته الشهيرة (بور سعيد) فى شجب العدوان الثلاثى على مصر كما يرصد البياتى كثيراً من أحداث الأمة كتقسيم فلسطين (الملجأ العشرون) وأن يكتب الشعراء المحدثون فى نصرة الجزائر.

■ لقد كانت تلك الأحداث جزءاً من (قضية) وليس (موضوعاً) عاما كالحرية والاستقلال والسيادة الوطنية كما هو سائد فى الاربعينيات. إن الموضوعات تتحدد مع هذا الشعر الحديث وتتخذ جوانب لم يألفها الشعر السائد - التقليدى - فالشاعر الحديث بوعيه المتكون سياسياً ووطنياً يلتفت إلى جوانب اجتماعية معمقة كان الشعر فيما مضى لا يلتفت إليها إلا عابراً.

■ ومن أبرز تلك المشكلات: الاقطاع والحريات .. عموماً.

ويكسب الشعر الحديث قواعده المتينة مستنداً إلى ازدهار حالة التعليم فى العراق وانتشار المدارس والكليات والنشاط الثقافى فى الصحافة الوطنية، إلى جانب

ـبرى، قومية ووطنية على مستوى الساحة العربية.

ـيلة الواحدة مجموعة موضوعات سياسية واجتماعية واقتصادية.

ـان اليومي في حياته اليومية، وأصبحت أوجه الحياة كلها (كفاحاً).

ـة لتيارات العبث واللامعقول بعيداً عن محاور الابداع الاساسية.

انتفاضات الشعب العراقي ضد الأحلاف الاستعمارية والظلم الاجتماعي والتخلف. كما كانوا يتصدرون الصفوف في المعارضة الوطنية. وفي إرساء التقاليد الثورية الجديدة وأبرزها الانفتاح الانساني على ثقافات العالم وفنونه من جهة؛ والانفتاح على مجالات الفنون نفسها. فكان الشعراء يقربون المسافة بين الرسم والشعر والقصة والمقالة والمسرح.

وصاحب هذا الانفتاح؛ انفتاح آخر؛ داخلي يخص المضامين التي تتناولها قصائد الشعراء. فهم يكسرون حدود الأغراض الشعرية فتراهم في قصيدة سياسية يعالجون موضوعات اجتماعية أو فكرية وقد يكتبون قصيدة اجتماعية فيتحدثون عن الثروات النفطية المهدورة والطاقات غير المستثمرة.

■ وتقدم قصيدة السياب (المومس العمياء) المكتوبة عام ١٩٥٤ مثالا حياً فهو الى جانب عنايته بالشكل الفني والاستفادة من فن القصة (إذ وضع لقصيدته الطويلة هذه بطلة ذات اسم وأوصاف وعلاقات) أراد أن يعرض من خلالها لعدة موضوعات أبرزها:

● جناية الاستعمار وأذناب المحتلين على الوطن.

● سوء النظام الاقطاعي ونزعته غير الانسانية.

● القهر والتخلف اللذان يعيشهما



د. الطاهر ـ الصكر ـ النصير ـ حوري الركابي

ازدهار الترجمة والنقل عن اللغات الأجنبية.

بل ان تأمل مصطلح الشعر الحر يشي بالرغبة في الانعتاق والانطلاق مما ينعكس عن رغبة صادقة في الحرية وتغيير مسار الحياة.

■ وقد ترسخ هذا الاتجاه التحرري بما دار حول الشعر الحديث نفسه من نقاش وجدال يمكن للمراجع الآن أن يعدها أجواء تُفتّح ضرورية لنقل المجتمع في الجانب الثقافي ـ لا الشعري فحسب ـ إلى حالة جديدة.

●● ومن حيث المغزى أو المضامين كان الشعر الحر أداة لإشاعة مفاهيم الحرية والتقدم والسلام والعلم والوحدة والانسانية. ولعل هذه من المهام النضالية التي حققها الشعر الحديث بنجاح فهذا عامل إشعاع يصل تأثيره الى الاقطار العربية الاخرى.

●● وكما كان شعراء ثورة العشرين هم من الثوار ومن المتقدمين في الصفوف الأولى للثورة؛ كذلك كان كثير من شعراء التجديد في العراق يساهمون فعلياً في

● فن القصة يتطلب مراقبة وتدقيقاً وتأملاً ومعاصرة للأحداث.

● فى خدمته للقضية النضالية نجد الشعر الحرّ يستعيد صور التراث الشعرى القديم.

● الهم الوطنى والقومى والانسانى يمثل الخطوط الرئيسية لفن القصة.

الانسان فى الريف.

● استلاب المرأة وظلمها.

● العيش بطريقة غير كريمة (البقاء) وما يجره على الانسان من ذل.

● الثروات النفطية المهدورة التى لم تؤمم فى حينها.

● المغزى الانسانى الأعم فى تقسيم حظوظ الناس.

■ ولعله يقحم بعض هذه المفردات ويجعل (المومس العمياء) تتحدث بها لا يمكن أن يسمح به وعيها إلا أنه فى النهاية يريد أن يعبر من خلالها عن أبرز ما يهم جيله من قضايا.

■ وهو يلخص مشكلة استغلال النفط العراقى من الأجانب قبل الثورة فى قوله.

ويح العراق أكان عدلاً فيه أنك تدفعين
سهاد مُقلتَك الضريرة
ثمنا لملء يديك زيتاً من منابعه الغزيرة
كى يثمر المصباح بالنور الذى لا تبصرين؟

●● وفى (حفّار القبور) يناقش السياب موضوعات أخرى من خلال مهنة حفار القبور الذى لابد أن يعيش من حيث يموت الآخرون.

وهنا يطرح السياب موضوع الحروب والدمار الذى تلحقه بالشعوب إن هى قامت على غير وجه من طلب الاستقلال أو الحرية.

●● ويعرض لموضوع التفاوت الاجتماعى والانقسام فى حظوظ الناس من الرزق وفرص العيش. وهذه ميزة نجدها فى غالب شعر الرواد (**نازك ـ السياب ـ شاذل طاقه ـ البياتي**).

■ اما الصلة بالتراث؛ صلة صحية فهى مجال تأكيد لما يطرح الشعر الحديث من قيم ثورية تتصل بماضى الشعب ونتاج عقله عبر العصور. فالشعر الحديث لا يرى التراث خزانة مقفلة؛ بل هو معين ثر لاستلام التجارب وإغناء حياة الشعب بالدروس وهذا الأمر يؤكده مفهوم (التضمين) الذى تطور فى الشعر الحديث حتى صار جزءاً من تقنيات القصيدة الحديثة. وسنجد فى شعر الرواد عندنا ومَنْ تلاهم استعارات ورموزاً وتضمينات من عيون الشعر العربى كما راجعه الشعراء بأنفسهم.

والسياب هنا كذلك سيكون مثالنا.. ففى كثير من قصائده يستعيد صور التراث الشعرى. ولا يخفى ما يربطه بأبى تمام خاصة من وشائج فنية وفى (بور سعيد) إذ ينتصر لصمود شعب مصر بوجه العدوان الثلاثى يستعير من بائية أبى تمام أشد الأبيات حماسة وثورية.

المخاض الجماهيرى

■ وفى اطار الشعر الحر وتأكيد دوره فى حركة النضال يقول:

الأستاذ ياسين النصير:

لم تكن مرحلة الخمسينات التى نضج السياب فيها مقفلة عليه فهناك شعراء عديدون وهناك مظاهر فكر وممارسة نضالية متميزة والمرحلة تعج بالجديد، وحبلى بالمؤهلات فهى مرحلة النضج الثورى حيث التكامل فى الوعى، والدقه فى الممارسة السياسية والوضوح فى الطرح والوفاق والاتفاق بين الاحزاب الوطنية.. ولذلك تحولت مرحلة الخمسينات الى مخاض جماهيرى اسهم فى بلورة وعى متكامل وعلى مختلف الانشطة الثقافية والفكرية جعلت

من المجتمع العراقى مجتمعا مهيئا يلد الجديد والجديد المتميز.

ومع السياب كان هناك البريكان وهو شاعر مطبوع



ياسين النصير

نضالى، قصائده اعمق واسلوبه هادىء معبر عن معاناة مناضل مكافح، الشعر عنده لغة عالية فى السياسة. وبعد مرحلة السياب، تجد شعراء عديدين يستخرجون من محن الشعب موضوعاتهم ومن مشكلات الناس افكارهم. ومنهم: سعدى يوسف، ومحمد سعيد العطار ورشدى العامل وحسين مروان، واكرم الوترى وقوس النقدى، ومحمد النقدى، وسلمان الجبورى.

عبد الخالق الركابى:

فى الامكان تشخيص تطور الوعى النضالى من خلال بروز دور المرأة مبدعة منذ اواخر الاربعينات فبعدما اقتضى تخطي المرأة اسوار الحريم فترة زمنية طويلة، وبعدما غدت مسألة (السفور) قضية كادت تكلف الشاعر (الزهاوى) حياته فقد



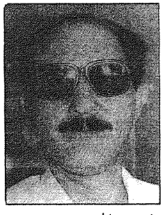
د. الطاهر النصير ـ حمودى لصكر ـ الركابى

هاجم بعض الناس بيته مهددين اياه بالقتل ان لم يتخل عن الدعوة الى (سفور) المرأة ومساواتها بالرجل ـ بعد هذه الامور كلها ترى المرأة تشارك الرجل فى قيادة اشهر ثورة ابداعية فى تاريخ الشعر العربى المعاصر؛ ففى أواخر الاربعينيات ساهمت الشاعرة (نازك الملائكة) مع الشاعر (بدر شاكر السياب) فى ابتكار شعر التفعيلة (الحر) وليس ذلك فحسب بل انها نظرت لهذا النمط الشعرى الجديد فى كتاب احتل موقعاً نقدياً مميزا وهو كتابها «قضايا الشعر المعاصر».

أدب الحرب

الأستاذ باسم حمودى:

استطاعت الألوان الابداعية المختلفة أن تعطى اسهاماتها الفنية، قصة قصيرة ورواية وديوان



باسم عبد الحميد

شعر ومشاريع ملاحم شعرية وهى تصور المجتمع العراقى وهو يعيش حالة الحرب طيلة ثمانى سنوات أثر

● الشعر الحرّ فى تناوله للقضايـــ

● مصطلح الشعر الحرّ يشى بالـــ

● استجابت القصة فى البداية لا يـــ



افراح . . وطبول . .

العدوان الايرانى على العراق فى الرابع من ايلول ١٩٨٠ .

وقد قدم المبدعون ومازالوا احساسهم مكتوبا ومنشدا بعد ان اغتنى واكتنز عبر تجربة طويلة نسبيا، بل قل انها اطول تجربة اشتباك عسكرى فى التاريخ الحديث.

■ لقد كانت البدايات الاولى لتجربة أدب الحرب بدايات استجابة فورية تجلت فى الانطباعات السريعة والقصائد المتوترة الايقاع التى تكشف عن نفسها بسهولة مثل (ابتهالات لوطن العشق) لراضى مهدى السعيد و(من الخندق) لرشيد مجيد بحيث اعتمدت على الصورة الواضحة التى تقرب من النثرية مثل:

وها نحنُ مع الركبِ
على ناصيةِ الدربِ
الى أبعد ما يقتحمُ الركب من الدرب
ومن أقبيةِ الأرضِ المليثاتِ
سلالاتٌ من الكبرِ وأجيال مروات
من الخندق أهديك تحياتى
أناديك وفى الخندق لقيانا

■ مثلما فعل رشيد مجيد بحيث يستطيع الشاعر أن يحذف من مطولته ما يشاء وتبقى القصيدة او بقاياها لامة نفسها على صورة مطواعة تستجيب للتطويل وللتقصير فان عمق التجربة وغناها واستحضار رؤى التاريخ ممزوجة بالتجربة الآنية مؤطرة ـ كما قلنا ـ بتجربة الشاعر قد انتج لنا قصيدة جديدة على مدى زمن الحرب، ويتحلى ذلك فى تجارب عبد الرزاق عبد الواحد وسامى مهدى وحميد سعيد وياسين طه حافظ وكاظم الحجاج وجواد الخطاب وعلى العلاق ويوسف الصائغ وغيرهم.

■ لقد اختلطت فى قصيدة الحرب الانماط الأدائية فقد اتخذت القصيدة التقليدية سمتها الاساسى من الإعتماد على العمود الخليلى وعناية بالطباق والجناس والتورية بينما كشفت القصيدة الحديثة عن نفسها كقصيدة تستجيب للصورة الحداثية وتمثلها بأنماطها المختلفة تقنية اللقطة اليومية فى بعض قصائد سامى مهدى وحميد سعيد وياسين طه حافظ، والنفس الملحمى فى بعض قصائد يوسف الصائغ وعلى العلاق، والغنائية المثقلة بالرمز فى معظم قصائد هؤلاء ونماذج من قصائد عبد الرزاق عبد الواحد وأمجد محمد سعيد وكاظم الحجاج ومعد الجبورى.

■ وكان لابد أن يختلف الشعراء مستويات وصوراً وحسن أداء.

يعلق: د. على جواد الطاهر:

برز فى الشعر العمودى خصوصاً محمد حسين آل ياسين وعلى الياسرى غير ما ذكرنا من تميز عبد الرزاق عبد الواحد ومحمد جميل شلش وعدد لا يكاد يحصى

ـــا الاجتماعية والحياتية بشكل نغمة جديدة لها وقعها المتميز، مع حفاظه التام على مزاياه الفنية.

ـــرغبة فى الانعتاق والانطلاق مما يعكس رغبة صادقة فى الحريّة وتغيير مسار الحياة.

ـــقاع التسجيلية، فقد كان هم القاص أن يوثق الحدث، ثم أخذت بعد ذلك تزداد عمقاً فى الفنية.

من القصائد العمودية أو من الشعر الحر ملأت الجرائد والمجلات والقيت فى الحفلات والمؤتمرات والاذاعة والتلفزيون يترك تقديرها للدارس والناقد.

ويضيف: النصير:

علينا ان نعالج قصيدة الحرب ضمن القصيدة العراقية فهى ليست نوعاً منعزلا ولا فنا مختلفاً، ولذلك لا نجدها عند التقويم مختلفة الا فى الابعاد والافكار فهى قصائد وان اصبحت اعلامية ودعائية وذات نبرة خطابية إلاّ انها عاشت مرحلة ثمانى سنوات من المعاناة اليومية للانسان العراقى.

ويعلق: الصكر:

يستطيع القارىء ـ حتى ذاك الذى لم يعش الحرب ميدانيا ـ أن يلم بعد هذا الحديث بصورة بانورامية لشعر الحرب رغم غياب بعض التفصيلات المهمة التى أرى من بينها تدرج نضوج مستوى قصيدة الحرب مع قصائد المواجهة واشتداد المعارك حتى لنستطيع ان نشخص فى البداية ضرباً من (قصيدة المعركة) التى تلاحق الحدث المباشر وتنقله ثم تقف متأنية فى مراحل لاحقة عند الحالات الانسانية لا الأحداث وصولا الى ما يمكن وصفه بأنه شعر حرب لا ينتهى بانتهاء المعارك ذاتها وإنما يخلد ويبقى كائنا ينقل من بطولات الانسان وظروف حياته خلال الحرب.. فبرزت مرة أخرى شخصيات شعبية فى قصيدة الحرب، مصورة لا فى حالات انتصارها بل فى استشهادها أيضاً، ويمكن أن نعد موضوع (الشهيد) باباً جديداً أدخل فيه الشعراء العراقيون معانى نضالية سامية تأخذ من الشهادة جوهرها: البذل وحب الحياة والاستمرار رمزاً حيا فى المستقبل.

ويقول: الأستاذ عبد الخالق الركابى:

فى الامكان ملاحظة ظهور جيل جديد من الشعراء المقاتلين مثل (عدنان الصائغ) و(جواد الحطاب) ورسوخ اصوات شعراء سابقين مثل (كزاز حنتوش).. وقد تميز شعر هؤلاء الشعراء بأمر ملفت للانتباه وهو خفوت النبرة الخطابية المباشرة فى شعرهم وسيادة نغمة عاطفية شجية نسمع من خلالها نبض قلوبهم.. انهم فى شعرهم اكثر انتماء للحياة من الموت، وكأن المجابهة اليومية للموت ضاعفت من تعلقهم بحيواتهم وماضيهم ومدنهم التى حلوها فى ضمائرهم وهم يستنزفون شبابهم فى خنادق القتال.


عبد الخالق الركابى

القصة ودورها النضالى

د. على جواد الطاهر:

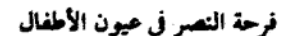
نشأ الادب العراقى الحديث وتطور فى أحضان النضال وقد تكرر ذلك على الأسماع وساد ندوتنا، ولم يكن ذلك لأن موضوعها «النضال» وانما كان لان الموضوع - موضوع الندوة - مشتق من واقع الأدب فى العراق الحديث.

ولقد رأينا الشعر على مدى أجياله.. ولا يختلف الفن القصصى عن الشعر إلا بمقدار مقتضيات الجنس الأدبى؛ فليست القصة فيضاً وجدانيا كالشعر السائد، وإنما هى معالجة يشترط فيها أن تبدو هادئة تصل الى غرضها من وراء ستار يعرف بالموضوعية؛ ويشترط ألا يبدو المؤلف متدخلا أو متداخلا. انها أحداث وشخوص ومواقف تعرب عن نفسها.

■ ولا غرو أن كان أول عمل عليه طابع من الفن القصصى بعنوان «الرواية الإيقاظية» (البصرة ١٩١٩) كتبها سليمان فيضى ليغذى بها - قصصياً ومسرحياً - الجيل الجديد، بعد أن شهد المؤلف العهد العثماني وأدرك مخاطر الاستعمار والانكليزى.

ثم كان الرائد الحقيقى محمود أحمد السيد (١٩٠٣-١٩٣٧) وقد نشأ فى هذا المفهوم من اليقظة ولم يكن له عنه معدى - حتى لو تلكأ بفعل الصبا قليلا - فقد تشرب القضية الوطنية والقضية العربية، وغذى فيه ذلك الواقع القائم وما اطلع عليه فى سفرة له الى الهند، وما كان يتابعه من قراءات لمؤلفين عرب أو أتراك مجددين، وما تلقاه عن صديقه القادم من المانيا: حسين الرحال.. واختار الفن القصصى طريقا الى الايقاظ وبث الأفكار والنضال. وطبيعى أن تقوم القصص على أحداث وأن تكون هذه الأحداث فى مجتمع وأن يطلب لهذا المجتمع الاصلاح، وإذا صعب على امرىء أن يكون صريحا جدا، وجد فى القصة ما يبلغه هدفه دون أن يفقد شجاعته. واذا صعب عليه أن يدين ظواهر اجتماعية واقتصادية فى بلاده، لجأ الى بلد آخر لا يقل تعاسة عن بلاده هو «الهند» دون أن يمنعه ذلك من أن يتخذ العراق نفسه مسرحا، وأن يأتى فضحه لمواد العار فى السياسة والمجتمع والتقاليد والعادات.. مباشرا.

■ وهكذا كان فى أعماله الأولى: «فى سبيل الزواج» (١٩٢١)، «مصير الضعفاء» (١٩٢٢)، مما سماها روايتين - وهما قصتان طويلتان أقرب الى الحكاية من الوجهة الفنية بسبب من التبكير فى الكتابة ثم «النكبات» (١٩٢٢) وهى قصص قصيرة أقرب الى


فرحة النصر فى عيون الأطفال



المقالات.. ربما سماها روايات.

والمهم فيها، كما هو المهم في العمليتين السابقتين: النضال بأنواعه، ويبرز خصوصاً في الجانب الاجتماعي مع لمحات لا تخفى على اللبيب من الجانب السياسي.

■ ويتوطد لديه الفكر والمنهج والفن مع الزمن والمران واتصال الكتابة والقراءة والمناقشة. ولابد لمعرفة «هموم» السيد من الرجوع الى مشروعه الذي سماه «مكتبة الشعبية» وقد جاء فيها نفذه منه أقوال ومقالات قصيرة وأحداث ومسرحية قصيرة واحدة.. تدور كلها في مدار واحد من الهم الاصلاحي. ثم لابد من قراءة مقالاته المختلفة الغزيرة العدد ولا سيما ما كان منها له في مجلة «الحديث».

■ وها هي ذي القصة الطويلة تكتمل لديه وينشر بعنوان «جلال خالد» (١٩٢٨)، ومجموعة من القصص القصيرة بعنوان «الطلائع» (١٩٢٩). ويزداد خلال ذلك الهم الوطني بأنواعه، ويزداد الفن القصصي توطدا.. ويشرع ينشر خارج العراق مقالات وقصصاً في «الحديث» الحلبية و«الرسالة» القاهرية وغيرهما.. ويجمع القصص ويصدرها باسم «في ساع من الزمن» (١٩٣٥).

■ لابد من وقفة طويلة عند محمود

● مرحلة الخمسينات تحولت إلى مخاض جماهيري اسهم في بلورة وعي متكامل على مختلف الأنشطة الثقافية والفكرية.

● الفن القصصي في ميدان النضال لا يختلف عن الشعر إلا بمقدار.

احمد السيد لأنه رائد حقيقي ولأنه انعكاس لواقع الأدب العراقي ولأنه فاعل - كذلك - في الأدب العراقي وتلتقي الأطراف في الهم الوطني - القومي - الانساني، والعلم سلفا بأن ذلك لا يرضى الحاكم الظالم والدخيل الجائر.

■ الوقفة عند محمود احمد السيد ضرورة منهجية، ودلالة بقاص واحد على قصاصين متعددين. وإذا كان جعفر الخليلي ممن يذكر - في هؤلاء المتعددين - بموضوعاته الاجتماعية الشعبية ونقده لعادات لم تعد صالحة ولجهات متزمتة ولإدارة فاسدة فكان له بذلك آثار عدة بين قصة قصير وقصة طويلة صدرت في كتب له منها: «اعترافات» و«الضائع» و«في قرى الجن» و«هؤلاء الناس» و«من فوق الرابية» و«مجمع المتناقضات» و«أولاد الخليلي» - غير ما كان له من مقالات ومذكرات وصور وصحف.

■ هذا هو الوتر السائد في الأدب العراقي - في القصة العراقية ولك أن تعهد بعد ذلك أكثر من عشرة قصاصين منهم عبد المجيد لطفي

وأنور شاؤل وعبد الوهاب الأمين وشالوم درويش وسليم بطي - على اختلاف في المستوى الفني، وربما غلب الموضوع على الشكل.. بانتظار مرحلة يزداد فيها النضال السياسي - الاجتماعي ويتسع شدة واقفاً ما بين الاستعمار وعوامل التأخر في حياة البلاد على يد الصنائع والجشعين والمنافقين والعلماء الذين يزيد خطرهم على خطر الجهلاء فيضيع خلال ذلك حق المجتهد العامل ويتردى مستواه الاقتصادي ظلما وعدوانا وكفرا.

■ ويأتي الممثل الأكبر لهذه المرحلة - وهو يعدل فيها محمود احمد السيد في المرحلة الأولى - ذو النون أيوب (١٩٠٨-١٩٨٨) بمجاميعه المتعددة: «رسل الثقافة»، «الضحايا»، «صديقي»، «وحي الفن»، «الكادحون»، «برج بابل»، «العقل في محنة»، «حيات» «الكارثة الشاملة»، «عظمة فارغة»، «قلوب ظمأى»، «صور شتى».

وله مع الأقاصيص روايتان قصيرتان هما: «الدكتور ابراهيم» و«اليد والأرض والماء».




جعفر الخليلي

محمود تيمور

البياتي

ومن وقف موقفه من السلطة لقي ما كان منتظراً من فصل من الوظيفة وعراقيل مختلفة الأشكال.

● وحال تذكر لذى النون أيوب، أنه بسبب من وضوح قصصه وقربها الشديد من مدارك عامة القراء ومسها المباشر لهموم عامة الناس ثم لما لقى من فصل من الوظيفة ومن أنواع العنت.. كان الأول فى الذين جعلوا للقصة العراقية قراء ومتابعين فى القراءة والحديث والنقاش.. والاقتناء الاختيارى.

■ ولا شك فى أن السبب المباشر لذيوع قصص ذى النون أيوب هو النضال، وقل: السياسة فى وضوح عناصر المعارضة للمستعمر وأذنابه والانتصار للعامة وبيان من يعانون من فقر ومرض وجهل.

■ أقول: «السياسة» لأبين أن الجانب الفنى لم يكن مهما فيها، ولم يكن من وكد الذين يقبلون عليها قراءة واقتناء. وكثيراً ما رأينا الجانب الفنى ضعيفا، وفينا من رآها ضرباً من المقالات، أو من سماها «المقاصة» أى المقالة القصصية.

والمؤلف نفسه لا ينكر ذلك ولا يراه عيبا معتمداً على ما أحدثت من تأثير، وذلك كافٍ لديه.

ويمكن - على هذا - أن نضيف فى أسباب ذيوعها أنها لا تتكلف الفن، فهي فى أقل ما يقال فيها قصص سلسلة لا تصنّع فيها.

■ أقول هذا وأنا أقترب من رصيفه فى المرحلة القصصية: عبد الحق فاضل وقد كتب القصة القصيرة والرواية القصيرة محاولا جهده أن يبدو فنانا واكثر معاصرة من ذى النون أيوب فى الفن بما يدخل مثلا من أعماله من شؤون علم النفس.

وصدّق ذلك منه - وفيه - دارسون ونقاد.

■ وما كنت أرى له ذلك على الوجه الذى رآه غيره، وإنما قدراً ملحوظا من الافتعال. واليوم وقد عدت الى ذى النون أيوب وعبد الحق فاضل ارتفع شأن ذى النون أيوب فرأيت لديه من اللمحات الفنية ما لم نكن نراها، ورأيت لدى عبد الحق فاضل من التكلف أكثر مما كنت أرى فى الحدث والحوار والثقافة المنسوبة الى الشخوص.. ان ذا النون أدخل فى القصة وأبقى فى الوجود..

■ وعاصر ذا النون أيوب وأدركه عدد ممن شرع يزاول القصة خلال وجوده بارزاً فى الساحة ممن سيكونون جيلا جديداً إذا كانت بداياته قليلة الفن فانها - فيما نحن فيه من موضوع الندوة - داخل الموضوع وعلى شكل صارخ أحيانا: اجتماعيا وسياسياً ونظراً الى المستقبل فيما يجب أن يكون خلال الحاضر المرفوض.

ونعدد من هذه الأسماء: عبد الملك نورى، فؤاد التكرلي، نزار سليم، شاكر خصباك، مهدى عيسى الصقر، غائب طعمة فرمان، عبد الله نيازى، محمد روزنا مجى.

■ ثم لم يلبث هؤلاء - أو عدد بارز منهم أن تفوقوا فنا وكأنهم يؤسسون ريادة جديدة (لتكن ثالثة - بعد محمود احمد السيد، وذى النون أيوب) بما حققوا فى هذا التمكن، ولو سميتها «الريادة الفنية» لما أبعدت.. وطبيعى أن يكون فى عوامل هذا التمكن التراكم السابق بما عانى وعالج وجرب ومهد مع عامل الافادة من التجربة العربية فى مصر خاصة وقد صار فيها محمود تيمور علما بارزاً وصار لطه حسين تأثيراً يتعدى تاريخ الأدب والمقالة، وأصدر الزيات مجلة «الرواية» الى جوار «الرسالة» ومجلات أخرى فى

طليعتها «الأديب البيروتية» ثم «الكاتب المصري». الى جوار «الرجمة» فى مصر ولبنان.

■ واذا كانت هذه عوامل مشتركة للقارىء العربى والقاص العربى فقد حصل للقاص العراقى عنصر جديد هو الرجوع مباشرة الى الفن القصصى كما هو ـ وكما صار عليه ـ فى الغرب عمليا ونظريا.

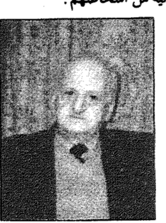
وهذا ما تلمسه جيداً فى قصص عبد الملك نورى وفؤاد التكرلى.

■ لقد ارتفعت القصة العراقية الى مستوى عربى وصار لها من الأصالة فى الفن ما يصعد أحيانا عن هذا المستوى الى العالمي ـ ولم لا.

■ ونبقى معهم كلهم مع النضال المحلى والعربى والانسانى فلقد اتسعت الهموم واتسعت الآفاق وانك لواجد العالمى خلال المحلي والانسانى خلال العراقى فكراً ونفسا وفنا. وسيطلق على هؤلاء القصاصين ـ فيما بعد ـ اسم جيل الخمسينات ـ لأنهم برزوا فى هذا العقد من السنين.

■ وحين شرع جيل يجرب ويجود وينشر وكان منهم محمود الظاهر وصلاح حمدى ونزار عباس فى الأفق والإبداع قد يقل فيها النضال المباشر ليزداد نوع من القصد الى التفنن والبحث عن أجواء متميزة والوقوع فى ملامح من أحوال لدى بعضهم تشى بمواجهة المصير الانسانى متأثرين بما شرعت «دار الآداب» البيروتية من فكر وجودي على الرغم من تأثير آخر يرد من فكر يسود ترجمات «دار اليقظة» الدمشقية.

■ انهم فى حال من مخاض جديد.. قد يلد صفحة جديدة فى مضمون القصة العراقية وشكلها ولكنه لم يكن ليشى ـ فى واقعه ـ بتفوق فنى على «أساتذتهم» إذا وشى بخطوة لا تخلو فيه القصة من غلالة من الغموض ولمحات من الضياع.. لا تقع على «النضال» منهما إلا حين تطلبه وحين تنطلق اليه من أشخاصهم.



د. على جواد الطاهر

وتقدم من هم أكثر شبابا ينشرون فى هذه الجريدة والمجلة فى أشعة الضوء القائمة فى الجو. ولا تكاد تستطيع الحكم عما ستكون عليه الحال.. حتى كان من أمر الستينات ما كان.

الأستاذ حمودى:

اضافة لما ذكره د. الطاهر فقد كان جعفر الخليلى فى روايته (فى قرى الجن) داعية اصلاح وتطوير اجتماعى يقف ضد ظلم الانسان وعدم المساواة كما طرح أدمون صبرى نفسه فيما بعد قصصاً تدعو للاصلاح الاجتماعى فى (الحالة عطيه).

■ اما الجيل الذى جاء بعد تأثيرات التكرلى ـ عبد الملك فى القصة فقد كان جيلا يتخذ خطواته متأثراً بالبُنى الغربية للقصة اضافة لتأثيرات القاصين الرائدين، وقد كانت دعوة هؤلاء مثل خضير عبد الأمير، وموفق خضر، وسامى طه الحافظ، وغازى العبادى، وأسعد محمد جعفر اضافة ليحيى عبد المجيد وسافره جميل دعوة للنضال تمثلت فى كتاباتهم عن الجزائر ومع سعيد ودعوة للتطوير الفنى لم تتجاوز صيغة التكرلى ـ عبد الملك ولكنها تفرزت وتطورت بتجربة الستينات.

المنهل: العقد السادس من هذا القرن تشهد أحداثاً سياسية كبرى مثل تطور الصراع فى القضية الفلسطينية ضد اليهود الصهاينة، وحرب عام ١٩٦٧م، وغيرها من الأحداث الاخرى فى عالمنا العربى إلا أن القصة ـ حد ما ـ كانت شبه غائبة عن مسرح الأحداث. فهل نجد تفسيراً لذلك؟ أم أن هذا التصور خاطئ؟!

● لماذا كانت القصة ـ لحد ما ـ شـ

● على الرغم من غياب القصة بـ

وضعوا مفهوم النضال الانســـ

الأستاذ النصير:

لم يكن لدى القاص الستيني فهم واضح للقصة النضالية او للنضال فى القصة، فقد ورث وعن حياء شيئاً من الواقعية الانتقادية من القصة الخمسينية، فما كان منه الا ان انكفأ الى ذاته يبحث فيها عما هو مغاير وجديد، فجعل من نفسه ومن مشكلاته محوراً تدور عليه رحى افكاره القصصية. وكان من نتيجة شيوع الظاهرة الذاتية ان كتب القاص عن بطولات وهمية، وعن تمردات موضعية متناسياً بحق مشكلات الجماهير وقضاياها ومعاناتها، ومبتعداً نتيجة ما اشبعت به ثقافة الستينات من تيارات العبث واللامعقول واللاانتماء عن الميدان الفعلى للفن القصصى، ونعنى به الواقع الاجتماعى وقضاياه الانسانية.

■ نستطيع القول ان غياب الفهم النضالى عن القصة الستينية كمحور اساسى من محاور الابداع كان نتيجة لما اشيع فى العالم كله، خاصة فى منطلق حركات الشباب، فكان من نتيجة ذلك ان اتخم قالب القصة القصيرة بالتجريب وفوضى اللغة والصور، رغم ان المرحلة نفسها شهدت على مستويات مختلفة حركات ثورية ونضالية، محلية وعربية لعل فى المقدمة منها حرب ١٩٦٧، اضافة الى حروب موضعية داخلية الا اننا لا نعدم القصة العراقية كلها، حيث نجد بعض النماذج المتميزة لدى عدد قليل من القاصين وضعوا مفهوم النضال الانسانى والجماهيرى نصب اعينهم، فزاوجوا فى قصصهم بين التجريب والتمرد على قالب القصة الخمسينية وبين النزوع النضالى فكتب القاص المبدع محمد خضير قصصاً هى فى الصميم من هذه المزاوجة، منها «الارجوحة»، و«القطارات الليلية» و«حكاية الموقد»، و«التابوت»، وكلها تدور حول الجنود العائدين من الحروب الى أهلهم، ينقلون لنا أبعاد القضية العربية بصياغات فكرية وفنية جعلت من فن القصة نفسه فناً يستوعب هموم الناس البسطاء وكتب محمود جندارى حدث هذا فى عام «الفيل» متناولا الموضوع نفسه وكتب أحمد خلف «خوذة لرجل نصف ميت»، و«المسافة» ليوسف الصائغ و«البرج» لفاضل الربيعى.

■ الا ان الفترة هذه وان بدت القصة النضالية فيها شاحبة ومحدودة بحد المناخ نفسه يتهيأ لأن تظهر فيه اعمال فنية كبيرة، وكما يبدو ان القاصين الجدد الذين بدأوا الكتابة فى هذه المرحلة لم يعبرو الى حدٍ ما عن روح النضال التى كانت احدى الافكار الكبيرة التى غذت ادبنا العراقى وكان لزاما على بعض القاصين الذين خبروا الحياة السياسية وعانوا معاناة حقيقية ان يكتبوا قصصاً فيها سمة نضالية جديدة تذكر الناس بما وقع وتفتح السبيل الى أفق آخر، ولم

ـبه غائبة عن مسرح الاحداث مثل حرب عام ١٩٦٨م بين العرب والعدو الاسرائيلي.

ـصفة عامة إلا اننا لا نعدم القصة العراقية كلها حيث نجد بعض النماذج المتميزة لدى قليل من القاصين

ـاني والجماهيري نصب اعينهم.

يتم هذا المسعى إلا في المرحلة اللاحقة، اي مرحلة السبعينات.

مرحلة السبعينات

تعد هذه المرحلة أفضل بعض الشيء من سابقتها قياساً لعدد النماذج التي ظهرت فيها لكنها على العموم لم تكن المرحلة التي تؤكد لنا النضال سمة جوهرية في الكتابة الابداعية، فالمرحلة نفسها شهدت شيئاً من الوفاق الوطني، مما انعكست روح المعالجة على الابداع ونسى الكتاب او تناسوا تاريخهم وفنهم، ومع ذلك ظهرت بعض النماذج التي تؤكد الفكرة النضالية مثل رواية فاضل الفزاوي القصيرة «القلعة الخامسة» التي تتحدث عن بطل غير منتمٍ يدخل السجن فيجد نفسه بعد معاناة طويلة يقود المنتمين. ثم كتب القاص نفسه، رواية قصيرة اخرى اسمها كما اعتقد «كانت الطائرات تحلق عاليا» تتحدث عن حرب ١٩٧٣، وظهرت «رباعية ابو قاطع» لشحران الياسري، تحدث فيها عن نضال الشعب العراقي منذ العهد العثماني وحتى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.. واحتوت رواية «نافذة بسعة الحلم» لعبد الخالق الركابي مسحة نضالية من خلال اشتراك بطلها في حرب ١٩٦٧ وظهر لهشام توفيق الركابي رواية «المبعدون» وتتحدث كلها عن السجناء المبعدين في بدرة ورواية «شقة في شارع ابي نواس» لبرهان الخطيب تحدث فيها عن الجماعات الثورية المتمردة. و«ثاسوس» لمحي الدين زنلنه تحدث فيها عن بطل سجين يطلق سراحه، ورواية «المنحارة والسهل» لزهير الجزائري، ورواية «الجذور» لمهدى النجار.. وغيرها.

■ وفي القصة القصيرة ظهرت «ثلاثيات» جمعة اللامي اضافة الى عدد غير قليل لقاصين مثل عبد الستار ناصر وجليل القيسى وموسى كريدي وآخرين.

●● وعموماً لم تكن هذه الروايات، وهذه القصص، معنية كلها بالنضال كسمة جوهرية في بنائها وفي فعلها الدرامي، وانما كتبت عن مرحلة ما من مراحل تطور المجتمع، كانت السمة العامة لهذه المرحلة هي الحديث عن المعارضة والنضالية والمواقف الفكرية في مراحل سابقة، ومع ذلك فالبناء الفكري لمفهوم النضال فيها لم يخرج هو الآخر عن المفهوم الفردي والذاتي، لقد وضع بعض القاصين انفسهم في موضع البطل، وداروا حوله ومعه آليات فنونهم.، ومع ان حركة المجتمع شهدت تحولات جوهرية عديدة، الا ان القاص لم يكتب عن هذه الحركة ولا عن ابعادها، بل كتب حولها من خلال تقديمه لنموذج او اكثر هو بالضرورة الصوت الفردي الذي يفهمه ويعرفه، وبقيت الحدود العامة التي شاعت في القصة الستينية منبثه كالتمرد واللا انتماء والتجريبية مع انفتاح حذر على القوى المحركة في المجتمع. وبهذا المعنى ان ما كتب حول النضال الجماهيري والفكري يعد قليلا قياساً الى ما شهدناه في الشعر وفي الفنون الاخرى في مرحلة السبعينات.

■ نقول وربما في القول بعض الصواب، ان فن القصة يتطلب مراقبة وتدقيقا وتأملا ومعاصرة

للأحداث وجل كتاب القصة العراقية عدا القلة عاشت مرحلة نضال حقيقى، لذلك بقوا مراقبين لما جرى ملتقطين بعض ما جرى فجاءت كتابات بعضهم بعيدة عن النضال، واذا ما ظهرت بعض الشخصيات فى هذه الرواية او تلك تحمل فكرا، وموقفا نضالياً فاننا لم نجد القاص يزجها فى مواجهات نضالية حقيقية بل يبقيها فى حدود الوعى بالنضال مشبعاً ذاكرتها وممارساتها بالحديث ورفع الشعارات وتوزيع بعض المنشورات. وحتى الروايات اللاحقة التى ظهرت فى مرحلة متأخرة ابتعدت بفنها وبموضوعها عن الحديث المباشر عن الاحداث السياسية والاجتماعية القريبة بل نأت بفنها وبهادتها الى التراث النضالى العام، وحاكت فى بعض موضوعاتها المفهوم العام بمعنى التغيير والتطور ومع ذلك، بقى الهم الفردى. والنزوع الذاتى للبطولة مسيطراً على تكوين البنية النضالية. .

وكتب غائب قرمات فى «المخاض» وفى «القربيات» صوراً عن احداث مجتمع ممثله بنماذج انسانية رأى فيها امكانية تعميم الفكر النضالى. . فهذا فؤاد التكرلى فى «أرجع البعيد» مثلا يعطى صورة بانورامية عن اسرة عاصرت الاحداث العراقية فى الستينات مركبا من خلالها

● مرحلة السبعينات فى القصة لم تؤكد سمة النضال فى الكتابة الابداعـ الوطني مما انعكست على روح المعالجة والابداع من هذه النماذج ما كـ

● فى مرحلة السبعينات اخذت التجربة القصصية اكتنازها الفني مـ

تكوينات اجتماعية وفردية هى بالضرورة احدى المنافذ الفنية لرؤية احداث تلك المرحلة بعين فنان يقظ. . اما ما عدا ذلك فالرواية بدأت تسرد التكوينات القديمة لحركة المجتمع العراقى عبر مراعاته القديمة، كما يفعل عبد الخالق الركابى فى «الراووف» وغازى العبادى فى «ما يتركه الأحفاد للأجداد» وعبد الرحمن الربيعى فى «القمر والاسوار».

ويعلق الصكر بقوله:

أرى إن الزميل النصير يحاكم النتاج القصصي والروائى العراقى وفق صيغة محددة للنضال كما يراها هو.

●● وأجد أن ثمة كيفيات متعددة، وزوايا نظر جديدة؛ فى التعبير عن النضال خلال الستينات تحديداً وهى تناسب ما وصل إليه النضال الوطنى نفسه.

■ بهذا نستطيع أن نستجلى فى القصص والروايات التى رآها الزميل النصير ذاتية او عبثية، ضرباً من التعبير عن الأزمة ودرجة المواجهة النضالية حتى فى تصوير

ذلك من خلال الأبطال السلبيين.

■ إن الحرية والخيبة والازمة الاجتماعية فى هذه الفترة، ما هى إلا تنويعات لموضوع النضال الوطنى ودخوله فى مرحلة نوعية جديدة.

ويقول د. الطاهر:

ارجو ألا يكون الاستاذ الصكر مبالغاً فى حسن الظن، ويا حبذا لوصح رأيه وهو الأديب المعاصر للمرحلة القريب منها غير ما عرفنا عنه من مواهب نادرة فى النقد الأدبى.

ويضيف الركابى قائلا:

يبدو لى أن الكتاب السبعينين ورثوا أمرين متناقضين كان لابد لهم من استيعابها وصولا الى تحقيق انجازاتهم الابداعية. . فهناك فوضى الشكلانيين الستينيين وفى مواجهتها هناك صحوة واقعية جاءت مقترنة بنفس خمسينى، فكانت النتيجة هذا المزيج الذى هو أقرب من الواقعية الجديدة ففضلا عن الاهتمام بالجانب الشكلي هناك التركيز على الجانب الوطنى

ـبة لأنها شهدت شيئا من الوفاق

ـتبه القاص محمد خضير .

ـن دوران الحروب.

والنضالي كما هو ظاهر فى (الجسور الـزجـاجـيـة) لبرهـان الخطيب و(المبعدون) لهشام توفيق الركابى ، و(المغاره والسهل) لزهير الجزائري و(القلعــة الخــامســة) لفـاضـل العزاوى وغيرهم .

القصة .. المنهج والتطور

المنهل: إذا انتحينا جانباً إلى شكل القصة وأسلوب التناول فيها مقارنة بالموضوع المطروق فيها . . فما هى الوجهة التقويمية التى يمكن ان نسجلهـا تجاه دراستنـا لتـوجهات واسلوب القصة ضمن اطار الحركة النضالية؟ .

الاستاذ باسم حمودى :

اود ان اضـيــف الـى كلام الاستاذ النصير ان بعض الروائيين عاشوا تجربـة النضـال وصورروها ضمن الواقع الحياتى اليومى فقد كانت رواية موفق خضر الاولى عن تجربة حرب السـويس وما بعدها وتأثيراتها على شاب عراقى وكانت روايتـه (الاغتيـال والغضب) فيما بعد تصويرا لتجربة حرب حزيران وما بعدها بينما كانت رواية عزيز سيـد جاسم (المنـاضـل) تصويراً لمعاناة البطل المستلب وهو يخوض تجربة خاصة به لها صورتها المشابهة لشخصية البطل السلبى فى رواية (الوشم) لعبد الرحمن مجيد الربيعى وتمثلت فى تسلسلها التاريخى المقاوم فى روايــة ثانيــة له هى (القمــر والاسـوار) بالاضـافة الى روايات لاحقـة له ولعبـد عون الـروضان (ربيع فى صيف ساخن) وهى على تجربة حزيران وما بعدها .

■ وكان لابد من ان يختلف رجال القصـــة ـ كما اختلف الشعـراء ـ مستويات وصوراً وحسن اداء وقد استجـابوا بداية لايقاع التسجيلية فقـد كان هم القـاص فى الأشهر الاولى أن يوثق الحـدث فنيا مثل قصص «يـوم الصـواريـخ» لعادل عبـد الجبـار و«غارة سمتية» لعواد على و«شمس كالقمـر الشاحب» لغـازى العبـادى و«ريـاح شتـائية دافئـة» لخضـير عبـد الأمـير، ثم اخذت التجربة القصصية اكتنازها الـفنى من دوران الحــرب وغنى تجربة القاص ومن استلهامه روح الكفــاح العـربيـة واعتـماده على المـوروث التاريخى والشعبى فقدم لنا عبد الخالق الركابى (النصب) و(الفـريسـة) وقدم لنا خضير عبد الامـير (لـيــال عربيــة) الـتى استلهمت معركة القادسية الأولى وقـدم لنا احمد خلف بطل «رحيم عوده» فى عديــد من الـقـصص القصـيرة كتجـربة مستمرة ومولدة عن تجارب اخرى .

●● واستلهم عادل عبد الجبار فى (بعـد هذا الـزمن) تاريخية الحرب العربية المتصلة ضد العدوان وقدم لنا موسى كريدى فى قصته (حلم) وعبـد الـرزاق المطلبى فى قصتـه (الأبـواب) صورتـين حضـاريتين يقـف فيـهـا الـمُـعـتـدِى إزاء الـمُعْتَـدَى عليـه كانسـان مدفوع الى الحـرب فى عالم ينشـد الأمن والسلام ويدافع عنهما مضطراً بالسلاح .

●● ان هاتـين القصتـين اللتـين تمتلكان رؤيتين متقدمتين حضاريا كانتـا بداية لقصص اخرى كتبها قصـاصـون اخـرون مثـل نجمان ياسين ولطفية الدليمى وعيد عون الرمضـانى وحسن احمـد العانى الـذين خرجـوا عن واقعة الحرب كتفـاصيـل الى مسـتويات ادائية وفكرية اخرى تدين الحرب وتقف ضدهـا وتعتمـد فى رفضهـا على البطـولـة العـربيـة القـديمة التى اعتمـدت الانسـان امثولة تجارب الظلم وتثور عليه .

■ ان جلجـامش الذى يعيش فى قصيــدة سامى مهـدى (رأيت ما رأيت) ليقتـل زارا الفارسى ليسود السلام يعيش لدى لطفيه الدليمى مجسدا فى تضحية نهال بطلة قصة (هو الذى أتى) وتنفيذها لرسالتها الحيـاتيـة وسـط التـاريـخ بحيث تتـداخل صورة نهال بصورة نانشا



● القصص والروايات التى ظـ

ذلك فالبناء الفكري لمفهوم النضـ

● اذا ظهرت الشخصيات فى هـ

● الاديب حامل رسالة اصلاحـ

السـومـريـة وحبيبها الشهيد جواد بصورة الشهيد السومرى جودية.

■ لقد عاشت القصة القصيرة زمن الحرب مستويات اداثية متعددة لما قلنا منها:

(١) تقريرية تسجيلية شخصتها القصص الاولى.

(٢) تجارب انسانية اعتمدت على التاريخ القريب والبعيد ومزجته بالـواقـع المعيش مثـل قصص الحـافـات لمحمـود جنـدارى وهو الـذى أتى للطفيـه الـدليمى والصمت لحسن احمد العانى وليال عربية لخضير عبد الامير وغيرهم.

(٣) تجارب الجبهـة الداخلية مثل الشيـخ والعلم لفـارس شلاش وعشـاء لاثنـين للطفيـه الـدليمى وطمأنينـه لميسلون هادى ومـوقف باص لغازى العبادى التى صورت الحياة الاجتماعية للقاتل بين أسرته.

(٤) عنـايـة واضحـة بالميثـولوجيا وفكرة عودة الشهيد فى قصص لعبد الستار ناصر وعلى جيوه وعبد الاله عبـد الـرزاق ومحسن الخفـاجى ومحمـد احمـد العلي الـذى كرس روايتين له لتنفيذ هذه الفكرة وهما مثل الفردوس وأحزان مرمرية.

(٥) استجـلاء حركـة المقـاتلين الجماعية حيث يتحرك الرجال وسط المعارك كتلة واحـدة ويـاخـذون راحتهم متوزعين الى صور مستقلة كافـراد يربطهم همّ واحـد عنـد استراحة المحارب فى قصص مثل «الامهـات» لغـازى العبـادى و«النور» لاحمد قبانى و«رجال فوق قمـة الجبـل» لخضـير عبـد الامير و«ربيـع النـار» لمهدى جبر و«حلم الشقائق» لوارد بدر السالم.

(٦) على هامش هذه الملاحظات ظهرت اسماء جديدة بين صفوف المقاتلين اكدت جدية التجربة التى يملكها القلم الجديد المستقاه من الحياة الثرة التى عاشها وسط دوى القنـابـل وعشـرات المعـارك التى خاضهـا وأعطـاها من دمه الكثير ومن هؤلاء الشهيـد دريـد محمـد رشيـد، والقصـاصـون وارد بدر السالم ومدى جبر وميسلون هادى

ـــهرت فى مرحلة السبعينات كتبت عن مرحلة من مراحل تطور المجتمع و المواقف الفكرية لمراحل سابقة مع

ـــال فيها لم يخرج عن سمة الذاتية وسمة الفردية.

ـــذه الرواية أو تلك تحمل فكرا أو موقفا نضاليا فهي تبقى فى حدود الوعي بالنضال وليس كمواجهات حقيقية.

ـــية لمجتمعه وهو بذلك يعتبر مجتهدا قد لا يجد وهو يؤدى رسالته حقوقه الانسانية العادية.

وحيد المختار ومحمد حياوى وفارس شلاش وزيدان حمود وتامر مصوف وجمال حسين علي.

(٧) تداخلت أقلام الاجيال المختلفة التجارب وسبل الأداء في تجربة ادبية متسعة وهذه ملاحظة تنسحب على بابى الرواية والقصيدة.

■ ومما يجدر ذكره ان الكمية الروائية التى نشرت كانت كبيرة ففى عام ٨٢ او ٨٣ نشرت حوالى ٦٤ رواية فى نفس السنة وهو رقم يعادل عدد الروايات الوافية التى نشرت من محمود السيد وقد ساعد فى ذلك نشاط الجهاز الثقافى للدولة وانشائه الجوائز للقصة والرواية اضافة الى معايشة القاص والروائي والكاتب والشاعر لتجربة المقاتل فى الخطوط الامامية وافادته المباشرة من تجربة القتال.

خاتمة

الاستاذ الطاهر:

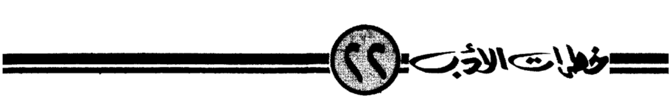
لا يمكن أن يغفل دارس قصة الحرب الدور المباشر الفعال الذى أدته وزارة الثقافة والاعلام بمنح القصاصين اجازات طويلة الأمد يتفرغون فيها للكتابة بعد أن تيسر لهم زيارة جبهات القتال والاتصال بالجنود وبعد أن تزودهم بملفات كاملة من الشهادات والوثائق.

●● ثم هذه الجوائز المالية السخية للفائزين بمسابقات الرواية أو القصة فضلا عن طبع الأعمال الفائزة، ومنح غير الفائزين جوائز مالية تقديرية.

●● وما قيل عن «كم» القصة، يقال عن «كم» الشعر، وما لقى الشعراء من تشجيع مادي ومعنوى وكانت «المرابد» التى عقدت خلال سنوات الحرب مواسم لشعر الحرب تَعَدّ القائلون فيها حدود العراقيين الى العرب المدعوّين من أقطارهم.

■ ان هذا الذى يراه القارىء الكريم لا يعدو أن يكون ـ حتى فى أحسن ظروفه ـ مادة جرت وسجلت فى ندوة. وهذا يعنى أمرين. الاول: التقيد ـ قدر الامكان ـ بالموضوع المقترح، الثانى: الوقوف ـ عادة ـ عند الخطوط العامة البارزة مع ارتباط هذه الخطوط والأسماء الواردة فيها والأمثلة المضروبة عليها.. بالذاكرة أكثر من ارتباطها بمقتضيات «البحث» واذا كان فى الأمر الثانى عذر عما يكون قد فات الندوة من خط او اسم أو مثل فان فى الأمر الأول ما يعنى ـ كما هو طبيعى أن الأدب العراقى ـ شأن الأدب فى أى قطر ـ أوسع من الموضوع المقترح، بل انه كان من الممكن ـ لولا خوف الإطالة ـ الدخول فى محاور أخرى من الموضوع المقترح ومنها المسرحية، والمقالة، والنقد الأدبى، والدراسة وما يتصل من ذلك بالفن التشكيلي وبالسينما.. وبمختلف أوجه النشاط الثقافى والمعرفى.

فعذراً ـ على أية حال ـ عن التقصير.



منعطفات الضياع

المكـان أحد المنتديات فى حي قديم في مدينة عربية قديمـة توحي لمن يفـد إليها انها تعيش أحداث التاريخ الغابر بما فيها من أفراح وأتراح . . المكان هاديء لا يرتاده فى الصباح إلا المتقاعدون الذين يتذكرون سنوات الخدمة فى زمن كان يتصف بالـرخـاء؛ ولكن عندما يحين المساء يتـزاحم عليه الرواد الذين يقضون ساعات يتلهون فيها باشاعة حدث جديد، أو مقولة مثيرة عن قضية محلية، أو يتلذذون بالضوضاء فى حي يذكر بالصمت بما تضفيه عليه أجواء المدينة من ذكريات تاريخية متعاقبة كان الصمت فيها أكثر تعبيراً من الكلام .

●● التقى الشبان الثلاثة على غير ميعاد، ولم يكن بينهم جامع سوى حالـة الضيـاع التي يعيشـونهـا . . تقاربت النظرات مع تشابه الصفات فالتفوا حول منضدة واحدة لا يحسـون حولهم الا همس المتقـاعـدين، أو صوت النادل الذي ينظم حركة المنتدى .

لقـد بدا أنهم يلتقـون فى مشكلة واحـدة هي عدم قدرتهم على التكيف فى المجتمع الذى يعيشون فيه ثم بدا انهم يؤمنون بمفاهيم فكرية واحدة رغم تباينهم فى إلقاء التبعات، أو في المنهج الذي يتصوره كل منهم . . يتحدث أحدهم عن عنت اسرته، ومسئوليتها، عن مشكلته ويدا يفصـح عن أسـرارهـا ويلقي اللوم على أبيـه فيشبهـه بالأسطورة الاثرية ويرى أنه لا يستطيع الخلاص من أفكار يؤمن بها فى التربية أو في منهج الحياة ثم يصب غضبه عليه لأنه يضع اسلوبا محددا لحياته، ويطلب منه الالتزام به ثم يحسب خطواته عليه؛ وإذا زل فى واحدة منها تحمل تبعاتها .

ان العصـر الـذى نعيشـه (والقـول له) عصر مادي يتطلب الغاء حساب الخطى . وقد اثبتت الوقائع (والقول له ايضا) ان مثل هذا الحساب يؤدي إلى بُعد المسافة في زمن تقـاربت فيـه المسـافات وان من يريد إطالة المسافة يعاكس الزمن إلى أن يغرق فيه .

■ ثم استرسل فى الحديث قائلاً: انك لا تستطيع أن تضع الأغلال فى يد شخص ثم تطلب منه أن يصنع لك شيئاً . ولا تستطيع أن تدفع عجلة إلى الأمام وقد وضعت أمامها حاجزاً ومن يفعل ذلك يعاكس واقع الزمن وقوانين الحياه .

●● لقـد بدا للشـريكـين ان المتحدث يملك شيئاً من الفصـاحـة، ويتحدث بلغة جيدة بالنسبة لما يشعران به معاً . وكان أحدهما يريد أن يقاطعه الحديث وما ان توقف عنه قليلاً حتى قال له : ان ما قلته حقاً، ألم تسمع ان أحد المحاكم فى بلد غربي حكمت بعقاب أحد المحامين حين استعمل الضرب لتأديب ابنه؟ الم تسمع أن محكمة أخرى

بقلم: الدكتور
عبد الرحمن بن حسن النفيسة
الرياض



قضت بعدم مسئولية الابن عن مؤونة والديه حتى مع قدرته وحاجتهما. ؟

■ وانتقل من تصديق صاحبه، وتأييده إلى إلقاء المسئولية فيما يواجهونه على المجتمع الذي يعيشون فيه. ثم يتحدث بعبارات توحي بمعرفته للمسميات العقدية، وما حدث في المعمورة من نظريات وعقائد.. ان المجتمع الذي يعيشون فيه (والقول له) يشبه غابة محاطة بسياج من حديد لا تستطيع التحرك فيها أو الخروج منها الا وفق ضوابط، وقواعد صارمة.. فاللباس وفق نمط معين، والسفر وفق اجراء معين. وان أردت أن تتحرك فعليك أن تزن حركاتك، وتحاسب نفسك قبل أن تكون محلا للحساب.

●● كان ثالثهم أكثر انهزاما، وأضعف عقلاً حين يتساءل في سذاجة الضياع؛ لماذا نصبر على ما نحن فيه؟. لماذا لا نعطي أنفسنا مجال الحركة عندما نريد؟.. لماذا تحسب علينا الخطى وتضبط الحركات؟، ثم بدا يهذي بعبارات متقطعة عن الانسان، وكيف يكون سلوكه ولماذا لا يكون على النمط الذي يريده ويختاره بكل حرية.. لقد بدا أنه يعشق حياة الضائعين في الطرقات ممن يبيعون دمهم الملوث بالأمراض.

●● كان أحد المتقاعدين يستمع إلى الثلاثة ليس لأنه يريد ضياع الوقت الذي يعاني منه، ولا لأنه يرغب في استراق حديث بين متحدثين غرباء عن المنتدى الذي يتردد عليه ولكن شعوره بدأ ينفعل وهو يسمع نموذجا من نماذج العصر الذي لم يبق له فيه إلا مدة معلومة.

■ التفت إليهم وهو يتحدث بأعلى صوته: ليتني كما كنت (رجل أمن) حتى استطيع وضع الأغلال في أيديكم، ورميكم في السجن لصياغة تربيتكم من جديد حتى أضمن ان الحضارة التى انتسب إليها لن تموت في زمن تحتلون جزءا منه. لقد بدا يتشنج من الغضب والانفعال ولم يلبث الشبان الثلاثة إلا والمتقاعدون من رواد المنتدى يطبقون عليهم لإخراجهم منه وهم كارهون.

●● قلت: هذه واقعة - وهي والحمد لله - لا تعكس حقيقة جيل بكامله في تلك المدينة العربية، ولكنها تشهد على ما يعانيه بعض انسان هذا الجيل من صراع نفسي تداخلت فيه عوامل متعددة من الزيف الحضاري المتسلل من المستوردات بأغلفتها الظاهرة والمستترة.. ان هذا النموذج من الشبان الثلاثة يعكس عدم قدرة المجتمع الذي يعيشون فيه على صياغة انسانه على النحو الذي يستطيع فيه هذا الانسان مقاومة الصراع المتولد من المستوردات الأجنبية المتمثلة في وسائل الإغراء في صورها المختلفة.

■ إن من السهل على أي دوله متقدمة ان تتقبل وجود مجموعة من التائهين في الطرقات لأنها ترى فيهم «طرحاً» لا قيمة له بجانب «العِلْية» التى كونت القوة وتصر على المحافظه عليها.. إنهم يعاملون هذا الطرح بما يشبه النفاية الكيمياوية المنسابة من مصنع كبير بدأ انتاجه منذ زمن طويل.

●● قلت: ولكن الحال يختلف في دول نامية يعتبر الانسان في أصغر مجموعته ثروه هامة لها، وانحسار الفرد فيها، حتى ولو كان واحدا، يعتبر خسارة كبيرة تشبه انسياب الطرح الكيماوي من المصنع قبل بدء عمله.

■ إن هذه المنعطفات التى ينزلق فيها مثل هؤلاء الشباب ستظل العائق الوحيد لما يبتغيه أي بلد من المحافظة على وجوده، وربما لا تدرك أطر التربية هذه الحقيقة إلا بعد فوات الأوان.

حوش التاجورى

رواية طويلة فى حلقات

الحلقة الثانية

غالب حمزه ابو الفرج

المشاعر الانسانية لها تصورها الخاص عند النساء، إذ هى اكثر عاطفة، واذا تعلقت هذه العاطفة بشقيقتين فعندئذ يكون الإيثار والتضحية من أجل هذه الأخت . . وتنازلت لاختها عن حبيب عمرها (فريد) من غير أن تحس الاخرى بذلك . . ولكن يظل قلبها يتقطع، فالقلب لا يحتمل اكثر من حِبٍّ واحد . . وضاعت أحلام السنين.

العالم يضيق بى على رحابته . . . وهموم الغربة تزيدني سأما وأرقا وتألما وأنا فى مخدعي فى بيتنا الجديد فى مدينة جده على مقربة من البحر الاحمر فقد شاء والدى ان يكون بيتنا هناك.

عندما وصلت الى مدينة جدة التى عشت فيها فيما بعد سنوات عمرى اللاحقة أحسست بأنني قد وضعت سورا بيني وبين مدينتى التى أحببت رغم أنها فقدت تباعا كثيرا من الأماكن التي أحببتها نتيجة للتطور والتعمير الذى واكب أيام الازدهار التى بدأت تعيشها بلادنا الحبيبة.

سارة صديقتى أخت فريد لا تزال فى طيبة الطيبة ووسائل الاتصالات الحديثة منحتني الفرصة لأن أتحدث اليها يوميا لدرجة ضاق بعدها أبى بفواتير التلفون . . ولا عجب اذ أن فواتير التلفون أصبحت جزءا ضروريا فى موازنة الأسرة السعودية.

أختي التى تعيش معي والتي أحبها من كل قلبى بل التي لم أستطع أن أكرهها كما اعتقدت فى بداية معرفتي باتفاق الأهل على تزويجها من فريد لم تعد تتحرج فى الحديث أمامي عن كل شيء . . . . عنه وأعني عن فريد وهي فى حديثها هذا عنه على حق . . . . .

أليست ستصبح فى القريب زوجة له؟ . . . .

فى الوقت الذى كنت أغذ السير في طريق الدراسة والتحصيل العلمي انقطعت اختى عن الدراسة . . . احست بأن قلبها وعقلها قد اكتفيا بما تلقت ورضيت بالبقاء فى البيت انتظارا ليوم يأتى فيه فريد ويحملها الى عش الزوجية.

■ أما أنا فقد كنت أشبه بخلية النحل بعد أن كرست كل شيء فى حياتي ووضعت كل همي فى أن أصبح طبيبة . . . . ولقد علمت فيما بعد أن فريدا أيضا وبوحي من كلامي معه فى لقائنا الأخير فى بستان المصرع حاول أن يصبح طبيبا الا أنه لم يوفق لأكثر من سبب يأتي فى مقدمتها انه لم يبذل الجهد الكافي لينال العلامات التى تؤهله لدخول كلية الطب فطبعا ليست بالاماني وحدها تتحقق الأحلام.

فى بيتنا كانت الحياة مملة رتيبة لولا هذا الصامت الاسود الذى كان يشكل همزة الوصل مع عالمي الذى بدأ يكبر.

ولكم تحدثت الى نفسى عن أختى وأحلامها وأمانيها وحاولت فى كل مرة أن أعيد الى ذهني صور الامس يوم كنا صغارا هناك فى حوش التاجورى ثم بعدها هنا فى جده . . . . كان حديثى مع نفسي يملأنى احساسا جديدا بالحب لهذه الأخت رغم كل ذلك الذى حدث . . . . ورغم كل ذلك الذى سوف يحدث . . .

ولكم حاولت ان امنحها ثقتي وأبوح لها بسرى . . . . أن أقول لها كل شيء عن أحاسيسى باعتبارها الأخت الكبرى وأنها ملجأى وملاذى بعد الله وبعد رحيل أمي عن حياتنا . . . ولكني لم أفعل بل على العكس كنت أطوى



صفحات الضعف هذه وأكتمها فى نفسي وأشجع أختى على المضي فى الحديث عن أمانيها وأحلامها والتي تتركز في مجملها على فريد وحول حياتها معه .... فى باطن أعماقى التى تنزف كان يكمن احساس قوى بأنني أظلم نفسي فى كل هذا الذى أفعله .... فأنا عندما أفكر جديا فيما سوف تقدم أختى عليه أجد قلبى وكأنه سينزف دما وأحس باختناق .... ومع ذلك فهناك دائما شىء ما فى أعماقي الحزينة يجعلني أضحي بكل شىء محاولة أن أنسى كلمات سارة ورغبة فريد.

أكذب عليكم اذا قلت بأنني لم أتحدث الى فريد بعد أن وضح لي كل شىء وعرفت معنى أن يتزوج الانسان من أخت من أحبها وأحبته لكن «ظروف الحياة فى مجتمعنا تجعله يقبل الأمر الواقع» كما علل قبوله للزواج من أختي وتجعلني أنا لا أرفض أن أبارك ما سوف يحدث فى المستقبل القريب.

خفت فى البداية من أن يفتضح أمرى عندما يحين موعد زفاف أختي ورأيت بعد تفكير ان من واجبى ان أبقي الامر تماما بيني وبين نفسي وان اتحدث ايضا الى سارة صديقتي اخت فريد .... تحدثت اليها طويلا وحاولت ان اقطع عليها عهدا بأن تنسى كل ما تحدثنا عنه بخصوص أخيها فريد.

قلت لها بأن حبى لأخيها ورغبتي في أن يكون زوجا لى قد شاخت أو لم يعد لها وجود فى نفسي وقلت لها أيضا أن ظروف الحياة فى مجتمعنا تدعونا لأن ننسى أحاسيسنا الساذجة الفجة .... أجابتنى بعد حديثى الطويل معها قائلة:

«ربما أنت تستطيعين لأنك عنيدة وقادرة على المضى قدما فى تحقيق ما ترغبين ولكن هل فى مقدور أخي أن يكون مثلك؟».

قلت وكان بودى أن أقول شيئا آخر «لابد وأنه هو

الآخر مثلي طافت بذهنه ترهات يجب علينا أن نلفظها وأن ننساها .... ثم رددت بصوت منخفض وكأنني أحدث نفسي» .... ثم أنسيت أنه سوف يكون زوج أختي؟.

كنت أقول هذا الكلام وأنا أسحق شعورا داخليا يصرخ بأنني أود لو أنه سوف يصبح زوجي أنا وأحسست بمزيد من الألم يعتصر فؤادى لكن واجبي تجاه هذا الموقف وتجاه أختي أمدني بقوة جعلتني أقاوم وأقاوم وانغمس فى حياتي الدراسية لا أفكر الا بها مما جعلني أمضي أيام الدراسة متفوقة على جميع اقرانى.

● سألني والدى فى أحد الايام «وماذا تريدين ان تدرسي بعد تخرجك من الثانوية؟.

■ أجبت أريد أن أصبح طبيبة.

ونظر أبى الي ضاحكا وهو يقول «قولى غير هذا يا بنتى .... الا تعرفين بأنه لا يوجد فى بلدنا كليات طب حتى الآن؟ .... قلت بتصميم عجب منه أبى «أعرف لكني سأدرس الطب اذا ما وافقت يا والدى في الباكستان.

نظرت الي أختي التى كانت تستمع الى حديثنا وقالت: «أو لا تريدين أن تتزوجي فسنوات الطب طويلة وقد تحرمك من عريس قد يتقدم اليك لو أنك بقيت هنا في بلدك؟.

وبعصبية حاسبت نفسي عليها فيما بعد قلت: ألا يكفينا فى هذا البيت أن تتزوج واحدة منا؟.

وضحكت أختى وهى تخرج من الغرفة وتهز أكتافها وكأن الأمر لا يعنيها من قريب أو بعيد..

أما أنا فقد أمضيت ليلة ممطرة شاب اجواءها تلال من الخوف والحزن والألم والأمل والضباب .... ترى هل استطيع أن أكون قوية كما تقول سارة فامضي فى حياتي دون أن انحطم أو انكسر من الداخل؟ .... ونمت وأنا أترك الأمر للزمن فهو الكفيل بأن ينسينى وان يمدني بما يساعدني على تشكيل حياتي المقبلة وفق نمط يرضينى اذ لربما يحقق طموحاتي فى ان أصبح طبيبة ينشغل وقتها كله فلا يكون هناك وقت للتفكير في أمر قد أصبح ماضيا وماضيا بعيدا...

ومرت الايام حتى جاء ذلك اليوم الذى أصبح فيه فريد فى بيتنا فقد اقترنت أختى به وأصبح المجال أن اراه أمامي دائما كبيرا وكبيراً جدا .... الا أنني كنت دائما وأبدا اتهرب من رؤيته والاجتماع به حتى تلك الليلة التي لن انساها ما حييت .... دقت اختى باب غرفتي وعندما طلبت منها أن تدخل اذ كنت لا أزال في فراشي اقرأ في كتاب لأبعِدَ الأفكار عني.

دخلت أختى ثريا الغرفة فاذا بي أصطدم بوجه مكفهر غاضب .... لابل وجه حزين عابس .... لا أدرى المهم أن علامات الهم والحزن والغضب كانت بادية على وجهها وتختلط بشكل جعل قلبي يتوجس خيفة .... سألتها ملهوفة عما بها فاذا بها تحدثنى عن ضياع أحلامها الحلوة التى كانت تظن أنها بدت على وشك أن تصبح حقيقة بعد اقترانها بفريد .... وعرفت من أختى أشياء كثيرة ساورني معها كثير من الشك فى أن فريدا لا يبالي باختي او بمشاعرها.

ثارت ثائرتي على فريد فقد كان فى خيالى دائما ذلك الرجل الشهم الذى يحترق لاسعاد الآخرين.

ولقد دفعتني ثورتي تلك لأن أواجه فريدا وأتحدث اليه وأطلب منه أن يكون رجلا بمعنى الكلمة فلا يحطم قلب أختي التى لا أقدر الا أن أحبها وأضحي من أجلها بكل ما أستطيع .... أوليست هي الصورة «طبق الأصل» من والدتي رحمها الله .... فهل أقدر الا أن أسعى لاسعادها ومهما كان الثمن .... ثم أليست هذه هى احدى تلك المثل العليا التي نشأت عليها .... أن احب أفراد عائلتى وأبذل جهدى لاسعادهم وادخال البهجة عليهم.

جاءت كلماتي لفريد قوية واضحة ومحددة .... حتى اذا ما انتهيت مما أريد قوله .... سألني هو بصوت بارد هادىء وكأن الأمر لا يهمه كثيرا.

قال: «وانــت؟» ....

قلت: «ماذا تعني؟ ... أنا بخير ...» وانسحبت دون أن أكمل كلامي .... فكرت أن أذهب الى جدتي

.... أن القي برأسى على صدرها الحنون وأن أحدثها بمتاعبى .... أقول لها كل شيء .... لكنني وبعد تفكير رأيت من الأفضل أن لا أفتح فمي بأى كلمة حول هذا الموضوع.

أختى فى غرفتها تبكى وأنا بجانبها أحاول أن أمسح دموعها وأن أسرى عنها ... هى تحدثنى عن شقائها وحيرتها من زوجها الذى يبدو بعيدا عنها بقلبه ومشاعره وانا أطالبها بالصبر وأغالطها فيا تقول وأطلب منها أن تعطيه الفرصة فالايام كفيلة بتقريبه منها والعشرة كفيلة بأن تجعله يحس بها .... هذا ما كنت أردده على مسامعها.

أختى ماضية فى الحديث عنه وعن نفسها تحاول الا تستمع لما أقول .... وفهمت بعد حديث طويل ما جعلني أعرف سر اضطراب نفسها .... فهمت أنها باتت تعتقد ان بعد فريد عنها بمشاعره واحساساته انها نابع من أنه يحب انثى غيرها.

وسألتها بعد أن أخذ جبيني يتصبب عرقا: «أتعنين انه يخونك»؟ وكأني بهذا السؤال أنفى تهمة عن نفسي وألصقها بأخرى قد يخونها معها ان كان هناك خيانة ما..

قالت: لا، لسبب بسيط هو أن من يحبها لا يمكن أن يخوننى معها .... أصابنى وجوم حاولت معه أن أبدو طبيعية لذلك سألتها وأنا أصطنع اللامبالاة عن اسم تلك الحبيبة التي تبعده عن زوجته .... عروسه التي لم يقترن بها الا منذ مدة بسيطة.

ابتسمت أختى ابتسامة شاحبة وناولتنى المرآة الصغيرة التي كانت بجانب سريرها الذى تجلس عليه فوجدتني أطالع بهلع شديد صورة وجهي أنا.

وقبل أن أنبس ببنت شفة عاودت حديثها معي قائلة ورنة حزن وأسى تغلف صوتها: «تصورى: انه يحبك انت ...»

«يحبني أنا؟.. غير معقول «أجبتها وأنا لا أعى ما أقول .... ومضت أختى تقول بهدوء انه دائما يقارن بينى وبينك بل ولا يتحرج من أن يقول انه كان يتمنى لو كنت انت أنا وأنا انت.

سادت لحظات صمت قاسية بيننا كنت أفكر خلالها بأن أقول شيئا .... اى شيء مهما كان حتى لا تفسر اختى سكوتي وصمتى على غير ما اشتهى .... وعاودنى الهدوء وأنا أسمع اختى تتابع حديثها قائلة:

«ربما أكون مخطئة لكنى مع كل ذلك أجزم بأنه حب من طرف واحد ....» ضحكت فى هستيرية وكأني لا أصدق ما أسمع ووجدتنى ومن واقع حبى لها أقول: «اذا كان ذلك صحيحا أو مجرد وهم فى عقلك فان علي ان لا أحضر الى بيتك وان لا أرى فريدا أبدا....».

قاطعتنى أختى لتقول: «لا أنا واثقة من أختى ورجاحة عقلها كما انني واثقة منه أيضا فقد كنت أمامه قبل أن يقترن بي وكان يمكنه أن يقول كلمة في هذا الموضوع تصحح مجرى الأمور اذا كان يعتقد أن على الامور ان تتغير».

ابتسمت وأنا أحاول أن أتفلسف معها واثنى على فكرتها هذه .... ونسيت فى غمرة كل هذه الفلسفة ان أخبرها اننى سأسافر قريبا .... سابعد عن هذا البيت لأواصل تعليمي وهى فرصة بعثها الله سبحانه وتعالى لى لأحافظ أيضا من خلال سفرى على هدوء حياة أختى التى أحب .... اذ ربما بُعدى عنه يجعله يكف عن ملاحقة اختى بعبارات المقارنة بينى وبينها والتى كانت دائما تنتهى لصالحي .... لأنني هادئة عاقلة رزينة وهى ثرثارة عالية الصوت تحاول دائما أن تعكنن عليه عيشته كما كان يردد على مسامعها.

وأنا ماذا عنى؟ .... ماذا عن مشاعرى؟..

نعم البعد دواء .... والمسافات الطويلة التي سوف تفصلنى عن بلدى والظروف الجديدة التى سأعيش فيها سوف تساعدني بالتأكيد على نسيان وجه ذلك الطفل الذى عرفت .... ومع ذلك فقد أصبحت حريصة أكثر بعد كلام أختى .... أصبحت لا أزورها فى بيتها الا عندما تكون وحيدة .... أما عندما تأتي لزيارتنا برفقته فقد كنت أنتحل الأعذار لامضى أكثر وقتى فى غرفتي مع كتبى وكراريسى وأحلامي التى باتت تتركز فى أن أصبح

طبيبة وطبيبة ماهرة تعالج الآخرين كما تعالج نفسها وروحها أيضا.

ترى ماذا يخبىء القدر لهذه الصغيرة التى هى أنا؟..

والى متى سوف أظل على هذه الحال؟.... وأختى هل يمكن لأختى أن تستعيد ثقتها بزوجها؟.... هل يستطيع هو أن يزرع تلك الثقة فى نفسها وهو الذى اختار أن يقترن بها عندما لم يحاول أن يقول لا لوالده.

... نعم.. أن يقول.. لا.. انه يريد أن يقترن بغيرها .... كان هذا كل ما يحتاجه الموقف وأنا متأكدة ان الامور كانت ستتغير ولكن لماذا لم يفعل؟؟

هل كانت تنقصه الشجاعة ليقف أمام والده ويقول مثل هذا الكلام؟.... أم.. لا، لا أريد أن أفكر.. إنه ليس على تلك الصورة التى رسمتها له وإنه ليس ذلك الرجل الذى هو رجل بمعنى الكلمة كما كان يصوره خيالى لي.

وواصلت الاسئلة طنينها في أذني بلا رحمة ولا هوادة .... هل؟ وهل: وهل يستطيع الزمن ان يجعلنى سعيدة أنا التي أحس بشقاء العالم كله ينصب فوق رأسى...؟.

أسئلتى الكثيرة هذه تحتاج اجاباتها الى صبر.... والى سنوات طويلة لا أظنني قادرة على اجتيازها بمفردى .... هكذا وجدت نفسي أردد وأنا ساهمة شاردة أنظر الى الافق البعيد.... الى الشمس التى تغوص وراء البحر الأحمر الذى أراه هادئا صافيا من نافذة غرفتى التى أقف أمامها.... هادئا صافيا بينما أعماقي أنا تهدر وكأنها موج عاتٍ فى يوم عاصف ماطر.

هدوء البحر وصفاؤه انعكس على وأعاد الهدوء الى نفسي ووجدتنى مع كل هذا الألم والحزن الذى يغلف قلبى أشعر بأننى سوف أستطيع أن أصل الى المجهول الذى أبحث عنه.... والمجهول بنظرى في تلك اللحظة كان هو العالم الجديد الذى سأنطلق اليه فى رحلتي هذه المرة مع الأمل وليس الألم فأنا.... أنا قادرة على تحمل وامتصاص الكثير من الالام.... او لم تثبت ذلك الأحداث التي مرت بي.. حتى هذه الوقفة عند نافذتي أرقب غروب الشمس واختفاءها وراء البحر الاحمر لتعود من مكان آخر فى صبيحة اليوم التالي متلألئة مشرقة تبعث الدفء والأمل فى نفوس أمثالي.

* * *

تظل المرأه تعايش الأحلام طوال سنوات حياتها.... ربما لأن طبيعة الحياة التي تمارسها والظروف التى تعيش فيها هى السبب.... وربما لأنها جبلت هكذا.... فالعاطفة جزء هام فى حياة المرأة والاحلام وسيلة من وسائل التنفيس عن الضغوط النفسية التي تحيط بقلب هذه الانثى وجسدها.... فى اسلام اباد بالباكستان وفي كلية الطب لم أكن وحدى.... كان معى أكثر من فتاة من بلادى .... ولكم أحسست بالحب لهذه المهنة التى سأمارسها بعدما أعود الى بلادى.

■ سهى.. واحدة من بنات بلدى ارتبطت معها بصداقة منذ أول يوم تعرفت فيه عليها.

قالت لى ونحن نأخذ طريقنا الى غرفة النوم المشتركة: «أتدرين (يارباب) انت جميلة ومع هذا تواصلين دراسة الطب.... لماذا؟».

التفت اليها بكل جوارحي وقلت مستغربة مستنكرة: «وهل دراسة الطب وقف على غير الجميلات».... وبهزة من رأسها قالت «نعم».... ثم استطردت قائلة: «انظرى الى وجهي.... لو كان وجهى جميلا لتزوجت وقبعت فى بيتي هناك فى مكة.... لكني لا أكتمك السر بأني بعد أن عرفت أن العلم طريق أمثالي فى الحياة اخترت ان أحضر الى هنا لألتحق بكلية الطب هذه..

فكرت كثيرا فيما قالته سهى واخذت أناقش نفسى بهدوء وأناقشها هى أيضا.... ولقد ناقشتها أكثر من مرة في هذا الموضوع.... فأنا غير مقتنعة بفكرتها.

قلت لسهى فى أحد الأيام العلم نبع يعب منه الانسان الى أن يرتوى.... قد ترتوى أحداهن بالقليل وتفضل ان تقطع دراستها وتتزوج وقد لا تفعل أخرى ذلك وتبقى المسألة مسألة اقتناع بغض النظر عن جمال الوجه والقوام .... ثم ان الجمال شيء نسبي فما قد يجده أحدهم جمالا

قد لا يجده الآخر كذلك والعكس صحيح وهذا بحد ذاته ينفى ان يكون هناك انسانة جميلة تماما وأخرى غير جميلة على الاطلاق اذ تبقى هنا أيضا المسألة مسألة اقتناع لتلعب بعدها القسمة والنصيب دورها فى ربط هذا بتلك التى تبدو فى نظره جميلة والتي قد لا تبدو كذلك فى عينيك انت يا سهى أو في عيني سواك . . وأعتقد أنني بمناقشتى هذه اقنعت سهى فقد كفت عن الخوض فى هذا الموضوع تماما بعدها .

نعم أقنعتها ولكني لم أقتنع أنا بما روته لي . . . . فهي وان لم تكن جميلة فهي مقبولة ولابد أن تجد من يتقدم للزواج منها . . . . لذلك سألتها مرة ونحن حول مائدة الطعام :

« أو أحببت يا سهى ؟ . . »

وصمتت سهى ولم تجب لكنني رأيت دمعتين تنحدران بهدوء على خديها فاحترمت حزنها ولم اكمل . . . . الا أنها وبعد أن استجمعت نفسها حدثتنى بكل قصتها . . . . قالت بأنها أحبت ابن الجيران وشعرت وهى صغيرة بأنه فارسها وانه سوف يخطبها . . . . ولكن بعد أن كبرا خطب صديقة لها وتركها تجتر أحزانها، وتبكي حلما لم يتحقق أبدا .

سألتها: هل قلت له شيئا؟ . . هل عرف باحساسك نحوه؟ .

أجابت بحزن لا . . فأنت أعرف بطبيعة المجتمع الذى نعايش ثم صمتت . . . . لم أتركها لصمتها هذه المرة بل واصلت حديثى معها قائلة : أو تحبينه حتى بعد أن تزوج؟ .

ابتسمت بهدوء ثم قالت : مشكلتنا نحن الحرائر هى بأن أحلامنا تظل تواصل رحلتها معنا حتى عندما نفقدها .

اكتفيت بهذه الاجابة التى تؤكد اخلاص المرأة لحبها عندما تحب بصدق . . وانخرطت فى النوم لأجد نفسي مرة أخرى فى حوش التاجورى الذى ضاع .

وصحوت من نومى لأتسلم رسالة من سارة صديقتى اخت فريد . . . . واخذت أقرأ الرسالة . . . . ستستغربون مثلى كل ما قرأت . . . . حاولت أن أنسى كل ما جاء فى تلك الرسالة ولكن بلا جدوى .

أتدرون ما قالته سارة صديقتى وأخت فريد فى رسالتها؟ لقد قرر أبوها أن يزفها الى ابى وهي راضية بهذا القرار .

أبى لم يكتب لي ولكنى وجدت أن من المناسب وبعد أن زالت الدهشة والاستغراب من نفسي ان أبعث اليه برسالة أشعره فيها بحقه فى الزواج بعد كل هذه السنوات التى انقضت على وفاة أمي . . . . بالطبع لم أذكر برسالتى تلك اسم من يمكن أن يختارها ليقترن بها . . . . وتركت ذلك له وكأني لا أعلم عن الأمر شيئا . . . . بل كل ما أعلمه هو أنني أريده أن يكون دائما سعيدا وراضيا .

وعلمت من أختى بعد ذلك تفاصيل ما حدث . . . . فأبي اليوم هو من كبار الملاك . . . . جادت عليه الحياة بالمال الوفير من خلال أعماله التى باتت تكثر وتتشعب يوما بعد يوم وأصبح في مقدورنا أن نعايش الترف . . . . حتى أنا أصبحت أعايش هذا الترف فقد زاد أبي من كمية المال الذى يبعث به الي . . . . ولكن هل عز علي أن يتزوج أبى بعد كل هذه الأعوام ورغم تلك الرسالة التى كتبتها له؟ .

نعم مثل هذه الفكرة طرأت على بالي لكننى كنت أطرحها بعيدا عني بقوة وصلابة فأبي على حق فى ان يتزوج وحزني فى أن تكون هناك انثى أخرى تحتل مكان أمي فى بيتنا وفى قلب أبي يجب أن يكون لا معنى له أبدا .

زواج المرأة والرجل سنة وضرورة، وبهما تكتمل مسيرة الحياة لكن أن يتزوج أبي ويأتي بأخرى تحل محل أمي . . . . وأن يتزوج فتاة فى عمر سارة فذلك شىء لم أستطع أن أستسيغه أبدا وان كنت أبدو فى الظاهر أنني راضية ومقتنعة بما حدث . . . . هكذا شاء لى القدر دائما أن أبدى اقتناعا بوضع أشعر فى قرارة نفسي بعكسه تماما .

وتوالت رسائل أختى . . . . وعرفت منها كم تغير أبى بعد زواجه من سارة . . . . لقد استطاعت هذه الفتاة أن تصنع منه رجلا آخر ولدرجة خفت معها على أبى . . . .

فتغيير الظروف الحياتية لأى انسان فى مثل عمر أبى وفجأة كما حدث مع أبى أمر لا يطمئن الانسان اليه أبدا.

■ سارة.. أخيرا كتبت لى رسالة تقترح علي أن أعود الى جده بعد أن تهيأت الظروف لاستكمال دراستى فى كلية الطب التى كان قد تم انشاؤها فى جده منذ مدة وأنه بذلك لا معنى لاغترابي.

نعم لقد تغيرت احوال الحياة في بلادنا وساد التعليم كل ركن من قرانا ومدننا وأصبح التعليم الجامعى بكل تخصصاته متيسرا لكل من يريد وسولت لي نفسي أن أرفض العودة لكن حبى لأرضى ومجتمعى وللحياة فيها وان بدت أنها أثقل على نفس انثى مثلي ولها مثل ظروفي الا أنها بشكل عام أجمل وأحب وأحلى.

جمعت ملابسي واتخذت كافة السبل والترتيبات الخاصة للعودة الى الوطن في بداية الاجازة السنوية.... أمضيت فترة من الزمن أشترى من أسواق مدينة اسلام أباد التى أعيش فيها بعض الهدايا.

لكنني على كثرة ما رأيت لم أجد شيئا يمكن ان أشتريه وأقدمه هدية لأبي.. فكرت كثيرا ثم عزمت على أن اختار له بعض العطور.... عطور الورد والعود التى يحبها أو ليس أبي الآن عريسا يقضى معظم وقته مع زوجته سارة فى الأسواق ينتقي الثياب الجديدة لها وله ويشترى من العطور الشيء الكثير كما أخبرتني أختى فى احدى رسائلها؟.

وجاء يوم السفر.... حملت أغراضى مع شوقى وحنينى الى الوطن والى بيتنا وغرفتى المطلة على البحر وركبت الطائرة وأفكارى تأخذني هنا وهناك «ترى ما شكل الحياة التى سوف أحياها مع أبي وزوجته سارة».

لا... ان سارة طيبة وهى صديقتى ولابد أن الأمور سوف تسير على ما يرام بيننا.. هكذا كنت أحدث نفسى لأجد بعض الطمأنينة فى ان ابى لم ولن يتغير وفى ان مشاعره لي ولأختى سوف تستمر قوية دافئة كعهدها دائما.

فى المطار الذى كدت لا أعرفه.... كانت سارة وأبى فى انتظارى.... فلقد وجدت أشياء كثيرة الى جانب المطار قد تغيرت فى بلادنا بفعل التطور والازدهار الذى رافق الحياة فى تلك الآونة.... حتى أبي تغير فقد وجدته قد أصبح ناعم الملبس ينتقى حديثه مع الجميع بعناية وكأنه يفاخر بأنه يعرف كيف يعيش حياته بسعادة وهناء.

عندما قدمت لأبى وسارة الهدايا التى أحضرتها لهما.... ضحكت سارة وقالت: «لقد أصبح أبوك لا يستعمل مثل هذه العطور.... انه يفضل البروت والجفنشي والعطور الأخرى الباريسية.

نظرت الى أبى فرأيته وكأنه يؤمن على قولها فلم امتعض.... ربما لأن عقلي الباطن كان يخمن أنه لابد وأن يحدث تغيير جذرى فى حياة أبي عندما يتزوج وتدخل امرأة أخرى الى بيتنا.

رحت أتحين الفرصة التى يمكن لى معها، أن اتحدث الى سارة على انفراد.... وبالفعل حانت تلك الفرصة بعد أيام من وصولى.... سألتها عن زواجها وحياتها مع أبي فلم تبخل علي بأدق التفاصيل.

قالت لي أنها قد رحبت بمثل هذا الزواج الذى يتيح لها حياة رغدة هانئة وقالت عن أبى انه زوج رائع لكنه غيور وأنها حاولت ولا تزال تحاول تهذيب غيرته هذه.

نظرت اليها وكأنى اسألها سؤالا لم أجرؤ على أن أقوله بصوتى فقالت مجيبة: «صدقينى لم أقل له أى شيء مما أعرفه عن حبك لفريد أخي.... ذلك الحب الذى أعتقد أنه ذوى ومات».

هززت رأسى مؤمِّنة على كلامها وأخذت طريقى الى غرفتى وأنا أفكر.... ترى أيمكن للمرأة أن تتغير هكذا فجأة؟.... سارة لم تكن كذلك أبدا.... لم تكن تجرى وراء الزوج الغني.... فهذه الصديقة كانت تحلم بشاب مفتول العضلات يأتي على حصان أبيض من الأفق البعيد حاملا الحب والعاطفة المتأججة.... ما بالها لم تعد تفكر باحلامها تلك والتي كانت جزءا من حياتها وهى طفلة وعلى أعتاب الصبا والشباب فى حوش التاجورى حيث كنا نجتمع بالساعات نحكي كل منا عن

أحلامها وآمالها والحياة التى تتمناها فى المستقبل ويوم تصبح امرأة ناضجة تكافح مع رجلها وتبنى أسرتها السعيدة طوبة طوبة .... ما بالها قد نسيت كل ذلك واختارت الحياة الهينة اللينة اسلوبا لها تعيشه فى هذه الدنيا.

شعرت بأنني أكاد لا أفهم هذه المرأة .... أهي صادقة فيما تقول عن أبي؟ .... أهي ممثلة؟ .... ماذا تريد حقا والى ماذا ترمي من هذا الزواج؟.

■ أسئلة خفت أن أجيب عليها بكلمة واحدة كانت ترن فى اذني .... المال انها تزوجت المال ولا يهم من يملك هذا المال .... لا، لا أريد أن أصدق .... لا يمكن أن يكون الوضع كذلك أبدا .... سارة أحبت والدى .... رأت فيه الحنان والحب والعطف ولذلك تزوجته .... تزوجته كي تضع رأسها على كتف رجل يستطيع أن يحميها .... أفكار اخذت تتضارب فى عقلي ولم تترك لي فرصة لأرتاح وأستكين .... لقد قدر لي أن أكون دائما هكذا مشتتة الذهن مشغولة الفكر بسعادة أولئك الذين حولى .... الشىء الذى لم يترك مجالا لى كى أفكر بنفسي .... وتنهدت وأنا أغلق نافذة غرفتي فنحن فى فصل الشتاء وأنا أشعر ببرودة غريبة تدب فى كيانى وعقلى وقلبي.

أما أبى فقد تغيرت نظرته للحياة .... لقد أصبح أكثر تفاؤلا خصوصا بعد أن حملت سارة .... لقد أحس برغبة شديدة فى أن يصبح أبا لطفل جديد وأصبح يتحدث الي والى أختى ثريا أكثر من ذى قبل .... كان يطلب منا ومن كل من يعرفه أن ندعو له الله كي ينجب ولدا.

كان أبى يتوق لهذا الولد منذ كنا صغارا وحتى قبل وفاة أمي .... لكنه نسى هذا الأمر مع الزمن وخصوصا بعد وفاة أمي وقال عني فى أكثر من مناسبة بأنني أنا التى سوف تغنيه عن هذا الولد الذى لم يأت.

أما اليوم فأبي انسان آخر .... سارة تضحك من لهفة أبى على الطفل حتى اذا مرت الايام وانجبت اراد الله لها ولأبى حظا كبيرا فقد انجبت سارة توأم (ولدين)



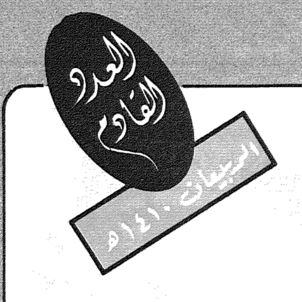
معا .... أضافا على البيت لمسة حب جديدة ولمسة انتعاش سرت وتغلغلت لا فى نفس أبى وحده بل وفى نفسي أنا أيضا.

ترى لماذا يتلهف الأباء والأمهات على انجاب الاولاد؟ .... وهل هذا يعني أن الولد فى رأى كل هؤلاء أهم وأفضل من البنت؟

أفكار كثيرة من هذا القبيل اخذت تحاصر مخيلتي .... أنا التى بودها أن تعرف كل شىء وأن تصل الى أعماق كل شىء .... أختى هى الأخرى أصبحت شيئا مغايرا للأمس .... لكنها وبعد عودتي أحسست بأنها تحمل بين جنبات قلبها هما ثقيلا لا تريد أن تفضي به الى أحد حتى أنا.

أما أنا فقد عقدت العزم على أن أنسى طفولتي وذكرياتها وكل شىء عنها ولقد شغلتنى دراستي عن كل هذه الافكار والذكريات .... نعم شغلتنى دراستى التى أخذت تسد علي جميع منافذ التفكير فى الماضي .... أنا التى كانت أفكارى تشاغلني باستمرار ....

لقد انخرطت فى دراستى وأنا مشوقة لأن أصل الى الغاية التى أريد وكلي أمل في أن أعاود التجوال في ظروف الحياة التى نمارسها على أرض هذا العالم بعد أن أصبح طبيبة .... طبيبة يشار اليها بالبنان.



مكة المكرمة

المقام.. والارتحال

○○○

عدد خاص

"جديد.. متميز"

تنويه وايضاح

تشكر المجلة غيرة كتابها على إبداعاتهم وتود أن يتلمسوا ما قد تبنته (منذ مطلع عامها الواحد والخمسين) من منهج يجعل من المقالات فى كل عدد من اعدادها بناءاً يضيىء بعضه بعضاً . . وتسرى فيه وحدة التوجه على تنوع المنطلق.

والمجلة ترجو كتابها الا يعدوا التأخر فى النشر وارداً - على الدوام - لأن المنهج فى حقيقته وموضوعيته يتجه الى انتاجهم مباشرة وبفرزه ليصل الى المتلقى فى غير ما خلطٍ أو تنافر. وسيعاد ما لا يتفق ومسيرتها وأهدافها الى أصحابه - على غير عادة القاعدة الصحفية - مشفوعاً بالشكر والتقدير.

ختاماً نود أن يتفهم اصد قاؤنا هذا . . وألا يكون التأخير مدعاة للتقصير فى حمل رسالة الكلمة وهذا ما اوجبه التنويه.

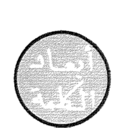
«المنهل»

مجلة
ذات أداء متخصص
العدد ٤٩
صفر
١٤١٠هـ



الاشراف
د. ابتسام صادق — الرياض
حياة عبد الحميد عنبر — جدة

مِهَن



التلوّن في الأدباء والمفكرين

وداد سكاكيني
سوريا

قد تكون ظاهرة الثورة اللونية فى الوجوه والجسوم من أبرز الظواهر العصرية فى الثورات العالمية الراهنة، فإن أخبارها وآثارها تتجاوب فى الآفاق القريبة والبعيدة، ويتحدث بمداها وحدتها الكبير والصغير، ولا يحسبنَّ أحد أن هذه النقمة البشرية حديثة العهد فى الثورات وأنها تتفجر اليوم مع حضارة الفكر والحرية فى عصرنا، فقد عرفها أدبنا القديم وصورها الشاعر العباسى، ابن الرومى، فى قصيدة ملحمية رائعة، وصف فيها ثورة الزنج فى البصرة على من بادوهم ظلما وملكوا الاقطاع غصباً وكان ابن الرومى على روعة شعره فى تصويره متعسفاً متجنباً على السود الناقمين الذين كانت ثورتهم أقوى وأبعد مما يصنع أمثالهم فى عصرنا.

فما ذنب هؤلاء المقهورين إذا كانت الحياة لم تمنحهم البياض وحرمتهم الحرية والعدالة التى كانت من نصيب ذوى الجلود المشرقة والملامح الوسيمة؟.. وعلى أن خواطرى فى هذا الصباح ما كانت لتتجه الى هذه الفكرة الثائرة لولا أن خطر فى بالى سواد وبياض فى بعض الأدباء والمفكرين لم يكن فى الاجسام والوجوه بل كان فى الطوايا والطباع ناضحاً بما قدمت آثارهم سارياً فيما قدمت أقلامهم من مداد شف عن ألوان تتبدل بتبدل مآربهم.

■ إنَّ من طبيعة الحياة والعصر أن يتطور الفكر والأدب وأن تتغير أشكال التعبير والتصوير بتغير الأذواق والمفاهيم دون عدوان على الأصالة والحقيقة فكيف يكون حكم الأجيال والباحثين على من تلونوا بأهوائهم وآثارهم بما يكفل لهم المنافع ولم يخلقوا ملونين كأولئك الناقمين الذين يكافحون فى عصرنا من أجل حريتهم وخلاصهم من جور اللون الذى لا يد لهم فيه ولا اختيار، على أن الوقت لا يسمح فى تعميق الفكرة بقضايا التلوين فى الفكر والادب وإن كنت لا أعنى أولئك الاعلام الذين يعرفهم المثقفون فى كتبهم ومذاهبهم فى الحياة الفكرية والاجتماعية بعد مراس وتمحيص وانما أعنى من اتخذوا الأدب والفكر وسيلة ومهنة فوضعوهما بالمزاد وقد ازداد عدد هؤلاء فى أدب الشرق والغرب، وفى أدبنا القديم وصفهم أبو العباس الحريرى فى مقاماته فصور الملون والتلون والنزعة المادية التى يتورط فيها المفكرون والأدباء طوعاً لأهوائهم وتلاوينهم لا كرها ولا قسرا.

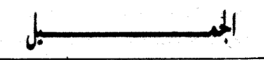
■ ولو عدنا الى تاريخنا الأدبى فى عصوره الزاهرة والفاترة لوجدنا التلون باديا فى آثار الشعراء الا الذين آثروا التقية أو الاخلاص للكلمة التى نشأوا عليها ونذروا حياتهم لها وعلى ترادف الأيام كان التزلف والتلون مصيبة كل شعب فى أثر أدبائه ومفكريه، الذين كانوا يمرحون بين المديح والرثاء على أن النقمة عليهم لم تنفع فى القديم والحديث فما على الثورة الأدبية بنقدها ورسالتها إلا أن تتيح للأقلام المخلصة أن تتفرغ لدراسة هذه المنازع المتلونة التى اتسعت بلواها على تعاقب الأحداث والسنين.

■ والمرايا تعكس صور المتلونين من الأدباء والمفكرين فيما وراء الوجوه والملامح إذن لما وجدنا مرآة واحدة فى بيت واحد منهم.

المقولات الجمالية مفهوماً وتاريخاً

■ عندما نبحث فى المقولات الجمالية فإننا سنذهب ولا ريب نحو اعلان مسبق بأن هنالك غنى فى المعانى الجمالية وهذا متأت عـن تعـدد وتعقـد اشكـال علاقـة الانسان الجماليـة. والعلاقة الجمالية هى علاقة قيمية تقوم على تقييم الموضوعات من حيث التقابل بين القيم فهي اما ان تضفى عليها معنى ايجابياً وإما تخلع عليها معنى سلبياً.

■ وقد تداخلت القيم الجمالية فى البداية فى مفهوم الجميل الا انهـا سرعان ما تمايزت بشدة اثر تمايز علاقات الفهم والقيمة عند الانسان ذاته. وسنحاول هنا ان نعرض لأربع مقولات أساسية فى علم الجمال فى وضعية متمايزة من حيث تدرج فهم كل واحـدة منهـا ومن حيث تمايـزها المعاصر مفرقين بين مقولة وأخرى.



الجميل، هو البداية التى لفَّت كل المفاهيم، الاّ انه ومنذ البداية قد عرف تمايزاً جزئياً فاليونانيون وحدوا بين الجمال والانسجام الا انهم ربطوا بين الجميل والاخلاقى فالحق والخير اسمى مراتب الجمال لديهم. اما «أفلوطين» فقد جمع بين الموقف التصوفى والجمال بحيث كان الجميل لديه هو غير المحسوس. وذهب «بروتاغوراس» الى ان

بقلم: رندا نحلاوي

دمشـق

موليير



الانسان مقياس جميع الاشياء بما فيها الجمال.. واسس (هيوم) النزعة الذاتية الاسمية فى الفن ـ فالجمال عنده حالة ذاتية وليس صفة موضوعية، وكان أول من اشار الى ان الجمال هو جمال الفكر، وذهب المذهب ذاته «كانت» لكنه إذاعتبر ان الجمال صفة ذاتية تتأتى عن الذات المعجبة بالجمال فإنه اعتبر ان الجميل هو ما ينسجم مع نشاط ملكة التفكير عندنا.

وذهب «هيغل» الى ان الانسجام والجميل موجودان معاً فى الطبيعة لكن جمال الطبيعة اقل من جمال الفن بالـرغم من ان الفن قد وصفـه دون العلم والدين معاً.

واعتـبر «شارل لالو» ان الجمال يعود الينا لكنه هو الذى يهزنا. وذهب البعض الى ان الاشياء البسيطة تبدو ادنى جمالاً من المعقدة من حيث التناسب والترتيب.

■ ان العلاقة الجمالية لا تنشأ الا تاريخياً ولهذا فالاحكام الجمالية لا يمكن ان تكون متطابقة بين زمان وزمان وانسان وانسـان بالـرغم من ان هذا لا ينفى وجـود قواعد عامة للجمال. ان الجمال منزه وفق جميع المقاييس عن الاغراض النفعية.. ويحلو للبعض ان يحلل موضوع الجمال انطلاقاً من الانسجـام بين الواقع والمثال الاعلى معتبرين انه لا يصـح ان نتحـدث عن نسب مثلى ثابتـة للجـمال..

فالمصريون كان الجمال لديهم فى السـاكن، واليونانيون فى

شكسبير



ارسطو



حركة الابعاد الثلاثة . . فضروب الجمال متغيرة وان يكن هنالك ضروب باقية تعبر عن اشواق الانسان للحرية والازدهار ولهذا فنحن نعجب بالفن المعماري اليوناني - الروماني ونعجب الى الآن بمسرح شكسبير وبالمعلقات العشر .

■ ان الجمال الطبيعي مرتبط بالانسجام بين الواقع والمثال ولهذا فالجمال مرتبط بتصورات تاريخية ، فجمال الطير وقبح الجرذ مرتبطان بالامثل وحيث يؤكد البعض ذلك عبر المقارنة بين الاهتمام بالطبيعة في العصور الرومانية - اليونانية وانعدام ذلك في العصور الوسطى الاوروبية .

وجمال الطبيعة يختلف عن جمال المصنوعات التي تتشكل العلاقة الجماليه معها بتعدى ادراكها الى معرفة كيفية صنعها والغاية منها ووظيفتها (أي وفق ما يناسب المثل الاجتماعي الاعلى) ان الفن بأصنافه رسماً ونحتاً وشعراً وقصة . . يضيف الى الجميل جمالاً بصياغة جميلة . والجمال توافق بين ما ينبغي ان تكون عليه الاشياء ووجودها الواقعي .

الرائـــــــع

ان مفهوم الرائع يتكون من عدة عناصر متضافرة :

● **هو الجمال المفرط الذي يتجاوز الحدود ويحتفظ بالامتاع .**

● **الرائع هو الذي بالاضافة الى ذلك يكون محفوفاً بالهيبة والجلال .**

● **وهو ايضاً الذي لا يمكن الاحاطة بجميع اجزائه .**

● **المألوف ليس رائعاً والرائع هو الذي يقطع سلسلة المألوف المتواتر .**

● **الرائع هو الذي يثير عاطفة التقدير وشيئاً من الرهبة والقلق والدهشة .**

■ والشعور السابق لا يقضي على الكائن والا تحول الرائع (ارهاباً) لاننا نرتد الى ذواتنا ونشعر بالامن والحرية . . تماماً كما لو اننا نحلق في طائرة ننظر منها الى العالم الارضي من علو.

وقد ظهر هذا المفهوم لاول مرة عند الكاتب اليوناني «لونجينوس» في كتابه الجليل أو الرائع . وعنده الجليل موجود في الواقع والانسان عبر اللغة . ويظهر اعظم مفهوم للرائع في تصوير القرآن الكريم المعجز والذي يخرج عن كل حدود تصور.

﴿يوم نقول لجهنّم هل امتلأت ، وتقول هل من مزيد﴾ . . ﴿اذا الشمسُ كُوِّرتْ ، واذا النجومُ انكدرتْ ، واذا الجبالُ سُيِّرتْ ، واذا العشارُ عُطِّلَتْ . .﴾ . . ﴿اذا السماء انفطرتْ ، واذا الكواكبُ انتثرتْ ، واذا البحارُ فُجِّرتْ ، واذا القبورُ بُعْثِرتْ﴾ .

■ يفرق «كانت» بين الجمال والجلال - ويعتبر من بين الامور الجميلة المروج المزهرة واما الجليل (الرائع) فهو كما في الجبال الشامخة ، وكذلك في العيون السود . ومن الصورة الاخيرة نكتشف ان الجلال يقطع سلسلة المألوف هنا لان المألوف لدى الالمان هو العيون الزرقاء وليس السوداء ويقول (كانت) : «شيئان يملآن نفسي اعجاباً : السماء الزرقاء المرصعة بالنجوم والقانون الاخلاقي في داخلي» وعلى صعيد الرياضيات يميز بين الجمال الهندسي والجلال (الرائع) المتمثل في ضخامة العدد اللانهائي . ويشعر بحريته من خلال ضعفه الى الدرجة القصوى . وهنا تتجلى رسالة الرائع في انها تجعل الانسان يفكر من خلال

المحسوس باللامحسوس. والحرية تتجلى بعد اثارة الرائع للرهبة في مقاومته لنا. ويغلب عنده الرائع في الفكر وليس في الواقع فهو تابع للوعي ويتجاوز الاحساس والظواهر وما هو مألوف لدينا.

■ (هيغل) الالماني يذهب الى معارضة (كانت) في هذا الاتجاه الذاتي معتبراً ان الرائع مسألة موضوعية تاريخية وهو لحظة في مراحل تاريخ الفن وهي لحظة الترميز الفني الذي عرفه الفن الشرقي القديم لانه كان وقتئذ مشدوهاً بالطبيعة. فالرائع مرحلة من مراحل تجلي الروح لذاتها وهو في التعارض بين اللانهائي والنهائي.

وبالرغم من كل اختلاف فهنالك اتفاق على انه لا يدرك عبر مقولة (الكم) بل عبر (النوع - الكيف) وهو بالتالي كل مالا يمكن حصره بالخيال وما يتخطى كمياً حدود التصور، ولا يحطم قوة الانسان.

■ (الرائع) هو ضرب من الجمال الاستثنائي العظيم والفرق بينهما ان الجمال علاقة منسحبة ومنسجمة مع الواقع والمثل الاعلى أما الرائع فهو ما يفجر حدود التوافق بين الواقع والمثل الاعلى ويذهب في القوة الى مالا نهاية ويولد مشاعر الاحترام والتوقير والرهبة لكنه لا يلغي ذات الانسان الفاعلة بل يؤكدها. ولهذا فالبطولة والشهادة أقرب المعاني الى الجلال.

■ وقد قدم الادب العربي نماذج كثيرة في وصف الرائع من الملاحم البطولية كقول ابي تمام:

فتى ماتَ بين الضربِ والطعنِ ميتةً
تقوم مقام النصر إذ فاتَهُ النصرُ
وما ماتَ حتى ماتَ مضربُ سيفِهِ
من الضرب واعتلتْ عليه القَنا السمرُ
وأغرس في مُسْتَنْقَعِ الموتِ رجلَهُ
وقال لها من تحتِ أخمُصِكِ الحشْرُ

■ وننتهي الى ان الجليل أو الرائع هي المقولة التي تذهب صوب + مه أي اللانهاية الموجبة ويناظرها التافه أي اللانهاية السالبة. والروعة قيمة ايجابية ترتبط بارادة الانسان ووعيه وقدرته على تجديد الحياة وترتفع الى مستوى البطولة.

المأســـــاوي (الدراما)

هو قيمة جمالية مملوءة بالتناقضات او قيمة جمالية تتناقض فيما بينها.. ففي المأساة نجد أن الصراع بين قوى ذات أهمية تنتهي حيثياتها نهاية محزنة حيث يهزم الانسان - المثال. ويكون العرض الفني للصراع جدياً جداً.. وهي في نهايتها تجسد الموت «الرائع» الخارق للعادة.. ان المأساة ليست تلك التي تولد الحزن بل التي تهز المشاعر وتحرك الوعي.. لذا فهنالك فرق بين المأساة في الواقع وتلك التي في الفن.

ارسطو اعتبرها تلك الّتي تطهر الانفعالات الانسانية.. (وكانت) اعتبر في كتابه «نقد الحكم» التمييز بين الوجود والواجب فالحياة في جوهرها مأساوية لانها تنتهي دوماً بموت الانسان اثر صراع مرير حيث يجسد ذلك الصراع بين ما يطمح اليه الانسان من حرية وما هو في الواقع الذي يحول دون ذلك.

الاسطورة اليونانية التي أعاد صياغتها (البير كامو) تؤكد هذه الدراما عبر نموذج سيزيف.. اما هيغل فيذهب الى ان المأساة وضع قائم دائماً في العالم ويمتلك مضموناً قيمياً.. ويذهب سارتر الى ان الوجود مأساة.

ويذهب البعض الى ان الموت بذاته ليس مأساة اذا كان فيه استمرارية لاحقة للاجيال الآتية اما تدمير شعب بأكمله فهو مأساة.

ويذهب آخرون الى ان التعامل مع المآسي يجب ان يكون بإرادة انسانية منطلقة صوب التجاوز وذلك حتى لا تغدو المأساة مأساة



الهـــــزلى الكــــــوميدى

تذهب هذه المقولة التى ابراز التناقض بين القديم ومطالبته بان يعامل معاملة الجديد.

●● انه لا يدعو للضحك الا اذا اقترن بشعور الانسان بأنه ليس أسير القديم بل تخطاه أنها ليست اضحاكا فارغاً بل تقويماً نقدياً يبعده عما لم تعد البشرية تتمسك به. فالكوميديا تؤكد قوة الجديد.. والضحك يأتي من إدراك التناقض.

■ فى الفن اليوناني ظهرت الكوميديا عبر (ارستوفان) واعتبرها افلاطون بمثابة عدم التوافق بين الداخل والخارج وهى شيىء معيب حسب تصوره. وقد جابهت الكنيسة فى العصور الوسطى الهزلى، الا انه استمر متجسداً فى الفولكلور الشعبى. وقد مزج فى العصور الحديثة بين المضحك والمبكي بالرغم من اعتراض الكلاسيكيين الذين ميزوا بين المأساوى الذى يليق بالارستقراطية والهزلي الذى يليق بالشعب فالضحك والبكاء خصمان لا يجتمعان عندهم.

■ (كانت) اعتبر ان الهزلى ينجم عن حل التناقض حلاً مفاجئاً غير واقعي فيما استبعد هيغل من الهزلي الهجاء واقتصر على السخرية، وجسد السخرية (موليير) فى (البرجوازي) فى النبيل.. واهتم الرومانسيون بالتهكم وهو الذى يخلط المزاح فيه بالجد وذهب الوضعيون الجدد الى تفسير الهزلي فيزيولوجياً عبر الحركات العضلية التى تخفف من الاثارات العصبية.. واعتبر برغسون ان الضحك خاصة انسانية عقلية.

ان الهزلى أخيراً مباينة تفاجيء الفكر فيخفض بها .الضاحك من مرتبة المضحوك عنه وهو ينطوى على وعي التناقض بين الشكل والمحتوى.

■ هذه العناصر الاربع سابقة الذكر تشكل المقولات الجمالية الاساسية لكنها لا تستنفد كل المقولات بالمعنى الحرفى - وقد اعتمدناها تاريخياً وفلسفياً وادبياً ومفهوماً بقصد التمايز الذى طالما وقع فيه الكثيرون.

نساء من الشرق

الحلقة الثانية

والشعـــــر

■ لقد كانت الأديبة «مى زيادة» والتى أُطْلِقَ عليها أديبة الطليعة، بارعة الجمال، كما كانت ساحرة الحديث، تأخذ بألباب من يستمعون إليها لسحر بيانها وبذكائها البارع وبجمالها الفاتن، تربعت فى قلوب عدد كبير من الشعراء المعاصرين لها حتى قيل إن بعض الخصومات قد نبتت بين بعض الأدباء وكان سببها الأديبة مى زيادة مثلما حدث بين طه حسين وبين مصطفى صادق الرافعى، ولذا قد فازت بأبيات رقيقة من شعر الشعراء.

● **الشاعر اسماعيل صبرى:** كان من رواد صالونها الأدبى، وكان شاعرا رقيق الحس مرهف الشعور. وذات يوم كان فى بعض أسفاره فاضطر إلى التخلف عن صالونها الذى ينعقد كل يوم ثلاثاء فبعث إلى «مى» بهذين البيتين:

روحــي على بعض دور الحـي حائــمــة
كظــامــىء الطــير تواقــا إلــى المــاء
إن لم أُمَــتِّــعْ «بـمَــيٍ» ناظــرىَ غداً
أنــكــرتُ صُبْــحَــك يا يوم الــثــلاثــاء

■ وهذان البيتان قد نالا شهرتهما بين رواد الصالون آنذاك ولكن مما لم ينل تلك الشهرة ما قاله فيها أيضا:

يا مَنْ أقــام فؤادى إذ تَمَلَّكَــهُ
ما بين نارين من شوقٍ ومــن شَجَــنِ

مي زيادة





تفديك أعينُ قومٍ حولك ازدحمت
عَطْشَى إلى نهلةٍ من وجهِك الحسنِ
وتستعيذ إذا ألفتك مبتسما
عن لؤلؤ بالنُّهى جرْزاً من الفتن
جرّدت كلَّ مليحٍ من ملاحته
لم تتق اللهَ في ظبي ولا غصنِ
فاستبقِ للبدرِ بين الشُّهْبِ رُتْبَتَهُ
تملكه في أوجه عبدا بلا ثمن

■ وكانت «مي» تطرب طربا شديدا كلما راجعت شعر إسماعيل صبري في وصفها وتقول: إن اسماعيل صبري يمتاز على شعراء العصر بلطف ذوقه.. ورقة حسه.. وحلاوة جرسه.. وكانت تعتز بهذين البيتين اللذين بعث بهما إليها تهنئة بعام جديد فقال:

يا غرة العام جوزى الأفقَ صاعدة
إلى السماء بآمالِ المحبينا
إنى سألتُ لك الأيامَ صافيةً
يا «ميُّ» قولى معى بالله آمينا

■ وله أبيات كثيرة تفيض رقة وتقطر عذوبة، وقيل إنها في «مي» ولكن ينقص ذلك الدليل الحي، ومن ذلك قوله الرقيق:

زَيَّنِى النَّدَى وسيلى في جوانحه
لطفا بعم رعايا اللطفِ ريّاه

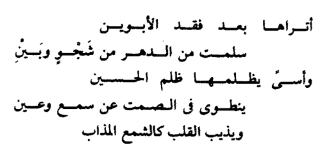
بقلم: هبة عبد اللطيف مصطفى / القاهرة

ريحانة أنتِ في صحراء مُجدِبَةٍ
من الخمائل حيّانا بها اللهُ
إن غابَ ساقى الطِّلا أوصدُّ لا حرجٌ
هذا جمالك يغنينا مُحَيَّاه

● الشاعر: «عباس محمود العقاد»: كان العملاق الكبير أحد رواد الصالون الدائمين، وكان بينهما صداقة حميمة، وقيل إن العقاد قد هام بمى وشغفها حبا، وقد تبادلا الرسائل الفكرية والأدبية كلما سافر أحدهما ـ فذات مرة سافرت إلى روما وكتبت له منها رسالة جعلت عنوانها: «نشيد إلى ينابيع روما» ولما قرأ العقاد رسالة «مي» ومقالتها أجابها بقصيدة منها هذه الأبيات:

أنتِ في روما وفى مصرَ أنا
بَعُدَتْ شُقَّتُنَا لولا النَّجَاء
بيننا جيرة نور ساطعٍ
فوق رأسَيْنا ونور في الخَفَاء
أرقبُ البدرَ إذا الليلُ سَجَا
فلنا فيه على البُعْدِ لقاء
وأرودُ الشعرَ في مثل الكرى
فإذا فيه من الطيفِ عزاء

■ وقد رثاها العقاد بقصيدة قال فيها:



أتراها بعد فقد الأبوين
سلمت من الدهر من شَجْوٍ وبَيْنِ
وأسىً يظلمها ظلم الحسين
ينطوى فى الصمت عن سمع وعين
ويذيب القلب كالشمع المذاب

● **الشاعر: «ولى الدين يكن»** كان من الأشخاص المحببين إلى «مي» ومن المقربين منها، وقد زارته فى علته الأخيرة فى بيته وهذا ما لم تفعله مع غيره. وكانت تقدر فيه رقته وتقدر مشاعره، وقد حدث بينهما جفوة لم تدم عدة أيام فقال لها:

تمسين ناسيةً، وأمسي ذاكراً
عجباً أشاعرة تهاجر شاعرا
فهل الملائكُ كالحسانِ هواجرا
إنَّ الملائكَ لا يَكُنَّ هواجرا
إنْ كنتُ لا أسعى لدارِكِ زائرا
فلكم سعى فكرى لدارِكِ زائرا
يا ويحَ ذى قلبى يناجى مثله
يدعوه مؤنسه فيبقى نافرا

■ وأهداها الشاعر صورته وكتب تحتها بخطه هذا البيت:

كل شىء يا «مي» عندك غال
غير أنى وحدى لديك رخيص

■ وقد ألمت «بمى» وعكة مرض، فنظم فيها شعرا بثَّه ألمه وتوجعه بسبب هذا المرض فقال:

أتسقم «مي» وأبقى صحيحا
ألا إننى الصاحبُ الخائن
فيارب هب لى مواجع «مي»
بأضعاف ما يزن الوازن
وهب من حياتى، حياة لها
وإنى لأمثالها ضامن

■ وقد ملكت الشاعرة والأديبة على الشاعر نفسه، وهام




بالروح الشاعرية فى «مى» وولع بحبها فقال يخاطب طيفها فى المنام:

واجتمع الشاعران العاشقان: إسماعيل صبرى، وولي الدين يكن، عند الأثيرة «مى» فأطلعتهما على صورة لها نقلها أحد المصورين حديثا، فارتجل إسماعيل صبرى هذين البيتين:

أرسلى الشَّعْرَ خلف ظهرك ليلا
واعقديه من فوق رأسِكِ تاجا
أنتِ فى الحالتين بدرٌ نراه
صادعا آية الدجى وهاجا

■ أما «ولى الدين يكن» فقد نظر الى الصورة فوجدها قد جلست متكئة بيدها على المقعد ومسندة عليها خدها كمن يفكر ويستمع لوحى فكره، ثم انتحى ناحية من المجلس ومكث برهة يكتب، ثم عاد الى الحاضرين فأنشد فى وصف هذه الصورة:

أوحَى إليها ربُّها وحيهُ
ألا تراها وهى تسمعُ
رقَّتْ معانيها وألفاظُها
كأنما ألفاظها أدمُعُ
يا «مى» ما فى الكون من بهجة
إلا ومن عينيك لى تسطع

■ وقد أصيب «ولى الدين يكن» بمرض «الربو» وكانت العلة تعاوده من حين لآخر، وعاوده المرض فى آخر حياته

فاعتكف فى بيته فى حلوان وزارته «مى» ومعها «خليل مطران» فأنشد فيها «ولي الدين» قصيدة منها:

تبدَّتْ مع الصبح لما تَبدَّى
فأهدتْ إليَّ السلامَ وأهدى
تقابلَ وفى الأفق خداهما
محوت خدًا وقبَّلْتُ خدًّا
لقد بدل اللهُ بالبعد قُرْبَا
فلا بدَّل اللهُ بالقربِ بُعْدا
تعالىْ فجسى بكفك كبدى
إذا كان أبقى لى الهجرُ كبدا

■ واشتدت العلة بالشاعر وكانت «مي» تتابع حالته عن طريق شقيقه وفى إحدى الليالى جاءها مكفهرا واعطاها ورقة، وكانت عيناه تحمل من الهموم ما تنوء عن حمله الكواهل، فأخذت الورقة ولم تستطع أن تتم قراءتها وكانت تحتوى على:

عُمْرَ الشباب لقد مضيتَ مُحببًا
وتركتَ لى عُمْرا سواك بغيضا
أحيى وتُثْبتنى الشقاوة كارها
مثل الكتاب يكابد التبييضا
عُوِّدتُ أمراضى وطول تألمى
حتى كأنى قد وُلدتُ مريضا

■ وبعد أسبوع آخر جاءها أخوه ومعه ورقة أخرى فقرأتها «مى» بصوت تخنقه الدموع، وكان فيها:

مُتْ يا ولىَ الدين مُتْ
ما ثَمَّ مَنْ يبكيكا
وَدِّعْ حياتَكَ هذه
ما ذقته يكفيكا

■ وقبل وفاته بأيام أرسل لها بيتين:

يا جسدا قد ذاب حتى امَّحَى
إلا قليلا عالقا بالشقاء
أعانكَ اللهُ بصبرٍ على
ماستعاني من قليل البقاء

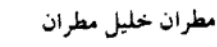
■ وفى ٦ مارس ١٩٢١ إنطفأ النور فى عين «ولى الدين يكن» وانطفأ اللهب فى قلبه فبكته «مي» بكاء مراً. وكان إذا مر ذكره أو نم حديث عنه تندت عيناها بالدموع. وقد لبست عليه السواد لمدة عامين.

● **أحمد شوقى**: كان الشاعر يتردد على صالون «مى» ويجلس صامتا، وقد فتن بسحر حديثها حين تتحدث، فهو حديث عذب، فيه قدرة وفن على جذب السامع إليها لما تضفيه على حديثها من روعة شخصيتها وبريقها الروحى الرقيق. فقال شوقى فيها:

أُسائلُ خاطرى عمَّا سبانى
أحُسْنُ الخَلْق أم حُسْنُ البيان؟
رأيت تنافس الحُسْنينِ فيها
كأنَّهما لميَّة عاشقان
إذا نطقتْ صَبَا عقلى إليها
وإن بسمتْ إليَّ صَبَا جنانى
وما أدرى أتبسم عن حنين
إلىَّ بقلبها أم عن حنان
أم أنَّ شبَابَها راثٍ لشيبى
وما أوهى زمانى من كيانى

● **مصطفى صادق الرافعى**: كان الشاعر الرقيق الحس المرهف الشعور من عشاق روحها الأدبى الرفيع، وكتب إليها بعض الرسائل كان يضمنها أحيانا أبياتا من شعره، ومما كتبه لها:

يا نسمةً فى ضفافِ النيل ساريةً
مَسْرَى التحيةِ من ناء إلى ناء
يا ليتَ ريَّاك مستْ قلبَ هاجرتى
فتشعريه بمعنى رقَّة الماء



مطران خليل مطران



العقاد





احمد شوقى



طه حسين



ليسـتْ تُحِبّ سوى ألا تُحِب ، فما
أعـصـى الـدواء على مَنْ حُبّـه دائـى

■ وفى أحد الأعياد بعث إليها مهنئا بقوله :

هنـيئـا لك الأعـيـاد تأتى وتنـقـضى
ولا ينقـضى ما يستـجـد لك السـعـدا
يعـز علينـا أن تكـونـى بمـوسـم
ولا نلتـقـى فيـه سلامـا ولاردا
فإن كان هذا الـغـصـن أنـبت شوكـه
فما ذاك إلا أنـه أنـبـت الـوردا

● **شبلى الملاط** : الشاعر اللبنانى الذى عرفته منابر مصر فى مهرجان شوقى ومطران ، كان تعرَّفَ على «مي» وتغزل فيها قائلا :

يا أهـلَ الـوادى لى قمـرٌ
بسـماء الـوادى مطـلَعُـهُ
ويجفـنـى السـاهرِ مسكـنُـهُ
وبقـلبـى الـذائـب موضِـعُـهُ
بنـقـاب الـليـل تحَجُـبُـهُ
وبـدرع الـفَـجْـرِ تمُنَـعُـهُ
والـشـاعـرُ طوع إرادتِـهِ
يمـشـىِ ، والـشـاعـرُ يتْـبـعُـهُ
ما أنـسـى الـرمـل ومـبـسـمـه
بلآلـى الـبـحـرِ يُرصِّـعُـهُ
ما أنـسـى الجـسـر وسـائـلتـى
هل عـنـدك شـيـء نسـمـعُـهُ
«يـامـي» حديـثـى عن دنَـفِ
قد طال وزاد تلوُّعُـهُ

■ وذهبت مى الى بيروت عام ١٩٢٢ وأقيمت لها حفلة تكريمية ألقى فيها الشاعر «شبلى الملاط» قصيدة مليئة بعاطفته المتأججة .

● **الشاعران : أمين تقى الدين، نقولا فياض**: أمين تقى الدين كان شريكا لأنطون الجميل فى إنشاء مجلة «الزهور» وقد قال فى «مَى» :

ميّ، ومـا مي سوى قبس
للحُسـنِ مزَّقَ نوره الـشُّـهُـبَـا
إنـى أحـيـى فيـك نابـغـةً
حسـد الأعـاجـم عنـدهـا الـعـربـا

■ أمـا نقولا فياص الطبيب الخطيب حياها حين زيارتها للجامعة الامريكية ببيروت لإلقاء محاضرة فيها بقصيدة مطلعها :

يا «مـي» هذى ساعـة المـيـعـاد
فسـلى فؤادك عن حقـوق فؤادى

■ وبهذا القدر من أقوال الشعراء فى «مى» نكتفى ، ليكون موعـدنا مع «مى والادباء» وأخريات حياتها وآثارها التى تركتها للمكتبة العربية .

البحث موصول

الرَّحّالة البريطانية فرايا ستارك

بقلم: سهاء زكى المحاسنى
سوريا

● بدأت فراياستارك اهتمامها بالرحلات عندما أخذت تهتم بالعرب واللغة العربية. و أعجبت بعظمة الاسلام وشعائره.

● عبرت فى كتابها «شتاء في بلاد العرب» عن حبها لهذه البلاد العريقة



فرايا استارك

■ أبـدعت الـرحـالـة الـبريطانية «فراياستارك» فى أدب الـرحـلات وهو أدب أخذت كتبه تنتشر فى هذا العصر واحتلت مكاناً مرموقاً بين الفنون الأدبية المتنوعة.

وامتازت «فراياستارك» بكتاباتها التى تحدثت فيها عن البلاد العربية التى أحبتها وتجولت فيها، وقد كان حبها للعرب وبلادهم هو الموضوع الذى شغلها طوال حياتها ولا تضاهيها كاتبة أخرى فى هذا الفن الذى تميزت به.

■ ولدت «فراياستارك» فى باريس عام ١٨٩٣، وسط أسرة لها اهتمام خاص بفن الرسم، وعاشت مع أسرتها فترة من الزمن فى إيطاليا.

وبدأت فرايا اهتمامها بالرحلات عندما أخذت تهتم بالعـرب والعربية فالتحقت بجامعة لندن ودرست اللغة العربية، وقد اختارت العربية لأنها لغة تغطى منطقة كبيرة ذات حضارة عريقة، وكانت أول زيارة قامت بها فى البلاد العـربيـة للبنان ثم قامت برحلات أخرى عديدة فزارت العراق والسعودية واليمن وغيرها.

●● وقامت برحلات أخرى فى إيران بين عامي ١٩٢٧-١٩٣٩.

●● والتحقت بوزارة الاعـلام ببريطـانيـا فى أيلول عام ١٩٣٩، فأُرْسِلَتْ الى عدن والقاهرة وبغداد.. وأوفدت فى مهمة إلى الولايات المتحدة وكندا.

■ وهى عضـوة فى كثـير من الهيئـات العلمية كالجمعية

الجغرافية الملكية فى بريطانيا وهى جمعية يعود تأسيسها الى عام ١٨٣٠ وتعد أشهر جمعية علمية فى بريطانيا والعالم بأسره . . وساهمت «فرايا» بمحاضراتها القيمة التى ألقتها فى قاعات هذه الجمعية .

■ من أبرز مؤلفات «فراياستارك» كتابها **«شتاء فى بلاد العرب»**(١٩٤٠) وفيه تروى مذكراتها خلال إحدى فصول الشتاء التى قضتها فى شبه الجزيرة العربية، وهى زيارة تهيأت لها من قبل الجمعية الجغرافية التى أرسلتها للقيام بهذه الرحلة وعبرت من خلال هذا الكتاب عن حبها للعرب وبلادهم وارتياحها من هذه الزيارة فقالت :

«إن فتنة البلاد العربية هى فى كون السائح يجد مستواه هناك كإنسان، فصراحة القوم عظيمة، ثم إن شعور الارتياح الذى يخامر الشخص لكونه محبوباً لشخصه يمكن فى اعتقادى إضافته الى الفوائد الخمس من السفر التى وردت فى الشعر العربى فى هذين البيتين :

تغـرَّبْ عن الأوطـان فى طلب الـعُـلى
وسـافِـرْ ففـى الأسـفـار خمسُ فوائـد
تفـريـج هم واكـتـسـاب معـيـشـة
وعـلـم، وآداب، وصـحـبـة ماجـد

■ وقد شعرت «فرايا» بعظمة الاسلام وأعجبت بما يردده المسلمون فى الحج من التهليل والتكبير:

الله أكبر الله أكبر
لا إله إلا الله
الله أكبر ولله الحمد
الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلا
لا إله إلا الله
ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .
لا إلـه إلا الله وحـده صدق وعـده وأعـز جنـده وهزم الأحزاب وحده .
الله أكبر ولله الحمد

■ وقد أعجبت فرايا بهذا الخشوع وهذا الدعاء الذى يردده المسلمون بصوت واحد بإيمان عميق .

●● قال السيد **«كيناهان كورنولز»** فى مقدمته لكتاب **«شتاء فى بلاد العرب»** :

«لقد دونت الرحالة المعروفة فراياستارك مذكراتها الشائقة فى هذا الكتاب عن بلاد أحبتها وكان لها بها اهتمام كبير، وهى بأسلوبها الجذاب تلفت انتباه القارىء الى روعة هذه البلاد وتشوقه لمتابعة المطالعة .

●● والكتاب مزود بصور ومشاهد التقطتها المؤلفة بنفسها، وقد طبع عدة مرات حتى بلغ عدد طبعاته (١٦) طبعة .

■ وتتميز كتب فرايا بصفة عامة بما زودت به من صور ورسوم، ومعظم الصور التقطتها المؤلفة بنفسها وبكاميرتها الخاصة، فقدمت للقارىء صوراً توضيحية لمشاهداتها فى البلاد التى زارتها .

■ ومن كتبها الأخرى **«وراء الفرات»** سجلت فيه رحلتها فيما وراء الفرات وكانت قد تقدمت فى السن لكنها كانت دائمة النشاط والعمل فلم تستسلم لأحكام الشيخوخة . . وكتاب صدى الرحلة (١٩٦٣)، رسائل من سوريا (١٩٤٢)، و(صور ومشاهد من بغداد)، وهو من أشهر كتبها فى الرحلات طبع فى لندن لأول مرة عام ١٩٣٧، ونال إعجاب الكتاب والنقاد فكتبت عنه الصحف العالمية .

■ كتبت «فراياستارك» هذا الكتاب بعد زيارة لها إلى العراق فصورت الحياة فى بغداد عام ١٩٣١ . . وتلقت جائزة من قبل الجمعية الجغرافية لإبداعها فى أدب الرحلات . . كما تسلمت من الجمعية الملكية الآسيوية ميدالية بارتون التذكارية مكافأة لها عن منجزاتها فى التأليف بأدب الرحلات .

■ وتحدثت «فرايا» عن اهم مظاهر الحياة فى بغداد وبعض العادات والتقاليد ـ فمثلا تناولت بالبحث شهر رمضان لدى المسلمين فى بغداد ومظاهر الحياة فى هذا الشهر . ومما

تقوله فى هذا الصدد هذه المشاهدات التى دونتها بحرص ودقة :

«فى شهر الصوم المبارك، شهر رمضان المعظم، يجب على زائر بغداد أن يراها ليلاً، فقد ران الكرى على أسواقها المغلقة طوال النهار، فلما دوى صوت مدفع الافطار كان هذا إيذاناً بالانطلاق، ثم بشرى بأن الحياة قد أوشكت أن تدب.

● والبغداديون يقسمون الليل فى رمضان أقساماً ثلاثة: فأولها.. لطعامهم وللأنس بالأهل والولد.. وثانيها لاستقبال الزوار.. ورد الزيارة.. وثالثها لطعام السحور وهو ما يشبه أن يكون عشاءاً متأخراً أو فطوراً مبكراً.

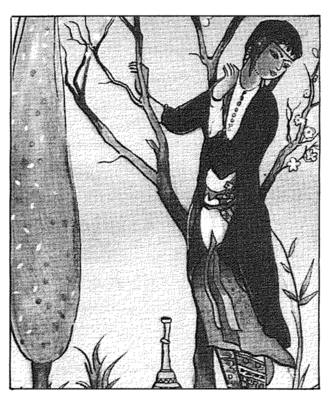
● وهذا بطبيعة الحال وصف للمظاهر العامة فى ليالى رمضان.. وهى لم تتعمق فى الحياة الروحية التى يعيشها المسلم فى رمضان حيث يخصص جزءاً من ليله للذكر والعبادة وتلاوة القرآن الكريم.

● والنزيل الغريب من غير المسلمين لا يحس من آثار هذه البهجة إلا ما يراه من خروج القوم فى الطريق الرئيسى كتائب وجماعات، ومن انتشار الأضواء انتشاراً لم تجر به العادة فى غير شهر رمضان.

● وإنه ليبدو كحلم حالم أن يسير المرء وحده فى الأزقة والدروب ولا هادي له إلا أضواء النجوم، ولكن السير فى ليالى رمضان يحمل المرء على أجنحة الخيال، فمدينة الرشيد فى ذلك الشهر أشبه بخلية النحل تتجاوب فى أجوائها أصداء مختلفة النغم.

● وفى هذا الجو الذى يبعث الرهبة والخشوع، غمرت مشاعرى فيوض من الوحدة الاسلامية، فإن هذه الجموع، جموع الصالحين تملأ مدائن الشرق كله من مراكش الى بلاد الأفغان ومن تركيا الى الهند وجاوه، وهم جميعا يهتدون بهدي الاسلام..».

●● وتحدثت «فراياستارك» أيضاً عن الفلاحين.. الأجانب.. الآثار القديمة.. الأزياء والتزين.



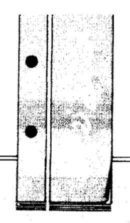
●● والكتاب مزود بصور (٣٤) صورة قامت بالتقاطها المؤلفة بنفسها، بالاضافة الى عشرة رسوم بريشة الفنان «برسكوت» تمثل المشاهد التالية:

«المؤذن، الدكاكين، النهر، المقهى، مدينة الموصل، نينوى».. ولعل سر نجاح هذه الكاتبة فى كتابتها ورواج كتبها هو أنها لا تكتب فقط عن الأماكن التى زارتها وما شاهدته أو عملته أثناء جولاتها بل إنها تسجل أفكارها وانطباعاتها الخاصة وآراءها الشخصية.

■ بلغت فرايا السابعة والثمانين من العمر (١٩٨٠) عندما قامت برحلتها الى جبال الهمالايا فى الهند.

ويعد كتابها **«صدى الرحلة»** أو ديباجة رحالة (١٩٦٣) بمثابة سيرة ذاتية لها وصفت فيه البلد الذى عاشت فيه وهو مدينة صغيرة تقع على بعد أربعين ميلا من البندقية، وأقامت فى هذه المدينة ما يقرب من ستين عاماً.

■ لقد أبدعت «فراياستارك» الكاتبة الغربية المعاصرة فى مجال «كتب الأسفار والرحلات» فاحتلت مكاناً مرموقاً فى أدب الرحلات.





يوسف ابو عواد

ابـو عـواد:

مأسـوف عليـه ـ شبـابنـا ـ نصافحه بيد الطفولة . . وعندما تمضي بنا السنون . . وندمن الجلوس على كرسي ـ عيادة الأسنان ـ نتذكر أيام الشباب بـ «وافر الحسرة» . . هل ترانا تجاوزنا «ربيع الشباب» . . ونحن نيام أو مغشى علينا في مقعد الأيام.

أتذكرك بشيء من الحزن والأسى . . أتذكرك بصحبة الدمع وخفقان القلب . . كما لو كنت مسؤولاً عما آلت إليه الأمور بيننا . . . حسبى الله . . ونعم الوكيل.

مُرِّي على قلبى . . كم أنت خفيفة ـ الظل ـ وتجاوزي قامتي . . فمكـانـك هناك بين النجوم . . ولكن حاذرى سخطي وغضبي . . فإننى عندما يجد الجد بحر لا يعترف بـ «الغواصين» . . ولا بـ «مهارة الربان».

أى بنيـــة : . . أعجمى عوده من أول ليلة . . فان سكـت «فـقطـعـي الـلجم بسيفــه» . . فإن سكت . . «فكسرى العظم على ترسه» . . فان سكت . . «فضعي الاكاف ـ أى البرذعة ـ على ظهره واركبيه . . فانه حمارك .

من السهل احتواء مشاكلنا وتسوية الخلافات بيننا . . هذا اذا تنـازلت . . وقبلت أن تكونى على درجة السلم التى تجعلك أقرب الى الأرض منى .

ثمة تشابه كبير بينك وبين طفلنا . . يحرقه كوب الشاى السـاخن حين يلمسه بيده . . وتنسين ما حصل له فى مرة قادمة فيكرر التجربة ويتجدد الصراخ وتتواتر الشكوى . . وهذه أنت . . كم مرة تعيشين تجارب تعطيك «خبرة كافية» تعصمـك من مثيـلاتهـا . . لكن ما يحصـل . . يؤكد أن تفاعلك مع الحدث لا يفضى إلى خبرة مكتسبة . . وان مثيلات الأمور عندك لا تذكر بسابقاتها . . . وهكذا .

ام عمـــــرو:

لماذا الحسرة على الطفولة والشباب ، كل عمر له جماله وغفـلاتـه . فإذا كانت غفلة الطفـولـة هى عدم الـوعى الكـامـل ، وغفلة الشباب هى التهور فإن غفلة ما بعد الشبـاب هى الحسـرة على ما فات وعدم الاستفادة من حصيلة العمـر من الحكمة والمعرفة . . الحقيقة اننا نبدأ رؤية العالم على طبيعته بعد أن نتجاوز سن الشباب .

حسبى الله ونعم الوكيل فى مَنْ؟ لا تغرق مركب أسرة الا رمى الـزوج بنفسه من فوق سفينتها ، فلتكن عبارة هؤلاء الأزواج إذاً «حسبى الله ونعم الوكيل فى انفسنا» .

الحياة الزوجية تموت وتشبع موتاً قبل وقت طويل من وصول أى الزوجين الى السخط على الآخر . مثل هذه العـلاقـة لا تندرج تحت مظلة الأوراق الـزوجية ويجدر تحويلها إلى احدى المحاكم الشرعية .

لابد أن هذا الزوج بدا لحماته ايام الخطوبة منتمياً إلى هذه الفصيلة لذا وجدت من المناسب توجيه هذه النصيحة إلى ابنتها .

الـواقفـون على درجتـين مختلفتـين من السلم لا يستطيعون الحديث إلا اذا اشرأب عنق أحدهم وانحنت عنق الآخر . فيا ترى من سيكون المنحنى فى هذه الحالة .

الاستفـادة من خبرات الماضى تحتاج للنضج الزمنى والعقلى وهذا لا يتوفر فى كثير من الفتيات اللاتى يحظين بالقبـول فى سوق الـزواج لاسبـاب أخـرى مثل الجمال الخـارق أو براءة الصغار التى يتصورها بعض الأزواج منـاسبـة لتشكيـل الـزوجـة على حسب هواهم، ثم يكتشفـون انهم لا يمتلكـون مهـارات الآباء والأمهات والمعلمات اللازمة لعملية التشكيل.



ام عمــرو

أبـو عـواد

جموع المهنئين يتمنـون لنا الرفاء.. والبنين.. وانها قدموا الرفاء فى أمنيتهم على البنين لأنه بدون الرفاء، فان وجود البنين ربما جعل منهم ضحية لعدم التوافق بيننا.. فهل نفقه فى غمرة فرحتنا.. ما يعنيه المهنئون؟.

يا معشر النقاد.. التمسوا عذراً لبعض الآباء حين يبحثون عن مربية أو خادمة.. فعلينا أن نسلم بحقيقة وهى أن بعض الزوجات لديهن الاستعداد والقدرة على الانجـاب.. لكنهن يفتقدن مقومات المربية الفاضلة..

لا يهمنى جمال الكحل بعينيك.. ولا بريق السوار فى معصميك.. ولا مَنْ تكونين.. أو تحملين من المؤهلات والنيـاشـين.. معـذرة سيـدتى هل بوسعـك تنظيف الأطباق.. والفناجين؟.

مع اقرارنا بمبدأ الشراكة بين الرجل وزوجته فى مشوار الحيـاة الـذى اختـارا أن يقطعـاه سويـا إلا أن «حشرية الزوجة» فى الاستفسار والسؤال عن بعض الأمور لا يعدو كونـه فضـولا غير مستسـاغ فى بعض الأحيـان.. فثمة صفحات فى مذكرات الزوج لا تستطيع قراءتها إلا الزوجة التى أثبتت بحق، أنها كفؤ للتفاعل معها.

ام عمــرو

لا احد يختلف فى الرأى أن البيوت المهدمة لا تقوم أبدا على اعمـدة من الأطفال، الأطفال يساعدون فى تقوية الأبنيه القائمة فعلا.

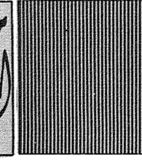
القـاء من لا يجيـد السبـاحـة فى البحـر لن يعلمـه السبـاحــة.. ليتنـا نترك الفتيـات ليتعلمن كيف يكن زوجـات وأمهـات قبل الزواج ربما يقلل ذلك من عدد اللاتى حكم عليهن بالعنوسة لأنهن تعدين سن العشرين أو ارتكبن جريمة الحصول على مؤهلات عالية.

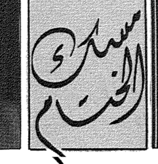
الحمد لله أصبح من السهل رص غسالة الصحون، هذه مشكلة حُلَّت من زمن، ليبحث الأزواج من محيي الشكوى عن غيرها.

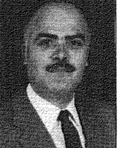
وليكن لكل من الشريكين فى الزواج مكانه ومساحته التى يتحـرك فيهـا بحـريـة.. هذا أفضـل طالما أنه لا يتعارض مع حقوق الزوجين ولا يلغى المساحات المشتركة بينهما ويحولهما الى كوكبين يدور كل منهما فى فلكه.

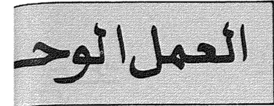


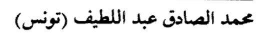
بمنـــــاسبة ذكـــــرى اليـــــوم الوطنـــــى للمملكة:











محمد الصادق عبد اللطيف (تونس)

الكتـابـة عن شخصية تاريخية محورية لها إسهامها التاريخي والحضاري على مدى خمسين سنة، وسبر أغوارها وتعقب انجازاتها، يعطي أكثر من دلالة عن العصر السياسي للملك عبد العزيز طيب الله ثراه، ذلك أن منهاجه السياسي والعسكرى والاجتماعي والثقافي والتربوى كان قائماً على ايمانه العميق بما يفعل وطموحه البناء فى إزالة الشعور القبلي وبناء دولة مستقلة قوامها العدل وأسسها الأمن والعمران وهذه الوثبة أعانته على تحقيق طموحاته للأسباب التالية:

- **سمعته الطيبة كبطل، كامام حريص على تطبيق أصول الشريعة الاسلامية وإقامة الحدود لتغيير المفاهيم الاجتماعية السائدة، كمعطاء للمحتاجين لا يخشى الفقر ولا يخاف منه، كمؤسس للمدن التى بدلت حياة التبدى بالاستقرار، اكرامه لشيوخ القبائل ووضعهم في منزلتهم الاجتماعية والأمنية..**

■ بدأ العمل الوحدوى عند المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود عقب القضاء على التمرد وأول ما فكر فيه كمنطلق يتمثل في المحاور التالية:

- **تجميع القبائل وراءه بعد التمرد والعصيان، وقمع الخارجين عنه وهي علاقة المراقبة والمحاسبة.**
- **تجميع السكان للجهاد متى أعلن وهو انتصار للاسلام وهو مبدأ التزمت به الدعوة فى مسار الملك عبد العزيز، وقد التزم مجموعة جوانب منها:**

جانب ديني: ذلك أن السلطة تقع في يد الامام الذى هو الحاكم الزمنى والديني معا: إمام يعرف أمور الدولة وفقا لما جاء فى القرآن والسنة مستشيرا العلماء وأهل الرأى وعملا بالآية الكريمة **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾**.

وأن المبايعة والشورى يعتبران أصلا لتقوية الدولة وضمان استمرار سلطتها وسيطرتها على جميع اجزاء ممتلكاتها، وأن المغزى من الحرب هو خدمة الدين وابتغاء مرضاة الله، ولهذا اعتمد استشارة العلماء وحكام المقاطعات ورؤساء القبائل فى الخطة التي يجب أن يسيروا عليها.

- تبني دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، هذه الدعوة التي أزالت البدع والخرافات والشرك.
- وحدتْ الشمل بعد أن انتشر النفوذ الروحي لهذه الدعوة السلفية فى اصقاع كثيرة.
- مناهضة الاستعمار الأجنبي حتى يتخلص العالم الاسلامي والعربي منه عسكريا وسياسيا.

■ توحيد الحجاز ونجد وسرواتها في كيان قومي متين كأعظم تجربة للاتحاد وكأحسن مثل للتجمع والتضامن

ـــدوي في منهاج الملك عبد العزيز

وتوحيد الصفوف على يد عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود عليه رحمة الله.

■ عند اتساع الدولة اقتضت المصلحة انشاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. واختيار مجموعة من العلماء لاعطاء دروس فى الدين ثم أرسلوا الى المناطق حتى يُبَصِّروا الناس بالدين.

■ **الجانب الاجتماعي**: ويتمثل فى نشر الأمن والطمأنينة والقضاء على الفتن الداخلية وفرض سلطة الدولة والتخفيف من حدة العصبية القبلية.

■ جانب عدلى قضائي وذلك بتطبيق ما جاء فى القرآن والسنة وفى تطبيق الشريعة الاسلامية واقامة الحدود والتمسك بالقيم والقصاص من الخارجين، والردع لمن يخرج عن الصف المسلم مهما كانت قوته وسلطانه.

■ **جانب تربوى**: ترويض القبائل على تكوين اللحمة الأخوية ونبذ الاغارة والغدر والاقتتال، وجعل الاستشارة قاعدة ذهبية تعتمد اليها القبائل فى الاحتكام الى السلطة العليا عند حدوث خلاف بين الاشقاء والقبائل المجاورة.

■ **جانب دبلوماسي**: فى الاحاطة بمواقف كل الاطراف الداخلية والخارجية ومعالجة الامور الداخلية.

■ **جانب عسكري**: حيث أعد جيشا مكونا من خيرة رجال القبائل وبطونها، يرعاه كأب صاحب حنكة سياسية وعسكرية مكنته هذه الرؤيا من فرض توحيد الجزيرة العربية.

■ **جـــانب تحرري**: اهتم بالانسان السعودى وعليه اعتمد فى رسم خطط المستقبل واعداده ليلعب دوره الحضارى والاقتصادى حالما يتم ارساء هذا التحرر بالعلم والعقيدة والايمان.

■ وهكذا وقبل أن يغمض له جفن كانت دولته فوق رمال الصحراء بمفهومها الحديث تقام على نصف السكان من البدو والرحل يعيشون الحياة القبلية، فاستطاع أن يدخلهم.. فى طاعة النظام الذى أوجده وفرضه واستمد أصوله ومفاهيمه وأسسه وركائزه من الشريعة التى تأمر بالاتحاد والوحدة، وبذلك نزع من نفوسهم فكرة الغزو التى كانت سائدة لدى القبائل ـ آنذاك ـ فانتقل بهم الى الحياة الحضرية وقد طور مفهومه للدولة وحاجتها والتي تطورت بظهور الكفاءات وبروز الكوادر والأطر مما أعطى دفعا لارساء الدولة الحديثة، إنَّ جذوة الكفاح والايمان حققت المجتمع المتكامل بفضل العمل الرائد الذى خطط له الملك عبد العزيز ونفذه انطلاقا من سنة ١٩٠١ عندما ابتدأ كفاحه من الكويت وانتهاء بوفاته سنة ١٩٥٣ حيث حقق الوحدة ونشر العدل، ولم يفارق الدنيا الا بعد أن أرسى دعائم استقرار سيادته وسياسته وأشرف على تطبيقها أبناؤه الذين نهجوا وساروا على هديه وقد تخرجوا من مدرسته وتشبعوا بعمله فكانوا دعاة خير وتوحيد وبناء، ودرعا للأمة العربية والاسلامية قاطبة فى ظل التحديات المعاصرة.


بمناسبة
اليوم الوطني
نتقدم بأسمى التهاني وأطيب الأماني
إلى حضرة
خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبد العزيز المفدى
وإلى صاحب السمو الملكي
الأمير عبد الله بن عبد العزيز
ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني
وإلى صاحب السمو الملكي
الأمير سلطان بن عبد العزيز
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام
وإلى الأسرة المالكة الكريمة والشعب السعودي الكريم. أعاده الله على الجميع بالخير والبركات
ارامكو السعودية
(PRS-3-89)

مشروع المملكة العربية السعودية للإفادة من لحوم الهدي والأضاحي

تنفيذ

البنك الإسلامي للتنمية

يسره أن يعلن إلى حجاج بيت الله الحرام

بأن لجنة الافادة من لحوم الهدي والأضاحي، قد قامت بحمد الله وعونه بأداء نسك النحر في موسم حج هذا العام ١٤٠٩هـ نيابة عن جميع الحجاج الذين شاركوا في مشروع المملكة العربية السعودية. للإفادة من لحوم الهدى والاضاحى سواء من طريق موكليهم من الحجاج الآخرين أو لجنة الإشراف في نطاق هذا المشروع لأداء النسك نيابة عنهم.

وقد بلغت التوكيلات جميعها سواء تلك التي نفذت بمعرفة اللجنة أو بمعرفة وكلاء الحجاج الذين اشرفوا على أداء النسك نيابة عن موكليهم (٤٩٥٥٩٠) أربعمائة وخمسة وتسعين الفاً وخمسمائة وتسعين وكالة لجميع انواع الذبائح، من هدي تمتع وهدي قِران وهدي تطوع وفدية وأضحية وصدقة.

وقد وزعت كميات من هذه اللحوم طوال أيام عيد الأضحى المبارك على حجاج بيت الله الحرام في منى وفقراء الحرم فبلغ مجموع الموزع عليهم ٥٥٤٥١ ذبيحة من الغنم كما تم شحن كميات أخرى جواً وبراً إلى عدد من البلدان الاسلامية ويجرى إنهاء ترتيبات شحن كميات أخرى (٢٣١ ألف ذبيحة) جواً وبراً وبحراً. وقد احتفظ بكميات من اللحوم مجمدة في ثلاجات المجازر بغرض توزيعها خلال العام على فقراء الحرم.

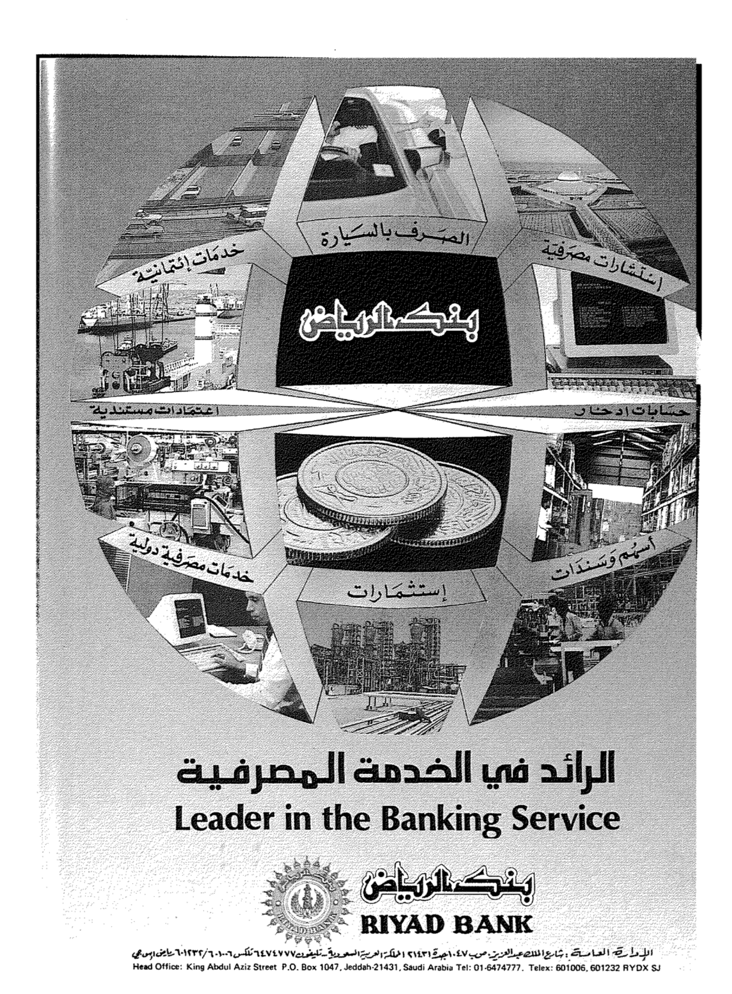
وستسعى اللجنة بإذن الله في العام القادم إلى توسيع نطاق المشروع، بحيث يحقق رغبات عدد أكبر من الحجيج. واللجنة إذ تعلن هذا لحجاج بيت الله الحرام لتعبر لهم عن شكرها للثقة التى وضعوها فيها، كما تعبر عن تقديرها للجهود والامكانات الكبيرة التي بذلتها ووفرتها حكومة المملكة العربية السعودية، وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين حفظه الله. لكي يتم تنفيذ هذا المشروع الإسلامي الهام بيسر وسهولة.

أثاب الله الجميع وألهم أمتنا الإسلامية أمر رشدها وجمع صفوفها ووحد كلمتها ووفق قادتها للأخذ بأسباب النصر.

وفيما يلي بيان بكميات اللحوم التي شحنت والمعدة للشحن إلى خارج المملكة العربية السعودية (برؤوس الأغنام).

برنامج شحن لحوم الهدى والأضاحى لموسم حج هذا العام ١٤٠٩هـ

الدولة	الكمية المعدة للشحن	الكميات المشحونة	طريقة الشحن	الموعد التقريبي للشحن ووصول السفينة
السودان				
بورتسودان	١٥٠٠٠		مجمد بحرا	
الخرطوم	٥٠٠٠		مبرد جوا رحلة واحدة جامبو	١٦/٨/١٩٨٩
باكستان	ـ	٣٠٢٢١	مبرد جوا	٢٥/٧/١٩٨٩
			٧ رحلات لبيشاور وه لكوينا	١٥ـ١٩/٧/١٩٨٩
جيبوتى	١٠٠٠٠		مجمد بحرا	٢٩/٨/١٩٨٩
بنجلاديش	٦٥٠٠٠		مجمد بحرا	١٦/٨/١٩٨٩
الاردن		٤٣٢٠٠	مبرد برا	١٦ـ٢٤/٧/١٩٨٩
تشاد		٥٦٢٠	مبرد جوا جامبو واحدة	١٨/٧/١٩٨٩
لبنان	٢٥٠٠٠		مبرد برا	١٩ـ٢٥/٧/١٩٨٩
موريتانيا	١٠٠٠٠		مجمد بحرا	٢٢/٨/١٩٨٩
مالى	٥٠٠٠		مجمد جوا/ طريق داكار جامبو	٢٧/٨/١٩٨٩
بوركينافاسو	٥٠٠٠		مجمد جوا/ طريق داكار جامبو	٢٧/٨/١٩٨٩
مصر	٣٥٠٠٠		مجمد بحرا	٦/٨/١٩٨٩
السنغال	١٠٠٠٠		مجمد بحرا	٢٧/٨/١٩٨٩
الصومال				
بربرة	٣٠٠٠		مجمد بحرا	١/٩/١٩٨٩
مقديشو	٣٠٠٠		مجمد بحرا	١٠/٩/١٩٨٩
جامبيا	٥٠٠٠		مجمد بحرا	٢/٩/١٩٨٩
سوريا		١٤٥٠٠	مبرد برا	٢٠ـ٢٥/٧/١٩٨٩
النيجر	٥٠٠٠		مجمد جوا/ طريق دكار جامبو	٢٧/٨/١٩٨٩
سيراليون	٥٠٠٠		مجمد بحرا	١٢/٩/١٩٨٩
غينيا بيساو	٥٠٠٠		مجمد بحرا	٤/٩/١٩٨٩
غينيا كوناكرى	٥٠٠٠		مجمد بحرا	١٠/٩/١٩٨٩
تنزانيا				
زنجبار	٣٠٠٠		مجمد بحرا	١٧/٩/١٩٨٩
دار السلام	٣٠٠٠		مجمد بحرا	١٨/٩/١٩٨٩
جزر القمر	٣٠٠٠		مجمد بحرا	٢٣/٩/١٩٨٩
كينيا	٣٠٠٠		مجمد بحرا	١٥/٩/١٩٨٩
موزمبيق	٣٠٠٠		مجمد بحرا	٢٥/٩/١٩٨٩
الكمية المعدة للشحن		الكمية المشحونة		
المجموع ٣٢٣١٠٠٠		٩٣٥٤١	الاجمالى ٣٢٤ر٥٤١	



دار الاصفهاني للطباعة بجدة

العدد ٤٧٥ السنة ٥٦ المجلد ٥١ ـ الربيعان ١٤١٠هـ/ اكتوبر ونوفمبر ١٩٨٩م



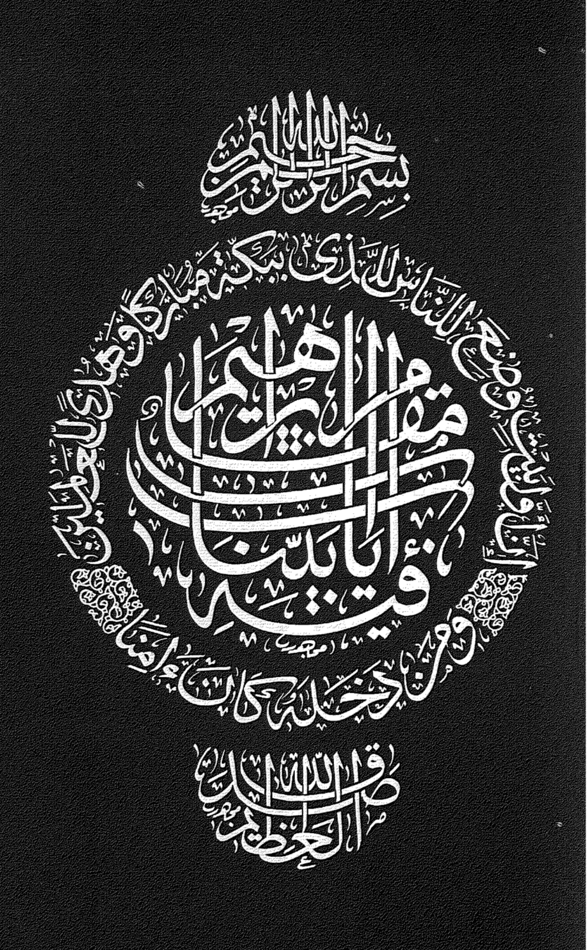
عدد خاص

مكة المكرمة

المقام والارتحال



خرائط Z الفارسي
أشمل دليل لمدن ومناطق المملكة
TAIF
الطائف
الدليل الشامل للمملكة العربية السعودية
National Guide & Atlas of the Kingdom of Saudi Arabia
ZAKI M.A. FARSI
ABHA KHAMIS
EASTERN REGION
المنطقة الشرقية
EASTERN REGION A-Z الشرقية
ALMADINAH ALMUNAWWARAH
RIYADH
الرياض
RIYADH A-Z الرياض
JEDDAH A-Z جدة
JEDDAH
MAKKAH
السودان
جمهورية مصر العربية
تشاد
نيجيريا
البحر العربي
سلطنة عمان


بسم الله الرحمن الرحيم
إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين
فيه آيات بينات مقام إبراهيم
ومن دخله كان آمنا
صدق الله العظيم



المنهل
ALMANHAL

تصدر فى جدة ـ المملكة العربية السعودية
عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة .

العدد ٤٧٥ السنة ٥٦ المجلد ٥١ الربيعان ١٤١٠هـ/ اكتوبر ونوفمبر ٨٩م

اسسهـا سنـــة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

عبد القدوس الأنصارى

المركز الرئيسى

جده ـ الشرفية : ص. ب : ٢٩٢٥ رمز بريدى : ٢١٤٦١
برقيا : المنهل فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣
ت : ٦٤٢٧٨٣١-٦٤٣٩٧٦٥-٦٤٣٢١٢٤-٦٤٢٥٦٨٧
مكتب الرياض : ص. ب : ٢٩٠ ت : ٤٥٤٢٤٣٢

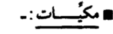
الاشتراكات

● قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٠٠ ريال
● قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

فهــــرس العـــــدد

● اشـارة :

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق فى تحديد اولويات النشر وتخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع او مكانة الكاتب ، والمجلة معفاه من اعادة المقالات التى لا تنشر .
● يشترط فى الاسهامات المقدمة عناصر الجدة ، العمق والرصانة العلمية مع رجاء ان تشفع المادة المرسلة بالصور الموضوعية والتوضيحية وصورة للكاتب مع نبذة مختصرة عن حياته .

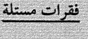


● **غلاف العدد:**



من أقاصى الدنيا، وعبر الأوديا والبطـاح، يأتـون مكـة المكـرمـة، تضـرب قوافلهم بطـون الصحـراء والوهاد . . فهى دوماً فى عيونهم.

من شخصيـــات العـــــدد



فقرات مستلة



أ. احمد عبد الغفور عطار

● بيت الله الحرام فى مكة المكرمة كان ولا يزال اكثر وأعمق عطاءاً فى إلهام البشرية وتوجيهها وتحويل مسارها نحو التوحيد والايمان والمعرفة الحقة بالله سبحانه . وانتظم مسلك الانسان على أصل المنهج وسواء القصد وسمو الوسيلة ونبالة الغاية. (ص ١٤)

أ. احمد بن علال البخلاخى

● الكعبة المشرفة هى أول أثر معمارى عرفته البقعة المقدسة الطاهرة التى يقوم عليها المسجد الحرام وعرفت فيه الانسانية كيف تتجه الى الله سبحانه فى عبادتها.

● الرباط الروحى بين الكتاب المسلمين ومكة المكرمة دفعهم لتدوين تاريخها من كل جوانبه وبكل تفاصيله . وهنالك كثير من كتب التراث يستحق نفض الغبار عنه. (ص١٣٢)

أ. فيصل بن محمد عراقى

● المسجد الأقصى ثالث المساجد وليس بثالث الحرمين كما ورد فى كتابات كثير من الكتاب والمؤرخين . . والحرمان يقصد بهما: الحرم المكى والحرم المدنى لا غير والأدلة على ذلك كثيرة ومتواترة. (ص٢١٠)

د. محمد بن عبد الله آل زلفة



● الحرم، إذا أطلق فهو حرم مكة المكرمة حرسها الله سبحانه، وذلك لانه حرمها منذ خلق السماوات والارض من أن تستباح حرماتها . فكل من فيها ومن فيها آمن حتى الحيوان والشجر. (ص ٢١٢)

أ. محمد موسم المفرجى

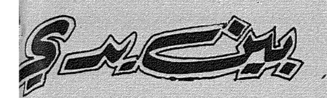
وكلاء التوزيع:

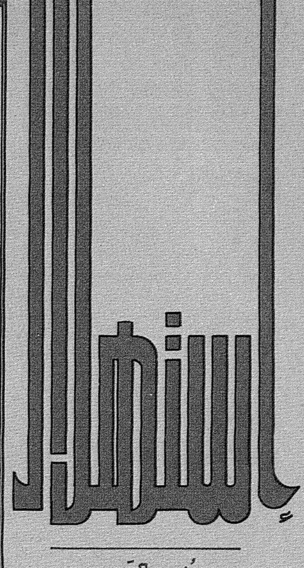
تهامة للتوزيع ـ جدة ت: ٦٦٩٥٠٠٠
وكالة الاهرام للتوزيع ـ القاهرة ت: ٧٥٥٥٠٠
الشركة التونسية للصحافة ـ تونس ت: ٢٤٢٤٩٩
الشريفية للتوزيع ـ الدار البيضاء ت: ٢٤٥٧٤٥
دار المسيرة للطباعة ـ ابو ظبى ت: ٣٣٨٢٨٥
دار الثقافة للطباعة ـ الدوحة ت: ٤١٤١٨٢
وكالة التوزيع الاردنية ـ عمان ت: ٣٠١٩١٥٢
دار اقرأ للنشر ـ الخرطوم ت: ٤١٨٠٩

الاعلانات الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

سعر النسخة

● السعودية: ٨ ريال ● الكويت: ٦٠٠ فلس
● قطر: ٨ ريال ● سلطة عمان: ٦٠٠ بيسه
● المغرب: ٦ دراهم ● الامارات: ٨ دراهم
● تونس: ٦٠٠ مليم ● السودان: ٢٥٠ قرش
● مصر: ١ جنيه ● موريتانيا: ١٠٠ أوقيه
● الأردن: ٥٠٠ فلس





إليكِ مكة

البلد الأمين الآمن.. موطن القداسة وموئل الاجلال.. اختارك الله سبحانه وتعالى من بين بقاع الأرض لتكونى قبلة المسلمين وملتقى أفئدتهم ومهوى أرواحهم.

﴿وإذ بوّأنا لابراهيمَ مكانَ البيت﴾.. ﴿وإذْ يرفَعُ ابراهيمُ القواعدَ من البيتِ واسماعيلُ ربنّا تقبّل مِنّا إنّكَ أنْتَ السميعُ العليم﴾.

﴿وأذّن فى الناس بالحجّ يأتوك رجالاً وعلى كلِّ ضَامِرٍ يأتين من كلِّ فجٍّ عميق﴾.

■ ويتصاعد النداء.. ويملؤ الأجواء.. تتلقاه الارواح وتحتضنه الأنفس.. تتوق إلى نقطة هذا النداء المتصاعد وتهفو إليه، وتسعى اليه، بل تهرول إليه، بل تسبق كل شىء اليه.

و**﴿يأتوك رجالاً، وعلى كل ضامر يأتين من كل فجّ عميق﴾**.

إليكِ مكة

ذات البهاء والنضارة يرتحل المسلم المؤمن الموقن بـ (كلّه) روحاً وجسداً، فهنا المقام.. وهنا يطيب المؤمن نفساً، ويهدأ بالاً، وينعم روحاً.. ويهيم بك حُبّاً:

وليس مُحِبّاً مَنْ يَعُدُّ شقاءه
عذاباً إذا ما كان يرضى حبيبُهُ

إليكِ مكة

تُشَدّ الرحال «للّه كم لها من قتيل وسليب وكم أُنفقَ فى حبّها من الاموال والأرواح، ورضى المحب بمفارقة فِلَذِ الاكباد والاهل والاحباب والاوطان مقدماً بين يديه انواع المخاوف



إليك مكة المكرمة

والمتالف والمعاطف والمشاق وهو يستلذ ذلك كله ويستطيبه ويراه ـ لو ظهر سلطان المحبة فى قلبه ـ أطيب من نِعَمِ المتحلية وترفهم ولذاتهم»
زاد المعاد/ ابن القيم.

إليك مكة

ترحل أرواح المسلمين مرات تلو مرات فى صلواتهم ودعواتهم، فى ابتهالاتهم ومناجاتهم، فهم يُقَبِّلونك روحاً، وينظرونك وَجْداً.. ومن على البعد تظلين ـ مكة ـ فى حدقات عيونهم.

لا يرجعُ الطرفُ عنها حين يَنْظُرها
حتى يعود إليها الطرفُ مشتاقا

مكة المكرمة

، «البلد الحرام اختاره الله سبحانه وتعالى لنبيه ﴿ﷺ﴾ وجعله مناسك لعباده، وأوجب عليهم الإتيان اليه من القرب والبعد من كل فجٍّ عميق، فلا يدخلونه إلا متواضعين متخشعين متذللين، كاشفى رؤوسهم متجردين من لباس اهل الدنيا.. وجعله حرما آمنا».. ابن القيم.

جعل قصده مكفراً لما سلف من الذنوب، ماحياً للاوزار، حاطاً للخطايا «من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه».

لم يرض لقاصده من الثواب دون الجنة.. جعل عرصات مكة مناسك لعباده، فرض عليهم قصدها وجعل ذلك من آكد فروض الاسلام.

﴿ وطهر بيتى ﴾.. اقتضت هذه الاضافة الخاصة من الاجلال والتعظيم والمحبة ما اقتضته.. فكل ما اضافه الرب تعالى الى نفسه فله من المزية والاختصاص على غيره ما أوجب له الاصطفاء والاجتباء ثم يكسوه بهذه الاضافة تفضيلاً آخر وتخصيصاً ـ وجلاله زائدة على ما كان له قبل الاضافة.

إليك مكة

«والله إنك لخير أرض الله، وأحبّ أرض الله الى الله ولولا أنى أُخرِجْتُ منك ما خرجت».

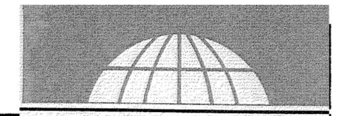
■■ صدقت ياسيدى يا رسول الله.. هى أحب أرض الله الى الله.. بقعة مباركة، وحرم آمن.. وهكذا جعلتها حكمة الحق سبحانه.. كل شىء فيها آمن، أو هكذا ينبغى ان يكون كل شىء فيها آمن.. ليس الانسان وحده، بل كل ما فيها من حيوان وطير وشجر. آمن أيضاً.

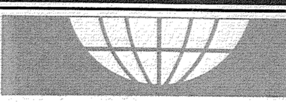
■■ وهذه الحرمة هى مكان الاحترام عند المسلمين.. وهى حرمة ينبغى ان تُغْرس فى نفوس أجيال المسلمين محبة خالصة لموضع جعلته الإرادة الإلٰهية مكان القداسة والاجلال.. وموضع بهذه القداسة كيف يكون لمسلم أن يتجاوز حرمته، وان يعتدى على قداسته...

إليك مكة

وبين يديك هذا العدد.. هذا السِفْر.. إليك وبين يديك خُطَّتْ أحرفُ هذه الكلمات.. فكلها حول كعبتك تطوف، وعند المقام تُصَلِّى، وفى مسعاك تصعد (المروتين).

ومن زمزم تكرع وترتوى، وفى رحابك الطاهرة تدندن حباً وتذرف الدمع شوقاً.. وتصطرع (الكلمات) فى سباقها اليك مكة الخير، فإليك مكة الخير نهدى هذه الكلمات ـ هذا العدد من المنهل، نهديه ابتهالاً وتضرعاً ورجاء فى رحابك ـ وبين يدى مولد رسول الهدى.. وهجرته.





● جمعت مدينة (مكة المكرمة) بين نزول الوحى والـ

جغرافية مكـ

«مكة المكرمة في شذرات الذهب»
نادى مكة الثقافى

١ ـ الموقـع :

تقـع مدينـة مكة المكرمة على السفوح الدنيا لجبال السـروات؛ فهي تمثـل نقطـة الالتقـاء بين تهامـة وهذه الجبـال، ويعدها المؤرخون تهامية، وتحيط بها الجبال من جميع جهاتها غير أن لها منافذ سهلة تربطها بمدينة جدة على البحر الأحمر.

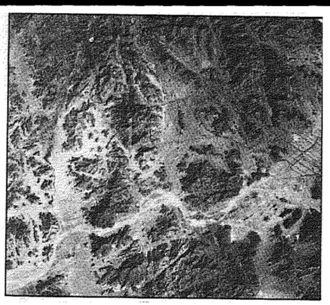
أما موقعها الفلكي فهو على درجة عرض ١٩ ٢٥ ٢١ شمالاً، وخط طول ٣٦ ٤٩ ٣٩ شرقاً. وترتفع عن سطح البحر مقدار ٣٠٠ متر.

■ ولقد كان لهذا الموقع أهمية كبرى إذ أنه يمثل منتصف خط القوافل القديم بين اليمن وبلاد الشام.. ولهذا كان لمكة المكرمة شهرة تجارية بين مناطق الاستقرار المحيطة بها مثل فارس والروم شرقاً واليمن شمالاً وما وراءها من أرض الحبشة جنوباً.

■ وكـانت المنطقة حلقة اتصال بين الحضارات الشمالية والجنوبية ولم تكن فى يوم ما في عزلة جغرافية كالتي عاشت فيها كثير من مناطق الاستقرار الكبرى في العالم.

٢ ـ الموضـع :

أمـا موضع مكة المكرمة فقد خطته العناية الإلهية إذ



خريطة مصورة لمكة المكرمة بالقمر الصناعي.

تحدد موضعها استجابة لدعاء أب وغوثاً للهفة أمٍّ فكانت زمزم المكان الذي هرعت إليها القبائل لتعيش بجواره.. ذلك الموضع المتمثل في بطن وادي ابراهيم الذى تحف به الجبـال الجـرداء من معظم جهاته. ومن ذلك التاريخ لم ينقطـع اعمار المدينة المقدسة، وزادت شهرة المكان برفع قواعـد البيت الحـرام للتـوحيـد فى عهـد ابراهيم وولده اسماعيل عليهما السلام، وأصبحت مكة تستقطب أفواج الحجيج إليهـا منـذ ذلـك التـاريخ واستوطنتها القبائل المختلفة واتسعت شهرتها لدرجة أنها سميت بأم القرى. وعظم أمـر مكـة المكـرمـة بعد أن بشر الرسول ﴿ﷺ﴾ برسـالته من بطحائها وأصبحت قبلة المسلمين يفد اليها

...ادة فى بيتها المحرم والعلم فى رحابها وقداسة المكان وتاريخ الزمان يعلوان على كل الظروف المناخية والطبيعية.

...ة المكرمة

يعقوب

الناس من كل حدب وصوب.

٣ ـ التضاريس :

إن المظهر التضريسى الذي يطغى على ما حوله في العاصمة المقدسة هو منظر الكتل الجبلية السوداء الداكنة، ذات التركيب الجرانيتى الذى يهيمن على المنطقة.

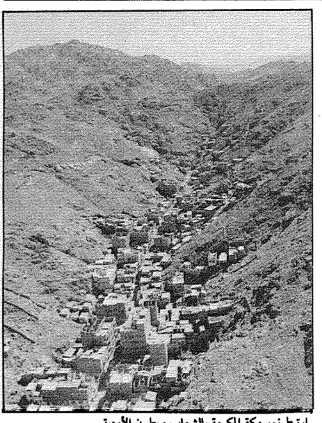
وتقع المدينة المقدسة على سفوح هذه الكتل الجبلية التى شهدت أحداثاً تاريخية هامة. . ففي جبل حراء نزل الوحي على رسول الله ﴿ﷺ﴾، وشهد جبل ثور أحداث الهجرة بين الرسول ﴿ﷺ﴾ وصاحبه أبى بكر رضى الله عنه.

وبين الجبلين السابقين يقع أخشبا مكة وهما أبو قبيس وقعيقعان، (جبل هندى) اللذان يحتضنان الحرم الشريف والكعبة المشرفة.

وإلى الشرق من هذه الكتل الجبلية تقع المشاعر المقدسة فى أودية تحيطها الجبال فوادى منى شهد صراع ابراهيم الخليل مع إبليس وفي جنباته تمت بيعة العقبة الأولى والثانية وعلى أرضه يتجمع الحجيج أيام التشريق وبجواره مسجد الخيف ومنطقة رمى الجمار.

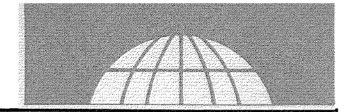
يلى منى من الشرق سهل مزدلفة حيث يأوي إليه الحجيج بعد نفرته من عرفات وبه المشعر الحرام.

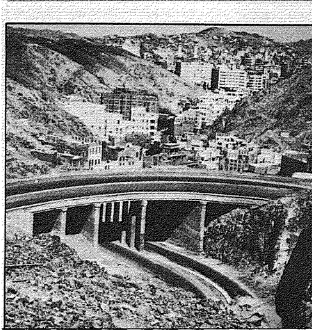
وبعد مسافة وجيزة من مزدلفة باتجاه الشرق يواجهنا سهل عرفات يتوسطه جبل الرحمة حيث وقف رسول الله ﴿ﷺ﴾ بأسفله فى حجة الوداع، وبه مسجد نمرة.



ارتبط نمو مكة المكرمة بالشعاب وبطون الأودية.

وبجانب المظهر الجبلي يبدو من تضاريس مكة المكرمة بطون الأودية. ففى بطن وادي ابراهيم دعا الخليل عليه السلام بدعائه ﴿ربنا إنى أسكنتُ من ذريتى بوادٍ غيرِ ذى زرعٍ عند بَيْتِكَ المُحرَّم﴾. وسكن الناس فى هذا الوادى وأعمروه ثم تجاوزوه إلى الأودية المجاورة مثل وادى طوى ووادي فخ.





أحد الأودية العميقة المؤدية الى مكة المكرمة.

■ ويمكن القول بأن تطور مدينة مكة المكرمة عبر القرون كان مرتبطاً ارتباطاً وظيفياً بانحدار سفوح الجبال واتجاه الأودية وموقع السهول بها.

■ فإذا ما أخذنا المناطق المعمورة فى المدينة المقدسة نجد أن التضاريس قد حددت شكل المدينة بوضعية خاصة تماثل الامتداد الطبيعي للأودية. . ونظراً لضيق هذه الأودية امتد اعمار المدينة على السفوح. وقد قامت مشاريع الاسكان الخاصة والحكومية بتغيير الكثير من الظواهر التضريسية وتسهيلها وجعلها صالحة للسكن، غير أن هذا لم يؤثر بطبيعة الحال على موضع المدينة الذى تأثر بالعوامل الطبيعية الى حد كبير. فتسهيل السفوح والانتشار العمراني عليها لم يفقد العوامل الطبيعية سلطانها فى تسحديد مورفولوجية المدينة. إذ أن الناظر لا يحتاج الى الكثير من العناء لادراك تأثير العوامل الطبيعية فى تحديد مظهر المدينة وشكلها الذى يتطابق مع شكل الأودية والسفوح القائمة عليها، فشكل مدينة مكة المكرمة ومظهرها ما هو إلا امتدادات أودية ابراهيم، طوى، فخ، وأعالي وادي محسر (العزيزية ومنى).

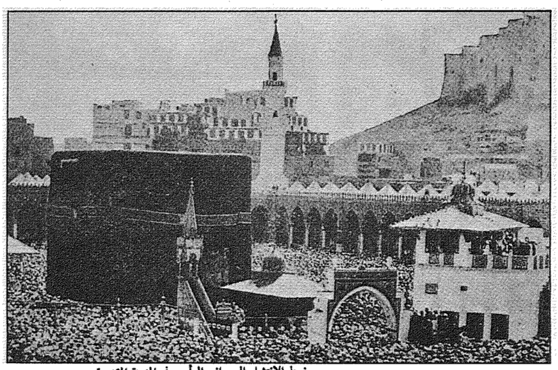
■ إن المواصلات القائمة فى المدينة المقدسة فرضتها شبكة التصريف المائي السابقة الذكر، فشوارع مكة المكرمة الرئيسية منها والفرعية إن هي إلا بطون الأودية والشعاب التى قامت عليها المدينة، ولا يشذ عن هذه القاعدة إلا بعض الطرق القصيرة التى ربطت أحواض تصريف هذه الأودية بعضها ببعض عن طريق فتح العقبات وبناء الجسور أو عن طريق الأنفاق، ولم تكن هذه إلا في العقدين الماضيين مما يبرز التأثير الكبير للعوامل الطبيعية فى الهيمنة على طرق مواصلات المدينة المقدسة، مما يمكن معه القول بأن هناك ارتباطاً طردياً بين وجود الأودية والشعاب ووجود طرق المواصلات.

٤ ـ المناخ:

إن منطقة مكة المكرمة تعتبر منطقة انتقالية بين تأثيرات مناخ البحر المتوسط والمناخ الموسمي، ويؤثر عليها قربها من ساحل البحر الأحمر وخاصة جبال السروات الغربية.

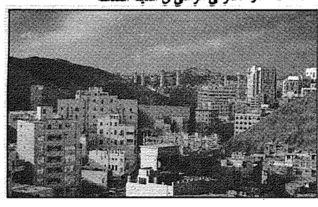
وتتأثر المنطقة فى فصل الصيف بالجبهات المدارية، ويبلغ معدل الحرارة السنوي حوالي ٣١° وتختلف درجة الحرارة بين فصل وآخر؛ فقد تصل فى فصل الصيف إلى ٤٨° فى حين تنخفض في فصل الشتاء الى ١٨°.

■ أما الأمطار التي تسقط على مكة المكرمة فهي من نموذج الأمطار الصحراوية التي تتصف فى الغالب بعدم الانتظام سواءاً في غزارتها أو في أوقات سقوطها. ويختلف مقدار التساقط اختلافاً كبيراً بين سنة وأخرى غير أن معدل هطول الأمطار السنوي في مكة المكرمة يتراوح بين ٨٠ ملم و١٢٥ ملم تسقط فى فصل الشتاء وهو الفصل الممطر الرئيسي في العام، والقسم الأكبر من كمية التهطال تسقط في يناير الذى يعتبر أكثر الشهور مطراً. وعلى أية حال فإن مجموع ما يهطل في شهر واحد قد يهطل خلال يوم أو يومين



صورة لمكة المكرمة ويظهر فيها الحرم الشريف

نمط الانتشار العمراني الرأسي في المدينة المقدسة



أو حتى خلال بضع ساعات الأمر الذي يتسبب فى حدوث فيضانات تكون أحياناً ذات آثار سلبية على المدينة.

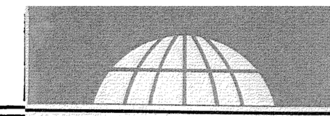
■ أما الرياح فإن اتجاهها متغير في مكة المكرمة، وعلى العموم فإن مكة تتأثر بالرياح الشمالية الغربية والشمالية الشرقية كما تتأثر من وقت لآخر برياح جنوبية غربية.

■ أما الرياح الشمالية الغربية فهي جافة فى فصل الصيف ورطبة في فصل الشتاء حيث تحمل معها أحياناً بعض الأمطار القادمة من البحر المتوسط.

■ أما الرياح الشمالية الشرقية فتهب فى فصل الشتاء والصيف غير أنها جافة في الموسمين، وهذه حارة في الصيف وباردة فى الشتاء. كما تهب على مكة المكرمة من وقت لآخر الرياح الموسمية من الجهة الجنوبية الغربية حاملة معها بعض الأمطار.

ويلعب المناخ دوراً كبيراً في المظهر العمراني للمدينة المقدسة، فعلى سبيل المثال يفضل الناس السكنى في أحياء معينة مثل العزيزية والنزهة والزهراء والزاهر والرصيفة ولعل من أسباب اختيار هذه المناطق هو التصور التقليدي القديم القائل أن هذه المناطق مفتوحة للتيارات الهوائية التى تساعد على تلطيف درجة الحرارة نسبياً فيها ولذا فقد كانت مناطق المتنزهات التي يهرب إليها الناس من حر القيظ.

■ إن العلاقة المباشرة بين المناخ والمظهر العمراني فى مدينة مكة المكرمة تظهر بوضوح في تخطيط المدينة القديمة، فالشوارع الضيقة التى كان يتراوح عرضها بين ٣-٦ أمتار والتي تحيط بها البنايات العالية التى لا تزيد عن ثلاثة أدوار بارتفاع يتراوح بين ١٥ و٢٠ متراً كانت تلقى بظلالها المستديمة على هذه الشوارع الأمر الذي يجعلها لا تتلقى أشعة الشمس المباشرة مما يسهل حركة المشاة ويبعدهم عن



تأثيرات الحرارة الشديدة فى المدينة المقدسة.

كما أن التخطيط الداخلي للمباني السكنية يظهر بوضوح العلاقة المباشرة بين المناخ والتخطيط العمراني، فالجدران الحجرية التى كانت تبنى بها مساكن مكة ذات سماكة كبيرة تمنع وصول الحرارة داخل المنازل وتشكل طبقة عازلة تحفظ الحرارة والرطوبة من التسرب. كما أن الرواشين والنوافذ الخشبية قد صممت بطريقة روعي فيها العامل المناخي بحيث تكون فى وضعية تسمح بتكوين تيارات هوائية داخل المنزل كما تسمح بظروف تهوية مناسبة فى ضوء غياب وسائل التبريد الحديثة.

٥ ـ مصادر المياه:

إن مصادر المياه الحالية التي تزود مكة المكرمة وضواحيها هى:

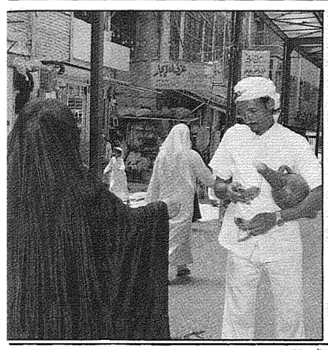
أ ـ مياه زمزم:

وجدت مياه زمزم بأمر من الله عز وجل تحت قدمي اسماعيل ابن الخليل ابراهيم عليهما السلام ثم عاد وحفرها عبد المطلب جد النبي ﴿ﷺ﴾ بعد أن ردمت، ومنذ ذلك الحين ومياه زمزم تستعمل باستمرار.

وهى تزود بالاضافة الى أهل مكة كل من أتى لزيارة الحرم الشريف للصلاة والعمرة والحج. وقد مر نبع زمزم خلال مراحل تطوير عديدة وأضيف إليه فى السنوات الأخيرة تسهيلات حديثة لاستخراج المياه وتوزيعها وتبريدها لخدمة مستعمليها على مدار السنة.

ب ـ عين زبيدة:

هى مصدر مياه مكة التاريخي وقد أنشأتها السيدة زبيدة



السقاية من مياه زمزم المبردة وهى تقليد قديم توارثه الاجيال.

زوج هارون الرشيد ولم يعرف بعد منشأ مياه هذه العين بدقة، وهى تقع فى مجرى وادى نعمان شرقي المشاعر المقدسة، وهى تزود مكة المكرمة بمياه الشرب منذ سنة ١٧٤هـ (٧٩١م) وهذا المجرى الجوفي هو أحد أقدم وأهم ثلاثة مجاري جوفية فى المملكة. والمجريان الآخريان عين الزرقاء بالمدينة المنورة وعين العزيزية فى وادى فاطمة وقد تم تحويل قناة الجريان الطبيعية التى كانت تزود مكة بالمياه إلى أنابيب وأضيف إليها مياه أخرى تم استخراجها من آبار حفرت فى وادي العابدية ووادي رهجان وضمت جميعاً فى شبكة موحدة مدت إلى مكة المكرمة لتزود القسم الشرقي والأوسط من المدينة المقدسة.

ج ـ عيون وادي فاطمة:

وتشمل عين القشاشية وأم البرابيخ وخمسة آبار أخرى ضمن الوادي، وتجمع مياه هذه المصادر فى محطة ضخ واحدة هى محطة ضخ القشاشية التى تزود القسم الغربى من المدينة المقدسة.

وهناك المياه القادمة من عيون سولة والمضيق فى أعالي وادي فاطمة، وقد كانت مكة تستفيد من مياه سولة

بواسطة خط أنابيب عين العزيزية الذي يبدأ من المضيق ويزود جدة بالماء وفي الآونة الأخيرة وبعد استكمال مشروع التحلية فى جدة حولت هذه المياه إلى مكة المكرمة وهى تزود القسم الشمالي من المدينة المقدسة .

د ـ منشآت التخزين:

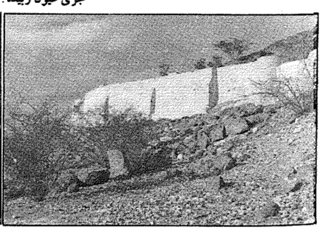
إن متطلبات تخزين المياه فى مكة المكرمة والمشاعر المقدسة فريدة من نوعها بسبب التقلبات الواسعة فى عدد السكان. فمتطلبات التخزين يمكن أن تكون على نوعين أساسين :

١ ـ متطلبات تخزين عادية لسكان مكة الدائمين .

٢ ـ متطلبات تخزين مؤقتة لموسم الحج .

■ وللإيفاء بمتطلبات سكان مكة الدائمين فهناك ما يقرب من ٢٠ خزاناً بأحجام مختلفة منتشرة فى كافة أنحاء المدينة ويقع أكثرها على جوانب التلال وتتسع لما يزيد عن ١٠٠,٠٠٠ متر مكعب .

مجرى عيون زبيدة .



٦ ـ الأوضاع السكانية :

ان الأصول الأولى للعائلات المكية تنحدر مما يلي :

١ ـ القسم الأعظم من سكان مكة المكرمة قدم إلى المدينة المقدسة من مختلف بقاع العالم الاسلامي . ففي دراسة



بئر زمزم داخل الحرم المكى الشريف .

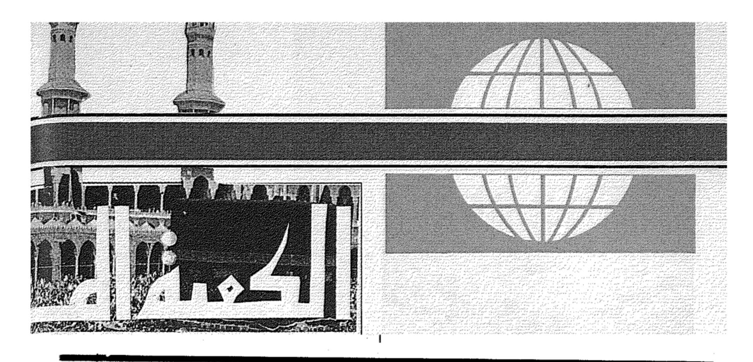
أعدت بهذا الصدد وجد أن سكان مكة المكرمة يمثلون ما يقرب من ٣٥ دولة من دول العالم الاسلامي .

٢ ـ ان هناك تمثيلاً لمختلف مناطق المملكة وإماراتها الإدارية فى سكان العاصمة المقدسة ، ويبدو هذا التمثيل أكثر وضوحاً في قبائل الحجاز المختلفة التي استوطنت مكة أكثر من غيرها بحكم جوار منازل هذه القبائل لمدينة مكة المكرمة .

٣ ـ وإذا أضفنا إلى كل ذلك سكان مكة الأصليين أدركنا مقدار التنوع السكانى بين سكان المدينة المقدسة .

■ إن الأسباب العامة التى أدت الى هذا التنوع السكانى مرتبطة بالظروف المختلفة التى أحاطت بالعالم الاسلامي مما أدى إلى نشاط كبير للهجرة من هذه البلاد الى المدينة المقدسة ، يضاف الى ذلك الأجواء الروحية التى تضفيها مكة المكرمة على ساكنيها . فمن المعروف أن لهذه المدينة قدسية واحتراماً فى نفوس جميع المسلمين يجعلها دائماً مهوى الأفئدة والنفوس . فإذا ما أضفنا إلى كل ذلك الأجواء العلمية وخاصة ما يتعلق منها بالعلوم الشرعية والعربية التى كانت تتواجد طوال عهود التاريخ فى أروقة الحرم المكي الشريف أدركنا أسباب هذه الهجرة من مختلف مناطق العالم الاسلامي .

هذا فى الجانب الدينى والروحى ، أما في الجانب المادى والدنيوى فقد كانت مكة بلداً مفتوحاً للنشاط التجاري والكسب المادي وخاصة فى مواسم الحج المختلفة .



الكعبة هي مركز الأرض:

جدير بالذكر ـ أن نذكر هنا تلك البحوث العلمية الفلكية التى كشفت لنا مؤخراً أن الكعبة هى مركز الأرض، وقد بنيت فى قلب مكة المكرمة. . وهى بحوث تناولها علماء محترمون بالدراسة، وأثبتوا نظريتهم هذه فيها بالأدلة العلمية، واذا أضفنا الى ذلك ما هو مقرر فى التاريخ من قبل الاسلام وفى الاسلام من أن الحجر الأسود هو علامة بدء طواف الطائفين حول الكعبة، وأن هؤلاء الطائفين انما يبدؤون طوافهم من الحجر الأسود جاعليه عن أيسارهم، ويسيرون هكذا فى سائر طوافهم الى آخر أشواطه، جاعلي الكعبة أيضاً عن أيسارهم الى أن يختموا طوافهم بلثم الحجر الأسود أيضا فى اطار مسيراتهم المستديرة المستمرة الدوران سبعة أشواط وهما على أيسارهم، فاذا قارنا بين نظرية مركزية الكعبة للأرض، وعملية الطواف الذى يمشى فيه الطائفون صوب اليسار بالنسبة للحجر الأسود والكعبة معاً، وأضفنا الى ذلك كله نظرية دورة الكرة الأرضية العامة الدائمة من هذه الناحية اليسارية، فنكون حينئذ قد أدركنا جزءاً مبدئياً يسيرا من سر تقرير الطواف صوب اليسار خلافاً للتيامن الذي تنبنى عليه آداب الاسلام فى الأعمال والأحوال ومختلف الشؤون الاسلامية الهامة. وندرك أيضاً بعض أسرار كون الكعبة مركز الأرض.

اضافة إسلامية قديمة:

ونحن هنا نضيف الى ما ورد آنفاً من كشف البحوث العلمية الفلكية أخيراً ان الكعبة مركز الأرض ـ نضيف الى ذلك أن علماء العالم الاسلامى القدامى قد أشاروا الى هذا الموضوع اشارة صريحة واضحة فقد جاء فى معجم البلدان لياقوت الحموى قوله: (وقد جاء فى الأخبار أن أول ما خلق الله، فى الأرض مكان الكعبة ثم دحا الأرض من تحتها فهي سرة الأرض ووسط الدنيا. وأم القرى أولها الكعبة. وبكة حول مكة، وحول مكة الحرم، وحول الحرم الدنيا.

« عبد القدوس الانصارى »





الكعبة المشرفة وافئدة المسلمين تطوف حولها.



ربنا تقبل منّا إنك أنت السميع العليم.



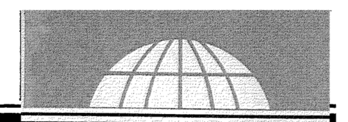
لا يتوقف سيل الطواف إلا حين أداء الصلوات

■ ورغم ان هذا البيت العتيق يمثل اصل الارض ومنه دحيت. . كما اثبتت الآثار الصحيحة ذلك فان الاجهزة العلمية الحديثة التى تدرس بوساطتها المواقع الطبوغرافية على الكوكب الارضى. . اثبتت ان مركز تلاقى الاشعاعات الكونية تتلاقى عند مكة. .

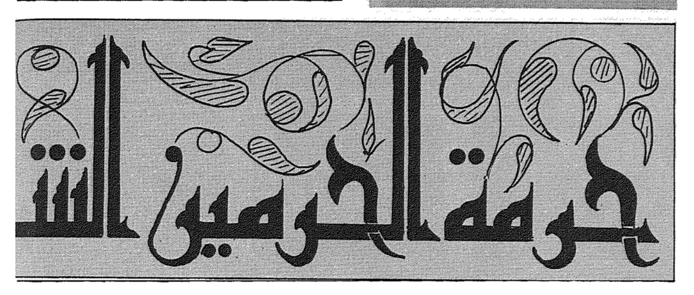
■ وهذا ما توصل اليه عالم امريكى لم يدفعه الى تلك الدراسة عقيدة دينية. . بل قام فى معمله مشدودا بنشاط كبير مواصلا ليله بنهاره. . وامامه خرائطه عن الارض وغيرها وآلاته وادواته التى لا نعرفها فاذا به يكتشف الحقيقة. . نقطة الالتقاء الباطنية. . وراح يعيد النظر والعمل مأخوذا بروعة وآثار هذا الكشف. . ربما عندها تبين له ما نادى به الاسلام من قبل ذلك باجيال. . فاذا باعادة البحث تؤكد ما ظهر له. . فوقف مأخوذا امام هذا السر. . فخورا بما قدر له من الوصول اليه. . مسارعا بعد التثبت منه الى اعلانه. . ولعظمة هذه التجربة العلمية وآثارها مما يزيد المؤمن ايمانا. . ولان لهذا الامر خطورته قام من بعده عالم عربى كبير فى ذات تخصص ذلك العالم هوالدكتور حسين كمال الدين.

■ اذن فحج المسلمين لبيت الله الحرام هو الاستجابة للنداء الخفى للاتجاه الى الموطن الاشعاعى الذى عنده تتلاقى القلوب والأفئده بتقدير عليم خبير. والذى يقدر له زيادة ـ متحف الفضاء الأمريكى بمدينة واشنطن ويشاهد اللوحات الجغرافية التى وضعت لتبين ما كانت عليه الأرض، أو اليابس من الكرة الأرضية قبل انفصال القادات وتباعدها ـ وخاصة تلك اللوحات المتحركة ـ يخرج بانطباع أن الجزيرة العربية وبدقة أكبر، وبتحديد أكثر ـ الكعبه ـ بيت الله تقع فى مركز الأرض، أو مركز اليابس من ـ الكرة الأرضيه.

« مصطفى عطار »



إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـ



■ ان اشرف المواطن وأفضلها لدى الله عز وجل وان أقدس الاماكن وأجلها عند عباده ـ تلكم التى يتعرف فيها الانسان على ربه ويقف فيها على واجبه ووظيفته.

■ وليست هذه المواطن التى تشع وتفيض سوى بيوت الله تعالى ـ تلكم التى تمثل مراكز الاشعاع فى أرض الله.. ومصادر العطاء الروحى والنفسى.. ومعالم انضباط الذات وصدق السلوك.. والتزام المنهج فى كل شئون الحياة ومظاهرها.

■ ولقد كان فى طليعة هذه المعاهد والمواطن على الاطلاق منذ فجر الحياة بيت الله الحرام، فى مكة المكرمة، بلد الله الأمين، ذلك الذى كان أكثرها عطاء وأبعدها عمقا فى إلهام البشرية وتوجيهها، وتحويل مسارها نحو التوحيد والايمان، والعرفان الحق بالله، وما يصدر عنه فى نطاق الحق والخير والفضيلة.. من أصالة المنهج، وسواء القصد.. وسمو الوسيلة.. ونبالة الغاية. فكان منذ عرفت الدنيا الحياة والاحياء والبشر إلى أن يرث الله الارض ومن عليها: الجزيرة الوادعة وسط المحيط، والمنارة الهادية التى تلقى بأضوائها فى كل اتجاه.

■ ولقد كان طبيعيا حينئذ ان يتوفر لهذا البيت الحرام من عناية الله ورعايته والحفاظ عليه ما لم يتوفر لاى مكان غيره فى أية بقعة من بقاع العالم فى الشرق والغرب حيث جند له الله عز وجل من عباده وسخر له عبر العصور من خلقه من تتابعوا على تطهيره ورفع قواعده وبنائه، وتجديد حرمه وتوسيع ساحته، واعداده وتهيئته لضيوف الرحمن من قاصديه وحجاجه، وعماره وزواره والطائفين به والعاكفين فيه، والقائمين الذين يفدون اليه من كل فج عميق.

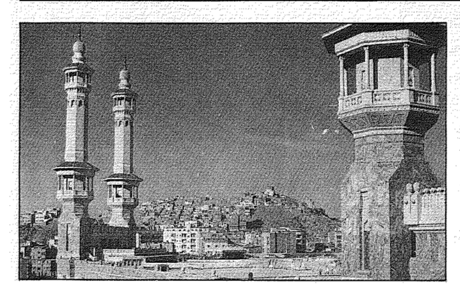
■ فليس فى الوجود كله مكان حظى بالشرف والطهر والمكانة فى ضمير الانسانية عبر اجيالها وعصورها المتعاقبة كما حظى المسجد الحرام ومن ثم حفل التاريخ به واحتفى حفاوة لم تعهد لغيره من دنيا الناس.

● قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بيتٍ وُضِعَ للناسِ للَّذى ببكَّة مباركا وهدى للعالمين فيه آيتٌ بيناتٌ مقامُ إبراهيمَ ومَنْ دخله كان آمنا﴾.

بقلم د. احمد عبد الرحيم السايح-القاهرة

ـذهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ﴿٩١﴾ سورة النمل





■■ ومن آثار النبوة «ان لله خواصا فى الأزمنة والامكنة والاشخاص» واذا كانت الخواص فى أشخاص أشاد القرآن بذكرها كالانبياء والاخيار، او فى أزمنة رفع الله من شأنها حتى أقسم بها كالفجر والضحى والليل. فاننا ننهض فى تقديس واكبار الى الحديث عن بقعة الارض التى كرمها ربنا فيها كرم من بقاع.. وآثرها بمزيد فضله ورضوانه.. واضفى عليها من حمايته وسلطانه حتى كانت فى عين الزمن حلية الدنيا.

●● بقعة اختصها الله فسماها المسجد الحرام، وسماها البيت العتيق فأى مسجد ذلك؟ وأى بيت هو؟.

■ هو الكعبة التى جمع الله لها وصف المسجدية والحرمة والبيتية فى قوله سبحانه: ﴿فولِّ وجْهَكَ شَطْرَ المسجدِ الحرام﴾.. وقوله تعالى: ﴿ولْيَطَّوفوا بالبيت العتيق﴾.

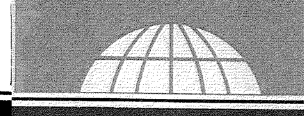
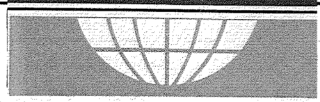
وان فى وصفه بالعتاقة لايذانا بأصالة فى الشرف وتأكيداً بأنه اول بيت وضع فى الارض للعبادة.

■■ وبالبيت العتيق هتف القرآن غير مرة: وركز فى الاذهان: انه المهبط الذى تخيرته عناية الله أول ما تخيرت.. وربطت به تاريخ البشرية فى مرحلة من مراحلها الحية.. وجعلته منارة تشع بضوئها فى جنبات الدنيا ﴿إنَّ أوَّلَ بيتٍ وُضِعَ للناس للذى ببكّه مباركاً وهدى للعالمين﴾.

■ وحسبنا هذه الآية وثيقة لتاريخ البيت، وستضيف اليه الآيات من بعد مناقب أخرى جدت على الايام.

●● وكأن تلك المناقب كانت آمالا تداعب الانسانية منذ فجرها الاول، وتنشدها منذ صبوتها الضالة، لتأنس بها فى مهامه دنياها، وتركن اليها كلما هبت من حولها الاعاصير فى حياتها الطولى. حتى اذا ما حان لكل منقبة من مناقب البيت، موعدها المقدور، عند الله برزت فى عالم الوجود،. وتم بها جانب من جلال البيت على ما شاء صاحب البيت له من جلال.

●● ومن هنا تتابع على بناء البيت الحرام وتجديده وكسوته سادة الناس وقادتهم وأشرافهم. وشيوخهم.. واهل النهى وذوو الصدارة فى الجاهلية والاسلام.. وشاركت فى ترميمه وبناياته والحفاظ عليه والرعاية له اموال المسلمين.

■■ وان بيتا اختلف على بنائه وعمارته . . ورفع قواعده وتجديده والعناية به اقطاب الخلق وقادتهم سيما ابو الانبياء «ابراهيم الخليل» وولده الذبيح «اسماعيل» جد النبى محمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين. وتنافس فى ذلك كل مقدس له معظم لدوره ـ لهو البيت الذى ليس وراء شرفه شرف . . ولا بعد جلاله فى الارض جلال بيت، ومقامه انه بيت الله الحرام وكعبته المشرفة فى مكة المكرمة.

■ ولقد ذكر التاريخ الثبت الوثيق: عدة بنايات للبيت العتيق على أيدى كثير من الناس وفى غابر التاريخ السحيق وفى حديثه وقريبه.

■ ولقد حفل التاريخ بهذا البيت الأمين وبناياته والقائمين عليها ثم بأوصافه ومساحاته والمتغيرات عليه. كما حفل الرواة بجميع الروايات والقصص حول البيت الحرام.

●● لم يكن الباعث للمتشبتين لاخبار البيت العتيق او المتساهلين فيها الا الاجلال له او التقديس لدوره فى خدمة التوحيد . . ورعاية الحق . . وتأصيل اليقين . . وتقويم الخلق وتعديل السلوك . . وتأليف القلوب بين البشر.

■ وهذا يدل على اعلى ما توصل اليه الاعظام والاجلال للبيت المعظم ولا غرو فهو بيت الله الحرام وقبلة ابراهيم واسماعيل ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

●● ولقد بلغ من عناية الله بالبيت العتيق أنه يتعرض له القرآن الكريم صراحة وضمنا، تسعا وخمسين مرة، تراها منثورة من سور البقرة الى سورة النصر **﴿اذا جاء نصر الله والفتح﴾**.

■■ ونرى القرآن يردد ذكر البيت فى ألفاظ متنوعة. وما كان القرآن الكريم ليردد ذكر البيت أو يذكر مكة باسم البلد الامين الا للاشادة بتلك البقاع والتوجيه اليها. لقد كان لهذا البيت أسبقية فى التاريخ على كل مكان وله أفضلية فى رعاية الله له.

■■ وهذه البقعة المباركة أكثر من سواها فى الارض تسامت البيت المعمور فى السماء ـ والبيت المعمور مطاف الملائكة هناك. فكان اختيار هذا البيت مطافا لنا فى الارض وفرصة لنا نتجاوب فيها مع الملائكة فضلا من فضل الله علينا.

■ سار هذا البيت فى مدى زمنه الطويل مزارا للأنبياء وقبلة للجميع فيما كانت لهم من صلاة . . وشاءت حكمة الله أن تزحف الاحداث على بناء البيت بعد أن اقامته الملائكة فى مستهل الحياة الدنيا . . ثم جدده آدم بعد حقبة وجدده من بعد آدم أبناؤه بعد حقبة أخرى . . ثم اذن الله ان يقيم البيت على قواعده ويشيد البناء القشيب على يد رسوله ابراهيم وان يعهد اليه والى والده اسماعيل عليهما السلام بتطهير البيت من آثار الاهمال باعداده للغاية التى من أجلها وجد منذ وجد **﴿وإذْ بوّأنا لإبراهيمَ مكان البيتِ أن لا تشرك بى شيئاً وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود﴾**.

■ المسجد الحرام له قداسته الخاصة فى نفوس المسلمين فقد اضافه الله تعالى لنفسه تكريما له وتعظيما لشأنه **﴿وطَهِّر بيتِي للطائفين والقائمين والركع السجود﴾**.

<u>يقول الامام الزركشي</u>: «وناهيك بهذه الاضافة ـ اضافة البيت الحرام الى الله ـ المنوهة بذكره . . المعظمة

لشأنه . . الرافعة لقدره . . وهى السر فى أقبال المسلمين عليه وجذب قلوبهم اليه وعكوفهم لديه» .

■ فقد عطف سبحانه القلوب والافئدة اليه دون غيره من البلاد ، فهو للقلوب أعظم من جذب المغناطيس للحديد ، ولهذا أخبر الله سبحانه وتعالى أنه ﴿مثابة للناس وأمنا﴾ - اى يثوبون اليه على تعاقب الاعوام من جميع الاقطار ولا يقضون منه وطرا ، بل كلما اقتربوا منه ازدادوا شوقا والسر فى هذا التوقان دعاء خليل الله ابراهيم عليه السلام حينما دعا ربه بقوله : **﴿فاجْعَلْ أفئدة من الناس تَهوِى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾** .

البيت الحرام بمكة هو اول بيت وضع للناس فى هذه الارض ليكون مصدر الخير والبركة ، ومعلم الهدى والنور للناس اجمعين .

■ هذا البيت الحرام كان مصلى ابراهيم ومقامه - ساقته العناية الإلٓهية اليه ليحدد معالمه ويرفع غاياتها على يد آخر المرسلين من أبنائه وهو محمد عليه الصلاة والسلام ، وهذا البيت اتخذه ابراهيم مُصَلًّى له ، وهو بيت الله وهو أول بيت على هذه الارض اتصل فيه الانسان بربه منذ طفولة الانسانية الاولى .

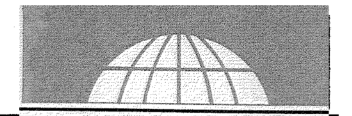
■ ولم يكن ابراهيم هو الذى أنشأه واقامه فهو أقدم من ابراهيم بأزمان بعيدة . . وفى هذا يقول الله تعالى : **﴿وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾** - وفى هذا دلالة على انه كان بيتا لله قبل أن يعهد الله الى ابراهيم واسماعيل بتطهيره من الاوثان التى عبدها العابدون فيه . ثم يقول الله تعالى : **﴿واذ يرفعُ ابراهيمُ القواعدَ من البيتِ واسماعيلُ﴾** - وفى هذا اشارة اخرى الى ان البيت كان قائما على قواعد وانها كانت الى عهد ابراهيم واسماعيل قد تهدمت فكان عمل ابراهيم واسماعيل فيها هو إقامتها على أصولها التى كانت عليها . . وفى اشتراك اسماعيل مع ابيه ابراهيم فى اقامة هذا البيت وتطهيره من الاوثان اعداد للرسالة الاسلامية التى ستكون لمحمد ميراثا خالصا له من أبويه الكريمين ابراهيم واسماعيل .

■ ومن هذا يبدو أن الرسالة الاسلامية كانت هى الفلك الذى تدور فيه رسالات الانبياء والمرسلين ، وانها الجامعة التى تجتمع اليها الرسالات وتلتقى عندها . كما أنها كانت هى المنبع الذى فاضت منه عيونها ، والكوكب الذى استمدت منه شعاعها ، ففى كل نبوة ، وبين يدى كل نبى قبسه من أقباس الاسلام ، وضوء من اضوائه حتى جاء صاحب الرسالة الاسلامية محمد بن عبد الله ، فوضعها الله بين يديه على أتم تمامها وأكمل كمالاتها .

■ ومن ثَمّ كان طبيعيا ان يهىء الله لهذا البيت المعظم من يرفعون بنايته ، ويتعهدونه بالتجديد والتحسين ، والتوسعة والاضافة والصيانة والرعاية اللائقة به ، حسبما تقتضيه ظروف كل عصر من الامكانيات والطاقات البشرية والمادية ، وما وصل اليه العلم فى مجالات العمارة والهندسة .

■ وعلى بساط الطهر وتحت سماء النقاء ، وفى نطاق الشفافية والسمو كان بين موطن البيت العتيق وبين ابراهيم الخليل ، تفاعل مستمر وتجاوب تام وجاذبية واتساق .

■ ومن وحى هذا جميعا كانت ضراعة ابراهيم عليه السلام ودعاؤه ورجاؤه ربه وتشبثه به ان يتم الله على هذه البقعة الطاهرة نعمته ، وان يحيلها من حول بيته الحرام موئل أمن ومرفأ سلام ومهوى لافئدة المؤمنين .



■ ولقد كان أبو الانبياء ابراهيم عليه السلام على أعلى ما عرفت البشرية من أسباب الطهر، والصفاء، وعلى أرقى ما عرفت من النقاء والشفافية وسمو الروح ورقة الوجدان ونور البصيرة ورحابة الأمل ووثيق التطلع وعظيم الرجاء فى ربه، قال تعالى: **﴿وإذ قال ابراهيمُ ربِّ اجعل هذا بلدا آمنا وارزقْ أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر﴾**.

وقد ذكر الله المسجد الحرام فى كتابه العزيز فى خمسة عشر موضعا ستة فى سورة البقرة.

وذكر الماوردي: ان كل موضع ذكر الله فيه المسجد الحرام.. فالمراد به الحرم الا فى قوله تعالى: **﴿فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام﴾** فانه اراد به الكعبة.

وروى النسائي فى سننه عن حديث ميمونة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول: «صلاة فى مسجدى هذا أفضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الكعبة».

وفى رواية ابن ماجه «وصلاته بمكة بمائة الف».

فالبيت الحرام هو النقطة الوحيدة التى تميزت دون سائر بقاع الدنيا وتمركزت فيها وحدها ركائز الحق.. وتغلغل فى اعماقها جوهر التوحيد.. وكأنها تفردت لتمثل بؤرة الضوء الصالحة لاشعاع الهداية فى الضمير الانسانى ونشر الامن والامان والايمان فى ارجاء الدنيا.

■■ وللبيت الحرام من الآيات والبركات مالا نظير له لأى مكان آخر فى ارض الله عز وجل، ومن حيث جعله الله مثابة للناس وأمنا **﴿ومن دخله كان آمنا﴾** - يأمن فيه الخائف.. ويطمئن الفزع.. ويستقر المضطرب.. كما يأمن فى رحابه أيضا إلى جوار الانسان.. الحيوان والطير والنبات والجماد.. من حيث ان الله تبارك وتعالى جلب اليه الارزاق والثمرات من كل نوع وصنف من بقاع الدنيا.

■■ ولان الله تعالى جعله ذروة فى الأسبقية والفضل والشرف، والمكانة فهو أول مكان عرفته الدنيا لعبادة الله فى ارضه ومن حوله المطاف وفى رحابه المسعى وفى حرمه يكون الوقوف بعرفه.. كما تكون سائر المشاعر فى الحج والعمرة والى ان تقوم الساعة.. ثم به تتعلق القلوب والافئدة، واليه تتجه وتطوف به من قريب وبعيد فى كل ركن من ارجاء المعمورة حيث اشعاعات هداياته وانعكاساته، قال تعالى: **﴿ان اول بيت وضع للناس للذى ببكه مباركا وهدى للعالمين، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا﴾**.

■■ ولا شك ان هذا جميعا وما يبعث اليه من وحى مبارك وما يحتويه من رساله عالمية خاتمة يعد من اشرف أنواع الهدايات وابرها وأوفاها بالبشرية قاطبة فيه مقام الخليل ابراهيم وموطىء قدميه، وفيه بئر زمزم ذو الماء القراح المبارك، وفيه الصفا والمروة والمسعى العتيق بينهما وفيه الحجر الاسود والحطيم والملتزم والركن اليمانى.

■ وما تثيره هذه الآيات من ذكريات دارت كلها فى رحاب البيت وأرجاء الحرم لما يبعث النفس على استحضار ظروفها وملابساتها وما ارتبط بها من مناسك ومشاعر ووجدانات وعواطف، وما اقترن بها ايضا من رجوات ودعوات وثناءات وتلبيات، تفيض كلها بآيات من الخشوع البالغ لله رب العالمين.

■ واما عن الطمأنينة والأمن فان البيت الحرام يعتبر واحة الأمان ومرفأ السلم، ومهد الطمأنينة ومثواها، . والمثابة التى تثوب اليها الافئدة وتهواها القلوب، ولا يكاد المرء يخرج منه الا ويعاوده الحنين اليه والشوق له.

■ بل ان أمنه وأمانه قد بلغ من أمر الله فيه أنه أعلى كعبه، وأفسح أفقه، ووسع دائرته، وأسبغ منه لا على الانسان فحسب وانها أيضا على الحيوان والطير والنبات والجماد، فلا روع ولا فزع ولا خوف ولا قلق ولا اساءة ولا أذى.

■ حقا انه حرم الله وبيته العتيق وكعبته المشرفة مكّن الله له فى الأرض وجعله حرما آمنا، يشع بالامن والايهان.

وذلك من حيث زيارته والدخول اليه والطواف به والوداع له وتحيته.

■ ومن حيث أمنه الذى يسبغه على زواره. . وبركته التى تنعكس بالمضاعفة على كل من العبادة والطاعة فيه. وايضا من الهيبة التى يضفيها الله على زوار هذا البيت وحجاجه وعماره لقاء ما دخلوه طائعين متواضعين مخبتين خاشعين لله رب العالمين.

كذلك من حيث إشاعة الأمن والسكينة فيه والعمل على بث الطمأنينة والاستقرار فى أرجائه.

■ ومن ثم أوجب الاسلام على المسلمين وندبهم نحو هذا البيت العتيق الى خصائص ومميزات وواجبات وسنن ومشاعر ومناسك تتناسب وصفاءه وطهره ودوره فى صنع الحياة، وصقل الناس بطابع الايهان وصبغة الحق ومسحة التوحيد، وسهات السمو والنبل والشرف، وواجبات الحب، والاخاء والمساواة والعدل، والقسط والانصاف والالتزام بشتى الاداب ومختلف القيم والمثل.

■ ان المستقرىء لتاريخ الانسانية فى القديم والحديث فى كافة الدنيا لن يجد وسوف لا يجد والى ان تقوم الساعة ما هو أعز من هذا البيت على نفوسهم وأقدس فى حياتهم من مواطن الطهر والصفاء، والروحانية والشفافية، حيث تبلغ فيها الروح قمة الاشراف، ويصل الانسان فيها الى أقصى ما يمكن من الاحتشاد والاستجماع للذهن والعقل والقلب والوجدان. سيما ما كان فى لحظات التألق النفسى الفذ والاستعلاء الروحى الفريد.

●● وفى طليعة هذه المواطن ما كان مرتبطا منها بالعاطفة الحية والوجدان الدقيق، والايهان الحق، واليقين الوثيق فى الله رب العالمين.

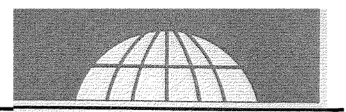
●● ولا ينطبق هذا على مكان بصدق قدر ما ينطبق على البيت العتيق. . الذى جعله الله مثابة للناس. . وجعله حرما آمنا. . وجعله أول بيت وضع للناس فى الشرف والمكانة.

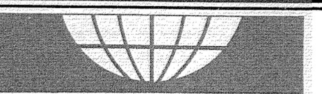
ولقد تعلق الناس منذ فجر الحياة بهذا البيت العتيق وارتبطوا به وهفت اليه نفوسهم من حيث كان ولا يزال موئل عبادتهم ومحل طاعتهم ومنطلق صلتهم بالملأ الاعلى.

الامر الذى يمكن ان يقال معه: إن البيت الحرام كان قد احتل فى نفوس المؤمنين بالله موضع الروح من الجسد مما حدا بالمؤمنين ان يستقر لديهم ويتأكد فيهم الاستعداد التام لحمايته والذود عنه، وبذل المهج من أجله ما وسعهم هذا وأطاقوه وان يقفوا من كل عاد عليه متربص به موقف العداء العلني الذى لا مواربة فيه ولا حيلة ولا حيدة عنه ولا مناص منه.

■ ولما كانت للكعبة المشرفة من القداسة والجلالة ما ليس لبيت سواه من بيوت العبادة فى الارض فقد حرمها الله وجعلها حرما آمنا لا يحل انتهاكه ولا افزاع الناس من حوله، ولا شن الحرب فيه ولا فى رحابه ولا فى مكة المكرمة التى تضمه بحال من الاحوال.

وفى الصحيحين واللفظ لمسلم: عن ابن عباس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ يوم فتح مكة: «ان





هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة، وانه لم يحل القتال فيه لاحد قبلى ولم يحل لى الا فى ساعة من نهاره، فهو حرام بحرمة الله يوم القيامة ولا يعضد شوكه ولا ينفر صيده».

وقال رسول الله ﴿ﷺ﴾: ان مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الاخر ان يسفك فيها دما او يعضد بها شجرة فإنْ أحدٌ ترخَّصَ بقتال رسول الله ﴿ﷺ﴾ فيها فقولوا له: ان الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم. وانما أذن لى فيها ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهدُ الغائبَ».

وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبى ﴿ﷺ﴾ يقول: «لا يحل لاحدكم ان يحمل بمكة السلاح».

■■ وما أخبث الاهواء: حين يحتكم اليها البشر وتتحكم فيهم. حيث تلوى أعناقهم عن الحق وكل ما يرتبط به ويـدور فى فلكه.. وتعمى بصائرهم عن ادراكه ومعرفته ـ وحالئذ لا تجدهم الا عبيدا للاوهام وادوات الغرور، مدفوعين بصلفهم الى العدوان والطغيان والعسف والقهر.

■ ولقد تربص بالبيت العتيق ـ بضع مرات ـ اعداء الحق وعشاق الهمجية واصحاب الحقد والضغينة، وذوو الميول الهابطة والاطماع الدنيئة، ومن جبلوا على اساليب الكيد ووسائل البغى وحب العنجهية والغطرسة والغرور.

■ لقد كادوا له ومكروا ودبروا للنيل منه بغية محوه وصرف الانظار عنه، بيد ان كيد الله لهم كان اكبر، ومكره كان اعظم وتدبيره دائما أعلى وأجل.

قال تعالى فى سورة الانفال: **﴿ ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾**، وقال تعالى فى سورة فاطر: **﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله فهل ينظرون الى سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾**.

وقال تعالى فى سورة الرعد: ﴿وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار﴾.. وقال تعالى فى سورة النحل: ﴿ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون﴾.. وقال تعالى فى سورة البقرة: ﴿ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الاخرة عذاب عظيم﴾.

●● وكان من أمر هؤلاء فى الجاهلية والاسلام ان رد الله كيدهم، حيث لم تقم لمعتدٍ على الحرم العتيق فى البلد الأمين قائمة من قريب أو بعيد، بل أنقذ الله فيهم سنته وسلط عليهم جنده، قال تعالى فى سورة الفتح: ﴿ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما﴾.. وقال تعالى فى سورة المدثر: ﴿وما يعلم جنود ربك الا هو وما هى الا ذكرى للبشر﴾.

●● ولقد حاول غير واحد من أولى البأس والسلطان فى عصور مختلفة ان يصرفوا الناس عن هذا البيت فذهبت محاولاتهم هباء.. وباء أبرهة ومن سبقه ومن لحقه بالاخفاق فى مآربهم من صرف الناس عن بيت الله.

●● والحق ان كعبة الله المشرفة فى مكة المكرمة هى أمنع من حصن الكميِّ بحماية الله لها وحفاظه عليها ودفاعه عنها.

■■ فاذا انتقلت الى المدينة المنورة التى تضم أطهر البقاع على الاطلاق لاحتوائها على الرفات الطهور للرسول ﴿ﷺ﴾. طالعتنا هناك مشاهد ومواطن افضلها على الاطلاق مسجده الشريف صلى الله عليه وسلم الذى شهد كفاحه وجهاده.

■■ وللمسجد النبوى بعد المسجد الحرام قداسته التى لا تعادلها قداسة فقد أنشأه النبى ﴿ﷺ﴾ بيده الشريفة، وأمَّ فيه هذه الأمة من السابقين الاولين من المهاجرين والانصار، وبه منبره الشريف وحيث توجد به أفضل بقعة على الارض، قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى «ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة».

●● وروى ان رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: «اللهم إنَّ ابراهيم عبدك وخليلك ونبيك وانى عبدك ونبيك، وانه دعاك لمكة وانى ادعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكه ومثله معه».

●● وروى البخارى ومسلم عن النبى ﴿ﷺ﴾ انه قال: «ان ابراهيم حرم مكة ودعا لها، وحرمت المدينة كما حرَّم ابراهيم مكة، ودعوت لها فى مدها وصاعها مثل ما دعا ابراهيم لمكة».

■■ ومن هذا ندرك ان لهذين الحرمين الحرم المكى والحرم النبوى - ولهذين البلدين - مكة والمدينة المنورة - مكانة عظيمة فهما أفضل بقاع الارض قاطبة رعاهما الله وحماهما، ورد عنهما كيد الاعادى وعاديات الزمن.

■■ وجدير بالامة الاسلامية ان ترعى حرمة هذه المساجد التى اشار الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ الى شد الرحال اليها.

■■ وحرى بنا أمة الاسلام أن نعقل دور بيت الله الحرام فى التاريخ . . واثره فى الايمان . . وعطاءه للبشر فى مجالات السلام والامن والاستقامة والرشاد . . واشعاعاته فى حنايا الاجيال والافراد والجماعات والامم.

■ وروى ابن ماجه عن عياش بن ابى ربيعة رضى الله عنه قال: قال رسول ﴿ﷺ﴾: «لا تزال هذه الامة بخير ما عظموا هذه الحرمة حق تعظيمها فاذا ضيعوا ذلك هلكوا». وفى الستة الذين لعنهم رسول الله ﴿ﷺ﴾ قوله: «والمستحل لحرم الله» والاحاديث والاثار فى تعظيم الحرم اكثر من ان تحصر.

وقد بدا واضحا ان لله فى خلقه وكونه نماذج اختصها بفضله وحباها برعايته.

■ ولقد بدا هذا جليا فى بيت الله العتيق وكعبته المشرفة فى مكة المكرمة، وفى ابى الأنبياء ابراهيم الخليل عليه السلام واسترواحه لاريج هذا البيت وعطر بقعته الطاهرة وعبق تاريخه الضارب فى أعماق الحياة وطوايا المستقبل.

■ كما بدا أيضا فى اجابة الله وقبوله لدعوة ابراهيم وتلبية رغبته . . وبدأ كذلك فيمن هيأهم الله عبر العصور واعدهم ووفقهم وهداهم لكفالة هذا البيت ورعايته وتجديده وصيانته وتعهده والقيام على أمره وخدمته . . وبدا كذلك واضحا فيما خص الله به المملكة العربية السعودية من نعيم العطايا ورعاية حرمة الحرمين الشريفين والسهر عليهما وحراستهما وتوفير كل ما يلزمهما ويلزم الوافدين اليهما.

■ وما اولانا ان نوقن تماما - وبصورة وثيقة لا تقبل الشك او التردد - ان الله تعالى جلت قدرته وعز شأنه من وراء بيوته، يحميها ويدافع عنها وهو مع أهلها والقائمين عليها، وعلى امر الدعوة والبلاغ والتوجيه فيها كما عودهم دائما. يكلؤهم ويرعاهم ويحمى ظهورهم ﴿ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور﴾.

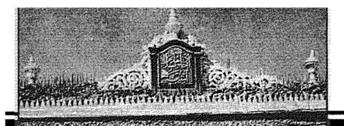
في رحاب بيت الله الح

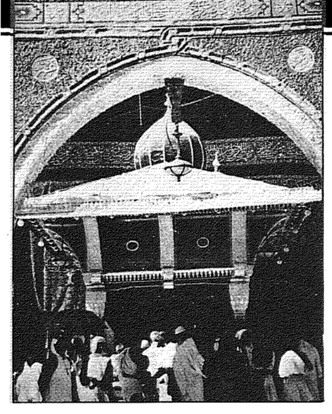
● القصيدة التالية، رائعة من روائع القصيد الذى قيل عن مكة المكرمة وهى - على معرفة القراء بقائلها عمر بن الفارض - من الشعر الوجداني الذى قل له نظير - فى فكرته وصورته أو في أسلوبه وموضوعه، حيث البلاغة متجلية والفكرة متدينة والأسلوب رائع وبشىء من التأمل والتذوق يستطيع القارىء ان يكون واعياً قلباً وقالباً بهذا النوع من الشعر الوجداني العميق.

يا ساكني البطحاء هل من عودةٍ
احيا بها يا ساكني البطحاء
إن ينقضي صبري فليس بمُنقضٍ
وجدى القديمُ بكم ولا بُرحائي
ولئن جفا الوسمِيُّ ما حلَّ تُرْبكُم
فمدامعي تربي على الأنواء
واحسرتي ضاع الزمان ولم افز
منكم أهيل مودتي بِلقاء
ومتى يؤمل راحةً مَنْ عُمْرُه
يومان: يوم قِلى ويوم تناء
وحياتكُم يا أهل مكَّة وهي لى
قسمٌ لقد كلفت بكم أحشائى
حُبّيكُمُ فى الناس أضحى مذهبى
وهواكُمُ دينى وعقدُ ولائى

عمر بن الفارض

يا لائمى فى حبِّ مَنْ مِنْ أجله
قد جَدَّ بى وجدِى وعزَّ عزائى
هلا نهاك نُهاك عن لوم امرىء
لم يلق غير مُنعَّمٍ بشقاء
لو تدرِ فيم عذلتني لعذرتني
خفض عليك وخلِّني وبلائي
فلنازلى سرح المربَّع فالشبيـ
ـكة فالثنية من شعاب كداء
ولحاضرى البيت الحرام وعامري
تلك الخيام، وزائر الخشاء
ولفتية الحرم المريع وجيرة الـ
ـحي المنيع تلفتى وعنائى
فهم هم صدوا دنوا وصلوا جفوا
غدروا وفوا هجروا رثوا لضنائي
وهُمُ عياذى حيث لم تُغْنِ الرُّقى
وهم ملاذى إن غدت أعدائي
وهم بقلبى إن تناءت دارهم
عنى وسخطى فى الهوى ورضائى
وعلى محلّي بين ظهرانيهم
بالاخشبين أطوفُ حول حمائي
وعلى اعتناقى للرفاق مُسلّما
عند استلام الركن بالايماء



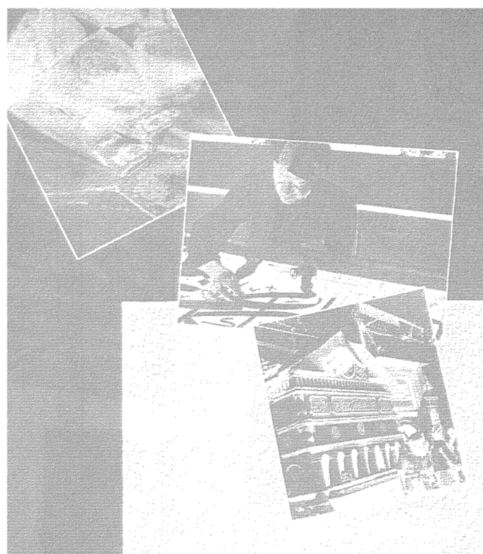


وتـذكـرى أجـيـاد وردي فى الـضحى
وتهـجّـدى فى الـلـيـلة الـلـيـلاء
وعـلـى مقـامـى بالُمـقـام أقـام فى
جسـمـى الـسـقـام ولات حين شفـاء
عُمـري ولـو قلبت بطـاحَ مسـيـله
قُلبـا، لقـلـبى الـري بالمحـصـبـاء
أسـعـد أخـي وغـنِّـي بحـديـث من
حلَّ الابـاطـحَ إن رعـيـتَ إخـائـي
وأعـده عنـد مسـامـعـى فالـروحُ إنْ
بعـد المدى ترتـاحُ للأنـبـاء
وإذا أذى ألم ألمَّ بمـهـجـتـى
فشـذا أعـيـشـاب الحـجـاز دوائـي
أذاد عن عذب الـورود بأرضـه
وأحـاد عنـه وفى نقـاه بقـائـي
وربـوعـه أربـى أجـلّ وربـيـعـه
طربـى وصـارف أزمـة اللأواء
وجـبـالـه لى مربـعٌ ورمـالـه
لى مرتـع وظـلالُـهُ أفـيـائـي
وتـرابُـهُ نديّ الـذكـيّ ومـاؤه
وردى الـرّوى وفى ثراه ثرائـي
وشـعـابُـهُ لى جنّـة وقِـبـابُـه
لى جنـةٌ وعـلـى صفـاه صفـائـي
حيّـا الحـيـا تلك المنـازل والـرُّبـى
وسـقـى الـوليُّ مواطـن الآلاءِ

وسقـى المشـاعـر والمحصَّب من منى
سحـا وجـاد مواقـف الأنـضـاء
ورعـى الآلـه بها أصـيـحـابى الألى
سامـرتُـهـم بمـجـامـع الاهـواء
ورعـى ليـالـى الخيف ما كانت سوى
حلم مضـى مع يقظـة الاغـنـاء
واهـاً على ذاك الـزمـان ومـا حوى
طيـب المـكـان بغـفـلة الـرُّقـبـاء
آيـام أرتـعُ فى ميـاديـن المـنـى
جذلاً وأرفـلُ فى ذيـول حبـاء
ما أعـجـبَ الأيـام توجب للفتـى
منـحـاً وتَمْـحـنُـهُ بسـلب عطـاء
يا هل لماضـى عيـشـنـا من عودة
يومـا وأسـمـح بعـده ببـقـائـي
هيـهـات خاب الـسّـعىُ وانفصمتْ عُرى
حبـل المـنـى وانحـلَّ عقـدُ رجـائي
وكـفـى غرامـا أن أبـيـت مُتـيّـمـاً
شوقـى أمـامـى والـقـضـاء ورائـي

● وفى الأبيات الآتية يجسد عمر بن الفارض هيامه بمكة المكرمة في حسرة وتلوع على أنه سيغادرها لقسوة بعض الظروف التى صرفته عنها وهو مقهور القهر كله وعلى ضيم وجيع، رحمه الله تعالى وها هو يقول ملتاعاً.

يا أهيل الحجاز إنْ حكم الدهر
بينٍ قضاء حتم إرادي
فغرامي القديمُ فيكُم غرامي
ووداى كما عهدتم ودادي
قد سكنتم من الفؤاد سويدا
هـ ومن مقلتى سواء السواد
يا سميرى رَوِّحْ بمكة روحي
شادياً إن رغبت فى اسعادى
فذرآها سربى وطيبى ثراها
وسبيل المسيل وردي وزادى
كان فيها أنسى ومعراجُ قدسى
ومقامى المقام والفتح بادِ
نقلتنِي عنها الحظوظ فجُذَّتْ
وارداتى ولم تدُم أورادي
آه لو يسمحُ الزمانُ بعود
فعسى أن تعود لى أعيادي
ما شممت البشام الا وأهدى
لفؤادى تحية من سعاد

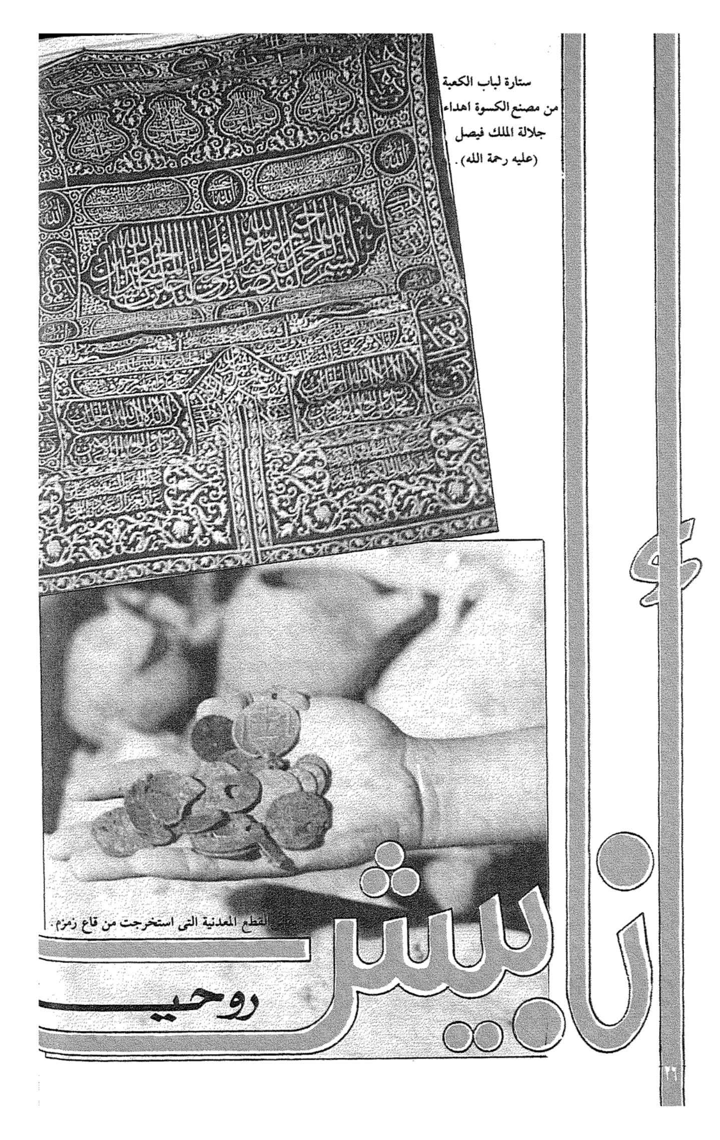


* * * * * * *

« الصورة الأنبوشة » تاريخ عريق مقروء من خلال تقاسيم الصورة . . ومعلوم أن الصورة أحياناً تعطى من المدلول مالا تعطيه الكلمة . . ومن هنا جاءت هذه الأنابيش التاريخية المصورة لتضيف لنا قراءة «روحية» اضافة الى القراءة التاريخية من خلال الكلمة .

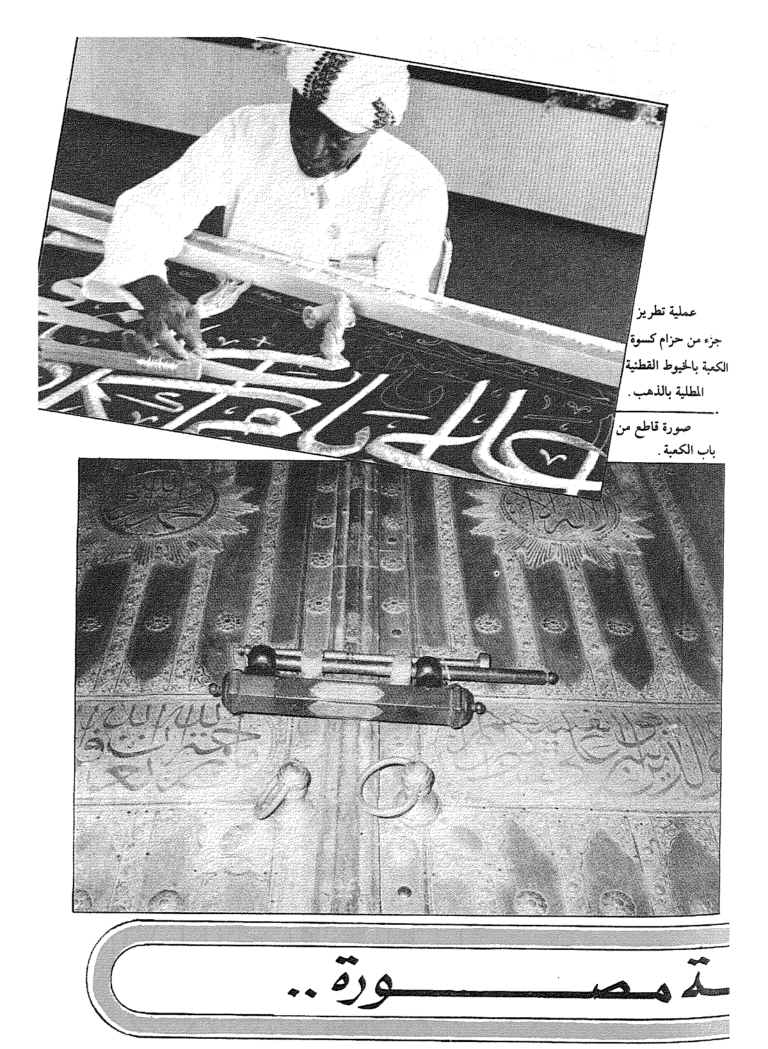
* * * * * * *

أنابيش روحية مصورة



ستارة لباب الكعبة من مصنع الكسوة اهداء جلالة الملك فيصل (عليه رحمة الله) .

القطع المعدنية التى استخرجت من قاع زمزم .



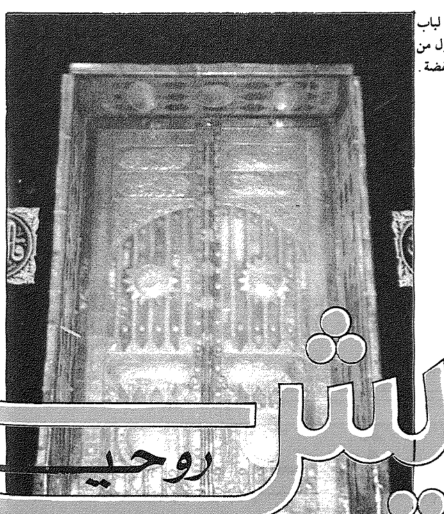
عملية تطريز جزء من حزام كسوة الكعبة بالخيوط القطنية المطلية بالذهب.

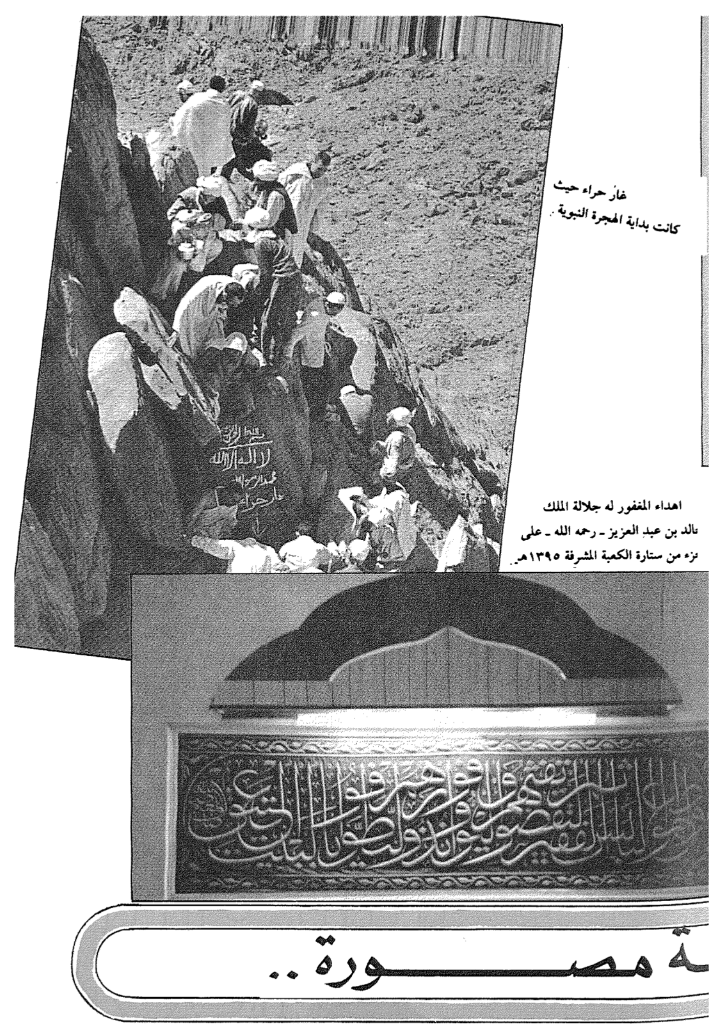
صورة قاطع من باب الكعبة.



حجر مقام سيدنا ابراهيم عليه السلام عند رفع المقصورة ووضع الزجاج عليه . شهر رجب ١٣٨٧هـ

صورة لباب الكعبة المصقول من الذهب والفضة .

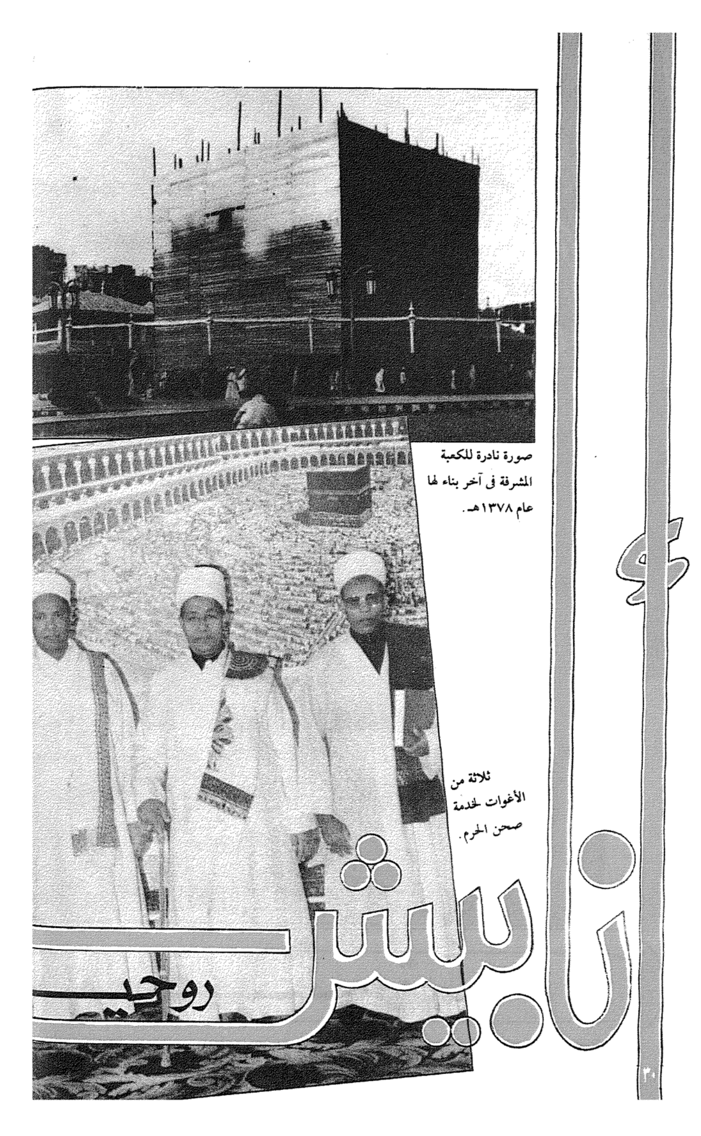




غارُ حراء حيث
كانت بداية الهجرة النبوية.

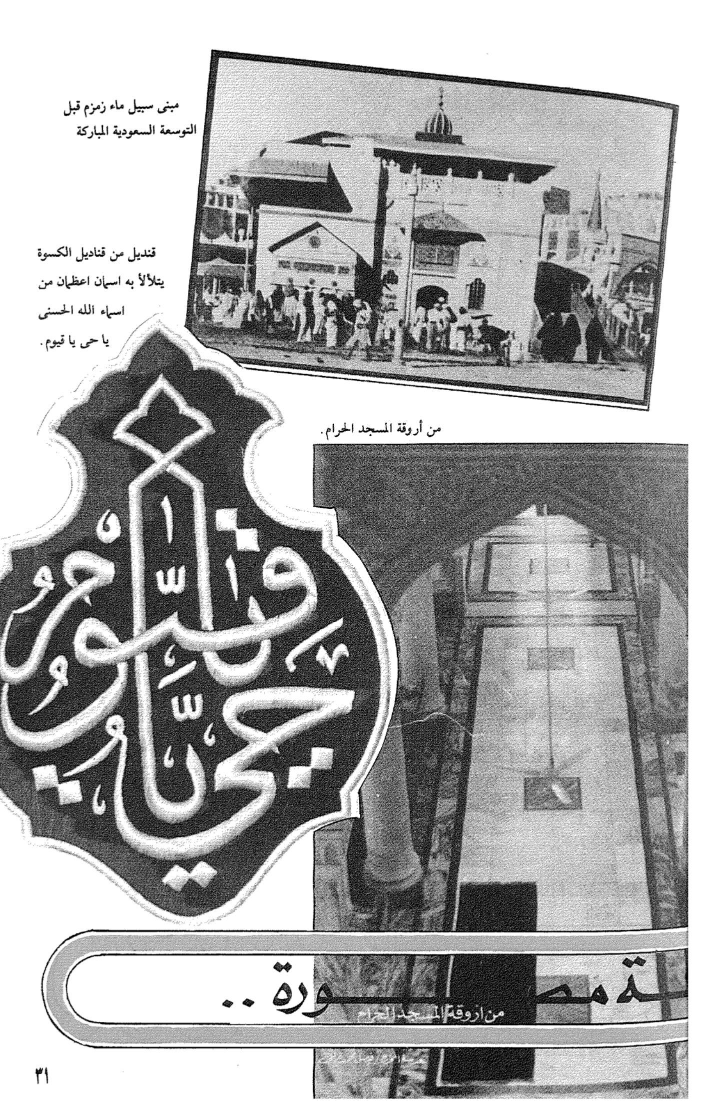
اهداء المغفور له جلالة الملك
الد بن عبدِ العزيز ـ رحمه الله ـ على
زء من ستارة الكعبة المشرفة ١٣٩٥هـ.

ة مصـــــورة ..



صورة نادرة للكعبة المشرفة فى آخر بناء لها عام ١٣٧٨هـ.

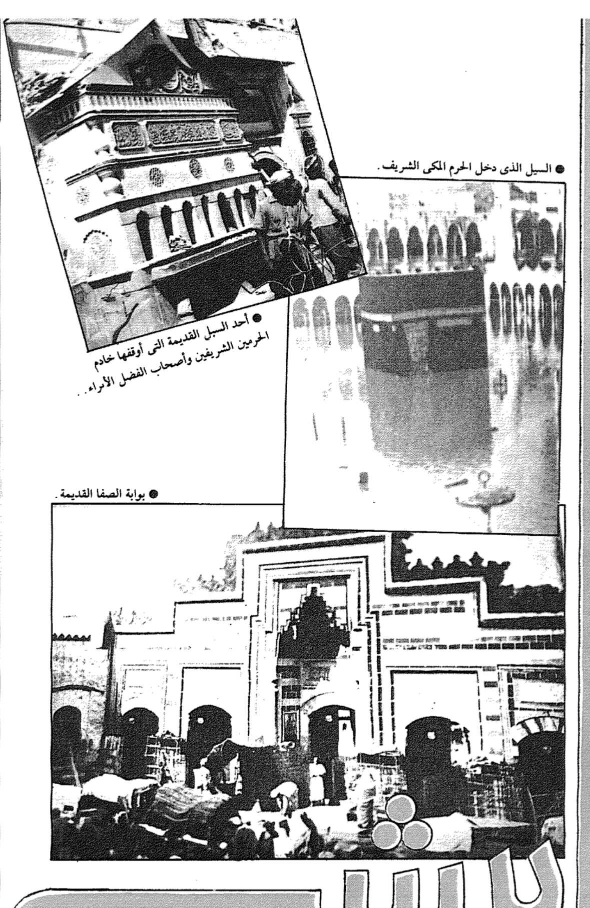
ثلاثة من الأغوات لخدمة صحن الحرم.



مبنى سبيل ماء زمزم قبل
التوسعة السعودية المباركة

قنديل من قناديل الكسوة
يتلألأ به اسمان اعظمان من
اسماء الله الحسنى
يا حي يا قيوم.

من أروقة المسجد الحرام.

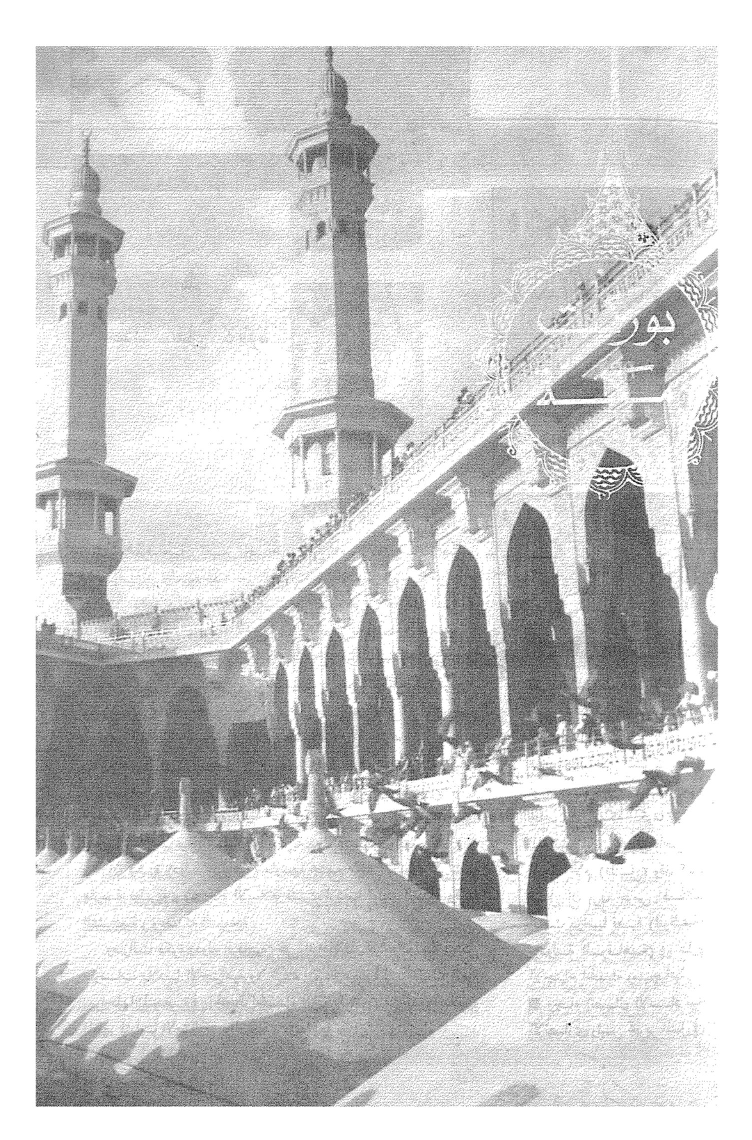


● السيل الذى دخل الحرم المكى الشريف .

● أحد السبل القديمة التى أوقفها خادم الحرمين الشريفين وأصحاب الفضل الأبراء . .

● بوابة الصفا القديمة .

روحية مصورة..





«دولة الرفاهية» تعبير اجتماعي شاع أخيراً في أوساط الفكر الاجتماعي . . والفهم الطلائعي لهذا التعبير يكاد يفوح بشيء من فوح مستنكر بينما الواقع العلمي والمنهجي لأبعاده في مجالات الدراسة المنهجية والعلمية والاجتماعية له وزنه الاكاديمي، وقيمته الدراسية . . ولقد نما مفهوم . . (دولة الرفاهية) عند انهيار (الوظيفية) التي أدى تزايدها الكميّ الى تنافس بين العِلْميات والمنهجيات السيكولانية (= المدرسية) ومحاولة بعض اعضائها فرض فرديتهم الفكرية تشبثا منهم بالقممية العلمية والمنهجية في أكاديميات العلوم الاجتماعية .

والفرق بين (الوظيفية) وبين (دولة الرفاهية) في الممارسات الاجتماعية، لمجتمع مُعَيَّن، هو ان الأولى (الوظيفية) تُعْنى بتبرير الوضع القائم بينما الثانية (دولة الرفاهية) تُعْنى بتغيير الواقع بتحسين الأوضاع الاجتماعية العملية، والفكرية، والاقتصادية والعلمية .

ان فكرة (دولة الرفاهية) مارسها مجتمع مكة المكرمة منذ نشأته ممارسة فطرية، ثم جاء الاسلام فثبتت اركانها ثوابِتُه القيمية وقيمه التشريعية، وعقيدته السمحة .

ومازالت فكرة (دولة الرفاهية) هي البادرة المنهجية والعلمية في كل ممارسات بلادنا الاجتماعية ولا شك أن لها عمقها في تخطيطنا العام بمراحلها المنحصرة في الخطط الخمسية لتغيير الواقع المستجيب للتغيير، المظهر لثوابتنا الأصالية، والقيمية، والعقدية .

■ لقد تداعت هذه الأفكار في وعيي عندما اتصل بي أخي الصديق الاستاذ نبيه الانصاري هاتفياً طالباً مني المشاركة ببحث أو موضوع في إصدار عدد خاص عن (مكة المكرمة) زادها الله تشريفاً . . عدد خاص من المجلة الأم (المنهل) وقد كنت قبل أن يرن جرس الهاتف أبحث دراسياً قضية (الوظيفية) و(دولة الرفاهية) في علوم الاجتماع الحديثة ومنهجياتها .

■ وجاء إتصال الاستاذ نبيه الانصاري رئيس تحرير المنهل في

حتى يومنا هذا تعيش الوضع الذى يطلق عليه فى علم الاجتماع المعاصر مصطلح «دولة الرفاهية».

بقعة المقدسة الطاهرة التى يقوم عليها المسجد الحرام وعرفت فيه الانسانية كيف تتجه الى السماء عابدة الله.

رشيين كان يطلق عليه فى صدر الاسلام مسمى (المسجد الحرام).

ابتداء من الملك عبد العزيز إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد حقيقة تاريخية تظل حية نابضة.

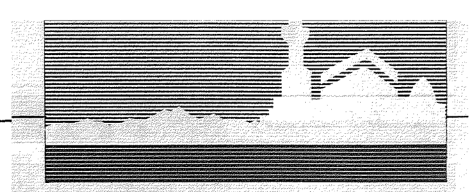
...ة المسجد الحرام عبر التاريخ

لحظة كان كل نبضة فى ذاكرتى تتجاذب مع قضايا فكرة البحث.. فقررت أن أبعث إليه ببحثى عن توسعة المسجد الحرام»، ولكنى اثناء تنقيبى عنه فى متراكماتى الورقية التى تملأ بعض خزانات كتبى عثرت على موضوع عن: «المياه فى مكة المكرمة عبر التاريخ» أظن ان مقتطفات منه نشرتها جريدة (الشرق الاوسط) يوم افتتح خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز مشروع تحلية مياه بحر مكة المكرمة (عام ١٤٠٧هـ) لتزويد مكة والطائف بمياه نقية عذبة.. رأيت أن أُلحقه بالبحث لما فيه من استكمال موضوعى.

■ إن مكة المكرمة والجزيرة العربية كلها منذ بداية تاريخها الاجتماعى حتى يومنا هذا عاشت الوضع الذى يطلق عليه علم الاجتماع الحديث مصطلح (دولة الرفاهية) فى معظم فترات حياتها التى تجنبت فيها الاستثناءات القاسية والشاذة.. حتى الرُّحل من العرب البداة كانوا فى ترحالهم المستمر المتلاحق يُغْنِوْن، ويجهدون لتغيير واقعهم القاسى بتحسين الأوضاع الحياتية العامة مستلهمين من فطرتهم قواعد (دولة الرفاهية) بالمفهوم الاجتماعى الحديث.

■ ان التطورات التى شهدها المسجد، توسعة وتعميراً رمز مجسد لفكرة (دولة الرفاهية) ودليل على انها انعكاس استلهامى لها.

« دولة الرفاهية » نظرية علمية اجتماعية نشأت مع انهيار نظرية





السلطان سليم خان الثانى.



السلطان مراد خان الثالث.

(الوظيفية) والتغيرات الغائرة فى العمق التى شهدها المجتمع التقنى الرأسمالى.. وهى واحدة من عدد من النظرات الاجتماعية العلمية الحديثة التى تعاونت فى القضاء على (الوظيفية) فى الستينات من هذا القرن.

■ ومن هذه النظريات: (نظرية الصراع، ونظرية التبادل، والنظرية النقدية.. والنظرية السببية الجديدة، وعلم الاجتماع الفينومينولوجى باتجاهاته النظرية المختلفة، وعلم الاجتماع (الاثنوميثودولوجيا) الرافض افتراض النظريات الوضعية فى مختلف أشكالها والداعى الى الدراسة الوصفية البحتة لوقائع الفكر، ومكونات الوعى المجتمعى والمعرفة المتراكمة على نحو ما يعيشه الوعى الصميمى فى المجتمع، اى مجتمع.

■ ومن هذه النظريات: (علم الاجتماع الانعكاسى) Reflexive Sociology ونظرية المسار: تحليل مسار سلسلة من الإرتباطات Rath Theory واتجاه النزعة الطبيعية السوسيولوجية، والنظرية التشكيلية.. وما الى ذلك.

■ ان نظرية: (دولة الرفاهية) التى تعنى بتغيير الواقع بتحسين الأوضاع الاجتماعية العلمية، والفكرية والثقافية، هى التى تنطبق انطباقاً علمياً على الوضع الاجتماعى لمجتمع مكة، والمملكة العربية السعودية كلها منذ أن عرفت أرضها الحياة الاجتماعية حتى يومنا هذا.

ومن الادلة التى يمكننا الاستدلال بها على هذه الرؤية، التطورات التوسيعية التى تعاقبت على المسجد الحرام، بكل مفاهيم التطور.. المساحية.. الهندسية.. الابداعية.

قصة توسعة المسجد الحرام

الكعبة المشرفة أول أثر معمارى عرفته البقعة المقدسة الطاهرة التى يقوم عليها المسجد الحرام بل اول أثر معمارى عرفه بلد الله الامين مكة المكرمة.

ففى يوم من أيام القرن التاسع عشر قبل الميلاد جاء امر الله الى ابراهيم عليه السلام ببناء البيت: **﴿وإذْ بوأنا لإبراهيمَ مكانَ البيت أن لا تشرِكْ بى شيئاً وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركعِ السجود﴾** (آية ٢٦ سورة الحج).. **﴿وإذ يرفعُ ابراهيمُ القواعدَ من البيتِ وإسماعيلُ ربنّا تقبّل مِنّا إنك أنتَ السميعُ العليمُ﴾** (آية ١٢٧ سورة البقرة).

■ وبُنِيَ البيت من غير ملاط حجرا فوق حجر (= رضماً) فى مساحة غير متساوية الأضلاع فجاء طوله من الجانب الشمالى الغربى (٣٢) إثنين وثلاثين ذراعاً، ومن الجانب الشمالى الشرقى (٣٣) ثلاثة وثلاثين ذراعاً، وعرضه من الجانب الجنوبى الغربى (٢٧) سبعة وعشرين ذراعاً، ومن الجانب الجنوبى الشرقى (٢٠) عشرين ذراعاً.. هذه المساحات هى التى تحققت هندسياً فى العمارة السعودية الأخيرة.. مع اختلاف فى تقرير اتحاد المهندسين الاستشاريين للتوسعة وهو اختلاف يبدو أنه جاء تطبيعاً (= خطأ مطبعياً) وكان البناء الإبراهيمى فى ارتفاع تسعة اذرع ومساحة الكعبة المشرفة كما ذكرها المؤرخون والاخباريون هى:

■ فى عهد ابراهيم عليه السلام:

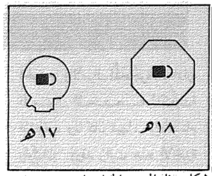
● إثنان وثلاثون ذراعاً عرض الجدار الشرقى وفيه الباب.

● واحد وثلاثون ذراعاً عرض الجدار الغربى المواجه لباب العمرة.

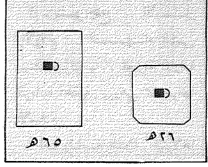
● إثنان وعشرون ذراعاً الجدار الذى يحيطه حجر اسماعيل.

● عشرون ذراعاً الجدار الذى بين الركنين الاسود واليمانى.

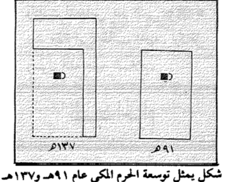
■ وظلت الكعبة على بناء ابراهيم فى أطوالها وارتفاعها حتى بناء قريش، قبل مبعث النبى ﴿ﷺ﴾ بخمس سنين، فاقتطعوا من طولها ستة أذرع أدخلت فى حجر إسماعيل، وزادوا فى ارتفاعها حتى ثمانية عشر ذراعاً، اى ضعف ما كان عليه فى بناء ابراهيم، وسدوا الباب الغربى، ورفعوا الباب الشرقى على ما هو عليه اليوم من الإرتفاع.



شكل يمثل المسجد الحرام عام ١٧هـ و١٨هـ.



شكل يمثل توسعة الحرم المكى عام ٢٦هـ و٦٥هـ.



شكل يمثل توسعة الحرم المكى عام ٩١هـ و١٣٧هـ.

بناء إبن الزبير والحجاج للكعبة

وفى عام (٦٤ من الهجرة - ٦٨٣م) أصيبت الكعبة بحجارات مقاتلى إبن الزبير مع الحجاج بن يوسف الثقفى، وانهدم جزء منها، واحترق جزء آخر.. فقام ابن الزبير ببناء الكعبة بعد ان هدمها كلها حتى قواعد ابراهيم عليه السلام.. غير أنه زاد فى الارتفاع فبلغ سبعة وعشرين ذراعاً، وفتح الباب الغربى الذى سدته قريش، وانزل البابين الى مستوى المطاف، كما أكمل النقص الذى انقصته قريش مما يلى حجر اسماعيل من الكعبة، فأدخل من الحجر ستة أذرع الى الكعبة.. غير ان الحجاج فى عام (٧٤ من الهجرة - ٦٩٣م) إستحصل على موافقة ابن مروان عبد الملك باعادة الكعبة على ما كانت عليه فى بناء قريش، فهدم ستة اذرع منها من ناحية حجر اسماعيل، وسد الباب الغربى، ورفع الباب الشرقى وترك الارتفاع الكلى للبيت على بناء ابن الزبير، وبهذا التعديل تحققت أبعاد الكعبة على ما يلى:

● ٢٧ - ذراعاً الارتفاع.

● ٢٦ - ذراعاً طول الجدار الشرقى، وعليه باب الكعبة.

● ٢٦ - ذراعاً طول الجدار الغربى المواجه لباب العمرة.

● ٢٢ - ذراعاً طول الجدار الشمالى الداخل فى حجر اسماعيل.

● ٢٠ - ذراعاً طول الجدار الممتد بين الركنين الأسود واليمانى.



■ وكان حول الكعبة فناء مستدير حددته حافات بيوت بطون قريش التى جمعها قصى مُجمِّع قريش، واشهر هذه البطون:

١ - **بنو هاشم**.. وكانت لها السقاية والعمارة، وتأمين النظام فى الاماكن المقدسة.

٢ - **بنو أمية**.. وكان لها اللواء، أى تولى القيادة فى القتال او التجارة وحفظ راية العُقاب.

٣ - **بنو عبد الدار**.. وكانت لها الحجابة والسدانة.. اى حفظ مفتاح الكعبة، والندوة.

٤ - **بنو عدى**.. وكانت لها السفارة، تمثيل قريش فى المعاهدات والصلح.

٥ - **بنو نوفل**.. وكانت لها الرفادة، صرف وتحصيل ما يصرف على فقراء مكة والحجاج.

٦ - **بنو أسد**.. وكانت لها المشورة، اعطاء الرأى الأخير فى الامور العامة لقريش.

٧ - **بنو تيم**.. وكانت لها الإشناق والديات.. اى المغارم التى تتعرض لها قريش.

٨ - **بنو مخزوم**.. وكانت لها القبة والأعنة.. حراسة مؤن المقاتلين وقيادة الخيل، ومن هذا البطن كان سيف الاسلام خالد بن الوليد، وابو جهل عمرو بن هشام.

٩ - **بنو سهم**.. وكانت لها الحكومة والأموال المُحَجَّرة.. ادارة الاموال المخصصة للكعبة المشرفة، وما كان فيها، من أصنام وأوثان. (وقد زالت هذه الاخيرة بفضل الاسلام)

١٠ - **بنو جمح**.. الأيسار والازلام.. السهام التى يستقسمون بها.. لمعرفة الارادة الربانية الخفية.. وهى مما حرمها الاسلام.

اما رئاسة الدولة، فيتولاها اكبرهم سناً، ويلقب بسيد القوم وكانت للعباس عم النبى ﴿ﷺ﴾ بعد وفاة ابى طالب اخيه، وكافل رسول الله عليه السلام،

المسجد الحرام

إن الفناء الذى تحدده حافات بيوت القرشيين كان يطلق عليه فى صدر الاسلام مسمى (المسجد الحرام) وهى بيوت امر بإقامتها قصى حول الكعبة وبذلك كان قصى جدّ النبى ﴿ﷺ﴾ اول من حدد حدوداً للمسجد الحرام.

﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله﴾ (الآية الاولى من سورة الاسراء).. **﴿ومن حيث خرجتَ فولِّ وجهَكَ شطر المسجد الحرام﴾** (الآية ١٤٩ والآية ١٥٠ من سورة البقرة).

■ وهكذا جاءت التسمية (المسجد الحرام) فى آيات قرآنية للفناء الذى كان أقربُ الى الاستدارة، أو إلى مضلعات تعطيه سمة من سمات الدائرة.. ولم يكن يومئذ حول المسجد حائط، مبوب، وإنما كانت هناك منافذ، على شكل ممرات عامة تقوم برسم او تحديد أطوالها، وعرضها البيوت، منافذ (ممرات) يسلكها القادم الى المسجد، والآيب منه.

ولم تشعر الوفود التى كانت تؤم المسجد الحرام قبل الاسلام، وبعده.. وبالذات فى الفترة المكية بضيق فى سعة المسجد إلا فى السنة العاشرة من الهجرة حينما حج رسول الله ﴿ﷺ﴾ حجة الوداع، وحج معه مئة واربعة عشر ألف مسلم وأحس المسلمون أن توسعة المسجد الحرام امر لا مفر منه لاضطراد زيادة الحجاج بازدياد عدد المسلمين فى الكون.. ولكن إنشغال الخليفة الراشد أبى بكر بحروب الردة، ثم وفاته بأقل من ثلاث سنين بعد وفاة النبى، ثم انشغال الخليفة الثانى عمر، بالفتوحات صرف اهتمام ولاة الامر عن عمارة وتوسعة المسجد الحرام ردحاً من الزمن.

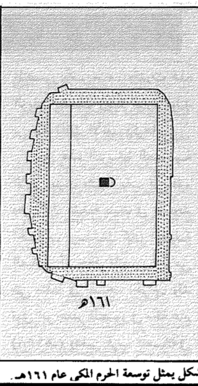
أول حائط حول المسجد

وفى هذه الأثناء إقتحم المسجد الحرام سيل عظيم جرف معه (مقام ابراهيم سيل عرف فى التاريخ بسيل (أم نهشل) التى كانت من ضحايا ذلك السيل ولما بلغ عمر خبر السيل، وانجراف حجر مقام إبراهيم أسرع إلى مكة ودخلها معتمراً فى شهر رمضان سنة سبع عشرة هجرية.

■ هذه الرحلة المُعَمَّرة أعطت عمر فكرة عن معاناة المسلمين من الحجاج والمعتمرين من ضيق المسجد الحرام، فأمر بشراء دور محيطة بالكعبة، وهدمها لتوسعة المساحة المحيطة بالبيت التى يطلق عليها المسجد الحرام، ثم أحاط هذه المساحة بحائط فى ارتفاع متر، ونصف متر (ـ١٥٠ـ سم) وبذلك كان عمر بن الخطاب الخليفة الراشد الثانى أول من وسَّع وعَمَّر المسجد الحرام وأدار عليه حائطاً.

الأروقة لأول مرة فى المسجد

وفى عام ٢٦ من الهجرة ـ ٦٤٦م كانت التوسعة الثانية للمسجد الحرام على يد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه ولأول مرة فى تاريخ المسجد الحرام بنيت أروقة مسقفة ليستظل بظلها المصلون، فكان عثمان بن عفان اول من بنى الأروقة المسقفة فى المسجد الحرام.

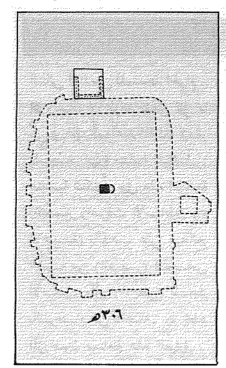


شكل يمثل توسعة الحرم المكى عام ١٦١هـ.

بناء عبد الله بن الزبير

وتمت التوسعة الثالثة على يد عبد الله بن الزبير مع بناء الكعبة، وتعتبر من التوسعات الكبيرة بالقياس الى ما سبقها، فقد كان إجمالى مساحة المسجد فى هذه التوسعة (٣٢٤٠٠) اثنين وثلاثين الفاً وأربعمئة ذراع مربع، وفيه سقف المسجد كله، ما عدا المطاف، فقد ظل مكشوفاً.. نستدل على ذلك بها قيل أن عبد الله بن الزبير كان يفرش المطاف برمل ناعم مرطب بالماء فى أيام الحج لتخفيف وطأة حرارة أرض المطاف تحت أقدام الطائفين.

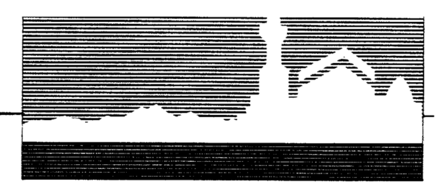
هذه التوسعة كانت مع بناء الكعبة المشرفة كما قلت عام (٦٥هـ ـ ٦٨٤م).



شكل يمثل توسعة الحرم المكى عام ٣٠٦هـ.

عمارة عبد الملك بن مروان

وفى سنة (٧٥ من الهجرة ـ ٦٩٤م) بدىء فى تعمير المسجد الحرام على شكل هندسى بديع بنفقة عبد الملك بن مروان الاموى ثم ابنه الوليد بن عبد الملك، وفى هذه العمارة البديعة أقيمت السقوف على كرات من خشب الساج المزخرف، وأدخل الفسيفساء، والبواكى الرخامية والميازيب المموهة بالذهب، وكذلك فتحات الشرفات المطلية به، وفيها جلبت اعمدة رخامية وخشبية من مصر وسوريا، وفى عهد الوليد بن عبد الملك أدخلت الشرفات لأول مرة الى الشكل



البنائى الهندسى للمسجد الحرام.

■ ويقال ان الوليد نقض كل ما بُنِىَ فى عهد أبيه عبد الملك، وعَمَّر المسجد عمارة متينة بنائياً.. هندسية شكلياً، وفى هذه التوسعة والتعمير زخرفت الأساطين (= الاعمدة) بالذهب على صفائح الشَّبَه من (الصِّفر) النحاس الأصفر، وأزَّر (= بُطِّن) المسجد بالرخام من داخله، ولم يحدد المؤرخون مساحة هذه العمارة.. بل قالوا: إن أساطين (أعمدة) الرخام التى استوردت كانت متساوية مع المطلوب للزيادة.. وعلى حد قولهم: (على قدر الزيادة) وإن الرواق كان دائراً فى حافة المطاف حول الكعبة، ومعظم الزيادة كان من الجهة الشرقية التى فيها باب الكعبة، وقد كان الانتهاء من هذه العمارة سنة (٩١ من الهجرة - ٧٠٩م).

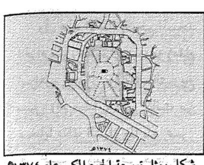
زيادات أخرى واول مئذنة

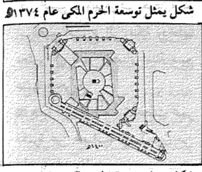
وفى عام (١٣٧هـ - ٧٥٤م) زيد بعض زيادات فى مساحة المسجد من الناحية الشمالية، وقد عرفت هذه الزيادة ببابها الذى اطلق عليه (باب الزيادة) وكانت معروفة حتى التوسعة السعودية، قام بهذه الزيادة عامل ابى جعفر المنصور بأمر منه، وقدرت هذه الزيادة بضعف زيادة عمارة الوليد بن عبد الملك الآنف ذكرها.

وفى هذه الزيادة العباسية الأولى بنيت مئذنة باب الزيادة، وهى اول مئذنة بنيت فى المسجد الحرام، وبذلك كان الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور اول من بنى مئذنة فى المسجد الحرام، وقد توفى ابو جعفر المنصور فى مكة عام (١٥٨هـ) ودفن قرب المُعَلاة فى المنطقة التى نطلق عليها حالياً (الجعفرية) نسبة اليه.

اكبر عمارة قبل العمارة السعودية

وتعتبر توسعة وعمارة المهدى: (ابى عبد الله محمد بن المنصور المهدى «١٢٧هـ - ١٦٩م») العمارة السادسة.. وهى اكبر عمارة وتوسعة عرفها المسجد الحرام قبل العمارة والتوسعة السعودية.. ففى توسعة المهدى العباسى كان المسجد الحرام اوسع مما كان عليه فى العمارة العثمانية (= سلاطين آل عثمان) ولقد بلغت مساحته فى هذه التوسعة: (٣٧٥ر٢٧٥ر٣٠) متراً مربعاً، ويعنى هذا ان مساحة المسجد الطولية كانت (٥ر٢٠١) متر، ومن الشرق الى الغرب، والمساحة العرضية من الشمال الى الجنوب كانت (٢٩ر١٥٠م) متراً، وهذه المساحة تزيد عن المساحة التى انتهت اليها التوسعة العثمانية عام (٩٨٤هـ) ومازالت موجودة ببنائها الأثرى ضمن التوسعة السعودية.


شكل يمثل توسعة الحرم المكى عام ١٣٧٤هـ


شكل يمثل توسعة الحرم المكى عام ١٤٠٠هـ


صورة لبداية التوسعة السعودية ١٣٧٥هـ.

■ وقد ذكر بعض المؤرخين عن المساحة فى التوسعة العثمانية:

أ - المساحة الاجمالية: (٤٤٨ر٠٠٣ر٢٨) متراً مربعاً.

ب - المساحة الطولية: (٤٢ر١٩٦) متراً طولياً.

ج - المساحة العرضية: (٧ر١٤٢) متراً طولياً.

■ وهناك خلاف واختلاف بائن

فيما ذكره المؤرخون، وفي النتائج الهندسية العلمية التي توصل اليها إتحاد المهندسين الاستشاريين الذى أعد وثائق مشروع جلالة الملك عبد العزيز تغمده الله برحمته عن التوسعة السعودية فقد جاء فيها (أن المسجد الحرام قبل التوسعة السعودية، وبالذات في عام (١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م).. كان مستطيلاً تقريباً، ويغطى مساحة تبلغ (١٢٢٠٠) متر مربع.

والبون شاسع، وشاسع جداً بين المساحة التي نقلتها عن المؤرخين، وبين هذه المساحة المستخرجة المستنتجة علمياً.. وبأجهزة وآلات دقيقة مستخدمة في استخراج واستنتاج المقاييس والمساحات.

قد تكون توسعة المهدى العباسى اكبر من التوسعة العثمانية ولكنها ليست بالمساحة التي نقلها المؤرخون الينا، فالواقع الذى شهدته بذاتي فيما كان عليه المسجد الحرام من سعة قبل التوسعة السعودية مخالف كلياً عما قدره المؤرخون.

■ لقد قامت عمارة المهدى على مرحلتين اولاهما عام (١٦١هـ - ٧٧٧م) وشملت الجانبين الشمالى والشرقى، وحينما حج المهدى عام (١٦٤هـ) وقف على جبل أبى قبيس ليشرف على المسجد، ويتأكد من ان الكعبة تتوسطه، فوجد الجهة الجنوبية أضيق فامر بتوسعة تلك الجهة، فكانت المرحلة الثانية، ولكن الأجل وافاه قبل إنهائها فاكملها إبنه (موسى الهادى: ١٤٧هـ - ١٧٠هـ).

وبهذه التوسعة بلغ المسجد الحرام أقصى اتساعه فيما مضى من تاريخه حتى التوسعة السعودية التي لا مثيل لها في تاريخ عمارة المسجد الحرام.

وللوقوف على دقائق التوسعة العباسية في عهد المهدى، وغيرها من تاريخ عمارة المسجد الحرام، على القارىء الرجوع الى الفصل الخاص عن عمارة المسجد الحرام في كتاب: «المنتقى في أخبار ام القرى» من مؤلفات كاتب هذه السطور.

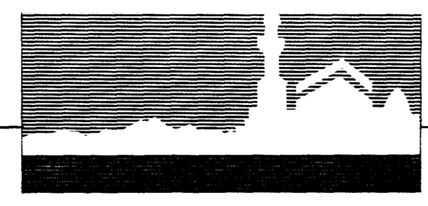
باب ابراهيم

وبعد عمارة وتوسعة المهدى العباسى حتى العمارة العثمانية لم تحدث توسعة او عمارة شاملة الا بعض زيادات في جهات محددة من المسجد أخرجت نواتىء فيه عن السمت الهندسى للعمارة المهدية، كزيادة باب ابراهيم، وباب الزيادة.. وعلى ذكر باب ابراهيم فانني أدلى بحقيقة يكاد يكون الخطأ فيها شائعاً عند عامة الناس هو ظنهم ان الباب سمى بإسم خليل الله ابراهيم، والواقع ان الباب سمى باسم خياط (ترزى) يسمى إبراهيم كان محله قرب هذا الباب.

هدم دار الندوة البرلمان القرشى

ومن تلك الزيادات، الزيادة التي احدثها المعتضد بالله العباسى عام (٢٨١هـ - ٨٩٥م) بهدم (دار الندوة) التي كانت مقر البرلمان القرشى قبل الاسلام، بناها قصى بن كلاب جد النبى «ﷺ» يوم خطط مكة.. بحدود بيوت بطون قريش.. والدار تقع في الجهة الشمالية الغربية، حيث يطل ميزاب الكعبة من المسجد الحرام، وادخل موقع الدار في المسجد، وفتح من اقصاها شمالاً باب سمى (باب الزيادة) وظل هذا الباب معروفاً حتى التوسعة السعودية.

وقد ذكرت وثيقة اتحاد المهندسين ان هذه الزيادة تمت عام ٢٨٤هـ وهو تاريخ يختلف مع ما ذكره المؤرخون وأرجح قول المؤرخين فقد ذكر السيوطى في كتابه تاريخ الخلفاء عن المعتضد ما نصه: **(وفي سنة احدى وثمانين - اى بعد المئتين - فتحت مكوريا في بلاد الروم وفيها غارت مياه الرى وطبرستان، حتى بيع الماء ثلاثة أرطال بدرهم وقحط الناس، وأكلوا الجيف.**



وفيها هدم المعتضد دار الندوة بمكة، وصيرها مسجداً الى جانب المسجد الحرام «انظر الامام جلال الدين السيوطى: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ص٣٦٨».

وزاد المقتدر العباسى عام (٣٠٦هـ ـ ٩١٨م) زيادة من الجهة الجنوبية الغربية سميت زيادة باب ابراهيم، وهو الخياط (الترزى) الذى ذكرته آنفاً.

وحدثت عمارة إصلاحية فى زمن الناصر المملوكى: (فرج برقوق) سلطان مصر، وذلك حينما احترق مئة وثلاثون عموداً رخامياً ما بين باب ابراهيم، وباب الوداع (جنوب غربى المسجد) وتمت هذه العمارة الاصلاحية عام (٨٠٧هـ ـ ١٤٠٤م).

العمارة العثمانية

فى بداية عام (٩٧٩هـ ـ ١٥٧١م) رفع نظار المسجد الحرام الى السلطان العثمانى سليم خان أن الرواق الواقع شرقى المسجد قد مال نحو المطاف، وأن أخشاب السقف الثالث منه ظهرت رؤوسها، وأنهم يخشون وقوع الرواق من هذا الجانب لأن كل رأب وإصلاح، وترميم لم يكن مجدياً، بل أثبت أنه آنى، ووقتى.. فصدر أمر السلطان بتجديد بناء المسجد الحرام كله، واستبدال سقوف أروقته بقباب.. وازالة السقوف الخشبية نهائياً.. وبذلك تقببت السقوف بالمسجد لأول مرة فى تاريخه.

وفى اوائل ربيع الاول من نفس السنة (٩٧٩هـ) وصل من استانبول المهندس المعمارى التركى (محمد) جاويش الديوان العالى لدراسة العمارة ووضع التصميمات الخاصة بها.

وفى منتصف ربيع الأول من العام الثانى عام (٩٨٠هـ ـ ١٥٧٢م) وضع المشروع موضع التنفيذ ببدء الهدم من ناحية باب السلام.

وفى السابع من جمادى الأولى من نفس العام تم وضع الحجر الأساسى للبناء فى حفل كبير ضم كل اعيان مكة وأشرافها، وعلمائها، وامرائها ووزعت فيه ذبائح من الأنعام على فقراء مكة، والمحتاجين فيها من المواطنين والمقيمين.

■ وقد تقدم اعلان عن مساحة المسجد بعد هذه العمارة، أما ما تم فيها فهو:

١ ـ إزالة الأعمدة الخشبية واستبدالها باعمدة من الرخام والحجر بلغ عددها (٨٩٢) ثمان مئة واثنين وتسعين عموداً تتخلل كل ثلاثة اعمدة منها دعامة مربعة من الحجر الشميسى ليتشكل من هذه الدعامات صنفا واحدا فى الثلاثة الصفوف الأولى.. أما الصفُ الرابع فكان بين كل ثلاثة أعمدة منها دعامة مثمنة من الحجر الشميسى.

٢ ـ قامت على هذه الأعمدة (٥٠٠) خمس مئة قبة بنيت على الطراز الاسلامى العثمانى، وقبل إتمام بناء الجانب الشرقى، والجانب الشمالى انتقل السلطان سليم خان الى رحمة الله تعالى فى الثامن من رمضان عام (٩٨٢هـ).. فاستمر الأمير احمد المشرف على العمارة فى عمله، وقد أيده فى ذلك السلطان مراد خان خلف السلطان سليم حتى اكتمل البناء فى اواخر عام (٩٨٤هـ ـ ١٥٧٦م).

٣ ـ انفقت على هذه العمارة مئة ألف دينار ذهب (١٠٠،٠٠٠) جنيه عثمانى.. لا يدخل فيها قيمة الاخشاب التى حملت من مصر، وقيمة الأدوات المعمارية التى استخدمت فى البناء.

٤ ـ عدد الاسطوانات (الأعمدة) والدعائم كما أحصيته شخصياً بلغ ست مئة اسطوانة وخمس إسطوانات (٦٠٥) وعدد العقود ثمان مئة وواحداً وثمانين (٨٨١) عقداً وبلغ عدد القباب،

صورة حديثة لتوسعة الحرم المكي.

والطواجن (السقف المستوى غير المقبب) خمس مئة وخمساً وخمسين (٥٥٥) قبة وطاجناً، اما القباب من غير الطواجن فعددها ثلاث مئة وثلاث وعشرون قبة (٣٢٣).

ابواب المسجد

٥ ـ كانت للمسجد الحرام ستة وعشرون باباً من فتحة واحدة وفتحتين وثلاث فتحات، وباب واحد من خمس فتحات يخرج منها السعاة الى الصفا.

٦ ـ زخرفت القباب بزخارف مذهبة وبمجموعة من الآيات القرآنية بخط جميل، وزخرفات اسلامية غاية فى الجمال الكلاسيكى والدقة نفذها الفنان التركى «عبد الله مفتى» أثابه الله وتغمده برحمته.

٧ ـ تعتبر العمارة العثمانية السابعة فى سلسلة توسعات وعمارات المسجد الحرام من حيث الشمولية ودون اخذ الترميمات والزيادات الصغيرة فى الاحصاء العددى.

العمارة والتوسعة السعودية

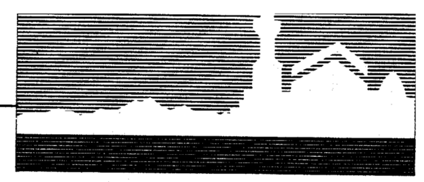
العمارة السعودية هى العمارة الثامنة فى سلسلة عمارات وتوسعات المسجد الحرام، وهى عمارة لم يشهد التاريخ مثلها منذ أن بنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه حائطاً أحاط به المسجد.

■ ان التاريخ لم يشهد مثل العمارة السعودية للمسجد الحرام حتى يومنا هذا، فى روعتها.. فى مساحتها.. فى هندستها البنائية المعصرنة المحتفظة بالأصالة الاسلامية فى شكلها الابداعى المتقدم المتكامل فنياً، وعلمياً، وتشكيلياً.

■ وكانت عمارة المسجد الحرام وتوسعته أملا من أكبر آمال موحد الجزيرة العربية (الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود) اغدقه الله برحمته ومثوبته.. ففى اواخر عهد جلالته بدئت الدراسات التمهيدية لهذه التوسعة، وقبل استكمالها وافته منيته، فلبى نداء ربه يرحمه الله رحمة الأبرار.

مؤسسة بن لادن ومشروع التوسعة

وفى عام (١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م) كلفت مؤسسة ابن لادن بتنفيذ المشروع تحت الإشراف المباشر لصاحبها محمد بن لادن يرحمه الله، وللتاريخ اثبت ان (بن لادن) كان سباقاً الى ما فيه خدمة الدين الحنيف، والباذلين النفس

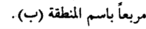


والنفيس فى مشاريع الخير، واهمها مشاريع المساجد الثلاثة (المسجد الحرام، والمسجد النبوى، والمسجد الأقصى) ومن حقنا ان نثبت له اعماله الخيرة أثابه الله واسكنه فسيح جناته.

وقد اشرك إبن لادن معه بعض مقاولين سعوديين وغير سعوديين فى تنفيذ جوانب جزئية من مشروع العمارة والتوسعة السعودية، على ان يقوم بالاشراف العام إتحاد المهندسين الاستشاريين الباكستانى الذى تعاقدت معه وزارة المالية السعودية لهذه المهمة.

وفى اليوم الرابع من شهر ربيع الثانى عام (١٣٧٥هـ) بدىء فى اعمال التنفيذ بهدم الجزءين البارزين فى كل من باب الزيادة، وباب ابراهيم وما كان ملاصقاً لها من مبان ودور، كما بدىء فى هدم الدور والمبانى القائمة حول المسجد الحرام من ناحية المسعى، وباب أم هانىء (باب الملك حالياً).

وسميت المساحة الكلية للأماكن التى تم هدمها خارج المناطق الواقعة عند الأركان الخارجية للمبنى العثمانى باسم المنطقة (أ) كما سمى الجزء الذى هدم من المبنى العثمانى وأعيد بناؤه ومساحته تصل الى (٢٤٨٨) متراً مربعاً باسم المنطقة (ب).



وضع الحجر الاساسى للتوسعة

وفى يوم الخميس (٢٣ شعبان عام ١٣٧٥هـ/ مارس عام ١٩٥٦م) أقيم حفل كبير حضره كبار رجال الدولة، وعلماء وادباء واعيان مكة المكرمة ووجهاؤها وعلى رأسهم الملك الراحل سعود بن عبد العزيز يرحمه الله، وفى هذا الحفل تم وضع الحجر الأساسى لعمارة وتوسعة المسجد الحرام فى العهد السعودى الميمون.

إبقاء العمارة العثمانية

وكان المخطط الأول يقضى بهدم المبنى العثمانى كاملاً إلا ان الملك فيصل بن عبد العزيز أصدر عام ١٣٨٧هـ توجيهاته بما يأتى:

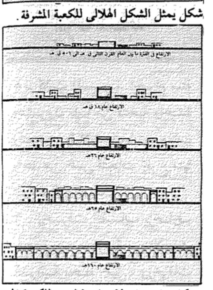
١ - لا يهدم المبنى العثمانى التاريخى.

٢ - يجب ان نواجه التحدى للاحتفاظ به وجعله منسجماً مع العمارة الجديدة.

٣ - يجب ان تتخذ الاجراءات الكفيلة بالاحتفاظ بالمبنى العثمانى.. وبمعالجة الأجزاء التالفة التى ظهرت فيه بسبب تقادمه بغض النظر عن اعتبارات التكاليف التى يتطلبها هذا المجهود.

■ وتنفيذا لهذه التوجيهات شيدت مناطق إضافية عند الأركان الأربعة للمبنى القديم روعى فى تشييدها الطراز المعمارى القديم مع إنسجامه بالجديد واتصاله بثلاثة مداخل رئيسية، وأنشىء جزء رابع من ناحية المسعى يتلاءم مع الجزء المتبقى من المسجد، وتصل مساحة الأجزاء التى تم التغيير فيها الى: (١٢٥٠) متراً مربعاً أطلق عليه منطقة (جـ).

وما بقى من المبنى العثمانى ومساحته (٥٨٧٠) متراً مربعاً لم يدركه سوى إصلاحات وترميمات



شكل يمثل الشكل الهلالى للكعبة المشرفة.

شكل عام يمثل الارتفاع الطردى للكعبة المشرفة مقارنة بارتفاع العمران حولها

وتزيينات يسيرة أطلق عليه منطقة (د).

ويبلغ بذلك مجموع مساحة المنطقة التى تشكل الطراز العثمانى فى مبنى المسجد الحرام (١٢٢٠٠) متر مربع.

وعدد اعمدتها: (٤٣٢) عموداً منها: (١٥١) عموداً من الرخام فى شكل دائرى تتراوح أقطارها بين (٣٠٪ و٤٠٪ من المتر).. ومنها: (٢٠٦) أعمدة من الحجر الشميسى ذات قواعد مثمنة و(٧٥) عموداً جديداً أقيم بالخرسانة المسلحة على شكل دائرى مزين (بالموزايكو) ارتفاع كل منها (٤٫٨٥) متر، وتقوم على الأعمدة: (٤٣٢) قبة.. وتُعيِّن التيجان انفراج القباب والبواكى التى تواجه الكعبة المشرفة، وعددها: (١١٠) بواكى.. مائة باكية وعشرة بواكي.

وفرشت الأرضية كلها بالرخام الابيض، والسنجابى، والأسود على تشكيلات هندسية وفنية بديعة.

مبنى العمارة السعودية

يحيط مبنى العمارة السعودية بكل جوانب المبنى العثمانى، وتبلغ مساحة الأجزاء المسقوفة من المبنى السعودى: (١٤٢٫٢٠٠) مئتى متر مربع، ومئة واثنين واربعين ألف متر مربع وكلها مخصصة للمصلين، والقائمين الركع السجود.

■ أما مساحة البناء ككل فهى:

● مساحة الأقبية «البدروم»: (٣١٢٠٠) متر مربع.

● مساحة المسقوف من الدور الأرضى: (٤٦١٠٠) متر مربع.

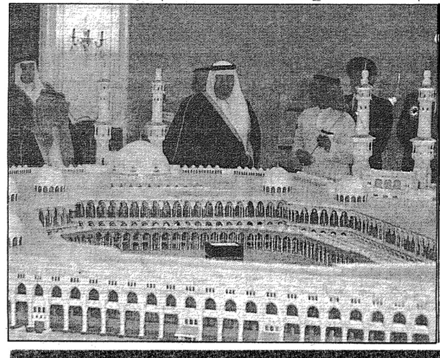
● مساحة المسقوف من الدور الأول: (٤٦١٠٠) متر مربع.

● مساحة الميزنين: (٢١٠٠) متر مربع.

● مساحة المسعى: (١٦٧٠٠) متر مربع.

■ وقد قلت إن المداخل الرئيسية للمسجد الحرام فى العمارة السعودية ثلاثة.. ووظيفتها التى تؤديها ذات أهمية (يقينية)، إذ ان الداخل من اى منها أول ما تقع عيناه على الكعبة المشرفة مباشرة من موقع المدخل منذ أن يصله، ومن مستوى أرضية الطريق على عدد من السلالم الرخامية الى مستوى (المصطبة) وقبل ان يهبط الى الرواق، او الردهة التى تقع موازية لآخر سلم للنازل الى المسجد، واول سلم للصاعد منه، ويتم الدخول الى الردهة من بواكى أسهمت فى محتوى الموضوعات الهندسية الجمالية للفن المعمارى فى البناء السعودى عامة بنصيب متواز لكل الموضوعات الجمالية فى اجزاء المبنى وهيكله الهندسى، وهى بواكى تستند الى جدر أربعة، واعمدة رشيقة يمضى الجمال الفنى فيها الى غايته، وتقوم على جانبى كل مدخل من الأعلى مئذنتان،

خادم الحرمين الشريفين يطلع على (ماكيت) أحدث توسعة للحرم المكى الشريف.





ويعنى هذا أن ست مآذن تقوم على المداخل الثلاثة، ومئذنة سابعة بجانب القبة التى تظلل الصفا.

■ وقد اضاف خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز مدخلين خارجيين يفضى منهما قاصدو الدور العلوى من المسجد (الدور الثانى، والأسطحة).

هذان المدخلان صمما تصميما هندسياً قائماً على أسس من الفن المعمارى التشكيلى، والتقنية الحديثة، فسلالمهما كهربائية، تدرج تلقائيا بالواقف على أحد مراتبها صعوداً أو هبوطاً.

ويظلل كل مدخل قبة إتسمت بشكلها الإبداعى المثير لانبهار المتأمل وحاسة الفنان المبدع، ولقد استخدم هذان المدخلان الآليان لأول مرة فى شهر رمضان عام (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

ومن العوائد الحسنة للملك فهد قضاء العشر الاخيرة من رمضان بجوار البيت، ولا يترك هذا الجوار الا بعد اداء صلاة عيد الفطر وهو جوار اعتكافي مسنون.

منائر المسجد الحرام

اول منارة (مئذنة) أنشئت فى المسجد الحرام مئذنة باب العمرة، أنشأها أبو جعفر المنصور العباسى فى عمارته تمت عام (١٣٧هـ) وهى عمارة كما قلت آنفاً وان لم تكن كبيرة وانما كان فيها بعض توسعة للمسجد الحرام، ومن اولياتها بناء المنارة (المئذنة) على مبنى المسجد، فقد كانت (المآذن) - وتسمى (المنارات) لانها كانت تنار اذا حان موعد الأذان ليلا إشعاراً لمن حولها بحلول وقت الصلاة - قبل بناء المئذنة الأولى بالمسجد الحرام على باب العمرة، مقامة فى ذرى بعض جبال مكة المكرمة وقد ذكرتها فى شيء من التفصيل وتاريخ بنائها وبناتها فى كتابى المحقق (المنتقى فى اخبار ام القرى).

وبعد ان قامت اول مئذنة فى توسعة ابى جعفر المنصور، أنشئت فى عام (١٦٧هـ) ثلاث مآذن على كل من (باب على) و(باب الوداع) و(باب السلام) وكان ذلك فى عمارة المهدى العباسى.

ثم أنشأ المعتضد العباسى بين عام (٢٧٩هـ) و(٢٨٨هـ) مئذنة خامسة بين (بابى الزيادة والقطبى) وحوالى عام (٨٨٠هـ) ثمان مئة وثمانين من الهجرة انشأ الملك الأشرف (قايتباى) مئذنة سادسة خلف مدرسته بين (باب السلام وباب النبى) ثم أنشأ السلطان سليم خان العثمانى مئذنة سابعة فى التوسعة العثمانية امام مدخل باب المحكمة، فى الشمال الغربى من المسجد الحرام.

وهناك مآذن (منارات) اخرى منها مئذنة تشبه الصومعة على (باب ابراهيم) هدمها بعض أمراء مكة لأنها كانت تطل على داره، ومئذنة ذكرها إبن جبير فى رحلته كانت على باب الصفا، وهى اصغر مآذن المسجد الحرام آنئذ، وكانت علماً لباب الصفا، ولا يصعد عليها لضيقها.

وذكر الفاكهى عن مئذنة على (الميل الأخضر) الذى يهرول عنده الساعى فى المسعى بين الصفا والمروة، واشار قطب الدين فى كتابه (الإعلام بأعلام بيت الله الحرام) ان هذه المآذن (المنائر) الثلاث كانت مكملة لعشر مآذن (منائر) ولم يعرف من بناها، ومتى كان هدمها حتى اصبح عدد (المآذن) سبعة فى المسجد الحرام، وكأنه عدد توقيفى لا اتفاقى.

المآذن فى التوسعة السعودية

والآن وبعد التوسعة السعودية الأولى، قلت الأولى لأن التوسعة الثانية التى أمر بها خادم الحرمين الشريفين، وتم وضع الحجر الاساسى لها عام (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) مازال العمل فى تنفيذها

جارياً بأسرع ما يمكن متحدياً كل ظرف معيق.

بعد التوسعة السعودية الأولى التى لم يعرف مثلها تاريخ عمارات وتوسعات المسجد الحرام فإن واجهة المسجد المكى يزينها سبع مآذن، وهو عدد مطابق لعدد مآذن قبل التوسعة، ويقدر ارتفاع كل مئذنة عن مستوى المطاف (المساحة المكشوفة) من المسجد المحاطة بالكعبة المشرفة بـ (٩٥) متراً، يتراوح هذا الارتفاع ما بين (٣٨٢) متراً و(٣٨٥) متراً فوق سطح البحر.

والمآذن السبع مؤسسة على الصخر تحت الارض منزرعة فيه وتقوم كل مئذنة على ثلاث طبقات.. يبلغ ارتفاع مقطع الطبقة الأولى سبعة أمتار مربعة، ويتغير المقطع عند اعلاه الى مثمن بعد شطف أركان المربع.. عليه شرفة مثمنة ترتفع منها ثمانية أعمدة (رفيعة) تحمل مظلة مسقوفة بقريد مُخضرّ اللون يشكل نصف دائرة، وارتفاع المئذنة فيما بين اعلا شرفة فى الطابق الاول، وبين اسفل الشرفة الثانية التى تليها (٢٢٫٢) متراً وشكلها مثمن.

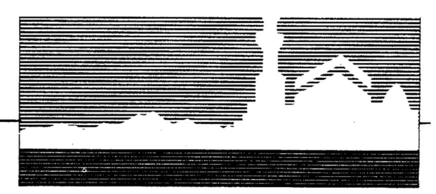
ويُعَدُّ المثمن الاجمالى هو (٥٫٨) أمتار، وتوجد ثمانى نوافذ صغيرة موزعة على كل ضلع فى المثمن، وهناك بناء مقبب فوق الشرفة العلوية يحمل قاعدة برنزية مذهبة يبلغ ارتفاعها: (٥٫٨) خمسة امتار وثمانية من عشرة من المتر، وهى تزن حوالى (١٥٤٠) كيلو غرام، مع هلال يبلغ ارتفاعه (٦٫١) متراً وستة من عشرة من المتر، مرفوع فوق اعلا ذروة من المئذنة ويؤدى الى الشرفة الأولى والثانية سلم دائرى داخل المئذنة واعلا نقطة ارتفاع فى الهلال.

زمزم، وقصة المياه فى مكة

للمياه فى تاريخ مكة المكرمة قصة لا تقل إثارة عن تاريخها الزمنى العام. وكان زمزم المبارك رمز التأمل الرشيق اول شريان تفجرت منه الحياة الاجتماعية فى مكة المكرمة، وكما كان زمزم رمز تأمل رشيق للحياة العامة، كانت الكعبة المشرفة محور مقدسات الحنيفية السمحة، والعقيدة الاسلامية الخالدة، وفى هذه القصة نلم بالواقع التاريخى للمياه، وتعاور وتداول التاريخ بماء زمزم وبئره منذ ان زمزمتها هاجر أم إسماعيل بن ابراهيم عليهم جميعا سلام الله وبركاته.

■ حينما أنزل ابراهيم زوجه هاجر وولده اسماعيل وتركهما فى واد غير ذى زرع وارض قاحلة، تفجر ماء زمزم، وهو اول ماء جوفى عرفته مكة فى حياتها، وكانت مساحة هذه البلدة حتى بعد نزول رفقة من جرهم التى ساكنت اسماعيل وامه هاجر، لم تتجاوز عرضياً مساحة ما بين سفح أبى قبيس (وعليه قصر الصفا الملكى اليوم الذى بنى فى اوائل عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) وبين الوجه المطل على الكعبة من جبل قعيقِعَان، وهو الجبل الذى يسمى حاليا (بجبل هندى) المطل من الجانب الغربى، أما مساحة مكة طولياً فلم تتخط حدود (الردم) وهو ما يسمى الآن بـ (المُدَّعَى) فى الجنوب الشرقى من المسجد الحرام من جانب، ومن الجانب الطولى الأخر (المجلة) فى شرقى جنوب المسجد الحرام حيث يتجاوز أقل من خمس مئة متر، عن حدود التوسعة السعودية الثانية التى امر بها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز.

■ وقد ظلت بئر زمزم المورد الوحيد الذى يزود المكيين بالماء طيلة فترة العهد الجرهمى، الذى امتد الى القرن الثالث الميلادى، نستدل على هذا التاريخ بالغزالين الذهبيين اللذين دفنتهما جرهم فى بئر زمزم عندما طمرتها يوم اخرجتها خزاعة من مكة، ان هذين الغزالين كما يذكر المؤرخون أهداهما الملك الساسانى الفارسى للكعبة، والحكم الساسانى فى فارس ابتدأ من عام (٢٢٦م) وهذا يدل أن مكة شربت من زمزم اكثر من



عشرين قرنا قبل طمر البئر.

■ ولم يطل عهد خزاعة فى مكة، ففى أواخر القرن الرابع واوائل القرن الخامس الميلادى استولى قصى بن كلاب جد النبى ﴿ﷺ﴾ الرابع على مكة وخطط المدينة، وبنى البيوت حول الكعبة المشرفة كما ذكرنا، وظلت بئر زمزم فى عهده، وعهد ابنه عبد مناف، وعهد هاشم وردحاً من عهد عبد المطلب الجد المباشر للنبى مطمورة، وقبل مولده صلى الله عليه وسلم.. ببضعة عقود (نثل) اى اخرج التراب المطامر للبئر عبد المطلب، وقد كانت مكة قبل نثلها تشرب من ست وعشرين بئراً، وقيل ثمان وعشرين، وقيل تسع وعشرين أو أكثر على اختلاف فى روايات الاخباريين والمؤرخين، الذين كان احساسهم بالرقم ضعيفاً حتى فى تحديد ارقام تاريخ الحوادث، فقصة طمر زمزم، وعهد جرهم، وعهد خزاعة غير محددة فيما كتبه المؤرخون، ورواية الرواة الاخباريين برقم زمنى معين، ولولا ما نقله بعضهم عن وجود غزالين ذهبيين فى البئر اخفتهما خزاعة مما كانت تهدى الى الكعبة من بعض الامم، ومنها فارس، وانهما أهديا الى الكعبة من الملك الساسانى لما تسنى لى تحقيق زمن تقريبى لطمر زمزم وهو النصف الاول من القرن الثالث الميلادى ان الآبار التى كانت تشرب منها مكة بعد طمر زمزم كلها داخل مكة ما عدا بضع منها كانت خارج حدود مكة يومئذ، وهى السيرة أو اليسيرة حفرها (مرة بن كعب بن لؤى) ويقال إنها أول بئر احتفرت بعد طمر زمزم، ولعل ذلك كان فى اول عهد خزاعة، يوم كانت قريش تعيش خارج الحدود القريبة من مكة.. ومع هذه البئر بئر اخرى هى (الرُّوا) بضم الراء المشددة المهملة ـ وكانت البئران.. اليسيرة والروا، بواد تلى عرفة.

■ ومن الآبار التى كانت خارج مكة ويرتوى منها أهل مكة قبل قصى (بشرخم) ـ بضم الخاء المعجمة ـ و(رم) ـ بضم الراء المهملة ـ و(الجفر) وقد احتفرها كلها (كلاب بن مرة) والد قُصَىّ.

■ أما عدد الآبار التى احتفرت بعد نثل زمزم من قِبَلِ عبد المطلب، فعددها خمس واربعون بئراً غير بئر (طوى) التى احتفرها عبد شمس جد ابى سفيان وتوأم هاشم والد عبد المطلب، ويقال ان الذى احتفرها هو عقيل بن ابى طالب شقيق الامام على كرم الله وجهه، وهى غير (طوى) الموجودة حالياً امام مستشفى الولادة بجرول.

وفى هذه الآبار الست والاربعين نحو اثنتى عشرة بئراً حفرت بعد انتشار الاسلام أهمها (بئر الياقوته) احتفرها ابو بكر الصديق رضى الله عنه فى خلافته (وبئر بكّار) بذى طوى، وهى البئر المعروفة الآن ببئر طوى، اغتسل منها النبى ﴿ﷺ﴾ وبعض صحابته، عند دخوله الى مكة يوم الفتح.

العيون فى مكة المكرمة

■ وكانت هناك عيون مائية فى بعض المزارع حول مكة فى العهد الجاهلى والاسلامى أجرى بعضها معاوية بن ابى سفيان عيوناً فى الحرم، وعددها اثنتا عشرة عيناً. أجرى منها عشرة عيون معاوية، وقد إنقطعت وغيض ماؤها فى عهد العباسى هارون الرشيد الذى أمر باصلاح بعضها وصب مائها فى عين واحدة تسكب فى ماجلين(١) (بركتين كبيرتين).

■ ومن العيون التى اجريت فى مكة (الثقبة) بفتح الثاء المثلثة والقاف المثناة ـ عين اجراها خالد بن عبد الله القسري والى مكة بامر الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك بن مروان الذى كان القسرى عامله عليها.

والثقبة ثنية بين حراء، وثبير غيناء الذى يعرف الآن عند اهل

مكة بـ(جبل الرُّخَم) الجبل المقابل لجبل (النور) وكانت هذه (الثقبة؛ تسمى (سميراً) فى الجاهلية، لأن الجـاهليين كانوا يسمرون بالقرب منهـا، ثم سميت (صفراً) وكانت هناك منتزهات الى ما قبل بضعة عقـود، وقـد ادركتُ ولدَّاتى هذه المنتزهات فى صبانا.

■ وقـد أجـرى ماء هذه (الثقبة) خالد القسرى الى (بركة) شُيِّدت بفم الثقبة سميت (ببركة القسرى) ويقـال لها بركـة (البرذى) ـ بفتح البـاء الموحدة والراء المهملة ـ ثم شق عينـاً يفيض المـاء منهـا حتى يظهـر بين زمزم والركن فى قصب (أنابيب) من رصاص على شكل نافورة تصب فى فسقية من رخام.

■ وقد انقطعت مياه هذه العيون قبـل وفـاة الـرشيد، اما مياه بركة القسـرى فقد قطعها مواطنو مكة بعد ان دالت دولة بنى أمية، لأن القســرى باهـــا بها ماء زمـزم. . وبانقطاع المياه من العيون اشتدت أزمة الماء فى مكة حتى ان الراوية (القـربة الصغيرة) من الماء كانت تباع بعشرة دراهم (عشرة ريالات) او اكثر.

عين زبيدة

كانت مساحة مكة المكرمة فى هذا العهـــد، من أواخـر القـرن الثـانى وأوائــل القـــرن الثـالث الهجرى (القرن التاسع الميلادى) لا تزيد عن اربعة آلاف وثلاث مئة متر مربـع، نقطـة بدايتها الطولية اوائل شارع المعلا (الجودرية حالياً) او كما قيل الردم الأعلا بعد (مقراة الفاتحة) ونهايتها عند باب الشبيكة قبل طلعة ريع الرسام (حارة الباب حاليـاً) من ناحيـة، ومن ناحيـة اخـــرى عنـــد مسجـد ابى بكـر الصديق بالمسفلة الذى هدم الآن فى مشروع تعمير مكة، أو مسجد حمزة امـام مسجـد ابى منارة بعد شارع المسيال.

وكان الحجيج مع سكان مكة لا يتجاوز عددهم فى موسم الحج بحال من الاحوال عن مئة الف نسمة.

ولست الآن فى سبيـل تاريخ إحصائى لكثافة السكان فى مكة، وتـــدرجهـا مرحليـاً رغم ان عدد سكـان مكة من مواطنين ومقيمين يكاد يبلغ مليون نسمة حالياً.

وكـذلك الزيادة المضطردة فى قاصدى الحج من المسلمين حتى ان عددهم قبل تحديد عدد حجاج كل قطـر اسـلامى من قبل المؤتمر الاسـلامى كاد يتجـاوز المليـونى نسمـة، ومع ذلك فإن أيّا منهم لم يشعـر باى أزمـة من قلة المـاء بل بالعكس فقـد امتصت مبرة خادم الحـرمـين الشـريفـين الملك فهـد المتمثلة فى توزيع الماء المثلج على كل من يصعد الى عرفات ومزدلفة ومنى أيام الحج كل مظاهر الأزمة وجـاءت الميـاه المنقـاة من بحـر الشعيبـة، رافـداً سلسبيـلا قضى على كل أشكال أزمة المياه الى ما شاء الله.

■ قلت ان قيمة الراوية من الماء فى أواخـر عهـــد الخليفـة العبـاسى هارون الـــرشيـــد بلغت (عشـرة دراهم) وهى قيمة بالغة إذا قيست بمتـــوسـط مستوى دخـل الفـرد يومئذ، بل بمستوى متوسط دخل الفرد قبل أيام الطفرة التنموية التى عاشتهـا بلادنـا، وليس هنـاك ما يدهش فإننى توظفت لأول مرة فى البريد عام ١٣٦٧هـ براتب شهرى قدره ثمانون ريالا، وقد كان راتب المراسل والموزع والفراش لا يتجاوز الستين ريالا.

■ وقد وصلت أخبار الازمة التى يعـانيها سكان مكة والحجيج الى مسـامع السيدة زبيدة بنت جعفر بن المنصور، زوج الخليفة هارون الـرشيد فأمرت سنة اربع وتسعين بعد المئة ببناء بركة فى مكة تزود بماء عين من عيـــون الحـــرم، ونفـــذ امرها. . إلا أن الماء كان غير مجز لقلته، فلم يَرتو المكيون منه فضلا عن الحجاج ولما بلغها ذلك ندبت جماعـة من المهندسين للبحث عن عيون فياضة من خارج مكة وحدود الحـرم، وبعد دراسات جيوغرافية دقيقـة عثر المهندسون على عيون بالمنطقـة التى بجبـال عرفـات. .



جبال الهدا، والكُرّ ـ بضم الكاف ـ وطريق السيل، وحنين، فسحبت هذه العيون الى عرفة، ومنها عين (المُشاش) ـ بضم الميم ـ وهي عين فى جبال عرفات المتصلة بجبال الطائف (الهدا والكُر).

■ وتم سحب المياه من العيون الى (برك) بنيت فى عرفات وهى ست عيون (عين المشاس، وعين ميمونة، وعين الزعفران، وعين بردى وعين الصَّرَفَة أو الطارقي وعين ثَقَبَه وعين الخُرَيْبَات) ثم اشتريت عيون من حنين، وأخرى من وادى نعمان، وقد جاءت مياه بعض هذه العيون الى مكة، وبعضها لم تصل فقد ظلت فى برك بنيت فى عرفات وسميت هذه العيون كلها بعين (زبيدة) ومازالت التسمية قائمة رغم أنه فى أواسط عهد الملك عبد العزيز اجريت اصلاحات وزودت العيون بعيون أخرى، واجريت عيون الى جدة، واطلق عليها جميعاً اسم (عين العزيزية) وهى التسمية الرسمية والمشهورة حالياً لعين زبيدة وغيرها من العيون، حتى المياه المنقاة من بحر الشعيبة تدخل فى هذه التسمية.. وسيأتى أدناه ذكر بعض العيون التى أضيفت فى عهد الملك عبد العزيز الى عين العزيزية.

المياه فى عهد المأمون والعثمانيين

وفى عهد الخليفة العباسى المأمون بنيت خمس برك فى مكة:

١ ـ بركة فى شعب علي.
٢ ـ بركة فى الصفا
٣ ـ بركة فى باب ابراهيم.
٤ ـ بركة فى المجلة (جنوب المكة الغربى)
٥ ـ بركة فى (ماجل أبى صلابة) بالمسفلة، وكانت تسمى الى عهد قريب (ببركة ماجن، او ماجد) تحريفاً عن (ماجل) وسحب الماء من بركة زبيدة لتزود به هذه البرك الخمس.

وشهدت مكة فى النصف الأخير من القرن العاشر الهجرى جفافاً حاداً غيَّض كل مياه العيون التى تتزود منها مكة ما عدا عين وادى نعمان بين عرفات والهدا واشتدت أزمة المياه، واجتاحت مواطنى مكة والحجيج والمقيمين صعوبات ظامئة تجاوزت الحدود المألوفة، ونزفت كل صبر مطاق، وقد بلغ ذلك السلطان العثمانى سليمان خان فتحفز لاصلاح العيون إلا أن ابنته الاميرة فاطمة خانم استوهبته هذا العمل تيمنا بزبيدة وانفقت عليه من أرصدتها الخاصة، على يد مهندسين مهرة ندبتهم لهذه المهمة.. ويقال ان العمل استغرق نحو عشر سنوات، وكان أهم عمل هندسى تحقق فى هذا العمل هو بناء قنوات تسيل فيها المياه المسلطة من العيون الى داخل مكة، وكانت تسمى هذه القنوات بـ (الدبولة) وكانت المياه تصل بواسطة القنوات (الدبولة) الى موارد فى كل حى من أحياء مكة، وسميت هذه الموارد بـ (البازانات) جمع (بازان) وهو جانب من اسم كبير المهندسين والمشرفين على هذا العمل، وكان يدعى (جوبان بازان) والغريب ان نجد اسم (بازان) ويلتهم الماضى ومتراكماته اسم (فاطمة خانم) التى لا تقل بادرتها الخيرة اهمية تاريخية، واسهاماً نبيلاً عن بادرة السيدة زبيدة يرحمها الله رحمة الأبرار.

المياه بمكة فى العهد السعودى

وفى اوائل العهد السعودى منذ أن وحد الجزيرة الملك عبد العزيز أثابه الله لم تنقطع الاصلاحات فى هذه العين التى تسمي عين (زبيدة) بل أضيفت الى عيونها عيون جديدة.. أهمها عين المضيق، وعين سولة من شرقى شمال مكة، وعيون القشاشية (واد فى شمال مكة).

وعندما أنشئت ادارة خاصة، بمياه مكة وجدة اطلق عليها ادارة

عين العزيزية ومازال الشيخ عبد الله سعيد أحمد البارزين من المسؤولين فى هذه العين حياً يرزق أمد الله فى حياته، وكان قد وعدنى باعطائى تقريرا تاريخياً كاملا عن هذه الادارة وعين العزيزية ولكن الظروف لم تسمح بذلك حتى اليوم، ٢٩ محرم ١٤١٠هـ - ٣٠ أغسطس ١٩٨٩م.

■ وأنشأ الملك فيصل بن عبد العزيز يرحمه الله فى عهده لأول مرة مصلحة المياه والمجارى، كما بنيت لأول مرة فى مكة المكرمة، بأمر من الملك خالد بن عبد العزيز يرحمه الله شبكات المياه والمجارى، فتزودت بيوت مكة بالمياه من الخزانات التى اقيمت لهذا الغرض، وكان ذلك حدثاً تاريخياً فريداً من نوعه فى حياة بيوت مكة ومازالت الشبكات تمتد وتتسع، بامتداد رقعة مكة وتوسعها وكان لاهتمام خادم الحرمين الشريفين، بهذا المرفق الهام الذى يعتبر شريان الحياة فى مكة ما ضمن استمرارية تطورها، فى الصورة المتفقة مع متطلبات حياة (دولة الرفاهية).

■ أما مشاعر الحج، فى موسمه المكتظ بالازدحام فلم تعد تشكو من قلة المياه فضلا عن انعدامه فكل فرد يقوم بتأدية هذه الشعيرة الاسلامية يجد من وفرة الماء ما ينسيه حاجته الى الماء وفعاليته فى حياته، وقد اقيمت لهذه الاغراض



فى عهد الملك فهد خزانات ضخمة على اعالى جبال مكة، وقمم الجبال المحيطة بالمشاعر.

■ وتأتى مبرة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد أمد الله فى حياته، التى تزود مكة المكرمة ومشاعر الحج، ومدينة الطائف بالمياه المحلاة من ماء بحر (الشعيبة) ميناء مكة الأول تتويجاً لتاريخ مياه هذه البلدة الطيب اهلها، وقاصدوها من حجاج وعمار بيت الله الحرام، وولاة الأمر الذين يتفانون فى خدمتها وخدمة المسلمين الوافدين الى بيت الله الحرام.

جعل الله هذه المبرة حسنة مزدهرة طيبة من حسنات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وولى عهده، وكل قادة هذه البلاد، الذين عملوا على انجاز هذه المبرة وكتبها صدقة جارية لهم جميعاً الى يوم يبعثون.

كلمة أخيرة

ان توسعة وعمارة العهد السعودى الزاهر، ابتداء من موحد الجزيرة الملك عبد العزيز الى هذا التاريخ الذى يتولى فيه أمر الأمة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حقيقة تاريخية تظل حية نابضة بالسمعة الطيبة مدى الدهر، لأنها حقيقة تستمد ازدهارها من العمل الخالص لله ونضارتها وتقدمها الحضارى من ا لعقيدة الاسلامية السمحة وشريعتها الغراء وهى حقيقة مجسدة تعلن على مسامع الزمن كله، انتصار التحرر التقدمى لنظام الحكم الاسلامى، ورفاهية المستظلين بظله فى دولة الرفاهية.

وفق الله هذه الأمة وقادتها الى ما فيه خيرهم وصلاحهم وخير البشرية وصلاحها فى اقطار هذا الكون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهامش

(١) الماجل: كل ماء فى أصل جبل أو وادٍ، وبركة ماجل المعروفة حالياً باسم «بركة ماجد او ماجن» بالمسفلة اصلها (ماجل) من مواجل مكة ينبع فى الوادى الذى تقوم فيه حدائق امانة العاصمة حالياً.

(*) نشر هذا البحث فى جريدة (الندوة) السعودية.. وتوسيعاً لدائرة الإفادة واستكمالا لجوانب موضوع هذا العدد راينا نشره.



موضوع المساجد الأثرية بمكة المكرمة ـ منذ نشأة الأسلام حتى الآن موضوع طويل عريض. البحث فيـه يحتاج الى مراجعة شاملة لجميع المؤلفات التى كتبت عن مكة المكرمة منذ القرن الهجرى الأول الى الآن.

وما ينطبق على مكة المكرمة ينطبق على المدينة المنورة ـ كما ينطبق على غيرهما بصورة أقل نسبيا على مدن أخرى داخل المملكة وخارجها ـ وقد حاولت منذ زمن بعيـد البحث فى المكتبات الخاصة والعامة عن مؤلفات أو مؤَلف واحد خاص بالمساجد فى أى بلد ما، فلم أجـد ذلـك، إلاَّ عرضهـا ضمن بعض المؤلفات التى يؤرخ اصحابها عن مدن معينة ويأتى ذكر المساجد ضمن صحائف هذه المؤلفات.

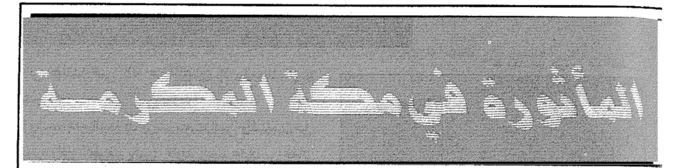
■ وإذا كان الأمر بهذه الصورة من الصعوبة فان ذلك لا يعنى عدم امكـان الحـديث والبحث بصـورة أو أخرى عن بعض ما أذكره ويذكره غيرى من المساجد القـائمة الآن أو التى أزيل بعضها بسبب توسعات الشوارع والميادين ومقتضيات تطوير المدن وتخطيطها.

■ ولكن الذى يجب أن يقال فى بداية هذا الموضوع هو أن هذا المقال خاص بالمساجد الأثرية فقط، أما غيرهـا من المساجد القائمة الآن أو التى ستبنى فى المستقبل فشيء كثير بحمد الله لأن بيوت الله تعنى بها الحكـومة أشد العناية واكبرها.. كما يقوم بعض المحسنـين ـ وما اكثرهم ـ ببناء المساجد فى الاماكن التى تحتاج اليها على نفقاتهم الخاصة نظرا لاتساع المـدينـة، وحـاجـة الأحيـاء الجـديدة الى المساجد والجـوامـع. ولا ننسى جميعـا ما ورد فى فضـل بناء المساجد من أحاديث نبويه كريمة.

■ ويعتـبر بنـاء المساجد فى مقدمة أعمال الخير التى حث عليها الاسلام سواء فى القرآن الكريم أو السنة الشـريفـة.. ومـا أكثـر أعـمال الخير فى هذا الدين الشريف التى ورد ت فيها آيات كريمة نستطيع أن نختصرها جميعا فى قوله تعالى **﴿ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾**.

وهكذا فكل قول أو عمل يصدر عن الانسان إن كان خيرا فهو محل الثواب وإن كان شرا فهو محل العقاب.

■ وإذا أردنا أن نعود الى موضوع المساجد الذى هو عنـوان هذه المقـاله وإذا كانت المساجد هى اماكن التعبد، فينبغى أن نحدد بعض الأماكن الأثريه، ولا نحسب ذكر المسجد الحرام فى حاجة الى التنويه به فهو أشهر من أن يذكر لأنه كما تذكر بعض الروايات كان موجودا قبل أن يبنيه ابراهيم ابو الانبياء وولده اسماعيل عليهما السلام كما قال تعالى: **﴿وإذ بوّأنا**



لإبـراهيم مكـانَ البَيْتِ﴾ وقـال ابـراهيم (ربِّ إني أسكنت من ذريتى بوادٍ غير ذي زَرْعٍ عِنْدَ بيتِك المُحرَّم).

■■ إذاً فقـد كان البيت موجودا قبل ابراهيم عليه السلام، وإنما قام ابراهيم واسماعيل باعادة بنائه.

■ وهـذا البحث يطـول ولابـد من تجاوزه الى ذكر امـاكن التعبد الأثرية المعروف بعضها لدينا أو لدى الآخـرين واعطـاء خلاصـة موجزة عن بعضها، لا نخرج عن بعض ما هو معروف ومألوف فى المراجع التى تحدثت عنه.

(١) غـار حراء: هذا المكان الذى يقع فى قمة جبلٍ عالٍ فى أعلى مكة المكرمة، كان المكان الأول الذى كان يتعبد فيه النبى ﴿ﷺ﴾ عبادة التوحيد والذى أنزل عليه الوحى فيه مبتدئا بسورة (إقرأ).

(٢) دار الارقم ابن ابى الارقم المخزومي: وكان موقعها على جانب جبل الصفا الأيمن، ثم ازيلت حين فتح الشارع الجديد بجانبها وبنيت مكانها بناية حديثة. ثم ازيلت هذه البنـايـة قريبـا. ومكانها المعروف يقع فوق أنفاق الصفا المؤديه الى جنوب العزيزية.

■ وكـانت أول مكـان لاجتماع النبى بأصحـابه الذين اعتنقـوا الاسـلام، وكـانـوا يتدارسون القرآن ويتعلمون الدين على يدى الرسول ﴿ﷺ﴾ بعيدا عن أذى المشركين ومضايقاتهم. وظل المسلمون يتعبدون فيها ولا يستطيعون إشهار عبادتهم حتى هدى الله حمزة بن عبد المطلب عم النبى ﴿ﷺ﴾ وعمـر بن الخطـاب الفـاروق، للإسـلام فخرج المسلمون من هذه الدار الى ساحة الكعبة المشرفة صفاً واحداً فى وضح النهار وكان على يمين الصف حمزه ممتشقا حسامه وعلى يساره عمر بن الخطاب ممتشقاً حسامه وكـان يتقـدمهم الـرسـول ﴿ﷺ﴾ فصلوا جميعـا وطافوا بالبيت، ولم يستطع احد من المشركين أن يتعرض لهم بسوء وكـان ذلك أول يوم يخزى الله المشركين فيه علانية بين اهلهم وذويهم.

ثم كان ما كان من مقاطعة قريش لبنى هاشم، وازدياد العداء للمؤمنين، حتى كانت هجرة البعض الى الحبشة ثم هجرة النبى ﴿ﷺ﴾ وأصحابه الى المدينة المنوره حيث أعزَّ الله دينه وأعلى كلمته.

(٣) مسجد العقبة: ويقع بين مكة ومنى على يسار الصاعد الى منى وهو المكان الذى جرت فيه بيعة الانصار الأولى للنبى ﴿ﷺ﴾ والثانية. وكان المبايعون اكثر من ثمانين نفراً من الأنصـار الذين شرح الله قلوبهم للاسلام والتى تم فيها عقد الهجرة بين النبى ﴿ﷺ﴾ وبين الانصار، وكان هذا العقـد يحتـل أول حلقـة فى سلسلة تاريخ الاسلام الطويل وليس هذا محل البحث ولكن المسجد لا يزال قائما حتى اليوم وهو على يمين الجسر المنحدر من منى الى مكة المكرمة.

(٤) مسجد بيعة الرضوان: والمشهور بمسجد الشجرة ومكانه بالحديبية أو الشميسى. وقد كان هذا المسجد مبنيًا منذ قرون طويلة جدا وفى مكان هذا المسجد أو حوله نزل قوله



تعالى ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾.

■ وسبب هذه البيعة ان قريشا منعت النبى والمسلمين من الهجرة وأداء الطواف بالبيت فأوفد إليهم عثمان بن عفان رضى الله عنه يفاوضهم وكان ذا عصبة فيهم ولكنهم أبوا وسمحوا له بالطواف منفرداً فأجابهم بقوله «ما كان لى أن أطوف بهذا البيت والنبى محجوز عنه وصحبه». وشاع فى المسلمين أن عثمان قُتِلَ فبايعوا النبى على قتال قريش أخذا بثأر عثمان ثم ظهر سلامة عثمان وكان ما كان من صلح الحديبية مما هو معروف.

■ هُدِمَ هذا المسجد قبل نحو اكثر من ثلاثين عاما ثم قامت وزارة الحج والاوقاف بإعادته ولكن حالت بعض الظروف دون اتمامه، ولا اعلم لماذا؟ ومكانه معروف الآن.

(٥) مسجد الراية: وهو المسجد المعروف بالغزة بقرب دار نجد وأمام عمارة الجفالي وبين شارعي الغزة الجودرية.. وهو المكان الذى نصب النبى ﴿ﷺ﴾ رايته فيه يوم فتح مكة المكرمة أو كما يقال (غز الراية) وهى لغة فصيحة ولهذا سميت المنطقة منطقة الغزة وهى مكان مُشرف على وادى ابراهيم وقد جدد المسجد ووسعه خادم الحرمين الشريفين وفقه الله.

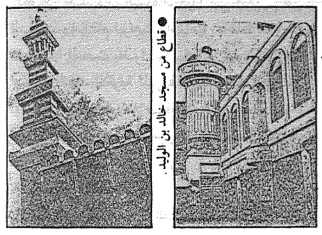
(٦) مسجد الراية: المسمى مسجد خالد بن الوليد ومكانه فى محلة الباب وهو قائم حتى الآن. ويقال إنه بنى فى مكان راية خالد بن الوليد الذى كان أمير جيش المسلمين الذى دخل مكة من أسفلها ولقى مقاومة من بعض المشركين فقضى عليها بما عرف عنه من إقدام وبسالة رضى الله عنه.

(٧) مسجد الراية: وهو مسجد ثالث وكان مكانه فى الجانب

● مكان دار حمزة بن عبد المطلب



● مسجد أبي بكر الصديق. ● قطاع من مسجد خالد بن الوليد.



الأيمن من المعلاه أمام مبنى البريد المركزى ولكنه أزيل فى توسعة الشارع العام. وينسب الى راية الجيش الثالث الذى دخل مكة يوم الفتح من ثنية الحجون بقيادة قيس بن سعد بن عبادة او الزبير بن العوام على اختلاف لدى المؤرخين.

■ لأن جيش الفتح قُسِّم ثلاثة أقسام كل قسم على رأسه الرسول ﴿ﷺ﴾ ودخل مكة من ربع آذاخر وهو ربع ذاخر المعروف الآن. وقسم دخلها من أوسطها أى من ثنية كداء ـ أى الحجون. وقسم من أسفلها بقيادة خالد بن الوليد وكل جيش نصب رايته حيث عسكر بعد اتمام الفتح.

(٨) مسجد الجموم: وهى القرية الزراعية الواقعة فى طريق المدينة مما يلى مكة من وادى مر الظهران.. وكان يقع على

جانب عين وادى الجمـوم التى كانت جارية إلى وقت قريب وهـو يقع فى المكان الذى كانت جيوش المسلمين تتجمع فيه لدخول مكة المكرمة والذى تم فيه اسلام ابى سفيان على يدى النبى ﴿ﷺ﴾ فى قصة ليس هذا مجال ذكرها.

(٩) مسجد الخيف: وهو المسجد المعروف بمنى وهو المكان الـذى نزل فيه النبى ﴿ﷺ﴾ فى حجة الوداع وقد جرى تجديده وتوسعته.

(١٠) مسجد نمرة: وهو مسجد عرفات المعروف ويقع فى المكـان الذى نزل فيه النبى ﴿ﷺ﴾ فى عرفات فى حجة الوداع، حيث صلى بالناس الظهر والعصر جمعاً وقصراً وخطب فيهم خطبة الوداع المشهورة.

■ وهذا المسجد باعتباره خارج نطاق الحرم أى خارج مكة الا انـه يعتـبر من المسـاجد الأثريه القريبة من مكة مثل مسجد الجموم وإن كان مسجد عرفات أهم وأعم وأعلم ويقع نصفه مما يلى الشرق فى عرفات وتصفه مما يلى القرية فى وادى عرفه.

(١١) مسجد الكوثر: وهو مسجد صغير كان موقعه فى أوسط منى على اليمين ويقال إن سبب تسميته هو نزول سورة (الكوثر) على النبى ﴿ﷺ﴾ فى هذا المكان وقد ازيل فى توسعة منى.

(١٢) مسجد حمزه بن عبد المطلب: وهو المنسوب لسيد الشهداء منذ القدم ويقع بالمسفلة على يمين الشارع وهو معروف بهذا الاسم حتى الآن.

(١٣) مسجد ابى بكر: ويقع فى الزاوية القائمة بين بازان المسفله ودار البوقرى ويقال إنه بنى فى مكان الدار التى كان يسكنها ابو بكر الصديق رضى الله عنه وهو ظن غير بعيد لأن هذه المنطقة كانت مكان سكنى بنى تيم الذين منهم ابو بكر رضى الله عنه.

(١٤) مسجد الجن: وهو معروف بهذا الاسم حتى الأن ويقع بين الشـارع الذى يؤدى الى مقبرة المعلاة السفلى وبين شارع المعلاة وينسب الى المكان الذى اجتمع فيه النبى ﴿ﷺ﴾ بالجن ليلا وكان بصحبته الصحابى الجليل عبد الله بن مسعـود وحيث خطَّ له النبى ﴿ﷺ﴾ خطا على الأرض فى ذلك المكان وأمره ان لا يتجاوزه حتى يرجع اليه ثم انطلق صلى الله عليه وسلم الى الجن وظل يعلمهم الاسـلام ويجيب على اسئلتهم حتى الفجر حيث خاف ابن مسعود على النبى ﴿ﷺ﴾ من طول مكثه بينهم.

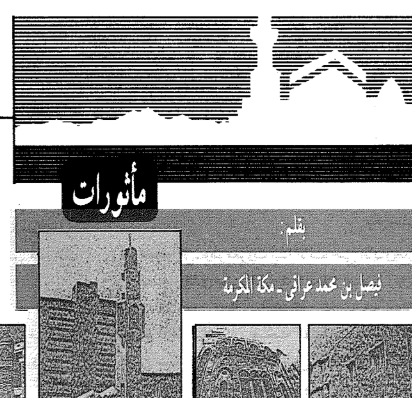
وأخـــيرا:

فأكثر الاماكن فى مكة المكرمة هى اماكن أثرية يفوح منها عبق الاسلام وذكرى الدعوة العظيمة.

■ وقـد أعرضت عمدا عن ذكر كثير منها خشية الإطالة مؤكـدا أن هذه الامـاكن حَرِيَّة بالتجديد والتخليد لأنها ترتبـط ارتبـاطا وثيقـا بدعـوة الاسلام والنبى وصحابته والامتحان الذى تعرضوا له وتاريخ القرآن وأماكن نزوله للعظـة والاعتبـار وقد حث القرآن الكريم على التعرف على الآثـار للعظة والاعتبار واتباع ما يحتاج الى الاتباع وتجنب ما يأمر الدين باجتنابه.

والعلم بالـدين واماكن نزوله وحوادثه وأحداثه يدفع المسلمين الى الاقتداء والاتباع والثبات والاعتبار.

■ ان مثل هذه الاماكن كثيرة جدا فى مكة المكرمة والمدينة المنورة وغيرهما وما بينهما من منازل الوحي ومواطن الدعوى ومـا أجـدر أن تخلد كل هذه الامـاكن بأن يبنى مكـانها مساجد تدل عليها وتكون مقرا للجماعة والعباده وذكر الله وتعلم العلوم الـدينية والتاريخية ـ وهذا فى نظرى خير ما يمكن أن يجمع بين خيرى الدنيا والآخره. . ونسأل الله ان يهيئ لنا من أمرنا رشدا.



الأماكن

مأثورات

بقلم: فيصل بن محمد عراني - مكة المكرمة

مكان مولد النبى ﴿ﷺ﴾:

وهو بالموضع الذى يقال له سوق الليل، وهو فى قسم شُعب على، وهى الشُعب التى كان يسكنها بنو هاشم وفيه كان حصار قريش لهم ابان البعثة المحمدية وهو مشهور لدى اهل مكة، فيا له من منزل شرفه الله بأن كان حاضن وحاضر الولادة السعيدة التى جعلها الله رحمة للعالمين.

■ وهذه الدار آلت الى عقيل بن ابى طالب زمن الهجرة الميمونة، وفى هذا قال النبى ﴿ﷺ﴾ فى حجة الوداع «وهل ترك لنا عقيل من ظل أو منزل».. ولم تزل بيد عقيل تنتقل من بعده الى أولاده حتى باعها بعضهم لمحمد بن يوسف أخ الحجاج بن يوسف الثقفى، فأدخلها فى داره التى يقال لها الدار البيضاء وظل البيت ضمن هذه الدار حتى حجت «الخيزران» أم الخليفتين «موسى الهادى العباسى» وأخيه «هارون الرشيد» فأخرجته من الدار، وجعلتها مسجدا يعبد فيه الله الواحد الديان(١). ثم هُدِمَ وبُنى فى مكانه مقر لمكتبة مكة وهى تابعة لوزارة الحج والاوقاف وهى باقية الى يومنا هذا(٢).

دار خديجة رضى الله عنها:

وهى كائنة بالزقاق المعروف بزقاق الحجر بمكة(٣) أو زقاق العطارين(٤) وهو واقع فى سوق الليل من الشارع المعروف بالصاغة.

وفى هذه الدار المباركة بنى رسول الله ﴿ﷺ﴾ فيها بالسيدة خديجة رضى الله عنها وبها ولدت فاطمة رضى الله عنها وجميع بناته صلى الله عليه وسلم.

دار العباس بن عبد المطلب «رضوان الله عليه»:

وهى بالمسعى عند الباب المسمى «باب العباس» احد ابواب المسجد الحرام الى المسعى وفى جدارها احد الميلين الاخضرين وهما اللذان تسن الهرولة بينهما للرجال وقد صارت هذه الدار يوماً رباطاً(٥) للفقراء وكان يسمى فى الزمان القديم برباط العباس، وفيه كان العلم الاخضر وقد افاد الفاسى انه كان مطهرة ثم جعل رباطا والذى عمله مطهرة الملك المنصور لاجين المنصورى، والذى عمله رباطا ابن استاذه الملك الناصر ومحمد بن قلاوون الالفى(٦).

دار ابى سفيان رضى الله عليه:

من الدور الشهيرة بمكة المكرمة دار أبى سفيان بن حرب - وهى واقعة على يمين الصاعد من المسجد الحرام

المأثورة في مكة المكرمة

فى اول المدعى، محاذية للمروة.

وهى الدار التى قال فيها رسول الله ﴿ﷺ﴾ عند فتح مكة «من دخل داره واغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن». وكان ذلك صباح يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان من السنة الثامنة للهجرة(٧).

وهذه الدار وما حولها لم يغفلها المؤرخون حتى إن المؤرخ الازرقى اورد فى شأنها بتاريخه ما فحواه انه كان يباع فى الرحبة التى بين دار أبى سفيان ودار حنظلة بن أبى سفيان الحنطة والحبوب والسمن والعسل وكلها أشياء كانت تحملها العير اذا قدمت الى مكة المكرمة من السراة والطائف وغيرهما.

مسجد «الشجرة»(٨): ويقع بأعلى مكة مقابل مسجد الحرس تقريبا. وسر تسميته بالشجرة ان النبى ﴿ﷺ﴾ دعا شجرة هناك امام المشركين فأقبلت تخد الارض وتشقها شقا حتى جاءته فسألها فشهدت له وأقرت بالنبوة ثم امرها بالرجوع فعادت الى موضعها وكانت احدى معجزاته صلى الله عليه وسلم.

واشتكى الجذع بالحنين اليه
فكان الانين منه البكاء
وأتته الاشجار حين دعاها
طائعات كأنها عقلاء(٩).

■ والثابت على وجه التحقيق اندثار هذه المواقع المشرفة.

مسجد بئر طوى: فى علو مكة بين الثنيتين اللتين يدخل منها الحاج وهو نفس الموضع الذى نزل به النبى ﴿ﷺ﴾ حينما كان متوجها لأداء الحج والعمرة فاستراح بظل شجرة هناك فى موضع المسجد.

وقيل: إن هذا المسجد حجه ألف نبى من أنبياء بنى اسرائيل، وأناخوا رواكبهم هناك وخلعوا رواحلهم واغتسلوا بذى طوى.

وظل هذا الموقع المبارك يتناقل الناس اخبار منزلته ومكانته وقداسته حتى جاء عهد هارون الرشيد. وسمعت بأثره زوجه السيدة زبيدة ـ رضى الله عنها ـ وكانت مكثرة من الاعمال الصالحة فأمرت بانشاء مسجد(١٠) بهذا الموقع المبارك الا أنه درس بمرور الاعوام كما زالت الشجرة التى كانت بهذا الموضع. وبئر طوى موجود الى الآن امام باب مستشفى الولادة والاطفال بمكة بجوار كتابة عدل الثانية.

مسجد الاجابة(١١): وهو على يسار الذاهب الى منى فى شعب بقرب ثنية أذاخر فى حى المعابدة بالقرب من مقر أمانة العاصمة.

وقد ذكر الفاسى ـ رحمه الله ـ أن النبى ﴿ﷺ﴾ صلى فيه.. وقد ذكرت مجلة ادارة المساجد فى هذا المسجد انه يقع بحى المعابدة الى الشمال الشرقى من مبنى امارة منطقة مكة المكرمة على يسار الذاهب الى منى.

ويقال ان النبى ﴿ﷺ﴾ صلى المغرب فيه.

وتشير معظم الروايات التاريخية الى أن المسجد كان متواضع البنيان كشأن المساجد التاريخية بمكة المكرمة وكان جملة مساحته فى القرن التاسع الهجرى حوالى مائة متر مربع.

وفى سنة ألف وثلاثمائة وأربع وتسعين هجرية هدم البناء القديم وأقيم مكانه البناء الحالى وشيد على طراز

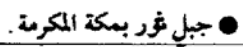


عصرى وزيدت مساحته عن مساحته القديمة والبناء مربع الشكل تقريبا تبلغ مساحته حوالى اربعمائة متر(١٢).

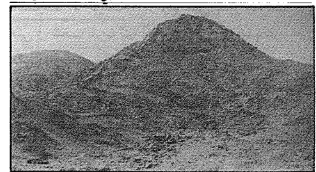
مسجد ابراهيم القبيسي: ومكانه فى أعلى جبل أبى قبيس، وقد ذكره ابن بطوطة فى كتاب رحلته، وكذلك ذكر فى أخبار مكة للأزرقى وقد بناه رجل هندى عام ١٢٧٥هـ وكان حجارة مرضومة فى ذلك المحل وقد افاد الشيخ صالح محمد جمال فى كتابه دليل الحاج أنه المسجد المعروف بمسجد بلال(١٣).

وقد قيل: إنه سمى مسجد ابراهيم نظرا لان الله تعالى أمر ابراهيم عليه السلام بأن يؤذن من فوقه للناس بالحج.

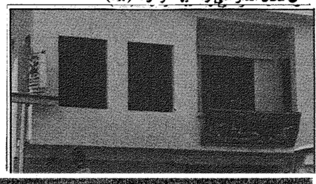
وقد ذكر الأزرقى غير ذلك واخبر بأنه ليس المراد به ابراهيم الخليل عليه السلام لان ابراهيم عليه السلام قام بالآذان على المقام الذى ارتفع به حتى صار أطول من الجبال واشرف على ما تحته، وانما هو مسجد رجل يقال له ابراهيم القبيسى.



● جبل ثور بمكة المكرمة.



● مكان الدار التي ولد فيها الرسول ﴿ﷺ﴾.



● بئر طوى

● غار حراء حيث كان يتعبد الرسول ﴿ﷺ﴾ قبل الرسالة.

هوامش

(١) اخبار مكة - الازرقى ٢/ ١٩٨.

(٢) معالم مكة التاريخية والاثرية للاستاذ عاتق بن غيث البلادى - ص٢٩٤.

(٣) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام - الفاسى - الجزء الاول - ص٤٣٦.

(٤) ذكره الازرقى فى أخبار مكة - الجزء الثانى - ٧٨ (ان زقاق العطارين كان مقابلا لاحد ابواب الحرم (باب النبى) ﴿ﷺ﴾ وهو الزقاق الذى يسلك منه الى بيت خديجة بنت خويلد رضى الله عنها وقال الازرقى يسمى اليوم زقاق الحجر ويقال لهذه الدار مولد فاطمة رضى الله عنها، ويمكن لمن اراد الاستزادة الرجوع الى هامش اخبار مكة - الجزء الثانى - ص١٩٩.

(٥) ويبدو انه كان يسمى ايضا رباط الموفق والله اعلم - شفاء الغرام - الجزء الاول - ص٤٤٠، ٤٤١.

(٦) نفس المصدر - ص٥٣٢.

(٧) التاريخ القويم - محمد طاهر كردى - الجزء الثانى ص٨٥، وانظر شفاء الغرام للفاسى، الجزء الاول ص٥٤-٧٣ لمن اراد الاستزادة فى روايات الحديث واسناداته والتعليق عليه.

(٨) معالم مكة التاريخية والاثرية - عاتق بن غيث البلادى ص٢٧٦.

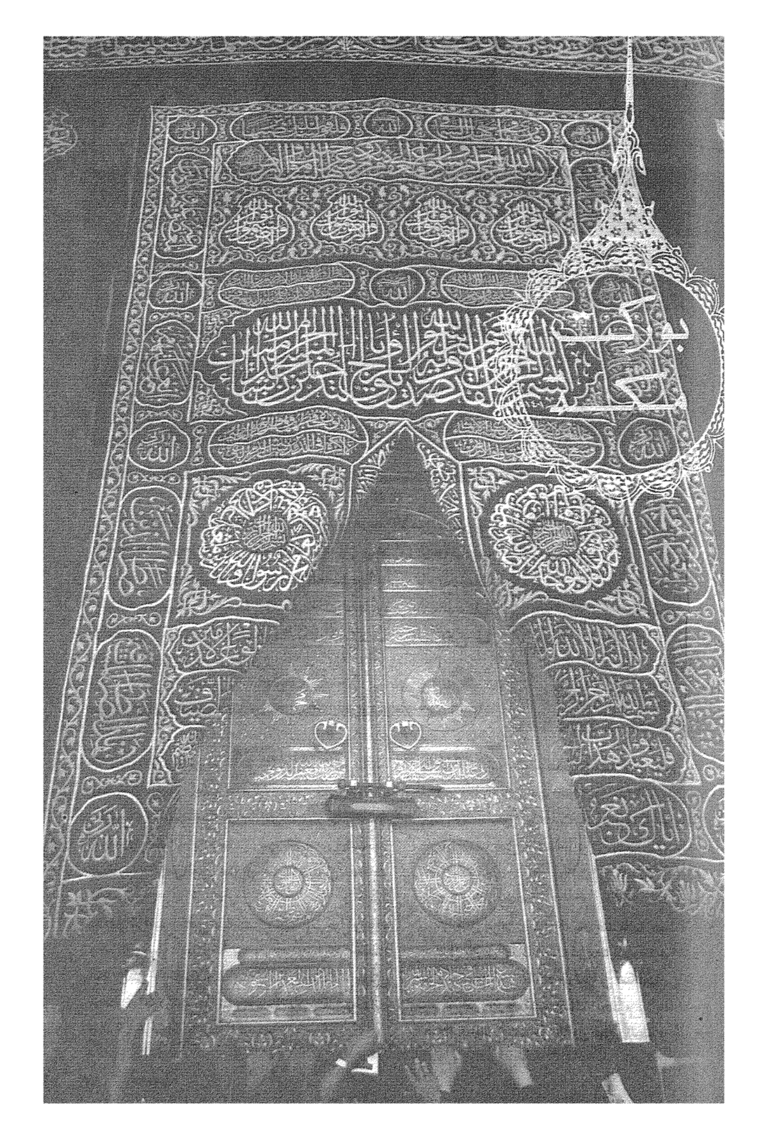
(٩) الهمزية - ابراهيم داوود فطانى ص١٨.

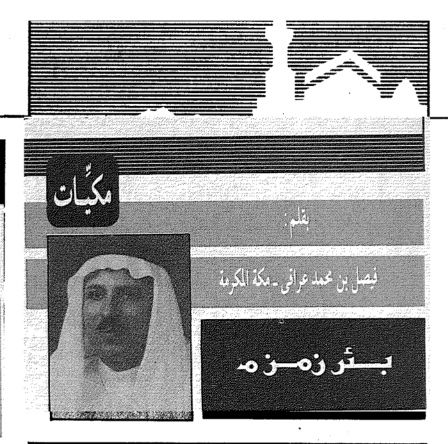
(١٠) اخبار مكة - الازرقى - الجزء الثانى ص٢٠٣.

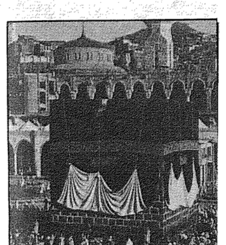
(١١) ذكر الاستاذ عاتق بن غيث البلادى أن هذا المسجد يسمى اليوم (مسجد النور) وهو داخل فى شعبة تسمى شعبة النور تأتى (صفى السباب من الشمال) وصفى السباب هو الذى يرتكز عليه مبنى العاصمة من الغرب. ويذكر الاستاذ البلادى فى معالم مكة التاريخية والاثرية ص٢٧٥ ان ابن ظهيرة ان مسجد الاجابة وكان يعرف بمسجد قنفذ كما قال الازرقى انه منسوب الى قنفذ بن زهير من بنى أسد بن خزيمة ومن اراد الاستزادة يمكن له الرجوع اليه.

(١٢) من بيان ادارة المساجد بالمديرية العامة للأوقاف والمساجد بمكة المكرمة.

(١٣) وليس بالمراد بلال - الصحابى المعروف - بلال بن رباح رضى الله عنه وانما هو رجل كان يؤم الناس فيه







مكة المكرمة، بلد الله الحرام وحرمه الآمن، تاريخ العطاء الروحى والراحة النفسية فى ماضيها وحاضرها ومستقبل ايامها إلى ما يشاء الله سبحانه. تاريخ هذه البلدة الطيبة لا يمل المسلم سماعه وقراءته وهذه (قطوف) عن مكة المكرمة يتناولها الاستاذ العراقى لها قيمتها التاريخية والروحية.

أقدم الآبار المعروفة والمعلومة لدى أهل مكة المكرمة وقد جاء خبر بدء حفر زمزم في كثير من كتب الحديث والتاريخ وغيرها، وأصح ما جاء من الأخبار بهذا الصدد هو ما رواه عبد الله بن العباس رضي الله عنهما في صحيح البخاري.. وهو المعول عليه في حديثنا هنا عن هذه البئر المقدسة.

■ حمل ابراهيم الخليل عليه السلام وليده إسماعيل وزوجه هاجر وجاء بهما - بعد رحلة شاقة - وحيدين في هذا المكان القفر الذى لا حياة فيه.. وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء.. مجرد بقعة من صحراء قاحلة بين جبال موحشة، وترك لهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء.

■ ثم قفى إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل مرتاعة ملتاعة قائلة: يا إبراهيم أتتركنا في هذا الوادى ليس فيه أنيس ولا جليس: وأخذت تكرر قولها: وهو ماض في طريقه صامتاً حتى قالت له أخيرا: أالله أمرك بهذا؟.

قال: نعــــم.

قالت: إذن لا يضيعنا.

وانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه إستقبل بوجهه مكان البيت ثم دعا بهذه الدعوات ورفع يديه لربه عز وجل قائلا: ***﴿ربنا إنى أسكنتُ من ذريتى بوادٍ غير ذى زرعٍ عند بيتك المحرَّم، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم، وأرزقهم***

كم التى عرف فيها محمد (ﷺ) ربه عز وجل وحمل بعدها الرسالة لهذه الأمة أبداً.

ـم القواعد من البيت وإسمعيل ربنا تقبل منا

ـكي .. تاريخ عطاء حافل

من الثمرات لعلهم يشكرون﴾.

■ وجعلت أم إسماعيل ترضع وليدها وتشرب من الماء حتى إذا نفد ما فى السقاء وشح ما فى ثديها وبدأ الظمأ ينشب أظفاره فيها وفى ابنها الذى أخذ يتلوى ويتلبط، انطلقت بقلب الأم الرؤم تبحث عن الماء، فوجدت الصفا أقرب جبل إليها، فقامت عليه. ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا، فهبطت منه ساعية سعى الإنسان المجهد حتى جاوزت الوادى إلى المروة فقامت عليه فنظرت هل ترى أحداً فلم تر أحدا فعادت إلى الصفا مكررة السعي سبع مرات قال ابن عباس: قال النبي ﴿ﷺ﴾ «فلذلك سعى الناس بينهما»(١).. وعندما أشرفت على المروة فى المرة الأخيرة سمعت صوتاً فقالت «صه» تريد نفسها، لشدة لهفتها وأخذت تنصت فسمعت أيضاً فقالت: قد أسمعت أعندك غواث. فإذا هي بالملك عند موضع زمزم يبحث بعقبه أو بجناحيه حتى تفجرت زمزم وظهر الماء السلسل من الصخر الصلد، فجعلت تحوضه بيدها وتقول زم.. زم أي اجتمعي اجتمعي وظلت تحاول حبس الماء، فقال الملك دعيه فإنها رواء وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور كلما غرفت منه. قال ابن عباس: قال النبى ﴿ﷺ﴾ «يرحم الله أم اسماعيل لو تركت أو قال أو لم تغرف من زمزم لكانت عينا معينا»(٢).

■ وهكذا عمر الوادي البلقع ودبت الحياة فى القفر وكبر إسماعيل.. ثم تزوج من بعد وأنجب أثنى عشر ولداً كانوا هم آباء العرب فى الجزيرة العربية ومن أحفاده بنو عبد مناف ومنهم أشرف الخلق محمد بن عبد الله رسول الله وصفيه من خلقه صلى الله عليه وسلم.

■ وظل ماء زمزم فواراً ينتفع به أهل مكة الذين جـمَّعهم وكان هؤلاء السكان ليسوا سوى قبيلة جرهم التي استمر بها المقام حتى استخفت بحرمة الكعبة والحرم فأراد الله معاقبتهم فدرست زمزم ومرت عليها السنون عصراً وزمناً بعد زمن حتى صاروا لا يدرون موقعها.

■ ولم تزل مطمورة دارسة حتى أُرِيَ عبد المطلب مناماً: «أن احفر طيبة»(٣) فسميت طيبة لأنها للطيبين والطيبات، فكان عبد المطلب وأولاده من بعده قائمين على أمر السقاية وتنظيمها.. وروى أنه قيل لعبد المطلب في صفتها: «انها لا تنفد أبدا»(٤) ونحن نرى ذلك من تفجير روح القدس عليه السلام بعقبه لها، ولا مراء أنها إشارة عظيمة إلى أنها لعقب إسماعيل ووارثه وهو محمد ﴿ﷺ﴾ وأمته.

■ وكان ذرع زمزم من أعلاها إلى أسفلها ستين ذراعاً، وفي قعرها ثلاث عيون: عين حذاء الركن الأسود وأخرى حذاء أبي قبيس والصفا، وثالثة حذاء المروة(٥).



وبئر زمزم قبل العمارة السعودية والتعديلات التي حدثت للبئر مدورة الفوهة عليها قطعة من الرخام المرمر على قدر سعة فمها ويبلغ ارتفاعها عن بلاط الأرض التى حول البئر من داخل القبة ذراعين ونصف ذراع اليد، أو ١٢٠ سم تقريبا وأرض بيت زمزم أو داخل قبة زمزم مفروش بالرخام الأبيض، ويحيط بفم البئر من أعلاه دربزين (حاجز من قضبان حديدية) معمول من الحديد الثخين، وفوق الدربزين شبكة من حديد وضعت فوق الدربزين سنة ١٣٣٢هـ(٦).

■ وكان البناء الذي على زمزم معروف بمقام الشافعي وكان يؤذن منه رئيس المؤذنين قبل أن يطل الترجيع وكان كل المؤذنين يرجعون بعده ـ ثم اتخذت مكبرات الصوت فى الجهة الجنوبية من المسجد وذلك ضمن التوسعة السعودية المباركه.

ومما هو جدير بالذكر أن جلالة الملك عبد العزيز آل سعود يرحمه الله أمر أن يُنْشأ على حسابه الخاص سبيلان: أحدهما بالجهة الشرقية مما يلي باب قبة زمزم على الجناح الجنوبي والثاني بجانب السبيل العثمانى القديم، وأن تجدد عمارة السبيل القديم على نحو السبيلين اللذين أمر بإنشائهما باسمه الخاص.

فضل زمزم:

من مجموع الأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الصحابة والتابعين والصالحين وتجاربهم نستطيع أن نقول إن زمزم ماء خاص ذو طبيعة خاصة.. فأي ماء عذب في الدنيا يروي من الظمأ لكنه لا يذهب بالجوع.. أما هذا الماء (زمزم) فإنه راوٍ من الظمأ مطعم من الجوع.. وسبحان الله الخلاق العظيم.

شفيت يا زمزم داء السقيم ... فانت أشفى ما تعاطى القديم

وكم رضيع لك أشواقه ... اليك بعد الشيب مثل الفطيم(٧)

■ عن أم أيمن حاضنة رسول الله ﴿ﷺ﴾: أنه صلى الله عليه وسلم ما اشتكى جوعاً قط ولا عطشاً ـ كان يغدو إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة فربما عرضنا عليه الغداء فيقول: أنا شبعان(٨).

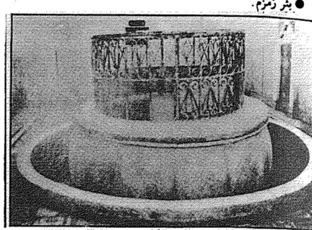
■ وفى المستدرك من حديث ابن عباس مرفوعاً: «ماء زمزم لما شرب له» وقد صححه البيهقى في شعب الايمان، وصححه ابن عيينة وابن حبان ووثقه رجال الحافظ الدمياطى ـ وكذلك الحافظ العسقلاني حيث قال في فتح البارى بشرح صحيح البخاري بعد نقله هذا الحديث: رجاله ثقات إلا أنه اختلف فى إرساله ووصله، وإرساله أصح. وقد حذا حذوهما العسقلاني حيث قال بعد إيراده حديث المستدرك المذكور: وبالجملة فقد ثبتت صحة هذا الحديث ـ أعني حديث ماء زمزم لما شرب له. ومعناه أنك إن شربته لتستشفى به شفاك الله.. وإن شربته لشبعك أشبعك الله.. وإن شربته لقطع ظمأ قطعه الله تعالى(٩).. وقد صحح الشيخ الألباني الحديث وهو صاحب باع طويل فى هذا المضمار، وقال: جاء عن جابر بن عبد الله أنه قال: ماء زمزم قال فيه رسول الله ﴿ﷺ﴾: «ماء زمزم لما شرب له»(١٠).

■ وقد ورد عن أبي حنيفة رضى الله عنه انه شرب من ماء زمزم للعلم والفقاهة فكان أعلمه زمانه وقال البكرى يرحمه الله تعالى: وأنا قد جربت ذلك فوجدته صحيحا على أننى لم أشربه إلا على يقين من هذا وتصديق بالحديث(١١).

■ وكان ابن عباس رضى الله عنهما إذا شرب زمزم قال: اللهم إني اسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً وشفاء من كل داء(١٢).

قال ابن العربي: وهذا موجود فيه إلى يوم القيامة، يعنى العلم والرزق والشفاء لمن صفت نيته وسلمت طويته ولم

● بئر زمزم.



يكن به كذبا، ولا يشربه مجرباً فإن الله مع المتوكلين.

■ وفى حديث إسلام أبى ذر أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: «إنها مباركة إنها طعام طعم»(١٣).

■ وفى معجم الطبراني، بسند رجاله ثقات فى صحيح ابن حبان من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﴿ﷺ﴾ «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم».. وقال شيخ الاسلام سراج الدين البلقينى: «إن ماء زمزم أفضل من ماء الكوثر».. وعلل ذلك لكونه غسل به صدر النبى ﴿ﷺ﴾ ولم يكن ليغسل إلا بأفضل المياه.

وفى حديث أن النبى ﴿ﷺ﴾ كان إذا أراد أن يتحف الرجل بتحفة سقاه من ماء زمزم(١٤).

■ وقد يذكر بعض الناس أن ماء زمزم فيها ملوحة ويرد الكردى يرحمه الله قائلا: «إن ماء زمزم له طعم خاص غير طعم جميع مياه الدنيا لذلك من ألف شربه وعرف طعمه يميزه عن بقية المياه سريعاً ولو مرت عليه أعوام عديدة لم يذقه، والحقيقة أنه يصعب وصف طعمه فلا هو بالمالح المجوج ولا هو بالمالح المذوج لا يعرفه إلا من ذاق طعمه بنفسه. نعم فيه ملوحة خفيفة لكنها مستطابة مقبولة محببة إلى نفس المؤمن. ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما: عن ماء زمزم إنه شراب الأبرار. وقد تكون هذه الملوحة الخفيفة على من كان شاكاً فيه ضعيف الايمان ماء أجاجاً لا يستسيغ شربه تعافه نفسه ولا يشربه، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم» وقال أيضاً: «إن التضلع من ماء زمزم علامة ما بيننا وبين المنافقين».

■ ومن اللطائف يقول: العلامة الشيخ محمد بن علان في ملوحة زمزم:

وزمزم قالوا فيه بعض ملوحة
ومنه مياه العين أحلى وأملح
فقلت لهم قلبى يراها ملاحة
فلا برحت تحلو لقلبي وتملح

■ والمتتبع لسير العلماء يلاحظ أن أفضل هدية كانوا يرونها هي (ماء زمزم) وقد روى باسلامة في كتابه (عمارة المسجد الحرام) أن الحافظ نور الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن سلامة الشافعي المكي المولود بمكة المكرمة سنة ٧٤٦هـ. المأذون له بالافتاء والتدريس من أئمة العلم والفقه والحديث فى زمانه أهدى إلى الشيخ شمس الدين ابن الجزري من (ماء زمزم)، وأرسل إليه هذه الأبيات:

ولقد نظرت فلم أجد يهدى لكم
غير الدعاء المستجاب الصالح؟
أو جرعة من (ماء زمزم) قد سمت
فضلا على مد الفرات السائح
هذا الذى وصلت له يد قدرتي
والحق قلت: ولست فيه بمازح

●● فأجابه الشيخ ابن الجزري بهذه الأبيات:

وصل (المشرف) من إمام مرتضى
نور الشريعة ذى الكمال الواضح
وذكرت انك قد نظرت فلم تجد
غير الدعاء المستجاب الصالح
أو جرعة من (ماء زمزم) حبذا
ما قد وجدت ولست فيه بمازح
أما (الدعاء) فلست أبغي غيره
ما كنت قط إلى سواه بطامح

■ وقد توفى ابن سلامة بمكة سنة ٨٣٨هـ.

وهذا فيه دلالة كبرى على مدى الفضل العظيم الذى كان يعرفه السابقون لهذه المياه المباركة.. حتى عدوها الهدية المأثورة المشكورة ترسل إلى المشارق والمغارب.



أسماء زمزم:

كثرة الأسماء دليل على شرف المسمى: تعددت وتنوعت أسماء زمزم لتعدد عطاءاتها وتنوع فوائدها وتباين الأجناس الوافدة إليها ـ ولعظمة الدور الذي تلعبه كملهمة وسبب لانتشار الحياة بمكة وشعابها ولعل أهم اسمائها الشائعة.

« هزمة جبريل، وسقيا الله إسماعيل لا شرق ولا تذم». ومن اسمائها المعروفة: بركة وسيدة، ونافعة، ومضنونه، وعونة، وبشرى وصافية، وبرة، وعصمة، وسالمة، وميمونة، ومباركة، وكافية، وعافية ومغذية وطاهرة، ومفدّاة، وحرمية، ومروية، ومؤنسة، وطعام طعم، وشفاء سقم.

■ ومن أسمائها: طيبة، وتكتم، شباعة العيال.. وقرية النمل، ونقرة الغراب، وهزمة إسماعيل وحفيرة العباس.

●● ومن أسماء زمزم همزة جبريل (بتقديم الميم على الزاى)، ذكر هذا الاسم السهيلى، لأنه قال: وذكر أن جبريل همز بعقبة فى موضع زمزم فنبع الماء.

■■ وقد اختلف في تسمية زمزم بزمزم، فقيل: ماؤها.. قال ابن هشام: والزمزمة عند العرب الكثرة والاجتماع، وقيل إنها سميت زمزم لأنها زمت بالتراب لئلا يأخذ الماء يميناً وشمالاً(١٥).

■■ وقد قيل في سر التسمية بزمزم: «سميت بزمزم من زمزمة الماء وهى صوتها. وقيل: سميت زمزم، لأن الفرس كانت تحج إليها في الزمن الأول فتزمزم عندها.. والزمزمة صوت تخرجه الفرس من خياشيمها عند شرب الماء. وقيل إنها سميت زمزم لأنها زمت بالتراب لئلا يسيح الماء يميناً وشمالاً ولو تركت لساحت على الأرض حتى تملأ كل شىء»(١٦).

والمشهور من الأسماء: زمزم وهو أول اسم لها فإنها انبعثت من تحت قدمي إسماعيل بضربة جبريل عليهما السلام، ورأتها أمه «هاجر» فجعلت تحوط عليه وتقول «زمى زمي» وهذا هو الأصل في تسميتها «بزمزم».

ومن أسمائها الشهيرة: هزمة جبريل، لأن جبريل ضرب بجناحه الأرض فخرج الماء لإسماعيل وأمه.

ومن أسمائها الشهيرة: شراب الأبرار، وذلك أن ابن عباس رضى الله عنهما قال: صلوا في مصلى الأخيار، واشربوا من شراب الأبرار ـ فقيل: ما مصلى الأخيار؟ قال: تحت الميزاب، قيل وما شراب الأبرار؟ قال: ماء زمزم.

■■ وقد نظم بعضهم جملة من أسماء زمزم فقال:

لزمزم أسماء أتت وهى برة
وسيدة بشرى وعصمة فاعلم
ونافعة مضنونة عونة الورى
ومروية سقيا وظبية فافهم
وهمزة جبريل وهزمته كذا
مباركة أيضاً شفاء ولا سقم
ومؤنسة ميمونة حرمية
وكافية شباعة بتكرم
ومغذية عدت وصافية غدت
وسالمة أيضا طعام ولا طعم
شراب لأبرار وعافية بدت
وطاهرة تكتم فأعظم بزمزم(١٧)

سقاية العباس من زمزم:

وهى منبع من زمزم أنشأه العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه اهتماماً منه بسقيا الحجيج ومنعاً للإزدحام على زمزم الأم.. وإن كان الفاسي قد أشار إلى تعميرها سنة ٨٠٧هـ، والله تعالى أعلم(١٨).

قال التقي الفاسي يصف سقاية العباس: «إنها بيت من الجهة الشرقية مربع في أعلاه قبة كبيرة، وفى جهاتها الأربع عدا الجنوبي منها شبابيك من حديد، وفي جانبها الشمالي

من الخارج حوضان بينهما الباب، وفي وسط البيت بركة كبيرة تملأ بالماء من زمزم بواسطة قناة سماوية من زمزم إلى جدر البيت، ثم يسلك قناة أرضية إلى البركة فيخرج منها الماء على شكل فوارة(١٩).

هوامش

(١) صحيح البخارى ص٢/ ٢٠
(٢) تفسير ابن كثير ج١ ص١٧٦ (تفسير سورة البقرة)
(٣، ٤) التاريخ القويم لمكة المكرمة وبيت الله الكريم - الكردى/ ج٣ ص٦٠.
(٥، ٦) تاريخ عمارة المسجد الحرام - حسين باسلامة صص ١٧٣/ ١٨١.
(٧) من شعر الشيخ بدر الدين بن الصاحب أورده الفاسى فى شفاء الغرام ١/ ٤١٢.
(٨) التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم - محمد طاهر الكردى/ ج٣، ط١، ص٨٦ مروياً عن القرشى، ومنقولاً مما جمعه الحضراوى فى كتابه (العقد الثمين فى فضائل البلد الأمين) الفصل السادس/ ما جاء فى الاحاديث فى زمزم.
(٩، ١١) فى رحاب البيت الحرام محمد بن علوى المالكى صص ٢٤١-٢٤٢.
(١٠) سلسلة الأحاديث الصحيحة - محمد ناصر الدين الألبانى ج٢ ص٥٧٢.
(١٢) رواه الحاكم فى المستدرك وهذا لفظه، والدار قطنى.
(١٣) رواه مسلم وابو داوود، وزاد - وشفاء سقم
(١٤) شفاء الغرام باخبار البلد الحرام.
(١٥) الفاسى - ج١ ص٤٠٦.
(١٦) تاريخ عمارة المسجد الحرام/ حسين عبد الله باسلامة ص١٧١.
(١٧) التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ج٣ صص ٩٥-٩٦
(١٨، ١٩) شفاء الغرام باخبار البلد الحرام ج١ ص٤١٦

فيصل بن محمد عراقى

مبرة خادم الحرمين الشريفين

انجاز حضارى .. ومكرمة ملكية

محطة تبريد مياه زمزم المباركة

«ليس هنـاك شيء عندى أغلى من مكة المكرمة .. والمـدينة المنورة» هكذا صرح - ويصرح - خادم الحرمين الشـريفين الملك فهد بن عبد العزيز .. وهذا التصريح على ايجــازه يستبطن مشــاعـر الحب العميقـة للبقـاع المقدسة، ويعلن عن سلم الاولوية للعمل والتطوير لراحة المسلمين الوافدين من كل بقاع العالم لأداء المناسك وزيارة المسجد النبوى الشريف.

والـذى يعيش بيننـا يدرك دائـماً أن تصريحات خادم الحـرمـين الشـريفـين تأتي دائـماً مطابقة للواقع، موازية للعمـل، وهى صفـة المؤمن الصـدوق الذى يزاوج بين الفعـل والقـول ويحقق التـلازم بينهـما لا من أجل المجد الشخصي، انما لأجل مصلحة المجموع ثم تحقيق أمانة التكليف.

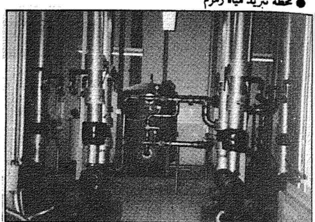
ومكارم خادم الحرمين الشريفين ومآثره لمكة المكرمة - والمدينة المنورة - بل لكل بقعة ببلادنا المباركة - مكارم ومآثر متواصلة لا تكاد تنقطع الا لتبدأ من جديد متوخية أهدافاً وغايات خلاصتها الرقي بالمواطن والوطن.

ومن هذه المكرمات مكرمة تبريد مياه زمزم المباركة عن طريق استخدام أحدث التقنيات.

■■ تم خلال عام ١٤٠٥هـ إنشاء محطة تبريد مياه زمزم المبـاركة بالمسجد الحرام بأحدث وسائل التبريد وتكييف منطقة البئر نفسها بالهواء البارد.

وتستقبل المحطة مياه زمزم من البئر خلال نفق الخدمة وتنقـل الميـاه فى أنـابيب الصلب وتخـزن في خزانـين من الصلب الذي لا يصدأ سعة كل منهما (٦٠متراً مكعباً) من المياه.

● محطة تبريد مياه زمزم





وللمحطة ثلاث وحدات حرارية خصصت إحداها لإمداد بدروم زمزم أسفل المطاف بخمسين متراً مكعباً من المياه المبردة فى الساعة. كما توجد مجموعة مضخات شفط وضاغط هواء تعمل جميعها لتوصيل المياه المبردة إلى أماكن التوزيع والمناهل فى جميع أروقة المسجد الحرام.

يتم التحكم فى تشغيل هذه الأجهزة الحديثة جداً أتوماتيكياً، كما زود مبنى المحطة بكمبيوتر فى غرفة التحكم لتوضيح حالة كل منطقة، ودرجة برودة المياه عند كل منهل وضغط المياه وغير ذلك من المعلومات اللازمة للتشغيل.

كما تم ربط مبنى المحطة بشبكة للتيار الكهربائى قدرتها (٢٥٠٠) ألفان وخمسمائة كيلو فولت أمبير.

وتقوم المحطة بتبريد مياه زمزم المباركة بطاقة (٦٠ متراً مكعباً) فى الساعة الواحدة للمناهل المخصصة للرجال وبطاقة (٤٦) متراً مكعباً فى الساعة للمناهل المخصصة للنساء.

■ أما توزيع المياه المبردة بالحرم الشريف فيتم عن طريق عدة مجموعات من الصنابير موزعة فى جميع أرجاء المسجد الحرام مجموعها (٧٣٣) صنبوراً بالإضافة الى مجموعات شبكة أخرى مؤقته مساعدة لمواجهة الازدحام فى موسم الحج.

هذا الى جانب (٥٠٠٠) خمسة آلاف ترمس كبير سعة كل منها (٤٠) لتراً موزعة فى جميع أرجاء الحرم المكى الشريف.

وقد بلغت تكاليف محطة تبريد مياه زمزم المباركة وتوابعها مبلغاً وقدره (٣٢٫٤٣٩٫٩٤٠) ريالاً.

ويقع مبنى المعدات على الطريق العام مقابل باب الفتح.. حيث يتألف من أربعة أدوار: البدروم ـ الطابق الأرضى ـ الدور الأول ـ الدور الثانى.

وقد سمى بمبنى المعدات لكثافة الماكينات المتواجدة فى هذا المبنى وسنحاول بإيجاز شرح مهمة المشروع وغايته:

■ يتألف المشروع من أقسام رئيسية وهى:

- **محطة توليد الطاقة الكهربائية.**
- **محطة معالجة المياه.**
- **محطة تبريد المياه.**
- **محطة تنقية وتبريد الهواء.**
- **محطة الداوودية للمياه الآسنة ومكافحة الحريق.**
- **غرفة الكهرباء.**
- **غرفة الكمبيوتر.**

محطة توليد الطاقة الكهربائية:

تتألف هذه المحطة من أربعة مولدات ماركة فارتسلار سترو مبرغ بقوة خمسة ميحاورات، ولقد عمل كامل المشروع على هذه المحطة لمدة سنتين قبل أن تتمكن شركة الكهرباء من تزويد مبنى المعدات بخمس مولدات كهربائية قوة كل واحد (١٠٠٠ ك ـ ف ـ اي) وحاليا يعمل المشروع على الطاقة الكهربائية من شركة الكهرباء الموحدة.

محطة معالجة المياه:

تأتي المياه إلى مبنى المعدات من بئر زمزم بواسطة مضختين قوة (٢٠) حصان لكل واحدة، واحدة تعمل، والأخرى احتياطية وتنقل بمواسير (٦) ستانلي ستيل خلال مجرى الخدمات الذى يصل ما بين منطقة زمزم ـ البدروم ومبنى المعدات.

وعند وصول المياه إلى غرفة المعالجة في بدروم مبنى المعدات تمر خلال مرشحات رملية حيث يصار إلى تنقية المياه من أية شوائب حتى (٥٠ ميكرووف) ومن ثم تمر المياه خلال مكروفلتر حيث يعاد تنقية المياه لغاية (٢٥ ميكروون) ومن بعدها تمر فى خزانات ستانيلى ستيل بسعة

(١٤٠ متراً مكعباً).

ثم يعاد إلى سحب المياه من الخزانات بواسطة ثلاث مضخات تعزيز قوة (١٦٫٥ ك. وات) وتضغط في خزان الضغط تحت (٧٠٠ بار) ولاستهلاك المياه في الحرم تخرج المياه المضغوطة خلال ميكروفلتر ثانية وأجهزة للأشعة ما فوق البنفسجية لتمر خلال مبردات المياه التي تحفظ درجة مياه زمزم ما بين (١٥، ٢٠) مئوية.

بهذا تكون مياه زمزم قد أصبحت نقية ومعالجة ومبردة ثم ترسل ثانية إلى الحرم في مواسير استانلي ستيل معزولة للمحافظة على درجة الحرارة وتوزع على المشربيات الموجودة في جمع أدوار الحرم الجديد وقبو زمزم.. ويبلغ عدد النوافير بالدور الأول (١١٥) وبالدور الأرضي (١١٥) وبالبدروم (١٣٨). أما في قبو زمزم قسم الرجال وقسم النساء (٣٥٠) وبهذا فإن المجموع (٧٣٨) إضافة إلى (١١) نقطة لتعبئة الجوالين داخل الحرم، حيث إن هذا المشروع قد ساهم في عدم استيراد الثلج إلى الحرم.

أما المياه غير المستهلكة في المواسير فتعاد إلى مبنى الحرم.

محطة تبريد المياه:

تتألف هذه المحطة من تسع ماكينات تبريد قوة الواحدة (٥٠ طن تبريد) حيث تعمل هذه الماكينات على حفظ المياه مثلجة على درجة (٦ درجة مئوية) وبعدها فإن هذه المياه المثلجة تمر خلال أنابيب مبدلات الحرارة لتبريد مياه زمزم (المعالجة ما بين ١٥-٢٠ درجة مئوية) ومن ثَمَّ ترسل المياه إلى الحرم كما أوردنا في البند السابق.

وتتألف هذه المحطة من (١٥) ماكينة تبريد، قوة الماكينة (٥٠ طناً) حيث تحافظ الماكينة على المياه مثلجة على درجة (٦) مئوية تستعمل في تبريد الهواء.

يدخل الهواء إلى مبنى المعدات خلال فلاتر كبيرة Bollband Filter ومن بعدها يمر خلال الفاصل الرملي Sanddi Fuets حيث يعود تمريره ثانية خلال فلاتر هواء، وقبل دخوله ملفات التبريد يمر من أكياس فلاتر Day Filter حيث ينقي من أي غبار أو رمال بعد أن يمر الهواء في ملفات التبريد الضخمة الموجودة في مبنى المعدات لتغيير درجة حرارة الهواء من ٤٥ درجة مئوية إلى ٢٢ درجة مئوية وبعدها يعاد إلى نفخ هذا الهواء بواسطة انافخات هواء ضخمة قوة الواحدة (٨٢) حصاناً خلال مجرى الخدمات إلى بدروم زمزم حيث يصار هناك إلى إعادة عملية التنقية والتبريد قبل أن يرسل إلى منطقة بئر زمزم والمشربيات.

● مياه زمزم المبردة في داخل الحرم.



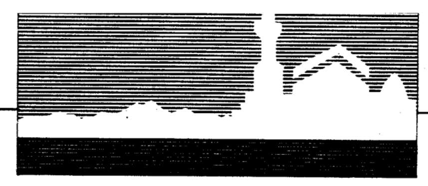
غرفة الكهرباء:

تمثل لوحات الكهرباء الدور الأول بأكمله من مبنى المعدات حيث توجد هناك - لوحة المولدات الكهربائية التي توزع الكهرباء إلى اللوحات الثلاثة الرئيسية وإلى المولدات الرئيسية وإلى محولات الجهد العالي، واللوحات الرئيسية الثلاث التي تغذي المشروع بأكمله، إضافة إلى ذلك محطة تجميع المعلومات للكمبيوتر وخلية تحكم المواتير ولوحة الجهد العالي التي ستغذي تبريد المسعى في المستقبل إضافة إلى مركز التيار المستمر وغرفة البطاريات.

غرفة الكمبيوتر:

وهي في الدور الرابع من مبنى المعدات ويوجد في تلك الغرفة لوحات البيان المرئية حيث يمكن مراقبة كامل المشروع من خلال تلك اللوحات.

■ ولقد تم التحكم بجميع معدات هذا المشروع في مبنى



المعدات والحرم بواسطة كمبيوتر يراقب جميع القراءات ويحافظ عليها في البيانات المطلوبة ويعطى إنذارا في حالة تخطى أى قراءة للبيـــان المطلوب. . كما يمكن أن يتم تشغيل أى معدة في مبنى المعدات أو في الحرم أو على السطح بمجرد لمس زر من مفاتيح الكمبيوتر حيث يسهل عملية التشغيل كثيراً.

إضافة إلى ذلك يوجد في غرفة الكمبيوتر جهاز الدوائر التليفزيونية المغلقة حيث يتم مراقبة جميع أبواب مبنى المعدات الداخلية والخارجية إضافة إلى مدخل مجرى الخدمات وبئر زمزم وهناك أيضا جهاز التحكم للوصول إذ لا يمكن لأي شخص دخول مبنى المعدات إلا من خلال كروت مبرمجة تسمح له بالدخول، وكل منطقة في مبنى المعدات لها جهاز تحكم خاص مالا يسمح بالدخول بها إلا للموظفين حسب اختصاص كل منهم.

وهناك أيضاً جهاز دوائر الانذار المغلقة حيث إن مجرد فتح أى باب من أبواب المبنى تعطى إشارة لغرفة الكمبيوتر حيث يعطي الوقت والتاريخ ورقم الباب الذي تم فتحه لتتم مراقبة الباب من خلال الكاميرات الموجودة.

ولقد بدأ التشغيل والصيانة لهذا المشروع منذ تاريخ ٢٤/١١/١٤٠٤هـ والعمل به (٢٤) ساعة يومياً.

نظرة مستقبلية الى الموارد المائية بمكة المكرمة وما حولها:

أنا من المتفائلين بمكة المكرمة . . ولمكة المكرمة.

■ وهذا التفاؤل بالمستقبل المشرق منبعث من رؤية واقعية نراها جميعا ونلمسها. . هى الاهتمام الدائم والمثير والكبير بتطوير سائر مرافق المملكة وبصفة خاصة مكة المكرمة وتأمين خدماتها، وما رأيناه من بناء ومعمار ومرافق. . . إلى آخره. من المظاهر الحضارية الكبرى لعاصمتنا المقدسة لم يتوقف عند هذا الحد إنما هو في سير حثيث للاجمل والأكمل. . فضلا عن الدراسات المستمرة لسائر أمور هذا البلد الكريم الضرورية والمعايشة للتطوير الدائم والاستغلال الأمثل. ولقد تبين من تحليل الموارد المائية أن هناك فائضاً سنويا يبلغ ٤١٢٫٣ مليون مترمكعب، وهو من الاستغلال المنظم والتوزيع المتناسب سيكون كافياً بإذن الله، خاصة بعد تكرم خادم الحرمين الشريفين ـ حفظه الله ـ بافتتاح محطة تحلية مياه البحر بالشعيبة التى تعطي طاقة انتاجية تصل الى حوالي (٦٦ مليون متر مكعب) تقريباً.

وعليه، يمكننا أن نقوم بعملية حسابية بسيطة لندرك امكانيات المياه الهائلة المتواجدة وهى: ٤١٢٫٣ مليون متر مكعب + ٦٦ مليون متر مكعب = ٤٧٨٫٣ مليون متر مكعب وهذا فيض غامر ونعمة سابغة أولانا الله إياها في عهد المكارم، عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وقد ندرك هذا المعنى أكثر وبوضوح أشمل اذا ما عمنا أن الدراسات المستقبلية تقول بأن من المتوقع أن يصل حجم المتطلبات المائية في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة الى ١٩٩ مليون متر مكعب من المياه. كما أكدت الدراسات بأنه سيتم توفير ١٥٨ مليون متر مكعبة سنوياً من المياه الجوفية الفائضه في حين يتم توفير النسبة الباقية وهي الـ ٤١ مليــون متر مكعب من محطة التحلية في الشعيبة، بل بدأ العمل في ذلك بالفعل منذ افتتاح المحطة بمعنى أن الخطة الشاملة تعني التوفير ووجود الفائض من الجانبين:

١ ـ المياه الطبيعية الجوفية.

٢ ـ المياه المحــلاة.

■ وهذا يعني أن الدولة ـ حفظها الله ـ تعد لمواجهة أى استهلاك زائد، أو أى ضرورة بخطط مدروسة دخلت الى حيز التنفيذ الذى أثمر لنا هذه الحقائق التى صغناها في صور ارقام، لأنها أبلغ اللغات.

وبهذا ندخل هذا القرن بطموح أكبر يستشرف مستقبلاً أزهر وضاء معطاء بالخير على كافة الأصعدة.

كسوة الكعبة المشرفة

● نموذج من تطريز كسوة الكعبة المشرفة.



■ رائعة هى الكعبة مكسوة وغير مكسوة... وروعتها نابعة من اجلال الله لها.. وتعظيمه وإعلائه لقدرها.. وجليلة تلك الكسوة التى أحاطت بالكعبة من كل ناحية.. كالمعطف ضم الجمال والجلال.

و(الكُسْوة)، بكسر الكاف وضمها وسكون السين: ما يتخذ من الثياب للستر والحلية، والجمع كُسا، بضم أوله على وزن تُقى، والفعل منه: كسا ـ يكسو والمصدر: ، كَسْو، (بفتح الكاف وسكون السين).

تقول: كسوتُ الكعبة أكسوها كُسْوا: ألبستها الكسوة وهى ما ترتديه للستر والحلية والكِسَاء بكسر الكاف: اللباس، وجمعه أكسية.

و(الكسوة فى مبحثنا الموجز هى ما تكسى به الكعبة المشرفة).

ولا يغرب عن بالنا كأساس لهذا البحث الاجابة عن تساؤل لا شك أنه وارد على العقل، شاخص فى الذهن فحواه: متى كانت الكسوة، وكيف تَمَّ الإهتمام بها على مرِّ القرون؟؟.

■ وأول مَنْ قام بكسوة الكعبة هو نبى الله إسماعيل عليه السلام، وإن كان ذلك غير ثابت على وجه اليقين، الا أننا لم نعثر على ما ينفى هذا الخبر كما انه لا يمتنع شرعا ولا يستحيل عقلا، بل المنطق يزكيه والعقل يؤيده فمن أدرى بقيمة الكعبة وما تستحقه من اكرام وتعظيم من البانى لها الرافع لقواعدها مع أبيه.. عليهما أفضل الصلوات والتسليمات.

وربما تساءل متسائل: لماذا لم يكسها ابراهيم وهو الأولى من ابنه بذلك؟.

ونقول: إن ابراهيم عليه السلام غادر الجزيرة العربية كلها بعد بنائه للكعبة مباشرة.

■ وقد رأينا تأييد الاستاذ العلامة المؤرخ احمد عبد الغفور عطار لما سقناه من آراء بهذا الصدد حيث يقول:

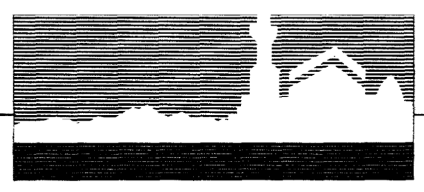
«لم يرد نص صحيح أن ابراهيم كسا الكعبة، وأحسب أنه لم يكسها لأنه غادرها بعد البناء الى فلسطين وبقى اسماعيل يقوم بالأمامة والدعوة الى الله وسدانة البيت وشؤونه».

■ وما ثَمَّ نص صريح على أن اسماعيل كسا البيت ووردت رواية تناقلها كتاب السير والمؤرخون فحواها أن اسماعيل عليه الصلاة والسلام اول من كسا الكعبة المشرفة ونحن لا نستطيع أن ننفى هذه الرواية لأنه من الجائز عقلا أن يكون قد كساها.

■ وذكر بعض العلماء أن اسماعيل أول من كسا الكعبة مطلقا واذا صحت هذه الرواية فمن الطبيعى أن يكون أحد اثنين هما أول من بنى الكعبة او هو أول من كساها. ومن الجائز ـ كما قلنا ـ إن يكون اسماعيل أول من كساها لأن ذلك يكاد يكون طبيعيا بمن بنى الكعبة وصار إمامها وسادنها وسيد مكة)(1).

■ وهناك آراء أخرى فى أول من بنى الكعبة، وان كنت أرى أنه لا يمنع أن يكون من سنذكرهم تالين لاسماعيل عليه السلام.

فقد (قيل أيضا إن أول من كساها عدنان وهو أحد



اجـداد النبى صلى الله عليـه وسلم، وقيـل إن الكعبة كسيت فى زمان عدنان)، بمعنى أنه لم يكسها لكن كسيت فى زمانه.

■■ ونحن لا ننفى هذين القولين ولا نقطع بصحتهما وانما ذكرناهما لورودهما فى كتب التاريخ والسير، وذكر ابن هشام فى سيرتـه الشهـيرة أن أسعد ملك حمير عند منصرفه من يثـرب، دخـل مكة، وطاف بالبيت، ونحر عنده وحلق رأسه كما يفعل الحاج والمعتمر، ولبث بها أياما يطعم الناس.

●● ورأى فى المنام أنه يكسو الكعبة فكساها الخسف، وهو نسيج من الخوص الليف، وقيل: ثياب غلاظ، ثم أرى أنه يكسوها أحسن من ذلك فكساها برودا معافرية تنسب الى قبيلة معـافـر اليمنيـة، ثم أُرِىَ أن يكسـوها أحسن، فكساها الملاء والوصائل. الملاء جمع ملاءة وهى الملحفـة ذات اللفقـين. . واللفق من الملحفـة الشق أو القطعـة مضمـومـة الى أخـرى. . والوصائل ثياب حمر مخططة يمنية أو ثياب حبرة من قصب اليمن ـ وهو ما يجمع غزلـه ويشـد ثم يصبـغ. وأسعد ـ هذا ـ أول من عمل للكعبة بابا ومفتاحا، واستمر فى كسو الكعبة ولم ينقطع لأن خلفاءه كانوا يكسونها من بعده بالجلد والقباطى ـ وهو جمع قبطية (بضم القاف): ثوب أبيض رقيق من نسيج مصر كأنه منسوب الى القبط، ثم أخذ الناس يكسونها ويهدون اليهـا من الكُسَا المختلفة ويلبسونها الكعبة بعضها على البعض كلما بلى ثوب وضعوا عليه آخر جديدا حتى تتراكم الأثـواب بعضهـا فوق بعض. وكـان يجتمع لدى سدنة البيت وولاته من الجلود والثياب كثير مما يهدى الى الكعبة فيحتفظون به، فإذا بلى ثوب نزعوه واستبدلوا به من خزانة ثياب الكعبة ثوباً جديداً، وهكذا، وكان بين الهدايا طيب يطيبونها به من الداخل والخارج ويبقى هذا التطييب متوارثاً حتى اليوم.

■■ ومنذ تُبع أسعد لم تظهر الكعبة بغير كسوتها التى عنى بها النـاس على اختـلاف طبقـاتهم(٢). . فلما كان عهد قصي بن كلاب الجد الرابع للنبى ﴿ﷺ﴾ وكان سيدا من أسياد العرب وانتهى اليه الشرف كله فكانت له الحجابة والسقـاية والرفادة والندوة واللواء وولى أمر الكعبة ومكة وصار ملكا على أهلها.

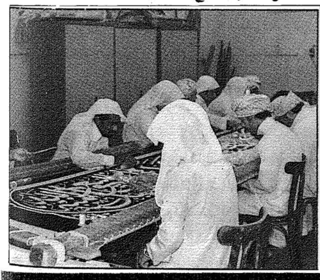
■■ وأراد قصي (أن يضبـط أمر الكسوة، فعرض على القبائل أن يترافدوا ـ أى يتعاونوا ـ فيما بينهم، كل حسب قدرتـه فى كسـو الكعبـة المشـرفة وفى غيرها مثل السقاية فكـانـت الكسـوة ثمرة الرفادة، وهى المعاونة تشترك فيها القبائل حتى ظهر أبو ربيعة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ـ جد الشاعر المشهور عمر بن أبى ربيعة.

●● وكان أبو ربيعة تاجراً ذا مال كثير بسبب اختلافه الى اليمن يتجر بها حتى زاد ثراؤه، وكثر ماله وكان يجلب من اليمن الى مكة الثياب وغيرها.

●● ورأى أبو ربيعة أن يشارك فى كسوة الكعبة، دون أن يشترك معه غيره فى عامه بل يتفرد وحده بكسوتها سنة بعد سنة واتفق مع قريش أن تكسو الكعبة سنة، وأن يستقل وحـده بكسـوتها سنة، وتم الاتفاق على ذلك، فكانت قريش كلها تكسوها سنة وهو وحده يكسوها سنة.

●● وكـان هذا العمـل منه موضـع اعجـاب النـاس

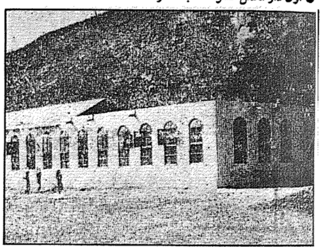
● العمل المستمر فى مصنع الكسوة



وتقديرهم اياه حتى سموه (العدل) لأنه عدل بعمله وحده عمل قريش كلها.

■■ وممن تفرد بكسوة الكعبة نتيلة بنت حباب زوج عبد المطلب، وأم العباس، فقد ضاع ابنها العباس - وقيل: ابنها ضرار بن عبد المطلب - ونذرت لله أن تكسو الكعبة وحدها اذا أعاد اليها ابنها الضائع فعاد فوفت بنذرها فكانت أول امرأة فى التاريخ كست الكعبة وحدها(٣).

● أول دار لمعمل كسوة الكعبة المشرفة



الكسوة فى الاسلام

من البدهى أن النبى ﴿ﷺ﴾ لم يستطع أن يكسو الكعبة التى كان يسيطر على أمورها مشركو مكة، فضلا عن ضعف المسلمين يومئذ وقلة أموالهم أو تسخيرها لشراء العبيد وإعتاقهم. حتى اذا فتح الله مكة على يد رسوله الكريم الرؤوف الرحيم، لم يغير الرسول ﴿ﷺ﴾ الكسوة، بل تركها على حالها. وجاءت امرأة - فى عام الفتح - الى الكعبة بمجمر - وعاء توضع به النار والطيب من عود ونحوه للتجمير، وهو التبخير - تريد تجمير الكعبة. وبينما هى تجمرها طارت شرارة الى الكسوة التى كساها بها المشركون من قبل، فاحترقت، فعريت الكعبة باحتراق الكُسَا التى عليها فكساها المسلمون، ولا شك أن ذلك وقع بإذن من النبى ﴿ﷺ﴾ فى رمضان لأن النبى ﴿ﷺ﴾ دخل مكة فى العشرين من رمضان فى السنة الثامنة من الهجرة (٦٣٠م). وكانت العادة أن تكسى الكعبة فى عاشوراء - فقد ذكر الأزرقى، أن النبى ﴿ﷺ﴾ خطب الناس يوم عاشوراء فقال: (هذا يوم عاشوراء يوم تنقضى فيه السنة وتستر فيه الكعبة(٤).

فاذا ذكر المؤرخون أن المسلمين كسوا الكعبة بعد احتراق كسوتها فإنما هم كسوها بأمر رسول الله ﴿ﷺ﴾ وليس من تلقاء أنفهسم فهم لا يعرفون رأى الاسلام فيما يصنعون فهم حريون بانتظار ما يأمر به رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام.

■ وثابت أن الكعبة كسيت عام الفتح بعد احتراق كسوتها، والرسول ﴿ﷺ﴾ هو الذى كساها هذه الكسوة.

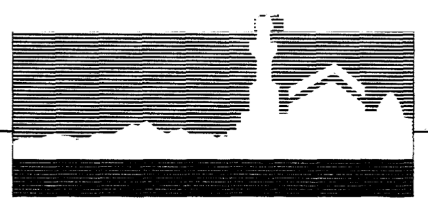
■ ومعروف أن الكعبة تكسى غير مرة فى السنة، وكانت مستمرة فى حياته وطبيعى أنها كسيت فى السنة التاسعة وفى السنة العاشرة التى كانت فيها حجة الوداع وان لم يذكر ذلك المؤرخون.

والذى نراه أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ كسا الكعبة منذ عام الفتح حتي انتقل الي الرفيق الأعلي صباح يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول سنة ١١ من هجرته الشريفه، صلي الله عليه وعلي آله وصحبه وسلم(٥).

■ وهذا الرأى الذى ساقه الأستاذ العطار باجتهاد منه غير مستبعد بل هو - والله أعلم - الصواب بعينه والحق نفسه والرسول ﴿ﷺ﴾ أدرى الناس وأعلمهم بما يليق بالكعبة من اجلال وتوقير.

أما الكسوة فى عهد الخلفاء الراشدين:

فواضح تمام الوضوح أنهم اتبعوا سنة النبى ﴿ﷺ﴾ فى العناية بالكعبة وكسوتها كل عام.. ولا غرو فهم خلفاؤه وأحرص الناس على سنته واتباع أمره.. (وكان عهد الصديق أبى بكر رضوان الله عليه امتداداً لعهد الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾، وكان من أعماله الجليلة أن قام بكسوة



الكعبة الشريفة بالقباطى، ولما تولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة بعد أبى بكر كسا الكعبة أيضا بالقباطى وكانت الكسوة من بيت مال المسلمين. ومن اوليات عمر بن الخطاب بعد فتحه لمصر أن أمر باعداد الكسوة وحياكتها فى مصر وارسالها لمكة المكرمة مع نزع الكسوة القديمة لتوزيعها على الحجاج.

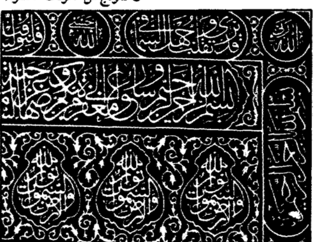
■ فلما تولى سيدنا عثمان بن عفان الخلافة بعد عمر.. رضى الله عنهما.. سار على سنته ومنهج سلفه العظيم عمر، فكانت نفقات الكسوة من بيت المال مما يحاك فى مصر. وكان عثمان أول من قرر للكعبة كسوتين: الأولى بالديباج يوم التروية وهو اليوم الثامن من ذى الحجة، والأخرى بالقباطى يوم السابع والعشرين من رمضان.

■ ولم يؤثر عن سيدنا الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه كسا الكعبة، وما كان ذلك تقصيرا منه، فقد كان مشغولا بالحرب التى أجبر على خوضها من أجل ضمان وحدة المسلمين وتقرير الحق والعدالة حتي قتل بالعراق.

■ وكان عبد الله بن عمر بن الخطاب يكسو الكعبة من ماله، فكان يسلم شيبة بن عثمان بن طلحة سادن الكعبة القباطي من صنع مصر، والحبرة من صنع اليمن، ليكسو بها الكعبة. وقد ورد عن سيدتنا عائشة رضى الله عنها قولها: (كسوة البيت على الأمراء) ولا نعلم أهذا القول مما أخذته عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ أم هو اجتهاد منها ـ ولعله من اجتهاداتها الحسنة، وكان قولها وعمل عمر حجة لمن بعدهما، رضى الله عنهما(٦).

الكسوة بعد عهد الخلفاء الراشدين حتى بداية العهد السعودى الزاهر:

■■ كان معاوية رضى الله عنه يكسو الكعبة مرتين سنويا، الديباج يوم عاشوراء والقباطى فى اليوم التاسع



● نموذج من مكونات الكسوة.

والعشرين من رمضان متبعا فى التثنية للكسوة ما فعله عثمان بن عفان. ومن اولياته أنه خصص للكعبة المعظمة طيباً تطيب به بعد كل صلاة، وكان يبعث بالطيب مرتين فى كل عام: مرة فى شهر رجب والأخرى فى موسم الحج ومن اولياته تخصيص خدم للكعبة وموظفين(٧).

■■ (ثم كساها يزيد ابن معاوية، وابن الزبير. وعبد الملك بن مروان بالديباج فتراكمت عليها الأكسية حتى خشى من تداعى بنائها فلما حج المهدى العباسى عام مائة وستين هجرية أمر بألا يبقى عليها سوى كسوة واحدة وهو المتبع الآن).

■■ ثم كساها الخليفة المأمون ثلاث كسوات سنويا بالديباج الأحمر يوم الثامن من ذى الحجة والقباطى وهو نسيج رقيق أبيض من الكتان من مصر أول رجب، والديباج فى اليوم التاسع والعشرين من رمضان وكساها الملوك بعده.

■■ ثم كساها الناصر العباسى ثوبا أخضر ثم ثوبا أسود، ومن ذلك التاريخ احتفظ لها باللون الأسود والناصر العباسى معاصر لصلاح الدين الأيوبى الذى فتح القدس فى حياته.

■■ وأول حاكم مصرى سعى الى كسوة الكعبة بعد انقضاء دولة العباسيين هو الملك الظاهر بيبرس.

■■ ثم كساها الملك المظفر صاحب اليمن عام ٦٥٩هـ واستمر يكسوها بالتعاقب مع ملوك مصر.

■■ وفى عام ٨١٠هـ أحدثت الستارة المنقوشة على واجهة باب الكعبة وهى ما يدعى بالبرقع ثم انقطعت ما بين سنتى ٨١٦هـ/٨١٨هـ، ثم استؤنفت عام ٨١٩هـ.

■■ وقد استمرت كسوة الكعبة من سنة ٧٥١هـ من دخل الوقف الذى وقفه الملك الصالح اسماعيل بن الملك الناصر قلاوون وكذلك كسوة الحجرة النبوية مرة فى كل خمس سنين.

■■ ولما استولت تركيا على مقاليد الحكم فى مصر عام ٩٢٣هـ إختصت حكومتها بكسوة الحجرة النبوية وكسوة البيت الداخلية واختصت مصر بكسوة الكعبة الخارجية فكانت ترسلها سنويا.

الكسوة فى العهد السعودى

كانت اهتمامات المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود (رحمه الله) بالبلاد وبالحرمين الشريفين خاصة لا حدود لها. وكان حبه لبيت الله الحرام بمكة المكرمة واهتمامه بالكعبه الشريفة رحبا كالسماء متتابعا كالغيث المنهمر.

وأظنه كان يجول بخاطره رحمه الله أن تصنع كسوة الكعبة المشرفة محليا بالبلد المقدس الكريم فتكون تحت الرعاية الذاتية والاشراف من أصحاب الأمر والعناية من أصحاب الشأن، علاوة على ضمان عملها وضمان وجودها خاصة أن المتغيرات السياسيه كثيرا تستغل فى الصالح والطالح.

صدرت إرادة المغفور له الملك عبد العزيز ـ رحمه الله وأثابه خير الجزاء ـ بعمل كسوة للكعبة بغاية السرعه مع الدقة الكاملة، فقام رجال العمل ـ ممن لهم خبرة ودراية بهذا العمل ـ وفى مقدمتهم وزير الماليه الشيخ عبد الله السليمان الحمدان ـ رحمه الله ـ وعملوا كسوة من الجوخ الفاخر الأسود مبطنة بالقلع القوى، وعمل حزام الكعبة بآلة التطريز وكتبت الآيات عليه بالقصب الفضى المموه

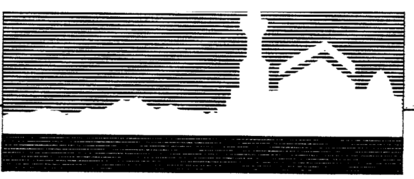
● مراحل تصنيع كسوة الكعبة المشرفة.

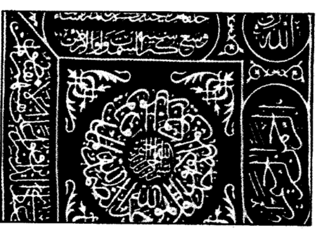


بالذهب الوهاج مع ستارة الباب (البرقع) ولم يأت اليوم الموعود لكسوة الكعبة وهو يوم النحر عاشر ذى الحجة من عام ١٣٤٥هـ إلا والكعبة المعظمة تزهو ألقا وبهاء بثوبها الجديد الذى صنع فى بضعة أيام(٨).

وفى منتصف عام ١٣٤٦هـ الموافق ١٩٢٧م بدأ العمل بالدار وكانت بحى اجياد ومع تطور العمل واجتذاب هذه الصناعة لكثير من الايدى السعودية للاستغناء عن الصناع الهنود. وفى عام ١٣٥١هـ أصبح كل عمال المصنع من السعوديين وقد استورد ما يلزمها من الأصباغ من الهند. ورغبة فى تطوير صناعة الكسوة صدر امر ولى العهد «المغفور له الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود» بتعيين الشيخ عبد الرحمن مظهر المترجم بوزارة الخارجية مديرا لهذا المصنع واستمر العمل فى مصنع كسوة الكعبة فى مكة المكرمة حتى نهاية عام (١٣٥٧هـ) الموافق (١٩٣٧م)(٩).

وفى عام (١٣٨٤هـ) صدر أمر جلالة الملك فيصل رحمه الله بتجديد مصنع الكسوة وبدأ العمل بحوالى (١٦) عاملا ثم تطور وارتفع عدد عماله الى (١٦٠) عاملا ذلك غير الموظفين والأدرايين.





ولما كانت وزارة الحج والاوقاف مسؤولة عن المسجد الحرام والكعبة المشرفة، فقد وكل اليها أمر صنع الكسوة، وإدارة المصنع الذى اتخذ دارا الى أجل حتى ينشأ المصنع الذى يراد انشاؤه.

وقد اختلف منذ سنة ١٣٨٤هـ على وزارة الحج والاوقاف أربعة وزراء. وكانت قبل ذلك ادارة تابعة لوزارة الداخلية. فلما رأى الملك فيصل ـ رحمه الله ـ أن يجعل للحج والاوقاف وزارة أختار الأستاذ حسين عرب وزيرا لها. وحدث بعد هذا أن وضع الاستاذ/ حسين عرب باشراف جلالة الملك فيصل رحمه الله خطة إنشاء مصنع الكسوة الذى يعد أحياء للمصنع الذى انشأه الملك عبد العزيز رحمه الله سنة ١٣٤٦هـ واختيرت له دار بحى جرول. وظل هذا المصنع ينتج الكسوة، ويصنعها بأحدث الآلات وبأيد سعودية حتى تم إنشاء مقر جديد للمصنع فى (أم الجود) «أم الدرج سابقا» ـ بطريق مكة ـ جدة، وضع حجره الاساسى الملك فهد فى عهد الملك «فيصل عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م وكان ايامها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء ووزيرا للداخلية وفى عام ١٣٩٤هـ انتقل العمل الى المقر الجديد، قبل أن تتم أعمال البناء والتجهيز فيه.

وافتتح المصنع رسميا سمو ولى العهد (فهد بن عبد العزيز) يوم السبت السابع من ربيع الثانى عام ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧/٣/٢٦م، ومثل سموه فى حفل الافتتاح صاحب السمو الملكى الأمير فواز بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة ورئيس لجنة الحج العليا.

وكان ذلك فى عهد جلالة المغفور له الملك خالد بن عبد العزيز رحمه الله.. ومازال المصنع ينتج الكسوة ـ بفضل الله ـ حتى الآن(١٠).

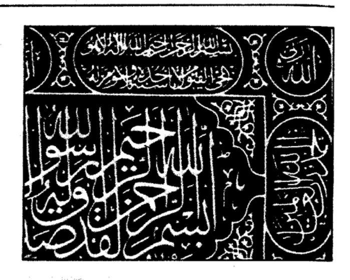
نظرة عامة على مصنع الكسوة ومراحل تطوره

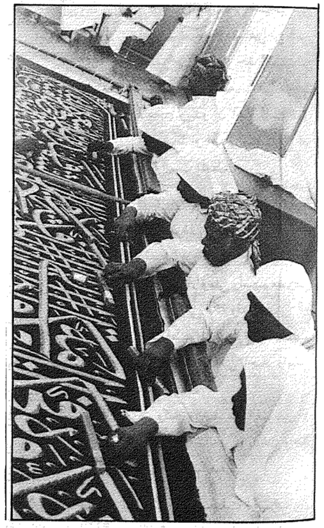
شهد مصنع كسوة الكعبة تطورات كبيرة ومراحل متباينة ـ تعرضنا لبعضها فيما سبق.. ولا يزال هذا المصنع يشهد ادخالات وتوسعات حتى فى خطة العمل.

■ وأولى الملاحظات الجديرة بالذكر فى معرض حديثنا عن التطور الهائل للمصنع ومحاولة الوصول الى ارفع مستوى تقنى وفنى ونوعى، أن المصنع استعان بالادارة والخبرة الفنية والعمالية من خارج المملكة وبعد تمام عام واحد استغنى المصنع عن غير السعوديين.

الا ان المصنع عاد قبل أكثر من عشرة أعوام للاستعانة بالخبرة الأجنبية ولكن فى مجال الهندسة فقط، بعد أن أدخلت الآلات فى مجال انتاج الكسوة وكان عدد المهندسين يتجاوز العشرين مهندسا فى مختلف المجالات.

ومن التطورات التى أدخلت على العمل تغيير الكتابة الموجودة على القماش الاسود المنقوش وتعديل بعض الاوضاع فيها، وافتتاح قسم النسيج الآلى الذى اصبح ينتج الثوب بواسطته فى فترة وجيزة جدا لا تتجاوز الثلاثة الشهور.. كما تم احداث قسم التصوير والطباعة الذى ساعد كثيرا فى طبع أى نوع من الكتابة أو الرسم على القماش. وكذلك استحدث قسم الستارة الداخلية وقسم الهدايا وقسم الأعلام والتطريز وكلما احتاج الأمر وسنحت فرصة لادخال أى تطور أو رفع مستوى هذا المصنع فإن المسئولين لا يألون جهدا فى تحقيق ذلك.





■ ولقد كان المصنع فى بداية افتتاحه ينتج قماش ثوب الكعبة الخارجى المنقوش فقط ثم بعد التطورات اصبح ينتج القماش الأسود السادة الذى تطبع عليه القطع المذهبة للستارة والحزام وخلافه ثم انتج القماش (القلع) ثم انتج الحنابل ثم انتج الستارة الداخلية ثم أكياس الهدايا المطبوع عليها شعار المصنع، ثم الأعلام بمختلف أنواعها. . ومن البديهيات فى علوم الصناعة أن تكامل الشىء يمنح غنية فى الوقت والجهد ونوع الانتاج. . ومن ثم كان من الرائع ان مصنع الكسوة ـ منذ افتتاحه وهو يقوم بشتى مراحل صناعة الكسوة من الألف للياء ومن الصفر للمائة. . أما فيما يختص بالخامات، فمنها ما يصنع محليا ومنها ما يتم استيراده من الأسواق العالمية. . والخامات أو المواد الخام التى يتم تصنيعها متنوعة ومتباينة مثل: الحرير الخالص والأسلاك الفضية والذهبية والاصبغة والأحماض والخيوط القطنية. . وتصنع تلك الخامات وتحول الى نسيج بمقاسات معينة وقطع الحزام والمذهبات الى آخر ما يقوم به المصنع.

والجهد متواصل والتفكير لا ينقطع نحو تقديم المزيد من الامكانيات والطاقات لكل اقسام المصنع. . ورعاية حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز المفدى مستمرة وجهود رجال وزارة الحج والاوقاف بقيادة معالى وزيرها الهمام واضحة فى سبيل اهداء بيت الله الحرام كسوة تناسب مكانته فى نفوس المسلمين.

هوامش

(١) الكعبة والكسوة منذ أربعة آلاف سنة حتى اليوم ص١١٩، ١٢٠.

(٢) افتتاح مصنع كسوة الكعبة المشرفة ـ صادر عن وزارة الحج والاوقاف ص١٧، ١٩.

(٣) الكعبة والكسوة ـ احمد عبد الغفور العطار ص١٣١، ١٣٢.

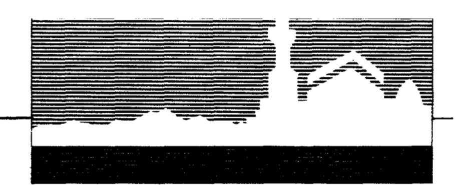
(٤) تاريخ الكعبة المعظمة لحسين باسلامة، طبعة تهامة، ص٢٥٠، والمنتقى فى اخبار أم القرى ـ للمليبارى، هامش ص١٤٣.

(٥، ٦، ٧) الكعبة والكسوة ـ احمد عبد الغفور ص١٣٦، ص١٣٧، ١٣٨، ١٤٠.

(٨) تاريخ الكعبة المعظمة، عمارتها وكسوتها وسدانتها ـ حسين عبد الله باسلامة ـ الطبعة الثانية ص٢٩٢-٢٩٣.

(٩) نشرة من ادارة مصنع كسوة الكعبة المشرفة بتاريخ ١٤٠٦هـ صادرة عن وزارة الحج والاوقاف ص٢٧.

(١٠) المنتقى فى اخبار ام القرى ـ للمليبارى ص١٤٤، ١٤٥.



سدانة الكعبة المشرفــة

■ قد يكون للكلمتين وقع غريب بأذنيك (سدانة ـ سدنة).
ان لم يكن الانسان على علم تام بأمور المسجد الحرام قديما وحديثا، أو كنت غريباً عن هذه البلاد المباركة.

■ فالسدانة هى خدمة الكعبة والسدنة هم خدم الكعبة الذين يقومون بفتحها واغلاقها.. ويعرفون ايضا بالحجبة لانهم يحجبون الكعبة عن العامة(١).

البدايـــة

كانت السدانة بادىء ذى بدء بيد اسماعيل عليه السلام، الذى بنى الكعبة مع أبيه الخليل عليه السلام.. فهو حارسها.. ومسئول عنها.. ﴿وإذ يرفعُ ابراهيمُ القواعدَ من البيت واسماعيلُ ربَّنا تقبَّل مِنَّا إنك أنت السميع العليم﴾.

وقد تزوج اسماعيل امرأة من العمالقة وامره أبوه فطلقها فتزوج من بنت مضاض بن عمرو الجرهمى (وامها نائلة) فولدت له اثنى عشر ولداً ذكراً(٢).

ولاية بنى اسماعيل الكعبة

انتقلت سدانة البيت وولايته بعد وفاة اسماعيل عليه السلام الى ابنه الاكبر «ثابت بن اسماعيل»(٣).

■ وظلت السدانة والولاية فى يد ثابت بن اسماعيل اكبر اخوته الذين اختلف بعض المؤرخين فى بعض اسمائهم فمن قائل: ولد لاسماعيل اثنا عشر ولدا اولهم: ثابت، وقيدر، وأذيل، ومنشى، ومسمح، وديما، وردام ومنشأ وحازم وميم وقطور ونافس، وكل هؤلاء قد أنسل»(٤).

■ وروى عن عبد الرحمن بن عمرو بن العجلان: قال «سمعت علي بن ابى طالب يقول: » ولد لاسماعيل عليه السلام اثنا عشر رجلا وأمهم بنت الحارث بن مضاض بن عمرو الجرهمى. فأكبر اولاد اسماعيل ثابت وقيدر واذيل ومنشأ ومسمح واوناس، وأود وصيبا ومصور وتيش وقيدم ـ كلهم بنو اسماعيل، وكان عمر اسماعيل مائة وثلاثين سنة، فمن ثابت وقيدر نشر الله العرب(٥).

●● ومن الملاحظ هنا اختلاف الروايتين فى بعض الاسماء لكن هذا دأب التاريخ والمؤرخين فما لم يرد خبرٌ معصومٍ كان الخلاف.

ولاية ثابت وانتقال السدانة لجرهم

بعد وفاة ثابت بن اسماعيل ولى أمر البيت بعده (مضاض بن عمرو الجرهمى) وهو جد ثابت بن اسماعيل لأمه.. اى هو أب لامه(٦) ويبدو أن اخوة ثابت كانوا أقل شأنا او اصغر سناً لتولى امر هذا البيت المعظم.

■■ وهكذا انتقلت امور السدانة الى جرهم الا أن الجرهميين انقسموا فريقين:
١ ـ جرهم، وعلى رأسهم مضاض وسكن اعلى مكة وقعيقعان.
٢ ـ قطور وعلى رأسهم السميذع(٧) وسكن اجياد واسفل مكة.

وكل واحدٍ من الفريقين او البطنين فى شأنه، لا يدخل واحد منهما على صاحبه(٨).

■ ثم اشتعلت الحرب بين الفريقين كنتيجة طبيعية للانقسام والتنازع وقُتِلَ السميذع واستقام الامر بمكة لمضاض بن عمرو الجرهمى.. حتى قال:

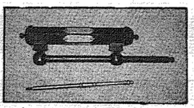
ونحن قتلنا سيِّدَ الحيِّ عنوة
فأصبح فيها وهو حيران موجَعُ
وما كان يبغي ان يكون سواءنا
بها ملكا حتى أتانا السميدعُ
فذاق وبالاً حين حاول ملكنا
وعالجَ منا غصَّةً تتجرَّعُ
فنحن عمرنا البيتَ كنَّا ولاتهُ
نحامي عنه من أتانا وندفَعُ
وما كان يبغي أن يلي ذاك غيرُنا
ولم يك حيٌّ قبلنا ثم يمنع
وكنا ملوكا في الدهور التي مضتْ
ورثنا ملوكا لا ترام فتوضع(٩)

■■ وقد ظلت ولاية البيت الحرام وسدانته لجرهم نحو ثلاثمائة سنة وقيل خمسمائة وستين سنة وقيل ستمائة سنة(١٠)

ولاية خزاعة

لما طالت ولاية جرهم على مكة والبيت وسدانته بدأوا ينسون الله تعالى . . فاستحلوا من الحرم أمورا عظاما ونالوا ما لم يكونوا ينالون ظلما وعدوانا واكلوا مال الكعبة سرقة وغشا حتى دخل رجل منهم بامرأته الكعبة فيقال فجر بها او قَبَّلها فمسخا حجرين(١١).

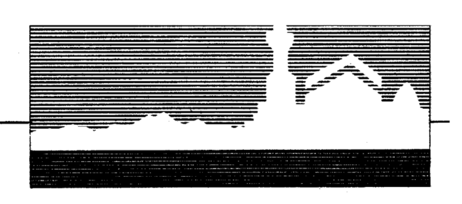
■ فسلط الله تعالى عليهم قبيلا من اليمن من أولاد قحطان فهزمهم واجلاهم في اواخر القرن الثالث او اوائل القرن الرابع



الميلادى بعد قتال دام ثلاثة أيام بلياليها(١٢).

■ وخرج حكيم جرهم (عمرو بن الحرث بن مضاض) وهو ليس بمضاض الاكبر الاول «انما من نسله» وطالما وعظ قومه ونصحهم بتقوى الله فلم يسمع اجابة، خرج يبكي حزينا على ما فارق من امر مكة المكرمة وملكها حزنا شديدا حتى انشد:

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيسٌ ولم يسمر بمكة سامرُ
بلى نحن كنا اهلها فأزالنا
صروفُ الليالي والجدود العواثرُ
وكنا ولاة البيت من بعد ثابت
نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
ونحن ولينا البيت من بعد ثابت
بعز فما تحظى لدينا المكاثرُ
ملكنا فعززنا فأعظم بملكنا
فليس لحي غيرنا ثَم فاخرُ
ألم ينكحوا من غير شخصٍ علمته
فأبناؤها مِنَّا ونحن الاصاهرُ
فإن تنثن الدنيا علينا بحالها
فإن لها غبنا وفيها التشاجرُ
فأخرجنا منها المليك بقدرة
كذلك بين الناس تجرى المقادرُ
اقول اذا نام الخليّ ولم أنم
إذ العرش لا يبعُدْ سهيل وعامر



وبـدِّلْـتُ منهـا أوجـهـا لا أحـبـهـا
وحمـيرٍ قد بدَّلـتْـهَـا والـيَـخَـابـرُ
وصـرنـا أحـاديـثـا وكـنـا بغـبـطـة
كذلـك عضـتـنـا السـنـون الـغـوابـر
فسَـحَّـتْ دمـوعُ الـعـين تبكى لبلدةٍ
بها حرمٌ أمـنٌ وفـيـهـا المـشـاعـرُ
ونـبـكـى لبـيـتِ ليس يُؤذى حمامـه
يظـل به آمـنـا وفـيـه الـعـصـافـر
وفـيـه وحـوشٌ لا ترامُ أنـيـسـةٌ
اذا أخـرجَـتْ منـه فليس تُغـادرُ(١٣)

■■ وولى البيت عمرو بن لحى من خزاعة وكذلك امور السدانة والسقاية وغيرهما من شئون الحرم، ومن بعده ولده، قرابة قرن من الزمان او اكثر حتى آل امره الى قريش بريادة قصى بن كلاب فى القرن الخامس الميلادى(١٤).

ولاية قصى بن كلاب

كان قصى من أولاد مضر.. الا انه عاش مغترباً عن موطن اجداده، منتمياً الى زوج امه (ربيعة بن حرام) من قضاعة ـ. فكره قصى الاقامة فى ارض قضاعة بعد خلافه مع رجل منهم فقال له القضاعى: «الا تلحق بنسبك وقومك فإنك لست مِنَّا» فرجع قصى الى امه مهموماً فقالت له: «والله يا بني أنت خير منه وأكرم.. انت ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لوىء بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانه من أولاد مضرٍ وقومك اصحاب البيت الحرام وما حوله».

■ فلما عاد قصى الى مكة وامرها يومئذ الى (حليل بن حبشية الخزاعى)، وفى يده مفتاح الكعبة وامر سدانتها، خطب اليه ابنته.. ولما عرف حليل نسبه رغب فيه وزوجه وولدت له.

■ وكان حليل إذا اعتل او تعب اعطى المفتاح ابنته لتفتح البيت، فإذا مرضت هى الاخرى اعطت المفتاح زوجها قصيا او بعض اولادها منه.

■ ولما حضرت (حليلا) الوفاة دعا قصياً فجعل له ولاية البيت وسدانته واسلم له المفتاح ـ فلما مات (حليل؛ نازعت خزاعة قصياً بشأن المفتاح وأبت ان يكون معه.. فطلب قصى نصرة اخوانه من بنى كنانة فأجابوه، وأرسل لاخيه من امه بأرض قضاعة فلباه فى جماعة من قومه فلما اجتمع الناس بمكة وكانت ايام حج وكان آخر ايام منى؛ أرسلت قضاعة الى خزاعة يسألونهم ان يسلموا قصيا ما جعل له (حليل).. فأبت خزاعة فاقتتلوا بمفضى مأزَميْ مِنى فسمى ذلك المكان (المفجر) لما فجر فيه وسفك من الدماء ثم تداعوا الى الصلح والتحاكم الى (يعمر بن عون) من كنانة؛ فحكم لقصى الا انه جمع قومه وانزلهم بمكة يستعزّ بهم فكان اول رجل من كنانة يصيب ملكا وكان ذلك تقريبا فى منتصف القرن الخامس الميلادى(١٥).

ومن الجدير بالذكر ان (قصياً) يعتبر الجد الخامس للنبى ﴿ﷺ﴾(١٦).

ولاية عبد الدار

عندما حضرت قصيا الوفاة دفع بمفاتيح الكعبة وولاية البيت وسدانته الى ولده الاكبر (عبد الدار).

روى ابن اسحاق: «قال قصى لعبد الدار: اما والله يا بنى

لألحقنك بالقوم وان كانوا قد شرفوا عليك.. لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون انت تفتحها لهم.. ولا يعقد لقريش لحربها الا انت بيدك.. ولا يشرب رجل بمكة الا من سقايتك.. ولا يأكل احد من اهل الموسم طعاماً الا من طعامك.. ولا يقطع قريش امرا من امورها الا فى دارك فاعطاه دار الندوة التى لا تقضى قريش امراً إلا فيها واعطاه ايضاً الحجابة واللواء والسقاية والرفادة(١٧).

ولاية عثمان بن عبد الدار وابناؤه

ولى امر سدانة الكعبة عثمان بن عبد الدار بعد وفاة والده(١٨) ثم وليها من بعده «عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار» ثم وليها ابو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار(١٩) ثم وليها «عثمان بن طلحة ابن ابى طلحة بن عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى»(٢٠).

ولاية شيبة بن عثمان

وقد أراد الله عز وجل ان يتوفى عثمان بن طلحة ولم يعقب، اى لم تكن له ذرية فانتقلت ولاية البيت وسدانته الى ابن عمه «شيبة بن عثمان»(٢١).



● رئيس سدنة الكعبة السابق المرحوم الشيخ عبد القادر بن على الشيبى.



● الشيخ عبد الله بن عبد القادر الشيبى.

■■ وبهذا انتقلت السدانة وامورها الى بنى شيبة، أو كما عرفوا فى التاريخ بآل الشيبى، وكان اول من امسك بالسدانة وتولاها وجمع بينها فى الجاهلية والاسلام هو عثمان بن طلحة.

(سدنة الكعبة فى الاسلام)

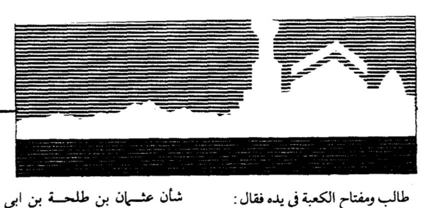
امسك بمفتاح الكعبة آل الشيبى من قديم الزمان حتى من قبل الاسلام وكان وقت فتحها - فتح الكعبة - فى الجاهلية يوم الاثنين ويوم الخميس وذكر الامام الازرقى انها كانت تفتح يومى الاثنين والجمعة وكذلك فى الاسلام كانت تفتح يومى الاثنين والجمعة ما عدا فى شهر رجب فإنها كانت تفتح كل يوم.

■ وقد روى عثمان بن طلحة بن ابى طلحة(٢٢) قال: فتحنا البيت يوما فى الجاهلية فجاء رسول الله (ﷺ) ليدخل مع الناس، فتكلمت بكلام فحلُمَ علىَّ ثم قال يا عثمان أمانك سترى هذا المفتاح يوما بيدى اضعه حيث شئت فقلت: لقد هلكت قريش يومئذٍ وذلت. قال: فقل: بل عزت...، فوقع كلامه فى قلبى وعلمت انه سيصير امر البيت اليه.

قال: فأردت الاسلام فخشيت قومى فقدمت المدينة وأسلمت وأقمت معه حتى خرج فى غزوة الفتح فلما دخل مكة قال: «يا عثمان ائتنى بالمفتاح».

●● وقد ذكر الفاكهى انه صلى الله عليه وسلم لما أتاه عثمان بالمفتاح اخذه منه وفتحها بيده - اى الكعبة - وكان يقال لا يفتح الكعبة الا الحجبة، ويبدو انه صلى الله عليه وسلم فتحها بيده ليبطل الاعتقاد بهذا القول(٢٣).

وروى ابن اسحاق تحققت هذه النبوءة للنبى (ﷺ)، قال: ثم جلس رسول الله (ﷺ) فى المسجد فقام اليه على بن ابى



طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال: يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾: اين عثمان بن طلحة؟ فدعي له. فقال: هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء(٢٤).

نعم: ملك رسول الله ﴿ﷺ﴾ المفتاح وحكم بل وملك البلاد كلها ووضع المفتاح حيث شاء.. اعاده لاهله من آل الشيبي (بني شيبة) وقال صلى الله عليه وسلم قولته الخالدة في نسبة السدانة لآل الشيبي: «خذوها يا بني عبد الدار خالدة تالدة الي يوم القيامة لا ينزعها منكم الا ظالم».

■ وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم بين عضاضتي باب الكعبة فقال: (الا ان كل دم او مال او مأثرة كانت في الجاهلية فهي تحت قدمي هاتين الاسقاية الحاج، وسدانة الكعبة، فإني قد امضيتهما لاهلها على ما كانتا عليه في الجاهلية)(٢٥).

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير صاحب تفسير القرآن العظيم عند كلامه في معنى قوله تعالى: **﴿إنَّ اللهَ يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل﴾** وقد ذكر كثير من المفسرين ان هذه الآية نزلت في شأن عثمان بن طلحة بن ابي طلحة واسم ابي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب القرشي العبدري(٢٦) حاجب الكعبة المعظمة وهو ابن عم شيبة بن عثمان بن ابي طلحة الذي صارت الحجابة في نسله الى اليوم.. اسلم عثمان هذا في الهدنة بين صلح الحديبية وفتح مكة هو وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص، واما عمه عثمان بن ابي طلحة فكان معه لواء المشركين يوم احد وقتل يومئذ كافراً ـ وانما نبهنا على هذا النسب لان كثيرا من المفسرين قد يشتبه عليه هذا بهذا وسبب نزولها فيه لما اخذ منه رسول الله ﴿ﷺ﴾ مفتاح الكعبة يوم الفتح ثم رده اليه(٢٧).

■ وقد ذكر بعض المؤرخين والفقهاء ما يؤيد ان تقديم السدانة على ما يبدو كان لاكبر اسرة الشيبيين سنا والنبي ﴿ﷺ﴾ دفع المفتاح يوم الفتح الي عثمان لانه اكبرهم سنا مع وجود شيبة بن عثمان بن ابي طلحة، فلما هاجر عثمان الى المدينة المنورة دفع المفتاح الى ابن عمه شيبة، فلما رجع عثمان الى مكة المكرمة اخذ المفتاح منه وبقي في يده الى ان مات سنة (٤٢) للهجرة فتولى السدانة بعده ابن عمه شيبة الى ان توفى سنة (٥٩هـ) وعلى مر القرون والسنوات باستقراء معالم التاريخ واقوال المؤرخين يثبت لنا بقاء هذا المفتاح وامر السدانة في آل الشيبي.

■ فقد ذكر الزبير بن بكار القرشي صاحب كتاب «النسب» فقال: «فبنوا ابي طلحة هم الذين يتولون سدانة الكعبة الى اليوم دون سائر بني عبد الدار» ومن الثابت ان الزبير بن بكار قد عاش الى سنة ٢٥٦هـ الى خلافة هشام بن عبد الملك.

■ وكذلك ذكرهم الامام الازرقي في تاريخه وقد مات الازرقي نحو عام ٢٥٠هـ، وقد تعرض الفاكهي بالذكر لوجودهم في عهده او في عصره وقد عاش هذا المؤرخ الى عام ٢٨٠ للهجرة.

■■ وهذا هو العلامة المؤرخ الفقيه ابن حزم الظاهري يذكرهم في (جمهرة النسب) ويقول: «فبنوا ابي طلحة الى اليوم ولاة البيت» ومن الثابت تاريخيا ان الامام ابن حزم توفى عام ٤٥٦هـ.

■■ وكذلك الحافظ بن عبد البر في (الاستيعاب) قال: شيبة هذا هو جد بني شيبة حجبة الكعبة الى اليوم دون سائر الناس اجمعين. ومن المعلوم ان ابن عبد البر قد عاش الى سنة ٤٦٩ للهجرة وقد

شهد الحافظ البغوي ببقاء السدانة ببنى شيبة ومات البغوي عام ٥١٦هـ.

■ وهـذا هو الامام الكبير المحب الطـبرى المكـى بعـد ان روى الحديث الصحيح الصريح الذى اورده كثير من الحفـاظ وهو قوله ﴿ﷺ﴾ لعثـمان بن ابى طلحـة «خذوها يا بنى ابى طلحة خالدة تالدة . . » عقب الطبرى على هذا الحـديث بقـولـه «ويشهـد لهذا الحـديث بقـاء عقبهم ومعلوم ان المحب الطـبرى قد توفاه الله عام ٦٠٣ للهجرة.

ويأتى العـالم الكبير من علماء الـقـرون الـوسطـى (احمـد القلقشنـدى) فيقـول: فى كتـابـه (نهـايـة الارب فى معـرفة انساب العرب) عن بنى شيبة (هم حجبة الكعبـة المعروفون ببنى شيبة الى الآن). . وقـد عاش هذا العـالم الكبير الى ما بعد عام ٧٢١هـ.

■ وقد ذكر ابن كثير بقاء الحجابة فى نسل عثمان بن طلحة حتى أيامه وابن كثير توفاه الله عام ٧٧٤هـ.

وهـذا هو العـالم المحقق المـدقق الكبير «محمد بن يعقوب الفيروز آبادى» يقول فى القاموس المحيط: «وشيبـة بن عثـمان الحجبى(٢٨) مفتـاح الكعبة مسلم الى اولاده) وثـابت وشهـير ان وفاة هذا العالم الكبير كانت سنة ٨١٧هـ.

■ وقد تحدث الحافظ ابن حجر فى



● الشيخ محمد الامين بن عبد الله بن عبد القادر الشيبى.



● سادن الكعبة الحالى.

نسلهم وبقـاء الحجـابـة والسدانة بأيديهم وذكر ذلك فى كثير من كتبه وصـرح فى كتابه (تبصير المنتبه فى تحريـر المشتبـه) بقوله: «وهم الى اليـوم لا يلتبسـون» ومشهور وفاة الحافظ ابن حجر سنة ٨٥٢هـ.

■ وقـال الخطيـب فى تفسـيره (السراج المنير) وهم الى* اليوم والى يوم القيامة وقد عاش حتى سنة ٩٦٨هـ.

■ ومـن قبلـه شهـد ببقـائـهم (القسطلانى) المتوفى سنة ٩٢٣ للهجرة.

■■ وبعد الألف الهجرية الاولى شهد ببقاء السدانة فى آل الشيبى (حقى افنـدى) فى تفسـيره (روح البيان) وقال: «وهم الى اليوم والى يوم القيـامـة» وقد عاش الى سنة ١١٠٠ للهجرة.

■ وقال الشيخ (سليمان الجمل) فى حاشيته على (الجلالين) وهم الى اليوم ولاة البيت والى يوم القيامة ومعلوم انـه عاش الى آخر القرن الثانى عشر (١٢٠٠هـ).

■ وهذا هو الشيخ (الامير المالكى) الـذى عاش الـى ما بعـد (١٢٠٠هـ) يقول فى (المجموع): «لا يشـرك مع الحجبـة احد لانه ولاية منه صلى الله عليه وسلم».

وظل ذكر آل الشيبى واردا فى سائر كتب تاريخ مكة المكرمة. . فذكـرهم الحـافظ نجم الدين بن فهد القرشى فى تاريخه. . وذكرهم قطب الـدين الحنفى فى كتـابـه الاعلام. . وذكرهم على بن عبد القـادر الطبرى فى كتـابه (الارج المسكى). . وذكـرهم السنجارى فى تاريخه فى عدة مواضع وغيرهم كثيرون(٢٩).

بعض اسماء السدنة المشهورين





● الشيخ طه عبد الله الشيبي.



● الشيخ محمد صالح احمد زين العابدين الشيبي.

اشتهرت بعض اسماء سدنة بيت الله الحرام مع نهاية الالف الاولى للهجرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

● الشيخ محمد بن ابى بكر بن ناصر بن احمد العبدرى الشيبى (الملقب بالجمال)، وقد ولى السدانة بعد (محمد بن يوسف الشيبى) فى اوائل جمادى الاولى عام ٧٤٩هـ وتوفى فى عام سبعمائة وبضع وسبعين.

● الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن طلحة بن الحارث بن طلحة بن ابى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى(٣٠).

● الشيخ محمد بن على بن ابى راجح بن محمد ادريس العبدرى الشيبى الحجبى المكى جمال الدين بن نور الدين.

وقد تولى فتح الكعبة بعد موت قريبه: فخر الدين ابى بكر محمد بن ابى بكر الشيبى وذلك فى صفر او ربيع الاول من عام ٨١٧ للهجرة وظل متوليا امر السدانة حتى توفاه الله يوم الخميس ١٣ جمادى الاولى سنة ٨٢٧هـ بمكة المكرمة.

● وتولى بعده من اقربائه الشيخ «نور الدين على بن احمد الشيبى» المعروف (بالعراقى).

● وكذلك من مشاهير من تولوا الشيخ يحيى بن على بن يحيى الشيبى.

● وتولى بعده الشيخ محمد بن يوسف بن ادريس بن مفرج بن غانم الشيبى، شيخ الحجبة وفاتح الكعبة وتوفى عام ٧٤٩هـ(٣١).

اشهر اسماء السدنة بعد الألف الهجرية

● اشتهرت اسماء عديدة لاعلام من السادة السدنة منهم:

● الشيخ عبد الواحد بن محمد جمال الدين بن القاسم بن ابى السعود وقد تولى السدانة سنة ١٠٨٠هـ.

● الشيخ عبد القادر بن على بن محمد بن زين العابدين بن محمد بن عبد المعطى بن عبد الواحد، تولى السدانة سنة ١١٠٤هـ.

● الشيخ محمد بن زين العابدين وقد اخذه شريف مكة الامير غالب بن مساعد وهو طفل ورباه بداره كأولاده واكرمه الى ان كبر وتولى امر السدانة حوالى ٤٣ سنة وكان عالما فاضلا وقد توفى سنة ١٢٥٣هـ.

● وكان له من الذكور ستة اولاد هم: «عبد القادر.. سليمان.. جعفر.. احمد.. عبد الله.. على».

● بعد وفاة الشيخ محمد بن زين العابدين تولى رئاسة السدنة اكبر اولاده الشيخ عبد القادر.. وذلك عام ١٢٥٣هـ ومكثت بيده المشيخة ومفتاح الكعبة سبع سنين وتوفى عام ١٢٦٠هـ.

● تولى بعده مشيخة السدنة اخوه

الشيخ سليمان بن محمد، فى عام ١٢٦٠هـ، الا انه لم يمكث رئيسا للسدانة والسدنة الا عاما واحداً اذ توفى سنة ١٢٦١هـ.

● تولى بعده المشيخة الشيخ جعفر بن محمد وهو اخو الشيخ سليمان، وذلك فى عام ١٢٦١هـ ومن عجائب الاخبار انه لم يمكث بالرئاسة على السدانة والسدنة الا عاما واحدا كأخيه، اذ توفى فى عامه اللاحق سنة ١٢٦٢هـ.

● ثم تولى امور السدانة بعده، اخوه الشيخ «احمد بن محمد» عام ١٢٧٤هـ. وكانت مدة رئاسة الشيخ احمد اثنتى عشرة سنة.

● ثم تولى بعده الشيخ عبد الله بن محمد الشيبى فى نفس عام ١٣٢٦٢هـ ومكثت السدانة بيده مدة اثنتين وعشرين سنة، حتى توفاه الله عام ١٢٩٦هـ.

ومن الجدير بالذكر انه آخر من تولى سدانة الكعبة المعظمة من أولاد الشيخ محمد بن زين العابدين الشيبى(٣٢).

وألطف تعبير قرأته عن هؤلاء السابقين قول باسلامه فى كتابه الرائع «تاريخ الكعبة»: «فهؤلاء الطبقة الاولى من اولاد الشيخ محمد بن زين العابدين الشيبى»، فقد جعلهم خمس طبقات ليسهل تصنيفهم (يهمنا منهم الطبقات الثلاث التى ذكرها).

■ ونود هنا أن نثبت بيان الطبقة الثانية من السدنة بعد الالف الهجرية.. والطبقة الثانية من السدنة بعد الالف الهجرية هم ابناء الابناء ـ او هم احفاد الشيخ محمد بن زين العابدين الشيبى.

واول السدنة من هذه الطبقة هو الشيخ عمر بن جعفر بن محمد الشيبى وقد تولى الرئاسة بعد وفاة عمه الشيخ عبد الله بن محمد سنة ١٢٩٦هـ.

وقد حكى صاحب (تاريخ الكعبة المعظمة) انه لما توفى الشيخ عبد الله الشيبى كان الشيخ عمر غائبا فى بلاد جاوا فارسل اليه ابن عمه الشيخ عبد القادر بن على الشيبى رسولاً خاصاً الى بلاد جاوا يخبره الخبر فلما بلغه هذا النبأ حضر من بلاد جاوا وتولى امور السدانة ومهامها.

وقد ظل الشيخ عمر رئيسا للسدنة ثمانى سنوات، حتى توفاه الله عام ١٣٠٤هـ.

■ وبعد وفاة الشيخ عمر تولى مشيخة السدانة ومهامها ابن عمه الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الشيبى بن محمد بن زين العابدين الشيبى، وذلك فى نفس العام ١٣٠٤هـ.

وظل يتولى شئونها ومهامها حوالى سبع سنوات حتى عزل عن رئاسة السدنة عام ١٣١١هـ. وأخذ منه المفتاح وكان ذلك فى عهد شريف مكة عون الرفيق الذى حدث بينه وبين والى الحجاز آنذاك خلاف كبير انضم فيه الشيخ عبد الرحمن الى حزب والى الحجاز، وانجلى الخلاف بعد رفعه الى مقام السلطان عبد الحميد الذى اصدر امره بعزل والى الحجاز عثمان نورى باشا ونفى كل من وقف الى جانبه من الحجاز، الا انه لطف بالشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الشيبى وامر بمغادرته مكة وسكنى (الهدا) وهى قرية صغيرة واقعة بسطح جبل (حمرا) الواقع بشرق مكة بينها وبين الطائف.. ومكث الشيخ عبد الرحمن بالهدا تسع سنوات الى ان فارق الحياة الى رحمة الله عام ١٣٢٠هـ ودفن بها(٣٣).

●● وعندما عزل عن السدانة الشيخ عبد الرحمن تولاها ابن عمه الشيخ محمد صالح بن احمد بن محمد الشيبى وذلك فى عام ١٣١١هـ.

وقد مكث هذا الرجل ٢٤ عاما رئيسا للسدنة، وكان شهماً هماماً. وقد توفاه الله عن ٦٤ عاما بمكة المكرمة يوم عيد النحر فى العاشر من ذى الحجة سنة ١٣٣٥هـ.

ثم تولى رئاسة السدنة الشيخ عبد القادر بن على بن محمد الشيبى عام ١٣٣٥هـ وكانت له منزلة عالية عند جلالة المغفور له



الملك عبد العزيز آل سعود.

وقد ظل يوالى مهامه ويقوم بأعباء وظيفته حوالى ١٦ عاما الى ان توفى بمكة المكرمة فى ١٠ رمضان ١٣٥١هـ عن ثمانين عاما.

ومن لطيف ما ذكر الاستاذ باسلامة رحمه الله - انه اعتبر وفاة الشيخ عبد القادر الشيبى نهاية الطبقة الثانية من السدنة احفاد الشيخ محمد بن زين العابدين الشيبى.

الطبقة الثالثة: هم ابناء الاحفاد من آل الشيبى:

واول من تولى رئاسة السدنة من الطبقة الثالثة الشيخ محمد بن محمد صالح بن احمد بن محمد بن زين العابدين الشيبى وقد تولى رئاسة السدنة ومهام السدانة فى ١١ رمضان سنة ١٣٥١هـ(٣٤).

ومن الجدير بالذكر أن السادن الثانى بعد الشيخ محمد هو فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد القادر بن محمد بن زين العابدين الشيبى وكان له من الاولاد الذكور ستة.

●● والذى تولى رئاسة السدانة ومهامها بعد الشيخ محمد بن محمد صالح هو الشيخ محمد امين الولد الاكبر للسادن الثانى الشيخ عبد الله بن عبد القادر والشيخ محمد امين من مواليد ١٣٢٥هـ.

وبعد وفاة الشيخ امين تولى من بعده امر السدانة الاخ الثانى للشيخ محمد أمين، الشيخ طه عبد الله الشيبى وهو من مواليد سنة ١٣٣٣هـ(٣٥) رحمه الله.

وكان كبير السدنة وشيخهم ومرجعهم وكان بيده مفاتيح الكعبة.. رحمه الله.

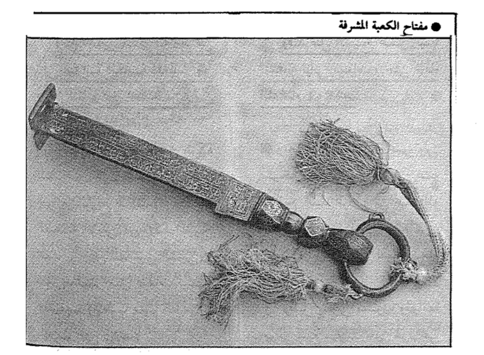
■ وقد ذكر الشيخ طه عبد الله الشيبى - رحمه الله - فى حديث لجريدة الجزيرة(٣٦) ان عدد افراد اسرتهم (١٢٨ فردا ذكورا واناثا) وقد توفاه الله بتاريخ ١٤٠٧/١/١٢هـ وقد ذكر لى قبل وفاته بأيام انه من بعده سيتولى السدانة عاصم عبد الله الشيبى.

وقد تولى سدانة الكعبة حاليا بعد وفاة الشيخ طه الشيبى ابن عمه الشيخ عاصم عبد الله الشيبى.

■ هكذا تنتهى رحلتنا اللطيفة مع سلسلة نسب آل الشيبى منذ عهد اسماعيل عليه السلام حتى عهدنا الحديث وسبحان الله فمازال مفتاح الكعبة يتناقله الخلف بعد السلف من آل الشيبى وصدق رسول الله ﴿ﷺ﴾ «خذوها بنى طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم، وانى لم ادفعها لكم ولكن الله دفعها لكم».

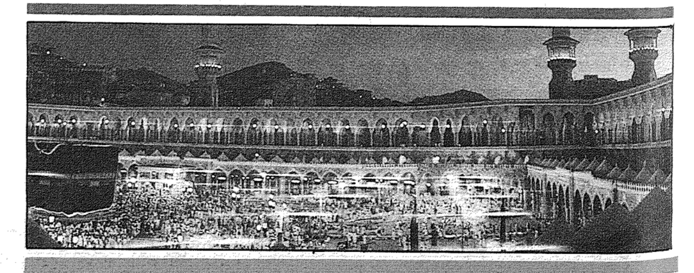
■ وهكذا تمضى إرادة الله عز وجل، وتثبت الايام صدق نبوءة رسول الله ﴿ﷺ﴾، ويزداد آل الشيبى شرفاً فوق شرف بخدمة كعبة الله المعظمة.

● مفتاح الكعبة المشرفة



هوامش

(١) مادة (سدن) في القاموس المحيط للفيروز آبدى - الجزء الرابع ص٢٣٥.
(٢) ام القرى مكة المكرمة - فؤاد على رضا ص١٠٩.
(٣) اخبار مكة الازرقى، الجزء الاول ص٨١.
(٤) مروج الذهب - للمسعودى، الجزء الثانى ص٤٩.
(٥) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام - الفاسى ص٣٠.
(٦) اخبار مكة - الازرقى - الجزء الاول ص٨١،٨٢.
(٧) ورد هكذا بالذال وان كانت بعض المصادر العربية ذكرته بالدال المعجمة (السميدع)، وفى لسان العرب ورد معنى السميدع بانه ذو الصفات الطيبة الممتازة. وقد رجح صحة ذكره بالمعجمة الاستاذ احمد السباعى فى كتابه تاريخ مكة - حاشية، ص٢٠
(٨، ٩، ١١) اخبار مكة - الازرقى - الجزء الاول ص٨٢، ٨٣، ٩٠.
(١٠، ١٣) شفاء الغرام باخبار البيت الحرام، الفاسى، الجزء الاول ص٥٨٥، ٥٩٥.
(١٢، ١٤) تاريخ مكة - الجزء الاول - احمد السباعى ص٢٣، ٢٥.
(١٥) تاريخ الكعبة المعظمة - حسين عبد الله باسلامه ص٣٠١.
(١٦) شفاء الغرام باخبار البلد الحرام - الفاسى - الجزء الثانى ص١٢١.
(١٧) تارخ مكة - الازرقى - الجزء الاول ص١١٠.
(١٨) تاريخ الكعبة المعظمة - حسين عبد الله باسلامة ص٣١٥.
(١٩، ٢٠) مرآة الحرمين - ابراهيم رفعت، الجزء الاول، ص٢٩٩.
(٢١) هو عثمان بن طلحة بن ابى طلحة واسمه عبد العزى بن عبد الدار العبدرى اسلم عثمان هذا يوم الحديبية وهاجر مع خالد بن الوليد وشهد الفتح مع النبى ﴿ﷺ﴾ وكان ثالث ثلاثة دخلوا الكعبة مع النبى ﴿ﷺ﴾ وهم بلال وعثمان واسامة بن زيد.
(٢٢) المنتقى فى اخبار ام القرى ص١٤٥.
(٢٣) سيرة ابن هشام - الجزآن ٣، ٤ ص٤١٢.
(٢٤) تاريخ الكعبة المعظمة - حسين عبد الله باسلامة ص٣١٧.
(٢٥) العبدرى، نسبة الى عبد الدار بن قصى - حاشية كتاب اعلام الانام بتاريخ بيت الله الحرام - محمد صالح بن احمد بن زين العابدين الشيبى - حاشية ص٦١.
(٢٦) تفسير القرآن العظيم للامام ابن كثير.
(٢٧) الحجبى: نسبة للحجبة لان الحجبة يحجبون البيت اى يمنعونه والحجابة منصب بنى شيبة انظر حاشية اعلام الانام بتاريخ بيت الله الحرام - محمد صالح بن احمد بن زين العابدين الشيبى - حاشية ص٦١.
(٢٨) تاريخ الكعبة المعظمة: حسين عبد الله باسلامة - من ص٣٣٢ الى ص٣٣٤.
(٢٩) ذكره ابن حبان فى الثقات وروى عنه ابو داود.
(٣٠) تاريخ الكعبة المعظمة - باسلامة - من ص٣٣٦ الى ص٣٣٨.
(٣١) تاريخ مكة المعظمة - باسلامة ص٣٣٨ الى ص٣٤٠.
(٣٢) اعلام الانام بتاريخ بين الله الحرام - محمد صالح بن احمد بن زين العابدين الشيبى، ص٣٩.
(٣٣) تاريخ الكعبة المعظمة - حسين عبد الله باسلامة - ص٣٤٠ الى ص٣٤٣.
(٣٤) تاريخ الكعبة المعظمة - باسلامة ص ٣٤٢، ٣٤٤.
(٣٥) انظر العدد (٣٣٨٦) بتاريخ ١٤٠٢/٢/١٥هـ.





هدايا الكعبة.. وآثارها
ومعاليقها قبل الاسلام

عبدالقدوس الأنصاري

يبدو من كلام المؤرخين المسلمين أن أولى الهدايا التى قدمت الى الكعبة هى هدايا فارس، فى صدر الزمان.. فقد أهدى الفرس الى الكعبة لؤلؤاً وجواهر، وقالوا: ان ساسان بن بابك هو الذى قدم تلك الهدايا الى البيت الحرام.. كما قدم اليها جواهر وسيوفاً، وغزالين من ذهب، وذهباً كثيرا. وقد دفن الغزالان الذهبيان فيما بعد فى بئر زمزم، ثم استخرجهما منها عبد المطلب، وبقيا بالكعبة حتى سرق أحدهما نفر من شباب مكة الجاهليين كان منهم أبـو لهب وابنه وأبو مسافع وآخرون، وقد قال المؤرخ المسعودى فى كتابه (مروج الذهب): ان ساسان أول ملوك ساسان، وأبوهم الذي يرجعون اليه، كرجوع ملوك المروانية الى مروان بن الحكم، وخلفاء العباسيين الى العباس بن عبد المطلب.

■ وقد أهدى غزالين من ذهب وجواهر وسيوفا وذهبا كثيرا قد دفن فى زمزم(١).

■ ومن أقدم الآثار بالكعبة ذلك الجب ـ أى البئر ـ التى حفرها ابراهيم عليه السلام ابان بنائه للكعبة وقد جعلها مخزناً أميناً فى داخل الكعبة لهداياها، وتقع على يمين الداخل اليها، وعمقها ثلاث أذرع، وتوضع فيها هداياها، وتحفظ بها، فلا يصلها سارق أو عاد أو غاصب، ثم قدر أن حارس هذا الجب أو هذه الخزانة الجرهمى قد استهواه بريق ذهب الجب، فاستغـل وظيفة حراسته للجب فجمع هداياه الثمينة.. وقد انتظر مليا حتى هدأ الناس فى منازلهم بعد الظهيرة. فنزل الى الجب وجمع ما فيه وصعد به.. الى أعلاه، ليأخذه الى بيته فى غفلة من الناس، وحدث أن هبطت عليه صخرة من فم الجب عاقته عن الصعود، وبقى معلقا حتى أخرجه الناس، وأخذوا ما حمله من الجب وأعادوا ما وجدوه فى ثوبه الى الجب(٢).

وبسبب حادث هذه السرقة التى لم تنجح، من الجب، لقب عرب الجاهلية سارق الجب المذكور «بالأخسف أو الأخشف» تسجيلا لحادث ذلك اللص الجرهمى الذى أخفق فى سرقته لهدايا الجب اذ حاصرته الصخرة الساقطة عليه من أعلى الجب وعاقته عن تنفيذ خطته على ما رووه لنا(٣).

وقد مكث المال الذى فى هذا الجب ينمو بتتابع الهدايا عليه وقد ورد فى كتاب الأزرقى عنه قوله: (وذكروا أن النبى ﴿ﷺ﴾ وجد بالجب سبعين ألف أوقية من ذهب، مما كان يهدى الى البيت فلم يحركه(٤).

■ ويرى ابراهيم الحربى أن قريشا حفرت الجب فى جوف الكعبة.. وهذا نص قوله: (وكان البيت يكرم على وجه

الدهر ويهدى له، فحفرت قريش فى جوفه حفيرة يجعلون هداياهم فى تلك البئر يرتضون رجلا فيجعلونه على تلك البئر. فبينما الرجل الذى ارتضوه عليها فسولت له نفسه خيانة فلما انقطعت الظلال وخفت المجالس بسط ثوبه ثم اخذ منها ثلاثة مرار؟ يحمله فى ثوبه فقيض الله عليه منها حجراً فى الثالثة فحبسه محنياً رأسه أسفله، فراح الناس فأخرجوه وأعادوا اليها ما كان أخذ منها(٥).

وهذا الرأى لا يتفق مع آراء أغلب الاخباريين الذين قالوا: ان الذى حفر الجب هو ابراهيم عليه السلام. اللهم الا اذا كان ابراهيم الحربى، يقصد الحفر الثانى للجب عند بناء قريش للبيت رابع مرة، فهذا قد يبدو أنه مقبول اكثر ان ثبت تاريخياً حدوثه.

من تعاليق الكعبة: قرنا الكبش الذى فدي به اسماعيل

ومن الآثار العتيقة فى البيت العتيق قرنا الكبش.. كبش الفداء الذى فدى الله به اسماعيل من الذبح، وكان تعريضه للذبح بأمر من الله تعالى لنبيه ابراهيم عليهما السلام، قبل بنايته للكعبة، واسماعيل يومئذ غلام، وقد أثبت أكابر الرجال الثقات بالأسناد المسلسلة أن القرنين المشار اليهما كانا مثبتين فى جدار الكعبة بداخلها.. وأن النبى ﴿ﷺ﴾ لما رآهما أمر عثمان بن طلحة الجمحى بسترهما بخمار، لكيلا يشغلا المصلى فى الكعبة.. ولكنه لم يأمر بأخراجهما من الكعبة واتلافهما كما فعل مع الأصنام والصور.. بل استبقاهما فى مكانهما من الكعبة، وظلا به الى عهد الخليفة عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما.

■ أما جواد علي فيقول: (ويرمز القرنان الى قرنى الكبش الذى ذبحه ابراهيم الخليل) ويقول: انه نقل ذلك عن الأزرقى. والذى وجدته فى تاريخ مكة للأزرقى لا يقول بذلك وانما الذى فيه نصا أن القرنين هما قرنا الكبش الذى فدى به اسماعيل بن ابراهيم. وقد روى العلماء الاسلاميون والمؤرخون هذا القول عن الأزرقي ولم يشيروا الى أنه قال: ان القرنين رمزا الى قرنى الكبش. وشتان بين أن يكونا هما قرنى كبش الفداء بذاتهما وبذاته، وبين أن يكونا رمزاً لهما.. أى صورة مجسمة لهما.

●● وربما كان جواد على، تبع فى هذا القول كدأبه فى أغلب الأحيان ـ المنهج الذى اختطه كثير من المستشرقين عندما يعالجون قضايا التاريخ العربى بالتفكير الغربى، فى جاهلية العرب وفى اسلامهم، محاولة منهم لتزييف حقائق تاريخ العرب والاسلام، اذ ينصبون أنفسهم (أوصياء) مفوضين على هذا التاريخ العربى أجمع.. فيرسمون لكل ذلك مخططات نابعة من البيئة الغربية الاستشراقية غربية النزعة والعناصر التى لا تمت الى بيئة العرب ولا مفاهيمهم ولا تاريخهم بسبب أو صلة.

■ وبعد فان القرنين المذكورين قد ثبت أثريا وتاريخياً أنهما قرنا الكبش الذى فدى به اسماعيل، وقد احتفظ العرب بهما نحو ألفى عام ونصف الألف كأثر قديم مهم من آثار حادث جلل وقع لجدهم الأعلى أبى الأنبياء ابراهيم وابنه اسماعيل ـ من الله عز وجل.. حتى جاء الاسلام فشوهدا على ما هو معروف، لدى قريش ابان جاهليتهم. وفى طليعة من شاهدهما وأمر بسترهما بخمار لئلا يشغلا المصلى بداخل الكعبة من صلاته لما لهما من تاريخ عريق ـ محمد رسول الله. وقد رآهما كثيرون من الصحابة والتابعين وقرر بعضهم أنهما قرنا الكبش بذاتهما.. واذن فما قرره الدكتور جواد على، هو رأي «مكيف» بمنهج اولئك المستشرقين فى معالجة قضايا تاريخ هذه البلاد العربية على أسوأ الفروض والاحتمالات وعلى ما يروق لهم.. فقد نصبوا انفسهم تلقائياً وافتئاتاً بغير ناصب ولا جازم فى غياب مثقفى



البلاد العربية والاسلامية ـ أوصياء على الفكر العربى مطلقى التصرف فى تسيير دفة سفينة تاريخ اسلافنا. فسيروا قوافل تاريخهم لها فى سبل لم تمر بها، ولم يكن لها وجود، ولم يكن لسفنهم البرية والبحرية المام بها ولا مرور عليها ولا اجتيازها، لا فى بلادهم ولا فى حياتهم الماضية.

■ ومما يدعم أنهما قرنا كبش الفداء تواتر ذلك لدى عرب الجاهلية عبر القرون الخالية الى أن جاء الاسلام فأقر ذلك رسول الله الصادق المصدوق، وأثبته الصحابة العدول، فى حياته صلى الله عليه وسلم وبعد انتقاله الى الرفيق الأعلى أيضاً.

المعلقات من تعاليق الكعبة أيضاً

هذا ومن تعاليق الكعبة قبل الاسلام على ما روته لنا بعض المراجع التاريخية.. المعلقات التى نظمها شعراء جاهليون معروفون من أهل الجزيرة العربية مهد العروبة والاسلام. وهى سبع معلقات أو عشر، وقد سماها العرب (معلقات) لأنهن علقن بالكعبة فى الجاهلية القريبة من عهد الاسلام تقديراً لروعة لغتهن وجمال أسلوبهن العربى الممتاز (على ما ورد فى بعض المراجع التاريخية والأدبية العربية).

■ وكانت هذه القصائد تلقى فى ثلاث أسواق عربية هى: **سوق عكاظ، وسوقا مجنة وذى المجاز**، وهذه الأسواق الثلاث تقع فى أماكن متقاربة قريبة من مكة المكرمة. وتحوز القصيدة الملقاة فى سوق من هذه الأسواق الثلاث استحسان الجمهور العربى المستمع لها فى السوق الملقاة فيها فتفوز بتقدير خاص وعام، ويتمثل هذا التقدير المزدوج فى تعليقها بالكعبة بعد أن تكون كتبت على الحرير المصرى بأحرف من الذهب.. وموضوعات هذه المعلقات غالباً هى: الحب، والحرب، وربما الحكم والصيد، ومغامرات الشاعر فى رحلاته، الى شىء من وصف الشاعر لمناظر طبعية للبلاد العربية التى ارتسمت فى مخيلته بعد أن أعجبته أو أزعجته، ثمرة تكراره للمرور، بها والنزول فى مرابعها والاستمتاع بهوائها الطلق العليل وشمسها وبدرها المشرقين ونجومها الزاهرة وظبائها الجميلة العين، من الأنسيات والوحشيات فى ضوء وفى جمال الليالى المقمرة ذات الهواء السجسج العليل، أو عكس ذلك.

■ وهذه القصائد هى من الشعر العربى الموزون المقفى.. وقد أقر ابن عبد ربه، قضية تعليق القصائد السبع فى الكعبة ونفاه ابن خلدون، ومثله آخرون على انه لم يرد اسم المعلقات فى مادة (علق) لا فى (القاموس المحيط) ولا فى (لسان العرب) ولا في كثير من مصادر الشعر العربى والأدب العربى القديمة.

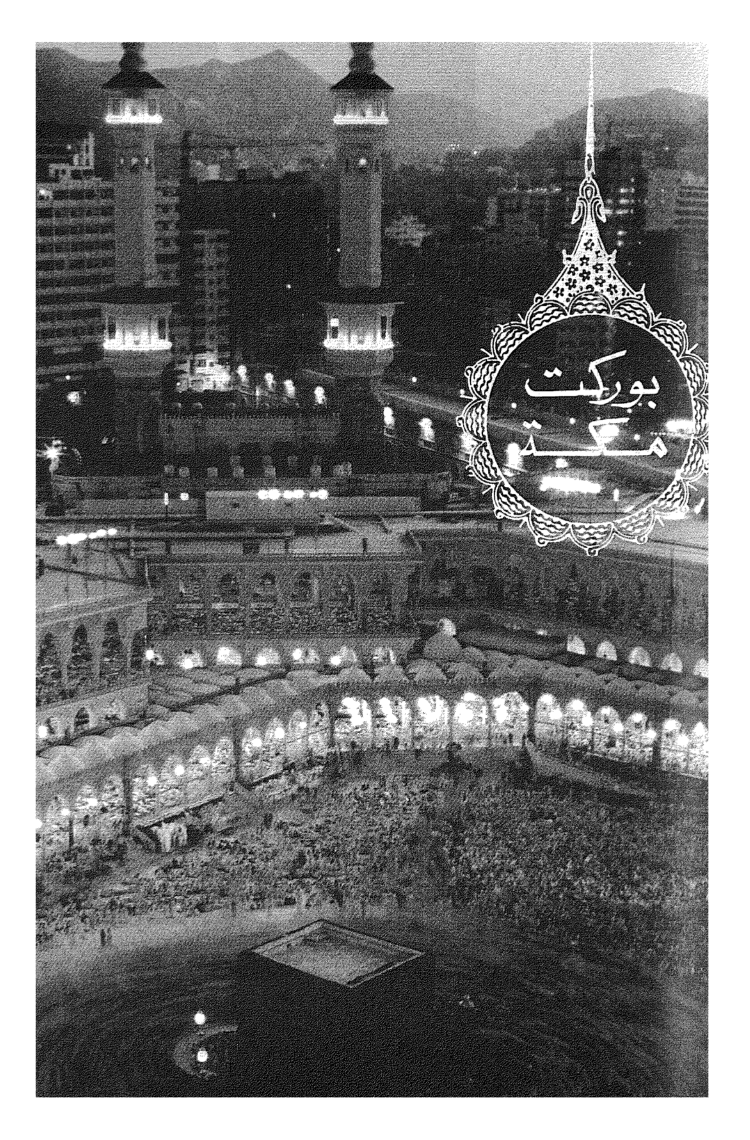
(١) مروج الذهب للمسعودى ١/ ٢٦٥

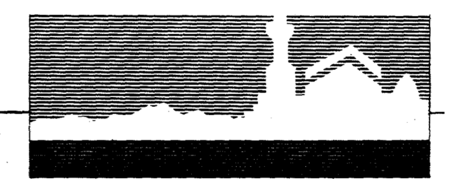
(٢) أخبار مكة لأبى الوليد الازرقى باختصار ص٦٦/ ج ط المطبعة الماجدية بمكة المكرمة.

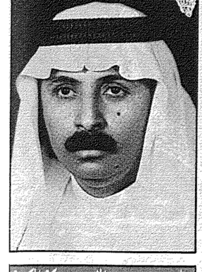
(٣) نفس المصدر ص ١٦٢.

(٤) نفس المصدر ص ١٦٣.

(٥) ابراهيم الحربى ـ كتابه فى المناسك واماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ص ٤٨٦. ويلاحظ القارىء الاضطراب اللفظى فى بعض كلمات هذا النص وكان المحقق رأى أن يقدم للقراء النص الاصلى كما كتب فى النسخة التى لديه.


بورکت
مکة







بقلم: محمد موسم المفرجي ـ مكة المكرمة

■ من بطحائها تعبق رائحة الايمان . . ومن جبالها يشع النور . . نور الهداية والرسالة المحمدية التى بددت الظلمات وإليها تهوي القلوب وتخفق الجوانح .

وللشعراء امام جلالها وقفة فيها الخشوع وفيها اليقين، وفيها التبتل، وفيها الخضوع . تذرف العيون . . وتفيض المشاعر . . وتتدفق القرائح . . شاعرية زكية يفوح منها الشذا وتهويمات الشعراء أكثر من أن تحصى أو تحصر فى مقالة أو مساحة كهذه . . وهى أوسع من أن يلم بها باحث أو يستقصيها دارس . . لارتباطها التاريخى الموغل فى القدم بهذه الأمة منذ «أن أذن نبى الله إبراهيم فى الناس» فاستجيب دعاؤه . . ومنذ أن استودع فيها «كبده» . . ﴿ربِّ إنى أسكنتُ من ذريتى بوادٍ غير ذى زرعٍ عند بيتك المحرم﴾ ومنذ ذلك الحين والمهج تتلهف . . والأفئدة تتوقد . . وقد تطرقت العديد بل الكثير من المراجع والمصادر الى سبب التسمية «مكة» إذ تقول :

■ **مكـة :** بيت الله الحرام إذ يقول أبو بكر بن الأنبارى . . سميت مكة لأنها تمكُّ الجبارين . أي تذهب نخوتهم .

■ **ويقال :** إنما سميت مكة لازدحام الناس فيها .

■ **ويقال :** مكة اسم المدينة . . وبكّه اسم البيت .

■ **وقال آخرون :** مكة هى بكة . . وقال الشرقي بن القطامى : «إنما سميت مكة لأن العرب فى الجاهلية كانت تقول : لا يتم حجنا حتى نأتى مكان الكعبة فنمكُ فيه أي نصفر صفير المكاء حول الكعبة .

■■ وذكر أحمد السباعى فى تاريخ مكة سبب التسمية ص١٥ فقال : «سماها القرآن مكة كما سماها بكه وأم القرى والبلد الأمين . . ويذكر بعض علماء المسلمين أنها سميت مكة لقلة مائها ـ وهم يقولون : إمتك الفصيل ضرع أمه إذا امتصه . . ويقول بعضهم سميت مكة لأنها تمك الذنوب أي تذهب بها . . أو لأنها تمك الفاجر أى تخرجه منها . كما قيل : إنها سميت بكة لأن الناس يبك بعضهم بعضاً أي يدفع» .

■■ **وقال بطليموس :** «إن اسمها «مكوربا» وهو مشتق من الاسم السبئى مكواريا ومعناه مقدس أو حرم . . » وتأتي هذه التوطئة عن سبب التسمية للشروع فى استجلاء بعض الصور الشعرية والوقفات التى ليس بوسعنا الالمام بشتاتها فى كافة العصور، لكننا سنتلمس شيئاً من تلك الباقات العطرة .

■ يروى أنه لما خرج رسول الله ﴿ﷺ﴾ من مكة وقف على الحزورة وقال: «إنى لأعلم أنك أحب البلاد إلي وأنك أحب أرض الله الى الله ولولا أن المشركين أخرجوني منك ما خرجت». وقالت عائشة رضى الله عنها: «لولا الهجرة لسكنت مكة فإني لم أر السماء بمكان أقرب الى الأرض منها بمكة ولم يطمئن قلبى ببلد قط ما اطمأن بمكه ولم أر القمر بمكان أحسن منه بمكة».

وقال ابن أم مكتوم وهو آخذ بزمام ناقة رسول الله ﴿ﷺ﴾ وهو يطوف:

يا حبذا مكة من وادي
أرض بها أهلي وعوادي
أرض بها ترسخ أوتادي
أرض بها أمشي بلا هادي

■ وكان بلال بن رباح رضى الله عنه بعد ما خرج من مكة المكرمة يحن إليها ويتشوق. ويرفع عقيرته منشداً وهو يذكر بعض المواضع التى فى مكة مثل: «فتح، أذاخر. جليل» وهى الآن أحياء سكنية كجبل أذاخر بعد ما تعرض لشيء من التغيير لاستقامة البيت وحي «جليل» وشامة وطفيل جبلان جنوبي مكة المكرمة يقول بلال:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بفخ وعندى إذخر وجليل؟
وهل أرِدَنْ يوماً مياه مجنّة
وهل يَبْدُوَنْ لي شامة وطفيل؟

■ *ويذكر بأن سعيد بن عمرو السهمي أول من بنى بيتاً بمكه مرصوصاً بالحجر والطين بديلاً عن البيت الشعر وقد قيل فى ذلك:*

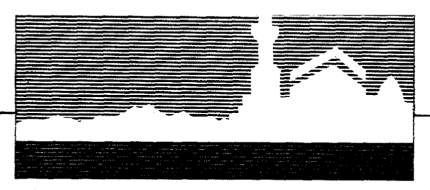
وأول من بوا بمكه بيته
وسوّر فيها مسكناً بأثافي

■ *وهجا رجل من بني عوف أبا جهل وعرض بقومه قريش فاستنشاط هذا الهجاء غضب «الزبرقاف بن بدر فقال مدافعاً:*

أتدري من هجوت أبا حجيبٍ
سليل خضارم سكنوا البطاحا
أزاد الركب تذكر أم هشاماً
وبيت الله والبلد اللقاحا؟

■ دعا حرب بن أمية «الحضرمي» الى النزول فى مكة حيث الأمن والألفة والاطمئنان والاستقرار وكان الحضرمي يرغب النزول خارجها ويكنى أبا مطر فقال حرب للحضرمي:

أبا مطر هلم الى الصلاح
فيكفيك . الندامى من قريش



وتنـــزل بلدة عزّت قديـــماً
وتأمـــن أن يزورك ربّ جيش
فتأمـــن وسطـــهـــم وتـــعـــيش فيـــهـــم
أبـــا مطـــر هُدِيـــتَ بخـــير عيش

■ ومما تواتر ذكره أن قبيلة جرهم كانت سيادة البيت فيهم فبغوا وفسقوا فثارت بينهم وبين خزاعة حرب فأجلتهم خزاعة عن مكة الى اليمن. فضلت إبل لمضاض بن عمرو الجرهمي «ملك جرهم» فاتبع أثرها حتى أشرف على وادي مكة فإذا إبله تنحر وتطبخ فأنشأ مضاض يقول:

كأن لم يكـــن بين الحـــجـــون الـــى الـــصـــفـــا
أنـــيس ولم يـــســـمـــر بمـــكـــة ســـامـــر
ولم يتربـــع واسطـــاً فجـــنـــوبـــه
الـــى المـــنـــحـــنـــى من ذى الأراكـــة حاضـــر
بلى نحـــن كنـــا أهـــلهـــا فأزالـــنـــا
صروف الـــلـــيـــالـــى والجـــدود الـــعـــواثـــر
وبـــدّلـــنـــا ربـــي بها دار غُرْبَـــةٍ
بها الـــذيـــب يعـــوي والـــعـــدو المحـــاصـــر
فإن تمل الـــدنـــيـــا علـــينـــا بكـــلـــهـــا
وتـــصـــبـــح حال بعـــدنـــا وتـــشـــاجـــر
فكـــنـــا ولاة الـــبـــيـــت من بعـــد نابـــت
نطـــوف بهذا الـــبـــيـــت والخـــير ظاهـــر

■ وشاعر آخر يشير الى مدى الارتباط العميق بهذا البلد وهذا البيت وأن هذه الأمة تحج وتمارس طقوسها الدينية وتشرب من ماء زمزم هذه البئر المشهورة والمباركة.. يقول:

ومـــازلـــنـــا نحـــجّ الـــبـــيـــتَ قدمـــاً
ونـــلـــقـــى بالأبـــاطـــح آمـــنـــيـــنـــا
وســـاســـان ابـــن بابـــك سار حتـــى
أتـــى الـــبـــيـــت الـــعـــتـــيـــق بأصـــيـــديـــنـــا
وطـــاف به وزمـــزم عنـــد بئـــر
لاســـمـــاعـــيـــل تروي الـــشـــاربـــيـــنـــا

■ مكة حيث الملتقى. والمهرجان الاسلامى الكبير الذى يضم مختلف الألسن والأجناس. والألوان تهيج مشاعر الشريف الرضى فيعلن آهته ويتدفق عاطفة جياشة متذكراً ومستعرضاً بعض الأماكن المقدسة. /

أحـــبـــك ما أقـــام منـــى وجـــمـــع
ومـــا أرســـى بمـــكـــة أخـــشـــبـــاهـــا

وما رفـع الحـجـيـج الـى المـصـلى
يجرون المطـي على وجـاهـا
ومـا نحـروا بخـيـف منـى وكـبـوا
على الأذقـان مُشْـعَـرة ذُراهـا
نظـرتـك نظـرة بالخـيـف كانـت
جلاء الـعـين مني بل قذاهـا

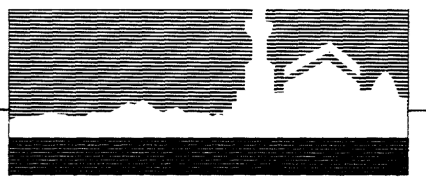
■ وموكب النور شلالاً يغشى البطاح ويلامس الذرا تهليلا وتكبيراً. ومكه تحضن ضيوف الرحمن الذين تفيض بهم الشعاب وذكرى العيد تهل كريمة. الأستاذ حسين عرب من قصيدة له يقول:

أوّبـي يا جبـالَ مكـة للذكـ
ـرى جلالاً وكـبِّري للعـيـد
واذكـرى كيـف أشـرق الـنـور من
غار بعـيـد فى الأفـق غير بعـيـد
وأطِـلّي على حمى الـكـعـبـة الـ
ـغـراء إطـلالـة الـرفـيـق الـودود
وانظـرى للوفـود من كل فج
قد تلاقـت كريـمـة بالـوفـود
نَهِلَتْ من روافـد الحـرم الأ
مِين من منهـل الـنَّـدى والجـود
وأفـاضـت به إلـى الـشـرق والـ
ـغـرب نمـيراً ممطـراً للورود

■ لما وقف الشاعر عزيز أباظة فى حمى البيت الحرام شعر بعظمة ما حوله، وقدسية كل ما يحيط به فهو مزيج من الأضواء والرحمة والهوى والسنا والصعيد الطاهر فهى مهبط الوحي ومبعث الرسالة ومنبع الهدى، فقال:

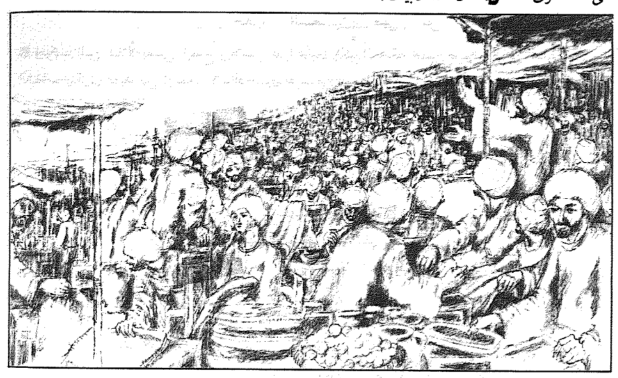
رقّـت الأرض من حولهـا والـسـمـاء
وتـنـاهـى إلـيـهـا الـسَّـنـى والـسَّـنـاء
وزكـا عنـدهـا الهـوى فهـى للكـون
جمالٌ .. ورحمـةٌ .. وإخـاء
قف ببطـحـائـهـا قبـالـة بيـت
الـلـه واخـشـع فإنهـا الـبطـحـاء
بارك الـلـه حولهـا واجـتـبـاهـا
فزكـت فى صعـيـدهـا الأنـبـيـاء

■ وبعدما عرجنا على بعض الشعراء. واستشهدنا بنماذج من نصوصهم.. من غير ترتيب أو تسلسل زمنى وإنما من خلال ما وقع فى أيدينا لوفرة هذا الجانب وكثرة الشعراء الذين كانت لهم وقفات..



و الأستاذ الشاعر معيض البخيتان قدم لقصيدته بقوله:

«زرت مكة المكرمة، فهبت نسائم الرحمة وفاح شذا الطهر الذى حملني عبيره الى رؤى وصور روحانية تجسدت على هذا الثرى المقدس» فقال هذه الأبيات:



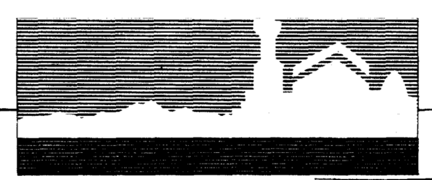
حُيِّيت يا نبع الطهور ويا ثرى
نُطَفِ الريادة من عروق عن نبي
الوارثين الحبّ أبيض أخضرا
والموغلين به لأكرم.. معدن
قربُوا من النور العظيم فهذه
بشرى وتلك خبيئة لم تعلن
وهناك فى كبد السماء غنائم
وقوافل موفورة .. بالبينّ
حييت يا أسمى ويا أزكى هوى
لم يمتهن بالطين والمتلون
يا مهبط الإشراق كم من معجز
وحضور أملاك ومُدكرٍ غنى
كم فيك من مثل يطول وحكمةٍ
ملء الوجود وجبهة لم تنحنى



مكة المكرمة

محمد حسن فقي

مكتي انت لاجلال على الارض . يدانى جلالها اويفوق !
ما نباليين بالرشاقة والسحر.. فمعناك ساحر ورشيق!
سجدت عنده .. فما ثم جليل سواه .. او مرمـــوق !
ومشى الخلد في ركابك مختالاً .. يمد الجديد منه العتيـق!
انت عندي معشوقة . ليس يخزي العشق منها ولا يضل العشيق!
ما اباهي بالحسن فيك .. على كثرة مافيك من مغان تشـوق !
انت قدس . فليس للهيكل الفاني بقاء ـ كمثله ـ وسموق !
كل حسن يبلى . وحسنك يامكة ـ رغم البلى الفتى العريق !
درج المصطفى عليك فاغلاك .. واغلاك بعده الصديق!
وشكول من الرجال . سبوق . جد من خلفه .. فجلى سبوق!
ان ارادوا القتال ارجفت الارض . وضاقت على العدو الطريق !
او ارادوا السلام رحب بالسلم .. عدو اصابه التمـزيـق !
كان في الله حربهم والعداوات .. وفي الله سلمهم والوثوق!
رب صخر في بطن واديك ـ يا مكة ـ يهفو اليه غصن وريـق !
لست وحدي متيما . فالملايين . فريق يمضي فيأتي فريـــق !
تتوالى عليك منهم صبابات . فيصغى لها الفؤاد الرقيـــق !
ليس فيك الدلال يوحى به الزهو . ويغرى به الجمال الطليق !
لم تزهين ؟ رب زهو من الحسن .. تجلى به علينا العقوق ؟!



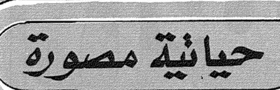
وعتى من الجمال.. تحداه .. اسير .. بحبه موثوق !
ان حسنا يكبل العقل والروح . لحسن - وان انال - حنيق !
قد تركت البريق للبلد الخامل . ماذا يجدي عليك البريق !
وتمخضت عن فخار طوى الارض . وما احدبت عليك العروق !
اين منه الكلدان - يامكة الخير - واين الرومان والاغريق !
والبلاد التي تتيه . اجاءت ؟ بالذي جئت ؟ ام هو التلفيق !
مايقيم الولود تخصب للناس .. مكان العقيم . الا الصفيق !
ان غمطنا الحقوق - يا بلد الطهر - خسرنا وانكرتنا الحقوق !
ان جرحًا يصيبنا من تجافيك - وما تغفلين جرح عميق !
قد شربنا من السلافة فنيانا . ونحن الكهول.ما نستفيق !
ذاقها قبلنا الكرام فقالوا . اين منها . ومن شذاها الرحيق !
نجد الانس في رحابك . والبسطة . حتى كاننا ما نضيق !
ويشد القلوب نحوك - يامكة - حب يطوى القلوب وثيق !
مانطيق الفراق عنك . وهل يحمل قلب في الحب مالا يطيق ؟ !
لك فضل على المدائن - يا مكة - مايحتويه . الا المروق !
اين منه فضل المدائن يخلبن ؟ واين الاغراء والتشويق !
اين منه - الغدير و الروض ،والعزف . واين الطلاء والتزويق !
انما الحسن في النفوس. فما يعشق ثوبًا من الخيوط المشوق !
اترانا من الثرى . فاذا الروح غريب . والحسن جسم مشيق !
لصقت بالتراب اجسامنا الغلف.فاهوى الى اللصيق . اللصيق !
يا نفوسًا تطوف بالبيت لولا . حرمة البيت ميزتها الفروق!
انت لولا الاسلام .كنا نرى السباق منه. يفوقه المسبوق !
ما تأنقت في المقال .. ففي سحرك معنى - يعى المقال - انيق !
واللسان الذليق.يعجز احيانًا . اذا احصر اللسان الذليق!

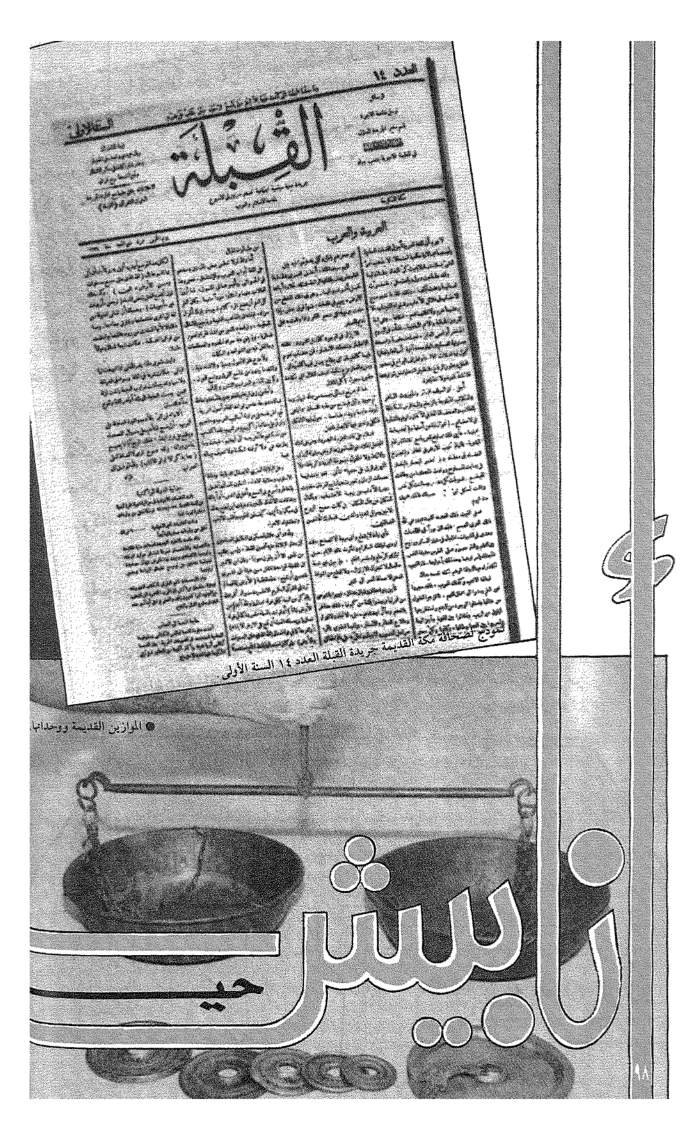


★★★★★★★★★

« الصـورة الأنبـوشـة » تاريخ عريق مقروء من خلال تقاسيم الصورة . . ومعلوم أن الصورة أحياناً تعطى من المـدلـول مالا تعطيه الكلمة . . ومن هنا جاءت هذه الأنـابيش التاريخية المصورة لتضيف لنا قراءة «حياتية» اضافة الى القراءة التاريخية من خلال الكلمة

★★★★★★★★★





العدد ١٤

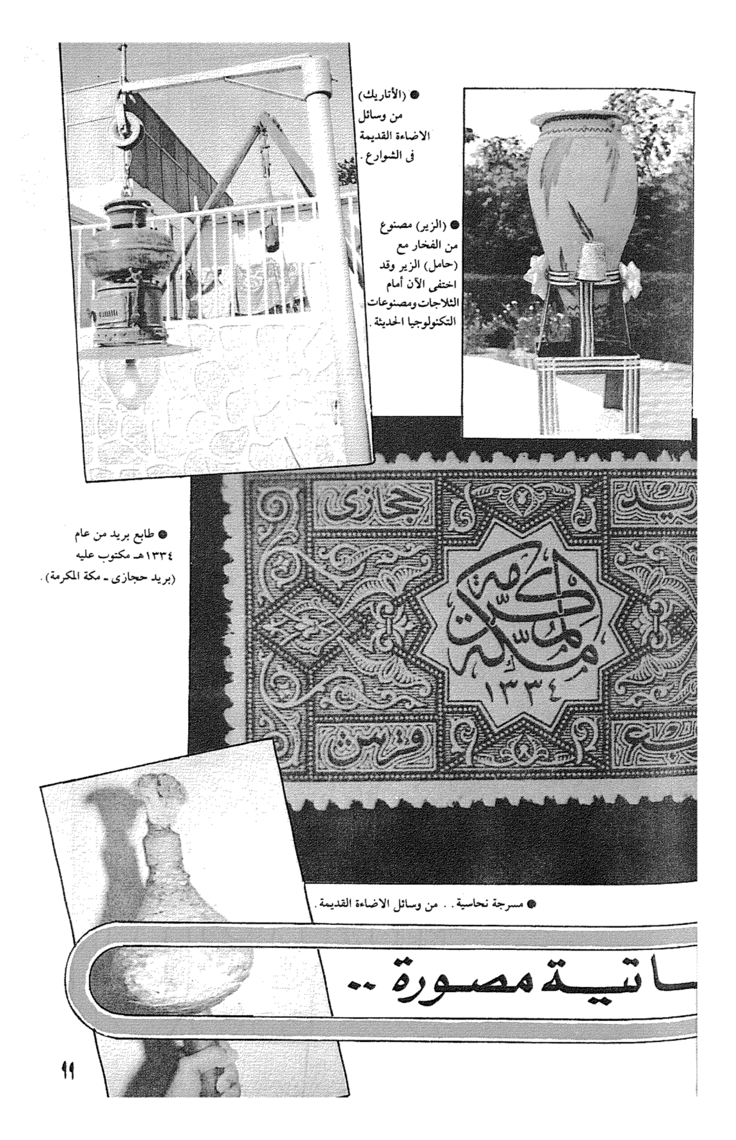
القبلة

السنة الأولى

الحرية والعرب

نموذج لصحافة مكة القديمة جريدة القبلة العدد ١٤ السنة الأولى.

● الموازين القديمة ووحداتها



● (الأتاريك) من وسائل الاضاءة القديمة فى الشوارع.

● (الزير) مصنوع من الفخار مع (حامل) الزير وقد اختفى الآن أمام الثلاجات ومصنوعات التكنولوجيا الحديثة.

● طابع بريد من عام ١٣٣٤هـ مكتوب عليه (بريد حجازى ـ مكة المكرمة).

● مسرجة نحاسية.. من وسائل الاضاءة القديمة.

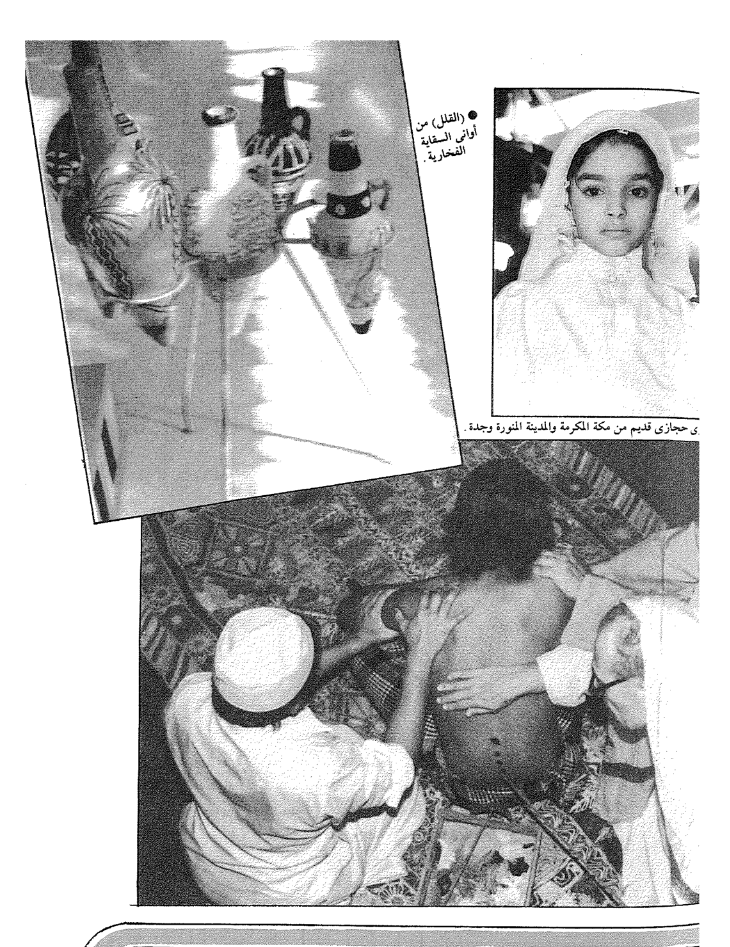
...ـاتيـة مصـورة ..



● أحد مداخل سور مكة المكرمة قديماً.

● من الوسائل القديمة لـ(سَنّ) السكاكين.

● طابع بريدى (الحجاز ونجد) شعبان ١٣٤٨هـ.



● (القلل) من أوانى السقاية الفخارية.

ى حجازى قديم من مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة.

● الكي بالنار من وسائل العلاج التى توارثتها الاجيال قديماً . . وقد كادت ان تنقرض الآن.

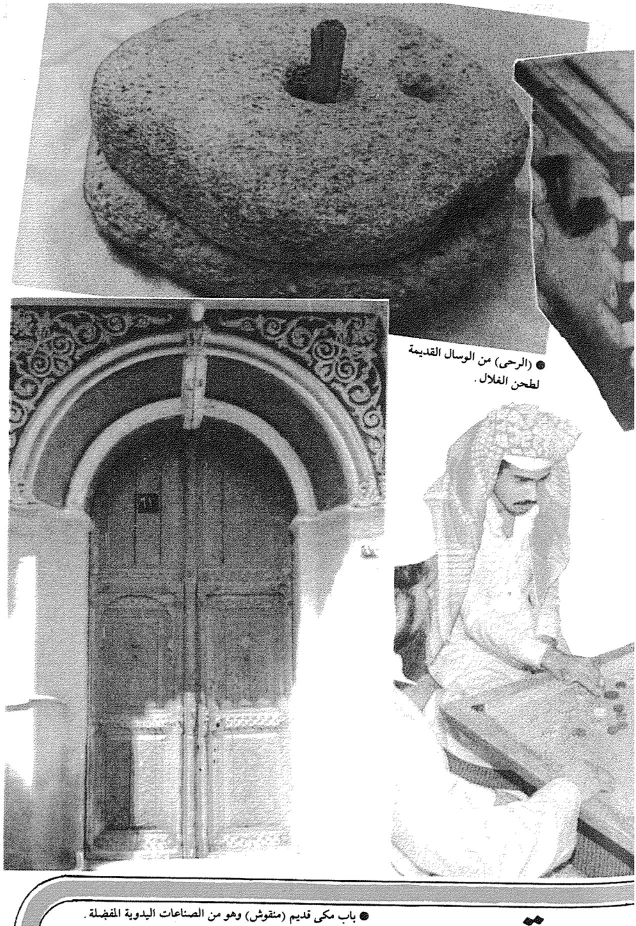
ـــورة



● (كوبر) ويطلق عليها في القديم (سحارة) لحف
المقتنيات ذات القديمة، والملابس الفاخرة.

● (اتريك) متطور
لاضاءة المنازل والشوارع

● السمر
والسهر يحلو مع
لعبة (الكيدم) قديماً



● (الرحى) من الوسال القديمة لطحن الغلال.

● باب مكى قديم (منقوش) وهو من الصناعات اليدوية المفضلة.

ـــورة ..

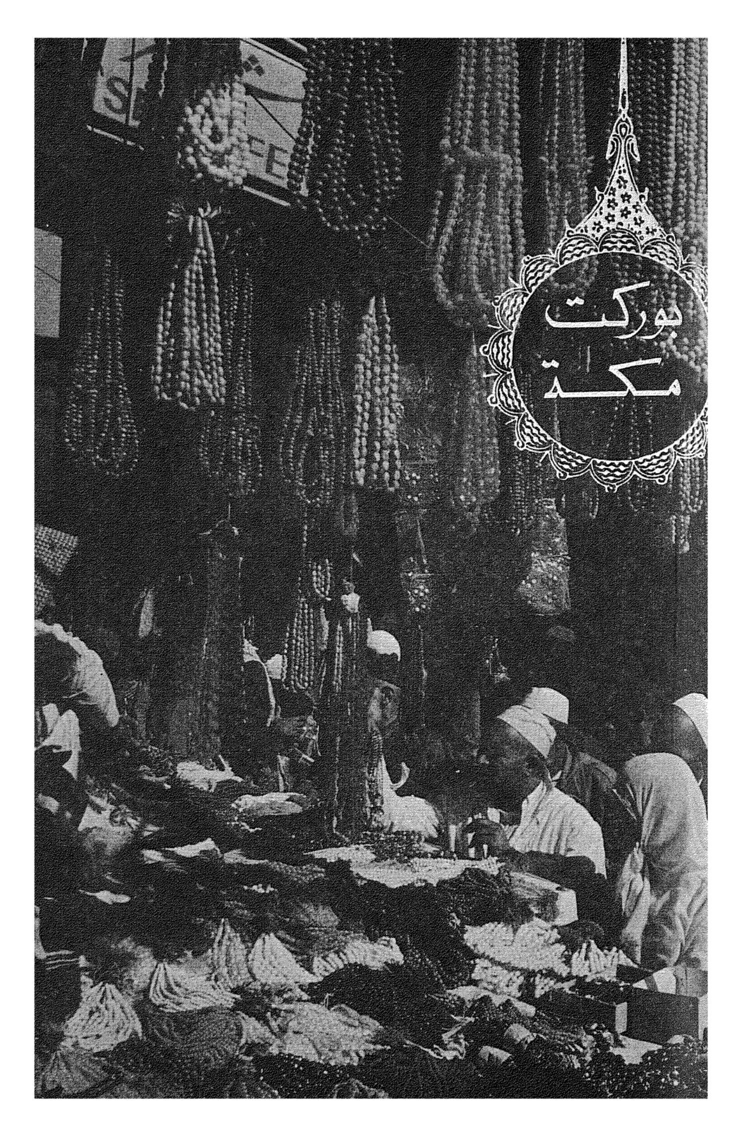


● ابريق أمير مكة فى القرن الهجرى التاسع.

● الخلعة القديمة التى كانت ترد من الدولة العثمانية بالآستانة ومصر لأمراء مكة ليرتدوها فى المناسبات الرسمية والحفلات.

● السقاية تقليد شعبى قديم توارثته الأجيال.

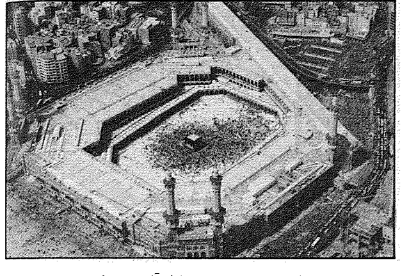
● شقدف ممتاز يركب للأسفار وللحج وله واجهة من الخشب المخروط والمصنوع.


بوركت
مكة

حزازات

من تاريخ مكة المكرمة

قلم: د. محمد عبد الله آل زلفه
جامعة الملك سعود
الرياض



■ ظلت الحجاز بما فيها من أماكن مقدسة، تحظى باهتمام ملوك وحكام المسلمين، لما لهذه البلاد من حرمة وقدسية لدى الجميع. ولكن المصادر العربية وبخاصة ما ألفه مؤرخو الحجاز أنفسهم تجمع أن الدولة العثمانية بزت في اهتمامها بأحوال هذه الديار المقدسة من سبقها

■ ويعود اهتمام العثمانيين بالحجاز الى فترة مبكرة جدا على بداية دخول الحجاز في تبعيتهم رسميا عام ١٥١٧م حينما أوفد شريف مكة ابنه الى القاهرة معلنا طاعته للسلطان سليم الاول(١).

■ فمن الثابت ان العثمانيين كانوا يبعثون قبل ذلك بأعطيات سنوية الى مكة لتوزيعها على أشرافها وسادتها وفقرائها، وهى ما كان يعبر عنه بالصرة والتى كان يبعث بها سنويا مع قافلة الحجاج(٢).

■ وتشير المصادر أيضا الى ان مقدار ما أوقفه آل عثمان على البلاد المقدسة من أوقاف فى انحاء متفرقة من أراضى الامبراطورية يفوق بكثير ما أوقف عليها من قبل.

ثم لو قلّبنا صفحات التاريخ لوجدنا ان العثمانيين اول من اعتنى بعمارة الحرمين الشريفين العناية الفائقة.. ولازالت مظاهر الفن العمرانى العثمانى فى الحرمين الشريفين، ماثلة جنبا الى جنب مع التوسيعات والتحسينات التى قامت بها حكومة المملكة العربية السعودية حيث فاق ملوك آل سعود فى اهتمامهم برعاية الحرمين الشريفين وحمايتها وخدمتها ما كان عليه اسلافهم.

■ لم تهمل الدولة العثمانية شؤون الحجاز حتى فى أحلك ظروفها الاقتصادية والسياسية وما كان يحدث من تقصير كان مرده الى سوء تصرف الادارة المحلية فى الحجاز نفسها، والصراع الذى كثيرا ما كان ينشب بين الولاة والاشراف خصوصا ان الخطوط الفاصلة بين صلاحيات كل من الشريف والوالي لم تكن واضحة.

■ كان لهذا الصراع انعكاسات سيئة على أوضاع الحجاز الاقتصادية والاجتماعية ـ وجر على أهالي الحرمين من الويلات مالا يعلمه الا الله من غياب الامن وانعدام الاستقرار ـ فكان بعض أطراف الصراع يوعز الى القبائل بقطع الطرق واشاعة الفوضى كوسيلة للطعن فى مقدرة الطرف الثانى على ضبط الامور فى الولاية فاذا ما تحقق الهدف بازاحة الطرف الخصم أخذ فى شن الحملات على القبائل التى اثارها بالامس فأدى هذا الى تمرد القبائل واثارتهم للقلاقل لعدم ثقتهم فى حكومة الولاية ـ اما الحكومة المركزية فى استانبول فلا يصلها الا تقارير متضاربة من الخصمين كل يبرىء ساحته ويتهم خصمه.

■ وهكذا بقي حال القبائل تستمال لتأييد طرف على آخر، وتملي شروطها وتستوفي أموالا طائلة من خزينة الدولة، فاذا

ما انقطعت لسبب من الاسباب عادت الى عادتها الاولى فى ممارسة النهب والسلب. والحكام منهمكون فى صراعاتهم. ويكاد أن يكون هذا حال ولاية الحجاز حتى نهاية حكم العثمانيين والهاشميين معا فى الربع الاول من القرن الحالى حتى قيض الله لهذه البلاد المقدسة ملكا عظيما حكم فى أهلها كتاب الله فارهب به أعداء الله وأعداء زوار بيت الله ذلك هو الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله.

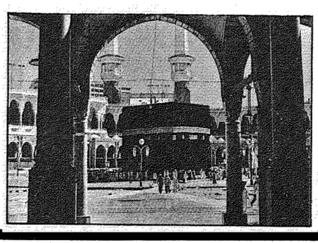
■ بعد هذه المقدمة نأتى الى الموضوع الذى خصصت له هذه الدراسة التاريخية المعقود لواؤها على مكة المكرمة، وهو القاء الضوء على إصلاحات الوالى حسيب باشا. اذ لا يخلو عصر من العصور من الرجال المصلحين المخلصين. واصلاحات حسيب باشا لم تكن لتقتصر على النواحى الاجتماعية فحسب بل امتدت لتشمل نواحى أخرى. وما كان لنا ان نتعرف على أعمال حسيب باشا أمام صمت مصادرنا العربية والاجنبية لولا ما تيسر لي من كشف بعض من وثائق فترة هذا الوالى فى أرشيف رئاسة الوزراء فى استانبول وعلى مدى فترات متعددة من البحث فى هذا الارشيف عن وثائق الجزيرة العربية ـ حيث أصبح من الثابت والمؤكد انه اذا ما تم الكشف عن وثائق أرشيف رئاسة الوزراء فان ذلك سيجعلنا نعيد النظر فى كثير مما كتب عن تاريخ جزيرة العرب. ومن المؤكد أيضا أن ما ينطبق على جزيرة العرب ينطبق تماما على بقية وطننا العربى الكبير فى حالة الكشف عن الكم الهائل من وثائقه فى دور المحفوظات العثمانية والتى تغطي أربعة قرون من تاريخه.

أما حسيب باشا: فقد صدرت الارادة السلطانية بتعيينه واليا على الحجاز(٣) فى أواخر سنة ١٢٦٤هـ/١٨٤٨م وكان وصوله الى مدينة جدة مقر الولاية فى غرة شهر محرم سنة ١٢٦٥هـ/ نوفمبر١٨٤٩م ويأتى حسيب محمد باشا الوالى الحادى والاربعون فى عداد الولاة العثمانيين الذين تولوا ولاية الحجاز منذ دخولها فى طاعة العثمانيين فى عهد السلطان سليم الاول وذلك فى عام ١٥١٧م. ويأتى الوالى الثالث(٤) منذ عودة الادارة العثمانية المباشرة على الحجاز اثر انسحاب القوات المصرية منها ١٢٥٧هـ/١٨٤٢م.

وكان جديدا على هذه الولاية على عكس سلفيه فانهما كانا من الموظفين العثمانيين الذين خدموا فترة طويلة فى مشيخة الحرم المدنى(٥) بالمدينة المنورة الذى لم أجد له ترجمة ما عدا ما ورد عنه لدى مؤلف سجل عثمانى.



ـ استاذ مساعد ـ قسم التاريخ ـ جامعة الملك سعود.
ـ له عدة أعمال معدة للطبع.
ـ له عدد مشاركات علمية منشورة باللغتين العربية والانجليزية فى مجلات علمية متخصصة.
ـ عضو الجمعية التاريخية السعودية، وعضو الجمعية التاريخية الامريكية.



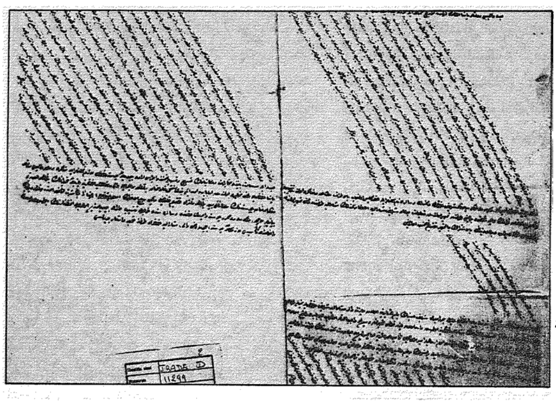
■ ولد حسيب باشا عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م. وتدرج فى أعمال ومناصب رفيعة فى الدولة فى العاصمة استانبول وخارجها ففى عام ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م أصبح ناشرا للاوقاف.. وفى عام ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م أعطى رتبة الوزارة وأصبح ناظرا للخزينة الخاصة.. وفى عام ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م أضيفت اليه أعمال نظارة الاوقاف ـ ثم أصبح واليا لسلانيك.. ثم أعيد الى العاصمة ليصبح فى عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤١م رئيسا لمجلس «والا» ثم عزل وعين مفتشا فى الاناضول.. وفى عام ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٥م عين ناظرا للاوقاف للمرة الثالثة.. ثم فى شوال عام ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٨م عين واليا لجدة ـ وبعد عزله من جدة عاد الى استانبول لتولى نظارة الخزينة الخاصة ثم ناظرا للاوقاف ثم ناظرا للمالية ثم مراوحا بين الاوقاف والمالية والخزانة الخاصة الى أن أحيل على المعاش. وكانت وفاته فى عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٧٩م(٦)

الوضع عشية تولى حسيب باشا:

■■ مضى على ولاية الحجاز سبع سنوات منذ عودتها تحت الادارة العثمانية المباشرة. انقضت جميعها فى محاولات جادة من قبل الولاة السابقين لحسيب باشا وبصفة خاصة عثمان باشا فى اعادة السلطة العثمانية وترسيخها ليس على الحجاز فحسب بل على الجزيرة العربية بشكل عام أن أمكن، وكان عثمان يدرك ان فرض سلطة الدولة المباشرة على المناطق خارج الحجاز أمر مستحيل فى ظل الظروف التى كانت تعانى منها الادارة العثمانية، هذا بالاضافة الى نقل التركة التى ورثوها من جراء حكم محمد على للاجزاء التى امتد اليها حكمه. حيث كان التذمر من وطأة ذلك الحكم الذى عرف بالقسوة والجور، هو الشعور الذى كان يسود معظم سكان هذه الاجزاء. ناهيك عن الحروب التى لم ينطفىء لها أ وار ضد حملات محمد على والمتعاونين معه وخاصة فى منطقة عسير، اما الاجزاء التى دخلت تحت حكم محمد على مثل بعض أجزاء اليمن الأسفل ونجد فلم يكن دخولها بمحض ارادة أهلها بل كان مفروضا عليهم بالقوة، وظل وجوده مفروضا بواسطة الحاميات المصرية التى كانت ترابط فى قلاع تلك البلدان ـ فلما صدرت أوامر محمد على باشا الى تلك الحاميات بالانسحاب والعودة الى مصر حدثت خلخلة سياسية وفراغ يصعب على الادارة العثمانية الجديدة ان تملأه.

■■ واذا ما انتقلنا «سريعا» الى ولاية الشريف محمد بن عون نجده غير راض عن سياسة عثمان باشا الرامية الى اعادة تشكيل البنية السياسية فى المنطقة مستهدفاً كل ما تم بناؤه فى خلال الثلاثين السنة الماضية ـ او بعبارة اخرى فإن عثمان باشا فيما يبدو كان يريدها ثورة على كل ما تركه نظام حكم محمد على من بصمات فى الحجاز وقد استهدفت سياسته هذه حتى الشريف عون نفسه لكونه واحدا من ركائز محمد على فى الحجاز. وقد اعلنها عثمان باشا صراحة حينما طالب الباب العالى بعزل الشريف ابن عون واحضار الشريف عبد المطلب بن غالب المقيم فى استانبول والمعروف بعدائه لمحمد على ليحل محله(٧). ولم يتورع عثمان باشا من تحديد صلاحيات الشريف ابن عون. حتى ما كان يتعلق منها بشؤون القبائل التى تعد من اخص خصوصيات صلاحيات الشريف.

■■ وقد عبر الشريف ابن عون فى تقرير مطول رفعه الى محمد على باشا يشكو فيه بمرارة عن الحالة السيئة التى بلغها وضعه الذى لم يعد يحتمل مع الوالى عثمان باشا نقتطف منه ما يلى: منذ عام ١٢٥٩هـ وهو (اى عثمان باشا) يظهر الاغبرار لنا، واذا كان قد تم القيام من جانبنا حسب العادة برعاية اى مصلحة من مصالح العربان نراه يقول ان هذه المصلحة ايضا من لواحق ايالة جدة وأنا سوف أقوم على إصلاحها بشكل آخر، وبذلك بادر ان جعلنا نسحب ايدينا حينما مُدَّت، وهو لا يقنع بذلك ايضا بل قام بحجة او بأخرى فعزل المشايخ والامراء المجربين المحنكين منذ عشرين او ثلاثين سنة الذين كنت قد



ملخصات لمحتويات الوثائق المتعلقة بالاصلاحات فى مكة المكرمة أثناء عرضها على مجلس الوزراء باستانبول لمناقشتها.

وضعتهم على بعض الامـور ونصب هو الـرجال الذين عدهم منـاسبـين، ونشـر على الاطـراف والاكنـاف «البيـورلـدات» قائـلا لا تنظروا لامر ونهى الشريف بل أنظروا لأمرى انا وعليَّ البيان والعرض على دولتكم، ان هذه المعاملة لم تكن شيئا قد حدث من طرف ولاة جدة حتى الآن لامير من امراء مكة(٨).

■ بعد هذا العرض المختصر لأحوال ولاية الحجاز قبيل تولى حسيب باشا مقاليد الأمور فيها وقبل الحديث عن إصلاحاته أحب ان اشير الى ان ما توفر لدينا من الوثائق وكذلك المصادر الاخرى عن تاريخ هذه الفترة لم تشر الى ان الـواليـين اللذين سبقـوا حسيب قد منحـا شيئـا من اهتمامهما لتحسين اوضاع الولاية فى اى مجال من المجالات حتى ما كان منها متعلقا بخصوصية وظيفتيهما كمسؤولين عن مشيخـة الحرمين الشريفين حيث من واجبات شيخ الحرم الحفاظ على نظافته وتنظيم شؤونه، ولكن حتى هذه الامور قد اهملت ونحن هنا لا نبرىء ساحة الشريف الذى يعد شريكا فى السلطة وشريكا فى المسؤولية. لقد اعترف بالحالة المتردية التى كانت عليها نظافة الحرم الشريف(٩) كما سيأتى توضيحه مفصلا.

■ ولقـد شملت اهتـمامـات حسيب باشـا الاصـلاحية النـواحى العمــرانيــة وتنظيم الادارة المحلية والتعليم والمواصـلات والضـمان الاجتماعى ونظافة المدن المقدسة بالاضـافـة الى اهتـمامه البالغ بأمن الولاية من الاخطار الـداخليـة والخـارجية التى كانت تهددها وسأتناول هذه الجوانب بشىء من التفصيل وبقدر ما تمدنا به مصادرنا الوثائقية.

العاصمـة المقدسـة:

■■ التفت حسيب باشـا لإصـلاح أحـوال العـاصمـة المقدسة. لقد ذهل للحالة التى كانت عليها من تردٍ فى اوضـاعهـا ـ وخـاصـة الحـالـة المزرية للحرم الشريـف، خصـوصـا فيما يتعلق بنظافته. كتب تقريراً بعث به الى الصدارة بعد حوالى شهر من وصوله الى الحجاز لتولى

مهام منصبه أوضح فيه انطباعاته الاولية عما شاهده وما يجب عمله لتحسين الاوضاع المتردية فى مكة المكرمة والحرم الشريف بوجه الخصوص. حيث قال: «فلما وصلت مكة المكرمة لايفاء ما كلفت به وفق المطلب العالى بادرت للعمل، فوجدت ان الحرم الشريف السعيد يعج بالفقراء والغرباء والسائحين والعربان، وان الكثير من هذه الفئات تقيم فيه وتتخذ منه مبيتا وشاهدت رأى العين أمورا مخلة بالنظافة، مما لا يحسن قوله ولا ذكره وهى تجانب الحرمة والتعظيم وتغاير الآداب الامر الذى يلزم منعه وازالته(١٠).

اما عن نظافة المدينة المقدسة بشكل عام فقد أخبر فى تقرير آخر رفعه الى الصدارة بعد حوالى شهر من تقريره الاول مشيراً فيه بأنه قد باشر فعلا بإزالة مالا يتناسب مع حرمة المدينة المقدسة ويتنافى مع روح الشريعة، حيث قال: منذ وصلت مكة المكرمة ـ لله الحمد والمنة ـ والامور تسير وفق الشريعة الاحمدية فى التطبيق وهو الحبل المتين.. فقد هدمت المقاهى ودور المجمدات وامثالها من المحدثات.. ومنعت المسكرات وغيرها من المنهيات ـ وهكذا قطعنا دابر الفساد ورغبنا الناس إلى صلاح الحال، وقد ثبتوا على ما قيل لهم من حيث اجرينا العدالة السنية على قدر المستطاع، وكان هذا ما اوليناه الاهتمام من امور النظافة والطهارة مدعاة للدعوات الخيرية التى رفعها الجميع شاكرين ذاكرين الطرف الاشرف السلطانى(١١).

وكما نلاحظ: فان حسيب باشا اخذ المبادرة الفورية فى ازالة كل مالا يتفق مع روح الشريعة الاسلامية فى المدينة المقدسة، اما ما يتعلق بنظافة الحرم الشريف وطهارته فإنه يرى أنَّ ذلك مرتبط فى الدرجة الاولى بإخلائه من اولئك الذين اتخذوا منه مكانا للسكن ولكنه يرى فى الوقت نفسه أن الحل لا يتم الا بتأمين مكان لإقامة هؤلاء الفقراء والغرباء اولا، وذلك يتطلب انشاء دور سكنية لهم ملحقا بها عدة رباطات واقامة مثل هذا المشروع الخيرى يلزمه المال الكثير الذى تفتقر اليه خزينة ولاية الحجاز.

■■ **وكحل لهذا المشكل العاجل الذى لا يقبل التأخير فقد وجد أقرب وسيلة لتنفيذه واسرعها واقلها كلفة، فى الوقت نفسه هى الالتفات الى الأوقاف السلطانية والمبرات الخيرية التى كان قد اوقفها بعض السلاطين السابقين على الاعمال الخيرية ـ مثل اوقاف السلاطين سليم ومراد واحمد ووالدة الاخير السلطانة «خاصكى»،** وكذلك اوقاف السلطان المملوكى الجركس **«قايتباى»** وابراهيم خان زاده، وغيرها من الاوقاف المؤلفة من عمارات ومدارس ورباطات(١٢).

■■ الا أنه وجد أن البعض منها قد عفى عليه الزمن وآل الى الخراب بسبب الاهمال وعدم الاكتراث، بينما البعض الآخر قد آلت ملكيته الى يد الغير بدون حق فجعلوا من بعضها بيوتا يسكنون بها وحولوا بعضها الى أماكن مستثمرة ذات موارد(١٣).

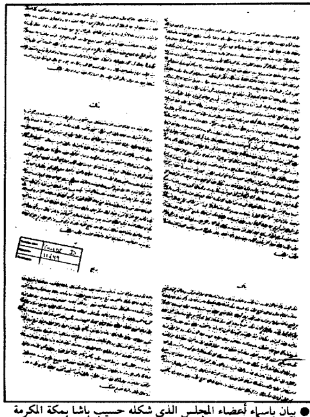
استعادة الاوقاف واحياؤها:

باشر حسيب باشا فى استعادة الاوقاف واحياء ما اندثر منها رافعا من اجل ذلك شعارا **«كل شىء يجب ان يعود الى أصله»**(١٤) ولكنه كان يدرك ان استعادة الاوقاف التى تحولت الى ملكيات خاصة لن يكون امرا سهلا بل انها كانت معضلة ومهمة صعبة(١٥) تغلب عليها حسيب بحنكة وتعقل وشجاعة بدافع من ايمانه الصادق بالاصلاح وذلك باستقطاب شريف مكة محمد بن عون وغيره من الاشراف اصحاب النفوذ الى جانبه، بالاضافة الى قاضى مكة المكرمة وأعيانها وعلمائها من أجل مساعدته فيما يتعلق بإصلاح احوال العاصمة المقدسة وذلك من خلال مجلس قام بتشكيله لهذا الغرض ـ بالاضافة الى المشاركة فى الامور الاخرى المتعلقة بشؤون الولاية ـ وكان هذا المجلس قد تكون من سبعة عشر عضوا ضم فى عضويته.. قاضى مكة المكرمة.. واربعة قضاة يمثلون المذاهب الاربعة.. ونقيب الاشراف ورئيس المدرسين

(أعلم العلماء) . . وخمسة من كبار العلماء . . ونائب الحرم وقائد العساكر النظامية . . وابن شريف مكة عبد الله باشا وعبد الله بن شرف باشا احد اقرباء شريف مكة المهمين . . ومعاون أول ولاية الحجاز توفيق باشا . . وتقرر ان يجتمع هذا المجلس فى يوم الثلاثاء من كل اسبوع ومهمته النظر فى الادعاءات التى تتعلق بالاوقاف وما عدا ذلك من الامور التى تهم الولاية(١٦) .

■ لم تمر مسألة استعادة الاوقاف بسهولة كما سبق الاشارة اليه بل قوبلت بمعارضة شديدة كما سنأتى الى توضيحه فيما بعد الانتهاء من معرفة كيفية معالجته لمشكلة اسكان الفقراء والغرباء . . وكحل عاجل لإسكان هؤلاء بل وإطعامهم شرع وبشكل سريع فى إصلاح بعض من اوقاف «خاصكى» سلطان اذ فيما يبدو ان هذا الوقف لم يتحول الى ملكية خاصة بل كان مهملا ويستغله البعض بطريقة غير مشروعة . وقد وصف هذا الوقف بأنه عبارة عن عمارة مكونة من عشرين منزلا ومدرسة(١٧) يجاورها من اوقاف «قاتباى» وهو ما يقرب من عشرين بيتا ومدرسة خشبية كبيرة(١٨) كانت قد تحولت الى مخازن . وقُدِّر أن تعميرا جزئيا فيها يعيدها الى اصلها فأخليت من سكانها وشرع فورا فى مباشرة العمل على اصلاحها وتم الانتهاء من التجديد وجهزت بالأثاث اللازم وفرشت أرضيتها بالحصر واسكن فيها ما يقرب من ٤٥٠ من الفقراء والضعفاء حيث تم نقلهم من الحرم الشريف، وخصص لكل فرد منهم رغيفين من الطعام يوميا كل رغيف بوزن ١٠٠ درهم ومغرفة واحدة من الحساء وما ان تم اخلاء الحرم الشريف منهم حتى باشر الضباط والجنود عملية غسل المسجد الحرام وتنظيفه على الوجه الاكمل(١٩) .

■ وفى حالة من الشعور بالسعادة والفخر بما قام به من عمل خيرى للفقراء وتم بموجبه نظافة المسجد الحرام قال حسيب باشا «وهكذا تم تخليص تلك الاماكن الخيرية من الايدى التى كانت قد استولت عليها . واذا كان ذلك قد



● بيان باسماء أعضاء المجلس الذى شكله حسيب باشا بمكة المكرمة للنظر فى قضايا الاوقاف وأمور أخرى . .

مس بعض الذوات وذوى العلاقة ، فإنه من جهة اخرى كان وسيلة بأن اصبح الفقراء والضعفاء يشاركون العلماء واهل البلدة عامة بخير الدعاء لحضرة السلطان(٢٠) .

■■ ويذكر حسيب باشا انه كان يوجد بتلك العمارة ـ من اوقاف «خاصكى سلطان» والتى تم اصلاحها ثمانية «قازانات»(٢١) تم العثور على ستة منها كانت مخفية ومدفونة فى حين بقى اثنان وبعض القطع النحاسية الاخرى مفقودة . ويقول «ولا زال الجهد جاريا محاولة فى معرفة المسؤول عن ضياعها» وقد أورد حسيب باشا وصفا لتلك العمارة الوقف وتجهيزاتها حينما كانت فى حالتها الاولى(٢٢) حيث يقول «وعلى كل حال فان العمارة قد انشأت فيما مضى على اساس تركيز «القازانات» الثمانية كافية لطبخ الحساء والرز فى المطبخ الكبير المعد والفرن الخاص بصنع الخبز . والمستودع الواسع لإدخار الحبوب هذا عدا المطحنة المنفصلة(٢٣) .

■■ وذكر حسيب باشا انه قام بزيارة تفقدية لعمارة كان قد

انشأها محمد على باشا والى مصر(٢٤) وقفا على اطعام الفقراء تقع فى مقابل الحرم الشريف ويبلغ عدد من يصرف له الطعام فى هذا المركز (التكيه) ٥٠٠ شخص، وذلك من اول رمضان وحتى غاية شهر ذى الحجة، والطعام يتألف من الحساء والخبز يوميا وفى خلال ١١ شهرا ما عدا كل يوم خميس وكذلك ايام شهر رمضان فيصرف للنزلاء الرز المطبوخ ويشير انه نظرا لكثرة الفقراء فإن الفرد منهم لا يحصل على ثلث حصته المرتبة(٢٥).

بناء مغسلة للموتى (شرشوره):

وجد حسيب باشا ان مغسلة الموتى - او ما يعرف حينذاك فى مكة وحتى الآن فيما اعتقد (بالشرشوره)(٢٦) كانت تقع فى بناء ملتصق بالحرم مباشرة بالقرب من باب الوداع، وان وجودها فى ذلك المكان غير لائق بنظافة الحرم الشريف، فقد انشأ لها بناء فى مكان آخر مناسب، ويتكون من قسمين منفصلين واحد للذكور وآخر للنساء، ألحق بكل قسم منها غرف خاصة لسكن العاملين بها(٢٧) ويقول حسيب باشا «وما من أحد رأى او سمع بنقل تلك المغاسل من أماكنها الاولى . . . من السادة العلماء وعامة الشعب الا واستحسن التدبير داعيا بالخير لحضرة السلطان»(٢٨).

التعليم:

حينما قدم حسيب باشا الى مكة وجدها خالية من المدارس، ووجد ان الناس الراغبين فى طلب العلم يتجهون الى الحرم الشريف للإنضمام فى الحلقات التعليمية التى كانت تعقد فى اروقته. الا انه كان يرى ان ذلك غير كاف ويرى انه من اللازم انشاء مدارس للتعليم أو على أقل تقدير اعادة إحياء أربع مدارس كانت موجودة. فى مكة المكرمة منذ زمن قديم كان قد بناها السلطان سليمان خان (القانونى) من جملة اوقافه فى مكة المكرمة، حيث خصص هذه المدارس الاربع للمذاهب الاربعة: اثنتان منها قرب باب الزيادة - ومع مرور الزمن اصبحت ملكا خاصا أضاف اليها مالكها بناء فأصبح فيها بعد مقرا للمحكمة الشرعية . . الا انه بسبب ما كان يشاهده قاضى مكة المكرمة من اعمال تجرى فى الحرم الشريف لا تتفق وحرمته فقد انتقل الى مقر آخر مخليا المقر الاول.

اما المدرستان الاخيرتان فتقعان فى طرف باب السلام وقد آلت ملكيتهما الى احمد باشا لما كان واليا على جدة(٢٩) وبصورة ما اضيفت اليها ابنتيه فاصبحت قصرا مسكونا، وان هذا القصر اضحى ملتصقا بسطح الحرم الشريف، ورأى حسيب باشا ان فى ذلك مما يخالف الاداب وحرمة الحرم الشريف وهو بذلك يقترح هدمه وارجاع المدرستين الى هيئتهما الاصلية(٣٠).

■ وبما ان اتخاذ قرار هدم هذا القصر يتجاوز صلاحيات حسيب باشا لذا فقد طلب من المصدر الأعظم الحصول على الإرادة العلية بالموافقة على هدم تلك الابنية المحدثة «واعادة كل شيء الى أصله ومطالبة الباشا المذكور بإثبات انه قد قام فعلا بشراء القصر. وقد اجرت الصدارة اتصالاتها مستفسرة من احمد باشا حول احقيته فى ملكية ذلك القصر حيث اجابها، ان القصر المذكور لم يكن مدرسة وانما اشتراه من شريف سعيد وانه جدده وعمره. ومع ذلك فقد أعلن عن موافقته على الامتثال للقرار الذى يتخذ بحق أمثاله(٣١).

●● ومن الجدير بالاشارة الى ما ذكره حسيب باشا بان اهل الخبرة قد قدروا ان تكاليف اعادة بناء مدرسة «قايتباى» ٣٥٠٠٠ كيس اما اذا كان ترميما فقط فكلفتها ٢٥٠٠ كيس من الاقجة(٣٢).

●● وقد علقت الصدارة العظمى على موضوع المدارس القديمة بقولها: ولما كانت تلك المدارس مع التعامل القديم آلت الى عقارات وأضحى إرجاعها الى شأنها القديم متعسرا من اجل ذلك حصل الاستفسار من

المعارف العامة والتى بدورها دعت الى عقد مجلس مؤقت جرت فيه المذاكرة حول المدارس الخيرية والتى آلت الى ايدى الغير ومالها من اوقاف ومصادر تمويل. وقد رأى المجلس المسارعة الى انشاء مدرسة واحدة تكفى عن الاربع.

ما يتعلق بالاوقاف:

يمكن القول بان المجلس الذى دعا الى تشكيله حسيب باشا فى مكة المكرمة عام ١٢٦٥ للمشاركة والنظر فى القضايا التى تهم الولاية يعد اول مجلس من نوعه تشهده ولاية الحجاز فى العهد العثمانى وذلك قبل الاخذ بنظام مجالس الادارة الذى نص عليه نظام الولايات بعد هذا التاريخ بحوالى عشرين سنة.

ولن ادخل فى تفاصيل مهام وأعمال هذا المجلس لا سيما ونحن نفتقر الى المادة التاريخية، ولعلنا يوما نحظى ببعض من محاضر جلسات هذا المجلس والتى لا استبعد وجودها محفوظة فى ارشيف رئاسة الوزراء الغني بكثرة فهارسه وتفرعاته او فى المحفوظات التابعة لوزارة الاوقاف فى العهد العثماني.

■■ ولكن لعله من الطريف والمفيد أن أورد هنا ما قاله المؤرخ الحجازى احمد زينى دحلان فى كتابه خلاصة الكلام(٣٣) عن هذا المجلس. يقول دحلان «كانت اكثر الاحكام بتصرف حسيب باشا، ورتب مجلسا من العلماء والمفاتى الأربعة فى كل أسبوع، وصار يصنع لهم طعاما من أفخر الاطعمة الملوكية فى كل اسبوع، واظهر فى اول الامر انه يريد التحقيق فى الاحكام الشرعية واجرائها على طبق الشرع الشريف وقسم هدايا جزيلة على العلماء ثم ظهر بعد ذلك انه انما يريد انتزاع الاوقاف السلطانية من ايدى الناس الذين استولوا عليها بالافراغات الشرعية فلم يمكنوه من ذلك»(٣٤).

■■ اكتفى المؤرخ دحلان بإيراد هذا الخبر ولم يأت على ذكر اى من اعمال حسيب باشا الاصلاحية او حتى اشارة اليها ولعل له فى ذلك عذره فكثير من مؤرخى تلك الفترة لا يهتمون الا بذكر الوقائع.. وبما أن الاخرين كانوا ممن وضعوا أيديهم على الاوقاف كما سنلاحظ فيما بعد فانهم كانوا أكثر القوم معارضة لاى اصلاح لا يخدم لهم مصلحة.. وكحل لمشكلة العقارات الوقفية التى آلت الى البعض بطريق الشراء، وصعوبة متابعة تسلسل انتقال تلك العقارات من مالك الى آخر وخشية الحاق الضرر بالمالك الاخير ورغبة فى تعويضه، فقد لجأ الوالى يعاونه المجلس الى طريقة تعويض المالك الاخير على اساس مدة التصرف وما استوفاه من اجور، واعطائه الثلث او الثلثين تعويضا بل وكاملا ـ لما يكون الادعاء مدعما ومتوافقا مع الشرع الشريف(٣٥).

■ وظهر بعض المعارضين لاجراءات الوالى وقرارات المجلس المتعلق منها باستعادة الاوقاف من ايدى المستفيدين، فلقد أشار حسيب باشا فى تقريره الى الصدر الأعظم الى المعارضة دونما ذكر لأسماء قادتها. بل وصفهم بالذوات حيث قال «تم لنا فى ظل السلطان ذى الخير ان استرجعنا دون كلفة من ايدى بعض الذوات والاشخاص الذين كانوا قد تغلبوا على الاثار الخيرية ونزعناها منهم وارجعناها الى اصولها دون مراعاة للخواطر والمشاعر»(٣٦).

ولكن احمد زيني دحلان ذكر اسماء بعض المعارضين، وذكر من ضمنهم مفتى مكة السيد عبد الله المرغنى، والذى قال

● وثيقة تبين اعادة بناء المدارس والأوقاف المتعلقة بها.

ان الباشا عزله بسبب معارضته وقلد منصب الإفتاء للسيد محمد الحنفى(٣٧).

بينما الوثائق التى بين ايدينا تذكر ان قاضى مكة حينذاك هو السيد عماد الدين، والسيد محمد الكتبى من كرام العلماء، وكليهما اعضاء فى المجلس.. اما المرغنى فكان مفتيا للاحناف واسمه محمد(٣٨) وليس عبد الله كما ذكر دحلان الا ان يكون ميرغني آخر.

■ ومهما يكن من أمر فالمعارضة قد بلغت أشدّها كما يذكر دحلان عندما اراد الوالى ان يفتح دعوى ضد السيد عبد الله بن عقيل اخى السيد اسحاق شيخ السادة لغرض نزع ملكية دار كان قد بناها الاخير بالقرب من الصفا وهى فى الأساس من الاوقاف السلطانية، فدبر السيد عبد الله هذا هروبه من مكة وذهب الى استانبول عن طريق مصر ليشكو حسيب باشا لدى السلطات هناك، وبعث الى حزبه من المعارضين فى مكة يستكتبهم عريضة يشكون فيها حسيب باشا الذى تطاول ـ فى حد زعمهم ـ على استعادة الأوقاف التى آلت الى ملكياتهم الخاصة بدعوى الافراغات الشرعية. ويذكر دحلان ان السلطان وشيخ الاسلام أمرا حسيب باشا بالكف عن بحث موضوع الاوقاف وابقاء كل شىء على ما كان(٣٩).

اننا لا نعرف سبب عزل حسيب باشا من ولاية الحجاز، إذ أننا لم نتمكن من الحصول على كل وثائق فترة ولايته إذ ربما تكشف لنا المزيد من اخبار هذا الوالى المصلح والاسباب الحقيقية لانتقاله او عزله.

على اية حال: فبالإضافة الى معارضة أصحاب النفوذ لإصلاحات حسيب باشا فقد واجهته مشكلة اخرى، وهى توفير المصاريف اللازمة لتمويل المشاريع الخيرية التى قام بإصلاحها وبإحيائها.

■■ بالرغم من ان حسيب باشا تمكن من استعادة بعض موارد الاوقاف التى يعود دخلها للصرف على ما احياه من المآثر الخيرية سواء من حيث تعميرها او اصلاحها او الصرف على الخدمات التى تقدمها هذه المؤسسات، الا انه اشار الى ان الموارد السنوية لهذه الاوقاف لن تفى بمصاريف اعادة كلما خرب من الاوقاف، ناهيك عن المصاريف اللازمة الاخرى. وللاسراع فى حل هذه المشكلة طلب حسيب باشا من الصدر الاعظم التوسط لدى السلطان بالصرف على هذه المؤسسات الخيرية من أوقاف السلطان الخاصة «**فيكون بذلك بمثابة الواقف الثانى**»(٤٠) وامام الضرورة الملحة يلتمس الوالى ايضا من الصدر الاعظم بذل الهمة لدى حضرة السلطان بصرف مبلغ ١٥٠ الف قرش من وقفه السلطانى على الحساب، ويلح على سرعة إرسال هذا المبلغ(٤١).

المواصلات البرية والبحرية:

كانت مسألة البريد بين ولاية الحجاز والعاصمة استانبول مرورا بالقاهرة من القضايا التى طالما شغلت البال. وكان الطريق المعول عليه هو الطريق البرى لعدم وجود بريد بحرى منتظم بين جدة والسويس. الا ان الطريق البرى لا تضمن سلامته بصفة دائمة بسبب كثرة تعديات القبائل القاطنة على طول الطريق الموصل بين مكة والقاهرة. ومن هنا رأى حسيب باشا بأن انشاء خط بحرى مباشر ومنتظم بين جدة والسويس سيكون له أهميته القصوى لا فى نقل البريد فحسب بل وفى تنشيط التجارة وسهولة انتقال المسافرين والقادمين الى الديار المقدسة من اجل الحج. بالاضافة الى اختصار زمن الرحلة بين مصر والديار المقدسة وكذلك ما فيه من امن وسلامة لأرواح المسافرين وضمان اموالهم ورواج تجارتهم.

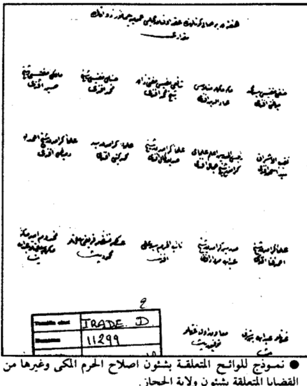
■ وذكر حسيب باشا فى تقرير مفصل بعث به الى الباب العالى تناول فيه الاهمية القصوى التى تشكلها المواصلات فى حياة الامم ورقى الشعوب وسهولة الاتصالات بين العاصمة والاطراف(٤٢).. واشار انه

عندما وصل الى مقر الولاية، تذاكر مع شريف مكة المكرمة ومع سلفه شريف باشا في الشؤون والقضايا الحجازية فأدرك الجميع جسامة هذه الولاية واهميتها وما يتبعها من مناطق كثيرة. وان الكثير من القضايا لا يتم البت فيها الا بعد التشاور مع الحكومة في استنبول. وبذلك أضحى من الضروري تسهيل وصول المخابرات في الأمور المهمة والتي لا تقبل التأخير(٤٣).

■■ واشار حسيب في تقريره الى ان نخبة من تجار مدينة جدة سبق ان تقدموا بطلب الى شريف باشا الوالي السابق يطلبون منه الترخيص لهم باقامة مؤسسة استثمارية تقوم على تسيير خط بحري يربط بين جدة والموانيء المصرية وغيرها، ولدى تشاور شريف باشا في هذا الخصوص مع عباس باشا في مصر ـ اجاب الاخير معتذرا ان إيجاد مثل هذا الخط يعطل امر نقل «الذخائر»(٤٤). وعلق حسيب باشا على موقف والي مصر تجاه طلب تجار جدة «انه مجرد تملص»(٤٥).

■■ لم يرق لحسيب باشا ان يرى فكرة اهل جدة البناءة تموت في مهدها ولم يدع الفرصة تمر دونما اثارتها من جديد، فدعا تجار جدة الى اجتماع وطلب منهم زيادة الايضاحات عن مشروعهم ـ فكان جوابهم ان مشروعهم كان الهدف منه تخصيص باخرة بقوة ٢٠٠ حصان أو بالقوة التي تتفضل الحكومة بتحديدها وتكون على هيئة مؤسسة (شركة)، وتُستورَد الباخرة شراء من الهند، وتخصص للقيام برحلتين في كل شهر فيما بين جدة والسويس، وتتولى مهمة نقل الحجاج في الفترة ما بين شهر رجب وشهر ذي الحجة، وقالوا انهم لن يطالبوا بأجرة محددة لنقل البريد(٤٦).

■■ ويرى حسيب باشا انه اذا ما توفرت باخرة او اثنتان من البواخر الكبيرة وبقوة ٣٠٠ـ٤٠٠ حصان للعمل بين جدة والسويس وبشكل منتظم فإنها ستقطع المسافة بين هاتين المدينتين في مدة تتراوح ما بين ٣ الى ٤ أيام. واذا ما توفرت وسائط النقل السريعة في ما بين السويس



● نموذج للوائح المتعلقة بشئون اصلاح الحرم المكي وغيرها من القضايا المتعلقة بشئون ولاية الحجاز.

والاسكندرية فإن البريد القادم من الحجاز الى استانبول عن طريق الاسكندرية سيصل في فترة لا تزيد عن ١٤ـ١٥ يوما، وهي فترة أقصر اذا ما قورنت بالمسافة التي تقطعها الباخرة المصرية الصغيرة والقديمة والوحيدة العاملة بين جدة والسويس، وهي بقوة ٦٠ حصان، والتي تستغرق في رحلتها من جدة الى السويس ما بين ٢٠ـ٢٥ يوما(٤٧).

■■ اما اسعار الوقود اللازم لبواخر جدة فقد اشار حسيب باشا الى ان قيمة الأقة من الفحم المستورد من انجلترا عن طريق الاسكندرية فلتبلغ قيمة الاقة من السويس ـ والذي يصل اليها من الاسكندرية بواسطة المراكب الصغيرة ـ ما بين ١٥ـ٢٠ بارة للاقة الواحدة، وما يباع من هذا الفحم للسفن المصرية لا تزيد قيمة الاقة عن ١٠ بارات. ويأمل الوالي ان تطبق هذه التسعيرة الاخيرة على السفن التي ستخصص لولاية جدة. كما دعا الى انشاء مخزن للفحم في مدينة جدة(٤٨). وقدر حسيب باشا ان الاحصاء السنوي يشير الى ان عدد الذين يعتمدون السفر بطريق البحر بين جدة والسويس يزيد عن ١٠ آلاف راكب سنويا.

وبهذا نستدل على أن حسيب باشا قد قام بإعداد مشروع متكامل للنقل البحرى بين موانىء البحر الاحمر ـ وان كان لم يتحقق فى عهده كلما اراده فقد تحقق شيء منه فيما بعد(٤٩) ويحسب له فضل الريادة.

البريد البرى:

لم يخبرنا حسيب باشا عن النظام او الطريقة التى كان يسير عليها البريد البرى بين ايالة الحجاز ومصر ومن ثم من هناك الى استانبول، وذلك فى الفترة السابقة لتوليه ولاية الحجاز. كذلك المصادر التى تم الاطلاع عليها لم تشر ايضا الى هذا الموضوع. بيد أن هذا الطريق ـ اى الطريق البرى لنقل البريد ـ وكما اشرنا اليه من قبل، هو الطريق المعول عليه فى نقل البريد بين الولاية والعاصمة. وبما ان البريد البحرى الذى تحدثنا عنه سابقا مازال مجرد فكرة لذلك لم يكن امام الوالى والحالة كذلك، الا أن يوجه اهتمامه الى العناية بالبريد البرى وجعله منتظما طبقا لقواعد واصول اتى على ذكرها بالتفصيل فى دفتر حول هذا الخصوص.

■■ ومن الملاحظ أن البريد يمر بنفس الطريق الذى يسلكه محمل الحج المصرى. وقد ورد فى دفتر البريد الذى اعتمدنا عليه فى معلوماتنا هذه مقارنة المدة الزمنية التى يقطع البريد خلالها المسافة بين الحجاز ومصر فنجد أن البريد يقطع المسافة من مكة الى قلعة الوجه فى خلال ٨٣ ساعة بينما يقطعها المحمل فى ١٩٢ ساعة. ومن الوجه الى القاهرة يقطعها البريد فى ٩٩ ساعة اما المحمل فيستغرق لقطعها ٢٢٤ ساعة.

الناحية الامنية:

اهتم حسيب باشا بأمن ولاية الحجاز على الصعيدين الداخلى والخارجى: فعلى الصعيد الداخلى، كانت ولاية الحجاز تواجه مشكلة تعديات القبائل على الطرق الرئيسية وخاصة طريق الحج الشامى والمصرى، حيث تقطن قبائل حرب وجهينة وبنى صخر وغيرها من القبائل وكانت الدولة تعانى مشكلة كبيرة فى ادخال هذه القبائل تحت الطاعة او على اقل تقدير ربط رؤساء هذه القبائل باتفاقيات تتعهد الدولة بموجبها دفع مبالغ وإعطيات سنوية الى هؤلاء الرؤساء مقابل الحصول على أمن وسلامة الحجاج والمسافرين والعابرين من أجل التجارة وغيرها.

■ وتبرز مهارة الوالى ونجاحه فى ادارة شؤون الولاية اذا تمكن من حل هذه المعضلة. ويتفاوت الولاة فى الوسائل التى ينتهجونها لمواجهة مشكلة تعديات القبائل، والحديث عن هذا الموضوع جدير بأن يخصص له دراسة مستقلة، على اننى سأتحدث هنا عن حسيب باشا وكيف تعامل مع هذه القضية المزمنة التى طالما عزل بأسبابها ولاة كثيرون بل أدت فى فترة من الفترات الى سقوط احد الصدور العظام.

■ من المؤكد ان خبرة حسيب باشا الطويلة كناظر للأوقاف والخزانة معاً، جعلته بأن يكون على اطلاع جيد باحوال القبائل البدوية والخطورة التى تكونها على امن الاراضى المقدسة وزوارها. فأسقط من حسابه التفكير فى استخدام القوة لمواجهة مشكلة القبائل، اذ ان القوة فى كل الظروف لا تجدى، ووجد أن من المصلحة التفاهم مع رؤساء هذه القبائل بالتى هى أحسن، فدخل فى مراسلات مع رؤساء هذه العشائر، وخاصة المهمة منها وهى قبيلة حرب ذات الفروع والفخوذ المتعددة والتى تتحكم فى الطرق التى تربط بين مكة المكرمة والمدينة المنورة.

■ ومن الجدير بالملاحظة بان قلة الامطار وشدة الجفاف.. وقسوة الطبيعة.. وانقطاع الامطار كلية فى بعض المواسم وما ينجم عنه من هلاك مواشى هذه القبائل البدوية من هذه الانحاء ـ كل هذه الظروف مجتمعة لعلها من المسببات الرئيسية التى كانت تدفع بالقبائل الى تعديها على الحجاج، او اخذ رسوم عليهم اثناء مرورهم

بأراضيهم، او رفع أجور وسائط النقل لأنه فى ظل مثل هذه الظروف فضلا عن عدم توفير الحماية الامنية وغيرها، لم يبق لهم امل فى مصدر آخر للرزق غير ما يحصلون عليه من الحجاج، وكانت الناس هناك تستبشر خيرا بمقدمهم، ولم تكن السلطات فى ولاية الحجاز تهتم بشؤون القبائل خاصة اذا ما تعرضت لمثل هذه الظروف الصعبة، فلم يحدث ان وفرت لهم فرص للعمل، كتوظيفهم للخدمة العسكرية فى الولاية مثلا، او غيرها من الأعمال، او تشجيعهم على العمل الزراعى والاستقرار فى أماكن ثابتة(٥٠).

وفى عهد حسيب باشا ارتفع عدد الكساوى التى توزع على الاعيان وكبار القوم فى كل عام مع قدوم الصرة السلطانية السنوية(٥١).

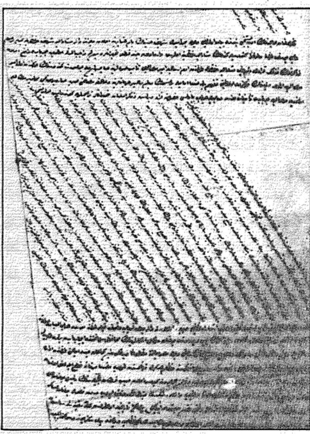
■ وصول الصرة السلطانية من المواسم الهامة التى تحتفل المدن المقدسة وسكان الحجاز عامة بمقدمها ويرأسها شخصية هامة من رجال البلاط السلطاني ويسمى امين الصرة ويفترض فيه الصدق والإخلاص والأمانة والعطف والمبرة بالفقراء.

■ ولكن من الطريف أن حسيب باشا المعروف بصراحته وعدم مجاملته رفع الى الصدر الاعظم يلفت انتباهه الى عدم نزاهة امين الصرة السلطانية والمدعو مصطفى وانه رجل مشكوك فى امانته.

ومن الجدير بالاشارة - طالما الحديث عن أمن طرق الحج - الى ان طرق الحج العابرة من خلال أراضى أمارتي نجد وعسير المحيطتين بولاية الحجاز من الشرق والجنوب حيث يعبر من خلال اراضى نجد الحجاج القادمون من العراق وشرق الجزيرة العربية وبلاد فارس بينما يعبر بلاد الثانية طريق الحج اليمنى، تعد اكثر امانا واكثر انضباطا من تلك التى تمر فى أراضى ولاية الحجاز خاصة للقادمين من الشام ومصر.

■ ولدينا رسالتان فى هذا الخصوص تتعلق بأمن طرق

● وثيقة متعلقة بتنظيف الحرم المكى واحلائه ممن اتخذوه مكانا للنوم وملجأ بعد ان هيأت لهم الادارة المختصة فى مكة المكرمة اماكن لايوائهم.



الحج عبر اراضى هاتين الأمارتين.. واحدة من أمير نجد فيصل بن تركى ١٨٤٣-١٨٦٥.. واخرى من امير عسير محمد بن عايض ١٨٥٥-١٨٧١. يقول الاول فى رسالته التى وجهها الى والى الحجاز عبد العزيز باشا بتاريخ ٧ شوال سنة ١٢٦٧هـ «... غير خافٍ على شريف علمكم ولطيف فهمكم، اننا لم نزل مستقيمين فى مرضات الله ورسوله بإقامة شريعة سيد المرسلين، وتأمين سبل الحجاج والمسافرين، وأمناهم من جميع طغاة البادية والمتمردين، حتى صار الحجاج من فضل الله تعالى يمشون من بغداد والعراق والبصرة والبحرين وساحل عمان واقاليم العجم آمنين مطمئنين، ونجعل عليهم اميراً لدفع الاذى عنهم، وللبوادى على الحجاج رسوم رسموها المتقدمين واحتملناها عنهم فأمنا البلاد والعباد ومسالك طرق الحجاج والمسافرين، ونطعم الفقراء والمساكين،

ونربى الايتام ونكسى العرايا ونجبر الكسير ونواسى العسير، وكل ذلك من فضل الله وامتنانه وحسن توفيقه، ورجاء الثواب الجزيل والاجر العظيم من الله»(٥٢).

■■ اما أمير عسير محمد بن عايض فنلمس اهتمامه البالغ بأمن طرق الحجاج فى رسالته التى بعث بها الى والى جدة محمد ناحق باشا وذلك بتاريخ ٢١ ذى القعدة ١٢٧٣هـ فيها «. ولتعلموا علم اليقين بمحبتنا ذوى التسديد الخارجين عن العنف والتشديد، واخبارنا ولله الحمد سارة قارة، ونحن فى الاجتهاد الكلى فى تصليح سبل المسلمين وتتبع ارغام المفسدين الذين اولعوا بسفك الدماء وقطع الطرق، سيما طريق بيت الله الحرام والقاصدين تلك المشاعر العظام مع إقامة الشريعة المطهرة وتجديد الطريقة المنورة»(٥٣).

ونلمس من هاتين الرسالتين تأثير مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية من حيث الصدق وشدة العزيمة على ضرب كل متجاسر تسول له نفسه بقطع طرق المسلمين والمسافرين من اجل الحج والتجارة وغيرها.

الأمن من الخارج:

من المعروف ان ولاية الحجاز ومقرها مدينة جدة - وتسمى أحيانا ايالة جدة والحبشة، وتعريف الحبشة هنا من الصعب تحديده. الا انه من الثابت ان المدن الرئيسية والموانىء الكائنة على الساحل الغربى للبحر الاحمر مثل سواكن وطوكر ومصوع وزيلع وهرر وبربره تتبع لولاية جدة وهى فيما اعتقد ما يعبر عنه بولاية الحبشة المرتبطة اداريا وماليا وعسكريا بولاية جدة.

■ وقد انتقلت ادارة هذه المناطق الى الادارة المصرية فترة استيلاء محمد على باشا على ولاية الحجاز ١٨١١-١٨٤٠ واستصدر لابنه ابراهيم فرماناً بتعيينه واليا على جدة وولاية الحبشة(٥٤).

■ الا ان محاولته هذه واجهت معارضة شديدة من قبل سكان سواكن نفسها الذين طلبوا من والى جدة عثمان باشا ابقاء سواكن تابعة لجدة كما هو الحال منذ بداية الحكم العثمانى(٥٥) وكذلك مصوع بقيت ايضا مرتبطة بولاية جدة.

■ وبما أن هذين الميناءين لما يكونان من اهمية استراتيجية بالاضافة الى أهميتهما الاقتصادية لولاية الحجاز، اصبحا يتعرضان لمنافسة دولية وخاصة من قبل كل من بريطانيا وفرنسا، واللتين اتخذتا من هذين الميناءين معبرا الى الحبشة وما يعقبها من بلاد السودان لاغراض تجارية وتبشيرية. لم يقتصر نشاط هذه الدول على النواحى التجارية فقط بل اصبح نشاطها يهدد السيادة العثمانية على الطرف الآخر من البحر الاحمر وبالتالى تهديداً لأمن ولايتى الحجاز واليمن معا(٥٦). وقد ازداد نشاط هذه الدول وتغلغلهم فى المناطق العربية الاسلامية على الطرف الآخر من البحر الأحمر من خلال عقد تحالفات مع بعض قبائل هذه المناطق من ناحية، وتعاونهم مع حكام الحبشة النصارى ضد سكان هذه المناطق من ناحية اخرى. وتشير المصادر الى ان الادارة العثمانية فى استانبول وافقت على انتقال ادارة مينائى سواكن ومصوع الى الادارة المصرية مقابل مبلغ سنوى مقطوع تدفعه الاخيرة الى خزينة ولاية جدة وذلك فى ١٩ رمضان ١٢٦٢ / ١٢ سبتمبر ١٨٤٦م. وهذا لا يعنى ان الدولة العثمانية قد تخلت عن حقها التاريخى فى تبعية سواكن ومصوع لها. بل على العكس من ذلك فقد ابلغ السفير البريطانى فى استانبول السير كاننج فى عام ١٨٤٨م(٥٧).

■ ادرك حسيب باشا ازدياد النفوذ الاجنبى فى هذه المناطق ويعتبر اول من تنبه الى هذا الخطر المحدق بولاية الحجاز فسارع فى الكتابة الى الباب العالى يدعوه الى ضرورة عودة تبعية سواكن ومصوع وغيرها من المناطق على الساحل الغربى للبحر الاحمر لولاية جدة وادخال ما لم يدخل من قبائل هذه الجهات تحت الحماية العثمانية(٥٨) ولكنه يرى ان الادارة المصرية لم تعد قادرة على ضبط امور

هذه المناطق واحلال السلام بها وابعادها من الخطر الاجنبى الذى طالما وجد الفرص واختلاق المعاذير للتدخل فى شؤون هذه المناطق، وذلك من خلال تأجيج الصراع بين القوى المحلية، الذى زاد من حدته الطريقة التى ينتهجها الحكم المصرى لادارة هذه المناطق.

وقد اشار حسيب باشا الى ان الحكم المصرى ألغى نظام التعاون او التحالف مع (حريفو) حركيكو الذى كان قائما فى مصوع للمحافظة عليها وأحل مكانه نظاماً عسكرى آخر حدد له مرتبات تقريبية. وكان على رأس النظام القديم النائب حسن الذى فر لاجئا محتجا على النظام الجديد الى الرأس على زعيم قبيلة الكبيرة المجاورة لمصوع، والذى كان قد دخل هو بدوره تحت الحماية الفرنسية(٥٩).

■ ويرى حسيب باشا انه اذا ما عادت سواكن ومصوع وغيرها من المناطق على الساحل الغربى للبحر الاحمر الى الادارة العثمانية المباشرة وارتبطت بولاية جدة، فانه يلزم تشكيل قوة نظامية ترابط فى قلاع الموانى، المذكورة، وخاصة مصوع، حيث ينشط التدخل الاجنبى يساعدها قوة من المليشيا - ويرى انه من الافضل تشكيل القوة الاخيرة من سكان هذه الجهات من اصحاب التجربة والاستقامة. ويقترح ان تُجلب اعداد من الرقيق من المناطق المجاورة لمصوع وإلحاقهم بالخدمة العسكرية النظامية التابعة لولاية الحجاز حتى اذ ما تم تدريبهم وتعليمهم حينئذ لا تحتاج ولاية الحجاز الى استخدام امثالهم من مناطق اخرى - بل قد تفيض اعدادهم عن احتياج ولاية الحجاز فيرسل بالفائض الى استانبول او مناطق اخرى ترتأيها الدولة. اما طريقة الحصول على هؤلاء الرقيق فيرى الوالى ان الطريقة الاميركية مثل يُحتذى، حيث تحصل دولة امريكا على آلاف الرقيق سنويا مقابل عينيات زهيدة من الخرز والاقمشة الرخيصة(٦٠).

■ واشار فى تقريره الى ازدياد التدخل الاجنبى فى مينائى مصوع وسواكن وإقدام بعض مشايخ هذه المناطق الى بيع ما بايديهم من اراض الى الاجانب، ونبه الى الاخطار التى قد تتعرض لها ولاية الحجاز وامن الاراضى المقدسة من جراء هذا التصرّف غير المسؤول، وانه لابد من جعل حد لتصرف هؤلاء المشايخ والمسارعة الى ربط بلادهم بولاية جدة وتحصينها بحاميات من الجنود السلطانية.

■ ظلت بعض المناطق الكائنة على الطرف الافريقى للبحر الاحمر مثل زيلع وهرر وبربره بعيدة عن نفوذ الادارة العثمانية. وذلك منذ اضمحلال النفوذ العثمانى على اليمن فى النصف الاول من القرن السابع عشر، واقتصر النفوذ الفعلى للعثمانيين على المدينتين المقدستين مكة والمدينة فقط. لكن نلاحظ اهتمام العثمانيين منذ عودة نفوذهم على ولاية الحجاز ١٨٤٠ يزداد فى تأكيد شرعية هيمنتهم على كل مناطق نفوذهم السابقة والتصميم على إعادة نفوذهم الفعلى على كل الاجزاء التى كانت تابعة لهم يوما ما. جاء هذا فى وقت ازداد فيه نشاط الدول الاوروبية وخاصة فرنسا وبريطانيا فى العمل على ان يكون لها مواطىء اقدام ومناطق نفوذ فى المناطق المطلة على البحر الاحمر والخليج العربى حيث تمكنت بريطانيا من احتلال عدن فى عام ١٨٣٩ واتخذت منه قاعدة لتوسيع نفوذها فى المناطق المطلة على البحر الاحمر بقسميه العربى والافريقى.

■ اما فرنسا فقد اقتصر نشاطها فى بادىء الأمر على التجارة والاعمال التبشيرية وممارسة حقها التاريخى فى حماية الروم الكاثوليك فى المشرق، واقتصر اهتمامها فى مصوع كمركز مهم لتجارتها، كما اتخذت منه معبرا الى مسيحي

الحبشة، وكانت اول محاولة لها فى الاستيطان هى محاولة الاستيلاء على جزيرة كمران المحاذية للحديدة الا ان والى الحديدة فشّل محاولتها تلك ووضع حامية فى الجزيرة(٦١).

■ اما المناطق الثلاث المشار اليها اى زيلع وهرر وبربره فقد تنبه حسيب باشا الى اهميتها وتطلعات الاجانب الى بسط نفوذهم عليها فدعا الى المبادرة بضمها تحت النفوذ العثمانى المباشر وقطع الطريق على الدول الاجنبية فى التدخل فى شؤونها مستغلين الصراعات الداخلية بين رؤساء هذه المناطق ـ فكتب فى تقريره المفصل الى الباب العالى عن احوال هذه المناطق والظروف التى تواجهها حيث قال: «كان يحكم مرفأ بربره الكائن خارج باب المندب من البر العجمى قبيلتان احداهما المسماة عيال احمد التى عرضت فى عام ١٢٦٤ / ١٨٤٧ الماضية بيع حصتها الى الحاكم المدعو «شوه صاحب» حاكم عدن من قبل الدولة الانكليزية، فعارضتها القبيلة الثانية الشريكة معها فى هذا العرض وجرت الفتنة بينهما واتسع الخلاف فكانت معارضة عيال يونس لعيال احمد سبباً لتجميد موضوع البيع، واستمر الاختلاف والشقاق بينهما أشهراً فانتهز حاكم عدن فرصته فأرسل من قبله موفدا على سفينة وصلت بربره حيث قام الموفد بمصالحة القبيلتين ـ ولكن هذا الصلح لم يكن على اساس متين(٦٢). وقدم لنا حسيب باشا فى تقريره وصفا حيا لاحوال ميناء بربره يقول فيه:

«مرفأ بربره لا يكون مسكونا طيلة العام لأن مرور وعبور السفن فى البحر المذكور (اى خليج عدن) له مواسم معينة فلما يحل موعدها تفد القبائل اليها من حيث ترد السفن العديدة قادمة من اطراف الهند والبصرة ومسقط والمكلا واليمن، والجهات الاخرى ماخرة فى البحر آتية آيبة، والسفن القادمة الى المرفأ تحمل انواع التمور والنقود لتبادل بها المحاصيل الجاهزة اليومية.. الصمغ والمر والصبر والباغة وريش النعام وسمون الماشية والاغنام، وهى فى هذا المرفأ وافرة ورخيصة تلبى مطالب الوافدين الذين يحملونها على سفنهم عائدين من حيث يمرون على عدن، وهنا لا تستوفى ادارتها اى جمرك(٦٣) معين، على ان السفن الواردة تدفع (الغفارة) لإحدى القبيلتين الآنفتى الذكر ويؤدى اصحاب السفن لهؤلاء ما جرت عليه العادة من أعطيات تكريما.

●● ولما ينتهى الموسم ويتم الوارد يبقى المرفأ خاليا من السفن.. اذ تكون القبيلتان والعربان الذين جاؤوا من هنا وهناك للبيع والشراء قد استقروا فى سفنهم ومراكبهم التى تمخر فى البحر. وهكذا يصبح المرفأ الذى يعج بالوافدين اليه والذين كانوا على انتظارهم خاليا خاويا لا يسكنه احد(٦٤).

●● اما بندر زيلع الذى يقابل ميناء مخا ويفصل بينهما مسافة يوم واحد، فقال حسيب باشا انه يتبع لإياله اليمن تحت ادارة الشريف الحسين بن على حيدر ويتولى المحافظة عليها الشريف المذكور بواسطة بعض التجار الملتزمين له بها ووصفها بانها «بلدة محصنة واسعة العمران محاطة بسور»(٦٥).

<u>كما دخل حسيب باشا فى مكاتبة مع من أسمته الوثائق العثمانية بسلطان الحبشة.</u>

■ كان الهدف من هذه المكاتبة تذكير هذا السلطان بأنه وبلاده تابعين للخليفة العثمانى، وقد رد سلطان طائفة الحبشة بجواب مع مندوب يدعى الحاج اسماعيل كوندرى، اكد فى جوابه هذا بانه من اتباع السلطان العثمانى، وقد وصل موفود سلطان الحبشة الى جدة فى الوقت الذى كان حسيب باشا قد انعزل منها وحل بدلا عنه عبد العزيز باشا الملقب بآغا(٦٦).

■ كذلك تناول حسيب باشا مسألة إمام عمان الذى ذكر انه دخل فى اتفاقيات مع بريطانيا وفرنسا ويخشى ان يجر ذلك الى استيلاء اى من هاتين الدولتين على شىء من املاك الإمام. ورغب الامام الانضواء تحت طاعة السلطان العثمانى(٦٧).

هوامش

(١) النهروالى، محمد بن احمد البرق اليمانى فى الفتح العثمانى، منشورات دار اليمامة ١٣٨٧/ ١٩٦٧، ص٢٦. الاعلام باعلام بيت الله الحرام طبع على هامش كتاب خلاصة الكلام لدحلان القاهرة ١٣٠٥ ص٤٧.

(٢) ضياء قاريجى، خدمات الدولة العثمانية للحرمين الشريفين، المجلة التاريخية المغربية السنة الثانية عشر العدد ٣٩-٤٠ ديسمبر ١٩٨٥ ص ٥٨٣-٥٨٩. الاعلام للقطبى على هامش خلاصة الكلام لمؤلفة احمد زين دحلان القاهرة ١٣٠٥ ص١٧٣ احمد السباعى تاريخ مكة ج٢ مكة ١٣٧٨ ص٥.

(٣) لم يكن يسمى والى الحجاز بل كان يدعى والى جدة وسر عساكر الاقطار الحجازية - واحيانا تضاف مشيخة الحرم المكى الى والى جدة. وقد بقيت جده مقر ولاية الحجاز الى عام ١٦٨٨هـ حينما انتقل مقر الوالى الى مكة المكرمة «انظر سليمان باشا فى سياحة تامة مخطوطة فى مكتبه». انظر الوثيقة رقم ١١٢٩٩ تاريخ ٢٥ جماد الاول ١٢٦٥ ارادة داخلية ارشيف رئاسة الوزراء بالسلطنة العثمانية.

جعل حسيب باشا الوالى الرابع وذلك باضافة اسم كامل باشا كثانى والى فى عداد ولاة الحجاز للفترة الثانية ولم نجد ما يؤيد ما ذهب اليه فى المصادر والمراجع التى بين ايدينا.

(٤) كان عثمان باشا اول والى عثمانى فى العهد العثمانى الثانى. وكان يشغل قبل ذلك مشيخة الحرم المدنى ثم خلفه شريف باشا. وكان من موظفى مشيخة الحرم المدنى لفترة طويلة زادت عن اربع عشرة سنة.

(٥) محمد ثريا. سجل عثمانى ياخوذ تذكرة مشاهير عثمانية ج٢ استانبول ١٣١١ ص١٨٠-٨١.

(٦) عثمان باشا الى الصدر الاعظم بتاريخ ٢٩ شعبان ١٢٦١هـ وثيقة رقم ٢٤٤٢ مسائل مهمة دفتر جده. ارشيف رشاسة الوزراء.

(٧) مسائل مهمة دفتر جدة وثيقة رقم ١٢٤٤١ لفة٢ وتاريخ غرة جماد الاول ١٢٦١هـ وكانت لمساعى محمد على باشا لدى اصحاب النفوذ فى الباب العالى اثر فى عزل عثمان باشا وابداله بشريف باشا الذى عرف بضعف شخصيته فاصبح اداة طيعة فى يد الشريف ابن عون الذى عرف بدهائه وحنكته.

(٨) محمد بن عون الى الصدر الاعظم بتاريخ غرة ربيع الاول ١٢٦٥هـ وثيقة رقم ١١٢٩٩ ارادة داخلية ارشيف رئاسة الوزراء.

(٩) من حسيب باشا الى الصدر الاعظم وثيقة رقم ١٢٩٩ ارادة داخلية بدون تاريخ ومن المرجع انها بتاريخ غرة ربيع الاول ١٢٦٥ أرشيف رئاسة الوزراء.

(١٠) من حسيب باشا الى الصدر الاعظم بتاريخ غرة جمادى الاولى ١٢٦٥/ ٢٥ مارس ١٨٤٨ وثيقة رقم ١١٠٣٤ ارادة داخلية ارشيف رئاسة الوزراء.

(١١) الوثيقة السابقة.

(١٢) من حسيب باشا الى الصدر الاعظم وثيقة رقم ١١٢٩٩ بدون تاريخ ارادة داخلية ارشيف رئاسة الوزراء.

(١٣) نفس المصدر السابق.

(١٤) ادت فيما يبدو الى عزل حسيب باشا من ولاية الحجاز فيما بعد حينما كثر معارضوه بسبب اصراره على اعادة الاوقاف الى سابق مجدها ووظائفها التى خصصت من اجله.

(١٥) حسيب باشا الى الصدر الاعظم وثيقة رقم ١١٢٩٩ بدون تاريخ ارادة داخلية ارشيف رئاسة الوزراء.

(١٦) حسيب باشا الى الصدر الاعظم وثيقة سبق الاشارة اليها وانظر كذلك تقرير محمد بن عون الى الصدر الاعظم بتاريخ غرة ربيع الاول ١٢٦٥ وثيقة رقم ١١٢٩٩ ارادة داخلية ارشيف رئاسة الوزراء.

(١٧) يبدو ان مدرسة قايتباى كانت من الضخامة بمكان حيث نزل فيها عثمان باشا قائد الجيوش العثمانية المتوجهة الى اليمن لضرب ثورة الامام المطهر وذلك اثناء توقفه فى مكة لاداء العمرة وذلك فى عام ٩٧٥هـ.

(١٨) حسيب باشا المصدر السابق.

(١٩) مصدر سبق الاشارة اليه.

(٢٠) القازان اكبر مقياس من ادوات الطبخ.

(٢١) يبدو ان وثائق اوقاف مكة كانت محفوظة أما لدى المحكمة الشرعية او جهة مسؤولة عن الاوقاف حيث ما كان ليتسنى لحسيب باشا ان يعرف هذه المعلومات المفصلة عن الاوقاف لو لم يطلع على وثائقها وسجلاتها.

(٢٢) وثيقة سبق الاشارة اليها.

(٢٣) انشئت فى عام ١٢٣٨ انظر ابراهيم رفعت مرآة الحرمين ص١٨٥.

(٢٤) ذكر حسيب باشا فى تقريره هذا الى الصدر الاعظم انه بعث بتقرير مفصل باللغة العربية عن وقف محمد على اعده الموظفون القائمون على هذا الوقف او هذه المبرة الخيرية.

(٢٥) لا اعرف هل «شرشوره» لفظة عربية ام تركية ولكن لم اعثر عليها فى قاموس رد هاوس تركى انجليزى.

(٢٦) حسيب باشا الى الصدر الاعظم بدون تاريخ وثيقة رقم ١١٢٩٩ ارادة داخلية، ارشيف رئاسة الوزراء بالسلطنة العثمانية.

(٢٧) المصدر السابق.

(٢٨) هو احمد باشا ابن اخت محمد على باشا - اما والده فيدعى مصطفى بك وكان يمتهن بيع الفلافل والجبنة فى القاهرة. اصبح واليا على الحجاز فى سنة ١٢٣٥/ ١٨١٩ بعد وفاة اخيه خليل باشا ثم عزل عام ١٢٤٤/ ١٨٢٨ ثم اعيد واليا مرة ثانية عام ١٢٤٨/ ١٨٣٢ ومكث بها الى عام ١٢٥٦/ ١٨٤٠ عند انسحاب قوات محمد على نهائيا من الجزيرة العربية. ولمكوث احمد باشا فترة طويلة فى الحجاز صار يطلق عليه احمد باشا الحجازى. انظر دحلان خلاصة الكلام القاهرة ١٣٠٥ ص٣٠٣.

(٢٩) من خلاصة تقارير حسيب باشا الى الصدر الاعظم وثيقة رقم ١٢٩٩ بدون تاريخ ارادة داخلية رئاسة مجلس الوزراء بالسلطنة العثمانية.

(٣٠) المصدر السابق.

(٣١) من حسب باشا الى الصدر الاعظم وثيقة رقم ١١٢٩٩ بدون تاريخ ارادة داخلية رئاسة الوزراء بالسلطنة العثمانية.

(٣٢) خلاصة الكلام فى بيان امراء البلد الحرام المطبعة الخيرية القاهرة ١٣٠٥.

(٣٣) المصدر السابق ص٣١٥.

(٣٤) حسيب باشا الى الصدر الاعظم وثيقة رقم ١١٢٩٩ بدون تاريخ ارادة داخلية ارشيف رئاسة الوزراء بالسلطنة العثمانية.

(٣٥) المصدر السابق.

(٣٦) خلاصة الكلام ص٣١٥.

(٣٧) قائمة اسماء الشخصيات اعضاء المجلس وثيقة رقم ١١٢٩٩ ارادة داخلية

هوامش

ارشيف رئاسة الوزراء.

(٣٨) خلاصة الكلام ص٣١٥.

(٣٩) من حسيب باشا الى الصدر الاعظمس وثيقة سبقت الاشارة اليها.

(٤٠) نفس المصدر.

(٤١) وضرب مثلا ببريطانيا التى تملك اسطول بحرى ضخم يحمل البريد والتجارة ويربط الامبراطورية بعضها مع بعض حيث قال «ان وجود عدد من البواخر (الخاصة) فى جدة، بأى وجه كان. وفى ظل حضرة السلطان، انها هو من الموجبات العالية للشأن والشوكه، عدا ما تؤمنه للممالك من الفوائد والمحسنات العديدة. . ان دولة انجلترا لها العديد من البواخر التى تتراوح قوتها بين ٤٠٠-٥٠٠ حصان تمخر البحر بين السويس وعدن ومنها الى سواحل الهند، وهى تجول بالتنقل والرسو فى سيلان وكلكتا وبومباى، وهى فى كل شهر تدفع باخرتين متتابعتين فى هذا الخط متخذة واسطة بريدذ فى حين تدع بعض البواخر فى موقف الاهبة الاحتياطية، وعلى هذا الوجه فانها تحصل فى كل شهر، مرتين، على اخبار واحوال ملكها». انظر التقرير المفصل الذى اعده حسيب باشا بدون تاريخ وثيقة رقم ١١٢٩٩ ارشيف رئاسة الوزراء.

(٤٢) حسيب باشا الى الصدر الاعظم تقرير مطول مكون من اثنى عشر بندا.

(٤٣) المصدر السابق ويقصد بالذخائر هنا المواد التموينية لولاية الحجاز.

(٤٤) المصدر السابق.

(٤٥) المصدر السابق.

(٤٦) تقرير حسب باشا الى الصدر الاعظم سبقت الاشارة اليه.

(٤٧) تقرير حسيب باشا المفصل الذى سبق الاشارة اليه.

ذكر محمد رفعت فى كتابه مرآة الحرمين ج١ ص١٥ مصدر سبق الاشارة اليه ان المسافة بين السويس وجدة تبلغ ٦٤٢ ميلا، وقطعتها باخرة المحمل المصرى فى عام ١٣١٧هـ/ ١٩٠١م فى ٦٦ ساعة.

(٤٨) المصدر السابق.

(٤٩) انظر محمد عبد الله آل زلفه ميزانية ولايتى الحجاز واليمن لعام ١٢٨٣-١٨٦٦ المجلة التاريخية المغربية السنة الثانية عشر العدد ٣٩-٤٠ ديسمبر ١٩٨٥ ص٣٤١-٣٦١.

(٥٠) صورة الخطاب الموجه من حسيب باشا الى والى ايالة مصر عباس باشا وثيقة سبقت الاشارة اليها.

(٥١) كانت اول محاولة لنشر الوعى بين قبائل الحجاز من خلال برنامج محو امية وتشجيعهم على الاستقرار والعمل الزراعى وذلك فى عام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م حينما بعثت ولاية الحجاز بمائة وخمسة عشر معلما من شيوخ وفقهاء مكة المكرمة الى مناطق متعددة فى الولاية المأهولة بالسكان من القبائل خاصة تلك المحيطة بمكة لغرض تعليمهم القرآن ومحو اميتهم. وقد ادت هذه المحاولة ثمار طيبة عادت بالنفع على السكان وعلى الولاية حيث هذبت اخلاق العربان وحببت اليهم العمل والاستقرار مما ساعد على تحسين وضعهم ورفع طاقتهم الانتاجية من خلال العمل الزراعى انظر الوثيقة رقم ٥٦٨ شورا دولت لفة٤ وهى تحتوى على دفتر يوضح اسماء المعلمين واسماء المناطق المعينين بها وللمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر ايضا الوثيقة رقم ١٢٨٥هـ ولفة ٥ بتاريخ ٢٤ شوال ١٢٨٥هـ وايضا نفس الوثيقة لفة ١ بتاريخ ١٧ شوال ١٢٨٥هـ من محفوظات ارشيف رئاسة الوزراء. انظر كذلك مرآة الحرمين تأليف ايوب صبرى استانبول ١٣٠٢ ج٤ ص١٠٢٧ وما بعدها.

(٥٢) حسيب باشا الى الصدر الاعظم بدون تاريخ وثيقة رقم ١١٢٩٩ سبق الاشارة اليها.

(٥٣) جمع احد كتاب الصرة السلطانية ويدعى حسن الوسنوى فى السنوات ما بين ١٢٣٤-١٢٣٨ مقتطفات من قصائد شضعرية تكتب على دفاتر الصرة عند تسلمها من قبل المسؤولين فى المدينة المنورة حيث يقول «ومن القاعدة القائمة من قديم فى كل عام بالخصوص، تأتى من الدولة العلمية دفاتر سلطانية وعلى ما قل وجل فيها منصوص، واذا وردت المدينة المنورة يرسم فيها الكاتب ما يشعر بالوصول بالتمام ويطبعها حضرة القاضى بختمه وحضرة شيخ الحرم ويزينان ابتداءها بحسن الختام» مخطوطة مكونة من ٩ ورقات محفوظة فى مكتبة جامعة استانبول تحت رقم ٥٩٤٨.

(٥٤) من فيصل بن تركى الروالى ايالة جده عبد العزيز باشا بتاريخ ٧ شوال سنة ١٢٦٧هـ وثيقة رقم ١٤٧٩٠ ارادة داخلية ارشيف رئاسة الوزراء.

(٥٥) من محمد بن عايض الى محمد ناحق باشا والى الحجاز بتاريخ ٢١ ذى القعدة ١٢٧٣هـ وثيقة رقم ٥٩٤ ارادة مجلس مخصوص ارشيف رئاسة الوزراء.

(٥٦) Henry Dodwell - The founder of Modern Egypt - A Study of Muhammad Ali, Cambridge University Press, 1967. P.49.

(٥٧) ارتبطت سواكن اداريا بلسودان فى الفترة ما بين ١٢٤٦/ ١٨٣٠ و١٢٤٩/ ١٨٣٣ ثم عادت تبعيتها الى جدة بعد ذلك انظر عريضة سكان سواكن الى والى جدة عثمان باشا بتاريخ ١٤ ذى القعدة ١٢٥٨هـ وثيقة رقم ٢٤٣٢ لفة٤ مسائل مهمة دفتر جدة ارشيف رئاسة الوزراء استانبول.

(٥٨) المصدر السابق.

(٥٩) الوثيقةس السابقة وانظر كذلك محمد صالح ضرار، تاريخ سواكن والبحر الاحمر، الناشر الدار السودانية للكتب، الخرطوم ١٤٠١/ ١٩٨١ ص٦٤.

(٦٠) (1) Sven Rubenson The Survival of Ethiopian Independence London, 1978, P. 116.

انظر ايضا شوقى الجمل سياسة مصر فى البحر الاحمر، القاهرة ١٩٧٤م ص٩٢٠ وتجدر الاشارة الى ان محمد على باشا لم يتمكن من ابقاء سواكن تحت سلطته طوال فترة ولاية عثمان باشا والى جدة الذى عرف بمعارضته الشديدة لاية هيمنة لمحمد على على هذه الجهات. ولكن نرى ان سواكن ومصوع ضمت لهيمنة محمد على بمجرد عزل عثمان باشا والذى كان لمحمد على دور كبير فى عزله، وخلال فترة شريف باشا الضعيف والشريف محمد بن عون الصديق الخلص لمحمد على.

(٦١) الوثيقة نفسها.

(٦٢، ٦٣) الوثيقة السابقة.

(٦٤) زاد نشاط قنصل دولتى بريطانيا وفرنسا عن حده وتجاوز طبيعة مهام وظيفتيها حينما اقدم القنصل البريطانى على تهريب كميات من الاسلحة عن طريق مصوع وزيلع الى القبائل الحبشية المسيحية بلغت ١٠ آلاف بندقية و١٥ مدفعا وكمية كبيرة من العتاد الحربى، كما قاما بانشاء ابنية فى مصوع فى حين

هوامش

كانت بواخر بلديها قادمة ذاهبة فى حركة دائمة تحمل اعدادا من الجزويت والبروتستانت المبشرين الى النصرانية فى صفوف القبائل الحبشية.

(٦٥) حسيب باشا الى الى الصدر الاعظم بدون تاريخ وثيقة رقم ١١٢٩٩ ارادة داخلية ارشيف رئاسة الوزراء.

(٦٦) تبنت بريطانيا منذ الوهلة الاولى لاحتلالها لعدن فى عام ١٨٣٩م ان اعفت جميع التجارة الواردةس الى عدن من الجمارك وبذلك اغرت الكثيرين من التجار بالذهاب الى عدن بتجارتهم تجنبا للضرائب الباهظة التى كان يستوفيها محمد على / كل ما يرد الى الموانىء اليمنية وخاصة نما من تجارة اليمن الداخلية وخاصة القهوة تجارة اليمن القومية. فنظام محمد على الاحتكارى الذى طبقه فى اليمن اثناء فترة احتلال قواته لها ١٨٣٥-١٨٤٠ قد ادى الى ثلاث نتائج عكسية انتكبت باسبابها اليمن نكبة عظيمة.

اولا: قل اهتمام المزارعين اليمنيين بزراعة ابن التى لم تعد مربحة فى ظل النظام الاحتكارى فكان محمد على يفرض اسعار محددة ويقوم هو بشراء القهوة وبيعها بالسعر الذى يناسبه فى السوق الدولية.

ثانيا: نقل تجارة البن الى عدن تجنبا لاسعار محمد على المحدودة والبيع فى سوق حر بالسعر الدولى بالاضافة الى الاعفاء من الجمارك. فادى هذا الى تنشيط الحركة التجارة فى عدن على حساب الموانىء اليمنية وخاصة منها الى كانت لها سمعة دولية بتصدير البن فاصبحت فى نهاية حكم محمد على مدينة صغيرة فقدت شهرتها الدولية.

ثالثا: ان التسهيلات البريطانية وتعسف حكم محمد على الذى لم يكن مهتما اطلاقا بمصلحة وتنمية البلاد انسى المواطن اليمنى التفكير فى توحيد صفوفه ومجابهة الاحتلال البريطانى لعدن بل اصبح البعض منهم لا يرى فرق بين الاحتلالين بل الانجليزى يمتاز بمغرياته.

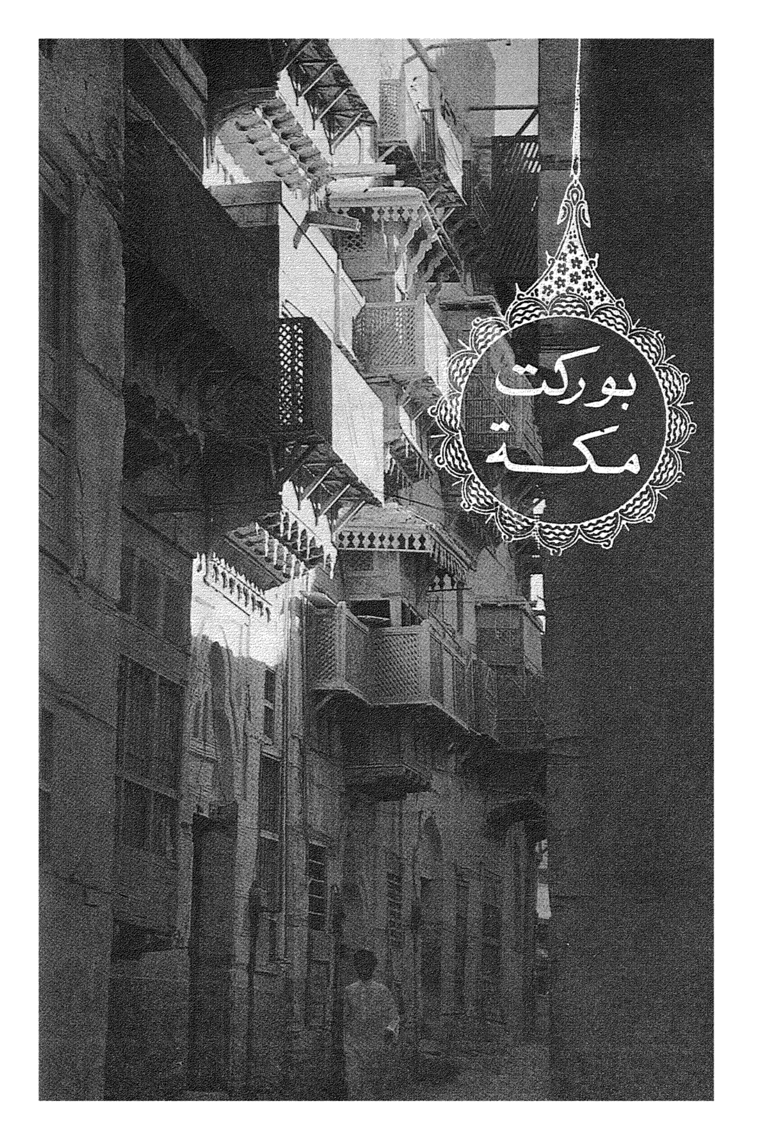
(٦٧) وثيقة سبقت الاشارة اليها.

(٦٨) تقرير حسيب باشا سبق الاشارة اليه.

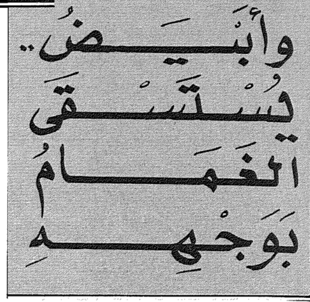
(٦٩) من سلطان الحبشة الى والى الحجاز بتاريخ شعبان ١٢٦٧هـ وثيقة رقم ١٤٧٩٠ ارادة داخلية ارشيف رئاسة الوزراء بالسلطنة العثمانية.

(٧٠) لم تخضع عمان يوما للحكم العثمانى ولكن هذا لا يعنى انعدام علاقة بين الطرفين.




بوركت
مكة

قصيدة ابى طالب من السيرة النبوية لابن هشام



ولما رأيت القومَ لاوُدَّ فيهمُ
وقد قطعوا كل العُرى والوسائل
وقد صارَحُونَا بالعَداوة والأذى
وقد طاوَعُوا أمر العدِّو المُزايل
وقد حالَفوا قوما علينا أظِنَّة
يَعَضُّونَ غيْظاً خلفنا بالأنامل
صبرتُ لهم نفسى بسمراء سمحة
وأبيضَ عضب من تُراث المُقاول(١)
وأحضرتُ عِنْدَ البيْتِ رهطي وإخوتي
وأمْسكتُ من أثوابه بالوَصائِل(٢)
قياماً معاً مُستقبلين رتاجَهُ
لدى حيثُ يَقْضى حلْفَهُ كلّ نافل(٣)
وحيثُ يُنيخ الأشعرون ركابَهم
بمُفْضَى السيول من إسَافٍ ونَائِل
مُوسَّمَة الأعضادِ أو قَصَراتِها
مُخَيَّسة بين السَّديس وبازل(٤)
ترى الوَدْعَ فيها والرُّخامَ وزينة
بأعْناقِها معقُودة كالْعشاكل(٥)
أعُوذُ بربِّ الناس مِنْ كلّ طاعنٍ
علينا بسوء أو مَلحٍّ بباطل
ومِنْ كاشحٍ يسعى لنا بمعيبة
ومن مُلْحِق فى الدين ما لم نحاول
وثورٍ ومن أرسى ثبيراً مكانَهُ
وراقٍ ليرقى فى حِراء ونازل(٦)
وبالبيت، حقّ البيت، من بطن مكة
وبالله إن اللّهَ ليسَ بغافِل
وبالحَجر المُسْودَّ إذ يَمْسحونه
إذا اكتنفوه بالضُّحى والأصائل(٧)
ومَوْطِىء(٨) إبراهيم فى الصَّخر رطْبة
على قَدَميهِ حافيا غير ناعل
ومَنْ حجّ بيتَ الله مِنْ كل راكب
ومنْ كل ذى نذْر ومنْ كل راجل
وبالمشْعر(٩) الأقصى إذا عَمدوا له
إلال إلى مفضى الشراج القوابل(١١)
وتَوْقافِهم فوق الجبال عشية
يُقيمون بالأيدى صدور الرَّواحل
وليلةِ جمع(١٢) والمنازلِ من مِنى
وهلْ فوقها من حُرْمة ومنازل

(١) المقاول: الملوك، يريد بهم أباءه؛ ولم يكونوا ملوكا ولا كان فيهم من ملك، بدليل حديث أبى سفيان حين قال له هرقل: هل كان فى آبائه من ملك؟ فقال: لا.

(٢) الوصائل: ثياب حمر فيها خطوط، كان يكسى بها البيت.

(٣) موسمة: معلمة.

(٤) الودع (بالسكون والفتح): خرزات تنظم ويتحلى بها النساء والصبيان.. والرخام: أى ما قطع من الرخام. والعشاكل الأغصان التى ينبت عليها الثمر واحدها عشكول وجمعها عشاكيل وحذفت الياء للضرورة.

(٥) ثوروثبير وحراء. جبال بمكة.

(٦) اكتنفوه: أحاطوا به.

(٧) يعنى موضع قدميه.

(٨) المشعر الأقصى: عرفة.

(٩) الال (كسحاب وكتاب): جبل بعرفات.

(١٠) جمع: المزدلفة، معرفة، وسميت المزدلفة بذلك لاجتماع الناس بها.

(١١) المقربات: الخيل التى تقرب مرابطها من البيوت لكرمها، والوابل: المطر الشديد.

(١٢) الحصاب: موضع رمى الجمار، مأخوذ من الحصباء، وهو مصدر نقل إلى مكان.

وجمع إذا ما المقربات أجزنهُ
سِراعاً كما يخرجن من وَقْع وابل[١٣]

وبالجمرة الكبرى إذا صمدوا لها
يؤمون قذفا رأسها بالجنادل

وكِندة إذا هُم بالحصاب عشيَّة
تُجيز بهم حُجّاج بكر بن وائل[١٤]

حليفان شدًّا عقد ما احتلفا له
وردًّا عليه عاطفات الوسائل

فهل بعد هذا من معاذٍ لعائذٍ
وهل مِنْ مُعيذ يتّقى اللهَ عاذل

يُطاع بنا العُدّى وودّوا لو انّنا[١٥]
تُسدُّ بنا أبواب تُركٍ وكابُل[١٦]

كذَبتم وبيت الله نَترك مكّةً
ونظعَنْ إلا أمرُكم فى بلابِل[١٧]

كذبتم وبيتِ الله نُبزى محمداً
ولمّا نطاعن دونه ونناضل[١٨]

ونُسلمه حتى نصرَّع حولَه
ونَذْهل عن أبنائِنا والحَلائل[١٩]

ويَنهض قومٌ فى الحديد إليكُمُ
نهوضَ الرَّوايا تحت ذات الصَّلاصل[٢٠]

وحتى ترى ذا الضِّغن يركب رَدْعه
من الطَّعن فِعْل الأنكَب المتحامل[٢١]

وإنّا لعمرُ الله إنْ جدّ ما أرى
لَتَلتبِسَنْ أسيافنا بالأماثل

بِكفَّي فتى مثل الشِّهاب سَمَيْدع
أخِي ثقة حامي الحقيقة باسل[٢٢]

شُهُوراً وأياماً وحَوْلاً مُجَرَّماً[٢٣]
علينا وتأتى حِجَّةٌ بعدَ قابل

وما ترك قوم لا أبا لك سيّداً
يَحوط الذِّمار غير ذَرْب مُواكِل[٢٤]

وأبيضُ يُستَسقى الغَمام بوجْهه
ثِمال اليَتامى عِصْمة للأرامل

يَلوذُ به الهُلاّف من آل هاشم
فهُمْ عنده فى رحْمة وفواضِل

لعَمْرى لقد أجْرى أسيدٌ وبكْرُه
إلى بُغْضنا وجزّآنا لآكل

وعثمانُ لم يربَع علينا وقُنْفذٌ[٢٥]
ولكن أطاعا أمْرَ تلك القبائل

أطاعا أُبيًّا وابْنَ عبْد يغوثهم
ولم يرقُبا فينا مقالةَ قائل

كما قد لَقِينا من سُبَيْع ونَوْفَل
وكُلٌّ تولى مُعْرِضا لم يُجامِل

فان يُلْقيا[٢٦] أو يُمْكِن الله منهما
نَكِلْ لهما صاعاً بصَاع المُكايِل

وذاك أبو عَمْرو أبى غيرَ بُغْضنا
ليظْعننا فى أهْل شاء وجامل[٢٧]

يُناجى بنا فى كل مُمْسى ومُصْبَح
فناجِ أبا عَمْرو بنا ثم خاتل[٢٨]

ويُؤلى لنا بالله ما إنْ يَغُشُّنا
بَلى قد نراه جَهْرَةً غير حائل

---

(١٣) كذا ورد هذا الشطر فى. والعدى: جمع عاد، من عدا عليه يعدو. كما قالوا: غاز وغزى، وعاف وعفى.

(١٤) ترك وكابل: جيلان من الناس.

(١٥) كذا فى الأصول. والبلابل: وساوس الهموم واحدها بلبال، ويروى: فى تلاتل أى فى حركة واضطراب.

(١٦) نبزى محمدا: أى نسلبه ونغلب عليه.

(١٧) الحلائل: الزوجات، واحدتها: حليلة.

(١٨) فى ا: «فى الحديد».

(١٩) الروايا: الابل التى تحمل الماء والأسقية؛ واحدتها: راوية. وأصل هذا الجمع: رواوى.

(٢٠) الضغن: العداوة. وركب ردعة: إذا خر صريعا لوجهه. والأنكب: المائل الى جهة، والذى مشى على شق.

(٢١) السميدع: السيد. والباسل: الشجاع.

(٢٢) حولا مجرما: حولا كاملا؛ يقال: تجرم العام، والشتاء، والصيف: تصرم وجرمناه قطعناه، وأتممناه، وعام مجرم، وفى الأصول: «محرما» بالحاء المهملة وهو تصحيف.

(٢٣) الذمار: ما يلزمك حمايته. والذرب (مخففا): الفاحش المنطق. والمواكل: الذى لا جد عنده، فهو يكل أموره إلى غيره.

(٢٤) ثمال اليتامى: الذى يشملهم ويقوم بهم؛ يقال: هو ثمال مال: أى يقوم به.

(٢٥) لم يربع: لم يقم ولم يعطف.

(٢٦) كذا فى ا. ويريد بالالقاء: التسليم والخضوع.

(٢٧) كذا فى ا. والشاء: اسم للجمع. والجامل: اسم لجماعة الجمال، ومثله الباقر، اسم لجماعة البقر. وفى سائر الأصول: «لطغنا... الخ».

(٢٨) الختل: , الخداع والمكر.

أضـاق عليـه بغـضُـنَـا كلَّ تَلْعـة

من الأرض بين أخْـشُـبٍ فمـجـادل(٢٩)

وسـائِـلْ أبـا الـولـيـد ماذا حبـوْتَـنَـا

بسـعْـيِـكَ فينـا مُعْـرضـاً كالُمخـاتِـل

وكُـنْـتَ امـرأً ممن يُعـاش برأيـه

ورَحْمـتـه فيـنـا ولـسـتَ بجـاهـل

فَعُتْبـة لا تَسْمـع بنـا قولَ كاشِـحٍ(٣٠)

حَسـود كذوب مُبْـغض ذي دغـاوِل(٣١)

وَمَـرَّ أبـو سفـيـان عَنِّي مُعْـرضـاً

كما مَرَّ قَيْـلٌ(٣٢) من عِظَـام المـقَـاول

يَفِـرُّ الـى نَجْـدٍ وبَـرْدِ ميـاهِـه

ويـزعـمُ أنـى لسْـتُ عنكـم بغـافِـل

ويُخْـبرنـا فِعـل الُمـنـاصـح أنـه

شفيقٌ ويُخفى عارمـات(٣٣) الـدَّواخـل(٣٤)

أمُطْـعِـمَ لم أخـذُلْكَ فى يوم نَجْـدَة

ولا مُعْظِـم عنـد الأمـورِ الجـلائـل

ولا يوم خَصْـم(٣٥) إذا أتـوْكَ أَلِـدة(٣٦)

أولى جدل من الخُـصـوم المَسَـاجِـل(٣٧)

أمُطْـعِـمُ إنَّ الـقَـوْمَ سامـوك خُطَّـة

وإنـى متـى أوكَـلْ فَلَسْـتُ بوائِـل(٣٨)

جَزَى الـلـهُ عنَّـا عبـدَ شمس ونَـوْفـلاً

عَقـوبـة شرّ عاجـلا غيرَ آجـل

بمِـيـزان قِسْـط لا يُخِسّ شَعـيرة

له شاهـدٌ من نَفْـسِـه غير عائـل(٣٩)

لقـد سفُـهـت أحـلام قوم تبـدّلـوا

بنـى خلف قيـضـاً بِنَـا والـغَـيـاطِـل(٤٠)

ونـحـن الـصَّـمـيـم من ذؤابـة هاشـم

وآل قصـى فى الخطـوب الأوائـل

فان نك قومـا نَتَّـئِـر ما صنـعـتـم

وتحـتـلبـوهـا لِقْـحـة غير باهـل(٤١)

وسـائـط كانـت فى لؤى بن غالـب

نَفـاهـم إلـيـنـا كل صقـر حُلاحـل(٤٢)

ورهـط نفـيـل شرّ من وطـىء الحـصـى

وألأم حافٍ من معـد ونـاعِـل

فأبـلـغ قصـيـا أن سيـنـشـر أمـرنـا

وبـشـر قصـيـا بعـدنـا بالـتخـاذل

ولـو طرقـت لينـلا قُصـيًّـا عظـيـمـة

إذا ما لجأنـا دونهـم فى المـداخـل

ولـو صدقـوا ضربـا خلال بيـوتـهـم

لكنـا أسىً عنـد النسـاء المَطَـافـل(٤٣)

فكـل صديـق وابـن أخـت نعـده

لَعَـمْـري وجـدنـا غِبَّـهُ غير طائـل

سوى أن رهطـا من كلاب بن مرة

براء(٤٤) إلـيـنـا من معـقَّـة خاذل

وَهَـنَّـا لهم حتـى تبـدد جمعـهـم

ويحـسـر عنـا كل باغ وجـاهـل(٤٥)

وكـان لنـا حوض الـسـقـايـة فيـهـم

ونحن الكُـدى من غالـب والكَـواهـل(٤٦)

---

(٢٩) يولى: يقسم ويحلف.

(٣٠) التلعة: المشرف من الأرض. وأخشب (بضم) الشين جمع الأخشبين، وهما جبلان بمكة.

(٣١) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: «كاسح» بالسين وهو تصحيف.

(٣٢) الدغاول: الأمور الفاسدة؛ وقيل: الدغاول: الفوائل.

(٣٣) كذا فى ا. وفى سائر الاصول: «قبلة بالموحدة وهو تصحيف.

(٣٤) كذا فى الاصول. والعارمات: الشديدات. ويروى: «عازمات» بالزاى أى التى عزم على إنفاذها.

(٣٥) كذا فى الاصول, والدواخل: النمائم والافساد بين الناس. ويروى: «النواحل» والنواحل العداوات، مأخوذ من النحل. وهو الثأر.

(٣٦) كذا فى ا. وفي سائر الاصول «خسم» وهو تحريف. (٣٧) فى ا: «أشدة».

(٣٨) كذا فى الأصول والمساجل: الذين يعارضونه فى الخصومه ويغالبونه، وأصله من المساجلة، وهو أن يأتى الرجل بمثل ما أتى به صاحبه ويروى: بالمساحل بالحاء المهملة. والمساحل: الخطباء البلغاء، واحدهم: مسحل.

(٣٩) ساموك خطة: كلفوك. ولست بوائل: لست بناج. يقال: ما وأل من كذا: أى مانجا.

(٤٠) كذا فى ا. وأخس أنقص. وفى سائر الأصول لا يخيس، وهو من قولهم: خاس بالعهد إذا نقضه ويروى: «يحص» بالصاد من حص الشعر: إذا أذهبه.

(٤١) العائل: الحائر.

(٤٢) قيضا: عوضا. والغياطل: بنو سهم، قيل سموا كذلك لأن رجلا منهم قتل جانا طاف بالبيت سبعا، ثم خرج من المسجد فقتله، فأظلمت مكة حتى فزعوا من شدة الظلمة التى أصابتهم. والغيطلة: الظلمة الشديدة.

(٤٣) ألبوا: اجتمعوا. والطمل: الرجل الفاحش، والفقير أيضا.

(٤٤) الواغل: الداخل على القوم وهم يشربون ولم يدع.

(٤٥) خطىء للمفاصل: أى بعيد عن الجادة والصواب.

(٤٦) حطب: اسم للجمع، مثل ركب، وليس بجمع، لأنك تقول فى تصغيره: حطيب. وحطاب: جمع حاطب. والمراجل: القدور، واحدها: مرجل. وقيل: هن القدور من النحاس خاصة، ومعنى البيت: كنتم متفقين لا تحتطبون إلا لقدر واحدة، فأنتم الآن بخلاف ذلك.

شباب من المُطيَّبين وهاشم
كبيض السيوف بين أيدى الصياقل
فما أدركوا ذَحْلًا ولا سفكوا دماً
ولا حالفوا إلا شرار القبائل
بضرب ترى الفتيان فيه كأنهم
ضَوارى أُسود فوق لحم خرادل(٤٧)
بنى أَمَةٍ محبوبة هندكية(٤٨)
بنى جمح عبيد قيس بن عاقل
ولكننا نسل كرام لسادة
بهم نُعِي الأقوام عند البَواطل
ونعم ابن أخت القوم غير مُكذَّب
زهيرٌ حُساماً مفرداً من حمائل
أشمُّ من الشُّمِّ البهاليل ينتمى
إلى حسب فى حومة المجد فاضل
لعمرى لقد كلفت وجداً بأحمدَ
وإخوته دأب المحب المواصل
فلا(٤٩) زال فى الدنيا جمالا لأهلها
وزيناً لمن والاه ربُّ المَشاكل(٥٠)
فمن مثله فى الناس أى مؤمل
إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عادل غَيْر طائشٍ
يُوالى إلاهاً ليس عنه بغافل
لقد علموا ان ابننا لا مُكذَّبٌ
لدينا ولا يُعنَى بقول الأباطل
فأصبح فينا أحمد فى أرومة
تقصر عنه سورة المُتَطاول(٥١)
حدبت بنفسي دونه وحميته
ودافعت عنه بالذُرا والكلاكل(٥٢)
فأيده رب العباد بنصره
وأظهر دينا حقه غير باطل(٥٣)
رجال كرام غير ميل نماهم
إلى الخير آباء كرام المحاصل(٥٤)
فان تكُ كعبٌ من لؤى صُقَيْبَة(٥٥)
فلابد يوماً مرة من تزايُل

(٤٧) كذلك فى الأصول. ونتئر: نأخذ بثأرنا منكم. ويروى: «نبتئر» أى ندخره حتى ننتصف منكم؛ يقال: ابتأرت الشىء: إذا خبأته وادخرته.

(٤٨) اللقحة: الناقة ذات اللبن. والباهل: الناقة التى لا صرار على أخلافها، فهى مباحة الحلب.

(٤٩) الحلال: السيد فى عشيرته، الشجاع الركين فى مجلسه.

(٥٠) الأسى: جمع أسوة، أى لا قتدى بعضنا ببعض فى الدفع عنهم. والمطافل: ذوات الأطفال.

(٥١) قال السهيلى: «يقال قوم براء، (بالفتح وبالكسر). فأما براء (بالكسر) فجمع برىء، مثل كريم وكرام. وأما براء (بالفتح) فمصدر مثل سلام. والهمزة فيه وفى الذى قبله لام الفعل؛ يقال: رجل براء ورجلان براء. واذا كسرتها أو ضممتها لم يجز فى الجمع. وأما براء (بضم الباء) فالأصل فيه برآء مثل كرماء، فاستثقلوا اجتماع الهمزتين فحذفوا الاولى، وكان وزنه فعلاء، فلما حذفوا التى هى لام الفعل صار وزنه فعاء وانصرف لأنه أشبه فعالا. والنسب إليه، إذا سميت به براوى. والنسب إلى الآخرين: برائى وبرائى. وزعم بعضهم إلى أن براء (بضم أوله) من الجمع الذى جاء على فعال».

(٥٢) هذا البيت والأبيات الستة التى بعده غير موجودة فى ا.

(٥٣) الكدى: جمع كدية، وهى الصفاة العظيمة الشديدة. يشبههم بها فى المنعة والعزة، والكواهل: جمع كاهل، وهو سند القوم وعدتهم.

(٥٤) الخرادل: القطع العظيمة.

(٥٥) هندكى (بكسر الهاء والدال): من أهل الهند، وليس من لفظه، لأن الكاف ليست من حروف الزيادة وقد تكون علامة للنسب من بعض اللغات.

(٥٦) هذا البيت ساقط فى ا.

(٥٧) كذا فى الأصل، ولعله يريد بها العظيمات من الأمور. وإن صح أن هذا اللفظ من هذا البيت فما أقربه به الى أنه مصنوع، ويلاحظ أن الأبيات التى استبعدتها «ا» ولم تثبتها، على أكثرها، إن لم يكن كلها مسحة الضعف والانحطاط عن مستوى القصيدة، حتى ليكاد يبلغ الظن بها الى أنها دخيلة، ويرجح ذلك عدم تعرض الهيلى وأبى ذر لها بشىء مما يدل على أنهما لم يقعا على شىء منها.

(٥٨) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: «يسبة».

(٥٩) السورة «بضم السين»: المنزلة. والسورة (بفتح السين): الشدة والبطش.

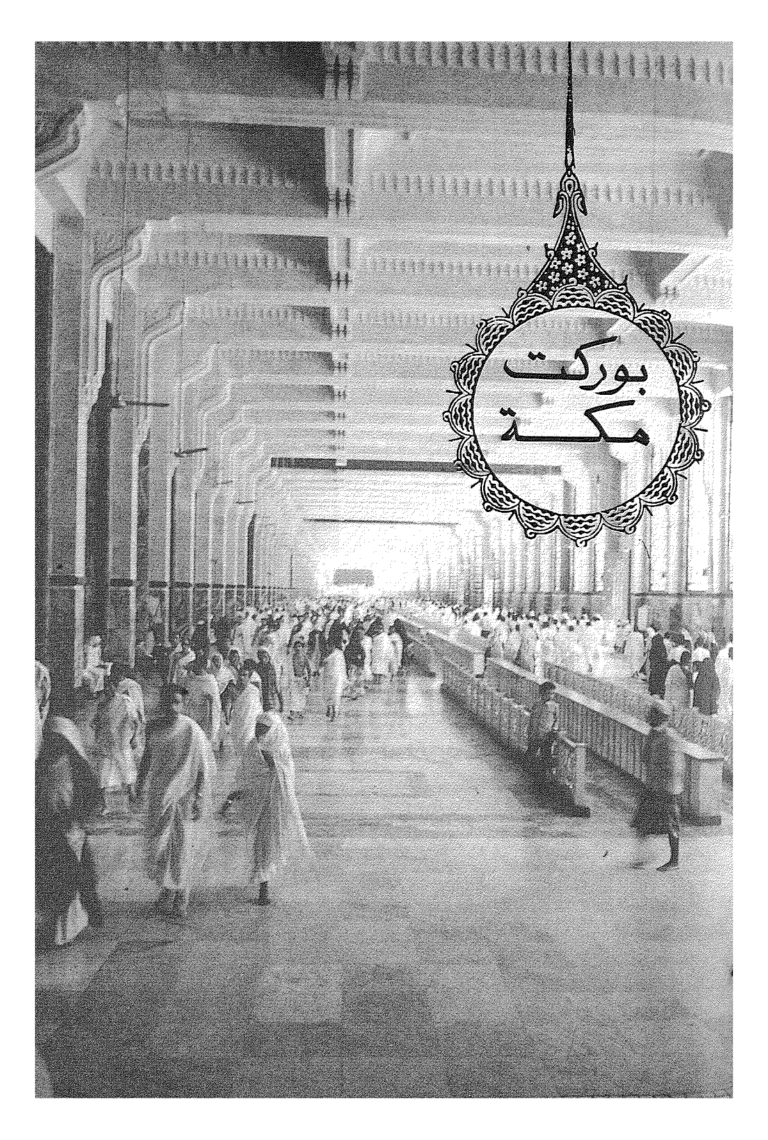
(٦٠) حدبت: عطفت ومنعت. والذرا: جمع ذروة، وهى أعلى ظهر البعير. والكلاكل: جمع كلكل، وهو عظم الصدر.

(٦١) هذا البيت والبيتان اللذان بعده ساقطة فى ا.

(٦٢) ميل: جمع أميل، وهو الجبان والذى لا يحسن الركوب؛ أو الذى لا يميل عن الحق.

(٦٣) الصقب (بوزن فرح) القريب.

(٦٤) الضواحى: جمع ضاحية، وهى الأرض البراز التى ليس فيها ما يكن من المطر ولا منجاة من السيول. وقيل: ضاحية كل بلد: خارجه.


بوركت
مكة

● الربــــاط الروحى بين الكتــاب المسلمـــين ومكــة المكــرمة دفـعهم لتــدوين تاريخـها من كل

● تظـاهر الكثير من المستشرقين والرحـالة بالاسـلام كوسيلة لنشر الافكار الصهيـونية والصليبية وتحقيقا

● مكــة المكــرمة خــاصة والجـزيرة العــربية عــامة كانت هــدفا للرحــلات الاستكشــافية

المختصر الوجيز فيمن رحلوا الى

بقلم
امحند بن علال البخلاخي
(ابن الريف) المغرب

■ عندما انهارت الحضارة الاسلامية بالاندلس وتخلت الدولة العثمانية عن حماية ثغور الاسلام من الزحف الصليبى الغاشم، انقلبت الاوضاع وتغيرت الاحوال واصبحت الامـة الاسلامية المتحضرة متخلفة عن مسايرة الركب الحضارى، تعيش عصـر الانحطاط والتقهقر، بينما اوروبا تعيش عصر الرقى والنهضة، وبدأ عصر الاكتشافات الاوروبية فى العلوم والفنون يغزو العالم.

وتمكن «كـريستوف كولمبوس» من اكتشاف قارة امريكا الجديدة الخامسة، ونجح المغامر البرتغالى «فاسكو دى جاما» من اكتشاف الطريق الى الهند مرورا برأس الرجاء الصالح، كما اكتشف «ماجلان وكوك» الطريق الى المحيط الهادى بالابحار حول افريقيا غربا. واستطاع كوك التوغل فى رحلته فى المحيط الهادى (الباسفيكى) مكتشفا لاول مرة الممر المائى الذى تحدث عن وجوده المكتشفون الاوائل دون ان يعثروا عليه، ووصل الى اطراف «الاسكا» الى المحيط المتجمد الشـمالى، واثر عودته من رحلته قتل فى معركة كماجلان. واكتشف النرويجي «رولد امندسن» القطب الجنوبى فى ديسمبر ١٩١١م.

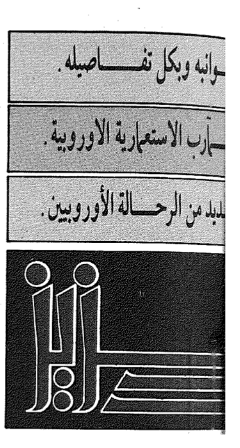
■ هذه الاكتشـافـات والرحلات غيرت مجرى التـاريـخ البشرى، واظــهــرت طرقــا جديــدة للمـواصلات التجارية، وقارات مجهولة اخرى، وفتحت آفاقا بعيدة فى عالم الاكتشافات عادت بالخير والـرفـاهيـة والتقدم على الغرب مكنتـه من فرض سيطـرتـه على الطرق التجارية العالمية فأدى ذلك الى انتعــاش تجارتـه واقتصـاده وتوسع امبراطوريته وتزايد

هذه الدراسة، عمل دقيق وجهد موثق، لكاتب بذل قصارى جهده في دراسة موضوعه هذا من كل جوانبه وتفاصيله.

ولما كانت هذه الدراسة الثبتة وهذا البحث العميق متعلقة بمكة المكرمة بخاصة والجزيرة العربية بعامة، فان الكاتب قد استقصى تفاصيل ما يمت للموضوع بصلة، فجاءت هذه الدراسة في اربعة فصول هي:

«فضل مكة في الكتاب والسنة، كتب التاريخ والتراجم المؤلفة عن مكة المكرمة، بناة الكعبة المشرفة، ثم الفصل الأخير وهو الموضوع الاساسي لهذه الدراسة في تراجم الرحالة من الاوروبيين الذين زاروا مكة المكرمة والجزيرة العربية.. ولما كانت بعض مباحث هذه الدراسة قد وردت للمجلة من كُتّاب اُستُكتِبُوا من قبل المنهل، قبل أن تصلنا هذه الدراسة ولنفس الموضوعات، ومراعاة لعدم التكرار فإنا قد اضطررنا لحذف الموضوعات المماثلة لها في هذه الدراسة.

□ ما عدا ما ورد عن الكتب المفهرسة عن مكة المكرمة التي أثبتها كاتبها في هذا البحث فقد أوردناها في آخر هذا العدد لتوافقها مع دراسة مماثلة لها



مستعمراته.

■ وبفضل الاكتشافات الجديدة تقدم الغرب في مدارج الرقي والحضارة ودخل عصر النهضة، وتفوق على العرب في جميع الميادين، ولا سيما في ميدان الاكتشافات والرحلات التي كان للعرب فيها باع طويل وتاريخ حافل بالأمجاد.

ومواصلة لهذه الاكتشافات والرحلات، قررت اوروبا ارسال بعثات ووفود اكتشافات أخرى الى جميع بلدان العالم الاسلامي والعربي، التي كان لها تاريخ مجيد وحضارة قديمة عريقة، وتوجهت تلك البعثات والوفود بأعداد كبيرة الى مكة المكرمة - موضوع بحثنا هذا - مهبط الوحي والنور ومهد الحضارة الاسلامية، وملتقى الحجاج المسلمين من مشارق الارض ومغاربها لمعرفة سر قوة الدين الأسلامي، وكذا مجاهل صحراء الربع الخالي، ومسالك شبه الجزيرة العربية ومراكز التجارة والعادات والتقاليد والانسان والحيوان والطيور والبر والبحر فيها.. ثم توجهت الى اليمن حيث يوجد سد مأرب وحضارة مملكة التبابعة والسبئيين والحميريين، والى وادي الرافدين بالعراق منبع الحضارة السومرية والبابلية والاشورية، والى اهرامات مصر اصل الحضارة الفرعونية للقيام بالبحوث والدراسات والرحلات لاكتشاف منبع نهر النيل الخالد، والى افريقيا السوداء للاطلاع على عجائب ادغالها ووحوشها وغرائب مسالكها وممالكها واقوامها.

■ وبلغ عدد الرحالة الاوروبيين الذين زاروا شبه الجزيرة العربية من عهد النهضة حتى العصر الفيكتوري ما بين سنة ١٥٠٣م الى سنة ١٩٤٨ حوالي اربعة وخمسين رحالة.

● تعلق قلوب المسلمين بمكة المكرمة وإيمانهم بقدسيتها وفضلها ألهب مخيلة الشعراء للتعبير عن مشاعرهم نحوها.

● هنالك من كتب التراث ما يستحق نفض الغبار عنه وتحقيقه.

● البعثات الاستكشافية كانت بداية الاستعمار للعالم الاسلامى.

● إحساس الأوروبيين بسيطرة العرب على المنافذ البحرية الهامة اضطرهم إلى اكتشاف موانىء ومداخل جديدة يتوغلون من خلالها فى افريقيا والعالم العربى.

● الدراسات الاستشراقية هدفت أغلبها الى دراسة المجتمعات المراد استعمارها دراسة تفصيلية فى كل جوانب حياتها.

وهؤلاء الرحالة كانوا خليطا من الجواسيس والمغامرين والمستشرقين والمستكشفين ومن المسلمين الحقيقيين والمزيفين.

■ وقد حاولت فى هذا البحث المتواضع المعنون بـ: «اعلام المسلمين بمن حل بمكة المكرمة من الرحالة الاوروبيين» ذكر تراجم بعض الذين زاروا مكة المكرمة من الرحالة الاوروبيين مع بيان رحلاتهم واكتشافاتهم وتآليفهم حسب الامكان، حيث لا يمكن الاحاطة باخبارهم جميعا لكثرة عددهم وقلة المراجع المكتوبة بالعربية فى الموضوع، وقد دعمت البحث بصور للمترجم لهم ووثائق وخرائط توضيحية للمواقع والمشاهد المذكورة، التى هى من ضروريات فن الطباعة الحديثة.

والملاحظ ان اسلافنا العلماء رحمهم الله ونفعنا بعلمهم لفرط حبهم للاماكن المقدسة كتبوا عنها مجلدات فخمة ولم يتركوا عنها شاذة ولا نادة الا وذكروها، ومؤلفاتهم الموسوعية القيمة ظلت للأسف حبيسة بين الخزائن والرفوف وهى فى نظرى تحتاج الى ما يأتى:

أولا: الى من يستخرج منها خلاصة الخلاصة ليستفيد منها العامة والخاصة، لان العصر الذى نعيش فيه اصبح عصر السرعة والاختصارات المفيدة وليس بعصر الموسوعات المطولة، التى لا يستطيع قراءتها الا البحاثة المختصون وذلك لقلة وقت الفراغ وكثرة المشاغل والتبعات، وتنوع المسؤليات.

ثانيا: تحتاج الى عملية انقاذ عن طريق التحقيق والطبع والنشر، ويا حبذا لو انشأت الحكومة السعودية الموقرة لجنة لإحياء تلك المخطوطات مكونة من المختصين على المستوى الاقليمي لمدن المملكة يعهد اليها طبع كل مخطوط يستحق النشر سواء قام بتحقيقه شخص او ناد او معهد سعودى، داخل البلاد او خارجها من المعاهد المختصة فى الدول العربية والاجنبية، مع احداث جائزة للمخطوطات التاريخية تمنح مكافأة الى كل من حقق مخطوطا له قيمة تاريخية.

لمحة جغرافية عن جزيرة العرب

موقعها ومساحتها واهميتها:

تقع جزيرة العرب فى الجنوب

الغربي من قارة آسيا وهي شبه جزيرة يحيط بها الماء من ثلاث جهات: البحر الاحمر، والمحيط الهندي، والخليج العربي، يحدها شرقا الخليج العربي، وغربا البحر الاحمر وشمالا الكويت والعراق وبادية الشام، وجنوبا اليمن الشمالي والجنوبي وسلطنة عمان.

■ قسمها الجغرافيون القدماء الى ثلاثة اقسام:

١ - ارض باترسيا كما سماها (بطليموس) وهي الارض الواقعة جنوب غرب بادية الشام شمال الجزيرة العربية، وعاصمتها بطره.

٢ - بادية الشام وهو اسم عام اطلقه البعض على شبه الجزيرة العربية لجدبها وخصوبة اراضيها.

٣ - بلاد اليمن المعروف عند الجغرافيين بالعربية السعيدة او الارض الخضراء.

■ وهي تشتمل اليوم على جمهورتين: جمهورية اليمن الشمالي، وجمهورية اليمن الجنوبي.

مساحتها نحو مليون ميل مربع، لم تخضع جزيرة العرب طيلة تاريخها الطويل لأي استعمار اجنبي سوى دولة الاتراك الذين حكموا الحجاز خلال توسع نفوذ امبراطوريتهم في العالم الاسلامي والعربي.

■ وقد اعلن حسين شريف مكة سنة ١٩١٦ الحرب ضد الاتراك واستقلال الحجاز عنهم، وبسبب دخول الاتراك الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ الى جانب المانيا وتقهقر وانهزام الالمان امام الحلفاء وانتصاراتهم عليها ضعفت الامبراطورية العثمانية واضطرت الى الانسحاب من الحجاز، وفي سنة ١٩٢٦ اعاد الملك عبد العزيز آل سعود سلطان نجد السلطة على كامل الحجاز وقضى على خصومه ومنافسيه ووحد البلاد، ودعم استقرارها ونشر في ربوعها الأمن والطمأنينة واصبحت منذ ١٨ سبتمبر ١٩٣٢ الى الآن تحمل اسم، المملكة العربية السعودية وهذه المملكة تنهج سياسة خاصة مستقيمة وحكيمة، بنت فلسفتها الداخلية والخارجية على قواعد اساسية هي:

● بناء داخلي تعم خيراته جميع المواطنين في ظل تطبيق الشريعة الاسلامية.

● عمل في سبيل التضامن الاسلامي.

● كفاح في سبيل الاخاء العربي.

● مشاركة فعالة في سبيل السلام العالمي والتفاهم الدولي.

● تقديم الدعم المادي والمعنوي للجمعيات والحركات والمنظمات الاسلامية في العالم.

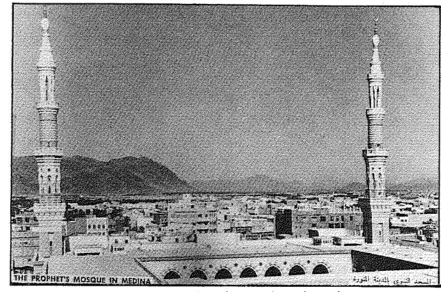
● خدمة حجاج بيت الله الحرام.

■ واهم مدن المملكة الرئيسية هي: «مكة المكرمة - المدينة المنورة - ابها - الرياض - الدمام - الهفوف - الخرج - السليل - الطائف - بريده - الظهران - حائل - القصيم - جدة - جيزان - نجران - سلوى - تبوك - طريف - الجبيل - وينبع».

■ وجزيرة العرب التي كانت بالامس فقيرة، تحولت اليوم بفضل الله الى مصاف الدول الغنية في العالم لاحتوائها على اكبر احتياط من الذهب الاسود «البترول» في العالم مما جعل البلاد بين عشية وضحاها تدخل ميدان التقدم والازدهار العلمي والتقني، وتعيش في بحبوحة من الرفاهية والنعم في مضمار الحضارة، وتلعب دورا هاما في حقل السياسة الدولية بين الامم فهي القلب التجاري النابض بالحركة الدائبة في دول الخليج العربي، ولا مبالغة اذا قلنا بأنها عاصمة المسلمين قاطبة ومحط انظار العالم وآمال المسلمين في حماية المقدسات الاسلامية وتحرير القدس.

اسماء مكة المكرمة

مكة ترتفع عن سطح البحر بنحو ٣٣٠ مترا وهي على عرض ٣١ درجة و٢٨ دقيقة وفي طول ٤٠ درجة و٩ دقائق تبعد عن البحر بحوالي ٨٠ كلم من جدة. ولمكة عدة اسماء منها مكة وبكة،



المسجد النبوى الشريف بالمدينة المنورة.

وام القرى، والبلد، والبلد الامين، والقرية، والبلدة والبلد الحرام، والبعذراء والمقدسة، وحرم الله، والعروض، والبيت، والمعاد، ومخرج صدق، والرأس والخمس... الخ.

■ وقد اختلف المؤرخون فى اصل كلمة (مكة) اختلافا متباينا فالمؤرخ جورجى زيدان يرى ان اصلها: اما اشورى او بابلى وفى هذا قال: الارجح عندنا انه اشورى او بابلى. لان «مكا» فى البابلية (البيت) وهو اسم الكعبة عند العرب، ويدل ذلك على قدم هذه المدينة لانها سميت بذلك فى عهد العمالقة على اثر هجرتهم من بين النهرين، فسموا المكان بها اشارة الى امتيازها بالبناء الحجرى عن سائر ما يحيط بها عن البادية.

■ ويزعم بعض الباحثين اعتمادا منه على رواية (ابن طيفور) المصرى و(القيروانى) ان اصل كلمة (مكة) هو (مقة) لان حمير يقلبون القاف كافا. وهو الاسم للاله السبئى المعروف فى التاريخ العقائدى بال (مقة). وقد خصت الكاتبة اليمنية ثريا منقوس هذا الاله السبئى ببحث تاريخى اوردت فيه احاديث تثبت بها نظريتها المهزوزة المهزومة.

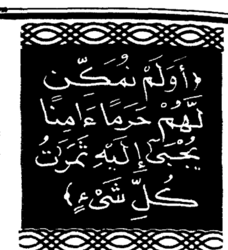
وما كان فى نظرى للباحثة المذكورة ان تؤرخ لصنم (مكة) اليمنغ الذى كان يعبد فى الجاهلية ولا فائدة منه ترجى للقراء فالاصنام كيفما كان نوعها حاربها الاسلام ونهى عن تمجيدها وبذلك انتهى امرها ولا مجال لاحياء آثارها من جديد بالتاليف ويكفى مرجعا ما كتبه النسابة هشام بن الكلبى فى كتابه (الاصنام) فانه يعتبر المصدر الاساسى للتعريف باديان وآلهة واصنام الجاهلية.

■ وهناك ملاحظة نبديها عن بحثها حول (مقة) هو ان السبئيين لم يكن لهم إله واحد فقط بل كانت لهم ثلاثة آلهة يعبدونها ويقدسونها وذلك حسب ما عثر عليه فى النداء السبئى المكتشف وهم: (عشتر والمقه والشمس) اى الزهرة والقمر والشمس.

■ هذه ملاحظة اولية كما ان بحثها حول (مقة) ذكرنا بكتاب (بد العارف) وهو اسم صنم كان يعبد قديماً الفه المتفلسف ابن سبعين وحين اطلع عليه العلامة ابن الصبان امره بتمزيقه ولكنه لم يفعل.

سكان الحرم هم أهل الله

وسكان مكة المكرمة هم اهل الله قال فيهم العلامة ابو منصور الثعالبى النيسابورى فى كتابه «ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب» يصف كرمهم وجودهم واخلاقهم النبيلة، وحسن معاملتهم وسلوكهم مع الحجاج زوار بيت الله: (كان يقال لقبيلة قريش فى الجاهلية اهل الله(١٢) لما تميزوا به عن سائر العرب من المحاسن والمكارم فمنها مجاورتهم بيت الله تعالى، ومنها مانفردوا به من الايلاف والوفادة واطعام الحجاج والسقاية والرياسة واللواء والندوة، وهم اعقل الناس



واحسنهم بيانا وان احدهم ليوزن بأمة من الامم ومنهم رسول الله وخلفاؤه، مع ان صناعتهم التجارة، ومعلوم ان البخل والنظر فى الطفيف مقرون بالتجارة، لان التجار هم اصحاب الربح والتكسب والتدقيق فى النفقة، فكانت قريش على نقيض ذلك وهم قوم لا كسب لهم الا من التجارة، فلم يكن بين تجار الدنيا من كريم الا هؤلاء القوم. . وكان ذلك فى جاهليتهم، فلما جاء الاسلام كان رسول الله منهم دون غيرهم من سائر الناس فزاد شرفهم وكرمهم حتى صاروا اهلا ان يسموا بأهل الله وقال النبى لما ارسل الى مكة احد ولاته بعدد خولها فى الاسلام: هل تدرى على من استعملتك؟ استعملتك على اهل الله. وقال فى بيت الله الحرام ايضا: وكما ان اهل مكة اهل الله والحجاج زوار الله فالكعبة بيت الله جعلها مثابة للناس. وكان العرب فى الجاهلية يحلفون ببيت الله كما قال زهير بن ابي سلمى:

فاقسمت بالبيت الذى طاف حوله
رجال بنوه من قريش وجرهم

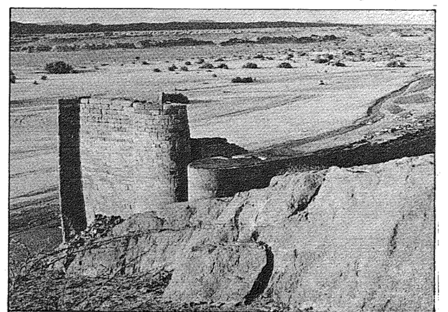
الاكتشافات الاوروبية وبداية الاستعمار

فى القرن الخامس عشر ظهرت القوة البحرية للأتراك فى البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط لأن سفنهم سيطرت سيطرة مطلقة على المواقع الاستراتيجية فى هذين البحرين، مما جعل الاتراك سادة البحر، حتى اصبح الغرب يهاب شوكتهم وبأسهم ويتجنب الاصطدام بهم ومواجهتم، وينعتهم «بالقراصنة» (يعنى لصوص البحر) وهم فى الحقيقة غير ذلك، بل كانوا يقومون بواجب الجهاد البحرى بعد تكتل القوى الصليبية ضد الاسلام والمسلمين وقضائها على غرناطة اخر معاقل المسلمين بالاندلس.

وامام هذه الحالة: حالة التفوق البحرى للأتراك والتفوق التجارى للعرب، لم يبق الغرب مكتوف الايدى صامتا متفرجا مستسلما للامر الواقع بل فكر فى ايجاد مسلك بحرى جديد الى الشرق والاستغناء عن طريق العرب المألوفة لتوجيه طعنة الى العرب والمسلمين من الخلف والقضاء على تجارتهم سر تقدمهم وقوتهم والاستيلاء على معاقلهم البحرية الجهادية المهمة فى سواحل افريقيا والبحر الاحمر كجزيرة صقلية وجزيرة بادس بالريف بالمغرب الاقصى ووهران بالجزائر وهرمز وعدن بالخليج العربى وغيرها من المواقع الاستراتيجية.

■ ولكى يحقق الاستعمار هدفه فى الاستيلاء على العرب بدأ قادة

سد مأرب باليمن السعيد.



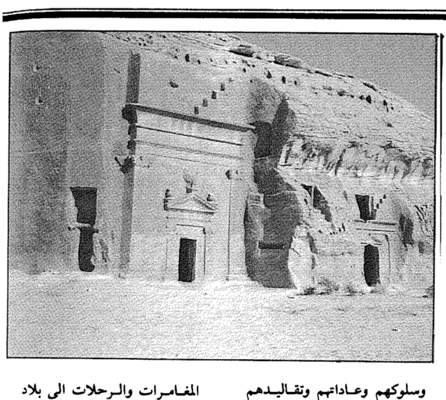
وملوك الغرب يشجعون المغامرين المستكشفين ماديا ومعنويا لانجاح رحلاتهم الرامية الى اكتشاف الممر البحرى الجديد. ونتيجة لدعمهم وتشجيعهم لهم استطاع المغامر الاسبانى كريستوفركلومبوس من اكتشاف الممر البحرى الى الهند الذى كان حلم اوروبا - عن طريقه استغنت عن استعمال الطريق البحرى الطويل المعروف المار بالسواحل العربية.. واستغنت كذلك عن خدمات التجار العرب الوسطاء الذين احتكروا التجارة العالمية.

■ وهذه الاكتشافات كانت بداية الاستعمار الاوروبى الحديث.. احدثت تغييرا جذريا فى خريطة العالم.. وحولت ميزان القوى العالمية لصالح الغرب، والحقت اضرارا بالغة باقتصاد العالم الاسلامى والعربى.. وجعلت الغرب مسيطرا على منافذ وطرق التجارة العالمية بدل العرب.

الدراسات الشرقية

ومن اجل ان يعزز الغرب نفوذه ويفرض سيطرته على العالمين: العربى والاسلامى اعطى اهمية للاستشراق ادراكا منه انه لا يمكن السيطرة على العرب الا بعد اكتشاف بلادهم وتعلم لغاتهم.. ودراسة احوالهم وسلوكهم وعاداتهم وتقاليدهم وتاريخهم وحياتهم.. دراسة عميقة شاملة مبنية على المنهاج العلمى الصحيح، اساسها الواقعية والبعد عن الاساطير والخرافات والمبالغات التى كانت سائدة فى افكار الغرب نحو العرب، يتناقلها جيلاً بعد جيل.

■ وتمهيدا لغزو بلدان العرب عمل الغرب على ادخال الدراسات الشرقية فى برامج تعليمه وشجع على تلقينها، واعطى هذا البرنامج الجديد نتائج مثمرة وايجابية، فبعد ما كانت الدراسة المفضلة عند الجميع هى الدراسة الاغريقية الهيلنية، اصبحت الدراسة الشرقية هى المفضلة ومطمح وآمال الشباب الصاعد لبلوغه ما يصبو اليه من اهداف وتطلعات فى ميدان المغامرات والرحلات الى بلاد العرب لاكتشاف المجهول، وتوضيح ما غمض من آثار وتاريخ الامم الغابرة الساكنة فيه، وقد ذكر هذه الحقيقة كاتب معروف من كتاب الغرب هو «هيفور فى مقدمة كتابه (الشرقيات) وقال: (هناك الآن اهتمام بالشرق اكثر من اى وقت مضى، فلم يبق للدراسات الشرقية ان حققت مثل التقدم الذى نشهده اليوم فى عصر لويس الرابع عشر، كان كل واحد هيلنيا منكبا على الدراسات الاغريقية اما اليوم فالناس كلهم مستشرقون، ولم يبق للعديد من اصحاب العقول النيرة هذه ان تنكب على التنقيب فى الخضم الكبير الذى هو آسيا، لقد استولى الشرق على العقل والخيال واصبح كل شىء فى الشرق كبيرا



مدائن صالح فى شمال المملكة

غنيا وخصبا وقال ايضا: (ان القارة باجمعها تنحنى نحو الشرق).

رحلة دى بارتيما الى مكة المكرمة

ومن الرحالة الاوروبيين المستشرقين المغامرين الذين كانت لهم الاولوية والاسبقية فى اكتشاف جزيرة العرب (لود فيكودى بارتيما) تظاهر باعتناق الاسلام وسمى نفسه (ياسين) حتى يتمكن من الدخول الى الاراضى المقدسة فى حرية تحت ستار اداء فريضة الحج.

■ وكانت بداية رحلته خروجه من بلدته (البندقية) فى ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٥٠٣م متوجها الى الديار المقدسة، مارا بالقاهرة وبيروت، وحلب ودمشق وفى هذه الاخيرة تعلم العربية وتعرف على ضابط تركى حديث العهد بالاسلام عزم على اداء فريضة الحج وقد رافقه فى قافلة الحجاج الشاميين التى خرجت الى الحج من دمشق يوم ٣ ابريل (نيسان) سنة ١٥٠٣م وكانت تتكون - حسب ما يرويه بارتيما - من خمسة وثلاثين الف جمل، واربعين الف رجل، وعدد كبير من الخيول، حومرت القافلة بحوران وقبائل شاكر وعند وصولها الى تبوك وخرائب مدائن صالح ظن بارتيما انها خرائب مدينة سدوم وعمورة، وبين تلك المواقع الاثرية اعترضت القافلة جماعة من البدو من قطاع الطريق وطالبتهم بدفع تعويض مقابل شربهم الماء فى ارضهم، فجمع افراد القافلة ألفاً ومائتي قطعة ذهبية وسلموها للبدو للسماح لهم بالمرور لكنهم لم يقنعوا بالمبلغ المذكور وطلبوا منهم المزيد، وهنا اضطرت القافلة الدفاع عن نفسها والدخول فى معركة مع البدو مستعملة فيها السلاح وفعلا نشبت المعركة بين الجانبين تكبد فيها البدو خسائر فادحة فى الارواح وعن هذه المعركة قال بارتيما: لم نفقد من القافلة سوى جندى واحد وسيدة، فى حين قتلنا منهم حوالى ألفا وخمسمائة، ولا غرابة فى ذلك لأنهم كانوا غير مسلحين.

■ وقد تشكك بعض الكتاب العرب فى العدد الضخم للقتلى الذين ذكرهم بارتيما وعُدّ ذلك من المبالغات، ولكن اذا ما رجعنا الى وقائع التاريخ لرأينا ما ذكره بارتيما لا يستبعد ولا يدعو الى العجب، فمثلا عندما هجم نابليون بونابرت فى حملته المشهورة على مصر مستعملا فى هجومه احدث الاسلحة الحديثة من البارود والمدافع، كان المماليك حكام مصر انذاك يستعملون فى هجومهم لرد حملته السيوف والرماح اسلحة العصور الوسطى.



نابليون

اسباب رحلة دى بارتيما الى البلاد العربية:

وقد يتساءل البعض لماذا سافر الرحالة دى بارتيما الى البلاد العربية؟ وما هو سبب رحلته هذه؟ وقبل الدخول فى الجواب عن هذه الاسئلة نقول: ان الرحلات تنقسم الى انواع كثيرة ومتنوعة وتختلف اهدافها واسبابها.. فهناك رحلة تكون فى سبيل طلب العلم.. وهناك ايضا رحلة يقصد منها التجول والتعرف على بلدان وشعوب العالم.. ورحلة يبغى من ورائها صاحبها التجارة وتنمية المال.. ورحلة الغرض منها اداء فريضة الحج.. ورحلة الهدف منها القيام بمهام سياسية ودبلوماسية الى غير ذلك من انواع الرحلات.. ورحلة مترجمنا بارتيما كانت تجمع بين الحج والتجول والتعرف على بلدان وشعوب الدول العربية وفى هذا

صرح: (لو انني سئلت عن السبب في رحلتي هذه فانني لن اقول اكثر من انها الرغبة الجامحة في المعرفة وهي نفس الرغبة التي دفعت كثيرين غيري لمشاهدة العالم وعجائب الخالق . ، ولان كثيرا من اجزاء العالم قد زارها غيري كان عزمي ان ازور وأصف هذه البلاد (يعني الحجاز) التي لا نعرف عنها الكفاية).

■ واذا كان بارتيما حقق امنيته في زيارة البلاد العربية فالحق يقال انه اثناء رحلته هذه الى الحج لقى اهوالا ومتاعب كثيرة، فقافلة الحجاج الشاميين التي كان ضمن افرادها، واجهت معركة ضارية مع قطاع الطريق كما مر ذكره، مما جعلها تواصل سيرها باستمرار بدون توقف الا عند الضرورة القصوى للراحة والشرب والاكل والنوم، وحين وصلت القافلة الي المدينة المنورة، غير افرادها ملابسهم العادية وارتدوا ملابس الاحرام وتوضأوا ودخلوا الى المسجد النبوى للصلاة والسلام على النبي، وقد حظى بارتيما بمشاهدة قبر الرسول داخل المسجد النبوى ووصفه بقوله: «داخل هذا الباب المقبرة، قبر تحت الارض حيث دفن محمد مع اصحابه». وبذلك يكون بارتيما اول من كشف لاوروبا حقيقة قبر الرسول ﴿ﷺ﴾ واعتمادا على قوله لم تعد اوروبا تؤمن بخرافة ان جثمان النبي ﴿ﷺ﴾ كان معلقا بين السماء والارض في سماء المدينة التي كانت شائعة في الغرب.

دخول بارتيما الى مكة المكرمة:

وبعد رحلة شاقة ومتعبة من المدينة الى مكة واجهت فيها القافلة رياح الشمال العاتية وعواصف الرمال القوية تصل سالمة الى مكة المكرمة يوم ١٨ مايو ١٥٠٣م وكانت المدينة وقتذاك كما قال بارتيما: تحتوى على ستة الاف بيت تشبه البيوت بيوت روما في بنائها، وبعد وقوفه بمنى وعرفات يذهب للطواف حول الكعبة المشرفة ويراها لاول مرة في حياته، ويخفق قلبه ويشعر بإحساس غريب ينتابه ويصف ما تراه عيناه في الحرم المكي من مشاهد أخاذة ويقول: «ندخل اليه بالنزول حوالى اثنتى عشرة درجة، وفي الرواق تباع المجوهرات والاحجار الكريمة. عندما تتعدد المداخل نجده مقفلا من اعلى والجدران المطلية بالذهب تشع من كل جانب بضخامة لا تقارن.. في المكان المنخفض من المعبد يوجد عدد لا يحصى ولا يعد من الرجال - يوجد من خمسة الى ستة آلاف رجل يبيعون المراهم الحلوة وروائح معينة وبورة حلوة التي تستخدم للرش على اجساد الموتى، تجعل الانسان يعتقد ان هذه الرائحة الحلوة تفوح وتفوق كثيرا على الروائح من دكاكين العطارين».

● يعتبر بارتيما اول اوربى نزح إلـ...

● تحمل الرحالة المشاق للوصـ...

■ وبعد انتهاء موسم الحج لم يعد بارتيما الى قافلة الحجاج الشاميين للعودة الى بلاده بل انفصل عنها واختفى في بيت مملوك تعرف عليه بأنه مسيحى، وبقى وحده في الحجاز وقرر زيارة اليمن، وتوجه الى جدة ومنها جاوز البحر الى عدن وهو يجهل وقتذاك تطور الاحداث السياسية والصراع الدائر بين المسلمين والبرتغاليين في المنطقة، وعند وصوله الى عدن.. القت عليه السلطة اليمنية القبض بتهمة انه جاسوس اوروبى خطير جاء الى البلاد ليتجسس لصالح الكفار (البرتغال) ووضعت في يديه الاغلال والقيود وسيق الى السجن المدنى بعدن، وعن كيفية سجنه قال: قبضوا على ووضعوا الاصفاد في قدمى وما ان علموا بأنني مسيحى حتى طالبوا باعدامى كجاسوس، الا ان حاكم المدينة لم يكن في سلطته ان يفعل هذا، فتم ترحيلى الى سلطان اليمن.

■ وقبل حلول بارتيما في عدن وأسره فيها كانت الحالة متوترة بين

ـى بلاد اليمن ونشر الأخبـار عن مدنها وسكانها ومزروعاتها ومناخها.
ـول إلى بلاد العرب «الجزيرة الأم» لمعرفتها اقليمياً واجتماعياً ودينياً.



صورة قديمة لمكة المكرمة اخذت عام ١٨٨٥م.

المسلمين والبرتغاليين الذين ارسلوا في العاشر من فبراير ١٥٠٢م اسطولا بحريا يتكون من عشرين سفينة حربية تحت قيادة المغامر المعروف (فاسكودا جاما) الى المحيط الهندى من اجل سد مدخل البحر الاحمر في وجه الملاحة الدولية وتوقيف تجارة العرب مع الهند، وهذه الاعمال البرتغالية العدوانية دفعت العرب المقيمين في قاليقوط وعدن الى طلب النجدة والمساعدة من سلاطين المماليك بمصر(٥).

■ وقد ارسل السلطان المصرى حملة بحرية استجابة لطلبهم بقيادة حسين الكردى في نوفمبر سنة ١٥٠٣م لحماية سواحل البحر الاحمر والوقوف في وجه قوة البرتغاليين الذين اعلنوا بكل وقاحة وجرأة عن عزمهم على تخريب المقدسات الاسلامية في الحجاز والاستيلاء بالقوة على جثمان النبى محمد ﴿ﷺ﴾ في المدينة وجعله رهينة لديهم. وللحيولة دون تحقيق البرتغاليين لاهدافهم التخريبية هذه حل الاسطول المصرى بميناء عدن لمراقبة تحركات البرتغال الخطيرة في تلك المنطقة.

■ ولم يكن تأخير حكم الاعدام في «بارتيما» كما قال: راجعاً الى اختصاصات ملك اليمن، انما الفضل في نجاته من الاعدام يعود الى حارس سجنه الذى انقذه من المهاجمين عليه باغلاق الباب في وجههم، وقد روى حقيقة هذه الحادثة المؤرخ محمد كامل(٦) بتفصيل قائلا: (ولما نزل (ده بارتيما) في عدن كان الناس يشعرون بخطر البرتغاليين، والقى القبض عليه، وسيق في اليوم ذاته الى قصر السلطان كى يعدم ولكن تأخر تنفيذ حكم الاعدام لغياب السلطان، وفي اليوم الثالث وصل الى عدن خمسون او ستون مسلما هربوا سباحة من السفن التى وقعت في ايدى البرتغاليين، وهجموا على قصر السلطان يريدون قتل (ده بارتيما) ورفيقيه السجينين معه، ولكن حارسهم انقذهم باغلاق الباب في وجه المهاجمين.. وقد نقل بعد ان قضى في السجن مدة شهرين من عدن الى الروضة، بشمال صنعاء حيث كان السلطان عامر بن عبد الوهاب الظافر يستعد لمهاجمة صنعاء اثناء الصراع بين بنى رسول والائمة الزيدية اولاد محمد بن عامر.

وعندما اطلق سراح بارتيما واسترد حريته قام في اليمن بجولة زار فيها المدن التالية: «لحج، صنعاء، تعز، زبيد، ذمار، المقرانة، بريم»، وقد اعطى لكل مدينة زارها وصفا خاصا لما تمتاز به.

نهايـة رحلتـه

ومن اليمن يتوجه الى ايران ومن ايران الى الهند ويلتحق فيها بالرتغاليين الذين كانوا انتهوا من بناء حصن حربى فى جزيرة (سمطرة) وقد اخبرهم باستعدادات الهنود لمحاربتهم وعزمهم الاكيد على طردهم من البلاد، وحذرهم منهم لكثرة عددهم ووفرة سفنهم الحربية، ومن الهند سافر الى لشبونة بالبرتغال سنة ١٥٠٢م وفيها حظى بمقابلة ملك البرتغال الذى قدم له نسخة من رحلته الى البلاد العربية، وتقديرا لخدماته واعترافا بمعلوماته منحه الملك الوسام الملكى ومن البرتغال يعود الى مسقط رأسه روما سنة ١٥٠٨م.

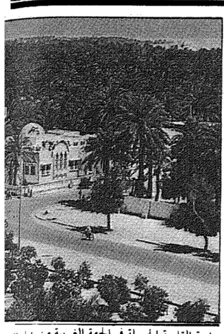
تقييم رحلتـه

وقد تعرضت رحلته المنشورة تحت عنوان (رحلات لويس فيرتمونيوس) (لوديجو دى فارتيما . . احد نبلاء روما) للمدح والنقد كباقى الرحلات الاخرى ومن الذين اثنوا عليها جكلين بيرين وابونتى اللذان وصفا صاحبها بأنه: (اول اوروبى نزح الى بلاد اليمن، واول من نشر الاخبار عن مدنها وسكانها ومزروعاتها ومناخها) كما نوه بالرحالة (بارتيما) د. محمود السمرة وقال عنه: «وميزة دى بارتيما انه قد ترك وصفا صحيحا، وان كان مقتضبا، للاماكن التى زارها فى شبه جزيرة العرب، كما انه ترك لنا خريطة تظهر فيها شبه جزيرة العرب ممدودة عرضا فى الجهة الجنوبية»(٧).

■ واعجب بقصة رحلته د. العفيفى وجاكلين بيرين وقالا بانها: «ما من قصة رحلة لاقت طوال نصف قرن مثل النجاح الذى لاقته قصة رحلته فقد تعاقبت طبعاتها وترجماتها خلال ثلاثين عاما دونما انقطاع وظهر منها بعض الطبعات فى القرن السابع عشر»(٨) ومن الذين وجهوا نقدهم الى كتاب رحلة (بارتيما) الرحالة الانجليزى روبين بيدويل الذى قال فيه: «انه رجل مغامر. . لا يهتم كثيرا بالتفاصيل الطبوغرافية او مناسك العبادة فى مكة، لانه لا يملك الخلفية التى تؤهله لمثل هذا».

وفاتـــه

وخاتمة حياة (ده بارتيما) كما قال د. محمود السمرة مجهولة كاصله ويرجح انه توفى بين ١٥١٢ و ١٥١٧م.



واحة القليعة الجميلة فى الجهة الغربية من الجزائر

المغامر الانجليزى جوزيف بتس

ميلاده:

ولد جوزيف بتس فى ايكستر بانكلترا سنة ١٦٦٣م وعمل بحارا منذ كان عمره خمسة عشر عاما كباقى البحارة الانجليز فى الناحية الغربية من البلاد، وعاش فى السفن متنقلا من بلد الى بلد حتى وقع اسيرا فى قبضة قراصنة اتراك الجزائر سنة ١٦٧٧م الذين كانوا يسيطرون بسفنهم على البحر الابيض المتوسط ويهددون الملاحة الدولية فى هذا البحر ويعترضون السفن الاجنبية المارة فى سواحل منطقة نفوذهم.

اعمال قراصنة الاتراك والانجليز

■■ ومن اجل القضاء على

قراصنة الاتراك قامت عدة دول كبرى مثل اسبانيا وفرنسا بشن هجومات قوية على الجزائر العاصمة فى محاولة منهم لطرد حكامها الاتراك لكنهم فشلوا فى ذلك وعادوا الى بلادهم منهزمين خائبين.

■■ ويصف دوجلاس مؤلف كتاب (القراصنة) بأن القراصنة هم: «طابور من الاوغاد شنوا حربا على العالم بأسره».. ويقول الباحث فائق فهيم (بأن دوجلاس كان صادقا فى ذلك الوصف لانهم (يعنى القراصنة) فى نهمهم من اجل الذهب لم يميزوا بين سفينة واخرى ولم يدخلوا فى اعتباراتهم أية عوامل انسانية او سياسية او غيرها.. ويستعرض نفس الباحث قائمة باسماء مشاهير قراصنة الانجليز (بلد جوزيف بتس) الذين عرفهم التاريخ وعلى رأسهم كابتن كيد الشهير، وهنرى ايفرى، وتشارلز فين وبارتلميوروبنس، وهاولى دافيز وغيرهم.. ومن قراصنة الاتراك المشهورين يذكر خير الديس باربساروس صاحب (اللحية الحمراء) الذى استولى على الجزائر وكان يحمل لقب أمير البحر بدون منازع.

وقوع جوزيف بتس اسيرا

■■ القى قراصنة الاتراك القبض على سفينة انجليزية بتاريخ ١٦٧٨م وكان يعمل بها جوزيف بتس، وقد بيعت تلك السفينة فى الجزائر، وكان جوزيف بتس من نصيب ضابط خيالة تركى اشتراه ليخدم عنده، وعند غيابه وقيامه ببعض المهام العسكرية باعته زوجته الى جزائرى آخر للتخلص منه، وكان المشترى شخصا غليظ القلب متشددا فى امور الدين، اجبره على اعتناق دين الاسلام عن كراهية، ثم انه دبر مؤامرة لاسقاط الحاكم الجزائرى وفشل فيها فأعدم، وانتقل جوزيف بتس بعد اعدام سيده للعمل كعبد عند سيد جزائرى آخر عجوز واعزب عامله معاملة حسنة وقبل قيامه مع سيده الجزائرى العجوز باداء فريضة الحج نستعرض اهم الاحداث السياسية التى عاصرها جوزيف بتس فى الجزائر.

جوزيف بتس فى الجزائر

عاصر جوزيف بتس فى الجزائر حكم ثلاثة دايات هم:

(١) حكم الحاج محمد داى تولى سنة ١٠٨٢-١٦٧١م وفى عهده استولى الاسبان على مدينة تلمسان سنة ١٦٧٥م تم خرجوا منها وعادوا الى حصنهم الحصين مدينة وهران.

(٢) حكم بابا حسن داى تولى سنة ١٠٩٢هـ ١٦٨١م ومات مقتولا سنة ١١٠٤هـ ١٦٩٣م.

(٣) حكم الحاج حسين داى (موزرمبورتو) تولى سنة ١١٠٤هـ ١٦٩٣م.

■ واثناء وجود جوزيف بتس فى الجزائر عرفت الجزائر حدثا سياسيا هاما هو قطع العلاقات الدبلوماسية بين اتراك الجزائر وفرنسا سنة ١٠٩٣هـ ١٦٨٢م واعلان الاتراك الحرب ضد فرنسا واستيلائهم على ٢٩ سفينة فرنسية واسرهم ثلثمائة فرنسى.

وانتهز الانجليز قطع العلاقة بين فرنسا وحكام الجزائر فأبرموا اتفاقية صلح مع حكام اتراك الجزائر، مما اغضب ملك فرنسا لويس الرابع عشر وامر وزير حربيته بغزو الجزائر العاصمة، وتخصيص وزير الحربية الفرنسية

● فى رحلته إلى مكة المكرمة وصـــف المستشرق جوزيف بتس منظر الحجاج بأنه مشهد ينفذ إلى القلب

● غلبت على الكثير منهم الرؤية المادية الاستعمارية.. لكن البعض مهد لمعرفة الآثار والتاريخ والجغرافيا

جوائز ثمينة لكل بحار فرنسى يأتى باحد القراصنة الاتراك.

والخلاصة: ان حكم الاتراك فى الجزائر اثناء عصر الدايات امتاز بالفوضى وعدم الاستقرار والاغتيالات والتصفيات الجسدية للحكام وكلما صعد احد الدايات الى الحكم ودبرت ضده المؤامرات لاسقاطه وكان مصيره اما العزل او الاغتيال او الاعدام شنقا، وقليل منهم من نجا بنفسه واهله.

بتس فى طريقه الى مكة المكرمة

حج جوزيف بتس مع سيده الجزائرى سنة ١٦٨٥م عن طريق السويس ورابغ وجدة ومنها واصلا سيرهما على الجمال متوجهين الى مكة ولما وصلاها استعانا بالمطوف وبعد طوافهما بالكعبة المشرفة وسعيهما بين الصفا والمروة قبلا الحجر الاسود وقال عنه بتس بانه اسود بسبب ذنوب العباد وهو تفسير بعض عامة الناس، ثم صعدا الى منى وجبل عرفة وعادا الى مزدلفة ومنى لرمى الجمرات.. وعندما اديا جميع مناسك الحج اقاما فى مكة المكرمة مدة شهرين.. ووصف جوزيف بتس الحجاج وهم فى ملابسهم البيضاء يطوفون حول الكعبة فى خشوع وابتهال وقال: «كان مشهدا ينفذ الى القلب.. مشهدا يكفى لأسر كل هذه الآلاف فى ثيابهم البسيطة التى تنم عن الزهد وقد تعرت رؤوسهم والدموع تبلل وجوههم.. متضرعين الى الله ان يغفر ذنوبهم».

■ كما انه وصف ايضا مشاهد رمى الحصوات ويوم شراء الاضحية وغيرها من شعائر الحج وقال: «بعد رمى السبع الحصوات فى اليوم الاول يشترى الحاج الاغنام للأضحية، يعطى اللحم للفقراء والمعدمين وللاصدقاء والباقى يأكلونه بأنفسهم. بعد ذلك يحلقون رؤوسهم، ويخلعون الاحرام ويسلمون على بعضهم البعض بالتحيات قائلين (العيد بركة عليكم).

■ خلال هذه الأيام الثلاثة كل حاج يستطيع أن يذهب الى المسجد الكبير (الحرم) جاريا معظم الطريق وعندما يصلون الى الكعبة سوف تنفجر عيونهم بالبكاء وبعد الطواف المعتاد والصلوات يعودون نشيطين الى منى).

■ وعندما انتهى جوزيف بتس مع سيده الجزائرى من اداء مناسك الحج بمكة توجها الى المدينة المنورة للسلام والصلاة فى مسجد رسول الله ﴿ﷺ﴾ وبعد قضائهما ثلاثة ايام فى المدينة وتفقد معالمها الدينية والتاريخية عادا الى الجزائر وقرر سيده الجزائرى عتقه وبذلك اصبح حرا طليقا يتمتع بحريته، لكنه لم يثبت على اسلامه ولم يكن صادقا فى ايمانه، وارتد وهرب بعد سبع سنوات قضاها فى الجزائر التحق خلالها بالجيش التركى، وفر من الجيش والتحق بوطنه انجلترا سنة ١٦٤٣م بعدما عاش فى بلاد المسلمين ستة عشر سنة، ثمان سنوات قضاها فى ظل العبودية والاسر، وثمان سنوات اخرى قضاها حرا طليقا بعد حجه.

تأليفه

الف رحلة الى الحج عنوانها «وصف حقيقى وصادق لدين المحمديين» نشرها فى بلاد

الانجليز سنة ١٧٠٤م وهى قصة كما قال د. محمود السمرة (يصحح بها بعض الاخطاء والمبالغات الموجودة فى الكتب المعاصرة له. واروع ما فى رحلة ديسكر(٩) وصفه للقافلة واعدادها).

وقال الباحث شريف يوسف: (ان وصفه كان دقيقا مليئا بالاحترام الفائق للأولياء)(١٠).

الرحالة الاوروبى دومنغو باديا المعروف بـ(على باى العباسى)

■ من الرحالة الاوروبين والعلماء الجغرافيين الاوائل الذين جابوا بلاد العرب دومنغو باديا لبليش المعروف بـ على باى العباسى الاسبانى الاصل وهو اشهر رحالة اوروبى زار بلاد الجزيرة العربية بعد الرحالة ده بارتيما، امتازت رحلته عن باقى الرحلات الاوروبية الاخرى بطابعها العلمى والجغرافى، وهو اول من اعطى للغرب تقريرا مفصلا عن الطرق التجارية الهامة فى الحجاز، واول من وصف الاماكن والمواقع والبلدان التى مر بها وصفا طبوغرافيا دقيقا، وصحح بعض الاخطاء الجغرافية التى كانت سائدة فى عصره.

■ وليس هناك فيما اعلم اى ترجمة وافية موسعة كتبت بالعربية لهذا الرحالة الاسبانى الذى كثرت حوله الظنون والشكوك واتهم بالجاسوسية بسبب كثرة تحركاته المشبوهة وتصرفاته الطائشة المريبة، حينما حل بالمغرب الاقصى وحاول جر السلطان المولى سليمان العلوى الى عقد اتفاقية تجارية مع اسبانيا للتخلى لها عن بعض الموانىء المغربية فى المحيط الاطلسى.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾

ميلاده وبداية امره

وهو من مواليد سنة ١٧٦٦م بمدينة برشلونة الاسبانية.. درس العلوم فى مدريد وكان يجيد اللغة العربية والفرنسية والايطالية والانجليزية.. وله اطلاع على علوم الرياضيات والفزياء والتطبيعيات والفلك والجغرافية.. واسمه الاصلى هو دمنغو باديا لبليش - وقد غير اسمه حتى يتمكن من التجول فى البلدان الاسلامية فى حرية كأى مواطن مسلم فكانت زيارة النصارى فى عهده لبلاد المسلمين ممتنعة ومستحيلة ومحل شكوك وانتقاد نظرا للعداء الذى كان قائما انذاك بين المسلمين والنصارى نتيجة حروبهم الصليبية الدامية التى تركت آثارها السلبية فى العالم الاسلامى.

أعفى دومنغو باديا لبليش لحيته واختتن وتزى بالزى العربى







الرحالة الاسبانى على باي العباسي



محمد على

واطلق على نفسه اسم التاجر الحلبى المشهور «عثمان باى العباسى» وادعى ان اباه ارسله من حلب الى الاندلس ليتعلم العلوم الاسلامية لما فيه مصلحة امته.

■ وفى سنة ١٨٠٢م زار لندن ليزيد من معلوماته ومعارفه وطلب من الجمعية الافريقية مساعدته للقيام برحلة استكشافية الى افريقيا لحساب الجمعية وبالخصوص الى المغرب الاقصى ثم قصد لنفس هذه الغاية باريس واتصل بوزارة الخارجية وبمعهد الابحاث العلمية وعرض عليهم مشروعه المذكور فحظى بموافقتهم وشجعه طليران وكتب فى شأنه توصية الى ممثل فرنسا بطنجة.. ورجع باديا الى اسبانيا مسرورا لبلوغ هدفه وتحقيق امنيته.. واتصل بكودوى واعانه ماديا وسلم له عدة هدايا تليق بمقام سلطان المغرب واعطاه توصية مكتوبة الى ممثلى اسبانيا فى افريقيا وآسيا لمساعدته فى اداء رحلته العلمية.

■ وكشف كودوروى فى مذكراته عن اهداف رحلة باديا وقال: «لقد ادركت منذ الوهلة الاولى غرابة كون باديا ينتحل صفة اجتيازه الى الامبراطورية بوصفه عربياً لا اسبانيا وادعاءه الحج الى الاماكن المقدسة كسليل للنبى وكونه يسعى بذلك للحصول على ثقة سلطان المغرب او مساعدته ضد الثوار وجعل السلطان يقوم بنفسه يطلب التأييد الواسع من البلاط. وهو ان لم يحقق ما كان يتوق اليه يكتفى بطبع الاحاطة وتقدير قوته والسعى للتفاهم مع خصوم الملك حتى يتمكن من خوض غمار الحرب وتنفيذ ما كان مبرما من اتفاق معهم وبذلك يمكننا الحصول على ما نريد».

رحلته الى المغرب الاقصى

غادر باديا اسبانيا متوجها الى المغرب الاقصى وحل بميناء طنجة يوم ٢٩ يونية سنة ١٨٠٣م فى موكب كبير مهيب ملفت للانظار. يحمل معه عدة احمال وصناديق تشتمل على هدايا من اسبانيا الى سلطان المغرب وقد حظى بمحبة الناس واحترامهم بطنجة لمواظبته على اداء الصلوات المفروضة فى وقتها مع الجماعة، وكثرة سخائه وصدقاته على الفقراء والمساكين فكان يطعم منهم كل يوم اثنى عشر فقيرا، كما انه بنى سقايات للماء لفائدة سكان طنجة وفى شهر اكتوبر ١٨٠٣م زار المدينة السلطان المولى سليمان وانتهز باديا هذه الفرصة وقام بزيارته للسلطان وقدم له هداياه وهى عبارة عن مدفعين وعشرين بندقية وثلاثين مسدسا وبرميل من البارود الانجليزى علاوة على قطع حريرية وحلى وعطر ومظل ملكى رفيع، تقبل السلطان هذه الهدايا برضى واعجاب من باديا وقرَّبه اليه ونال ثقته ومحبته. وفى ظل حماية السلطان انطلق باديا فى التجول فى بلدان المغرب الاقصى فى حرية لتدوين ملاحظاته ومشاهداته وقام برحلته العلمية الى كل من مدينة اصيلة والقصر الكبير والعرائش ومكناس وفاس والرباط والدار البيضاء ومراكش التى وصلها فى ٢٥ مارس ١٨٠٤م وفيها حظى ايضا بمقابلة الملك الذى وهب له دارا واسعة بنواحى

مراكش، الا انه فشل في استدراجه لعقد اتفاقية تجارية مع اسبانيا، وحينذاك التجأ الى مدينة الصويرة واتصل ببعض الثوار اعداء الملك واغترَّ بقوتهم وشعبيتهم وتسرع في القضية وكتب الى كودوي يطلب منه امداده بالجيوش لغزو المغرب وحدد لهم النزول في مدينة الصويرة، فجندت اسبانيا لهذا الغرض حوالى عشرة الاف جندي وجهت لحملهم بحرا جميع السفن التابعة لها في المراسي المغربية ودخل باديا مراكش دخول المنتصر تحت مظلة ملكية فخورا مختالا محاطا باتباعه وانصاره.

■ ومغامراته هذه لفتت اليه انظار مسؤولي الحكومة المغربية ونواب الدول الاجنبية المعتمدين في مدينة طنجة، وحامت حوله الشكوك والظنون وادرك باديا تورطه في الشؤون الداخلية للمغرب فطلب من الحكومة الاسبانية تأجيل هجومها المسلح على المغرب ولبت اسبانيا طلبه منقذة بذلك حياته - ولم يبق لباديا حينئذ سوى مغادرة البلاد، فطلب من الملك المولى سليمان ان يأذن له في اداء فريضة الحج لكن الملك اقترح عليه تأجيل سفره الى السنة المقبلة، وكلفه بالاشراف على كوكبة عسكرية للهجوم على مدينة مليلية المحتلة من طرف اسبانيا في المغرب لاختيار اخلاصه ومعرفة نواياه الحقيقية إلّا انه راوغ كعادته ولم يقم بالهجوم المقرر شنه على مليلية.

■ واخيرا يأذن له الملك في شهر مارس ١٨٠٥م في التوجه الى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج عن طريق الجزائر. ويصل باديا الى وجدة الحدود الشرقية للمغرب الفاصلة بينه وبين حدود الجزائر، وينصحه عامل وجدة بتأجيل سفره بسبب اندلاع نار الفتن بناحية تلمسان وقطع طرق المواصلات البرية المؤدية الى الحجاز وانعدام الأمن، لكنه ابى العمل بنصيحته وواصل رحلته معرضا نفسه للأخطار، فلما علم الملك بذلك ارسل له كوكبة من الفرسان الى وجدة لحمايته، فتمكن باديا تحت رعايتها وحمايتها من العودة في سلام الى فاس وهناك لاحظ تغير معاملة الملك له، واتسامها بطابع الشك والحذر وعدم الثقة وتحت الحراسة المشددة اخرج بالقوة من فاس وابعد هو وزوجته وخدامه، وادخل الى مركب طرابلسي، وتوجه به الى مرسى طرابلس الغرب في شهر اكتوبر ١٨٠٥م وعلى هذه الحالة انتهت مغامرات هذا الرحالة الاوروبي الاسباني بالمغرب الاقصى، الذي كان مغامرا طموحا الى السلطة والحكم والبروز في ميدان الاحداث السياسية لفرض نفسه وشخصيته.


فتاة بالزي المراكشي بالمغرب

رحلته الى مكة المكرمة

ومن طرابلس الغرب تبدأ رحلته الثانية قاصدا الحج برا في قافلة تتكون من اربعة عشر جملا وثلاثة خيول ويصل الى ميناء السويس في ١٥ ديسمبر ١٨٠٦م.. ويزور الاسكندرية ويلتقي فيها بـ(شوبريان) الفرنسي.. ويزور ايضا القاهرة ويحظى بمقابلة محمد على باشا حاكم مصر.. ثم يتابع رحلته في البحر الاحمر على متن سفينة كادت ان تغرق اثر عاصفة بحرية هوجاء مهلكة أصابتها وينجو باعجوبة من الغرق.. ويصل الى مكة المكرمة في ٢٣ يناير ١٨٠٧م وكان الشريف حاكم المدينة يرافقه في تجواله.. وقد وجد ان معظم ما في المدينة من عمران تحول الى خراب وقفار وانخفض عدد سكانها بشكل مدهش من مائة

الف الى ستة عشر ألفاً مع عدم وجود اى صناعة فيها تذكر وكان هذا الخراب العمرانى والافلاس الصناعى من جراء حملة محمد على باشا التخريبية ضد الحجاز.

■ شارك فى موسم الحج مع شريف مكة فى غسل الكعبة المشرفة، وسمع بدعوة محمد بن عبد الوهاب التى انتشرت فى انحاء الجزيرة العربية.

■ وفى ٢ مارس من نفس السنة المذكورة غادر باديا مكة وتوجه الى جدة بعد انتهاء موسم الحج ومن جدة ذهب الى ينبع، وحتى لا يتهم بالسحر والشعوذة تخلص من كل ما يحمله من الحشرات والزهور التى جمعها خلال جولاته قصد دراسة نماذج منها.. ومن ينبع توجه مرة اخرى الى مصر ومن مصر عاد الى اوروبا ثم الى رومانيا سنة ١٨٠٧م.

■ واثناء عودته الى بلاده استقبله الامبراطور الاسبانى بحفاوة ومكث قليلا فى اسبانيا ثم انتقل الى فرنسا واستقر بباريس وكان يعرف فيها بالجنرال «باديا» وقيل انه اتصل بنابليون ونال عطفه وتشجيعه وحصل من الحكومة الفرنسية على الأمان المالى له ولاسرته، لكنه عاوده الحنين والشوق الى وطنه الاصلى اسبانيا فرجع اليها سنة ١٨٠٨م.

تآليفه

■■ دون رحلاته فى كتابه (رحلاتى بافريقيا وآسيا) ونشره فى حياته فى باريس فى ثلاثة اجزاء سنة ١٨١٤م جاء فى مقدمته: «بعد ان قضيت سنوات عديدة فى البلاد المسيحية لدراسة علوم الطبيعة والفنون التى لا غنى عنها لانسان، عزمت اخيرا على زيارة بلاد المسلمين وخلال اداء فريضة الحج سوف ادرس عادات وسلوك وطبيعة البلاد التى سوف أمر عليها خدمة للوطن الذى اخترته مثواى الاخير».

■■ وطبعت رحلته بالاسبانية فى مدينة فالنسيا باسبانيا بعد وفاته سنة ١٨٣٦م تحت عنوان: «اسفار على بك العباسى (دومينكو باديا لابليك) فى آسيا وافريقية خلال السنوات من ١٨٠٣ الى ١٨٠٧م».

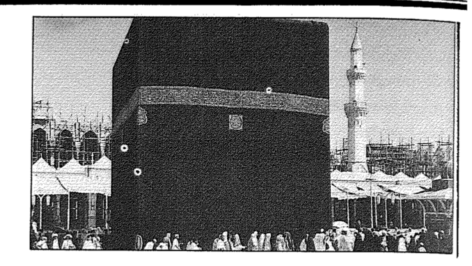
■■ وقد تحدث الرحالة الامين الريحانى عن كتابه المطبوع بالفرنسية بباريس وقال عنه: «قدم الطابع الكتاب بكلمة وجيزة توقفنا فى هذا الزمان مدهوشين لما كان ينتاب الامم فى كل زمان من الخوف على التمدن بل من الذعر والهلع فتنادى بالويل والثبور وتذرف الدموع على الحضارة والدين والثقافة والعمران المهددة كلها بالخراب والاضمحلال، اسمع لأرميا تلك الايام: «لم تكن اوروبا فى زمن ما مهددة كما هى اليوم بالنكبة الجارفة التى ستعود بها مسرعة الى التوحش (Barbaros) فالعلوم والفنون.. والتمدن.. ثمرتها كادت تكون على وشك الزوال من بلادنا عندما اعادت العناية الالهية جلالتكم الى عرش القديس لويس وهنرى الرابع رحمة للانسانية».

وفاته

ولم يستقر له اى قرار فى بلاده اسبانيا وشرع من جديد فى متابعة مغامراته ورحلاته، وحاول زيارة مكة المكرمة مرة ثانية ضمن قافلة الحجاج الافارقة المارة بطريق (اثيوبيا ودارفور) على امل اكتشافه نهر النيجر عبر طريق (تمبكتو) الا ان الموت حال بينه وبين تحقيق امنيته فمات ببادية الشام فى قلعة الزرقاء فى اغسطس سنة ١٨١٨م.

تقييم رحلاته

تحدث عن (باديا) الرحالة الانجليزى روبن بيدويل وقال: «كان اول رحالة يعطى للغرب وصفا علميا دقيقا عن مكة.. كان ايضا اول من وصف تجارتها بل



وحدد موقعها على الخريطة».

■ وقال الباحث شريف يوسف مشيرا الى قيمة مؤلفاته فى ميدان الرحلات: «لقد اصبحت مؤلفات (باديا) معينا وموردا كبيرا للباحثين، فقد زود علم الجغرافيا بمعلومات قيمة محددا بواسطة الملاحظات الفلكية مواقع الاماكن المختلفة التى زارها على ساحل البحر الاحمر، بالنسبة الى متوازيات العرض، ونشر قصة سفراته فى باريس سنة ١٨١٤م وعاد ثانية الى مكة المكرمة حيث توفى على بعد ٢٠ ميلا من دمشق».

■ وقال عنه ايضا انه: «اول من حدد موقع المدينتين المقدستين مكة والمدينة بصورة صحيحة على الخرائط عن طريق ملاحظاته الفلكية.. كما ثبت الطريق بين مكة والمدينة وساحل البحر الاحمر.. وهو اول من اشار الى (الحرة) المنطقة الواقعة فى غرب الجزيرة العربية».

■ وقال عنه الدكتور الصفصا: «وصل الى جدة سنة ١٨٠٧م ووصف الحجاز اثناء تأديته فريضة الحج.. وكان اول من حدد موقع مكة الجغرافى والاستراتيجى مستعينا بالأرصاد الفلكية».

■ اما الرحالة العربى الامين الريحانى فانه قال عن رحلة باديا بأنها: «تمتاز بالوصف الجغرافى والطوبغرافى للأماكن التى مر بها.. وتحقيق درجات الطول والعرض للمدن التى زارها مع تصحيح بعض الأغلاط التى كانت شائعة فى أيامه».

اتهامه بالجاسوسية

رغم ثناء المؤرخين على رحلة (باديا) الى البلاد الاسلامية واعتبارها من الرحلات العلمية الفريدة من نوعها فان صاحبها لم ينج من النقد والطعن وتهمة التجسس لحساب الغير.. فقد كتب (فاناتى) سنة ١٨٨٠م يقول: إن على بك العباسى كان يهوديا جاسوسا يعمل لصالح نابليون الذى ارسله الى الحجاز كجاسوس.. ويدعى الرحالة الانجليزى روبن بيدويل بأن باديا كان اما جاسوسا اسبانيا او جاسوسا لنابليون، ويعترف بالتالى انه لم يدرك حقيقته وسر تحركاته ويقول: إنه لا شك كان عميلا فى لعبة لم يكشف عنها بعد.. اما الرحالة الامين الريحانى فانه يرجح بأنه كان رسولا لنابليون الى الشرق والغرب.. ومن الذين اتهموه بالجاسوسية الكاتب المغربى المرحوم عبد القادر الخلادى فانه كتب ترجمة حياته وصرح فيها بأن باديا كان جاسوسا اسبانيا يعمل لصالح اسبانيا وقال: انه استطاع ان يخفى مكره وان يدنس المساجد ويلعب على عدة حبال ثم يفلت بجلده آخر الأمر.. ان الادوار التى لعبها هذا الجاسوس الاسبانى بالمغرب والبلاد الاسلامية كانت مظهرا من مظاهر التجارب الاولى فى ميدان الجاسوسية الدولية بهدف الاستيلاء على الشعوب واستعبادها.. وقال ايضا: اننى لم اجد فيما تصفحت من كتب التاريخ المغربى المؤلفة باللغة العربية ذكرا لهذا الجاسوس.

بداية ونهاية تمثال على باى

■ اقامت اسبانيا خلال حكمها

للمغرب تمثالا لعلى باى العباسى بحى بنى مكادة بطنجة اشرف على انجازه فرع البنك العقارى التجارى الاسبانى بطنجة الذى كان يديره انذاك الاسبانى خوسى اندروه.

■ وفى يوم ٢٠ اغسطس ١٩٨٤م (الذكرى ٣١ لثورة الملك والشعب) قرر المجلس البلدى لمدينة طنجة هدم هذا التمثال وازالة آثاره لسببين: اولا لكون صاحب التمثال كان جاسوسا فى المغرب يخدم مصالح الاستعمار الاجنبى، ثانيا عملا بالاسلام الذى يحرم اقامة التماثيل.

■ وكان لهذا الهدم اصداء وردود فعل قوية فى الصحافة المحلية فهناك جماعة تؤيد الهدم وهناك جماعة اخرى عارضت قرار الهدم بحجة ان التمثال يشكل تحفة فنية يجب المحافظة عليها.

■■ وسوف نطلع القراء على ما كتبته الصحافة المحلية فى هذا الموضوع حتى يكونوا على بينة على آخر ما احدثه على باى العباسى فى دنيانا من ردود فعل، فقد كان مغامرا كبيرا، ولغزا محيرا فى حياته وفى مماته.

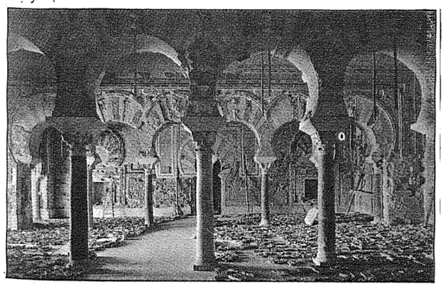
■■ وقد نشرت جريدة طنجة فى عددها ٢٢٦٠ بتاريخ السبت ٥ ذو الحجة ١٤٠٤هـ ق ١ ديسمبر ١٩٨٤م مقالا تعريفيا لسيرة على باى العباسى فى الصفحة العربية عنوانه: «من هو على باى؟» وقدمت المقال بكلمة وجيزة جاء فيها: «هذه نبذة مختصرة عن حياة الجاسوس الاسبانى على باى العباسى اخذناها بتصرف عن مقال قيم للاستاذ عبد القادر الخلادى نشر فى مجلة «دعوة الحق» بتاريخ جمادى الاولى ١٣٩١هـ/ يونيه ١٩٧١م ونحن نرحب بمساهمة قرائنا فى هذا الموضوع خصوصا وانه يوجد من يندد بالقرار الوطنى الذى اتخذ لهدم تمثال هذا المغامر الذى اقيم من طرف اعداء البلاد فى حى شعبى كبير، ضدا على المواطنين وتحديا لشعورهم.. كما ان الجريدة فى نفس الصفحة كتبت تعليقا بالفرنسية يتعلق بعلى باى العباسى - هذا نص ترجمته بالعربية: «من هو على باى؟». هذا المرتزق قد قام فى المغرب بمهمات التجسس السياسى والاقتصادى الهدف منها زعزعة استقرار البلاد تسهيلا لاحتلاله.

●● ان الاسبانى - على باى - كان بالفعل مكلفا من بين ما كلف به اثارة الجماهير الشعبية ضد السلطة الشرعية للملك المغربى ليمنع بذلك عملا عسكريا مغربيا يستهدف محاصرة مدينة مليلية، ويكون نابليون بونابرت قد كلفه بمهمة خاصة بالمغرب. وبانزال قوات بحرية هامة ومعادية كانت مهيئة للتدخل للسيطرة على البلاد.

الرحالة السويسرى يوهن لودفيك بوركهارت

قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بنشر دعوته الاصلاحية السلفية فى ربوع الجزيرة العربية وانتشرت الدعوة بين سكان

مسجد قرطبه

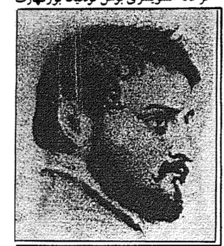




الجزيرة العربية والمناطق المجاورة لها، وكثر اتباعها فى دمشق وبغداد واليمن، وحضرموت والخليج العربى ومناطق البحر الاحمر والهند، والسودان ومصر وبلدان المغرب العربى حتى اصبحت خطرا يهدد الوجود التركى فى كامل البلاد العربية والاسلامية بالزوال اذ انها احدثت تغيرا ملموسا فى الافكار والمعتقدات وطهرت النفوس من مظاهر الشرك والخرافات، وملأت القلوب بالتوحيد الخالص، روح الاسلام وعماد الدين، وتركت آثارا ايجابية فى نفوس الناس، قال عنها المستشرق (جب): «ان اثر الدعوة الاصلاحى أخذ ينتشر رويدا رويدا فى جميع انحاء العالم الاسلامى لانها تحدت النظريات الفلسفية والافكار الوجودية التى تسللت الى التوحيد الاسلامى الخالص».

■ وقبل قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بنشر دعوته السلفية الاسلامية المبنية على الكتاب والسنة كانت البدع والمعتقدات الفاسدة منتشرة فى جزيرة العرب والبلدان الاسلامية والعربية وهجر المسلمون دينهم وعادوا الى جاهليتهم الاولى وضعف فيهم جانب التوحيد الذى كما قلنا هو روح الدين وجوهر الاسلام ولم يبق من الاسلام الا اسمه، وكان

الرحالة السويسرى بوهن لودفيكا بوركهارت



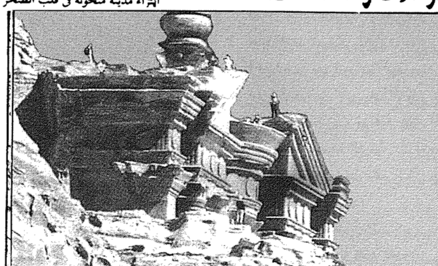
لظهور دعوة محمد بن عبد الوهاب فى هذا الجو العصيب الذى تمر به الامة الاسلامية؛ بريق أمل واشراق صبح لاعادة الاسلام الى سالف قوته وعظمته من جديد ومما زاد فى آمال المسلمين هو انتصارات دعوته السلفية وزحفها الى الامام فى ثورة اسلامية اصلاحية عارمة أدت الى ازالة حكم الاتراك من مكة المكرمة والمدينة المنورة سنة ١٩٠٦م ولما ادرك السلطان العثمانى محمود فقدان الاتراك هاتين المدينتين المقدستين وفشل الاتراك وعجزهم فى مقاومة هذه الصحوة والحد من انتشارها كلف واليه بمصر محمد على باشا بمهمة القضاء عليها فى مهدها قبل استفحال خطرها، وكانت مصر آنذاك اقوى دولة تابعة للدولة العثمانية، وتنفيذا لتعليمات السلطان العثمانى حشد والى مصر الجيوش العربية والتركية الجرارة التابعة له وارسل حملة عسكرية بقيادة طومسون لغزو الجزيرة العربية.. وعن مآل هذه الحملة العسكرية قال المرحوم احمد امين: «ان الوهابيين انتصروا على حملة محمد على باشا الاولى بقيادة طومسون، ثم اعد محمد على باشا العدة القومية الكبيرة وسار بنفسه عليهم واتم النصر ابنه ابراهيم باشا.

ونظرا للتفوق العسكرى لمحمد على باشا فانه نجح فى الاستيلاء على اهم المدن الحجازية ولم يترك فيها سوى الخراب والدمار، فى كل من نجد والحجاز وعسير وفترة غزو محمد على باشا للجزيرة العربية جاء الرحالة السويسرى بوركهارت لاكتشاف الجزيرة العربية.

ميلاده ودراسته

■ ولد بوركهارت فى مدينة لوزان بسويسرا سنة ١٧٨٤م وكان والده كلونيلا فى الجيش السويسرى غادر بلاده اثناء الغزو الفرنسى، وتابع دراسته فى ليبسيك وغوتنجن وجامعة كمبردج بالمانيا وكذا بلندن، ودرس الطب والفلك والفيزياء وجميع العلوم الانسانية والعربية، وفى لندن سنة ١٨٠٦م تعرف على «جوزيف يانكس» عضو الجمعية الافريقية التى قامت بتمويل عدة بعثات

البتراء مدينة منحوته فى قلب الصخر.



استكشافية الى افريقيا للبحث عن منبع النيل بدون نتيجة وعرض عليه القيام برحلة لاكتشاف النيل لحساب الجمعية الجغرافية البريطانية مقابل جنيه استرليني كل يوم، فقبل بوركهارت العمل معه، واعد لرحلته برنامجا صارما يشتمل على الرياضة لمواجهة ظروف الحياة القاسية وسط الغابة والادغال الموحشة، وكذا تقلبات الطقس وفقدان الماء والطعام، وبدأ يبيت فى العراء ويمشى مسافات طويلة سيرا على الاقدام ويصبر على الجوع ويقتات ما يسد به الرمق وحين انتهى من تطبيقه التمارين الرياضية التى رسمها لنفسه عزم على تعلم اللغة العربية ايمانا منه بأنها لغة التفاهم بينه وبين العرب سكان المناطق التى سيمر بها اثناء رحلته، ومن اجل ذلك سافر الى مالطا متنحلا شخصية طبيب هندى، ومنها توجه الى حلب بسوريا. وعاش هناك بين البدو سنتين يتعلم فيها اللغة العربية، وخلال هذه المدة اجاد التحدث بها وفهم معانيها وترجم الى العربية رواية (ربنسون كروزو) وكتب بالعربية (الامثال العربية). وبالاضافة الى معرفته العربية فانه درس الاسلام وألمّ به وأعلن اسلامه وسمى نفسه الشيخ ابراهيم بن عبد الله الشامى، وظهر علمه واشتهر امره بين الناس واعترف العلماء بعلمه.

■ وعاش فى قبيلة «عنيزة» وبين «تدمر» ونهر الفرات متنقلا متجولا دارسا ايامـا خالدة مع البدو والرحل، ذاق معهم حلو الحياة البدوية الاصيلة ومرها، ووصف تلك الاوقات التى عاشها معهم وقال: «لقد عشت بين البدو اسعد ايام حياتى، كما عشت فيهم ايضا احلك الايام» وقد كتب عن هؤلاء البدو الرحل بصدق واعجاب اول دراسة تحليلية لحياتهم سماها: «ملاحظات عن البدو الوهابيين».

اكتشافه مدينة البتراء

وخلال تجواله فى ربوع صحراء الاردن اكتشف سنة ١٨١٢م مدينة البتراء العجيبة المنحوته فى الصخر التى ظلت مدينة منسية زمانا لا يعرفها احد من الناس وهى تعد من أجمل المواقع الاثرية بالاردن، تقع بجنوبه على بعد ٢٧١ كيلو متر مربع من مدينة عمان العاصمة فى طريق صحراوى يؤدى الى قرية وادى موسى على مفترق الطرق الاستراتيجية الواصلة الى «عنيزة» والخليج العربى والبحر الاحمر واليمن ومصر والجزيرة العربية.

■■ ومدينة البتراء موغلة فى القدم، وهى من تأسيس الادوميين وردت اقدم اشارة اليها فى سفر الملوك الثانى ص١٤ع كحصن من الحصون فى عهد امصيا سنة ٨٣٨ق.م وتطلق عليها التوراه اسم (سلاع) يعنى الحجر ويقال ان اليونان هم الذين سموها بطرا، وقد آلت هذه المدينة عندما ضعف امر الادوميين الى الانباط وجعلوها عاصمة ملكهم والانباط قبيل هم قبيلة جاؤا من البلاد العربية خلال القرن الرابع قبل الميلاد وسكنوا فى منطقة البتراء، ويصف الاستاذ اسامة يوسف شهاب عظمة مدينة بطرا ويقول عنها بأنها: «مدينة الجمال تقع بين



جبال ادوم الرملية. وتعد أفخر كنز سياحي في الاردن وإحدى الروائع الفنية التي تنم عن روعة الفن، وكانت قديما عاصمة الانباط وهي قبيلة عربية كانت تشتغل بالتجارة وقد اكسبها موقعها الممتاز على الطريق الرئيسي التجاري بين سوريا وبلاد العرب ومصر ثروة ومالا.. هذه المدينة الوردية العجيبة منحوتة بكاملها في الصخر الخالص، ولا تزال اثارها تنطق بمجدها وعلى ما أحرزته من شأن في التاريخ.. حتى اصبحت احدى المدن الفنية الناهضة في الشرق الاوسط، وقد اقتبس الانباط اهم مظاهر الحضارة الهيلنية، مع اضفاء صبغتهم الخاصة عليها بحيث اصبحت هذه المدينة نادرة في العالم وعجيبة من العجائب التي يتحدث التاريخ عنها.

■■ ولمدخل مدينة الانباط ممر ضيق يقع بين جبلين كان بمثابة كمين منصوب للعدو يحمي المدينة من هجومات الغزاة ويمنعهم من الاستيلاء عليها.

رحلته الى افريقيا

بدأ رحلته الى افريقيا في شهر فبراير سنة ١٨١٢م ووصل الى مصر في شهر سبتمبر ومنها خرج متتبعا مجرى نهر النيل. وخلال سنتي ١٨١٣-١٨١٤م سافر مع قافلة الحجاج السودانيين والنوبيين المتوجهين الى ارض السودان وبلاد النوبة، وزار مدينة (شندي) وميناء (سواكن) وعن رحلته هذه تحدث د. يوسف فضل حسن وقال: «زار السودان حتى بلغ مدينة (شندي) وميناء (سواكن) خلال ١٣-١٨١٤م متندبا من الجمعية الافريقية بلندن للكشف عن داخل افريقيا وكان لويس بروكهارت هذا يجيد العربية.. يقظ العقل.. قوي الملاحظة.. دقيق العبارة.. أمينا وصبورا.. وقد تركت كل هذه الصفات آثارها على رحلاته في بلاد النوبة اذ انه وصف طبيعة البلاد واعطى صورة دقيقة للحياة الاجتماعية والاقتصادية خاصة تجارة الرفيق في العقد الثاني من القرن التاسع عشر».

> ﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ﴾

وامام صعوبة اختراق ادغال افريقيا ومسالكها الوعرة، تخلى بوركهارت عن مواصلة رحلته في افريقيا وغير برنامج رحلته، وقرر الرحلة الى مكة المكرمة انطلاقا من ميناء (سواكن).

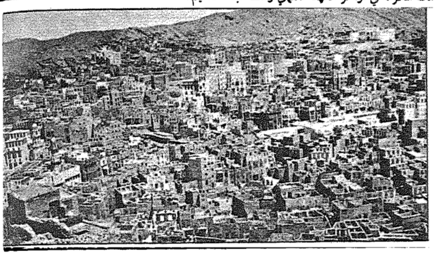
رحلته الى مكة المكرمة

ومن ميناء (سواكن) توجه بحرا على متن سفينة الى مدينة جدة ودخلها في يوليو ١٨١٤م واصيب فيها بمرض الكوليرا مدة شهر وبعد شفائه سافر الى مدينة الطائف لزيارة محمد علي باشا حيث حظي بمقابلته بواسطة صديقه (بوصري) الطبيب الارمني الخاص للباشا. وطلب منه اذنه في زيارة المدينتين المقدستين فأذن له في ذلك، وفي جدة لاحظ ان الناس ـ وكذا صديقه الطبيب الارمني ـ ينظرون اليه نظرة شك وارتياب معتقدين انه جاسوس انجليزي ارسلته حكومته الى الحجاز للتجسس على المسلمين وخاف ان تلصق به هذه التهمة ويسجن، وعلى سبيل الاحتياط غادر في الحين مدينة الطائف وتوجه الى مكة المكرمة مع قافلة الحجاج وكان منسجما مع افراد القافلة يتبادل معهم الحديث والطرائف في جو يسوده المرح، وسر بهذه الرحلة الممتعة ودخل

الى مكة المكرمة فى ٨ سبتمبر ١٨١٤م وفيها زال خوفه واضطرابه، وشعر بالطمأنينة والراحة تملأ نفسه وفى ذلك قال: «خلال رحلتى فى الشرق فإننى لم اشعر بمثل الراحة التى احسست بها فى مكة، ولسوف اظل دائما اتذكر فترة اقامتى فيها».

■ أحب بوركهارت سكان مدينة مكة المكرمة ونوه بذكائهم وشجاعتهم وحسن ضيافتهم واستقبالهم، وانتقد تصرفات بعض المطوفين الذين يزعجون الحجاج بجشعهم، وصادفت زيارته لمكة المكرمة حلول شهر رمضان المعظم وأحيا مع المسلمين صيام وتراويح هذا الشهر المبارك فى جو دينى اخاذ كله انسجام واخوة اسلامية صادقة تسيطر عليه روح التعاون والاخاء الاسلامى المتبادل.. وقد تحدث بدقة عن صيام المسلمين وترقبهم بتلهف وشوق ساعة الافطار فى مكة المكرمة حيث قال: «يجتمع الحجاج فى مجموعات كبيرة فى المسجد للعبادة.. كل شخص يحمل فى منديله قليلا من التمر وقطعة من الخبز والجبن او بعضا من العنب ويضعه امامه منتظرا اللحظة التى يرفع فيها اذان صلاة المساء(١١) وهى اللحظة التى يفطر فيها الصائم».

■ خلال هذه اللحظة من الترقب

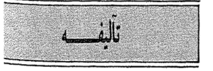


مكة المكرمة في أواخر العهد العثماني ونمط البناء القديم.

يقدمون بأدب لجيرانهم بعضا من طعامهم ويأخذون طعاما من الآخرين، وبعض الحجاج يذهبون من رجل الى آخر ويضعون ما معهم من لقيمات الطعام ويأتى الفقراء لالتقاط الطعام من الاشخاص الذين وضع امامهم. حالما يبدأ الامام يقول الله اكبر يسرع كل شخص لكى يشرب من دورق زمزم الذى وضعه امامه بعد ان يكون قد اكل شيئا ما حتى يؤدى الصلاة مع الجماعة بعد ذلك يعودون الى منازلهم لتناول طعام العشاء ويعودون إلى المسجد لصلاة العشاء.

■ ظل بوركهارت فى مكة المكرمة الى حلول موسم الحج ليؤدى الفريضة، وفى يوم ٢٥ نوفمبر ١٨١٤م اطلقت المدافع طلقاتها معلنة بداية موسم الحج الذى كان كما قال - درجة الحرارة فيه مرتفعة جدا، ادت الى وفاة عدد كبير من الحجاج، وقد رأى احد الحجاج المغاربة يلفظ انفاسه الاخيرة وطلب قبل موته رشه بماء زمزم. ومن مكة المكرمة توجه الى المدينة المنورة يوم ٢٨ يناير ١٨١٥م وفيها زار مسجد الرسول ﴿ﷺ﴾ وقبور الصحابة وجبل احد، ومدفن حمزة عم النبى وعاد الى مكة المكرمة مرة ثانية بعد انتهاء موسم الحج وطاف بنواحيها وانتقد كثرة الروائح القذرة المنبعثة من الاضاحى التى تركها الحجاج اثناء الأضحية والفدية.

■ غادر مكة المكرمة بعد قضائه فيها ثلاثة اشهر وحل بميناء «ينبع» ومرض فى هذه البلدة بالطاعون وبصعوبة شاقة يعود الى القاهرة منهوك القوى فى ٢٤ يونيو ١٨١٦م.



تآليفه

■■ رغم قصر مدة حياته فانه كان رحالة ذكيا مبدعا ترك عدة تآليف هامة منها:

● رحلات فى بلاد العرب ـ طبع فى لندن سنة ١٨٢٩م.

● ملاحظات حول البدو.

● الامثال العربية ـ الفها بالعربية وترجمها الى الانجليزية.

● روبنسون كروزو ـ رواية ترجمها من الانجليزية الى العربية.

● رحلة للشام والاراضى المقدسة.

وفاته

وفى القاهرة بدأ يدون رحلاته الى افريقيا وآسيا حتى اجهد نفسه وانهارت صحته ورغم ذلك انتظر قدوم قافلة الحجاج الافريقيين الى القاهرة ليسافر معها الى تمبكتو ليبدأ رحلة استكشافية جديدة الا ان زمان وصول تلك القافلة الى القاهرة كان لا يزال بعيدا وفجأة توفى فى القاهرة يوم ١٥ اكتوبر سنة ١٨١٧م وهو فى ريعان الشباب لم يتجاوز عمره ٣٢ سنة وحال الاجل بينه وبين تحقيق هدفه.

■ ودفن فى القاهرة بمقبرة المسلمين وكتب على لوحة قبره العبارات التالية: هذا قبر المرحوم الى رحمة الله تعالى الشيخ حاج ابراهيم المهدى ابن عبد الله بركهرت اللوزانى تاريخ ولادته ١٠ محرم سنة ١١٩٩هـ وتاريخ وفاته الى رحمة الله بمصر المحروسة فى ١٦ ذى الحجة سنة ١٢٣٢هـ.

الرحالة الالماني ستيزن.



■ هذه هى بداية ونهاية حياة الرحالة العبقرى بوركهرت مكتشف معبد ابو سمبل ومدينة البتراء.. رحالة فذ.. مغامر عالم.. عاش حياة قصيرة حافلة.

رحلة المغامر الالمانى «ستيزن» الى مكة المكرمة واكتشاف «حصن الغراب»

■ الرحلة التى قامت بها البعثة العلمية الدنمركية لاكتشاف جزيرة العرب كانت من اغرب وامتع الرحلات فى التاريخ لما اشتملت عليه من المغامرات، فمعظم اعضاء هذه البعثة الاستكشافية لقوا حتفهم اثناء الطريق، ولم ينج منهم سوى «نيبور» الذى استطاع التوغل داخل المناطق المجهولة من جزيرة العرب واليمن والعودة الى بلاده سالما موفقا، وفيها نشر رحلته الممتعة المليئة بالاحداث والغرائب وبواسطتها تعرف الغرب لاول مرة على مجاهل الجزيرة العربية.. والعربية السعيدة «اليمن».

■ وعندما كان «نيبور» فى اليمن وشاهد مآثرها التاريخية وخاصة نقوشها الحميرية، صرح وقال: «ان مدينتي ظفار وحدافة بها نقوش لا يقدر اليهود ولا العرب على قراءتها وليته لم يقل كلمته هاته بالمرة، فانها تسببت فى وفاة ومقتل وتعذيب وتشريد عدد كبير من المستشرقين المغامرين الذين اتوا بعده الى اليمن وحاولوا اختلاس تلك النقوش الحميرية لفك رموزها فى بلادهم، ولم تكن كلمة «نيبور» المذكورة هى السبب الوحيد فى اقبال المستشرقين المغامرين على زيارة اليمن والبحث فيها عن النقوش الحميرية بل كان هناك سبب آخر دفعهم الى مواصلة البحث فى هذا المجال وهو نجاح «شامبليون» الفرنسى فى فك رموز اللغة الهيروغليفية الفرعونية بعد اكتشافه حجر رشيد.

■ ويمكن القول ان اول رحالة اجنبى زار اليمن بعد «نيبور» هو العالم الالمانى «ستيزن» الذى عزم على حل رموز اللغة الحميرية مهما كلفه ذلك من ثمن، وحتى لا يتهم بأنه جاسوس اجنبى خطير عند

دخوله الاراضى المقدسة والعربية السعيدة اعتنق الاسلام وسمى نفسه الحاج موسى وتظاهر بالتقوى، واهلن بأنه سيؤدى فريضة الحاج وسيقوم بزيارة البقاع المقدسة تكملة لدينه، واثناء سفره الى الحج مر بمناطق «اللجاه» و«حران» التى كانت منذ عهد الرومان من الطرق القديمة المستعملة لمرور قوافل الحجاج.

■ وعثر اثناء مروره على الاطلال والبنايات الاثرية وهو فى طريقه الى الحج، وعلى كتابات قديمة تعود الى عصور مختلفة ودخل الى مكة المكرمة سنة ١٨١٠م وأدى مناسك الحج وشاهد المدينتين المقدستين (مكة والمدينة). ثم سافر بحرا من جدة الى اليمن، ونزل بالحديدة وبمدينة صنعاء. ومنها توجه الى مدينة «ظفار» عاصمة دولة الحميريين قديما التى كانت تسمى حينذاك «ظفار ريدان». وحسب ما يرويه لنا التاريخ فان الدولة الحميرية ظهرت فى اليمن وعاشت فيه من سنة ١١٥ ق.م الى سنة ٥٢٥ ب.م بعد ما عمرت حوالى ٦٤٠ سنة وتقلبت خلال هذه المدة بين ضعف وقوة، وأسست حضارة انسانية وعمل على رقيها وازدهارها فى مناطق نفوذها وبسطت حكمها على اليمن والبلدان المجاورة لها.

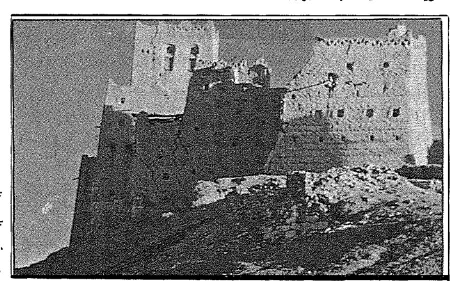
■ والغريب فى الامر انه قامت فى منطقة الشمال المغربى بالريف امارة نكور الحميرية تنتسب الى هذه الدولة اسسها ادريس صالح الحميرى وابنه سعيد سنة ١٢٣هـ وكانت اول مملكة تأسست بالمغرب استمر حكمها زمانا الى ان قضى عليها يوسف بن تاشفين المرابطى وهدم عاصمتها نكور سنة ٤٢٣هـ الموافق ١٠٨٠م.

مقتل ستيزن

وبينما كان «ستيزن» فى اليمن يجول ويبحث عن النقوش الحميرية ويقوم بنسخها دس له بعض جهلة اليمن من الاعراب المتعصبين السم فى الطعام وقتله ظلما وعدوانا سنة ١٨١١م بدعوى واهية خرافية لاتستند على اى اسس علمية صحيحة هو اتهامه باستخدام الحيوانات الميتة فى السحر.. لنبع مياه الآبار وبمقتله اسدل الستار عن هذا العالم الفذ الذى ضحى بحياته من اجل البحث العلمى، ورغم نسخه نقوشا قليلة فقد تسربت تلك النقوش الى الغرب وكانت اول نقوش حميرية يتعرف عليها، على ضوئها انطلق العلماء المغامرين من جديد الى اليمن لجمع المزيد منها قصد دراستها دراسة علمية لمعرفة تاريخ اليمن القديم الذى ظل لسنين عديدة مجهولا عند الجميع لجهلهم قراءة اللغة الحميرية.

اكتشاف «حصن الغراب»

ان قصة اكتشاف «حصن الغراب» تشبه قصة اكتشاف العالم الفرنسى «شامبليون» لحجر رشيد وقع فيها خلط والتباس من بعض الكتاب العرب وغيرهم وستتعرض بتفصيل للحديث عن هذا الاكتشاف لازالة كل غموض والتباس حوله.



صورة من اليمن السعيد



حجر رشيد الذى اكتشفه العالم الفرنسى شمبوليون ١٨٣٢م.

■ وبداية اكتشاف «حصن الغراب» يعود الى سنة ١٨٣٤م، عندما رست سفينة انجليزية تابعة لشركة الهند الشرقية فى «بلحاف» بمنطقة «بئر على» الواحدى المعروفة «بنقب الحجر» . . الزاخرة بالمآثر التاريخية، وكان على متن هذه السفينة الضابط «ولستد» و«كروتندسف هلتن» وبعد جولة قصيرة لاولئك البحارة عبر المنطقة لمشاهدة مآثرها اكتشف صدفة الضابط ولستد «فوق بعض التلال نقوشا مكتوبة على باب حصن يدعى «حصن الغراب».

اخذها. وبعد مرور عامين صرح بأنها كتابات تعود الى العصر الحبشى ١١ ولكن الخبراء فى علم الآثار بعد دراستها اكدوا انها كتابة حميرية على جانب كبير من الاهمية، تكشف تاريخ حكم السميفع اشوع على اليمن الجنوبى سنة ٥٢٥م.

■ وفى سنة ١٧٣٦م عاد الدكتور «هلتن» و«كرتندن» رفقاء «ولستد» مكتشف «حصن الغراب» الى اليمن لمواصلة بحوثهم فى الموضوع فى ظروف جد صعبة كانت تمر بها البلاد نتيجة الحرب القائمة بين الجيش المصرى التركى والجيش اليمنى وقد توغل الجيش المصرى فى الاراضى اليمنية واحتل «مخا» وانضم اليه امير الشريف حسين بن على، كما ان



الشعب اليمنى على اثر المجاعة ثار ضد الامام المنصور بن على المهدى سنة (١٨٣٥-١٨٣٦م) وامام الهجمات القوية للقوات المصرية التركية والقوات المتحالفة معها التابعة لامراء اليمن، انهار حكم الامام المنصور الزيدى وخلفه ابن اخيه الامير عبد الله الذى سجن الامام حتى مات فى سجنه وتولى بعد موته امارة الزيدية خلفا له واعلن ولاءه لمصر.

■ وفى خضم هذه الاحداث السياسية المتوالية التى عرفتها اليمن توفى الدكتور «هلتن» بعد عودته من صنعاء وحققت رحلته مع «كروتندن» الى اليمن هدفها فى تصوير نقوش من الكتابات الحميرية.

■ وبفضل مجهودات العلماء المستشرقين المغامرين وتضحيتهم الكبيرة التى بذلوها من اجل جمع تلك النقوش الأثرية المبعثرة فى اليمن اصبحت لدى العلماء آلاف من النقوش الحميرية التاريخية وقد تضافرت جهودهم وانكبوا على دراستها لمعرفة اسرار لغتها وتاريخ الحضارة اليمنية القديمة . .

وحاول «روديجر» و«حنرينس» الالمانيان سنة ١٨٤١م فك النقوش التى عثر عليها «ولستد» و«كروتندن» ومترجما «ستيزن» وغيرهم من المستشرقين، ولم يكتف علماء الغرب بما لديهم من نقوش حميرية، بل عملوا على اضافة نقوش اخرى اليها، لان العلم ليس له حدود وطالبا العلم والمال لا يشبعان.

●● ولا عجب اذا رأينا التسابق والتنافس يبرزان بين الدول الاجنبية لاكتشاف مآثر اليمن المجهولة كما وقع فى اكتشاف الربع الخالى فى شبه جزيرة العرب، وقد اهتمت الحكومات الاجنبية بالنقوش الكثيرة التى جمعها المستشرقون عن اليمن، وتأسست لهذا الغرض جمعية «الآثار السامية» هدفها الاساسى هو دراسة هذه النقوش دراسة علمية، وفى البداية كان تدخل الدول الاجنبية مستورا وراء الستار لكن سرعان ما تطور الامر واصبح تدخلها ظاهرا مكشوفا ولا سيما من طرف الدولة الفرنسية، فقد طلب قنصلها المسيو «فرستل» بجدة من «ارنو» الذى كان يعمل صيدليا لامام صنعاء، ان ينسخ لحسابه

● مما لا شك فيه أن الرحالة الاوربيين اطلعوا على الآثار المطبوعة والمخطوطة للرحالين العرب المسلمين قبل بحثهم ووصولهم أراضى الجزيرة العربية.

● هناك قرائن لاتحاد بعض الرحالة الاوربيين مع حكوماتهم فى النشاط الجغرافي للكشف عن المذخورات الاثرية وخاصة فى اليمن السعيد، مما شتت المخطوطات العربية والاسلامية الثمينة فى مكتبات العالم.

بعض النقوش الحميرية وتلبية لطلبه وسافر سنة ١٨٤٣م الى مواقع الآثار اليمنية المعروفة ونقل ستة وخمسين (٥٦) نقشا يتعلق بآثار صنعاء والخربية ومأرب وحرم بلقيس، ولم يحصل على هذه النقوش الا بشق الانفس، ولقي فى سبيل الوصول اليها اهوالا تنخلع لها قلوب الشجعان، فكان خوفا من مداهمة العرب له وهو متلبس بجريمة نسخ تلك النقوش المقدسة كان يتظاهر بأداء الصلوات المفروضة نفاقا وهو يقوم خلسة وغفلة من العرب بنسخ تلك النقوش، فعرب اليمن كانوا حريصين على حراسة تلك الآثار كحرصهم على اولادهم فهم يعتبرونها احجارا ثمينة يبيعونها بالمال للاجانب لفقرهم ويقتاتون بثمنها.

●● وبسبب الاهوال التى قاساها «ارنو» وتأثير طبيعة اليمن القاسية عليه فقد بصره وأصيب بالعمى، ويعتبر اول رحالة شاهد آثار سد مأرب احد عجائب الدنيا فى العالم القديم.

●● وقد قام بحل رموز نقوش «ارنو» المستشرق «اوسباندر» سنة ١٨٤٥م كما ان الحكومة الفرنسية ارسلت ايضا الى اليمن لنفس الغرض المستشرق «هاليفى» سنة ١٨٦٩م وعاد الى بلاده يحمل معه ٦٨٠ نقشا مهزوزة التصوير غير واضحة الكتابة لأنه نقلها بسرعة تحت شبح الخوف من هجوم اعراب اليمن عليه. واليه يرجع الفضل فى الكشف عن «الجوف» ومدينة «معين» عاصمة دولة المعينيين.

■ ومن العلماء الذين عادوا سالمين الى بلادهم ولم يصبهم اى ضرر ونقلوا اكبر عدد من النقوش العالم الالمانى «ادوارد جلازر» فانه نقل حوالى الف نقش، يشتمل على تواريخ هامة تتعلق ببناء سد مأرب وغيرها، اعتمد عليها فى كتابه وتأليف كتابه «تاريخ العرب القديمة وجغرافيتها» المطبوع سنة ١٨٩٠م. وهناك علماء مستشرقون آخرون ضحوا بأنفسهم من اجل جمع تلك النقوش الحجرية ولم يصلوا الى هدفهم وماتوا فى الطريق منهم «هدير الفرنسى، ولانجر النمساوى وكذا هرير» الذى قتله حارسه.

■ ولا ننسى كذلك «اودولف فون ريد» الذى تظاهر بالاسلام واراد زيارة قبر النبى هود عليه السلام فى حضرموت سنة ١٨٤٣م فمنعه الاهالى من ذلك واتهموه بأنه جاسوس انجليزى واخذوا مذكراته ومتاعه واجبروه على العودة الى امكلا، ولما فشل هذا المستشرق فى رحلته هذه رجع الى بلاده تكساس وانتحر فيها.

■ ومما لفت نظرى البحث الذى كتبه فى هذا الموضوع احد الكتاب العرب ـ اظنه سعودى الاصل ـ فى مجلة سعودية(١٢) تحت عنوان: «كيف تم فك لغز الكتابة

الحميرية؟» جاء فيه: «لقد حاول ثلاثة من العلماء الالمان وهم: اروديجر.. وجيزينوس.. والدكتور ج جيلد مستر ان يلقوا بعض الضوء على توحيد رموز الابجدية الحميرية، فتبين «لروديجر» ان الكلمة الاولى من نقوش (حصن الغراب) الذى اكتشفه ربان (سفينة بالينورس) يجب ان تقرأ (س. م ك) ثم تعرفوا على حرفين يدلان على ضمير المتكلم فحصل على ما ترجمته (سكنا)، وكان الكاتب العربى النويرى (١٢٧٩-١٣٣٢م) قد اورد نص قصيدة زعم ان ملوك حمير الاقدمين كانوا قد كتبوها على احد قصورهم، وكانت هذه القصيدة تبدأ بكلمة (سكنا) كما كان منقوشا على باب حصن الغراب من هنا صاروا يقارنون بين الاسطر والجمل والالفاظ، فى القصيدة والرموز الحميرية حتى تمكنوا من تخمين قراءة بعض الكلمات ومطابقة بعض الأحرف، فتوصلوا الى الترجمة التالية للكتابة المنقوشة على حصن الغراب: «سكنا وعشنا وقتا طويلا حياة بذخ فى قاعات هذا المكان الفسيح وكان الشقاء والخصومة بعيدين عن ساحتنا» ثم قرأ بقية ما كان مدونا على هذا الحصن، ووضع (معجماً للحميرية).. انتهى كلام الكاتب العربى الذى نقلناه بنصه وسنضعه فى ميزان النقد والبحث العلمى لنبين اخطاءه المدونة كحقائق مسلَّم بها.

أولا: كيف يعقل للمؤرخ العربى النويرى ان ينقل فى كتابه قصيدة كتبت بحرف المسند (الحميرية) وحروف المسند (الحميرية) ليست هى حروف اللغة العربية.

ثانيا: ان الذى اكتشف (حصن الغراب) هو «ولستد» الذى تغافل الكاتب العربى عن ذكر اسمه واكتفى بقوله (اكتشفه ربان سفينة بالينورس) فمن هو ياترى اسم ربان هذه السفينة؟.

ثالثا: ان العلماء لما فكوا قراءة رموز «حصن الغراب» وجدوا ان ما جاء فيه مخالفا تماما لقصيدة النويرى ولا علاقة له بها وهذا نص كتابة «حصن الغراب»: «إنَّ السميفع أشوع واولاده نقشوا هذا التذكار فى حصن الغراب، لما رمموا اسوارهم وزواياهم ودروبهم فى الجبال، وتحصنوا فيه بعد ان فتحوا الحبشة وغلبوا اهلها، وفتحوا طريق التجارة فى ارض حمير وقتلوا ملكها، واقياله الحميريين والاحابيش فى شهر الحجة سنة ٦٤٠).

رابعا: من المعلوم ان الذى ظن انه توصل الى حل رموز الكتابة الحميرية بعثوره على قصيدة النويرى هو المستشرق الايطالى «فونتى» وليس (لوديجر) الالمانى كما ذكر الكاتب العربى كما ان الذى توفق فى تفسير حرف المسند هو العالم (رودريكسودى بال) وتتألف هذه اللغة من ٢٩ حرفا وتسمى بالخط المسند.

خامسا: اتضح لنا مما ذكرنا انه لا علاقة بين قصيدة النويرى

نقش النمارة

تي نفس مر ألقيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التج
وملك الأسدين و نزرو و ملوكهم و هرب مذحجو عكدي و جا
يزجي في حبج نجرن مدينة شمر و ملك معدو و بين بنيه
الشعوب و وكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه
عكدي هلك سنت (٢٢٣) يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده

المذكورة فى كتابه (نهاية الارب فى فنون العرب) وبين النقش الحميرى (حصن الغراب)، الذى تمكن العلماء من قراءته سنة ١٨٧٢م بعدما قام العالم «هاليفى» باجراء دراسات وبحوث تاريخية عميقة للمقارنة بين ما ورد فى نقش (حصن الغراب) وبين ما ورد فى نصوص حميرية تاريخية اخرى، لمعرفة حقيقة تاريخ اليمن، وقد اهتدى الى كشف حقائق تاريخية معقولة يقبلها العقل جاءت مسايرة لتسلسل احداث اليمن التاريخية.

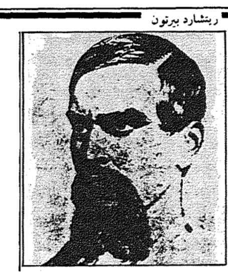
الرحالة العبقرى ريتشارد بيرتون

■■ وهذا رحالة آخر مغامر كبير يمتاز عن باقى الرحالة الاوروبيين بنبوغه وكثرة لغاته وتآليفه ورحلاته - هو ريتشارد فرنسيس بيرتون الانجليزى الاصل العربى الأم..

ميلاده

ولد سنة ١٨٢١م وكان منذ صباه ميالا الى حب المغامرات شغوفا بالرحلات.. ظل يحلم باكتشاف منابع النيل ومجاهل شبه الجزيرة العربية التى اعتبرها «ارضه المفضلة».

■■ ولكى يحقق حلمه فى الطواف حول بلدان العالم ذهب فى اكتوبر


ريتشارد بيرتون

سنة ١٨٤٢م الى (بومباى) وعمل بشركة الهند الشرقية التى كانت تمثل انذاك مصالح الاستعمار البريطانى فى منطقة الخليج العربى، وقد استغلت الشركة مواهبه ووظفته ضمن اطرها العاملة وطلب من الشركة مساعدته لانجاز رحلته الاستكشافية، ورفضت الشركة ذلك بحجة ان رحلته ستكون غير مضمونة العواقب، لكنها فى الاخير اقتنعت بجدواها واقترحت على صاحبها بتعلم اللهجات المحلية ليكون على تفاهم مع الشعوب التى سيمر بها خلال رحلته القادمة، وبالاضافة الى ذلك شجعته الجمعية الملكية الجغرافية لتنفيذ رحلته الاستكشافية، كل ذلك دفعه لبدأ رحلته الاولى الى مكة المكرمة.

رحلته الى مكة المكرمة

فى ابريل ١٨٥٣ توجه ريتشارد بيرتون الى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج ومن اجل كشف شبه الجزيرة العربية متنحلا شخصية رجل افغانى مسلم اسمه الحاج عبد الله، وذهب الى مصر وقضى فيها زهاء شهر يحصل فيها على الحماية الانجليزية. واستمع فيها الى المحاضرات والدروس التى كان يلقيها الشيوخ على الطلبة فى الجامع الازهر، ليحتك بالمسلمين ويتعرف على احوالهم ودينهم حتى لا يفتضح امره فى مكة بأنه اجنبى ويعرض نفسه للهلاك كما حدث لكثير من الرحالة الاجانب عندما اكتشف امرهم.

■ سافر الى الحج مع بدو سيناء ورافقه فى هذه الرحلة شاب من مكة المكرمة يدعى «محمد البسيونى» وزار ينبع والمدينة المنورة فى ٢٥ يوليو ١٨٥٣م والف عنها تأليفا خاصا عبر فيه عن مشاهداته فى المدينة، وبعدئذ ومن المدينة المنورة انتقل الى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج فى ١١ سبتمبر ١٨٥٣م يرافقه صديقه المكى «محمد البسيونى» الذى تعرف عليه سابقا، وفى مكة المكرمة شاهد المسلمين يطوفون حول الكعبة المشرفة فى خشوع وابتهال ويؤدون شعائرهم الدينية فى حرية وفى نظام بديع، قال وهو يصف المشاهد الدينية فى الحرم المكى:

«لقد شاهدت شعائر دينية لكثير من الشعوب.. لكنني لم اشاهد

صورة لرجم الشيطان رسمها ريتشارد بيرتون.

ابدا مثلما شاهدته هنا من خشوع ورهبة».

■ وزيارته الى مكة المكرمة لم تمر مرور الكرام بل تركت فى نفسه اعمق الآثار واوحت اليه بافكار وخيالات كثيرة جعلته يكتب عن المدينة ومكة كتابين ضخمين فى جزئين يحمل اسم (الحج الى المدينة ومكة) وهذا الكتاب كان سبب اشتهار اسمه فى العالم العربى يحتوى على مخطط هندسى رسمه بنفسه للمدينتين المقدستين مع خريطة تبين الطريق من مكة الى عرفة.

■ اهتم ريتشارد بيرتون فى كتابه عن المدينة ومكة بتسجيل الظواهر والعادات والتقاليد الاجتماعية التى كانت سائدة فى وقته فى الجزيرة العربية، ورغم تظاهره بحب الاسلام والمسلمين فى اسلوبه، فانه لم يكن مسلما حقيقيا بل كان اجنبيا فى تفكيره وعقيدته ونصرانيا فى زى عربى رحالة.. ويقول راشد راسم بأنه: لم يعتنق الاسلام، ولم يقل انه غير مسلم ولكنه ادعى انه ولد مسلما من أب عجمى وأم عربية معتمدا فى ذلك على سحنته ولهجته.

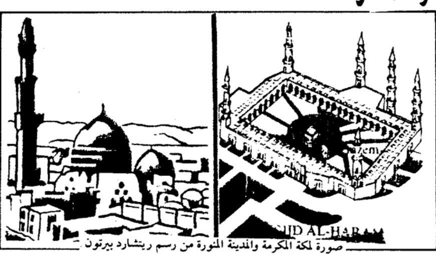
●● ومن خلال الحواشى والتعليقات التى كتبها فى ملحقه الصادر عام ١٨٨٦ وعام ١٨٨٨م فى ستة اجزاء على هامش ترجمته كتاب الف ليلة وليلة من العربية الى الانجليزية سنة ١٨٨٥م فى عشرة اجزاء، أظهر فيها عقلية صليبية متعصبة جعلته كما قال د. عبد الوهاب ابن على الحكمى: يسهب فى وضع تعليقات وشروحات جنسية الكثير منها من خياله.

●● ويقول بعض الباحثين ان بعض نقاده قال بأنه ولد قبل عصره.. ولكن الاصوب أن يقال: انه مواطن لا ينتمى لاى عصر، كان شرسا.. وفوضويا. ولقد قال عن نفسه مرة: «اننى املك كل المواهب فيما عدا استغلال مواهبى».

رحلته لاكتشاف منابع النيل

■■ ان اكتشاف منبع النيل كان محل الصراع والتنافس الاوروبى من اجل السيطرة على القارة الافريقية السوداء، والحصول على امتيازات استغلال خيراتها وثرواتها، وفى سبيل تحقيق هذا الهدف الاستعمارى، قام الرحالة الاوروبيون بمحاولات عديدة لاكتشاف منبع النيل ـ الذى كتبوا عنه ابحاثا ودراسات مستفيضة زاخرة بالمعلومات عن البلدان المجاورة للنيل.. وسجلوا فى تآليفهم ما عانوه من مغامرات واهوال وصعوبات وهم يخترقون مجاهل ادغال افريقيا باحثين بدون جدوى عن منبع النيل المجهول.. وواجهوا غابات ومستنقعات افريقيا وهم يواصلون بجد واجتهاد بحثهم المضنى عن منبع النيل الذى وجدوه ظل شغلهم الشاغل، فقد قال المؤرخ اليونانى المعروف «هيردوت» عن النيل: (اما عن منابع النيل فلا احد يدرى شيئا).. وظن بعض القصاصين العرب ان النيل ينبع من الجنة ورووا فى كتبهم قصصا وحكايات فى ذلك هى اقرب الى الخيال من الواقع.

■■ بدأت اكتشافات الرحالة



صورة لمكة المكرمة والمدينة المنورة من رسم ريتشارد بيرتون

الاوروبيين للنيل سنة ١٨٥٦م وانتهت سنة ١٩٠٠م بعدما مهدوا الطريق للاستعمار الاوروبى لبسط نفوذه وسيطرته على بلدان القارة الافريقية المتخلفة، وهكذا عقدت انكلترا وفرنسا اتفاقية استعمارية فيما بينها سنة ١٣٠٧هـ/١٨٨٨م لتسوية الخلافات القائمة بينهما وتقسيم الغنائم سواسية، وبدأوا بتنفيذ اتفاقيتهما فأخذت فرنسا منطقة جيبوتى لضعف سلطنة زنجبار انذاك، واخذت انكلترا كينيا والمانيا تنجانيكا وايطاليا الصومال، وأصبحت زنجبار وبمبا ومنافنا والسودان ومصر تحت الحماية الانجليزية.

■■ وجاء استعمار اوروبا لافريقيا بدعوى تمدين اهلها وتحرير عبيدها وجعل ابنائها متحضرين متقدمين يساهمون فى بناء بلادهم والحضارة الانسانية - لكن غرضهم كان ابعد من ذلك هو خدمة مصالحهم الاستعمارية واستغلال الشعوب الافريقية، وظل العبيد عبيدا اثناء حكمهم ولم يتحرروا من الرق وهذا ما اشار اليه ريتشارد بيرتون نفسه حينما زار المنطقة سنة ١٨٥٦م، قال وهو يصف احوال العبيد النفسانية: «ان هذه الاوصاف التى يطلقونها على بشاعة قوافل العبيد وما يحل بهم من تعذيب ليست الا خيالات بولغ فيها والغرض منها ليس بخاف، وفى رأيى ان الكثرة الساحقة من هؤلاء العبيد، ان لم يكن كلهم، يجدون حياتهم الثانية خيرا من حياتهم الاولى».

يعتبر ريتشارد بيرتون ومساعده سبيك هما اول المكتشفين للنيل بالاضافة الى الرحالة الاوروبيين الآخرين امثال: ليفنجستون، وبيكر وستانلى وغيرهم، زار ريشارد بيرتون زنجبار ووضع عنها كتابه «زنجبار: المدينة والجزيرة والساحل» ونشر ايضا سنة ١٨٦٠م كتابا عن: (منطقة البحيرات فى وسط افريقيا).. وكتابا عن (حوض النيل).. وكان يأمل وهو فى زنجبار التوصل الى اكتشاف منابع النيل واعتقد ان بحيرة تنجانيقا هي منبعه وقد اخطأ فى اعتقاده هذا وأصاب مساعده سبيك عندما قال: ان منبعه هو بحيرة فيكتوريا. وعن كيفية التوصل الى هذا الاكتشاف يقول د. محمود السمرة بان ريتشارد بيرتون: قام برحلته من زنجبار مع مساعده سبيك، وبعد ثلاث سنوات عاد الى زنجبار ثانية بعد ان ملأ الاعتقاد نفس بيرتون بأن بحيرة تنجانيقا هى منبع النيل، بينما دافع سبيك عن رأيه بأن بحيرة فيكتوريا هى منبعه ويشاء القدر ان يصدق التابع ويخطىء القائد.

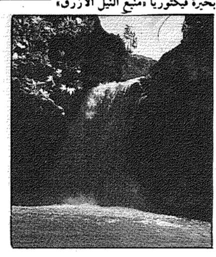
●● وعن منبع النيل يقول نفس الكاتب المذكور انه: «ينبع من بحيرة فيكتوريا ويسير شمالا ليلتقى عند الخرطوم بالنيل الازرق وطول النيل من منبعه الى مصبه يبلغ اربعة الاف ميل) وللوصول الى هذا المنبع يواجه المكتشف عقبات كثيرة كوجود الوحوش الخطيرة والقبائل الهمجية أكلة لحوم البشر والامراض الملاريا الفتاكه والمستنقعات المهولة التى لا يمكن اجتيازها الا مشيا على الاقدام.. مما يجعل حياة المكتشف عرضة للموت والهلاك، والنيل ثانى انهار العالم طولا يأتى بعد نهر

المسيسبي بأمريكا الشمالية، يبلغ حوضه ٢٫٩٠٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع، ويبلغ طوله من منبعه من بحيرة فيكتوريا بتجانيقا الى البحر الابيض المتوسط ٦٫٧٠٠ كيلو متر مربع.

اكتشاف منبع النيل

ان بحيرة فيكتوريا بتنجانيكا هي المنبع الاصلي للنيل وهي بحيرة عظيمة واسعة المساحة عامرة بالمياه فيها التماسيح وافراس النهر سابحة، ويصف محمد شاكر هذه البحيرة وصفا كاملا - ويقول بانها: ذات شواطىء كثيرة التعاريج تبلغ مساحتها ٦٨ الف كم مربع اى اكبر من مساحة لبنان سبع مرات تقريبا.. وشواطئها وجزرها حافلة بالنباتات الكثيفة وبذبابة تسى تسى ومياه هذه البحيرة رائقة زرقاء.. وسماؤها صافية.. وعلى شاطئها الشمالي يقوم ميناء صغير هو ميناء جنيجا القابع في آخر خليج طويل متعرج - ومن هذا الخليج يخرج نهر النيل من البحيرة مجتازا زمرة من الشلالات المزمجرة ويقال لها شلالات ريبون.. ويبدو النهر في هذه الشلالات عظيما وهو يتكسر بين الجوانب الصخرية وتغشيه نباتات البردى.. كما تنتشر هناك التماسيح وافراس الماء - وعند

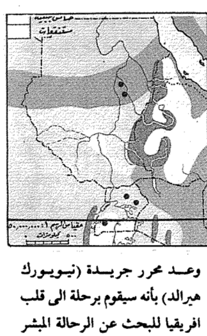
بحيرة فيكتوريا «منبع النيل الازرق»



منتصف الشاطىء الغربي لبحيرة فيكتوريا يصب نهر كاجيرا مؤلف مستنقعات عظيمة(١٣).

بحث ستانلي عن الرحالة المبشر المختفي (ليفنجستون)

اثبت ستانلي رأى سبيك مساعد ريتشارد بيرتون القائل بأن النيل ينبع من بحيرة فيكتوريا، وان نهر لوالابا يصب في نهر الكونغو ونجح ايضا في العثور على الرحالة المبشر المختفي في افريقيا (ليفنجستون) الذي انقطعت اخباره عن العالم واصبح الكل يتساءل عن سبب اختفائه ويتطلع الى مكان وجوده وقد شرح ستانلي في كتابه (كيف عثرت على ليفنجستون) قصة بحثه وعثوره على ليفنجستون.. وهي قصة مؤثرة كانت من القصص التي نالت اعجاب القراء في عصره وخلاصتها ان ستانلي



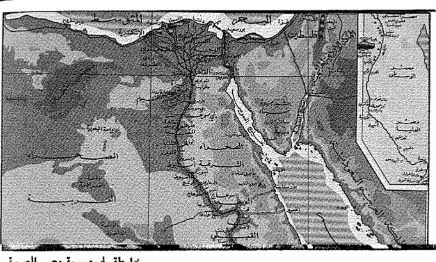
وعد محرر جريدة (نيويورك هيرالد) بأنه سيقوم برحلة الى قلب افريقيا للبحث عن الرحالة المبشر المسيحي الشهير بالدكتور (لفنجستون).. ووفاء لوعده قام بالرحلة المذكورة بعدما اخبره بعض الاعراب انه يوجد رجل ابيض في قرية (اجيجي) وهي قرية تبعد عن مكان وجوده مسافة عشرة ايام مشيا على الاقدام، والطريق الى هذه القرية تمر بأرض قبيلة (اويتمبي) الهمجية اكلة لحوم البشر التي تكره الاوروبيين الاجانب كراهة شديدة.

وبعد اجتياز غابات كثيفة فيها حيوانات مفترسة، وزواحف سامة، مع قضائه ليالي صعبة في العراء كان فيها عرضة لهجومات الناموس والبعوض والحشرات اللاذعة، وصل في قافلة تتكون من خمسين حمالا وثمانية حراس من جنود زنجبار الى نهر كبير مليء بافراس النهر كانت تسبح في الماء وتستريح في ساحله لتتمتع بحرارة

الشمس الدافئة، وما هي الا لحظة حتى سمع صرخة مدوية ورأى حمالا يتخبط في دمائه نتيجة اصابته بسهم في ظهره ويسقط على الارض ميتا، ثم تعالت صيحات «اجروا» «اجروا» وظهر رجال قبيلة (الاونيبي) اكلة لحوم البشر، وعم المكان الفزع والخوف ولاذ الحمالون والحراس بالفرار خوفا على انفسهم ان يقعوا اسرى في قبضة (الاونيبي).

وعندما رأى ستانلي هذا الارتباك والفوضى يسود الجميع وان نجاحه سينقلب الى فشل ذريع اذا بقي صامتا لم يتدخل في الامر، فأخذ بندقيته وهدد الفارين بالقتل في حالة هروبهم وعدم صمودهم وانساق الجميع له خوفا من تهديده وبدأوا في الدفاع عن انفسهم ومقاتلة (الاونيبي). فنشبت معركة حامية الوطيس بين الجانبين انتصر فيها السلاح على الرماح وانهزم رجال (الاونيبي) شر هزيمة وقال زعيمهم (انه لا فائدة من الحرب ضد البنادق).

■ وعقدت بين الجانبين اتفاقية سلام وصلح اشترط فيها رجال (الاونيبي) ان لا يسرق الرجل الابيض قطعان الماشية وفي مقابل ذلك يسمح لهم بالمرور في اراضيهم بسلام، وفعلا مروا بأرضهم بسلام بدون ان يتعرض لهم احد بشر أو سوء، وشاهد قرية (اوجيجي) وفيها وجد ضالته المنشودة (ليفنجستون) بعد رحلة مضنية مليئة بالاخطار استغرقت مدة ثلاثة اشهر، وبفرحة متناهية تقدم بشوق للسلام على (ليفنجستون) الذي نجح في العثور عليه حيث العالم ينتظر بفارغ الصبر ان يزف اليه خبر وجوده على قيد الحياة.



خارطة لجمهورية مصر العربية.

تآليفه

■■ قيل انه ترك بعد وفاته زهاء ثمانين مؤلَّفاً معظمها سجل فيها رحلاته حول العالم وخاصة عن افريقيا التي خصها بثلاثة عشر كتابا، فكان يتوفر على موهبة خارقة عجيبة في ميدان الكتابة ـ فقد كتب في مختلف العلوم الانسانية ـ كعلم الرحلات.. وعلم التعدين والثعابين.. والطب.. والهندسة.. والجبال.. والدين.. علاوة على اجادته ثلاثين لغة، وحاول كتابة لغة القرود، ومن تآليفه المشهورة نذكر:

- الحج الى المدينة ومكة.
- خطوات في افريقيا الشرقية.
- التجول في افريقيا الغربية.
- سوريا غير المكتشفة.
- زنجبار: المدينة والجزيرة والساحل.
- منطقة البحيرات في وسط افريقيا (١٨٦٠).
- حوض النيل.
- ترجمة الف ليلة وليلة من العربية الى الانجليزية في ١٠ مجلدات.

وفاته

بعد ما ذاع صيته في عالم الرحلات ونال شهرة واسعة عالمية بين الناس واصبح من الرحالة الاوروبيين الرواد من المكتشفين لمنابع النيل المجهولة وشبه الجزيرة العربية المغلقة، اكرمته بلاده



● اكتشاف منابع النيل كان محل صراع وتنافس الدول الاوروبية من أجل السيطرة على القارة الافريقية.

● نقل احدهم أكبر عدد من النقوش الأثرية إلى ألمانيا قبل العهود الاستعمارية الحديثة.

وعينتـه قنصلا فى فرنانـد ريـد وسانتوس بالبرازيل ـ وكذلك فى نفس المهمـة بدمشق سنة ١٨٦٩ . . ثم انتقل للعمل قنصلا فى تريسة سنة ١٨٧١م وفيها توفى سنة ١٨٩٠م وعمره حوالى ٦٩ سنة قضاها كلها فى الرحلات والتجول بحثا عن المجهول.

الرحالة الهولندى كرستيان سنوك هروخرونيه المعروف بعبد الغفار

سنلقى لمحة تاريخية عن نشاط شركة الهند الشرقية الهولندية، قبل تقديم ترجمة الرحالة المستشرق الهولندى (كرستيان هروخرونيه) الـذى كما قال د. محمود حمدى زقزوق(١٤): (قد لعب دورا هاما فى تشكيل السياسة الثقافية والاستعمارية فى المناطق الهولندية فى الهند الشرقية، وشغل مناصب قيادية فى السلطة الاستعمارية الهولندية فى اندونيسيا).

■ ظهر الاستعمار الهولندى الى الوجود فى منطقة البحر الاحمر عندما بدأت اطماع الدول الاوروبية تتجه الى استعمار اليمن، والحصول على موافقة حكومته على تأسيس الوكالات التجارية فى موانئه من اجل استغلال قهوته المشروب اللذيذ الذى كان الغرب فى حاجة ماسة اليه، والفضل فى اكتشاف هذا المشروب يعود الى الرحالة القسيس (بائيز) الذى تعلم العربية وعزم على نشر ديانة اليسوعيين فى الحبشة، وركب مع بعض زملائه سفينة عام ١٥٩٠م لكن السفينة قبل وصولها الى الحبشة غرقت امام جزر (كوريا موريا) وتم انقاذه مع زميله، ونقلا الى شاطىء (الشحر) فى حضرموت معتقلا من طرف الحكومة اليمنية التابعة للحكم التركى وذلك بتهمة التجسس لحساب الحبشة، واثناء مروره بحضرموت تناول مشروب (القهوة) ووصفها بأنها لذيذة تصنع من شجر (البن). ومن خلال وصفه هذا تعرفت اوروبا لاول مرة على هذا المشروب الجديد الذى كانت تجهله قبل ذلك.

■ ولما نشرت مذكرات القسيس (بائيز) المخطوطة بروما عام ١٤٠٤-١٤١٤ التى كانت موجودة ضمن محفوظات اليسوعيين، اتضح من خلالها ان القسيس (بائيز) هو اول اوروبى يخترق اراضى اليمن ويُعَرِّف اوروبا بمشروب (القهوة) وكان الاعتقاد السائد فى اوروبا قبل ذلك ان اول من زار الجنوب العربى هو الرحالة الالمانى «ده وريدة عام ١٨٤٣م».

■ ومنذ ظهور مشروب القهوة باليمن والصراع الاوروبى محتدا لاستغلاله بين البرتغاليين والانجليز والهولنديين الذين حاولوا السيطرة على تجارة البحر الاحمر، وقاموا بتأسيس عدة وكالات تجارية فى سواحله أدى ذلك فى بعض الاحيان الى نشوب معارك حربية بحرية بين المنافسين فقد نشبت معركة بحرية بين الانجليز والهولنديين؛ انتصر فيها الهولنديّون ولقى القائد البحرى الانجليزى (جورداين) حتفه.

نشاط شركة الهند الهولندية (١٦٠٢-١٧٦٢م)

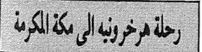
■ وفى سنة ١٦٠٢ تأسست شركة الهند الشرقية، ووصلت الى اليمن وكانت اول سفينة هولندية تحت قيادة (فان دن بروكه) بعثها الحاكم العام الهولندى بهدف القيام باستطلاع ودراسة الوسائل والاجراءات التى يمكن اتخاذها لفتح مراكز تجارية هولندية اخرى فى موانىء البحر الاحمر، وكان القائد البحرى الهولندى (فان دن بروكه) يحمل ترخيصا من الصدر الاعظم يسمح له بالاتجار فى جميع موانىء اليمن التابعة للحكم التركى.

■ وقد حصل الهولنديّون على بعض الامتيازات التجارية. فأنشأوا وكالتين تجاريتين الاولى فى (مخا) والثانية فى (الشحر). ولم يتجرأ الهولنديون على التوغل داخل الاراضى اليمنية، واكتفوا بحصر نشاطهم التجارى فى اربعة موانىء هى (مخا) و(عدن) و(الشحر) و(قشن) بالاضافة الى الحديدة، واستفادوا من الحصار البحرى الذى فرضه البرتغاليون على مدخل البحر الاحمر الذى كان السبب الرئيسى فى ازدهار ميناء (مخا) حيث بدأت تقصده جميع سفن العالم التجارية، مما خلق فيه رواجا تجاريا عالميا.

خروج الهولنديين من اليمن

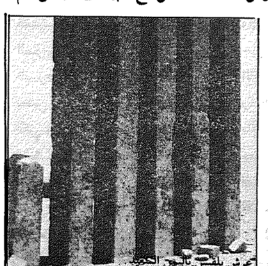
ظلت العلاقة بين الهولنديين والاهالى على احسن ما يرام يسودها التفاهم والوئام، وتبادل المصالح التجارية بين الطرفين، الا ان هذه العلاقة تأزمت بين الجانبين بسبب قيام الاسطول الهولندى بمهاجمة سفينة عربية؛ تتعامل مع البرتغاليين وتنقل لهم بالمقابل البضائع، واشتد السخط والهيجان الشعبى، وهجم الاهالى على الوالى الذى لم يحرك ساكنا مما فعله البرتغاليون واعدموه شنقا والقوا القبض على (ده ميلده) الهولندى وجعلوه لديهم رهينة، وبقى اسيرا فى سجون صنعاء وزبيد، وتعز، ولم يطلق سراحه الا بعد قيام الامام الزيدى محمد القاسم (١٦٢٠-١٦٤٤) بالثورة ضد الاتراك سنة ١٦٣٢ وترك مذكرة خطية هامة وصف فيها الحكام الاتراك بأنهم ينهبون اموال الشعب والدولة. ويعيشون حياة البذخ كعيشة الامراء المذكورة أوصافهم فى قصص الف ليلة وليلة.

وبعد تدهور الاوضاع التجارية بين العرب والهولنديين انحصر نشاط الهولنديين التجارى فى (الشحر) ولم يتعداها. وامام صعوبة توسيع اعمالهم التجارية فى اليمن قرروا مغادرة اليمن سنة ١٧٦٢م ونقلوا زراعة البن الى جزر الهند. وخلفهم الانجليز الذين سيطروا بدورهم على تجارة البن وغيرها من السلع اليمنية الاخرى واسسوا شركة الهند الشرقية البريطانية.

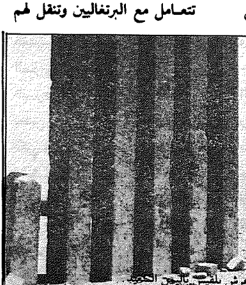


رحلة هرخرونيه الى مكة المكرمة

مما مر ذكره عرفنا التطورات

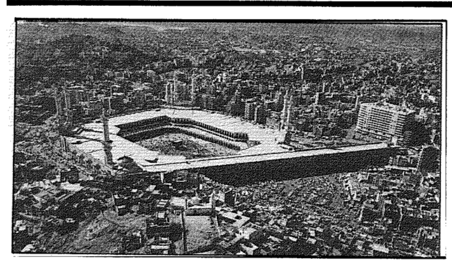


عرش بلقيس باليمن السعيد.



الرحالة الهولندى كرستيان سنوكي.

السياسية والتاريخية التى شاهدتها منطقة البحر الاحمر. بدخول الهولنديين الى حلبة الصراع والمنافسة، كما عرفنا نشاط شركة الهند الشرقية. والآن نعود الى صميم موضوعنا للحديث عن المستشرق الهولندى كرستيان سنوك هرخرونيه الذى يعتبر بحق من ابرز المستشرقين الهولنديين الـذين عملوا مع الاستعمار الهولندى فى اندونسيا، قيل انه اعلن اسلامه فى اندونسيا وسمى نفسه عبد الغفار، وهو من مواليد استرهوت سنة ١٨٥٧م وتلقى تعليمه بليدن وستورسبورج وزار مكة المكرمة سنة ١٨٨٥م ودرس احوالها ومسالكها وعاداتها وعاش فيها خمسة اشهر، وخلال هذه المدة احتك بالمسلمين، واطلع على دينهم وشؤونهم، مما سهل عليه تأليف كتاب عن مكة المكرمة بالالمانية فى مجلدين سماه: (مكة فى القرن التاسع عشر) نشره سنة ١٨٨٩م وكان فى نيته البقاء فى مكة المكرمة حتى حلول موسم الحج لكن قنصل فرنسا بجدة كشف عن اسمه الاوروبى فى احدى الاجتماعات وحتى لا يعرض نفسه لاى خطر قرر مغادرة مكة المكرمة لعلمه ان دخولها محرم على غير المسلمين.



وظائفه

تقلد عدة وظائف هامة، عينته الحكومة الهولندية سنة ١٩٠٦ استاذا للعربية فى جامعة ليدن. اعترافا منها بكفاءته وتقديرا لتآليفه عن مكة المكرمة. كما عينته حكومته مستشارا فى الشؤون الاسلامية والعربية فى وزارة المستعمرات الهولندية.



تأليفه

له عدة تآليف فى شتى الفنون فى ميدان الرحلات والتاريخ الاسلامى والشريعة الاسلامية والادب العربى والمخطوطات نذكر منها:

- مكة فى القرن التاسع عشر - فى مجلدين نشر عام ١٨٨٩م.
- الاسلام وتاريخه - فى ست مجلدات نشر سنة ١٩٢٣ - ١٩٢٧م.
- الشريعة الاسلامية.
- بلاد العرب وتركيا.
- الاسلام فى المهاجر الهولندية.
- اللغة والادب.
- ملاحظات فى الكتب.
- وفهارس الاجزاء المتقدمة.
- الامثال المكية.
- دراسة عن المهدى.

وفاته

توفى سنوك هرخرونيه عام ١٩٣٦ هجرية. بعد حياة حافلة قضاها فى خدمة العلم والتراث العربى والاسلامى والتعريف بالحضارة الاسلامية، واستطاع ان يسجل اسمه فى سجل الرواد الرحالة الهولنديين المستشرقين المشهورين الذين قاموا باكتشاف جزيرة العرب وبالخصوص مكة المكرمة.

الرحالة الفلندى الحاج عبد الولى جورج اوغسطس والـــن

وقبل تقديم ترجمة الرحالة الفلندى جورج اوغسطس والن، سوف نستعرض اهم الاكتشافات العلمية التى توصل اليها الرحالة الاوروبيـون نتيجة بحثهم عن المجهـول. فاكتشافاتهم غيرت مجرى التـاريـخ وفتحت عوالم جديدة، وغيرت نظرة الانسان الى الكـون والحياة. واليهم يرجع الفضـل فى اكتشـاف امـريكـا والطريق الى الهنـد.. والقطبين الشمالى والجنوبى.. وحضارة اليمن ومصر والعراق وجزيرة العرب.

أهم الاكتشافات العلمية

واهـم الاكتشـافـات التى ظهرت على ايديهم فى العصور الحاضرة هى:

(١) اكتشاف شمبوليون لحجر رشيد عام ١٨٣٢م. وحله رموز الكتابة الهيروغليفية الفرعونية، حيث تمكن من كتابة اجرومية وفهرس لها سنة ١٨٣٢م. وبذلك حل طلاسم رموز الهيروغليفية وتعـرف على تاريـخ الحضارة الفرعونية التى كانت مجهولة.



الرحالة الفلندى جورج اوغسطس والن.

نقوش هيروغليفية فى الاقصر بمصر.

(٢) اكتشاف (سيبك) الانجليزى منبع النيل فى بحيرة فيكتوريا نيانزا عام ١٨٦٢م. بعد ما بذل الرحالة الاوروبيون القدماء جهودا مضنية لاكتشاف منبع النيل بدون جدوى.

(٣) اكتشاف «بيرون» الانجليزى بحـيرة تنجـانيقـا عام ١٨٥٨م. وقيـامه بنشـر اكتشـافه فى كتابه (مناطق البحيرات فى افريقيا الوسطى).

(٤) اكـتـشـاف بتروديـلا فالى الايطـالى، النصـوص المسمارية لانسان ما بين النهرين عام ١٦٢٥م.

(٥) اكتشاف الرحالة السويسرى بوركهـارت. كما تقـدم ذكره آثار مدينـة «البـتراء» عاصمـة دولـة الانباط عام ١٨١١م.

(٦) اكـتـشـاف الانـجـليـزى ولنـسـون، اللغـة الاشـوريـة والابجدية والسومرية عام ١٨٥١م وتـوصله الى اكـمال الابجـديـة المسمارية المكونة من ١٦ رمزا عام ١٨٤٤م.

(٧) اكـتـشـاف «ده مورجـان» الفرنسى؛ الواح حورابى الملك البابلى عام ١٩٠١م.

(٨) اكتشـاف «دوسو» الفرنسى عام (١٩٥٨) نقش النـمارة فى منطقة حوران بسوريا. وهو نقش قديم يسجل عصر امرىء القيس الشاعر الجاهلى المتوفى عام ٣٢٨.

(٩) اكتشـاف «دونـان» الفرنسى الابجدية الفنيقية عام ١٩٣٣م.

(١٠) اكـتـشـاف (رايس) الانجليـزى، آثـار الحيرة موطن دولة المناذرة.

(١١) اكـتـشـاف الضـابـط الانجليزى «ولبستد» عام ١٨٣٤م حصن الغراب فى اليمن.

(١٢) اكتشـاف دائـرة الآثـار الاردنية، غار اصحاب الكهف فى بلدة الـرقيم على مقـربـة من العاصمة عمان.

(١٣) اكتشـاف برتـرام توماس؛ الربع الخالى بالجزيرة العربية.

(١٤) اكتشاف القنصل الفرنسى فى الموصل «اميل بيونا» آثار مدينة

خورسباد، ومدينة سرجون الثانى الاشــورى (٧٠٥-٧٢١ ق.م) وقصره الكبير الفخم حيث نشر ما بين عام ١٨٤٤-١٨٥٠ تاريخ هذا الملك فى خمس مجلدات.

(١٥) اكتشـاف البريطانى «نيارد (١٨١٤-١٨١٧) موضع الطاغية النمـرود، وقصر ناصربال واسر حدون وشلمناصر الثالث الاشورى.

(١٦) اكـتشــاف الـبريطــانى (لفتوس) ملحمة جلجامش.

■ وهــذه الإكتشـافـات أظهـرت حضـارات انسانية عظيمة مدفونة بادت فى كل من اليمن ومصــر والعـراق وجـزيـرة العرب. وقد اهتمت اوروبا بهذه الاكتشافات التى عثر عليها فى الدول العربية وخصصت لها معاهـد وجامعات لدراستهـا وتقييم قيمتهـا العلمية والتاريخية مع تتبع آثارها واخبارها.

■ ومن خلال هذه الاكتشـافـات التى بدأت فى القرن التاسع عشر.. ادرك الانسان الاوروبى ان اصل الحـضــارات ليس هو الـعــالم الاغـريقى او الـرومـانى كما كان معتقــدا من قبــل بل ان اصـل الحضــارات هو بلاد العـرب.. وللكشف عن منابع هذه الحضارة قام الـرحــالــة الاوروبـيـــون المستشرقون بنشر عدة كتب، لها علاقة بتاريخ العرب والاسلام فى محاولـة منهم لمعــرفــة الحضــارة الاسلامية والعربية العريقة نذكر منهــا: فتــوح مصــر والمغـرب والانــدلس لابن عبـد الحكم.. وفتـوح الشام، لازدى البصرى، وتــاريــخ اليعقـوبى، وتــاريخ الطـبرى.. وتجارب الامم لابن مسكـويه.. وتاريخ ابن خلدون المبتدأ والخبر.. وتاريخ المسعودى مروج الذهـب.

■ كما انهـم ترجمـوا الـى لغتهم مجموعة من الكتب، التى تتحدث عن تاريخ العرب مثل تاريخ أبو الفـداء.. وتـاريـخ الطـبرى.. ومـروج الـذهب للمسعـودى.. وتـاريخ المماليـك للمقريزى.. وتــاريــخ الخلفـاء للسيـوطى.. وتاريخ ابن خلدون.

■ هؤلاء الـرحـالـة المستشـرقون الاوروبيون، لم تقتصر جهودهم الـعـلـمـيــة على نشــر وتحـقيق المخطـوطـات العـربيـة التـاريخية وترجمتها الى لغتهم فحسب، بل الفـوا تآليف على جانب كبير من الاهميـة. بعضها اصبح الآن من المـراجــع التى لا يستغنى عنهــا البـاحثون ككتاب «تاريخ الادب العربى» للمستشرق الالمانى كارل بوركلمان (ت١٩٥٦) الذى يقع فى ثمانية عشر جزءا وفى نحو ٢٤٠٠ صفحـة وهـو اول محاولة ناجحة لفهــرســة الكتب المخطــوطــة والمطبـوعـة المـوزعـة فى المكتبات العالمية، وهو كما قال المرحوم د. عبــد الحليم النجـار فى مقـدمـة الكتاب المطبوع بالعربية فى ثلاثة اجزاء انه: (احصـاء ما تفرق من

الربع الخالى

نقش النمارة مع نصه بالعربية.

نقش النمارة

تي نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التج

وملك الأسدين و نزرو و ملوكهم وهرب مذحجو عكدي وجا(ء)

بزجي في حبج نجرن مدينة شمر و ملك معدو و بين بنيه

الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه

عكدي هلك سنت (٢٢٣) يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده

تراث الفكر العربى فى مكتبات العالم وخزائن الكتب).

وتكملة لعمل بروكلمان قام الباحث التركى المعاصر فؤاد سيزكين بتصنيف كتابه (تاريخ التراث العربى) ويقع فى عدة اجزاء.

اهتمام الجامعات الاوروبية بالدراسات والمخطوطات العربية

■ اثر تعرض العالم الاسلامى والعربى للهجومات الشرسة للاستعمار الاجنبى. اهتم حكام اوروبا بجمع المخطوطات العربية لفك اسرارها. لحبهم الاطلاع على المجهول وتشوقهم لمعرفة الحضارة العربية المجهولة واثناء الحملة النابليونية على مصر عام ١٧٩٨م تزايد الاهتمام الاوروبى بالمخطوطات العربية، واسست لهذا الغرض معاهد ومراكز تعنى بالتراث العربى المخطوط هدفها جمع المخطوطات ودراستها والعمل على طبعها ونشرها.

■ وكان القراصنة الاوروبيون بدورهم يحرصون على جمع المخطوطات لاهدائها الى حكامهم تلبية لرغبتهم فى اقتنائها ـ واعتبارا لما ذكر امتلأت خزائن اوروبا بآلاف المخطوطات العربية.



بروكلمان — القهوه العربية من اهم مميزات الضيافة العربية الاصيلة.

جامعة هلنسكى والرحالة الفلندى جورج والن

■■ تحتوى هذه الجامعة كباقي الجامعات الاوروبية الاخرى على كثير من المخطوطات العربية جلبها اليها الرحالة الاوروبيون الذين اعتنوا بالاستشراق وتخصصوا فى الدراسات العربية، ومن ابرز اولئك المستشرقين الرحالة الفلندى جورج اوغسط والن المعروف بالحاج «عبد الولى».

■■ كانت صورته تبدو معلقة فى الجامعة وهو متزى بالزى العربى، ولد سنة ١٨١١م فى جزائر الاند بلنغراد بروسيا. وتتلمذ على يد الاستاذ الشيخ الطنطاوى. وامتازت لينغراد فى عصره بنفائس المخطوطات العربية مما مكنه من الاطلاع والاستفادة منها. وقد نجح فى طبع ونشر بهلنسكى شرح الشيخ عبد الغنى النابلسى لحاشية ابن الفارض (اوميض برق الابرق لاحا).

■■ وحتى يزداد ثقافة باللغة العربية وتمكنا من ناصيتها استقر بمصر سنة ١٨٤٢م مدة ست سنوات تزود فيها بالثقافة والعلوم الاسلامية والعربية.. وعاد الى بلاده ليتخصص فى الشؤون العربية.. ومنحت له جامعة هنكفورس منحة للقيام برحلات الى الشرق الادنى.. وهكذا قام برحلة الى ايران والعراق وسوريا.. وقضى نحو سبع سنوات من عمره، متنقلا متجولا بين بلدان هذه الدول فى حرية بدون خوف ولا وجل.. ولقى تفاهما مع العرب ولم يجد اى صعوبة فى التحدث معهم والانسجام مع البيئة العربية وحياة البدو الرحل وذلك لمتانة ثقافته العربية وحسن اسلوبه واخلاقه وهندامه.



رحلته الى مكة المكرمة

زار مكة المكرمة والمدينة مرتين خلال سنوات ١٨٤٥ـ١٨٤٨م وفى رحلته الاولى سلك طريقا يمر بمنطقة النفوذ . . واتجه صوب حائل وقضى فيها اياما ثم توجه الى المدينتين المقدستين عن طريق شاطىء (المويلح) . . وزار ارض (مدين) و(واحة تبوك) و(تيهاء) و(حائل) . . وتوغل فى الشمال الشرقى للجزيرة العربية حتى بلغ النجف ثم بغداد، وكانت رحلته هذه الثانية رحلة شاقة ومضنية وطويلة زار فيها الاماكن والمآثر التى لم يشاهدها فى رحلته الاولى .

■ وعن رحلته الثانية قال الاستاذ الباحث شريف يوسف : بأن المعلومات التى قدمها والن عن هذه الرحلة الطويلة تعد الاولى من نوعها حيث لم يقم من قبله احد باختراق شمال الجزيرة . . وكانت المعلومات التى جمعها ذات فائدة كبيرة للذين تابعوا خطاه فيما بعد ـ فأستفادوا كثيرا من ملاحظاته القيمة عن المواقع التى مر بها ثم يضيف الباحث المذكور قائلا : (إن الرحالة الفلندى والن لم يكتف بملاحظاته عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية عن البدو، بل دون ملاحظات جغرافية هامة ـ تنم عن ذكاء شديد وتتصف بالدقة) .

■ وبعد انجاز والن الرحلة الاولى والثانية الى مكة المكرمة والمدينة الف مذكرات عن رحلاته ومشاهداته فى البلدان العربية، وعندما نشرها بين القراء اشتهر وذاع صيته وعرفت اوروبا فضله وقيمته واعتبرته من الرحالة الرواد .

■ واستقر بلندن سنة ١٨٤٩ وعين سنة ١٨٥١م استاذا للعربية فى جامعة هلنسكى . واشترك مع المستشرقين فى وضع خريطة بلاد العرب، وكان محل تقدير واحترام فى بلاده الى ان وافته المنية بها .

تآليفه

■■ له تآليف جد هامة نذكر منها :

● اهم الفروق بين لهجات العرب المتأخرين والمتقدمين .

● مذكرات ـ مطبوعة فى خمس مجلدات عن رحلاته الى البلاد العربية .

● شرح حاشية لابن الفارض للشيخ عبد الغنى النابلسى وهو مخطوط قام بطبعه كما مر ذكره بالعربية فى هلنسكى .

● صور من شمال جزيرة العرب فى منتصف القرن التاسع عشر ـ طبع ببيروت سنة ١٩٧١ .

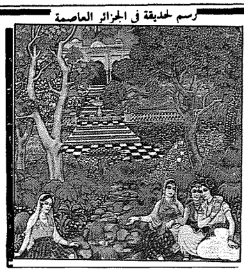


وفاته

وبعد مرور فترة وجيزة من اقامته فى بلاده وافته المنية فى هلنسكى سنة ١٨٥٣م. وبعد والن من اكبر الرحالة الذى انجبتهم فلندة عبر مختلف العصور وهو اشهرهم على الاطلاق، ويأتى فى المقام الاول ضمن الرحالة الفلنديين الذين زاروا مكة والمدينة وعرفوا العالم الغربى بفضل هاتين المدينتين، وتركوا بصماتهم واضحة فى تاريخ الرحالة الاوروبيين الوافدين على الجزيرة العربية للبحث عن سر الدين، مندفعين فى مغامرات اكتشافية مثيرة، ورغم اختلاف اهدافها ومراميها فقد كانت غايتها واحدة هو اكتشاف جزيرة العرب الغامضة .

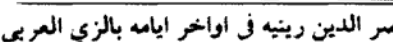


نصر الدين رينيه فى اواخر ايامه بالزي العربى



رسم لحديقة فى الجزائر العاصمة

المستشرق الفرنسى نصر الدين رينيه
الفنان الملهم والانسان المسلم



■■ هو الفنان الفرنسى (الفونس ايتان رينيه) رحالة مستشرق جمع بين الفن والادب، اعتنق الاسلام وسمى نفسه (نصر الدين رينيه) احب العرب، وعاش معهم جل عمره بين طبيعة الصحراء الخلابة ببلدة (بوسعادة) بالجزائر متمتعا بجمالها وهدوئها، بعيدا عن ضوضاء المدينة وصخبها.

ميلاده ودراسته

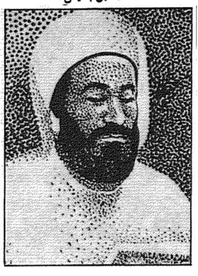
ولد فى باريس يوم ٢٨ مارس ١٨٦١ وكان والده يعمل محاميا.. ووالدته السيدة (مارى اديل بوشيه) بنت محام وجده مهندس ابن وكيل الملك فى مقاطعة (فونتين بلو).. نشأ (رينيه) وترعرع فى وسط مجتمع فرنسى يؤمن بالمادة وبأن الحياة اخذ وعطاء وعمل وكفاح، لا يؤمن بالقيم الروحية.

■ وقد الفت اخته (جان رينى رونسى) كتابا عنه نشرته سنة ١٩٣٨ ذكرت فيه جوانب من حياته التعليمية وقالت: إنّ اخاها امتنع من تلبية رغبة والده لمتابعة دراسة القانون، واتجه الى دراسة الرسم لميوله اليه، وظهرت موهبته فى هذه المادة وتخرج من مدرسة الفنون الجميلة وبعدئذ انكب على انجاز عدة لوحات زيتية جميلة نالت اعجاب الهواة والنقاد، فاز بها بعدة اوسمة وجوائز تشجيعية.

رحلته الى الجزائر

ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره قام برحلة استطلاعية الى الجزائر سنة ١٨٨٤م. تمكن مرة اخرى من زيارة الجزائر بعد حصوله على مكافأة مادية من صالون قصر الصناعة بباريس، ولما شاهد صحراء الجزائر وواحاتها ومناظرها الاخاذة هام بحبها وسحرته طبيعتها. وتركت فى اعماق نفسه اقوى الانطباعات والتأثيرات وحولت حياته من المدينة الباريسية الى بادية الصحراء الجزائرية. وفى ذلك يقول د. حسن الباب: «وكانت نقطة التحول فى حياته وفنه قيامه برحلة الجزائر. انتهت الى (ورقلة) و(الاغواط) فى الجنوب. حيث عثر على كنزه المنشود. اذ بهرته المناظر الصحراوية وتركت اثرا عميقا فى حياته. واذا كانت الموهبة وروح الفنان المغامر وسيلته فى الدخول الى عالم الصحراء، فان حاجته كانت شديدة لمعرفة الشعب الجزائرى الذى يسكن ذلك العالم البديع النائى. الى ان قال: «ومنذ سنة ١٩٠٥ استقر (نصر الدين رينيه) فى بوسعادة) مع التردد على باريس الفينة بعد الفينة، وفى هذه المدينة الجزائرية الصغيرة المطلة على الصحراء والتى تكتنفها واحة ذات نخيل وشجيرات ومجرى مائى صغير، اتخذ له مسكنا متواضعا يعلوه سقف من التراب والقصب، وتدعمه العارضات التقليدية المصنوعة من شجر العرعر).

عبد الحميد بن باديس.



جامع كتشاوه بالجزائر.

الحالة العامة فى الجزائر

ولنترك الفنان المبدع (رينيه) المتواضع فى (بوسعادة)، امام لوحته ورسوماته المعبرة اصدق تعبير عن حياة الشعب الجزائرى، فى افراحه وآلامه، ولنطلع على نافذة الحالة العامة التى كانت تمر بها الجزائر اثناء فترة الاستعمار الفرنسى ثم نعود الى (رينيه) لتكملة حديثنا عنه.

■ احتلت فرنسا الجزائر سنة ١٢٤٦هـ -١٨٣٠م بعد انهزام المغاربة فى واقعة اسلى المشهورة. وعززت نفوذها العسكرى فيها واتخذتها نقطة الوثوب ضد المغرب العربى. وكانت ضمن مخططها الجهنمى ان تحول الجزائر الى فرنسا الجنوبية فكرا ولغة وروحا على اساس محو عروبتها ولغتها وبدأت فعلا فى تنفيذ مخططها المرسوم تدريجيا على مراحل مختلفة متبعة فى ذلك سياسة (فرق تسد) ورفع شعارات التفرقة بين العرب والبربر وشراء اصحاب الضمائر الضعيفة الشخصية والعديمة الوطنية بالاموال والمناصب، والقضاء على اصحاب النفوذ الشعبى بالدسائس والمناورات.

■ وتشاء الاقدار الالهية ان ترحم الامة الجزائرية المقهورة على يد رجل عادى مخلص لوطنه كان هو منقذ الجزائر من الاستعمار الفرنسى - ذلك الرجل هو (عبد الحميد بن باديس) الذى برز على الساحة السياسية بعدما كون نفسه ودرس فى الزيتونة والازهر وزار مكة المكرمة، وكثيراً من دول العالم العربى والاسلامى، والتقى فيها بقادة الاصلاح والفكر والنهضة ورجع الى بلاده سنة ١٩١٣ عالما يقظا ومصلحا اجتماعيا، وتمكن باسلوبه الخاص ان يرفع راية الجهاد الفكرى لمقاومة الجهل والأمية عن طريق التعليم الحر. وقام بانشاء حوالى ثلاثمائة مدرسة. فى ربوع الجزائر لتعليم ابنائها اللغة العربية التى الغاها الاستعمار الفرنسي واعتبرها لغة دخيلة، وتحولت معاهده التعليمية الى قلعة الجهاد تخرج منها آلاف من المجاهدين المخلصين حملة الاقلام والفكر والتفوا حول زعيمهم عبد الحميد بن باديس للمساهمة فى تحرير بلادهم نذكر منهم محمد البشير الابراهيمى والطيب العقبى، وتوفيق المدنى والعربى الكيسى ومبارك الميلى وغيرهم.

■ وقبل تأسيس عبد الحميد بن باديس لمدارسه التعليمية كان معظم ابناء الشعب الجزائرى اميين لا يعرفون القراءة ولا الكتابة وبلغت نسبة الامية نحو ٩٠٪.

وحين لمست فرنسا النتائج الايجابية لتوعية عبد الحميد بن باديس وادركت خطورتها على المدى البعيد، شنت حربا ضروسا لا هوادة فيها على الدين الاسلامى. محاولة بذلك تخريب العقول والنفوس وتحطيم حصون الاسلام فى ربوع الجزائر والقضاء على اللغة العربية لغة القرآن الكريم القضاء المبرم، كما فعلت االقوى الصليبية بمسلمى الاندلس ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون.

■ وقد اجاد وصف عبد الله التل

حالة الشعب الجزائرى المسكين المغلوب على امره بقوله: (فاصبح الشعب الجزائرى المسلم يصوم ويفطر ويعبد بحسب الاوامر التى يلقيها المدير الفرنسى، ويصلى وراء الائمة الذين يختارهم الحاكم الفرنسى من بين الخونة والجواسيس، ويحج الى بيت الله الحرام بالرخصة الفرنسية التى لا تعطى الا بالرشوة ولعدد زهيد من افراد الشعب، ويخرج بعضه فى الخفاء زكاة رمزية لانه شعب فقير معدم نهب الفرنسيّون وطنه وثروات بلاده، فلم يبق عنده مال يزكيه ولم تستطع فرنسا السيطرة على الركن الخامس وهو الشهادة، لان الانسان قد يتلوها فى سره ومن غير ان يسمعها الجندى الفرنسى).

■■ فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخ الجزائر التى استسلم فيها الشعب لقوة الحديد والنار، وسلبت منه جميع حريته وحقوقه، ووضعت فى يديه القيود والاغلال، وانتصر فيه الشر على الخير، والظلم على الحق والظلام على النور؛ يأتى نصر الدين رينيه من باريس ويستقر فى بلدة (بوسعادة) تحت قبة بيضاء متواضعة سرا، ضياؤها قنديل زيت، واناسها مجموعة من الفقراء الجزائريين البسطاء لا يملكون من حطام الدنيا شيئا سوى لقيمات من العيش لا تسمن ولا تغنى من جوع.

■■ ومما قاله فى هذا المقام د. حسن فتح الباب الذى تمكن من زيارة قبر (رينيه) بعد وفاته: «لقد كانت حياة (رينيه) فى ظاهرها أشبه بأسطورة لما حفلت به من مفارقات، ولكنها فى جوهرها نموذج لقدرة الخير والجمال على الانتصار على الشر والقبح».

نوع اتجاهه فى الرسم

■■ اتجه (رينيه) الى الرسم الرومانسى الواقعى، فهو بريشته يرسم صور مختلفة مأخوذة من حياة ابناء الشعب الجزائرى فى بادية صحراء (بو سعادة).. وكان فنانا طبوغرافيا كآلة تصوير.. وكان لبراعة ظلاله الرقيقة فى ألوانه المائية، ان جعلت لوحاته من روائع التصوير الواقعى الانطباعى فى الرسم الحديث. وقد ازدهر هذا الفن الانطباعى بعد حملة (نابليون) على مصر اثر ظهور كتاب (وصف مصر) الذى سحر برسومه واوصافه الجميلة الغرب وأثّر فى النفوس الحساسة علاوة على قصائد (هيغو) (الشرقيات) المنشورة سنة ١٨٢٩م التى ساهمت بدورها فى إثراء مخيلة المتذوقين والرسامين الانطباعيين، وشجعتهم على زيارة الشرق لانتاج المزيد من الصور الذهنية.

■■ وما بين ١٨٢٥ - و١٨٧٥م اصبح الاستشراق فى الفن الفرنسى من الفنون التى لا يقل اهمية عن الرسم التاريخى، وبرز فى هذه الفترة ثلاثة رسامين هم: «اروجين ديلاكروا» الذى اتجه الى



قلعة بنى حماد القسم الغربى لقصر المنار «الجزائر»

المغرب لرسم مشاهده.. و«ينود ورشاسيريو».. و«يوجين فورمنتان»، اللذين اكتشفا جمال الشرق في الجزائر وقررا ان يعيشا فيها حقبة طويلة.

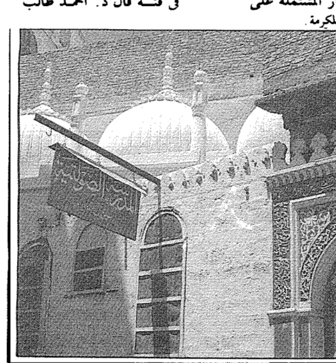
■■ وكانت جميع لوحات الرسامين المستشرقين مطبوعة بطابع الشرق ونابعة من تأثرها بالمساجد والصحراء وقباب بعض الاولياء والمزارات، وبالاقواس المهدمة او بقايا آثار مدينة عربية قديمة، او فلكلور وعادات وتقاليد شعبية. وهناك لوحات عديدة عن الحياة الشعبية في الجزائر نالت شهرة فنية في الوسط الاوروبي، مثل لوحة (النساء الجزائريات) لـ «لروشيفروس» التي كانت رائعة من روائع الاستشراق الاصيل، وكذا لوحات رينوار المشتملة على مناظر اخاذة عن الجزائر حينما زارها سنة ١٨٧٩م وعرض فيها لوحاته.

■ ولو استعرضنا عباقرة الرسامين الانطباعيين الذين تأثروا بالشرق من المستشرقين وغيرهم من الفنانين لطال بنا الحديث وعليه يمكن ان ندرج فن (رينيه) ضمن قائمة الرسامين الانطباعيين المستشرقين العالميين، لكن قومه جحدوا فنه ونقدوه واحطوا من قيمته، بسبب اسلامه وتصويره واقع الشعب الجزائري المؤلم وما يعانيه من فقر وقهر في ظل الاستعمار الفرنسي واعتبروه (خائن الغرب).

تقيم فنه

في فنه قال د. احمد طالب الابراهيمي: «ان (رينيه) قد عرف في وقت مبكر كيف ينبذ تلك الموضوعات التي كانت مألوفة لدى المستشرقين التقليديين، ليحقق بطريقته الخاصة (الجمال ضمن الحقيقة) كما وصفه بحق احد النقاد، وقالت عنه اخته (جان رينيه رونسي): (ان مواهبه كفنان نادرة واما بخصوص اعتناقه للدين الاسلامي فهذا امر لا يمكن لعقليتنا الغربية العريقة والدينية ان تقبله) وفي فنه قال ايضا (ليوتس بينيديت) محافظ متحف لوكسمبورج: (استطاع رينيه ان يصور الجمال اروع تصوير وان يستخرجه من الحقيقة التي لا توجد سواها).

المدرسة الصولتية بمكة المكرمة.

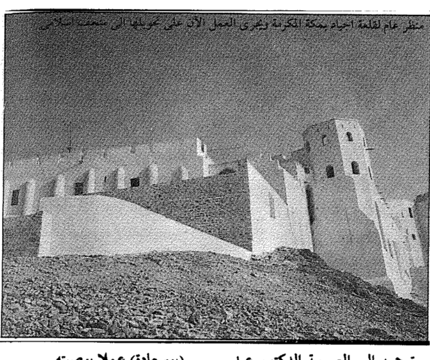


رحلته الى مكة المكرمة

ومرت السنون والايام والليالي سراعا وتبدلت احوال الجزائر من حال الى حال، وبقي نصر الدين رينيه في بيته المتواضع (بوسعادة)

بدون ارتحال وانتقال بعدما بلغ ثمانية وستين سنة بالتمام والكمال وضعفت صحته واصيبت بهزال، وأحس بالشيخوخة ودنوا الآجال وقرر حج بيت الله الحرام سنة ١٩٢٩م ومن هناك بين التكبير والخشوع والابتهال قال: «تركت هذه الرحلة في نفسي انطباعات لم

أشعر بما هو أسمى منها فى كل حياتى فلا احد فى العالم يمكنه ان يعطى فكرة عما شاهدته من جوانب هذه العقيدة الوحدانية من حيث المساواة والاخوة بين حوالى ٢٥٠,٠٠٠ من الناس من مختلف الاجناس، كانوا مزدحمين الواحد بجانب الآخر فى صحراء موحشة.


منظر عام لقلعة أجياد بمكة المكرمة ويجرى العمل الآن على تحويلها الى متحف اسلامى

تآليفه

■■ لم يكن (رينيه) فنانا فحسب، بل كان ايضا مؤلفا غيورا على الاسلام مدافعا عنه داحضا لافتراءات المستشرقين المغرضين بحجج دامغة قاضية على الجاحدين منهم والمعاندين، وشملت دراساته ميدان الفن والاسلام ومن تآليفه نذكر:

● آفات الرسم ووسائل مكافحتها - المطبوع سنة ١٩٢٦. وهو دراسة عميقة تقنية فى الوسائل الفيزيائية والكيمائية المتبعة لصيانة الآثار الفنية، وكيفية المحافظة على القماش والرقع من الاندثار.

● حياة الرسول محمد ﴿ﷺ﴾ ساعده فى تأليفه سليمان بن ابراهيم الجزائرى - طبع بالفرنسية والانجليزية. وهو كتاب مهم مزدان بلوحات زخرفية للفنان الجزائرى العالمى محمد راسم(١٥) - ترجمه الى العربية الدكتور عبد الحليم محمود، محمد عبد الحليم محمود.

● حياة العرب - بالفرنسية.

● الحج الى بيت الله الحرام - وهى رحلته الى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج صدر بعد وفاته.

● حياة الصحراء.

● اشعة من نور الاسلام - رسالة طبعت بالعربية.

● الشرق فى نظر الغرب.

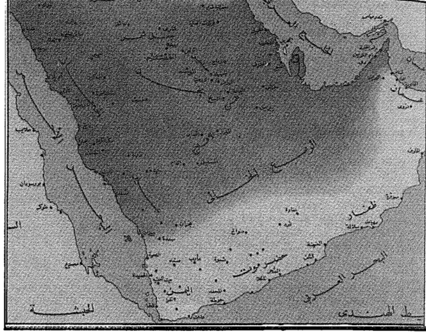
وفاته

■■ توفى نصر الدين رينيه فى اواخر سنة ١٩٣٠ بباريس بعد عودته من الحج بمرض ألم به لم ينفع معه اى علاج، ولم يدرك استقلال الجزائر، ونقل جثمانه من فرنسا الى الجزائر ليدفن فى (بوسعادة) عملا بوصيته.

■ هذا هو نصر الدين رينيه الانسان المسلم والفنان الملهم، الذى هجر بلاده ومعتقدات قومه وأحب الاسلام واهله وعشق الصحراء الجرداء، وعاش مع الفقراء البسطاء وحج الى بيت الله الحرام ودافع بقلمه عن الاسلام.. انها بداية ونهاية انسان فنان آمن بالرحمن وكفر بالشيطان، وانتقل من ديار الشرك والطغيان الى ديار الايمان. وكانت حياته اسطورة تاريخية من اساطير الزمن.

■■ ولنجعل مسك ختام ترجمته الكلمة الحقة الصادقة التى قالها فيه الفنان المرحوم محمد راسم وهى: «لم يكن نصر الدين رينيه باحثا فى علم الاجناس البشرية ولا متخصصا فى الفلكلور

خارطة توضح موقع الربع الخالى فى المملكة العربية السعودية.



(الفنون الشعبية) بل كان من ذوى العواطف النبيلة والفكر النير، والايمان الصادق وكان مع ميله للعزلة ـ يتمتع بشخصية جذابة فى ذلك الوسط الاوروبى الذى كان ينتقد عمله الفنى لغرض خفى فى نفسه وهو التعبير عن استنكاره بعد اعتناق رينيه الاسلام».

التعريف بالربع الخالى

■■ الربع الخالى منطقة صحراوية شاسعة الاطراف كانت مجهولة فى جنوب شبه الجزيرة العربية. وهى تعد اكبر مساحة صحراوية رملية فى العالم. تفوق مساحتها مساحة بعض دول العالم، ولها حدود مشتركة مع دولة الامارات العربية المتحدة ودولة عمان واليمن وحضرموت، وهى عبارة عن مرتفعات رملية يبلغ ارتفاع كثبانها احيانا حوالى ١٥٠٠ قدم فى الغرب و٥٠٠ قدم فى الشرق و١١٠٠ قدم فى الشمال و٢٠٠٠ قدم فى الجنوب الغربى. وقد عرفت هذه الصحراء قديما باسم «رملة يبرين» واليها يشير الجغرافى ياقوت الحموى فى معجمه بقوله: «يبرين رمل لا تدرك اطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة».

■■ ومما لفت نظرنا ان صحراء الربع الخالى اصبحت فى المغرب الاقصى مضرب المثل الشعبى فيقال لمن اساء استخدام الجان والسيطرة عليه: ان عفريتا من الجان قذفه فى التوت الخالية (يعنى فى الربع الخالى).

■وفى مطلع القرن التاسع عشر تسابقت الدول الاوروبية لاكتشاف مجاهل هذا الربع الخالى محاولة بذلك العثور على الثروات المعدنية والبترولية فى باطنه، لاستغلالها تجاريا يعود بالنفع عليها، فبادرت تلك الدول بارسال البعثات والوفود مُشكَّلة من المغامرين والمستكشفين الى عين المكان ومنهم من أتى الى جزيرة العرب لنفس الغرض بصفة رسمية موفدا من قبل دولته ومنهم من أتاها على حسابه الخاص متحملا نفقة الرحلة والسفر.

الرحالة الانجليزى عبد الله فلبى احد مكتشفى الربع الخالى

■■ كان بعض الرحالة الاوروبيين يعتقدون بوجود كنوز مدينة عاد البائدة؛ فى الربع الخالى منهم مترجمنا الرحالة الانجليزى عبد الله فلبى وهو المكتشف الثانى لهذه الصحراء بعد «برترام توماس» كما انه اول من رسم خريطة هندسية مفصلة للمنطقة. قال وهو يتحدث عن اسباب تأليفه كتابه «الربع الخالى»: وقد حاولت ان اضع فى هذا الكتاب ـ الذى وصفته للخاصة من رجال العلم والثقافة ـ وصفا صادقا لمنطقة كانت مجهولة تماما بالنسبة اليهم،

● استطاع الرحالة عبد الله فيلبي ان يجتاز الربع الخالي خلال ثلاثة أشهر ورسم أول خريطة مفصله عنه.

● من السمات المميزة لـ (فيلبي) حبّ المغامرة وعدم الاستسلام لظروف المكان وقوانين الوظيفه.

تبلغ مساحتها ١٥٠ ميلاً مربعاً، وتمتد على جبهة عرضها ٣٠٠ ميل على الاقل. بادئة من الساحل الشرقي للبحر الاحمر، عبر سهل تهامة الكبير الى منطقة الجبال السامقة التي ترتفع قممها نحوا من ٨ الاف قدم فوق سطح البحر. لتعود فتهبط الى المنطقة الرملية الصحراوية التي تقع في الجنوب، وعن حالة طقس صحراء الربع الخالي قال: «ويتقلب الطقس فيها من المناخ شبه الاستوائي الى المعتدل، كما تغزر المياه في ناحية من الجبال لتكون شحيحة من الناحية الاخرى ـ وعلى كل حال فإن المياه التي تسقط على الجبال تسيل في وديان تتجه شرقا او غربا لتضيع في سهول تهامة او بطاح الصحراء».

■ هذا ما قاله عبد الله فلبي عن الربع الخالي. اذن من هو هذا الرحالة؟ وما هي قصته وحقيقة امره؟ ذلك ما سنتعرض للحديث عنه بتفصيل.

ميلاده وأعماله

اسمه الحقيقي سان جون فلبي.. وهو مستشرق انجليزي الاصل سمى نفسه لما اسلم عبد الله فلبي.. تخرج من جامعة كمبردج ارسلته الحكومة البريطانية سنة ١٩١٧ الى الشرق الاوسط في مهام سياسية وعاش في الدول العربية متجولا طيلة ٤٥ سنة، وقضى جل اوقات حياته في المملكة العربية السعودية.. عمل مستشاراً لوزير الداخلية بالعراق والتقى فيها بالملك فيصل الاول سنة ١٩٢٠م لكنه لم ينسجم مع الخطة المرسومة من طرف قادة السياسة البريطانية في العراق واستقال من عمله، وتوجه الى لندن واتصل فيها بتشرشل وطلب منه تعينه مستشارا للامير عبد الله ملك الاردن وعينه مستشارا ثانيا للامير بعد تعيين له لورانس العرب مستشارا اولا الا انه لا يرضيه هذا التعيين واستقال ايضا من عمله.. وذهب الى السعودية وعمل مستشارا غير رسمي للملك عبد العزيز ال سعود، الذي كان رحمه الله عطوفا على اهل العلم والفكر مكرما لهم ولو كان من الاجانب.

شارك فلبي في اكثر من مائة من المؤتمرات واللجان والمعاهدات على النطاق السعودي والعربي والدولي.

زيارته للربع الخالي

في الوقت الذي فكر فيه عبد الله فلبي في اجتياز الربع الخالي لتحقيق امنياته، كان هناك رحالة آخرون يفكرون نفس تفكيره ويعملون بجد لبدء رحلاتهم لاكتشاف هذه الصحراء البكر. وفي هذا الموضوع قال: «قضيت عام ١٩٣١م اطوف بالاماكن القريبة من مكة المكرمة وازور اماكنها التاريخية والوديان المحيطة بها، وقد بلغتني انباء بأن ثمة كثيرين يفكرون تفكيرا جديا، في

اعداد رحلات لاجتياز الربع الخالى اثر نجاح برترام توفاس فى عبوره فى السنة السابعة فقد سمعت ان العالم الالمانى كارل والجيينز الذى زار جدة قبل بضعة اشهر مع شخص نمساوى هو هيرمان فون ويسمان قد مضى الى اليمن، وانه يستعد هناك لاجتياز الربع الخالى بادئا من الاراضى اليمنية، وسمعت ان القصاص الفرنسى المشهور جوزيف كيسيل الذى زار جدة قبل اشهر ومضى عنها الى الحبشة واليمن يفكر فى نفس الاتجاه ولم أكن قد نسيت ان برترام مازال فى مسقط وانه قد يكرر المحاولة الاولى ويكتشف فى المرة الثانية ما فاته اكتشافه فى رحلته السابقة.

كنوز قوم عاد

■■ بدأ عبد الله فلبيى رحلته الاولى من الرياض سنة ١٩١٧م. زار خلالها وادى الدواسر والربع الخالى وهضبة الطريق فى حدود الاحساء، ثم بدأ رحلته الثانية لاجتياز الربع الخالى.. ويقال ان عبد الله فلبيى كان يهدف من وراء رحلته هذه العثور على كنوز مدينة الوبر التاريخية المندرسة التى ورد ذكرها فى تاريخ القدماء وقصص الانبياء وهى مدينة عاد وثمود المذكورتين فى القرآن الكريم اللذين اهلكهم الله تعالى «بريح صرصر عاتية» لما عصوا نبيهم هودا عليه السلام كما اخبرنا بذلك فى قوله تعالى: ﴿واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية، فهل ترى لهم من باقية﴾..

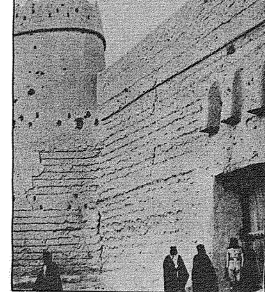
ويستنتج من كتب التاريخ ان عادا الاولى تعتبر من اقدم القبائل العربية البائدة التى لا يعرف لها تاريخ ولا اثر، وفى هذا قال المرحوم عبد الوهاب النجار(١٧): ان عادا لم تذكر فى كتاب من الكتب المقدسة سوى القرآن الكريم، وليس بيد احد من الناس من اخبارهم ما يوثق به ويصح التعويل عليه سوى القرآن وحده، فقد ذكر مساكنهم واحوالهم وجسامة اجسامهم وقوتهم وما كانوا ناعمين فيه من خصب ورغد عيش، وما استمسكوا به من الكفر والاوثان وعتوهم وفسادهم.

■ وقد اختلف المؤرخون فى تحديد موقع مدينة عاد وبدأ تاريخ حضارتها وانتهائها فبعضهم يقول ان موقعها برمل عالج بين اليمامة والشحر، والبعض الآخر يقول بأن موقعها فى ارض الاحقاف بشمال الحضرموت، قال ابن خلدون(١٨): (كان يقال عاد ارم: فلما هلكوا قيل ثمود ارم، فلما هلكوا قيل نمرود ارم، فلما هلكوا قيل سائر ولد ادم ارمان).

■■ ويشير جورجى زيدان(١٩) ان العلماء لم يعثروا على اثار قوم عاد اذ قال: «وعثر فى اثار بلاد العرب على نتف من بقايا كثير من



الرحالة الانجليزى عبد الله فلبيى.



جزء من حصن المصمك. اهم معالم مدينة الرياض.

الـدول القديمة، عرفوا كثيرا من احوالهم الا عادا فانهم لم يروا لها ذكرا». ويفهم من القرآن الكريم ان مسـاكـنـهـم كانت فى ارض الاحقـاف لقوله تعالى: ﴿واذكر اخـا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ (الآية ٢١ سورة الاحقـاف) وعلى هذه الآيـة اعتمد المرحوم عبد الوهاب النجار وقـال: قد كانت مسـاكن عاد فى ارض الاحقـاف، وهى تقـع فى شمال حضـرموت، وفى شمالها الربع الخالى، وفى شرقها عمان، ومـوضع بلادهم اليوم رمال ليس بها أنيس بعـد ذلـك العمـران والنعيم المقيم ولم يتعرض احد من الاوروبيين الباحثين والمنقبين الى الكشف عن بلادهم والتنقيب فى ارضهم، ولعلهـا تحت الـرمـال وتكـون من الثـروة العلمية ما لو كشف لكان عظيم القيمة فى عالم الاثـار. وابـان عن مدينة عظيمة مطمـورة تحت تلك الكثبـان..

ويبـدوا ان المـرحوم عبد الوهاب الـنجـار لم يطلع على ابحـاث واكتشـافـات العلماء الـرحـالـة الاوروبيـين فى الموضوع ككتاب (عـبر الـربع الخالى من العربية) للرحـالـة «بـرترام توماس» الذى يعتبر اول مكتشف للربع الخالى - وكتاب «الربع الخالى» لمترجما عبد الله فلبى الـذى زعم فيـه انـه اكتشف اثار مدينة وابر التى كان يسكنها قوم عاد وانها تخربت بسبب عصيانهم لنبيهم هود عليه السلام وقال: اذن فهذه هى (وابر) بركان فى الصحـراء. وعليـه بنيت قصة مدينة خربتها السماء بسبب الخطايا التى ارتكبهـا ملكهـا الـذى لم يستجب لتحذيرات (النبى هود).

بحث طريف عن مدينة عاد

واثنـاء تصفحى ما كتب عن قوم عاد وسوء مصيرهم قرأت بحثا وغـريبـا فى بابـه، يزيـد المسألـة غموضا للسيد لؤى عجان عنوانه «ارم ذات العماد» استنتجت منه ان صاحبـه على اطـلاع باخبـار الاكتشـافـات الحـديثـة فى عالم التـاريخ والآثـر. ولا بأس من عرض ملخص ما كتبـه فى هذا الصـدد فالكل يدلو بدلوه وبرأيه كيفـما كان نوعـه. يقول صاحب البحث المذكور (٢٠) ان قوم عاد كان مسـكـنـهـم فى الـعـراق لا بالاحقـاف حيث عاشوا فى مدينة ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد - وهى المدينة التى عاش فيهـا سيـدنا ابراهيم الخليل عليه السلام الـوارد ذكـرها فى التوراة باسم (اور)، وظلت هذه المـدينة مجهولة زمانا الا ان اكتشفها العالم الاثرى تايلور سنة ١٨٥٤م الذى اتضح من كشوفاته الاثرية هذه ان المدينة هى عاصمة دولة السومريين الذين سيطروا على معظم بلاد ما بين النهـرين، وعاشت مزدهرة، كما انـه عثـر فى بقايا المدينة على وثـائـق وكـتـابـات منقـوشـة بالسـومـرية، على الواح فخارية بعـدما كشف رمـوزهـا وقرأها، عرض ان اسم (اور) كان تحريفا لاسم البلد الحقيقى (ارم) ان هذا الاسم - يقول الباحث المذكور - يلفـظ باوريم ويخضـع لقـواعـد الصرف باللغة السومرية. ويمكن



نكتفى بما نقلناه ونعود للحديث عن عبد الله فلبى.

نتائج رحلته الى الربع الخالى

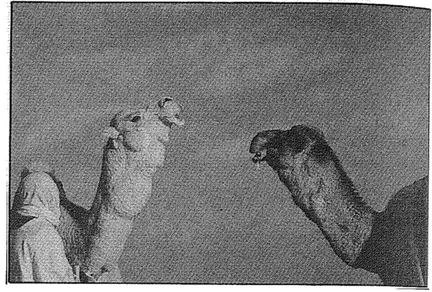
بعد انتهاء ثلاثة اشهر استطاع عبد الله فلبى اجتياز الربع الخالى طولا وعرضا - وعاد الى مكة المكرمة وهو مفتخر بنجاحه فى هذه الرحلة، ورغم فشله فى العثور على كنوز قوم عاد فان رحلته حققت نتائج هامة وهى:

- رسمه اول خريطة هندسية مفصلة للربع الخالى.
- اعتباره المكتشف الثانى للربع الخالى.
- تأليف كتابه (الربع الخالى).
- الحصول على مجموعة نادرة من الطيور تبلغ ٤٠٠ نوع.

تآليفه

له عدة تآليف تتعلق كلها بتاريخ الجزيرة العربية ووصف مسالكها ومآثرها نذكر منها:

- قطعة من تاريخ - المطبوع بيروت سنة ١٩٦١.
- الربع الخالى - المطبوع سنة ١٩١٣م.
- فتات سبأ - المطبوع سنة ١٩٣٩م.



ان يصبح اوربيا.. وبعدما يستعرض الباحث الآيات القرآنية المتعلقة بقصة عاد قال: لم تظهر التنقيبات الاثرية، الاسباب الاكيدة لخراب مدينة ارم، ويقول علماء الاثار: ان غزاة من عيلام فى جنوب الفرس اجتاحوها ودمروها[٢١].. وقد يكون فى ذلك شىء من الحقيقة ولكننا فى مطالعتنا لبعض نصوص الادب السومرى وقعنا على قصيدة يرثى فيها الشاعر خراب تلك المدينة بأبيات مؤثرة، فلفت نظرنا قوله فيما قال وهو يخاطب آلهة المدينة:

لقد اصبحت مدينتك خرابا فكيف تستطيعين البقاء

لقد اصبح بيتك عاريا فكيف ما زال قلبك ينبض؟..

ارم الهيكل قد تسلمته الرياح فكيف تستمرين حية؟..

■ ويقول معلقا على هذه - الابيات: فماذا كان يقصد بعبارة تسلمته الرياح؟ ان المقارنة بين هذا البيت من الشعر وبين ما بيَّنه سبحانه وتعالى من انه ارسل ريحا صرصرا فدمرت المدينة تدميرا، يدعو الى التفكير العميق، خصوصا اذا علمنا ان اللوحات الشعرية، ظلت مدفونة فى اثار المدينة قرابة خمسة الاف عام او تزيد.. ولم تقع عليها عين انسان.. ولم تظهر الا فى بداية هذا القرن.

ويزيد الباحث مسترسلا فى كلامه قائلا: وما اظهرته التنقيبات والنصوص المكتشفة من عظمة مدينة (ارم) وطغيان اهلها فى الارض لا يترك مجالا للشك بانها هى التى كانت المقصودة بآيات الله البينات التى جاء ذكرها اعلاه. انتهى بحثه بتصرف.. وحتى لا نخرج عن موضوعنا

● النجود العربية - المطبوع سنة ١٩٥١م.
● قلب الجزيرة العربية - المطبوع سنة ١٩١٢م.
● المملكة العربية السعودية.
● ارض مديـــــن.
● الذكرى العربية الذهبية.

وفاتـــه

والسمة التي يمتاز بها هذا الرحالة هي: حبه للمغامرات وعدم استسلامه للأمر الواقع والارتباط بالمكان وقوانين الوظيفة الادارية.. وبدهائه وجده، اكتسب املاكا واموالا كثيرة واصبح من اكبر رجال الاعمال، والتجأ الى الاستقرار في بيروت بلبنان وفيها لبى داعي ربه يوم ١ اكتوبر سنة ١٩٥٠م ودفن في مقبرة المسلمين.

● بدعوة من شاعر الهند طاغور ذهب جرمانوس الى الهند وعين فيها أستاذاً للحضارة في جامعات دهلي ولاهور وحيدر أباد.

● أشهر جرمانوس اسلامه في الجامع الكبير بدلهي في الهند.

● جميع المعتقدات الاخرى غير الاسلام مليئة بالرموز والأساطير والتلفيقات التي لا تصمد أمام الحق. «جرمانوس»

● الدكتور عبد الكريم جرمانوس مسلم حقاً، فقد درس الاسلام دراسة مقارنة وبصيرة. «د. رجب البيومي»

عبد الكريم جرمانوس الرحالة المجري المسلم

وهذا رحالة آخر تعلق قلبه بالاسلام والادب العربي، هو عبد الكريم جرمانوس، المولود في بودابست بالمجر يوم ٦ نوفمبر سنة ١٨٨٤م تابع دراسته سنة ١٩٠٥م في جامعتي فيينا بالنمسا واستانبول بتركيا. وكان به ميل الى معرفة تاريخ الشرق الادنى ولغاته.. وفي لندن انكب ردحا من الزمن على دراسة النصوص التركية القديمة في المتحف البريطاني وتم تعيينه سنة ١٩١٢ استاذا لتاريخ الفكر الاسلامي واللغتين العربية والتركية في اكاديمية بودابست للدراسات الشرقية.. وانتخب امينا عاما لنادي القلم المجري سنة ١٩٢٦م وعضوا في المجمع الايطالي سنة ١٩٥٣م.. وذهب الى القاهرة ليكمل تحصيله وتخرج من جامعة الازهر.. واختير عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٥٦م وعضوا عاملا في النادي المصري - وعضوا في معهد الابحاث الشرقية بلندن سنة ١٩٧٢م، وعضوا باكاديمية علوم البحر الابيض المتوسط الايطالية.

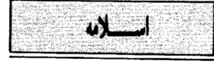
كان يجيد اللغة الالمانية والانجليزية والفرنسية والتركية والفارسية والاوردية والعربية.

■ بدعوة من شاعر الهند طاغور ذهب الى الهند وعين فيها استاذا للحضارة في جامعات دلهي ولاهور وحيدر اباد ما بين (١٩٢٩-١٩٣٢).. واثناء اقامته بالهند الف كتابه (الحركات الحديثة في الاسلام) سنة ١٩٣٠م. تحدث



فيه باسلوب صريح جرىء عن امجاد الاسلام ونحن المسلمين والنهضة الاسلامية الحديثة التى دعا اليها المصلحون المخلصون عندما رأوا تأخر المسلمين والعرب وتقدم الغرب ـ واحدث صدور كتابه ردود فعل ايجابية فى الشرق والغرب ولفت اليه انظار كبار المفكرين فى العالم، من ضمنهم فيلسوف باكستان محمد اقبال الذى اعجب بغيرة عبد الكريم جرمانوس على الاسلام ودفاعه عنه، وتفاؤله فى كتابه «المستقبل لهذا الدين»، مما دفعه للتعرف عليه وربط اواصر الصداقة معه.

■ وكان الفيلسوف محمد اقبال شعلة نشاط يتحرق شوقا وحنانا لزيارة البقاع المقدسة، وقال يوما وهو يخاطب جرمانوس فى هذا الصدد: «يجب ان تشرق شمس الاسلام من مكة مرة ثانية». وقد نظم عدة ابيات شعرية رائعة يبث فيها وجده وشوقه لزيارة البيت الحرام، انشدها على مسامع جرمانوس ومنها قوله: «ان جسمى ريحانة من رياض الجنة الأرضية كشمير، والقلب منبته بلد الله الحرام، وأفانين الكلام من الحان شهرزاد». ومنها قوله من ديوان «ارمغان حجاز» (يعنى هدية الحجاز) ارض الاسلام الاولى: «انى اتساءل هل للنعمة المفقودة من رجعة لا أدرى؟ هل أجد بعد اليوم نسيم الريح التى تهب من البطحاء فى ارض الحرم؟.



اسلامه

كان تعلق قلب محمد اقبال الشديد بالحرم الشريف وحبه القوى لهذا البلد الامين، الذى اشرقت منه انوار الهداية الربانية على الارض لانقاذ البشرية من ظلماتها وجهلها على يد محمد رسول الله ﴿ﷺ﴾ خير البرية، هو أحد الاسباب الرئيسية التى دفعت عبد الكريم جرمانوس الى اعلان اسلامه فى المسجد الكبير بدلهى بالهند. وعن كيفية اسلامه قال جرمانوس؛ : «ان الاسلام هو الدين الوحيد كما جاء فى قوله تعالى: ﴿ان الدين عند الله الاسلام﴾.

والاسلام هو دين الفطرة اى الدين الذى يجد الانسان نفسه عليه بفطرته.. والاسلام هو الدين الوحيد الخالى من الرموز والذى لا يضع اى وسيط بين العبد والرب ـ لقد قرأت كثيرا فى علم الاديان المقارن ولم اترك دينا سماويا او وضعياً متطورا او بدائيا الا وقد تغلغلت فيه وتأملته طويلا. وظهرت لى جميع الاديان متكلفة، مليئة بالرموز والأساطير والتلفيقات التى يأخذها اتباعها كعقائد جامدة لا سبيل الى الشك فيها مع انها فى الحقيقة خرافات لا تصمد امام العقل، ولذلك فهى بالتأكيد اضافات او تشويهات لحقت بالاديان السماوية فيما عدا الاسلام فهو خال تماما من الاضافات والتشويهات والعقائد التى لا يقبلها العقل.. وهذا دليل على انه الدين الصحيح او دين الاديان او ذروة اكتمال الفكر الدينى لدى الانسان فاذا اضفت الى ذلك معجزة القرآن الذى لا يدانيه كتاب آخر فى عطائه واتساقه، وسيرة حياة محمد وكفاحه واخلاقه تبدد أى شك فى ان هذا هو الدين الصحيح المنزل من السماء. ثم زاد قائلا: وفى اعتقادى أن اى انسان يدرس الاسلام دراسة غير متحيزة لابد ان يعتنقه.

■■ ويقول صديقه وعارف فضله د. محمد رجب البيومى عن تدينه

ومواهبه: (كان الدكتور عبد الكريم جرمانوس مسلما عظيما حقا، لانه رحمه الله درس الاسلام دراسة مقارنة بصيرة قبل أن يعتنقه حتى اذا اشرق نور الحق فى قلبه هام به حبا. وفاخر بانتسابه اليه. وأخذ يحفظ آيات القرآن الكريم واحاديث الرسول ﴿ﷺ﴾ فى شغف واكبار. لقد كانت كتب التفسير القرآنى العربية احب الكتب اليه. وحين انتقل رحمه الله الى الدار الآخرة حزن عليه عارفو فضله من مؤيدين ومعارضين اذ قدروا فيه مواهبه الكبيرة النادرة. وتحصيله الدائب الملح وهو تحصيل كاد يقرب من حد الاعجاز. اذ ما تقول فى شيخ قارب المائة من الاعوام وهو لا يفارق القرطاس والقلم والكتاب الا ريثما يقضى ضروريات حياته، فاذا قابل اصدقاءه فالحديث عما يتضمن الكتاب والقرطاس. وما تقول فى شيخ يؤلف بلغات عدة فيقرؤه الناس فى الشرق والغرب معجبين وهو يعد رحالة منقطع النظير لم تثنه الشيخوخة، عن ان يطير فى الجو او يرحل فى البحر حتى لكأن القارات الخمس مدينة واحدة ذات دروب يقطعها الشيخ دربا دربا فى سهولة ميسرة).



عبد الكريم جرمانوس الرحالة المجرى لما ادى فريضة الحج

معجزة القرآن الكريم

يعترف الحاج جرمانوس ان معجزة القرآن الكريم حولت الناس من الضلال الى الهدى، ومن الظلام الى النور، حتى اصبحت خير امة اخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ويظل القرآن الكريم هذا الكتاب المقدس الذى لا يزال وبعد قرابة الف واربعمائة عام - يهز بآياته الكريمة كل سامعيه وحتى من لا يفهمون العربية يهز وجدانهم لسماعه. وقد اصبحت هذه الكلمات المقدسة هى العبادة والابتهال والسلوى من الاحزان وعماد العلوم للملايين من البشر.

■■ ويؤكد الحاج جرمانوس ان جوهر الدين هو المعرفة وبدونها لا يمكن ان يعرف الانسان ربه ويؤدى واجبه الدينى.

الصلاة فى عهد الجاهلية واليوم

وتحدث الحاج جرمانوس فى بعض مقالاته عن العادات والتقاليد الدينية التى كان يمارسها العرب فى الحرم المكى فى عهد الجاهلية وقال: (كانوا فى تلك العصور، يقدرون الاشخاص الذين ذاع صيتهم نتيجة لمميزات جسدية او عقلية، فكانوا يطوفون حولهم سبع مرات، وفى ايام الوثنية ايضا كانوا يطوفون بالحجر الاسود فى الكعبة الشريفة فى مكة سبع مرات فى الشهر الحرام تعبيرا عن احترامهم، وفى حالة انقطاع المطر كانوا يبتهلون الى نجوم السماء ان تبارك اراضيهم الجافة بهطول الامطار. وباستثناء هذه الشعائر فإن العرب فى الجاهلية لم يمارسوا اى نوع من انواع الصلاة المنتظمة قط. وقد فرضت الصلاة كأحد أهم اركان الاسلام ولازالت حتى يومنا هذا واحدة من اهم مظاهر الايمان بالعقيدة، واذا كانت الصلاة تقوم على التلفظ بكلمات استهلال مغينة، فان لب الصلاة ليس فى الالقاء الآلى للنصوص بدون ادراك لمعانى الكلمات، وليست الصلاة مجرد

تحريك للفم واللسان، وانما جوهر الصلاة هو في التفهم التام والكامل لكل كلمة، ففي الادراك الكامل للكلمات والاحساس بمعانيها تكمن القوة التي توحي للمؤمن بواجباته.

كيف يقضي جرمانوس اوقات حياته؟

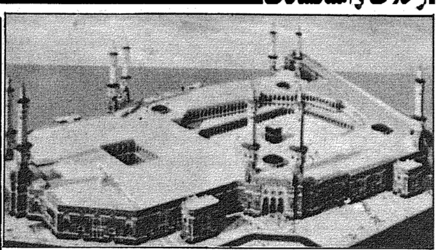
قام الاستاذ المصري السيد محمد العزب موسى بزيارة تفقدية للحاج جرمانوس في منزله في بودابست ووجه اليه عدة اسئلة لها علاقة بحياته، اجاب عنها بمنتهى الصراحة، سأله ما كل هذه الكتب؟ اشعر كأنني داخل مكتبة عامة كبيرة؟ اجابه جرمانوس بابتسامة وقال: هي فعلا مكتبة تبدو كبيرة ولكنها خاصة.. انها كتبي التي جمعتها في كل مراحل حياتي وانفقت عليها كل ما املك.. انها ثروتي الوحيدة وارثي من بعدي رغم أني ليس لي اولاد يرثونني - اولادي هم الطلبة والمثقفون ولهم اترك هذه الكتب من بعدي.

■ ثم قال للحاج جرمانوس وهو يتظاهر بالدهشة.. ولكن هل قرأت هذه الكتب كلها؟ وبأي اللغات هي؟ اجابه جرمانوس في هدوء وطمأنينة وثقة بالنفس: بالطبع لقد قرأتها جميعها هي وغيرها من الغلاف الى الغلاف وبعضها قرأته مرتين او اكثر وهي بمختلف اللغات التي استطيع فهمها. وقد جمعتها من مختلف انحاء العالم. لقد تعلمت اكثر من ٢٠ لغة حديثة وقديمة، شرقية وغربية منها: المجرية، العبرية، الامهرية، التركية، والفارسية، ولكني مع تقدم السن وعدم الاستعمال ثقل علي التفاهم بكثير من هذه اللغات ومنها اللغة العربية، رغم انها الاثيرة والمفضلة لدي، فأنا لا استطيع الحديث بها ولكني اجيدها قراءة وكتابة.

رحلته الى مكة المكرمة

منذ ان قال له محمد اقبال: ان الاسلام يجب ان تشرق شمسه من جديد في مكة المكرمة وهو يتطلع بشوق وتلهف الى زيارة هذه المدينة المقدسة، فتشاء الاقدار الآلهية ان تجعل حلم هذا المجرى المسلم حقيقة واقعية ملموسة لا خيالا فيقوم بزيارة مكة المكرمة ويؤدي مناسك الحج في جو ديني رائع مع الحجاج المسلمين.. كله خشوع وابتهال. وبهذه المناسبة الدينية الف رحلته الى الحج المشهورة (الله اكبر) التي ترجمت الى عدة لغات في العالم ونالت اقبالا منقطع النظير من طرف القراء وفي احدى فصول هذا الكتاب يصف جرمانوس شعوره الديني الفياض في مكة المكرمة ويقول: (أذّن الفجر، الله اكبر، فنهضت من نومي وسمعت حركة رفاقي في الغرفة اذ يتهيئون للصلاة فتوضأت وصليت ركعتين، ثم وصلت الى الكعبة المقدسة، وفي تلك الدقيقة انفتح امامي منظر سماوي اذ شاهدت هذه البناية العظيمة تكسوها شقق الديباج، وحولها من النساء والرجال امواج ونشيد (الله اكبر) هو الرباط الذي ينتظمنا جميعا، ويوحي للدنيا شعورا جديدا، يخلقنا خلقا جديدا، فتحولت من انسان دنيوي الى مؤمن مفكر استشعر عظمة الله ورفض الحياة، ووقفت اقول لنفسي: كم مرة قرأت وصف هذا البيت، وكم صورة رأيتها له، وكم عرفت مقاييسه





وعرضه وارتفاعه؟ ولكن الواقع ان كل ما قرأته لم يكن ليمت بصلة الى تلك المشاهد التى أراها.. فالكعبة الحقيقية ليست مادة تقاس بمقياس انها هى رمز معان دينية روحية عليا، لا يكاد المرء يمثل امامها حتى تتجلى عن عينيه غشاوة الغفلة عن اكبر معنى من معانى الوجود وهو وحدانية الله تعالى وسمو العالم الروحى على العالم المادى.

■■ ان مشهد وطواف حجاج بيت الله الحرام حول الكعبة المشرفة وهم يذرفون دموع التوبة والندم.. وقلوبهم منكسرة حزينة.. وعيونهم باكية شاخصة الى السماء يرددون لبيك اللهم لبيك وحدك لا شريك لك».. اوحى الى جرمانوس ان يكتب فى كتابه المذكور فصولا وصفية حية عن هذا الطواف الدينى عبر فيها عما يختلج فى صدره من احساس دينى عميق ويقول فى احدى تلك الفصول: «رفعت يدى الى السماء مكررا ما يقول المطوف واخذت استعرض امواج الطائفين، هؤلاء من جاوة تقدموا وعيونهم ملأى بالعبرة، وهؤلاء قوم (تتاريون) شقوا الطريق بعضلاتهم القوية، واولئك الصينيون تبدو عيونهم مثل اللوز. وقد اظهرت ملامحهم براءة الطفولة، وطهارتها ووراءهم الافغان بلحاهم الطويلة وقد جروا حول الطواف كأنهم غزاة فى ميدانهم، وخلفهم الهنود يكررون دعاء المطوف حرفا بحرف متكبدين صابرين، وهنالك النساء فى اكسيتهن البيض يزدحمن فى محاذرة، فليس فى هذه الساعة رجال ونساء ولكن ارواح مؤمنة متدينة تستوهب من الله الرحمة والغفران فى هذه الساعات الفاضلة.

تآليفه

بلغت تآليفه ما بين بحث ومقالة وكتاب حوالى (١٣٢) شملت ميدان اللغة والادب والاسلام والتاريخ نذكر بعضا منها كما يلى:

- الادب العثمانى (١٩٠٦) بالالمانية.
- تاريخ الجامعات فى المجر بعد الفتح التركى.
- الحركات الحديثة فى الاسلام (١٩٣٠).
- الادب التركى الحديث (١٩٣١).
- دور الاتراك فى التاريخ الاسلامى (١٩٣٣).
- الله اكبر - وهى رحلته الى مكة المكرمة.
- شوامخ الادب العربى.
- دراسات فى التركيبات اللغوية العربية.
- ابن الرومى (١٩٥٧).
- نهضة العروبة.
- الادب العربى الحديث وادباؤه المعاصرون (١٩٧٩).

وفاته

توفى رحمه الله عن سن يناهز ٩٥ سنة ويعتبر من الرحالة الاوروبيين المسلمين الذين جندوا اقلامهم ومواهبهم للتعريف بعبقرية الفكر الاسلامى وبمزايا

الادب العربى ويصدق فيه ما قاله المرحوم الكاتب الكبير محمود تيمور؛ «ان رحلة هذا المستشرق الغربى كانت رحلة من اجل دراسة الاسلام، وهى تظهر ان عبد الكريم جرمانوس كان فى اثناء هذه الرحلة من العلماء الذين خدموا الاسلام وخدموا الثقافة الاسلامية.

رحلة محمد اسد المستشرق النمساوى

الاجانب الذين قاموا برحلات الى بلاد الجزيرة العربية فى مختلف العصور للبحث عن الايمان كثيرون.. منهم من اعتنق الاسلام بعد دراسة واقتناع عن صدق طوية ظاهرا وباطنا.. ومنهم من بقى على دينه وملته يخدم الاستعمار والصهيونية عن طريق بعث التقارير والمذكرات السياسية السرية من اجل بلوغ مصلحته الشخصية من مال وجاه وشهرة.

بلاده وبداية امره

ومن اولئك الرحالة الاجانب الذين زاروا بلاد الجزيرة العربية واعتنقوا الاسلام ليوبولد فايس الذى سمى نفسه (محمد اسد) وهو يهودى العرق نمساوى الاصل ولد فى فينا بالنمسا سنة ١٩٠٠م، وكان والده يعمل محاميا وحاخاما من اكبر اغنياء اليهود، كثير البحث فى موضوعات ما وراء الطبيعة مع رجال الدين والفكر، وكان يؤهل ابنه ليكون اما طبيبا او حاخاما مثله، لكن الطفل كانت به ميولات منذ الصبا الى حب المغامرات، وقد عاش طفولته فى المدينة البولونية (لو) المعروفة بـ(لمبرج) التى كانت تابعة انذاك للنمسا، وقام فى هذه السن المبكرة من طفولته برحلات استطلاعية مع والده الى فينا وبريت وجبال الالب وغابات بوهيميا، وبحر الشمال وبحر البلطيق، ساعدته على تفتح ذهنه وغرست فى نفسه غريزة البحث والملاحظة وعند بلوغه الثالثة عشرة من عمره استطاع ان يتعلم العبرانية ويفهم الآرامية مما سهل عليه فيما بعد تعلم اللغة العربية.

دراسته

درس العهد القديم ونصوص التلمود وشروحها والفروق والاختلافات القائمة بين تلمود بابل وتلمود القدس. وخلال دراسته للديانة اليهودية لاحظ ان الذى يمثله العهد القديم والتلمود يهتمان بالطقوس الدينية المفروضة على شعب الله المختار. وباله مشغول بصورة غريبة بمصير امة واحدة معينة هى امة اليهود، وفى هذا يقول: «ان تأثير تلك الدراسات المبكرة التى قمت بها كان عكس ما قصد بها، اذ انها ابعدتنى عن دين آبائى واجدادى بدلا من ان تقربنى اليه».

وظل ينظر الى الديانة اليهودية بأنها سلسلة من الانظمة والاصول التقليدية الجامدة ومن اجل ذلك لم تستهوه هذه الديانة وابتعد عنها ولم يشعر بأى ميل وتجاوب نحوها وصار يبحث عن دين جديد.

■■ لم يكمل دراسته الجامعية وجذبته مغامرات الرحالة الاوروبيين الذين زاروا مكة المكرمة وادوا فريضة الحج، وتركوا للاجيال القادمة رحلاتهم المثيرة الى الجزيرة العربية دونوا فيها مشاهداتهم وملاحظاتهم وارتساماتهم عن الجزيرة، ولبلوغه الى هذا الهدف قرر دراسة الاسلام دراسة عميقة حتى يستطيع الدخول الى الاراضى المقدسة. وعن المصادر التى اعتمد عليها فى دراسته الاسلامية قال: «لقد درست القرآن الكريم وحديث الرسول عليه السلام.. لقد درست لغة الاسلام وتاريخ الاسلام وكثيرا مما كتب عنه او كتب فى الرد عليه.. وقد قضيت اكثر من خمس سنوات فى الحجاز

ونجد ـ واكثر ذلك في المدينة ـ ليطمئن قلبي بشيء من البيئة الاصلية للدين الذي قام النبي بالدعوة اليه فيها. وبما ان الحجاز ملتقى المسلمين من جميع الاقطار تمكنت من المقارنة بين اكثر وجهات النظر الدينية والاجتماعية التي تسود العالم الاسلامي في ايامنا هذه . هذه الدراسات والمقارنات خلفت في «العقيدة الراسخة «أن الإسلام من وجهته الروحية والاجتماعية لا يزال بالرغم من جميع العقبات التي خلفها تأخر المسلمين اعظم قوة نهاضة بالهمم عرفها البشر).

الاعمال التي مارسها

وكان يتطلع كثيرا الى ما يطمع اليه شباب عصره وهو العمل والمغامرة وكل ما يثير النفس، وسعيا وراء بلوغه هذه الغايات مل الدراسات الجامعية وانقطع عنها. وبدأ يبحث عن فرص العمل والمجد والشهرة، وشارك في كتابة سيناريو عدة افلام سينمائية في بداية حياته العملية، وعمل كناقل اخبار بالتلفون الى المقاطعات، واشتهر امره باذاعة خبر حلول زوجة ستالين باوروبا في مهمة اجتماعية سرية، ثم عمل صحافياً في القدس واصبح مراسلا لصحيفة (فرانكفورتر الجماين زيتونج) ولبعض الصحف الاوروبية، وتوجه الى الهند، واجتمع بالفيلسوف الاسلامي محمد اقبال الذي حثه على البقاء في باكستان لمساعدته في تأسيس دولة باكستان الاسلامية، التي كانت كما ـ يقول محمد اسد ـ (حلما يراود مخيلة محمد اقبال)، وعندما انشئت دولة باكستان دعته الحكومة الى تنظيم دائرة احياء الاسلام لتشاد عليها اسس الدولة الحديثة.

اسس في باكستان مجلة (عرفات)، وتولى رئاسة معهد الدراسات الاسلامية في لاهور، وعين وزيرا مفوضا لباكستان لدى الامم المتحدة، وعينته الحكومة الباكستانية رئيسا لقسم الشرق الاوسط في وزارة الخارجية بعد ما قدم استقالته من وزارة الخارجية سنة ١٩٥٢. وتفرغ للبحث

صورة محمد اسد المستشرق النمساوي بالزي العربي.



والتأليف وتزوج بفتاة امريكية اعتنقت الاسلام، وعاش ردحا من الزمن في مدينة طنجة بالمغرب في اواخر حياته ثم انتقل منها للعيش في سويسرا.

رحلته الى مكة المكرمة

■■ اعلن اسلامه في مكة المكرمة سنة ١٩٢٧، حظي بمقابلة ورضى الملك الراحل عبد العزيز آل سعود، الذي طلب منه ان يؤذن له في القيام برحلات استطلاعية لشبه الجزيرة العربية فأذن له في ذلك.

■■ أدى محمد اسد فريضة الحج سنة ١٩٢٧م صحبة زوجته على متن باخرة كانت تنقل حجاج افريقيا الشمالية من مصر الى جزيرة العرب مرورا بالبحر الاحمر عبر خليج السويس، وقد رست الباخرة في ميناء جدة ونزل منها محمد اسد وجال في اسواق المدينة متفقدا احوالها للتعرف على بضاعتها وتجارتها ويصف مشاهدته في جدة ويقول: «عندما مشيت لاول مرة في سوق جدة ورأيت مزيجا سائبا وتكرارا غير منتظم لما يلاحظه المرء في اماكن اخرى من الشرق على جانب اعظم من الكمال، كانت السوق مسقوفة بالالواح وقماش الاكياس



■صورة لوسط جده القديمه.



وقاية من الحر اللاهب، ومن بين الثقوب والسقوف كانت اشعة الشمس الانيسة تنساب فتطلى نورا لغسق بنور الذهب. مطابخ مكشوفة امامها كان الاولاد يشوون قطعا من اللحم على سياخ فوق فحم متقد، ومقاه فيها الاوانى النحاسية المصقولة والمقاعد المصنوعة من جذوع النخل، وحوانيت صغيرة ملأى بالاثواب الاوروبية والشرقية. فكان المكان حرارة رطبة ورائحة سمك وغبار فى كل مكان، جماهير من الناس، ـ الحجاج ـ لا عد لهم ولا حصر فى ثياب الاحرام.

■■ ومن جدة يذهب الى مكة المكرمة راكبا على متن سيارة وقت زمانه (الهوادج) تسير فى موكب مهيب من الحجاج من مختلف الاجناس، كان الرجال يهللون ويسبحون ويكبرون. والنساء يصحن ويزغردن. ويسجل هذه الرحلة ويقول عنها: «كان الحجاج يرددون (لبيك اللهم لبيك) او تنشد فلاحة مصرية نشيدا فى مدح الرسول، وعندئذ تطلق فلاحة اخرى صيحة سرور تدعى فى مصر (زغروطة) وفى جزيرة العرب (غطرفة) تطلقها نساء العرب فى جميع المناسبات البهيجة مثل الزفاف والولادة والطهور والحفلات الدينية، وطبعا الحج).

وعند بزوغ خيوط الفجر ظهرت للقافلة اول بيوت مكة المكرمة وكانت تشبه بيوت جدة فى بنائها ولونها. ويتحدث عن تلك البيوت ويقول: (كانت البيوت تشبه بيوت جدة بنوافذها البارزة وشرفاتها المحصورة، ولكن الحجارة التى كانت مبنية منها، كان يبدو انها اثقل وزنا واضخم جسما من حجارة جدة المرجانية الخفيفة اللون).

●● ثم ينقل لنا صورا حية ناطقة عن الحجاج ويقول عنهم: «فقد كانت الجماهير غفيرة جدا فى الشوارع بحجاج لا عد لهم ولا حصر بلباس الاحرام، وآخرون ارتدوا مؤقتا ثيابهم العادية ـ ثيابا من جميع ارجاء العالم الاسلامى، وسقاة منحنون فوق قربهم او تحت ذات اجراس الرنانة كاز قديمة تستخدم بدلا من الدلو وسقائي حمير من حميرهم ذات الاجراس الرنانة وسرجها البهيجة المبهرجة، ومطايا قادمة من الجهة المقابلة محملة بالهوادج الفارغة تصيح بنغمات مختلفة. ولقد كان هنالك هرج ومرج وضوضاء عظيمة فى الشوارع الضيقة بحيث يخيل اليك ان الحج لم يكن يحدث سنويا منذ قرون، بل مفاجأة لم يكن الناس قد اعدوا لها عدتها ولم تعد قافلتها قافلة بمعنى الكلمة بل خليطا مضطربا من الابل والهوادج والامتعة والحجاج وسائقى الجمال والضجيج.

■■ تجول محمد اسد فى شوارع مكة المكرمة والحرم المكى ورأى هذه المدينة مكتظة بالحجاج المسلمين من مختلف الاجناس اتوا اليها من شتى بقاع العالم، وينقل لنا ارتساماته عن المسجد الحرام ويقول: «خرجت الى المسجد الحرام. فمشينا خلال الشوارع المكتظة الصاخبة، ومررنا بحوانيت القصابين وقد علقت امامها صفوف الخرفان المسلوقة،



وباعة الخضار وقد نشروا بضاعتهم فوق حصائر من قش فرشت على الارض». وفى الحرم المكى رأى معرضا كبيراً تعرض فيه جميع نماذج انواع البشر الساكنين فى الكرة الارضية وهم يلبسون لباسهم الوطنى التقليدى، وقد رسم لباس تقاليد كل جنس وما يمتاز به الشخص من خصال وشيم وخاصة فى عبارات وصفية حية تجعلنا نعيش مع هؤلاء الاجناس ونتعرف على هواية كل واحد منهم من خلال زيه وملامحه الخاصة وفى ذلك يقول:

«وكان هناك ايضا اناس من جميع الاجناس والهيئات، بعضهم يلبسون العمائم وبعضهم مكشوفوا الرؤوس، بعضهم يمشون صامتين وقد احنوا رؤوسهم. ولربما امسكوا المسابح بأيديهم وغيرهم يهرولون بخفة بين الجماهير.. صوماليون ذوو اجسام سمراء تلمع كالنحاس من بين ثنايا اثوابهم الشبيهة بالشملات التى كان يشتمل بها الرومان واليونان.. وعرب ذوو قامات مائلة ووجوه ضيقة وسمات شماء.. وتركستانيون مكتنزون غلاظ الاطراف من بخارى، ظلوا يرتدون رغم هذا القيظ الشديد فى مكة قفاطينهم المصرية وجزماتهم الجلدية الطويلة التى تبلغ الركبتين.. وفتيات من جاوا لوزيات العيون غير محتجبات.. ومراكشيون يخطرون ببطء واعتزاز فى برانسهم البيضاء.. ومكيون بأثوابهم البيضاء ورؤوسهم المغطاة بالطاقيات الصغيرة.. وفلاحون مصريون على وجوههم اثار الحماسة.. وهنود باثوابهم البيضاء وعيونهم السوداء تتطلع من تحت عمامات ضخمة بلون الثلج.. وهنديات تغطى البستهن البيضاء اجسامهن جميعا فلا يمكن للناظر ان ينفذ اليها.. وزنوج ضخام من تومبوكتوا وداهومى يرتدون البستهم النيلية الزرقاء وطاقياتهم الحمراء.. وسيدات صينيات رقيقات البنية كالفراشات المطرزة يمشين برشاقة على اقدام صغيرة تشبه حوافر الغزلان.. هرج ومرج وضجيج وعجيج من كل جانب بحيث تشعر انك وسط امواج متكسرة وتستطيع ان ترسم بعض خطوطها ولا تستطيع ان تأخذ لها ابدا صورة كاملة ـ كان كل شيء يطفو وسط ازيز من لغات لا تحصى وحركات سريعة الى ان وجدنا انفسنا فجأة امام احدى بوابات الحرم).

ولاول مرة فى حياته تظهر له فى حلة مهيبة الكعبة المشرفة، قبلة المسلمين فى العالم وامنية الحجاج التائبين وبسمة المذنبين، وفرحة البكائين، وسرور المحزونين، فيخفق قلبه فيقول عنها: «هذه اذن الكعبة، التى كانت ولاتزال محط اشواق الملايين الكثيرة من الناس قرونا عديدة. ان حجاجا لا يحصون ولا يعدون قد بذلوا تضحيات عظيمة عبر العصور للوصول الى هذه المحجة، فمات الكثيرون على الطريق وبلغها الكثيرون منهم بعد مشقة كبرى، وفى اعينهم جميعا كان ذلك المبنى المربع الصغير ذروة آمالهم وغاية احلامهم).

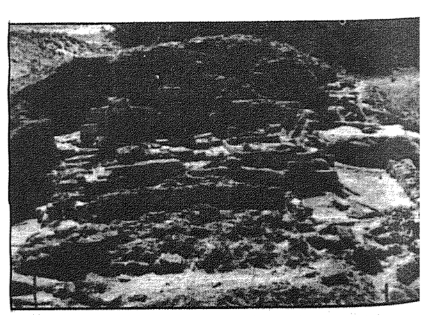
وخلال تأدية فريضة الحج مرضت زوجته وتوفيت ودفنها فى مكة المكرمة وحزن على وفاتها حزنا كبيرا.

حب لطبيعة الصحراء

اصبح مع مرور الزمن بحكم عيشه فى الجزيرة العربية وقيامه برحلات عديدة فى صحرائها ومسالكها، من انصار حب الطبيعة والمدافعين عن جمالها، والمغرمين ببساطة الحياة فى

صحرائها، والعيش بين خيامها ورمالها وجمالها مع العرب البدو الرّحل حياة صحراوية متواضعة لازيف فيها ولا تصنع كلها بساطة وبراءة.

وهو يتأسف ويتفجع بحسرة ولوعة على اندثار معالم هذه الحياة الصحراوية الاصيلة من الجزيرة العربية، وطغيان المادة فيها حيث يقول: «ان الجزيرة العربية التى سأرسم صورتها فى الصفحات التالية قد زالت من عالم الوجود، لقد تحطمت عزلتها ووحدتها تحت نهر قوى من النفط والذهب الذى جلبه النفط، لقد تلاشت بساطتها العظيمة، كما تلاشى معها الكثير ممن كان نسيج وحده فى عالم الانسان» ويذكرنا دفاعه القوى عن الطبيعة فى الصحراء، وحبه لها، بدفاع «روسين» الذى كان مغرما بحب الطبيعة الى حد المغالاة والافراط - ويحكى عنه انه قال يوما مخاطبا اعداء الطبيعة من بنى قومه: «انكم احتقرتم الطبيعة وكل ما تثير فينا مناظرها من نبل الشعور». وطيلة حياته حارب كل المشاريع المقرر انجازها فوق الاماكن الطبيعية الجميلة. ورفع دعاوى امام المحاكم فى هذا الصدد ضد الشركات. ولما فهمت الحكومة دعوته النبيلة ساندته فأنتشرت دعوته الرامية الى المحافظة على جمال الطبيعة فى ربوع بلاده، ويا حبذا لو تأسست فى البلاد العربية جمعيات المحافظة على الطبيعة لها اهداف (روسين).



موقع قصر الحمراء بتيماء (صورة جوية)

زيارته بلدة «تيماء»

اغتنم محمد أسد وجوده فى الجزيرة العربية وقام بزيارة استطلاعية الى بلدة «تيماء» التى تعتبر من المآثر التاريخية بالسعودية وهذه البلدة تبعد عن مدائن صالح الاثرية حوالى مائة كيلو متر مربع، وفيها يقع قصر السموأل بن عاديا الاسرائيلى التى يزعم القصاصون ان الشاعر الملك الضليل امرأ القيس ترك فيه درعه

امانة حتى يعود من رحلته الى ملك الروم، وفى بلدة تيماء يقول الشاعر المذكور:

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة
ولا اطمأ الا مشيد بجندل

■ زار محمد اسد بلدة تيماء هذه وقال فيها: «تيماء التى ورد ذكرها فى العهد القديم والتى قال عنها اشعيا: لقد كان مكان ارض تيماء يجلبون الماء الى كل من به ظمأ».

رحلته الى الربع الخالى

وبعد زيارته بلدة تيماء، تشتاق نفسه المغامرة الى رؤية صحراء الربع الخالى الشاسعة الاطراف التى قل من لم يزرها من الرحالة الاوروبيين الوافدين على بلاد الجزيرة العربية لتطلعهم الى اكتشاف آثار مدينة قوم عاد المطمورة بين الرمال الوارد ذكرها فى كتب القصص القديمة وفى حوار متبادل مع زيد يقول محمد أسد عن الربع الخالى «وهل تذكر يازيد رحلتنا الاولى معاً الى قلب جزيرة العرب جنوبا نحو النخيل، وحقول القمح فى وادى بيشة، ومن هناك الى رمال الرابية التى لم يطأها غيرى عربى قبل ذلك؟ كيف لا أذكرها يا عمى (يعنى محمد اسد) لقد كنت جد مشتاقا لرؤية الربع الخالى حيث الجن تجعل الرمال تغنى تحت الشمس. وما قولك باولئك البدو الذين يعيشون على حافته، والذين لم يسبق لهم ان رأوا الزجاج فى حياتهم وظنوا ان نظارتيك انها كانتا من ماء متجمد؟ لقد كانوا كالجن انفسهم، يقرأون الآثار فى الرمال كما يقرأ سائر الناس الكتب ويعرفون من السموات والهواء موعد العاصفة الرملية قبل هبوبها بساعات.

فكان اعيش فى خلوتى وعزلتى بعيداً عن [illegible] ليس لى تسلية سوى
قراءة الكتب العربية والتعليق عليها فى مجلات شتى فقد انتقدت [illegible] كتاب
عن شعراء اليمن ونحوه المجمع العلمى العربى [illegible]
فكتبت مقالاً لمجلة الاصالة [illegible] وسوف يظهر
بعد وقت ما طلب رئيس التحرير [illegible] اللغة العربية [illegible]
التى اشتغل بلا انقطاع [illegible] ٦٢ عاماً [illegible]
[illegible] من قبل اخوانى [illegible]
[illegible]

خط عبد الكريم جرمانوس بالعربية.

لقائى محمد اسد

■■ استهوتنى مغامرات هذا المستشرق النمساوى واعجبت بدفاعه القوى بالحجج الدامغة عن الاسلام باللغة التى يفهمها الغرب، وحين علمت باستقراره بمدينة طنجة قررت الذهاب اليه بنفسى للتعارف عليه بمنزله الكائن بالجبل صيف ١٩٨٣م وبعد اتصالى به هاتفيا حدد لى موعد زيارته يوم الاحد على الساعة الثالثة زوالا وفى نفس اليوم والساعة المحددتين التقيت به وجها لوجه، ورأيته رجلا مسنا طويل القامة نحيف الجسم ذا عينين زرقاويتين تبدو على وجهه ملامح الشيخوخة والعياء وآثار السنين والتجارب، وهو يجيد التحدث بالعربية وبعدة لغات اخرى.



■■ ولما دخلت منزله لفت نظرى على طاولة مكتبه صورة الملك الراحل عبد العزيز آل سعود وهى مهداة اليه بخط يديه وحينما رآنى انظر اليها وامعن فيها النظر والتحقيق اخذها بيديه وقال لى: لقد كان هذا الملك فى حياته انسانا عظيما، وقد شاءت الاقدار الإلّهية ان تربطنى معه بصداقة قوية خلال وجودى بالسعودية اعتز بها الآن بعد رحيله. واثناء جلوسنا معا دار حديثنا فى مواضيع شتى لها علاقة بمؤلفاته المطبوعة والمخطوطة وباحوال المسلمين فى الماضى، الذين كانوا يعيشون فى عز وسؤدد فى ظل الدولة الاسلامية وما صاروا اليه اليوم من انحلال واختلاف بسبب فقدان الخلافة الاسلامية وابتعادهم عن تطبيق الشريعة الاسلامية والعمل بها حتى اصبحت امتنا امة اقوال لا امة افعال، وقد اظهر تأسفه على الاختلافات السائدة فى الساحة العربية الآن التى تنخر جسم الامة الاسلامية وتهدد وجودها بالانهيار الكلى، وهو يرى ان وحدة الامة وقوتها تكمن فى الرجوع الى الكتاب والسنة فهما فى نظره خير علاج لجميع الامراض التى تعانى منها الامة الاسلامية منذ سنين كثيرة.

■■ وقد اطلعنى على ترجمته للقرآن الكريم الى الانجليزية المطبوع فى مجلد كبير، وهذه الترجمة احتوت على آيات قرآنية مطبوعة بحروف عربية مشكلة، وفى حاشيتها شرح الآيات القرآنية بالانجليزية ـ واخبرنى انه استغرق فى انجاز هذه الترجمة مدة خمسة عشر سنة تقريبا، رجع فيها الى امهات كتب التفسير العربية.

تآليفه

له عدة تآليف مطبوعة اهمها:

(١) فى طريق مكة او الطريق الى الاسلام: وهو كتاب رحلاته يسجل فيها سيرته الذاتية وقصة دخوله فى الاسلام، وتجاربه ومغامراته فى بلاد الجزيرة العربية، وجولاته عبر مختلف بلدان العالم، يقع فى نحو ٥٠٠ صفحة وتُرجم لأهميته الى بعض لغات العالم.

(٢) الاسلام على مفترق الطرق: دراسة مختصرة شاملة عن الاسلام حلل فيها المؤلف الاسلام تحليلا علميا عجيبا دل على معرفته بامور الدين وشؤون المسلمين فى العالم. حيث تمكن ان يطلع على حقيقة الدين الاسلامى وسر قوته وتأخره، مما جعله يؤمن بأفضلية الاسلام على سائر الديانات والفلسفات والنظم المدنية السائدة فى عصرنا.

(٣) منهاج الاسلام فى الحكم: وهو دراسة قيمة يعرف موضوعها من عنوانها لا تقل اهمية عن الدراسة الاولى.

(٤) ترجمة القرآن الكريم وصحيح البخارى: ترجم كما قلنا القرآن الكريم الى الانجليزية وقد اطلعنى على هذه الترجمة ـ كما انه ترجم صحيح البخارى الى الانجليزية لم اطلع على هذه الترجمة.

﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾

■ حظيت تآليفه المذكورة باقبال القراء وتهافت دور النشر على طبعها عدة مرات لرواجها. وهو في نظرى آخر الرحالة الاوروبيين في قرننا الحالى الذين زاروا بلاد الجزيرة العربية اذ ان الرحالة بالمفهوم المعروف الذى كان يهتم بالوصف والتحليل والنقد لما يشاهده من مواقع ومشاهد وشعوب وقبائل ويدرس بامعان وتعمق ثقافات وعادات وديانات الشعوب والحضارات القديمة والحديثه أخذ الآن للأسف بالاختفاء بالمرة ليحل محل (المسافر) أو (السائح المتجول العادى) الذى يركب الطائرات النفاثة ليختصر المسافات والاوقات خوفا من مشقة الطريق ومعاناة اهوال السفر، ويسير حسب برنامج مخطط معلوم يزور فيه الاماكن والمآثر التى يحددها له (دليل السائح) مما ادى بالفعل الى نهاية ادب الرحلات المثيرة والعجيبة التى كانت فتحا جديدا في عالم الاكتشافات الجغرافية عبر مختلف العصور ساعدت على بناء الحضارة الانسانية.

الكاتب في سطور

■ احمد بن علال البخلاخى البقبوى (ابن الريف)

● من المملكة المغربية - مدينة طنجة.

● مفكر وباحث له مجموعة من البحوث والدراسات عمل في تحقيق بعض المخطوطات له جمهرة من المؤلفات المطبوعة منها:

- خطر المبشرين في المغرب ١٩٨٠م
- الجيل الضائع (الهيبين) فلسفته وخطره ١٩٧٢
- أبو يعقوب البادسى ١٩٧٣.

■ ومن مؤلفاته المخطوطة:

● المفكر المغربى التهامى الوزانى كما عرفته

● خلاصة تاريخ طنجة من العهد الرومانى إلى عهد الحسن الثانى.

● مأساة انهيار الخلافة العثمانية الاسلامية على يد الماسونية الصهيونية.

الهوامش

(١) في ايضاح المكنون.. المبجلة بدل المكملة.

(٢) ذكر ذلك حاجى خليفة في كشف الظنون ج١ ص ٨٢٨.

(٣) وفى الاعلام ج٤ ص٤٦ توفى عام ١٠٧١هـ.

(٤) لعل الصواب كتابه المسمى (القرى لمقاصد ام القرى) الوارد في هدية العارفين واسماء المؤلفين ج٥ ص١٠١.

(٥) انظر (البرتغاليون والبحر الاحمر) د. سعد زغلول عبد ربه - مجلة الدارة - العدد ٢.

(٦) انظر كتابه (اليمن شماله وجنوبه وتاريخه وعلاقته الدولية) ص١٤٨.

(٧) انظر كتاب (مراجعات حول العروبة والاسلام وأوروبا) د. محمود السمره العربى.

(٨) اكتشاف جزيرة العرب - تأليف الباحثة جاكلين ليديه.

(٩) صوابه ابكستر، مسقط رأس الرحالة.

(١٠) أنظر بحثه القيم: الرواد الرحالة في شبه جزيرة العرب، المنشور في مجلة الفيصل في عددها (٩). (١١) الصواب صلاة المغرب. (١٢) مجلة الفيصل العدد (٩١).

(١٣) كتابه (تانزانيا) سلسلة مواطن الشعوب الاسلامية في افريقيا ٢٤١ مطبوعات مؤسسة الرسالة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

(١٤) في كتابه (الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى) سلسلة كتاب الأمة.

(١٥) محمد راسم اكبر الفنانين التشليليين في العالم، ولد في ٢٤ يونيو ١٨٩٦م في حى القصبة في الجزائر وتوفى ٢١ مارس ١٩٧٥م نالت رسومه التاريخية المنمقة الدبعة شهرة عالمية.

(١٦) ترجم له صاحب الاعلام ولم يذكر تاريخ ميلاده، وسماه (دينيه) وهو (رينيه).

(١٧) انظر كتابه (قصص الأنبياء).

(١٨) انظر كتابه (المبتدأ والخبر) ج٢ ص٧١.

(١٩) كتابه (العرب قبل الاسلام).

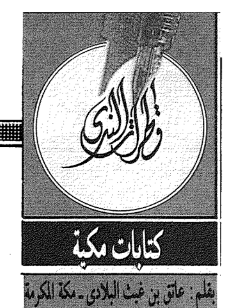
(٢٠) سموئيل كرامر - السومريون - ص٣٣ وما بعدها.

(٢١) من المرجح ان رثاء الشاعر للمدينة كان اثر احتلال العيلاميين لها ٢٠٠٦ ق.م. وقيامهم بتدميرها تدميراً كاملاً أدى الى انقراض حكم السومريين منها نهائياً.



فهرس المراجع

● الاعلام ـ لخير الدين الزركلي ٨ اجزاء . ● هدية العارفين واسماء المؤلفين ـ للبغدادي .
● ايضاح المكنون ـ للبغدادي . ● كشف الظنون ـ حاجي خليفة .
● الكشافات التحليلية للمجلدات الخمسة الاولى ١٩٧١ ـ لمجلة المورد اعداد عوض محمد الدوري .
● المخطوطات التاريخية في الحرم المكي ـ اعداد د. محسن جمال الدين دعوة الحق العدد ٧ .
● مقدمة ابن خلدون .
● المورد الاعداد التالية : المجلد ٧ العدد ١ والمجلد ٧ العدد ٢ والمجلد ٧ العدد ٣ والمجلد ٨ العدد ١ .
● اليمن شماله وجنوبه وتاريخه وعلاقته الدوليه ـ محمد كامل .
● البرتغاليون والبحر الاحمر ـ محمد زغلول عبد ربه ـ الدارة العدد ٢ .
● العرب قبل الاسلام ـ جورج زيدان .
● المغرب الاقصى ـ امين الريحاني .
● مكة المكرمة وتاريخها ـ محمد الوزان ـ المسلمون العدد ٣٠ .
● الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ـ د. محمود حمدي زقزوق .
● المستشرقون ـ لعقيقي .
● الترجمانة الكبرى في اخبار المعمور برا وبحرا ـ للزياني .
● حول مقال عليه بيه الجاسوس الاسباني بالمغرب ـ محمد الخطيب دعوة الحق بتاريخ اكتوبر نوفمبر ١٩٨٢ .
● من هو علي باي ـ عبد القادر الخلادي جريدة صوت طنجة العدد ٢٢٦٠ .
● من هو علي باي؟ صحيفة جريدة طنجة العدد ٢٢٦١ .
● هدم تمثال علي باي واجب وطني ـ ابو منذر جريدة طنجة بتاريخ سبتمبر ١٩٨٤ .
● مكتشفو جزيرة العرب في عهد النهضة حتى العصر الفيكتوري ـ تأليف زاره فريت وفيكتور وينستون ـ عرض وتعليق د. عبد الوهاب الحكمي الفيصل العدد ٧٢ .
● الرواد الرحالة في شبه جزيرة العرب ـ شريف يوسف الفيصل العدد ٩١ .
● السعودية العربية في القرن التاسع عشر ـ وليلي ويندر عرض احمد فؤاد متولي الفيصل العدد ٩١ .
● ومن دخله كان آمنا ـ الامه العدد الصادر في سبتمبر ١٩٨٣ .
● اكتشافات واستكشافات ـ تأليف ارفيج روبين ـ تعريب د. انور محمود عبد الواحد .
● البتراء مدينة الصخر والورد ـ اسامة يوسف شهاب ـ المجلة العربية العدد ٨٦ .
● مسلم في بودابست ـ محمد العزب موسى ـ جريدة الامة الاسلامية العدد ٣٣ . ،
● بين محمد اقبال وعبد الكريم جرمانوس ـ د. محمد رجب البيومي ـ المجلة العربية العدد ١ السنة ٤ .
● عبد الكريم جرمانوس وعبقرية الفكر الاسمى ـ عبد العزيز شرف مجلة الفيصل العدد ٦٣ .
● المعتنقون الجدد ـ بيار آسولين .
● نصر الدين رينيه فنان عشق الجزائر واعتنق الاسلام ـ د. حسن فتح الباب ـ مجلة الكويت العدد٤ .
● في طريق مكة او الطريق الى الاسلام ـ محمد اسد .
● الاسلام على مفترق الطرق محمد اسد ـ ترجمة عمر فروخ .
● الطريق الى الله او قصة محمد اسد (يهودي سابقا) زهير الشايب مجلة اكتوبر بتاريخ اكتوبر ١٩٧٦ .
● اسرار مناسك الحج ـ قصيدة لاحمد بن شقرون الميثاق العدد ١٢٧ .
● مرآة جزيرة العرب ـ ايوب صبري باشا ـ عرض وتحليل د الصفصافي احمد المرنيسي ـ الفيصل العدد ٧٤ .
● مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية ـ نشر وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية .
● زعماء الاصلاح ـ لاحمد امين .





■ لمكة المكرمة مكانة وحرمة منحها الله إياها، لم تحظ بها مدينة أخرى أو أية بقعة على ظهر المعمورة، فقد أشاد بها العلي المتسامي وأمر بتعميرها وتطهيرها، وحرَّمها وأمَّن مَنْ بها وما بها من انسان وحيوان، وجعلها قبلة المهتدين، ومحج المؤمنين، لا يكمل اسلام مسلم الا بحجها، وقد سمَّى رسول الله ﴿ﷺ﴾، أهلها أهل الله. ومن هنا اعتنى بها العلماء وتسابقوا فى خدمتها والمقام بها، وألفوا في فضائلها وحوادثها وبقاعها، فاصبح لها عشرات الكتب ألفت من أجلها، ومثلها أو أكثر لها فيها ذكر كثير. وليس لدينا دليل احصائى بالكتب التى ألفت عن مكة، غير ما هو بايدينا أو قرأنا عنه فى مراجع متفرقة، وهذا إن لم يكن كل ما الف عنها فهو جله.

■ تتلخص مواد هذه الأسفار فى أربعة أبواب رئيسية:

١ - كتب الفضائل والخواص:

●● رسالة صغيرة للامام التابعي الحسن البصري، المتوفى سنة ١١٠هـ كتبها لقريب له بمكة يزمع الخروج منها، وقد حضه البصري على البقاء بمكة وعرَّفه فضلها وفضل المقام بها، وأورد كثيراً من آيات القرآن، والأحاديث المبينة لفضل مكة، وتقع فى ما يقرب من خمس صفحات من القطع المتوسط، وقد ألحقتها بكتابى «فضائل مكة وحرمة البيت الحرام».

●● كتاب فضائل مكة للحميدي صاحب الشافعى المتوفى سنة ٢١٩هـ واسمه أبو بكر عبد الله بن الزبير القرشي، وهذا الكتاب لم أره ولا يعرفه اليوم أحد وليس متداولاً(١).

●● كتاب فضائل مكة للمفضَّل الجنَدي، وجَنَد مدينة باليمن مشهورة واسمه: المفضل ابن محمد بن ابراهيم الجندى، استوطن مكة، وبها توفى سنة ٣٠٨هـ(٢).

●● كتاب (فضائل مكة وحرمة البيت الحرام) لكاتب هذا البحث، وهو يطبع الآن ويقع فى نيف ومائتين وخمسين صفحة.

وفى الباب رسائل أخر فى حكم المخطوط أو المفقود.

٢ - كتب الأخبار والتأريخ البحث:

●● أخبار مكة لأبى الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الازرقى المتوفى فى العقد الخامس من القرن الثالث الهجرى، وكتابه هذا أشهر تأريخ لمكة، وظل متداولاً على مر العصور وقد طبع مرتين بتحقيق الاستاذ رشدى الصالح

ـ عن مكة المكرمة

ملحس، ونشرته دار الثقافة بمكة، وهو جزءان فى مجلد واحد ضخم، عدد صفحاته (٧٣٢) صفحة.

بدأه مؤلفه من بداية ذكر الكعبة حتى زمن وفاته، وآخر طبعه له سنة (١٣٨٥هـ).

●● أخبار مكة للامام أبي عبد الله محمد بن اسحاق الكناني الفاكهي، والفاكهي نسبة إلى بنى الفاكه من كنانة، المتوفى حول (٢٨٠هـ) وكتابه هذا كان معروفاً غير متداول.. وقد فقد نصفه الأول، فعثر الشيخ عبد الملك بن دهيش على نصفه الأخير فحققه وعلق على حواشيه فبلغ به خمسة مجلدات، ليس كلها من صلب الكتاب، ثم نشرته مكتبة النهضة بمكة سنة ١٤٠٧هـ.

●● شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، للامام العلامة الحافظ أبي الطيب تقى الدين محمد بن أحمد المكى وطناً المالكى مذهباً الحسني نسبة الشهير بالفاسي، نسبة الى مدينة فاس فى المغرب، وكان أحد قضاة مكة، ولادته ووفاته (٧٧٥ـ٨٣٢هـ).

ويقع الكتاب فى مجلدين بالقطع العريض شبه موسوعي، قام بتحقيقه ـ كما جاء فى طرته ـ (لجنة من كبار العلماء والادباء) لهم علم بالنصوص وتنقصهم المعرفة الميدانية وقد طبع قبل نيف وعشرين سنة، وشاع آنذاك أن طابعه والمنفق عليه كان محمد سرور الصبان رحمه الله، ثم صور اخيراً فى بيروت، وقد قلت لمن صوره اننى أجرى عليه تصويبات وشروحات تليق بهذا الأثر، الا انه كان فى عجلة. ويعتبر شفاء الغرام أشهر تأريخ لمكة بعد الازرقى.

●● العقد الثمين فى تأريخ البلد الأمين، للفاسى المتقدم ذكره وقد طبع فى ثمانية مجلدات على نفقة الشيخ محمد سرور الصبان أثابه الله، وهذا الكتاب خصصه الفاسى للأعلام من بدء الاسلام الى تأريخ وفاته المشار إليها سابقاً، فهو كتاب تراجم لأهل مكة ومن سكنها أو مات بها من الأعيان والعلماء. وللفاسى مؤلفات أخر لم تصل الينا.

●● الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، للعالم الفاضل جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين بن أبى بكر على بن ظهيرة القرشى المخزومى، المتوفى سنة (٩٨٦هـ).

يقع الكتاب فى مجلد لطيف من القطع الوسط (٤١٢) صفحة مطبوع للمرة الثانية سنة ١٣٩٢هـ.

●● إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام، لعبد الكريم بن محب الدين الشهير بالقطبى المتوفى سنة ١٠١٤هـ وهو مختصر من كتاب النهروالى «الاعلام بأعلام بيت الله الحرام». لمؤلفه قطب الدين النهروالى (٩١٧ـ٩٩٠) ولم يقع الأصل بيدى ولكن ناشر هذا المختصر أعطى لمحة عن الكتاب ومؤلفه، وقد طبع هذا المختصر الذى نحن بصدده سنة ١٤٠٣هـ والناشر دار الرفاعي وقد علق عليه الاستاذان أحمد محمد جمال وعبد العزيز الرفاعي، واشترك فى التعليق د. عبد الله الجبوري، ولي على المطبوعة تعليقات خطية. يقع المختصر فى (١٧٥) صفحة عدا الدليل الذى يقع فى (٣٧) صفحة.

●● اتحاف الورى باخبار أم القرى لابن فهد (محمد بن محمد بن محمد بن محمد) الشهير بابن فهد القرشى

الهاشمي، ويعرف بعمر بن فهد، وليس اسمه عمر ولا اسم ابيه فهد. المتوفى سنة (٨٨٥هـ) وكانت ولادته سنة (٨١٢)هـ يقع الكتاب فى أربعة مجلدات كبار حقق الدكتور فهيم محمد شلتوت الثلاثة الأولى منها وحقق الدكتور عبد الكريم بن على الباز المجلد الرابع، ونشر الكتاب على نفقة مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى، سنة ١٤٠٤هـ.

●● غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، لعز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد القرشي الهاشمي، فهو ابن ابن فهد المتقدم، ولادته ووفاته (٨٥٠ ـ٩٢٢هـ).

وقد طبع من الكتاب مجلدان بتحقيق فهيم شلتوت المتقدم خبره، ونشر على نفقة مركز البحث العلمي سنة (١٤٠٦هـ).

●● سمط النجوم العوالي فى انباء الأوائل والتوالى، لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك، العصامي المكي، وهذا الكتاب يشتهر بتأريخ العصامى (١٠٤٩ ـ١١١١هـ) ويقع الكتاب فى أربعة مجلدات، خصص مجلده الأخير ـ جله ـ عن اشراف مكة إلى وفاته، قامت بطبعه المطبعة السلفيه بمصر سنة (١٣٨٠هـ) وقدم له المرحوم محب الدين الخطيب، وترجم مؤلفه ترجمة حسنة.

●● خلاصة الكلام (فى بيان أمراء البلد الحرام) لشيخ الاسلام السيد أحمد بن زينى دحلان، المتوفى سنة (١٣٠٤هـ) مجلد فى ٣٣٢ صفحة من القطع الكبير، وهو على اسمه بيان باسماء امراء مكة من أول أمير عينه رسول الله ﴿ﷺ﴾ إلى زمن عون الرفيق حيث توفى المؤلف فى أول ولاية عون. طبع الكتاب طبعته الاولى سنة (١٣٠٥هـ) بالمطبعة الخيرية بالجمالية بمصر، وطبع بهامشه «الإعلام باعلام بيت الله الحرام» للنهروالي الذى اشرنا اليه سابقاً، وقد سار الكتابان صفحة بصفحة إلى نهاية المطبوع.

●● المختصر من كتاب (نشر النور والزهر) لمؤلفه الشيخ عبد الله مرداد أبى الخير، اختصره اختصاراً دون المطلوب الاستاذان: محمد سعيد العامودى واحمد على، وقام نادى الطائف الأدبى بطبعه ونشره، وهو تراجم أفاضل أهل مكة من القرن العاشر حتى الرابع عشر الهجرى.. يقع هذا المختصر فى مجلدين (٤٦٥ صفحة).

●● أم القرى، للشيخ عبد الرحمن الكواكبى الحلبى، تطرق فيه إلى مؤتمر عقد فى مكة سنة (١٣١٦هـ) ووضع أنه كان حاضره وأن له دوراً فيه، وانما ذكرت هذا الكتاب لأمرين: أولهما انه لم يذكر أحد غير الكواكبى هذا المؤتمر، وما حدث قط، وثانيهما: انه شهد شاهد من أهله هو ابن المؤلف الذى قدم للطبعة الثانية بأن والده لم يذهب إلى مكة آنذاك، وانما تخيل هذه الحوادث على طريقة القصاصين فوضعها، فايراده هنا للتنبيه.

●● تأريخ الكعبة المعظمة، للشيخ حسين باسلامة، المتوفى سنة (١٣٥٦هـ) رحمه الله ـ يقع الكتاب فى (٤٠٠) صفحة من القطع الوسط، طبع للمرة الثانية، الناشر تهامة.. ذكر المؤلف أول بناء للكعبة ثم شرح احوالها واطوارها الى الزمن الذى عاشه المؤلف، ويشرح سدانة الكعبة مع صور لسدنة الكعبة المعاصرين للمؤلف.

●● سير وتراجم بعض علمائنا فى القرن الرابع عشر الهجرى، لعمر عبد الجبار، وهو من اساتذة جيلنا وقد رأيته مراراً آخر مرة سنة ١٣٩٣هـ.. والكتاب جزء لطيف يقع فى (٣٣٦) صفحة من القطع المتوسط، طبع للمرة الثانية حسبما رأيت، حياه العالم الفاضل بقية السلف شيخنا: السيد علوى عباس المالكى، وقدم له استاذنا المرحوم: عبد القدوس الانصارى، وبدأ الترجمة بأبى بكر خوقير المتوفى سنة (١٣٤٩هـ) وختم الكتاب بترجمة السيد محسن بن على بن عبد الرحمن مساوى المتوفى سنة (١٣٥٤هـ) وهو من الكتب المفيدة فى تأريخنا.

●● جداول أمراء مكة وحكامها، للشريف مساعد بن منصور آل عبد الله بن سرور، والكتاب عبارة عن رسالة تقع فى (٥١) صفحة، ملحق بها مسجلات للاشراف الذين تولوا الحكم، وفى آخره شجرة لآل سعود، طبع سنة (١٣٨٨هـ) بمطبعة النهضة الحديثة والمؤلف من المعاصرين رأيته سنة ١٣٩٤هـ فى منزله بالمريخيات غربى عرفة.

●● تأريخ مكة، للاستاذ المرحوم أحمد السباعى، كان صدر فى جزئين، ثم كلفنى نادى مكة الثقافى بالاشراف على طبعته الرابعة والتعليق عليها سنة ١٣٩٩هـ ثم اعتقد أنه طبع طبعة خامسة بعد ذلك كانت طبعتنا جمعنا فيها الجزئين فى مجلد واحد جاء فى (٧٠٤) صفحات. . والكتاب عبارة عن ملخص لتأريخ مكة إلى زمن المؤلف، ولذا جاء مغنياً لطالب الاطلاع خفيفاً على القارىء، ولذا كان أكثر تأريخ مكة رواجاً وانتشاراً، لم يكن بالمختصر المخل ولا بالمطول الممل، وسطاً بين التواريخ.

●● مكة فى القرن الرابع عشر الهجرى، لمحمد رفيع، أحد علماء مكة ومثقفيها يرحمه الله، وقد كلفنى النادى (نادى مكة) بالاشراف على طبعته الأولى من مخطوطة جيدة، فتم طبعه سنة (١٤٠١هـ) فى مجلد على ورق اوربى ابيض مثل صنوه السابق تماما، وجاء فى (٣٩٠) صفحة، والحقت به خريطة منفصلة فى جيب داخل الجلد بعد أن اضفت إليها كثيراً من اسماء المعالم التى لم يشر إليها فى الخريطة، والكتاب ينحى منحى اجتماعياً، يعتنى بالمهن واللباس والافراح وحالة الجمهور وعلاقته بالرؤساء وغير ذلك.

●● التأريخ المفصل للكعبة المشرفة قبل الاسلام. هذا الكتاب لاستاذنا وحبيبنا العالم الشامخ والمرجع الراسخ: عبد القدوس الانصارى يرحمه الله. . طبع سنة (١٤٠٣هـ) فيما يزيد على (١١٠) صفحات، على نفقة نادى مكة الثقافى، ومادته من عنوانه، يتطرق فيه المؤلف على احوال الكعبة ومكة المكرمة قبل الاسلام، ويشرح علاقة العرب بالكعبة والحج، والاصنام وقريش وهو كتاب لطيف مجد فى موضوعه.

●● بناء الكعبة على قواعد ابراهيم، للاستاذ احمد بن عبد الغفور عطار، طبع سنة (١٣٩٨هـ) فى (١٢٧) صفحة من القطـع دون الوسط، وموضوعه اقتراح المؤلف الفاضل أن تعاد الكعبة على بناء ابراهيم، أى بادخال حجر اسماعيل فيها، وجاء بنصوص وشواهد بعضها معتبر، ولكن النداء ذهب فى واد لا صدى له.

●● تأريخ عمارة الحرم المكى الشريف، رسالة جامعية للطالبة ـ آنذاك ـ فوزية بنت حسين بن مطر، تقع المطبوعة فى (١٨٣) صفحة من القطع المتوسط، نشرتها تهامة سنة (١٤٠٢هـ). . تتعرض الرسالة لاحوال الكعبة والكسوة وزمزم، وابواب المسجد الحرام ومناراته، ونحو ذلك.

●● بلاد الحجاز فى العصر الأيوبى، رسالة ماجستير للآنسة: عائشة بنت عبد الله باقاسى، ركزت فيها على النواحى الاجتماعية والربط والدواوين والزكاة، وكل ذلك مداره على ولاية الحجاز والعاصمة الاسلامية، واسند إلى نادى مكة الثقافى الاشراف على طبعه سنة (١٤٠٠هـ) ويقع فى (١٣٨) صفحة من القطع الوسط.

●● تأريخ الكعبة، للدكتور على حسنى الخربوطلى، نشر دار الجيل فى بيروت سنة (١٣٩٦هـ) ـ يقع فى (١٩٢) صفحـة من القطـع المتـوسـط، عرفه الناشر بأنه دراسة علمية منهجية لتأريخ الكعبة المشرفة، منذ ابراهيم عليه السلام. . والكتاب على ايجازه لا يخلو من فائدة، وإن كانت مكرورة معادة.

●● المنتقى فى أخبار أم القرى، تحقيق وتعليق وتعقيب: محمد عبد الله مليبارى، قدمه المحقق على أنه كتاب الفاكهى المتقدم أو جزء منه، وقد عقبت على الكتاب حين نشر، فى جريدة الندوة فى عدة حلقات، يقع الكتاب (٢٤٧) صفحة من القطع الوسط، طبع سنة (١٤٠٥هـ) ولا يخلو من فوائد جمعت من هنا وهناك.

٣ـ كتب الجغرافيا:

لم يعتن الكثيرون من مؤرخي مكة بجغرافيتها، وقلما يهتمون بما يدور خارج أسوارها، غير أن الازرقي ـ في كتابه ـ أخبار مكة خصص فصلا لجغرافية مكة في عهده، وقد أصبح كثير من تلك المعالم غير معروف، وبهذا تكون الكتب التي لها مساس بجغرافية مكة:

●● فصل في آخر كتاب الأزرقي، لي على مطبوعته تعليقات إيضاحية مخطوطة.

●● اهدى إلي الاستاذ (هادون) العطاس صورة مخطوطة في نيف وثمانين صفحة، لابن فهد المتقدم ذكره، تحت عنوان (حُسن القِرَى في أودية أم القرى) والخط منقول معاصر ولكنه كثير الاخطاء، وبعض الحروف غير منقوط، مثل (سس) ويغرب المؤلف يرحمه الله فيجعل وادى نجران من أودية مكة، لأنه آنذاك يتبعها اداريا، وكذلك (ببس) المكتوب بلا نقط، وهو من نواحي جيزان ويسمى بعض القرى أودية . . وعلى العموم لا يخلو من فائدة وخاصة انه أصبح في حكم التراث.

●● معالم مكة التأريخية والأثرية، هو معجم لكاتب هذا البحث يقع في نحو من (٤٠٠) صفحة من القطع المتوسط، طبع للمرة الثانية، ونشرته دار مكة للنشر والتوزيع بمكة سنة (١٤٠٤هـ). . ومادته من اسمه، يتتبع المعالم الواردة في مراجع التراث ويحدد مواقعها ويضيف الاسم الجديد اذا تغير الاسم القديم، وبه خرائط ورسوم وشواهد شعرية وشذرات تأريخية.

●● أودية مكة، لنفس مؤلف المعالم السابق، وهو مطبوع في (٢٢٢) صفحة من القطع المتوسط، نشرته دار مكة سنة (١٤٠٥هـ) ومادته تحديد الأودية التي تخترق مكة، مثل: وادي ابراهيم، وطوى، وفخ، ويأجج . . . الخ مبيناً منابعها ومصابها، وكذلك الأودية المحيطة بمكة من مر الظهران شمالاً إلى وادي الليث جنوباً، الى شعوف السراة إلى البحر، وملحق به (المواضع في شعر كثير عزة) و(المواضع في شعر عمر بن أبي ربيعة) و(جبال مكة).

٤ـ كتب الرحلات:

الرحلات التي اكثرت من ذكر مكة ووصفها ولكن لم تكن مكة سبب تأليفها كثيرة، مثل: رحلة ابن بطوطة وقبلها رحلة ابن جبير، ورحلة خسرو، وغيرها . . غير أني قصدت هنا الرحلات التي جعلت مكة صلب الموضوع، فمنها:

●● الرحلة الحجازية، مؤلفها: محمد لبيب البتنوني، جعلها وصفاً لرحلة حج عباس ابن حلمي الثاني خديو مصر، سنة (١٣٢٧هـ) يقع الكتاب في طبعته الثانية سنة (١٣٢٩هـ) في (٣٣٤) صفحة، جاء فيه بفوائد جمة، خاصة انه كتبه في غياب أو غفوة هذه الأمة عن تدوين المشاهدات، غير أنه ـ غفر الله له ـ كغيره من (الغُرب) دوّن أشياء في حكم الأساطير والخرافات، ولأحد أهلِ مكة ردّ على البتنوني رآه الزركلي مخطوطاً بالطائف، ولعله لا زال مخطوطاً.

●● ما رأيت وما سمعت، لخير الدين الزركلي الذي زار الحجاز سنة (١٣٤٠هـ) وركز على الأحوال السياسية والاجتماعية، وله ملاحظات وطنية ومناقشات، بلغ الكتاب في طبعته (٢٥٦) صفحة.

●● درر الفرائد المنظمة، للجزيري: عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الأنصاري الجزيري، نسبة الى الجزيرة الضراتية . (الفراتية) كان أمير الحج المصري ما يقرب من نصف قرن، أورد جل تأريخ مكة في كتابه الذي بلغ ثلاثة مجلدات، وقد طبع عدة مرات مختصراً، ثم طبع سنة (١٤٠٣هـ) طبعة موسعة، بلغت كما ذكرت (٣) مجلدات، وكتب عليه الطبعة الأولى لأنها فيما يبدو الكاملة، وكانت لي عليه ملاحظات ابديت بعضها في كتابي (رحلات في بلاد العرب) وابقيت بعضها كهوامش على المطبوع.

والكتاب ذو فائدة، خاصة في طرق الحج، وذكر المؤلف أنه فرغ من تسويده سنة (٩٦١هـ) وقد توفي الجزيري - يرحمه الله سنة (٩٧٧هـ) وليس كما ذكر الناشر سنة (٩٤٤هـ) هذا وهم، وكيف يكون هذا وهو صرح بأنه فرغ من تسويد الكتاب سنة (٩٦١هـ) كما تقدم؟.

●● رحلة عبد السلام الدرعي، المتوفى سنة ١٢٣٩هـ رحلة الى الحج، ذكر فيها - بالاضافة الى طرق الحج الكثير عن الحرمين، فذكر اشياء عن المسجد الحرام ومنى وعرفة والآثار في الاماكن المقدسة، طبعت هذه الرحلة سنة (١٤٠٢هـ) في ١٧٧ صفحة عن دار الرفاعي للنشر والطباعة.

●● مرآة الحرمين لابراهيم رفعت باشا، كان قائد حرس المحمل المصري سنة (١٣١٨هـ) وأمير الحج في سنى ٢٠، ٢١، ٢٥، يقع الكتاب في مجلدين ضخمين، وفيه فوائد ليست في غيره من كتب الرحلات، غير أنه تحامل على جهات عاصرته، وحاول الغاء مخصصات قبائل الدرك فنازعوه، وزور اختاماً باسماء شيوخهم حفرها في الصابون، وكانت لي ملاحظات على رحلته لعلي أوردت بعضها في كتابي (نسب حرب) واخرى مذيلة على المطبوعة، وعلى كل حال فرحلة الباشا ذات فائدة كبيرة.

●● الارتسامات اللطاف، للأمير شكيب ارسلان، وهو ثمرة رحلته إلى الحجاز سنة ١٣٤٨هـ ويقع الكتاب في طبعته الثانية في (٣٥٦) صفحة، نشر دار الشعب بالقاهرة. فيه مشاهدات أمير البيان في مكة وجدة والطائف وغيرها، وركز على الناحية السياسية حيث كانت بلاد الشام تئن تحت الاحتلال الفرنسي.

وأخيرا هناك العشرات من الكتب المخطوطة عن مكة من تأريخ ورحلات وغيرها.. لم تمتد إليها يد التحقيق فمن ذلك وليس كله.

●● الارج المسكي في تأريخ الحرم المكي، للعالم الناثر الناظم عبد القادر الطبري الحسيني (٩٧٦ - ١٠٣٣هـ) ينقل عنه العصامي، ولم أره، وكأني سمعت قبل سنوات أن شخصاً يشتغل عليه، ولست على يقين من ذلك.

●● التبيين في تراجم الطبريين، والمشارق المنيرة في ذكر بني ظهيرة، وكلاهما لابن فهد المتقدمة ترجمته، صاحب اتحاف الورى.

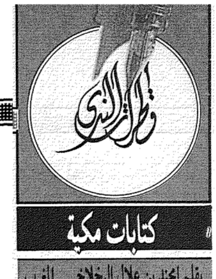
●● منائح الكرم في تأريخ الحرم، للسنجاري، ينقل عنه أحمد السباعي في تأريخ مكة ولم اره.

●● افادة الأنام في اخبار البلد الحرام، للشيخ عبد الله بن غازي، مخطوط في مكتبة الحرم.

●● الدر الكمين، ذيل العقد الثمين، كان ذيلاً عليه ولما طبع العقد فصل عنه، ولا أحق مؤلفه، بل أنسيته، ولعلي سمعت أنه يطبع أو طبع حديثاً، ولست على يقين.

●● تذييل شفاء الغرام للصديقي، مخطوط.

■ فهذه ثلاثة واربعون كتاباً (٤٣) ولازال هناك الكثير ينتظر البعث، فهل من باعث؟.



مؤلفات

كتابات مكية

بقلم امحمد بن علال البخلاخي ـ المغرب

■ ان تعلق قلوب المسلمين فى العالم بهذه المدينة المقدسة عبر مختلف العصور، وحبهم القوى لها، وايمانهم بقدسيتها وفضلها، وابداء رغبتهم فى التمتع بمناسكها الدينية فى موسم الحج عندما تشد اليها الرحال، ألهب مخيلة الشعراء والادباء والعلماء، فعبروا عن مشاعرهم الجياشة نحوها عن طريق الشعر او النثر كل فى نطاق فنه وتخصصه.

■ وظهرت الى حيز الوجود فى مختلف الأزمنة مؤلفات قيمة فى الرحلات والسير والتراجم والتاريخ ألفّها اصحابها عن مكة المكرمة، ذاكرين فيها اخبارها وتاريخها واعلامها وأمراءها وحكامها وقضاتها واشرافها وسدنتها ومشاهيرها، باسلوب بديع يجمع بين التشويق والاثارة والبيان والاجادة.

■ وكانت كتب السيرة النبوية مصدرا اساسيا هاما لا غنى عنها. لكل من كتب تاريخ المدينتين المقدستين مكة والمدينة، كما ذكر ذلك عرضا د. عبد المنعم خفاجى اثناء حديثه عن طبقات ابن سعد حيث قال: «هذا ولا يفوتنى ان نذكر ان صنع ابن سعد فى الطبقات دفع المؤرخين فى عصره الى الكتابة عن علماء الامصار الاسلامية، ثم الى الكتابة عن تاريخ المدينتين المقدستين مكة والمدينة فكتب الازرقى ٢٤٤هـ/ ٨٥٨م كتابا فى تاريخ مكة وما جاء فيها من الاثار، وكذلك فعل الفاكهى ٢٧٢/ ٨٨٩ فألف كتابا فى اخبار مكة ايضا».

■ والذين دونوا السيرة كثيرون منهم:

(١) الصحابى الجليل والمؤرخ الثقة عروة بن الزبير، كانت له قرابة بالبيت النبوى الشريف، مكنته من الاطلاع عن كثب على اخبار الرسول ﴿ﷺ﴾ واصحابه، فأمه هى اسماء بنت ابى بكر الصديق رضى الله عنه، وخالته هى السيدة عائشة ام المؤمنين زوج الرسول ﴿ﷺ﴾، قال فيه سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه: «ما اجد اعلم من عروة» وكفاها شهادة من عمر الزاهد الورع، وعروة بن الزبير هو اول من دون السيرة النبوية».

(٢) الامام الزهرى (١٢٤هـ/ ٧٤١م) قال فيه الطبرى: «كان الزهرى مقدما فى السيرة وفى العلم بمغازى رسول الله واخبار قريش والانصار رواية لاخبار رسول الله واصحابه.

(٣) محمد بن اسحاق (٨٥هـ/ ١٥٢م) له كتاب من اهم كتب السيرة النبوية. قسمه الى ثلاثة فصول: الفصل الاول فى تاريخ ما قبل الاسلام، والفصل الثانى فى اخبار بعثة الرسول حتى الهجرة، والفصل الثالث والاخير فى المغازى، وهو تاريخ الرسول ﴿ﷺ﴾ فى المدينة وغزواته الى حين وفاته قال فيه الامام الشافعى رضى الله عنه: «من اراد ان يتبحر فى المغازى فهو عيال على محمد بن اسحاق».

(٤) ابن اسحاق المصرى (٢١٨هـ/ ٨١٣م) هذب سيرة ابن اسحاق من الخرافات، وحذف منها ما نقله عن القصاص مما كان موضوع نقد فقهاء المدينة

ـب عن مكة المكرّمة

وعلى رأسهم الامام مالك .

(٥) محمد بن سعد (١٥٦هـ) له كتاب الطبقات الكبرى او طبقات الصحابة والتابعين، ويعد هذا الكتاب موسوعة جامعة فى السيرة النبوية وحياة اصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ اشتمل على ثلاثة الاف ترجمة وجاء فى ثماني مجلدات .

■ هذه اشارة فقط مقتضبة الى بعض كتب السيرة الاولى التى كانت كما قلنا من المصادر الاساسية التى اعتمد عليها المؤرخون فى كتابة تاريخ مكة والمدينة .

■ اما كتب الرحلات الى هاتين المدينتين المقدستين، فمن الصعب احصاء عناوينها ومعرفة عددها، فما كتب فيها اصبح يشكل مكتبة قائمة بذاتها، فكل من كان يجيد فن القول والتعبير شاعرا كان ام كاتبا عربيا كان ام اجنبيا الا كتب صفحات عن مكة المكرمة والمدينة .

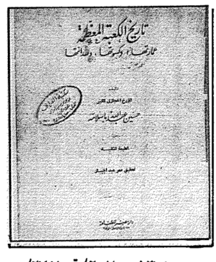
■ ونظرا لغزارة الانتاج وكثرة التآليف عن مكة المكرمة الموزعة في الامصار الموجودة فى المكتبات الخاصة والعامة فى مختلف البلدان، ارتأيت بيان اهم عناوين كتب التاريخ والتراجم المؤلفة فى الموضوع والاشارة الى مؤلفيها، واماكن وجودها، وتاريخ طبعها وتعدد نسخها، اذا امكن حسب ما توصلت اليه من البحث والاطلاع، ورتبت ذلك على حروف المعجم ليسهل الرجوع اليها وذلك على الشكل التالى :

حرف الالف :

● اثارة الترغيب والتشويق الى المساجد الثلاثة والبيت العتيق - ألفه محمد بن اسحاق الخوارزمى المعروف بشمس الدين المتوفى عام ٨٢٧هـ - ١٤٢٤م/ الحرم المكى/٢ قال صاحب الاعلام اختصره محمد احمد الزملكانى والمختصر مطبوع .

● اخبار الكرام باخبار المسجد الحرام - ألفه محمد بن احمد الاسد المتوفى عام ١٠٦٦هـ/ الحرم المكى/٢ .

● اخبار مكة - للواقدى محمد بن



عمر (١٣٠هـ ٢٠٧/ق ٣٤٧/ ٨٢٣م) .

● اعلام الانام بتاريخ بيت الله الحرام - لمحمد صالح الشيبى وهو من سدنة بيت الله الحرام، لم اقف على ترجمته يوجد ضمن مخطوطات الدهلوى بالحرم المكى/ ٦ .

● افتخار الحرمين المحروسين مكة والمدينة - مجهول المؤلف يوجد بخزانة كمبردج/ ٣ .

● اخبار الورى باخبار ام القرى - لمحمد بن عمر (٨٠٩ - ٩١٧هـ/ق ١٤٥٥/ ١٥١١م) فى مجلدين، سجل فيه الحوادث التاريخية لمكة منذ سنة ٨٧٢هـ الى سنة وفاته (٩١٧هـ) .

● افضل القرى لقراء ام القرى -

لعله فى تاريخ مكة وهو مجهول المؤلف يوجد بمكتبة كمبردج/٣.

● اخبار مكة - لابن شبه المتوفى بمدينة سامراء عام (٢٦٤هـ/ ٨٧٧م).

● اشراف مكة وامراؤها - مجهول المؤلف فى نحو ٢٥٠ صفحة ناقص الصفحة الاولى والاخيرة حسب ما ذكره صاحب الاعلام ج١ ص٢١٩.

● افادة الانام بذكر اخبار بلد الله الحرام - للكرمى بن يوسف الفلسطينى الاصل (١٠٣٣هـ/ ق ١٦٢٤م.

● ابتهاج الانسان والزمن فى الاحسان الواصل للحرمين من اليمن لمولانا الوزير العدل الباشا حسن - النهرواني محمد (بعد ١٨٨هـ/ ١٥٨٠م.

● اتحاف فضلاء الزمن فى تاريخ مكة المكرمة - مجهول المؤلف حققه العلامة حمد الجاسر صدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر.

● الاخبار المستفادة فيمن ولى مكة المكرمة من آل قتادة - لصلاح الدين ابى المحاسن المعروف بابن ظهيرة المكى (ت٩٤٠).

● الاشارة والاعلام ببناء الكعبة البيت الحرام - للشيخ تقى الدين احمد المقريزى المتوفى عام ٨٤٥هـ.

● اخبار بناء الكعبة - للمدائنى على بن محمد (١٣٥هـ ٢٢٥هـ).

● الاساطين فى حج السلاطين - لعبد القادر الطبرى (٩٧٦ - ١٠٣٣ الفه بمناسبة حج السلطان عثمان خان.

● اعظم القربة فى تعظيم الكعبة - لبدر الدين محمد سبط الشرينلالى المتوفى عام ١١٨٢هـ.

● الالمام فى فضائل بيت الله الحرام - لابن رجب زين الدين عبد الرحمن الحنبلى (٧٠٦ - ٧٩٥).

● اساطين الشعائر الاسلامية وفضائل السلاطين والمشاعر الحرمية - لمحب الدين عبد القادر المتقدم.

● اخبار مكة - للمدائنى على بن محمد المتقدم.

● الاقوال المعلمة فى وقوع الكعبة المعظمة - لمحب الدين عبد القادر الطبرى المتقدم.

● اخبار امراء مكة - لابن شبه البصرى البغدادى (١٧٣هـ/ ٢٦٢هـ).

● الاعلام لفضائل بيت الله الحرام - لقارى الهروى على بن سلطان المتوفى عام ١٠٠٤هـ.

● اسنى المواهب والفتوح لعمارة المقام الابراهيمى وباب الكعبة وسقفها والسطوح - لابن علان المكى (٩٩٦هـ/ ١٠٥٧م).

● اعلام سائر الانام بقضية السيل الذى سقطت من بيت الله الحرام - لنفس المؤلف المذكور.

● احكام الاساس فى قوله تعالى ان اول بيت وضع للناس - للكرمى مرعى بن يوسف المقدسى (ت ١٠٣٣).

حرف الباء:

● البيان والاعلام فى توجيه فرضية عمارة الساقط من البيت لسلطان الاسلام - لابن علان المكى المتقدم.

● البشارة الهنية بأن الطاعون لا يدخل مكة والمدينة - لخطاب الرعينى (٩٠٢هـ ٩٥٤هـ).

● بلوغ القرى فى ذيل اتحاف اخبار ام القرى - لعبد العزيز بن فهد المكى المتوفى عام ٩٢٠ وهو تكمنة لتاريخ والده يوجد ضمن مخطوطات الدهلوى بالحرم المكى/٢.

● بناء الكعبة - ثلاثة تواريخ الفها ابن علان محمد بن على (٩٧٦- ١٠٥٧/ ق ١٥٨٨-١٦٤٧م).

البحر العميق فى مناسك المعتمر والحاج الى البيت العتيق - لابن الضياء المكى (ت ٨٥٤) فى مجلدين كبيرين وهو يتعلق بمناسك الحج الا ان صاحب الاعلام خلال حديثه عنه ذكر ان الربع الاخير منه يسجل حوادث

مكة والكعبة والمسجد الحرام.

● بناء الكعبة واخبارها ـ لليزيدى ابراهيم بن يحى من بصرة العراق (٢٢٥هـ/ ٨٤٠م).

● بهجة الزمان بعمارة الحرمين بملوك آل عثمان ـ لجار الله محب الدين القرشى الشافعى المعروف بابن فهد (ت ٩٥٤هـ).

● بناء الكعبة ـ لابراهيم بن ابى محمد اليزيدى (ت ٢٢٥).

● بهجة الدماثة فيما ورد فى فضل المساجد الثلاثة ـ لابن فهد المكى المتقدم.

● بغية الراغبيين وقوة عين اهل البلد الامين ـ لعبد الله الزواوى (١٢٦٦ - ١٣٤٣ق ١٨٥١ - ١٩٢٤ رسالة فى احوال عين زبيدة.

حرف التاء:

● تاريخ مكة ـ لعثمان بن ساج (١٨٠هـ/ ٧٩٦هـ).

● تاريخ فى اشراف وامراء مكة المعظمة ـ لمؤلف مجهول/ الحرم المكى/ ٢.

● تاريخ مكة المكرمة واخبارها فى الجاهلية والاسلام ـ لمحمد بن اسحاق الفاكهى من علماء القرن ١٩ المتوفى عام ١٢٨٥هـ كان معاصرا للمؤرخ المكى الازرقى نشر بعض فصوله المستشرق (وستفيد) ضمن كتابه المنتقى فى اخبار ام القرى المطبوع عام ١٨٥٩م يوجد نسخ من المخطوط فى الحرم المكى/ ٢.

● تاريخ مكة ـ لابن فهد المكى (٨٥٠ـ٩٢١).

● تاريخ جستنية ـ لعبد الرحمن بن محمد سعيد المعروف بجستينة (نحو ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م) دون فيه حوادث تاريخ مكة وامرائها.

● تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة المشرفة والقبر الشريف ـ لابن الضياء المكى (٧٨٩هـ/ ٨٥٤هـ ق١٣١٧/ ١٤٥٠م)

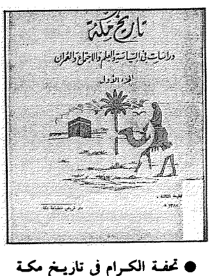
● تاريخ المدينتين ـ للسخاوى محمد عبد الرحمن المصرى (٨٣١ - ٩٠٢هـ/ ق ١٤٢٧/ ١٤٩٧م).

● تاريخ الملوك . . دولة مكة الشرفاء ـ لتقى الدين الفاسى المؤرخ المكى المغربى تقدمت ترجمته.

● تاريخ مكة ـ للشيبى محمد بن على (٧٧٩ـ٨٣٨).

● تاريخ مكة شرفها الله تعالى واخبارها وجبالها واوديتها ـ للمؤرخ المكى المعروف الازرقى محمد بن عبد الله المتوفى عام ٢٢٣هـ.

● تاريخ عمارة المسجد الحرام ـ لنفس المؤلف المذكور وهو مطبوع.



● تحفة الكرام فى تاريخ مكة والمسجد الحرام ـ لابن المرتضى محمد بن مهدى الطباطبائى النجفى (١٢١٢هـ ١٧٩٧م) مخطوط.

● تاريخ الخميس فى احوال انفس نفيس ـ لديار بكرى (٩٦٦هـ ـ ١٥٥٩م) الخمس فى اللغة جمع اخمس وهم سكان الحرم من قريش وهو تاريخ مكة المكرمة فى احوال انفس نفيس وهو الرسول (ﷺ).

● تنزيه المسجد الحرام عن بدع جهلة العوام ـ فى مجلد الفه ابن الضياء المكى المتقدم.

● تراجم بعض اشراف مكة وامرائها ـ مجهول المؤلف ذكر صاحب الاعلام انه يوجد فى الحرم المكى فى ٢٥٠ صفحة وهو ناقص اوله وآخره.

● التحفة اللطيفة فى بناء المسجد الحرام والكعبة الشريفة ـ لمحب الدين محمد عز الدين المعروف

بابن فهد المكى المتقدم.

● تهنئة اهل الاسلام بتجديد بيت الله الحرام - للميمونى ابراهيم بن محمد (٩٩١ - ١٠٧٩ ق١٤٢٧/ ١٤٩٧).

● التشـويق الى البيت العتيق - لجمال الدين محمد بن احمد الطبرى المكى الشافعى تقدمت ترجمته.

● تشويق الحرمين - لفضل الله بن القـاضى نصـير الكسائى لم اقف على ترجمته.

● تحذير ائمة الاسلام عن تغيير بناء البيت الحرام - لابن زياد عبد الرحمن اليمنى لم اقف على ترجمته.

● تحفـة الكـرام باخبـار عمارة السقف والباب من البيت الحرام - لعلى بن عبد القادر الطبرى (ت١٠٧٠).

● تحفة القرى فى فضل القاطنين بام القرى - لعلى بن ابى بكر ابن الجمال المكى (١٠٠٢/ ١٠٧٢).

● ترجمة الاعلام فى اخبار بلد الله الحرام - لمحمود عبد الباقى الومى (من روم ايلى) (٩٣٣-١٠٠٨).

● تشـويق الانـام الى الحـج الى البيت الحرام - للمرعى بن يوسف الكرمى المقدسى.

● تمكين المقام فى المسجد الحرام - للبوسنوى على بن الحاج الحنفى الشهير بعلى دده (ت ١٠٠٧).

● تفضيل مكة على المدينة - لابن القيم الجوزية (٦٩١-٧٥١).

● تهييج الغرام على البلد الحرام - للفيروز أبادى محمد بن يعقوب (٧٢٩-٨١٧).

● تحفة الكرام باخبار البلد الحرام فى مختصـر شفاء الغرام - للفاسى تقى الدين المتقدم.

● تحصيـل المرام فى تاريخ البلد الحرام - لمحمد بن احمد تقى الدين الفاسى المغربى الاصل (٧٧٥هـ/ ٨٣٢هـ ق١٣٧٣/ ١٤٢٩م) وهو مختصر كتابه (العقد الثمين) ولابن فهد بن عمر بن محمد تعليق عليه سماه (ذيـل تاريـخ مكة) وهو من مخطوطات الدهلوى بالحرم المكى/ ١٠.

● تحصيـل المرام فى اخبار البلد الحرام - او (تحصيل المرام فى اخبار البيت الحـرام والمشـاعـر العظام) لمحمـد بن احمـد الصبـاغ المكى (١٢٤٣هـ/ ١٣٢١هـ) من مخطوطات الدهلوى بخزانة الحرم المكى/ ١١.

حـرف الجيـم:

● الجـوهرة الثمينة فى فضل مكة والمـدينـة - رسالة فى شكل مقامة مجهولة المؤلف ذكرها حاجي خليفة فى كشـف الظنون ج١ ص٦١٩.

● الجواهر المنظمة بفضيلة الكعبة المعظمـة - لعلى بن عبـد القـادر الطبرى الحسنى المكى الشافعى (ت١٠٧٠).

● جامع اخبار مكة - للمؤرخ ابو شامة المزداد بدمشق عام ٥٩٩هـ.

حـرف الحـاء:

● حسن الصفـا والابتهاج بذكر من ولى امـارة الحـج - لاحمـد الـرشيـدى وهو من علماء المغرب (ت ١٠٩٦هـ) بخـزانـة الحرم المكى/ ٢ اختصره الحضراوى احمد بن محمـد المكى الهـاشمى وسماه (مختصر حسن الصفا).

● الحجج المبينة فى التفضيل بين مكـة والمـدينـة - لجلال الـدين السيوطى (٨٠٩/ ت١١) بخزانة كوبنهاجن/ ٤.

● حرك سواكن الغـرام الى حج بيت الله الحـرام - للكـرمي بن يوسف المتوفى عام ١٦٢٤م.

● حفـر بئر زمـزم - للاخبـارى اسحق بن بشر (ت ٢٠٦).

● حمامـة البشـرى الى أهل مكة وحلماء أم القـرى - للمتنبى احمد القاديانى (ت١٩٠٨م).

حـرف الخـاء:

● خلاصة الرسائل فى فضائل مكة - للبرهانبورى محمد بن بار الهندى (١٠٤١ نحو ١١١٠هـ ق١٦٣١/

١٦٩٨م.

● الخطط المكية - للحضراوى محمد بن سعيد (١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م).

● خير القرى فى زيارة ام القرى - لاحمد بن عبد الله محمد الطبرى ولد سنة ٦١١ وتوفى سنة ٦٩٤.

● خريطة مكة والمشاعر - لمحمد زكى فارس طبع بجدة عام ١٤٠٢-١٤٠٣هـ.

حرف الدال:

● الدرة المكللة فى فتوح مكة المشرفة المكملة(١) لابى الحسن البكرى الشافى المتوفى عام ٩٥٢ بخزانة كمبردج/ ٥ وهو مطبوع.

● الدرة المكللة فى فتح مكة المبجلة - نظم لمحمد عبد الرحمن (٨٩٩-٩٥٢هـ/ ق١٤٩٣/ ١٥٤٥م وهو مطبوع ولعل هذا الكتاب هو نفس النسخة الموجودة فى خزانة كمبردج.

● الدر الكمين فى ذيل العقد الثمين فى تاريخ البلد الامين - للمؤرخ المكى ابن فهد، حققه ونشره حمد الجاسر صدر عن دار اليمامة والترجمة والنشر.

● دليل الحج للوارد الى مكة والمدينة من كل فج - للواء محمد صادق المصرى (١٣٨٧/ ١٣٢٠/ ق١٨٢٢ - ١٩٠٢م)، وهو مطبوع ومؤلفه هو اول رحالة عربى قام برحلة استكشافية علمية الى الحجاز، واول من أخذ قياسات طبوغرافية للقبر النبوى الشريف، ونظرا للقيمة العلمية لهذا الكتاب فاننى اقترح اعادة طبعه.

● الدائرة بين مكة والبلاد - لابن فضل العمرى القرشى (٧٠٠-٧٤٩هـ/ ق١٣٠١-١٣٤٩.

● درر الحكم فى اسرار مناسك الحج والبيت الحرام - رسالة الفها يونس وهبى الرومى الحنفى لم اقف على ترجمته.

● دار القلائد فيما يتعلق بزمزم وسقاية العباس من العوائد - لابن علان المكى المتقدم.

حرف الذال:

● الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الملوك - لتقى الدين احمد المقريزى (ت٨٤٥) وهو فى خمسة اجزاء(٢) ونشر كما قال صاحب الاعلام فى شكل رسالة فى المجلد السادس من مجلة الحج بمكة، ثم طبعت الرسالة مستقلة بمصر عام ١٩٥٥ توجد نسخة مخطوطة منه بخزانة كمبردج تحت رقم/ ٥.

حرف الراء:

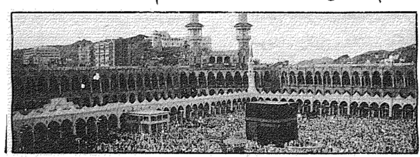
● رسالة فى بيان العمارة الواقعة بعد سقوط الكعبة - لعلى عبد القادر المتقدم.

● رسالة ذرع الكعبة المعظمة ومساحة المسجد الحرام - لديار بكرى (ت٩٦٦هـ) وهى فى عدة نسخ نسخة توجد ببرلين، ومكتبة الاسكندرية ودار الكتب العربية بالقاهرة ومكتبة الحرم المكى والمحمودية بالمدينة المنورة.

حرف الزاى:

● الزلف والقربة فى تعمير ما سقط من الكعبة - لتاج العارفين بن احمد المصرى (ت١٠٤٠).

● الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة - للفاسى تقى الدين المتقدم.



حـــرف الســـين

● سيرة عن الحرمين ـ للدكتور ابراهيم عبده ـ طبع بالقاهرة عام ١٣٨٠هـ.

حـــرف الشـين:

● شن الغارة على صانع نصب الستارة للكعبة ـ لعلى عبد القادر الطبرى المتقدم.

حـــرف الــلام:

● اللطـائف المنيفـة فى فضـل الحرمين وما حولها من الاماكن الشريفة ـ للفيومى عبد الله عبد القادر المصرى الحنفى (ت١٠١١)(٣).

● الاحوال السياسية والاقتصادية لمكـة فى العـصـر المـملوكى للمستشرق مريناردمورتيل.

حـــرف الصـــاد:

● صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجـاز ـ المسـمى (تـاريـخ المستبصر) لابن المجاور طبع فى ليدن سنة ١٩٥١م.

● صحائف الاخبار ـ لابن لطف الله (١١١٣هـ ١٧٠٢) فى التاريخ يوجد فى عدة مجلدات.

حـــرف الطـــاء:

● طراز العلمـين فى فضـائـل الحرمين المحترمين ـ لجمال الدين عبـد الهـادى الصنعانى اليمانى المـعـروف بابـن الـوزيـر (٧٥٩ـ٨٢٢هـ/ ق١٩٥٧/ ١٤١٩م).

● الطواف بالبيت ولو بعد الهدم ـ للقارى الهروى على بن سلطان فهد المتقدم.

● الطـبريـون من بيـوت العلم والسيـادة بمكـة ـ للمؤرخ على الطبرى المتقدم.

حـــرف العـــين:

● العقـد الثمين فى فضائل البلد الامـين ـ للحضـراوى احمـد بن محمـد المكى الهـاشمى (١٢٥٢ ـ ١٣٢٧ ق١٨٣٦ ـ ١٩٠٩م)

● عجـالـة القـرى للراغبـين فى تاريـخ ام القـرى ـ لتقى الـدين الفـاسى المتقدم وهو مختصر كتابه (العقد الثمين) المذكور.

● العلم المفـرد فى فضـل الحجر الاسود ـ لابن علان المكى المتقدم.

● عمارة المسجـد الحرام ـ للشيخ حسين باسلامة المتقدم صدر عن مؤسسة تهامة للنشر بجدة.

حـــرف الفـــاء:

● فضـائـل مكـة ـ لابن سرور المقدسى عبد الغنى عبد الواحد (٥٤١/ ٦٠٠).

● فضـائـل مكـة ـ لابى سعيد مفضل ابن محمد الشعبى (ت٣٠٠).

● فضائل مكة ـ لابن اللباد محمد بن محمد (٢٥٠هـ ٣٣٣هـ/ ق٨٦٤/ ١٩٤٤).

● فضائل مكة ـ لمحمد بن على ابن علان المكى الصديقى (ت١٠٥٧).

● فضـائـل مكـة والمـدينة ـ للحضراوى احمد بن محمد المكى الهاشمى (١٢٥٢ـ١٣٢٧هـ ق ١٨٣٦/ ١٩٠٩م)

● فضـائـل مكة والمدينة ـ لبلدر زادة محمد بن مصطفى القاضى (ت١٠٦٠).

● فضائل الحرمين ـ للبنانى محمد عبـد السـلام المغـربى الاصـل (١١٦٣هـ/ ق١٧٥٠م)

● فضـائـل المـدينـة على مكة ـ للابهـرى محمـد عبد الله المالكى (٢٨٧ ت ٣٧٥)

● فى رحاب البيت الحرام ـ لمحمد بن علوى بن عبـاس المـالكى الحسنى ـ لم اقف على ترجمته.

● فتـوح الحرمين ـ لعبد الله بن

الحسين الازرنجاني الرومي يوجد في جزئين بخزانة ايا صوفية.

حرف القاف:

● القرى في ساكن ام القرى - لمحب الدين الطبرى المكى الاصل(٤) (٦١٥-٦٩٤ هـ ق ١٢١٨/ ١٢٩٥م وهو مطبوع.

● قصة الكعبة - لابى عبيدة معمر بن المثنى البصرى لم اقف على ترجمته.

● الاقوال المعلمة في وقوع الكعبة المعظمة - لعلى عبد القادر بن محمد الطبرى الحسينى الشافعى تقدمت ترجمته.

حرف الكاف:

● كتاب الكعبة - للعياشى محمد بن مسعود العراقى السمرقندى (ت٣٢٠هـ).

● كتاب مكة والحرم - لعبيدة معمر بن المثنى البصرى لم اقف على ترجمته.

● كنز المطالب في فضائل البيت الحرام والشاذروان وما في زيارة القبر الشريف من المآرب - للحسن ابن العدوى الحمزاوى المصرى (١٢١٠-١٣٠٣).

● الكعبة المشرفة - لامينة الصاوى كاتبة مصرية معاصرة.

حرف الميم:

● منائح الكرم في اخبار مكة وولاة الحرم - لتاج الدين على السنجارى (ت١٠٩٥) من مخطوطات الدهلوى بخزانة الحرم المكى/ ٣٠.

● منايح الكرم في اخبار البيت و(ولاة) الحرم - مجهول المؤلف بخزانة الحرم المكى/ ٢ بخزانة طوبى قابى/ ٤ وبخزانة كمبردج.

● مرآة الحرمين - لابراهيم رفعت باشا المصرى (١٢٧٣-١٣٥٣هـ ق١٨٥٧/ ١٩٣٥م وهو في مجلدين طبع بمصر عام ١٣٤٤هـ.

● مثير عزم الساكن الى اشرف الاماكن - في تاريخ مكة والمدينة الفه ابن الجوزى (٥٠٨-٥٩٧هـ ق١١١٤/ ١٢٠١).

● مثير شوق الانام إلى حج بيت الله الحرام - لابن علان محمد بن على (٩٩٦-١٠٧٦هـ ق/ ١٥٨٨-١٦٤٧).

● مكة في عصر ما قبل الاسلام - لاحمد ابو الفضل من منشورات دارة الملك عبد العزيز.

● مسودة تاريخ مكة - قال صاحب (الاعلام) رحمه الله ان هذه المسودة تقع في جزءين في مجلد وهي مجهولة المؤلف رآها ضمن



كتب ارامكو بالقاهرة، جاء فيها انها الفت سنة ١٠٣١هـ وفي آخرها عبارة: انتهت المسودة ملخصة من تاريخ السيد رضى الدين بن حيدر وقال: عليها هوامش قليلة كتبت في اوائل القرن الثالث عشر للهجرة كتبها عبد الستار الصديقى الحنفى بن عبد الوهاب الكتبى المكى.

● مخاطبات بينى وبين الكعبة المشرفة - لابن العربى (٥٦٠-٦٣٨).

● مناقب مكة - لشيخ التربة على دده مصطفى الموستاوى، ثم الكتوارى المتقدم. مخطوطة في ٤٨ صفحة توجد في خزانة جامعة الرياض - الاعلام ج٤ ص٢٨٢.

● منازل مكة - لابن الكوفى - ٢٥٤هـ - ٣٤٨هـ/ ق٨٢٨ - ٩٦٠م.

● مناسك الحج وبيان حقيقة مكة والمدينة - للبرهانبورى محمد الهندى المتقدم.

● المرام فى احوال البيت الحرام - لمصطفى بن سنان الطوسى من مستعربى الروم (١٠٣٢هـ ق١٦٢٣م)

● مساحة الكعبة والمسجد الحرام - رسالة الفها الديار بكرى حسين بن محمد قاضى بمكة (٩٦٦هـ ق١٥٥٩م).

● المياه بمكة وادوارها التاريخية - مطبوع الفه ابن عبد المقصود خوجة محمد بن سعيد (١٣٦٠هـ ١٩٤١م).

● مهيج الغرام الى البلد الحرام - لمجد الدين ابن طاهر الفيروز ابادى (ت٧١٧).

● محرك سواكن الغرام الى حج بيت الله الحرام - لمرعى بن يوسف الكرمى المتقدم.

● مرآة الحرمين - بالتركية فى تاريخ المدينتين المقدستين لايوب صبرى باشا الرومى فى خمس مجلدات وهو مطبوع.

● مرآة مكة - لايوب صبرى باشا المتقدم (ت ١٨٩٠) الفه سنة ١٣٠٢هـ ١٨٨٤م.

● المناهل العذبة فى اصلاح ما تهدم من الكعبة - لابن حجر المكى الهيثمى شهاب الدين احمد (٨٩٩/ ت٩٧٤هـ).

● ما انفرد به اهل مكة - لابن حبان محمد بن حبان بن احمد (ت٣٥٤).

● منازل الحج - لابن العطار ابو عبد الله (ت٨٣٠).

● منهل الطرافة بذيل مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة - لابن فهد المكى المتقدم.

● مكة وعلاقاتها الخارجية - لاحمد عمر الزيلعى - صدر عن قسم النشر العلمى بجامعة الرياض.

حرف النون:

● نزهة الورى فى اخبار ام القرى - لابن النجار محمد بن محمود (٥٧٨ - ٦٤٣هـ ق ١١٨٣/ ١٢٤٥م).

● نسبة الاعمال وخلاصة الافعال فى تاريخ مكة والمدينة - لسعد الدين الاسفرائينى المتوفى عام ٥٨١هـ بخزانة الحرم المكى/ ٢.

● نشر النور والزهر فى تراجم افاضل اهل مكة من القرن العاشر الى القرن الرابع عشر - او الدر المكنون - او الميمون فى تراجم اهل الخمسة قرون - هذا الكتاب له عدة عناوين وهو من تأليف عبد الله بن احمد بن ميرداد (١٣٤٣هـ/ ق١٩٢٤) خطيب المسجد الحرام، يقع فى مجلد ضخم يوجد بخط المؤلف فى مكتبة عبد الوهاب الدهلوى بخزانة الحرم المكى.

● نظم الدرر فى اختصار نشر النور والزهر فى تراجم علماء مكة وافاضلها من القرن العاشر الى الرابع عشر - وهو اختصار للكتاب المتقدم لعبد الله بن محمد غازى الهندى يوجد بمكتبة نصيف بجدة.

● النخبة السنية فى الحوادث المكية - لابى عبد الشكور احمد بن امين المكى الاصل (١٢٣٥-١٣٢٣هـ/ ق١٨٣٩-١٩٠٥م).

● نزهة الكرام فى مدح طيبة والبيت الحرام - نظم للشيخ الامام سعيد بن محمد القرشى الشافعى (ت٨٢٨) قصيدة شعرية فى تسعين بيتا، من بحر الكامل والقافية من المتدارك قال عنها حاجى خليفة فى (كشفه) انها جامعة لاشتات الفضائل.

● النبا الانبه فى الكعبة - لابن حجر العسقلانى (٧٧٣-٨٥٢هـ).

● نيل المرام فى فضل بيت الله الحرام - لمحمد بن ظافر المكى لم اقف على ترجمته.

● نفح العود فى ايام الشريف حمود - لعبد الرحمن بن احمد البهكلى الصمدى القاضى المولود سنة ١١٨٠ وهو فى تاريخ مكة كما قال البغدادى فى كتابه (ايضاح المكنون).

● نصح ملوك الاسلام بالتعريف بما يجب عليهم من حقوق الى

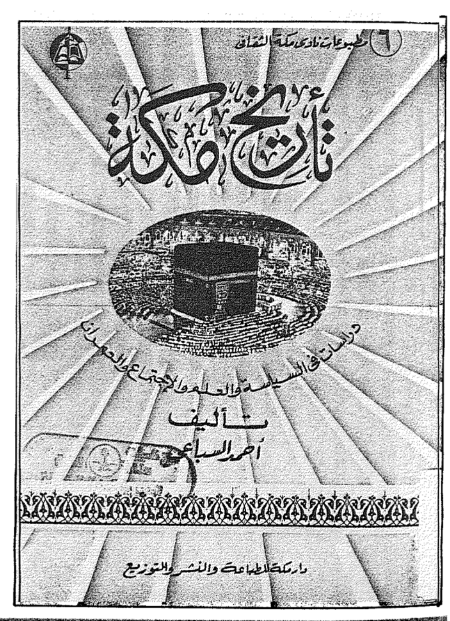
البيت الحرام - لعبد الله محمد بن غالب احمد المكناسى الشهير بابن الكاك (ت٨٠٧).

● نشر الوية التشريف بالاعلام والتعريف بمن له ولاية عمارة ما سقط من البيت الشريف - لمحمد على المعروف بإبن علان المكى المتقدم.

● نزهة ذوى الاحكام باخبار الخطباء والائمة وقضاة بلد الله الحرام - لعز الدين عبد العزيز المكى المعروف بابن فهد المتقدم.

● النبذة اللطيفة فى بيان مقاصد الحجاز ومعالمه الشريفه - لشهاب الدين احمد بن سلامة القليوبى المصرى الشافعى (ت٦٣٢هـ).

● نظم تاريخ مكة للازرقى - للارمنتى تقى الدين عبد الملك المصرى الشافعى (ت٦٣٢هـ).



● نشر الانفاس فى فضائل زمزم وسقاية العباس - للزمزمى خليفة بن ابى الفرج (ت١٠٦).

حرف الهاء:

● هداية الثقلين فى فضل الحرمين - لابن عراق محمد بن على عبد الرحمن (٨٧٨ - ٩٣٣هـ ق٤٧٣/ ١٥٢٦م)

● هدى الحرمين - لمحى الادونه محى الدين محمد (ت١٠١٤).

حرف الواو:

● وصف لمدينة مكة والمدينة - لمؤلف مجهول بخزانة لوثر/٣.

● ولاة مكة بعد الفاسى - لعبد الستار الدهلوى رسالة طبعت بمصر سنة ١٩٥٦ مع (شفاء الغرام) للفاسى.

● وجوب طواف البيت على الانام ولو كان بعد الانهدام - لمؤلف مجهول ذكره البغدادى فى كتابه (ايضاح المكنون) ج٤ ص٧٠١.

● الوصول والمنى فى فضل منى - للفيروز أبادى المتقدم.

● ولاة مكة - ابن فهد النجم عمر (٨٨٥هـ) توجد نسخة منه فى مدراس بالهند ونسخة اخرى مصورة فى مكتبة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.

المسجـ
وليس بثـ

خاص جدا للمنهل

ولعدده الرائد عن مكة المكرمة

هذا البحث العميق، مداخلة علمية ثرة من أب كريم وعالم جليل، آثر به الأستاذ العطار منهله مشاركة منه فى هذا العدد الذى تطوف كلماته حول البيت العتيق ومكة المكرمة . .

ـد الأقصى ثالث المساجـد
ـالث الحـرمـين

بقلم: احمد عبد الغفور عطار

(مكة المكرمة)

قرأت فى بعض صحفنا الصادرة جملة «الحرم الثالث» يقصدون به المسجد الاقصى المبارك المذكور فى أول آية من سورة الاسراء من كتاب الله العزيز. والآية الكريمة المحكمة هى: **﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾**.

ويقع بعض مفسرى القرآن الكريم فى وهم إذ يحسبون المسجد الأقصى حرما.

ومن هؤلاء المفسرين المحدثين العالم الاستاذ محمد جواد مغنية فى تفسيره الجيد المسمى **«تفسير الكاشف»** المجلد الخامس ص١١ مانصه.

«وقد جاء فى كثير من الروايات أن رسول الله قيد البراق بالصخرة المقدسة حين بلغ به الاسراء الى بيت المقدس وحتى الآن يسمى الجدار الغربى للحرم القدسى بجدار البراق.. الخ».

وغريب أن يقع علامة واسع الاطلاع ثاقب النظر فى خطأ كهذا فيسمي غير الحرم حرما فى الوقت الذى فهم معنى الحرم من ليسوا بمسلمين وليسوا بعلماء فعندما وقع حادث جهيمان سنة ١٤٠١هـ كنت اتعالج بمدينة «سان فرنسسكو» واتصل بى هاتفيا التلفزيون الأمريكى الـ «بى بى سى» إذا كنت اسمح لمندوبة التلفزيون الأمريكى ومعها مصور لتتحدث معى حول حادث الحرم الشريف فسمحت.

وقالت السيدة الفاضلة: **«اذا كان القتال محرما أشد التحريم فى أرض الحرم، وكل مكة حرم معروفة حدوده فكيف القتال فى الحرم؟..** فأجبتها: إن الحكومة السعودية التى تعرف معنى الحرم وتحميه لم تقم بالقتال فيه وإنما حمت الحرم والسلام بمقاتلة القتال فيه. وهذا جائز لضمان السلام فى أرض الحرم وحمايتها.

وعرض التلفزيون الأمريكى فى نشرة الأخبار الرسمية العامة صورة السيدة وصورتى، ورآهما المشاهدون وفيهم سعوديون فى مختلف الولايات المتحدة الامريكية.. وليس فى الأرض غير حرمين اثنين وهما: حرم مكة وحرم المدينة المنورة حرسهما الله وزادهما تشريفا وتعظيما ومهابة وإجلالا، ولكن هناك ثلاثة مساجد هى: **مسجد مكة، ومسجد المدينة المنورة، والمسجد الأقصى**.

وأباح الاسلام شد الرحال الى هؤلاء المساجد الثلاثة وفى جامع الاصول من أحاديث الرسول المجلد العاشر صفحة ١٨٠ ورقم الحديث ٦٨٧٩: **«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول:**

والمسجد الأقصى» (أخرجه البخاري ومسلم).

وفي مؤلفي «قاموس الحج والعمرة» في مادة «الحرم» ص١٠٥-١٠٧:

الحرم: إذا أطلق فهو حرم مكة حرسها الله، وأطلق عليه حرم لأن الله عز وجل حرّم مكة منذ خلق السماوات والأرض وجعلها حراماً، حرم فيها بعض ما هو حلال في غيرها، حرم فيها قطع شجرها مع أنه حلال في غيرها، وحرم فيها القتال لأنها أرض السلام، وحرم التقاط لقطتها إلا على من التقطها لإيصالها الى صاحبها (راجع مادة اللقطة صفحة ١٩٥).

والحرمان: حرم مكة وحرم المدينة حرسهما الله، ولكل حرم منهما حدود من جميع جهاته، وما خرج عن هذه الحدود فهو حل، وجعل لحجاج بيته وعُمّاره ميقاتاً يحرمون منه، وبعض المواقيت يبعد عن الحرم مئات الكيلو مترات، وأقلها بعداً يبعد بعشرات الكيلومترات.

«وما في الأرض حرم غيرهما حتى إن بيت المقدس والمسجد الأقصى ليسا بحرم وان كانا مقدسين.

«ولهذا أوجب الله على حجاج حرم مكة وعُمّاره أن يخلعوا ملابسهم المعتادة ويلبسوا ملابس الاحرام وهم على بعد شاسع عنه ليدخلوه طائعين خاشعين ملبين أذلاء لرب العالمين.

«ويجب على قاصد الحرمين أن يتخذ نفقته من حلال طيب، وأن يتأدب لدخولها والإقامة بها، أما أهل الحرمين والمجاورون بها فإن من الفرض عليهم أن يكونوا مثلا عالياً في الصلاح والتقوى، والتنزه عن كل ما يسخط الله من قول وفعل لا يتفقان مع جلال الحرمين وعلو مكانتها عند الله وعند رسوله، لأن الحسنة في حرم رسول الله بألف حسنة، وفي حرم الله بمئة ألف، وكذلك السيئة

وقَصْدُ حرم مكة الذي صار حرماً لوجود بيت الله الحرام به فريضة على كل مسلم ومسلمة ولو كانا بعيدين عنه في أقصى الأرض».

■ وقلت في مؤلفي «قاموس الحج والعمرة» مادة «المسجد الحرام» و«المسجد النبوي الشريف» ما نصه:

المسجد الحرام: المصلى الجامع الأكبر المحيط بالكعبة المعظمة بيت الله الحرام، وسماه الله المسجد الحرام، وتسمى مكة المسجد الحرام، بل الحرم كله المسجد الحرام.

«وتقع الكعبة في وسط المسجد الحرام الذي يقع هو نفسه في وسط مكة، ومكة سرة الأرض.

«والصلاة بالمسجد الحرام بمئة ألف صلاة، يقول رسول الله ﴿ﷺ﴾: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة إلا في المسجد الحرام، وفضل المسجد الحرام على مسجدي هذا مئة صلاة».

■ **يقول عطاء بن أبي رباح**: «المسجد الحرام: الحرم كله».

والمسجد الحرام أول مسجد وضع على وجه الأرض، وقد سئل رسول الله ﴿ﷺ﴾ أي المساجد على وجه الأرض وضع أولا؟ فقال: «المسجد الحرام».

والحسنات تضاعف بالمسجد الحرام الذي هو المسجد ومكة والحرم كله، وكذلك السيئات، حتى إن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما آثر سكنى الطائف مخافة هذه المضاعفة في السيئات ورعاً منه وزهداً.

والمساجد الثلاثة ليست جميعا أحراما، وانما اثنان منهن حرمان وهما: المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف، وأما المسجد الأقصى فليس بحرم البتة ولكنه مسجد مقدس شريف.

وتتفاوت المساجد الثلاثة بعضها عن بعض في الفضل ومن ذلك ما جاء في الجزء العاشر من «جامع الأصول» ص١٨١-١٨٤: حدث أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة ـ أو كألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا أن

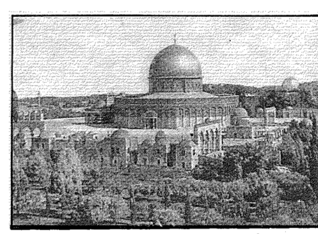
يكون المسجد الحرام» (أخرجه مسلم).

وأخرج البخارى قال: «صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام» وأخرج الموطأ رواية البخارى. وأخرج الترمذى الرواية الثانية بطولها.

■ وعن سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: «صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام» (أخرجه مسلم والنسائى).

■ وعن أم المؤمنين ميمونة رضى الله عنها قالت: «عن الصلاة فى مسجد الرسول ﴿ﷺ﴾ إنى سمعت رسول الله يقول: الصلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا مسجد الكعبة» (أخرجه النسائى).

■ وفضائل مكة - حرسها الله - كثيرة لا تحصى. ومما جاء من هذه الفضائل بل أعظم فضائلها ما رواه أبو شريح العدوى رضى الله عنه أتم الرضا وجعل قبره من رياض الجنة قال لعمرو بن سعد - وهو يبعث البعوث إلى مكة - «ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولا قام به رسول الله ﴿ﷺ﴾ الغد من يوم الفتح، سمعته أذناي، ووعاه قلبى، وأبصرته عيناى، حين تكلم به: أنه حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن مكة حرمها الله، ولم يحرمها الناس. فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر - أن يسفك فيها دماً ولا يعضد فيها شجرة فإن أحد ترخص لقتال رسول الله فيها، فقولوا له: إن الله قد أذن لرسوله، ولم يأذن لكم، وإنما أذن لى فيها ساعة من نهار. ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، ليبلغ الشاهد الغائب. فقيل لأبى شريح: ماذا قال لك عمرو؟ قال: قال: أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح إن الحرم لا يعيذ عاصيا ولا فارا بدم، ولا فارا بخربة» (أخرجه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى، وأخرجه الترمذى أيضا نحوه، وقال فى آخره «ثم إنكم يا معشر خزاعة قتلتم هذا الرجل من هذيل، وإن عاقلة من قُتل له قتيل بعد اليوم فأهله بين خِيَرتَين إما أن يقتلوا، أو

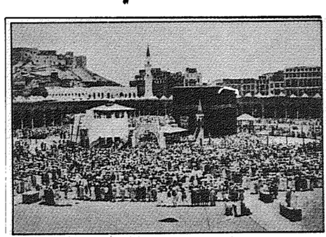


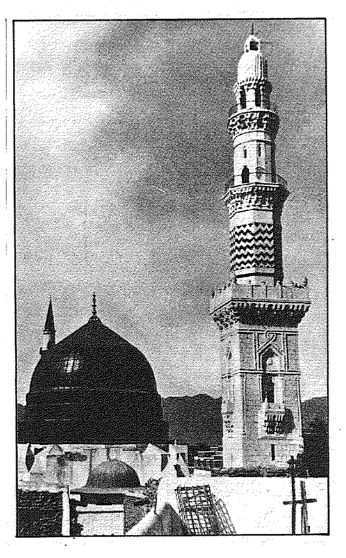
يأخذوا العَقْل» قال البخارى: الخِرَبة الجناية والبلية وقال الترمذى: ويروى «بخزية».

■ وعن سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال يوم فتح مكة: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استُنْفِرتُم فانفروا» وقال يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرَّمه اللهُ يوم خلق السموات والأرض. فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة، لا يُعْضَد شوكه، ولا يُنفَّر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا مَنْ عَرَّفها، ولا يُخْتَلى خلاه، فقال العباس: يارسول الله إلا الإذْخِر. فإنه لقَيْنهم وبُيوتهم، فقال: إلا الإذْخِر» أخرجه البخارى ومسلم.

■ وللبخارى: أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال «لا يُعْضَدُ عضاهُها، ولا ينفر صيدها، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد ولا يختلى خلاها، قال العباس: يا رسول الله، إلا الإذخر؟ قال: إلا الإذخر» وفى أخرى: أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ حرم الله مكة، فلم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي، أحلت لى ساعة من نهار. لا يختلى خلالها، ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلا لمُعَرِّف. فقال العباس: إلا الإذخر» لصاغتنا أو قبورنا - وفى رواية: ولسقف بيوتنا - فقال: إلا الإذخر فقال عكرمة: هل تدرى ما ينفر صيدها؟ هو أن تنحيه من الظل وتنزل مكانه. وأخرجه عن مجاهد مرسلا، وأخرجه النسائى مثل الرواية الثانية التى للبخارى.

وله فى أخرى: قال يوم الفتح: «هذا البلد حرمه الله





يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته، إلا من عرفها، ولا يختلى خلاه قال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر - أو قال كلمة معناها: «إلا الإذخر» وله فى أخرى: أنه قال: «إن هذا البلد حرام بحرمة الله عز وجل، ولم يحل فيه القتال لأحد قبلي، وأحل لي ساعة فهو حرام بحرمة الله عز وجل».

وأخرج أبو داود بمثل حديث قبله عن أبى هريرة - وهو لفظ عقيب حديث أبى هريرة عن ابن عباس فى هذه القصة: «ولا يختلى خلاها» وحديث أبى هريرة الذى أخرجه أبو داود وأحال هذا الحديث عليه: ذكر فى غزوة الفتح من كتاب الغزوات فى حرف الغين.

وعن جابر رضى الله عنه: أن النبى ﴿ﷺ﴾ قال: «لا يحل أن يحمل السلاح بمكة» أخرجه مسلم.

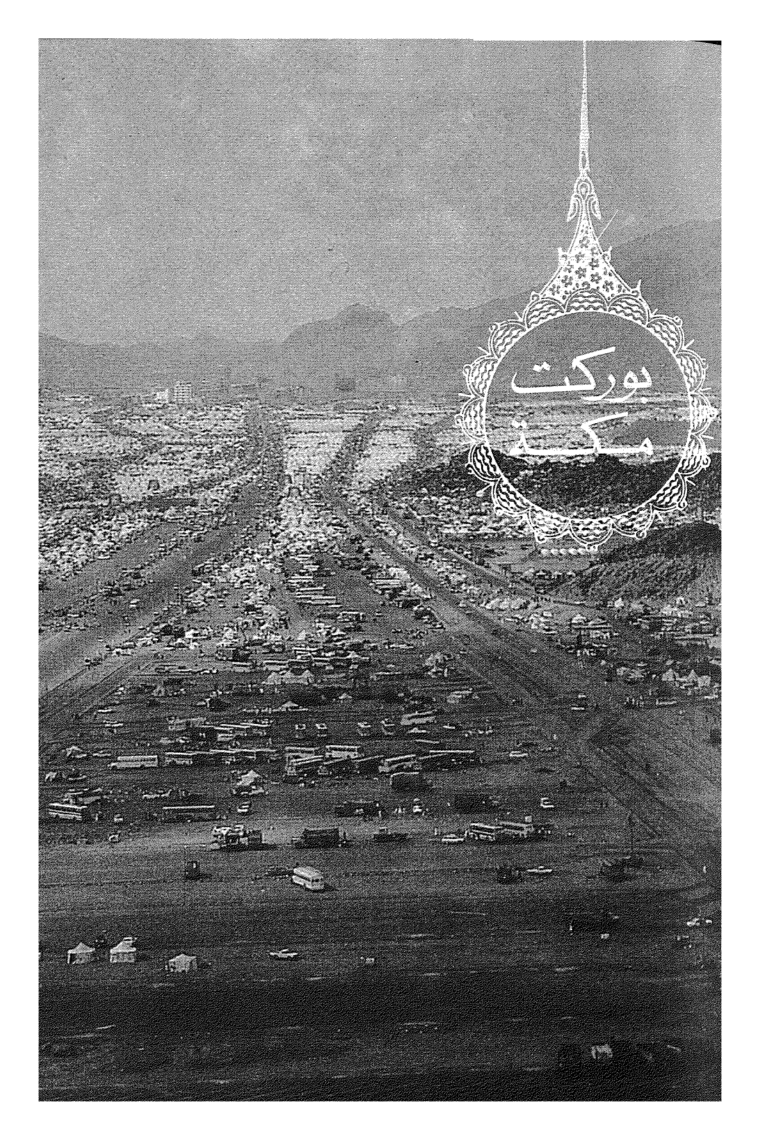
وعن الحرث بن مالك بن البرصاء رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول يوم فتح مكة: «لا تغزى هذه بعد اليوم، إلى يوم القيامة» أخرجه الترمذى.

وعن عبد الله بن عدى بن الحمراء رضى الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﴿ﷺ﴾ واقفاً على الحزورة، وهو يقول: والله إنك لخير أرض، وأحب أرض إلى الله. ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت» أخرجه الترمذى.

وعن سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: قال النبى ﴿ﷺ﴾ لمكة: «ما أطيبك من بلد، وأحبك إلي، ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت» أخرجه الترمذى.

■ ويجب علينا نحن أهل مكة حرسها الله أشد الوجوب أن نكون على مستوى الشرف الأسمى فلا يصدر منا إلا ما كان متفقا معه أتم الاتفاق.

وكذلك الأمر بالنسبة لأهل المدينة المنورة جيران رسول الله ﴿ﷺ﴾ وسكان حرمه الشريف أن يرتفعوا الى مستوى هذا الشرف الأسمى بفضل الله ومشيئته، فكما تتضاعف الحسنات فى الحرمين الشريفين تتضاعف السيئات، فلننظر أى النجدين نسلك، وفقنا الله لما يحب ويرضى، وتجاوز عن سيئات اعمالنا وأقوالنا وهدانا الى الصراط المستقيم.





على عبد الله كاظم — عبد العزيز شمس — عبد الوهاب بيرون — ميثم عباس غلوم — على احمد باقر — عبد الله أسد

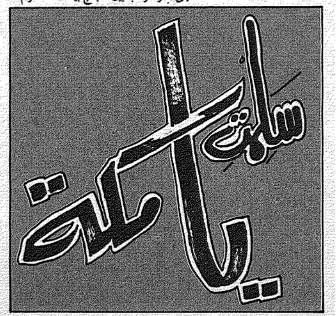
● صور من وكالة الأنباء السعودية



من آثار هذا الاعتداء الآثم



كان الاعتداء حاقداً أحمقا هدف إلى نشر الرعب بين حجاج بيت الله الحرام.



التحرير

سلمت يا مكة . . فأنت البلد الذى شهد أروع ملتقى لأبي الانبيـاء ابـراهيم وإبنه اسماعيل عليهما السلام وام اسماعيل هاجر عليها السلام فكان بيتك المحرم . . إنّ هذا اللقـاء أصبح الانموذج الأمثل للحجيج القاصدين إلى بيتـك المحـرم منـذ أن رفـع النبيـان الكـريمان ابراهيم واسماعيل، القواعد من هذا البيت ليكون مثابة للناس وأمنا .

ثم توالت الحِجَجُ للمسلمين منذ ذلك الحين ومرت الدهور ليكون حرمك مسقط رأس الحبيب المصطفى محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ومبعثه للناس كافة بعد أن كلفه الله بإبلاغ دعوته ورسالته للعالمين وذلك بالوحي المنـزل فى جبـل حراء حيث كان عليه الصلاة والسلام يتحنس ـ بالحاء المهملة ـ حينما جاءه جبريل عليه السلام قائلًا له : **«إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق، إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم»**.

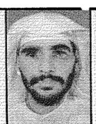
ومن أركان هذا الدين الحنيف، الحج إلى بيتك المحرم يا مكة الخير، الذي فرض على كل مسلم وجد السبيل ميسراً للقصد اليه لتعظيم شعائر الله فى نواحيك المقدسة وجنباتك الطاهرة. . وأرضك الطيبة .

هذا هو مقامك في العالمين حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

■ ثم كان ما كان من توالى الـزمن وكـر الليالي والايام والشهور والدهور. . خمسة عشر قرناً منذ هجرة المصطفى الكريم من رحابك الى طيبة الطيبة، تذكرنا بمن صدقه







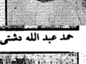









محمد بهمن — يوسف عبد الله غلوم — سيد احمد عبد الرسول — هانى حبيب طاهر — اسماعيل جعفر غلوم — محمد عبد الله دشتى — حسن عبد الجليل — صالح ياسـ



من آثار هذا الانفجار المدمر





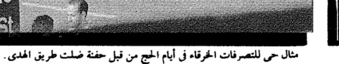
يرفعون صورة الخمينى ويهتفون بحياته فى حرم الله

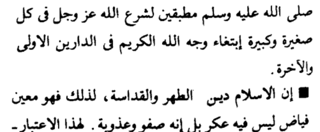
ضحايا هذا الاعتداء الغاشم على حجاج بيت الله.



صورة تعكس التخطيط المبيت والمدبّر على المسلمين







مثال حى للتصرفات الخرقاء فى أيام الحج من قبل حفنة ضلت طريق الهدى.

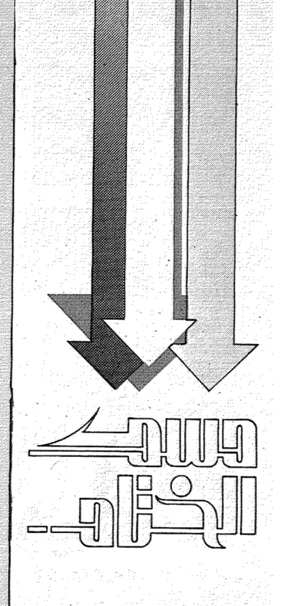
من المهـاجرين والانصار الطيبين الطاهرين الذين تابعوه صلى الله عليه وسلم مطبقين لشرع الله عز وجل فى كل صغيرة وكبيرة إبتغاء وجه الله الكريم فى الدارين الاولى والآخرة.

■ إن الاسلام دين الطهر والقداسة، لذلك فهو معين فياض ليس فيه عكر بل إنه صفو وعذوبة. لهذا الاعتبار ـ وياله من اعتبار سامٍ ـ نُفِّذَ حكم الله ولا يزال يُنَفَّذ فى كل من تُسول له نفسه تعكير هذا الصفاء.. وهذا المعين.. وهذا الينبوع الفياض.

لقـد حرمـك الله وقـدسك يا مكة الخير منذ الأزل لتكونى مثابة للناس وأمناً فعلام يحاول البعض الاساءة إليك ولقد أتى الحكم الشرعي في المجرمين مصداقاً لقوله تعـالى فى حقك: **﴿ومن يرد فيه بإلحادٍ بظلمٍ نذقه من عذابٍ أليم﴾**.

■ سلمت.. يا مكة من أي سوء.. أو إفساد.. او مجرد محاولة للنيل من كل قطرة من نداك المقدس وترابك الطاهر أو النيل من اي مسلم قصد بيتك الحرام فى الشهر الحرام. فانت موطن الأمن والأمان فى كل حين.. وكل نبض.. وكل لحظة.

فالسـلام عليـك فى الأولـين والآخرين وصدق الله العظيم القائل: **﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين﴾**.. والقائل: **﴿أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون﴾**.



عبر جسر من نور مكة

في لحظات سريعه وجد أحمد طبيب ـ العامل العربي بأحد مصانع الاخشاب الامريكيه ـ نفسه يعبر بحر الظلمات ويغرق في نور مكة . . يعانقها بشدة ولما شرب من ماء زمزم أحس انه يطفىء لهيب اشواق استقرت في نفسه لاكثر من عشرين سنة امضاها غريباً في الدنيا الجديده، ومع انه أحس ان هذه «الدنيا» لم تستطع ان تحتفظ به اكثر مما فعلت فها هو قد أفلت الآن من إسارها . . ابتسم احمد طبيب ابتسامة المنتصر وهو يطوف بالبيت العتيق وما أن وقع بصره على الحجر الاسود حتى أحس ان قوة خارجة عنه تدفعه، واذا به يلثمه ويعانقه عناق لقاء ووداع في آن واحد وردد في نفسه أهذا من رائحة الجنة؟ وأحس بإرتياح مضيء يملأ جوانحه رغم الزحام والحر. لكنه لا يشعر بهذا كله ولا بمن حوله وانما يغيب في لحظات ساحرة يتصور فيها يوم الفتح يوم دخل رسول الله ﴿ﷺ﴾ مكة منتصراً.

يخيل اليه في لحظة حلم انه كان من هؤلاء الرجال الذين صاحبوا الرسول، يثب الى ذهنه سؤال: ولم لا؟ يتطلع بعينيه السوداوين الى الناس يتزاحمون بالمناكب طائفين. لماذا؟ آه . . لو يتزاحمون هكذا على الجهاد . . وتذكر أحمد طبيب مراتع صباه في الارض السليبه. رأى رجلاً ـ ليس عربياً ـ يبكي بحرقة على جدار الكعبة . . دمعت عيناه . . كانوا يبكون اذا ما تخلفوا عن رسول الله في رحلة الجهاد.

عاد بحماس مرة أخرى الى الحجر الاسود يلثمه



بقلم: د. محمد أبو بكر حميد (الرياض)

وبللت دموعه الحجر، ام سالت دموع من الحجر فى عصر اصبحت فيه قلوب الناس أقسى من الحجر. استغفر احمد طبيب ربه.. انهمرت دموعه بغزارة ووجد نفسه يهتف، وجسده كله يرتعش خشوعاً وتضرعاً.

يارب أنلنى الشهادة.. أريد قربك. يارب أخرجنى من هذه الدنيا مخرج صدق.. قالها مرة واحدة لكنها كانت بكل جوارحه. أحس ان الشعر الذى يتساقط منذ سنوات من مقدمة رأسه قد عاد من جديد يقشعر لهذا الموقف الجليل بين يدي ربه.

وأمضى أحمد طبيب الليل فى صلاة. وفى الصباح كان على متن الطائرة يسبح فى الفضاء داخله شعور لم يجربه من قبل.. أحس انه قد تطهر تماماً من بقايا درن الدنيا الجديدة باداء فريضة الحج، وهو لا يريد ان يشوب هذه الطهاره التى ينبض بها قلبه وتعيشها روحه، وما بعد الحج الا الجهاد. وصمت صمتاً طويلاً والفكرة تتدافع بقوه من اعماق نفسه، واخذته غفوة وهو يتذكر منظر ولديه جمال ورشاد وهما يودعانه ويعانقانه بقوه ورجوله كما علمهما. كان امنيته ان يجعل جهاده العظيم فيهما.. كان يريد ان ينقلهما الى منبت حسن وتسللت من عينيه دمعتان ساختنتان أحس بثقلهما على خديه: **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾**.

ومن ارض باكستان وجد نفسه ينطلق فى خطوات سريعة الى صفوف المجاهدين فى افغانستان عانق المجاهدين فى افغانستان عانق المجاهدين بقوه شعروا فيها بحرارة ايمانه ثم عانق السلاح، وفى لحظات وجد نفسه يتلو قوله تعالى: **﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويشفى صدور قوم مؤمنين﴾**. والنار تنطلق من كل مكان، وأناس مسلمون يتساقطون.. سخر من الموت ولاحت أمامه الشهادة أفقاً منفتحاً بالنور. وردد فى نفسه، وقلبه يقطر دماً متى يتاح لنا ذلك فى فلسطين؟.

وانغمس تماماً فى المعركة ولبس روح الجهاد واستولت عليه فكرة الشهادة لولا ألم يجتاح قلبه كلما تذكر ولديه.

وفى المساء رأى أشياء كثيرة.. رأى نفسه يعانق جمالا ورشاد اكبرهما يتلو عليه قوله تعالى: **﴿قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم﴾** الى قوله تعالى: **﴿احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا..﴾**.

قال الابن: يا ابتى انت شهيد.

قال الاب: نعم ولكن **﴿لا تقولوا لمن يُقتل فى سبيل الله أموات بل احياء عند ربهم ولكن لا تشعرون﴾** ثم وجد نفسه يودع الوجوه التى احبها فى مسجد تلك المدينة الامريكية الصغيرة. المسجد الذى يمثل نقطة نور من السماء فى ارض الظلام.. رأى نفسه يقول لهم مذكرا **﴿والذين جاهدوا فى سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله﴾**.

فى اليوم التالى عانق احمد طبيب اخوانه في الله عناقاً حاراً لا مثيل له الا ذلك العناق الذى عانق به الحجر الاسود فى صدر مكة، جرح جرحاً غائراً وأحس انه ألذّ ألمٍ أحس به فى حياته.. آه لو يتكرر وصرخ بصوت عال: الجنة يارب. وكانت أيام تخفف فيها من ثقل الطين الى شفافية الروح ورأى أناسا لا يعرفهم ـ وهو مسجى بالمستشفى يأتونه مهنئين ورأى آخرين يبشرونه **﴿نحن اولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة﴾** فاطمأن على مستقبل ولديه ثم رأى جسراً من نور يمتد من مكة لينتشله ويبعد به الى السماء وكانت فى تلك اللحظة قد نزلت ملائكة رحيمه لتقطف زهرة روحه من وحل الدنيا لتضمها الى حدائق الجنة وعالم الخلود حيث يستقر الشهداء والصديقون والابرار. ويهتف احمد طبيب مع نَفَسِهِ الأخير: ان وعد الله حق.. ان وعد الله حق. وراى اشياء لا يراها الا من يقف على مشارف الموت شهيداً.

فى خدمة المدينة المقدسة

مكتب المهندس الاستشارى زكى محمد على فارسي:

■ المهندس/ زكى محمد على فارسي... هو أحد أبناء مكة المكرمة الذين أخذوا على عاتقهم أن يشاركوا فى النهضة التى شهدتها المملكة فى كل مدنها. حيث كان من واقع وظيفته السابقة فى جهاز تخطيط المنطقة الغربية تلمس حاجة هذا البلد ومواطنيه الى ما يرشدهم خلال التطور العمرانى الهائل والتى تمثلت فى انتاج الخرائط الارشادية لمدن المملكة العربية السعودية. كانت تلك الحاجة تتضح كلما نمت المدينة وتطورت وكان هذا النمو سريعا ويُرى يتزايد بنسب تُعْتبر خيالية بالنسبة لأى تطور حدث فى أى دولة من الدول النامية بل والمتقدمة أيضا.

الخرائط الارشادية:

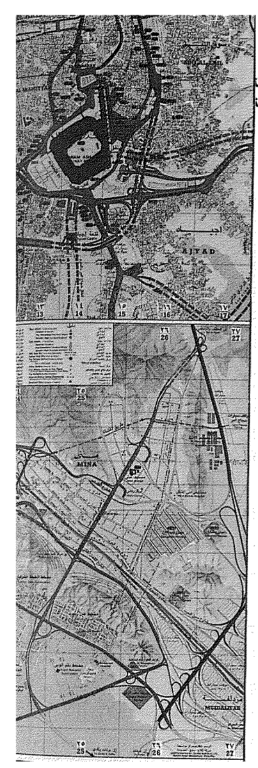
وكانت البداية بالفعل بخريطة مكة المكرمة باعتبار أن مكة المكرمة هى مسقط رأس المهندس/ زكى محمد على فارسي الذى يقول بكل العرفان إن التشجيع والدعم الذى لاقاه من قبل كلٍ من وزارة الداخلية ووزارة الشئون البلدية والقروية ووزارة المواصلات كان له أكبر الأثر فى دفع مكتبه الهندسي الوطني نحو استكمال سلسلة الخرائط لبقية مدن المملكة.



■ وبملخص سريع عن محتويات وعناصر هذه الخرائط نعطي فكرة للقارىء عما تشتمله الخريطة لكل مدينة. فانه نظرا للتوسع الهائل الذى طرأ على حجم المدن، فقد كان من الضرورى أن يتم اظهار المدينة على خريطة عامة توضيحية.. على أحد أوجه الخريطة يظهر كامل المدينة بمداخلها ومخارجها وطبيعتها الجغرافية وما يحيطها من معالم. كما يظهر فى هذا الوجه مسميات الطرق والأحياء والمواقع الهامة بالمدينة. كما أُضيف فهرس للخدمات الهامة التى يحتاجها الزائر والمقيم، مصنفا لونيا ورقميا وأبجديا، لكل نوع من أنواع الخدمات، بحيث يمكن الرجوع من الفهرس الى موقع أى خدمة على الخريطة باستخدام المرجع الشبكي.

■ أما الوجه الآخر منها فتظهر فيه عادة المنطقة الأكثر عمرانا والمأهولة بالسكان فَتُكَبَّر بمقياس رسم أكبر بحيث يسمح بتوضيح تفاصيل الشوارع والمخططات، وأيضا جميع الخدمات بصورة أكثر تفصيلا، ومنها الخدمات الخاصة بالقطاع الأهلى والقطاع الحكومى والمستشفيات والصيدليات والبنوك والفنادق والمطاعم والأسواق التجارية.. الخ. وتجدر الاشارة هنا بأن تلك الخرائط يتم انتاجها استنادا الى أحدث مصورات الأقمار الصناعية والتى أصبحت بالغة الدقة فى السنوات الأخيرة والتى تعطي انطباعا حقيقيا عن المعالم الجغرافية للمنطقة أو المدينة المُنْتَج لها الخريطة.

خريطة مكة المكرمة



مخططات الأراضى:

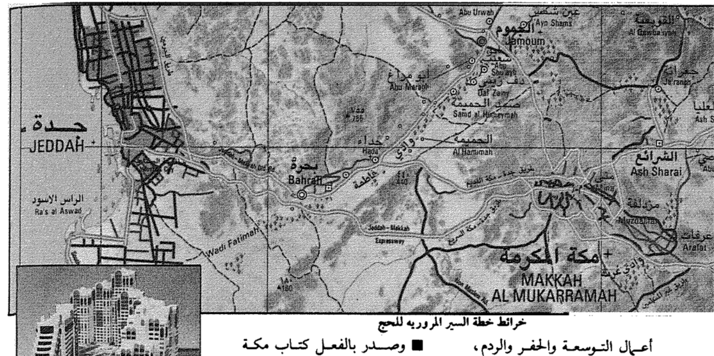
وكأحد التطبيقات العملية



دليل مكة المكرمة

مخطط روابى أجياد ـ مكة المكرمة

لمجالي تخطيط المدن وانتاج الخرائط، فقد تم تخطيط مخطط روابي أجياد الذى كان الأول من نوعه فى المملكة لاستغلال الطبيعة الجبلية تخطيطيا لحي سكني، وقد تم مراعاة استغلال خطوط الكنتور الطبيعية بحيث لا يتم نسف أو تدمير هذه المرتفعات وبحيث يقل مع هذا التخطيط الاعتماد على



خرائط خطة السير المروريه للحج

أعمال التوسعة والحفر والردم، ويعتبر هذا المخطط رائدا فى تخطيط المناطق الجبلية الوعرة وأصبح منهاجا لتخطيط واستغلال المناطق الجبلية والتى كانت تعتبر قديما مناطق غير صالحة للعمران.

كتيب مكة المكرمة الارشادي:

وقد فكر المهندس/ زكى محمد على فارسي فى تطوير فكرة اصداره لخريطة مكة المكرمة الارشادية وتطويعها لتصبح أكثر نفعا وأسهل استعمالا بدمجها فى كتاب ارشادى مدعم بالخرائط التى قسمت فيها المدينة الى قطاعات متسلسلة وضعت فى اطار الصفحات وبحيث يمكن تتبع المدينة من صفحة لأخرى بيسر وسهولة. ومثل هذه الكتب الارشادية يسمح لمستخدميها بحملها بيسر لملائمة حجمها للاستخدام بالسيارة مثلا وتكون خير رفيق على الطريق.

■ وصدر بالفعل كتاب مكة المكرمة - دليل الشوارع والخدمات بالعاصمة المقدسة والمشاعر فى أكثر من مائة صفحة (بالعربية والانجليزية والفرنسية) وقد احتوى على ما يلى :-

- معلومات عامة ومفيدة ودليل للحج والعمرة.

- نبذة عن الخدمات الميسرة للحجيج.

- فهرس مصنف للخدمات وفهرس مصنف للشوارع مع بيان مواقعها على صفحات الخرائط.

- صفحات الخرائط الارشادية مع دليل تقسيمات الصفحات.

- خرائط عامة لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة.

■ هذا ويعتبر هذا الدليل الأول من نوعه الذى يصدر عن مكة المكرمة والمشاعر والذى يساعد فى الوصول والتعرف على أى موقع فى منطقة مكة المكرمة.

■ والجدير بالذكر هنا أن مكتب المهندس/ زكى محمد على فارسي يقوم كل عام باعداد وطباعة خرائط

مشروع شركة مكة للأنشاء والتعمير بجوار الحرم الشريف والفائز بالجائزه الاولى.

-خطة السير المرورية وكتيبات المرور الارشادية خلال موسم الحج وذلك لصالح وزارة الداخلية - الأمن العام - الادارة العامة للمرور، ويعتبر هذا مثالا لأحد ثمرات هذا العمل الوطني الفريد وتطبيقاته لمساندة مجهودات رجالات الأمن بمملكتنا الحبيبة.

■ **مشروع شركة مكة للانشاء والتعمير:** وهو فى موقع فريد بجوار الحرم المكى الشريف وعلى أرض تبلغ مساحتها ١٨٫٠٠٠ متر مربع. واستطاع المكتب الفوز بالجائزة الأولى بالمسابقة المعمارية ولقد كان للمكتب شرف نيل اعجاب خادم الحرمين الشريفين الذى ذكر عند رؤيته للمجسم ضمن الحلول المقدمة للمشروع بأنه «**يبدو من أول وهلة أن هذا هو أفضل حل**».

ارامكـو السعوديـة والصناعـة الوطنيـة

قامت ارامكـو السعـوديـة عبر السنـين بتقـديم المسـاعـدة لتشجيـع تطـور وازدهار البيئة التجارية والاقتصادية. ومع النمو الكبير الذي شهده الاقتصاد السعودي خلال السنوات الاخيرة، تطورت طبيعة المساعدة التى تقدمها ارامكو السعودية فأصبحت تتركز فى الدرجة الاولى على الصناعة الوطنية.

تنتهج الشركة خطة تهدف الى تشجيع التطور المستمر لصناعة سعودية قوية ذات قاعدة عريضة فى منطقة اعمالها. وفي نطاق تنفيذ هذه الخطة زادت ارامكو السعودية مشترياتها من المصانع الوطنية الى الحد الاقصى. كما دأبت على تقـديم المساعدة الى عدد كبير من المصانع لكي تصبح مصادر محتملة لتزويد ارامكو السعودية بالمنتجات السعودية. وقد بلغ عدد المصانع التي اعتمدت بموجب هذا البرنامج المستمر حوالى ٦٠٠ مصنع حتى الآن.

وتصدر الشركة معلومات وافية باسماء هذه المصانع وانواع منتجاتها كى تستفيد منها الجهات المعنية فى ارامكـو السعودية والشركات التابعة لها فيما وراء البحار. وبالاضافة الى ذلك تتعاون ارامكو السعودية بصـورة فعالة مع غرف التجارة والصناعة فى المملكة لتشجيع استعمال المنتجات المصنوعة محليا، وحث المقاولين الذين يقومون بتنفيذ مشاريع ارامكو السعودية على استعمال المنتجات السعودية.

لمزيد من المعلومات يرجى الاتصال بالعنوان التالى:

قسم التنمية الصناعية فى ارامكو السعودية

الغرفة ٢٢٣٩ ـ مبنى الادارة الشرقي

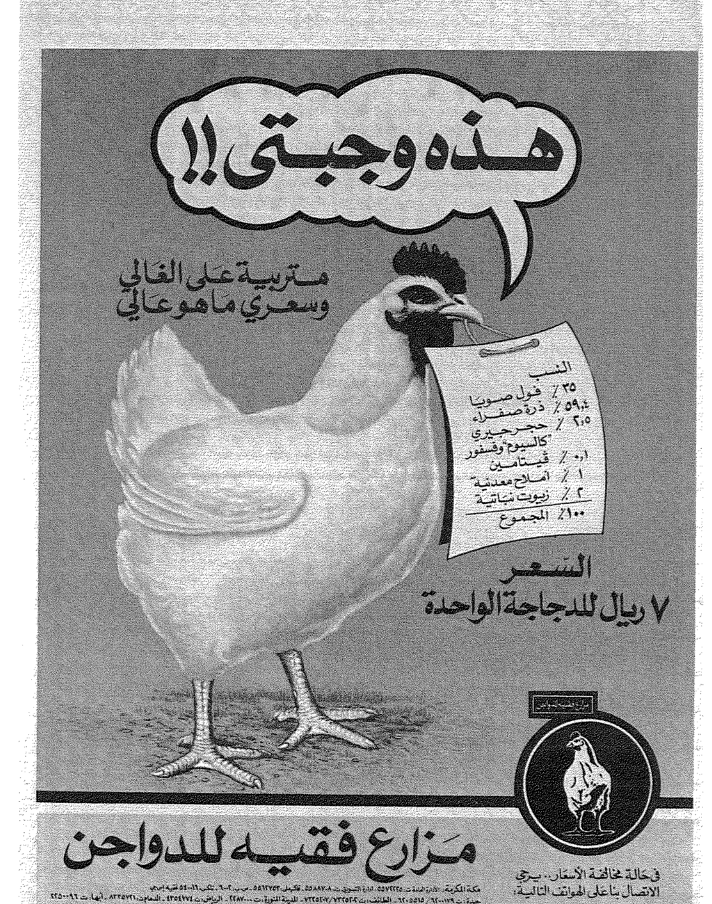
الظهران ـ المملكة العربية السعودية

هاتف ٨٧٥ـ٥٨٥٧ فاكس ٨٧٣٨١٩٠ (IDD)

تلكس ٨٠١٢٢٠ ASAO SJ

ارامكو السعودية

(PRI-1-89)



هـذه وجبـتي!!
مـتربية على الغالي
وسعـري ماهو عـالي
النسب
٣٥ ٪ فول صويا
٥٩,٤ ٪ ذرة صفراء
٢,٥ ٪ حجر جيري "كالسيوم" وفسفور
٠,١ ٪ فيتامين
١ ٪ أملاح معدنية
٢ ٪ زيوت نباتية
١٠٠٪ المجموع
السعر
٧ ريال للدجاجة الواحدة
مزارع فقيه للدواجن
في حالة مخالفة الأسعار، يرجى الاتصال بنا على الهواتف التالية:

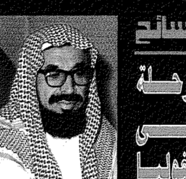


دار الأصفهاني للطباعة بجدة

المنهل

العدد ٤٧٦ السنة ٥٦ المجلد ٥١ ـ جمادى الاولى ١٤١٠هـ/ ديسمبر ١٩٨٩م

السائح




● رحلة الى منغوليا

○ كتبها للمنهل فى حلقات الشيخ محمد بن ناصر العبودى

هُنَّ

● إقرأ جديد عطاء:

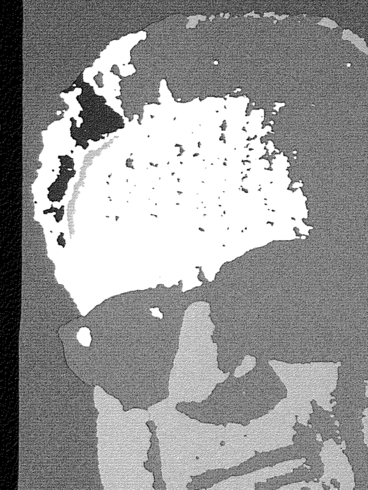
○ بهية بوسبيت ○ إنتصار العقيل
○ هند هرساني ○ جليلة رضا

فلسطيننا

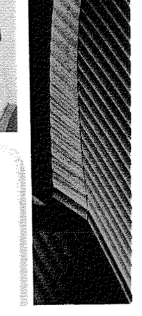
● هوس الاستلاب عند الصهيونيين

● قوة دلتا من اخطر الافلام التى تسيء للعرب

ماذا بقى من طه حسين..؟؟!







الاســـلام يدعـــو للعلـــم

معافل

ان الاسلام لا يشجع البحث العلمي والحضارة فحسب. بل انه يحث عليهما معتنقيه حثـا بالغا مبينا. ﴿أو لم يتفكروا في خلق السموات والارض وما خلق الله من شيء﴾.. ﴿أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت ﴾.. الى غير هاتين الايتين الكريمتين. في الذكر الحكيم والسنة المحمدية مما يدعو الى البحث العلمي الذي تنبني عليه الحضارة الشامخة الصافية من الاوشاب.

اننا نأمل أن ينفض العالم الاسلامي عن كاهله غبار التقاعس في ميادين الدراسات العلمية والتقنية العالية. ليكشف عنها اللثام ببصيرته. وليصل الى حقائقها المذهلة بنفسه الى ما وصل اليه غرب وشرق. وذلك رهن بالاتجاه المسدد المصمم، في دراسة هادفة واعية وفي انشاء اسلامي سليم لمعاهد العلم وجامعاتها المتخصصة. وفي احراز معامله ومصانعه، الخاصة بهذا اللون من المعرفة الانسانية الحديثة. وفي امتلاك اعند خبرات واسعة النطاق من بني الاسلام وفي تملك وتشغيل اجهزة علمية دقيقة متقنة التركيب والانتاج. وفي البـراعـة في استعمالها فيما وجدت له. ثم التفنن في ايجادها. والتوسع والتعمق في انشائها وتطويرها. وحتى يكون الثمن أهون والانتاج أكبر وأهم. وحتى لا ينفرد جيل أو أمة. بامتلاك ناصية هذه الطاغية المعروفة باسم (الطاقة النووية).

ان كل من له رأس وعينان. جدير بأن يعلم. وبأن يصنع، وبأن ينتج كل ما يعلمه. ويصنعه، وينتجه سواه من بني الانسان. أيا كانوا وأيا كان. واننا بتحقيق هذه النظرية سرعان ما نقف مع جبابرة العالم على قدم المساواة.

وان الاسباب هي السلالم التي جعلت لتحقيق المسببات وان المقدمات هي الوسائل التي تشكل النتائج.

وكل من سار على الدرب وصل. كما يقول المثل العربي القديم. الخالد الحكيم.



ربيع الثاني ١٣٨٩هـ

ورقة أولى

صحافة التحدي .. جيل التحدي

● الصحافة الاولى، صحافة الكلمة (الملتزمة) فى أحضانها تربى جيل الرواد، على مستوى العالم العربى كله.. ومن حقه أن نسميه (جيل التحدى) جيل ضرب المستعمر حوله سياجاً من حديد، وأحاطت به ظروف من الشدة وقسوة الحياة لو أحاطت بجيلنا هذا لانهار.. من يضبط منهم وهو (يتعاطى) الكلمة، فله الويل والثبور.. ورغم ذلك نشأ هذا الجيل (التحدى) وكبر وقوى ساعده فى أحضان صحافة (الكلمة) فكان فيه العلماء والمفكرون، الادباء والشعراء، القادة والساسة.

وجاء لواء المجد معقودا فى ركابهم، فكانوا بناة أوطانهم على مستوى العالم العربى كله.. ثم .. ثم جاء على هذه الصحافة حين من الدهر فقدت خلاله ميزتها وتميزها، جمالها وروعتها (الكلمة الملتزمة) فتغيرت وتبدلت، ومن ثم أفرزت أجيالا ومجتمعات مقطوعة الصلة بسابقها، مبتورة الجذور.

● فاصبح ذلك الجيل (التحدى) كأنما يقف على شاهق، وهؤلاء على كثيب رملى، قلما يثبت فى مكانه فتضربه الرياح فتحوله إلى غير وجهة.. وما الفارق بين قمة تُصَعَّد إليها النظر وبين كثيب تنظر إليه تحت قدميك إلا الفارق بين صحافة شعارها العطاء وأخرى شعارها التلقى.. ولا أظننا بحاجة الى الخوض فى التفاصيل والجزئيات.

● أمام هذا المد التقنى الحديث لوسائل الاعلام الذى يمثل أسلوباً جديدا من أساليب التحدى نحن فى حاجة الان إلى إنشاء جيل القرن الحادى والعشرين جيل التحدى الجديد.. ولكل زمان رواده، ولكل زمان صحافته وكلمته..

● الجيل الذى نبتغيه هو جيل الغد الواعد والامل المنشود.. والصحافة (الحلم) هى صحافة هذا الطموح..

الانسان ـ هذه القيمة الخالدة ـ هو انسان العطاء المُنَشَّأ على صعود القمم، دائم الترقى، متقد الذهن، شعلة منيرة وضيئة.. وهذا الطموح الجميل تبنيه صحافة الكلمة.

فهل نعيد للكلمة إلتزامها؟؟!

وهل نعيد للصحافة جديتها؟؟!

وهل ندخل حلبة التحدى؟؟!

الحرب



المنهل
ALMANHAL

مجلة شهرية للاداب والعلوم والثقافة

تصدر في جدة ـ المملكة العربية السعودية

عن دار المنهل للصحافة والنشر المحدودة .

العدد ٤٧٦ السنة ٥٦ المجلد ٥١ جمادى الاولى ١٤١٠هـ ـ ديسمبر ١٩٨٩م

اسسها سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

عبد القدوس الأنصاري

صاحب المجلة رئيس التحرير

نبيه بن عبد القدوس الأنصاري

مستشار التحرير

أ. د. عبد الرحمن الطيب الأنصاري

نائب رئيس التحرير

زهير بن نبيه الأنصاري

سكرتير التحرير	العلاقات العامة
السماني كمال الدين	مصطفى محمد مصطفى

تصميم وإخراج: عبد الرحيم فؤاد بدر الدين

المراسلون

مصر:	المغرب: عبد الرحيم عبد السلام
الأردن: روكس العزيزي	الجزائر: د. بكرى عبد الكريم
تونس: د. نور الدين صمود	تركيا: د. أنور طاهر رضا

المركز الرئيسي

جده ـ الشرفية: ص.ب: ٢٩٢٥ رمز بريدى: ٢١٤٦١

برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣

ت: ٦٤٢٧٨٣١-٦٤٣٩٧٦٥-٦٤٣٢١٢٤-٦٤٢٥٦٨٧

مكتب الرياض: ص.ب: ٢٩٠ ت: ٤٠٥٤٢٤٣٢

الاشتراكات

● قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٠٠ ريال

● قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

فهرس العدد




● **غلاف العدد:**

فكر الدكتور طه حسين وما قدمه من آراء فى كثير مما يمس الحياة وبجرياتها مما يشكل توجهاً فكرياً جديداً له ايجابياته وسلبياته، هذا الفكر أصبح مثار جدل وحوار، وأخذٍ وردّ. وهـذا فى حد ذاته قضية فكرية لها أهميتها.

فقرات.. وشخصيات

فقرات مستلة

● السيرة النبوية المطهرة تمثل منهجاً معطاءاً لإثراء الحياة الانسانية من كل جوانبها.. ولعلنا الآن فى حاجة ماسة لقراءتها لتنقية كتبها مما علق بها مما ليس منها فى شيء. ص ١٤

د. أبو بكر القادرى

● المعطيات التقنية الحديثة زادت من تعقيد الحياة الفردية والجماعية وساعدت على ابعادها من الانساق الثقافية الموروثة.. والصناعات الحديثة بمختلف أنواعها أتت تحمل معها قيمها ونظمها مما يختلف مع الموروث القيمى والمعرفى للمستهلك. ص ٣٢

د. زهير احمد السباعى

● الدكتور طه حسين لا يمثل إلا صورة من أهواء التغريب والغزو الثقافى.. ويذهب الدكتور طه حسين الى أن الدين لم ينزل من السماء وانما خرج من الارض كما خرجت الجماعة نفسها.. ولقد كتب كتابه الفتنة الكبرى فى الظرف الذى استعلى فيه المد الاسلامى بالدعوة الى تطبيق الشريعة الاسلامية. ص ٣٨

د. عبد الله الشحام

● جوهر الاستراتيجية النووية الاسرائيلية يتبدى فى سياسة الحفاظ على احتكار السلاح الذرى.. وامتلاك العرب للسلاح النووى هو احتمال وارد فى ذهن القيادة الاسرائيلية. ص ٧٢

عبد الرحمن صالح العشماوى

● هارفى مدين فيما ادعى اكتشافه عن الدورة الدموية الرئوية لابن النفيس المكتشف الحقيقى للدورة الدموية الصغرى. ١١٤

محمد حسين زيدان

وكلاء التوزيع:

تهامة للتوزيع ـ جدة ت: ٦٦٩٥٠٠٠
وكالة الاهرام للتوزيع ـ القاهرة ت: ٧٥٥٥٠٠
الشركة التونسية للصحافة ـ تونس ت: ٢٤٢٤٩٩
الشريفية للتوزيع ـ الدار البيضاء ت: ٢٤٥٧٤٥

دار المسيرة للطباعة ـ ابو ظبى ت: ٣٣٨٢٨٥
دار الثقافة للطباعة ـ الدوحة ت: ٤١٤١٨٢
وكالة التوزيع الاردنية ـ عمان ت: ٣٠١٩١٥٢
دار اقرأ للنشر ـ الخرطوم ت: ٤١٨٠٩

الاعلانات الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

سعر النسخة

● السعودية: ٨ ريال
● قطر: ٨ ريال
● المغرب: ٦ دراهم
● تونس: ٦٠٠ مليم
● مصر: ١ جنيه
● الكويت: ٦٠٠ فلس
● سلطة عمان: ٦٠٠ بيسه
● الامارات: ٨ دراهم
● السودان: ٢٥٠ قرش
● موريتانيا: ١٠٠ أوقيه
● الاردن: ٥٠٠ فلس



سمو الامير
سلطان بن
عبد العزيز

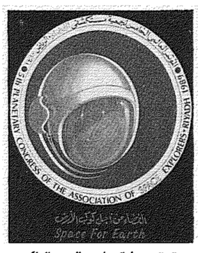


سمو الامير ماجد بن عبد العزيز

المؤتمر الخامس لجمعية مستكشفي الفضاء لعام ١٩٨٩م

١٤١٠/٣/١٣هـ، ١٤١٠/٤/١٧هـ

بالمملكة العربية السعودية



تحت رعاية صاحب السمو الملكى الامير سلطان بن عبد العزيز النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام أقيم حفل افتتاح المؤتمر الخامس لرواد الفضاء. المؤتمر ينبثق عن جمعية مستكشفى الفضاء وتستضيفه وزارة الدفاع والطيران بالمملكة العربية السعودية.

تتمثل نشاطات المؤتمر فى مناقشة عدد كبير من الموضوعات العلمية والفضائية.. إقامة معرض فنى لرسوم الفضاء.. عرض للمستلزمات التى يستخدمها رواد الفضاء.. بالاضافة الى العديد من المحاضرات واللقاءات التى عقدها الرواد مع طلاب المدارس والجامعات والاكاديميات السعودية مدنية وعسكرية.

ولقد ناقش الخبراء فى جلسة خاصة عمليات انقاذ الرواد من حوادث الفضاء والاخطار التى يتعرضون لها.

ومما يجدر ذكره أن صاحب السمو الملكى الامير خالد بن فيصل بن عبد العزيز قام برسم اللوحة الاساسية للمؤتمر والتى تضم توقيعات الرواد المشاركين فى المؤتمر وكانت ضمن معروضات الجمعية إضافة إلى ١٣٠ لوحة فنية أخرى لكبار الفنانين العالميين والسعوديين.

وجمعية مستكشفى الفضاء التى تكونت عام ١٩٨٥م والتى تهدف الى استفادة شعوب العالم من استخدام تقنية الفضاء وزيادة التعاون الدولى فى مجال استكشاف الفضاء تضم فى عضويتها ٧٢ شخصاً يمثلون ١٧ دولة من عشرين دولة شاركت فى برامج استكشاف الفضاء ـ والمملكة العربية السعودية واحدة من الدول المشاركة من خلال مشاركة صاحب السمو الملكى الامير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز فى رحلة المكوك (ديسكفرى ٥١ جى) كأول رائد فضاء عربى مسلم.. وسموه عضو فى اللجنة التنفيذية للجمعية والتى تضم سبعة أعضاء.

هذا.. وقد بدأت فعاليات المؤتمر يوم ١٣/ ٣/ ١٤١٠هـ واستمرت حتى ١٧/ ٤/ ١٤١٠هـ وقد سبق وعقد المؤتمر الاول فى فرنسا عام ١٩٨٥م والثانى فى المجر عام ١٩٨٦م والثالث فى المكسيك عام ١٩٨٧م والرابع فى بلغاريا عام ١٩٨٨م. وهذا المؤتمر الخامس ١٩٨٩م فى المملكة العربية السعودية.

الأمير ماجد وعطف أبوى كريم

تبرع صاحب السمو الملكى الامير ماجد بن عبد العزيز امير منطقة مكة المكرمة بمبلغ خمسين الف ريال لجمعية ام القرى الخيرية النسائية بمكة المكرمة.

صرحت بذلك «للمدينة» الاستاذة احسان مكى وقالت ان هذا الدعم الذى قدمه صاحب السمو الملكى الامير ماجد بن عبد العزيز امير منطقة مكة المكرمة ليس غريبا على سموه حيث ان الجمعية دائما تحظى بدعم مستمر من سموه.

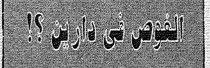
واضافت الاستاذة احسان مكى ان الجمعية تقدر وتشكر سموه على هذا التبرع السخى.. واكدت ان جميع العاملين والمستفيدين من الجمعية يرفعون شكرهم وعظيم امتنانهم لهذا العطف الابوى الكريم.

وبينهما بصـــل؟!!

المصريون القدماء كانوا يحبون أكـل البصل.. بل كانوا يدفنون البصل مع الأسر الفرعونية القديمة ويسـتـخـدمـونـه فى عمـليات الـتـحـنيط.. يدل على ذلـك الحفريات والآثار.

والامـبراطـور الرومانى نيرون كان يأكل البصل طازجاً لاعتقاده بفائدته فى علاج نزلات البرد التى كانت تصيبه بصفـة مستمـرة.. مؤخراً أكد علماء التغذية الغربيون على أن البصل الطازج يحتوى على الـبروتـين ويخلو من النشـويات والكـوليسترول كما أنه يزود جسم الانسـان بالكـالسيوم والمـاغنزيوم والنحاس والزنك وفيتامين سى

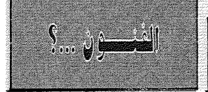
ننصحك بأكل البصل طازجا ولكن عفواً .. حين تكون بمفردك.

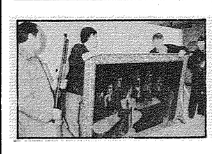




تم اختيار مدينـة «دارين» فى المنطقة الشرقية مقراً لمهرجان البحر والغـوص والـذى انتهت اللجنـة التحضيرية المختصة به من إعداد كامل خططها.

تنطلق اهمية اقامة المهرجان فى «دارين» مدينة التاريخ والآثار من هذا التواصل المتين الذى سيتحقق بين ماضى الجيل وحاضره.





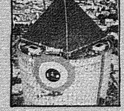
الـلوحـة للرسـام الـعـالمى «بيكـاسـو» .. (لـوحـة زفـاف بيريت)..

التاريخ: يعود الى عام ١٩٠٥

السعـر: من المتوقع أن يصل الى ٥٠ مليون دولار - سعـر قياسى جديد فى سوق اللوحات الفنية.

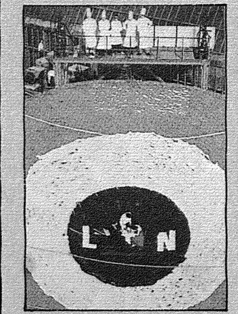
مكـان العـرض: مزادان فى آن واحـد.. فى باريس والـيابـان سيعقدان بمشيئة الله خلال الشهر القـادم.. وسيعـرض فيهـما أيضاً بعض أعمال آندي وارهولز.. وكما يقولون: الفنون... ؟

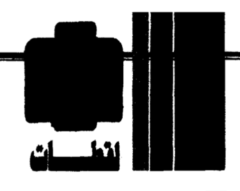




سقالة ضخمة تم نصبها على ارتفـاع ٥٠٠ قدم بجانب برج فى مدينة ليون ليقف عليها اثنان من امهـر الـطبـاخـين ليقـوما بخدمة الغداء الفاخر الذى تم اعداده.

ويعـتـبر هذا مهـرجـانا سنويا للطبخ يقوم باعداده أمهر الطباخين فى المـدينـة ثم يعتلون هذا الـبرج ليقـدمـوا الأكـلات الخاصة التى تشتهـر بها المنطقة. وكان من بين الـطبـاخـين الـذين دعـوا لاظهار مهـاراتهـم فى ذلـك اليوم سيرج بيرتـرانـد، بيير أورسيه، لاكوسب وهيرف رافانيل.





فى الهند .. جامعة عربية إسلامية

ستفتتح فى مطلع العام القادم ١٩٩٠م بمشيئة الله اول جامعة عربية اسلامية بالهند تهدف الى نشر الثقافة العربية وتدريس العلوم الاسلامية وتخريج اجيال من الدعاة المسلمين لنشر الاسلام فى الهند وقارة اسيا.

وترتبط الجامعة بجامعة الازهر فى القاهرة وسيتم اختيار عدد من الاساتذة من الجامعات فى الدول العربية للقيام بتدريس اللغة العربية والثقافة العربية بالجامعة.

مما يذكر ان الجامعة تقع فى منطقة ام تور بولاية كلكتا جنوب الهند وسيطلق عليها اسم جامعة الثقافة الاسلامية والعربية.

مؤتمر عالمى فى اندونيسيا

ستستضيف اندونيسيا مؤتمرا عالميا للمفكرين المسلمين فى فبراير ١٩٩٠م بمشيئة الله بناء على اقتراح من الازهر فى مصر.

وسيحضر المؤتمر ٦٥ عالما ومفكرا يناقشون عدة مواضيع تهم العالم الاسلامى والنهضة الاسلامية.

ومن ناحية اخرى اقامت اندونيسيا علاقات تعاون وثيقة مع عدة جامعات فى العالم الاسلامى منها جامعة انقرة والجامعة الازهرية وهناك ٦٠٠ طالب اندونيسى يدرسون فى مصر و٢٠٠ فى المملكة العربية السعودية و١٠ فى تونس ومثلهم فى باكستان.





احد ابتكارات شركة (جنرال الكتريك) بفروعها أشهر الشركات الامريكية فى صناعة السيارات والطائرات .. الخ ..

هذا البيت المصنوع من البلاستيك .. الشركة بنته فى بلدة بتسفيلد بولاية ماساشوستس الامريكية وافتتحته رسمياً وسط دهشة واعجاب الجمهور.

عسير .. وجائزة أفضل عمل صحفى

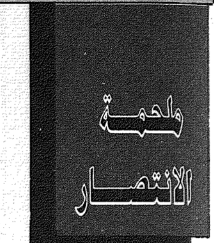


الامير خالد الفيصل

اوضح صاحب السمو الملكى الامير خالد الفيصل امير منطقة عسير فى معرض رده على اسئلة الصحفيين اثناء اعلانه اسماء الفائزين بجائزة أبها الثقافية التى تبلغ قيمتها ٣٠٠,٠٠٠ ثلاثمائة الف ريال ان هناك فكرة مطروحة للدراسة وهى تقديم جائزة لافضل عمل صحفى عن منطقة عسير.

وقال سموه اننى اضع الامر بين يدى الاساتذة من المفكرين والفنانين والادباء لدراسة هذه الفكرة. وتقديم ما يرونه مناسبا من اراء ومقترحات فى هذا الشان.

وتجدر الاشارة الى ان الزملاء الصحفيين فى المنطقة قد بدأوا فى الاستعداد لتقديم أفضل الاعمال الصحفية عن منطقة عسير بالتعاون مع مؤسساتهم الصحفية.. اغتناما للفرصة قبل ان تصدر صحيفة عسير المتوقع الموافقة على صدورها من خلال مؤسسة عسير الصحفية قريبا بمشيئة الله.



بانوراما تجسد حرب اكتوبر المجيدة ١٩٧٣م افتتحها الرئيس المصري محمد حسني مبارك احتفالاً بانتصار اكتوبر هذا العام.

وبدأت فكرة «البانوراما» المصرية اثناء زيارة الرئيس مبارك لكوريا الشمالية عام ١٩٨٣م حيث شاهد البانوراما الكورية عن المعارك الحربية

وبدأت عملية انشاء البانوراما عام ١٩٨٥م بعد انتهاء كافة الدراسات المتعلقة بها وسبق ذلك تكوين فريق عمل من كبار قادة القوات المسلحة الذين شاركوا فى حرب اكتوبر وقاموا بعقد جلسات مع الفريق الكورى لوضع الفكرة النهائية وكيفية التنفيذ بحيث تصبح البانوراما صورة مجسدة للواقع الحى وجو العمليات اثناء الحرب وتم التنفيذ بمنتهى الدقة فى المعلومات وزيارة مسارح العمليات الحقيقية ونقل التفاصيل الدقيقة سواء الخاصة بالجانب المصري او الجانب الاسرائيلى اثناء المعركة.

الرئيس محمد حسنى مبارك

وفى المدخل الرئيسى للبانوراما اقيمت مصطبتان بمساحة ٢٠ فى ٥٠ مترا على اليمين وعلى اليسار. الاولى عليها نماذج حقيقية من الطائرات المصرية التى قامت بالطلعة الاولى فى حرب اكتوبر ومهدت لتحقيق النصر العظيم والمصطبة الثانية عليها نماذج حقيقية ايضا من الاسلحة الاسرائيلية التى حصل عليها الجانب المصري اثناء الحرب وبجوار المصطبة الثانية على اليسار مجمع للخدمات به بريد دولي سريع وتليفون دولي ومحلات لبيع الهدايا التذكارية للحرب وكافيتريا راقية وكافة الخدمات التى يحتاجها زائر البانوراما.

وتتوسط المنطقة حدائق خضراء جميلة ونافورة مياه رائعة تضفى لمسات جمالية رائعة عليها وفى البهو الرئيسى لمبنى البانوراما لوحة ضخمة من الفسيفساء على الجدار الامامى تمثل غرفة عمليات القوات المسلحة اثناء الحرب بكافة قيادتها واعضائها وعلى يمينها خريطة اخرى لفكرة عمليات حرب اكتوبر وخريطة ثالثة لأوضاع القوات فى ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣م بالاضافة الى ست لوحات نحت بارزة تحكى انتصارات شعب مصر منذ عهد الفراعنة حتى رفع العلم المصرى بطابا وحول هذه اللوحات مجتمعة تم تدوين اسماء جميع شهداء حرب اكتوبر من الضباط والجنود بالنحاس البارز على الجدران، وعلى يمين البهو الرئيسى نجد القاعة رقم (١) والتى تمثل اعمال القوات البرية وبها مدرج تجلس عليه مجموعة من المشاهدين قوامها ٤٠ فردا يشاهدون اولا عرضا سينمائيا مدته حوالى ربع ساعة يوضح مراحل اعداد القوات المسلحة منذ حرب ١٩٦٧ وحتى بداية حرب اكتوبر المجيدة ثم ترفع الشاشة عن ماكيت متحرك بمساحة القاعة يمثل احدى معارك الجيش جنوب البحيرات ونجاح القوات فى العبور والقضاء على العدو.

والقاعة رقم (٣) على يسار البهو وهى تمثل اعمال الافرع الرئيسية للقوات المسلحة البحرية والجوية والدفاع الجوى من خلال مسرح كبير متحرك وتتم حركة هذا المسرح بنظام الكمبيوتر فى سابقة تكنولوجية متقدمة حيث يتم تحريك كافة القطع والنماذج بالكمبيوتر ويصور بداية الهجوم الجوى المصرى وقيام البحرية المصرية قبل ذلك باغلاق مضيق باب المندب جنوب البحر الاحمر ثم الهجوم الاسرائيلى المضاد وكيفية تصدى عناصر الدفاع الجوى



لقطـــات

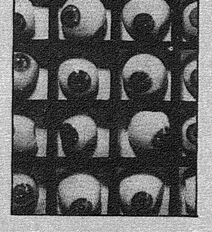


مبارك وتجسيد ملحمة الانتصار

المصرى له.. ويستغرق هذا العرض حوالي نصف ساعة ايضا.

واخيرا فى القاعة الاسطوانية الرئيسية والتى ترتفع حوالى ١١ مترا وفيها يجلس المتفرج على قرص دائرى فى وسط القاعة تم تصنيعه بالمصانع الحربية المصرية يمثل مركز نقطة قوية للعدو شرق القناة وامام القرص شاشة بارتفاع ١٥ مترا ومحيط ٣٦ مترا وهى عبارة عن قطعة واحدة صنعت خصيصا للبانوراما فى كوريا الشمالية.. ومرسوم على هذه الشاشة العملاقة كافة عمليات ومعارك قتال حرب اكتوبر بدءا من نقطة العبور ووضع الكبارى وفتح الثغرات فى خط بارليف وسماء المعركة وكافة العناصر التى اشتركت فى الحرب وخاصة تحرير مدينة القنطرة شرق سيناء.

ترى ماذا نرى بعيون الموتى؟!



الخبر قد يبدو غريباً ولكن الحقيقة أن:

٢٥,٠٠٠ مكفوفاً استعادوا بصرهم بعملية زراعة القرنية من عيون تبرع بها سريلانكيون.. فقد صرح جراح العيون العالمى هدسون سيلفا بأن سرى لانكا هى الدولة الوحيدة فى العالم التى تقوم بإرسال قرنيات الى دول أخرى من أجل إعادة النظر الى المكفوفين.. وهدسون سيلفا الذى يرأس جمعية التبرع بالعيون فى سرى لانكا والتى لديها ما يقرب من ٥٥٠,٠٠٠ شخص أقروا التبرع بعيونهم بعد وفاتهم يؤكد على وجوب استئصال عينى المتبرع بعد الوفاة بأربع ساعات على الاكثر وأنه يمكن الاحتفاظ بالقرنيات لمدة ثلاثة أشهر.

● الفكرة بدأت عام ١٩٥٩م على حين بدأت جمعية التبرع فى تزويد المستشفيات المحلية بالقرنيات عام ١٩٦١م وكان الاعتماد من قبل يقوم على عيون الذين تقوم الحكومة بإعدامهم ولكن سرعان ما نضب هذا المصدر حين ألغت الحكومة عقوبة الاعدام مما شجع على إنشاء الجمعية.

نحن نسعى الى رفاهيتك

اختارت منظمة شركات الطيران العالمية للترفيه الخطوط الجوية العربية السعودية عضوا بمجلس ادارتها وذلك لما تقوم به السعودية من اهتمام بالبرامج الترفيهية التى تقدمها للمسافرين على متن طائراتها.

وستعقد المنظمة هذا العام اجتماعا فى مدينة بازل السويسرية لمناقشة موضوع الشاشة الصغيرة التى تثبت على ظهر مقعد الراكب داخل الطائرة وكذلك موضوع ادخال الكمبيوتر فى اعمال الخدمة على الطائرة وتخصيص موقع الاجهزة الترفيهية بالطائرات وامكانية تطوير مقاعد الركاب لاستيعاب هذه الاجهزة.

كما سيناقش فكرة انشاء مكتب مصغر لرجال الاعمال يستطيع من خلاله رجل الاعمال المسافر مزاولة عمله على الطائرة حيث يزود هذا المكتب بجهاز تلفون وشاشة لاستخدام الكمبيوتر.

الجدير بالذكر ان منظمة شركات الطيران العالمية للترفيه مقرها الدائم لوس انجلوس كاليفورنيا وتعقد اجتماعا سنويا يضم شركات الطيران العالمية ومنتجى الافلام والبرامج الترفيهية ومصنعى الاجهزة الترفيهية ومصممى مواقع هذه الاجهزة بالطائرات.

الم نقل لك إننا نسعى دائماً الى رفاهيتك؟.

جائزة الامير فهد بن سلطان للتفوق العلمى



الأمير فهد بن سلطان

فكرة تقديم الجوائز والحوافز للمتفوقين من الطلاب والطالبات لا شك هى فكرية عملية تعمل على تأكيد التفوق وتقدير المتفوقين، وهى أيضاً من جانب آخر تمثل قوة دفع حقيقية للحركة التعليمية التى هى ركيزة التنمية الحضارية والفكرية والثقافية فى البلاد.

وفى هذا الاطار الرائع لتكريم المتفوقين وتشجيعهم جاءت جائزة صاحب السمو الملكى الامير فهد بن سلطان بن عبد العزيز أمير منطقة تبوك تحت مسمى التفوق العلمى.. وبلغت هذا العام ٣٥٠ ألف ريال قدمت لـ٨٨ طالباً وطالبة.

ونقدم خالص امنياتنا لأبناء هذا الوطن بدوام التفوق.

تجربة امام مسجد بنيويورك فى مكافحة المخدرات تثير اعجاب الامريكيين

عرض التلفزيون الامريكى مؤخـرا مقابلة مع الشيخ سراج وهاج.. وهو امام احد مساجد نيويورك حيث سأله المذيع عن تجربته الناجحة فى مكافحة المخدرات فى الحى الذى يقع فيه المسجد فى نيويورك.. وقد ابدى المذيع اعجابه بمنهج الشيخ وهاج.. إذ تمكن من تنظيف واحدة من قلاع المخدرات فى نيويورك.. وكان اسلوبه يتمثل فى تشكيل لجان للدعوة واخرى للحراسة والتفتيش حتى نجح فى القضاء على أوكار المخدرات فى الحى.

وعلى اثر نجاح تجربته طلب منه مسئولون عن حى مجاور ان يساعدهم فى تحقيق نفس الهدف فى منطقتهم.. وقد وافق على مساعدتهم وتوجيههم وابدى استعداده لتدريب شباب منهم للقيام بهذه المهمة.

حيوانات بحرية نادرة فى استراليا

عثر على جمجمة لحيوان البليصور ـ الذى كان يصل طوله الى خمسة أمتار يعتقد أن عمرها ١٠٠ مليون سنة ناتئة فى قاع ممر ضيق فى مزرعة اغنام نائية فى شمال كوينزلاند.

وقالت مارى ويد أمينة قسم حفريات الحيوانات اللافقارية فى العصور القديمة بمتحف كوينزلاند فى محادثة تليفونية ان جمجمة حيوان البليصور القصير العنق من افضل الحفريات التى عثر عليها فى استراليا.

وقالت مارى ويد «كانت محفوظة بأكملها حتى أصغر عظمة فى زعانفها. الجسم تحطم ولكن العظام يمكن ترميمها».

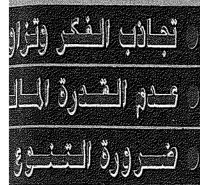
لقطات تراثية

● عن المروزي قال:

اشترى ابو عبد الحميد سمكة فنام الى ان تستوى، فجيىء بالسمكة، فأكلتها امرأته مع نساء، ثم مسحت شفتيه واطراف اصابعه منها، فانتبه فدعا بالغداء وقال: هاتوا السمكة، فقالت له امرأته: يا مخبل ألست قد اكلتها ونمت ولم تغسل يديك؟! فشم يده فوجد ريح السمك فغسل يده وقال: ما رأيت سمكة امرأ من هذه قد جعت فهيئوا لى الغداء.

● قال ابن الفرج: حدثنى ابى قال: رأيت انسانا يدغدغ نفسه فقلت له: لِمَ تفعل هذا؟! قال: اغتممت فأردت ان اضحك قليلا.

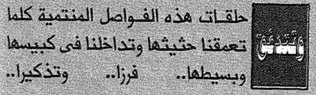




فواصل منتهية

«٣»

نبيه بن عبد القدوس الانصاري



وتتدفق حلقات هذه الفواصل المنتمية كلما تعمقنا حثيثها وتداخلنا فى كبيسها وبسيطها.. فرزا.. وتذكيرا.. وتقييماً.

إن القنوات التى يجد فيها الفكر الانساني المرسل معابر له يجب أن تكون أحد بيادر ساحاتنا، نصطفيها من خلال أعماق الموروث، وننتقيها من بين ركام الوافد المحموم ـ ولابد والحال هذه أن تترفع صحافتنا (مجلاتنا) عن أن تنجرف حذو مفاعل أرضيات التماثل والتلقين والتعتيم ـ حتى لا تسمح عند طرحها لمحتواها بما يجذر فينا مقولة: (إننا أمة ناقلة.. وإننا أدباء منساقون..وإننا كتاب طيعون..).

وعليها أن تفتت حدة هذا الغزو الكاسر اللئيم، فتفرض الفكر الجيد المجيد النابع من تاريخنا وذاتيتنا ومقوماتنا الدينية والعلمية والثقافية. بل عليها ـ ايضا ـ أن لا تتحيز او تتمحور اطروحاتها الفكرية نحو تلك الاجناس (المودرينزية) التى لفظتها أممها وغصت بها قومياتها.

* * *

ـب بين مفكرى شعوب المنطقة العربية والاسلامية أمر جدير بالاهتمام والعناية،

مواصلة المسيرة وراء احتجاب مجلات القطاع الخاص الرائدة،

ـار أعداد خاصة وممتازة ومتخصصة أصبح مطلبا ضروريا وملحا،

هذه الاقليمية التى تحفل بها مجلاتنا العربية بعامة، سلباً أما ان لها أن تترجل وترتحل لبطون ومتون الوطن العربى والاسلامي لتستشرف إحداثاته وابداعاته الفكرية.. ولتسترشد برأي الصفوة وتنظير القدوة. وليخفق شراعها (ولو لبعض حين) للابحار الى مواطن العز ومرابع الضاد، فنقرأ فى (نقلات) ندواتها ما يثرى ويفيد وينير.. ويقرب الحبيب إلى الحبيب.

* * *

تجانب الفكر وتزاوج المعارف بين ثلة مفكرى اقطار وشعوب المنطقة العربية والاسلامية أمر جدير بالاهتمام والعناية - ليس عن طريق رصد انتاجهم الفكري فى تلك الوسيلة أو هذه فحسب - بل لابد ان تنتقل المطبوعة (المجلة) إليهم بشكل أو باخر لتكون فى متناول وجدانهم.. ولتستقطب - دوريا - اهتماماتهم. وبهذا نفرض (وعن قرب) حتمية التجمع والتلاقى والتناقل الذى يلد جديدا نسعى إليه.

* * *

ولابد .. والحال هذه ان تسعى الحكومات بأجهزتها الاعلامية والثقافية فى دعم وإعانة هذه الادوار، وتأكيد هذا التواصل (ماليا) وبما يقوض او يؤازر فروقات الاسعار. وهذه مسؤولياتها تجاه الواقع المعاش وندرة مقدرة التمويل المطروح.

ولا انسى فى هذا المقام والمقال حتمية إعادة النظر فى شكل وحجم المعونة الحكومية لمجلات القطاع الخاص بموضوعية متناهية لكونها الاضعف قدرة والاقل دخلا وغير بعيد عن ذاكرتنا أسباب ومسببات توقف واحتجاب امهاتها الرائدة فى الوطن العربى والاسلامى بسبب عدم القدرة المالية على مواصلة المسيرة.

* * *

من المداخلات (المحدثة) التى نرى ضرورة الاخذ بها فى محيطنا الفكرى - وقاعدته المتناولة (المجلة) ان تتمازج المراكز المعرفية.. فى جامعة او كلية.. أو مجمع او معهد .. او مركز أو هيئة.. او ناد أو جمعية - تتمازج وتتنافس فى اصدار (اطلالات) أولية رائدة، تختار موضوعاتها وتحدد اطاراتها التى



فواصل منتهية «٣»



تطل على المتلقى فتكسبه وثوقا بمساطر ثوابته.. وتمنحه رؤية بمسطحات متغيراته.

* * *

وفى هذا (وأمثاله) وسائل صالحة، ورسالة بناءة لتحجيم التشابه والتماثل الظاهر فى مجلاتنا بصفة عامة.. بل ومنه - ايضا - تداخل مرغوب نستنهض من خلال تدوينه وتوصيفه مقومات وتخصصات تلك الجهات العالمة.. ونقتحم لها حرمها وقاعاتها.. ونستدرك عليها انغلاقها وترفعها.

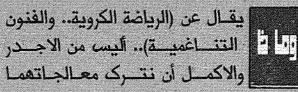
* * *

ضرورة التنوع فى ابتكار إ صدار اعداد خاصة وممتازة ومتخصصة مختارة وملهمة، أمر أصبح مطلبا ضروريا وملحا للانعتاق من دوائر عطاءات الزمن المذابة أداءاته بين.. المتشابه والمبتور.. والمتعامد والمقصور.

* * *

على (مجلاتنا) ان تستقطب الجديد المتسلسل ممن هم أهل له واحق بتناوله وطرحه. ومن متطابقات منظومتها - أيضا - ان تستظهر انابيش الذكريات وأن تستحوذ على أضابير المذكرات لتنشرها وتحللها وتعلق عليها بما هى جديرة به وموثقة له.

ولابد (لمجلاتنا) وفى حدها الادنى على الاقل أن تبعث أدب الحوار.. والمساجلات.. والاخوانيات والمعارضات. وفى الاتيان بهذا ورفع راياته شحذ لمفعول الحركة الادبية،



ودفـع لمفهـوم الانتماء، وارتواء من الماضى القريب لعطاءات المستقبل المجيد.

* * *

ومهما لابـد منه ـ ان تستدرك (مجلاتنا)، وفورا، عبثية وبدائية التخاطب مع المرأة والنـاشئة، إذ عليها السعى لتثبيت المنـاهج التوجيهية والتربوية التى تخـاطب العقول مع القلوب.. وتحاور الافئدة مع الصـدور. وما أحقها بهذا أو ذاك لكونها إحدى وسائل التلقين المقيم والثابت.

* * *

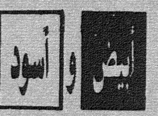
وماذا يقـال عن (الرياضة الكروية.. والفنون التنـاغميـة).. أليس من الاجـدر والاكمـل أن نتـرك معـالجـاتهمـا ومـطارحـاتهما ومجاملاتهما المخملية للصحافة اليـوميـة لتـلاحقهمـا فى مدهمـاوجـزرهما.. وتواكبهما فى انزلاقهما وقفزهما. وهيهات أن تقبـل بذلـك بعض (مجلاتنا) وتقتنع به ـ فلكل منها منطق وتعليل وعند تفحصه قد لا نجد فيه الدليل.

لقـاء

تركى عبد الله السديرى

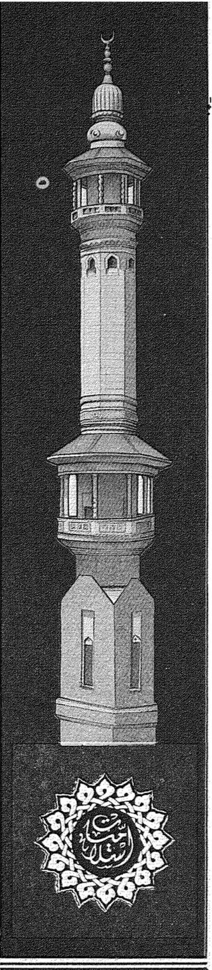
السم بدون الدسم

المشكلة التى يعـانيهـا القـارىء العـربى الآن مع الصحـافـة العربية اليومية والأسبوعية، وجعلته ينصرف عنهـا سياسياً وفكرياً ويقرؤها رياضياً وفنياً فقط، هو أن هذه الصحافة باتت عاجزة عن تحمل ذلك الاتهام القاتل بخلط السم بالدسم. . حيث باتت تنشر السم الخالص دون حياء وتصر على انه دسم خالص ـ ليس هذا فحسب ـ بل إن تردي مسئولية الناشر والكاتب فى التخاطب عبر امـانـة المهنـة مع القارىء جعل الصحافة تصر على ان دسمها المزعوم هو زيت نباتى خال من الكولسترول تحرص على نقائه لحرصها على سلامة مستهلكها العربى فى حين أدرك هذا المستهلك ـ القـارىء ـ أن معـروضـات هذه الصحافة ليست إلا سموماً خالصة فبحث عن اللهو عبر صحـافـة الفن والـرياضـة وواصـل الاستماع إلى أخبار وتعليقات اذاعة لندن.



فى رأينا ان التطور فى المجال الصحفى كان ولا يزال غربيا، وبقية الصحـافـة العـالمية تلهث، أحيانـا قادرة وأخـرى عاجزة عن اللحاق بهذا التطور المتسارع، ولقد عززت امكـانياتهـا من اجـل خدمـة قرائها خصوصا فى الشؤون الاستهلاكية والمالية وحققت نجاحا ملحوظا فى توعية قرائها، فى حين ان الصحافة العربية تركن فى اغلب الأحيان الى العمـل السهـل، ولهـذا كانت تتفـادى الموضـوعات الاقتصادية لما تتطلبه من معلومات وحركة سريعة ومتابعة خلافا للموضوعات الثقافية التى تزخر بها الصحف العربية، وليس معنى ذلك ان الموضوع الثقافى غير مهم وغير مفيد ولكن حجم المهتمين بشؤونهم المالية وشـؤون قوت عيشهم هم الأغلب من المهتمـين برواية الشعر او التمعن فى اللوحات الفنية، وهذا لا يعنى اهمال الأدب مثلا ولكن يجب تطوير العمل الصحفى.

«هشام ومحمد علي حافظ»



السيرة النب

من المعلوم ان الرسالة الاسلامية، رسالة خالدة وأنها صالحة لكل زمان ومكان، رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم، بعثه الله الى الناس كافة، وارسله هدى للعالمين وجعله خاتم النبيين، وامام المرسلين.

●● فالرسول محمد عليه الصلاة والسلام، مبعوث الى الخلائق جميعها، إنسيّها وجنّيها، حاضرها وغابرها، منذ ان كلفه الله بالدعوة، الى ان يرث الله الارض ومن عليها.. قال الله تعالى، فى كتابه الكريم مخاطبا رسوله الامين: ﴿قلْ يا أيها الناسُ إنِّى رسولُ الله اليكم جميعاً الذى له ملك السمواتِ والارض، لا إلّه إلّا هو يُحيى ويُميتُ، فآمنوا بالله ورسولِهِ النبِّى الأمِّى الذى يؤمن بالله وكلماته، واتبّعوه لعَّلكم تهتدون﴾.. وفى الحديث الشريف الذى جاء فى صحيح الامام مسلم، ان رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: «بُعث الانبيـاء قبـلى إلى أممهم خاصة، وبُعثتُ إلى الأمم كلِّها عامة».

فتبين من الايات القرانية، والاحاديث النبوية الصحيحة، ان رسولنا مبعوث لنا ولمن يأتى بعدنا من الامم والشعوب على اختلاف اجناسها والوانها ولغاتها، وان رسالته عليه السلام، واجبة الاتباع، وهديه خير الهدى الذى لا يجوز عنه الانحراف. وان سنته تعتبر بعد كتاب الله العزيز أصح مصدر يجب ان يرجع اليه، وان الاسوة بافعاله وتعاليمه واجبة على المسلمين حيثما كانوا، وفى اى وقت وجدوا.

بقلم: ابو بكر القادرى
عضو اكاديمية المملكة المغربية

سنّة.. قراءة متجددة

□ والمسلمون مهما اختلفت بهم الظروف، وتعددت امامهم الاتجاهات وتوالت عليهم الاعصر فلابد لهم من الرجوع الى الهدى النبوى والسير فى حياتهم طبق التعاليم التى اتى بها سيدنا رسول الله من عند ربه، والاحتكام فى قضاياهم جميعها طبق ما ارشد ودعا اليه **﴿فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شَجَر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيتَ ويُسلموا تسليما﴾**.

■ على هذا درج المسلمون الاولون، وبسببه تبوأوا المكان الذى جعلهم سادة الارض، وهداة الانام وبناة الحضارة الحقة ودعاة الاخوة والسلام، وناشرى العدل والمعروف بين بنى الانسان. ولكن المسلمين دهاهم ما دها غيرهم من الامم، واصابهم ما اصاب الشعوب فتعرضوا لكثير من الخطوب، وانساقوا لكثير من الانحرافات والاهواء وزاغوا عن الصراط المستقيم، وسلكوا السبل المعوجة، ولم يسترشدوا بما ارشدهم به رسولهم الامين، ولم يأتمروا بما أمرهم به قرآنهم الكريم واصبحوا فى حال صعبٍ مهين.

■ ولكنهم استفاقوا من غفلتهم، وكافحوا فى سبيل عزتهم واستعادوا ما افتقدوه من حريتهم وصمموا على استعادة أمجادهم، وارجاع المكانة التى كانوا يحتلونها فى تاريخهم وهاهم الان يبحثون عن الطريق الصحيح الذى تتحقق بسلوكه منجاتهم ويستطيعون إن سلكوه أداء رسالتهم الخالدة فى الحياة، هذه الرسالة التى بعث الله بها رسولهم وجعلهم ورثتها وخلفاءه فى ادائها. فما هى الطريق التى تعيد الى المسلمين مكانتهم فى الوجود وتفتح امامهم السبيل لأداء رسالتهم الخالدة فيوضحون معالم الطريق لهؤلاء الحيارى الذين اختلطت عليهم السبل، فطفقوا يبحثون عن سعادتهم طورا ذات اليمين، واطوارا ذات اليسار، لا يهتدون الى شىء فى ذلك، حيث لا يقطعون مرحلة من مراحل عملهم الا ويتبين لهم ان السعادة التى كانوا يهدفون اليها، مجرد سراب وان تقدمهم العلمى والتقنى يكون مصحوبا بعوامل الهدم والاضمحلال والفناء.

■ ان الطريق امام المسلمين واضح، والسبيل الى تحقيق السعادة لهم ولبنى الانسان جميعا واحد، وهو ما عبر عنه امام من ائمتنا الاعلام حيث قال: **«لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها»**.

■ ومعرفة ما صلح به الصدر الاول للاسلام، يقتضى من المسلمين ان يتعرفوا معرفة دقيقة على سيرة رسولهم العظيم عليه السلام، المربى الاول للانسان المسلم، والمكوّن الأول للمجتمع الاسلامى الصالح. والمؤسس الاول للدولة الاسلامية القوية، وصدق الله العظيم الذى قال وقوله الحق: **«لقد كان لكم فى رسولِ اللهِ أسوةٌ حسنة»** فرسولنا عليه السلام هو الاسوة الحسنة التى يجب ان نتأسى بها ان اردنا النجاح فى تكوين الانسان المسلم الحق، والمجتمع الاسلامى المتماسك والدولة الاسلامية القوية.

■ ان سيرة رسولنا عليه السلام محفوظة مثبتة، وتعاليمه معروفة محفوظة ونستطيع التعرف عليها من خلال تلاوتنا للقرآن الكريم، ومراجعتنا للاحاديث الثابتة فى الصحاح، وما دونته الاسفار والمجلدات مما كتبه المسلمون عن سيرة



وحياة رسولهم، سواء منها كتب السيرة او كتب المغازى او كتب التاريخ الاسلامى، او كتب الشمائل، او الكتب التى ألفت فى المعجزات النبوية.

■ وهذا الاهتمام الذى اعطاه المسلمون لسيرة رسولهم الأمين، جعل كثيرا من الكتاب الأوروبيين يعترفون بأنها واضحة كالشمس، لا يكاد يخفى منها اى شىء عن حياة الرسول فى مختلف اطوارها، وكمثال على ذلك نثبت هنا ما قاله احد الكتاب الانجليز، وهو «باسورت سميث» عضو كلية التثليث فى اكسفورد قال:

« ترى الشمس ها هنا بارزة بيضاء تنير اشعتها كل شىء وتصل الى كل شىء.

■ لا شك ان فى الوجود شخصيات لا نعلم عنها شيئا، ولا نتبين حقيقتها ابدا، او تبقى مجهولة بيد ان التاريخ الخارجى لمحمد ﴿ﷺ﴾، نعلم جميع تفاصيله من نشأته الى شبابه وعلاقته بالناس وروابطه وعاداته ونعلم اول تفكيره وتطوره وارتقاءه التدريجى، ثم نزول الوحى العظيم عليه، نوبة بعد نوبة، ونعلم تاريخه الداخلى بعد ظهور دعوته، واعلان رسالته وان عندنا: «القرآن» لا مثيل له فى حقيقته، وفى كونه محفوظا مصونا».

■ وهكذا ندرك ان المسلمين اهتموا الاهتمام الكبير بسيرة رسولهم الامين، فتتبعوا انباءه ومغازيه وسجلوا اخلاقه وشمائله ودونوا تعاليمه ووصاياه وكتبوا حياته وسيرته، استفسروا عن جميع ذلك صحابته الكرام، ودونوها فى الاوراق ولقنوها فى الدروس، وسجلوها فى سطور المجلدات.

■■ ومن الذين جمعوا اخبار السيرة النبوية من المتقدمين محمد بن شهاب الزهرى المتوفى سنة ١٢٤هـ، وابن اسحاق المتوفى سنة ١٥١هـ وعبد الملك بن هشام بن ايوب الحميرى المعافرى المتوفى فى مصر سنة ٢١٣هـ او ٢١٨هـ. على اختلاف الروايات ومن المتأخرين من لا يحصى عدداً من المؤرخين والكتاب.

■■ وسيرة ابن هشام تعتبر من أصح السير التى تحدثت عن اخبار رسول الله وسيرته ومغازيه وهى «سيرة جليلة، فيها طائفة من اخبار العرب قبل الاسلام، وبسط للحالة بعد الاسلام من حياة الرسول عليه الصلاة والسلام، وهى سجل لما جرى فى هذا العهد من ـ المعاهدات، ولما جرى فى الغزوات، فيذكر فى الغزوة من شهدها من الجانبين وما حدث لهم فى تفاصيل دقيقة، كأنما كان هناك كتّاب حربيون يدونون كل شىء وفيها ثروة ادبية مما يورد من الاشعار فى الغزوات وغيرها»(١).

■■ وتتابعت الكتابة فى السيرة النبوية فكان فيها المطول والمختصر، وكان فى الكتاب الثبت المصحح، والحاكى المتأثر بالخرافات.

ولقد تطاول فى الكتابة عن الرسول وسيرته، اجانب مغرضون واعداء ناقمون، امثال: **« كيمون.. براديه.. فوستر.. ارنست رينان.. كولد تسيهر.. دروتي.. لامنس.. مرجليوث.. وكليموفتش»**(٢) فى كتابه الاسلام: اصله وروحه الاجتماعى فأتى هؤلاء من الترهات والاكاذيب عن الرسول، ما عبروا به عن دخيلة انفسهم وما يخجل الانسان من ذكره.

■■ ومن المؤسف جدا ان بعض المثقفين ثقافة اجنبية من المسلمين يتعرفون الى رسولنا العظيم عن طريق هؤلاء المغرضين وربما يتأثرون ببعض الافكار الخاطئة عن الرسول الامين، ولا يبحثون فى المصادر الموثوق بها عن حياة رسولهم واعماله وسيرته، متعللين بان كتب السيرة القديمة طويلة مملة، وغير مكتوبة بلغة العصر، والكتب الحديثة ـ الا القليل منها ـ لا تشفى ولا تكفى.

والواقع انه قد آن الاوان لعرض سيرة الرسول محمد ﴿ﷺ﴾ طبق ما يفرضه الواجب وما تحتمه التطورات التى حدثت فى الافكار. فواجب مفكرى المسلمين وعلمائهم

---

(١) بحث للاستاذ محمد النجار عن السيرة النبوية منشور فى «تراث الانسانية».

(٢) كاتب شيوعى اراد ان يصور الاسلام كدين اقطاعى والمسلمين كقساة وظالمين وان الحل لسعادة الانسانية هو الشيوعية.

وقادتهم والمسؤولين فيهم ان يدرسوا الوسائل القمينة بكتابة السيرة النبوية كتابة جديدة تبرز فيها شخصية الرسول عليه السلام. . كشخصية مرسلة من قبل الخالق تعالى لهداية الخلق الى الحق، وتعطى الدليل على انها الشخصية الواجبة الاتباع باعتبارها المثل الكامل، للانسان الكامل.

واذا كنا ـ نحن المسلمين ـ مقتنعين بان التأسي برسولنا واتباع هديه عليه السلام واجبان اكيدان لتصحيح اسلامنا وشرطان ضروريان لبناء نهضتنا ونجاحنا فى اداء رسالتنا فاننا مقتنعون ايضا بانه لا يكون اتباع حقيقي اذا لم تتوضح امام اجيالنا معالم شخصية الرسول، وتعرض سيرته مكتوبة ومقروءة احسن عرض واوفقه للعصر الحاضر.

■ والكتابة عن الرسول عليه السلام والتعريف بسيرته تتطلب منا ان نبرز سلوكه المثالى ومزاياه الخلقية ومبادئه السامية وتعاليمه العادلة ووصاياه المخلصة واصلاحاته الاجتماعية وتنظيماته السياسية ومعاملاته الانسانية وتصرفاته البيتية وحرصه على سعادة البشرية وتهجداته الليلية وصدق عبوديته لله سبحانه وما وهبه الله من كمال فى جميع مناحى الحياة الانسانية.

■ فتجلية سيرة الرسول عليه السلام، تهدى المسلمين جميعهم الى الطريق التى عليهم ان يسلكوها فى حياتهم الشخصية ان ارادوا ان يكونوا مسلمين حقا، وتوضح لهم المعالم التى يجب ان يبنوا عليها هيكل امتهم الاجتماعى والسياسى، ان رغبوا ان يكونوا خير امة اخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله.

وتجلية سيرة الرسول ستجعل الشباب المسلم، يعرف رسوله حقا، ويستمد من معينه الإلهي صدقا، فلا يبقى تائها بين الاغراب، ولا يبقى عرضة للتغريب والاستغراب بل يتبين طريقه السوى، وهدفه الواضح البين، فينهض لأداء رسالته السامية فى الحياة، هذه الرسالة التى ستنهض به وبأمته من كبوتها وستشع اضواؤها على هذا العالم المتعثر

● اهتمام المسلمين بحياة الرسول (ﷺ) وحبهم إياه جعلهم اكثر حرصاً على تحرى الدقة فى تسجيل سيرته.

● السيرة النبوية المطهرة تمثل منهجاً معطاء لإثراء الحياة الانسانية من كل جوانبها.

القلق، فتنير له السبيل، وترشده لمعالم الطريق، وتقيه من عثرات الايام وتصون الحضارة الصحيحة من السقوط والذوبان. فالتدهور الذى تعانى منه الحضارة الغربية الآن، والمشاكل التى تمر بها امم الغرب، والانحدار الخلقى والفراغ الروحى الذى يقاسى منه شباب العالم: كل ذلك يفرض علينا نحن المسلمين ان نقوم بدورنا ونعطى لهؤلاء البديل الذى ينقذهم من الوهدة المادية التى سقطوا فيها، والتى كان من جملة اسبابها جهلهم بحقيقة الاسلام وعدم تعرفهم المعرفة الصحيحة للرسول محمد عليه السلام وابتعادهم عن التغذية الروحية والاستمداد الربانى الذى عن طريقه وحده يغمر نفوسهم الايمان والاطمئنان، حتى اصبحت حياتهم حياة ميكانيكية جافة لا مجال فيها للروح، ولا أساس لها من الاخلاق. وهكذا صاروا يفقدون الاطمئنان واصبحت حياتهم جحيما لا تطاق ومستقبل حياتهم ينذر بالخراب، رغم ما يتراءى فيه من سراب التقدم العلمى التكنولوجى.

■ وليت الامر اقتصر عليهم وحدهم ولم يتسرب داؤهم الى غيرهم من الشعوب، ولكن الظاهرة المؤلمة ان داءهم اصبح يستشرى وماديتهم اصبحت تطغى، حتى اصابتنا بدائها فطفق الكثيرون من شبابنا المتغذى بالثقافة الغربية الصرفة، يتأثر بماديتهم ويفكر بعقليتهم ولربما يتأثر حتى بمذهبيتهم، وهكذا اصبحنا فى ديارنا الاسلامية، نلاحظ وجود هذه التيارات المادية، وتوجد بين ظهرانينا طوائف



● الدقة والعمق وسرد وتسجيل التفاصيل الدقيقة لحياة الرسول (ﷺ) علامة بارزة لما تنطوى عليه حياته من قيمة يهتدى بها.

● لعلنا الآن فى حاجة ماسة لقراءات جديدة للسيرة النبوية الطاهرة لتنقية كتبها مما علق بها مما ليس منها فى شىء.

● حياة الرسول نبراس يُهتدَى به فى ظلمات المادية البغيضة.

وجماعات تسير فى تفكيرها التفكير المادى الصرف، وتبتعد شيئا فشيئا عن حقيقة التفكير الاسلامى.

اننا ـ كمسلمين ـ مقتنعون بان الانسان جسم وروح، وعقل ووجدان وان مسؤوليتنا تتطلب منا ان نسير فى حياتنا متوازنين بين مطالب الجسم ومطالب الروح وتطلعات العقل ورغبات الوجدان، وان ديننا الاسلامى يدعونا للحفاظ على هذا التوازن، حتى نضمن رخاء دنيانا وسعادة آخرتنا. وان المثال الذى اعطته لنا حياة رسولنا العظيم وسيرة سلفنا الصالح كفيل باضاءة الطريق لنا، حتى نسير على بينة من امرنا وننعم بسعادتنا الدنيوية والاخروية.

فبالغوص فى اعماق السيرة النبوية وفى استجلاء حياة رسولنا محمد عليه السلام سنجد انفسنا امام اسوة حسنة خططت لنا الطريق السوى ووجهتنا التوجيه السليم واعطتنا التعاليم المضبوطة وتركتنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الاهالك.

■ وسندرك الاسباب التى جعلت الرعيل الاول من المسلمين ينجح فى تقويم نفسه، وفى اداء رسالته، حتى استطاع فى ظرف وجيز ان يقلب الاوضاع العالمية الفاسدة ظهرا على عقب، فقضى على جميع انواع العبودية لغير الله، وحارب كل انواع الاستغلال والاستعباد وقاوم كل انواع الزيغ والفساد والعنصرية والتباهى والتفاخر بالانساب والاجناس والالوان، وسندرك ان العدالة التى دعا اليها الاسلام لم تكن شعارا اجوف، ولا كلمة تردد، ولكنها تطبيق يستفيد منه جميع بنى الانسان.

سنكتشف حقائق لم تكن مسطرة على صفحات الاوراق للدعاية والاعلام ولكنها كانت مطبقة اتم تطبيق ومعمولا بها فى الارض وليست من المثاليات التى صورها اصحاب المدن الفاضلة.

■ ان البحث فى السيرة من جديد وعرضها وكتابتها بالاسلوب الذى يتطلبه العصر ويفرضه التطور الذى حصل فى الافكار، سيقوى ارتباط شباب المسلمين برسولهم الامين ويجعل المجتمع الاسلامى يعيش الحياة التى كان يحياها المجتمع الاول الذى كوّنه ورعاه سيدنا رسول الله حيث ستتشخص امامه شخصية الرسول الذى كان المثال الكامل للانسان، والحياة الخاصة والعامة التى كان يحياها والاخلاق المثالية التى كان يتخلق بها والتعاليم السامية التى كان يبثها والطريقة السديدة التى كان يعالج بها احوال مجتمعه، وسيقتنع الجميع ان اتباع تلك التعاليم والارتباط المتين بتلك المبادىء، هما الوسيلتان الكفيلتان بانقاذ مجتمعنا الاسلامى الحاضر الذى اصبح يسير مع الاسف الشديد فى طريق التدهور والانحلال وان المسلمين عندما كانوا يتأسون برسولهم ويسلكون الطريقة الجادة التى حثهم على سلوكها، اصبحوا سادة الارض، وفرضوا وجودهم فى المعمورة، واعطوا المثل الصالح، والنموذج المثالى لما ينبغى ان تعيش عليه الامة الوسط التى لا تهدف فى حياتها واعمالها الا الى الخير العام، وصالح

المجموع وتوحيد البشرية على اساس من التعاون والتضامن والتحاب.

■ سيدركون عند اطلاعهم على سيرة رسولهم، ان هذا الرسول العظيم خطط لهم الطريق ووضع لهم معالمها وحذرهم من الانحراف وبين لهم مساوئه ودعاهم الى القيام بواجباتهم مثل ما عرفهم بحقوقهم وارشدهم الى كيفية التعامل وطريقة التعايش، سواء مع بعضهم بعضاً، او حتى مع الذين يخالفونهم فى الدين ويودون ان يعيشوا بين ظهرانيهم مسالمين، وسيطلعون على الاسلوب الذى قرره الرسول لهذا التعايش فى الوثيقة التاريخية العظيمة التى امر بتحريرها سيدنا رسول الله عندما هاجر الى المدينة المنورة وشرع فى تكوين المجتمع الاسلامى السليم، ووضح فيها الحقوق والواجبات لكل المتساكنين بما فيهم غير المسلمين. فتلك الوثيقة التاريخية تبرز الملامح التى اراد الرسول العظيم ان يبنى عليها المجتمع الاسلامى سواء فى عهده عليه السلام او فى العصور التى تليه.

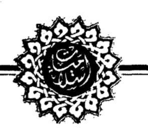
فهى ترمى الى الوحدة الحقيقية للمجتمع الاسلامى والى احقاق العدل بين الناس والى التضامن والتكافل بين المسلمين فى مختلف الميادين بما فيها الميدان المالى والاقتصادى، كما ترمى الى تحقيق المساواة بين المتساكنين فى الاحكام سواء اتحد اعتقادهم او اختلف وتؤكد ان المرجع فى القضايا والخلافات هو حكم الله ورسوله **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾**.. وتعطى اهمية خاصة لقضية المظلومين والمستضعفين وتعتبر ان الاسلام جزء لا يتجزأ.

■ ان هذه المبادىء التى خطها رسول الله، والتى وردت مجملة فى القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة كانت دائما ماثلة امام اعين المسؤولين فى الامة الاسلامية عندما كان هؤلاء يقدرون رسالتهم ويتحملون مسؤولياتهم بامانة وصدق، واليوم وقد اعتور الامة الاسلامية ما اعتورها واصابها من الانحراف ما اصاب غيرها، تعين عليها الرجوع الى المصدر الاول والمنبع الصافى الذى سيكون طريق منجاتها وما المنبع الا الرسول وسيرته، وما المصدر الا ما كان عليه السلف الصالح ولا يمكن ان نتعرف الى ذلك الا عن طريق السيرة النبوية.

■ ان دعوتنا لكتابة السيرة النبوية من جديد وعرضها العرض المناسب للتطور الذى حصل فى الافكار وبالاسلوب الذى يجعلها سهلة التناول سيدفع غير المسلمين للتطلع على حقيقة الدعوة الاسلامية والتعرف الصحيح الى شخصية رسولنا التى حجبها عنهم المغرضون والحاقدون على الاسلام ونبى المسلمين.

<u>لقد قيل</u>: ان الاسلام فى حاجة الى دعاية وتبشير ونرى ان احسن دعاية يقوم بها المسلمون لصالح دينهم هى اعطاء المثل الصالح من انفسهم اولا وكتابة سيرة رسولهم كتابة سليمة صادقة تبرز فيها خصائص هذا النبى الكريم وصدق دعوته وتشرح المبادىء والاهداف التى دعا اليها سيدنا رسول الله.

■ ان المعارضين للاديان والمقاومين لدين الاسلام يبثون بعض الافكار ويلقنون اشياعهم بعض الشعارات مما يجعل هؤلاء الاشياع يتيهون فى بحر من الاضاليل ويصدقون كثيرا من الترهات ضد الاسلام. فبعض هؤلاء يبثون فى اشياعهم وانصارهم ان الاسلام يعارض العلم والتقدم العلمى وانه لا يستطيع ان يعيش فى العصر التكنولوجى، فيجب ان نبرز اثناء كتابتنا للسيرة النبوية، موقف الاسلام من العلم، وحض الرسول الامين على طلبه حتى يقتنع الجميع بتضليل ما يريده المحطمون.



■■ واذا كان الاسلام اتى لتوحيد البشرية على كلمة سواء، فارسل الله رسوله داعيا الى التوحيد والوحدة وجعله مبعوثا الى الخلق كافة ليتساوى الناس جميعا فى الحقوق والواجبات، ولا يتمايزون الا بالتقوى فان الحاقدين على الاسلام والمتقولين عليه، يقولون: انه دين الاقطاع، فيجب ان نبرز اثناء كتابتنا للسيرة النبوية اقوال النبى عليه السلام واعماله لصالح الطبقة المستضعفة والمحرومة ودفاعه عنها.

■ ان اصطدام الاسلام بالوثنية واليهودية والمسيحية، جعله يتعرض لكثير من الهجمات المغرضة والحملات الكاذبة وينسب اليه ويختلق عليه ما هو منه براء.

** وهذه الحملات المغرضة والاكاذيب المختلقة لم تكن بنت هذا العصر، ولكنها من صنع اولئك المغرضين والحاقدين، تناقلها عنهم الابناء وتلقفها منهم بعض المستشرقين الذين لم يستطيعوا ان ينسلخوا مما ورثوه عن آبائهم واجدادهم او الذين اعوزهم ادراك عمق الحقائق فطفقوا يكتبون ويتحدثون بما تمليه عليه اهواؤهم وجهالتهم فضلوا واضلوا.

** والحقيقة ان المسلمين بدورهم يتحملون كثيرا من المسؤولية حيث انهم لم يقوموا بواجبهم خصوصا فى العصور الاخيرة - فى التعريف بحقيقة دينهم والتعريف بمزايا تعاليم اسلامهم وابراز معالم شخصية رسولهم باعتباره الشخصية الفذة التى جعلها الله نورا للعالمين وطلب منا ان نجعلها قدوة حسنة ان كنا مؤمنين حقا وصدقا، واذا كانت ظروفهم الماضية لم تتح لهم القيام بهذا الواجب الاكيد فان واجب مفكرى المسلمين وعلمائهم وقادتهم والمسؤولين فيهم يفرض عليهم ان يراجعوا انفسهم ويعدوا الآن للامر عدته، ويتخذوا له اهبته.

■ واننى بهذه المناسبة اود ان اقترح أن تؤسس لجنة يعهد اليها وضع مخطط لكتابة السيرة النبوية حسب منهج مدروس وباسلوب صالح مستجيب للرغبة التى يرغب فيها الشباب المسلم، والتى تجعله عارفا بجوانب سيرة نبيه، واهداف رسالته فى الحياة.

■ وارى ان تكتب على طريقتين اثنتين على الاقل:

فالطريقة الاولى: يخاطب بها تلامذة المدارس الاسلامية، ابتدائية وثانوية بحيث يكون اسلوبها اسلوبا مدرسيا يجعل التلاميذ يعون سيرة رسولهم ويلموا بكثير من جوانبها.

وهذا القسم الذى سيوضع لتلامذة المدارس، ستكون له اهمية خاصة بالنسبة لمستقبلهم حيث ستوضع امامهم الشخصية النموذجية التى عليهم ان يقتفوا أثرها ويسلكوا مسلكها، وتكون لهم المثال الصالح فى الحياة لا من حيث سلوكها الشخصى واخلاقها المثالية فحسب، ولكن من حيث الدور الايجابى فى الاصلاح البشرى الذى قامت به، والتعاليم والتوجيهات التى اتت بها ودعت اليها لتكريم بنى الانسان وتوجيهه فى ميادين الخير والحق والتوحيد.

اما الطريقة الثانية: كتابة السيرة النبوية بالاسلوب الذى تكون به المرجع الاساسى للتعرف الى حياة النبى عليه السلام وحقيقة دعوته وضرورة الاهتداء بهديه واتباع سنته والذى سيكون الوسيلة الفعالة لإبراز شخصية رسولنا العظيم كشخصية واجبة الاتباع لا من قِبَل المسلمين وحدهم ولكن حتى من قبل غيرهم من الذين يتطلعون الى من ينقذهم من الحيرة والارتباك اللذين يعيشان فيها.

■■ وعلى هذا فإنى اقترح ان يوضع هذا السفر كما يلى:

(١) الفصل الاول: من الكتاب يشرح الاوضاع التى كان عليها العالم قبل بعثة الرسول محمد عليه السلام سواء من

الناحية السياسية او الاجتماعية او الاقتصادية.

(٢) **الفصل الثانى**: يوضح افتقار العالم الى الاصلاح السماوى، اصلاحا حقيقيا كما يوضح ان الديانات السابقة ادخل عليها المنتسبون اليها كثيرا من التحريفات والتعقيدات والاساطير حتى اصبحت مجردة عن حقيقتها التوحيدية واهدافها النبيلة.

(٣) **الفصل الثالث**: يدلل فيه على ضرورة الوحى وتفند فيه الآراء والنظريات التى ترفضه ويؤتى فيه بالادلة المقنعة على ان العقل والعلم لا يكفيان لانقاذ البشرية من سقطتها وان المحنة التى تعانيها الانسانية ترجع فى اساسها وحقيقتها الى فقدان الوازع الدينى والحرارة الايمانية والهدى السماوى.

(٤) **الفصل الرابع**: حياة الرسول عليه السلام فى مختلف اطوارها سواء قبل البعثة او بعدها وخصوصا بعد البعثة واخلاقه وتوجيهاته وحقيقة دعوته.

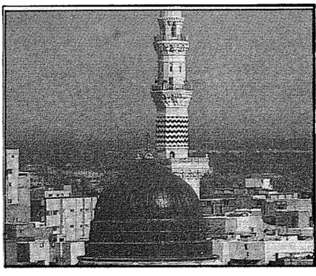
(٥) **الفصل الخامس**: المبادىء الاساسية التى دعا اليها الرسول فى الميادين الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية مع اعطاء الامثلة الكثيرة من اقواله وافعاله وجميع تصرفاته، وهذا الفصل مهم جدا، حيث ستبرز فيه دعوة الرسول واعماله لاسعاد البشرية وانقاذها من الانحدار فى وحدة متناسقة وافكار متكاملة كما ستظهر فيه قيمة الدين الاسلامى باعتباره دينا اتى بالدعوة للتوحيد وعبادة الخالق وحده لا شريك له وفى الوقت نفسه اتى لإصلاح احوال البشر واسعادها، والاهتمام بقضاياها الحياتية الدنيوية وانه لم يهتم بالجانب العقائدى فحسب، ولكنه اهتم وعمل على تنظيم حياة بنى الانسان ورفع الظلم عنهم ومبادئه مثلا فى الشورى والحكم والمساواة والحرية والوحدة، ودفاعه واعتناؤه بقضايا الاسرة والمرأة ليست الا دليلا على عمله على تنظيم الحياة الانسانية تنظيما يهدف الى اسعاد كافة البشر فى انحاء المعمورة.

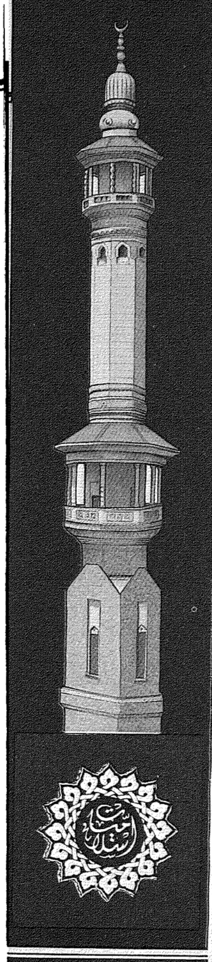
(٦) **الفصل السادس**: الاعمال التى قام بها الرسول فى حياته والتى اراد ان يبنى عليها المجتمع الاسلامى السليم السعيد، والعناصر التى تتكون على اساسها الدولة الاسلامية.

(٧) **الفصل السابع**: شخصية الرسول الانسان فمحمد انسان ولكنه رسول يوحى اليه من ربه وهو مثل بقية الانبياء والمرسلين ولكنه خاتمهم والمفضل عليهم.

(٨) **الفصل الثامن**: نداء الى البشرية كلها لاتباع طريق الاسلام والدخول فيه اتباعا للحق وهُدى للبشرية، ووحدة للرأى ونجاة للناس اجمعين.

﴿يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألَّا نعبد إلَّا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضُنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ . ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهانٌ من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبينا، فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما﴾.







● كنا اذا احمرت الحدق وحمى الوطيس نلوذ برسول الله ﴿ﷺ﴾ حتى لا يكون أحد منا أقرب الى العدو منه.

● الشجاعة عطاء للنفس والكرم عطاء لما كسبت النفس.

● إنى لم أبعث لعانا ولكنى بعثت داعيا ورحمة.

شمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم اكثر من ان تحصر.. واعظم من ان تحصى واكبر من أن تتناول فى بضع صفحات من القرطاس.. ولذا يحار المرء عندما يريد التحدث فى هذا المجال.

وشمائله لا يدانيه فيها أحد من البشر فهو الاسوة الحسنة للمسلمين والقدوة المثلى لعباد الله المؤمنين ﴿لقد كان لكم فى رسولِ اللهِ أسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو اللهَ واليومَ الآخرَ﴾.. وهو الذى قيل فى حقه ازاء المؤمنين ما يعجز البشر عن تمثيله ولو اجتمعوا له فقال عز من قائل ﴿النبى أَوْلَى بالمؤمنين من أنفسهم﴾.. ولا يقف الامر الى هنا فحسب بل هو رحمة للناس كافة وللعالمين عامة.. ﴿وما أرسلناكَ إلا رحمةً للعالمين﴾ كيف يكون هذا ما لم تتسع لهم شمائله ويشمل جوانب ساحاتهم خلقه: ﴿وإنَّك لعَلَى خُلُقٍ عظيم﴾.

بقلم: على يوسف على
المستشار الدينى لسفارة السودان - جدة

■ لقد شهد الرسول ﴿ﷺ﴾ أحُداً وصبر على ما يعجز عنه الابطال ويهاب منه الجَسور القَتَّال. . فشُجَّ وجهه وكُسِرتْ ثنيّته. . وفر عنه الكثيرون من هول المعركة ومفاجأة الموقف. . ثم ما لبثوا ان لحقوا به وحضروا الى ساحته وتقاتلوا مع المشركين حتى ازاحوهم عنه صلى الله عليه وسلم. وهنا يقول بعضهم: يارسول الله ألا دعوت الله عليهم؟ **فيا ترى ماذا كان جوابه صلى الله عليه وسلم؟**.

لقد كان جوابه: «انى لم أُبعث لعَّانا ولكني بعثت داعيا ورحمة، اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون». موقف لا يدركه سوى صاحب الايمان ولا يكاد يتفهمه غيره. . ويسلط عليه اهل ثقيف سفهاءهم ومماليكهم يضربونه بالحجارة طرداً له عن حوزتهم حتى اخرجوه من ديارهم. . فما كان منه الأ ان يتضرع الى خالقه **﴿اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى وقِلة حيلتى وهواني على الناس﴾**. . ولو شاء لسأل الله ان يخسف بهم الارض او يرسل عليهم حاصباً من السماء.

ويطارده ابو لهب واعوانه ومَنْ سلطوهم عليه، يطاردونه بألوان العذاب وانواع الاهانة بين جمهرة السوقة وحشد الطرقات. . فلم ينطق ببنت شفه. . ولو دعا الله لأمطرهم بعذاب من عنده. . ولكنه رحمةَ الله المهداة الى الناس اجمعين. . ولعل الله ان يخرج من اصلابهم من يُحقّ الحق فيناصر هذا الدين.

■ انه متمم مكارم الاخلاق «إنما بُعِثْتُ لأتمم مكارم الاخلاق»، ومنشىء هذه المدرسة الفريدة (اقربكم مني **منزلة يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطّأون اكنافا الذين يألفون ويُؤلفون**). . إنه خاتم رسل الله.

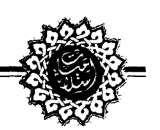
■ يقف الرسول ﴿ﷺ﴾ يوم حُنَيْن ذلك اليوم العصيب الذى اذهل القلوب وحجب العقول حيث ضاقت عليهم الارض مع رحابتها وسعتها. . ويسجله القرآن كشأنه تذكرة وعبرة. . علما بأن البشر لا يسجلون إلا مالهم لا ما عليهم. . فيقول **﴿ويوم حُنَيْنٍ إذ أعجبتكم كَثرتُكُم فلم تُغْنِ عنكم شيئا وضاقتْ عليكم الأرضُ بما رحبت ثم ولَّيتم مُدَبِرين﴾**. . يقف الرسول ﴿ﷺ﴾ فى ذلك اليوم المذهل بمفرده. . ونَفَر من اصحابه. . ينادى فيهم بثبات كالطود الراسخ وشجاعة تحير الالباب: أنا النبى لا كَذِب أنا ابن عبد المطلب) حتى قفل المسلمون رجوعا وحملوا على العدو حملة رجل واحد فهزموهم بإذن الله.

يصفه الامام عليّ كرّم الله وجهه وهو من نعلم بطولة وشجاعة وقوة. . فيقول: «كنا اذا احمرّت الحدق وحمى الوطيس ـ وهى كناية عن شدة القتال واستفحال أمره ـ نلوذ برسول الله ﴿ﷺ﴾ حتى لا يكون احد منا أقرب إلى العدو منه».

■ واذا كانت هذه لمحة خاطفة من شجاعته فكيف كرمه وعطاؤه؟ إذ ان الشجاعة والكرم امران متلازمان وتوأمان لا يفترقان. . فالشجاعة عطاء للنفس، والكرم عطاء لما كسبت النفس فمن بذل بالاولى استحال عليه ان لا يبذل بالثانية ومن بذل الثانية كان فى طبعه وخليقة فطرته ان يبذل بالاولى فالرباط بينهما وثيق، والصله جد وطيدة. . وهى معيار الامم والشعوب منذ ان خلقها الله. . فما كان فيها احد الجانبين الا وكان الثانى.

■ فلقد كان صلى الله عليه وسلم فى جوده: أشد من الريح المرسلة اغراقاً وكرما وعطاء وجودا وسخاء. . فما كان يملك شيئاً الا وينفقه او ينفق منه.

■ وكان الرسول ﴿ﷺ﴾ يستعيذ بالله سبحانه من البخل وغيره من نقائص البشر (اللهم انى اعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل واعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق». . فما استعاذ نبى من أنبياء الله من شيء الا واعاذه الله منه. وكم حمل الرسول صلى الله عليه وسلم على الفقر او ليس هو القائل: كاد الفقر ان يكون كفرا. . بل جعل الرسول ﴿ﷺ﴾ من حق كل مسلم أن يتولى عملا، ايا كان هذا العمل فى دولة المسلمين. . ان يكون له منزل يسكن فيه وزوجة يسكن اليها. ودابة يسير بها (من ولى لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا، او ليس له زوجة فليتزوج او ليس له دابة فليتخذ دابة).



■ كان رسـول الله ﴿ﷺ﴾ إمـامـاً للزاهـدين الذين لا يتكـالبـون على الـدنيا لذاتهـا ولا يركضـون سعيا وراء بريقهـا . . دون التفات لما لهم من حقوق او عليهم من واجبات . . تجمعت الغنائم يوم «حنين» تجمعا لا مثيل له فاغرى الناس لا سيما ضعاف الايمان ذلكم البريق الخلاب فتكـالب عليه الخلق من كل مكـان وتحـوطوا به من كل جهة . . كلٌ يريد ان يأخذ قسطا وافرا مما انعم الله به ولا يزال الضعـاف يزحفـون عليه حتى ازاحـوا عنه رداءه. فوقف صلى الله عليه وسلم يطمئنهم فقال : لو كان لى مثل هذه العضاة نعما لقسمتها بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذابـا ولا جبـانا» ثم سلَّ وبرة من ناقة بجانبه وذرَّها فى الفضاء قائلا ما معناه : «ليست لى من غنيمتكم هذه ولا مثـل هذه الوبرة. وهكذا فما كان يضن بنصيبه قط عن أصحـابه . . صلوات الله وسلامه عليه . . فكان يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة .

من اثار اليقين

يقول أحد الصالحين : اعلم أن القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه ، فإن أزاغه كان بيتاً للشيطان ومحلاً للخسـران وموضع نظر المطرود من رحمـة الله ، ومعـدن وسـاوسـه ، وحضرة أعيانه ، ومهبط مردته ، وخزانة غروره ، وإن أقامه فذلك قلب المؤمن المتقى الـورع الـذى قال فيه «مـا وسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن» فقلب العبد بيت رضوان الله ومـوضـع نظره ، ومعـدن علومـه ومكان أسراره ، ومهبط ملائكته ، رئيس الجسم ومليكه ، مع السلامة من الآفات وزوال الموانع ؛ فصلاحه صلاح الجسد ، وفساده فساده ، ليس لعضو ولا جارحة حركة ولا سكون ولا ظهور ولا كون ولا حكم ولا تأثير إلا عن أمره الـذى هو محل القبض والبسط والرجاء والخوف والشكر والصبر ، هو محل الايمان والتـوحيد والتنـزيه والتجـريد ، كما أنـه صاحب الجهـل والغفلة والـظن والشـك والكـبر والكفـر والنفاق والرياء والعجب والحسد والشره والهلع ، ومحل كل وصف مذموم إذا لم ينظر الله إليه وحرمه التوفيق ، وهو رسول الحق الى الجسم ، فإما صادق وإما دجال ، إما مُضلّ وإما هاد ، فإن كان كريما أُكرم ، وإن كان لئيما أُسلم ، فإن كان رسولٌ خير وإمام هدى حرّك أجناده للطاعة .

فاذا نفذ الامر الإلهى إلى واحد من هؤلاء الأجناد من القلب بادر لامتثال ما ورد عليه وعلى المؤمن ترك صحبة الجهـال ، فإن صحبـة الجاهل نقص فى الدين ، وقلة فى اليقـين ، ومعاداة المتقين ، والجاهل من باع دينه بدنياه ، وضيع دنياه فيما يهواه ، وليس بالجاهل من أقام الصلاة وقال لا إله إلا الله ، وكف عن محارم الله ، ولو لم يعرف توجيه المسـائـل ولا إقـامة الدلائل ولكن إذا احتاج سأل صونا لنفسه عن الزلل .

اعلم أنه لابد للانسان من مخالطة الاخوان وصحبة الخـلان ، لكن يتعين عليه أن لا يخالط إلا أهل الفضل والكـمال دون أهـل الجهـل والضـلال ، فإن المرء بقرينه يعرف . قال الشاعر :

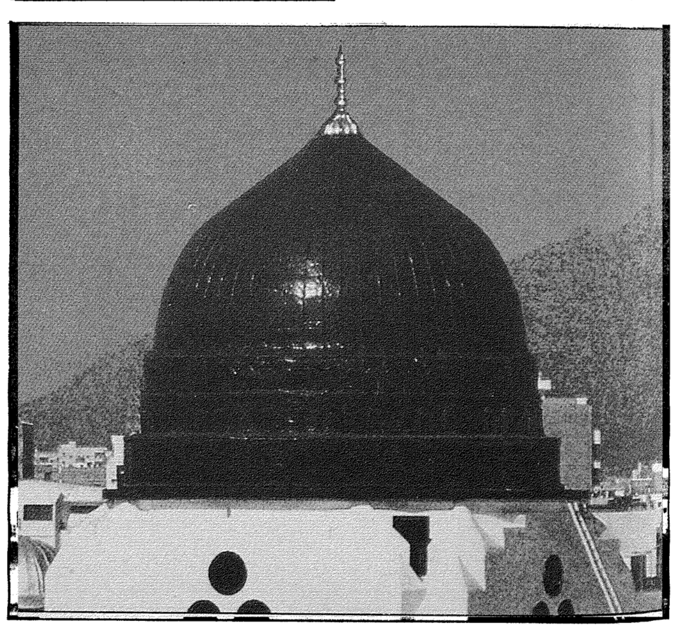
عن المـرء لا تسـلْ وسـلْ عن قريـنـه
فكـل قريـن بالمـقـارنَ يقـتـدى

■ وقـال صلى الله عليه وسلم « **المـرء على دين خليله فلينـظر أحدكم من يخالل**» وقال صلى الله عليه وسلم «**لا تصاحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقياً**» وقال صلى الله عليه وسلم « **إياك وقرين السوء فإنك به تعرف**» وقال علي كرم الله وجهه : ما شيء أدل على الشيء ، ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب ، فصحبة الأخيار تورث الفـلاح والنجـاح والنظر الى أهل الصلاح يورث

صلاحا، والنظر الى الصور يورث أخلاقا وعقائد مناسبة لخلق المنظور وعقيدته.

فالمعاشرة والمقارنة لها تأثير فى الانسان، وعلى المسلم ملازمة ذكر الله بلا ملال، فإن الذين يذكرون الله كثيرا يحط الذكر أثقالهم، فتخف أرواحهم فترقى فى الملكوت فتأتى صاحبها بغرائب الحكم ولطائف المعارف، ولا يوقد نار الحب فى القلب إلا ذكر الله، فإذا وقع حب الله فى القلب أحب الرب وسعد السعادة الأبدية السرمدية.

▪ الذكر مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح بفضل الله الكريم الفتاح، وهو العمدة فى الطريق فإذا دخل الذكر الى القلب ووجد فيه ظلمة كان نورا فنوره، وإن كان فيه نور صار نورا على نور، والذكر يذهب من الجسد الأجزاء الزائدة الحاصلة من الاسراف فى الأكل ومن تناول اللقم الحرام، وأما الحاصلة من الحلال فلا يد له عليها، فاذا احترقت الأجزاء الخبيثة وبقيت الأجزاء الطيبة سمعت من كل جزء ذكرا كأنه ينفخ فى البوق.





حين تضع الظروف الانسان فى حالة المقصّر أو المخطىء ـ تجاه من يخشى غضبه أو ينشد رضاه ـ فليس له الا أن يتقدم اليه بالعذر المناسب الذى يأمل فيه الوصول الى الغاية والحصول على المسامحة والقبول.

الاعتذار فى الشعر العباسى

- اعتذار الشعراء لممدوحيهم ظاهرة قديمة .. قدم الشعر
- هناك اسباب متنوعة عند الشعراء العباسيين تبرر اعتذاراتهم
- شعر الاعتذار يميل عادة إلى الايجاز لا الاطناب صونا للسان من الاغراق فى الكذب.

وفى اشتقاق الاعتذار ثلاثة أقوال: أحدها أن يكون من المحو كأنك محوت آثار الموجدة. والثانى أن يكون من الانقطاع كأنك قطعت الرجل عما أمسك فى قلبه عن الموجدة والثالث أن يكون من الحجز كأنك جعلت عذر المعتذر حاجزا بينه وبين العقوبة(١).

وترجع نشأة فن الاعتذار الى العصر الجاهلى، وأبرز شعرائه فى ذلك العصر النابغة الذبيانى الذى عرف باعتذارياته للنعمان بن المنذر. وفى صدر الاسلام اعتذر بعض الشعراء الى الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ عما ارتكبوا فى حقه من أخطاء قبل دخولهم الاسلام. وربما اعتذر اليه بعضهم بعد اسلامهم كحسان بن ثابت. وكذلك تقدم بعض شعراء العصر الأموى باعتذاراتهم الى ممدوحيهم من الأمراء والولاة. أما فى العصر العباسى فقد شاع اعتذار الاقران الى جانب اعتذار الرؤساء الذى كان سائدا فى العصور السالفة فقد ضم العصر العباسى عددا كبيرا من الشعراء، وتعددت أسباب التقارب بين بعضهم وبعض، وبينهم وبين ممدوحيهم، كما تنوعت بواعث اعتذاراتهم بين أمور يتصل بعضها بالزيارة ويتصل بعضها الآخر بأمور أخرى كعدم القيام للسلام، والوشاية. وغير ذلك من الأسباب الدالة على اهتمام الشعراء باصحابهم وحرصهم على مرضاتهم. وقد تعددت دواعى الاعتذار المتعلق بالزيارة فالحسن بن وهب يعتذر عن زيارته لمحمد بن عبد الملك الزيات بتوالى المطر مما منعه من رؤية سماء أخرى وهى (صاحبه) الذى يدعو الشاعر له بالبقاء، وللسماء الأولى بالزوال، لأنها أعاقته عن زيارته لصديقه، فما عاد بوسعه الا أن يبعث اليه بطيب سلامه، يقول: (٢)

اوجب العذر فى تراخى اللقاء ... ما توالى من هذه الانواء
لست أدرى ماذا أقول وأشكو ... من سماء تعوقنى عن سماء
غير أنى أدعو على تلك بالثكـ ... ـل وأدعو لهذه بالبقاء
فسلام الاله أهديه غضا ... لك منى يا سيد الوزراء

■ وعمارة اليمنى لم يمنعه من زيارة صديقه نجم الدين الا المرض الشديد، الذى أنهك جسده وأضعف كل قواه سوى عقيدته، وما يكنه نحو صاحبه من ودٍّ ووفاء. هذا الصاحب الذى يدعو له الشاعر بطول البقاء. فهو ظهيره ونصيره وهو يتشوق له ويهتم بكل ما يتعلق به.. وحرصه

(١) العمدة: لابن رشيق: ٢/ ١٨٠ دار الجيل بيروت.
(٢) الاغانى للاصفهانى: ٢٧/ ٩١٨٧ ـ دار الشعب بالقاهرة.



بقلم:
د. محمد عثمان الملا
الظهران



على معرفة أحواله يعدل حرصه على روحه ولهذا يرجو منه أن يكتب اليه بجميع اخباره، لأنها تحي نفسه كما تحي الروح الجسد. وهو يرى أن الدهر لم يجد عليه الا باجتماعهما فى بلد واحد. فقد ملأ عليه دنياه وأغناه عن جميع الناس يقول: (٣)

ما عاقنى عنك الا هيضة عرضت
فأضعفت كل شيء غير معتقدي
فلا خلت منك عين أنت ناظرها
فأنت عونى على الأيام بل سندي
وعلم حالك روحى ان كتبت به
فامنن بروحي ولا تحبسه عن جسدى
أسليتنى عن جميع الناس قاطبة
فقد غنيت ولم أحتج الى أحد

■ وكانت عادة القيام للسلام من بواعث اعتذاراتهم، فابن سناء الملك اعتذر عن عدم قيامه لصديقه عند دخوله المجلس بعدم انتباهه اليه، لأنه كان مشغول الفكر بمديحه وشكره. فاذا كان قد قصر فى ناحية فانه وفىّ فى الناحية الأخرى وناشده أن يمن عليه بالرضا والقبول، يقول: (٤)

أسانا فانى من عتابك خائف
وعفوا فانى بالجناية عارف
على أن لى عذرا فان كنت منصفا
فكن قابلا أو لا فانك خائف
وما كان شغلى عنك الا لأننى
بفكرى على تحبير شكرك عاكف
بحقك الا ما مننت بعطفه
فمثلى بلا شك لمثلك عاطف
وحسبك فضلا أن ترى لى عاذرا
وحسبى فضلا أننى لك واصف

■ كما كانت النميمة من دواعى اعتذارهم أيضا. ويعتذر البحترى الى صاحبه عما نسب اليه من أقوال، ويعلن براءته منها، وأنها من صنع الوشاة الذين استطاعوا أن يؤثروا عليه ويمزج اعتذاره بالشكوى عن الحالة التى وصل اليها، حالة الكدر والأرق التى لازمته، وأقضت عليه مضجعه ـ فهو لا يمكن أن يقول فى صديقه ما يسوءه ـ أبدا لأن صديقه هو نفسه الا أنه بالشخص غيره يقول: (٥)

وعتاب خل قد سمعت فكم أكن
جلد الضمير على استماع مُمِضّه
طاف الوشاة به فأحدث ظلمةً
فى جوِّه ووعورة فى أرضه
غضبان حمل احنة لو حملت
ثبج الصباح لثقلت من نهضه
فهلا فداك أخوك قد ألهيته
عن لهوه وشغلته عن غمضه
خزيان أكبر أن تظن جناية
فى بسطه لصديقه أو قبضه
ماذا توهم أن يقول وقوله
فى نفسه ولسانه فى عرضه
أجنوت عنك بزعمهم ومتى تبا
فى حالة بعض امرىء عن بعضه

(٣) كتاب النكت العصرية لعمارة اليمنى ٢١١.
(٤) ديوان ابن سناء الملك ـ ٥٤٨ ـ دار الكتاب العربى بالقاهرة.
(٥) النصف الأول من كتاب الزهره للظاهرى: ١٤٧هـ.

■ وهناك اعتذارات تتعلق ببعض الأسباب الأخرى كعدم العيادة ورد الهدية وافشاء السر وسوء الظن وقلة المبره، بيد أن المجال لا يتسع لإيرادها ويتضح من هذه الاعتذارات الكثيرة حساسية القوم واختشاء بعضهم من بعض وشدة التحفظ فيما بينهم.

■ وقد أتت اعتذاراتهم فى قوالب متباينة عكست نفسياتهم وظروفهم. فبعضها امتزج بالشكوى أو الاستعطاف أو بالعتاب أو بالشوق، وبعضها الآخر اقترن بالمديح أو بالاستماحه أو بالشكر. وجاء بعضها فى شكل مطارحات، حيث يبعث الشاعر الى صديقه برسالة شعرية، فيرد عليه صديقه برسالة شعرية جوابية يلتزم فيها نفس بحر وقافية الرسالة الأولى.

■ وقد ترجحت أساليبهم بين الأسلوب الانشائى والخبرى، حيث تنوع الانشاء بين القسم والدعاء والنداء والشرط والاستفهام، وكان لأسلوب القسم والدعاء النصيب الأكبر من ذلك فقد استعملا بكثرة فى اعتذار الرؤساء فأكثر الشعراء من القسم بمختلف صيغه، لتقوية اعتذاراتهم وتأييد حججهم فمن ذلك قول على الجوهرى فى اعتذاره الى الصاحب بن عباد(٦):

وأقسم لو رويت سيفك من دمى
لأورق بالود الصريح وأثمرا

■ كما استعملوا الدعاء تارة للتودد، وتارة أخرى للتأكيد، فمن الأول قول على بن الجهم(٧):

أقلنى أقالك من لم يزل
يقيك ويصرف عنك الردى

■ ومن الثانى قول أبى الفرج الأصبهانى فى اعتذاره لصديقه جحظة(٨):

ثكلت إذاً نفسى وعزى وأسرتى
بفقدى ولا أدركت ما كنت أطلب

■ أما أسلوب الخبر فقد بنى أغلبه على السرد. وأقله على الحوار. فمن الأخير قول البهاء زهير فى اعتذاره لصديقه ابن النبيه(٩):

قالوا أتّى لك زائرا
متوددا متحببا
قلت الكريم ومثله
مولى تحل له الحُبَى

■ ولم تخل اعتذاراتهم من أسلوب الالتفات، فاستخدمه بعضهم تطرية لنشاط السامع، وايقاظا للاصغاء اليه ومن ذلك قول أبى تمام فى الرجوع من الغيبة للخطاب(١٠):

لقد أنست مساوىء كل دهر
محاسنُ أحمد بن أبى دؤاد
فما سافرت فى الآفاق الا
ومن جدواك راحلتى وزادى

■ وجمعت أساليبهم بين التفنن والاحتفال والجزالة. ولا سيما فى الاعتذار للرؤساء - وبين العفوية والبساطة والسهولة وبخاصة فى الاعتذار للأقران. فمن الصنف الأول قول العتابى فى اعتذاره لعبد الله بن هشام مصورا - فى براعة - شخصه وقد صار نحيلا ضامرا كبقية الحسام من مشاق السفر(١١):

وأشعث مشتاق رمى فى جفونه
غريب الكرى بين الفجاج السباسب
أمات الليالىّ شوقُهُ غير زفرة
تردد ما بين الحشى والترائب

■ ومن الصنف الثانى قول يوسف الصيقل يعتذر الى أبان مولى الرشيد(١٢):

العفو يا غضبان
ما هكذا الخلان
هبنى أتيت بذنب
أما له غفران

■ وقد أحسن شعراء الاعتذار - بصفة عامة - استعمال الصور البيانية والصنعة البديعية لتشخيص المعانى والأفكار وتوفير الظلال والايقاع فساعد ذلك فى تحقيق التجانس العام لأساليبهم، ومن الألوان التى استخدموها، الاستعارة والتشبيه والكناية والطباق والمقابلة والجناس والتضمين والتقسيم.

وكانت الاستعارة والطباق أكثر هذه الألوان شيوعا، فمن أمثلة الاستعارة قول العتابى مصورا الندم الذى يبعث فيه الأمل فى أن يجد لدى الممدوح ما يشكره عليه شكرا بعد شكر(١٣):

ردت اليك ندامتى أملى
وثنى اليك عنانه شكرى

---

(٦) يتيمة الدهر للثعالبى: ٤/ ٣٤.
(٧) الأغانى: ١٠/ ٣٦٩٢.
(٨) أبو الفرج الاصفهانى وكتابه الأغانى: ١٤٧.
(٩) ديوان البهاء زهير: ٤٥.
(١٠) أخبار أبى تمام للصولى: ١٤٧.
(١١) العتابى للنجار: ٤٧ - دار الفكر العربى.
(١٢) مختار الأغانى ٨/ ٤٣٤.
(١٣) العتابى: ٥٢.

■ ويستعمل الصنوبرى التشبيه الضمنى حين يشبه عجز شكره عن مواجهة افضال الممدوح، بعجز عين الانسان عن مواجهة عين الشمس يقول(١٤):

بل حار فى جودك شكرى ومن
يملأ عينيه من الشمس

■ ويعبر ابراهيم اليزيدى - عن طريق الكناية - عما يتركه أثر عفو الممدوح أوسخطه من أمل أو يأس فى نفسه(١٥):

فإن تعفُ عنى تلفَ خطوى واسعا
والا يكن عفو فقد قصر الخطو

■ ومن أمثلة الطباق قول البحترى موازنا بين موقف الممدوح منه فى حالة رضاه وموقفه منه فى حالة غضبه(١٦):

وقد كان سهلا واضحا فتوعرت
رباه وطلقا ضاحكا فتجهما

■ ويستعمل الصابىء الجناس الناقص بين تنأى ونأى وبين بان وبين لتوفير الموسيقى الداخلية للنص(١٧):

فإن تنأ منك الدار فالذكر ما نأى
وإن بان منى الشخص فالفكر لم يبن

■ ويضمن أحمد العسكرى بيتا لمعاوية بن عمرو بن الشريد السلمى فى اعتذاره للصاحب بن عباد يقول(١٨):

فضمنت بيت ابن الشريد كأنما
تعمد تشبيهى به وعنانى
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه
وقد حيل بين العير والنزوان

■ ومن التقسيم قول على بن الجهم(١٩):

ألم تر عبدا عدا طوره
ومولى عفا ورشيدا هدى

■ وقد أحسن الشعراء استغلال ثقافتهم فى خدمة هذا الغرض الرامى الى تأليف القلوب، كما نرى فى قول مطيع بن اياس فى اعتذاره ليحيى بن زياد(٢٠):

يا سمى النبى يحيى الذى خـ
ـص به الله عبده زكريا
كن بصب أمسى بحبك براً
إن يحيى قد كان براً تقيا

■ ويقول أبو تمام معتذرا الى ابن أبى دؤاد مشيرا الى أثر الوشاية فى افساد العلاقة بين النابغة الذبيانى والنعمان بن المنذر(٢١):

تثبت إن قولا كان زورا
أتى النعمان قبلك عن زياد

■ ويستخدم عمارة اليمنى بعض المصطلحات المنطقية كالعرض والجوهر فى قوله(٢٢):

لأنكم جوهر أيامنا
والناس فيها من عداكم عرض




المتنبى — ابو تمام

■ والناظر فى معانى هذه الاعتذارات يلفت نظره ما تشتمل عليه من قرب ووضوح وجدة وطرافة. ولا يخفى التطابق فى المعنى بين بيت المتنبى المشهور(٢٣):

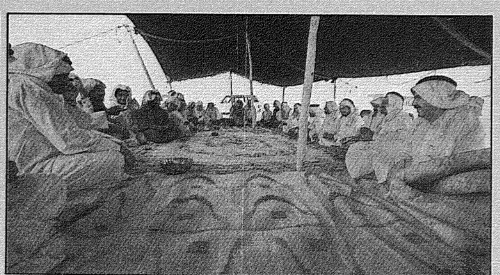
اذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

■ وبين قول منصورى النمرى المعاصر للرشيد(٢٤):

واذا عفوت عن الكريم ملكته
واذا عفوت عن اللئيم تجرما

■ وقلما نجد شيئا من المبالغة أو الاطالة فى كلامهم. فقد كتب الكثير منه بأقيسة منطقية سديدة، ومال الى الايجاز، الأمر الذى جعل المقطوعات فيه غالبة على القصائد ومن المعروف أن الاعتذار من الموضوعات التى يلائمها الايجاز صونا للسان من الاغراق فى الكذب، وللنفس من ذلّ الاعتذار ونادرا ما تقع على شىء من الغلو المقوت، كما فى قول صالح بن رشدين فى اعتذاره الى ابن أبى الزلال(٢٥):

(١٤) ديوان الصنوبرى: ١٧٧.
(١٥) الأغانى: ٢٣/ ٧٩٣٦.
(١٦) العصر العباسى لشوقى ضيف: ٢٢١.
(١٧) عبقرية الشريف الرضى لزكى مبارك: ١/ ٥٣.
(١٨) ريحانة الألباء: ١/ ٣٢٦.
(١٩) الايجاز والاعجاز للثعالبى: ١٩٠.
(٢٠) الأغانى: ١٣/ ٤٨١٠.
(٢١) أخبار أبى تمام ١٢٣.
(٢٢) كتاب النكت العصرية: ٢٨٣.
(٢٣) ديوان المتنبى: ١/ ٢٨٨ مصطفى الحلبى.
(٢٤) الابانه عن سرقات المتنبى: ٥٩
(٢٥) الأدب العربى فى مصر: ١٨٢.





ابو الفرج الاصفهانى

فتمنيت أن خدى نعلا
أخصيك اللذين نحوى سارا

■ كما ندر الحشو فى كلامهم بمثل ما نرى فى قول ابن سناء الملك(٢٦):

هو عبد أنعمك التى
لا ذاق منها طعم عتقه
ورقيق جودك لا رأيـ
ـت خروجه من تحت رقه

■ وفى المقابل ندر الالحاح الشديد فى الايجاز المؤدى الى غموض الفكرة، على نحو ما نرى فى قول العتابى(٢٧):

رحل الرجاء اليك مغتربا
حشدت عليه نوائب الدهر
وجعلت عتبك عتب موعظة
ورجاء عفوك منتهى عذرى

■ فهو راج ما يؤمله من المخاطب بعد أن تظاهرت عليه مصائب الدهر، معتبرا عتابه له موعظة وجاعلا عفوه عنه غاية اعتذاره اليه.

ومال بعضهم الى الاطناب، لإثارة الفكرة وتقويتها، فمن ذلك قول على بن الجهم(٢٨):

ولى حقوق غير مجهولة
يعرفها العاقل والجاهل

■ ويقول الحسن بن وهب(٢٩):

فلقد جارت الظنون على المشـ
ـفق والظن مولع بالشفيق

■ وقد اتسمت ألفاظهم بالوضوح والبعد عن الغرابة والحوشية، الا فى القليل النادر، فأفصحت هذه الألفاظ عن المعانى الخاصة بها من أمثال الأمان والخوف والاستجاره والخضوع والذنب والعفو والندم والضراعة والجرم والذم والسخط والرضا. ولم تخل أساليبهم من استعمال بعض الأمثال القديمة والتراكيب الموروثه، ومن ذلك قول أبى تمام(٣٠):

وليست رغوتى من فوق ملق
ولا جرى كمين فى الرماد

■وقول دعبل الخزاعى(٣١):

بلا زلة كانت وان تك زلة
فإن عليك العفو ضربة لازب

■ وقد انطوت اعتذاراتهم على بعض آثار البيئة الاجتماعية والدينية والنفسية والخلقية. فمن الناحية الاجتماعية سجل شعرهم استنكار الكتابة بالقلم الدقيق، كما نرى فى هذا الاعتذار الموجه الى الصولى من بعض أصحابه(٣٢):

أنكر الخط اذ رآه ضئيلا
قال هلا كتبت خطا جليلا
قلت لا تسبقن باللوم عذرى
نحل الخط اذ رآنى نحيلا

■ كما دون شعرهم فى هذا المجال غضبهم من التهاون فى القيام عند السلام، كما رأينا فى اعتذار ابن سناء الملك

(٢٦) ديوان ابن سناء الملك: ١٤٩.
(٢٧) العتابى: ٥٢.
(٢٨) الأغانى: ١٠/٣٦٨٢.
(٢٩) نفسه: ٢٧/٩١٩٠.
(٣٠) أخبار أبى تمام: ١٥٣.
(٣١) ديوان دعبل الخزاعى: ١١٧ تحقيق الدجيلى.
(٣٢) أدب الكتاب للصولى: ١٥.

الذي يقول فيه(٣٣):

فإن كان جسمي عند لقياك قاعدا
فإن فؤادي قبل لقياك واقف

■ وربما استثنى شعرهم من هذه الجهة فئة الزهاد الذين أبدوا تأففهم من هذا التقليد الاجتماعي، بمثل ما نرى في قول ابن بطه(٣٤):

فاعفني الآن من قيامك أولا
فسأجزيك بالقيام قياما
وأنا كاره لذلك جسدا
إن فيه قلقا وآثاما

■ ومن الناحية الدينية يكشف المعذل العبدي في اعتذاره لعيسى بن جعفر بن المنصور عن خشوعه في صلاته وامتناعه عن قطعها عندما ناداه صاحبه فلم يجبه، فغضب عليه، فكتب اليه يترضاه(٣٥):

قد قلت إذ هتف الأمير
يا أيها القمر المنير
حرم الكلام فلم أجب
وأجاب دعوتك الضمير

■ ومن الناحية النفسية يشير القاضي الجرجاني الى حالة الانطواء التي يعاني منها بسبب التربية والنشأة يقول(٣٦):

نفور من الاخوان من غير ريبة
تعد جفاء والوفاء لهم وكدى
غذيت به طفلا فإن رمت هجره
تأبى وأغرتني به ألفة المهد

■ ومن الناحية الخلقية نجد بعضهم في اعتذاره يعتد بكرامته رغم اعترافه بالذنب كما نرى في قول علي بن الجهم يخاطب طاهر بن الحسين(٣٧):

ان كان لي ذنب فلي حرمة
والحق لا يدفعه الباطل
وحرمتي أعظم من زلتي
لو نالني من عدلكم نائل

■ ويقول الحيص بيص في اعتذاره الى الوزير عون الدين عن حضور وليمته العامة، مشيرا الى أخلاقه التي لا تحتمل المضايقة والاحتكاك بالناس(٣٨):

صن منكبي عن زحام إن غضبت له
تمكن الطعن من عقلي ومن خلقي
أنا المريض بأحداثي وسورتها
وليس غير إبائي حافظ رمقي

■ كما نجد بعضهم الآخر يفرط في التذلل للمعتذر اليه واذابة شخصيته أمامه يقول بديع الزمان الهمذاني(٣٩):

إمتط خدي وانتعل ناظري
وصد بكفي حمة العقرب

■ وسجل شعرهم في هذا الصدد الدعوة إلى التسامح وقبول العذر، يقول محمد بن الفضل الكاتب(٤٠):

خل أتى ذنبا الي وانني
لشريكه في الذنب ان لم أغفر
فمحا بإحسان إساءة فعله
وأزال بالمعروف قبح المنكر

■ ويقول البحتري(٤١):

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا
ان بَرَّ عندك فيما قال أو فَجُرَا
فقد اطاعك من أرضاك ظاهره
وقد أجلك من يأتيك معتذرا

■ وفي حديث أحمد اليزيدي عن أخلاقه الدالة على التسامح نراه ينتقد - بلطف - الصحبة القائمة على المصلحة، يقول(٤٢):

اني امرؤ أعذر اخواني
في تركهم بري واتياني
لأنه لا لهو عندي ولا
لي اليوم جاه عند سلطاني
أعفو عن السيىء من فعلهم
وأتبع الحسنى بإحسان

■ يقول أبو هلال العسكري: الاعتذار - أيدك الله - ذلة ولابد منه، لأن الاصرار على الذنب فيما بينك وبين خالقك هلكة، وفيما بينك وبين صديقك فرقة، وعند سائر الناس مثلبة وهجنة، فعليك به اذا اقعت الذنب.. ولا تستنكف من خضوعك وتذللك فيه، فربما استثير العز من تحت الذله.. ويقولون في ذلك: لا عذر في رد الاعتذار(٤٣):

(٣٣) ديوان ابن سناء الملك: ٥٤٨.
(٣٤) شذرات الذهب للعماد الأصفهاني: ٣/ ١٢٣.
(٣٥) معجم الشعراء: ٣٠٤.
(٣٦) يتيمة الدهر: ٤/ ٢٤.
(٣٧) الأغاني: ١٠/ ٣٦٨٢.
(٣٨) ديوان الحيص بيص: ٢/ ١٥ منشورات وزارة الاعلام العراقية.
(٣٩) معجم الأدب: ٥/ ١٤.
(٤٠) الابانه عن سرقات المتنبي: ٢١٣.
(٤١) النصف الأول من كتاب الزهره: ١٤٢.
(٤٢) الأغاني: ٢٣/ ٧٩٤٦.
(٤٣) العمدة لابن رشيق: ٢/ ١٨٠.



التأثير الصناعى على النسق الثقافي

- فى القدم كان هناك ارتباط بين وسيلة النقل والقدرة على إنتاجها واستعمالها خلافا لوسيلة النقل
- الزحف العمرانى على الاراضى الزراعية أدى إلى تحويل المزارعين من منتجين إلى مستهلكين
- المعطيات التقنية الحديثة زادت من تعقيد الحياة الفردية الجماعية وابعادها عن الانساق الثقافية

مدخل اشكالي:

اذا كانت الحاجة أم الاختراع تبريرا كافيا لظهور ادوات صناعية، او آليات ثقافية توائم بين الانسان ومجاله، فإن الاختراع الصناعي المعاصر لم يعد يقوم على نفس القاعدة، لوجود محفزات إنتاجية غير الحاجة المنوه بها آنفا. كما ان طرق الاشباع اضحت من التعقيد واليسر والكلفة ما يجعل المحتاج اكثر ركونا الى الاستهلاك منه الى الانتاج، او على الاقل معرفة آلياته، اضافة الى دخول حاجات الفرد ضمن نسق كوني يضيع الاختيارات سواء على مستوى الاشباع او التطلع حتى ان الفرد يجد نفسه يريد ما لا حاجة له به او يفعل ما يجهل مآله وفائدته مما يجعله في حالة اغتراب كامل عن نشاطه الانتاجي والاستهلاكي في نفس الوقت الامر الذي يصيره تابعا وعاجزا عن التحكم في مآله لازدياد حاجاته واعتماد تلك الحاجيات على تقنيات تزداد تعقيدا وتزداد معها المعارف العلمية والتكنلوجية تنوعا وتعقيدا هي الاخري ويقتضى الالمام بها زمنا ليس باليسير من التدريب والتأهيل في عصر يتسم بالتسارع على جميع الاصعدة، وكما يرى بول بايروك فإن.

التقنية + علم = تعقيد(١)

و

اعلام + تدريب + تقليد = تجديد(٢)

■ هذه المعادلات لم تكن قديمة فقد اصبحت هناك هوة عميقة (بين التقنية التقليدية وتقنية منتصف القرن العشرين)(٣) وما بعده حيث ارتبطت التقنية بالعلم والسوق، واضحى الاختراع غير خاضع لرغبة الافراد الوظيفية وانما لرغبة الشركات والدول والانتاج.

■ من ذلك لم يعد الفرد يهتم بمعرفة كيفية الانتاج ولا سبب الاستهلاك وانما يبحث عن توفير ما يساعده على تلبية رغباته فى ذلك والتى تتراكم يوما بعد يوم بفضل الاعلام وانتشاره وسهولة النقل واتساع التمدن.. الامر الذى هدد النماذج التقليدية التى كانت تعتمد الانتاج من اجل الحاجة. وتتمثل المنتوج وترمز إليه ضمن النسق المعرفي وتمكينه من

بقلم: د. ادريس كريم - المغرب



سرة التي ليس بإمكان المستهلك التحكم في انتاجها.

ع حاجاتهم من الخارج.

يثة.

الاستقرار في المجال الحياتي، بفضل الركون الى استخدامه مدة طويلة من الزمن قبل ان تدخل عليه تحويرات تتسم بالبطء والوظيفية والقلة، بخلاف ما يجري اليوم حيث اضحت النماذج تتسم بعدم الاستقرار وصعوبة الهيمنة والفجائية وضعف الارضاء مما يجعلنا نتساءل عن مآل العادات والتقاليد في ظل المعطيات الحضارية الحديثة وبعبارة ادق عن التأثير الصناعي في النسق الثقافي.

وسنعتمد في ذلك على محاور ثلاثة لا لجديتها ولكن لأهميتها وهي:

الاعلام (راديو. تلفاز. سينما. مطبوعات...).

النقل ووسائله (سيارة. قطار. طائرة...).

التمدن والتعمير (اشكال البناء ومجاله).

الاعلام:

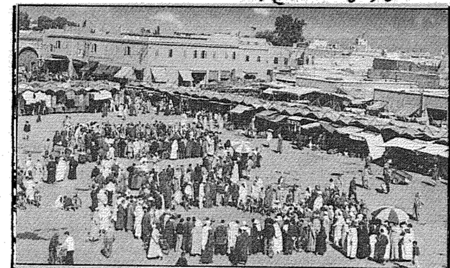
قبل ظهور وسائل الاعلام الجديدة، كان الاعلام القديم يتم عبر قنوات اما دينية او دنيوية.. فقد كنا نجد المسجد الذي يعتبر المزود الرئيسي بالاخبار حيث يكون الفقيه وحده القادر على القراءة وفهم المراد من كل ما هو مكتوب. بل هو الثقة - قد يكون هناك طلبة في المكان ولكن الفقيه يكون واحدا حسب اتفاق السكان بما فيهم الطلبة - والشارح لما كتب في الماضي اعتمادا على معارفه الدينية. كما كان يعتبر المعالج بفضل ما يكتبه من احجبة وتعاويذ لمن يقصده من المرضى وذوي الحاجات إضافة الى دوره في تعليم الناس مبادىء الدين واحكام الشريعة، لذلك يعتبر تجاوزه من الافعال المنكرة التي تقابل بالتنديد وتجر على القائم بها الويل والثبور وعظائم الامور حسب مفاهيمهم في تلك الازمنة.

■ وهكذا كان لقلة من يتعلم عليهم الطالب الاثر الكبير في ترسيخ نمط الثبات والتكرارية على مستوى الانتاج المعرفي، يستوي في ذلك الثبات في المقروء والمسموع.

■ فاذا انتقلنا الى مجال اعلامي آخر نجده يتمثل في السوق حيث يكون وسيلة ومجالا لنشر المعلومات اما مباشرة بواسطة البراح الذي يكون عادة بائع الماء ويدعى الامين لإيمان الناس عرفا بامانته على جودة الماء الذي يبيعه حيث يدور في السوق مناديا بالخبر الموكل له تبليغه كالتالي (**لا إله إلا الله محمد رسول الله هيا السامعين لا تسمعوا الا خيرا ويقول الخبر..**)(٤)، او بطريقة غير مباشرة تتم بالمعاينة والمحاكاة والرواية، وغير ذلك من وسائل الانتشار المعرفي.

● كان السوق قديما مكانا لاكتساب نموذج معرض جديد أو تلقي خبر له اهميته أما الآن فقد تحول إلى مكان استهلاك عابر

● الحلقة فى مراكش . . ساحة جامع الفناء



كما يوجد فى السوق مخبرون آخرون وهم اصحاب الحلاقى(*) وهم انواع، منهم المضحكون بواسطة التمثيليات، ومنهم المداحون الذين يقصون غزوات الفتح الاسلامى وسيرة الرسول الأمجد ومنهم اصحاب السير كالعنترية والهلالية، ومنهم مفسروا الاحلام، ومنهم المغنون ومروضو القردة والافاعى. وكلها نماذج لا تذهب بعيدا خارج حدود المعرفة للافراد والجماعات المستهلكة والمنتجة، اى خارج ما هو معروف كلا او جزءاً، اضافة الى هذين النمطين الهامين للاخبار، كان هناك الموسم الذى يقام سنويا فى ضريح عالم من العلماء المشهورين، كما كان وما زال هناك الحمام العمومي الذي يذهب اليه الناس للنظافة، وخاصة فى المدن.

والتجار الذين يجلبون البضائع من البلاد البعيدة، والحج والحجاج والطلبة والمجاهدين، وكل هذه الفئات كانت معلوماتها تتسم بالخصوصية والفردية وصعوبة التأكد منها، ومنه صعوبة الطعن فى نقولاتها وعدم صدقها.

■ فماذا فعل بهذه المصادر الاعلامية بعد غزو المصادر الجديدة لمجالها واستقطابها لزبنائها ونقصد بذلك الراديو والتلفاز والمطبوعات المختلفة؟.

■■ جاء فى شبه فتوى لعالم شهير هو ابن الموقت عن حكم قراءة الجرائد قالها سنة احدى وخمسين وثلاث مائة والف ابان الاستعمار الفرنسى للمغرب (رسالة عن حكم قراءة الجرائد اليومية والمجلات الاسبوعية فقال: هذه الاقاويل تعجبك ان كنت ممن يحب التدجيل ويؤمن بالخرافات وتكون أفكوهة لك ان كنت ممن ينكرون تلك الوساوس)(٦) بيد ان الجريدة والمجلة انتشرتا وصارتا من التخصص بحيث لم يعد ينازع فى قدرتها التوجيهية مما يجعلنا نقول بأنها حلتا محل الفقيه كما حلت المدرسة محل الكتاب بالنسبة للتعليم وبذلك اصبح دور المسجد مقصورا على الصلاة وعاد الفقيه مشهورا بتلاوة ما يحفظه من كتاب الله العزيز.

■ فاذا انتقلنا الى السوق لمعرفة التحولات الطارئة عليه نجدها من الكثرة بحيث لا يمكن حصرها، واهم ما يلائم موضوعنا هو التنوع والسرعة والاختلاف، فالبضائع المستوردة من الخارج هى المعروضة، وتنوع مصادر جلبها وانتاجها يحمل معه افكار منتجيها او على الاقل تصورات استعمالها. مما يلزم مقتنيها التكيف معها والبحث عن طرق استعمالها. كما انه مرغم على تغيير ذوقه وما يتبعه من سلوك الامر الذى يحوله من فاعل الى قابل ومن قادر الى عاجز.

■ وبذلك سار السوق اداة لا للتبادل بين منتجين وانما اداة للاستهلاك والاقتناء أي اداة لتكريس وخلق التبعية بحيث صار ألزم مما كان سابقا، اذ بدونه لا يمكن الحصول على الحاجيات الضرورية للعيش ومنه المواد

الغذائية بعد ان تحول الانتاج الى نمط تسويقي.. ويتركز الانتاج على عملية التصدير مما جعل الحاجة ترتبط بالنقل لوجودها في اماكن متفرقة وبعيدة عن المستهلك، وهذا الربط جعل الزمن يبرز كعامل يحسب له حسابه لذلك اضحى زمن السوق اقل مما كان عليه قديما وهذا بدوره انعكس على الزبون الذى يذهب لشراء سلع معينة وليس لقضاء يوم في السوق يتبادل فيه الاحاديث ويتسوق المعلومات والمهارات كما كان سابقا يفعل اسلافه.

■ وهكذا يمكن القول بان الصناعة او المكننة قضت على الجانب الانساني للسوق. وحولته الى اداة افراغية وقناة تمريرية للسلع ومصدر شد وهيمنة مصادر الانتاج الخارجية واداة تسخير للافراد والجماعات بقصد الحصول على تمويل لما يريدون شراءه من السلع الاستهلاكية مدفوعين بما تبثه مراكز الانتاج من دعاية واشهار، وما ينتجه الافراد والجماعات من تصورات حول سلعة او نموذج ما. وهذا الوضع هو الذى يجعل الفلاح يبيع القمح ليشترى البسكويت والصوف، ليشترى النيلون وهو الذى كان اسلافه يقولون كمثال (من غير الزرع والصوف كل شيء غير اهتوف) اى كل شيء اقل قيمة من القمح والصوف، فكيف ضاعت هذه القناعة؟ لقد ضيعها الإعلام الجديد وضيعها نمط الانتاج الخالق له الذى ساهمت وسائل النقل في الدفع به صوب السوق فكيف تم ذلك؟.

النقل:

لقد ادى استعمال وسائل النقل الحديثة الى ظهور علاقات جديدة ومجالات اخرى تاركة بعض الآثار غير المفهومة. كما نقلت الى تلك الوسائل ممارسات كانت مرتبطة بالنقل بواسطة الدواب او الارجل مما راكم عدة اشكال تقليدية بجانب اشكال متوقعة او منقولة من مجالات اخرى او بلدان الانتاج الاصلية لتلك الوسائل الامر الذى ادى الى اصناف من الممارسات والمعتقدات المتنوعة غير الخاضعة لاى منطق او مرجع معرفي. اضافة ما تحدثه هذه الالات من تصنيف طبقي بحيث تنقل من مجال الاستخدام المادي الى مجال الاستخدام القيمي سواء على مستوى الشكل او التقديم او الاستخدام.

■ قد يقال بأن مثل هذا كان في زمن النقل على الدواب حيث كان راكب البغل والحصان السروج والحمار يتميز بعضهم عن الاخر وتعرف مكانتهم من خلال مركوبهم. بيد انه كان هناك ارتباط بين وسيلة النقل والقدرة على

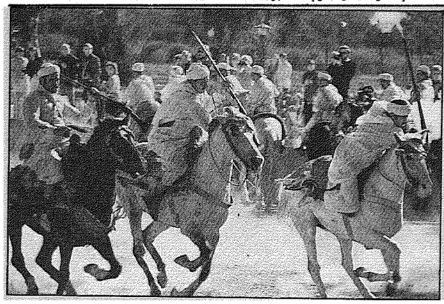
> ● الصناعات الحديثة بمختلف أنواعها أتت تحمل معها قيمتها ونظمها مما قد يختلف مع الموروث القيمي والمعرفي للمستهلك

انتاجها واستعمالها، خلافا لوسيلة النقل المعاصر التى ليس بامكان المستهلك التحكم في انتاجها ان على مستوى الشكل او المحتوى بل انه يصبح معرضا للاخطار التى يحدثها سوء استخدامها فيتعرض بذلك لجملة من الاخطار قد لا يكون له فيها دخل كأن يصدمه الغير او يقع في طريق رديئ او تقلبات مناخية تذهب بحياته وآلته دفعة واحدة كما انها مرهونة بطاقة وصناعة خارجية ومصاريف غير منظورة من تأمين وضريبة وخدمات مختلفة وجزاءات ادارية تنتهي بالحجز او الغرامة او السجن زيادة على الاثمان الباهظة التى تدفع في الشراء وتتآكل مع الزمن بسبب القدم وهو ما لم يكن بالنسبة للحيوان الذى كان يلد خلفه.

وحتى على مستوى الطريق فقد تحولت من مجال للتعارف والحوار الى اداة من ادوات العزل والتدمير، فالطريق السيار مثلا تحول الى حاجز بين الجهتين اللتين يخترقهما. والسرعة ورداءة الطريق اضحتا من العوامل المفضية الى

● التجمعات السكانية الجديدة والنظام العمراني الجديد جمع أخلاطا من البشر يحملون معطياتهم القيمية والحياتية

● ألعاب الفروسية في المغرب ـ والتبوريضة.



الموت وبذلك تقنن العبور حتى في الاماكن البعيدة عن العمران بسبب كثافة الحركة والخوف من الحوادث وبذلك صار من الواجب التحذير من اخطار استعمال الطريق لتلافي المخالفات التي قد تجر غرامات او تترك اعطابا وبذلك انتهى عهد شن وطبقة.

■ كما ان وسائل النقل الحديثة سهلت الانتقال من البادية الى المدينة والاطلاع على ما فيها من المباهج المغرية بالاقتراب من مصادرها، لا بقصد الحصول عليها كُلًّا او جزء ولكن على الاقل التمتع بمرأى مستعملها تطبيقا للمثل القائل (اللي ما اشترى يتنزه) اى من لم يشتر يتنزه والنزهة لا تكون الا بتوفر الزمن وهو ما جاء نتيجة استخدام الالة ومكننة العمل، الامر الذى ادى الى التخلي عن نمط الانتاج المعاشي والانخراط في النمط الجديد، نمط التصنيع واعادة التصنيع وتسريع وتيرته، وهذا يتطلب تأهيلا وتدريبا لم يتح للمهاجر في مسقط رأسه، لذلك لا يبقى له الا التطلع في اسف لافتقاده قدرة الشراء نتيجة سوء دخله، الناجم عن تدني كفاءته وبالتالي ضآلة دخله، وبذلك تكون هجرته من متاعب الى اخرى مضاعفة تزداد بؤسا مع تطور الصناعة واطلاعه على ما تذيعه وسائل الاعلام وما تحمله وسائل النقل من بضائع وما تقدمه من خدمات للقادرين وما يتبع ذلك من تمدن وعمران على حساب البادية مما يجعلنا نتساء حول تأثير ذلك في النسيج الثقافي.

التمدن:

لقد ادى زحف العمران على الاراضي الزراعية الى تحويل اصحابها الذين كانوا منتجين الى مستهلكين ينتظرون حاجاتهم من الخارج بعد ان لم يكونوا كذلك. كما ادى هذا الاتساع العمراني الى استقطاب عناصر سكانية مختلفة الانساق الثقافية والمراجع القيمية والتطلعات الاستهلاكية والرمزية مما سهل التنصل من الطقوس الحضارية الموروثة والتهاون في اشكال جديدة من الثقافات من ان يكون هناك ما يعطى للباحث القابل فرصة للاختيار والتدوين والملاءمة بين الحاجة والواقع والقدرة والتطلع الامر الذى يُصَعِّب من عملية الاندماج في تراكيب قيمية او تثبيت ما يريد منها لتصير عنصر توحيد بين السكان حتى تسهل عملية التكيف وانتاج قيم ضابطة ومرجعية.

■ وهكذا نجد اخلاطا من البشر ومثله من العادات السائبة التى تجعل عملية التنشئة من الصعوبة بمكان وبالتالي يسهم التمدن في التفكك، كما يسهم في الهجرة والبطالة والتبعية وذلك ناتج عن عجز النماذج المختارة او المقترحة على السيادة والهيمنة مما يتيح الفرصة للنماذج المدغومة اعلاميا والمسنودة صناعيا الى النفوذ في

النسيج الحضاري وصياغة اشكال جديدة من القيم والقواعد السلوكية قد لا تكون ملائمة للمنتجين ولا فى مصلحة المستهلكين باعتبار انها وجدت لتقوم بدور محدد فى الزمان والمكان الشيء الذى يؤدى الى تعارضات على المستوى المعرفى خاصة بالنسبة للفئات الشابة التواقة الى كل مغاير وجديد. وهذا ما ينبه اليه عند الحديث عن مخاطر نقل التكنولوجيا غير الملائمة وما يلاقى (قوة انتشار النظم التقنية الحديثة جدا من مقاومة النسيج الاجتماعى للتغيير معارضة لا ضد العقلانية بقدر ما هى ضد تاثيراتها الضارة او السلبية وذلك حين يتضح ان معدل التغيير التقنى واتجاهه لا يلبيان الحاجات الاساسية للمجتمع(٧).

■ فاذا انتقلنا من المستوى الافقي للتمدن الى المستوى العمودي ودخلنا البنايات او المجمعات السكنية، نجدها لم تعد تراعي الانساق الثقافية القديمة لعدم ملاءمتها للمعطيات الحضارية المجلوبة التى تتسم بالخروج على مستوى الهندسة والاستعمال والتوجهات، او نجد تجاوزا غير ودي بين المستوى القديم والحاجة الجديدة والرغبة فى التأصيل، كوضع الاقواس مثلا او القرميد من غير ان يكون لذلك مبرر، او تجد مرحاضا بلدياً بجوار اخر رومي او لا تجد بالدار مجرى للماء لغسيل البلاط وكأنّ السكان لا يستعملون الا الآلات الكهربائية فى التنظيف، او تجد النوافذ عارية من الحواجز كانه لا يوجد اطفال، او لا تجد مجالا خاليا لِلَعب الاطفال او مكانا لاقامة الحفلات الى غير ذلك من المرافق الاجتماعية التى قضى العمران عليها.

■ قضايا كثيرة ساهم التمدن في تدميرها اوخلقها من غير ان يوجد لها حل ناجع او بدائل مما زاد من تعقيد الحياة الفردية والجماعية وابعادها عن الانساق الثقافية التقليدية من ان يفكر في بديل ناجع وفعال وشامل ومتجدد.

■■ والخلاصة ان التأثير الصناعى على الانساق الثقافية لم يترك مجالا الا وطاله، واذا كنا قد اقتصرنا على هذه النماذج الثلاثة فلما تتسم به من حيوية ودينامية ملموسة التأثير ولا يقتضي الحديث عنها وعن اثارها كبير عناء فى اسقصاء الادلة والشواهد. فاجهزة الاعلام لم تترك فرقا بين الكبار والصغار حيث وزعت المعرفة على الجميع كما ان التقنية الصناعية اتاحت لصغار السن التصدى لما يمتلكونه من معرفة علمية تعوز الأباء، اضافة الى ان المعطيات الجديدة لا تميز بين الجنسين ولا الاعمار، كما ان التمدن لا يمتلك قلبا ولا ذاكرة ليرحم العاجز او ينبه المنحرف والناسي.

● ميدان حديث فى الدار البيضاء

■ والسؤال الواجب طرحه هوهل *بالامكان تسخير تلك الآليات فى مصلحة التنمية الشاملة واعادة المبادرة الى المسلوبين منها؟ ليصيروا فاعلين قادرين على العطاء والانتاج في خلق تكنولوجيا ملائمة تهدف اسعاد الفرد وتماسك الجماعة؟ وترشيد الممارسات السلوكية ذات الخصوصية الحضارية لتصير فى خدمة الانسانية بما تحمل من قيم ايجابية لإقامة الدليل على انها فى صالح الانسان كيفما كان وأين ما كان؟.*

الهوامش

(١، ٢، ٣) بول بايروك: هل العالم الثالث فى طريق مسدود؟ ترجمة موريس جلال ط١/ ١٩٧٧ ص٣١٣، ص٣١٢، ص٢٠٩.

(٤) حول الموضوع انظر: كرم ادريس: الطب الشعبي والتداخلات المصاحبة التراث الشعبى (مجلة) بغداد ١٢/ ١٩٨١.

(٥) انظر: كرم ادريس: الحلقة وسيلة من وسائل الاعلام الشعبى التراث الشعبى (مجلة) بغداد ع٧و٨و٩/ ١٩٨١.

(٦) ابن الموقت: الرحلة المراكشية دار المعارف الدار البيضاء ص٥٢.

(٧) كلير سالمون بابيه: العلم الحديث وتعايش العقليات. ديوجين (مجلة) ع٧٠/ ١٩٨٥ ص١٥.



موضوع الغلاف

طه حسين بعد ..

● الدكتور طه حسين بعد مائة عام لا يمثل إلا صورة من أهواء التغريب والغزو الثقافي.

● ذهب الدكتور طه حسين الى ان الدين لم ينزل من السماء وانما خرج من الأرض كما خرجت الجما

● كتب الدكتور طه حسين كتابه الفتنة الكبرى فى الظرف الذى استعلى فيه المد الاسلامى بالدعو

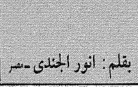
فى مناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على مولد عميد الادب العربى كان السؤال المتردد فى الصحف اليوم يتركز على الآثار التى تركها الدكتور طه حسين فى آفاق الفكر الاسلامى والادب العربى، وما هو موقف الفكر الاسلامى فى عصر الصحوة من النظريات والافكار التى طرحها الدكتور طه حسين خلال اكثر من خمسين عاما؟.

نحن نقول انه بالرغم من كل ما كتبه الغربيون فى هذه المناسبة فانه لم يتحقق لهم اى نصر حقيقى، وننتهز هذه الفرصة فنؤكد اننا فى خلال البحثين اللذين صدرا عن دار الاعتصام تحت عنوان (طه حسين: حياته وفكره فى ميزان الاسلام) و(محاكمة فكر طه حسين) لم ترد مطلقا كلمة يمكن أن توصف بانها اتهام بالكفر أو بالالحاد، وانما غيرنا هو الذى قال هذا.

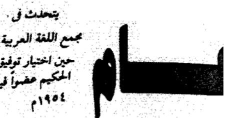
وانما قلنا ان كل ما فى الموضوع ان الامانة بالنسبة للاجيال الجديدة تقتضينا ان نضع امامها حقائق الاسلام فى مواجهة الشبهات التى ساقها العميد، اما غير ذلك من شأنه شخصيا فهذا امر نكله الى الله تبارك وتعالى.

■ ولعل اقرب الطرق الى التعرف الى حقيقة انسان ما هو اهله واقرب الناس اليه والذين تتلمذوا عليه وعرفوه عن قرب، وهؤلاء هم اقدر الناس فى تصويره والحديث عنه وهؤلاء مازالوا يتحركون فى دائرة الثقافة وقد كتبوا ومازالوا شهوداً، هناك الاساتذة محمود محمد شاكر، نجيب البهبيتى، مازالوا أحياء. وهناك محمد محمد حسين، وزكى مبارك ومحمد الخضيرى، ولهم جميعا كتابات مسجلة تكشف موقف الدكتور طه حسين منهم عندما اختلفوا معه فى رأى من الآراء وما نالهم من الاضطهاد والابعاد.. الدكتور محمد محمد حسين الى بيروت ثم الى الرياض.. والدكتور البهبيتى الى المغرب.. والدكتور الخضيرى اخرج من الجامعة لأنه نشر وترجم رسالة ديكارت التى تثبت ان ما جاء به طه حسين عنه ليس صحيحا.. الاستاذ محمود محمد شاكر ترك الجامعة كلها وترك مصر لانه لم يستطع أن يكاشف طه حسين بان ما يقوله فى الشعر الجاهلى هو كلام مرجليوث.

■ أما زكى مبارك فقد رفض الدكتور طه تجديد عقده فخرج هائما على وجهه وكتب مقاله



بقلم: انور الجندى - مصر



د. طه حسين يتحدث فى مجمع اللغة العربية حين اختيار توفيق الحكيم عضواً فيه ١٩٥٤م



الشهير «لو جاع اولادى لشويت طه حسين واطعمتهم لحمه» هذه المعركة التى اطلق عليها معركة لقمة العيش والتى قال المازنى عنها: إن طه حسين الذى اعرفه قد مات اما هذا الذى يضرب اللقمه من فم أسرة بأكملها فلا اعرفه.

■ ان حديث أصدقاء طه حسين وتغيره عليهم حديث طويل، فاذا رجعنا الى النظريات وجدنا حقائق مذهلة.

اولا: لقد كتب طه حسين كتابه «الفتنة الكبرى» فى الظرف الذى استعلى فيه المد الاسلامى بالدعوة الى تطبيق الشريعة الاسلامية..

وكان خلاصة ما اذاعه ان العرب لم يتقبلوا منهج الاسلام، وانه لم يترك اى اثر فى المجتمع الجديد، وان نظامه فشل فى أواخر ايام عمر بن الخطاب واستدعى قيام هذا الصراع فى عهد عثمان فكانت هذه الاحداث علامة على ان هذا المنهج لم يعد صالحا وهى دعوى باطلة مُدَّعَاة تُكَذِّبها عشرات المواقف والاحداث ولكنها كانت فى وقتها ترمى الى هدم الصيحة المنطلقة التى تدعو الى تطبيق الشريعة الاسلامية والكشف عن صلاحيتها وعطائها الذى اعترف به اساطين رجال القانون فى الغرب فى عديد من مؤتمراتهم وطوال اكثرة من أربعين عاما متواليه.

ثانيا: مما يذهب اليه البعض من مآثر طه حسين انه ادخل هذا المنهج الديكارتى الى ميدان البحث فى التراث والتاريخ، ولقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك ان هذا المنهج كان معروفا ومعتمدا لدى قدماء المفكرين العرب والمسلمين من رواة ومحدِّثين وفقهاء وفلاسفة ومؤرخين ولكن بمفهوم آخر غير ما ذهب اليه طه حسين، ولقد ثبت ايضا ان (ديكارت) قرأ رسالة «المنقذ من الضلال» للإمام الغزالى واشار امام بعض النصوص عبارة «تنقل الى بحثنا مقال عن المنهج».

ولقد تعرف بعض كتابنا الى هذا النص وقرأوه فى مكتبة ديكارت فى جامعة السربون وكان معهم المؤرخ الكبير عثمان الكعاك الذى روى لى هذه الواقعة، والتى سجلها الدكتور زقزوق فى كتابه عن الغزالى وديكارت.

■ فما معنى هذا، معناه ان طه حسين لم يكن قد اطلع على الفكر الاسلامى او احاط بملامحه الاساسية والا ما وقع فى هذا المأزق الخطير الذى يؤكد على (عدم إلمامه) بابعاد الفكر الاسلامى ولو انه حتى كان قد اطلع على بعض ما اطلع عليه ديكارت الغربى وهى رسالة (المنقذ من الضلال) ما كان قد وقع فى هذا الادعاء الباطل الذى استعلى به وهو ليس على الحق، بأنه قدم شيئا لم يكن يعرفه المسلمون ولو درى لعرف ان كل من قرأ بعض جوانب الفكر الاسلامى يعرف ذلك وقد اكد ذلك الدكتور الخضيرى حين ترجم

«مقال عن المنهج» لديكارت وطبعه السيد محب الدين الخطيب ليثبت ان طه حسين (لم يكن صادقا) فى امرين:

● فيما نقله عن ديكارت وفى ادعائه بان المسلمين لم يكونوا يعرفون هذا المنهج.

■ ولقد انبرى طه حسين يقول لعلماء الازهر: هذا علم لا تعرفونه فرد عليه الدكتور محمد احمد الغمراوى قائلا: نحن نعرفه وانت لم تقل الحقيقة فما هكذا عرض ديكارت لفكرة الشك حين جعلها مقدمة للايمان.

ويصدق المستشار عبد الحليم الجندى فى هذا الموضع اذ يقول ان طه حسين هو أول من ادخل فكرة الشك الفلسفى الى الادب العربى والفكر الاسلامى وغذاها حياته كلها.

وقد اشار احد الباحثين الى ان المستشرقين قالوا لطه حسين ان منهج ديكارت يغيظ الازهريين وان اسلوب الشك هو مصدر الشهرة واحداث الدويّ.

(ماذا قالت محطة لندن عن طه حسين)

قالت محطة لندن عن طه حسين صباح يوم ٢٩ يوليو ١٩٨٩:

١ - توسم فيه المستشرقون شابا ناقما على الازهر فاوقدوا فيه شعلة الحقد على الازهر ثم على الاسلام نفسه.

● منهج الشك الذى ادعاه د. طه حسين نقله ديكارت نفسه عن الامام الغزالى.

د. زكى مبارك



د. محمد حسين هيكل



٢ - تقدم لامتحان الشهادة العالمية وسئل ونوقش فاخفق اخفاقا شديدا ومن ذلك الوقت اخذ يحارب الازهر.

٣ - ثقافته فى العلوم الاسلامية قاصرة لانه لم يكن يعنى بتكوين فكرة كاملة عن الاسلام ولم يُقبِل على دروس الفقه والعقائد.

٤ - شن حملة على المنفلوطى اتضح فيها بعد انها منقولة من كتابات صادق عنبر.

ثالثا: قال الدكتور محمد حسين هيكل فى حديثه عن كتاب «**على هامش السيرة**» انه يدعو الى ميثولوجية اسلامية لافساد العقول والقلوب من سواد الشعب ولتشكيك المستنيرين ودفع الريبة الى نفوسهم فى شأن الاسلام ونبيّه وقد كانت هى غاية الاساطير التى وضعت فى الاديان الاخرى، ومن اجل ذلك ارتفعت صيحة المصلحين الدينيين فى جميع العصور بتطهير العقائد من تلك الاوهام.

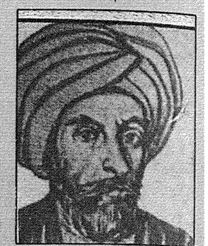
وهذه شهادة من زميل دربه ورفيق صباه تكشف عن الهدف المبيت الخطير.

رابعا: اذا نظرنا الى الشبهات التى اثارها نجدها قد تحطمت واحده بعد الاخرى.

١ - تحطمت نظرية بشرية القرآن التى فرضها على طلبة كلية الاداب حين قال لهم: انقدوا القرآن كنقد اى نص بلاغى.. وحين قال: ان لغة القرآن المكى جافة والقرآن المدنى مذلّلة حين اتصل النبى باليهود.

٢ - تحطمت نظريته فى ان اللغة العربية هى لغتنا ونحن احرار فيها ومن حقنا أن نتصرف فيها، فقد تكشف خطأ هذه الدعوى لأن العربية ان كانت لغة العرب قوميا

الامام الغزالى



ديكارت.



فهى لغة الثقافة والعقيدة لالف مليون مسلم.

٣ ـ انكر شخصية عبد الله بن سبأ اليهودى صاحب المؤامرة الخطيرة التى انتهت بمقتل خليفة المسلمين عثمان عليه السلام ولكن تبين انه لم يكن قد اعتمد على مصادر سليمة وكان ذلك خدمة لبعض الاهداف.

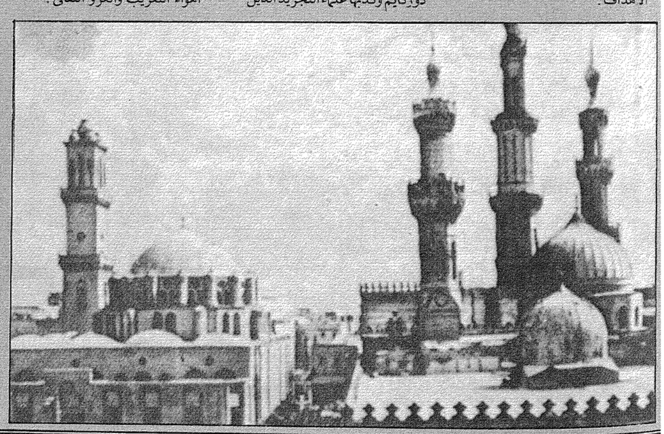
٤ ـ اتهم ابا الطيب المتنبى بانه لقيط وقد كذبت الايام هذا الاتهام.

٥ ـ حاول ان يسمى مفاهيم الفلسفة علما وقال ان الدين لم ينزل من السماء وانما خرج من الارض كما خرجت الجماعة نفسها وقد اتضح ان هذه مقولة اليهودى دوركايم وكذبها علماء التجريد الذين اعترفوا بوجود الله تبارك وتعالى.

٦ ـ احيا (رسائل اخوان الصفا» ودعا الى اعتبار كتاب الاغانى والف ليلة وليلة مرجعا للبحث الاجتماعى وادعى ان القرن الثانى الهجرى كان عصر شك ومجون.

■ وقد انهارت كل هذه المقولات التى بنى عليها طه حسين قاعدة فكره ومنهجه الادبى والاجتماعى وكشفت حركة اليقظة الاسلامية فساد مقولاته وخاصة مقولته الخطيرة التى دعا فيها الى قبول الحضارة الغربية (خيرها وشرها وحلوها ومرها وما يحمد منها وما يعاب).

■■ وبالجملة فإن طه حسين بعد مائة عام لا يمثل الا صورة من اهواء التغريب والغزو الثقافى.





مـــن أريـــج اثنينية عبـــد المقصـــود خـــوجـــة

يرويها الأستاذ أحمـــــد المبــــارك

■ اثنــاء وجودى فى القاهرة فى ايام الدراسة صارت معرفة بينى وبين الاستاذ (على باكثير) العالم الفاضل الأديب الشاعر، ورجوته أن يزورنى فى البعثة، فوافق.

وكنت فى انتـظار مجىء الاستـاذ على باكثير . . وتصادف عند مجيئه أن التقى فى مدخل البعثة بأحد الاخـوة من الطلاب ـ ممن يدخلون أنفسهم فيما لا يعنيهم ـ فسأله عنى فقال له «هو خارج البعثة يؤدى صلاة الـتراويح فى البلد كما تعـود» . . فى حين أنى انتظر مجيئه ولم اخرج . . فأعطاه (كرتاً) ليسلمه لى . . وبكل أسف لم أستلم الكارت إلا عند السحور . .

■ أقلقنى هذا الموقف الذى وضعنى فيه هذا الاخ . . وأهمـنى كثـيراً ما سيفسر به الاستـــاذ باكثـير هذا الموقف . . وقلت فى نفسى «قد يظن أنى هربت عن موعده بعد أن وافق هو على زيارتى» وأقلقنى الموقف ولم استطع أن أنام، وكان من عادتى أن أنام بعد أن أصلى الفجر، فكتبت أبياتاً.

■ ثم ذهبت الى الاستاذ باكثير وصليت معه الجمعة وأخـبرتـه بما حدث وأنى كنت فى انتـظاره ولم أغادر البعثة كما أخبره ذلك الزميل وأسمعته الابيات التى





د. محمد عبده يمانى

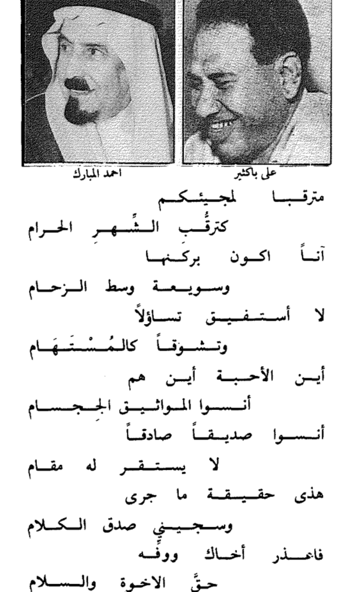
جـــاب

ـا .. وقبلها أضاع على وتطفل آخر فرصة لقاء مع الدكتور عزام.

كتبتها.. فقال لى: لولا أنى اتجهت الآن لكتابة القصة والتأليف لرددت عليك الآن بقصيدة..

وتقول الابيات التى كتبتها:

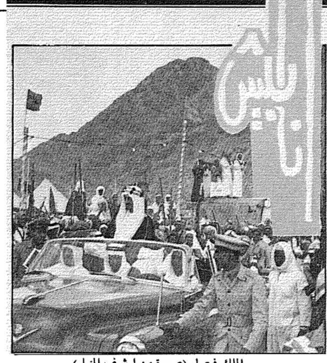
أألومُ أم أطوى الملام
بين الجوانحِ والعظام
قصد الكرامُ زيارتى
والليلُ مُعْتَكِرُ الظلام
يمشون مِشْيَة سادة
تخذوا الوفاء لهم ذِمَام
فأبتْ قساوةُ شِقْوتى
وأبا لي الحظُّ الطَّغَام
أن ألتقى بوجوههم
فأزيل عن قلبى القتَام
أأبا كثيرٍ يا فتى
الفتيان يا نسلَ الكرام
إنى وخالقك الكريم
ومنشىء السحب الرهام
ما خنتُ يوما وعدكم
الغدر من شيم اللئام
بل كنتُ جلس غُرَيفَتى
والقلبُ يضطَّرِمُ اضْطِّرام



على باكثير

احمد المبارك

مترقبا لمجيئكم
كترقُّبِ الشَّهرِ الحرام
آناً اكون بركنها
وسويعة وسط الزحام
لا أستفيق تساؤلاً
وتشوقاً كالمُسْتَهَام
أين الأحبة أين هم
أنسوا المواثيق الجِسام
أنسوا صديقاً صادقاً
لا يستقر له مقام
هذى حقيقة ما جرى
وسجيِّي صدق الكلام
فاعذر أخاك ووفه
حقَّ الاخوةِ والسلام



الملك فيصل (صورة من ارشيف المنهل)

■ عندما كنت قنصلا فى البصرة من قِبل المملكة العربية السعودية ، جاءت مبايعة الملك فيصل ـ عليه رحمة الله ـ فى هذه الفترة.

فاشتاقت نفسى أن أتوجه إليه لتهنئته ولكن الذى حدث أن نبهوا على سفراء المملكة والقناصل بأن يكونوا فى أماكن عملهم حتى لا يحصل اخلال بالعمل . . فعملت أبياتاً تنوب عنى فى هذه المناسبة.

■ ولما كان الأستاذ الدكتور محمد عبده يمانى مديراً لجامعة الملك عبد العزيز فى جدة وكنت حينئذ سفيراً فى قطر سألنى أن ارسل له صورة من هذه الأبيات وقال لى : «انك تعرضت فيها لنقطة خاصة بالملك فيصل نحب ان نجعلها شيئاً من الدراسة» فطبعت الأبيات وارسلتها اليه . . تقول الأبيات :

بزغ النهارُ وطالعتْكَ ذُكَاءُ
وتبدَّدتْ عن أُفقِنَا الظلْماءُ

وتبينتْ للسالكين مناهجٌ
طمستْ قديمَ رسومِها الأهواء

جددت فيصل عهدَ جَدِّك فيصلٍ
فنما لعِهْدِكَ فى القلوبِ رَجَاء

قُدْتَ السفينةَ فى مهارة حاذقٍ
لم تُثْنِهِ عن عزمهِ الأنْواء

وعَبرتَ فوقَ الموجِ وهو مزمجرٌ
قد أعقب الريحَ العصوفَ رُخَاء

حتى وصلتَ بشعب أرضِكَ مرفأ
حمدتْكَ عند بلوغِه الحكماء

أثنى عليك الناسُ فى ندواتهم
كم خلَّد الحرَّ الكريمَ ثناء

حَفَّتْكَ ألطافُ الإلّه برايةٍ
مُخْضَرَّة آياتها بيضاءُ

ووقاك ربِّى إذ أفأت لظلِّها
رايات توحيد الإلّه وَقَاء

وحكمتَ بالشرعِ الشريفِ وإنَّه
حُكْمٌ يلوذ بظله الضُّعَفَاءُ

فغدا الأمانُ بحصن حكمك معلناً
أن الشريعةَ مِلَّةٌ غرَّاء

لولا محاسنُ حكمها لم ينتظم
وضعُ البلادِ ولا علاه نَماء

قل للذين عن الشريعة أعرضوا
كُفُّوا الملامةَ كلكم أخطاء

قل للذين عن الشريعةِ أعرضوا
أحصوا ونحصى يَفْضَحُ الاحصاءُ

أحصوا الجرائمَ فى البلاد لديكم
ولنا بحكم عِقولِكُم إرْضَاء

دينٌ يقول تعلموا وتفكروا
لا يعتريه مدى الزمانِ فَنَاء

لا تخدَعوا تحتَ اسم مبادىء
بَرَّاقةٍ ألقابُها جوْفَاء

لم يُنْزِلِ الرحمنُ من سندٍ لها
بل ساقها لينين والرفقاءُ



تغرّبْ عَن الأوطان في طلبِ العُلا
وسَافِر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرّج همٍ واكتسَاب معيشةٍ
وعلمٌ وآدابٌ وصحبةُ ماجدِ

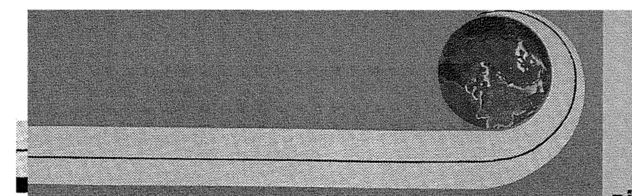


● رحلة في منغوليا الداخلية — الحلقة الأولى

الشيخ محمد بن ناصر العبودي

● نظرة اجتماعية وثقافية في إقليم كوسوفا

د. أبو الفتح شرف الدين حجازي



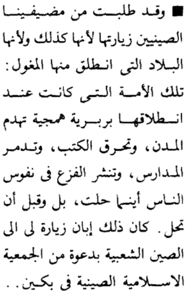
نكبر لفضيلة اديبنا هذا التواصل الذى من شانه دعم عطاءات ادب الرحلات ونقدر له فضله فى اهداء هذه المخطوطة الثمينة للمنهل ..

فى أعماق الصين الشعبية:

الحلقة الاولى

رحلة فى منغوليا الداخل

- الخضرة الشديدة أهم ما يلفت النظر فى جبال ايانغ شن شن.
- الصينيون يستخدمون الدراجات بصورة تجعل لها طابعا مميزا وفريدا.
- فى منغوليا الداخلية ١٧٠ ألف مسلم، أكثرهم فى العاصمة ومنطقة كوبار.
- اليوم تطالعك فى بكين العمارات السكنية العالية والشوارع المخططة كما فى المدن العالمية.
- الشعب الصينى يهتم بالنظافة وعدم الظهور بمظهر الفقير انطلاقا من تقاليده العريقة.



بقلم: الشيخ محمد بن ناصر العبودى
— مكة المكرمة —

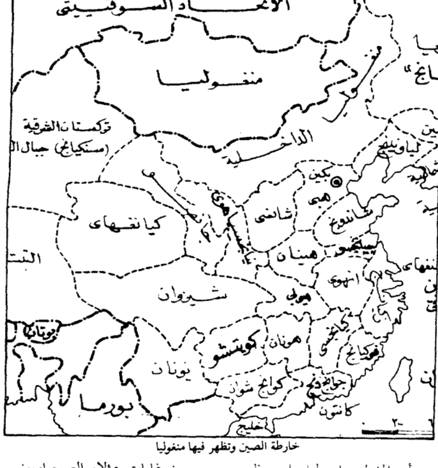
■ وقد طلبت من مضيفينا الصينيين زيارتها لأنها كذلك ولأنها البلاد التى انطلق منها المغول: تلك الأمة التى كانت عند انطلاقها بربرية همجية تهدم المدن، وتحرق الكتب، وتدمر المدارس، وتنشر الفزع فى نفوس الناس أينما حلت، بل وقبل أن تحل. كان ذلك إبان زيارة لى الى الصين الشعبية بدعوة من الجمعية الاسلامية الصينية فى بكين.. والشيء المهم الذى أردت ايضاحه هنا، هو اختلاف الاسم بين ما نعرفه عندنا وورثناه عن أسلافنا من المؤرخين العرب وبين ما هو عليه فى بلاد المغول الاصيلة هذه التى ستتجه اليها رحلتنا بعد قليل بإذن الله.

■ فنحن نسميهم (مغول) بغين مضمومة بعد ميم مفتوحة وهم يُسمون أنفسهم (منغول) بزيادة نون ساكنة بين الميم والغين.

■ ولا شك فى أنهم أعرف بالاسم الصحيح لبلادهم ولجنسهم،

مقاطعة منغوليا الداخلية من المناطق المهمة فى الصين لكونها غنية بالمعادن والمراعى التى تربى عليها ملايين الاغنام وكذلك الابل، وهى الى ذلك على حدود جمهورية شقيقة لها هى (منغوليا) الخارجية ذات الاستقلال الرسمى، ولكنها دائرة فى فلك الاتحاد السوفييتى وفى مقاطعة منغوليا الداخلية أقلية عددية مسلمة قديمة الوجود فيها.





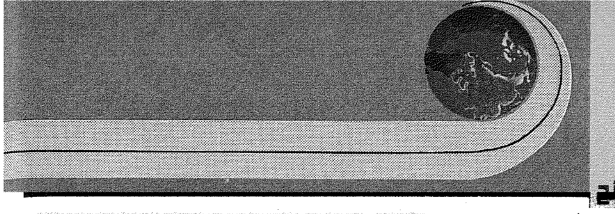
خارطة الصين وتظهر فيها منغوليا

وحتى لو لم يكونوا أعرف بذلك فإن الاسم الصحيح للأمة أو القبيل من الناس يكون ما يسمون به أنفسهم ولو خالفهم الآخرون.

●● وعلى هذا جاء الاسم الرسمى لهذه المقاطعة (منغوليا) الداخلية ولشقيقتها التى تجاورها (منغوليا) الخارجية فأسلافنا حذفوا النون من الاسم. . ربما كان ذلك من فرط الخوف من هؤلاء القوم المتوحشين القساة، جعلهم ذلك لا يفكرون فى الاسم، وربما كان القوم يسمون انفسهم (منغول) ولكنهم لا ينطقون بالنون نطقا كما ننطق بها نحن العرب فظنها الأسلاف غنة أو تنوينا خفيفا، وما أبعد الغنة من لغة الهمجيين القتلة. ومما يؤكد أن النون أصيلة فى هذا الاسم غير كونهم يسمون به أنفسهم، ان أهل الصين يثبتون هذه النون وهم الذين خبروا هؤلاء المغول من مجاورتهم لهم، ومن تعرض بلادهم لغزواتهم حتى انهم - أى المغول - استولوا على معظم الصين فى وقت من الاوقات، واتخذوا مدينة بكين الحالية عاصمة لهم وأسموها (خان بالق) يعنى مدينة الملك. فخان فى اللغة المغولية تعني ملكا أو ملكا كبيرا وبالق تعنى المدينة.

■ ومن اجل صد هجمات هؤلاء المغول وأبناء عمهم من القبائل الصحراوية الهمجية أقام الصينيون على فترات متباعدة سور الصين العظيم ليكون سدا منيعا بينهم وبين غارات هؤلاء الصحراويين الأشداء، على اكثر الأقوال.

■ واذاً يكون الصينيون يعرفون المغول معرفة حقيقية وبالتالى يعرفون اسمهم الصحيح وهم يثبتون النون فيه ولكنهم ينطقون به على طريقتهم وتحويل الكلمات الى مقاطع كل واحد منها يتألف من حرفين أولهما متحرك وآخرهما ساكن فقالوا (منقو) وبتقليد كتابتهم وان يكن ذلك بالرسم العربى يصح ان يكتب الاسم (مِنْ قو) بمقطعين



فى أعماق الصين الشعبية

اثنين منفصلين تماما مثلما ينطق الصينيون اسم بلادهم الصين بلفظ (شِنْغو): الذى هو مقطعان (شنْ قو) وهو اسم بعيد عن اللفظ العربى للصين واللفظ العربى هو الذى بعد عنه لأن الأصل فى التسمية الصينية (شن تو) للصين هى الصحيحة.

■ وأقرب اللغات الحية البعيدة عن الصين التى أعرف اسم الصين فيها هى الفرنسية اذ يقول الفرنسيون للصين (شِنْوا) وبالمقاطع(شِنْ وا) على الأصل.

●● وعلى هذا تكون النون فى (منغوليا) أصيلة ونكون نحن العرب حذفناها من اسمهم المنغول فصرنا نسميهم (المغول).

تعريف بمنغوليا

■ تقع منغوليا على اطراف صحراء غوبي الشهيرة شحيحة المطر، مناخها قارى لأنها بلاد داخلية، وتعرف بمنغوليا الداخلية تمييزا لها عن منغوليا الخارجية، التى تقوم فيها حالياً جمهورية منغوليا الشعبية المستقلة وعاصمتها (اولان باتور) وتدور فى فلك الاتحاد السوفياتى.



قرب جامع خوخاخوت يتجمع المسلمون للترحيب بالضيوف الزائرين من مكة المكرمة

■ ومنغوليا الداخلية اصبحت مقاطعة ذات حكم ذاتى منذ غرة مايو ١٩٤٧ وتبلغ مساحتها ١٫٢٠٠٫٠٠٠كم وبلغ سكانها ١٩٫٢٧٤٫٢٧٩ نسمة بموجب احصاء عام ١٩٨٢، ومنهم ٢٫٨٥٠٫٠٠٠ مغولى اى بنسبة ١٩٪ من اجمالى سكان المقاطعة والبقية من المهاجرين بعد الثورة الشيوعية. ويقدر عدد المغول فى الصين كلها بحوالى ٣٫٤١١٫٣٦٧ نسمة.

●● ويمارس معظم المغول الرعى ويسكنون البوادى والمراعى بينما المهجرون الصينيون يقطنون المدن كما هو الحال فى العاصمة خواخوت حيث يشكل الصينيون ٨٠٪ من سكانها.

● الصينيون حوالى ٨٠٪ من سكان العاصمة خواخوت.

يقدر عدد المسلمين فى منغوليا الداخلية ١٧٠ الف مسلماً ويتمركز اكثرهم فى العاصمة ومنطقة كوبار. ومن القبائل المغولية المسلمة قبيلة دونغ شيانغ وعددهم ٢٧٩٫٥٢٣ مسلماً وقبيلة بؤان وعدوهم ٩٠١٧ مسلماً وافراد هاتين القبيلتين المسلمتين يتمركز معظمهم فى مقاطعتى قانصو وجنغهاى ولا يعتبرهم التصنيف الصينى مغوليين بسبب كونهم يقطنون خارج (منغوليا) الداخلية هذه.

رحلة في منغوليا الداخلية

السفر الى المطارة

لا يبعد مطار بكين عن قلب العاصمة الصينية كثيرا، إذ لا اظن ذلك يزيد عن اربعين كيلومترا. ولكن المشكلة في الوصول اليه هي في الشوارع المؤدية له فهي في داخل المدينة كثيرة الاشارات الضوئية أو كثيرة رجال الشرطة الذين ينظمون مرور السيارات على قلتها النسبية في الصين.

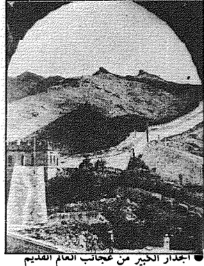
والذي يؤخر الوصول الى المطار هو الهدوء في السير الذي هو طابع الحياة في الصين سواء أكان ذلك بسبب سير السيارات أم سير الدراجات.. حتى المشاة لا تراهم يسيرون كما يسير الشباب في شوارع أوروبا التي اذا رأيتهم يسيرون على أقدامهم فيها يخيل اليك انهم في سباق.

■ وبالنسبة لنا نحن فإن هناك سببا آخر لتأخرنا في الوصول الى المطار، وهو اننا أعددنا أمتعتنا في الوقت المناسب وهي كثيرة وثقيلة إذ فيها هدايا من المصاحف والكتب والعبي وغير ذلك الى جانب أمتعتنا الشخصية والهدايا التي تلقيناها من مضيفينا الصينيين في بكين.

■ ولكن الحمالين او لنقُل الفراشين



عربة تجرها الخيول.. من وسائل النقل التقليدية



● الجدار الكبير من عجائب العالم القديم

في فندق (شي يوان شي) الذي كنا نسكن فيه في بكين قد ابطأوا علينا عندما ناداهم لنا مضيفونا الاخوة الصينيون.. وهو بطء زاد عن حده حتى خفنا ان تفوتنا الطائرة لأننا نعرف بُعد المطار والوقت الذي يستغرقه الوصول اليه.

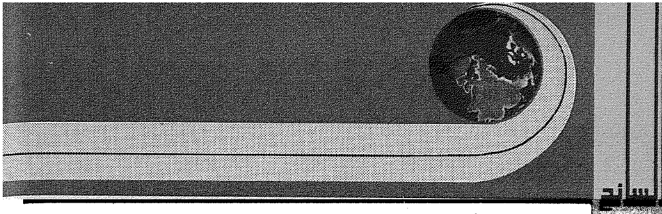
●● واخيرا جاء الحمالون بعرباتهم وحملوا الامتعة بتباطؤ، وعدم مبالاة بوقتنا مثلما كانت تفعل عاملات المطعم اللاتي لم يكن يبالين بوقت الآكلين في المطعم في الصباح، وهم عادة يكونون من رجال المال والاعمال التي تتطلب المحافظة على الوقت.

وذلك كله ناشيء عن قلة الحوافز الشخصية عندهم في العمل لأن العامل يعتبر أن الدولة هي التي تتحمل كل شيء الى جانب كونه يتقاضى الراتب الضئيل المقرر له دون نقص أو زيادة.. **فلِمَ العجلة إذاً؟**.

مقارنة في شوارع بكين:

غادرنا الفندق في الثانية ظهرا وقد بقي على موعد قيام الطائرة ساعة وخمس وعشرون دقيقة إذ المقرر ان تقوم الى (خوخاخوت) عاصمة مقاطعة منغوليا الداخلية في الثالثة والدقيقة الخامسة والعشرين.. والمسافة ما بين الفندق والمطار تبلغ في المعتاد ساعة واحدة لذلك أشفقنا من ان تفوتنا الطائرة وهذا ـ إن حدث ـ سيؤثر على برنامج رحلتنا كلها في الصين لاننا كنا قد حددنا مواعيد الرحلات بعدها وحجزنا فيها.

■ وكنت وانا في السيارة أقارن بين ما أراه الآن في شوارع بكين، وما كنت أراه فيها عندما كنت أزورها قبل ما يزيد على ثلاث سنوات لأرى ما فعلته السنوات الثلاث

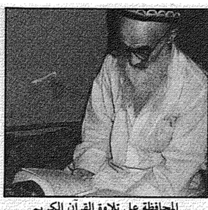


فى أعماق الصين الشعبية

فيها وفى أهلها لانها كانت منذ ما قبل الزيارة الاولى قد اختطته لنفسها خطة انفتاح على العالم، وما أسمته الازدهار الاقتصادى فى الداخل.

●● فوجدت فيما يتعلق بالناس الذين فى الشوارع ان هناك تطورا قد حدث بالفعل. أهمه ظاهر فى ملابس الناس، فالرجال الذين كان لباسهم موحدا بأمر الحكومة التى كان يوجهها زعيم الشيوعية الصينية (ماوتسى تونغ) ثم بحكم العادة بعد ذلك صار أشبه ما يكون بالبدلة السفرية التى تسمى (سفارى) اذ يتألف من قميص واسع ذى كمين طويلين ومن سروال معتاد الا انه أوسع قليلا من السروال الافرنجى المعروف وأقل أناقة منه فى التفصيل.

●● وهذا اللباس نفسه لا يختلف كثيرا عن اللباس الذى كانت ترتديه النساء والذى كان أبعد ما يكون عن الاناقة وإبتغاء الجمال فى اللباس للجمال نفسه. وهو أيضا أبعد ما يكون عن ابتغاء الاغراء والفتنة بمظاهر النساء، فالثورة الشيوعية الصينية حاربت ذلك، ووجدت فى التقاليد الصينية



المحافظة على تلاوة القرآن الكريم



المحافظة على اداء الصلوات والعبادة

العريقة التى تمقت الميوعة، أو التخلى عن العادات الموروثة ما يساعدها على تحقيق ذلك الذى تحقق فعلا بسبب القوة الباطشة.

■ ولم تكن مساحيق الزينة ظاهرة على النساء لأنها كانت محرمة إبان الثورة الثقافية الشيوعية، وهى عند زيارتنا السابقة للصين لم تعد محرمة ولكن كانت النساء لا يستعملنها جريا على عادة التحريم السابقة.

■ وكانت ملابس الرجال جميعهم تبدو كأنها نسخة واحدة لأنها مصنوعة فى مصانع وطنية تتلقى تعليمات من القيادة فى أن تكون كذلك، ولا تسمح بتنويع

الملابس، ولم يكن هناك مجال للحصول على ملابس غيرها للصينيين، لأن البلاد كانت مغلقة، محكمة الاغلاق، ولأن من يحاول أن يفعل ذلك قد يرمى بأنه يعمل على مخالفة قوانين الدولة الثورية وبذلك يتعرض للشك فى ولائه، وربما تعرض للعقاب.

●● والقول فى ملابس النساء فى ذلك الحين ليس بعيدا عن القول فى ملابس الرجال.

●● أما الآن فإن الأمر قد تغير كليا فيما يتعلق بملابس النساء فأصبحت الملابس الملونة هى السائدة وبعضها أصبح ذا ألوان فاقعة طبقا للذوق الصينى الذى يفضل الالوان الصارخة.

●● ولم يقتصر الامر عند حد اختلاف الالوان، بل تعدى ذلك الى التفصيل فصارت ملابس النساء أضيق، واذا لم تكن ضيقة فان ابتغاء الذوق والاغراء فيها قد صار منتشرا.. والشىء غير المستساغ أنه فى الوقت الذى كانت فيه الملابس العالمية التى مصدرها أوروبا تجنح الى تطويل ثياب المرأة قد جنحت المرأة الصينية الى تقصيرها، وربما كان هذا شعورا منها بأنها تعوض به ما كان فاتها من

متابعة الأزياء العالمية التى كانت قصيرة عندما كانت الملابس الصينية الطويلة السابقة هى المسموح به للمرأة الصينية.

■ واكثر من يراه الانسان فى شوارع بكين الشابات او المتوسطات فى العمر وقلما يرى العجائز، خلاف ما عليه الحال فى المدن الاوروبية، فالمرأة الصينية اخذت تتوخى الاناقة فى مجموع هندامها وليس فى الثوب وحده، فالقبعة العريضة الانيقة التى كانت مشهورة فى الصين قد عادت الى الظهور والمظلة الملونة الواقية من الشمس او المطر قد عادت أيضا.. والأحزمة التى يقصد بها الزينة واستكمال المظهر الجمالى قد كثرت أيضا، وحتى الأحذية ذات الكعوب العالية قد كثرت، بعد أن كانت معدومة فى الصين.. كما وجدت المساحيق على وجوه النساء وان كانت لا تزال اقل مما هو موجود فى المدن العالمية حتى التى يسكنها الصينيون فى المهاجر مثل سنغافورة.. وتايبيه.. وهونغ كونغ.

●● ولا شك أن السبب فى ذلك هو عدم استكمال التعود عليها بعد الهجرات الطويله لها من جهة، وضعف الدخول المالية الشهرية عند النساء فى الصين من جهة أخرى، مثلهم فى ذلك مثل الرجال.

■ ومن مظاهر التغير فى الصين كثرة مشاهدة الأجانب من ذوى المظهر الأوروبى اوالذين يقربون منهم فى اللون او تقاسيم الوجوه كالعرب مما يدل على أن الانفتاح الذى كانت الصين ـ ولا تزال ـ تعلن عنه هو انفتاح حقيقى وان كان لا يزال نسبيا وضيقا.

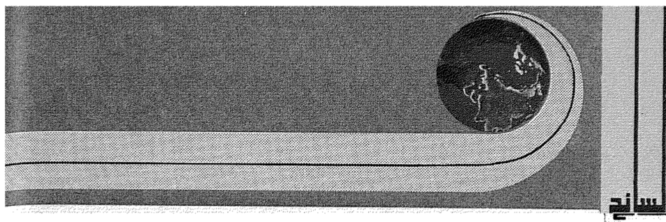
ويتجلى هذا أيضا فى كثرة انشاء الفنادق الجديدة على الطراز الحديث، ومع ذلك فان كل تلك الفنادق تكون فى العادة مشغولة او محجوزة.



بيوت من الطين فى صحراء المغول

والشيء الذى لم يختلف كثيرا فى شوارع بكين وان كان حدث فيه اختلاف نسبى هو قلة السيارات التى تسير فى الشوارع قلة نسبية، وكثرة الدراجات كثرة حقيقية.

■ وقد سلك موكبنا المؤلّف من ثلاث سيارات شوارع واسعة جيدة من شوارع بكين الحديثة ووصف الحداثة هو للشوارع وليس للمدنية فقد وجدناهم غيروا الأمر كله فى بعض الضواحى القديمة الكثيبة من بكين التى كانت ذات بيوت قديمة مكونة من طابق واحد ومهملة من الصيانة فهندسوها واقاموا فى جزء من منطقتها (عمارات) سكنية عالية تضم شققا سكنية وحسنوا ما بين تلك



فى أنحاء الصين الشعبية

العمارات وشقوا فيها الشوارع، ووصلوا بها الشوارع القريبة التى كانت متجهة اليها ثم قسموا هذه الشوارع الجديدة الى التقسيم الذى اختاروه وهو أن يجعلوا وسط الشارع مخصصا للسيارات وهو واحد مفصول ما بين السيارات الذاهبة فيه والآيبة بخط أبيض، ولا يكون الشارع منقسما الى قسمين منفصلين تماما، أحدهما للسيارات الذاهبة والآخر للآيبة كما نفعل نحن فى شوارعنا الحديثة وكما هو المألوف فى الشوارع الجديدة فى المدن العالمية.. وذلك لقلة السيارات عندهم قلة نسبية كما قدمت، وإنما يعتنون بفصل الدراجات الذاهبة عن الدراجات الآيبة فصلا كليا فيجعلون الى جانب خط السيارات من قلب الشارع خطا واسعا مخصصا لسير الدراجات لا يجوز أن تسير فيه السيارات بحال مع اتساعه لمرورها منه يكون على جانبى الشارع يفصل بينه وبين الجزء الذى تسير فيه السيارات فاصل من رصيف عال كثيرا ما يكون فيه صف من أشجار الظل، او مجرد فاصل من القضبان الحديدية، وبجانب مسير الدراجات يكون رصيف عريض لسير المشاة مما يلى الأبنية الواقعة على الشارع.

■ هذا وقد سألت الاخوة المرافقين عندما رأيت الابنية الضخمة المتعددة الطوابق عما اذا كان بعض الناس فى بكين لا يزالون يجدون صعوبة فى الحصول على مسكن لهم، فقالوا: إن هذا لا يزال هو القاعدة لأنه كان قد مضى زمن لم تكن الدولة فيه تقيم مساكن جديدة إلّا لأقُل القليل من السكان.. وقد أخبرونا أن الحكومة أعلنت أنه لا يزال يوجد فى الصين عشرة ملايين أسرة لا تجد مساكن لها.. وذلك من الحكومة من باب الدعاية لنفسها لأنه اذا كان لا يوجد من بين ألف مليون وسبعة وثلاثين مليونا من البشر هم عدد سكان البر الصينى الا عشرة ملايين أسرة لا تجد لها مساكن فإن ذلك أمر جيد، ولكن العارفين بالامور يقولون أن الأمر غير ذلك، وإن أزمة السكن وبخاصة فى المدن الكبيرة لا تزال مستفحلة مع أن الحكومة لا تلقي بالا لمساكن الفلاحين ولا تسعى فى ايجاد مساكن لهم لأنهم هم يحلون المشكلة بأنفسهم فالفلاح فى شمال الصين ـ مثلا يبنى بيته من الطين المتوفر تحته أو حوله، ويبنى الفلاح فى جنوب الصين من الأخشاب الموجودة هناك بوفرة.

وقد وصلنا مطار بكين بعد ساعة كاملة من السير ولم يكن بقى على قيام الطائرة الا خمس وعشرون دقيقة فانقسم الاخوة المرافقون الى قسمين احدهما يعمل فى وزن الامتعة وترحيلها وقطع التذاكر، والآخر يسرع بنا الى الدخول لقاعات المغادرة.

●● وتكرر هنا ما فعلوه فى الزيارة السابقة معنا ومع غيرنا من الركاب وهو أنهم يطلبون الاطلاع على جواز المسافر أو بطاقته الشخصية إن كان أجنبيا ثم يقارنون بين صورته على الجواز أو البطاقة بوجهه، بعيون فاحصة. ويتولى هذه المهمة عدد من الرجال والنساء، مع أنهم كانوا فى هذه المرة اكثر مجاملة لنا مما كانوا عليه فى المرة السابقة إذ سمحوا لنا خاصة بالدخول دون ان تمر حقائبنا اليدوية بالفحص الكهربائى، ودون أن يطلبوا منا أن نخلى جيوبنا من المواد المعدنية كالمفاتيح والساعات كما هو المعتاد فى مثل هذه الحالات.. واسرعنا نجرى

مع ممر فى المطار فيه سير كهربائى غير طويل حتى وصلنا الى بوابة الخروج التى كانت فيها مضيفتان تستحثان الركاب على السرعة ثم صعدنا الحافلة وكانت ممتلئة بركاب الطائرة الذين كانوا كلهم راكبين قبلنا وظلت تنتظر لذلك علقت ابوابها وسارت نحو المدرج عندما دخلنا اليها ولم يركب بعدنا أحد.

من بكين الى خوخاخوت:

رافقنا فى السفر الى حديقة (خوخاخوت) عاصمة منغوليا الداخلية أخوان كريمان كان من المقرر أن يظلا معنا طول الوقت فى هذه الجولة على الصين وهما الشيخ (نعمان ما نشيان) نائب رئيس الجمعية الاسلامية الصينية والامين العام لها.. والاخ الاستاذ (مصطفى يانغ جى بوه) سكرتير العلاقات الخارجية بالجمعية وهو مترجمنا أيضا لأنه يعرف العربية جيدا تعلمها فى الصين فى اول الأمر ثم ابتعث للدراسة فى مصر.

وغادرت الطائرة مطار بكين فى الثالثة والدقيقة السابعة والعشرين متأخرة دقيقتين عن الموعد المحدد لإقلاعها من قبل، وهذا لا يعتبر تأخيراً بل ان شركات الطيران العالمية أخذت الآن تعتبر ان تأخر ربع ساعة فما دونه يعتبر أمرا طبيعيا وانما يعتبر ما زاد عنه تأخيرا ينبغى الاعتذار منه للركاب مع بيان سببه.. وهى طائرة مروحية صغيرة

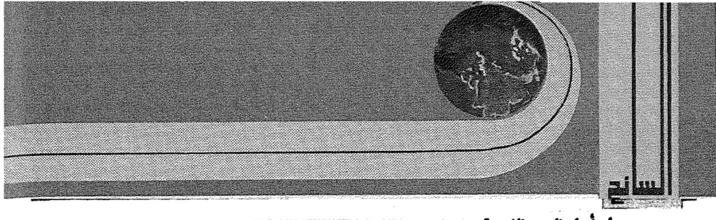


فقر وقسوة حياة ومعاناة فى البحث عن لقمة العيش

فيها ٤٦ مقعداً وذات محركين مروحيين ذكرنى دورانها بعصر مضى كانت الطائرات المروحية هى التى تعمل من خلاله فى بلادنا.. وذلك قبل اختراع الطيران النفاث.. وجميع مقاعدها مشغولة بالركاب وليست فيها أرقام وقد وجدنا مقاعدنا مقلوبة إشارة الى انها محجوزة أو هذا ما ظنناه.

وقد أعلنت المضيفة من مكبر الطائرة بالصينية وهى اللغة الوحيدة التى تكلمت بها أن المسافة الى مدينة (خوخاخوت) ستستغرق ساعة وعشر دقائق.. وهذا يدل على قرب من بكين لم أكن أتوقعه لأن الطائرة ليست من النفاثات السريعة وكنت أظن أن عاصمة (منغوليا) الداخلية تبعد عن بكين اكثر من ذلك.. وأثاث الطائرة ليس جيدا ومقاعدها ليست وثيرة بل هى الى الصلابة اقرب حتى إننى لاحظت ان المقعد الذى اجلس عليه فيه شىء صغير من صلب غير مريح للجالس عليه.. وليس فى جيب المقعد أى شيىء من المطبوعات أو النشرات التى توضح اسم الطائرة أو نوعها او حتى من المنشورات عن الشركة التى تتبعها وهى شركة الطيران الصينية التى يرمزون لها اختصارا بالحروف الاربعة CAAC

■ وليس فيما بين يدى الراكب او تحت الكراسى التى أمامه متسع للحقائب اليدوية كالمعتاد وانما يضع الناس حقائبهم اليدوية وأمتعتهم التى يحملونها بأيديهم وفيها ما هو ثقيل فى الرفوف التى فوق رؤوسهم على جانبى الطائرة وهى رفوف معتادة ليس عليها أبواب بل هى كالرفوف فى حيطان المنازل وهذا يعنى انه فى حالة تعرض الطائرة لحادث غير متوقع



في أعماق الصين الشعبية

كالاهتزاز الشديد مثلا فضلا عن التقلب فإن هذه الأشياء الثقيلة ستقع على رؤوس الركاب لا يمنعها عن رؤوسهم مانع . . وهي اذا وقعت فإنها لن تكون كوقوعها من رف المنزل على الجالس تحته وإنها ستكون أثقل من ذلك وأشد ايلاما منه بكثير لأن سرعة الطائرة تجعلها كذلك، حيث يوزن أثر الكتلة في الهواء بسرعتها مضافا اليه وزنها أو العكس وكلما كانت سرعتها الشديدة اكثر كانت اصابتها أشد، كالرصاصة السريعة التي تقتل الانسان من اجل سرعتها وليس من اجل وزنها الثقيل.

ولا أدري كيف غاب عن أذهانهم هذا ونحن في بلادنا عندما كنا نستعمل مثل هذه الطائرات التي تكون رفوفها مثل الرفوف المكشوفة كان المضيفون ينزلون منها الحقائب اليدوية والأشياء الثقيلة فيجعلونها تحت مقاعد الركاب أدنى مكان خاص بها من مقدمة الطائرة ولا يبقون على هذه الرفوف الا ما كان خفيفا جدا كالثياب التي اهمها العبى أي المشالح التي يلبسها الرجال.



من أدوات الغناء الشعبي

وعند اغلاق باب الطائرة قبل الاقلاع لم تكن الطائرة مكيفة بل لم يكن فيها حتى مرواح كهربائية صغيرة، وذلك اعتماداً منهم على كونها تطير في منطقة باردة في أغلب أشهر السنة الا أن كونها مليئة بالركاب وهي صغيرة غير مكيفة جعلنا نشعر فيها بالحر وشعرت أنا بشيء آخر وهو رائحة الثوم النفاذة المؤذية التي انبعثت من أفواه الناس وانفاسهم . .

وكنت أكلت مع الغداء هذا اليوم بعض الابربيان وهو صغار السمك الذي تسميه العامه عندنا الآن (الروبيان) ويسميه الاخوة المصريون الجمبري وكان قد أضيف اليه اثناء الطبخ قليل من الثوم مع حرصي على تفادي أكل شيء فيه ثوم لكيلا أوذي جلسائي الذين أضطر الى الاقتراب منهم والتحدث معهم طول الوقت بسبب فضولي وكثرة كلامي معهم . . غير أنني عندما شممت روائح الثوم الشديدة المنبعثة من أفواه الركاب أيقنت أن الثوم الذي تسرب الى فمي قد ضاع في زحام ذلك الثوم الكبير و(كفى الله المؤمنين شم الثوم) .

وفي الطائرة مضيف ومضيفة لخدمة الركاب ولكنهما لم يفعلا شيئا غير توزيع الهدايا والضيافة كما سيأتي، ولم تكن منهما للركاب أدنى مجاملة حتى ولا الابتسامة المصطنعة التي يطيب لي احيانا أن أسميها بابتسامة العمل وهي التي تكون على أفواه المضيفين والمضيفات أثناء مواجهتهم للركاب وتتبخر منهم حينما يشحون بوجوههم عنهم . . وذلك جريا على العادة التي عرفناها عن الطائرات الصينية في الرحلات المختلفة داخل البلاد .

وهو أمر لم يكن فيه العمال والعاملات في الخطوط الصينية بدعا من بين قومهم العاملين في الادارات والمؤسسات العامة الذين لا يرون أن الواجب يقضي عليهم أن يجاملوا المتعاملين معهم بابتسامة أو حتى أن يلقوهم بوجه

رحلة في منغوليا الداخلية

طلق.. فهم فى هذا الأمر عكس ما جاء فى الحديث الشريف «**لا يحقرن أحدكم من المعروف شيئا ولو أن تلقى اخاك بوجه طلق**».

وقد عرفنا ذلك منهم فى الفنادق والمطاعم الا ما يكون من المجاملة للاجانب اذا عرفوا ذلك من لباسنا او مظاهرنا وهم يعرفونه على كل حال.

بين بكين وخوخاخوت:

لم يكن لى ان اخصص عنواناً لما يكون بين مدينتين أسافر بينهما بالطائرة لولا أن الطائرة صغيرة محدودة الارتفاع وان الجو فى أغلب الطريق كله، كان صحواً يمكن الراكب فى هذه الطائرة من مشاهدة ما تحته من الأرض ووصفه.

وهذا من حسنات السفر بالطائرات الصغيرة اذ لو كان سفرنا بطائرة كبيرة نفاثة لما استطعنا أن نتبين ما تحتنا من معالم الأرض.. عندما ارتفعت الطائرة تجلى لنا ريف بكين الأخضر الملاصق للمدينة وبعض البيوت فيه المسقوفة من اجل ان تنزلق عنها مياه الامطار ولا تتراكم فيها ثلوج الشتاء.

■ أما الحقول فانها تبدو خُضْراً فى أكثر الاماكن ما عدا بقعا صغيرة يظهر انها حقول قمح صغيرة قد حُصد أو ادرك ان يحصد.

كما اتضحت بين الحقول عدة قرى أو تجمعات لمساكن ليس في أزقتها أو شوارعها شىء من الاسفلت بل كلها تبدو فى رأى العين ترابية.

ولكن تلك البيوت عامرة بالاشجار الكبيرة فى داخل أفنيتها وفيما حولها من الخارج ثم كثرت هذه القرى الريفية وتقاربت مع ارتفاع الطائرة ومضيها جهة الشمال الغربى الذى يتسع فيه مدينة (خوخاخوت) عاصمة (منغوليا) الداخلية

وهذا يفسر كثرة السكان فى الصين الذين يزيد عددهم على الف مليون نسمة وثلاثين مليونا كثيرا ما يغفلها الصحفيون والمتكلمون منهم فيقولون: ان بلادنا هى بلاد الألف مليون نسمة ويسقطون من حسابهم السبعة والثلاثين مليونا استقلالا لها عند ذكر الألف مليون، مع أنها ربما تعادل سكان جميع الاقطار العربية الواقعة فى قارة آسيا أو لا تقل عن ذلك الا قليلا.

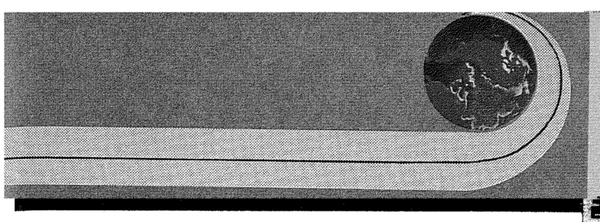
■ وشىء آخر غير ارتفاع الطائرة الذى جعل القرى الريفية تبدو متقاربة فى القطر وهو أمر حقيقى ناشىء عن توزيع الأراضى الزراعية على الفلاحين بعد

جانب من الصناعات اليدوية والمهارات الفنية



استيلاء الشيوعية على الحكم الى قطع زراعية صغيرة جدا بمقاييس ما نعرفه من مساحة الأرض الزراعية فجعلوا حصة كل أسرة ألفى متر مربع منها وهذا يجعل الازدحام فى الريف أشد ولكنه يخفف من حدة تركيز السكان فى المدن أو على الأقل يخفف من ذلك.

ثم رأينا وسط هذا الريف الأخضر قناة مائية صغيرة تبدو وكأنها النهر الصغير لولا ان مجراها مستقيم يشعر بأنها شقت شقا وليس مجراها طبيعيا.. وهى



فى أعماق الصين الشعبية

واحدة من قنوات مائية كثيرة تشتهر بها الصين فى القديم والحديث ولا مجال لذكرها هنا، ولكننى ذكرت ما شاهدته منها ضمن منطقة صغيرة بين مدينة تشنغهاى اكبر مدن الصين وبين البلدة التى يقع فيها مسجد أثرى قديم زرناها من أجله وذلك فى كتاب: **«داخل أسوار الصين»**.

جبال يانغ شن شن

ويانغ منطقة و شن ـ جبال فكأن الترجمة الحرفية لهذا الاسم منطقة شن الجبلية. أو جبال شن، وعلى اية حال فإنه ربما كانت هذه الجبال كلها لا تهم بعض القراء الكرام فكيف يهمهم معرفة اسمها؟ والجواب أن المعرفة ينبغى أن يعتنى بها الجميع، وكان أسلافنا العرب العظام من المؤرخين والرحالة يدونون كل ما رأوه واحيانا يدونون كل ما سمعوه وان لم يروه من أخبار البلدان النائية محبة للمعرفة وخدمة للعلم.

أهم ما لفت نظرى فى هذه الجبال التى اصبحت الطائرة تطير فوقها هو خضرتها الشديدة مما يدل على أنها شاملة لها ولا تكون كذلك فى العادة الا اذا كانت مغطاة بأشجار الغابات لأن الحقول تكون فى السهول فى الأغلب ولكونها اى الحقول يكون فى بعضها فراغ كما شاهدناه فى الريف الذى كنا نطير فوقه قبل ان نصل الى هذه الجبال.

وبين هذه الجبال وديان غير متسعة ليس فيها كثير عمارة لضيقها عن ذلك، وبعد قليل من الطيران فوقها وصلنا الى جزء منها ذى وديان فيها اتساع وقد غصت بالعمارة من البيوت القليلة والمدرجات المزروعة الخضر.

ثم قطعنا هذه الجبال الخضر جبال (شن شن) الى سهل اخضر فيه بعض التلال الجبلية النظامية وهو معمور كله، ان لم نقل معمور كله بالزراعة والقرى الريفية المتقاربة.

بعد قليل اعترضتنا جبال أخرى ربما كانت متصلة بالأولى وهى خصبة ذات وديان، بينها قرى عامرة، ولا تزال الطائرة متجهة الى الشمال الغربى حيث موقع مدينة (خوخاخوت) التى نقصدها وكانت اكثر الجبال الخصبة التى مررنا بها على هيئة حيطان منقادة وإن لم تكن مستقيمة تماما الا ان الجبال قد تغير شكلها الآن فصرنا فوق جبال غير منقادة وانما هى اشبه بالاكوام المتصلة وقد قلّت الخضرة فيها بالنسبة الى خضرة جبال يانغ شن شن ولم أر فيها نهرا ولا آثارا لنهر فسألت الأخوة المرافقين الصينيين فذكروا أنهم لا يعرفون وجود نهر هنا وانما هذه الجبال تقع عليها ثلوج كثيفة فى الشتاء تفيدها خصوبة فى الربيع والصيف.

■ هذا ونحن إذ نوغل فى الأرض الصينية شمالا انما نحن نبعد فى الحقيقة عن البحر ولذلك حتى الامطار تكون قليلة فى الغالب بالنسبة الى الاماكن الخصبة القريبة فى البحر.

■ وقد رجعت ببصرى الى داخل الطائرة عندما لم أجد ما أشغله به خارجها فرأيت الركاب كلهم من الصينيين ما عدا ثلاثة من ذوى المظهر الأوروبى، وربما كانوا من السياح الامريكيين.. واغلب الركاب من الصينيين ليسوا من ذوى المناظر الوجيهة وربما كان السبب أن نسبة منهم هم من سكان منغوليا الداخلية ذات المظهر الصحراوى أو الشبيه بالصحراوى.

■ وعلى الأرض أسفل من الطائرة تغيرت مناظر عامة فأصبحت أقل خضرة وخصوبة حتى الحقول التى ظهرت فيها آثار الزراعة قد فارقت اكثرها الخضرة وربما كان اكثرها من القمح الشتوى الذى اصفرّ وادرك الحصاد أو قد حصد بالفعل، وهذا ما وافقنى عليه الاخوة المرافقون. وبعد هنيهة من الطيران تغيرت الارض وانقطعت الجبال، وصار مظهر الارض هو مظهر الصحراء فى الربيع حيث لا توجد الا خضرة قليلة متفرقة وهى خضرة اعشاب وأشجار برية صغيرة وليست خضرة اشجار كبيرة نامية.

وقد وزع المضيفان ضيافة الطائرة وهى كيس من الورق القوى يحتوى على شراب من شراب الكمثرى وعلبة صغيرة فيها حبات من الحلوى.. ثم أهدوا الى الركاب حقائب نقود صغيرة توضع فى الجيب مكتوبا عليها اسم الشركة ليحتفظوا بها تذكاراً لهذه الرحلة مع الخطوط الصينية وهى رحلة ربما لا تتكرر لأكثرهم الا نادراً لقلة دخولهم بالنسبة الى أجرة الطائرة المرتفعة وان كانت لا تصل الى نصف الاجرة بالنسبة للأجنبى.. والاجرة للأجنبى تتماشى مع مستوى الأجور الدولية للطيران كما نعرفها. وربما يأتى بيان لذلك فيما بعد.

ثم وصلت الطائرة الى اراض صحراوية بالفعل لا يرى المرء فيها اى مظهر للخضرة ما عدا خضرة قليلة فوق بعض الشلالات القليلة. ولا غرو فى ذلك لأننا نطير الآن على حافة صحراء (جوبى) الكبيرة الشهيرة ومع ذلك رأينا بعض الجبال فيها مدرجات الزراعة تلتف حولها ولا شك انها زراعة تنتفع من مياه الثلوج الكثيفة التى تجلل هذه الجبال فى الشتاء وتذوب بعد ذلك.

ومع هذا المظهر الجاف فإننا نشاهد تحتنا قرى صغيرة متعددة، بيوتها من الطين ولا نرى فيها أثرا للخضرة كالأشجار التى تكون فى أفنية البيوت فى القرى والارياف التى رأيناها قبل قليل فى ريف بكين.. وربما كان المحصول الرئيسى فيها من القمح الشتوى الذى يزرع فى اول فصل الشتاء فيقع عليه الثلج فيتغذى أرضه ثم يبدأ ظهور اوراقه فى شهر مايو ويغلظ ويشتد قبل أن يشتد الحر فى أول فصل الصيف لذلك لا يرى آثار خضرته على الأرض فى الوقت الحاضر.

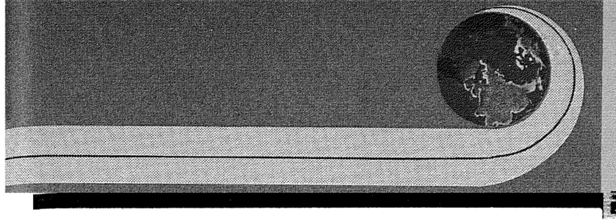


● الخيام مضروبة فى هذه الطبيعة الرائعة

وكنت رأيت مثل هذا القمح الشتوى كثيرا فى تركستان الشرقية عندما زرناها فى المرة السالفة كما كنت رأيته فى جنوب الاتحاد السوفيتى وفى شرق أوروبا وخاصة فى رومانيا.

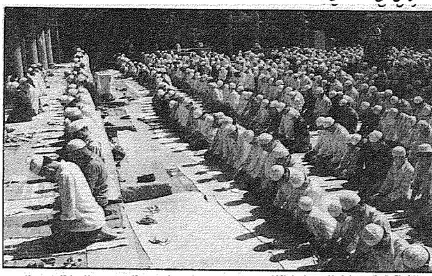
ومررنا فوق بلدة متوسطة السعة لا اسفلت مطلقا فى شوارعها. وكثرت القرى الصغيرة ذات المظهر الطينى كالتى كانت عليه القرى فى بلادنا قبل التطور الاقتصادى الأخير الذى نقلها من ذلك الى البناء بالاسمنت المسلح ومن المطلى بالألوان الجميلة، ولا أثر هنا لأنهار او حتى وديان غير وديان كوديان الصحراء عندنا ذات مجارٍ واسعة ليس فيها فى الوقت الحاضر الا الرمال.

■ ومع هذا المظهر الصحراوى الجاف لا نزال نرى قرى صغيرة



في أعماق الصين الشعبية

الحرص على الصلاة في جماعة



متناثرة في هذا الوسط الخالي من الخضرة ولا أدرى على ما تعتمد هذه القرى في حياتها ان لم يكن رعى القطعان وتربية الماشية، لأنه - حتى الجو هنا - هو قاس في الشتاء تتدنى درجة البرودة فيه الى الثلاثين تحت الصفر.

■ ورأينا قناة ماء قادمة من الجبال قال الاخوة المرافقون انها من ذوب الثلوج في الجبال يتغذى من الثلوج الذائبة ويغذى الأبار الارتوازية التى ذكروا انها هى الوسيلة الشائعة هنا للحصول على الماء..

وقبل الدخول الى مطار (خوخاخوت) بعشرين دقيقة بدأت الطائرة بالتدني الى الارض وهى تطير فوق تلال جبلية اضطرب لها كيانها وصارت تهتز، وبدا منظر هذه التلال منظر التلال الصحراوية ما عدا بعض الأعشاب في أماكن منها منخفضة.. ومع ذلك رأينا مدرجات زراعية تعلوها وتهبط ولكنها يابسة ليس فيها عود أخضر.

■ ثم وصلت الطائرة الى سهل اكثر خصبا وفيه أشجار من أشجار الظل كثيرة ويقع في أرض منخفضة بالنسبة الى هذه التلال فأسرعت الطائرة الى الدخول اليه وهى تتدنى الى الأرض وزمجرت محركاتها وربما كان ذلك لكبح جماحها لأن المعتاد أن يخف صوت المحركات عندما تبدأ الطائرة في الهبوط.

وظهر لنا ونحن نقترب من احدى التلال انها تلال طينية وليست جبالا من الحجارة الصماء وقد رأيت مساحات متسعة منها في مقاطعة كانسو في شمال الصين الغربي وذكرت وصفها في كتاب (داخل أسوار الصين). كما تبين أن هذا السهل الذى يتميز بحفرته وكثرة الأشجار بالنسبة الى ما حوله هو الذى تقع فيه مدينة (خوخاخوت).

على مطار خوخاخوت:

وجدنا في الاستقبال عند سلم الطائرة عددا من الاخوة المسلمين المستقبلين من أهل (خوخاخوت) على رأسهم رئيس الجمعية الاسلامية الفرعية في مقاطعة منغوليا الداخلية الحاج علي جنغ ده خه، والأخ عيسى ساومنغ لنغ نائب رئيس الجمعية الاسلامية، والسيد ابراهيم باى منغ نائب رئيس الجمعية ايضا، والامام (ابراهيم شن فو شن) إمام الجامع الكبير في خوخاخوت.. وبعض مصورى الصحافة، ومضيفة أرضية قادتنا الى قاعة كبار الزوار في المطار بينما جاءت مضيفة أخرى تسكب الشاى في الأقداح الخزفية الصينية التى كانت معدة له على

الموائد الصغيرة، أما القاعة فإنها جيدة التأثيث مقاعدها مكسوة بقماش على الطريقة القديمة التى كان فيها الناس يكسون المقاعد بالقماش وقاية لها من الاتساخ وسعتها مناسبة لأن قوما كانوا قد استقبلوا ثلاثة من الركاب كانوا معنا فى الطائرة واجلسوهم فى زاوية منها لفترة قصيرة دون أن نشعر بضيق القاعة.

■ وقد انقضى وقت قصير على بقائنا فيها كان الحديث خلاله يدور حول ترحيب هؤلاء الاخوة المسلمين فى هذه المقاطعة النائية بنا وكان الحديث يدور مترجما بين الصينية والعربية رغم كون الحاضرين فيهم أئمة المساجد الذين يعرفون جملاً وكلمات من العربية ولكنها لا تكفى للحديث.

وجلس الحاج (عليّ جنغ ده خه) رئيس الجمعية الاسلامية بجانبى يحدثنى عن نفسه بأن عمره الان ثمانون سنة وان ابنه الوحيد يدرس العلوم الاسلامية والعربية فى المعهد الاسلامى فى بكين وأنه يأمل أن تعمل الجمعية الاسلامية الصينية فى بكين على ابتعاثه الى احد البلدان الاسلامية بعد تخرجه من المعهد لكى يواصل تحصيله العلمى فى الشريعة الاسلامية وان هذه هى أمنيته فى الحياة.. وذكر أنه حج مرة واحدة واثنى على ضيافة رابطة العالم الاسلامى له خلال وقت الحج لأنه كان نزل ضيفا على الرابطة مع بقاء وفد الجمعية الاسلامية الصينية للحج.

الى مدينة خوخافوت:

قدموا ثلاث سيارات صغيرة كانت واقفة فى انتظارنا عند باب غرفة كبار الزوار مما يلى داخل المطار وتركوا أمر تخليص الأمتعة لقوم آخرين منهم.. وركب معى فى السيارة الأولى الشيخ عليّ رئيس الجمعية الاسلامية وهو إمام مسجد منذ زمن قديم. ولكنه لا يحسن من العربية ما يفيدنى.. ومما فهمته منه قوله: ان الثلج يكون فى الشتاء فوق هذه الارض التى نراها.

وسارت السيارات فشبهت مظهر الطريق الذى انطلق من المطار بمظهر تركستان الشرقية شتجال بالصينية أو (سينكيانغ) بالانكليزية لولا أن تركستان أقل صحراوية من هذه المقاطعة رغم



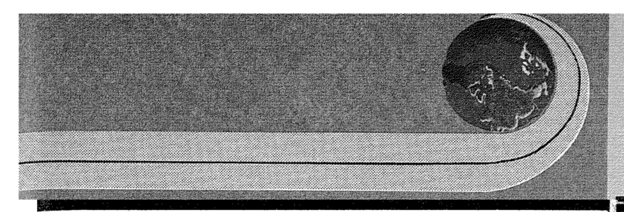
جنكيز خان مؤسس اول امبراطورية منغولية

كونهم قد حرصوا على غرس الاشجار الكثيرة من اشجار الاخشاب ولا نقول الظل لأنهم اقل حاجة الى الظل من غيرهم، بسبب قصر فصل الصيف واعتداله عندهم ولكن من اجل تحسين المظهر، ومن اجل الثروة الخشبية.

والطريق الذى كنا نمشى عليه اسفلتى جيد الا انه واحد تتقاسمه السيارات الذاهبة للمطار والآيبة منه ويفصل بينهما خط ذو لون أبيض.

وقد غرسوا على جانبى الطريق أشجاراً كما قلت يظهر من هيئتها أنها قد غرست قبل حوالى عشر سنين ولا يزالون يعملون فى توسعة الطريق واصلاح أكنافه.

وتشبه المناطق التى تليه المناطق الريفية غير ان الحقول فيها قليلة وإنما فيها خيل اكثرها دهم ليست



فى أعماق الصين الشعبية

طويلة ولا رشيقة.وذكرت فى ذهنى ما دونه مؤرخونا عن خيول التتار يريدون بهم المغـول سكـان هذه البلاد،وتظهر الأشجار المستقيمة فى الطريق وكـأن الطريق بين مطار مدينة أدرومسى عاصمة تركستان الشرقية وبـين المـدينـة لولا أن الأشجـار المغـولية ـ إن صح ان للأشجار أنسابا هى أقصر ولولا أن التركستـانية اوسـع وهى فى اكثر احوالها تتألف من طريقين احدهما للسيارات الذاهبة والأخرى للآتية ولا تكـاد تجتمـع فى مسـار واحد بخلاف الطريق هنا.

■ ولاحـظنـا ما يصـح ان نسميه طابع الصين وهو الذى يمكن ان يطبعهـا بطابعهـا الفريد الذى لا يشاركها فيه غيرها من العالم، وهو كثرة استعمال الدراجات وهذا أمر أصبح مألوفا لنا فى المدن الصينية ولـكـن الشيء الـذى اسـترعى انتبـاهى هذا اليوم هو وجود هذه الـدراجات بكثرة فى ممر هذا الجو الريفى وعليها اصحابها، معهم ما يريدون حمله مما يكـوِّن فى بعض الأحيان أو اكثـرهـا ريفاً ذا مظهر كبير وان لم يكن ثقيلا مثل دراجات رأينـا عليهـا اكـواما من الحشيش عليها عدلان ربما كانا من العلف والسـائق قد اختفى عن النظر أو كاد يختفى بينهما.

بل اننى عندما رأيت مثل هذه الـدراجـات ولم اتبينهـا أول الامر لأنَّـك لا ترى الا كتلة تسير على الأرض الى أن تتبين سائق الدراجة أو عجلاتها.

والسبب فى ذلك كما هو ظاهر ان الـدراجـة هى الـوسيلة الاكثر شيوعا فى الصين بالنسبة للانتقال الشخصى ولنقل الامتعة حتى ولو كانت ثقيلة ثقـلا ليس شديدا. . ولم أرهم هنا يكثرون من النقل على الحمـير كما ينقـل مواطنون لهم فى مقـاطعـة كانسـو فى شمال غرب الصين التى رأينا ان الحمار فيها لا يزال هو أكثـر المراكب شيوعا فى ريف تلك المقاطعة وربما كان للجو القـارس البرودة فى اكثر السنة فى هذه المقاطعة ما يمنع من تكاثر الحمير.

■ وفى هذا الريف او الشبيه بالجو الـريفى توجـد بيوت قديمـة من الـطين وبخاصة حيطانه الزراعية الكبـيرة اى اسوارها فهى جدران من الـطين مثلما كان الأمـر عليه عنـدنـا قبل التطور الأخير ومظهر هذه الحيطان الطينية مظهر القديم جدا.

ثم مر الطريق فوق جسر على مجرى جاف لا شك انه يجرى اذا أصابه المطر وليس لمجرى مائى دائم كما هى الحال عليه فى أكثر أرض الصين الخصبة.

■ وبدأنا نرى بيوتا حديثة مبنية من الآجـر وهـو الـطين المفخـور او المحروق وهى ذات سقوف مسنمة مسترخية اى ليست كاملة السنام أو ليسـت واقـفـة الأسنمـة. هذا والسـائق يضغط على بوق سيارته كالعـادة المتبعة فى الصين، وان لم يكن هناك زحام شديد ولكن ربما كان ذلـك من أجـل الاحتياط او بحكم العـادة لأن الطريق ليست فيها سيارات كثيرة ولكن فيها دراجات.

ووصلنا الى أبنية حديثة متعددة الطوابق وهى لا تزال تحت الانشاء وهم يبنـونها بالآجـر والاعمـدة والدعائم بالاسمنت المسلح. . بل رأينا على شارع المطار مباشرة فُرناً بدائيا لحرق الطين وتحويله الى آجر مما يدل على ان الاسمنت عندهم ليس متـوفرا بثمن رخيص والا لما اضطروا الى الفخار الذى يحتاج الى جهـد ونفقـة ويلوث المنطقة التى يكـون فيهـا بدخـانه ومخلفاته من

الرماد وغيره .

ثم مر الطريق بحقول خضر على جانبيه نرى فى اطرافها بيوتا قديمة من الطين أساسها من الحجارة منعا للرطوبة وربما كان ذلك منعا للرطوبة التى تنشأ عن الثلج عندما يسقط فى الشتاء ويظل على الارض مدة طويلة .

واكثر السيارات التى تشاركنا استعمال الطريق الآن هى سيارات الحمل الكبيرة التى تصنع فى الصين الشعبية وهى ضخمة غير رشيقة المنظر، ولا مرنة الحركات إذ تراها تحتاج اذا أراد سائقها أن يوقفها ان يسير بها وهو يحاول ذلك مسافة أطول من المعتاد فى السيارات الكبيرة عندنا . . وأغلب هذه السيارات ذات لون أخضر، وتكون مملوكة فى العادة للادارات والمؤسسات الحكومية وليس للأفراد منها شيء .

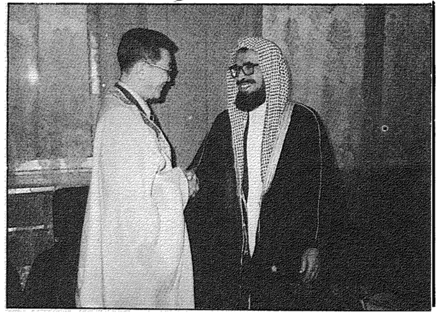
ثم مررنا بمحطة للحافلات قد اجتمعت فيها اعداد من الناس من ذوى المظهر الصينى الخالص . . والحافلات فى مدن الصين الشعبية كثيرة ورخيصة الاجرة ونوعها لا بأس به ولا عيب فيها الا الزحام الشديد فى بعضها وكونها لا تصل الى كل الجهات . . وهى كلها حكومية توزعها الحكومة للشعب تعويضا للشعب عن كونه يملك سيارات خاصة . والدولة هى التى تكفلت باتباع هذه السياسة التى تسميها الاشتراكية الشعبية كما يسمونها .

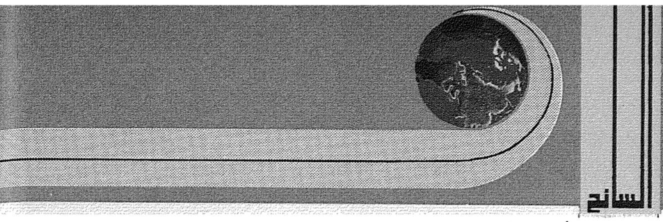
وبعد ذلك وصلنا الى بسطات بسيطة - ان صح التعبير - والبسطات هى البضائع القليلة المعروضة للبيع وهى مبسوطة على الأرض وهذا هو أصل تسميتها وان يكن بعضها محمولا على عربات يدوية أو دراجات، واكثر المعروض فى هذه التى نراها الآن هى الخضروات الطازجة وعند احدها رأينا بغلا كبيرا عليه عربة واقفة . .

وشاهدنا تلميذات يخرجن من مدرسة وهى كبريات إما من طالبات الجامعات أو من طالبات المرحلة الثانوية وكلهن يرتدين ثيابا نظيفة وفى مظهر صحى لا بأس به .

■ ومما يجدر ذكره هنا انه رغم الدخول المتدنية للشعب الصينى مما يجعل اكثر الشعب ان لم نقل كله، من الفقراء لأن المتمتعين بالخيرات من موظفى الحكومة او الذين أتيح لهم السفر الى الخارج قليل نقول : ان هذا الشعب يمكن ان يكون كله من الفقراء اذا طبقنا المعايير العالمية للدخول الشهرية مضافا اليها القدرة الشرائية للعملة

● نائب رئيس حكومة منغوليا يصافح الاستاذ العبودى





فى أعماق الصين الشعبية

إحدي المضيفات المغوليات



لأن اجر العامل غير الماهر هو فى حدود ٨٠ ينـاً اى ثمانـين ريالا سعوديا بالصرف الرسمى تقريبا ولو حسبناه بالصرف الحر يتدنى الى ٥٨ ريالا سعوديا .

ومـع ذلـك لا ترى مظاهـر البؤس الموجودة مثلا فى جارتها الهند ، ولا علامات نقص التغذية التى هى ظاهـرة فى اكثر سكـان القرى فى الهند ، كما لا نرى الثياب المهلهلة ولا المـلابس الزرية بل الجميع يبدون فى مظهر جيد ، وفى ثياب جيدة أو لا بأس بها .

ولا شك فى ان لتقاليد الشعب الصينى العـريق فى نظافـة المظهر وعـدم الـظهـور بمـظهـر الفقـير المحتاج عند اكثرهم دخلا من ذلك .

ثم وصلنا الى سوق من أسواق المدينة والشارع عنده واسع عليه الحوانيت الكبـيرة التى هى كلها مملوكـة للدولـة ودونها (بسـطات) قالـوا هى شخـصية يريدون انها مملوكة لأصحابها لأنها من البضائع الصغـيرة التى تبـاع على رصيف الشـارع وفى جوانبـه حوانيت ومقاديرها ضئيلة جدا وقابلنا سيل عرم من راكبى الـدراجـات مما ذكرنى بالدراجات الكثيرة فى مدينة بكين . وربما كان السبب فى ذلك أن هذه الساعة وهى الآن الخامسة وعشر دقـائق عصرا هى ساعـة الانصراف من العمل .

ثم وصلنـا الى الشـارع العام الـرئيسى فى المدينة وهو متسع بل بالـغ الـسعـة قد غرست عليه صفوف الاشجار التى تفصل بين مسار السيارات فى وسطه ومسارى الدراجات على جانبيه ، كما تفصل بين مسـارى الـدراجـات وفى الرصيف من كل جانب .

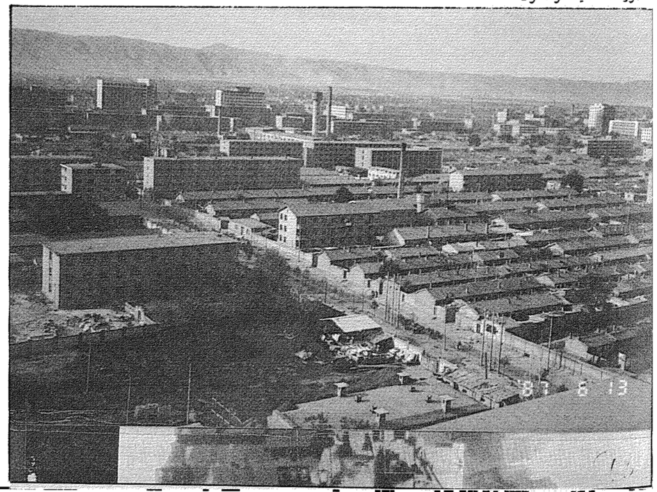
■ وعلى هذا الشارع أبنية حديثة كبـيرة متعددة الطوابق (عماير) من ذات الشقق السكنية التى تؤجرها الحكـومـة على النـاس وهى اما مخصصـة لموظفى الحكـومة وعمالها واكثـر الناس يعملون فى الحكومة والجهات التابعة لها فى المدن واما أن تكـون لبعض المؤسسـات شبـه الحكـومية كالجمعيات التعاونية او الادارات الحكـومية شبـه المستقلة فتـنشىء هذه العـمارات وتؤجـر شققها السكنية على المنتسبين اليها بأجـر رخيص جدا بالنسبة الى ما نعـرفه من الأجور فى العالم ولكنه غالٍ بالنسبـة الى الـدخـول الشهرية المتدنية فى هذه البلاد .

■ ووصل الشارع الى مستديرة فى ميدان متسـع منـه وهى حديثـة الانشاء بل لم تكتمل بعد ، الا ان العـمال ما يزالـون يعملون فيهـا ولكننى رأيت من أمرهم عجبا وهو

أنهم وهم فى حدود الخمسة عشر كانوا قاعدين على الأرض وبأيديهم الجارف ولا أحد يأمرهم بالعمل أو ينهاهم عن التباطؤ فيه وحتى لو كانوا يعملون فان مجرد وجودهم بهذا العدد الكثير للعمل فى مستديرة كان يكفيها عندنا وعند أمم أخرى امثالنا عاملان.هو أمر فيه إسراف ظاهر.

وذلك شىء عرفناه عن الصين فى اكثر الجهات التى رأيناها حيث تجد عشرة عمال مما يكفيه عامل واحد ولكنك تجد أولئك العمال العشرة نظيفى الثياب لا يظهر الاجهاد على وجوههم او على اجسامهم،فعدلنا من الشارع العام بعد هذه المستديرة الى شارع متفرع منه متوسط السعة قاصدا جهة الجنوب. . وهذا الشارع رغم ضيقه الظاهر بالنسبة الى سعة الشارع العام فإنه مقسوم الى سير للسيارات فى الوسط تتقابل فيه السيارات الذاهبة والايبة دون فاصل غير خط أصفر ومسارين منفصلين على جانبيه احدهما للدراجات الذاهبة ، والثانى فى ايسره للدراجات الآيبة .

صورة عامة لمدينة خوخاخوت





في جمهورية يوغسلافيا

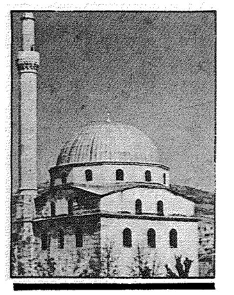
نظــرة ثقافيــة واجتماعي

● بعد انضمامها الى يوغسلافيا ظهرت في كوسوفا النعرات القومية لدرجة ان المسلم

● انتشرت مدارس تحفيظ القرآن الكريم واللغة العربية في اقليم كوسوفا .. وتأثر

● تأثر الالبانيون باللغة العربية لدرجة ان كثيرا من شعرائهم كتبوا اشعارهم

● ظلت كوسوفا ولاية عثمانية لما يقرب من ستة قرون.



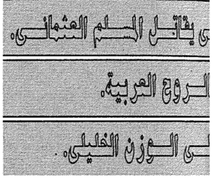
د. أبو الفتح شرف الدين حجازى

يتمتع اقليم كوسوفا بالحكم الذاتى، وله جمعية تشريعية بمثابة برلمان شعبى للاقليم الذى تسكنه أغلبية ألبانية تدين بالاسلام، ويتحدث السكان بلغتهم الالبانية وإلى جانبها توجد اللغة الصربية الكرواتية (اليوغوسلافية) التى تستعمل فى الادارة وفى الشئون العامة بالاقليم.

تنتشر هناك المساجد والجوامع التى يؤمها المسلمون من أجل الصلاة واقامة الشعائر الدينية ـ وفى مدينة «برشتينا» العاصمة توجد «الجامعة» التى تضم كلية للاستشراق وأخرى للتربية الاسلامية والدراسات العربية.

وفى خلال العصر التركى إنتشرت المدارس الدينية والكتاتيب التى تعلم القرآن الكريم وعلوم الدين وازدهرت الثقافة ونشط الشعراء إلى درجة كبيرة حيث أطلق على (كوسوفا) مهد الشعراء.

فى إقليم كوسوفا



يوجد فى يوجوسلافيا (٦) «جمهوريات فيدرالية إلى جانب إقليمين يتمتعان بالحكم الذاتى الاقليمى وهما:

(١) إقليم «فويفودينا» يقع فى شمال «صربيا» وتبلغ مساحته ٢١٥٠٦كم مربع.

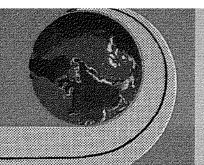
(٢) إقليم «كوسوفا» ويقع فى الجنوب من صربيا أى شمال «مقدونية» وشرق «سرنا جورا» بالقرب من دولة ألبانيا وتبلغ مساحة إقليم كوسوفا ١٠٨٨٧ كم مربع.

■ والاقليمان بالرغم من أن لهما الشخصية الاعتبارية إلا أنهما من الناحية الادارية يتبعان جمهورية صربيا إحدى جمهوريات الاتحاد اليوغوسلافى وتحت مظلتها السياسية.

جغرافية كوسوفا

■ فى «كوسوڤا» جنوبها وغربها تنتشر جبال «شار» ذات القمم العالية وإلى جانبها توجد هضبة «بروكليتا» التى يصل إرتفاعها الى ألفي متر.

وتبلغ مرتفعات كوسوڤا حول مدينة «برشتينا» حوالى ٦٠٠ متر فوق سطح البحر. والمناخ هناك قارى معتدل، ويكون الجو بارداً فى الشتاء بسبب سقوط الثلوج، وفى الصيف يكون الهواء ساخنا، ويمكن الاحساس بتأثيرات البحر الأبيض على طول وادى نهر «بلى دريم» فى جنوب الاقليم.



فى جمهورية يوغسلافيا

ويتمتع الاقليم بوفرة المياه المتجمعة من روافد الأنهار العديدة، وتغطى الغابات مساحة قدرها ٤٥٠٧٥٧ هكتاراً من الأشجار المخروطية وخشب الزان والبلوط.

سكان كوسوفا

يبلغ عدد سكان الاقليم ١٫٥٨٤٫٥٥٨ مواطناً طبقاً للاحصاء العام اليوغوسلافى الذى صدر عام ١٩٨١م. ويبلغ عدد الألبانيين ١٫٢٥٧٫٤٢٤ بواقع ٧٧٫٥٪ من اجمالى السكان بالاقليم أما الصرب فيبلغ عددهم ٢٠٩٫٧٩٢ بواقع ١٣٫٢٪ أما السكان الذين وفدوا من الجبل الأسود «سرنا جورا» فبلغ عددهم ٢٦٫٨٧٥ أى حوالى ١٫٧٪ من اجمالى السكان.

فضلا عن ذلك فقد ورد بالاحصاء المذكور أن المسلمين يبلغ عددهم ٨٥٫٩٤٨ فرداً بواقع ٣٫٧٪ والاتراك ١٢٫٥٧٨ بواقع ٠٫٨٪ وأجناس أخرى ٣٫١٪ أى حوالى ٤٨٫٩٤١ مواطناً - وكما هو معروف فإن الألبانيين والأتراك يدينون بالاسلام، ومن ثم فإن

روافد الأنهار تمثل تجمعات مائية كبيرة للاقليم



الاسلام يمثل أكثر من ٨٥٪ على أقل تقدير بهذا الاقليم ذى الحكم الذاتى.

يتحدث السكان اللغة الألبانية وهى اللغة القومية فى التعليم والثقافة والاعلام والى جانبها توجد اللغة الصربية (اليوغوسلافيه) فى الادارة والشئون العامة، أما التجمعات الأخرى التى تكون فيها الغلبة للعناصر التركية فتستعمل اللغة التركية أيضاً الى جانب اللغتين المذكورتين.

المدن الهامة فى كوسوفا

عاصمة الاقليم هى مدينة «برشتينا» التى يبلغ عدد سكانها ٢١١٫١٥٦ شخصاً طبقاً لاحصاء عام ١٩٨١م، وتعتبر المركز الثقافى والتكنولوجى للاقليم، وإلى جانب ذلك توجد بها جامعة برشتينا التى تضم بين كلياتها «كلية الاستشراق» وكلية للدراسات الاسلامية والعربية.

وهناك مدينة «برزرن» التى أصبحت فى القرن السابع عشر من أكبر المدن فى البلقان، وكانت تلفت النظر للأسباب التالية:

- طفرة كبيرة فى حياتها الاقتصادية مع تطور الحرف وصناعة السيوف والبنادق التى كانت تقتصر فقط على المسلمين.
- إزدهار فى التجارة حيث كانت القوافل المحملة بالأسلحة تخرج من تلك المدينة لتصل الى القاهرة الاسلامية.
- إنتشار الجوامع والمدارس الاسلامية العليا والمكتبات العامة مما أدى إلى إزدهار ثقافى كبير حتى أطلق على المدينة فى العصر العثمانى «مهد الشعراء» وكان بها شعراء يتمتعون بشهرة كبيرة على مستوى الامبراطورية العثمانية.

الاليريون فى كوسوفا

ظهر الاليريون فى شبه جزيرة

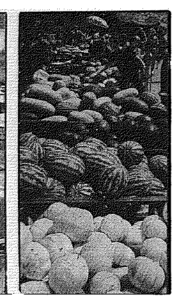
نظرة ثقافية واجتماعية على أقليم كوسوفا

البلقـــان فى فترة مبكـــرة فى عصر البرونـز، وأصبح لهم مع الزمن تقـاليدهم الحضـارية البـارزة فى غرب البلقـــان ـ وتقـول المصـادر التاريخية بأن قبـائل الاليريين هم السكان الأصليون للاقليم ـ حيث أقامت هذه البطون دولتها الاليرية التى استوعبت أيضاً إقليم كوسوفا الحالى.

وامتدت تلك الدولة على طول الســـاحـــل الشرقـــى للبحـــر الادرياتيكـى، وتمـتـعـت بنفـــوذ عسكــرى وسياسى كبـير، فى المنطقة، إلا أن هذا قد اصطدم مع توسـع الامـبراطورية الرومانية مما أدى الى حرب طويلة بين الطرفين، وقد تدرج هذا الصدام الى الحرب الرومـانية/ الأليرية الأولى سنـة ٢٢٩ ق.م ثم عادت واستمـرت سنة ٢١٩ ق.م الى أن تمكنت روما من إلحاق الهزيمة بالجيوش الأليرية وأسر ملك ألـيريا الأخـيـر سنـة ١٦٨، ومـع هذه الهـزيمـة فقـد الألـيريون دولتهم واستقـلالهم الســياسى، ودخلوا فى نطاق الامبراطورية الرومـانية وبالتالى بيزنطة وعاصمتها القسطنطينية.



جاء السلاف الجنوبيون (أصل اليوغوسلاف الحاليين) إلى جزيرة البلقـان وإلى وادى نهر الـدانـوب واستـوطنـوا إقليم كوسـوفـا أسـوة بالمناطق الأخرى التى نزلوا بها فى البلقـان فى نهاية القـرن السـادس وبداية القرن السابع الميلادى ـ فى الوقت الذى كانت فيه هذه المناطق تمر بأزمة قاسية وبتغييرات اجتماعية واقتصادية جليلة تتمثل فى تلاشى نظام الرقيق، وانهيار الامبراطورية الرومـانية وقيام بيزنـطة وانتشـار المسيحية ـ وبـرغـم ذلـك كانـوا يدمـرون المـدن ويهـدمون المعابد المسيحية ـ وفى النهاية تقبلوا ذلك الـدين ـ وأصبحت كوسوفا جزءاً من دولـة العـرب فى العصــور الوسطى بنهاية القرن الثانى عشر الميلادى وهنـاك العديد من المعالم الأثرية التى ترجع إلى هذا القرن.





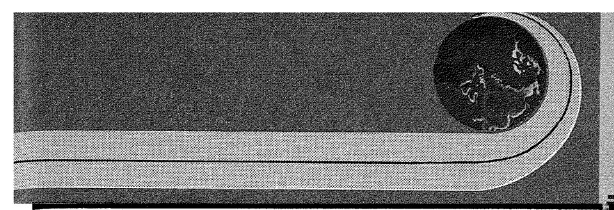
● خصوبة الأراضى وغزارة الانتاج من الخضروات والفاكهة

قطاع جانبى من العمران

● بعض الشعر الألبانى كتب بالأحرف العربية.

العرب فى كوسوفا

مع ظهور الاسلام وقيام الدولة الاسلامية التى امتدت من أواسط آسيا إلى شمال الأنــدلس، تقـدم العـرب فى اتجاه المناطق الألبانية، وكان العرب المسلمون قد نجحوا فى فتح كريت وصقلية فى النصف الأول من القرن التاسع، وبذلك اقــتربـوا من مدخـل البحـر للادرياتيكى الـذى كان يتيح لهم



فى جمهورية يوغسلافيا

الوصول الى عمق أوربا، وقد سيطر العرب على هذا البحر لفترة من الزمن وتمكنوا من تثبيت أقدامهم فى جنوب إيطاليا، كما أسسوا إمارة عربية حول مدينة «بارى» على الساحل الغربى للادرياتيك، ثم إلتفتوا أخيراً الى الساحل الشرقى حيث كان يعيش الألبانيون.

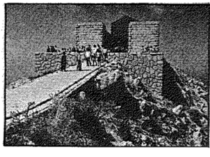


احدى قرى يوغسلافيا ويلاحظ فيها كثرة مساجدها ذات المآذن المرتفعة

العثمانيون فى كوسوفا

تقدم العثمانيون الى شبه جزيرة البلقان وانتصروا على جيوش التحالف البلقانى وخلال الحرب مع (صربيا) سقطت «كوسوفو» فى المعركة المسماة «حقل كوسوفا» سنة ١٣٨٩م، وبذلك حلت الدولة العثمانية محل بيزنطة للقيام بدور الوسيط والناشر لعناصر الحضارة والثقافة الشرقية والاسلامية بين سكان منطقة كوسوفا، ولقد عمقت التأثيرات الجديدة جذورها بحيث أن معظم هذه التأثيرات مازال موجوداً هناك فى شكل المساجد والتكايا وحلقات الدراويش والكلمات العربية والتركية والفارسية... الخ.

ظلت كوسوفا تحت حكم العثمانيين من ١٣٨٩م الى ١٩١٢م عندما اضطروا الى التخلى عن ممتلكاتهم فى شبه جزيرة البلقان عقب الحرب البلقانية سنة ١٩١٢م/١٩١٣م وهى الحرب التى منيت فيها تركيا بهزيمة لم تكن فى الحسبان.



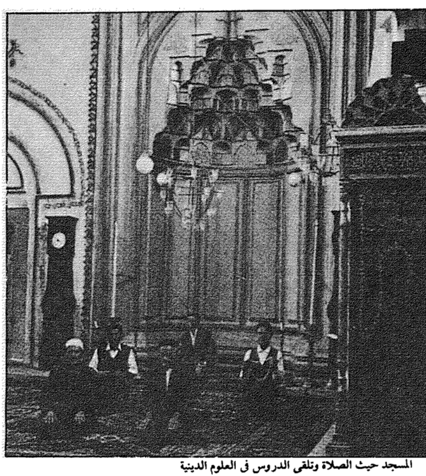
■ وفى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨م انضمت كوسوفا الى مملكة الصرب والكروات والسلاف ولكنها ظلت متخلفة بشكل مريب حيث احتلتها القوات الألمانية والايطالية والبلغارية أثناء الحرب العالمية الثانية، وقاوم الأهالى هذا الاحتلال بالاشتراك فى عمليات المقاومة للمحتل الأجنبى. وفى عام ١٩٤٥ أصبح اقليم كوسوفو جزءاً من جمهورية صربيا احدى الجمهوريات التى تتكون منها يوغوسلافيا الحالية بعد أن كان فى الماضى ولاية عثمانية.

ساطع الحصرى فى كوسوفا

فى عام ١٩٠٤ جاء ساطع الحصرى الذى يعتبره البعض أباً للقومية العربية الى ولاية كوسوفا العثمانية بعواطف عثمانية وقد كان «قائمقام» بالجيش، ووجد نفسه فى منطقة تشتعل بالحماس القومى،

نظرة ثقافية واجتماعية على أقليم كوسوفا

فوجد المسلم الألبانى يقاوم مقاومة مسلحة ضد المسلم العثمانى، وذلك لسبب آخر غير الدين.. وإنما يرجع ذلك الى شعوره المتميز بالقومية الألبانية.. وقد أدى ذلك الى إثارة المشاعر القومية التى كانت مترسبة فى أغوار نفسية المفكر العربى الكبير «ساطع الحصرى» الذى عاد من الولاية المذكورة سنة ١٩٠٨ بعواطف مختلفة أهلته لأن يلعب دورا آخر للتنظير من أجل القومية العربية ـ وقد أكد فيها بعد على تأثير هذه الاقامة على شخصيته التى تعرف فيها لأول مرة على الحقيقة القومية فى أوربا.



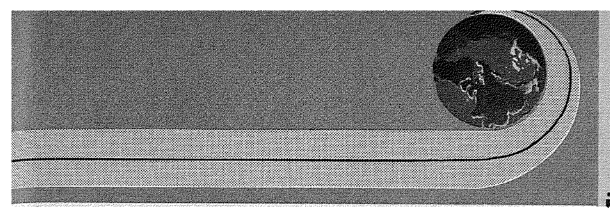
المسجد حيث الصلاة وتلقى الدروس فى العلوم الدينية

أثر الانتفاضة فى كوسوفا على الدول العربية

لقد أدت الانتفاضة الألبانية الكبيرة فى «كوسوفا» الى ظهور مد جديد للحركة التحررية فى المناطق العربية التى كانت خاضعة للدولة العثمانية. ففى اليمن على سبيل المثال كان لوصول الأخبار القائلة برفض الألبانيين الخضوع للسلطة العثمانية، أثرها فى قيام هبة جديدة للانتفاضة اليمنية ضد التواجد العثمانى هناك. وفى خلال هذه الفترة فى تشرين الأول سنة ١٩١٢ نشرت صحيفة المقتبس السورية «دعوة من كوسوفا» موجهة الى السوريين يطلب فيها أهلها المساعدة من سوريا، وقد رد حاكم دمشق «محمد عطا» على هذه الدعوة بأن السوريين لن يدخروا نقطة من دمهم فى الكفاح جنباً إلى جنب مع اخوانهم الألبانيين فى «كوسوفا». ونشطت المظاهرات التى كانت تعم شوارع دمشق وتطوع السوريّون فى الحرب ضد تركيا الى جانب اخوانهم الألبانيين فى ولاية «كوسوفا».

الثقافة العربية والاسلامية فى كوسوفا

فى العصر العثمانى وصل انتشار الاسلام الى ذروته فى ولاية كوسوفا. وتأصّل تشرّق المدن الى الحد الذى أصبحت فيه امتداداً للشرق فى تقاليده الاقتصادية والاجتماعية والدينيه وازدهرت



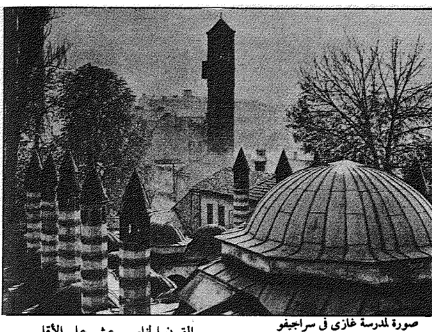
السائح

فى جمهورية يوغسلافيا

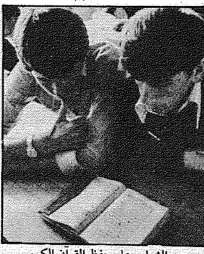
التجارة الداخلية وانفتحت المدن على بعضها، وتطورت الحِرَف وانتشرت المدارس الابتدائية والعليا، ومدارس تجويد القرآن وبيوت «المسافر خانة» التى كانت بمثابة فنادق مجانية لا يدفع فيها العابرون شيئا، والحمامات الخاصة والعامة. وكان الطلاب يتعمقون فى دراسة اللغة العربية الى جانب المواد الأصولية كالعقائد والتفسير.. الخ وكان العديد من المتخرجين يذهبون إلى مراكز الثقافة العربية الاسلامية، فى ذلك الوقت، مثل القاهرة ودمشق للتعمق فى هذه المواد.

كوسوفا مهد الشعراء

فى العهد التركى كان الشعر العربى والشعراء ظاهرة لها شأنها فى مجتمع «كوسوفا» وكان يقال بأن تلك البلاد ـ مهد الشعراء ـ وهناك العديد من الشعراء الألبانيين الذين كتبوا الشعر باللغة العربية وبالأوزان الخليلية مما يدل على أنهم كانوا يسيطرون على اللغة العربية لغة القرآن الكريم والدين الاسلامى الحنيف، وفى نفس



صورة لمدرسة غازى فى سراجيفو



حرص الشباب على حفظ القرآن الكريم



الوقت نجد أن المفردات والكلمات العربية بدأت فى الانتشار بين صفوف الألبانيين فى وقت مبكر منذ القرن الخامس عشر على الأقل.

■ ولقد قام كثير من الشعراء بترجمة نصوص الشعر العربى الى اللغة الألبانية التى كانت تكتب هى الأخرى الى وقت قريب بالحروف العربية ولقد قام الشاعر الألبانى المعروف (محمد تشامى) بترجمة قصيدة البردة للبوصيرى وما تزال مخطوطة حتى الآن، والى جانب ذلك يوجد العديد من الترجمات لكتابات دينية منقولة عن اللغة العربية الى اللغة الألبانية.

■ وهناك نوع من الأدب الألبانى المكتوب بحروف عربية، وقد شهدت الخمسينيات بداية الاهتمام بهذا النوع من الأدب فى إقليم «كوسوفا». ويعود الفضل الى المبادرة التى قام بها الاستاذ (مارك

الغزل من المهن اليدوية الشعبية الشائعة عندهم



كراسنيشى) الذى خدم هذا النوع من الأدب مع عدم معرفته للغة العربية - فضلا عن ذلك فلقد قام المستشرق اليوغوسلافى الأستاذ حسن قلشى بالبحث فى هذا الادب والتعريف به فى المجال الاستشراقى ومازال هناك الكثير من العمل لانجاز البحث عن مصادر الأدب الألبانى بالابجدية العربية.

ومن الشعراء لدينا الشيخ حلمى ماليتشى الذى يعتبر من أهم الشعراء الذين كتبوا الشعر الألبانى بالحروف العربية، وقد ولد سنة ١٨٦٥ بقرية قريبة من مدينة (بريزرن) وخلّف لنا مجموعة كبيرة من المخطوطات الشعرية التى مازالت تكابد الزمن وفى حالة جيدة فى الكلية المعروفة باسمه حتى الآن.

وهناك الشيخ فائق مالكو الذى ولد فى مدينة بريشتينا العاصمة.. وفى أشعاره الكثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية:

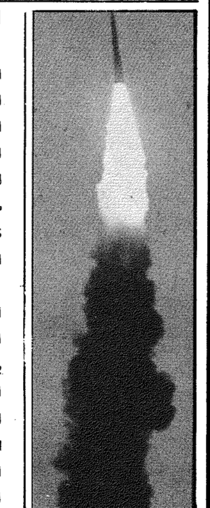
النفس تلهينا الآن
وتعمى قلوبنا
واذا أردت أن تطرد الشيطان
فقل من أعماق قلبك
لا إله إلا الله .. محمد رسول الله

الجـــــزء الثانـــــى

استـــراتيجيـــة الاحت

النـــووى الاسرائيـ

- نحن بصدد جانبين للردع النووى الاسرائيـ
- جوهر الاستراتيجية النووية الاسرائيلي
- امتلاك العرب للسلاح النووى مع بداية القر



الفلسطينيون فى مواجهة الاستراتيجية النووية الاسرائيلية

بين الاهداف الرئيسية للعقيدة النووية الاسرائيلية شطب المسألة الفلسطينية من الحياة السياسية العربية والدولية، ودفعها الى عالم النسيان باعتبار الاولوية المطلقة لشعوب يظهر السلاح النووى فى منطقتها، هو تجنب حدوث كارثة نووية بكل آثارها المدمرة لجميع اطراف الصراع.

سنبحث هنا في الاحتمالات المتعددة التى ينطوى عليها الخيار النووي الاسرائيلى فيما يتصل بمستقبل النضال الوطني الفلسطينى على الصعيدين الاقليمى والعالمي.

■ وهناك عدة مستويات للاهداف المتوخاة والنتائج المترتبة على ظهور العنصر النووي فى الصراع العربي الاسرائيلي فيما يتصل بمستقبل الاراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ والنضال الوطني الفلسطينى، غير ان الباحث يواجه صعوبة فى فصل هذا النضال عن ميدان المجابهة العربية لاسرائيل والتي تمثل دول المواجهة العربية المحيطة بها قواها الرئيسية فى حين تكاد الحرب الاسرائيلية ضد الفلسطينيين تأخذ بُعداً كونيا يتخطى حدود العالم العربى، وذلك حين يجري الحديث عن الاثار المحتملة لادخال السلاح النووى الى ميدان الصراع العربى الاسرائيلى سواء فى مرحلته القائمة «مرحلة الاحتكار الاسرائيلى» للسلاح النووي أو فى مرحلته القادمة المحتملة مرحلة «كسر

فى الحلقة السابقة من هذه الدراسة التحليلية الدقيقة تناول البحث مجموعة من النقاط ذات الاهمية الاساسية فى أ سلوب التحرك والتوجه الاسرائيلى نحو كل ما يرفع من قوته الدفاعية بل والهجومية ليستطيع بذلك ان يفرض قوته وسيطرته فى حالة نشوب حرب خاطفة ضد اسرائيل.. واسرائيل تضع فى ذاكرتها مدى القوة الاستراتيجية التى يتسلح بها العرب.. ولذلك فهى تسعى إ لى قوة الردع النووى.

(المنهل)



ردع السياسى السيكولوجى والردع المادى الملموس.

دى فى سياسة الحفاظ على احتكار السلاح الذرى.

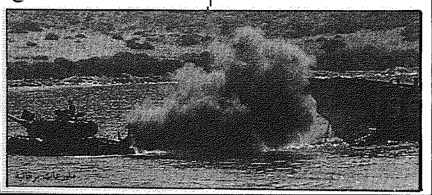
ادم هو احتمال وارد فى ذهن القيادة الاسرائيلية.

بقلم د. نافع محمد الحسن
- المغرب -

احتكار اسرائيل للسلاح النووى» وقيام حالة من «توازن الرعب» او «الردع النووي المتبادل» بين العرب واسرائيل، فملاحقة الفلسطينيين بواسطة الطيران الحربي الاسرائيلى الى اوغندا والقيام بعملية انزال فى مطار عنتيبى (يوليو ١٩٧٦) وقصف المفاعل النووي العراقى «تموزا» يوليو ١٩٨١ ومن ثم قصف مقر قيادة منظمة التحرير الفلسطينية بتونس (اكتوبر ١٩٨٥) وارغام طائرة مصرية تقل مناضلين فلسطينيين من قبل مقاتلات امريكية على الهبوط فى احدى القواعد العسكرية الامريكية فى ايطاليا (اكتوبر ١٩٨٥) يدل بوضوح على ان ميدان المجابهة مع اسرائيل يمتد فعلا الى مجال ابعد من دول المواجهة المباشرة، فالضربات العسكرية الاسرائيلية يمكن ان تنال اراضي دول عربية وحتى غير عربية بعيدة عن خطوط المواجهة مع اسرائيل ولكنها تشكل مأوى للفلسطينيين تحت ذريعة مواجهة «الارهاب» ومصادر التهديد «الكامن» او «الكافي» او «المحتمل» لأمن اسرائيل طبقا للصياغات المعروفة فى «العقيدة الامنية الاسرائيلية».

■ وهكذا فالبعد القومى للكفاح الفلسطينى واضح للعيان وليس بحاجة الى تأكيد كما ان سلاح الردع النووي الاسرائيلى معنون الى الدول العربية بشكل رئيسى، وهو يردع الدولة اكثر مما يخيف الثورة.

■ وقد لاحظنا ان إضعاف عوامل المواجهة العربية مع اسرائيل يؤدى حتما الى إضعاف الكفاح

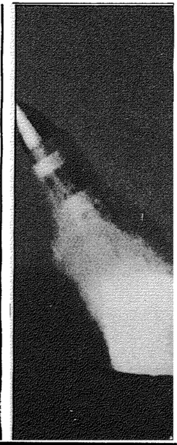


استراتيجية الاحتكار النووي الاسرائيلي

الفلسطيني ذاته خاصة فيما يتصل بالجهد العسكري والقتالي لمنظمة التحرير الفلسطينية المنطلق من مواقعها المنتشرة من الجزائر وتونس الى السودان ومن عدن وصنعاء الى

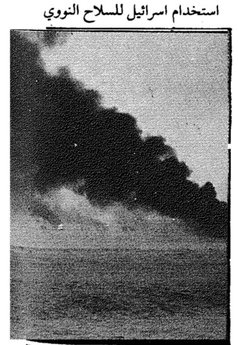


● التقنية الحديثة انتجت من اسلحة الدمار مايفوق التصور والخيال



بغداد وجنوب لبنان، فالضغط العسكري والسياسي الاسرائيلي المتزايد على الدول العربية ارغمها كما نعلم على محاصرة واقتلاع قواعد منظمة التحرير الفلسطينية، والتهديد الاسرائيلي للدول العربية مرشح للتصاعد والاستمرار وليس للتراجع ويحمل فى طياته اخبارا سيئة لقواعد منظمة التحرير الفلسطينية ومراكز قياداتها المنتشرة فى دول رضخت لما هو اقل من التهديد النووي وذلك في ظل حالة التمزق العربي وفقدان الارادة السياسية الموحدة والمستقلة القادرة على ايجاد رد على التهديد النووي الاسرائيلي.

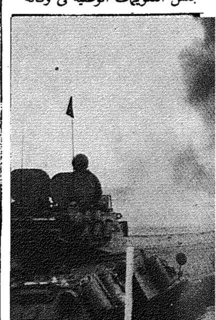
■ اذن نحن بصدد جانبين للردع النووى الاسرائيلي، الردع السياسى والسيكولوجي، والردع المادي الملموس والذي يتمثل فى استخدام القوة العسكرية تحت حماية المظلة النووية الاسرائيلية لضرب «التهديد المحتمل» بغض النظر عن مدى قربه او بعده من اسرائيل، وظلت المشكلة الرئيسية التى كانت ولا تزال تتطلب حلاً فى عقول الاستراتيجيين الاسرائيليين هى توفير مصداقية للردع النووي بعد ان تم انتاج السلاح النووي وادخاله الى القبو، ردع العرب عن اللجوء الى شن اى نوع من انواع الحروب المحدودة بما فيها حروب السحق الطويلة مثل حرب الاستنزاف، او حرب اكتوبر، الردع الذى يقوم على استخدام القوة العسكرية المجردة والردع السياسي والنفسي والناتج عن وضع العرب فى اعتباراتهم احتمال استخدام اسرائيل للسلاح النووي



فى المجابهات القادمة معهم.

غير ان هناك اهدافا اخرى للردع النووي، فقد جاء اول تبرير للتسلح النووي الاسرائيلي على لسان شمعون بيريز عام ١٩٦٠ حين تحدث الى صحيفة دافار الاسرائيلية اليومية بصفته المدير العام لوزارة الدفاع الاسرائيلية عن نظرية الجيش الاسرائيلي المتعلقة «بالاكراه» غير التقليدى، وفيها بعد عمد خبير اسرائيلي بارز فى برنامج التسلح النووى وهو يائير عفرون الى تفسير هذه النظرية على الوجه التالى: ان الحصول على نظام متفوق للسلاح يعني امكان استعماله للاكراه، اي اكراه الطرف الاخر على القبول بالمطالب السياسية الاسرائيلية التى يفترض انها تتضمن المطالبة بقبول الوضع القائم على الارض وتوقيع اتفاقية سلام مع اسرائيل(١).

■ وكان «شيرمان كنت» رئيس مجلس التقويات الوطنية فى وكالة



● نماذج من اسلحة الدمار



الاستخبارات المركزية الامريكية قد كتب مذكرة طويلة من ثماني صفحات الى مدير الوكالة عن موضوع «النتائج المترتبة على حصول اسرائيل على قدرة نووية» قائلا: اننا نعتقد ان الامر الاكثر احتمالا هو ان سياسة اسرائيل ازاء جيرانها قد تصبح اكثر تشددا لا العكس، وسوف تسعى اسرائيل لاستغلال المزايا النفسية الناتجة عن قدرتها النووية للتهويل على العرب ومنعهم من التسبب بالمشكلات على الحدود.. وسوف تستغل الى اقصى الحدود التوجه العربى المحتوم تقريبا نحو الكتلة السوفياتية، من اجل المساعدة ضد الخطر الاسرائيلى المتزايد، مستخدمة حجة كونها الصديق الوحيد الجدير بهذا الاسم للولايات المتحدة فى المنطقة بالنسبة الى قوتها والى امكان الاعتماد عليها، وسوف تستخدم الوسائل المتاحة لها كافة لإقناع الولايات المتحدة بالتسليم بحيازتها للقوة النووية وحتى بمساعدتها(٢) وقد جرى الافصاح عن هذه الاهداف بوضوح اكبر لاحقاً، فتطوير قوة نووية اسرائيلية هو الذى سيحضر العرب الى طاولة المفاوضات والرئيس المصري الراحل انور السادات حسب زعمهم بدأ مسار السلام ايضا بفعل المفاعل الذرى فى ديمونا. ويزعم شمعون بيريز وزير الخارجية الاسرائيلي ان الجنرال يغئال يادين روى له فى حينه انه فى الليلة الاولى التى وصل فيها السادات الى القدس اعترف له قائلا «ان ديمونا ايضا قد جلبتني الى هنا»(٣)، فالردع النووي وخطر الكارثة النووية من شأنه ان يخضع العرب ويقربهم الى طاولة المفاوضات والقبول بشروط اسرائيل، غير ان العرب الذين اقتربوا من الشروط الاسرائيلية قد فعلوا ذلك فى ظل التفوق الاسرائيلي الملموس فى السلاح التقليدى وليس النووي، ولأسباب اخرى لا ترجع للتفوق الاسرائيلى فى مجال السلاح التقليدى، الا انهم ـ اى الاسرائيليين ـ ارادوا اصابة عصفورين بحجر واحد اذ

● اضعاف عوامل المواجهة العربية مع اسرائيل يؤدى حتما الى اضعاف الكفاح الفلسطينى ذاته.

(١) ستيفن غرين، ص١٤٢-١٤٣.

(٢) من مقابلة لشمعون بيريز مع هيئة تحرير صحيفة معاريف ١٩٨٤/٧/١.

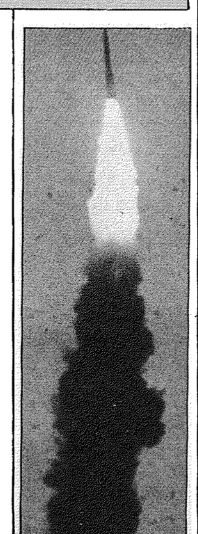
(٣) يوحنان راماتي «حل وسط اقليمية دافار ١٩٨٤/٥/١٥.

استراتيجية الاحتكار النووي الاسرائيلي

يعتقدون الى جانب تحقيق هذا الهدف انهم بذلك يقنعون الرأي العام المحلي والعالمي بضرورة وجدوى استمرار اسرائيل فى تطوير سلاحها النووى لتبرير النهج

● حين يبدأ سلاح غير تقليدى بالظهور فى أيدى العرب. كالسلاح الذرى.. فإن أى رد تكنولوجي عليه من جانب اسرائيل لن يكون مجدياً.

● واقع الاصطفاف الجديد لقوى المجابهة النووية العالمية الذى انخرطت فيه اسرائيل سيرفع من مكانة المنطقة العربية والنضال الوطنى الفلسطينى.



العدواني والتوسعي الغريزى للدولة الصهيونية.

■ ولعل من الاشياء المثيرة للانتباه هو كيفية الربط فى الفكر السياسي الاسرائيلي بين السلام المزعوم التي تنادى به الدولة الصهيونية والردع النووى، فحين تستنفد اسرائيل كافة الذرائع التى ساقتها والوسائل والمبررات والمطالب التى استخدمتها لإحباط جميع مساعي السلام العادل من الحرب الوقائية وشن الحروب الصغيرة، الى المطالبة بالحدود الامنة والمفتوحة امام التجارة والتسويق والسياحة مرورا باتفاق **«السلام المصرى الاسرائيلى»، وانتهاء «برفض مقايضة الارض بالسلام»** فقد اخذ البديل الذي يروج له ذوو الرؤوس الحامية يحتل مكان الصدارة فى

سلم الاولويات الامنية الاسرائيلية: انه الحل الوسط الاقليمي مقابل احتكار اسرائيل للردع النووى، فالاحتكار النووي هو الذى يضع حدا لمطالبة العرب بعودة اراضيهم، تحقيق فكرة الحل الوسط الاقليمى وهو التفسير العملي والتضليلي للسلام الصهيونى الممكن مع العرب والمتمثل بانسحاب اسرائيل من اجزاء فقط من اراضي الضفة الغربية وقطاع غزة مع احتفاظها بالسيطرة السياسية والامنية - والتقاسم الوظيفي للادارة مع الاردن يترك لاسرائيل خيارا امنيا وحيدا فحسب: دفاعا نوويا(٤)

■ هذا على الرغم من ان دعاة هذا الخيار يعترفون سلفا بأن الخيار النووي قائم فعلا قبل ذلك، فالتطوير النووي بدأ فى اسرائيل قبل وقت طويل من الشروع فى حملة التضليل السياسى حول الحل الوسط الاقليمى والتقاسم الوظيفى حيث بوسع الخيار النووى ان يساعد على ضمان وجود اسرائيل عندما تدور فى المقابل مفاوضات جادة بشأن حل وسط اقليمى، وذلك بواسطة الضغط عليهم (اى على العرب) بالسلاح النووى لا سيما اذا حققوا انجازات اولية كالتي حققوها فى حرب يوم الغفران(٥).

واخذ شمعون بيريز يعتبر هذا العنصر مصدر قوة وسببا للتفاوض بشأن حل وسط اقليمي قبل ظهور السلاح النووي فى الجانب العربى(٦).

■ وفى غضون ذلك ليس عسيرا ان نلمح الوظيفه السياسية المناطة بالاستراتيجية النووية الاسرائيلية، وهى الحفاظ على احتكار نووى يجرى استثماره فى الاسراع بتهويد الاراضى الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ وارغام العرب على التفاوض على اساس الشروط الاسرائيلية (رفض التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية، ورفض الاعتراف بحق الشعب الفلسطينى فى تقرير المصير) تمهيدا لغرض الامر الواقع عليهم، فحين يبدأ سلاح غير تقليدى بالظهور فى ايدى العرب كالسلاح الذرى فان اى رد تكنولوجي عليه من جانب اسرائيل لن يكون مجديا، وقد عكس شمعون بيريز نفسه المخاوف الاسرائيلية من احتمال التباطؤ وسوء استثمار التفوق الاسرائيلى الراهن لصالح استكمال انجاز المشروع الصهيونى بتهويد فلسطين وفرضه كأمر واقع على العرب وذلك حين اشار بوضوح قائلا **«اننى افكر بخوف من اعماق نفسي فيما سيحدث بعد (١٠-١٥) سنة عندما يتغلغل السلاح الذري فى الشرق الاوسط، انني اخشى ان يصل السلاح الذري الى العرب بعد عشر سنوات او خمسة عشر سنة، فاليوم لدينا ما لدينا وليس لديهم ما لديهم»**(٧).

■ وفى ضوء المتغيرات السياسية والامنية والتطور التكنولوجي المستمر فى تعزيز التفوق النوعي الاسرائيلي اخذ النقاش حول مصير الضفة الغربية وقطاع غزه يأخذ منحى مختلفا عما تعودنا عليه فى الماضى حول حاجة التكنولوجيا العسكرية المتقدمة لتوسيع المجال الجغرافي، ففى حين كان البعض يتوقع ان تخلي اسرائيل هذه المناطق اذا حققت لنفسها ردعا نوويا يضمن صميم وجودها فاذا بالخيار النووي يرفع من قيمة الاراضي والمجال الجغرافي ويحفز اسرائيل على مواصلة سياسة الضم والتهويد، فالخيار النووي يتطلب بدوره توسيع المجال الجغرافي وليس الامني فحسب، فلا يمكن للتكنولوجيا المتقدمة والسلاح النووي ان يحلا محل الارض، ففى رده على اولئك الذين يدعون الى امتلاك اسرائيل لردع نووي علني مقابل تخليها عن الضفة الغربية وقطاع غزه يقول مردخاي غور **«ان الادعاء بأن وسائل القتال المتطورة والسريعة والدقيقة تلغي اهمية الارض لحماية الدولة، او انها تمثل عمقا استراتيجيا بدلا من الارض يعتبر ادعاء كاذبا من اساسه، ويمكن القول عن يقين تام ان العكس هو الصحيح، فكلما كان السلاح سريعا ودقيقا واكثر فتكا كلما احتاج لمتسع اكبر للاستخبارات والقتال للتغلب عليه»**(٨).

■ وهكذا يتبدى اكثر فأكثر جوهر الاستراتيجية النووية الاسرائيلية فى الحفاظ على احتكار ذري مندمج فى سياسة الضم والتهويد المتبعة فى الضفة الغربية وقطاع غزة، وبسعيه لضم مناطق مأهولة بالعرب لانشاء دولة عظمى اقليمية «لعب شارون بنار موجودة، وبنار ذرية، وبدأت اللعبة بقصف المفاعل النووي العراقي وبتصريح علني من بيغن وشارون حول احتكار ذري اسرائيلي دمج فى سياسة الضم المتبعة فى الضفة الغربية وقطاع غزة»(٩).

وينضم الاكاديميون الى الجنرالات فى تبرير هذه التجديدات فى «العقيدة الامنية الاسرائيلية» فى ضوء المتغيرات الجارية، وبهذا الصدد يشير اكاديمى اسرائيلي الى انه بسبب التغييرات فى التكنولوجيا الامنية والتطورات المتوقعة فى الشرق الاوسط فان امن اسرائيل يتطلب سيطرة اسرائيلية على مناطق واسعة قدر الامكان بما فى ذلك يهودا والسامرة وقطاع غزه، ومرتفعات الجولان، وبالنسبة للامن الاستراتيجي فان السيطرة الامنية المطلوبة مرتبطة بالضرورة بوجود

---

(٤) *شلومو اهرونسون، بين المراخ والليكود.. الجزء الثانى، هارتس ١١/٧/١٩٨٤.*

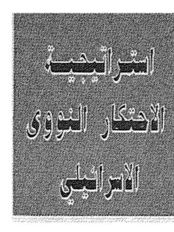
(٥) *شلومو اهرونسون، ذات المصدر السابق.*

(٦) *من مقابلة لشمعون بيريز، مصدر سبق ذكره.*

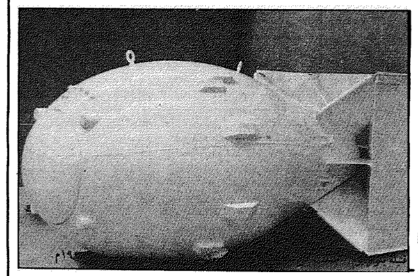
(٧) *مردخاي غور، عضو كنيست، وزير سابق للصحة «نقطة تحول» معاريف ٢٣/٩/١٩٨٧.*

(٨) *شلومو اهرونسون «بين المراخ والليكود.. مصدر سبق ذكره ١٠/٧/١٩٨٤.*

(٩) *بروفيسور يحزقيل درور «من الازمة الى الانطلاق: دور تاريخى لحزب العمل ومسلمات تتطلب التغيير، دافار ١١/٥/١٩٨٤.*



مستعمرات فى هذه المناطق . . ومن الناحية القومية، ينبغى التأهب لإمكان نشوب حروب متكررة من حين لآخر، وهذه الحروب من شأنها ان تتزايد خطورة وكلفة،



ومثل هذا الاحتمال المكرر يتطلب اقصى قدر من الجهد لتقليص احتمال الحرب من جهة، وإعداد الشعب للقدرة على الصمود فى الحروب من جهة اخرى، وهنا تندمج بالضرورة احتياجات الامن القومي فى رؤية عملية وصياغة متجددة لتعاليم الصهيونية . . ومن المؤكد ان اسرائيل لا تستطيع التخلي عن خيار المبادرة الى الحرب، سواء كأساس مصداق للردع، او كضرورة حتمية لمواجهة امكانات تعاظم قوى معادية سيكون من الصعب التصدى لها حقا(١٠)، ولقد جاء غزو لبنان من جملة اهداف اخرى لاعطاء مصداقية لهذا الردع الكوني المكثف(١١).

■ فمن يشن الحرب تلو الحرب ضد الشعوب العربية ويقوم بحملات الطرد والابادة الجماعية للشعب الفلسطينى ويقوم بعملية انزال فى عنتيبى ويقصف المفاعل النووى العراقي، ويدخل ثماني فرق الى لبنان ويحتل اول عاصمة عربية ويصنع فيها نظاما جديدا، ومن ثم يلاحق القيادة الفلسطينية ويقوم بقصف مقر منظمة التحرير الفلسطينية فى تونس لن يتردد فى اللجوء الى استخدام الاحتكار النووي المنسوب له منذ قصف مفاعل (اوزيراك) من اجل ضمان التهويد الابدي لفلسطين بكاملها، ولا يفكر مطلقا وبالتأكيد بالجلاء عن الضفة الغربية وقطاع غزة.

■ ان كون امتلاك العرب للسلاح النووي مع بداية القرن القادم هو احتمال وارد فى ذهن القيادة الاسرائيلية بالرغم من خططها القاضية باحباط مساعي التطوير النووي فى العالم العربى فانها تجهد فى استثمار الاحتكار النووي الذى تحتفظ به فى توفير مظلة نووية رادعة لخطط تهويد فلسطين المحتلة ومواجهة العرب بالامر الواقع.

فهم يلمّحون اليوم الى «قنبلة فى القبو وتأهب للردع» ويتحدثون عن احتكار السلاح النووى كوسيلة لردع العرب وقهرهم واجبارهم على الخضوع للامر

الواقع الذى تمليه اسرائيل بدلا من خيار الاستجابة المسؤولة للسلام العادل والشامل، ومن شأن هذه السياسة ان تزيد خطر الحرب فحسب وتعرض شعوب المنطقة للدمار الشامل، وتزج بها في دوامة سباق تسلح مدمر ونزيف اقتصادى دائم وتترك مصيرها معلقا برغبات العنصريين الصهاينة ذوي الرؤوس الحامية وتضعه بمنتهى الاستهتار بمتناول الخطأ وسوء التقدير.

■ ان عنصر التجديد الذى يجب ان نلحظه في «العقيدة الامنية والاسرائيلية» واضح للعيان فاذا كانت المناداة باللجوء الى الردع النووي تجري في الماضى لمواجهة ما يسمونه التهديد الفعلي لحدود اسرائيل قبل يونيو ١٩٦٧م فان اللجوء الى هذا الخيار فى المستقبل سيتم فى ظل اجراء تعديلات فى حدود الضفة الغربية وبقاء الجيش الاسرائيلى على حدود نهر الاردن حسب مدرسة طبنكين فنظر احدوت هعفودا وهو الامر الذى سعى اليه بيغال آلون منذ عام ١٩٤٨م(١٢).

■ ويتلخص جوهر هذا التجديد فى الفلسفة الامنية التقليدية فى استخدام عنصر الردع النووى من خلال كفاءة السلاح النوعي الاسرائيلى فى ممارسة الردع التقليدى ليس من اجل ضمان صميم وجود اسرائيل فى حدود ١٩٦٧م، فحسب ولكن من اجل تعزيز منجزات الكولونيالية واحتفاظها بالسيطرة على المناطق الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧م وتجد هذه السياسة تعبيراتها فى قيام اسرائيل بمناورات سياسية معقدة فى ظل تفوقها النوعي فى السلاح التقليدي وغير التقليدى لكسب الوقت وفى غضون ذلك توحي باستعدادها لاقامة سلام مع العرب غير واضح المضمون، بذات الوقت الذى تواصل فيه عمليات الاستيطان والضم والتهويد وقضم الاراضى الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ قطعة قطعة ومصادرة مصادر المياه فيها، وتقوم بمراقبة نمو القوة العربية العسكرية والتكنولوجيا وجرها الى مجابهات غير محسوبة وغير متوقعة وتدمير عناصر قوتها النوعية والانقضاض على محاولات التطوير النووي العربي وتدميرها فى المهد.

■ وتعول القيادة الاسرائيلية فى هذا السياق على نتائج لا تقل اهمية لمناوراتها السياسية، فمن شأن اطلاق ما يسمى بمبادرات السلام الاسرائيلية «تقاسم وظيفى» «حل وسط اقليمى» وايهام العرب بالموافقة على عقد المؤتمر الدولي على اساس قراري مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨ شريطة ايجاد حل للتمثيل الفلسطينى بما يلغى مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطينى وعلى قدم المساواة مع الاطراف الاخرى فى هذا المؤتمر ان يؤدى الى احتدام الخلاف بين الاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية حول التمثيل الفلسطينى ومستقبل الضفة الغربية وقطاع غزه والذي سيأخذ بُعدا عربيا فتتفاقم الخلافات وتتعمق حالة التمزق العربية، فيما تواصل اسرائيل تنفيذ خطط القضم والتهويد فى ظل ارتفاع صخب الخلافات العربية.

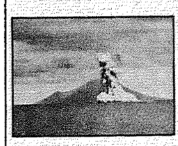
وهكذا يوصلنا واقع السياسة الاسرائيلية الى استنتاج شديد الوضوح وهو ان وجود السلاح النووي بيد اسرائيل ليس عامل تشجيع لها على الوصول الى تسوية عادلة وحقيقية مع العرب بقدر ما

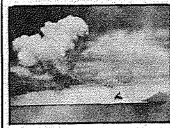
● التهديد النووى فى ظل «توازن الرعب» العالمى النووى المتبادل لا يشكل قيدا على كفاح التحرر الوطنى»

هو وسيلة ردع وضغط لفرض الامر الواقع عليهم واخضاعهم وانتزاع موافقتهم على تسوية اسرائيلية، لهذا وجدنا بيريز ينحي باللائمة على سياسة الليكود لانها لا تضمن تجنب جولة اضافية من الحروب مع العرب حيث ينبغي كما يقول بيريز

(١٠) شلومو اهرونسون «بين المعراخ والليكود» الجزء الثانى، مصدر سبق ذكره.
(١١) شلومو اهرونسون، استراتيجية اسرائيل النووية، على همشمار ١١/٤/١٩٨٥.
(١٢) من مقابلة لشمعون بيريز، مصدر سبق.









«ان نكـون اسخيـاء في الكلمات وليس فى المناطق، اما الليكود فانه يتبـع الـطريق المعكـوس الـذى يدعـوهم جميعـا الى المـواجهـة» ويتسـاءل «لمـاذا لا نكـون اكثـر سخـاء فى التصريحـات، نبـدي المرونة فى الرغبة فى المفاوضات، وهناك فقط حول طاولة المباحثات نبدي التصلب»(١٣).

■ وفى هذا السياق يعتقـد القادة الصهاينة انه كلما تقادم الزمن على وجـودهـم واحتــلالهم للاراضى الفلسـطينية والعربية الاخرى فان العالم سيصبح اكثر تكيفا مع هذا الواقع وقبولا به وقد عكس الياهو بن اليسـار رئيس لجنـة الخـارجية والامن السابق فى الكنيست تفكير صانعي القرارات فى اسرائيل حين اعلن انـه لا يوافق على ان صورة اسرائيل فى الدول الغربية وليس فى اوروبـا فخــب ـ هى صورة كولـونيالية عسكـرية، هناك اليوم اكثر من اي وقت مضى تكيف مع الـوضع القائم، ومن الواضح ان الاحتياجـات والضرورات الامنية لاسرائيل تتـطلب بقـاءهـا على الخـطوط والحدود الحالية(١٤)، اما اسحـاق شامـير رئيس الـوزارة الاسرائيلية فيرى بأن تخفيف وتيرة الاسـتيطان لن يؤدى الى اجمـاع قومي وانـما الى اضعـاف موقفنـا الدولي وسيلحق ضررا بأمن الدولة ووضـع اية علامة استفهام كانت على الاستيطان سيقـوض المبـدأ الاسـاسي المتعلق بحق اليهـود فى العيش فى اي جزء كان من ارض اسرائيل(١٥).

■ وعـلى الـرغـم من ان بعض البـاحثين الاسـتراتيجيين افضى بآراء تدعو الى «انهاء السيطرة على اعـداد كبـيرة من العـرب قدر الامكـان عنـدمـا تنضج الظروف لذلـك، وذلـك نظرا لاحتمال ان تصبح المناطق المأهولة بالعرب التى تسيطر عليها اسرائيل فتيل تفجير لحرب ذرية، لكن الدعوة الى انهاء السيطرة على اعـداد كبـيرة من العرب لا تعني التخلي العسكرى والامني عن الاراضى الفلسطينية المحـتلة فهم ينـظرون الى نظام الـردع النـووى باعتبـاره عامـلا يستدعى البقاء فيها «فلا حاجة الى الانسحــاب الى حدود ١٩٦٧م بحماية الردع النووى، فالانسحاب سيضع اسرائيل تحت حماية الردع النـووى وحـده ويشل قدرتها على استخــدام الجيش التقليدى ولن يمنحهـا متسعـا من الوقت ومجالا للمنـاورة للحؤول دون استخدام السـلاح النـووي ضد خصم من شأنه ان يقع فى اغراء مهاجمتها فى خاصرتيهـا الضيقتـين ما قبـل حزيران/ يونيو ١٩٦٧»(١٦).

وهــكــذا يلاحظ ان تورط اسرائيل فى خيارها النووي قد عزز الاتجاهات القوية فيها والتى تدعو الى رفض الانسحـاب من الضفة الغربية وقطاع غزه لان الانسحاب الى حدود عام ١٩٦٧م من شأنه ان يضـع اسرائيل تحت رحمـة الـردع

النووي فحسب.

■ وهكـذا يبرز الخيار النـووي الاسرائيلي بكـونه عاملا يستدعى ضم الاراضي الفلسـطينية المحتلة عام ١٩٦٧م الى اسرائـيل ولـيس الـعـكس، ويشـير واحـد من الاحتمالات المرصودة بهذا الصدد الى ان التخلي عن معظم المناطق الفلسـطينية المحتلة عام ١٩٦٧م بعد اقامة قوة نووية اسرائيلية بدون انخفاض مستوى النزاع لا يشكل حلا لمشـاكـل اسرائـيل الامـنية فاسرائيل فى حدود ١٩٦٧ اكثـر حساسية لأعمال المقاومة والاحتياج المحـدود وحـرب الاستنزاف كون مراكـزهـا السكـانية قريبـة من الحدود، فاذا كانت هذه الاراضي على ضآلـة مسـاحتها حيوية لأمن اسرائيل، فان الانسحـاب منهـا خطر على الـرغـم من حيازتهـا لوسـائل الـردع النـووي ويشـير (افـرايم عنبر) بهذا الصدد الى ان «الاستراتيجية الاسرائيلية تتطلب الاحتفـاظ بالمنـاطق التى احتلت عام ١٩٦٧ من اجل حماية المرافق النـووية من الهجـمات الفجائية، فالمسافات القصيرة التقليدية التى يمـكـن ان تشـنهـا وحـدات كومانـدوس ومدفعية وصواريخ، تعتـبر بصورة عامة عقبة امام بناء قوة الضربة الثانية(١٧).

■ واذا انتقلنـا الى مجال التأثيرات المحتملة للردع النووي الاسرائيلي بمختلف موديلاته واحتمالاته على النضـال الوطني الفلسطيني، فان هذه الخـيارات لا تشـكـل حلا لمشـكـلة الاحتـلال الاسرائـيلي للضفة الغربية وقطاع غزه.

فالاسلحـة النووية لا تشكل حلا لدولة مثل اسرائيل تقوم على ارض لا يزال يعيش عليها نصف شعبهـا الاصـلي، كما لا تشكـل بديلا للجيش التقليدى الـذى لا زال عليه القيام بأعـمال القمـع الـداخـلي ومـواجهـة الانتفاضات الشعبية واعمال المقاومة المسلحة الفلسطينية.

■ وبـرأينـا انه لا يمكن اخضاع شعب اخـر وضمان السيطرة عليه بسلاح الردع النووي مهما تنوعت وتعـددت موديلاتـه واحجـامـه وخياراته، فهذا السلاح بحد ذاته غير قادر على منـع مستويات اقل من الصـدام بالسلاح التقليدى، وبواسطة الجيوش الكثيفة المشتبكة فى ميادين القتال الواسعة، وقد فقد الـردع النووي مصداقيته حتى فى ذلـك النـوع من المجابهات بفعل القيود المحلية والدولية التى تحد من حرية استخدامه، وكذلك فى تلك الحـروب التى استطاعت حركات التحرير الثورية والشعبية الزج فيها بعشرات الالـوف من المقاتلين فى ميدان الصراع المسلح، فحـرب التحـرير الـوطنية الفيتنـامية ضد الجيش الامـريكى والتى لم تعـد محدودة منذ عام ١٩٦٨م أوقعت فى صفـوف القوات الامريكية (٥٥) الف قتيل و(٢٢٥) الف جريح، فضلا عن (٥٦٧٨) طائرة اسقطها الفيتنـاميون وخسائر مادية كلفت خزينـة الـولايات المتحـدة وفق الاحصـائيات الـرسمية (٢٢٠) بليون دولار، فأصبحت الحـرب بذلـك متـطورة وحـرب مواجهـة واسعـة، دمـرت الاجمـاع الوطنى الامـريكـى حولهـا واضـعـفـت اسـتراتيجية امريكا مع حلفائها، وعجز الردع النووى الامريكى عن ايقاف حرب التحرير او وضع حد لها والتى انتهت كما هو معـروف بهزيمـة مذلـة لجيش الـولايات المتحدة الامريكية، فكانت حرب فيتنام هى ثاني حرب تتعرض فيها الـولايات المتحـدة للاذلال منـذ الحرب العالمية الثانية حين اقدمت اليابـان على تدمـير الاسـطول الامـريكـى فى بيل هاربـر، ولا يمكن ان نتجاهـل بالتأكيد دور الـردع النـووي السوفياتى المقابل والذى ارغم الولايات المتحدة على ابقـاء اسلحتهـا النـووية فى القبو والحؤول دون استخـدامهـا ضد الشعب الفيتنامي كما استخدمتها ضد الشعب اليابانى عام١٩٤٥م.

---

(١٣) من مقابلة اجراها عاموس بن - ورد مع الياهو بن اليسار، هارتس ٢٢/ ٦/ ١٩٨٤.

(١٤) من مقابلة أجراها عاموس بن - ورد مع اسحاق شامير، هارتس ٢٠/ ٧/ ١٩٨٤.

(١٥) شلومو اهرونسون «استراتيجية اسرائيل النووية». مصدر سبق ذكره، عل همشمار ٢٩/ ٥/ ١٩٨٥.

(١٦) د. افرايم عنبر، محاضر فى قسم العلوم السياسية لجامعة بار - ايلان «الوهم النووى» سكيراه حودشيت (مجلة ضباط الجيش الاسرائيلي) التقرير الشهرى العدد السابع ٣٠/ ٨/ ١٩٨٥.

(١٧) يوسف ميخاليسكي «اسرائيل او دولة ثنائية القومية» دافار ٢٩/ ٥/ ١٩٨٧.

استراتيجية الاحتكار النووي الاسرائيلي

صاروخ ينطلق من مدرعة



فالتهديد النووي فى ظل «توازن الرعب» العالمي النووي المتبادل» لا يشكل قيدا على كفاح التحرر الوطني والتى تمتزج فيه اشكال النضال السلبية البسيطة (التظاهرات الاضرابات، عمليات العصيان المدني، العمليات الفدائية الفردية والجماعية الخاطفة) بتلك الاشكال الارقى والتى تضعها فى مصاف المجابهات الواسعة والكثيفة للجيوش والمتمثلة بالعمليات العسكرية الواسعة لقوات المقاومة الوطنية، ومن جهة اخرى فقد الردع النووي اى اثر له فى حروب التحرير الوطنية المدعومة من الاتحاد السوفياتى على وجه التحديد. فإلى جانب فيتنام والحرب الكورية تعتبر كوبا الدولة مثالا اخر على تحدي الردع النووي الامريكى فى الظروف العالمية الجديدة.

■ لقد امكن لشعوب كثيرة ان تخوض معارك تحرير وطنية طويلة وشرسة فى ظل توازن الرعب النووي بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتى وامكنها ايضا ان تتحرر وتنال استقلالها.

غير ان التطور النوعي فى وسائل الحرب والمواجهة الاسرائيلية التقليدية وغير التقليدية الاسرائيلية مع العرب قد يرفع الكلفة والتضحيات فى الجانب الفلسطيني والذى اعتاد الشعب الفلسطيني على تقديمها وقد يحد من عمليات المقاومة الفلسطينية التى تتخذ من الاراضى المحيطة بفلسطين المحتلة منطلقا لها ولكنه ليس فعالا الى الحد الذى يهدد بالقضاء عليها، فالتهديد النووي او شبه النووي لا يتضمن استخدامه، بل يعنى ردع العرب ودفعهم الى مزيد من حملات التطويق والحصار والتصفية للمقاومة الفلسطينية فى الخارج، وهو الامر الذي نجحت اسرائيل فى تحقيقه الى حد كبير بواسطة الردع الممارس بالسلاح التقليدى.

■ وكما اسلفنا فان امتلاك اسرائيل للسلاح النووي لا يمنع بدوره حدوث قتال اقل من الحرب الشاملة التى تهدد وجود الدولة الصهيونية فى الصميم وهو بهذا المعنى لا يشكل قيدا على النشاطات العسكرية الفلسطينية الا بمقدار ما تتعرض الدول العربية ذاتها التي تنطلق هذه النشاطات من اراضيها

للضغوطات الاسرائيلية العسكرية والسياسية ومدى استجابتها لها. وقد يمنع الردع النووي الاسرائيلي هجوما عربيا مدمرا بالسلاح التقليدى ولكنه لن يحول دون وقوع هجمات فدائية وانتفاضات شعبية يقوم بها الشعب الفلسطينى ضد عدو نووي يعيش معه فى نفس البيت ولكنه يفتقد القدرة على تنفيذ تهديده باستخدام سلاحه الجديد طالما يعي بأن ذلك يشكل انتحارا ذاتيا بقدر ما هو افناء للاخرين وطالما ظل بامكانه اللجوء الى خيارات اخرى اقل من الكارثة النووية، وهكذا فالردع النووى يفتقد الى المصداقية فى مواجهة النشاط الوطنى المقاوم للشعب الفلسطينى فى فلسطين المحتلة، فلا يستطيع اى ردع نووي ان يحد منه على الاطلاق، وفى حالة وجود توازن نووي فان اى ردع نووى اسرائيلى سيكون غير ناجع ضد الحروب المحدودة ناهيك عن عمليات المقاومة الفلسطينية الشعبية والمسلحة.

■ وبهذا المعنى فإن كفاح الشعب الفلسطينى فى فلسطين المحتلة بالذات يبقى الوحيد القادر على ابطال مفعول الردع للسلاح النووي الاسرائيلى وشله والحيلولة دون استخدامه وبالتالي كشف وهم الردع النووي الأسرائيلى، واذا ما اخذنا بعين الاعتبار ان الدول العربية ليس فى واردها خوض حرب تحرير شاملة ضد اسرائيل، ولا تمثل الانظمة السائدة فيها فى نظر الاسرائيليين تهديدا حقيقيا لوجودها فان الشعب الفلسطينى المتشبث بتراب وطنه فى فلسطين المحتلة هو وحده الذى سيكتشف كم كان بدون طائل استنزاف المال والجهد وهدر الطاقات من اجل انتاج قنبلة نووية

● امتلاك العرب للسلاح النووى مع بداية القرن القادم لم هو احتمال وارد فى ذهن القيادة الاسرائيلية

يستحيل استخدامها داخل البيت فى الصراع مع الشعب الفلسطيني دون افناء جميع ساكنيه من اليهود والفلسطينيين على حد سواء وذلك كما استحال استخدامها ضد شعوب جنوب افريقيا وناميبيا من قبل حكومة الاقلية البيضاء العنصرية فى بريتوريا والتي تتعاون تعاونا وثيقا مع شقيقتها الدولة الصهيونية فى مجال البحث والتطوير النووي واجراء التجارب النووية كما حدث عام ١٩٧٩م، وكما استحال استخدامها من قبل الولايات المتحدة ذاتها والتى واجهت فى فيتنام امس هزيمة عسكرية فى تاريخها.

■ فالتهديد برد فعل نووى على اعمال المقاومة العسكرية والانتفاضات الشعبية امر لا يمكن وقوعه ولا يمكن تصديقه، لهذا تنطوى السنوات القادمة سواء احتفظت اسرائيل باحتكارها للسلاح النووي او نجح العرب فى ايجاد ردع نووي مقابل على صعود مكانة النضال الوطني الفلسطينى فى المواجهة العربية مع اسرائيل وتصدره مكانة ممتازة باعتباره القوة الرئيسية فى هذه المواجهة والتى يعجز السلاح النووي وشبه النووي او السلاح الدقيق والذخيرة الحية وقنابل النيوترون عن ردعها وسيبرز باعتباره الضعيف الذى يقهر عملاقا، فيصبح نقطة التركيز ويستقطب الاهتمام ويستحوذ على الدعم الرئيسي باعتباره القوة الرئيسية فى الصراع العربى مع اسرائيل بدلا من الجيوش التى قد يجمد الرعب النووي حركتها فى المجابهات القادمة والمحتملة مع اسرائيل، وفي هذا المجال سيبرز العامل الفلسطينى من جديد باعتباره العائق الوحيد الذى سيمنع العرب من الرضوخ الى التهديد النووي الاسرائيلى ويحفزهم على ايجاد رد نووي على اسرائيل.

■ وعليه فان تطوير حركة وطنية فلسطينية موحدة، صلبة ومتماسكة في فلسطين المحتلة وتحت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية وبحيث تشمل الفلسطينيين فى الاراضى المحتلة الفلسطينية عام ١٩٤٨م وتلك التى احتلت عام



● لا يمكن اخضاع شعب والسيطرة عليه بسلاح الردع النووى مهما تنوعت وتعددت أحجامه.



١٩٦٧م يحتل اهمية خاصة فى افشال اهداف الردع النووى الاسرائيلي، وهذا يقتضى ان يصبح النضال الوطني الفلسطينى فى فلسطين المحتلة موضع التركيز ومركز الاستقطاب وان يتمتع بدعم مطلق من قبل القيادة الفلسطينية والشعب الفلسطينى فى اماكن الشتات بالاضافة الى ما هو ممكن من الدعم العربى والعالمي وذلك للحيلولة دون القضاء على الشخصية الوطنية والهوية القومية للشعب الفلسطيني وزيادة ثقله فى الصراع مع الدولة الصهيونية وتعويض الفقدان المحتمل فى السنوات القادمة للثقل العسكرى العربى فى الصراع مع اسرائيل والذى قد تتمكن من تحييده او تجميده بفعل العوامل الجديدة التى قد يفرضها الاحتكار الاسرائيلى للسلاح النووي او توازن الرعب المحتمل على المدى البعيد بين العرب واسرائيل، الا ان السلاح النووى ليس اكثر الاسلحة خطرا وقدرة على تجميد القوة العربية او تحييدها، فاحتمالات اصطياد اقطار عربية اخرى بشبكة السلام الامريكى الاسرائيلى لا تزال قائمة، فبهذه الوسيلة فحسب وليس بالردع النووي جرى اخراج مصر القائدة بثقلها البشري والعسكرى من ساحة الصراع العربى مع اسرائيل والذى يمثل خطرا اكبر على الحقوق الوطنية الفلسطينية والنضال الفلسطينى من امتلاك اسرائيل للسلاح النووي.

غير اننا لا نستثنى المفاجآت ليس فى جانبها السلبى فحسب بل وفى جانبها الايجابى فى منطقة هى وطن نموذجى للمفاجآت التاريخية التى قد تقلب مسار الاحداث رأسا على عقب ويجرى فيه الانتقال من عهد الى عهد بحدة لا مثيل لها، الامر الذى كان ولا يزال يبعث على حيرة وذهول العلماء والمحللين المختصين ازاء ما يبدو من فقدان لآثار فعل قوانين التطور الموضوعية الاجتماعية والتاريخية والحكمة والمنطق فى السلوك السياسى فى المنطقة العربية.

■ واذ نترك للشعوب العربية والاجيال العربية القادمة ايجاد رد على التحديات الجديدة امام الشعوب العربية فانه يصح القول ان الشعب الفلسطينى ليس بدون رد على الخيار النووي الاسرائيلي، بل ان الشعب الفلسطينى وحده يمتلك الرد على القنبلة النووية الاسرائيلية: انها القنبلة البيولوجية على حد تعبير الاخ ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، واسرائيل لن تستطيع دائما التمتع بمزايا الاحتكار النووي دون ان يتضمن فى حد ذاته شرورا اكبر على اليهود انفسهم فى مواجهة ملايين عديدة من العرب وعالم عربى مترامي الاطراف وطاقات مالية وثروات طبيعية هائلة وفلسطينيين يواجهون

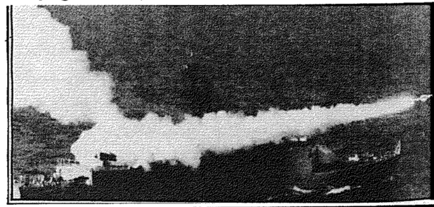
بتجاهل وسخرية التهديد النووي الاسرائيلي، فاسرائيل التى لم تقم دولتها فى اى يوم من الايام لا فى التاريخ القديم ولا فى الزمن المعاصر على كامل ارض فلسطين التاريخية كانت تواجه دائما مأزقها الحتمي على يد هؤلاء الذين لم تستطع تهجيرهم من وطنهم أو تتغلب على ارادتهم والذين يتمتعون بدعم وتضامن محيطهم الطبيعي.

■ وفى ضوء استقراء الظروف الخاصة جدا للصراع الفلسطينى الاسرائيلى والنماذج المختلفة للردع النووي التى عرفتها البشرية منذ الاعلان عن اول تفجير ذرى امريكى فى يوليو ١٩٤٥ ان الشعب الفلسطينى قادر على توفير «الردع الديمغرافى» من خلال التكثيف الديمغرافى واطلاق المبادرات والتشجيع المادى والمعنوى لعمليات الولادة والتكاثر الفلسطينى فى فلسطين المحتلة بالذات وخلق حالة من (التزاحم الديمغرافي) لإفشال جميع السيناريوهات الاسرائيلية المحتملة بشأن استخدام الردع النووي التكتيكى او شبه النووي او المختلط وغيرها من وسائل التفوق التقليدية مثل القذائف الذكية والدقيقة التصويب وشل قدرتها على استخدامها ضد الشعب الفلسطينى، فهناك صعوبة فى رسم حدود لميادين المجابهة مع المقاومة الفلسطينية فى مناطق متداخلة او شديدة الاقتراب ومزدحمة بالسكان العرب واليهود الامر الذى يعقد استخدام قنابل النيوترون او السلاح النووي التكتيكى، والذى لا يمكن استخدامه الا فى ميادين القتال البعيدة عن فلسطين المحتلة. اذن الرد بواسطة العنصر البشرى هو احدى وسائل الرد الفلسطينى على الردع النووى الاسرائيلى.

■ وقد فشلت اسرائيل حتى الان وطوال سنوات احتلالها للضفة الغربية وقطاع غزه فى ايجاد القوة البشرية اللازمة لتغطية هذه المناطق بالمستوطنات المجدبة اقتصاديا وأمنيا باستثناء اقامة حزام بشري وامني حول مدينة القدس بعد «ضمها وتوحيدها» وبعض الجزر الاستيطانية المتناثرة هنا وهناك والذى لا يزيد عدد مستوطنيها على (٥٠٠٠٠) شخص توزعوا على مجمعات استيطانية يتراوح عدد سكان كل منها ما بين (٣٠٠-٤٠٠) شخص وذلك على الرغم من الجهود المضنية المدعومة بالحوافز والاغراءات المادية والمعنوية التى بذلتها اسرائيل مدعومة من الحركة الصهيونية العالمية والكونغرس اليهودي العالمي على امتداد عشرين عاما تلت عدوان يونيو ١٩٦٧م، فما سمي فى اسرائيل بالروح الطلائعية والريادة اليهودية فى الاستيطان استنفذت واخذت تفقد حوافزها وزخمها القديم، هذا علاوة على الوتائر المتصاعدة نسبيا للهجرة اليهودية المعاكسة من اسرائيل.

■ وبالمقابل نشير الى الوتيرة المرتفعة نسبيا لتزايد السكان العرب الفلسطينيين فى فلسطين المحتلة فلا تزال ماكينة الانجاب الفلسطينية تعمل بكل طاقتها وهناك امكانية لرفع هذه الطاقة. فقد ذكر مكتب الاحصاء المركزى الاسرائيلى فى اخر احصائية له صدرت فى اكتوبر ١٩٨٧ ان عدد العرب الفلسطينيين فى حدود عام ١٩٦٧ بلغ سبعمائة واربعة وسبعين الفا (٧٧٤٠٠٠) وبلغت نسبة الزيادة بين السكان الفلسطينيين ٣٪ خلال عام ١٩٨٦ مقابل ثلاث ملايين وستمائة الف يهودى بلغت نسبة الزيادة بينهم ١٫٣٪ واذا

بارجة تقذف صاروخ سطح سطح



استراتيجية الاحتكار النووى الاسرائيلى

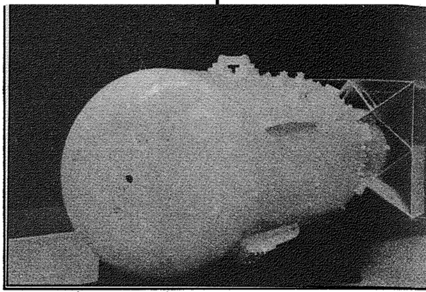
طائرة تحمل صواريخ جو أرض

اضفنا الى عدد السكان الفلسطينيين فى حدود ١٩٦٧، مليون واربعمائة الف هم سكان الضفة الغربية وقطاع غزه يصبح عدد الفلسطينيين فى فلسطين التاريخية المحتلة (٢٫٢٧٤) مليون، واذا افترضنا ان اليهود سيتزايدون بنسبة ٥ر١٪ سنويا فإن عددهم عام ٢٠٠٠ سيصبح اربعة ملايين وربع المليون (٤٫٢٤٨) مليون يهودى على اساس الموازنة بين نسبة الوفيات المتوقعة والهجرة المعاكسة ومعدلات الهجرة المتوقعة الى اسرائيل خلال السنوات القادمة مقابل (٣٫٩٢٦٤٠) مليون عربي فلسطينى على افتراض ان الزيادة السنوية ستستمر بنفس النسبة الحالية ٣٪، اما الوفيات فيعادلها الزيادة المتوقعة فى نسبة الانجاب الحالية والمتوقع وصولها الى ٥ر٤٪ حتى عام (٢٠٠٠) غير ان تقديرات اخرى صادرة عن البروفيسور اليهودي ارنون سوفير عالم الجغرافيا بجامعة حيفا يؤيده فيها اللواء احتياط اهارون ياريف تشير الى انه سيكون فى فلسطين المحتلة عام ٢٠٠٠ حوالي (٣ر٤) مليون يهودي، مقابل (٧ر٣) مليون عربى على اعتبار ان استمرار الهجرة المعاكسة من اسرائيل ستستنزف سنويا ما بين (٥ر١٥) الف يهودى سنويا(١٨).

ويقدم موشيه سيكرون وتسفي ايزنباخ تقديرات متقاربة مع هذه النسب حيث يتوقعان ان يصل عدد السكان الفلسطينيين فى فلسطين المحتلة بكاملها عام ٢٠٠٠ (٣ر٣) مليون نسمة، مقابل ٣ر٤ مليون يهودى مع الاخذ بعين الاعتبار التوازن بين الولادات من جهة والوفيات والهجرة من كلا الجانبين من جهة اخرى(١٩).

■ ويقول (سوفير) معلقا على هذه التقديرات «ان من يعتقد ان السياسة الاسرائيلية الحالية تقود الى كارثة على نطاق قومي، ينبغي ان ينضم الى جماعة المفسرين اليهود ارض اسرائيل، ان عليهم التحرر من اسر الفرضيات التى ولى اوانها واذا لم اجد آذانا صاغية، واذا استمر الضم الزاحف، فلن يتبقى الا ان نتبنى الكلمات المريرة ليهوشفاط هوكابي «اننى اعترف بالحق الديمقراطى لليهود فى اسرائيل فى الانتحار القومي واذا حدث ذلك، فسوف اذهب معهم ولكنني سأحذرهم من ذلك قدر استطاعتي»(٢٠).

■ هذا الواقع الديمغرافي المتوقع



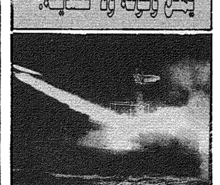
اول قنبلة يورانيوم ألقيت على هيروشيما ٦ أغسطس ١٩٤٥م

حتى عام (٢٠٠٠) سيضع اسرائيل امام اخطر تحدٍ يواجهها منذ تأسيسها تهون دونه جميع الحروب العربية الاسرائيلية والعداء العربي لاسرائيل، الا وهو المشكلة الديمغرافية الناتجة عن الوتيرة العالية نسبيا لتزايد السكان الفلسطينيين فى فلسطين المحتلة، والذى سيرغم اسرائيل على اللجوء الى واحد من الخيارات التالية:

١ - قبول اسرائيل مرغمة باقامة دولة فلسطينية الى جانبها فى الضفة الغربية وقطاع غزه حفاظا على نقاء الدولة اليهودية، وهو ما يتعارض بالمطلق مع المشروع الصهيونى بتهويد فلسطين.

٢ - القبول بإقامة دولة ثنائية القومية بما يعنيه من اقتسام السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية الامر الذى سيسحب نفسه على كافة أجهزة ومؤسسات الدولة الاسرائيلية الاخرى مثل الجيش والبوليس.. الخ وبذلك ينتفي الطابع اليهودي لدولة اسرائيل وهو ما يتناقض بدوره جذريا مع المشروع الصهيونى.

● التهديد برد فعل نووى على اعمال المقاومة العسكرية والانتفاضات الشعبية امر لا يمكن وقوعه ولا تصديقه.



٣ - ارغام العرب على القبول بالحلول الاسرائيلية الامريكية لمستقبل الضفة الغربية وقطاع غزه والتي تحمل اسماء مختلفة لمشروع امريكي اسرائيلي واضح المضمون، مثل الحكم الذاتى، التقاسم الوظيفى، الحل الوسط الاقليمى.

٤ - ارغام العرب ايضا على التعايش مع الواقع القائم حيث لا حرب ولا سلام ولا حلول، ويبدو ان هناك اجماعاً فعليًا فى اسرائيل حول تكريس الوضع الاقليمى الراهن وذلك لعدم وجود مستوى مرتفع من الاجماع بين النخبة السياسية حول كل ما يرتبط بالمواقف الايديولوجية المتعلقة بمستقبل المناطق التى احتلتها اسرائيل منذ عام ١٩٦٧م.

٥ - التهجير بالقوة للشعب الفلسطينى من ارض وطنه بحيث تتخذ اكثر من وجهة واحدة الى الجنوب والشرق والشمال، الامر الذى سيؤدى الى تفاقم الصراع العربى الاسرائيلى وتصاعد استخدام القوة العسكرية واتساع المجابهات واحتمال قيام اسرائيل باستخدام السلاح النووى فى لحظة يأس او في ظل شعور غامر بالتفوق او نتيجة لخطأ او سوء تقدير، مع احتمال ايجاد رد من في الجانب العربى على التهديد النووي الاسرائيلي، وقد تفرض لحظة حلول المواجهة النووية التراجع على الطرفين بتدخل الدولتين العظميين والتوصل الى حلول مقبولة من الطرفين بضمانة الردع النووي المتبادل والدولتين العظميين.

---

(١٨) موشيه سيكرون، تسفي ايزنباخ وسكيراه حوديشيت؛ العدد ٢ نيسان/ ابريل ١٩٨٥.

(١٩) يوسف ميخالسكى، مصدر سبق ذكره.

(٢٠) رؤوبين فدهتسور، المراسل العسكرى لصحيفة هارتس، نظرية الامن القومي فى اختبار الزمن - عدم التخلي عن اى شبر يمس امن اسرائيل هارتس ١/٦/١٩٨٦.



استراتيجية الاحتكار النووى الاسرائيلي

وتتصاعد الاصوات فى اسرائيل اليوم منادية بتهجير الفلسطينيين من وطنهم كحل للمشكلة الفلسطينية ومستقبل الضفة الغربية وقطاع غزه، فقد

● مدرعة تقذف الجحيم على رؤوس الاحياء



صرح ممثل بارز لدعاة تهجير العرب الفلسطينيين بالجملة وهو ميخائيل ديكيل نائب وزير الدفاع الاسرائيلى انه «من اجل الحيلولة دون تحويل المنطقة لتصبح مثل برميل من المواد الناسفة ذى فتيل نشط باتجاه الولايات المتحدة المعنية باستقرار المنطقة، فانه يقع على الدول الغربية واجب سياسي واخلاقى للاهتمام بنقل السكان العرب من (يهودا والسامرة) الضفة الغربية المحتلة الى دولتهم، الدولة الهاشمية (الاردن)، واضاف بأن عملية النقل هذه هى السياسة الوحيدة القادرة على حل المشكلة الفلسطينية»(٢١).

غير انه من السذاجة الاعتقاد بأن اسرائيل لن تبقى احدا من الفلسطينيين فى فلسطين المحتلة او بانتفاء حاجتها لأقلية عربية ضئيلة (لا تزيد على المليون فى جميع الحالات) تضفي صبغة ديمقراطية وانسانية مطلوبة لاعمال الدعاية والتضليل على المجتمع اليهودى فى اسرائيل، كما ان هناك سببا اخر اكثر اهمية فى ظل بقاء احتمال اللجوء الى الخيارات النووية وهو حاجة اسرائيل لما يمكن ان نسميه «رهائن» لتفادي اى رد نووي عربي بالضربة الثانية على هجوم اسرائيلي مماثل.

■ هذا الخيار الاخير الذى يبدو اكثر انسجاما مع العنصرية والعدوانية الغريزية للدولة الصهيونية واكثر اتساقا مع خططها الاستراتيجية و«وصفاتها الامنية» المغامرة يتطلب تفعيل عوامل القوة العربية فى مواجهتها وايجاد الرد العربي الرادع على التفوق الاسرائيلي فى السلاح غير التقليدى، الى جانب توفير كل اسباب الصمود والتشبث بالارض للشعب الفلسطينى فى فلسطين المحتلة والذى يرتبط ايضا من جملة عوامل اخرى باستمرار وجود قيادة قوية على رأس الشعب الفلسطينى واستمرار تماسك منظمة التحرير الفلسطينية وتعزيز وحدتها وقوتها والاعتراف الدولي بها.

البحث موصول

---

(٢١) من محاضرة القاها ميخائيل ديكيل نائب وزير الدفاع الاسرائيلي فى فرع حزب حيروت فى ناتانيا، هارتس ١٩٨٧/٧/٢٩.



العدد ٣٦
جمادى الأولى ١٤١٠هـ
فلسطيننا
● نشيد الندى
● بيت المقدس وشعراء العربية
● هوس الاستلاب عند الصهيونيين
● الأغنية السياسية الصهيونية
● من أجل دراسة السينما الصهيونية
د. عبد الله الشحام
منير محمد سالم
د. نصر محمد عبد الرحمن
جهينة علي حسن
شمس الدين العجلاني



إسرائيل.. وسياسة النفس الطويل

لم تكن اسرائيل اكثر واشد تمسكا بالارض مما عليه الان.. لم تكد تنفذ خطة من خططها المراوغة الا وتدبر أخرى من اجل الخداع والتمويه للمجتمع العربى والمجتمع الدولى ولكسب مزيد من الوقت يسمح لهم بتكثيف خططهم وبرامجهم لترسيخ اقدامهم فى تراب لم يكن لهم، ووطن شردوا أهله واحتلوا ديارهم.

وعندما جاءوا لفلسطين، جاءوا وهم يحملون فى أعماقهم مخططا استيطانيا ومن يخطط لاقامة دولة من الصعب أن يقدم اى تنازل يحجب عنه جزءًا من الارض التى يحلم بها.. ومن هنا تتركز عملية الاستيطان المستمرة لليهود فى فلسطين المحتلة.

ويؤكد هذا الحرص على الارض ما قاله شامير (سنقف بثبات ولن نستسلم حتى لو ترتب علينـا مواجهة الصدام مع الولايات المتحدة الامريكية) فهو لا يبالى من أجل تحقيق غرضه وغـايتـه من الوقوف ضد امريكا التى هى سنده وسبب قوته وجبروته، هذا فضلا عن وقوفه بطبيعة الحال ضد كل محاولة عربية تدعو الى مقايضة الارض بالسلام.

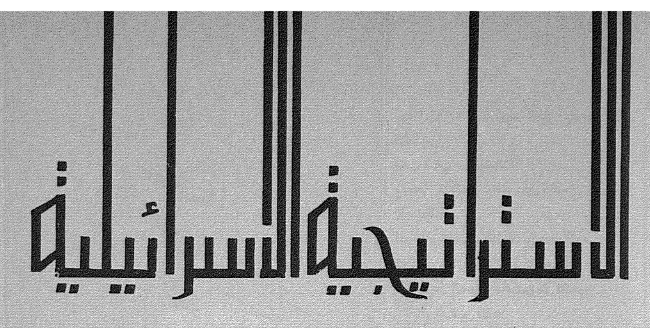
لا شك أن الانتفاضة فى الارض المحتلة قد أرست مفاهيم جديدة فى مجريات السياسة الاسرائيلية، كما رسبت فى وعى المجتمع الدولى أحقية الشعب الفلسطينى فى العيش فى أرضه ووطنه.. كما اثبتت للعالم من جهة أخرى ان أهل الحق لا يثنى الارهاب من عزمهم، مهما كانت وحشية هذا الارهاب الذى تحرص اسرائيل بكل الاساليب على اخفائه عن اعين العالم وسلكت الى ذلك عدة مسالك وصلت حد طرد المصورين والصحفيين الاوروبين من ساحات العراك بين القوات اليهودية واطفال الانتفاضة الفلسطينية.

وتبقى هذه الانتفاضة أنموذجًا فريدًا فى الصمود، إذا ما أمدها من ورائها توافق فى رؤية الهدف لدى المجموعات الفلسطينية ذاتها بكل توجهاتها فالقضية واحدة، والتفرق فيها لا يجدى فتيلا.

وهذه الانتفاضة لا ريب غرسة نضال متصاعد، وهدير ثورة غاضبة ينبغى رعايتها بوحدة التوجه، وترسم خطا الغاية المنشودة وإلا ضاع كل شىء.

بعيدا عن مناورات العدو الصهيونى التى لا يقر لها قرار ولا تثبت على مبدأ ، الا مبدأ الارض، فإن توحد الفصائل الفلسطينية فى منظورها وهدفها وغايتها هو الاساس فى اتخاذ قرار موحد، وتنفيذ لقرار موحد، وهذا ترفده من ورائه جهود عربية مخلصة.

«فلسطيننا»



استطاعت اسرائيل منذ نشأتها أن تبنى لنفسها نظرية عسكرية خاصة بها طبقتها فى التخطيط الاستراتيجى العسكرى وفى خطط العمليات الحربية.. وتتصف هذه الاستراتيجية بانها ثابتة فى جوهرها صهيونية بطبيعتها عدوانية بوسائلها، استعمارية توسعية فى غاياتها.. لذا فان ما يطرأ عليها من تغييرات لا يعدو ان يكون تطويراً فى الاسلوب يحقق لها القدرة على مواجهة مطالب مرحلة من المراحل.

تستند (إ سرائيل) فى تخطيط استراتيجيتها على عدة معطيات تعتبرها وقائع أولية خاصة بها. وأهم هذه المعطيات: الوضع الجغرافى العسكرى، قلة سكانها بالنسبة الى العرب، عدم القدرة على تحمل حرب طويلة الامد، خطر الهزيمة، ضرورة ربح المعركة، انعدام حرية المناورة، والاعتماد على القوى الامبريالية والاستعمارية.

تتميز الاستراتيجية الاسرائيلية بأنها حددت أغراضها بدقة، ورسمت الاساليب التى توصلها الى تلك الاغراض، وعينت مراحل تحقيقها وفق الظروف المتاحة. وأهم هذه الاغراض:

١ ـ الغاية القومية: فهى الهدف الاسمى الذى تسعى الدولة ومؤسساتها لبلوغه. وتشكل الغاية القومية لدى (إ سرائيل) عنصراً ديناميكياً متحركاً متطوراً تتوالد فيه الاهداف بعضها من بعض، وكلما تحقق هدف ظهر اخر يتلوه.

٢ ـ تأكيد الوجود الاسرائيلي، وتحقيق أمنه وسلامته.

٣ ـ فرض السلام الاسرائيلى على المنطقة العربية.

٤ ـ حماية القاعدة الاقتصادية والبشرية فى الكيان الصهيونى.

٥ ـ التوسع الجغرافى للوصول إلى (اسرائيل) الكبرى.

٦ ـ توسيع مجال المناورة، ونقل الحرب الى أرض الخصم.

٧ ـ منع العرب من القتال بردعهم وشل قواهم بحرب وقائية.

٨ ـ منع ظهور المقاومة المسلحة.

٩ ـ جعل ميزان القوى يميل دائماً الى صالح (اسرائيل).

بما ان (اسرائيل) ولدت نتيجة الغزو والاستيطان الاستعمارى فإن (ارادة البقاء) هى التى تسيطر على جميع معطيات الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية وأغراضها وأسسها ومفاهيمها. وتتولد عن هذه الارادة ثلاثة مفاهيم أساسية توجه وترسم لها سبل العمل وطرائق التنفيذ. وهذه المفاهيم هى:

(١) الامن: فمشكلة (اسرائيل) الاولى هى (ان تكون او لا تكون) ومن هنا غدت هذه المشكلة محور تفكيرها وسلوكها. ومن هنا أيضاً نشأت تلك الثنائية التى يتصف بها مفهوم الامن، فهو حركى ـ عدوانى لانه يجد مجاله الحيوى خارج (اسرائيل).

(٢) العنف: وهو وليد طبيعة الحركة الصهيونية ومبادئها، إذ ان حماية كيان قام على الغزو والعدوان لابد ان يخلق عقلية تعتنق مبادىء العنف والقتل والابادة.

(٣) حتمية الحرب: وهو مفهوم ينبثق من طبيعة انشاء (اسرائيل). ولذا كان تاريخ هذا الكيان، وسيبقى، سلسلة متواصلة من الحروب العدوانية والاعتداءات والمعارك. وبذلك تصبح الحرب سلوكاً حتميا يفرض نفسه على (اسرائيل) التى تؤمن بالفكر والتطبيق، إن السياسة هى امتداد للحرب على عكس المقولة المعروفة بان الحرب هى امتداد للسياسة واداة لها. وقد قال بن غوريون بعد العدوان الثلاثى على مصر ١٩٥٦: (لقد اثبتنا قوتنا فى عمليات سيناء. اما الان فيجب ان نبرهن للعالم اننا على حق).

استخدمت (اسرائيل) فى تطبيق استراتيجيتها العسكرية مبدا الهجوم استخداماً واسعاً. فالهجوم هو الصورة المثلى للحرب الناجحة فى المذهب العسكرى الاسرائيلى. وجوهر الهجوم عنصران هما المبادأة والعمل التعرضى، فعليهما ترتكز نظرية الحرب الوقائية، الهجوم الاستباقى، الحرب الخاطفة، وغير ذلك من اشكال الاعمال الهجومية.

* * *

عن الموسوعة الفلسطينية

نشيد الندى

شعر

الدكتور عبد الله الشحام

وها انت بعد الربيع الذي يتجدد أنى
تشائين
بعد دهور من الشهداء
وبعد ثمانين عاما من الرحلة الصعبة
الجبلية(1)
فى عالم الخوف والنزف والطعنات
تعودين للارض عاشقة كالصبايا:
... الصبايا يعُدن من النهر
يذهبن للنهر
يغزلن قمصانهن من الورد
ينبثق الضوء فى جبهة الفجر
تأتى الرياح محملة بالبشائر
يولد طفل من الرمل
تعتذر الفتيات عن الحب
يذهبن للارض كى يحتمين بها
فتجىء البلاد حجاره
ويصير فؤادى مناره
فهذا اوان الشهاده
وهذا أوان الذهاب إلى افق واضح
و ولاده
وهذا اوان الدماء التي اكتملت جدولا
واشتهت ان يصير القتال عباده

* * *

وها انت بعد البداية
كل البدايات بين يديك ربيع
يليه الربيع الطفولي سرا
ويافا على الموج ضوء يعانق ثغرا
حمام يفر وينفث سحرا
ينابيع تصهل كالشهوات
وانت الينابيع أنت الحمام الذى ضربته
الاعاصير
انت البكاء الذى لا شبيه له
انت وثبة هذي الحجارة وهى تحط
على الطرقات رعودا
وانت القناديل وهي تملا قلب الحياة وعودا

* * *

وها انت بعد اللقاء الذى لا وداع له
وبعد خروج الخناجر من لحمنا القرمزي الى لحمنا
تجيئين مترعة بالمحبة
يافا تضيء بعيدا
وقلبك حبة قمح تغوص عميقا لتنمو سنابل
وشعبك منتشر كالهواء
ومنتصر اذ يقاتل
وما انكرتك الخيول
ولا هزمتك الزلازل
وصوتك يملا سمع الصحارى
ويتلو نشيد العنادل:

(... كفانى أموت على ارضها
وادفن فيها
وتحت ثراها اذوب وافنى
وابعث عشبا على ارضها
وابعث زهره
تعيث بها كف طفل نمته بلادى[٢]...)

* * *

وها انت يا الف الروح فى مهدها
يا انطلاق العصافير فى صحوها
يا انبعاث الضياء البهي
ويا مرح الريح فوق التلال
تعودين لا يحزن القلب الا ثلاث:
بلاد تموت رويدا رويدا لنحيا
وحلم بعيد
وأيد تصافحنا فى النهار
لتقتلنا حين نغفو قليلا
تعوديـــن..
(اين الطريق...؟)
وضــج الســؤال
تداخل حزن وغاب الحوار
وكان الظلام يغطى الحقول
وكان البرابرة الذاهبون الى حتفهم
يقمعون التلاميذ:

طفل يسدد احجاره فى الوجوه
وطفل يواجه عشر بنادق محشوة
بالرصاص السريع
وطفل يموت على الارصفه
وفى شفتيه ابتسامته الوادعه

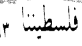
وكان الجنود البرابرة الحاقدون
الى أن تقوم قيامتهم
يلعقون دماء الضحايا
وكان الدم الزعفران يعرش بين الشعاب
ويصهل كالفرس الجائعه

* * *

لانك عارية القلب والوجه عار بدون قناع
لانك لا انت حوت ولا انت ثور صراع[٣]
لانك فدوى الرقيقة والزهرة الناعمه
لانك فدوى العنيفة والصرخة العارمة
تظلين اقوى من الظلم والبربريه
واقوى من القمع والدمع والطغمة العسكرية
واقوى من القتل والقبضة الدموية
تظلين اغنية عربية
تلف الصحارى القصيه
بافيائها
باخضرار بساتينها السندسيه
تظلين شمسا أبيه
تضيء البلاد ابيه
تضيء البلاد التى اصبح الصخر فيها القضيه

هوامش

(١) رحلة جبلية رحلة صعبة: السيرة الذاتية لفدوى طوقان.
(٢) المقطع الذى بين القوسين من قصيدة لفدوى بعنوان «كفانى أظل بحضنها»، ديوان فدوى طوقان (بيروت، ١٩٧٨)، ص٥٥٣.
(٣) البيتان الأول والثانى من الفقرة الخامسة مأخوذان من قصيدة لفدوى بعنوان «مطاردة» ديوان تموز والشيء الآخر (عمان، ١٩٨٦)، ص٢٣.

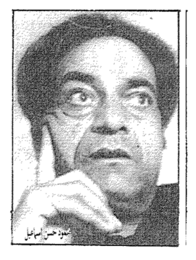




● حين كنا نريد أن نعبر عن الحالة النضالية كنا نلجأ إلى شعر نيرودا وحكم

● فدوى طوقان لم تنس بيت المقدس فى شعرها.. باعتب

● أغزر ما قيل عن مدينة بيت المقدس شعر الشعراء الع


محمود حسن إسماعيل

■ يمكن الجزم بأن الحديث عن بيت المقدس يؤكد الظاهرة التى تقول ان العرب لا يلتفتون إلى مدنهم إلا فى مرحلة الغياب، فإذا أخذنا مثالا على هذا من القديم فإنه سيكون البكاء على سقوط (غرناطة) فما أكثر ما قيل عن هذا السقوط، بل إنها مازالت دمعة نواحة حتى الان فى الجفون العربية.

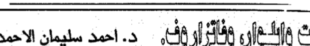
■ أما إذا أخذنا مثالا فى العصر الحديث، فإن كل شىء سيشير إلى بيت المقدس(١)، فما من شاعر يمتلك روح العروبة إلا وكانت له التفاتة إلى هذه المدينة، فالشعراء المحدثون قد استقطبوا كل المواجع القديمة، وكل آهاتهم وأناتهم، وأدمجوها فى مواجعهم الخاصة، وقد علقوها بصفة خاصة على أحزان بيت المقدس(٢).

■ ونبدأ بالشاعر عبد الكريم الكرمى (أبو سلمى) باعتباره الجذع الذى نبت عليه الشعراء البارزون الآن.

الملاحظ أنه كانت للشاعر تصورات خيالية فى شعره واكبت الحقيقة بعد ذلك والسبب انه قبل النكبة عام ١٩٤٨م كانت توجد فى شعره نغمة حزينة تنبىء بالغم القادم، ولكنه بعد النكبة تحول أساساً إلى مساندة القضية الفلسطينية، والدفاع عنها، وظهر فى شعره نبرة الحنين الظامىء إلى الديار:

هل تسألين النجم عن دارى
وأين أحبابى وسُمَّارى
دارى التى أغفت على ربوة
حالمة بالمجد والغار
الشمس لا تضحك إلا لها
تهدى اليها وَشْىَ أستار
والتينة الخضراء فى ظلها
تاريخ أشواقى وآثارى





...اره أعلى الرايات في فلسطين..

...رب من غير الفلسطينيين.

■ وكان أن سارت وراءه كتيبة الشعراء. ويجيء في المقدمة صوت فدوى طوقان، فعلى الرغم من دفاعها عن الوطن بصفة عامة، وعن مدينتها «نابلس» ـ بصفة خاصة ـ إلا أنها لم تنس بيت المقدس باعتباره أعلى الرايات في فلسطين.

●● وقد قالت معبرة عن آمال تترقب، وتتلهف للحب والخير:

في يدينا لك أشواق جديده
في مآقينا تسابيح وألحان فريده
اعطنا حبا فبالحب كنوز الخير فينا تتفجر
وأغانينا ستخضر على الحب وتزهر(٣)
وستنهل عطاء وثراء وخصوبه
اعطنا حبا فنبني العالم المنهار فينا من جديد
ونعيد . . . فرحة الخصب لدنيانا الجديبه

■ والشاعر محمود درويش ابتداء يقول في منولوج داخلي أن الطرق تفر منه؛ لأن هناك حقيقة تتصل بوطنه . .

ولكن كلما مرَّتْ خطاي على طريق
فرت الطرق البعيدة والقريبة
كلما آخيت عاصمة دمتني بالحقيقة

■ ثم إنه لا يشغل نفسه بمدينة بعينها، ذلك لأنه يحمل المدن الفلسطينية كلها في كلمة المدينة، فيتكلم في قصيدة

بقلم: منير محمد سالم ـ القاهرة

قاع المدينة عن الموت المفاجىء، وعن أنه يختصر كل موت عام في موته الخاص.

وفي قصيدة يقول إنه يستدعي أشياء كثيرة من المدينة، ولكن وجهاً بعينه يستعصي على الذاكرة ومن هنا يسأل: كيف ضاع؟ وأنت مفتاح المدينة، وفي قصيدة يقول: إنه حين كان تحت الشبابيك العتيقة في مدينة القدس وأخواتها كان يتذكر ولكن كل شيء كان يهرب منه فيصرخ:

حنيني اليك اغتراب
ولقياك مَنْفَى

■ فهو يهرب من الحديث عن بيت المقدس، وحين يأخذه الاستطراد في الحديث عنها من خلال التغني «بكنيسة القيامة» أو من خلال قصيدة «سرحان يشرب القهوة في الكافتريا» **هنا القدس**

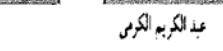
يا امرأة من حليب البلابل
وما القدس والمدن الضائعة
سوى منبر للخطابة(٤)

ثم يقدمها في صورة لا تليق بجلالها.

■ وإذا كان محمود درويش لم يشغل قلبه وعقله بهذه المدينة، مع كثرة ما جاء في شعره من مدن فإنه يمكن القول بأن كثيرين جاروه في هذا الاهمال، وفي مقدمة المجارين سميح القاسم وتوفيق زياد، ولعل الاستثناء الوحيد كان تلك القصيدة التي لا تأخذ القلب، والتي كتبها هارون هاشم رشيد. انه يمكن القول بأنهم شغلوا بالوطن ككل ولكن كيف نبرر وقوفهم الحار عند عدد كبير من مدن العالم بحرارة وانبهار وحب؟. إنه كان من الممكن


عبد الكريم الكرمي


الصبرل




سلمى الجيوسى — نازك الملائكة



أن يتعاملوا مع المدينة كرمز، وأن توضع فيها يسمى بدائرة توظيف التراث، لإثراء تجربة من التجارب، وحزن من الأحزان، فنحن نعرف كيف أن اليهود من قديم ما كانوا يسأمون من صراخهم فى المبكى قائلين: «**شُلت يمينى إذا نسيتك يا أورشليم**».

■ ولعل هذا يسوقنا للسؤال الذى يقول: **هل هناك شعر مقاومة فى الشعر الفلسطينى يمكن أن يحمل كبندقية؟** يجيب على هذا الدكتور «أحمد سليمان الأحمد» فيقول: بأن هذا النوع من الشعر لا يوجد عندنا، وأننا حين كنا نريد أن نعبر هذه الحالة النضالية كنا نلجأ الى شعر نيرودا، وحكمت، وأيلوار، وفاتزاروف(٥).

■ وفى الوقت نفسه كنا ننتظر من الشاعرات الفلسطينيات - وما أكثرهن - أن يدخلن هذه المدينة فى دائرة النياحة، وبخاصة حين وقعت بها أكثر من كارثة، ولكننا لم نسمع هذه النغمة من سلمى الخضراء الجيوسى، وكلثوم مالك عرابى، ومى صايغ، وليلى علوش وهيام رمزى، وحميده ادريسه، ومنيرة مصباح... الخ(٦).

... لقد كان أغزر ما قيل عن مدينة بيت المقدس: هو شعر الشعراء العرب من غير الفلسطينيين، كنازك الملائكة، ولعل من أروع قصائدها فى هذا المجال قصيدة «سوسنة اسمها القدس» والتى منها:

إذا نحن متنا وحاسبنا الله
قال: ألم أعطكم موطنا؟
أما كنت رقرقتُ فيه المياه مرايا؟
وحليته بالكواكب؟ زينته بالصبايا
وفى ظلمات لياليكمو، أما قد زرعتُ القمر
فماذا صنعتم به؟ بالروابى؟ بذاك الجنى
سيسألنا الله يوما، فماذا نقول؟
بسوسنة اسمها القدس، نامت على ساقيه (٧)

■ ومثل هذا يمكن أن يقال عن عدد كبير من شعراء العربية كمحمود حسن إسماعيل، وحسن كامل الصيرفى، وأشرف فتحى، وصالح جودت، ولنتأمل المكانة التى جعلها الأخطل الصغير لبيت المقدس.

يا جهاداً صفق المجد له — لبس الغار عليه الأرجوانا
إن جرحاً سال من جبهتها — لثمته بخشوع شفتانا
وأنينا باحت النجوى به — عربيا... رشفته مقلتانا
يثرب والقدس منذ احتلما — كعبتانا، وهوى العرب هوانا
قم إلى الأبطال نلمس جرحهم — لمسة تسبح بالطيب يدانا

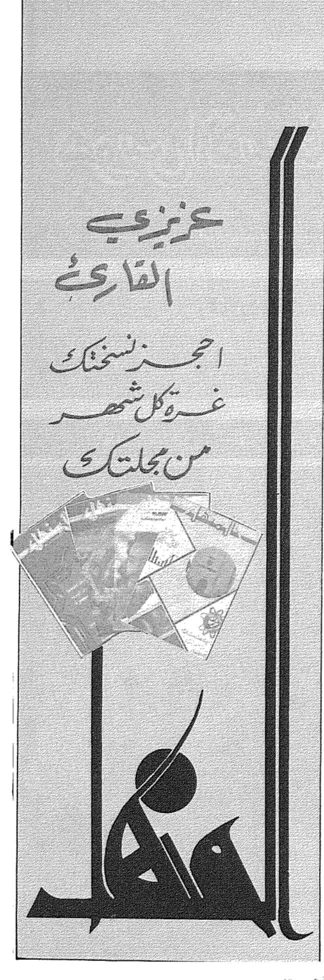
■ ومن ذلك أيضاً ما نظمه الشاعر على محمود طه لمدينة بيت المقدس فى قصيدته المشهورة «نداء الفداء» أو «أنشودة الجهاد فى حومة فلسطين» والتى جاء فيها:

أخى أيها العربى الأبى — أرى اليوم موعدنا لا الغدا
أخى أقبل الشرق فى أمة — ترد الضلال وتحيى الهدى
أخى إن فى القدس أختاً لنا — أعد لها الذابحون المُدى

■ ولعل هذا غيض من فيض ما قاله شعراء العربية؛ للتعبير عما يدور فى خلدهم، وخلد كل عربى أبىّ يريد الحياة الحرة لوطنه العربى فى جميع أرجائه.

●●●





الهوامش

(١) بيت المقدس هو الاسم الاسلامى الذى أطلق على المدينة ابتداء من الفتح الاسلامى عام ٦٣٨م أما اسمها قبل ذلك فقد كان «أورشليم» ثم «إلياء» ثم صار الاسم المسيحى لها هو «القدس». . والملاحظ أن أغلب الشعراء - إن لم يكن كلهم - قد جاءت فى شعرهم كلمة «القدس» أو «أورشليم» على نحو ما هو معروف من الشعراء: محمود حسن إسماعيل، وحسن كامل الصيرفى، والأخطل الصغير، ونزار قبانى. . . الخ.

وإذا كان الشعراء لم يلتفتوا إلى الاسم الاسلامى للمدينة، فإن كلمة القدس قد ألقيت عليها ظلال غير عربية فى الخارج، وقد صورت هذا فدوى طوقان فى هذا الحوار مع أجنبى:

- طقس كئيب
وسماؤنا أبداً ضبابية
- من أين ؟ أسبانية؟
- كلا . . أنا من الأردن
- عفواً من الأردن؟ لا أفهم
- أنا من روابى القدس
وطن السنا والشمس
- يا . . يا . . عرفت . . اذن يهودية
- يا طعنة أهوت على كبدى
صماء وحشية.

(٢) قضايا حول الشعر. . د. عبده بدوى. إصدارات جامعة الكويت ١٩٨٦ ص٢٥٣ مع ملاحظة اهتمام الشعر القديم باسترجاع بيت المقدس، ومن فرسان هذا المجال: الحافظ بن عساكر، وعلى بن الساعاتى، وابن سناء الملك، والحسن بن على الجوينى، وعماد الأصفهانى ولقد شارك من الأندلس ابن جبير، فقد كان شعراء الأمس أشد احتراقاً على بيت المقدس من شعراء اليوم.

(٣) ديوان فدوى طوقان. دار العودة ١٩٧٨. ص٤٩٩

(٤) ديوان محمود درويش. دار العودة ط٦ - ١٩٧٥.

(٥) الشعر الحديث بين التقليد والتجديد. الدار العربية للكتاب ص ٢٨٤.

(٦) ينظر القضايا القومية فى شعر المرأة الفلسطينية - منشورات كاظمة بالكويت - د. هاشم مناع، والأعمال التى نشرت لمن ذكرت أسماؤهم.

(٧) ديوان نازك الملائكة. عبير للطباعة والنشر ط٣ ص١٨٤.

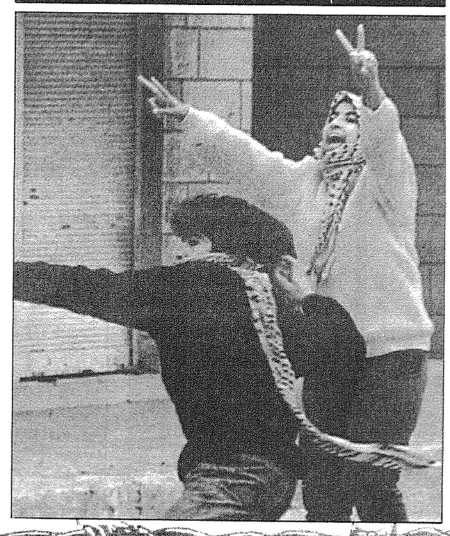
هوس الاستلاب عند الصهيونية

دراسة في (أوليفر تويست)

● جعل «ديكنز» من «أوليفر تويست» رمزا لأبناء الشعب الانجليزي كله

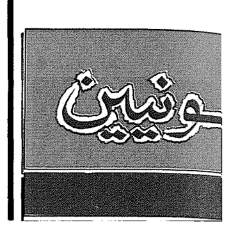
● السرقة طريقة من طرق نشر الخراب والفساد في المجتمعات»

بقلم: الدكتور نصر محمد عبد الرحمن



السرقات في رواية «أوليفرتويست»

وهكذا فإنه أدرك أن الصهيونيين في عصره كانوا يهتمون بإفشاء نشاطات السرقة والنشل في الحياة الاجتماعية، ويجعلون من تلك النشاطات أصلاً لانتشار جرائم أخرى كثيرة مثل العنف والقتل والكذب والخداع والفسوق، فقرر أن يجعل موضوع السرقات والنشل موضوعاً رئيسياً في الرواية المذكورة، فجعل المدبر للشر فيها رجلاً صهيونياً مسنا فاقد الضمير، له ملصّاتٌ كثيرة في مدينة (لندن)، وله ارتباطات قوية غامضة بمنظمات صهيونية سرية، تعمل بالترابط فيما بينها على إشاعة الفساد والخراب، وتحت إمرته عصابة كبيرة ينفذ أعضاؤها



عنـدما كتب (تشارلس ديكنز) (١٨١٢-١٨٧٠م) رواية (اوليفـرتويست) التى نشرت له فى عام ١٨٣٨م، كان غرضه الرئيسى من كتابتها فتح أعين الناس وأ فهامهم على المفاسد والشرور التى يبثها الصهيونيون فى المجتمعات غير اليهودية التى يعيشون فيها أو بقربها. كان (ديكنز) فيلسوفـًا اجتماعيـًا بالاضافة إلى كونه أديبـًا ممتازًا ثاقب الفكر مرهف الاحاسيس.

ـاتهم وما يدبره لهم الصهيونيون المقيمون فى بلدهم من شرور
ى غريزة فى نفوس الصهيونيين على مر العصور

عمليات النشل والسرقة واللصوصية التى يأمرهم بتنفيذها، غالبيتهم من الأحداث المسيحيين الذين كان يجمعهم بواسطة أفراد العصابة القدماء، ثم يقوم بتكييف عقولهم الساذجة تكييفاً يتلاءم مع غرضه من تشكيل العصابة، كما يقوم بتدريبهم فى ملصاته على النشل والسرقة، ثم يطلقهم فى عمليات نشل ضحاياها من المواطنين، فى الشوارع والحوانيت والبيوت، فكانوا يقومون بسرقة الأشياء من أصحابها دأباً، محكومين بالعادات التى غرسها (فيجن) فى نفوسهم فى مدرسته، وكانوا يجلبون مسروقاتهم الى الملصة، فيوردها هو بدوره إلى تجار المسروقات الصهيونيين، لكى يقوم أولئك التجار ببيعها للناس فى حوانيتهم فى سوق (سافرون هِل).

■ أحد أسباب النجاح الذى أحرزه (ديكنز) فى تجسيد هذا النشاط الاجرامي الصهيونى فى شخص (فيجن) هو أنه استند فى رسم صورة جرائمه الكثيرة على المعلومات التى حصل عليها هو وقرّاؤه من قراءة ما كتبته الصحف اليومية الانجلبزية عن صهيونى حقيقى معاصر، كان يتجر بالأشياء المسروقة ويشجع اللصوص على السرقة ويدفعهم إلى مزاولتها، ويشترى منهم مسروقاتهم، اسمه (آيكي سولومونز)، وقد استمر فى مزاولة هذا العمل التخريبى حتى تاريخ القبض عليه وتقديمه إلى المحكمة بتهمة السرقة وإدانته بها.

التلذذ بإشباع هوس السرقة

السرقة طريقة من طرق نشر الخراب والفساد فى المجتمعات عزيزة على قلوب الصهيونيين فى كل العصور، لسببين:

●● أولهما: أنها طريقة فعالة فى تحقيق غرض استلاب الأشياء الثمينة من أصحابها غير اليهود ونقل ملكيتها إلى يد الصهيونيين، لكي يتلذذوا بهذا النقل غير المشروع.

●● ثانيهما: أنها تسبب لغير اليهود مصائب وويلات من أنواع أخرى كثيرة، علاوة على فقدان ممتلكاتهم، من بينها أن بعض العملاء من اللصوص غير اليهود، ممن يخدمون تجار المسروقات الصهيونيين، ينتهي بهم أمر سرقاتهم الى الموت على حبل المشنقة، وهذا هو أقصى ما يتمناه الصهيونيون.

■ وقد بين (ديكنز) خصلة التلذذ الذى يشعر به الصهيونيون بهاتين النتيجتين مجتمعتين أو بكل منهما

على حدة، فى أمـاكن كثـيرة فى الـرواية، كما فى حادثـة إخـراج (فـيجن) لصنـدوق المسروقـات النفيسة من بئر لها باب أفقي سري فى أرض الحجرة التى كان الطفل (أوليفر) نائما فيها، فى صباح اليوم الذى تلا الليلة الأولى بعد وصوله إلى الملصـة. أخـرج (فـيجن) الصنـدوق وفتحـه بقصـد التلذذ بمـرأى المسروقـات التـى كان يحتويها، من ساعات ذهبية رائعة ومشابك صدر وخواتم وأساور ومن أشياء أخرى مصنوعة من الجواهر. وكان تلذذه فى تلك اللحظة أشد باستعـادة ذاكـرتـه لصـورة مشهد تنفيذ عقـوبـة الإعـدام شنقـاً بلصوص من أتباعه من المسيحيين الأحـداث وكبـار السن، بعد أن سرقـوا له تلك الأشياء الثمينـة، فقـال، وهـو يحدث نفسـه عنهم بصـوت عال، ولم يكن يدرى أن (أوليفر) قد أفاق من نومه: «أهاه إنهم كلاب أذكياء! كلاب أذكياء! لقـد ظلوا صامدين حتى النهاية، فلم يخبروا القس العجوز عن مركز اللصوصية الذى كانوا ينتمون إليه ولماذا الوشاية ما دامت لا تؤدى إلى فك عقـدة حبـل المشنقـة المربوط حول أعنـاقهم، ولا إلى تأخـير منيتهم دقيقة واحدة؟ لا، لا، لا. إنهم أشخـاص مدربـون تدريبـاً حسنـاً. أشخاص مدربون تدريباً

● شـكسـبير



● تشارلز ديكنز



حسنـاً» ثم أضـاف: «مـا أجمـل عقوبة الاعدام. فاللصوص الذين يعـدمـون لا يندمون على أفعالهم أبـداً ولا يكشفـون عن الأمـور المربكة آه، إن هذا شىء حسن لحرفتنا كانوا خمسة علقوا فى صف واحد، ولم يبق منهم واحد يفشى سرى أو يجبن ويتخاذل». (فى ١٠٧)(*).

تخريب أسس الحياة الاجتماعية

إن بعض العبارات الواردة فى هذه الأنشودة التى يتغنى (فيجن) فيها بأمجاد نجاحه فى تنشيط أعمال السرقـة تبـين أن أول ما يهم الـصـهـيونـيين من تشكـيلهـم لعصابات النشل واللصوصية ومن تدبيرهم لأمورها هو ما ينطوى عليه هذا النشاط من تخريب يصيبون به أسس الحياة الاجتماعية والنفسية فى المجتمعات التى يعيشون فيها. إن إفشـاءهم للسرقة وإغراءهم لأبناء المجتمعـات باتّبـاع سبيل الابتز وسبيل استلاب بعضهم بعضاً تحصـيلهم للمال هو فى حد ذاتـ توجيه للارادة الانسانية ضد الحـ وضد الانتاج، وقتل لروح الطمو والأمل بالمستقبل، ويوصل البشر إلى حالة من التوجه نحو العده والفنـاء. وقـد كشف هذا المـ الصهيونى الـوبيل أدبـاء لامعو آخرون أوروبيون وأمريكيون مث كشفه (ديكنز).

خطف الأطفال وتعليمهم السرقة

ومـا زاد فى شدة وبـال د السرقة الذى أصابت به الصهيونـ هذا المجتمع الذى صوره (ديكنز فى رواية (أولـيفـرتـويسـت) أن (فـيجـن) كان يخطف الأطـفـال الأبـرياء المقهـورين الـذين فقدوا آبـاءهم وأمهاتهم والذين لا حول لهم ولا قوة يقاومون بها مكره المتجه إلى تخريب نفـوسـهـم فيعـلمهم

النشل والسرقة، من أجل أن يثرى هو من سرقاتهم. إنهم كانوا يعيشون عنده فى وضع يشبه وضع الحيوانات المسروقة لأنهم كانوا ـت سن الوعى عندما استحوذ ليهم.

خاطبت (روزميلي) الطبيب ـذى كلفته بمداواة (أوليفر) من ـرح الذى أصابه عندما أطلق ـراس الرصاص عليه وعلى ـصين اللذين كان معهما عندما لوا على منزلها، فقالت عن براءة ا الصبى من جريمة ـصوصية: «هل تستطيع حقاً أن ـدق أن هذا الصبى الضعيف ية كان يعمل بإرادته عندما ـرك مع أقذر نفايات ـتمع؟».

ان هذه الصبية الطيبة تعبر عن ـهة نظر القراء المنصفين فى كمهم على هذا الصبى المظلوم لى أمثاله من المقهورين، ضحايا ـجن) ومن هم على شاكلته من ـصهيونيين الجشعين، إذ تقول إننا ـب أن نتذكر عندما نصدر حكمنا ى (أوليفر) «صغر سنه وفقده منذ البداية لحب الأم وللبيت الذى يوفر له العيش المريح، وحصوله بدلا من ذلك على المعاملة السيئة والضرب والجوع» (ص٢٦٨).

■ لقد قصد (ديكنز) من تقديم هذا السياق عن خطف (فيجن) للأطفال المسحوقين أن يبين لنا كيف يستغل الصهيونيون الظروف السيئة التى يمر بها المقهورون، وكيف يتحالفون ضدهم مع تلك الظروف السيئة، لكى يحولوهم إلى مجرمين.

■ إنهم يستغلون ليونة عقول الأطفال المتشردين، على سبيل المثال، فيوجهونهم توجيهاً سيئاً نحو احتراف جريمة السرقة، عن طريق الايحاء إليهم بأن مزاولة السرقة والنشل أمر عادي وطبيعي. طرف من ذلك الايحاء المفسد بالنسبة إلى مجموع أعضاء العصابة هو ما ذكره (ديكنز) عن (فيجن) أنه كان من عادته أن يحلق تلاميذه الأحداث حوله، ثم «يحكى لهم قصصا عن أعمال اللصوصية التى كان يقوم بها فى شبابه»، ويبين لهم «الفوائد التى تعطيها حرفة النشل واللصوصية لأصحابها»، ص١٨٥ بالاضافة الى أشياء أخرى كثيرة كان يهدف منها إلى تعويدهم على التكيف مع مقتضيات حياة اللصوصية والاجرام.

■ أما بالنسبة إلى (أوليفرتويست) ذاته فإن (فيجن) قد استعمل كثيراً من الطرق فى محاولاته العديدة الهادفة إلى تحويله الى حرفة النشل والسرقة، بما فى ذلك طريقة إشراكه فى عملية نشل وهو غير مدرك لحقيقة العمل الذى كان يشارك فيه، وكذلك إشراكه عنوة وتحت التهديد بإطلاق النار عليه، فى عملية سطو على منزل ريفي، مؤملا من ذلك أن يطبق على هذا الصبى اليتيم المبدأ الذى يقول: «من سرق مرة يصبح سارقاً على الدوام»

وقد لخص (ديكنز) الغاية اللئيمة التى كان (فيجن) يسعى إليها فيما يخص (أوليفر) عندما ذكر أنه كان «يصب فى روح (أوليفر) رويداً رويداً السم الذى كان يأمل أن يسودها به، وأن يغير به لونها إلى الأبد». ص ١٨٥

ومن الواضح لقارىء الرواية أن (ديكنز) أراد من تصويره لمقدّرات (أوليفر) أن يجعله رمزاً لأبناء الشعب الانجليزى كله فى مقاساتهم مما يدبره لهم الصهيونيون المقيمون فى بلدهم من شرور، ومما يريدونه لهم من فساد.

فلسفة صهيونية للسرقة

ومما يزيد فى شر نهك الصهيونيين للمجتمع غير اليهودى بداء السرقة أن هذا التوجه الصهيونى له فلسفة متأصلة فى طبيعتهم، وراسخة فى سيكولوجية جماعتهم. قوام هذه الفلسفة هو اعتقادهم على الدوام بأن كل

الأملاك التى يملكها غير اليهودى أموال يهودية مسروقة، لأن «يهوه» حصر حق ملكية خيرات الكرة الأرضية فيهم. ولذلك أجاز لهم أن يستردوا من غير اليهود تلك الاموال المسروقة بكل الوسائط الممكنة، ومنها وسائط السرقة والاختلاس والخداع والتزوير.

■ لقد أراد (ديكنز) أن يذكّر قرّاءه بهذا الوهم السخيف المتمثل فى ادعاء ملكية ما هو ملك لغيرهم عندما جعل (فيجن) يقيم تركيب عصابة السرقة التى أنشأها على أساس وضعه اليد على كل ما يسرقه أعضاؤها من أشياء، لقاء لقيمات طعام لكل واحد منهم، طبقا لفلسفة كان يحرص على أن يشرح مبادئها لكل عضو جديد فى عصابته، سماها «فلسفة رقم١» مضمونها أن اقتران مصالح الاعضاء جميعا مع مصلحة رئيس العصابة (فيجن) يفرض على كل عضو أن يحفظ نفسه ويرعى مصلحته عن طريق رعاية مصلحة رقم ١، أى رئيس العصابة، وأن خوف كل عضو على نفسه من حبل المشنقة هو الرباط المتين الذى يربط العضو الى الرئيس»، والذى يلزمه بتكريس نفسه لخدمة مصالح رئيس العصابة وأهدافه ص (٣٨٧).

■ وكان (فيجن) يوضح مرمى هذه الفلسفة توضيحاً أشد بقوله: «إنك أيها العضو لست بقادر على إبعاد حبل المشنقة عن عنقك إلا باعتمادك عليّ، كما أننى أعتمد عليك لكى أحفظ عملى من كل خلل أو تشويش.

فالاول من الغرضين المذكورين هو رقم ١ المتعلق بك، والثانى منهما هو رقم ١ الخاص بى. فإذا أردت أن ترفع من درجة اعتبارك للمصلحة رقم ١ الخاصة بك، فإن ذلك لا يتأتى لك إلا بزيادة اعتنائك بمصلحتى رقم ١ . . . وهكذا فإن اعتبار كل واحد منا لمصلحته رقم ١ هو الذى يكفل تماسكنا مع بعضنا البعض، والذى يجب أن يمتن ذلك التماسك، هذا إذا كنا لا نريد أن يصيبنا الهلاك كلنا، من أولنا إلى آخرنا» (ص٣٨٨).

الجذور الاثنولوجية لهوس السرقة

بعض التفاصيل التى عرضها (ديكنز) فى الرواية عن إيغال (فيجن) والمنظمة الصهيونية السرية التى كان يتبعها فى تدبير السرقات فى المجتمع اللندنى تبين أن هذا الأديب الانجليزى كان صاحب معرفة واسعة بالجذور الاثنولوجية لعصاب هوس السرقة، الذى يدفع الصهيونيين فى كل الأزمان إلى مزاولة نشاط محموم فى هذا الميدان من ميادين تخريب المجتمعات، وهو هوس ناشىء مما اشتهروا به فى التاريخ البشرى كله من جشع فى حبهم للأشياء الثمينة، سببه الرئيسى الأنانية الشديدة المتأصلة فى نفوسهم منذ الزمن القديم. وقد ترسخت خصلة الأنانية فى سيكولوجيتهم الفردية وفى سيكولوجيتهم الجمعية بفعل الأحداث التاريخية القديمة والحديثة التى عرضهم فسوقهم لها.

■ وهكذا فإن خصلة الأنانية المفرطة وحالة العوز الناشئة عن تشردهم فى مختلف أقطار الدنيا ظلتا تدفعانهم، على الدوام، طبقا لمنطق الحياة، إلى استعمال الكيد والمكر استعمالا مفرطا فى أخذ الأشياء من أيدى أصحابها الشرعيين، ولا سيما مكر تأليف عصابات للسرقة والنشل، غالبية أعضائها من غير اليهود، وتكليف تلك العصابات بتنفيذ السرقات على نطاق واسع.

وهذا بالذات هو ما يقوم به (فيجن) فى رواية (ديكنز) التى نحن بصددها، فى مدينة (لندن) وفى ضواحيها.

■ لقد سجلت كتب التاريخ القديمة خصلة السرقة وأكل مال الناس بالباطل التى تتحكم بنفوس الصهيونيين وتوجه مجمل

نشاطهم، وسجلتها أيضاً الكتب الدينية المقدسة.

لقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم، عن سرقة جماعية خسيسة من جيرانهم المصريين دبرها الصهيونيون ونفذوها عشية خروجهم من مصر مع النبى موسى، عليه السلام (طه:٨٧-٨٨). وإن أسفار التوراة مليئة بالاصحاحات التى تدلنا على أن واحداً من أهدافهم التى دفعتهم إلى تحريف التوراة هو أن يزينوا فيها لأنفسهم توجههم الدائم إلى سرقة أموال غير اليهود، وأن يبرروا فيها للآخرين ذلك التوجه. وأما التلمود فإن علماءه قد سجلوا فيه نظرية صهيونية غريبة تبرر سرقتهم لأموال الآخرين تبريراً سيئاً.

فقد قرروا فيه أن اليهود هم وحدهم أجزاء من الله، وأنهم بسبب ذلك هم المالكون لكل ما فى العالم من مال وثراء وأرض، وأن على كل صهيونى بناء على ذلك واجب سرقة مال غير اليهود منهم، لأن تلك السرقة لا تعدو أن تكون فى نظرهم عملية استرداد لأموال اليهود من سالبيها.

■ لقد كان (ديكنز) على علم بكل ذلك الانحراف فى الفكر الصهيونى، لأنه أمر معروف فى كل أوروبا وأمريكا، ولذلك رأى أن يجعل المضمون العملى لتلك النظرية الصهيونية المنحرفة موضوعاً لرواية «أوليفر تويست».

سبب سيكولوجى

إن طيف فقدان الأمن الذى ينتاب عقول الصهيونيين على الدوام يفسر رغبتهم المفرطه فى اختلاس الأشياء من غير اليهود. إنهم يحاولون دائما أن يتغلبوا على القلق النفسى الذى ينشأ عن فقدان الشعور بالأمن بطرق سلبية كثيرة، فكرية وعملية، إحداها هى بذل جهد غير عادى فى الاستحواذ على ما فى أيدى الآخرين من أشياء، لأن هذا الاستحواذ له فى نفوسهم قيمة رمزية كبيرة، تسحر عقولهم.

إنه يوحى إلى تلك العقول الوهم الشاذ بأنهم هم المالكون، وبأنهم أسياد غيرهم بلا منازع، وبأن غيرهم عبيد لهم.

■ وهكذا فإنهم عمدوا دائما الى الاستحواذ على ممتلكات غيرهم بمختلف الوسائط الممكنة، بما فى ذلك طريقة السرقة، كلما وجدوا الى ذلك سبيلا، وتوهموا دائما أن هذا الاستحواذ يخلصهم من طيف القلق وفقدان الأمن، ولكنهم فعلوا ذلك من غير جدوى، لأن هذا الطيف ظلت وطأته تشتد داخل عقولهم عبر التاريخ الطويل، بسبب ازدياد تفككهم، واشتداد عزلتهم. وكلما اشتدت وطأة عزلتهم على نفوسهم، وكلما ازداد تفككهم الداخلى مع مرور الزمن، اشتد هوس الاستحواذ فى نفوسهم، وزاد ميلهم الشاذ إلى تصور أن العلاقة بينهم وبين غيرهم من البشر هى علاقة بين أسياد وعبيد، وترسخ الوهم فى عقولهم بأنهم هم الذين يحق لهم وحدهم أن يسيطروا، وبأن غير اليهود ليسوا أكثر من عبيد لهم أو حيوانات يسخرونها كما يشاءون، وليس من حقها أن تملك شيئاً. هذا هو المبدأ العام الذى يريدون أن يحلوه محل كل مبدأ آخر فى مجال العلاقات البشرية، والذى يحلمون بإمكان تنفيذ مضمونه تدريجياً، حتى يبلغ مداه. وقد أراد (ديكنز) أن يذكرنا بهذا المبدأ الصهيونى عندما جعل (فيجن) يعلم تلاميذه «أن مالا يسرقونه من الأشياء من أصحابها سوف يقوم بسرقته أشخاص غيرهم، فيكون السارقون هم الرابحون ويكون الممسكون عن السرقة هم الخاسرون» (ص١٨٣-١٨٤).

(*) تفاصيل نشر الرواية هى كما يلى:
Charles Dicken s Oliver Twist (Har mondsWo rth Pen Penguin)

قــــوة دلـــتـ

أخطر الأفلام التى تسيىء للعرب

● حــول مناحيم جــولان اختطــاف الطائــرة الامريكيــة فــى بيــروت إلــى فيلم

● الصهاينــة يستغلــون كــل شــىء فــى سبيــل الاســاءة والتشهيــر بالعــرب.

● الفيلــم يؤكــد علــى التعــاون الأمريكــى الصهيونــى فــى كافــة المجــالات.



● الصهاينة يمثلون دور العرب فى مطار بيروت الذى أقاموه فى تل أبيب.

■ هذه الحادثة تدل على مدى استغلال الصهاينه لكل شيء فى سبيل الاساءه والتشهير بالعرب. وكذلك الحال بالنسبة للسينما الصهيونيه فهي تستغل الاحداث لتقلبها رأسا على عقب وتدعمها بالمغالطات التاريخيه لتسيىء وتشهّر بالعرب وتزينها بالتقنيه الحديثه والاخراج المتطور والاسماء اللامعه من عالم هوليود لتكون وجبة دسمة ليلتهمها المشاهد حتى يكون لقمة سائغة للفكر الصهيونى العنصرى.

■ والحركة الصهيونيه تشن حملة اعلامية مدروسة ضد العرب والقضية العربية مستخدمة السينما أداة لذلك حسب تصورات وخطط موضوعه، فى الوقت ذاته عجز الاعلام العربى بشكل عام والسينما العربية بشكل خاص منذ بداية الصراع العربى - الصهيونى وإلى عام ١٩٦٧ عن القيام بأى تحرك من شأنه مواجهة الصهيونية وحملاتها الافترائية على العرب فكانت ممارساتهم غير الانسانية ضد العرب تصول وتجول كما تشاء دون رادع أو رقيب أو اشارة بسيطه لناقوس الخطر الصهيونى كأضعف الايمان.

■ من المرجح أن الفيلم الصهيونى الاول ظهر عام ١٨٩٧ فى حين ظهر الفيلم العربى الروائى بعد



أ ذكر انني منذ فترة كنت اطالع احدى الصحف العربية، حيث روت ضمن اخبارها حادثة طريفة، قد يكون القارىء قرأ ها دون توقف ولكنها ذات مدلول كبير.
الخبر يقول: انه أ مام احدى صالات السينما الامريكية حصلت مشادة بين شابين أ حدهما عربى لاسباب تافهة وأ ثناء المشادة شج العربي رأ س ذاك الشاب فسال الدم وغطى جزءا من وجهه، وفي هذه الاثناء كان يوجد فى تلك المنطقة صحفى صهيونى فالتقط عدة صور لهذه الحادثه، وفى اليوم التالى ظهرت الصحف وعلى صفحاتها الاولى صورة الفتى والدماء تغطي وجهه وتعليق تحت الصور يقول: (ان شابا عربيا تشاجر مع مواطن امريكى فما كان من العربى المتوحش الا ان التهم جزءا من وجنته).. هذه الحادثه تدل على ماهية التكوين الفكري لهؤلاء الصهاينة المستمده من العنصرية اليهودية المعادية للانسان ولكافة القيم الاخلاقيه.

بقلم : شمس الدين العجلانى



حوالى اربعين عاما أى قرابة عام ١٩٣٧ وبالطبع هنالك أسباب عديدة دعت الى تخلف السينما العربية وعدم استطاعتها المعنوية والمادية مواجهة ادعاءات وافتراءات وأكاذيب السينما الصهيونية ومن هذه الاسباب :

(١) ضعف السياسات العربيه التقليدية التى كانت عاجزة عن تأدية مهامها المطلوبة منها.

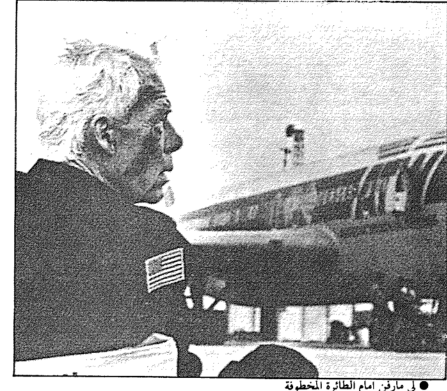
(٢) عدم اكتراث الاعلام العربي كما يجب خاصة الاعلام الموجه خارج الوطن العربى بالقضيه العربيه والتخلف الفكري الذى كانت تعانى منه السينما العربية والقائمون عليها.

■ ونعود لنقول ان السينما الصهيونيه تستغل كافة الاحداث فى سبيل خدمة مصالحها ونود أن نشير هنا الى الفيلم الصهيونى الذى انتجه مناحيم جولان صاحب شركة كانون الصهيونية ألا وهو «قوة دلتا».

قوة دلتا

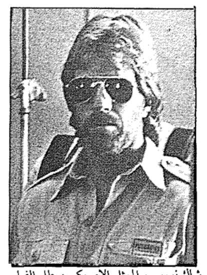
فى بداية الثمانينيات اختطفت طائرة (تي ـ دبليو ـ آي) الامريكيه فى بيروت عن طريق احدى المنظمات اللبنانية حيث كان هدف هذه المنظمه الضغط على الحكومة الامريكيه من اجل اطلاق رهين ما قابع فى غياهب السجون أو لفت نظر العالم الغربي الغارق فى الاحلام المخملية التى رسمها له الاعلام الصهيونى بشتى اشكاله وانواعه أو لإزاحة الغيوم أمام الرأى العام العالمي ليرى حقيقة ما تمارسه قوى الشر والعدوان على القضية العربية والشعب اللبنانى والفلسطينى فى لبنان.

■ اختطاف هذه الطائره حوله مناحيم جولان بسرعة البرق (كما فعل الصحفي بالعربي حين اتهمه بقضم وجنة المواطن الامريكى) الى فيلم صهيوني يخدم الحركة الصهيونية ويسيء الى العرب. ويعتبر هذا الفيلم من حيث تكلفة الانتاج فيلماً لم يسبق ان رصدت ميزانيه بهذا الحجم لفيلم يصور داخل أرضنا المحتله، وقد شارك فى بطولة ـ قوة دلتا ـ وانتاجه فريق مؤلف من ٢٥٠ فناناً وفنياً من الولايات المتحدة الامريكية والكيان الصهيوني وقام بدور



● لي مارفن امام الطائرة المخطوفة

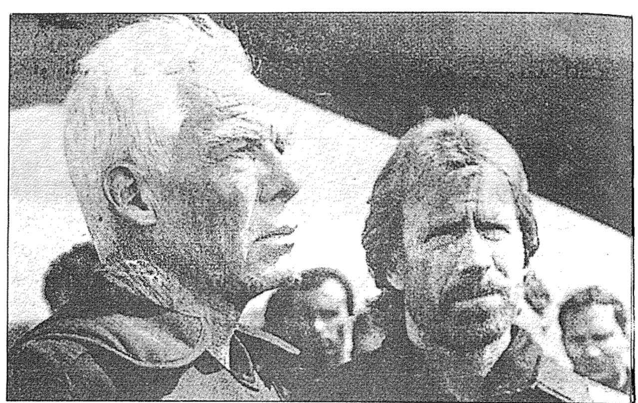
المختطفين الامريكي روبرت فورستر والاسرائيلي ديفيد مناحيم وبدور كابتن الطائره بوسفنسون ومن أبرز ركاب الطائرة (مارتن بلاسم) و(شيلي ونتر) و(جورج كينيدي) وبدور المضيفه الالمانية (هاناشايكولا) وأدار تصوير الفيلم اليهودى (دايفيد بر منظل) والفيلم من بطولة احد أهم نجوم هوليود (شاك نورس) والامريكى (لي مارفن)، وتدور احداث الفيلم حول قيام احدى المجموعات اللبنانية بخطف الطائرة الامريكيه (بي - دبليو - آي).. والاتجاه بها الى العاصمه اللبنانيه بيروت حيث يتم فرز الركاب وتحديدهم الى فئات حسب انتماءاتهم الدينيه حيث يتم انزال بعض الركاب من



شاك نورس، الممثل الامريكى وبطل الفيلم

الطائره فى مطار بيروت ثم تتجه الطائره ببقية الركاب الى الجزائر وفى هذه الاثناء تكون الادارة العسكريه الامريكيه قد اصدرت اوامرها الى قوة دلتا وهى احدى وحدات التحرك السريع الامريكي المدربه على احدث الاسلحه الاميريكيه بالتوجه الى الجزائر لانقاذ الرهائن وما ان تصل قوة دلتا الى الجزائر تكون الطائره قد اقلعت الى بيروت ثانية حيث يتم انزال الركاب واخفاؤهم فى احد بيوت العباده حيث يكون راعي هذا البيت جاسوساً امريكياً يقوم بابلاغ القياده العسكريه الامريكيه عن مكان الرهائن لتقوم وحدة دلتا التى لا تقهر بانقاذ الركاب وقتل ما ينيف عن مئة رجل دون أن يصاب رجل واحد من قوة دلتا ولو بخدش بسيط..؟

■ الفيلم صور فى فلسطين وتم بناء جزء كبير من مطار بيروت الدولي فى تل أبيب وفى مطار بن غوريون بالذات، الفيلم من الناحية الفنية ناجح فقد رصدت له مبالغ طائلة وأسماء لامعة من هوليود.. وهذا الفيلم على جانب كبير من الاهميه فى حياتنا المعاصره فقد ظهر للعالم العربي بعد فترة وجيزة من عملية اختطاف الطائرة، وهو ملىء بالاضاليل ضد العرب والمسلمين، ينقل للرأى العام العالمي قبل أن ينسى حادثة اختطاف الطائره مصورا هؤلاء العرب ارهابيين هدفهم القتل لمجرد القتل، ان قوة دلتا - يحاول ضرب فكرة التعايش الاسلامي المسيحي فى لبنان واظهار العرب بمظهر الجبناء وفى الوقت ذاته يظهر القوه والجرأة التى لا تقهر للجندى الامريكى ويؤكد

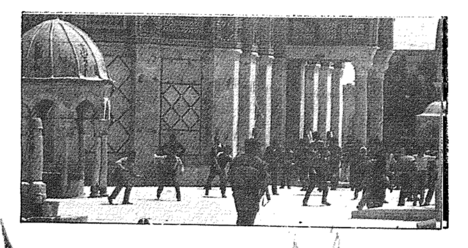


● شاك نورس، ولى مارفن فى (قوة دلتا).

الفيلم على التعاون الامريكى - الصهيوني ففى كافة المجالات وخاصة العسكريه منها ففي الوقت الذى تتورط فيه اربعة دول عربيه فى مساعدة المختطفين فإن المخابرات الصهيونيه بمفردها تقوم بمساعدة قوة ذلتا لتحرير الرهائن..؟ وعندما يتم انقاذ الرهائن تتجه بهم الطائرة الى مطار بن غوريون فى ارضنا المحتله حيث يكون بانتظارهم المستوطنون الصهاينه بالاحتفالات والابتهاجات لانتصار قوة دلتا بمساعدة المخابرات الصهيونيه على العرب والمسلمين وتحرير الرهائن..؟ هذا الفيلم حظى باهتمام رسمي من قادة العدو الصهيونى فى الاعداد والانتاج والتوزيع حيث سخرت كافة الامكانات لمناحيم جولان مخرج هذا الفيلم اثناء عمليات التصوير:

« انني أسعى لتقديم الوجه الحقيقي للعرب الذين يمارسون كل أنواع الارهاب والاجرام ويقومون باختطاف الابرياء والمساكين فما قام به هؤلاء اللبنانيون يؤكد التوجه العام للعرب.

هكذا يحاول مناحيم جولان ان يصور العرب والمسلمين للعالم وفق المنظور التلمودي التوراتي المتعصب.



الأغنية السياسية

والتحريض على العنصرية

● أغنية الكتائب لـ «ألترمان» هى مشاركة بالبناء النفسى العسكرى لأفراد الكيان الصهيونى وهى نموذج للأغنية السياسية الصهيونية المحرضة على الحرب والعدوان والداعية إلى استمرارها ضد الأمة العربية.

● التحوير واضح وجلى فى أبيات قصائد «ألترمان»

بقلم : جهينة علي حسن

تعد الاغنية السياسية واحدة من أهم الوسائل التى اعتمدتها الصهيونية لإعداد يهود الكيان الصهيونى نفسياً كمحاربين يندفعون ذاتياً لتنفيذ مخططاتها وخدمة مصالح الدول الاجنبية فى المنطقة العربية، تلك المصالح التى كانت السبب الحقيقى فى قيام ذلك الكيان الاستعمارى ودعم استمرار وجوده حتى الآن. واعتماد الصهيونية على الاغنية السياسية فى هذا المجال يعود الى ما يمكن أن توفره تلك الاغنية من امكانات التأثير فى نفسية متلقيها اليهودى، لا سيما وان بين مؤلفى نصوصها عدداً من أبرز شعراء الكيان وأبرعهم تعبيراً وأكثرهم إلتزاماً بمخططات الايديولوجية الصهيونية وأهدافها. ويعد الشاعر الصهيونى «**نتان ألترمان**» واحدا من هؤلاء البارزين، إن لم يكن أبرزهم، حسبما تؤكده نصوص



● ويبقى الجندى الاسرائيلى متميزا لقتال الفلسطينيين

..ية الصهيونية

..نية والحرب

النقد العبري التى تصفه أحياناً بـ «أمير الاغنية العبرية».

« أغنية الكتائب »

ومن بين قصائد «ألترمان» المغناة التى ألفها فى مجال المشاركة بالبناء النفسى العسكرى لأفراد الكيان قصيدته «أغنية الكتائب» التى يمكن أن تعد نموذجا للأغنية السياسية الصهيونية المحرضة على الحرب والعدوان والداعية الى استمرارها ضد الامة العربية تحت يافطة الدفاع عن الوجود تارة، وأخرى بذريعة توفير الأمن ليهود الكيان.

يبتدىء ألترمان قصيدته بتوجيه الدعوة الى متلقيها من اليهود لفتح دفتر الذكريات الصهيونية القديمة ثم ينتخب لهم مقطعاً معينا من تلك الذكريات. وبعد أن يصوغه على شكل قصيدة يطلب إليهم راجياً أن يتغنوا بها.. فأى مقطع ذاك الذى انتخبه ألترمان من دفتر الذكريات الصهيونية؟.



● نتان الترمان

■ **يقول بيت القصيدة الأول:**

« أرجو أن نغنى أغنية الكتائب للذكرى ».

● والسؤال الأول الذى يطرح نفسه هنا قبل البدء بأية مناقشة: **ما هى هذه الكتائب؟**. يرد فى المصادر العبرية أحياناً مصطلح «بلوجوت سديه» ومعناها بالعربية «كتائب الميدان».

ويشرح «بن شوشان» فى قاموسه العبرى هذا المصطلح بقوله: «أفراد الهاغانا الذين تحاربوا مع العرب فى زمن السلطة البريطانية»(١) وسيتردد مصطلح «كتائب الميدان» أكثر من مرة فى القصيدة، الأمر الذى يعنى أن الترمان يدعو الى التغنى بذكريات ما فعله أفراد عصابة الهاغاناه دون غيرهم من أفراد العصابات الصهيونية الأخرى التى اندمجت جميعها، بعد الاعلان الرسمى عن قيام الكيان فى الجيش الاسرائيلى.

■ وإذا كانت الهاغاناه كمنظمة إرهابية يشهد لها تاريخها المعروف بارتكاب الكثير من المذابح والأعمال الوحشية ضد عرب فلسطين هى ما يريد الترمان من يهود الكيان نبش ذكرياتها والتغنى بها، فإلام يقصد، وما هدفه؟..

ربما تنبئنا بهذا الهدف الطريقة التى قدم بها ألترمان عصابة الهاغاناه لمتلقيه اليهود والكيفية التى استعرض بها أعمالها أمامه، سواء بواسطة الوصف القصصى الذى استخدمه أسلوباً لصياغة بعض أبيات قصيدته، أو بواسطة الأسلوب الخطابى غير المباشر الذى اختاره لصياغة الأبيات الأخرى، إذ أنه، وبواسطة كلا هذين الأسلوبين اللذين تمكن من الممازجة بينهما ببراعة فى صياغة القصيدة لتوفير القسط الأكبر من امكانيات التأثير على نفسية متلقيه اليهودى تمهيداً لاقناعه بأن من يتحدث عنهم «مقاتلون شجعان وشرفاء، قاتلوا من اجل الدفاع عنه وعن وجوده، ومن أجل توفير الأمن والسلام له ولمن يأتى بعده من اليهود».

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذه الصورة المشرقة

التى رسمها لأفراد عصابة الهاغاناه والتى هى فى الواقع النقيض التام لصورتها الحقيقية المعروفة، حاول ألترمان استخدامه للتأثير على متلقيه اليهودى وإقناعه بأن ينهج الذين وصفهم استمراراً لتأمين «الدفاع» عن الوجود والسعى المزعوم للسلام. وبهذا يتضح الهدف الذى أراده الترمان من صياغة قصيدته، وهو جرّ يهود الكيان من أنوفهم الى ساحات القتال، بعد اقناعهم بالتحول الى حطب يقبل الاحتراق طواعية من اجل تنفيذ المخططات الصهيونية وتحقيق اهدافها العدوانية والتوسعية.

■ وبعد فلنحاول الآن استعراض أبيات القصيدة لنتبين كيفية عرض مضمونها وفاعليته تمهيداً لمناقشته من خلال الأبيات نفسها.

بعد البيت الذى ذكرناه آنفاً، يقول الترمان فى المقطع الأول من القصيدة: **مظلم/ مظلم الوادى/ والحرس متأهبون/ مضت فى الليل كتيبة/ مضت برتلها/ مضت كتيبة الميدان للنار والدفاع.**

■ فى هذه الأبيات الثلاثة المصاغة بأسلوب الوصف القصصي يصور الترمان الطريق الذى سلكته الكتيبة لتنفيذ احدى مهماتها، وهو يصف ذلك الطريق بأنه مظلم، ولهذا الوصف مستويان فى التفسير: المستوى الاول ظاهرى، أما الثانى فرمزي يشير من بعيد الى الطريق «الصعب» الذى سلكته العصابات الصهيونية عموماً لتحقيق هدفها باغتصاب أرض فلسطين، وهو بهذا يسعى الى تضخيم الصعاب التى كان على أوائل المستوطنين إجتيازها تمهيدا لتضخيمهم وتضخيم أعمالهم فى نظر المتلقى اليهودى ولكن على نحو غير مباشر. وستراً للهدف العدوانى الذى من أجله مضت تلك الكتيبة ليلا، يخلق الترمان هدفاً نبيلاً يلصقه بها وهو «الدفاع» دون أن يفصح عن أى شىء كان ذلك الدفاع، مؤجلا الايضاح عن ذلك الى المقطع التالى:

« المحراث والسيف »

ويمضى المقطع الاول بعد الأبيات الثلاثة السابقة معتمداً الأسلوب الخطابى غير المباشر:

إنتظرينا/ يا أرضى / فى ممرات جبالك الضيقة/ انتظرينا فى حقول القمح الواسعة/ فقد حمل لك رجالك سلام المحراث/ اليوم هم يحملون لك سلاماً على البنادق.

إن البراعة الفنية فى استخدام الأسلوب الخطابى هنا هدفها توفير القسط الأكبر من التأثير على المتلقى فليس سهلاً معرفة وتمييز من يتوجه الشاعر بالخطاب اليه: هل هوالمتلقى، أم الارض كما يصور ظاهر النص، كما تصعب أيضا معرفة موجة النداء، هل هو الشاعر نفسه تمشياً مع انفعاله أثناء نظم القصيدة، أم أفراد الكتيبة الذين يتحدث عنهم.

■ إن هذه الاشكالية مقصودة فى حد ذاتها لتحريك انفعال المتلقى الى أقصى حد ممكن فسواء كان النداء للأرض صادراً من الشاعر أم من رجال كتيبته، يؤدى الى خلق شعور بالتعاطف تجاه الارض يمكن أن يشد القارىء اكثر للدخول فى أجواء القصيدة. وسواء كان المعنى بالنداء المتلقى نفسه أم الأرض، فإن الهدف واحد وهو خلق ما يشبه الوحدة الاندماجية بين كلا الطرفين تدفع التأثر الى حدود أبعد. أما تعبير «ممرات جبالك الضيقة» فهو عودة الى تأكيد صعوبات الطريق التى سلكها أفراد الكتيبة.

■ وبعد ضمان تجاوب المتلقى نفسياً مع معطيات القصيدة حتى الآن يأتى دور الخداع لتمويه الهدف الصهيونى من اغتصاب أرض فلسطين وإكسابه مظهراً نبيلاً. فالشاعر يطلب أن يكون مكان الانتظار فى حقول القمح.. والقمح رمز السلام. وهذا ما

يؤكده البيت التالى إذ يخبر الأرض بأن رجال الكتيبة ما سلكوا الممرات الجبلية المظلمة والضيقة وتجشموا المخاطر إلا ليحملوا لها سلام المحراث.

وهنا ينتقل الايحاء وعلى نحو سريع جداً، ليكون موجهاً الى أفراد الكيان الصهيونى اليهود جميعاً. ولأن الوصول الى ذلك السلام لم يكن أمراً سهلا، بل كان ثمنه معارك مرهقة، فمن الواجب أن يسمى سلاماً صنعته البنادق. وبهذا فإن الترمان لا يكتفى بتمويه حقيقة الهدف العدوانى لتحريك أفراد الكتيبة بل يحاول أن يعطيه معنى نبيلاً يحمل سمات «البطولة النبيلة».

■ والواقع أن الترمان هنا يحاول صياغة الشعار الصهيونى القديم الذى كان أول الشعارات الصهيونية فوق أرض فلسطين وهو شعار «المحراث والسيف» الذى صيغ تعبيراً عن استعمار الأرض والدفاع عنها. أو بمعناه العملي صيغ ليكون دعوة للاستيلاء على الأرض ومنع أصحابها الحقيقيين من استردادها، ولكنه عمد إلى تمويه هذا الشعار بمختلف مدلولاته الاستعمارية والقيام بتجميله عن طريق رسم ملامح وسمات إنسانية مفتعلة على وجهه القبيح.

عنصرية وعدوانية

وفى المقطع الثانى يصور لنا الشاعر فى أوله، وفى ذات الاسلوب الخطابى غير المباشر حركة الكتيبة «الصعبة» فى الطريق الى هدفها يقول:

تسلقى أيتها الكتيبة
إصعدى فى الجبل أيتها الكتيبة
إحتلالا ستحتلين فى مكان هناك،
ما عبره إنسان من قبل
هناك ستعبر «كتائب الميدان»



■ إن هذه الصورة هدفها هنا إبراز ما يدعيه الشاعر لافراد الكتيبة من صفات القوة والشجاعة إنها محاولة للايحاء بقدرة اولئك الأفراد لا على خوض الصعاب فحسب بل على تنفيذ ما يريدون وبقوة، وهذا ما يحمله تعبير «احتلالاً ستحتلين» بالاضافة إلى كل ما يمكن أن يوحى به لفظ احتلال من قسوة وعنجهية فى وقت واحد. ويبلغ تضخيم الصعاب ذروته بادعاء عبور أولئك «المغامرين» مكاناً ما عبره إنسان من قبل.

■ وبالطبع فإن هذا التصوير لا يهدف لتضخيم الصعاب فقط، بل يلمح، ومن طرف خفى الى ما ادعته الصهيونية من أن أرض فلسطين كانت، قبل مجىء المستوطنين الأوائل إليها، أرضاً خربة وخالية من السكان.. وإذا كان فيها من يمكن وصفهم بأنهم سكانها معارضة للمنطق الصهيونى اللاواقعى، فإن هذا المنطق سرعان ما يعلو صوته بالصراخ مدعياً ان أولئك السكان هم «همج ورعاع متخلفون وعدوانيون شرسون» ولذا كان على أوائل المستوطنين أن يخوضوا ضدهم معارك شتى للكف من «أذاهم عن اليهود».. ولشل رغبتهم بمنع قيام الحضارة «التى يحملها المستوطنون الى فلسطين»، ولو أدى ذلك الى إفناء جميع أولئك السكان العرب. وهذا فى الواقع فحوى الأبيات التالية من المقطع الثانى نفسه:

« من أجل أم وابن وأب/ سنشكل كتيبة المدفعية/ فالمعركة لم تتم.. ايتها الكتيبة/ لم تتم/ فإلى الامام قدماً ـ أيتها الكتيبة».

■ إن التحوير واضح وجلى فى هذه الأبيات، إذ يجعل من الأعمال العدوانية أعمالا «دفاعية» لابد منها. ثم يحاول استخدام المظهر الجديد لكل ما ارتكبه الصهاينة بحق شعب فلسطين ليكون منبراً للدعوة الى مزيد من المعارك والعدوان «فالمعركة لم تتم». ولكى تتم - فى عرف الصهيونية - لابد من تصفية جميع عرب فلسطين أو طردهم خارج أراضيهم.

■ ويأتى المقطع الثالث ليحمل مزيداً من الخداع إقناعاً للمتلقى اليهودى وتحميسا له على العدوان عن طريق تعبئته نفسياً بالحقد الذى يسوغه الشاعر ويسوغ ما ينتج عنه من أعمال بذريعة الدفاع عن النفس والبيت والمنجزات، يقول:

«نعم يا أخى/ فليس عبثاً ما حرثت وما بنيت/ وإن حرباً ضروساً ستكون لنا دفاعاً عن النفس وعن البيت/».

■ إنه اعداد نفسى محكم لخلق المحاربين المتطوعين. فالشاعر لا يريد من يهود الكيان أن يخرجوا للحرب مكرهين دون ارادة منهم، بل على العكس، يريدهم أن يندفعوا الى ساحاتها من خلال قناعاتهم بأنهم إنما يحاربون دفاعاً عن النفس والبيت. وهذه هى الغاية الفعلية لهذا اللون من نماذج الاغنية السياسية الصهيونية.

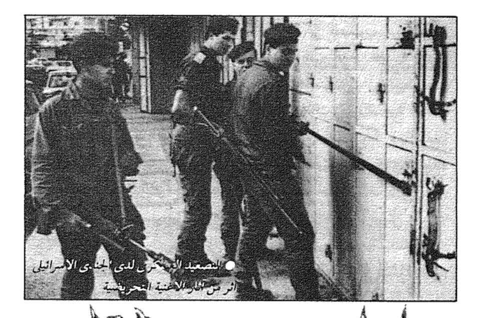
وليس الدفاع عن النفس والبيت وحده هو المطلوب، بل الدفاع عن المنجزات الصهيونية فوق أرض فلسطين العربية، تلك المنجزات التى تمثلها المستوطنات فى نظر الشاعر، يقول:

«تلّ عمال/ كنيرت وحينتاه(٢)/ أنتن رايات لنا ونحن السور/».

■ وهو بهذا الطرح يشير الى شعار مرحلة من المراحل الصهيونية الأولى لاغتصاب أرض فلسطين وهو شعار «السور والبرج» الذى أطلقه المستوطنون الأوائل تعبيراً عن أخذ الأرض بالقوة والانغلاق داخلها والدفاع عنها. والترمان يريد من يهود اليوم الاستمرار بالعمل بمضمون هذا الشعار، أى يدعوهم لمزيد من الاحتلال، وإقامة المستوطنات، مسوغاً ذلك بقوله:

«ذلك أننا إلى الوراء لن نرجع، وليست لنا طريقة أخرى».

■ وبهذا يسحب من كف يهود الكيان جميع الخيارات، ليضعهم أمام خيار واحد هو عدم التراجع، لعدم وجود سبيل إليه. وإذا كان التراجع مستحيلاً، فالتوقف مستحيل أيضاً. ويبقى الخيار الوحيد هو المزيد من التوسع والاحتلال تمشياً مع ذريعة الأمن الاسرائيلية التى ترى التوسع مفتاحاً للأمن والاحتلال والضم وسيلة لصنع حدود ذلك الأمن المزعوم.



● التصعيد العسكرى لدى الجندى الاسرائيلى أثر من آثار الاغنية التحريضية

الهامش

(١) قاموس «بن شوشان» - الجزء الرابع - مادة الحرف (ن) - ص ١٨٦٤

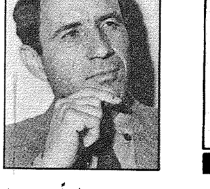
(٢) أسماء مستوطنات كيبوتسية قديمة.





الطبيب العربى الدمشقى:

ابن النفيس مكتشف الـ



احمد بوبس -المغرب-

بمناسبة مرور سبعة قرون على وفاته .. ابن النفيس مكتشف الدورة الدموية الصغرى كيف وصلت نظرية الدورة الدموية من ابن النفيس الى هارفى؟.

■ يصادف عام «١٩٨٨» ذكرى مرور سبعة قرون على وفاة الطبيب العربى الدمشقي ابن النفيس . . هذا الطبيب الذى كان له الفضل الكبير فى تطور علم الطب، سواء بانجازاته الطبية الرائعة التى لم يسبقه إليها أحد، أو بما قام به من تصويب لكثير من المفاهيم الطبية الخاطئة التى أوردها أطباء جاؤوا قبله .

وابن النفيس هو علاء الدين علي بن أبى الحزم القرشي الشافعي . ولد فى دمشق سنة ٦٠٨هـ (١٢١١م) من أسرة متوسطة الحال . وتوفى ودفن فيها سنة ٦٨٩هـ (١٢٨٨م) .

■ نشأ ابن النفيس وتربى فى مجالس العلم . . حيث التحق بحلقات الدراسة فى الجامع الاموى وكان شغوفاً بالعلم والمعرفة . . فإذا به يلتحق بالعديد من الحلقات الدراسية فى نفس الوقت . وكان لا يتأخر عن ندوة أو مجلس للعلم إلا وتصدر فيه، وناقش واعترض على ما لا يقنعه . ودرس الطب فى مدرسة الدخوار ثم فى بيمارستان النوري الذي اشتغل فيه فيما بعد طبيباً، ويعتبر ابن النفيس من أنبغ علماء عصره فقد قدم انجازات رائعة فى مختلف فروع الطب، غير أنه تعرض لظلم كبير من قبل زميله ابن أبى أصيبعة الذى أغفل ذكره فى كتابه «عيون الأنباء فى طبقات الاطباء» وربما كان ذلك بدافع التنافس بين أفراد المهنة الواحدة أو نتيجة غيرة من ابن أبى اصيبعة بسبب المكانة التى نالها ابن النفيس عند امراء دمشق وقادتها .

شخصيته:

تحلى ابن النفيس بسلوك الاسلام وأخلاقه سواء فى حياته الخاصة أو فى تعامله مع الناس . فكان أميناً على ما أورد من معلومات لغيره فى مؤلفاته . . فأشار الى المصادر التى أخذ منها واعطى كل ذى حق حقه . . ويتضح ذلك

شوامخ العلم والمعرفة ، ونتاج العقل المستنير، علماء المسلمين.. كرّسوا حياتهم ووجّهوا جهودهم لنفع الانسانية فى كثير من ميادين المعرفة.. فكانوا قمما شامخة فى كل ميدان دخلوه.. وخلدوا علوماً ومعارف أصبحت الان مرتكزات حضارة من عرفوا قيمتها وقدرها.. وبكل أسف أهملناها نحن ـ أهلها ـ فأصبحنا نسترجعها عبرات من ذاكرة التاريخ.

وهذه الصفحات لا تسترجع نبض الماضى لمجرد الاعتزاز بماضٍ جميل، بل هى تداعب الامل الجديد الطموح.

المنهل

الدورة الدموية

● هارفى مدين فيما ادعى اكتشافه عن الدورة الدموية الرئوية لابن النفيس.. المكتشف الحقيقى للدورة الدموية الصغرى.

فى كتابه «شرح تشريح القانون» حيث أشار الى المصادر التى أخذ منها فى دراساته وأبحاثه ، وكان يعلي شأن مَنْ سبقه من الاطباء والعلماء ويحترمهم حتى ولو خالفهم فى بعض آرائهم .

■ وكان مستقلا فى تفكيره وآرائه . . لا يتأثر بأحد ولا يأخذ برأي من سبقه إلا على أساس علمي سليم يعتمد على المشاهدة والتجربة والقياس . . فأخضع كل بحث للفحص والتجربة حتى ابحاثه ليتأكد من صحتها .

والى جانب الطب نبغ ابن النفيس فى العديد من العلوم الاخرى فكان واحداً من قادة الفكر الاسلامى فى القرن السابع للهجرة . . فبرع فى اصول الفقه ، وشرح الحديث الشريف وكان حافظاً للقرآن الكريم .

كما برع فى الفلسفة والمنطق والحكمة والبيان والخطابة ، ورد على الفلاسفة اليونانيين فيما قالوه عن الروح ، وعن حرارة جسم الانسان الثابتة . . كما حارب الخرافات والسحر والشعوذة فى الطب وغيره .

ابن النفيس الطبيب:

واذا كان ابن النفيس قد تعمق فى العديد من فروع المعرفة فى عصره ، إلا أن نبوغه تجلى أيما تجلى فى الطب . . فأضاف إليه اضافات كبيرة بعد أن تمكن من مختلف فروعه . . فقد نبغ فى بحث دقائق جسم الانسان .

واستطاع معرفة اعضائه من تجاربه الخاصة ومن دراسته العلمية لمرضاه أثناء معالجتهم ، أو أثناء اجراء العمليات الجراحية . وكان من نتيجة ذلك أن برع فى علم التشريح وأضاف إليه اضافات قيمة ضمّنها كتابه «شرح تشريح القانون» .

■ ووصف ابن النفيس الرئة وصفاً دقيقاً فقال : **«وأما الرئة ، فهى مؤلفة من أجزاء : أولها شُعَب القصبة ، وثانيها شُعَب الشريان الوريدي ، والثالث شعب الوريد الشريانى»** .

مؤلفاته:

لابن النفيس الكثير من المؤلفات والدراسات والشروح على كتب عديدة . . أهمها فى الطب . . أما كتبه فى الفقه واللغة والمنطق والفلسفة ، فلم يعثر على نسخ منها . . وأهم ما خلف من مؤلفاته الطبية :

● كتاب **«الموجز»** وهو ملحق لقانون ابن سينا فى الطب .

● كتاب **«شرح تشريح القانون»** وفيه جمع ابن النفيس كل المعلومات والابحاث التى أوردها ابن سينا فى الاجزاء الثلاثة لكتابه القانون عن تشريح جسم الانسان وأضاف

اليهـا ما توصـل هو اليه من أبحـاث جديدة فى مجال التشريح . . لكن ابن النفيس وحفاظاً على الامانة العلمية نسب كل ما أخـذه من ابحـاث ومعلومـات من كتـاب القانون الى مرجعه الاصلي .

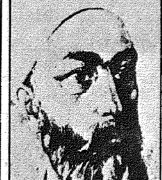
■ يقول ابن النفيس فى مقدمة هذا الكتاب : «ان قصدنا ابراز ما تيسر لنا من المباحث على كلام الشيخ الرئيس أبى الحسن على بن عبد الله بن سينا رحمه الله فى التشريح فى جملة كتاب القانون . . وذلك بأن جمعنا ما قاله فى الكتاب الأول من كتاب القانون الى ما قاله فى الكتاب الثالث من هذه الكتب . . وذلك ليكون الكلام فى التشريح جميعه منظوماً» .

نقضه لآراء الآخرين :

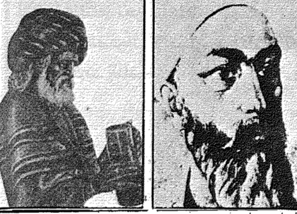
كما ذكرت فإن ابن النفيس كان حر التفكير لا يأخذ بآراء من سبقوه إلا بعد دراسة وتمحيص وتجربة . . وكان من نتيجة ذلك أن وضع يده على الكثير من الاخطاء العلمية لمن سبقـه من الاطبـاء سيما الـطبيب اليونـانى «جالينوس» الذى كان ينظر الى آرائه نظرة تقديس وبالتالى تؤخذ دون مناقشة . . وقد أورد ابن سينا فى كتابه القانون الكثير من آراء جالينوس الطبية معتبراً اياها نظريات هامة .

■ وأما ابن النفيس فقد أخضع كل ما اطلع عليه للنقد . . فقبل الصحيح منه، وصحح الخطأ . . ومن الآراء التى اعترض ابن النفيس على صحتها ووضع لها تصويباً :

● خطأ ابن سينا الذى نقل عن جالينوس رأيه القائل إن القلب مكـون من ثلاثـة أقسام . . قسمين كبيرين أيمن وأيسر، وقسم متوسط بينهما . . هو عبارة عن مستودع غذاء يتغذى منه القلب، وتتولد فيه الروح، فصوب ابن النفيس هذا الكلام . . وبين أن ذلك غير صحيح . . اذ أن القلب يتغـذى من الـدم المار فيه عبر الشرايين التى تتوزع فيه بذات الـطريقـة التى تتغـذى بواسـطتهـا بقية اعضـاء الجسم . . وبـذلك يكون ابن النفيس أول من فطن الى وجود اوعية دموية داخل عضلة القلب تغذيها .



ابن سينا



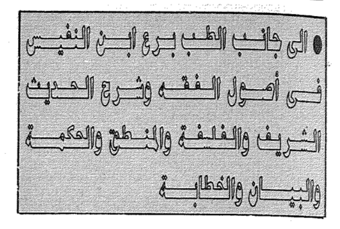
ابن النفيس

● يقول : جالينوس إن للقلب بطينين : احدهما مملوء بالدم وهـو الأيمن . . والآخـر مملوء بالروح وهو الأيسر . . ولا منفذ بين هذين البطينين أبدا . . وإلا كان الدم ينفذ الى الـروح، ويفسد جوهرها . . لكن ابن النفيس بيّن عدم صحة هذا الكلام بلجوئه الى التشريح . . فبين أن أحد البطينين مملوء بالدم النقي والآخر بالدم الفاسد .

● كان الاعتقاد السائد قبل ابن النفيس أن الدم يدخل الى البـطين الايسر عن طريق مسـام الحجـاب الحاجز، حيث يمتزج بالهواء القادم من الرئتين . . وينساب المزيج الى مختلف أنحاء جسم الانسان .

■ وابن النفيس صحح هذا الخطأ حين بيّن أن الحجاب الحاجز خال من المسام، ولا يسمح برشح الدم خلاله . . وأن الـدم يذهب عبر الوريد الشريانى الى الرئة، حيث يخالط فيهـا الهـواء وتتم تصفيتـه . . ثم يعود عن طريق الشريان الوريدى ليصل الى البطين الايسر . . أى أن الدم ينسـاب من البطين الايمن الى الرئة حيث يمتزج بالهواء وينقى ثم يعـود بعـدها الى البطين الايسر . . وهذه هى الـدورة الـدمـوية الصغرى التى اكتشفها ابن النفيس، ونسبت بهتاناً الى الانكليزى وليم هارفى .

● كان من سبقه يقول ان الدم يتحرك فى الجسم بحركة متنـاوبة . . أى أنه يذهب ثم يعود من نفس الطريق . . فصحح ابن النفيس هذا الخطأ ووضح أن اتجاه الدم ثابت فى جسم الانسان وأن حركته ليست مداً وجزرا كما كان يظن سابقاً .

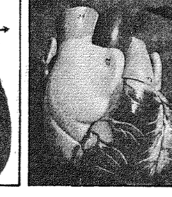


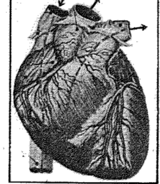


من ابن النفيس الى هارفي:

لا شك أن اهم انجاز طبى لابن النفيس يتمثل باكتشافه الدورة الدموية الصغرى . . هذا الاكتشاف الذى ظهر من يدعي بعد اربعة قرون من ابن النفيس أن له الفضل الاول فيه . . إنه الطبيب البريطانى وليم هارفي . . ولكن الحقائق التاريخية تقول غير ذلك . انها تقول ان هارفي استقى معلوماته عن الدورة الدموية الصغرى من ابن النفيس . . ولنبدأ القصة من بدايتها .

■ قام المستشرق الايطالى اندريه الباغو (١٤٥٠-١٥٢٢) بجولة طاف خلالها على الشرق الاوسط واستمرت ثلاثين عاما فأتقن اللغة العربية وجمع فيضاً مما ابدعه الأطباء العرب كابن سينا وابن النفيس وغيرهما . كما جمع الكثير من المخطوطات الطبية العربية، منها مؤلفات وشروحات لابن النفيس الذى كان الباغو معجباً بآرائه كثيراً . . ونقل الباغو كل ما جمعه الى ايطاليا، بل والى نفس الجامعة التى عمل فيها استاذا للطب وتعلم فيها بعد ذلك وليم هارفي . وهى جامعة «باروا» وقام الباغو بتدريس العلوم الطبية العربية فى هذه الجامعة . وفى سنة ١٥٤٠ عين ريالدو كولومبو استاذاً للجراحة فى جامعة باروا . . فاطلع على ما خلفه الباغو من مخطوطات ودراسات عن العلوم الطبية العربية وكلف كولومبو بتدريس مادة التشريح فى الجامعة وفى سنة ١٥٥٩ نشر دراسة عن وظيفة الصمامات القلبية . . وهى من دعائم نظرية الدورة الدموية . كما وصف الدورة





الرئويه وصفاً صحيحاً .

■ وفى سنة ١٥٩٧ رحل وليم هارفى الى ايطاليا حيث درس الطب فى جامعة باروا واستمر فى الدراسة حتى عام ١٦٠٢ . . ولما عاد الى انكلترا، ألف كتابه «دراسة لحركة القلب والدم» وفيه ادعى اكتشافه للدورة الدموية الصغرى .

■■ ان تتبع هذه السلسلة المتصلة الحلقات بدءاً من اندريا الباغو ومروراً بريالدو كولومبو، وانتهاء بوليم هارفى الذى تلقن الطب على ايدى الطبقة الثانية أو الثالثة من تلاميذ كل من الباغو وكولومبو . .

ان هذا التتبع يوضح لنا طريقة انتقال نظرية الدورة الدموية الصغرى من ابن النفيس الى هارفى . . كل ذلك يشكل دليلا قاطعا يؤكد أن هارفى مدينا فى ما ادعى اكتشافه عن الدورة الدموية الرئوية لابن النفيس المكتشف الحقيقى للدورة الدموية الصغرى .



الفقيه العلامة الدمشقى:

● القاسمى علّامة الشام ونادر الأيام والمجدد لعلوم الاسلام محيى السُّنَّة بالعلم

● اهتم القاسمى بالاصلاح والاخلاص فى بث الدعوة ونشر الدين مع الحرص على

● فى منزله بدمشق عكف القاسمى على التصنيف والقاء الدروس

الإمام القاسمى وآراؤه التر

مولده:

ولد جمال الدين القاسمى الدمشقى فى ضحوة يوم الاثنين لثمان خلت من شهر جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين ومئتين وألف (١٢٨٣هـ) بدمشق الشام ويعد من علماء الشام الكبار وقد نشأ فى حجر والده وتلقى مبادىء العلوم الدينية والشرعية على يديه.

نشأته وشيوخه:

نشأ القاسمى فى بيت عرف بالتقوى.. وتربى فى كنف والده وقرأ القرآن الكريم على الحافظ الشيخ عبد الرحمن بن شهاب المصرى نزيل دمشق.. وجوَّد القرآن المجيد على شيخ القراءات بالشام الشيخ أحمد الحلوانى.

ومن كبار مشايخ القاسمى العلامة النحرير الشيخ بكرى العطار. ومن أجلاء مشايخه الشيخ محمد بن الخانى النقشبندى.. ومن أشياخه وأساتذته خال والده الشيخ حسن جبينه الشهير بالدسوقى.

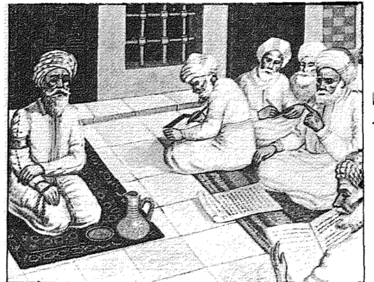
ومن شيوخه أيضا العلامه محمود أفندى الحمزاوى مفتى الشام والمربى الشيخ محمد بن خليل القاوقجى الطرابلسى والعلامة الكبير الالوسى البغدادى.

حبه لدمشق:

أحب القاسمى المدينة التى ولد وعاش فيها وقد ألف فى تاريخها كتابا فى أربعة مجلدات ضخام سماه «تعطير المشام فى مآثر دمشق الشام».. بدأ فيه عام ١٣٠٨هـ وله من العمر خمس وعشرون سنة وأتمه عام ١٣١٩هـ.

أخلاقه وشمائله:

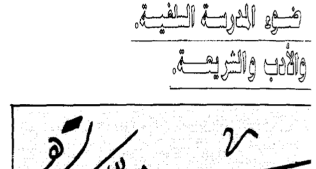
كان أبيض اللون نحيف الجسم ربعة القد أقرب الى القصر منه الى الطول غضيض الطرف كثير الاطراق.. خافض الصوت ثقيل السمع خفيف الروح دائم التبسم وكان تقيا ناسكا واسع الحلم سليم القلب نزيه النفس واللسان والقلم برا للاهل وفيا للاخوان يأخذ ما صفا ويدع



ـعليم والتهذيب والتأليف، الامام محمد رشيد رضا

ضوء المدرسة السلفية،

والأدب والشريعة.



د. مصطفى رجب - مصر

ما كدر.

عاش حياته كلها فلم يسمح لأحد بتقبيل يده لا لأهله ولا لبيته ولا لتلاميذه ومريديه. . وكان بعيدا عن المراء والجدل متجنبا للازدراء بغيره والتعريف بغمز خصمه أو مدح نفسه غير مزاحم لوارثى العمائم على الحطام ولا مسابق لهم الى أبواب الحكام.

مذهبه:

كان يتحرى مذهب السلف فى الدين وينصره فى دروسه ومصنفاته. . ومذهب السلف هو العمل بالكتاب والسنه بلا زيادة أو نقصان كما كانوا يفهمونه فى الصدر الاول للاسلام.

تآليفه:

كان القاسمى سيّال القلم سيّال القريحة سريع الذاكرة والمراجعة وقد كتب كثيرا من الكتب والرسائل تصنيفا وشرحا واختصارا لبعض المطولات. . أحصيت فزادت عن السبعين منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ *الاستئناس فى تصحيح أنكحة الناس.*

٢ ـ *إيضاح الفطرة فى أهل الفترة.*

٣ ـ *الارتفاق ومسائل الطلاق.*

٤ ـ *افادة من صحا فى تفسير سورة الضحى.*

٥ ـ *الاوراد المأثورة.*

٦ ـ *تعطير المشام فى مآثر دمشق الشام.*

٧ ـ *تاريخ الجهمية والمعتزلة.*

٨ ـ *تنمية الطالب فى معرفة الفروض والواجب.*

٩ ـ *جوامع الأداب فى اخلاق الأنجاب.*

١٠ ـ *حياة البخارى.*

١١ ـ *دلائل التوحيد.*

١٢ ـ *رسالة فى الشاى والقهوة والدخان.*

١٣ ـ *شذرة من السيرة المحمدية.*

١٤ ـ *شرح لقطة العجلان.*

١٥ ـ *الطالع المسعود على تفسير أبى مسعود.*

١٦ ـ *قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث.*

١٧ ـ *الفتوى فى الاسلام.*

١٨ ـ *محاسن التأويل فى تفسير القرآن (ويقع فى سبعة عشر جزءا).*

١٩ ـ *الكواكب السيارة فى مدح الغوارة .*

٢٠ ـ *كتاب شرف الاسباط .*

٢١ ـ *كتاب الاسراء والمعراج .*

٢٢ ـ *ينابيع العرفان فى مسائل الارواح بعد مفارقة الابدان .*

٢٣ ـ *المسند الاحمد على مسند الامام أحمد .*

٢٤ ـ *مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام فى الجن .*

٢٥ ـ *موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين .*

٢٦ ـ *الوعظ المطلوب من قوت القلوب .*

طريقته فى التأليف:

تعتمد طريقته فى التأليف على النقل الواعى من التراث الاسلامى الزاخر والاكتفاء بالترتيب والتبويب والتعقيب اللطيف والاستدراك الخفيف وهو من أقطاب المدرسة السلفية وهو من المعجبين بالشيخ ابن تيمية «وقد اكتسب خبرة واسعة فى الاطلاع والاحاطة حتى لقد حكى عن نفسه أنه قد من الله عليه بفضله فأسمع صحيح مسلم رواية ودراية فى مجالس من أربعين يوما وسنن ابن ماجه واحدا وعشرين يوما والموطأ فى تسعة عشر يوما وطالع نفسه لنفسه وكتاب تقريب التهذيب لابن حجر مع تضحيح سهو القلم فيه وضبطه وتحشيته من نسخه مصححة جدا ثم قال: «وهذه الكتب قرأتها أثر بعضها فأجهدت نفسى وبصرى حتى رمدت». وكان يعجب بقدر ويتحكم فيها يختار ولا ينساق وراء الأراء تبعا لشهرة قائلها وانتشارها بين الناس.

رحلاته:

لم تخل حياته من التنقل والترحال. فرحل الى مصر وزار المدينة المنورة وعاد الى دمشق وعكف فى منزله للتصنيف والقاء الدروس الخاصة والعامة فى التفسير والادب وعلوم الشريعة الى أن واتاه الموت فى شهر رجب من سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة وألف من الهجرة (١٣٣٢هـ).

محنته:

ولقد تعرض القاسمى مثله مثل العظماء من الائمة والمفكرين لمحنة. . وذلك لاهتمامه الشديد بالاصلاح واخلاصه فى بث الدعوة ونشر الدين والحرص على التجديد فى ضوء المدرسة السلفية فاتهم بالدعوة الى مذهب جديد فى الدين سمى بالمذهب الجمالى وقبض عليه وحقق معه ولكنه رد التهمة وأثبت براءته فأخلى سبيله.

قالوا عنه :

قال عنه ـ فى رثائه ـ جورجى أفندى الحداد:

نم يا جمال الدين غير مروع
ان الزمان بها ابتليت كفيل
فستعرف الاجيال فضلك فى غد
ان كان لم يعرفه هذا الجيل

■ وقال عنه خير الدين الزركلى:

«جمال الدين بن محمد سهيد بن قاسم الحلاق من سلالة الحسين السبط امام الشام فى عصره علما بالدين وتضلعا فى فنون الادب».

■ وقال عنه عالم الشام الشيخ محمد بهجت العطار:

«ان مما يقضى بالعجب من أمر استاذ نا المؤلف رحمه الله هو «كونه خلّف زهاء مائة مصنف أو اكثر ولم يبلغ خمسين من عمره. . ولقد كان رحمه الله آية فى المحافظة على الوقت والمواظبة على العمل».

■ وقال عنه محمود شكرى الالوسى:

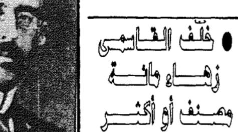
أحيا به الله الشريعة والهدى
وأقام خير شعائر الاسلام
حكم على أهل العقول يبثها
منعوتة الاوضاع والاحكام

■ وقال عنه الامام محمد رشيد رضا فى مجلة «المنار»:

«هو علامة الشام ونادر الايام والمجدد لعلوم الاسلام محى السنة بالعلم والعمل والتعليم والتهذيب والتأليف.

■ وقال عنه الامير شكيب ارسلان:

«وانني لأوصي جميع الناشئة الاسلامية التى تريد أن تفهم الشرع فهمًا ترتاح اليه ضمائرها وتنعقد عليه أواصرها ألا تقدم شيئا على قراءة تصانيف المرحوم الشيخ جمال القاسمى».





شكيب ارسلان

● خلّف القاسمى زهاء مائة مصنف أو أكثر

الفكر التربوى عند الامام القاسمى الدمشقى

«الفكر التربوى العربى فى العصر الحديث، شأنه شأن الفكر على وجه العموم، كائن حى متصل الوجود، لا يبدأ من نقطة الصفر، وانما هو وليد مراحل أخرى سابقة، وهو ـ قياسا على ذلك ـ والد مراحل أخرى تالية».

وهـا هو نموذج مشرف ومشرق لعلمائنا المسلمين الاوائل الذين لم يدخروا وسعا فى اظهار معانى الاسلام فى كل جوانب الحياة.

وللشيخ القاسمى آراء تربوية قيمة فى معظم كتاباته بوجه خاص فى الكتاب الذى نقدمه للشيخ القاسمى وعنوانه «جوامع الأداب» وهو من الحجم الصغير ولا تزيد صفحاته عن ١٤٣ صفحة ومقسم الى مقدمات وسبعة أبواب وخاتمة كالتالى:

مقدمـــة:

الباب الاول: فى أدب النفس

الباب الثانى: فى أدب الدرس

الباب الثالث: فى الآداب المنزلية

الباب الرابع: فى الآداب الاجتماعية

الباب الخامس: فى القوانين الصحية وتوابعها

الباب السادس: فى آداب السفر

الباب السابع: فى آداب النفقات ومتفرقات

خاتمـــة:

مسك الختام: عبارة عن أبيات يعهد إلى المتأدب بحفظها.

■ وفيما يلى موجز لأهم آرائه:

المدارس وأساتذتها:

● الهدف من تشييد المدارس هو نشر العلوم والمعارف فى الصغار. وتنمية العواطف الدينية وتقويتها فيهم.

● تأهيلهم علما وعملا للجهاد فى الحياة.

● كما تغرس المدرسة حب المعرفة والبحث والاستدلال.

● تنمى وتقوى فى الطلاب الميل الى مطالعة سير العظماء.

■ العلوم التى تدرس فى المدارس هى:

العلوم الدينية بالاضافة الى التاريخ والرياضة والتربية البدنية. المعلمون يكونون قدوة حسنة للتلاميذ ويربونهم على حب العمل والحق والعدل والصدق والشجاعة وامتلاك النفس وكرم الخلق حتى يكونوا أعضاء حية نافعة فى جسم المجتمع الذي يعيشون فيه.

أدب المعلم والمربى:

يرى القاسمى أن المعلم وهو الاستاذ والمؤدب والمربى انسان أكملته التربية ويحاول أن ينقل صورته وأحواله الى غيره.

لم يمنح حتى سياسة التهذيب لاظهار جلاله ورغبة فى تعظيمه لكن ليدير شئون تلاميذه.

ـ البحث عن الطرق المهمة لافادتهم.

ـ التواضع والعمل بعلمه.

ـ أن يقرأ من فنون كل فن ابلغها عبارة وأجمعها قواعد

وأوضحها مقاصد.
- أن يقصد التآليف القديمة لسهولتها وغزارة مادتها وخلوها من التعقيد ويتجنب منها ما هو كالالغاز وما يحتاج الى عناء فى حل تراكيبه وعلله.
- النظر فى الشروح المطولة والحواشى لتقوية الفهم.
- أن ينقب طول حياته عن أهم المؤلفات وأقربها فائدة وأبدعها أسلوبا فاذا ظفر فليسع بطبعها رجاء تعميم نفعها.
- أن يحضر دروسه قبل القائه فيراجع ما يحتاج لمراجعته من الكتب لتصحيح الفاظ وتحقيق لكى لا يأتى للطلبه أثناء الدرس بما يشوش الفهم.
- الا يخلط مسائل علم بعلم آخر الا ما جاء عرضا وتوقف عليها فهم المقام.
- ان يمرن الطلاب على المناقشة وفيها يصل المتعلم الى المطلوب وهى طريقة سقراط وتسمى طريقة التجاور. . وهى أن لا يلقن المعلم الطلبة ما يريد من الاحكام والمسائل ليحفظوها عن ظهر قلب أو يقلدوه مجرد تقليد فى فهمها ولكن لا يزال معهم فى أخذ ورد وبحث وتمثيل حتى يصل بهم الى ما يريد.
- أن يمرنهم على القدرة على التعبير عما يدركونه والبرهنة على اثبات ما يريدون بالادلة.
- يحيى فيهم قوة التأمل والتعقل حتى تصير ملكة راسخة.
- أن يقتلع جذور التعصب من قلوب المتعلمين.

أدب المتعلم:

* أن يسترشد بمعلم ناصح حكيم سمح بعلمه متأن فى تعليمه.
* أن يرغب فى العلم رغبة متحقق بفضائله واثق بمنافعه.
* أن يبتدىء بأوائل العلوم ليتدرج الى آخرها.
* الاكثار من المذاكرة ليستفيد ما لم يعلم ويحفظ ما علم.
* أن لا ييأس من تبلد ذهنه وقلة فطنته . . فان الدأب يذلل الصعاب ويدك الهضاب.
* ألا يلهيه عن طلب العلم كثرة مال وجدة أو نفوذ وعلو منزله.
* ألا يمنعه كبر سنه وتقصيره فى صغره عن الجد فى اعلاء منزلته بالتعلم فى كبره.
* ألا تصده شئون كسبه عن العلم.
* أن تكون سيرته الشخصية ملائمة لشرف العلم والدين.
* أن يحرص على كتابة كل مفيد يسمعه. ويعنى باجادة خطه وسرعة قلمه وحفظ الكتابة من التحريف وأن يصحب معه دائما مذكرة ليكتب خواطره ويقيس ما يسمعه من أى شخص كان فان اهمال الفوائد خسارة كبرى والعلم صيد والكتابة قيده.

أدب المتعلم مع أستاذه:

● عليه أن يبدأ بالتحية ويقلل بين يديه الكلام وأن يتملق له ليستخرج مكنون علمه.
● يرعى مقامه رعاية الوالد ويبالغ فى خدمته عرفان حقه واكرامه ويجلس بين يديه غاية الادب والانتباه والاصغاء والسكوت.
● لا يلعب بيديه ولا يخبط برجليه ولا يلتفت للوراء ولا يشتغل بمحادثة غيره ولا يبادر بتحية أحد قبله.
● لا يقول فى معارضة قوله قال فلان بخلاف ما قلت. . ولا يشير عليه بخلاف رأيه فيرى أنه أعلم بالصواب من استاذه.
● ألا يغلو فى تعظيمه لدرجة قبول الشبهة منه والتسليم الاعمى لافكاره بل لابد من النقد وقبول ما رجحت صحته بميزان الحق.
● لا يطلب الصيت باتباع الوجهاء من العلماء اذا كان النفع بغيرهم أعم.

أدب المتعلم فى حفل الدرس بين يدى المعلم:

● الجلوس فى محفل الدرس بوقار والاصغاء لتقرير استاذه وتفهمه.

● النظر الى استاذه حين القائه وفى الكتاب اذا قرأ منه ويتجنب الالتفات أثناء الدرس.

● أن يتجنب اجابة سائل للاستاذ قبله والاصغاء لمن سأل اصغاءا تاما،

● ان يتجنب الهزء بمن زل فى سؤاله فالأفهام تتباين.

● يحذر مسابقة الاستاذ فى القائه اذا وقف لتنفس أو تأمل.

● أن يدافع النوم ويفسح للقادم ويقدم ذا الفضل عليه.

● للطالب أن يكتب ما القاه الاستاذ باذنه ويشترط عرضه عليه.

● لا يسوغ للطالب أن يحكى مباحث الدرس لمن لا يدرى قيمتها.

● يحمل كتابه فى يده اليمنى ولا يشمت على من زجره الاستاذ ويحذر وضع الكراس فى الجيب ويزجر القادم للدرس بدون كتاب ويؤنبه.

● المتخلف عن الدرس يجلس حيث انتهى به المجلس.

● للطالب أن يسأل فى الموضوع بأدب استفهاما لا جدلا.

● للطالب الحرية فى ابداء رأى فى مسألة - يعرضه على الاستاذ ليفحصه ولا يجادل الاستاذ فى رأيه وعليه أن يقف عند اشارته ويعمل بنصيحته ويذعن له.

● الفتى يفتقد اليائس من اخوانه والسؤال عن الغائب فيعاد لمرض ويهنأ لفرح ويعزى لمصيبة ويشاطر فى الاسى ومن قعد عن ذلك فلا ثقة به.

● يطرد من يتبين أنه فاسد فى الاخلاق والادب.

أدب الفتى مع رفاقه فى مدرسته:

* مقابلة رفاقه بالسرور ويساعدهم على دفع المضره وجلب المنفعة بالطرق الحسنة

* لا يعاشر منهم سيىء الخلق ولا يخبر أحداً بما يقع فى بيته.

* أن يسابق اخوانه فى فهم الدروس ومعرفتها ويجتهد فى أن يتقدمهم واقناعهم بالدليل بعد التأمل الكافى وإن ظهر خطأ والحق وغيره فلا يعاند ولا يكابر ويشكر صاحبه الذى علمه.

* عدم اضاعة الزمن فى الهزل ولا يكون عبوس الوجه مما ينفر الناس من معاشرته.

مكافأة المجتهدين:

- الهدف من مكافأة المجتهدين حملهم على النشاط والمثابرة على العمل.. لأن المتعلم المجتهد حريص على الارتقاء ومن طبعة مقارنة نفسه بغيره.

- احداث الغيرة فى نفوس التلاميذ.

- المكافأة عبارة عن ترفيع الاماكن والامتيازات المدرسية وهى عن طريق اهداء تحف وقطع أدبية والمدح والثناء.

- يجب عدم الاكثار من الاطراء حتى يكون له وقع فى النفوس وهذا مرجعه حكمة المعلم.

مجازاة المسيئين:

كما دعت الضرورة وضع أنواع المكافأة.. كذلك هناك ضرورة لوضع أنواع المجازاة على الاساءة:

● مخالفة القوانين المدرسية: منها اللوم والتحذير - المنع من الفسح - والرياضة - التكليف بحفظ شىء أو كتابة جملة عدة مرات.

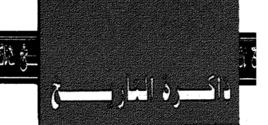
● وهذا مفيد اذا كان سبب العقاب اهمال التلميذ دروسه.

● وعقوبة الطرد اذا لم تفد العقوبات السابقة.

● يجب على المعلم أن يكون حكيما فى مجازاته، اديبا فى عبارته، متجنبا فحش الكلام فى الزجر لان لذلك أضرارا منها:

** اعتياد التلميذ على حفظها فيشب على ما شاب عليه.

** ايراث الغل والحقد فى نفسه إذا توالى على سمعه الخط



من كرامته وكرامة أهله.

** انقباض نفس التلميذ عند رؤية المعلم والاجتماع به مما يؤدى الى الخيبة وعدم النجاح بسبب عدم استفادتهم منه لانه هو الذى صرف ميولهم عنه.

اراء تربوية أخرى:

- اهتم بالتربية الصحية لان الامراض تعوق كل عمل دينى ودنيوى.
- دعا الى الاهتمام بنظافة الجسد والملبس والمسكن.
- اهتم بالتربية الرياضية لأنَّ فيها ترويحاً للفكر. ولها فائدة كبرى لذوى الاشغال العقلية كما أن الالعاب الرياضية صحية أخلاقية اذ يستعان بها على صرف أهواء الشباب عما يضرهم. ولابد للمعلم أن يختار نوع الرياضة للتلاميذ والتى تتناسب مع أعضائه وسنه.
- تربية الناشئة على حب الوطن والدفاع عنه.
- دعا الى فتح المكتبات وتبادل وتداول الكتب.
- دعا الى انتقاء الكتب لتقويم الفكر لا لضياع الزمن
- دعا الى ضرورة تعلم اللغات الاجنبية.
- يؤكد على أهمية البيت فى التربية ويرى أنه اما ان يكون مساعده للمدرس فى المدرسة وإما أن تكون عقبة للتربية.
- يرى أنه يمكن تعديل أثر الوراثه فى التربية.
- يرى بضرورة التربية للفتاة وتعليمها.

مراجع

(١) جمال الدين القاسمى الدمشقى، جوامع الادب ، اعداد خليل ابراهيم على، القاهرة دار الكتب ١٩٨٤.

(٢) د. سعيد اسماعيل على ، الفكر التربوى العربى الحديث، الكويت: سلسلة عالم المعرفه ١٩٨٧.

(٣) مجلة التضامن الاسلامى، مكة المكرمة ، السنة ٣٨ مايو ١٩٨٣.

(٤) مجلة العربى، الكويت، العدد ٩٢، مارس ١٩٨٣.

(٥) مجلة منبر الاسلام، القاهرة، السنة ٣٣، العدد ١٠، شوال ١٣٩٥.

(٦) مجلة منبر الاسلام، القاهرة، السنة ٣٥، العدد ٦، جمادى الآخرة ١٣٩٧.

فى ذكرى المتنبى الالفية:



- المتنبى سيظل ينبوعا ثرا تتصارع حو
- بصمات المتنبى ظاهرة بجلاء ف
- يقدم لنا الغبان فى همزيته لم

يظل أبو الطيب المتنبى - مهما كرت العصور وتعاقبت الحضارات - ينبوعاً ثراً تتصارع حوله الأقلام والأفكار وتدور فى فلكه الأبحاث والدراسات، ويظل موضع وحى يتبارى فيه الشعراء والقوّالون.

ومهما تكاثر حوله الرأى أو تعارض، فإن مجال القول فيه واسع لا ينطوى حتى تنطوى الارض ومن عليها. ذلك أن شعر المتنبى هو ترجمان الحياة بل هو الحياة نفسها فى كل زمان او مكان مصوغة فى قالب شعرى بلغ أعلى مراتب البيان البشرى. فما من حالة تعرض للنفس الا وتجد تفسيرا أو تعليلا لها فى شعر المتنبى أو قولا يحيط بها من جميع جوانبها ويرسمها فى ادق تفاصيلها.

يصاب المرء بخيبة من صديق أو قدر فيجد متنفسه فى قول المتنبى:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه
تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

■ ومن الواضح ان السفن لم تعد تجرى كما تشتهى الرياح فالطائرات اليوم تسبق الصوت والعقل البشرى وصل الى





والأفكار مهما تعاقبت الحضارات.

القروي ومعلوف.

من حياة المتنبي.

بقلم: زكي قنصل «الارجنتين»

القمر وحقق من المعجزات والعجائب ما لا يحيط به وصف، ومع ذلك فما يزال بيت المتنبي تعزية ورقية لمن تضيق به مذاهب الحياة، لم تتغير فيه كلمة ولم يلتو قصد.

ويخدع المرء بكلمة او نظرة او ابتسامة فما ان تنقشع عن عينيه الغشاوة ويفيق من حلمه حتى يذكر بيت المتنبي:

اذا رأيت نيوب الليث بارزة
فلا تظنن أن الليث يبتسم

■ وربما ذكره قبل وقوعه في الفخ فوفر على نفسه الندامة والخسارة ولن أمضي في هذا الحديث فقد يتشعب ويطول ونتساءل كما تساءل أبو الطيب: أطويل طريقنا أم يطول؟.

سأقتصر في كلمتي على قصيدة في نحو مئة وستين من الأبيات نظمها الشاعر العراقي الموهوب محمد جواد الغبان في ذكرى المتنبي الألفية وطبعها في شكل كتيب لطيف المظهر تفضل فأرسله إليّ مع مجموعة شعرية اخرى له بعنوان «أنت أحلى» تضم باقة من الشعر الغزلي الناعم جاءت دليلا على ما يتمتع به هذا الشاعر من حلاوة النغم وأناقة الأسلوب، وهل الطائر إلا بجناحيه؟.

■ يبدأ شاعرنا المطولة بقوله:

هيهات يبلغ شأوك الاطراء
ويزيد مجدك في الحياة ثناء
أنى.. وقد حلقت فوق ذرى العلا
فبلغت ما لا يبلغ الشعراء
انا ذا هنا في مهرجانك خانني
نطق وأعياني لديك أداء
غمرتْ بياني رهبةٌ ومهابةٌ
فوقفت فيه وأحرفي خرساء

■ والغبّان صادق فيما يقول فقد بلوت هذا الموقف وأحسست هذا الاحساس يوم نظمت قصيدتي في الشاعر الحمداني وظل هذا الاحساس قابضاً على خناقي حتى آخر بيت، ولست أشك في ان جميع الذين نظموا في المتنبي مروا في هذا الامتحان الشاق. حدثني الشاعر القروي قال:

لما نظمت قصيدتي في الذكرى الألفية للمتنبي تهيبت الموقف وقضيت عدة ليال لا يغمض لي جفن والمتنبي يلاحقني ولا يفارقني لحظة، وأنا أعالج البيت الثاني فيشمس ويستعصي، وهكذا الى أن فتح الله عليّ وحل

عقدة لساني، فانطلقت أنظم البيت وأشذبه وأعيد فيه النظر مخافة ان تحل علي نقمة أبي الطيب الذى كان يسدد إلى نظراته النارية حتى وصلت الى قولى:

لتسجد ملوك الشعر فى كل أمة
اذا رفعت بند الفصاحة عدنان
فما بلغوا تلك السماء ولا دنوا
ولو طلعوا فيها شموسا لما بانوا

■ وهنا أخذنى الاعياء والعى ثانية فاسترحت ليلتين راجعت فيهما بعض شعر المتنبى لأتمثل همومه وآراءه فى الناس والحياة ثم عاودت النظم حتى أكملت القصيدة، وبقيت عدة أيام أتلفت لكل نأمة أو همسة كأنى أسمع وقع أقدامه ورائى «إنتهى كلام القروى».

■ ومثل هذا الحديث سمعته من شفيق معلوف حين نظم داليته التى يقول فيها:

زمانَ تدقُّ بالنجم القوافى
وتخلعها على الأفقين بُردا
خلعت على بنى حمدان فخراً
على مر الليالى مستجدّا
محامدهم غزوت بهن افقاً
ومهدت الغمام لهن وسدا
لمعتَ على جبين الملك تاجاً
وكنت لسيف دولته فرندا
كأن لجيشه فى كل بيت
وهزّة مطلع نصراً معدا

■ ولا جدال فى أن بصمات المتنبى ظاهرة بجلاء فى رائعتى القروي ومعلوف، كما هى ظاهرة - بقدر أو آخر - فى كل شعر قيل فيه ولم يستطع الغبان ولا كان له أن يستطيع أو يريد أن يسلم من هيمنة المتنبى، فقال فى قصيدته يصف الشعراء:

ملأ السهاد عيونهم ألماً فلا
نوم يمر بها ولا إغفاء
حملوا هموم الناس بين ضلوعهم
ناراً بها تتوقد الاحشاء
فاذا اكتوى بالوجد قلب والهٌ
كانت له بقلوبهم أصداء
صمدت نفوسهم الأبية لم ينل
من عزمها ضعفٌ ولا استخذاء
ألقوا بثاقب نظرة فتكشفتْ
لهم على علاتها الأشياء
وتوضحتْ لهم الأمور جليّة
فالحق حق، والرياء رياء

■ وفى هذه الأبيات تصوير صادق للنفوس الشاعرة، لا لنفوس الشعراء فحسب، فقد لا ينظم المرء شعراً ولكنه يكون إنساناً بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى فيفرح لأفراح الناس وإن لم تربطه بهم وشيجة ويتألم لآلامهم وإن كانوا بعيدى الدار ويضع لكل حرف نقطته اللازمة كما يقول المثل العربى «فالحق حق والرياء رياء».

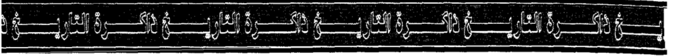
■ ويقدم لنا الشاعر فى همزيته لمحات شائقة من حياة المتنبى نستطيع من خلالها أن نتتبع مواطىء أقدامه وهواجس ضميره فى الكثير من مراحل عمره.. مثال ذلك:

سلْ سيفَ حمدان وقد أبقتْ له
ذكراً روائع شعرك العصماء
أيامَ فى حلب صنعت ملاحماً
للشعر فيها تفخر الشهباء
كم من سيوف قبله أو بعده
فُلّتْ، وفيك له يظل مضاء

■ أو كما فى قوله:

ما كان كافور غداة قصدْتَهُ
كفؤاً وأين لمثلك الأكفاء
هل كنت تبغى مدحه أو فضحه
وبأنَّ قول الشعر فيه هراء
ورأيت فيه المضحكات، وربما
ضحك يحزُّ النفس فهو بكاء

■ ويروى لنا الغبان حكاية مصرع المتنبى بأبيات موجزة يقول فيها:



أودت بفنِّكَ طعنة من فاتكٍ
عاتٍ، وتلك الفعلة الشنعاء
إن أخطأتْك يدُ النجاة فانها
دنياك تملأ جوفها الأخطاء

■ واذا كان لنا من ملاحظة، فعلى هذا «الجوف» من دنياك وعلى البيت الأول فإن «فاتكا» لم يُودِ بفن الشاعر العظيم وإنما أودى بحياته. وكأن الغبان قد أدرك سلفاً أن الناس أو «بعضهم» قد يسجل عليه هذا المأخذ فاستدرك قائلاً:

فاذا الفناء مشى لجسمك إنما
فى المجد لا يمشى إليك فناء
يا قسوة الانسان يركب رأسه
جهلا وتملك أمره الأهواء
لن يطفئوك فإن مجدك مشرق
فى كل منعطف له أضواء
آمنت أن الفكر أخطر فتنة
والعبقرية محنة وبلاء

■ أحسنت ولكن الفكر فكران: فكر خيّر بناء فهو نور يضيىء وطريق يُسلك، وفكر فاسد هدّام لا يحمل فى مطاويه الا الشر والويل والفساد، وليس من ريب أن الشاعر تعمد المعنى الاول.

■ كان لابد فى هذه الرحلة الطويلة التى اعدها الشاعر العراقى، من الالمام بحال الشعر فى هذه الايام، وما يكتنفه من محن ورزايا، وما يتعرض له من عبث وتهويج، فقال:

يشكو لك المتطفلين فإنهم
عاثوا به وتلاعبوا ما شاؤوا
سلبوه روعته، ورونقه، فهل
وصلت إليك بذلك الأنباء
باسم التحرر والتجدد شوهوا
منه الجمال، فبئست الأسماء
فاذا غدا التجديد مسخاً إننا
مما أتى هذا الجديد براء



الشعر ليس طلاسماً عن حلها
يعيا شعور مرهف وذكاء

■ إن هذه الآفة التى يشكو منها شاعرنا الغبان ليست وقفاً على الشعر العربى، بل هى متفشية فى كل الأصقاع ـ لا فى الشعر فحسب بل فى النثر أيضاً ـ وقد يكون لشعراء الغرب ما يسوغ أو يفسر هذا الشرود والتشرذم والتعمية والضياع فى المتاهات، نتيجة حتمية لما أفرزته الحربان العالميتان الأخيرتان من تمزق فى الأجساد والأرواح ومن خراب فى الدور والمعالم ومن فقدان للقيم الروحية والفكرية ومن استهتار بالاعراف والتقاليد الاجتماعية، ولكن ما عذر شعراء العرب فى تقليد أفكار لا تنبع من نفوسهم، وتبنى مذاهب لا تعبر عن عواطفهم وتتبع مناهج لا تستوى مع أساليب لغتهم وفنهم وتفكيرهم؟.

■ لا أريد القول انى ضد التجديد فهو من نواميس الحياة، وقد جدد نزار القبانى وفدوى طوقان فهللنا وكبرنا لأنهما خاطبانا بلغة نفهمها ولم يغيبا فى الضباب، ولم يرفعا بيننا وبينهما سوراً لا تدركه الأنظار. ما أريد أن أقوله انى ضد الطلاسم والأحاجى، وكما قلت فى مناسبة ماضية انى ضد «قبعات الاخفاء» ضد أساليب المشعوذين فى استخراج الأرانب من الأكمام.

إن الغموض مستقبح اذا كان مرادفاً للتعمية ومقصوداً لذاته، وما أصدق من قال: لو كان الغموض شعراً لكان الصمت أعلى مراتب الشعر.



ثقافة المؤرخ العربي

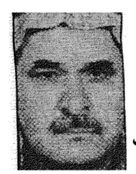
● لابد لمن يتصدى لتأريخ القرنين الأولين من الهجرة خاصة أن يكون عالما
● كتب التاريخ المحضة ليست المصدر الوحيد لكتابة التاريخ العربي والاسلامي.
● اتقان اللغة متنا ونحوا من أهم ما يجب أن يلم به الكاتب التاريخي.

■ ليست كتب التاريخ المحضة مصدراً وحيداً لكتابة التاريخ العربي والاسلامي، فهناك مصادر أوثق وأصدق، نجعلها القاعدة التي نبني عليها، ولا تصح موازنة ما يثبت بالقرآن الكريم بغيره مما ورد في مصادر أخرى ثم تأتي بعد ذلك كتب الحديث الشريف، التي تعد أخبارها الصحيحة والحسنة والضعيفة أيضاً، أصدق مصدر بعد كتاب الله تعالى، ونأخذ منها غير الفقه وسيرة الرسول عليه السلام، شيئاً من أخبار العرب في الجاهلية، كما جاء فيها كثير من أخبار الصحابة، بعد وفاة النبي ﴿ﷺ﴾، فنجد من أخبار أبي بكر رضي الله عنه، قصة اسلامه وتصديقه للنبي ﴿ﷺ﴾ (البخاري وأحمد) وهجرته مع النبي، ودفعه أذى قريش عنه (البخاري) وموطن سكناه في المدينة (أحمد) ومحاورته علياً وفاطمة في قصة الميراث (البخاري ومسلم) وقصة بيعته وما جرى بين المهاجرين والأنصار يوم وفاة النبي ﴿ﷺ﴾ (البخاري وأحمد).

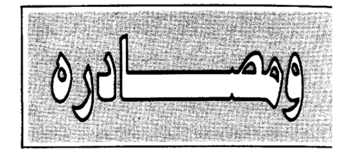
■ ومن أخبار عمر رضي الله عنه، نجد قصة إسلامه (البخاري وأحمد) ودعاء الرسول ربه بأن يعز الاسلام بأحد العمرين (الترمذي) وخطبته بعد مبايعة أبي بكر (البخاري) ومواقفه يوم السقيفة (البخاري وأحمد) وكتابه الى امراء الجيش قبل موقعة اليرموك (أحمد) وخبر مقتله ووصيته لمن يخلفه (البخاري ومسلم) وسؤاله عائشة أن يدفن بجانب النبي ﴿ﷺ﴾ (البخاري).. هذا ولم أذكر الا نماذج مما يمكن أخذه عن كتب الأحاديث.. وقُلْ مثل ذلك في بقية الصحابة عثمان وعلي ومعاوية.. وغيرهم ممن لم يتول الخلافة، كأبي ذر وأبي هريرة وسعد بن أبي وقاص، والزبير رضي الله عنهم.

■ وكما لا يستغني المتخذ كتاب الله مرجعه التاريخي عن قراءة التفاسير، فكذلك لا يستغني الراجع الى كتب الأحاديث عن معرفة مصطلح الحديث، والرجوع الى الكتب التي شرحت الأحاديث النبوية لأن أصحابها أقدر الناس على معرفة ما ينطوي عليه الخبر من دلالات، ومن أشهر شروحات الحديث النبوي: «فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، وشرح الامام النووي لصحيح مسلم.

■ أقول: إنك لن تستطيع أن تقدم وصفاً صادقاً للحياتين



. بقلم: محمد محمد حسن شراب
المدينة المنورة



الأخبار وعارفا بعلم الجرح والتعديل»

الاقتصادية والاجتماعية فى صدر الاسلام، وبخاصة فى المدينة المنورة، ما لم ترجع الى كتب الحديث حيث جاء الاسلام بتعاليم جديدة حرمت بعض ما كان سائداً وأقرت الناس على بعض ما كانوا عليه، كما قضى الرسول فى بعض الخصومات التى كانت ترفع اليه.

■ ومن مصادر المؤرخ العربى، كتب الفقه الاسلامى، لأنها مستنبطة من الكتاب والسنة وفيها تأريخ للمجتمع الاسلامى وعاداته وتقاليده التى لا تخالف القرآن والسنة، وبنى عليها بعض الأئمة الاحكام الفقهية فى الفروع.

وقد عزا الباحثون بعض أسباب اختلاف أصحاب المذاهب الفقهية فى الفروع الى اختلاف الحياة الاجتماعية فى الأمصار التى نشأت بها المذاهب الأربعة، كما عللوا انتشار المذاهب فى الأمصار، بأن كل مصر اختار المذهب الذى يناسب حياته الاجتماعية. وذكر ابن خلدون فى مقدمته سبب أخذ أهل المغرب والاندلس بمذهب الامام مالك فقال: «فرجع إليه أهل المغرب والاندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل اليهم طريقته، وأيضاً فالبداوة كانت غالبة على أهل المغرب والاندلس، ولم يكونوا يعانون من الحضارة التى لأهل العراق، فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة..».

وقال الإمام القرافى: كل ما كان فى الشريعة يتبع العوائد، يتغير الحكم فيه عند تغير العادة، إلى ما تقتضيه العادة المتجددة، وقال: بل اذا جاءك أحد من غير أهل بلدك يستفتيك، لا تجبره على عرف بلدك، واسأله عن عرف بلده، وأفته به دون عرف بلدك.. ولا شك أن المقصود بالعوائد والعرف، ما لا يخالف القرآن والسنة..

فقد وحّد الاسلام بين الناس فى العقيدة والأصول، ولم ينبذ من العرف إلا ما خالف الشرع، وبقيت عوائد اجتماعية أخرى، ولأن العادة تختلف لاختلاف المناخ والاقليم الجغرافى فلذلك لا يستطيع المؤرخ أن يقدم حكما واحداً على البيئات الاسلامية كلها، ولهذا فإن دارس كتب الفقه، وبخاصة الفروع التى اختلف فيها الفقهاء يتعرف على كثير من النواحي الاجتماعية (العرف الاجتماعى) والنواحى الاقتصادية بل ان الذى يتابع كتب الفقه لكبار العلماء فى شتى العصور يجد ما طرأ على المجتمع من العادات والأخلاق، من خلال الفتاوى التى يصدرها كبار العلماء، كما فى فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية والعز بن عبد السلام وغيرهما.

■ ولأن كتب التاريخ القديمة، لم تفرد أبواباً لوصف الحياة الاجتماعية، ثم كان هذا الباب أحد الموضوعات الرئيسية فى كتب المؤرخين فى العصر الحديث، وقع المؤرخون المعاصرون فى الضلال عندما كتبوا عن الحياة الاجتماعية فى مركز الخلافة ثم عمموا هذا الوصف على جميع الأقاليم، فكثيراً ما تجد عنوان «الحياة الاجتماعية فى العصر الأموى» ومثله فى العصر العباسي.. فيصفون ما يكون فى دمشق أو بغداد، وهو أمر لم يحصل ولن يحصل، وبخاصة فى الدول المترامية الأطراف، وليس أدل على ذلك، من اختلاف العوائد الاجتماعية فى عصرنا الحاضر مع وجود عوامل التوحيد الثقافى عن طريق المدرسة والصحافة والاذاعة والتلفاز.

■ أقول: إن قراءة أبواب «البيوع، والمزارعة والمساقاة، والزكاة، والصدقة تعطى دلالات مفيدة فى رصد الحياة الاقتصادية للعصر الذى نؤرخ له، وقراءة فتاوى العلماء،

● للفكر أثر عظيم فى اللغة ولولا الفكر لفقدت اللغة خواصها

وتاريخ القضاة والموضوعات التى عرضت عليهم تقدم دلالات اقتصادية واجتماعية فى الأقاليم الاسلامية، حيث تعدد القضاة بتعدد الاقاليم.

■ ومن مصادر المؤرخ العربى: كتب تراجم المؤلفين والرواة وألقابهم وأنسابهم وأشهر الكتب فى الجرح والتعديل.

فلابد لمن يتصدى لتأريخ القرنين الأولين من الهجرة خاصة أن يكون عالماً بالرجال رواة الأخبار وعارفا بفن الجرح والتعديل، لأن المرويات التى تتحدث عن القرون الأولى ـ خير القرون ـ تعتمد على السند، وجمعت كتب التاريخ لهذه العصور بين الصحيح والضعيف والمتهافت من الأخبار، ولذلك لابد من نقد الرواية سنداً ومتناً قبل الاستشهاد بها، وذلك، ليكون التاريخ مبنياً على الصدق أولا، ولأن جل أهل هذه القرون ممن يقتدى بهم فى الدين، وسيرة الكثير منهم سنة، وبخاصة سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وسيرة اصحابه رضوان الله عليهم.

كما أن القرون الأولى تضم التابعين وتابعيهم وفيهم خلق كثير من رواة السنة وحملة العلم الشرعي، وقبول المطاعن فيهم بغير دليل، طعن فى علمهم ورواياتهم، وما وثقه أهل العدل لا يمكن أن نقبل فيه طعناً، ولا ننسب إليه ما لا يليق بمقامه.

■ ونحن محتاجون الى قراءة تراجم الصحابة والتابعين، لإضافة ما فيها من الأخبار الى ما وجدناه فى الحديث الشريف لأن الذين جمعوا هذه الأخبار لم يثبتوا الا ما كان صحيحاً، ونفوا عنها الأكاذيب والأباطيل.. ومن المعروف أن الصحابة كلهم معدلون بتعديل الله لهم، وما وصلنا من سيرتهم الصحيحة يمثل جزءاً من تاريخ عصرهم، ولكننا لا نأخذ تراجم الصحابة عن كل كتاب فهناك كتب خاصة ألفها أصحابها لبيان صحبة الصحابى، وروايته عن النبى ﴿ﷺ﴾ ومن روى عنهم من التابعين فمثل هذه المؤلفات هى التى غربلت الاخبار والسير ونقدتها، ولم تثبت إلا ما كان صحيحا منها، ومن أشهرها كتاب «الإصابة» لابن حجر العسقلانى.

■ أما تراجم التابعين ومن بعدهم من حملة العلم ورواة الحديث، ورواة الأخبار عامة، فقد نقحها العلماء، فمن كان معدلا منهم ذكروا شهادات العلماء فى توثيقه، ومن كان مجروحاً ذكروا أقوال العلماء فى سبب جرحه وهم أيضاً تمثل تراجمهم جزءاً من تاريخ عصرهم فتحكم له أو عليه.

ومن أهم ما صنف فى الرواة عامة وذكر جرحهم وتعديلهم بتذكرة الحفاظ للذهبى وتهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلانى.. وكتاب «الانساب» للسمعانى. ومن أهم كتب الجرح والتعديل «ميزان الاعتدال» للذهبى و«لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني.

■ أقول: إن المؤرخ الصادق لا يقبل قصة أو خبراً منسوباً الى رجل ما لم يرجع الى مثل هذه الكتب، فإن كان خبراً قادحا فى مروءة الرجل أو أخلاقه، فإما أن تجده فى سير هؤلاء الرجال أو لا تجده، فإذا قرأت سيرة الرجل ووجدت العلماء يجمعون على توثيقه، فإنك لن تجد الخبر الذى تبحث عنه، لأن تعديل الرجل، دليل على كذب الخبر الذى يقدح فى أخلاقه، وإن وجدت الرجل مشهوداً عليه بالجرح، فليس ببعيد أن يصدر الخبر عنه، وقد يكون أحد الأسباب لجرحه، وقد يكون غيره، وعلى كل حال، فإن نسبة الخبر الى هذا المجروح تدعونا إلى رفضه، وعدم الاعتماد عليه فى بناء الاحكام.

■ ومن مصادر المؤرخ العربى: كتب اللغة وأريد بذلك «معاجم اللغة» وبخاصة المطولة منها مثل «لسان العرب» و«تاج العروس» فهى حافلة بأسماء الرجال والقبائل والأماكن وأحوال معايش أهل البادية ونأخذ منها شيئاً من أذواق الناس فى المطاعم والمشارب، والنباتات والحيوانات المعروفة، وتطور ذلك بين الجاهلية والاسلام، لأن اللغة

لها دلالة على حياة الناس ومعاشهم وفكرهم. فإن للفكر أثرا عظيما فى اللغة، ولولا الفكر لفقدت اللغة خواصها، ولم يكن لوجودها أية فائدة فإن الفكر هو الذى يربط الألفاظ بمعانيها، فيعمد إليها وهى أصوات فارغة، فيردها كالأصداف تحمل من درر المعاني ما يبهر العقل، أو كالأغصان تحمل من الثمار ما تشتهيه النفس، والفكر هو الذى يتوسل به الانسان إلى توسيع نطاق اللغة وتنظيمها فيدخل فيها عند الحاجة كلمات جديدة أو يبتدع فيها أساليب طريفة.. ومن شواهد تأثير الفكر على اللغة، أن اللغة لا يرتفع شأنها وتظهر فصاحة الفاظها إلا أن تلد أرضها رجالا ذوى عقول نيرة وقرائح جيدة.. ولهذا فإن دراسة اللغة تعطينا دلالات قوية على الحياة العقلية عند العرب ومن خلال اللغة نتعرف على انكماش المجتمع، أو انفتاحه على جيرانه فنعرف منها مدى اتصال العرب بالعجم من خلال الكلمات المعربة التى استخدمها العرب، ونعرف مستوى معيشتهم من الأدوات التى كانوا يستخدمونها والطعام الذى يأكلونه وغير ذلك كثير مما لا يحصى من الفوائد الثقافية والاجتماعية والتاريخية.

■ ومن طريف ما استنبطه ابن جنّى من دراسة اللغة، رقة العرب ودماثتهم مع تبذلهم وبذاذة ظواهرهم، حيث يقول فى الرد على من اعترض على العلل النحوية واللغوية التى ذكرها النحويون لكلام العرب: «فإن قلت فمن أين يعلم أن العرب قد راعت هذا الامر وعنيت بأحواله حتى تحامت هذه المواضع التحامى الذى نسبته اليها وزعمته مراداً لها، وما أنكرت أن يكون القوم أجفى طباعاً وأيبس طينا من أن يصلوا من النظر الى هذا القدر اللطيف الدقيق الذى لا يصح لذى الرقة والدقة.. قيل له: هيهات ما أبعدك عن تصور أحوالهم وبعد أغراضهم ولطف أسرارهم ومما يدلك على لطف القوم ورقتهم مع تبذلهم وبذاذة ظواهرهم، مدحهم بالبساطة والرشاقة، وذمهم بضدها من الغلظة والقساوة، ألا ترى إلى قول زينب أخت يزيد بن الطثرية ترثيه:

فتى قُدَّ قَدَّ السيف لا مُتآزِفٍ
ولا رهل لباتُه وبآدلُه

■ وقال جميل:

فلو كنت عذريَّ الصبابة لم تكن
بطيناً وأنساك الهوى كثرة الأكل

■ وقال عمر:

قليلا على ظهر المطية ظله
سوى ما نفى عنه الرداء المحبّر

■ قال ابن جنّى: وأظن هذا الموضع لو جمع لجاء مجلداً عظيما.

■ ومما لا يستغنى عنه المؤرخ العربى، اتقان اللغة العربية، متناً ونحواً فهي من أهم ما يجب أن يلم به الكاتب التاريخى، لأنها المفتاح الأول والأوحد للمعرفة العربية ولصياغة الاسلوب العربى، والمؤرخ العربى الذى لا تكون له معرفة رفيعة بلغته العربية هو مؤرخ غير جدير بأن يكون مؤرخاً عربياً لأنه يكون غير قادر على امتلاك المعرفة العربية وبالتالى يكون غير قادر على الفهم والإفهام. ولأن معرفة مدلولات الألفاظ من أهم شروط العلم الذى يتمتع به المؤرخ.

■ قال السخاوى: لقد وقع كثيرون فيما لا يقتضى جرحاً لجهلهم بمدلولات الألفاظ، وقال: بل فى كتب المتقدمين الجرح لأحمد بن صالح المصرى وأبى حاتم الرازى وغيرهما، بالفلسفة لظنهم أن علم الكلام فلسفة.. وأحمد بن صالح وثقه البخارى وخلق كثير، إلا أن النسائى، رماه وأساء الثناء عليه وقال: حدثنا معاوية بن صالح سمعت يحيى بن معين يقول: أحمد بن صالح كذاب يتفلسف.

■ ولذلك فإن حاجة المؤرخ الى اللغة لا تقل عن حاجة الأديب اليها، لأن مصادر المؤرخ، يدخل فيها الشعر الجاهلي وخطب الجاهليين وأمثالهم بل يدخل فيها الشعر فى صدر الاسلام، ومن مصادره القرآن الكريم والحديث الشريف فإذا لم يكن المؤرخ متمكنا من اللغة والنحو، ضل فهمه، وضاقت نفسه عن التحصيل والفهم.

(١٣٨) لا تطفل في السلام

دُعي النبي صلى الله عليه وسلم، إلى وليمة أقامها له أحد أصحابه، وفي طريقه الى مكان الدعوة ـ وكان قد اصطحب بعض فضلاء الصحابة ـ لـمَّ عليهم رجل فتبعهم الى بيت مضيفهم وعند الباب أشار النبي ﴿ﷺ﴾ الى ذلك المتطفل قائلاً لصاحب الدعوة:

«إن هذا تبعنا في الطريق، فإن شئت أذنت له، وإن شئت رجع».

قال الداعي: بل نأذن له يا رسول الله.

(١٣٩) من دلائل النبوة

عن جابر ـ رضى الله عنه، أورده القِنَّوجي عن البيهقي، قال: جاء رجل الى رسول الله ﴿ﷺ﴾، وقال: يارسول الله، يريد أبي أن يأخذ مالي.

فقال، صلى الله عليه وسلم: ائت بأبيك. فلما جاء أبوه، قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: يقول ابنك إنك تأخذ ماله. قال: سَلْهُ يا رسول الله لا مصرف لماله إلا على عماته وقراباته، أَمَا أصرفه على نفسي وعيالي؟ فنزل جبريل ـ عليه السلام ـ وقال: يارسول الله. قال هذا الشيخ في نفسه شعراً ما وصل إلى أذنه، فسأله رسول الله: هل قلت في نفسك شعراً؟ قال الشيخ: لا يزال الله تعالى يزيدنا بك بصيرة ويقيناً، وعرض سبعة أبيات نظمها في نفسه وهي:

غذوتُكَ مولوداً وصنتُك يافعاً
تعل بما أجني عليك وتنهل

إذا ليلة ضاقت بك السّقم لم أبت
لسقمك الا ساهراً أتململُ

تخاف الردى نفسي عليك وإنها
لتعلم، أن الموت حتمٌ موكّلُ

كأني أنا المطروق دونك بالذي
طرقت به دوني فعينيّ تهملُ

فلما بلغت السنّ والغاية التي
أتتك مراماً فيه كنت أؤمل(١)

جعلت جزائي غلظة ونظافة
كأنك أنت المنعم المتفضل

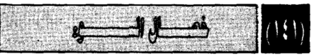
فليتك إذ لم ترع حق أبوتي
فعلت كما الجار المجاور يفعل



(١٤٠) مع الشر ثانيا

أسطورة ترويها العامة، ومع أنها اسطورة ففيها عبرة وعظة، قالوا ـ في هذه الاسطورة ـ: ان رسول الله، أرسل عليّاً ـ كرّم الله وجهه ـ في مهمة، فصعد ريعاً (ثنية) فإذا لحمة مطروحة، فضربها بالسيف فانتفخت قليلا، فضربها ثانية فزمت فضربها الثالثة فسدت الريع. فعاد علي أدراجه، فسأله النبي عما أرجعه، فقص عليه الخبر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الشر يا علي ولو تركته ما ضرك.

ويطابق هذه الأسطورة قول الناس: (الشر ما ينتشارى).



(١٤١) خصال السوء

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: خصال خمس أعوذ بالله أن تدركوها: لم تظهر الفاحشة في قوم الا فشت فيهم الأوجاع التي لم

ـ (القنوجي/ أبجد العلوم: ١/ ٣٣٠)

(١) روى عجز هذا البيت لأمية بن ابي الصلت هكذا:
(اليها مدى ما كنت فيك لؤمل)
ومن هذه المقطوعة أبيات تروى لأمية المذكور



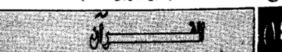
تكن فى أسلافهم، ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا ولا نقضوا عهدا لله وعهد رسوله الا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فيأخذ بعض ما فى أيديهم، ومالم يحكم أئمتهم بكتاب الله الا جعل بأسهم بينهم. (رواه بن ماجه والبزار والبيهقى).

والآن، ليستعيد كل منا هذه النقاط الخمس بتأن وتفكر، ثم يسأل نفسه: هل بقى منهن واحدة لم تقع؟ أليست هذه الفواحش قد ملأت الأرض، وأليست هذه الأمراض التى لم يسمع من قبلنا بشىء منها قد حدثت ويحدث منها جديد فى كل يوم جديد؟.

أليست المغالطات والغش التجارى المتفشى اليوم هو نقص فى حقوق الناس مثله مثل نقص المكيال والميزان؟ وما بقية النقاط بأسعد حالاً ولا أفضل مآلا، فقد بخل الكثيرون بزكاة أموالهم بينما الفقراء يتضورون جوعاً، وحكم بعض رؤسائهم بغير حكم الله، فاستوردوا قوانين يسنها المخلوق معارضاً بها حكم الخالق، فسلط الله هذه الأمة بعضها على بعض، يضرب بعضها رقاب بعض على أوشاب وأنشاب لا تشبع جائعاً ولا تكسى عرياناً.

(١٤٢) بشر الحافي، وفهمه الدنيا

يحكى أن بشر الحافى: سار ومعه رجل فى طريق، فعطش صاحبه، فقال له: نشرب من هذه البئر؟ فقال بشر: اصبر الى البئر الأخرى. فلما وصلا إليها قال له: البئر الأخرى. فمازال يعلله، ثم التفت إليه فقال: هكذا تنقطع الدنيا. (صيد الخاطر لابن الجوزى: ٢٩٩)



يروى عن عليّ كرم الله وجهه: القرآن حبل الله الممدود وعهده المعهود، وظله العميم، وسراطه المستقيم، وحجته الكبرى، ومحجته الوسطى.

وهو الواضح سبيله، الراشد دليله، الذى من استضاء بمصابيحه أبصر ونجا، ومن أعرض عنه ضل وهوى.

حجة الله وعهده، ووعيده ووعده، به يعلم الجاهل، ويعمل العامل، وينتبه الساهى، ويتذكر اللاهى، بشير الثواب ونذير العقاب، شفاء الصدور، وجلاء الأمور. من فضائله أنه يقرأ دائما ويكتب ويملى ولا يمل. (عن كتاب فضائل القرآن، للمؤلف تحت الطبع).

(١٤٤) فاطمة تؤبن أباها

عن أنس بن مالك: ان فاطمة قالت: يا أنس كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﴿ﷺ﴾ التراب؟ وقالت: يا أبتاه من ربه ما أدناه، وا أبتاه جنة الفردوس مأواه، وا أبتاه إلى جبريل ننعاه، وا أبتاه أجاب رباً دعاه. قال حماد (ابن زيد بن ثابت): حين حدث به ثابت بكى، وقال ثابت: حين حدث به أنس بكى. (رواه الدارمى)

(١٤٥) من فقه ضحكة

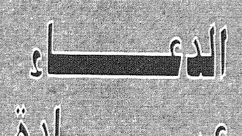
عن عليّ بن الحسين بن على بن أبى طالب، رضى الله عنهم، قال: من ضحك ضحكة مج مجة من العلم. (رواه الدارمى)



قال تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم. فإن تولوا فقُل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾. (يونس: ١٢٨، ١٢٩)



« فيصل محمد عراقي »



طلب الدعاء لله عبادة، لأنه أمرنا عز و جل به ووعدنا الإجابة، ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾. أي صاغرين مذلولين.

فواضح من سياق الآية الكريمة أنه سبحانه وتعالى جعل الدعاء مظهراً من مظاهر الإيمان والعبادة له، وكأنه ألمح إلى أن الاستكبار عن الدعاء مظهر من مظاهر الكفر والجحود.

والتضرع بدعاء الله مظهر من مظاهر تمام العبودية له جلّ شأنه. حيث يقف الداعي مهما علا قدره موقف المحتاج إلى ربه. يسأله سؤال المضطر إلى عونه.. والفقير إلى عطائه.. والمكروب إلى فرجه.. والمريض إلى شفائه.. فادعُ ربك عبادة وعبودية..



قل: يارب لولا عطاؤك لكنت من الهالكين.

قل: يارب إن سمعي وبصري ولساني وقلبي وعقلي بيدك، فإذا قضيت بشيء لي فكن أنت ولي، واهدني إلى أقوم سبيل.

قل: يارب.. يا خير من سئل.. ويا أكرم من أعطي.. يارحمة الدنيا والاخرة.. ارحم عبدا لا يملك دنيا ولا اخرة.

قل: يا مالك الاكوان .. يا مسبحا بكل لسان؛ باعد بيني وبين طرق العصيان.. وأمنحني رضاك والامان من عذابك وسخطك، واجعلني متوكلا عليك.. يارب:



كلهم سائل وأنت مجيب
تلك نعماك مالها من نفاد

ضروريا وقد يكون مستحيلا، وانما المطلوب والممكن ان يتفق المسلمون على مناهج إسلامية موحدة فى التعليم والتربية والاعلام والاقتصاد والدفاع.

■ وخلال زيارة الوفود لمنطقة السويس ومشاهدة آثار الحرب العدوانية الاسرائيلية على المنازل والمتاجر والمرافق العامة والخاصة وبعد صلاة الجمعة فى جامع الشهداء هناك ـ ألقيت كلمة كان منها: (أيها الاخوة الكرام.. كنتم تستمعون قبل صلاة الجمعة الى قارىء المسجد وهو يتلو عليكم قول الله عز وجل: ﴿**إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين، وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم، وما النصر الا من عند الله، إن الله عزيز حكيم**﴾ وأريد ان اذكركم بالمعانى الجليلة والإشارات الكريمة التى تضمنتها هذه الآيات وهى باختصار شديد: أن نلتمس العون والنصر من الله عز وجل، وألا نستغيث بشرق ولا غرب فى معركتنا مع اعداء الاسلام والمسلمين.

■ وقد أصدر المؤتمر قرارات وتوصيات بلغت الثلاثين تضمنت فى مقدمتها مطالبة الدول والشعوب الاسلامية بتأييد الشعب الفلسطينى وسائر الشعوب العربية فى جهادها لتحرير الديار والمقدسات التى احتلتها اسرائيل، والاهابة بالمؤسسات والمجتمعات الاسلامية بإنشاء صندوق للجهاد فى كل منها للانفاق على المجاهدين وأسر الشهداء وايصاء الفدائيين الفلسطينيين بتوحيد صفوفهم فى مقاومة عدوهم ـ كما دعا المؤتمر إلى انشاء مصرف اسلامي يخلو من المحظورات الشرعية، وإنشاء دار للفكر والنشر الاسلاميين.

وأوصى المؤتمر وزارات التربية والتعليم والثقافة فى جميع البلاد الاسلامية أن تعنى عناية خاصة بالتعليم الدينى فى كافة المراحل الدراسية ـ كما طالب المؤتمر جميع الحكومات والهيئات الاسلامية بعدم تقديم المشروبات المحرمة فى حفلاتها... الخ.

كما كان لي حديث قصير فى التليفزيون المصرى فى برنامج (موكب النور) وحديث لجريدة أخبار اليوم مع



محمد سرور الصبان — احمد بن ابراهيم الغزاوى

الاستاذ فاروق منصور حول دور المملكة العربية السعودية فى مجال الدعوة الاسلامية والتضامن الاسلامي وجهود الرابطة فى هذا المجال ورعاية المملكة لها.

عن المؤتمر الاسلامى المسيحى:

فى يوم ١٦/٣/١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م ـ تلقيت الخطاب التالى من معالى الامين العام لرابطة العالم الاسلامى الشيخ محمد بن على الحركان ـ رحمه الله ـ:

● سعادة الاستاذ احمد محمد جمال. عضو اللجنة الثقافية بالرابطة ـ المحترم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد، يسرنا ان نشعر سعادتكم انه تقرر عقد المؤتمر الاسلامى المسيحى فى قرطبة فى شهر مارس لاجراء حوار علمى شامل يمكن عن طريقه تبادل الآراء العلمية، ودراسة اوضاع الديانات المختلفة التى اصبحت عرضة للتهجم والاعتداءات من قبل الملاحدة وانصار الشيوعية الماركسية.

ونظرا الى ان الوفد الرسمى لحكومة جلالة الملك المعظم الى هذا المؤتمر قد تم تشكيله من قبل مقام وزارة الخارجية فقد وقع اختيارنا عليكم ضمن الوفد لما لكم من خبرة طويلة فى هذا المجال.

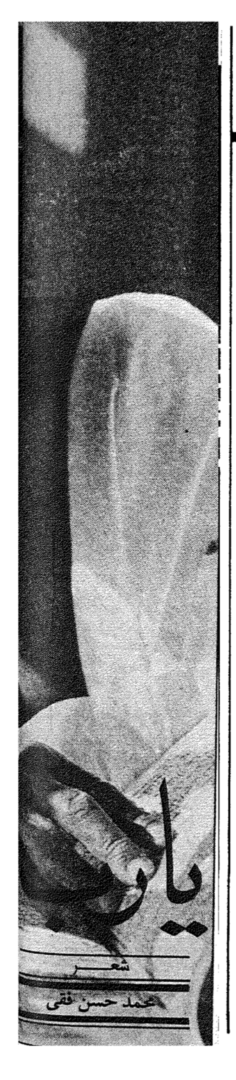
ارجو الاحاطة بذلك وموافاتى بما لديكم من مقترحات ومشورات بهذا الخصوص. والله يتولاكم برعايته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

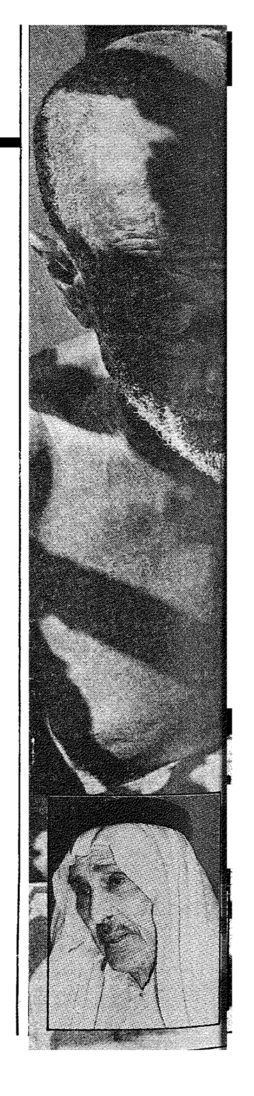
الامين العام

محمد على الحركان

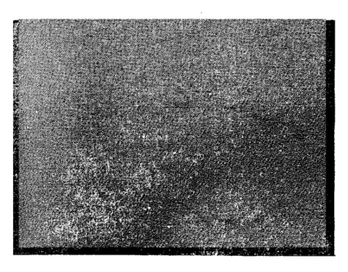


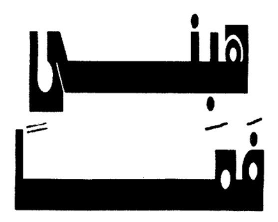


أنا فى حاجة إليك فبصِّرنى بدرب أسيرُ فيه.. قويم
أنكرتنى نفسى وأنكرنى الناسُ. وأصبحت بينهم كالهشيم
منذ أن كنت فى القماط تقلبت بمخشوشن يشق أديمى
لا تذرنى فردا فما أحسِن الخطو.. وحولى فى الدرب ألف رجيم
عشت ما أرتضى الحياة فما أطرى نعيمى. ولا أطيق جحيمى
ولديك العلم الخفى.. فما تعزب عنه فواجعى وكلومى
فأجرنى منها فقد أسلمتنى.. لغريم من الورى وخصيم
فالصِّبا الغض. ما ألذ الصِّبا الغض وأحلاه من ولىٍّ حميم
أرهقتنِى رؤاه يتما.. وما أقسى حياة على الصبىّ اليتيم
وتأملت فى الوجوه اللواتى.. حضنتنى وجلها من حريم
فوجدت الحنان يرنو الى المال.. ليغدو حنان قلب وخيم
وهو لا يستطيع.. فالمال لا يقوى وليس الجليد مثل الضّريم
وتلبَّثت فترة راعنى اليتمُ بها كارتياعه من رفيمي
لكأنى أصغى اليه وقد راح يناجى تخبطى ووجومى
قال: انى لقيت عسرا من الناس.. وما كنت بالضلول الأثيم
ويل هذى الحياة من عنت الناس وويل الرضيع ويل الفطيم
قلت لا تبتئس فرُبَّ سَمُوم.. عاد بردا وجاء بالتسنيم
وفقير قد أتربته العوادى باء من بعد فقره بالنعيم
ثم شب الصبى فاستروح الغبطة حينا.. واعتز بالتكريم
يا لها حِقبة من العمر مازال شذاها يموج فى الخيشوم
أين ذاك الشذا لقد ذاب وانداح بعيدا عنى كبعد النجوم
عاد وردى والياسمين كما العوسج وخزا كالشيح والقيصوم
وشانى رهط الغبيين بالذلة حينا.. وبالرياء اللئيم
كيف أرضى الهوان والحرُّ يأباه.. ولو عاش فى ثياب القديم



هكـذا مرّ بي الـشـبـاب وقـد كان جديدي في الـشـيـب مثل قديـمـي
وغـزا الـشـيـبُ لمتي فتوخيـت سلامـا من الـشـيـاه الـقـروم
غير أنـي لقـيـت حربـا طحونـا لم تهادن غير الخـسـيس الـلئـيـم
لم تهادن إلا أولي الـنـعـم الـغـلـفِ.. يرون الرِّبـاح في الـتـسـليـم
ما يبالـون بالـربـوع وأهـليـهـا.. ولا بالـضـلال والـتـأثـيـم
يخفـضـون الـرؤوس للـمـجـد والـمـال كذوبـين والأمـانـي الـحـسُـوم
أيهـا الـدرك كم من الـنـاس أويـت ومـا كنـت بالـغـشـوم الـظلوم
ظلمـوا الأنـفـسَ الجـريحة وانهالـوا عليـهـا فاصـبـحـتْ كالـرَّمـيـم
***
وتـنـاءيـت عن حطامـي وعـن مجدي تنـائيّ عن بلاء جسـيـم
فربـحـت الـضـمـيرَ ما أفـدح الخسر لعـادٍ على الـضـمـير الـكـريـم
ومضـى الـدهـر راكـضـا يصرم العمـر ويطوي الـلاك طي الـرجـيـم
فرأيـت الـعـجـابَ فيـه وأهـلـيـه فمـن مترف ومـن محروم
وأثـيـم يزهـو على الـنـاس بالاثـم وينـأى به عن الـتـحـريـم
وظـلـوم يلهـو بسـيـف ورمـح ويـبـاهـي بالهـدم والـتـحـطـيـم
ويـراعٍ ما كان أحـراه بالحق واحـجـى شـبـاه بالمـسـتـقـيـم
جاء عن شرعـة الهـدى وتـرامـى تحت أقـدام باذل وغـشـوم
بالـشـؤم الـيراع يطلب غنـمـا أتـراه بالخسر غير عليم
قال للجاهـل الـلـئـيم ومـا أكـذب ما قال ـ أنـت غير دميـم
أنـت ربُّ الجـهـال ينـفـث بالـسـحـر.. ويطوي جمال كل وسـيـم
وأخـو الـفـكـر والـشـاعـر نجلو.. للأنـاسيّ كل ليل بهيم
عقـمـتْ في الـورى عقـول ومـازلـت برغـم الـحـسّـاد غير عقـيـم
***
يا نديـمـي لقـد عزفـت عن الـلـهـو.. وأمـسـى شيـبـي الـوقـورُ نديـمـي
لن تروع الـعـقـبـى الـوخـيـمـة إلا.. كل من سار في الـطـريـق الـوخـيـم







يهفـو الى ضوء الصبـاح مسائى
وأنـــا أجـــرر فى الهمـوم ردائى

أجتـر فى جنـح الظلام مواجعى
وأبث فى سكن الـوجـود ندائى

وألـوّن الليـل الـطويل بحسرتي
فكـــأنــه مستــودع لشقـــائى

وكـــأننى والنجم يرقب حيـرتى
ساعٍ الى نبـــع بغيــر سقـــاء

ما بال هذا الليـل، يسبقنى الى
هدفي، وما بال الصباح ورائى؟

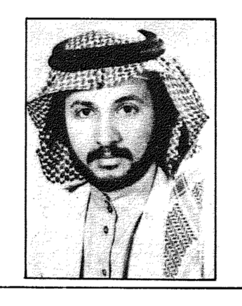
الـذكـريـات، وكـل أغنيـة على
شفـة الضحى ذابت، وكـل حداء

حُجبٌ مكثفـــة عليـــك، وانمـــا
يزهـو ضيـاء البـدر فى الـظلماء

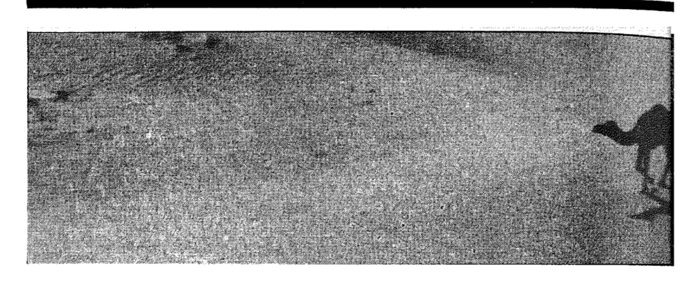
ما كنــت أعـلم أن للذكـــرى يدا
تعـطي، وأن يدى يد استجداء

ما كنــت أعلم أن في دربي رؤى
نشـــوى، تقـربنى من البعــداء

لو أنــــــنـي أدركـــت سر تلوهـي
لجعلت ناصيـــة الهمـوم حذائى



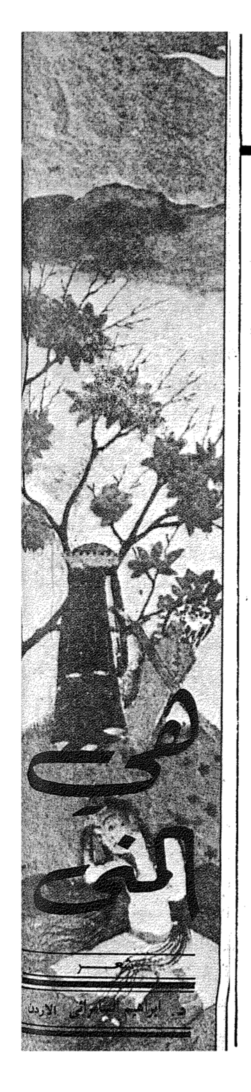
عبد الرحمن صالح العشماوى



ومضيت فى دربى إليك يزفنى
شغف يشب النــار فى أحشائى
من مقلتيك شربت كأس سعادتي
ونــسجت كل قصيــدة عصمــاء
أفـرغت فيها ذوب إحساسي، وها
أنــذا أقــدمها على استحيـاء
بك يرتــدى قلبى ملابس عرسه
وعليـك تشقى مقلتي ببكـائي
واليـك يهفـو الشعر حين أصوغه
شوقـا، ويصـرخ صرخـة استجداء
ويهـزنى أملى فتتنـداح الـرؤى
فى ناظـرى، كأنجم الــزهــراء
وتـــظل تؤلمنى وساوس خاطـر
يخشاك أن تسقيـه كأس جفـاء
فيلذ لي طعم العتـاب وأشتكي
وأ حس أ نك دائــم الاصـغــاء
يا صاحبًــا عبث الغـرور برأسـه
فكــوى بنـــار غروره أحـشـائي
لِمَ هكــذا تقسـو على مَنْ قلبـه
ملواك، هذى شيمــة الجبنـــاء

أذبلـت فـى قلبـى زهـور محبتـي
وحصـدتهـا بمنـاجـل البغضـاء
أوَتَـــدَّعـي حبـي، فأ ين عطاؤه
أسـمـعـت عن حب بدون عطاء؟
أسمعت عن شوق بدون تحــرق
أسمعت عن أرض بدون سمـاء؟
أسمعت عن ليــل بدون ظلامــه
أسمعت عن فجــر بدون ضيـاء؟
أتـريد معنى الليل عندى؟ انه
سجن الجـريـحـ، وستـرة الجهلاء
أتـريد معنى الفجر عندى؟ انه
رمـــز لكــل تآ لفٍ وصــفــــاء
أتريد معنى الشعر عندى؟ انه
نبض القلوب، وواحــة الشعــراء
أتقــول: ان الــدرب وعـــر انمـا
وعـر الـطريق لارجـل العـظمـاء
أوَلم تذق طعم المـرارة والاسى
مثلي، ولم تشعر بمثل شقائى؟
هبني نظرت اليـك نظرة بائس
أولَـست ترحم نظرة البــؤســاء؟





عدمت المنى يا ليتها حفظتْ عهدا
ويا ليتها وافت وقد صدقت وعدا
عَلِقت بها صفوا وصحوا وصبوة
خلاصة أيام تخايَلنَ لي سَعْدا
هويتُ المُنى ويح المنى عز خطبُها
لقد رحت فيها أبتغي عهدها رفدا
لو أن المنى حققن بعض مخايل
وقربن مني ما شقيت به بُعدا
ولكنني غودرت عنهن بالذي
شجاني فيما قد تقبلتهُ وقدا
وكنتُ أجلتُ العينَ ساخنة الرُّؤى
بهن فلا قرَّت بما آملت بَردا
ولا النفسُ فيما طامَنَت من نزاعِها
بساخطة فيما تلظت به وجدا

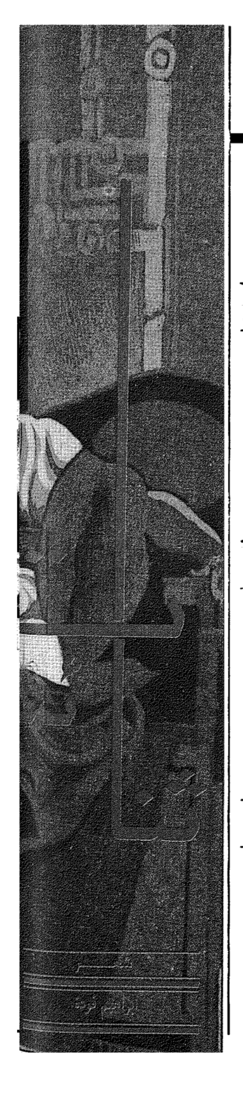
***

ألا رَحِمَ اللهُ اللواتي وهبنني
سجاحة عهد قد رضيت بها وُدا
وبت وللذكر الأليم حكاية
وكيف بأمر لست أدركهُ سردا
نأين وما الذكرى تقرب نائيا
وكم فاتني مالا أطيق له ردا
فصول كأهوال الخطوب كثيرة
وهل لك في شر تصيب به عدا



ومـا أنــت من خطب بصـاحـب حاجـة
اذا أنــت منــه قد تجاوزتــه حدا
ولمـا تجافـتـني الحـيـاة بها دجـت
وأخـلـف عني ما توسـمـتـه رغـدا
أذنــت لنـفسي أن تفــيء الى هوى
وأن تبـتـغى ما كان فى نهجهـا أهـدى
وأن تسـلك الحــزم الـذي لا يطيـقـه
سوى من بلاه الـصـبر فالـتمس الجـدا
هوىً أتـصـبـى فيـه صونـا وعـفـة
ولـسـت به عما شقيـت به فقـدا
وجـدت به لي صاحـبـا لا أمـلُّه
هو «الحـرف» لا أنفـك أصفي له الحمدا
سلوت الـذى قد رابـنـى لا ملالـة
عرام شبـاب ما أعـاد ومـا أبـدى
وعـدت الى نفس أرم بنـاءهـا
بما أسـعـف الحـزم العنيـد ومـا أسـدى
كدأب الـذى لم يلف زادا لحاجـة
فآب الى ما لم يجد دونـه بدا
حزنــت على أمس فصـغـت رثـاءه
حنـينـا فما أغنـى رثـائي ولا أجـدى
وعـللت نفسي والـتـعـلة حاجـة
لمن بات فى عليـائـه يطلب المـجـدا
ولـست بذا بدعـا فكـم ضيم ذوى هوى
ولم أك فيـا قد تجاوزتـه فردا





ســر القــرآن

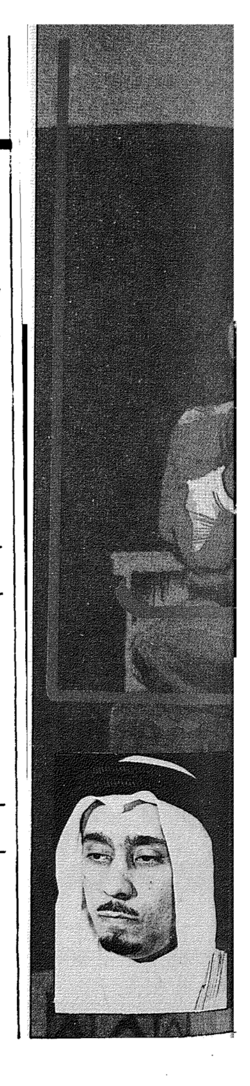
إن ســر الـقــرآن فى الـقــرآن
وبـقــلــب يتـلـوه لا فــى لســان
والــذى يعــلــم السريــرة ادرى
بفـؤاد أدنــى إلــى الــرحمــن

الانصـــاف

إذا أقــبــلــوا نحوى مشــيت إلــيــهمو
كريــمــا أؤدى الحــق غيــر نصــيــف
ولا أرتــضــى الــذل الــذى يــرتــضــونــه
فــان أعــرضــوا أعــرضــت غيــر أســيــف

الشــعوب والرجــال

وفــى الــشــعــوب رجال إن تبــر بهــم
عــزت وإن أهمــلــتــهــم عاشــت الهــمــلا
ولــلــرآسات أتـــبــاع تســخــرهــم
وتحــســب الــعــز فــى إذلالهــم مثــلا



البصر والبصيره

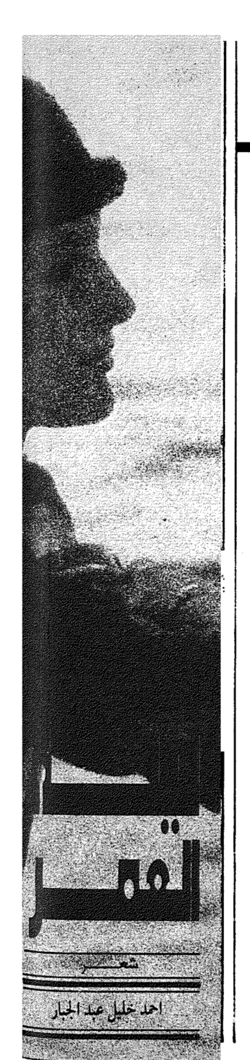
ربَّ اعمى مفتح العينين
كفيف عن كل نظرة حق
وبصير قد اغمض الله جفنيه
واهدى الضياء فيه لعمق

سامحه الله

غارت الفرحة من اعماقها
بعد ان كانت لها صورة حس
سامح الله الذى انضبها
بعد ان كان بها أنعم نفس

مؤاخاة

تآخى اللحم والعظم
تآخى الروح والقلب
فذابت نشوة الجسد
وشبت نشوة الحب





هتف الكون وغنى بالنشيد العلوي
وانتشت دنيا الليالى بالقصيد العبقرى
أنفس تصبو وارواح على الناى الشجى
هدهدتها نشوة المهموم فى كأس وضي

***

موكب للحور يمشى فوق هامات الزمان
حوله الأنجم طافت وشعاعات الأمانى
وسرت فى إثره رعشات للأغانى
ثمل النور عليها وزهور الأقحوان

***

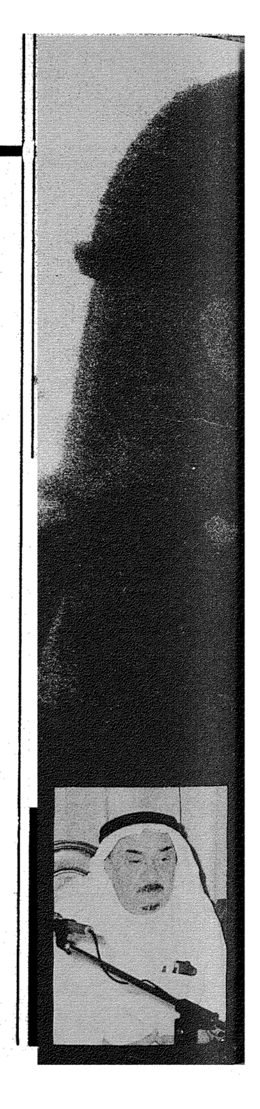
موكب من عالم الليل واحلام الصباح
رنحته نغمات الحب فى كف الرياح
فجميل فى غدو وجميل فى رواح
قبلة الطهر عليه والهوى فوق الوشاح

***

موكب للقلب زفته الاماني النضرات
الدنى فيه سكارى والعذارى مرحات
رقص العمر به وحدا فيه الحداة
وارتمى اللحن فغنته القوافى الثائرات

***

موكب الفرحة والسحر واعراس الليالى
همهمت فيه السواقي وشدت فيه الدوالى
ليلة لبنان فيها سامر ضاحى الهلال
والزمان البكر فيه حلم طيف من خيالي



كلما وقَّعتُ لحنى ردد الموج صداه
ورنا «صنّين» يشكو للروابى ما عراه
وفؤادى يتلظى من غرام قد براه
الهوى يا قلب بحر لست تدرى منتهاه

* * *

سامر الحي دعانا والصبايا الخفرات
والهوى العذرى فينا ارقصته النغمات
يا حبيب القلب غن وتغنى يا حياة
مزهر الشعر شجانى وشجتنى الذكريات

* * *

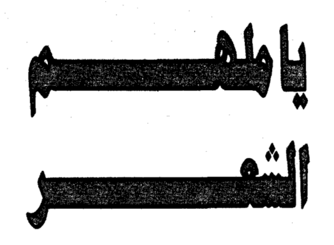
يا حبيبى طاب فى الليل لقانا وهوانا
وتلاقت فى دجاه بخشوع مقلتانا
نظرة تمتمها الوجد فباحت شفتانا
يعلم العشاق ما فيها ويدريها بكانا

* * *

ما لهذا الحب يا قلبى لا تنضب ماؤه؟
خفق المزمار لا يخبو على الذكرى نداؤه
كلما الشوق تهادى هزه فى الشوق داؤه
وَلَهٌ اخمده اليأس واحياه رجاؤه

* * *

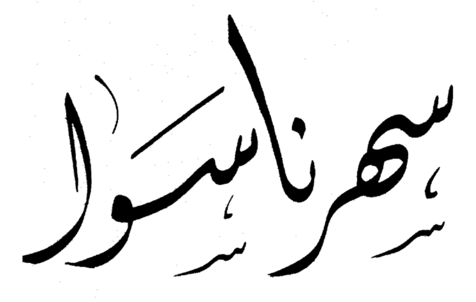
كل طيف يتراءى كخيالي فى التمنى
يا حبيبى هذه ليلتنا هيا نغنى
أنت فى فكرى احلامى وفى دنياى فنى
يا حبيبى إن حبى زورق يبعد عنى

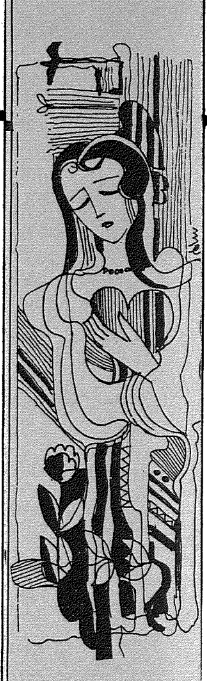


يا ملهم الشعـر ما للشعر ينحرف
عمـا ألفنـاه والاسمـاع تنصـرف
وراح يخبــط فى رمـز وتعميـة
خبط العيى الذى فى رأسه خرف
يا ليت شعرى هل غامت معالمنا
فلم نعـد لعيون الشعر ننكشف
أم المعانى احتوتها بطن شاعرها
ومـــا تخلف عنهـــا راح يرتجف
أم أن أفهــامنــا ضلت مساربهـا
وضاع فى ظلمات المهمه الهدف
ماذا أقــول وقـد أجفلت منصـرفا
عن ساحة الشعر والمهموم يعتكف
ولست مُشّـائمـا ممـا يجـد له
فالفن يزهـو إ ذا أربـابه اختلفوا
وايـــة الـــدهـــر حط ثم مرتحـل
يطوى النهار ويطوى بعده السَّدفُ
حتى وقفت بنبع سلسل صدحت
أطيـاره من هيـام وهى ترتشف
بعض القصائد أحيت من سلاستها
مكامن الشعر عندى فانبرت تقف
تشدو بلحن طروب شدنى شغفا
بل كاد شوقا إ ليه الكون ينعطف
فاعجب لشاعـرنا إذ طاب منبعه
كأ نه من مساقى الخلد يغترف
ما أروع الـشعــر إن غنت بلابله
وأعذب اللحن ما غنى به السلف



شعـــر
عبد الفتاح محمود مصر







شعر

د. نور الدين صمّود ـ تونس

سهرنا سوا بليل الهوى
ورحنا نسابق أحلى الأماني ونجرى وراء طيوف الحنانْ
وعشنا زمان الصفاءْ بعهد الشباب البديع
نغنى لحون الوفاء كسرب طيور الربيع
فكيف اعترانا الجفاء وغشت عيونى الدموع
وبعد النوى وطول الجوى
سنشدو مع الحب أحلى الأغانى ونقضى الحياة بدنيا الحنان
سهرنا سوا بليل الهوى
سنحيا بعهد جديد نردد أعذب لحن
وننسى زمان الصدود ونقضى الحياة نغنى
ونزرع أحلى الورود ونقطف من كل غصن
فأنت اللدوا وأنت الهوى
أحبك رغم ابتعاد المكان وأهواك رغم حدود الزمان
سهرنا سوا بليل الهوى

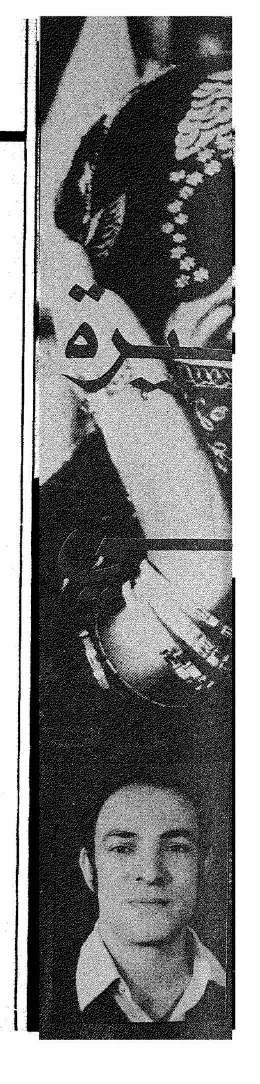




يا جيرة الحـي.. قد أودى بى الألم
واهـتـاج جرحـى ومـا أنـفـك أُتهـم
مالى ولـلنـاس.. دنـيـاهـم تعـذبـنـى
والـنـفس ترجـو وتحـيـا حفـهـا السـقم
أبـنـى.. وأنـشـىء والامـال تجمـح بى
والحـزن فى الـصـدر مخبوء ومـكـتـتـم
يا جيرة الحـى.. هل فى الحـى من أثـر
نحـيـا عليـه.. وجـرح الـصـدر.. يلتئم
دنـيـا من الـوهـم.. ما تنـفـك خادعـة
أودت بنـا.. فزمـان الـسـعـد منهـدم
عشـنـا عليـهـا سنـيـنـا وهـى لاهـيـة
ثم انـتـبـهـنـا على الآمـال تنـحـطم
هل من بقـايـا لأحـيـا لا يعـذبـنـى
ذكـر الـفـراق وعـمـر بات ينصرم
قلبـى لديكـم فهـل تدرون كم ألـى
ما عاد تنـفـعـه الأمـثـال والحـكـم

* * *

يا جيرة الحـى مازلـنـا يراودنـا
ذكـر الهـنـاء يباديـنـا فنـبـتـسـم



عهد الطفولة لا همٌّ ولا شجن
والروح من جهلها بالفرح تعتصم
نلهو على الترب حينا ثم يضجرنا
فالطين سلوى لنا والنهر نقتحم
كم من ليالٍ قضيناها يجمّعنا
شوق الى جَدَّة تحكى ونحتكم
لا يعبأ القلب بالدنيا وزخرفها
فالروض جنتنا والقلب محتدم
نبكى ونضحك لا حزن يطول بنا
والقلب راض ولا الآمال تنثلم
نصحو على الحلم نبنيه ونتشه
والروح تصغى وعين الوهم تبتسم
يا جيرة الحى ان الشوق يجذبنى
والعمر أضحى شقاء هدَّه الضرم
ما عدت ارجو سوى ذكرى أطوف بها
فالصدر أودت به الأشجان والألم
فلتذكرونى إذا أمضى.. فلا أمل
والجرح ثار.. وما أنفك أتهم



أطاعن خيلا من فوارسها الدهر
وحيدا وما قولى كذا ومعى الصبر

وأشجع منى كل يوم سلامتى
وما ثبتت إلا وفى نفسها أمر

تمرست بالآفات حتى تركتها
تقول: أمات الموت أم ذعر الذعر(١)

وأقدمت إقدام الآتى كأن لى
سوى مهجتى أو كان لى عندها وتر(٢)

ولا تحسبن المجد زقا وقينة
فما المجد إلا السيف والفتكة البكر(٣)

وتركك فى الدنيا دويا كأنما
تداول سمع المرء أنمله العشر

إذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقص
على هبة ، فالفضل فيمن له الشكر

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله
مخافة فقر فالذى فعل الفقر

على لاهل الجور كل طمرة
عليها غلام ملء حيزومه غمر(٤)

يدير بأطراف الرماح عليهمو
كئوس المنايا حيث لا تشتهى الخمر

وكم من جبال جبت تشهد أننى الـ
جبال وبحر شاهد أننى البحر

وخرق مكان العيس منه مكاننا
من العيس فيه واسط الكور والظهر(٥)

يخدن بنا فى جوزه وكأننا
على كرة أو أرضه معنا سفر

ويوم وصلناه بليل كأنما
على أفقه من برقه حلل حمر(٦)

وليل وصلناه بيوم كأنما
على متنه من دجنه حلل خضر(٧)

دعانى إليك العلم والحلم والحجا
وهذا الكلام النظم والنائل النثر

وما قلت من شعر تكاد بيوته
إذا كتبت يبيض من نورها الحبر(٨)

كأن المعانى فى فصاحة لفظها
نجوم الثريا أو خلائقك الزهر

وجنبنى قرب السلاطين مقتها
وما يقتضينى من جماجمها النسر

وإنى رأيت الضر أحسن منظرا
وأهون من مرأى صغير به كبر(٩)



الهوامش

(١) الغريب: الآفات: جمع آفة، وهى ما يصيب الانسان من قتل أو جراحة أو مرض أو غير ذلك. والذعر: الخوف.

(٢) الغريب: الأتى: السيل الذى لا يرده شىء. والوتر (بالكسر: الفرد، والوتر) بالفتح: الذحل، هذه لغة أهل العالية، فأما لغة أهل الحجاز فبالضد منهم، وأما تميم فبالكسر فيهما، وقرأ حمزة والكسائى «والشفع والوتر» بسكر الواو.

(٣) الغريب: القينة: المغنية. والزق: ظرف الخمر. والفتكة: واحدة الفتكات وأراد: التى لم يفتك مثلها، فلهذا قال البكر، التى لم يسبق إلى مثلها.

(٤) الغريب: الطمرة: الفرس العالية المشرفة. والحيزوم: الصدر. والغمر: الحقد.

(٥) الغريب: الخرق: المتسع من الأرض. والعيس: الإبل البيض. والكور: الرحل للناقة.

(٦) الغريب: الافق: الناحية، والحلل: جمع حُلّة، ولا يكون حلة حتى يكون إزاراً ورداء: أو ثوبين.

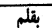
(٧) الغريب: الدجن: الظلمة، وأراد به: الغيم، والدجن: الباس الغيم السماء، وقد دجن يومنا يدجن (بالضم) دجنا ودجونا والدجنة من الغيم: المطبق تطبيقا، الريان المظلم، الذى ليس فيه مطر.

(٨) الغريب: الحبر: ما يكتب به، وهو المداد، وموضعه المحبرة. والحبر: الأثر، والجمع: حبور. والبيوت: جمع بيت من الشعر والبناء، وتكسر الباء فى الجمع وتضم، وقد قرىء بهما فى القرآن. هذا وما كان على وزنه مثل: العيون والغيوب والعيوب والجيوب والشيوخ فكسر الجميع حمزة، ووافقه أبوبكر إلا فى الجيوب ووافقه ابن كثير والكسائى وابن ذكوان فى الجميع سوى العيوب، ووافقه هشام وقالون فى كسر البيوت لا غير.

(٩) المعنى: يريد: أن الضر أهون على من رؤية صغير متكبر، يعنى: ملازمتى الفقر أحب الىّ من قصد اللئام، والبيت من الحكمة.

المشتار
أسطر في الشعر

قراءة في قصائد العدد ٤٧٤



بقلم

عدنان اسعد-القاهرة

حفل العدد رقم (٤٧٤) لشهر صفر ١٤١٠هـ من المنهل الغراء بقصائد شتى متنوعة جمعت فأ وعت، فإ ذا المشتار حديقة ورد تناثرت الزهور فى جنباتها ألوانا وأطيافا.. منها ما يفيض بالعطر والشذى.. ومنها ما يتوارى تحت أ وراقها الخضر حيية ولكنها ندية تبشر براعمها بالفوح المأ مول والثمر المأ نوس.. والقصائد جملة تتراوح بين الوجدانيات والافكار المنطقية والسرد القريب.. فإلى القصائد لنرى مالها وما عليها فى عجالة فنقول:

● تصدرت قصيدة (يارب عفوا) للشاعر عبد الرحمن صالح العشماوى قصائد المشتار. وهى من الثنائيات.. قصيدة سردية إيمانية يغلب فيها العقل الوجدان والمنطق الجنان:

وانساق فؤادي، فانتفضت

فى نفسى روح الايمان

■ والبيت بعده كان يحسن حذف الهمز من قافيته (شأن) حتى تتسق عروضاً مع (إيمان) فى سناد التأسيس كما يقول العروضيون.

والقصيدة نظرات فى الماضى والحاضر وخروج من حصار الحاضر الى الآتى بدرس إيمانى نافع ناجع ينير القلب ويفرحه حتى ليفوض الشاعر أمره فى صدق الختام بالعفو الى الله داعياً (ياربى عفواً ياربى). والله يتقبل الدعاء.

● فاذا انتقلنا الى القصيدة التالية (أرض الكرام) للشاعر اسماعيل السيد بريك.. لم نجد جديداً يقال.. فالأرض والشعب والمجد والتاريخ وانتصارات الماضى والبطولات كلها أشياء مكررة معادة منذ آلاف السنين.. لا جديد فيها غير التأكيد والتأبيد واجترار الماضى العريق للأرض والشعب.. وهى على كل حال تذكرة للجيل الجديد على الأقل بماضى الآباء والأجداد لمن لم يقرأ التاريخ.. وفى القصيدة ألفاظ قلقة ندّت عن مواقفها مثل (سائل) التاريخ وكنت افضل (اسأل) التاريخ وكذا المجد (الدفين) و(دمرنا) الأعادى.. والتدمير للجماد لا الانسان.. أما قوله (نحن أبطال البوادى) فقد حصر البطولة والأبطال فى (البوادى) كأن الارض كلها (بادية) لا حاضر لها ولا حاضرة.. والحاضر شاهد.

● ونأتى الى بعض (الثنائيات) للشاعر الكبير ابراهيم فودة.. وهى ثنائيات ذوات خطو سريع أخاذ.. والشاعر كسابق العهد به فى ذروة الابداع البيانى المغلف بالفلسفة

الروحية:

رب ما قد ضر فى لحظته
يعقب الخير على مر السنين

■ فهو لا ينظر الى لحظته الراهنة وإنما الى ما يعقبها على مر السنين من الخير المخبوء والامل المأمول.. وهو يصدق كل الصدق ويعدل العدل كله حين يقول فى ختام ثنائياته:

يا عداة النساء لا مهرب العمر
فإن البيوت من صنعهن
هن شر لابد منه، وإنا
نحن شر لابد منه لهن

■ فهو حين خفف الشر عنهن أكده على الرجال بالضمير (نحن).. وكأنه اعتراف الخصم والحكم بأن الرجال أيضاً (شر لابد منه).. وهى لفتة منطقية فى الذروة من القول الفصل والنساء شقائق الرجال.. ولكل نصيب.

● وقصيدة (ليلة العمر) قصيدة جيدة السبك مترابطة محبوكة يمسك بعضها بعضاً.. وتحن الفاظها بعضها الى بعض. فالغرام والهوى والحور والعذارى والصبايا والرعشات والذكريات كلها أدوات التعبير الموحى عن (ليلة العمر) فى موكب الاحلام.. فى لبنان والزمان بكر.. وحلم طيف وزورق يبعد رويداً رويداً ولكنه لا يغيب. وقد لحق بالشطر فى قوله:

ما لهذا الحب يا قلبى لا (تنضب) ماؤه

خطأ تطبيع فى (تنضب) وصحتها (ينضب) بالياء إشارة الى الماء.

■ فإذا انتقلنا الى قصيدة الشاعر الكبير محمد حسين فقى (شباب الشيخوخة) وجدنا قصيدة الحياة أو ملحمة الحياة بطولها وعرضها شبابا وشيخوخة وارى الابيات تكاد تفصح افصاحا عن (شيخوخة الشباب) من طرف خفى.. كما أكدت على (شباب الشيخوخة) بلسان عربى مبين.. وهو فى كلا القولين صادق كل الصدق.. فالحياة لا تقاس بسنوات العمر طويلة أو قصيرة وإنما تقاس بالاحساس والشعور الدافق والوجدان الحى.. وبرفرفة القلب الأخضر بالفرح والمرح:

ولقد يفضل المشيب إذا كان كريما يقتات من أشجانه
عهده بالشباب إن كان لا يفتن إلا بغيده ودنانه

■ وهو يفلسف الخاتمة فيقول:

«ربما كان فى المحاق تمام.. دون علمى.. وفى التمام محاق».

■ ويقصد بالمحاق الشيخوخة وبالتمام الشباب.. ولكنه قطعا وبغير جملة اعتراضية (بعلمه) وليس دون علمه، فهو يعلم ما يقول من قريب.. والقصيدة فى جملتها قوية السبك متينة البناء رائعة الأسلوب يشد أول البيت آخره فى وحدة عضوية.. لا ينفلت بيت عن بيت. وكأنما القصيدة كلها بيت واحد يعبر عن (شباب الشيخوخة وشيخوخة الشباب).. وقد أجاد الشاعر وأفاد، فله التحية سلفا وخلفا.

● وقصيدة (نداء الحب) للطفى عز الدين لا جديد فيها فالحب هو الحب أينما كان والشعور به عنده كما هو عندى.. ثم نختلف أنا وهو فى النداء والرجاء والبكاء.. والقصيدة لا تخرج فى مضمومها عن (رجاء ونداء) إلى (الحبيب) صديق العمر ورفيق الدرب.. بالشوق والحنين عله يعود الى العش المفروش بالريحان والزنبق. أتراه يعود؟

حبيبى قد فرشت العش بالريحان والزنبق
حبيبى عشنا ناداك يا طير المنى أقبل

■ ولا جديد بعد الرجاء والنداء والعش المفروش.. إلا الانتظار وقد يطول.

■ وقصيدة (أغنية الفراق) للدكتور احمد عبد القادر المهندس صدرها الشاعر (بكنت) فجراً.. و(كنت) شوقا.. و(كنت) لحناً.. وأخيرا (كنت) عصفورا.. فهى كلها من الماضى الناقص الذى يدعو الى الحاضر (هيا نملأ الكأس هنيا). ثم نداء (بالثلاثة).. الى هذا الفجر والشوق والعصفور بـ(ايها). بالحنين والأنين.. يستلين به قلب الحبيب كى يفيق ويحنو على القلب الولهان الذى تحطم وتهشم.. وذهب أدراج الرياح:



قلبه أضحى هشيماً كل ما فيه تحطم
واسقه كأساً (لذيذا) من نعيم الحب يسلم

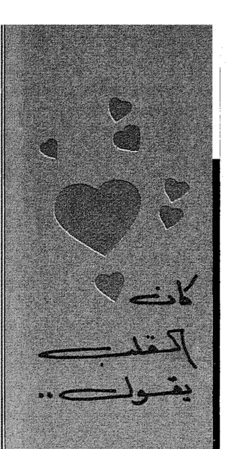
■ ولا أرى لكلمة (لذيذا) مكانا هنا ولا طعماً.. لأنها الكأس التى تقود صاحبها الى ما يعلم وقد نعلم.. والله أعلم.

● تبقى قصيدة القصائد وفريدة الفرائد (المغرم الصب)(١) للشريف الرضى ولا تعليق لنا عليها لأنها القصيدة.. ولأنه الشريف الرضى. وكفى.

■ تلكم عجالة عاجلة وقراءة عابرة لقصائد العدد الماضى من المنهل الغراء. نظرنا اليها نظرة التنبيه والتنويه. لا نظرة المراجعة والنقد والتحقيق والتدقيق والسلام.

الهامش

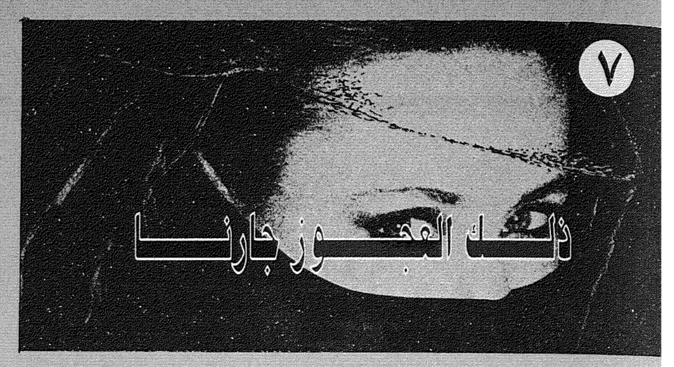
(١) فى الهامش (٤) قلتم: فى الأصول (تدانى) والصواب ما اثبتناه (تناءى) لأن السياق لا يقبل غيره. وأقول: ما جاء فى الأصل هو الصحيح (تدانى البعد أو بعد القرب) وهو من الأضداد أى (سواء قرب البعد أو بعد القرب) وهو ما يقصده شريفنا الرضى فلزم التنويه.



مناجاة يراع خفاق.. يستطيب التجربة وينفعل بالوجد.. يرتحل فى أعماق الذات الانسانية فيحصد المعنى المُعنّى.. ويتواصل مع نمير الكلم العذب فيطوع شارده ويعصف بركيكه وصولاً لغرض انفاسه فى طواعية واقتدار عبورا للمتلقى والمبدع على حد سواء.



عزيز ضياء



مع الصباح . . . والزقاق ما يزال يتثاء ب
والقمرية على الشجرة ما تزال ترسل هديلها الحزين
والعجوز . . . ذلك العجوز جارنا
تسبقه سعلته الخاوية كالكهف
مع الصباح رأيتها
صباحا ابيض كالحلم

* * *

والعجوز . . . ذلك العجوز جارنا
عاكفا على صفائح الجبن
لم يلتفت . . . لم يدر انها هناك
وسمعتها تقول . . .
فى صوتها اغرودة طائر حبيس مفزع
الطبيب . . . يا عم . . . الطبيب
وكنت انا الطبيب

* * *

الشمعة تحترق فى طبق من صفيح
والأم
امها . . . تحرقها الحمى . . . ويهدمها السعال
بقايا لحاف . . . وكسرة خبز جافة . . وديوان شعر
وفى الركن المظلم هناك . . . مرآتها
مرآة الصباح
الضوء يتسلل من كوة . . . ضوء باهت . . يعب منه الظلام
ورقة نقد فى يدها . . . وأنات الأم . . . انينها المتواصل . .
سعالها من بعيد . .

* * *

ومع الصباح رأيتها . . . صباحا ابيض كالحلم
انا والعجوز وبعض جيران الزقاق . . . والقمرية على الشجرة
ما تزال ترسل هديلها الحزين . .
موكب الرحلة الى هناك . . . الى المثوى الأخير . .
ودنا المساء . . . ورأيتها تعود . . . فى عينها حريق الوداع
فى يديها منديل ترفأ به دموعها على الراحلة فى مثواها الأخير
والعجوز . . . ذلك العجوز . . . جارنا
يدب على عكازه . . . يناولها شمعة جديدة
اخذتها وعادت . . . وابتلعتها الظلال . . . والظلام
فى الطريق . . .
إلى دنيا كلها . . . درب طويل . .



رفض الإسلام كل امتهان للعلاقة بين المسلم وأخيه

■ لقد انتهى دورنا ولم يبق لنا الا الوضع الذي نحن فيه الان.. ردد هذه العبارات (مانديل) الامريكي وهو يمسك كتابه فى بهو احدى البنايات الكبيرة ـ المسكونة بعدد من المتقاعدين ـ فى شارع سانت لويس فى إحدى المدن الامريكية.. ترك مانديل كتابه المفضل، وأخذ يسرد قصة حياته وربما معاناته مع كبر السن، وقسوة الحياة.

تركت قريتي الصغيرة فى احدى ولايات الجنوب، وكنت أحلم ان اعود اليها غنيا لأشيد دارة كبيرة، ومزرعة فسيحة ومعبدا للصلاة وعشت اكثر من اربعين عاما اتنقل فى دول امريكا اللاتينية عشقت فيها كل انواع المغامرة.. أحببت الناس هناك وتعاملت معهم بكل معانى التعامل.. عشت مع الفلاحين البسطاء، وتحسست مشاعرهم وعشت حياتهم، وسكنت مع عمال المناجم والموانىء، وعرفت كل اساليب التعب فى البر والبحر.. تهت فى الصحراء اكثر من مرة وكدت أموت لولا عناية الله، وتصارعت مع القروش وكدت أغرق فى أعماق البحر، وفى كل مرة اشعر انى قد وُلدتُ من جديد.

■ كنت انظر الى الحياة وكأنها ميدان فسيح للسباق أتوهم انى سأصل فيه الى غاية، واتوهم ان هذه الغاية هى خاتمة السباق.. جمعت الكثير من ملايين الدولارات، وتركت فى عشر بلدان امريكية اكثر من مائة بناية، وكان وراء كل سنة من تلك السنين الاربعين مغامرة يصعب وصفها وقد لا يصدقها شاب عاش فى هذا العصر من الترف المادى.

■ وعندما جاوزت السبعين من العمر بدأت افكر فيما مضى من العمر وما بقي منه وكيف واين أواجه نهايته، وعندئذ قررت أن أعود الى قريتى الصغيرة متفصلا بحب الوطن، وذكرى السنين الأول من حياتي فى القرية.. صمت قليلا يستجمع ذكرياته ثم قال: لقد وجدت فى القرية غير ما كنت اريد، فقد توفي اصدقائى وتفرق اقربائى ولم يبق فيها الا شبان همهم الزراعة وتربية قطعان البقر، وعندئذ قررت ان اعيش مع المتقاعدين فى هذه المدينة بعد ان فقدت الزوجة وتفرق الولد بين عدد من الولايات.

لم اعد اهتم بالملايين فتبرعت بالكثير منها للجامعات والمعابد، ووسائل البر ثم التفت الى كتابه وقال: ذلك هو وسيلتى فى التسلية.. اقرأ فيه التارخ لأتذكر عبر الحياة ومصير الانسان ثم التفت الى مجموعة من المسنين كانوا يجلسون حوله يقرءون فى صمت أو يتحدثون فى همس وقال: هؤلاء هم رفاقى فيما بقي من الحياة وربما ترون أيها الشبان.. ان دورنا قد انتهى، ولم يبق لنا الا الوضع الذى نحن فيه الآن.

■ واراد ان يختم حديثه بعبارة ما ظننتها للمجاملة حين قال: انتم من الشرق وكتابى هذا يحكى قصص الشرق، وحضاراته ومع اعجابى بحضارتكم الا انى اخاف عليكم من أنفسكم.

●● ومن مدينة امريكية الى مدينة عربية للمسنين فيها وضع آخر.. الحياة فيها مليئة بالضوضاء حيث تزدحم بالسكان، وتنفعل بالاحداث والانسان فيها يقطع الزمن بالأمل يستشرف



تصوره بعين الرضاء، ويتطلع الى هدفه بالكثير من التفاؤل وكأنه فى سباق مع الحياة كما كان يفعل (مانديل) الامريكى.

■ وفى ذلك الوضع ينحسر انسان آخر عن هذا السباق.. التاجر القديم لم يعد قادرا على السفر الى الشرق او الغرب يبحث عن جديد من مغريات التقنية.. والموظف القديم لم يعد له مكان بعد ان بلغ سن التقاعد.. والمحامي لم يعد له مكان فى المحكمة بعد ان أجبرته (هيئته) على التقاعد.. والصنائعى القديم لم يعد قادرا على صنعته بعد ان أعياه التعب، ولم يعد لطريقته البدائية مكان فى عالم المغريات.

وتتحول الحياة بالنسبة لكل واحد من هؤلاء الى نوع من المعاناة وربما لا يخففها الا قضاء وقت الصباح فى منتدى فى احد الاحياء القديمة، أو على احد جانبي الطريق يتلذذ بحكاية من بارع فى الحكايات، أو اشاعة يرمى بها أحد العابرين، أو حدث يرفع درجة الانفعال، او خبر له وقع نفسي فى أمر او قضية من القضايا وهكذا.. حتى ينتهى جزء من النهار ليتكرر المشهد فى كل صباح فى رحلة هذا الانسان مع الزمن فى سن الكبر.

قلت: وفى هذين المشهدين صور تعكس واقع طائفة من المسنين فى موقعين من مواقع الانسان.. ولهذه الصور مشاهد مماثلة يعيشها الانسان فى شرقه وغربه وشماله وجنوبه رغم ما يكون بينها من تباين فى اللون او الشكل او المضمون.. ولكن الصور تتبدل لطائفة أخرى من المسنين الذين بلغ بهم الكبر مبلغه فلم يعودوا قادرين على القراءة او الحركة. ويتفاوت التعامل مع هذه المرحلة من مكان الى آخر ففي الغرب صورتان متناقضتان.. الأولى هناك اهتمام بالمسنين على اختلاف فئاتهم. فالذين يقدرون على الحركة يجدون باباً واسعاً لاستمرار حركتهم كالمشاركة فى خدمة القضايا الاجتماعية فى انماطها المتعددة الى جانب الكثير من الوسائل التى تستوعب الحركة الانسانية فى اشد واضعف صورها.

ويقوم المتطوعون بدور كبير فى ايجاد هذه الحركة بناء على دراسات نظرية وعلمية اكدت ضرورة التعامل مع المسنين بما يحفظ للمجتمع توازنه، وللإنسان كرامته سواء كان فى قوته او فى مراحل ضعفه.. وآخر ما وصل اليه الاجتهاد فى امريكا تأسيس جمعيات للاتصال بالمسنين، والتحدث اليهم فى اى وقت يختارونه بما يمكنهم من معرفة احاديث المجتمع ووقائعه ابتغاء دفع معاناة العزلة وعنف الكبر، ومصاعب الشيخوخة.

والصورة الثانية صورة بشعة تقوم على النقيض من الاولى فقد تكونت فى بعض الدول الاوروبية جمعيات سرية هدفها قتل المرضى من المسنين بحجة رحمتهم من وضعهم الميؤوس، ومازالت هذه الصورة البشعة تلقى الرفض المطلق من الدول والمؤسسات الانسانية.

قلت: ومن المؤلم للاب ان يصل الى وضع يكون فيه ضعيفا يتمنى فيه ان يشفق عليه من هو أحب الناس اليه كالزوجة والولد والقريب.. ومن المؤلم له أن يقضى الجزء الهام من حياته فى صراع ومعاناة ومغامرة من أجل الذين أحبهم ثم يجد نفسه فى وضع يتمنى فيه أن يراهم كما هو حال الامريكي (مانديل) ناهيك اذا كان يحتاج اليهم وهم عنه معرضون كما هو حال الكثير فى العالم المادى فى هذا الزمان.

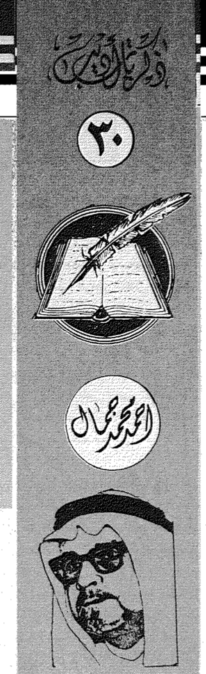
■ ومن المؤلم للأم التى تمتزج كل حياتها بالمعاناة ان تجد نفسها فى مراحل ضعفها وقد هجرها الولد، واصبحت فى ملجأ تتطلع فيه الى لمسة حنان من مشرفة اجتماعية، أو كلمة عطف من عاملة فى الملجأ أو عبارة مواساة من أم مكلومة تعيش نفس المعاناة.

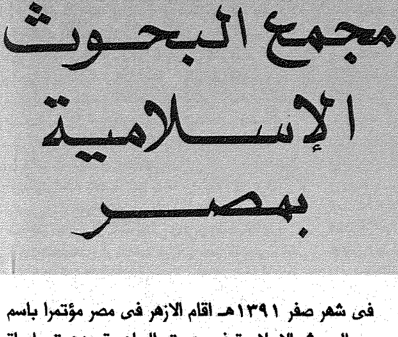
قلت: لقد رفض الاسلام بمبادئه الانسانية، وقيمه الخلقية كل اشكال العقوق وسوء العلاقة ما ظهر منها وما بطن.. جعل الله تعالى للوالدين حقاً لا يقبل الجدل حين قرنه بحقه فى توحيده، وافراده بالعبادة وبيّن عظم هذا الحق وخطورته حين حرم العبارة النابية، او الكلمة الجافة فى علاقة الولد بوالديه ناهيك عن الجحود والقطيعة وكل اسباب العقوق الأخرى.

قال تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إ ما يبلغن عندك الكبر أحدهما أ و كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً﴾ ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا﴾

قلت أيضا: لقد رفض الاسلام كل امتهان للعلاقة بين المسلم واخيه سواء كان هذا الامتهان من كبير لصغير أم من صغير لكبير وفى ذلك قال رسول الهدى ﴿ﷺ﴾ (ليس منا من لا يرحم صغيرنا ولا يوقر كبيرنا).

■ إن المسلم المعاصر وهو يواجه الاعاصير المادية بعنفوانها يحتاج الى من يغرس فيه هذه القواعد ليعيشها فى صغره لكى يتعامل بها فى كبره وبدون ذلك سيواجه المسنون معاناة ربما يتمنون انهم لم يعيشوا ليروها وهم فى أرذل العمر.





في مجمع البحوث الإسلامية بمصر

فى شهر صفر ١٣٩١هـ اقام الازهر فى مصر مؤتمرا باسم مجمع البحوث الاسلامية فى دورته السادسة ودعيت رابطة العالم الاسلامى ـ على عهد الشيخ محمد سرور الصبان ـ رحمه الله ـ الى المشاركة فيه، فاختارنى معاليه مع الاستاذ محمد صفوت سقا امينى(١) لنكون ممثلين للرابطة فى هذا المؤتمر.

وافتتح المؤتمر فى قاعة الاجتماع بمحافظة القاهرة حيث كان اعضاء الوفود الاسلامية مجتمعين لافتتاح المؤتمر، وافتتح المؤتمر فضيلة الدكتور محمد محمد الفحام شيخ الجامع الأزهر ورئيس المؤتمر بكلمة مناسبة. ثم اعقبه وزير الاوقاف وشئون الأزهر الدكتور عبد العزيز كامل بحديث حول واجب المسلمين فى الظروف الراهنة، وبعد ذلك تكلم بإسم الوفود الاسلامية فضيلة الشيخ عبد الله غوشة مندوب الأردن شكر فيها مصر ومجمع البحوث الاسلامية على دعوته الى هذا المؤتمر الاسلامي.

وكان لى شرف اختيار الوفود لإلقاء كلمة الشكر عنهم لمصر وللأزهر لاستضافته هذا المؤتمر وإتاحة الفرصة الثمينة لاجتماع الوفود الاسلامية وحوارها فيما يهم المسلمين.

وخلال مناقشات المؤتمر، وطرح أبحاث الوفود كان لي تعقيب على بعضها ـ من ذلك:

(١) موضوع ترجمة معانى القرآن الكريم الى اللغة الأمهرية الذى أثير فى المؤتمر ببرقية الاصلاح الاجتماعى بالكويت فقلت: إن رابطة العالم الاسلامى سبق لها أن حصلت على نسخ من هذه الترجمة، وعرضتها على اللجنة الثقافية بالرابطة لدراستها ومعرفة ما قد يكون فيها من مخالفات، وطالبت بتوحيد الجهود بين المجمع والرابطة فى هذه المجالات ليكون العمل الاسلامى موحداً قوياً ومثمراً.

(٢) عقبت على فكرة الوحدة الاسلامية على أساس إقامة حكومة واحدة فى العالم الاسلامى ـ فقلت: إن هذا ليس

ضروريا وقد يكون مستحيلا، وانما المطلوب والممكن ان يتفق المسلمون على مناهج إسلامية موحدة فى التعليم والتربية والاعلام والاقتصاد والدفاع.

■ وخلال زيارة الوفود لمنطقة السويس ومشاهدة آثار الحرب العدوانية الاسرائيلية على المنازل والمتاجر والمرافق العامة والخاصة وبعد صلاة الجمعة فى جامع الشهداء هناك - ألقيت كلمة كان منها: (أيها الاخوة الكرام.. كنتم تستمعون قبل صلاة الجمعة الى قارىء المسجد وهو يتلو عليكم قول الله عز وجل: ﴿**إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين، وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم، وما النصر الا من عند الله، إن الله عزيز حكيم**﴾ وأريد ان اذكركم بالمعانى الجليلة والإشارات الكريمة التى تضمنتها هذه الآيات وهى باختصار شديد: أن نلتمس العون والنصر من الله عز وجل، وألا نستغيث بشرق ولا غرب فى معركتنا مع اعداء الاسلام والمسلمين.

■ وقد أصدر المؤتمر قرارات وتوصيات بلغت الثلاثين تضمنت فى مقدمتها مطالبة الدول والشعوب الاسلامية بتأييد الشعب الفلسطينى وسائر الشعوب العربية فى جهادها لتحرير الديار والمقدسات التى احتلتها اسرائيل، والاهابة بالمؤسسات والمجتمعات الاسلامية بإنشاء صندوق للجهاد فى كل منها للانفاق على المجاهدين وأسر الشهداء وايصاء الفدائيين الفلسطينيين بتوحيد صفوفهم فى مقاومة عدوهم - كما دعا المؤتمر إلى انشاء مصرف اسلامي يخلو من المحظورات الشرعية، وإنشاء دار للفكر والنشر الاسلاميين.

وأوصى المؤتمر وزارات التربية والتعليم والثقافة فى جميع البلاد الاسلامية أن تعنى عناية خاصة بالتعليم الدينى فى كافة المراحل الدراسية - كما طالب المؤتمر جميع الحكومات والهيئات الاسلامية بعدم تقديم المشروبات المحرمة فى حفلاتها... الخ.

كما كان لي حديث قصير فى التليفزيون المصرى فى برنامج (موكب النور) وحديث لجريدة أخبار اليوم مع


محمد سرور الصبان — احمد بن ابراهيم الغزاوى

الاستاذ فاروق منصور حول دور المملكة العربية السعودية فى مجال الدعوة الاسلامية والتضامن الاسلامي وجهود الرابطة فى هذا المجال ورعاية المملكة لها.

فى المؤتمر الاسلامى المسيحى:

فى يوم ١٣٩٧/٣/١٦هـ - ١٩٧٧م - تلقيت الخطاب التالى من معالى الامين العام لرابطة العالم الاسلامى الشيخ محمد بن على الحركان - رحمه الله -:

● سعادة الاستاذ احمد محمد جمال. عضو اللجنة الثقافية بالرابطة - المحترم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد، يسرنا ان نشعر سعادتكم انه تقرر عقد المؤتمر الاسلامى المسيحى فى قرطبة فى شهر مارس لاجراء حوار علمى شامل يمكن عن طريقه تبادل الآراء العلمية، ودراسة اوضاع الديانات المختلفة التى اصبحت عرضة للتهجم والاعتداءات من قبل الملاحدة وانصار الشيوعية الماركسية.

ونظرا الى ان الوفد الرسمى لحكومة جلالة الملك المعظم الى هذا المؤتمر قد تم تشكيله من قبل مقام وزارة الخارجية فقد وقع اختيارنا عليكم ضمن الوفد لما لكم من خبرة طويلة فى هذا المجال.

ارجو الاحاطة بذلك وموافاتى بما لديكم من مقترحات ومشورات بهذا الخصوص. والله يتولاكم برعايته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الامين العام
محمد على الحركان



■ ولما كنت عضوا بمجلس الشورى. . فلابد من استئذان الرابطة أولا من المجلس باختياري للاشتراك فى المؤتمر، ثم لابد ثانيا من استئذان المجلس من رئاسة مجلس الوزراء بذلك.

والخطاب التالى من سعادة وكيل وزارة الخارجية المرحوم (عبد الله محمد على رضا) الموجه الى رئاسة مجلس الشورى يوضح مزيدا من الأمر. .

● صاحب السعادة نائب رئيس مجلس الشورى.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

اشارة لبرقية صاحب السمو الملكى نائب رئيس مجلس الوزراء رقم ٢٢٠٦ وتاريخ ٩٧/٣/٣ والمرسل صورة منها الى مجلس الشورى بالموافقة على اشتراك سعادة الاستاذ احمد محمد جمال عضو مجلس الشورى فى المؤتمر الاسلامى المسيحى الذى سيعقد بقرطبة خلال شهر مارس ١٩٧٧م.

● ابعث اليكم بطيه نسخة من خطاب الامين العام لجمعية الصداقة الاسلامية المسيحية بمدريد ومرفقه الذى يتضمن مواضيع الدراسات التى سيتم بحثها فى هذا المؤتمر - وفى مقدمتها: التقييم الصحيح لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم فى المسيحية، كما آمل احاطة سعادة الاستاذ احمد محمد جمال بأن الدول الاسلامية التى قدمت رسميا أسماء وفودها لهذا المؤتمر الثانى هى:

● الكويت برئاسة وزير الاوقاف والشئون الدينية

● ليبيا برئاسة مدير الشئون الاسلامية بوزارة الخارجية وعضوية عدد من اساتذة الجامعة.

● تونس برئاسة المفتى

● مصر ومن المتوقع ان يرأس وفدها شيخ الأزهر وأحد الوزراء.

علما بأن المؤتمر سوف يستضيف سبعة عشر شخصية اسلامية ومسيحية من بينهم الاساتذة محمد المبارك من المملكة، وعبد الغزيز كامل من الكويت وعلى الهانى من العراق، ومحمد الحيانى من المغرب، وابراهيم الجيلى من ليبيا، وعلى مراد من فرنسا.

وتقبلوا اطيب تحياتى. .

وكيل وزارة الخارجية بالنيابة

عبد الله محمد على رضا

■ اما موضوعات المؤتمر التى اشار اليها وكيل الخارجية السعودية فهى كما يلى:

موضوعات البحوث الاسلامية

● محمد، شخصية تاريخية.

● محمد، نبى ورسول «المصدر الالهى للقرآن»

● محمد، رجل مثالى، مثال لكل الفضائل ومقياس للاخلاق

● محمد، الرجل السياسى، مؤسس لمجتمع سياسى ونظام اجتماعى عادل وانسانى.

● محمد، مرشد ومعلم للبشرية.

● محمد والمسيحية. ردود اسلامية على اعتراضات تقليدية مسيحية.

● عيسى فى القرآن والاسلام.

● عيسى كمثال انسانى - ودينى فى الاسلام.

موضوعات البحوث المسيحية

● محمد، الرجل التاريخى وقيمه

● محمد، بأي مفهوم يمكن اعتباره نبيا من قبل المسيحيين

● محمد، الرجل الدينى ورسالته.

■ محمد، مثال ونموذج للفضائل

● محمد ومجتمعه فى نظر المسيحيين

● اعتراضات تقليدية مسيحية ضد محمد وتقييمها

● مواقف مسيحية تجاه التصور الاسلامى لعيسى

● رسالة عيسى العالمية حسب ما جاء فى المسيحية

■ ولكن المهمة لم تتم . . فقد رأى المسؤولون صرف النظر عن المساهمة فى هذا المؤتمر - فتلقيت - يوم ١٣٩٧/٣/٢٥هـ - الخطاب التالى من سعادة رئيس مجلس الشورى الشيخ احمد الغزاوى - رحمه الله -

● سعادة عضو مجلس الشورى الاستاذ احمد محمد جمال - الموقر

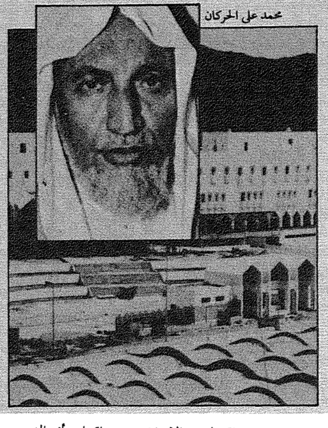
بعد التحية :

تلقينا من سعادة الامين العام لرابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة نسخة من البرقية الخطية المرفوعة لصاحب السمو الملكى الامير سعود الفيصل وزير الخارجية برقم ٢٢٦٠ فى ٢٣-١٣٩٧/٣/٢٤هـ الاتى نصها :

إلحاقاً لبرقية الامانة العامة للرابطة رقم ٣٠٧٨ وتاريخ ٩٧/٣/٢٢هـ اتشرف بإحاطة سموكم بأن معالى الامين العام للرابطة اخبرنا هاتفيا انه بناء على المفاهمة الشفوية التى تمت مع صاحب السمو الملكى الامير فهد بن عبد العزيز نائب جلالة الملك وولى العهد المعظم يوم السبت ١٣٩٧/٣/٢٢هـ فقد اصدر سموه قراره الكريم بالاعتذار كليا عن الاشتراك فى المؤتمر الاسلامى المسيحى الثانى المزمع عقده فى قرطبة - رجاء التفضل باشعار السفارة والجهة المنظمة للمؤتمر والله يوفقنا جميعا لما فيه عز الاسلام والمسلمين .

رئيس مجلس الشورى
احمد بن ابراهيم الغزاوى

■ وانا عندما أثبت هذه الرسائل عن موضوع المؤتمر الاسلامى المسيحى اريد ان اثبت - فى الوقت نفسه - حرص المسيحيين على إثارة الجدل حول الاسلام والمسيحية بين المفكرين من الطائفتين . . لأنهم من جهتهم يحاولون اقناع جماعتهم المسيحية انهم على حق ، وأن ديانتهم صحيحة وسليمة ، وذلك لما يرون من اقبال الكثير



منهم على اعتناق الدين الاسلامي بعد اقتناع بأنه الدين الحق والدين الخاتم .

■ والملاحظ واقعياً ان الذين يعتنقون الاسلام من المسيحيين وغيرهم - انما يفعلون ذلك دون جدل ولا مراء ، وانما يدخلون الاسلام بقناعة ورضا بعد مشاهدتهم بعض عبادات الاسلام ومعاملاته فى اوساط اسلامية مستقيمة ، او من قبل أفراد صالحين ، واذا كان هناك بعض المفكرين والمثقفين من المسيحيين واليهود والوثنيين قد دخلوا فى الاسلام . . فانهم قد رضوا به دينا بعد دراسة متأنية وتفكير هادىء فيما بينهم وبين أنفسهم .

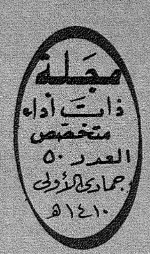
■ أما المؤتمرات والندوات والمناظرات فهى لا تنتهي الا بالإصرار والحماس والتعصب من كل طائفة لدينها وعقيدتها ومنهج سلوكها .

---

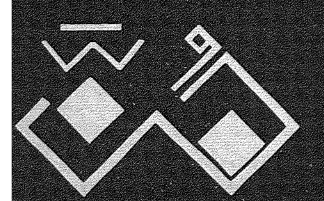
(١) كان الاستاذ صفوت سكرتيراً للامين العام للرابطة ثم عين بعد ذلك امينا مساعداً وهو الكفاءات الممتازة الى جانب الخبرة الواسعة والاخلاص فى العمل .



النساء .. ثقافة الرجال





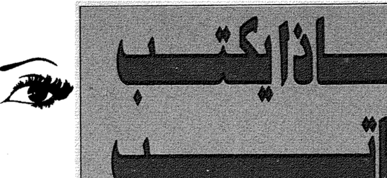


الاشراف

د. ابتسام صادق — الرياض

حياة عبد الحميد عنبر — جدة







● هذا السؤال الذى اخترته عنواناً لمقال هذا العدد لا شك أنه سيثير تساؤل الكثيرين عندما تقع أبصارهم عليه . . وأظن الغالبية العظمى ستجيب على هذا التساؤل فى سرها قائلة : ما هذا السؤال؟ الكاتب يكتب للناس . . وأقول إن الكاتب عندما يكتب . . فإنه فى نظر الجميع يكتب للناس . . ولكن هل من الجائز بأن نجزم بأن جميع الكتاب يكتبون للناس فقط؟ ومن أجل فائدتهم ومتعتهم؟ أم أن هناك أسباباً متعددة وراء هذه الكتابة تختلف من كاتب لآخر؟ .

■ والجواب نعم الاسباب كثيرة ومتعددة تختلف باختلاف ظروف الكاتب ورأيه وتفكيره، فهناك من يكتب من أجل الشهرة والحصول على لقب يسبق اسمه، وهناك من يكتب من اجل المادة، وهناك صنف آخر يكتب من أجل الاثنين، وإن كان فى بعض مواضيعه يناقش مشكلات تهم مجتمعه إلا أنه يناقشها بأسلوب بعيد عن الواقعية البحته وعن الجدية، وهناك من يلجأ الى الاتجاه بأسلوب كتابته الى الغموض والرموز والتعقيدات واستعمال كلمات صعبة الفهم وكأنه يخاطب أناسا معينين أو يكتب لفئة معينة تتميز بثقافتها العالية أو بشهادتها الكبيرة، متجاهلا انه انما يكتب لمجتمع فيه فئات مختلفه تختلف فى أذواقها وفى تعليمها وفى تفكيرها وهى بحاجة الى قراءة كتابات تفهمها كتابات تلامس واقعها المعاش، لذا فالكاتب الذى يكتب من أجل مصلحة ما يجد فى الناس الطعم والوسيلة التى توصله الى هدفه الحقيقى، وهذا النوع من الكتاب يبعد القراء عنه دون أن يقصد ذلك أو يتعمده، وذلك من خلال الأسلوب الذى يتبعه والمنهج الذى ينتهجه بادخال التطور فى كتاباته حتى يقال إنه كاتب متطور، أو كاتب يساير التطور ومن الحداثيين الذين يسعون الى الرقى بالأدب نحو الامام، وكأن الأدب قد أصبح فى نظرهم عقارات قديمة لابد من العمل على ازالتها واستحداث غيرها، جاهلين أن الأدب الأصيل لا يحتاج الى تغيير وتطوير بل هو بحاجة الى المحافظة عليه والالتزام بأصوله وأسسه وحتى لا نفقده او ننساه لأنه هو الاصل . . والأصل دائما هو الأبقى، واذا سلمنا بأن كل كاتب يكتب حقيقه من اجل الناس، فلابد أن يكون هناك مقومات لهذه الكتابة حتى تجتذب القراء، وتلفت أنظارهم، كما تتطلب من الكاتب إحقاقها بشكل ظاهر واضح تدعو الناظر اليها لقراءتها . فهى هدية الكاتب لأفراد مجتمعه والتى ستكون ذات مردود إيجابى فى نفوسهم، لأنه من المفروض أنه يدعو الى الاستقامه والالتزام والتمسك بكل ما هو جدير بالمحافظة عليه كما ان افراد المجتمع بالنسبة للكاتب الالهام الذى يستلهم منه أفكار مقالته وبذور مواضيعه، فهو اذاً يأخذ منهم ثم يكتب اليهم يأخذ من سيئهم ليرشد ضعيفهم ويكتب عن قدوتهم ليكون عبرة وقدوة لهم . . الخ .

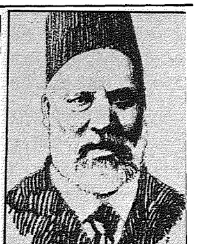
■ لذا يجب على أى كاتب ان يوجه قلمه الى خدمة مجتمعه ويخاطبهم بلغتهم التى يفهمونها . . وإلا ما فائدة أدب لا يقرأ؟ . وما فائدة أديب أو كاتب لا يقرؤه الناس؟ .

فن الإلقاء

وداد سكاكينى / سوريا

كانت سارة برنارد الممثلة المشهورة فى صدر هذا العصر مثالا فى القاء الكلام بحسب معناه ومراميه حتى وصفها من سمعها وراها على المسرح بأ ن نبرات صوتها فى هذا الالقاء كانت ترافق الاورغول تتنساب مع ألفاظه ونغماته مثل التراتيل التى تعرف سبيلها الى القلوب.

وكانت سارة برنارد فى مواقف البطولة والحماسة وأدوار الالم والغرام تحمل للنظارة والمستمعين روعة الابداع وسحر الفن والبيان، فإ ذا أخذت هذه الممثلة الموهوبة بإ شاراتها ونبراتها خيل اليهم أنهم يعيشون وينصتون الى حوار سلس بليغ ولا يزال طلاب السوربون الى أيامنا يرهفون السمع إلى تسجيل صوتى لسارة برنارد فى فن الالقاء.

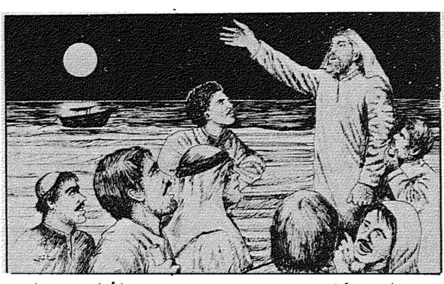


احمد عرابى

سعد زغلول

■ وفن الالقاء هذا قديم فى تاريخ الكلام مر بعصور وشعوب، فعرفه اليونان والرومان وأحبه العرب فى الجاهلية والاسلام وكان سحبان بن وائل خطيباً بليغاً يستهوى النفوس ببراعة إلقائه وأدبه، حتى قيل إنه خطيب نادر المثال، وكانت كلماته تملأ الاسماع والمشاعر بروعة المنطق والبيان أما اليونان فكفى فى تاريخها أن يملأ مسامع عصره خطيبها الكبير ديموستين، وقد عرف الرومان والبيزنطيون الخطابة إذ كانت مرافقة للسياسة والقيادة، فكان لالقاء الخطباء دور فى التأثير على الجمهور.

فمن نبرات متطاولة أوحماسية، ترافقها حركات تمثيلية وإشارات ويبدأ الخطيب بطيء الحركة ماضياً على رسله، ثم ما يلبث أن يضخم صوته وتحتد لهجته حتى يحس من كان فى أقصى المكان أنه



يقرع الصدور بكلامه ونبراته.

■ وقد عرفت أسواق العرب وساحات الملوك والأمراء فن الالقاء في إنشاد الشعراء الذين كانت لكل منهم طريقته ونغماته حتى جاء عصرنا وشاع هذا الفن في عالم المحاماة وبخاصة في بعض البلاد العربية ومنها مصر في هباتها للحرية والقومية فكان خطباؤها وأدباؤها الذين أوتوا فن الكلام يدخلون القلوب بصدق الشعور والأداء، فالشعوب التي تؤخذ بفن الالقاء يلمع فيها الموهوبون في البيان، على أن هذا الالقاء الساحر هو موهبة وسليقة قبل أن يكون مرانة واكتساباً. وقد ازدهى أدبنا المعاصر بخطباء ومفكرين أوتوا هذا الفن المحبب وكان لهم أثر عميق في حياتنا الوطنية والثقافية، كما كان لبعض المطبوعين في فن المسرح والتمثيل مشاركة في تطور الأداء والالقاء.

وكما تبدو المرأة في زينتها خالبة مستحبة حتى إذا ذهب عن وجهها وقوامها ما كانت فيه من رشاقة وفتون بدت على حقيقتها كذلك شأن كثير ممن يختلبون المسامع ببراعة الالقاء وتناغيم الصوت واستغلال السوانح في ألفاظ جوفاء، فإذا عدت الى ما قالوا بالمراجعة والتدبر لم تجد فيه شيئاً.

■ ومنذ شاعت الاذاعات والمسارح ازدادت العناية بفن الالقاء وتعددت وسائله وأسبابه في «الحفلات والمؤتمرات» فافتن به كثير من ذويه وممن تكلفوه وفرضوا زيفهم على الجمهور، حتى اقتحم فنون القول كالشعر والقصة والحديث والمحاضرة، وربما أصاب الشعر أكثر مما أصاب غيره ممن ادعاه ومضى في ادعائه بالقائه في الندوات، واقفاً وقفات مسرحية في هذا الالقاء.

■ فمن نبرات متطاولة أوحماسية، ترافقها حركات تمثيلية وإشارات استمدوها من أحلامهم وأوهامهم، فإذا هم يرددون قولا منظوما أو مرسلا يخاله المستمعون شعراً، ولقد دخل من جراء هذا التكلف في الأداء والإلقاء الضيم والزيف على أدبنا الحديث.

■ ولم تخرج صبايا ومتصابيات من الظهور شاعرات وقصصيات في إلقاء مسرحي لما يقدمن من منظومات وحكايات في سوانح أدبية يتسللن إليها بعدة فارغة وزينة خالبة يسمع فيها الكلام بالأعين وتقنع فيها المتهافتات بنظرات الاعجاب، فإذا اضطربت الألفاظ وشردت المعاني بقيت النبرات والألحان.

■ واذا كان أعلام الادب والنقد في أيامنا يتخوفون من طغيان الاذاعة والسينما على الكتاب والمسرح فإننا إزاء هذه الظاهرة في شيوع الأدب الشفهي واصطناع الالقاء التمثيلي أشد تخوفاً من هذه المحنة التي تسللت إلى دور الثقافة والسمر، وكأن أدبنا الحديث لا يكفيه ما فيه من قلق واضطراب، إذ صار يغني هذا التكلف بالالقاء عن قيمة التعبير والبيان، فلا يعبأ المتكلم بنقد ولا تبعة فيما يقول، لأن كلامه سيذهب مع الريح.

القدرة على التعبير

هند احمد هرساني / السعودية

هل يمكن أن نميز العطر بما هو عليه من جمال وسحر وبما له من التأثير على كل قلب؟ وعلى كل احساس؟ هل يمكن ان نميز نوعية مصدره بالتأنيث أو التذكير؟. هل سيكون هذا العطر الذكي اعمق وأجمل لو كانت هذه الزهرة أو الوردة مختلفة فى الجنس «ذكورة أو أنوثة».. هل وهل...؟.

■ إن النتيجة واحدة وهي استمتاع حواسنا بالجمال والرائحة الذكية تغنينا عن سؤال للبواعث والمصادر. كذلك هو الأدب الانساني بصفة عامة.

● **هل عطاء الرجل الأدبي أعمق وأجمل من عطاء المرأة الأدبي؟ هل احاسيس الرجل وقدرته** على التعبير كبشر تتفوق على المقدرات التعبيرية للمرأة؟ وهما على ما هما عليه من مستوى واحد معين فكريا وحسياً وعلمياً؟. للرجل قدرته المميزة فعلا في بعض الأحيان فى أن يكتب ويناقش أو يتعرض لنقطة معينة قد لا تجد المرأة نفسها قادرة على مجاراته ولكن ليس عجزاً بقدر ما هو نتيجة متوقعة لخصائص طبيعتها كأنثى ومكونات نفسيتها كامرأة تعيش فى مجتمع يضعها فى مكانة خاصة يتوخى منها ألا تتعداها احتراما لها وخوفاً عليها.

■ القدرة على التعبير موجودة، والمشاعر متشبعة بكل احساس ولكن الوضع الاجتماعي بما هى عليه من الحياء والعفة والإلتزام يثنيها عن خوض مجالات من الأفضل تركها والإبتعاد عنها، فالمرأة هي المرأة لا تشفع لها أبداً مكانتها العلمية أو الاجتماعية من أن تخوض بعض المجالات الفكرية أو تتجاسر على مناقشة قضية شائكة ذات نوعية ما.. بدافع من «الموضوعية» مثلاً، أو حتى التعبير أو البوح بمشاعرها الخاصة جداً وانفعالاتها النفسية المميزة.. ذلك عالمها الخاص يجب ألا يثقبه فضول ومعرفة الغير به.

■ إن المجتمعات التى تطلق على نفسها مجتمعات الحرية والانطلاق وتهيئة كل الفرص للمرأة لممارسة ما تريده والتعبير بحرية سخيفة عن أمور لا يجدر أن تعلن ولا تذاع، هذه المجتمعات قد تحملت نتيجة آرائها العقيمة بما اعطته ببلاهة من حقوق إن صح التعبير، أو التسمية، أعطتها للمرأة كي تمزق أستار الحياء وتلقي خصوصياتها كامرأة.. لقد تحملت بما هى عليه من انحطاط اخلاقي نتائج الحريات الخاطئة وتكبدت خسائر يعانى من سيئاتها المجتمع عامة والأسرة خاصة.

■ نعم المرأة قادرة على العطاء.. قادرة على الإبداع عندما تتهيأ لها الدوافع وتتوفر لديها الاستعدادات النفسية والفطرية فى كل مظاهر الحياة الاجتماعية والأدبية ولكن نحن لسنا مثلهم دينياً واخلاقياً واجتماعياً وهم ليسوا قدوتنا فى انحلالهم الفكري وتدنيهم فلا تزال المرأة هى المرأة منشأ الكيان الكبير وبداية الأساس السليم ومنبع الفضيلة فالمرأة الفاضلة كنز ينتج ثروات عريضة من الأجيال البشرية فى كل أرض.. ومتى تنكرت لهذه المكانة التي خصها الله تعالى بها من حيث قدرتها على الانتاج البشرى والرعاية والتوجيه. متى تنكرت لأهمية دورها هذا وتخلت عن عفافها وحيائها في قولها قبل سلوكها متى تنكرت لكل هذا كانت النتيجة وخيمة ومظلمة فكل رجل قد يشيد بجرأة امرأة معينة وبرأيها واقتحامها لمجالات لا تتفق مع طبيعتها لا شك أنه سيتراجع مذعوراً رافضاً حين يتخيل ابنته أو اخته وقد تجرأت واخطأت بسلوكها فكريا وماديا فى فهم التحضر وإبداء الرأى، فالتعبير وايضاح مشاعر النفس لابد ان يكون ضمن حدود معينة تتعرض لكل خلجة من خلجات النفس المشتركة بين قلوب الناس ككل.

مشاعر لا تخجل من التعبير عنها لأنها في النهاية مشاعر سامية ومشروعة وطاهرة تفيض بها كل نفس مرهفة تحت ظلال الفضيلة يصونها احترامها من الإنزلاق الى الهاوية.

- تقرّب إليها كثير من الأدباء والشعراء، وأُخذوا بأدبها وروعة ...
- شيخ القضاة عبد العزيز فهمي كان يجلس في مجلسها صامتا لا ينطق بكلمة ..

مي زيادة .. والأدب

الحلقة الأخيرة



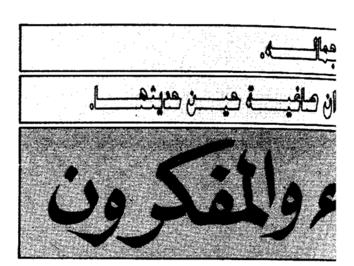
سطعت شمس (مىّ) فى قلوب الادباء والمفكرين كما سطعت فى قلوب الشعراء فمنهم من سعي إليها سعي العاشق، ومنهم من عشق وتعزز فى سعيه مع رغبته الملحة فى اللقاء، ومنهم من كلف غيره بجمع معلومات عنها. وهكذا ظلت متألقة بينهم، الى أن دار الزمن دورته، وألقى بظلمته على شروقها وغدت ذكرى لمن عاش بعدها يحيا بها.

الكاتب البليغ مصطفى صادق الرافعي:

سعى الى حلبتها سعى العاشق بأشواقه إلى فارسة الأحلام، ووجد الصورة التى رسمها العاشق أمامه تحدثه وتجاذبه أطراف الحديث، وقد فاقت بصورتها وحديثها ورقتها تلك الصورة الخيالية التى رسمها العاشق لنفسه، أحبها حبا جارفا، ليس كحب الناس لكنه فوق الشهوات وفوق الماديات وفوق الغايات، انتظر هذا الحب ليجد نفسه فيه، ويجد فيه ينبوع الالهام يتدفق، وصفاء الروح يتهادى.

وعاش الرافعى بوهمه فى الحب الجارف الذى صنعه لنفسه، وكان من طرف واحد، ولم يهدم الرافعى هذا الوهم حتى يظل ينبوعا لإلهامه، ولما أحس أن ذاك البيت الذهبى الوهمى كاد أن يتقوض إصطنع الحيل حتى يبقيه. فأرسل لها مع وقاره ومروءته رسالتين، إبان محنتها التى أصيبت بها فى نهاية عمرها، وكانت تصد عن بابها كل الأصدقاء والمغرمين فثارت وردت إليه رسائله، وهو الذى يكتب ولا ينتظر الرد.

عملاق الأدب: عباس محمود العقاد:



كان من شيمه عزة النفس والكرامة والصرامة، فلم يذهب الى الصالون إلا بعد دعوته، وذهب متحفزا، إليها وفى تصوره أن يضحضح تلك المفكرة فى جلسة خفيفة، ولكنه وجد غير ما تصور، وجد إنسانة غير الذين عرفهم تصوب لها السهم فتأخذه فى رفق وترده إليك. توجه لها نقدا تتلقاه بسلاسة بالغة تجعلك تقع فى حيرة كأنك تنقد نفسك، بالاضافة إلى سحر الصوت، وبلاغة اللفظ والابتسامة العذبة الحانية وجمال يفيض برقة العطور، وماذا على اديب حبس نفسه فى ظلال الكتب و يمعن فى الجفاف ما فى حياته نغمة ولا نسمة، فإذا لو هبت النسائم محملة بأريج موشّى بعطور تداعب القلب فى نغمات موسيقية حانية، كل هذا جعل قلب العقاد يتعلق بقلب الأنسة «مى» فقد تصور أنه وجد فيها ضالته المنشودة.. فأحب فيها شخصيتها وأدبها، ولكن الأدب كان النقمة فى هذا المضمار فقد شغلها عن قلب العقاد، وربما كان هناك سبب آخر مع الأدب، ولعل العقدة بقيت كامنة فى نفس العقاد بسبب «مى» وتبادلا الرسائل والمكاتبات وكانت تنم عن حب جارف للعقاد. وهناك مشهد رهيب زلزل وقار العملاق، وهو يوم معانقة جسد «مية للتراب. فطفرت الدموع من عينى العقاد وقال: «كل هذا فى التراب، آه من هذا التراب». ربما كان مشهد الموت الرهيب سببا، ولكن لابد من سبب آخر معه أكثر من الصداقة.

● وفى حديث للشاعر كامل الشناوى مع العقاد عن حب مى «لولى الدين يكن» فأجاب العقاد: لا.. ليس الوحيد؟. وسأله كامل الشناوى: هل أحبتك؟ فقال: ليس من حقى أن أجيب، ولكن لم يكن «ولى الدين» وحده وأنا أعرف ماذا أقول. قال له كامل الشناوى: إنك كتبت الكثير عن «مى» ولكن تحت اسم مستعار وهو «هند» قال العقاد: أظن استنتاجك هذا صحيحا.

شيخ القضاة: عبد العزيز فهمى:

من أعلام الفكر والقضاء والأدب فى عصر «مى» وهو الرجل الثائر المتمرد على كل شىء ولكن فى صالون «مى» كان يجلس صامتا لا يشارك بكلمة، كانت عيناه تتكلم عن كل شىء سأله «خليل مطران» لماذا لا تتكلم؟ قال: إذا تكلم «لطفى السيد» يجب أن نصغى وإذا تكلمت - أى مى - فكلنا آذان صاغية.. ثم قال: النظر هنا - وأشار الى «مى» خير من الكلام وخير من الاصغاء. وكانت هذه هى عبارة الغزل الوحيدة التى قالها.

الأديب طه حسين:

عرف طه حسين ميّاً لأول مرة من خلال صوتها فى أول لقاء له بها فى حفل تكريم «خليل مطران» فاستمع إليها من خلال خطابها وقال: ان صوتها لا يبلغ السمع حتى ينفذ منه فى خفة إلى القلب فيفعل بالقلب الأفاعيل.

● فكان لوقع صوتها على قلب طه حسين وقعا خاصا، لم يكن يسمعها بأذنيه ولكن كانت الأذن وسيلته إلى قلبه. وهذا يدلنا على حسن صوتها وأن الأذن تعشق قبل العين أحيانا. وفى كلتا الحالتين فالقلب هو المتحمل للآلام والهموم. وقد تقرب الدكتور طه حسين إلى «مى» وأصبح من الأصدقاء المقربين إليها، بل كان يحظى فى نهاية الصالون الأدبى بلقاء خاص مع «مى ولطفى السيد ومحمد حسن المرصفى». وظل طه حسين وفيا لها، فكان يزورها إبان محنتها وكان يلح عليها بالخروج للتريض والتنزه،





الرافعى لطفى السيد

ولكنها كانت تأبى ذلك، وبعد الحاح قالت: إذا كنت تريد أن أخرج فاصحبنى إلى الهرم، فأحب أن أشاهد هذه الآثار وأن أقف موقف عبرة واتعاظ أمام أبى الهول، وصحبها غير مرة إلى هناك وقبيل وفاتها وبعد انغلاقها على نفسها، طلب أن يلقاها فاعتذرت.

الفيلسوف الأديب مصطفى عبد الرازق:

كان من المترددين على صالون «مى» وتعلق بها تعلقا عفاً فكان الخجل يعقد لسانه، فلم يعبر عن غرامه، بكلمة أو لفظة ولكنه كان يؤثر الصمت على الكلام ولما سافر إلى باريس تبادل الرسائل مع «مى» وذكر لها أنه رغم حبه لباريس يتعجل العودة إلى القاهرة لأن فيها ما هو أحب إليه من الشباب والأمل. قيل: إن هذا الأديب الوقور تلهف عليها فى محنتها الأخيرة، فلما علم بأنها ستحاضر فى الجامعة الأمريكية ذهب إلى هناك وعندما رآها سحب منديله ومسح دمعا حارا فى عينيه حزنا عليها، وقد قال فى يوم توديعها الوداع الاخير وصوته مخنوق بالدموع وهو الرزين الوقور «شهدنا مشرق مى، وشهدنا غروبها، ولم يكن عهدها طويلا، ولكن مجدها الأدبى كان طويلا».

الأب العلامة اللغوى أنستاس الكرملى:

من ضفاف دجلة شده الاعجاب لغويا بمى الأديبة، وقد تبادلا الرسائل، فوقعت فى نفسه موقعا حسنا وقد أشار بعض أدباء العراق إلى هذه الناحية فى حياة الكرملى وأن بين أوراقه رسائل لمى تناولت أمورا أدبية وعائلية. مما دل على تلك الصداقة التى أكدها كاتب عراقى كبير هو الاستاذ «جعفر الخليلى» بأن الأب «الكرملى» أحب «ميّا» لكنه استطاع أن يكتم هواه، ولو لم يكن متعلقا بمى لما ذهب به الاهتمام الى سؤال زميل له من رهبان الناصرة أن يراجع سجل الكنيسة ويحقق فى مولدها وأسرتها ونسبها، وقد أجابه الكاهن بما أرضاه.

أدباء آخرون:

وغير الشعراء والأدباء والمفكرين الذين تقدم ذكرهم، كان أحمد لطفى السيد، طاهر الطناحى، شبلى الشميل، سلامة موسى، أنطون الجميل، وأحمد حسن الزيات، وأحمد زكى، وداود بركات.. وغيرهم.. ومنهم من كان يربطه «بمى» صداقة عادية، وغير عادية، حتى قيل: إن أنطون الجميل آثر أن يبقى عزبا طامعا فى أن ترضى به «مى» زوجا ولو جاوزت الشباب.

من الذى أحبته «مى»؟:

لقد هام بها المقربون ولكنها هامت على البعد، بأحد الطيور المهاجرة إلى أمريكا، وكان الذى ملك عليها قلبها هو «جبران خليل جبران» فقد أحب كل منهما الآخر، ولم ير أحدهما الآخر مرة واحدة، بل كان حبا على القرطاس، بدأ بالمراسلة وانتهى بها أيضا حين انقطعت رسائل جبران بموته.. وقد اعترفت مى بحبها لجبران فى بعض رسائلها إليه. فقد قالت: «إني كنت لك كلمة الحب ولا أجسر على لفظها بشفتى».. وقالت أيضا: «.. ما معنى الذى أكتبه؟ إنى لا أعرف ماذا أعنى به، ولكنى أعرف أنك محبوبى وأنى أخاف الحب أخاف أن انتظر من الحب كثيرا، فأخاف ألا يأتينى بكل ما أنتظر، أقول هذا مع علمى بأن القليل من الحب كثير، ولكن القليل من الحب لا يرضينى، الجفاف والقحط واللاشىء خير من النزر

اليسير . . كيف أجسر على الافضاء إليك بهذا وكيف أفرط فيه؟ لا أدرى . . . الحمد لله أنى اكتبه على الورق ولا أتلفظ به، لأنك لو كنت حاضرا بالجسد لهربت خجلا بعد هذا الكلام ولاختفيت زمنا طويلا». وقد وجدت صورة جبران بين أوراقها وتحتها هذه العبارة: «**هذا سبب علتي وشقائي**». وقصة حب «مى وجبران» يطول شرحها ولا يكفيها عدد من المقالات ويكفينا تلك النبذة عنها.

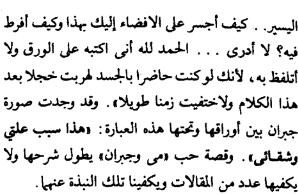
أيام مى الأخيرة:

الأديبة التى عرفت معنى النجاح العظيم، والمجد العريق والتوهج فى سماء الفكر، والتألق فى صعيد الأدب، والشروق على ساحة المحبين، عرفت كذلك الألم وبدأت تلك الشمس الساطعة تميل إلى الغروب. . فانتقل الوالد إلى عالم الغيب واشتد قلقها على حبيبها الغريب الغائب، فقد أخبرها بتدهور صحته وأنه سوف يعود إلى وطنها الأم، واذا هو يودع الحياة فجأة فحفر موته خيبة عميقة فى آمالها ومصيرها، ثم توفيت أمها وفقدت «مى» بفقدها الحنان والرجاء وتنقلت بين بيروت والقاهرة ثم حبست نفسها فى بيتها، حتى أصبحت غريبة الأطوار، فاتهمت بالجنون، وظلت حالتها تسوء الى أن أتى يوم النهاية: التاسع عشر من شهر تشرين الأول سنة ١٩٤١م. رحلت مى الانسانة وبقيت آثارها خالدة تخلدها.


انستاس الكرملى


جعفر الخليلى




سلامة موسى — جبران خليل جبران

من آثار «مى»:

- سوانح فتاة: خواطر لمى.
- باحثة البادية: دراسة أدبية نقدية.
- وردة اليازجى: دراسة أدبية نقدية.
- عائشة تيمور: دراسة نقدية أدبية.
- المساواة: دراسة إجتماعية فى الديمقراطية والاشتراكية.
- ظلمات وأشعة: مقالات فى الوطنية وفلسفة الحياة.
- كلمات واشارات: مجموعة خطب ومحاضرات.
- أزاهير حلم: ديوان شعر بالفرنسية نقلها الى العربية د. جميل جبر.
- الصحائف منتخبات من مقالاتها.

■ وغير ذلك من الأثار التى طبعت والتى لم تطبع بعد. . ونوصى أن يجمع كل إنتاجها ويعاد طبعه لمزيد من الاستفادة به للدارسين والقراء.

مراجع البحث

(١) «مى زيادة» فى حياتها وآثارها: وداد سكاكينى.
(٢) أطياف من حياة «مى» طاهر الطناحى.
(٣) نساء رائدات من الشرق والغرب: إملى نصر الله.
(٤) حياة مى: محمد عبد الغنى حسن.
(٥) نساء فوق القمة: أحمد زكى عبد الحليم.
(٦) مقالات متفرقة: لكامل الشناوى . . سعيد العريان.
(٧) ثلاثة رواد من المهجر: د. جميلة السراج



● الكاتب المعروف دزرائيلى قرأ رواية جين اوستن «كبرياء وتحامل» ست عشرة مرة

● تميزت جين اوستن ببساطة كتابتها وابتعادها عن التكلف، والحوار عندها فى

جين أوستن

(جين أوستن) كاتبة ذات قلم بارع احتلت مكانة بارزة فى الادب الانجليزى، صورت فى رواياتها الحياة فى عصرها تصويرا دقيقا قلما وجد لدى غيرها من كتاب الرواية المعاصرين لها. وقد كونت لنفسها عالما روائيا حقيقيا ، وأدبها لا ينتمى إلى عصر واحد بل هو لكل العصور.

جين اوستن

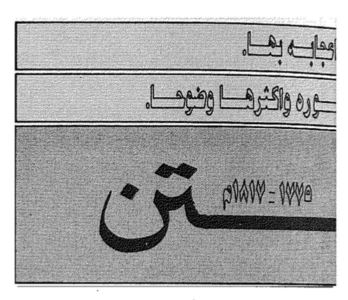
نشأت جين أوستن فى ستيفنتون بها مشاير، حيث ولدت فى هذه البقعة من الريف الانجليزى عام ١٧٧٥م، وقضت فترة وجيزة من الدراسة فى سوثامبتون، لكنها ولعت بالمطالعة فى سن مبكرة، فكانت تقرأ مؤلفات كبار الأدباء وكانت أسرتها كلها مولعة بالمطالعة، فاكتسبت جين من مطالعاتها الكثيرة ومن حياتها فى المجتمع الانجليزى مادة خصبة حيوية لرواياتها، وكانت حياتها العائلية مستقرة مع أسرتها المكونة من الأب والأم واخوتها السبعة، كانت صلتها وثيقة بشقيقتها كاساندرا التى كانت تتقن فن الرسم فرسمت لها صورة شخصية، وانعكس هذا الهدوء والاستقرار العائلى على كتابة «جين» فصورت فى رواياتها حياة الأسرة والعائلة أروع تصوير.

ولم تكن جين تحفل بالشهرة فأصدرت قصصها غفلا عن اسمها بادىء الأمر، ويقول شقيقها فى مذكراته:

«لم تكن الشهرة تغريها بأن تضع اسمها على أى انتاج بقلمها»

■ على أن جين أوستن «حظيت بعد وفاتها بشهرة فائقة وتقدير عميق وإعجاب بأدبها وإن كان هذا الادب محدوداً فى مجاله.

■ وقد كانت الفترة التالية لعام ١٧٩٠ فترة حافلة بالانتاج الأدبى ومرحلة حاسمة فى حياة جين ككاتبة، إذ كتبت فى عام (١٧٩٥) رواية على هيئة رسائل عنوانها: «إلينور



وماريان» وهو النص الأول للرواية التى ظهرت فيها بعد بعنوان «عقل وعاطفة»، وفى اكتوبر من عام (١٧٩٦)، بدأت بتأليف رواية جديدة أطلقت عليها عنواناً مؤقتا هو «انطباعات أولى»، ما لبثت أن ظهرت فيها بعد بعنوان «كبرياء وتحامل» وتتمثل فترة نضجها الأدبى بروايات أخرى مثل حديقة مانسفيلد، إيما، إقناع.

■ وتعد رواية «كبرياء وتحامل» من أبرز الروايات فى الأدب الانجليزى الكلاسيكى وقد قيل إن الكاتب المعروف دزرائيلى(١) قرأها ست عشرة مرة لشدة إعجابه بها، فى حين أن فئة أخرى من النقاد انتقدت جين أوستن لأنها لم تخرج عن محيط تجربتها الشخصية كفتاة فرواياتها تصور حياة عادية لرجال ونساء يعشن فى منازل ريفية بسيطة أو فى بيوت فخمة، لذا فهى تصور مجتمعاً محدوداً، ومع هذا فقد عدها النقاد شاملة لنماذج كاملة للملهاة الاجتماعية التى تصور تصويراً فنياً دقيقاً شخصيات متعددة فى الحياة.

■ تقول الكاتبة الانجليزية المعروفة «إليزابث باون» فى كتابها «الروائيون الانجليز»(٢).

«لقد كونت (جين أوستن) عالماً روائياً حقيقياً، وقد شبهها النقاد بالكاتب الانجليزى (هنرى فيلدنج) إلا أنها تتميز بتصويرها الحيوى لمجتمع القرن الثامن عشر فى انجلترا فكتاباتها تعد وثيقة هامة تعبر عن العصر الذى عاشت فيه».

■ ويروى أن أحد الأشخاص طلب من جين أوستن كتابة نمط آخر من الروايات كالرواية التاريخية إلا أنها أبت أن تغير النهج الذى رسمته لنفسها فى الكتابة وقالت له فى إحدى رسائلها:

«إننى لأحس أن مثل هذه الروايات قد تنيلنى من المال والشهرة أكثر مما تنيلنى تلك الصور التى أرسمها فى قصصي للحياة المنزلية الريفية.. كلا يا سيدى لابد أن أحتفظ بأسلوبى وأواصل الكتابة بطريقتى الخاصة، وإذا ما قدر لي ألا أفلح فى هذا بعد الآن، فإنى لا شك سأخفق تماماً فى كل ما عداه».

■ أما الكاتب الانجليزى الشهير «سومرست موم» فقد أبدى رأيه فى أدب جين أوستن بل إنه عبر عن إعجابه بهذا الأدب رغم بساطته فقال فى مقال له من سلسلة مقالات نشرها فى مجلة الكتب والكتاب Books and Book-men بانجلترا:

«لم تكن جين أوستن ذات أسلوب عظيم ككاتبة لكنها تميزت ببساطة كتابتها وابتعادها عن التكلف، والحوار عندها فى أبسط صوره وأكثرها وضوحاً وربما لا نجد مثل هذه البساطة لدى غيرها من الكتاب، ولعلها تتمتع


سومرست موم — شارلز ديكنز



بشعبية لدى القراء تتفوق فيها على زملائها ومعاصريها من الكتاب وهى تمثل النمط الروائى العائلي وتتخذ مادة لرواياتها من مجريات الأمور التى تحيط بها».

■ إنها كاتبة لم تؤمن بالعاطفة فى حدتها ونزواتها بل كانت تؤكد رجاحة العقل والتفكير الموزون، ولقد ورثت جين موهبتها الأدبية عن والديها، وقد أجادت اللغة، وتثقفت ثقافة عالية، ويمتاز أسلوبها ببراعة صنعه ودقة صياغته، وتتخلل كتاباتها الممتعة فكاهات لاذعة ونقد ساخر لزلات القوم وأخطائهم فى ذلك الحين وهذا ما جعلها من أحب الكتاب الى قلوب القراء فحظيت رواياتها بأكبر عدد من قراء أدب القرن التاسع عشر بعد روايات الكاتب الانجليزى اللامع تشارلز ديكنز.

■ ورواية «كبرياء وتحامل من أكثر رواياتها شعبية لدى القراء، وقد رفضها الناشرون عام ١٧٩٧ عندما عرضت عليهم بعنوان آخر هو «**الانطباعات الأولى**» ولعل سر نجاح جين أوستن فى فن القصة هو صدقها فى العرض خاصة بالنسبة للشخصيات النسائية فهى كامرأة تعرف الأحاسيس التى تشعر بها بنات جنسها وقد برعت فى تصوير هذه الأحاسيس وهذا ما أضفى على فنها الروائى جواً صادقاً واقعياً. على أن نقاد الأدب كانوا بين مؤيد لها ومخالف، أما فئة النقاد المؤيدين فقد كان منهم الكاتب والمؤرخ الانجليزى «**توماس ماكولى**» (١٨٠٠-١٨٥٩م) ولم يتردد لحظة واحدة فى موالاته لجين أوستن، ومن أقواله عنها فى مجلة كانت تصدر بانكلترا فى ذلك الوقت:

«لقد كنت أود لو أن المصادر توفرت لى أن اكتب ترجمة قصيرة لحياة هذه المرأة النابغة ومهما يكن من أمر فإن رواياتها تمثل الحياة العائلية بكل ما يتخللها من أحداث، وقد صورت لنا شخصيات مختلفة فى تصرفاتها وفى أساليب تفكيرها، وهى شخصيات تمتلىء بالحيوية والنشاط».

كذلك فقد كان الكاتب الانجليزى المعروف والترسكوت من المعجبين بفنها الأدبى ومن أقواله عنها:

هناك صدق فى التصوير فى كتابات جين أوستن وهذا ما يسرنى جداً فهى بطريقتها الخاصة كانت ذات طراز فريد بين الأدباء.. أما أولئك النقاد الذين هاجموا أدبها فقد كانوا ينتقدون أدبها لأنها لم تخرج عن محيط تجربتها الشخصية كفتاة فرواياتها تصور حياة عادية ومجتمعاً محدوداً».

■ وربما كانت حياة جين أوستن البسيطة الهادئة والمستقرة قد انعكست على فنها الأدبى، ولم يكن فى حياتها شىء هام يذكر كما قال ابن أخيها فى المذكرات التى كتبها عنها، ولعل أهم ما وجد عن حياتها هو هذه المذكرات التى استقى الكاتب مادتها من مجموعة الرسائل التى خلفتها جين أوستن، وقد تصدرت هذه المذكرات لوحة تمثل جين أوستن كما رسمتها شقيقتها المحببة «**كاساندرا**».

■ وقد تجلت دراستها الفذة لشخصية المرأة ونفسيتها فى روايتها المعروفة «**عقل وإحساس**» التى كان النص الأول لها بعنوان «إلينور وماريان» وقد كتبته على هيئة رسائل فى الفترة بين عامى ١٧٩٥-١٧٩٦، وقد لفتت أنظار محبى الأدب وناقديه ومنهم «**والتون ليتز**» الذى وضح رأيه فى فن جين أوستن فى كتاب له بعنوان:

«جين أوستن، دراسة فى تطور فنها الأدبى **١٩٦٥**»..

فقال إن جين أوستن قدمت لنا أبدع ما أنتجته من فن روائى، فغاصت فى أعماق النفسية لبطلتى روايتها «**إلنور وماريان**».. لقد تركت جين أوستن فناً روائياً متميزاً فى حياتها القصيرة التى لم تتجاوز اثنى وأربعين عاماً.

الهامش

(١) مجلة الهلال، القاهرة، سبتمبر ١٩٧٨.

(٢) English Novelists by, Elizabeth Bowen, London



د. نجاة حسن عبد الله - مكة المكرمة

بَحَرَ وبَحِرَ وأَبْحَرَ

* بَحَرَ الناقةَ والشاةَ يَبْحَرُها بَحْراً: شقَّ أذنها نصفين. وقيل: شقَّ أذنها طولاً. ومنه البَحِيرةُ وهي الناقةُ، كانت إذا نُتِجتَ خمسة أبطنٍ فكان آخرُها ذكراً بَحَرُوا أذنها، أي شقوها وأعْفَوا ظهرها من الركوب والذبح، ولا تمنع من مرعى، حتى إذا لقيها الـمُنْقَطَعُ به لم يركبها.

قال تعالى: ﴿ما جعلَ اللهُ من بحيرةٍ ولا سائبةٍ ولا وصيلةٍ(١) ولا حامٍ(٢)﴾.

والبَحْرُ في كلام العرب: الشقُّ، جاء في الحديث: ان أول من بَحَر البحائرَ وحَمَى الحامىَ وغَيَّر دين إسماعيل عمرو بن لُحَيّ.

وفي حديث عبد المطلب: «وحفر زمزمَ، ثم بَحَرها بَحْراً، أي شقَّها ووسَّعها».

وإنما سُمِّى البحرُ بحراً، لأنه شُقَّ في الأرض شقاً، وجعل ذلك الشق لمائه قراراً.

والتبحّر والاستبحارُ: الانبساطُ والسعةُ، وقيل: سُمِّي البحرُ بَحْراً لاستبحاره، وهو انبساطه وسعتُه وعمقُه، وكلُّ نهر عظيم بحرٌ.

والبحَّارةُ: هم الذين يتبحّرون في البحر، ويُسمَّى الفرسُ الواسعُ الجَرْى بحراً. ومنه قول النبى ﴿ﷺ﴾ عن فرس طلحة: «إنْ وجدناه لبحراً».

وتَبَحَّرَ في العلم واستبحرَ فيه.، واستبحرَ الخطيبُ: اتسع له القول: «وفي مديحك يستبحرُ الشاعرُ».

قال الطرماحُ:

بمثـلِ ثنـائـكَ يحلو المـديـحُ
وتـسـتـبـحـرُ الألـسنُ المـادحـة

■ والبحـارُ: الواسعةُ من الأرضِ، الواحدة: بَحْرَةٌ، والبَحْرَةُ: الروضةُ العظيمةُ مع سعةٍ، والبَحْرَةُ: البلدةُ.

ولقيته صحرة بحرة: أى صدفة، بلا حجاب بينك وبينه.

- وبَحِرَ الرجلُ يَبْحَر بَحَراً: إذا تحيَّر من الفزع، ويقالُ أيضاً: بَحِرَ: إذا اشتدَّ عطشُه فلم يَرْوَ من الماء.

والبَحَرُ أيضاً: داءٌ في الإبلِ، وقد بَحِرَتْ. وقيلَ إنما ذاك النَّجرُ والبجر.

- وأبحرَ القومُ: ركبوا البحرَ.

وأبحرَ الرجلُ: إذا أخذه السل

وأبحر الرجلُ: إذا اشتدتْ حمرة أنفه.

وأبحرت الأرضُ: كثرتْ مناقعُ الماءِ فيها.

وأبحرَ الماءُ: مَلُحَ. قال نُصيب:

وقـد عادَ ماءُ الأرضِ بحـراً فردَّنى
إلى مرضِى أنْ أبحرَ المشربُ العذْبُ

■ وفي رواية «فزادني»(٣)

الهامش

(١) الوصيلة هى الشاة، كانت إذا ولدت سبعة أبطن عمدوا إلى البطن السابع، فإن كان ذكراً ذبحوه، فأكله الرجال والنساء جميعاً، وإن كان أنثى لم تنتفع النساء منها بشيء حتى تموت. فإن ماتت أكلها الرجال والنساء جميعاً. وإن كان ذكراً وأنثى ببطن واحد، قيل: وصلت أخاها فيتركان ولا يذبحان، وكانا للرجال دون النساء، فإذا ماتا اشتركوا فى أكلها. تفسير ابن عباس ص١٠٢.

(٢) الحامى: الفحل يحمى ظهره من الركوب ولا ينتفع منه بشيء، وذلك إذا طال مكثه عندهم، وقيل إذا لقح ولد ولده.

(٣) ينظر: العين: للخليل بن أحمد ٣: ٢١٩-٢٢٠، جمهرة اللغة: لابن دريد ١: ٢٧٣-٢٧٤، أساس البلاغة: للزمخشرى، الصحاح: للجوهرى، لسان العرب لابن منظور، القاموس المحيط: للفيروز ابادى مادة - بحر-

«لو .. لو .. لو»

انتصار العقيل / السعودية

■ لو كنت تستطيع أن تكون على مستوى جنوني . . وتغوص معي في أعماق فكري وترتفع معي فوق سحاب خيالي، وترى الكون مثلما أراه من ارتفاعي، وتحاصر العالم من جميع جهاتي، وتنفذ إليه في أغواري، لو كنت تمارس الفكر والأدب والقلم، وتعشق الليل والسهر، وتقدس المغيب والشروق، وتفهم معنى الشوق والهوى.

■ لو كنت أنطق أنا الكلمة فتكمل أنت الجملة، وأشعر أنا بالفرحة فتعلو على وجهك أنت البسمة، ويداهمني أنا الحزن فتنهمر من عينيك أنت الدمعة. لو كانت مرافئك لا ترسو فيها سوى سفني، ومظلة فكرك لا يحتمي تحت ظلها سوى قلمي، وحنان صدرك لا يلجأ له سوى قلبي.

■ لو كنت أنا قمة كل شيء في حياتك، والرقم الأول والمتسلسل والأخير فى أرقامك وبداية ونهاية أحلامك وآمالك، لو كنت تفهمني عشر ما أفهمك، وتعطف عليَّ عُشر ما أعطف عليك وتحميني عشر ما أحميك.

■ لو أدركت أني فى عشيرة النساء امرأة مميزة وأنى فى قاموس العواطف والمشاعر أتصدر جميع فهارس المعرفة، وأني نبع عطاء لا ينهل مني إلا من يستحق أن يصبح نبعي ومصبي.

■ لو فهمتني لامتلكتني، لو فهمتني لما خسرتني، لو فهمت نقطة واحدة مما ذكرت لما انتهينا كأننا ما ابتدينا.

أحلى الكلام



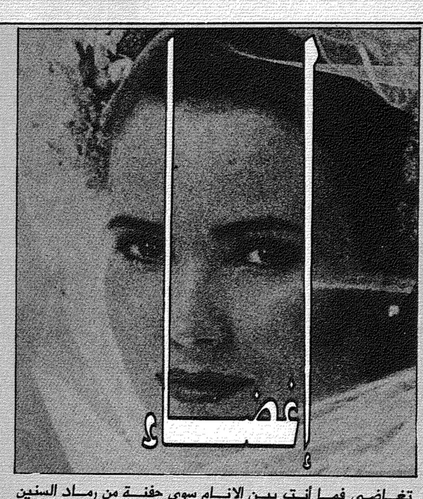
وأهداها خاتما من العقيق وقال لها: العقيق يبعد الضيق وفرقت بينهما الايام.. والان كلما نظرت إلى خاتم العقيق في إصبعها صاحت متوجعة: اه لو تدري.. لو تدري أني في ضيق ما بعده ضيق!!

وتسألنى



وتسألنى عن احلام طفولتى
وانت مهدى
وتسألنى عن صبايا
وانت ايامى واحلى سنين عمرى
وتسألنى عن اغانى
وانت كلماتى ولحنى
وتسألنى عن الهوى
وانت تجربتى
وتسألنى عن اعياد ميلادى
وانت ضوء شمعتى
وتسألنى عن حبك
وهو عفتى وطهرى
وتسألنى هل انت حبيبى
وانت تعلم انك قدرى

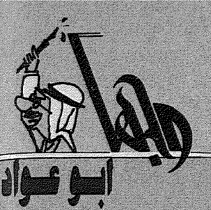
صفية عنبر / السعودية



تغاضى فما أنت بين الانام سوى حفنة من رماد السنين
ولينى .. ولينى فإن الحياة لك اليوم تقسم أن لا تلين
تقولين هنت؟ وكل الوجود نفوس تهان وأخرى تهين
كبرت فظنوك عقلا توقف عن كل رأى سديد متين
وراحو كبارا وراحوا صغارا أمامك لا يخفضون الجبين
حسبت النفوس كراما كنفسك: كلا. فإنك كنز ثمين
حباك الاله بقلب مضيىء فلا تفرضيه على الاخرين
فمن ذا أحب كحبك أنت ومن ذا يحس كما تشعرين
ومن ذا يعيش كما عشت أنت ومن ذا يغنى كما تنشدين
تغاضى فانك فوق الجراح وفوق الظنون وفوق اليقين
وزفى أمام المدى كالصباح وخفى يخف الاسى والانين
ولا تأملى فى امتلاك الوفاء فان الجحود طباع البنين
وان الامومة عبء ثقيل وبذل كبير ووهم حزين
تغاضى فإن الجدال اتهام وما فى النقاش سوى ما يدين
ولينى ولينى فان الحياه لك اليوم تقسم أن لا تلين

شعر
جليلة رضا - مصر





٤٠٥ | أبو عواد

اننى لا أطلب منك المستحيل.. ولا لبن العصافير كما يقولون.. إن كل الذى أريده منك يا سيدتى أن تغمض عينيك ونحن نتجاوز بعض المعابر فالسكوت فى كثير من المواقف شرط لبلوغ الهدف.

٤٠٥ | أم عمرو

نصيحة الرجل للرجل (لا تسكت على شيء) ونصيحة الرجل للمرأة (السكوت فى كثير من المواقف شرط لبلوغ الهدف) ما هذا ياسيدى الرجل، هل تتصور ان النساء مخلوقات من نوع آخر غير تلك الطينة التى خلق منها الرجال.

اتمنى أن يعود الرجال لقراءة مقررات "علم الحياة" التى تركوها فى المراحل الأولى من التعليم ليتعلموا مرة ثانية اوجه الشبه فى التراكيب العقلية والنفسية بين الرجال والنساء.

٤٠٦ | أبو عواد

يعجبنى إصرارك على النجاح.. لكننى استهجن فيك هذه ـ المكابرة ـ.

٤٠٦ | أم عمرو

الاصرار على النجاح والمكابرة صفتان لا تجتمعان فى شخص واحد.

٤٠٧ | أبو عواد

انهم يتحدثون عن امرأة أودت بزوجها إلى براثن الديون.. وانهن يخطئنها.. وهن يخرجن الكمبيالات من حقائبهن اليدوية والأزواج يبحثون عن وسيلة لحفظ ماء الوجه عن الدائنين.

٤٠٧ | أم عمرو

الزوجة التى تطلب وتأخذ بدون حدود هى واحدة من اثنتين احداهما لا تعرف شيئاً عن ميزانية أسرتها ولا تشارك فى تدبير أوجه الصرف لها والثانية تتصور ان مدخراتها ستذهب يوماً ما إلى امرأة أخرى.

٤٠٨ | أبو عواد

معادلة صعبة تلك التى تطالب بها المرأة.. لكنها ليست مستحيلة.. فمتى استطاعت المرأة أن تتحرر من عواطفها بعض الشىء.. وتجعل العقل والمنطق هو سيد الموقف.. مع الابقاء على كامل مقومات الأنوثة والرقة.. فانها تستطيع بهذه ـ الايدولوجية ـ أن تفرض نفسها على اكثر الرجال ـ عنجهية ـ.

٤٠٨ | أم عمرو

اذا كان مفهوم الأنوثة لا يعنى مخلوقة مصبوغة بالألوان ومدهونة بالعطور ومفهوم الرقة لا يفسر بنفس الطريقة التى يفسر بها مفهوم الرقيق يصبح من السهل تحقيق معادلة المرأة الكاملة عقلاً وقلباً.

٤٠٩ | أبو عواد

مهما تقاربنا أنا وأنت وامتزجت مشاعرنا وتلاقحت أفكارنا.. أقول مهما تحصّنا فى خندق واحد لهدف مشترك واحد.. فليس بالضرورة أن يكون سلاحنا واحداً.

٤٠٩ | أم عمرو

فى الحياة الزوجية تتحقق الأهداف بتحديدها والتخطيط للوسائل المناسبة لتحقيقها. وليس من المعروف أن هذه الوسائل تحتوى على دروع وطبنجات مهما اختلفت وتنوعت وسائل كل من الزوجين حسب القدرات والمواقف والأحداث.

٤١٠ | أبو عواد

معظم النساء يخطئن كثيرا فى تفسير معنى الأنوثة وتجسيدها.. فهن يعتقدن أن ابراز مواطن الأنوثة ان يكون فى شياكة واكسسوارات.. ورقة مصطنعة.. فى الوقت الذى يتكلمن فيه من أنوفهن ويمارسن السلطوية..



والأنوثة ببساطة اقرار بـ ضعف. . وشعور بـ استهداف. . وذلك حال الغزال ـ الشرود ـ.

٤١٠	ام عمرو

لم تكن الصبغات والأزياء في يوم من الأيام دليلاً على الأنوثة. ان انوثة المرأة تكمن في ما منحها الله من حب وحنان يتسع لاحتواء افراد أسرتها مهما كبر عددهم أو تنوعت مشاكلهم انها اقرار المرأة «بضعف القوى» امام اقرار الرجل «بقوة الضعيف».

٤١١	ابو عواد

أنت تبحثين عن طريق. . وأنا أبحث عن طريق. . ومن شعر فينا بحاجته للآخر. . فليغير الطريق.

٤١١	ام عمرو

اللذان يسيران في طريقين مختلفين لم يتزوجا بعد.

٤١٢	ابو عواد

أفهمي والدتك أن برك لها ليس بالضرورة أن يكون من خلال ولائي لها انا الآخر. . ألا يكفيها الاحترام؟.

٤١٢	ام عمرو

أمّ الزوجة تستحق من الزوج الاحترام والبر معاً بنفس الصورة التي تستحقها ام الزوج على زوجته.

٤١٣	ابو عواد

ولكَمْ آثرت جلوسك في البيت وفضلته على خروجك للعمل. . لكنني كنت دائماً اتراجع تحقيقاً لرغبتك ولكنني أصبحت أشعر بمرور الوقت أن التضحية كانت من جانب واحد. . وأنه بات معها لزاما عليّ أن أعيد النظر في تلك القضية.

٤١٣	ام عمرو

لأن الرجال ينظرون الى الموافقة على عمل المرأة على أنه تضحية من جانبهم فهم ينتظرون مقابلاً لذلك. لذا تجد المرأة العاملة نفسها في كثير من الأحيان مطالبة بالقيام بأعباء تفوق ما يطلب من غير العاملة. يجب أن ينحصر ما يطلب من المرأة العاملة في الواجبات الطبيعية التي تراعي سعة وقتها وليس في التضحيات.





الى السيدة الجميلة



من .... كُثَيِّر عزَّه

محمد عبد الواحد حجازى

حبيبتى عزة:

ما أحلى الذكريات يا عزة.. بل ما أشجاها للفؤاد لا سيما إذا علق بحسناء ظلت طوال أيامها معه وهى بين الوصال والانفصال.. توده تارة، وتغاضبه تارات حتى إذا ما تزوجت وكان الشيب قد بدأ يغزو رأسه واليأس يتسرب إلى وجدانه لم يبق لديه سوى الذكريات تحنو عليه وإنها لأنت يا عزة.

ذكرياتى معك هى اليوم دنياى وحياتى ووجودى أرسلها إليك لعلك تنعمين على ولو بلقاء أخير فأنا لا أعلم إن كنت سألقاك بعدها أم لا..

حبيبتى عزة:

هل تذكرين أول لقاء لنا ونحن فى غضارة الشباب؟ لقد كُنتِ فى نسوة من بنى ضمرة وكان معى جَلَبُ غنم فلما أردن أن يشترين منى كبشاً أرسلنك أنت فقلت لى: يقلن لك النسوة بعنا كبشا من هذه الغنم وأنسئنا بثمنه إلى أن نرجع، فأعطيتك الكبش.. والحق أقول لك لقد سحرنى جمالك الساذج ذلك لأننى عندما رجعت وجاءت امرأة منكن بدراهمى قلت: أين الصبية التى أخذت منى الكبش؟ فقالت: وما تصنع بها هذه دراهمك. وكانت ذريعة منى وحيلة فقد قلت: لا آخذ دراهمى إلا ممن دفعت الكبش إليها فخرجت أنت لتسمعى ما يدور من حوار. فلما رأيتك ترنمت بما تغنى به الناس فقلت:

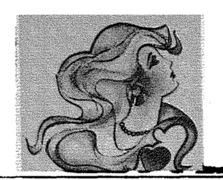
قضى كل ذى دين فوفّى غريمه
وعزة ممطول معنًّى غريمها

نظرت إليها نظرة وهى عاتق
على حين أن شبت وبان نهودها
من الخفرات البيض ودُّ جليسها
إذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها
نظرت إلى نظرة ما يسرنى
بها حمر أنعام البلاد وسودها
وكنت إذا ما جئت سعدى أزورها
أرى الأرض تطوى لى ويدنو بعيدها

حبيبتى عزة:

هل تذكرين السنة التى حججتِ فيها أنت وزوجك وكنت أنا قد حججت أيضا؟ ألا ما كان أطرفها صدفة ومناسبة. لقد أمرك زوجك بابتياع ما تصلحين به طعاماً لأهل رفقته فجعلت تدورين بين الخيام، خيمة خيمة حتى دخلت إلى وأنت لا تعلمين أنها خيمتى وكنت أبرى سهما لى فلما رأيتك جعلت أبرى وأنظر إليك وأنا لا أعلم حتى بريت ذراعى مرات وأنا لا أشعر به والدم يجرى. فلما تبينت ذلك دخلت إلى وأمسكت بيدى وجعلت تمسحين الدم بثوبك وكان عندى نحى[1] سمن فحلفت لتأخذينه فأخذته وجئتِ الى زوجك بالسمن. فلما رأى الدم سألك عن خبره فكاتمته حتى حلف عليك لتصدقينه فصدقته فضربك كما علمت ثم حلف لتشتميننى فى وجهى فوقفت على وهو معك فقلت لى: يا ابن الحمقاء، وأنت تبكين،

(١) النحى: إناء يخزن فيه السمن



هو أبو صخر كثير بن عبد الرحمن من فحول الشعراء جعله ابن سلّام فى الطبقة الاولى منهم وقرن به جريرا والفرزدق والاخطل والراعى.

ثم انصرفت وكانت شتيمتك لى عذبة الإيقاع على أذنى ولذلك لم أغضب منك ولكننى قلت:

خليلى هذا ربع عزة فاعقلا
قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلتِ
وما كنت أدرى قبل عزة ما البكا
ولا موجعات القلب حتى تولت
فليت قلوصى عند عزة قيدت
بحبل ضعيف بان منها فضلت
فأصبح فى القوم المقيمين رحلها
وكان لها باغ سواى فولت
فقلت لها يا عز كل مصيبة
إذا وطنت يوما لها النفس ذلت
أسيئ بنا أو أحسنى لا ملومة
لدينا ولا مقلية إن تقلت(٢)
هنيئا مريئا غير داء مخامر
لعزة من أعراضنا ما استحلت

حبيبتى عزة:

هل تذكرين كم كنت تسيئين الظن بى وتقولين لى إنك لست صادق المحبة، إنك تتخذ منى ألهية بها وتتسلى؟ الحق يا حبيبتى أننى لست كما توهمت وأشاع الناس عنى.. ولكن وجدانى يسير دائما وراء الجمال حيث كان. ولعل الشك الذى داخلك يرجع الى ما وقع لى ولك، فقد رأيتك يوما وأنت تمشين وتميسين فى مشيتك منتقبة فلم أعرفك فاتبعتك وقلت: سيدتى،. قفى أكلمك فإنى لم أر مثلك قط فمن أنت؟ قلت: ويحك هل تركت عزة فيك بقية لأحد؟ فقلت: بأبى أنت لو ان عزة أمة لى لوهبتها لك. قلت: فهل لك فى المخاللة؟ قلت: وكيف لى بذلك؟ قلت: أنى وكيف بما قلت فى عزة؟ قلت فى غير حرص أو احتياط: أقلبه كله وأحوله إليك فسفرت عن وجهك وقلت: أغدراً يا فاسق. إنك لهكذا.. فأبلست ولم أنطق، وذهبت فلما مضيت عاتبت نفسى وزجرتها قائلا:

ألا ليتنى قبل الذى قلت شيب لى
من السم جدحات بماء الذرارح
فمت ولم تعلم على جناية
وكم طالب للربح ليس برابح
أبوء بذنبى إننى قد ظلمتها
وإننى بباقى سرها غيرُ بائح

حبيبتى عزة:

هل تذكرين كم عبثت بى أنت وبثينة صاحبة جميل؟ اتذكر ما قالته لك؟ لقد قالت: تصدى لكثير وأطمعيه فى نفسك حتى نسمع ما يجيبك به: فأقبلت إلى وأنت تمشين وراءها متخفية وعرضت علىَّ الوصل فقاربتها وقلت:

رمتنى على عمد بثينة بعد ما
تولى شبابى وارجحن شبابها
بعينين نجلاوين لو رقرقتها
لنوء الثريا لاستهل سحابها

■ فكشفت عن وجهك فأدركت على الفور ما وقعت فيه فقلت:

ولكنما ترمين نفساً مريضة
لعزة منها صفوها ولبابها

حبيبتى عزة:

ألا تعرفين يا حبيبتى كم أنا معتز بكرامتى متعاليا بشاعريتى، متسامياً على الأقران والنظراء. لا أخضع لأحد ولا أذل نفسى لإنسان؟.. صحيح أننى قصير لا

---

(٢) تقلت: تبغضت.



الى السيدة الجميلة من كثير عزه

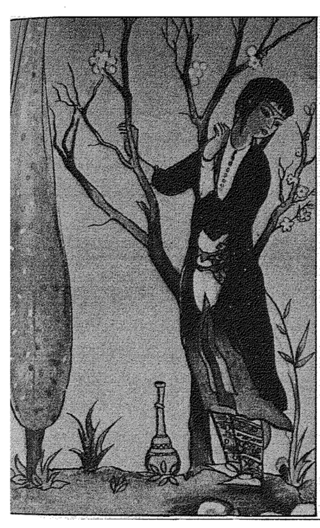
أبلغ ضروع الابل، ولكن المسألة ليست قصراً أو طولا، إنها إرادة تدك الجبال دكا وكذلك أنا يا عزة:

إن أك قصرا فى الرجال فإننى
إذا حل أمر ساحتى لطويل

■ صحيح يا حبيبتى اننى أميل إلى التهويل واختلاق الأقاويل، وتلك شيمتى ولا حيلة لى فيها.. ومن اختراع الأقاويل التى أطرفك بها أننى كنت أدخل على عمة لى برزة فتكرمنى وتطرح لى وسادة أجلس عليها. فقلت لها يوما: ما تعرفيننى ولا تكرميننى حق كرامتى. فقالت: بلى والله إنى لأعرفك. قلت: فمن انا؟ قالت: ابن فلان وابن فلانة. وجعلت تمدح أبى وأمى، فقلت: قد علمت أنك لا تعرفيننى، ولئن كانت تلك بعض عيوبى ـ وكل ابن آدم خطاء ـ فإن لى حسنات وفضائل: فمن فضائلى أننى لا أكتم كلمة الحق، أقولها فى غير تخاذل أو مداراة، أجهر بها من أجل الحق والعدل، وأجهر بها حتى ولو كانت على نفسى. وأذكر لك بهذه المناسبة أن مولانا أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان لما أراد الخروج الى قتال مصعب بن الزبير لاذت به عاتكة بنت يزيد بن معاوية وهى أم ابنه يزيد، وقالت: يا أمير المؤمنين لا تخرج السنة لحرب مصعب فإن آل الزبير قوم قد ذكروا خروجك وابعث إليهم الجيوش وبكت وبكى جواريها معها. فجلس وقال: قاتل الله ابن جمعة ـ وهو يعنينى بهذه الكنية فأين قوله:

اذا ما أراد الغزو لم تثن همه
حصان عليها نظم در يزينها
نهته فلم تر النهى عاقه
بكت فبكى مما شجاها قطينها

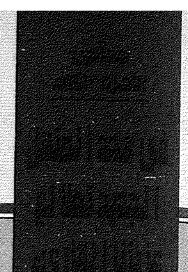
■ **لكأنه يرانا يا عاتكة.. ثم خرج..**



حبيبتى عزة:

كل ما أرجوه منك الآن نظرة فحسب.. نظرة تحيينى إلى آخر أيامى فهل تجودين بها؟

أليس قليلا نظرة إن نظرتها
إليك وكلاً ليس منك قليل
فياخلة النفس التى ليس فوقها
لنا من أخلاء الصفاء خليل
ويا من كتمنا حبه لم يُطَعْ به
عدو ولم يؤمن عليه دخيل
أما من مقام أشتكى غربة النوى
وخوف العدا فيه إليك سبيل
فديتك أعدائى كثير وشُقتى
بعيد وأشياعى لديك قليل



في العدد القادم

قراءات متجددة في الفكر والادب والحياة

مع جديد مجلات المنهل الداخلية



● دراســات أدبيــة فــى:


أحمد عبد الغفور

- خصائص الحركة الادبية فى الخليج العربى
- الحركة الشعرية المعاصرة فى حلب
- ظواهر فى الادب الاندلسى

■ ومع الاستاذ الكبير احمد عبد الغفور عطار فى دراسته عن الشعر والشعراء.

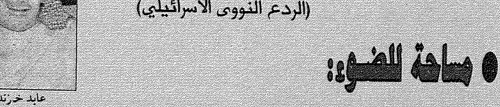
● فــى أدب الرحــلات:

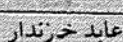
- تطالع الجزء الثانى من رحلة الشيخ محمد بن ناصر العبودى (فى أعمـاق الصين)

● فى مجال التسلح النـووى:

- تطالع الجزء الاخير من الدراسة القيمة (الردع النووى الاسرائيلي)

● مساحة للضـوء:




عابد خزندار

● دراسات وقراءات فى الأدب والفن العالمى

● وفى حلقات متتالية تقرأ للأستاذ عابد خزندار سلسلة موضوعات فى الأدب والنقد..

المنهل ـ يطالعك غرة كل شهر

حـــوش التاجـــوري

رواية طويلة في حلقات

الحلقـــة الثالثـــة

غالب حمزة أبو الفرج

اختى تعود الى بيتنا هذه المرة لتستقر نهائيا فيه . . . لقد قطعت شعرة معاوية مع زوجها الذى اختار أن يبقى نائيا عنها . . . منذ وصول اختى الى البيت وسارة تنظر الي نظرات جانبية وددت لو أؤدبها عليها . . لكنها لم تعاود الكرَّة منذ أن رأت تلك النظرة فى عينى والتى تنبىء عما أنا عازمة عليه . . ولقد أصبح شغلى الشاغل سهرى وصبرى على اختى التى أحست بحبى الكبير لها وايثارى لها فى كل شيء لدرجة جعلتها تتحدث إليَّ طويلا وتفضى اليَّ بكل الذى كان بينها وبين زوجها . . حاولت ان أصرفها عن هذا الحـديث ولكنهـا كانت تصر على أن أستمـع اليها . . ولقد هالني كل الذى قالته أختى عن زوجها وما كان يحاول أن يدخل به فى روعها عن حبه لي وحبى له وانه انـما تزوج بها انفـاذا لرغبة أبوين . . أبيه وأبي . . كانت المسكينة أختى تستمع الى كل ما يقوله زوجها ثم تنسى كل ما كان يقول . . كان يساعدها دائما على النسيان معرفتها بي وبصدقي معها حتى اذا ما طفح الكيل طلبت منه أن يطلقها ويتزوجنى وهي تعرف أن مثل هذا الأمر لا يمكن أن يتم . . ولا تدرى منذ متى ساءت أخلاقه أكثر واكثر أو ربما كانت أخلاقه سيئة أصلا وانها بدأت تتكشف لها مع الأيام وبمرور الزمن . . المهم انه كان يوجه لها ليلا ونهارا تلك العبارات التى تدل على عدم اقتناعه بها وعلى حسرته على ايامـه التى سوف يقضيهـا مرغـما معها انفاذا لرغبة والـده . . وفجـأة وبينـما كانت تقص عليَّ أخبارها مع زوجهـا التفتت اليَّ وسـألتنى بجـدية أو تتزوجين هـذا الغادر لو كان الأمر ممكنا؟ وبلا وعي أجبتها «لا» وألف لا ومن كل قلبي وأحسست بعـدهـا بالـراحـة فجـأة فعلاً أحسست أنني لا أعرف هذا الانسان الأناني الذى يقضى وقته فى اللهو بعيدا عن مسئولية بيته وزوجته . . لا أعرف هذا الانسـان الـذى هو أبعد ما يكون عن ذلك الرجل الـذى كنت أحلم به وأنـا صغيرة وأصنع منه مثالاً لكل الرجال . . وجاء دورى أسأل :

«أو لا تزالين تحبينه؟ . . . صمتت أختى بشكل يوحي أنها بالفعل مازالت تحبه . . ».

وعدت أسأل «رغم كل ما كان يقول وما كان يفعل؟» صمتت مرة أخرى بشكل جعلني أتبع ذلك السؤال بسؤال آخر . . قلت : «أو تودين أن تعودي اليه؟!.

قالت : « لا »

لماذا؟ «تسـاءلت وأنا متلهفة أن أسبر أغوار أفكار أختى التى فاجأتنى وأدهشتنى فى نفس الوقت.

أجابت لأنه لا يستحق أن أعود اليه برغم حبى له . .

حبى الصـادق الذى بدأ يوم عرفت أنه سوف يكون من قسمتى ونصيبى .

نظرت الى وجه أختى وقلت : على أى حال أنت لا تزالين صغيرة والمستقبل أمامك فلماذا لا تصنعين ما أصنع؟ .

ضحكت أختى وقالت «تريديني أن أعود للدراسة لأصبح مثلك؟ . ومـا المانع؟ قلت وأنا أعني كل كلمة أقولها . .

عندها وجدت أختى ان لا مناص لها الا أن تجيب بعبارة «دعيني أفكر» قلت «فكرى جيداً فربما بالتعليم تستطيعين الخروج من الحيرة التى تعيشين فيها وتعرفين تماما ماذا تريدين وكيف تصلين الى ما تريدين.

قالت وهى تبدو شبه مقتنعه «لا بأس ولكن مشوارى سوف



... كان سفرها لدراسة الطب خارج المملكة فرصة لايقاف المقارنة الدائمة التى يعقدها زوج أختها بين زوجته وأختها هذه، بقصد الاساءة لزوجته، وظننت ان بعدها عن البيت سيريحها قليلا، ولكن الرسائل التى تبعثها اليها أختها قلبت كيانها.. فقد تزوج والدهما من فتاة فى عمر بناته، وأصبح كالخاتم فى أصبعها.. وتغيرت الاحوال كثيرا فى جو الاسرة، ورغم كل ذلك أصرت الاخت الطبيبة على مواصلة المشوار.

يكون كما ترين طويلا . . » .

لم أعقب على كلامها وتركت ذلك لحديث آخر فى مرة أخرى وانسحبت الى غرفتى وأنا أفكر فى كل ما سمعت .

ترى هل يمكن لأختى أن تنساه اذا ما عاودت رحلتها مع العلم؟ اذا ما انغمست بين الكتب والمراجع؟ .

■ وفى يوم تخرجى من كلية الطب فاجأتني أختى برغبتها وعزمها على العودة الى مقاعد الدراسة . . لم أصدق فى أول الأمر فالموضوع قد ناقشناه أكثر من مرة وكانت فى كل مرة تبدو شبه مقتنعة ولكن الأيام تمر بعدها فلا أراها تتقدم خطوة واحدة فى طريق تنفيذ هذا الأمر .

أعادت عليَّ أختى كلماتها متمهلة وكأنها كانت تظن أننى لم أسمعها وأننى مشغولة عنها بالفرحة الغامرة التى شاعت فى أرجاء نفسى وفى أرجاء بيتنا الكبير بمناسبة تخرجى وابتداء كونى بالفعل أصبحت طبيبة بعد أن كان الجميع ينادوني بلقب الدكتورة رباب باعتبار ما سيكون .

وسمعت أختى تقول «ألا تساعديننى سوف أعود الى مقاعد الدراسة . .

أجبتها بفرحة غامرة تضاف الى فرحتى بتخرجي «بالطبع سوف أساعدك وأقف الى جانبك كما فعلت دائما . . غدا ومنذ الصباح الباكر سوف نزور صديقتى سوسن التى تعمل فى مكتب الشئون التعليمية لنقدم أوراقك ونرى من أين يمكن أن تبتدئى مرة أخرى .

أثبتت الأيام صدق أختى فى رغبتها فى المضي قدما فى رحلة العلم الطويلة . . مضت جادة تختار طريقها بصلابة لا تقل عن صلابتى فى اختيار طريق حياتى تاركة وراءها

أياما لا تريد أن تتذكرها على حد تعبيرها.

■ ولقد كنت أرمقها وأنا فى رضى تام عن نفسى فلقد نفذت واجبى نحوها بدقة وأخذت بيدها لكي تصل الى شط الامان ولم أعد قلقة عليها البته.. ولا عجب فهذه هى أنا.. الانسانة التى كان ولا يزال جل همها أن تكون انسانة تملك فى يدها وعقلها وقلبها ما يساعدها على أن تمنح السعادة لمن حولها ولمن يطلبها منها.

■ وفى أعماقى كنت أشعر أن عملى كطبيبة سوف يمنحنى قدرة أكبر على تنفيذ مثل هذا الأمر..

وانصرفت بادىء الأمر الى تحقيق هذه الرغبة فى اسعاد الآخرين وبأكبر شكل ممكن الى أن أحسست فى أحد الايام وبعد حديث طويل مع أبى أن عليَّ أن أفكر فى حياتي الخاصة.. أفكر فى نفسي فالايام تجرى وعليَّ كما يقول أبى أن اقتنص سعادتي الشخصية قبل أن يفوت الأوان.. نظرت يومها الى وجهي فى المرآه... نظرت طويلا اليه فرأيته لا يزال ذلك الوجه الطفولى رغم سنوات عمرى التى باتت تقترب من الحلقة الثالثة.

■ يقولون ان المرأة تشعر بالعنوسة عندما تتعدى سنوات عمرها الثلاثين فهل كان أبى يخاف عليَّ من العنوسة عندما طلب مني الالتفات الى حياتى الخاصة والاهتمام بها.. وهل أنا شخصيا أخشى هذه العنوسة؟.. لا وألف لا أنا لا أفكر فى شىء من هذا.. عالمى اليوم هو بيتنا.. أبى وزوجته وأخواتي وأختى.. وأنا جدا سعيدة بهذا العالم.. أبى أصبح أكثر حاجة لى كطبيبة منه لي كابنة.. لقد أصيب قلبه الذى لا يعرف الا الحب بشىء غير يسير من المرض.

لن أقول لكم ماذا أصاب قلب أبي فانتم فى غير حاجة لهذه التعبيرات الطبية التى نستعملها.. يكفي أن أقول أن خلطا شارك دقات قلبه فمزق ذلك الخلط قلبى أنا ابنته الطبيبة.

كنت أنظر اليه وأنظر الى زوجته سارة فأخاف عليه أكثر وأكثر عندما أراه يزداد كبرا وذبولا وتزداد هى اشراقة وفتنة.. ولقد أحسست بانصرافها عنه وعن رعايته بعد أن ازداد المرض عليه رغم أنه هو شخصيا لم يكن يشكو أبدا.. وربما لأنه أحس بالخطأ لزواجه بها.. الا أنه يظهر ان مثل هذه الفكرة كانت تختفي تماما عندما تلتقى عيناه بعينى ولديه بدر وبندر.. لأننى كنت أحس عندها وكأن سعادة العالم كله تبدو واضحة على وجهه المتغضن ذى الابتسامة التى تشع عطفا وحنانا.

ترى أو يمكن أن يتمسك الانسان بالحياة هكذا مثل والدى وعن طريق أن يخلف وراءه من يحمل اسمه من أولاده.. ثم أن يتشبث بالحياة أكثر وأكثر ليرى من يحمل اسمه شابا قويا يستطيع تسيير حياته بنفسه.

نعم هكذا كان والدى...

ذات مرة قال لي والأسى يعلو وجهه «كنت أظن أننى سوف أعيش لأرى (بدر وبندر) رجلين يعتمد عليهما فاطلب منها رعايتك انت واختك بعدما أموت لكن المرض يشتد علي ويظهر انه لن يمهلني طويلا حتى يتحقق لي مثل هذا الأمر... هلى لي يا بنيتي أن أطلب منك أنت رعايتهما اذا ما أغمضت عينى فى القريب العاجل؟.

ابتسمت ابتسامة حزينة وأنا كطبيبة أعرف تماما صدق ما يقول عن اشتداد المرض عليه ولكن بصوت حاولت أن أبدو فيه مرحة متفائلة قلت كما يقول الناس عادة فى مثل هذه الأحوال.

« بعيد الشر عنك يا والدى ... »

وكنت أتمنى لو أنه بالفعل يحدث شىء ما يرد لأبي صحته ويجعله يعيش طويلا.. يعيش ليرى (بدر وبندر) رجلين كما يرغب ويتمنى.

تابع أبى كلامه قائلا «لم أعد أخاف عليك أو على أختك ولكنى أخاف على هذين الصغيرين من هذه المرأة التى لا تؤتمن عليهما وكان بالطبع يعنى زوجته سارة...

قال ذلك أبى بحسرة، ورغم ايماني بما كان يقوله عن سارة التى غدت امرأة لعوب لا تهتم الا براحتها وسفرها وانبساطها الا أني حاولت أن أطيب خاطره وأن أرجوه الا ينفعل لأن الانفعال يزيد المرض ولا يساعد ابدا على الشفاء منه.

أبى صورة مشرقة للحياة الحلوة.. فهو رغم مرضه الا أن مرحه معي ومع أختى وولديه لا يكاد ينتهي.. أما بالنسبة لسارة فقد تغيرت نظرته لها بعد أن رأى انشغالها الأكيد عنه.

قال لى مرة وأنا أجلس الى جانبه على حافة سريره: «ألم تعتقدى في يوم من الأيام أننى قد أخطأت بزواجى ثانية بعد أمك رحمها الله؟.

نظرت اليه نظرة حانية وقلت لأول مرة معاتبة:

«ربما لو تزوجت بغيرها لما خطر على بالي أن أفكر فى هذا الذى تقوله الآن..».

عقب على كلامي قائلا: «لا أكتمك القول... لقد قلت هذا الكلام لنفسي مرارا وتكرارا بعدما أحسست أنني أخطأت بزواجي من سارة ولكن ما العمل؟.. كنت فى يوم من الايام لا أفكر الا بأن أرى لى ولدا على هذه الأرض وكانت أيامها سارة أمامى وأبوها صديقى فلم أر نفسي الا وأنا أتزوجها.. قال ذلك وهو ينظر اليها وهي تدخل الغرفة.

حاولت سارة أن تعرف ماذا كان يقول أبى عنها حيث التقطت أذناها وهى تدخل الغرفة اسمها ينسل همسا من بين شفتى أبى ولكن أبى لم يفصح لها عن أى شيء مما كان يقوله... عندها انفجرت غاضبة وراحت تقول بصوت عال بل زعيق يسمعه كل من فى البيت:

طبعا يحق لك أن تخفي كل ما كنت تقوله عنى....

فأنا لست قريبة منك وان كنت زوجتك...

لم يجب أبى على ذلك الصراخ وأنا بدورى لم أقل شيئا.. اثرنا الصمت حتى لا تغضب أكثر فينال أبى من سياط لسانها ما عودته عليه فى الايام الاخيرة وما كان يبرهن على أنها لم تعد سارة صديقتى القديمة التى كانت من العقل والرزانة بحيث أننى كنت أبوح لها بأدق أسرارى.

خرجت سارة من غرفة أبى بعد سيل من اللوم والعتاب والكلام القارص ودخلت أختى بعدها لترى ماذا يحدث وماذا يغضب تلك القطة المتوحشة التى باتت «تخربش» كل من يعترض طريقها..

الا أن أبى عاود حديثه معنا وكأن الامر لا يعنيه من قريب أو بعيد.. عاود حديثه بكل الحنان الذى تعرفه أختى عنه قبل أن أعرفه أنا... ألم أقل لكم أنها أختي تكبرنى بأعوام خمسة وأنها الصورة طبق الاصل عن أمي الاناضولية مضت الى بارئها تاركة اياها واياى فى عهدة هذا الوالد الطيب الذى لم يألو جهدا فى ان يكون لنا أبا وأما فى نفس الوقت.

■ نعم سارة أصبحت انسانة غير تلك الصديقة التى عرفتها وغير تلك الزوجة التى كانت عليها فى أول عهدها بالزواج من والدى.. كل شيء فيها تغير. أصبحت لا تكلم أحدا منا.. تميل الى الصمت دائما واذا ما تكلمت فهي تتكلم بالتليفون مع صديقات جديدات لها لا أعرفهن.. واذا ما خرجت فانها تقضى الساعات خارج بيتها ومع تلك الصديقات اللواتي كما كنت الاحظ لا هم لهن الا الاحاديث الفارغة والكلام المنمق عن الموضة وأحدث صيحات الأزياء فى العالم.

وهي بذلك تزداد بعدا عن أبى وتزداد شططا فى طلباتها بعد أن دان لها كل شيء كما كانت تعتقد بمنح والدى بدر وبندر اللذين لم تكن لتعرف عنهما أى شيء.. فهما بالفعل فى رعايتى أنا وهي فى المقابل بعيدة عن أى مسئولية فى البيت.. وأبى فى ذلك كله لم يعد قادراً على مجاراتها أو فرض ارادته عليها.

قالت لي يوما: لقد زهقت روحي من هذه الحياة التى أعيشها جاء الصيف وانقضى ولم نسافر الى أى مكان يعيد البهجة الى نفسي.

نظرت اليها نظرة عتب ولوم وقلت «وكيف تسافرين وزوجك على ما هو عليه؟.. قالت بعناد واصرار ولكني لا أزال شابة فى مقتبل العمر مثلك ويجب أن أتمتع بشبابى قبل أن يتقدم بى العمر.

«مثلي أنا؟» تساءلت بسخرية..

أجابت بتحدٍ «نعم مثلك.. ولكن لماذا تسخرين منى ومن كلامى؟.. قلت: «لأنك اخترت أسهل طرق العيش... وهذه هى النتيجة فتحمليها..».

بكت سارة ولكني لم أحفل بدموعها وتابعت كلامى قائلة «لوكانت لديك الشجاعة الأدبية الكافية لقلت لنا ماذا تريدين ووضعت حدا لهذا الذى أنت فيه . . »

مسحت دموعها وقالت بحدة «وماذا تعرفين أنت عن الذى أريده والذى لا أريده؟ . . . » .

قلت بهدوء «بلى أعرف . . بعد أن صنعت حياتك بالاسلوب الذى تريدين تجدين الآن أنك كما تقولين فى مقتبل العمر، وقد ارتبطت برجل فى أواخر أيامه فلم يعد هذا يرضيك . . وتابعت كلامي قائلة وأنا أقصد ايلامها:

« ثم أنه أصلا لماذا رضيت به من البداية؟ . . . »

نظرت الى نظرة غريبة لم أعرف كيف أفسرها ولكنها لم تجرؤ على الكلام بل تركتنى وانسحبت تدخل غرفتها وتصفق الباب وراءها وكأنها تعلن احتجاجها على كلامي هذا .

مضيت الى أبى لأرى اذا كان يريد شيئا قبل أن أنام لكني عندما وصلت الى سريره صعقت وأحسست كأن السماء قد انطبقت على الأرض . . يا إلهي لقد مات أبى . . ودع الدنيا منذ دقائق وأنا وأختى وولداه بعيدون عنه . . وعلى دوى صوتي وصراخي جاءت أختي لتشاركنى البكاء المرير على أب كان كل شيء فى حياتى .

■ عندما دخل بدر وبندر الغرفة ثم سارة رجوتها أن تأخذهما بعيدا . . لا خوفا عليهما وانما لأنني أحسست برغبة فى أن أبقى لفترة مع أبى وأختى أسرته الأولى قبل أن يمضى من الغرفة الى مثواه الاخير . ذهاباً دون اياب ولا عودة . .

امتلأ بيتنا بالأهل والأصدقاء . . وجاء فريد لأول مرة منذ أن انقطعت أواصر الزواج بينه وبين أختى . . . جاءنا معزيا فلم أستطع أن أقول له شيئا . . تقبلت منه العزاء وأنا ساهمة أفكر فى هذا الذى جرى واستعرض حياتي منذ كنت طفلة وكأنها شريط سينمائى يمر أمام ناظرى .

استعرضها منذ طفولتي وحتى هذا اليوم الذى نحن فيه نتقبل العزاء بأبى الذى نحب وبعد أن ودعناه الى مثواه الأخير قبل أيام . .

■ بمقدار ما تصبح الثروة نعمة بالنسبة للانسان بمقدار ما تصبح فى بعض الاحوال نقمة تزيد من هزم أصحابها ولا تمنحهم الراحة .

سارة زوجة أبي جعلت من ثروة ابي ما يشبه النقمة بالنسبة اليها . . فهذه النهمة لا تريد أبدا أن تنال حقوقها بطريق ودى . . . لقد زادت شراستها بعد موت أبي وأصبحت عبئا ثقيلا على أسرتنا . . لقد وضح هدفها وانفضحت رغباتها . . أنها تريد أن تمسك بميراث ولديها الى جانب ميراثها لتصرفه حسبما تريد وتشتهي . . لكني كنت لها بالمرصاد . . نعم خفت على اخوي من هذه المرأة التي هي أمهما مما اضطرني أن أطلب من عمي ولأول مرة أن يتدخل بيننا وبينها بعد أن تركت ولديها والتحقت باخيها غاضبة وعلى أمل أن نرضخ لطلبها .

ولكم أحسست بالأسى وأنا استمع الى الأخبار التى تصلني من هنا وهناك عنها وجلها تشير الى ما تريده هذه المرأة .

انها تريد الزواج . . وبالفعل تمت خطبة سارة ألى أحد أقاربها من الشبان والذى رأى فى زواجه من أرملة ورثت كذا ألفا هدفا ليصل الى حياة رغدة سهلة دون أن يتعب أو يكد فى سبيل الوصول الى مثل هذه الحياة . . أى تماما مثلما فعلت هى عندما تزوجت من أبى .

■ ان ما تأخذه المرأة من زوجها السابق تدفعه حتما وفى كثير من الأحيان لزوجها التالي فى محاولة لارضائه خصوصا اذا كان مثل سامر الذى لاحق سارة لا حبّاً فيها وانما حبا فى المال الذى ورثته من أبيك . . . هكذا قالت جدتي عندما علمت بقرب زفاف سارة من سامر العاطل عن العمل والذى رأس ماله قوام رشيق وكلام أنيق منمق يرضى غرور أمثال سارة ويدفعها لأن تقول:

«وماذا يعني أنه لا يعمل . . . ان حظه سيىء بحيث أنه كلما التحق بعمل وجد فيه ما ينغص عليه عيشته فيتركه غير آسف .

ثم انه بالمال الذى معي أستطيع أن أعيش واياه عيشة هانئة حتى من غير أن يعمل أو ربما قد أفتح له محلا تجاريا

ليصبح من رجال الأعمال فهو ذكي ولماح واجتماعي . . ووصولي وانتهازى بمعنى الكلمة» هذا ما وددت أن أرسل من يقوله على لسانى لسارة التى أصبحت تعيش بعيدا عنا فى بيت أخيها فريد عندما وصلنى رأيها فى سامر وخططها المستقبلية معه ولكني تمالكت أعصابى ولذت بالصمت أفكر بسارة التى باتت تنزلق رويدا رويدا نحو حفرة خطيرة رضيت أن تحفرها لنفسها بنفسها.

■ أما فريد فقد حاول أكثر من مرة أن يتقرب الى وباكثر من واسطة لكني كنت دائما أصده وأقفل الابواب والسبل التى كان يحاول عن طريقها أن يلج مرة ثانية الى حياتنا.

أختى نالت شهادتها الجامعية «بكالوريوس آداب قسم علم اجتماع» ولقد سعدت كثيرا وأنا أراها سعيدة مشرقة وكأنها نسيت آلامها وحياتها الماضية . . ولكن ما أسعدنى أكثر هو أن الدكتور خالد أحد الأطباء العاملين معي قد تقدم لطلب يدها حتى بعد ما عرف ظروف حياتها الماضية . . وللعلم فان الدكتور خالد طبيب بارع مشهود له بالتفانى والاخلاص في عمله وبالأخلاق الحميدة أيضا.

حاولت أن أعرف رأى أختى به وبخطبته لها الا أنها كانت تتمنع وتأبى ان تجيبنى حتى تلك الليلة التى استطعت فيها النفاذ لعقلها الباطن واقناعها . لقد كانت تخشى الزواج مرة أخرى بعد تلك التجربة الفاشلة مع فريد.

قلت لها فى تلك الليلة وأنا أكتشف مخارفها «ثريا يا عزيزتى انك لازلت شابة وبمقدورك أن تنسي تلك التجربة القاسية التى مرت بك فالحياة لا يمكن أن تسير على وتيرة واحدة فلابد من صعود وهبوط فيها ولابد من أيام عصيبة مليئة بالمشاكل وأيام سعيدة هانئة نتطلع اليها حتى ولو كنا فى خضم تلك الايام العصيبة فكما يقولون لولا فسحة الامل والايمان بأن الله لابد وأن يغير الحال باحسن منها لما عاش الانسان.

■ نظرت أختى الى وجهي نظرة ملؤها أسى ولوعة وقالت «لقد جربت حظي يا رباب وانت تعرفين ملابسات زواجي من فريد . . فرض علينا ذلك الزواج بارادة والدى ووالده وعندما رضيت بقسمتى ونصيبى وضع فريد العراقيل أمامي فأحيانا يتمنى لو تزوج منك وأحيانا يتمنى لو لم يتزوج على الاطلاق حتى لا تتقيد حريته فى معاشرة تلك الشلة التى كان يقضى جل ليله ونهاره معها متسكعين فى الطرقات تارة أو جالسين فى قهوة على الطريق تارة أخرى»

قاطعتها لأقول «ماذا دهاك يا ثريا . . الم ننس ذلك الماضى؟ . بل ألم نتعاهد على عدم الالتفات الى الوراء مهما كانت الاسباب؟ . كل ما عليك الآن ان تتذكرى شيئا واحدا فقط وهو أن من جاء يخطبك اليوم وهو راغب فى الاقتران بك على مستوى رفيع من الخلق والتهذيب مما يكفل لك حياة سعيدة معه باذن الله . . من يدرى ربما شاءت ارادة الله أن تصلي الى غايتك وتعيشى حياة سعيدة هانئة بعد كل تلك الاضطرابات التى مرت بك.

قالت مترددة «ولكني لا أعرفه لدرجة استطيع أن أقول معها أنني أحبه».

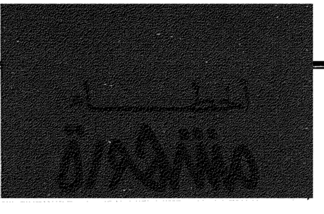
قلت بحزم «حسنا لقد جربت الزواج عن طريق شىء اعتقدت أنه الحب فماذا لقيت؟ وهما كبيرا وسرابا عايشته طويلا وكان صعبا التخلص منه . . فلا كان فريد هو الفارس الذى رسمته صورة فى خيالك واحببته من خلال تلك الصورة ومنذ ذلك العهد الذى عرفت ان أباك وأباه قد اتفقا على تزوجكما من بعض ولا كانت أخلاقه أخلاق الرجال.

الآن كل ما عليك أن تحكمي عقلك أولا ثم قلبك وأنا واثقة من النتيجة لأنك أصبحت على درجة من الوعي والادراك بما يكفل ان يجعلك تسيرين بالطريق الصحيح . . فكرى بالأمر جيدا فالفرص الطيبة لا تمر كثيرا فى حياة الانسان.

وعدتني أختى أن تفكر فى كل الذى قلته لها ولكنها فاجأتني ونحن نغادر غرفة الجلوس فى طريقنا الى غرفة الطعام لتناول وجبة العشاء قائلة:

«وانت لماذا لا تتزوجين؟».

يتبع







هموا وارجعوا والف الجماعة

وبعد أن تكلمنا عن عدد من الأخطاء اللفظية الشائعة نأتى الى بعض الأخطاء الشائعة فى الكتابة.

فبعض الناس يكتب كلمة (هم) اذا وردت فى الشعر مضمومة الميم بزيادة واو فيها: همو. ويتعالم آخرون فيضعون ألفاً بعدها: (هموا) ويقصدون بذلك ان الالف الف الجماعة.

وبعضهم يكتب كلمة: (ارجو) التى تبدأ بحرف المضارعة الدال على المتكلم وهو الهمزة، بزيادة الف بعد الواو «أرجوا» ولعلهم يظنون ان الواو واو الجماعة وأنها بذلك تحتاج الى ألف الجماعة.

وإلى أن تقوم دعوة شاملة إلى تصحيح الاملاء العربى بالغاء الاستثناءات وإعادة رسم الكلمات الشاذة إلى رسمها الصحيح الذى يفترض ان تكون عليه فاننا نود ان نوضح لإخواننا الذين يسرفون فى استعمال الف الجماعة ويضعونها فى غير موضعها فنقول لهم:

ان كلمة هم ضمير مبنى على السكون وقد يبنى على الضم فى الشعر خاصة كقول الشاعر:

قومى هُـمُ قتلوا اميمَ أخي

او قول آخر:

إنى من القوم الذين هُمُ هُمُ

■ ويُكتب دائما بدون واو سواء كان مبنيا على السكون او على الضم وبالتالى فلا حاجة به الى الف مطلقا اما (ارجو ويدعو) ونحوها من الأفعال المضارعة المعتلة الآخر بالواو فإن الواو فيها من أصل الكلمة وليست واو جماعة ولذلك فهى لا تحتاج الى الف الجماعة وانما توضع هذه الالف اذا كانت الواو اسما ضميرا فاعلا متصلا بفعل ماض او مضارع مثل قوله تعالى **﴿واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا إنما نحن مصلحون﴾** فالواو فى الفعل المضارع (تفسدوا) والفعل الماضى (قالوا) واو دالة على جماعة فلذلك يكتب بعدها الف. اما فى مثل قوله تعالى: **﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احداً﴾** فإن الواو فى (يرجو) ليست واو جماعة ولذلك فلا يوضع بعدها الف الا فى الرسم العثمانى للمصحف الشريف.

مديرون لا مدراء

يجمع بعض الكُتّاب كلمة مدير على مدراء ويقيسونها على وزراء وعظماء ودخلاء وشرفاء وما الى ذلك من كلمات ولكن الفرق شاسع بين الفاظ: وزير وعظيم ودخيل وشريف وبين كلمة مدير.. فهذه اسم فاعل من ادار والميم فيها ليست من اصل الكلمة وانما هى مزيدة لصياغة اسم الفاعل. اما كلمة وزير وعظيم ودخيل وشريف فهى صفات مشبهة وحروفها الاولى: الواو فى وزير والعين فى

عظيم والدال في دخيل والشين في شريف حروف أصلية من اصل الكلمة.

واذا أردنا معرفة مفرد كلمة مدراء فهو مَدير بفتح الميم لا بضمها على وزن وزير ودخيل وعظيم وشريف، وكلمة مدير بفتح الميم لا تحمل معنى كلمة مدير بضم الميم بل إن بين المعنيين فرقاً كبيراً.

كلمة مَدير بفتح الميم تعنى: المصنوع من المدر وهو الفخار او المنسوب اليه، تقول هذه اناء مدير اى مصنوع من الفخار وهذا رجل مَدير اى مَنْ صَنَعَ المدر، اما كلمة مُدير التى تعنى رئيس الادارة فهى بضم الميم وجمعها مديرون كما تجمع كلمة مسلم ومؤمن ومحسن على: «مسلمون، ومؤمنون ومحسنون» ولا يجوز ان يقال: مسلاء ومؤناء ومحساء ولم نسمع احدا قال ذلك.

يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم: **﴿وإنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا﴾** (سورة الجن الآية ١٤) وقال سبحانه: **﴿قد أفلح المؤمنون﴾** (سورة المؤمنون الآية١) وقال عز وجل: **﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾**.

الـــواو

الواو حرف عطف وهى للتشريك فى الحكم بلا ترتيب وقد تكون بمعنى رُبَّ فى مثل قول امرىء القيس:

وليل كموج البحر أرخى سدوله
على بأنواع الهموم ليبتلى

■ وقد تكون بمعنى «مع» وتسمى واو المعية فى مثل قول النحاة: استوى الماء والخشبة. وقد تأتى للقسم كما فى قوله تعالى: **﴿والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين﴾** (سورة التين الآيات ١-٣).

وقد تدل على الجماعة فى الفعل المضارع وفعل الامر مثل يذهبون واذهبوا وقد تكون علامة للرفع فى جمع المذكر السالم فى مثل قوله تعالى: **﴿أفأمنَ أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون. أو أمن أهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون﴾** (سورة الاعراف الآيتان ٩٧، ٩٨).

وقد تكون زائدة فى الكتابة كما فى كلمة عمرو وإسم «عمرو بن العاص» فى حالتي الرفع والجر وتستحب زيادة الواو في بعض المواقع فيما اذا سئل احد عن شىء فأجاب بالنفي والدعاء فيقول: «لا وطال عمرك» إذ لو لم توجد الواو لانقلب الدعاء للمخاطب إلى دعاء عليه.

وقد قال عمر بن الخطاب للرجل: هل كان كذا فأجابه الرجل: «لا أطال الله بقاءك فقال عمر رضى الله عنه: قد عُلِّمتم فلم تعلموا هلا قلت: لا وأطال الله بقاءك؟

ولكن الواو تأتى زائدة فى مواقع لا يستحسن فيها الزيادة مثل قول بعض المذيعين:

نرسل اذاعتنا بذبذبة وطولها كذا.. فالواو هنا زائدة لا محل لها فى الاعراب ولا فى الكلام أصلا بل انها تخل بالاسلوب الصحيح الفصيح فالجمل بعد النكرات صفات وبعد المعارف أحوال وجملة: طولها كذا صفة للذبذبة ولا يجوز عطف الصفة على الموصوف.

ولدينا شواهد على ذلك من القرآن الكريم اذ يقول عز وجل: **﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض اعدت للمتقين﴾** (سورة آل عمران الآية ١٣٣).. وقال تعالى: **﴿ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه﴾** (سورة الحاقة الآية ٣٢).

وقال سبحانه: **﴿يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون﴾** (سورة السجدة الآية ٥).. وقال عز وجل: **﴿تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة﴾** (سورة المعارج الآية٤).

■ ففى هذه الآيات الكريمة يبين الله سبحانه وتعالى عرض الجنة وذرع السلسلة وطول اليوم بجمل جاءت بعد نكرات ولم يعطف الصفة على الموصوف.

فحرى بنا أن نتبع أسلوب القرآن الكريم فى أحاديثنا والله الموفق للصواب.



■ الأدب المقارن جديد علينا، وشرعنا نبحث له عن رواد ووجدنا فيمن وجدنا - بشيء من التكلف - روحى الخالدى.

وعددنا آخرين على اختلاف فى الدرجة والمفهوم . . وأكثر ما نبحث عن المفهوم الفرنسى القائم على دراسة تأثير أدب فى أدب . . ولم أجد من ذكر اسم يوسف أسعد داغر مع انه فى الصميم من الأدب المقارن. واذ بعدت آثاره عن أيدى الدارسين ولم يتهيأ لي الوقوف عليها . . فليس أقل من التنبيه اليه ولفت النظر الى ما يذكره فى قائمة آثاره من المطبوعة.

فى الأدب المقارن القصة الروسية وأثرها فى الأدب العربى الحديث - صيدا، مطبعة دير المخلص ١٩٤٦ .

ومن المخطوطة: الثقافة الروسية وأثرها فى الفكر العربى الحديث، فى ٣٠٠ صفحة.

■ **توشيع التوشيح - تأليف صلاح الدين بن أيبك الصفدى (٦٩٦-٧٦٤هـ) تحقيق البير حبيب مطلق، بيروت، دار الثقافة ١٩٦٦-٢٢٧ ص.**

١ - من مقدمة المحقق: «ومن كتبه المخطوطة . . لوعة الشاكى ودمعة الباكى» الكتاب مطبوع.

٢ - الصفدى ليس شاعراً، والموشح شعر، ولا يمكن أن يبلغ الصفدى درجة الاجادة بالعلم ومعرفة اللغة وحفظ الموشحات فكيف يبلغها بالمعارضة؟ لقد جنى على الصفدى عصره حين سول له إمكان أن يكون شاعراً وشاحاً.

ويبقى الفضل الأول له فى هذا الكتاب حفظه لنا الموشحات التى عارضها اى الموشحات التى ليست له.

٣ - ختم المحقق كتابه بترجمات قصيرة للمهمين من الأعلام الواردة فى الكتاب. ومن أولئك (ص٢١٠) «أبو الحسين مهيار بن مرزويه.» «توفى سنة ٤٢٨، وهى السنة نفسها التى توفى بها ابن سينا . . ».

لا قيمة ولا حاجة الى ربط سنة وفاة مهيار بسنة وفاة ابن سينا. وإلا وجب ربط الآخرين بنظائرهم، وليس هذا مطلوبا أو صحيحا ولا علاقة لابن سينا بالشعر او بالموشح.

■ **فؤاد الصادق - مبادىء فى مناهج البحث. بيروت، مركز الدراسات والبحوث، توزيع دار العلوم. د.ت تاريخ المقدمة ١٤٠٨/١٩٨٨ - ١٨١ص.**

١ - عنوان الكتاب فضفاض غير دقيق لأن مضمون الكتاب هو التحقيق ولو قال: مبادىء مناهج البحث فى التحقيق لكان مقبولا وإلا فهو منهج التحقيق.

٢ - وتبع ذلك الخطأ فى ترجمة العنوان فجاء: introdution to Scientific Methodology

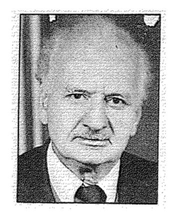
أ - صحيح Principels = introdution

ب - صحيح To editing = to scientific Methodology

٣ - ص ٨ هذه الأمور متظافره: متضافرة - بالضاد.

٤ - ص ٢٥ وغيرها ترد «الوراقة» حرفة بفتح الواو -





د. علي جواد الطاهر

والصحيح كسر الـواو، ويزداد الخـطأحـين ترد ص ٢٦ وغيرها بفتح الواو وتشديد الراء.

٥ ـ ص ٦٣ وغيرها «المخطوطات التى اعتمدها المحقق»: اعتمد عليها.

٦ ـ ص ١٢٨ «ثقاة»: ثقات.

٧ ـ ص ١٧٧ . . «الصواعق المحرقة ـ تأليف ابن حجر المكى الهيثمى ت ٩٧٤»: الصحيح: الهيتمى ـ بالتاء وهو احمد بن محمد بن على بن حجر (. . .) مولده فى محلة أبى الهيتم (من إقليم الغربية بمصر) واليها نسبته ـ أعلام الزركلي).

٨ ـ ص ١٠٣ «شهر جمادى الأول»: جمادى الأولى.

٩ ـ ص ١٧٦ «تحية القـارىء لصحيح البخـارى» تحية القاري لصحيح البخارى، الكتاب من تأليف محمد عز الـدين العاملى ت١٣٠١ ـ وليلاحظ السجع فى العنوان الذى يستوجب تخفيف «القارىء» بحذف الهمزة ـ لم اطلع على الكتاب، أما يحتمل أن يكون «تحفة القارى»؟.

الأنبارى ـ وابن الانبارى

نستـطيع أن نختصر الـطريق ونقول إن خطأً يتكرر حتى لدى البـاحثين المحققـين الثقـات فيطلقون «ابن الأنبارى» على أبى البركات، كمال الدين عبد الرحمن بن محمـد بن عبيد الله مؤلف كتب مشهـورة فى مقـدمتها: الإنصـاف فى مسـائـل الخـلاف، أسرار العـربية، نزهة الألبـاء. . والصحيح أنـه الأنبـارى سكن بغداد فعرف بالأنبارى. . توفى سنة ٥٧٧هـ.

ولابد من أن يرجع الخطأ الى نسق كتابة نسبه هكذا: عبـد الـرحمن بن محمـد بن عبيد الله الأنبـارى فيحسبه القـارىء ابن الأنبـارى وهـو هو الأنبارى أى الملقب بالأنبارى ـ نسبة الى الأنبار، بلدة على الفرات.

امـا ابن الأنبارى، فغيره، توفى قبله بقرنين ونصف القرن (سنة ٣٣٨هـ) وهو: ابو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار عرف لدينا متأخراً عن أبى البركات بكتابيه اللذين طبعـا متأخراً عن كتب أبى البركات وهما: شرح القصـائـد السبـع الـطوال الجـاهليات وإيضـاح الوقف والابتداء فى كتاب الله عز وجل.

وتسأل لم كُني أبو بكر هذا بابن الانبارى؟

والجواب: أن أباه القاسم عالم لغوى من كتبه شرح المفضليات انتقـل من الأنبـار الى بغـداد وعـرف فيهـا بالأنبارى. . حتى اذا بلغ ابنه مبلغ العلماء. . قيل له: ابن الأنبارى أى انه ابن القاسم الأنبارى.

متابعات

تاريخ الأمة الاسلامية بين الموضوعية والتحيز

تاريخ الامة الاسلامية خلال عصوره المتعاقبة شهد كثيراً من الدخل والغرض مما حول أجزاء كبيرة منه الى موضوعات مخالفة للحقيقة التاريخية ذاتها. . ويرجع هذا الخلط والتعتيم إلى مجموعة عوامل منها الدافع الشخصى للكاتب ذاته، أو سوء فهمه وتفسيره للأحداث الاسلامية ومجريات الحياة للفترة التى كتب عنها، ومنها الجهل أو التجاهل. . ثم يأتى المستشرقون ـ فى كثير من كتاباتهم حول تاريخ الامة الاسلامية ـ ليضيفوا توجهات فلسفية وفكرية خاطئة عن تاريخ الامة الاسلامية بغرض التدمير والهدم.

وفى سبيل تصحيح المنهج الاساسى لرؤية تاريخ الامة الاسلامية وعلاج ما ادخلت عليه من أخطاء، كانت هذه الندوة التى عقدت فى جامعة الزقازيق وهى تحت عنوان (تاريخ الامة الاسلامية بين الموضوعية والتحيز) وهى عمل مشترك بين رابطة الجامعات الاسلامية وكلية الآداب

سؤال:

الأستاذ محمد حسين زيدان

التاريخ الاسلامى دخل فيه كثير من الغلط واللقط والخلط من كثير من الكتاب أصحابا الغرض والتشويه.. الى أى مدى يمكن ان نقول بصحة هذه المقولة؟.. وهل ترون ضرورة اعادة كتابة التاريخ الاسلامى من منظور جديد؟.. وما رؤيتكم لهذا المنظور؟. **المنهل**

■ كون ان التاريخ دخل فيه كثير من الغلط واللقط والخلط من كثير من الكتاب وأرباب القلم أصحاب الغرض والتشويه ذلك صحيح، لأن الفتن التى ظهرت عبشمي وهاشمي عباسى وأموي عباسي وعلوي، وخوارج وشعوبية وأصحاب الأهواء. . فكل فريق كتب له تاريخ.

الثناء المعطر والهجاء الاسود، بعضهم تعمد ذلك انتصاراً لما يذهب إليه أو ذماً لمن ذهب عنه. فقومية بنى أمية لم يقولوا انها التى أنهضت الشعوبية فشعوبية الفرس ما كانت لهم أول الأمر فقد نبغ منهم الأئمة ولكن سعار القومية العربية أشعل الشعوبية الفارسية.

حتى ان الاسراف فيما كتب عن هارون الرشيد كان تشويها مقنّعاً من الشعوبية لأنه قد نكب البرامكة. سكتوا عن أبى مسلم الخراسانى لأنهم كانوا الاقوياء ولم يصبروا عن نكبة البرامكة لأنهم أحسوا بالزوال.

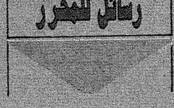
انتصروا بالمأمون ولكنه نصر لم

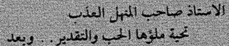


حسين زيدان

يدم فإذا المعتصم يأتي بشعوبية الترك بدلا عن شعوبية الفرس. ولا تنس ما كتبه اصحاب الاهواء أو الذين اغترفوا من اخبار التوراة اليهودية ولا أقول توراة موسى عليه السلام. . كل هذا وقع ولكن المؤرخين الكبار من اهل السنة كالواقدى والطبرى وابن الأثير كتبوا لنا التاريخ الذى يمكن الاعتماد عليه. ولكن التاريخ فى كل ذلك لن يكتب جديدا وإنما ينبغى ان يُفقه ويُستنبط منه ويُنتقد. فنحن اليوم فى حاجة الى فقه التاريخ لا إلى كتابته من جديد فمستحيل ان يكتب الجديد ولكن الممكن أن نجدد ما كتب حين نفقه. . حين نستنبط.

وما كتب عن الحجاج ينبغى أن يفصل. نحمل ما يؤخذ عليه ونعطيه ما اخذناه منه فالحجاج كان الردء للفتح العظيم وراء قتيبة بن مسلم وكان العون للمهلب بن أبى صفرة فى حرب الخوارج.





الأستاذ صاحب المنهل العذب

تحية ملؤها الحب والتقدير.. وبعد

بين يدى العدد ٤٧٤ صفر ١٤١٠هـ/ سبتمبر ١٩٨٩م ولقد انزعجت فيما وجدت حذف كلمة (مجلة للآداب والعلوم والثقافة) وحلت محلها «مجلة العرب الادبية» ولا يخفى على لبيب ان مجلة للآداب والعلوم والثقافة افصح واشمل فى المعنى واذا كانت هناك نية لكم فى الاتجاه بدقة المجلة نحو الأدب فقط فالعنوان الصغير «مجلة العرب الأدبية» تصبح ناقصة والا صعب ان يقال: «مجلة الأدب العربى» فليس كل أدباء العربية عربا.

اكتب اليكم محبا لكم وعينا لكم لا عينا عليكم. اتمنى لكم التوفيق والازدهار ومزيداً من النجاح فى الساحة الاعلامية والثقافية.. مازال العدد بين يدى ولم انته بعد من نهمه وهذا يحتاج منى لوقت طويل يمكث شهرين او ثلاثة.

أخوكم

عبد الرحمن عوض

●● المنهل:

لعل مضمون هذه الرسالة يثير قضية تكون موضع «سجال» يتمحور حول مدلول الجملة (ليس كل أدباء العربية عربا)

نرى: اليست الثقافة هى ما تعبر عنه مضامين.. الشعر والنثر.. الادب برموز اجناسه واطره..العطاء الانسانى فى جوانبه العقلية والنقلية.. معطيات الالوان والظلال.. العلوم العملية والنظرية التى تثمر رحيقاً معرفيا.. بل وكل ما تعورف عليه من مصطلحات تحفظها دلالاتها.

(أ) من حيث الشكل إذاً: ما دامت «المنهل» مجلة عربية تعنى بلغة الضاد وأهلها فهي «تجاوزاً» مجلتهم ﴿ بلسان عربى مبين ﴾ وصح ان يطلق عليها مجلة العرب الادبية.

(ب) ومن حيث المضمون: ما دام ان الادب هو الصيغة الوصفية البارزة المحددة لاطار مجمل مصطلحات المعارف المتناولة واكثرها تداخلا بين مسميات التعريفات الثقافية، فانه يصح ان يطلق عليها «تورية».. مجلة العرب الادبية.

(ج) ومن حيث الواقع: فقد نص فى اول صفحات كل عدد وباعلى (ترويسته).. مجلة للاداب والعلوم والثقافة.. وتأكد بهذا - وفى موضعه المناسب.. احتفاء المجلة برسالتها.. وتمسكها بمعطياتها.. وتثبيت منطلقاتها.. ولا نغفل - فى هذا - أن التوصيف المعنون به العدد جاء «فرعيا» هادءا ومثرياً، حتى اذا اكتملت دعوات الاخذ به وتسجيله وتعددت من قبل بعض من أعلام العروبة وكثرة من المتلقين اطلقناه باعتزاز وبدون ازعاج.. وشكرا.


د. عبد الله التركى

- جامعة الزقازيق-وكانت فى الفترة من (٢١ الى ٢٣ ربيع الاول ١٤١٠هـ).

وشارك فى فعاليات هذه الندوة عدد من العلماء والمؤرخين من عدد من الدول الاسلامية والعربية..

ومن التوصيات الهامة لهذه الندوة:

- اعادة قراءة التاريخ الاسلامى لتحديد عناصر القوة والضعف، وابراز أثر الوحدة فى امة.
- إلمام المؤرخ بملامح التفسير الاسلامى للتاريخ البشرى يستمد أصوله من كتاب الله سبحانه وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.
- الادراك الشامل للخصائص الاساسية التى تميز تاريخ الامة الاسلامية.
- اتخاذ الموقف النقدى تجاه الروايات التاريخية والاخذ بمنهج المحدثين فى ذلك.
- ضرورة اعداد دائرة معارف تاريخية اسلامية متخصصة.
- تحقيق قدر من التوازن فى الدراسة التاريخية بين الجانب السياسى العسكرى وبين الجانب الحضارى.

متابعات

التاريخ الهجرى ودائرة العطاء

التاريخ الهجرى لا شك يمثل مصدر عطاء حضارى، فهو بداية انطلاق، ونقطة إرتكاز لحضارة خيرة أنارت الآفاق واحتضنتها الأمم بمختلف لغاتها وتوجهاتها..

وظل العمل بالتاريخ الهجرى منذ صدر الاسلام إلى القرن الماضى حيث جاء المستعمر للأمة الاسلامية بكامل منهجه ليسلخها من كامل منهجها إن استطاع.. ولقد عقد كثير من المؤتمرات والندوات واللقاءات تدعو للعودة للتأريخ بالتاريخ الهجرى لأنه يمثل شريحة هامة فى عطاء حياتنا.

وفى إطار هذا المضمون طرحت المنهل قضية (التاريخ الهجرى) للنقاش المفتوح عبر صفحاتها ابتداء من عدد رجب ١٤٠٨هـ مواصلة للفكرة التى طرحها الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الأنصارى على صفحات المنهل أيضاً.. وكمردود عملى يسعدنا ان تتولى هذا الموضوع الجهات المختصة مثل رابطة العالم الاسلامى، المنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم، منظمة المؤتمر الاسلامى، مجمع الفقه الاسلامى.. وغيرها من الجهات.. وهذا الموضوع يتناول من خلال مضمونه الأشمل والأوسع المرتكز الحضارى للتاريخ الهجرى.

ويسعدنا كثيراً بالتوجيهات السامية الداعية إلى ضرورة إعتماد التعامل بالتاريخ الهجرى فى المكاتبات والمراسلات بالنسبة للمؤسسات والشركات التى لوحظ أنها تتعامل بالتاريخ الميلادى وحده.. إذ لا مانع من تدوين التاريخ الميلادى إلى جانب الهجرى، وهو الذى تسير عليه البلاد.

توماس هاردى والمهرجان الكبير

تحتفل مدينة دورسيت البريطانية فى مطلع الصيف المقبل بذكرى مرور ١٥٠ عاما على ميلاد اشهر روائييها، وأكثرهم تأثيرا فى الادب الانجليزى المعاصر توماس هاردي.

توماس هاردى ولد فى احد منازل ضاحية هاير بوكهامبتون (شمال دورسيت) فى عام ١٨٤٠، وقضى فى هذه المنطقة وما حولها معظم سنوات حياته مسجلا اشهر معالم تلك المنطقة فى رواياته.

وتستغرق مهرجانات الاحتفال بالذكرى ١٥٠ لميلاد توماس هاردى ثلاثة اشهر من صيف العام المقبل ١٩٩٠ حيث تبدأ فى ٢ يونيو بمهرجان شعبى يرتدى المشتركون فيه ملابس العصر الفيكتورى ويطوفون فى شوارع مدينة دورسيت مصحوبين بفرق للموسيقى الشعبية، كما ستجرى احتفالات اخرى تستقبل نموذجا لقطار (الكسبرس الشرق) فى محطة سكة حديد مدينة دورشيستر (التى تبعد بمسافة ١٢٢ ميلا جنوب غرب لندن).

وتساهم بقية مدن وقرى المنطقة فى احياء هذه المهرجانات الكبيرة باقامة معارض للكتب الروائية والمسرحية، وحفلات الموسيقى الكلاسيكية التى تعزف فيها اشهر اعمال معاصرى توماس هاردي البريطانيين والاوروبيين والقاء المحاضرات فى قاعات المعاهد والجامعات والمراكز الاكاديمية عن حياة ابن منطقتهم الروائى الانجليزى توماس هاردي وتأثير اعماله فى الادب الانجليزى المعاصر بوجه عام.

وستختتم اعمال المهرجان الكبير بأمسية مسرحية استعراضية يشارك فيها مشاهير الفنانين البريطانيين المعاصرين من ابناء دورسيت.

حماية المصنفات الأدبية والفكرية من السرقات


عبد الهادى بو طالب

سرقة المصنفات أصبحت تشكل ظاهرة خطيرة فى الآونة الأخيرة مما يجب معه حمايتها التامة بقوانين رادعة . . ولعل حق المؤلف أو الفنان فى الأمان لا يقل عن حق صاحب المال فى ذلك . . بل إن سرقة الفكر أخطر على بناء المجتمع من سرقة المال .

وفى هذا الاطار بذلت (الاسسكو) برئاسة الاستاذ عبد الهادى بو طالب ، وبمشاركة ممثلين عن المنظمة العالمية للملكية الفردية (الويبو) جهوداً كثيرة تنفيذاً للبرنامج الذى ضمنته خطة عملها الحالية (٨٨-١٩٩١م) تحت عنوان (من اجل حماية الملكية الفكرية فى الدول الأعضاء) .

ولقد كان للاتفاقية العربية لحقوق المؤلف الموقعة فى ١٩٨٧م دورها فى تمكين العالم العربى من فرض وجوده فى هذا الميدان .

ويقول الاستاذ بو طالب : ان التنمية الشاملة لا يمكن ان تتحقق فى غياب أنظمة وقوانين تضمن حقوق التأليف وترعاها . إذ يجب توفير المناخ المناسب الملائم ليتمكن المفكر المسلم من ان ينتج ويبدع فى كل المناحى بكل طمأنينة وحرية ، وبذلك يساهم فى مسلسل التنمية فى المجتمع الاسلامى والانسانى .

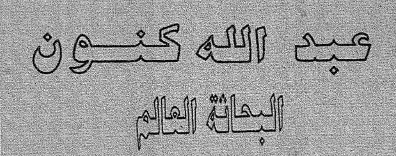
وفيات الأعيان

الشعلان .. الصوت الذي فقده الوسط الاعلامي



انتقل الى رحمة الله تعالى رجل الاعلام السعودى الاستاذ محمد عبد الرحمن الشعلان ويعتبر الشعلان من الرعيل الاول من جيل الاذاعة العربية السعودية ومن المؤسسين لجمعية الثقافة والفنون بالرياض عام ١٣٩٥هـ والاستاذ الشعلان قضى اكثر من ثلاثين عاماً فى العمل الاعلامى متنقلا بين إذاعة الرياض واذاعة جدة وعمل قبل وفاته مديراً لمكتب إذاعة البرنامج الثاني بمكة المكرمة ومديراً ـ فى نفس الوقت ـ للنشاطات بجمعية الثقافة والفنون بجدة.

وكان الفقيد يتمتع بدماثة الاخلاق والادب كما كان يتمتع بالحركة الدائبة والنشاط فى العمل الاعلامي والابتكار والتجديد فيه. وقد كان صوته ـ يرحمه الله ـ من أبرز الاصوات الاذاعية التى عبرت الى المستمعين عبر اذاعة الرياض فى اليوم الاول لافتتاحها عام ١٣٨٤هـ



ولد الراحل عبد الله كنون بمدينة فاس فى الثلاثين من شعبان عام ١٣٢٦هـ السابع والعشرين من سبتمبر ١٩٠٨م.. وفى السادسة من عمره انتقل مع أسرته الى مدينة طنجة.

تلقى تعليماً تقليدياً أول الامر.. حفظ القرآن الكريم والتحق بجامعة القرويين بفاس حيث استوعب علومها الدينية والادبية واللغوية على جهابذة عصره وبينهم والده.. تلقى دروساً خاصة فى

عبد الله كنون

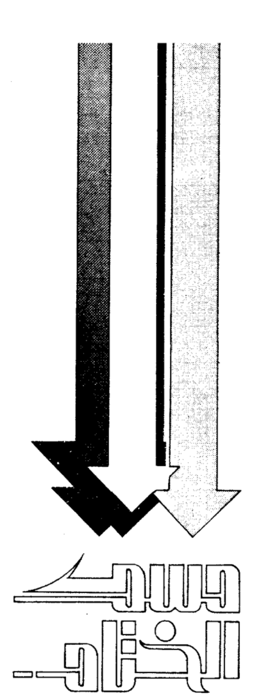
الثقافة العامة وفى اللغتين الفرنسية والاسبانية.. ولم يكتف بذلك بل كان نهماً للمطالعة والسعى المستمر وراء كل ما هو جديد فى العلم والمعرفة.

بدأ حياته العامه مدرساً وظل يصعد حتى صار من أكبر علماء القرويين.. وقد تولى ادارة المعهد الدينى بطنجة وإدارة معهد مولاى الحسن للابحاث بتطوان ودرس بالمعهد العالى هناك وأسس مدرستين حرتين واحدة للبنات وأخرى للبنين.. وتقديرا له ولنضاله الوطنى ـ إذ طوال فترة الاستعمار كان صلة العمل فى طنجة بين المكافحين والوطنيين فى الشمال والجنوب ـ أسند إليه منصب أول حاكم مغربى لمدينة طنجة بعد الاستقلال.

ـ اشرف على مجلة لسان الدين وجريدة الميثاق كما ساهم على مدى ستين عاماً فى معظم مجلات وصحف المغرب وتونس ومصر وسوريا والعراق وغيرها من الدول العربية.

ـ اختير عضوا عاملا عام ١٩٦١م بمجمع اللغة العربية فى القاهرة ـ وانتخب عضوا بعد ذلك فى معظم المجامع العربية الاخرى.

تزيد مؤلفات عبد الله كنون فى شتى فروع المعرفة عن مائة كتاب ورسالة عدا البحوث والمقالات التى زادت عن الالف وهو فى كل ذلك مبتكر ومصنف.



العـــودة

التقيت به فى مناسبة . . وكان يقص علينا قصة اسلامه .

■ اسمه محمد مارك . . قد لا تعرفونه فهو واحد من ألوف عادوا ويعودون الى الاسلام .

■ قال . . نشأت فى الريف الانجليزى من عائلة محافظة . . تلقيت كثيرا من المبادىء والمثل فى نشأتى الأولى . . ثم اسلمنى بيت والدى الى معترك الحياة وهنا اصطدمت بواقع مرير فقد اكتشفت ان الغلبة للقوة والذكاء والشطارة وليست للصدق او الحق . . وبدأت تنتابنى الحيرة والقلق والتساؤلات . . وبدأت أبحث عن الصدق والحق فلا أجدهما فيما حولى وفيمن حولى .

وذهبت ألتمس طريقـاً لى فى المـذاهب والأديان الأخـرى الهنـدوسية والبـوذية الكـونفشيوسية ولكنى كنت كمن يتخبط فى الظلام يبحث عن ضالته فلا يجدها .

ثم قادنى البحث الى مذهب من المذاهب الكنسية ظننت لأول وهلة أن فيه الاجابة لحيرتى وتساؤلاتى ، ولكنى بعد فترة وجدت القـوم يبيعـون الجنـة والغفـران مقابل المال . . وعدت اتخبط من جديد . ووصلت الى حافة اليأس وانكرت كل شىء فى الوجود . واعتقدت اننا فى هذه الحياة خلقنا بغير غاية او هدف .

ورحت أشق طريقى فى الحياة مثل كثيرين غيرى جسدا بلا روح ثم عرضت لى فرصة للعمل فى بلد اسلامى فذهبت . . ولأول مرة وجـدتنى اتعرف عن قرب الى الاسلام والمسلمين ولم أكن أعرف عنهما قبل اليوم شيئا اللهم الا مفاهيم بسيطة وساذجة بل قل مغرضة .

■ اول ما استلفت نظرى انى وجـدت القـوم على ثقـة بأنفسهم



بقلم : د. زهير احمد السباعى

ـــــى الاســــــلام

وبغاياتهم وبأهدافهم فى الحياة، وعلى يقين بمعنى الوجود ثم اجتذبنى الأذان فى جرسه وموسيقاه ومعانيه التى شرحت لى. ثم بدأت اسمع القرآن. لم أكن افهم منه حرفا ولكن جرسه اجتذبنى فأصبحت اصغى اليه. . وكأنما هو نور أشرق فى نفسى.

وعرض على ان اعمل فى السعودية. . وجئتها وصلتى بالاسلام صلة تعاطف لا أكثر. وهنا بدأت أسأل وأناقش وأتحدث وأفهم. . ازددت يقينا بأن الاسلام هو ضالتى. . هذا الدين الذى يبعث فى نفس المؤمن به السكينة والسلام والادراك لمعنى الحياة والوجود وجدته يجيب على تساؤلاتى لماذا خلقت ولأى هدف أسير فى الحياة والى أين المآل. وأصبحت أقضى اوقات فراغى اناقش اصدقاء لى من المسلمين تعرفت عليهم، وأقرأ عن الدين الاسلامى، وأسير فى الصحراء أتأمل.

■ **وانتهى بى المطاف الى ان اهتديت. . اهتديت الى الله. . لا بل أقول عدت الى الاسلام الى دين الفطرة «فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام».**

●● هذه قصة اسلام محمد مارك بدأت كغيرها من القصص. . حيرة وضياع وعدم اقتناع بما تقدمه الحضارة الحديثة، ثم العودة الى دين الفطرة حيث السكينة والهدوء واليقين بمعنى الحياة والوجود.

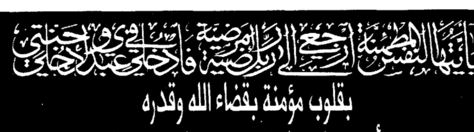
هى نفسها قصة اسلام محمد أسد، يوسف اسلام، ومحمد على كلاى، ورجاء جارودى، وموريس بكاى وغيرهم عشرات فى عصرنا الحديث.

■ والسؤال الذى يفرض نفسه ما الذى علينا ان نفعله معشر المسلمين. هل نقف متفرجين ونكتفى بالآحاد يعودون الى دين الفطرة. . ام علينا ان نسهم فى دفع هذا التيار.

■ التقيت مؤخرا باستاذنا الدكتور حسان حتحوت وهو من الدعاة المبرزين قال. . الاسلام يجد أرضا خصبة فى دول الغرب. خاصة فى امريكا الشمالية، القوم هناك يتخبطون فى دياجير الظلام وهم فى أمسّ الحاجة الى من يهديهم واذا ما اهتدوا الى الدين دخلوه افرادا وجماعات.

■ **والفكرة التى أريد أن اطرحها هى أن هناك الوفاً من المتعلمين والمتعلمات والمثقفين والمثقفات فى أنحاء العالم الاسلامى يحملون فى صدورهم الرغبة فى الدعوة الى الله ويحفظون شيئا من القرآن وشيئا من الحديث وشيئا من الفقه الاسلامى. . أكثرهم ان لم يكن جميعهم لديه الاستعداد لأن يسافر لفترة أيام او أسابيع فى كل عام الى الشرق والغرب يلقى بذور الدعوة. . كل ما يحتاجه هو تدريب على اسلوب الدعوة. . ماذا يقول. . وكيف يقوله. . ولمن يقوله. ثم تنظيم لسفره واقامته، وتهيئة الوسيلة له للدعوة على هيئة اسلامية مثل رابطة العالم الاسلامى او غيرها تتبنى الفكرة وتنفذها.**

■ لا أقول ان فى هذا الحل كل الحل لقضية الدعوة ولكنه مصدر ثر للدعاة وهو أمر يعيد الى اذهاننا قصة دخول الاسلام الى شبه القارة الهندية واندونسيا وغيرها من الامصار يوم كان يحمل رسالة التوحيد ويبشر بها التجار والمسافرون.



بقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره

ترفع أسرة مجلة (المنهل) صادق التعازي والمواساة

إلى مقام خادم الحرمين الشريفين الملك

فهد بن عبد العزيز آل سعود

حفظه الله

وإلى صاحب السمو الملكي الأمير

عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

وإلى صاحب السمو الملكي الأمير

سلطان بن عبد العزيز آل سعود

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

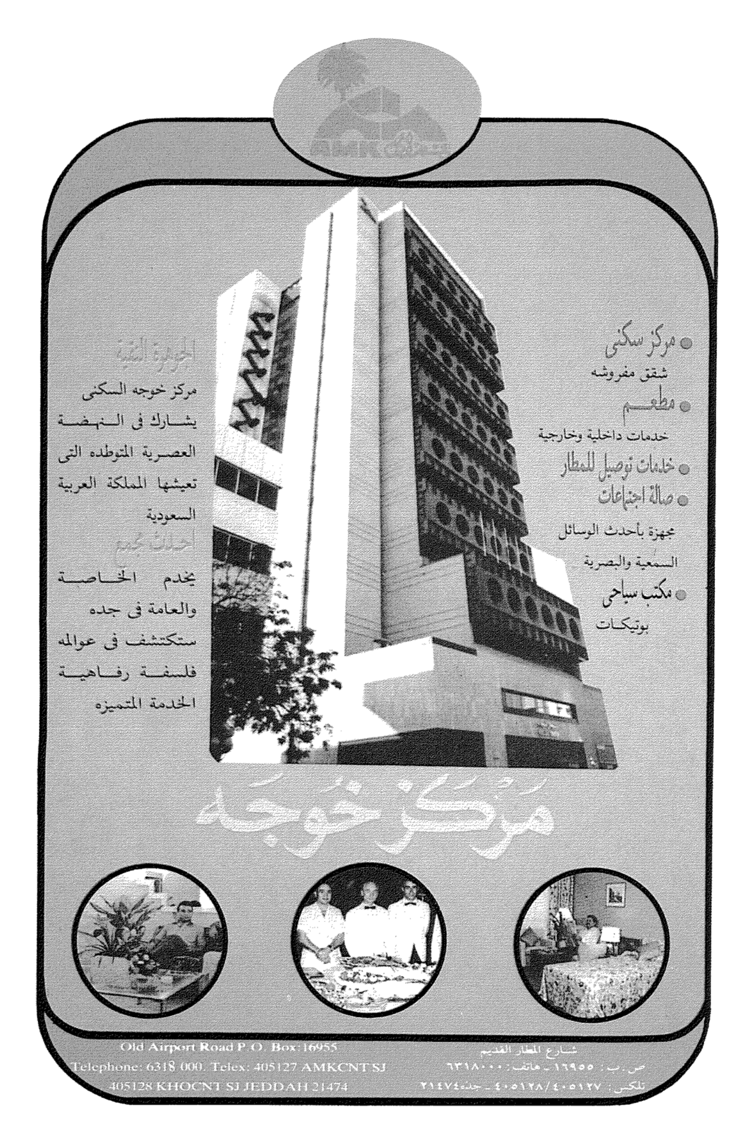
وإلى الأسرة المالكة الكريمة

في وفاة المغفور له سمو الأمير

خالد بن محمد بن عبد الرحمن آل سعود

سائلة المولى عز وجل ان يتغمد الفقيد بواسع رحمته ويدخله فسيح جناته وأن يلهم اله وذويه الصبر والسلوان.

إنا لله وإنا إليه راجعون



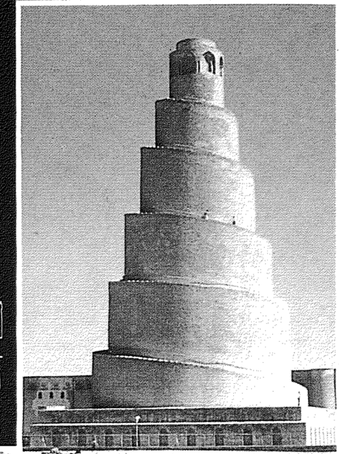
AMK
مركز سكنى
شقق مفروشه
مطعم
خدمات داخلية وخارجية
خدمات توصيل للمطار
صالة اجتماعات
مجهزة بأحدث الوسائل
السمعية والبصرية
مكتب سياحى
بوتيكات
الجوهرة الثمينة
مركز خوجه السكنى
يشارك فى النهضة
العصرية المتوطده التى
تعيشها المملكة العربية
السعودية
يخدم الخاصة
والعامة فى جده
ستكتشف فى عوالمه
فلسفة رفاهية
الخدمة المتميزه
مركز خوجه
Old Airport Road P.O. Box: 16955
Telephone: 6318 000. Telex: 405127 AMKCNT SJ
405128 KHOCNT SJ JEDDAH 21474
شارع المطار القديم
ص.ب: ١٦٩٥٥ ـ هاتف: ٦٣١٨٠٠٠
تلكس: ٤٠٥١٢٧/٤٠٥١٢٨ ـ جدة ٢١٤٧٤

العدد ٤٧٧ السنة ٥٦ المجلد ٥١ جمادى الآخرة ١٤١٠هـ يناير ١٩٩٠م

المنهل

ALMANHAL
مجلة العرب الأدبية

عراق الرافدين:
ارض التاريخ والآثار والحضارة الزاهرة.

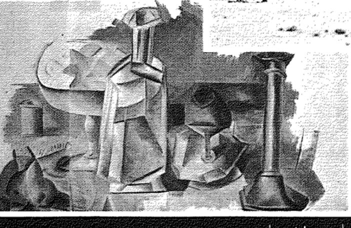


الرؤية الابداعية لدى بيكاسو ..!

أن تكون متجدد العطاء والرؤية دون تكرار .. تلك هي المعادلة الصعبة!!

في ذكراهم

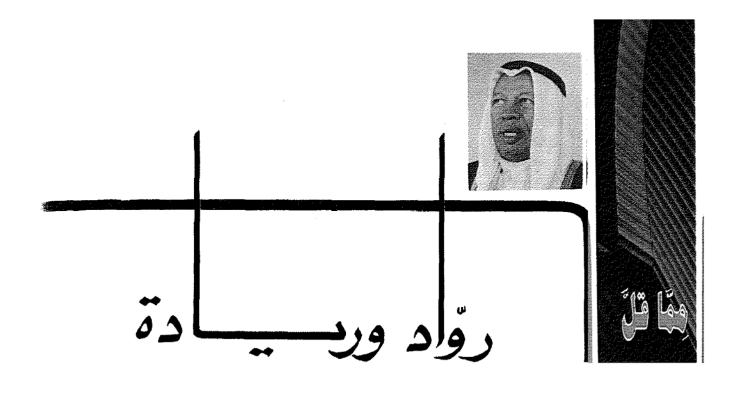
الريادة تاريخ وعطاء متجدد











مع وضعنا فى الاعتبار اصدار مجلة المنهل فان هناك العديد من الصحف والمجلات السعودية وغيرها قد اسهمت بقلمى فى التحرير بها. وأذكر منها: جريدة صوت الحجاز، وجريدة ام القرى الرسمية التى رأست تحريرها وأدرت اعمالها ردحا من الزمن: من سنة ١٣٥٩هـ الى سنة ١٣٦١هـ وصحف المؤسسات، ومجلة الرابطة الاسلامية ومجلة الحج، والنداء الاسلامى وجريدة المدينة المنورة وعكاظ ومجلة قافلة الزيت ومجلة الخفجي وغيرها.

أما صحف الخارج العربية فمنها: الاهرام والمقطم واما المجلات الخارجية فمنها: السياسة الاسبوعية والرسالة المصرية، والمرشد العربى التى كانت تصدر فى حلب و(الافكار) بعمان عاصمة الاردن. والكتاب المصرية، والمعرفة المصرية. ومجلتا الشرق الادنى والرابطة العربية لامين سعيد بمصوره. واسهمت فى إ لقاء الاحاديث والمحاضرات فى الاذاعة السعودية وفى الاذاعة المصرية أيضا.

وفى سنة ١٣٩٤هـ وفى المؤتمر الاول للادباء السعوديين الذى عقدته جامعة الملك عبد العزيز بجدة لرفع مستوى الادب السعودى الحديث ورفع معنويات الادباء السعوديين المعاصرين منحت لقب الريادة فى الادب السعودى من جامعة الملك عبد العزيز.. كما منحت ميدالية ذهبية وبراءة بها تكريما وتقديرا من الجامعة وقد منحهما غيرى من الزملاء ايضا حسب ما جاء فى الكتاب الذى اصدرته الجامعة فى خمسة مجلدات بعنوان: (بحوث مؤتمر الادباء السعوديين) وجريدة الندوة المكية فى عددها الصادر فى يوم السبت ٧ ربيع الاول ١٣٩٤هـ/ ٣٠ مارس ١٩٧٤م فى العمود ٨ من العدد المذكور فى الكلمة ذات عنوان: (أسماء الرواد للادب السعودي).

عبدالقدوس الأنصاري

مقتطف من ترجمة لحياته

المحرم وصفر ١٤٠٥هـ

ورقة أولى



يحتفل العالم كله بعيد عزيز على قلوبنا جميعًا ..

العالم كله يلتف حول العذوبة .. النسيم .. البراءة حول الاحلام وابتسام الوليد ..

لا ليطفىء الشمعة - والمعتاد أن نطفىء - لكن لينير آلاف وملايين الشموع التى تفرش السبل بسطا خضرا من الحب والامل والتفاؤل .. العالم كله يحتفل بعيد الطفولة.

ويأتى حث صاحب السمو الملكى الامير طلال بن عبد العزيز جميع المؤسسات الحكومية والمنظمات والجمعيات الاهلية فى كل أنحاء العالم للعمل على تطبيق بنود اتفاقية الطفل التى أقرتها الجمعية العامة للامم المتحدة.. ويأتى نشره لمظلة الرعاية الصحية لحماية ملايين الاطفال والامهات من ويلات الامراض.. يأتى هذا كله خطوات ايجابية وفاعلة لما يرتقبه العالم كله وما يصبو إليه من امال فى تحقيق تلك الاتفاقية وفيما سيحققه مؤتمر القمة العالمية من اجل الطفل.

وإذا كان الطفل والطفلة فى معاجم اللغة هما الصغيران من كل شىء بيِّن الطَّفل: وإذا كان الطفل البنان الناعم (الرخص)

فمن هنا ندرك حاجة تلك اللبنة الطرية الغضة الى أيدٍ سليمة قويمة لتشكيلها.. ومن هنا ننبه الى ضرورة الاهتمام المستمر والدائم بغرس القيم الدينية الاصيلة فى نفس الطفل حتى يستوى رجلا قويمًا نافعًا.. وإذا كنا لا ننكر ما حظى به معظم أطفال العالم خاصة فى مجتمعاتنا الاسلامية والعربية من رعاية بألوانها المختلفة.. دينية واجتماعية وعلمية.. إذا كنا لا ننكر ذلك .. وإذا كان العالم كله يحتفل بالطفولة.. ومع إشراقة عام جديد.

فلطفل الحجارة فى فلسطيننا .. - منا - نحن الكبار - برقية إعجاب وتأييد.. و.. ونطبع قبلة أمل على الجبين الصغير .. أمل وتفاؤل فى أن تتطهر أرض فلسطيننا بكاملها.. أرضك أيها المارد الصغير.. ونرى الفرحة فى العيون الصغيرة والبسمة من القلوب البريئة.



المنهل
ALMANHAL

مجلة شهرية للاداب والعلوم والثقافة

تصدر في جدة ـ المملكة العربية السعودية

عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة .

العدد ٤٧٧ السنة ٥٦ المجلد ٥١ جمادى الأخرة ١٤١٠هـ/ يناير ١٩٩٠م

اسسها سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

عبد القدوس الأنصارى

صاحب المجلة رئيس التحرير

نبيه بن عبد القدوس الانصارى

مستشار التحرير

أ. د. عبد الرحمن الطيب الأنصارى

نائب رئيس التحرير

زهير بن نبيه الأنصارى

سكرتير التحرير — السمانى كمال الدين

العلاقات العامة — مصطفى محمد مصطفى

تصميم وإخراج: عبد الرحيم فؤاد بدر الدين

المراسلون

مصر:
المغرب: عبد الرحيم عبد السلام
الأردن: روكس العزيزى
الجزائر: د. بكرى عبد الكريم
تونس: د. نور الدين صمود
تركيا: د. أنور طاهر رضا

المركز الرئيسى

جده ـ الشرفية : ص.ب: ٢٩٢٥ رمز بريدى: ٢١٤٦١

برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣

ت: ٦٤٢٧٨٣١-٦٤٣٩٧٦٥-٦٤٣٢١٢٤-٦٤٢٥٦٨٧

مكتب الرياض: ص.ب: ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

الاشتراكات

● قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٠٠ ريال

● قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

فهرس العدد

● غلاف العدد:



العراق: التراث والحضارة فى أرضها قامت حضارات وتبوأت الحضارة الاسلامية فيها مواضع عمقها.. ولا زالت تلك الآثار قائمة.

فقرات.. وشخصيات

فقرات مستلة

د. ابراهيم السامرائى

● حياة بيكاسو سلسلة متصلة من الابداع والتطور، وهو مبتدع المدرسة التكعيبية.. ولذلك فهو يؤكد أهمية التفرد والابتكار كما كان يخشى أن يقوم بتكرار نفسه. ص٧٤



ابراهيم عبد الله العلو

● أنا منحاز عربياً الى الشعر الجاهلي، وفرنسياً الى بودلير ومالارميه، وانجليزياً الى ويتمان، وإليوت.. وما لا يقوله النص هو النص، ومسؤولية انتاج النص المضمر أو غير المكتوب تقع على القارىء. ص٧٨

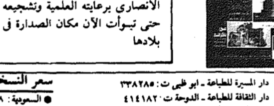
محمد المنونى

● استطاعت الانتفاضة أن تدخل القضية الفلسطينية فى مرحلة جديدة من مراحل الوعي الحضاري.. وتظل اسرائيل تراوغ وتناور رغم الأبواب التى فتحت للسلام القائم على أسلوب المحاورة الهادىء. ص٩٨



د. محمد رجب البيومى

● الاقدام على وضع «البيليوغرافية الاسلامية» على غرار ما تفعله الدول المتحضرة فى العالم أصبح أمراً من الاهمية بمكان.. والحاجة الى نشر ما لم ينشر من المخطوطات أهم بكثير الآن من نشر ما سبق نشره. ص١٣٢



● جمع الانصارى فى ساحة المنهل بين الأساتذة والتلاميذ وعلى صفحات المنهل ظهرت أقلام شابة كفلها الانصارى برعايته العلمية وتشجيعه حتى تبوأت الآن مكان الصدارة فى بلادها

زهير كتبى

وكلاء التوزيع:

تهامة للتوزيع ـ جدة ت: ٦٦٩٥٠٠٠

وكالة الاهرام للتوزيع ـ القاهرة ت: ٧٥٥٥٠٠

الشركة التونسية للصحافة ـ تونس ت: ٢٤٢٤٩٩

الشريفية للتوزيع ـ الدار البيضاء ت: ٢٤٥٧٤٥

دار المسيرة للطباعة ـ ابو ظبى ت: ٣٣٨٢٨٥

دار الثقافة للطباعة ـ الدوحة ت: ٤١٤١٨٢

وكالة التوزيع الاردنية ـ عمان ت: ٣٠١٩١٥٢

دار اقرأ للنشر ـ الخرطوم ت: ٤١٨٠٩

الاعلانات الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

سعر النسخة

● السعودية: ٨ ريال ● الكويت: ٦٠٠ فلس

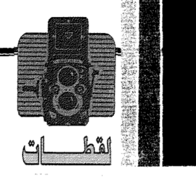
● قطر: ٨ ريال ● سلطة عمان: ٦٠٠ بيسه

● المغرب: ٦ دراهم ● الامارات: ٨ دراهم

● تونس: ٦٠٠ مليم ● السودان: ٢٥٠ قرش

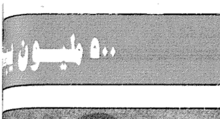
● مصر: ١ جنيه ● موريتانيا: ١٠٠ أوقيه

● الاردن: ٥٠٠ فلس





الامير عبد الله الفيصل





وات فى جدة
عالج فى امريكا

أثنـاء استقبـال صاحب السمو الملكى الامير عبد الله الفيصل وصاحب السمو الملكى الامير ماجد بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة للفريق الطبى العالمى القادم من جامعة هارفارد الامريكية - قام الفريق الطبى بعرض اخر ما توصل اليه العلم فى علاج مرض السكر عن طريق اخر المبتكرات فى هذا المجال وهو جهاز حديث يوضع على جسم المريض بالسكر مرتبط بأجهزة علمية حديثة لقياس نسبة السكـر فى الجسم دون إ جراء أى جراحة أو أخذ عينات من الدم.

فالجهاز الحديث يحلل مخبريا وتظهر النتائج فى الحال كما يوضح نسبة (الكلسترول) فى الدم.

الجديد .. انه عبر شبكة اتصال بالاقمار الصناعية يتم فحص مريض السكـر بواسطة أحد اطباء المركز العـالميين بجامعة هارفارد بأمريكا دون أن يسافر بالطبع.

هذا.. ومعروف ان مركز ابحاث السكـر الحـديث الذى سيقام فى جدة باسم مركز الملك فيصل لابحاث السكـر على نفقـة صاحب السمـو الملكى الامير عبد الله الفيصل هو الذى استضاف هذا الفريق الطبى العـالمى لوضـع اللمسـات الاخيرة لانشاء المركز الطبى الجديد.

ويقـول صاحب السمـو الملكى الامير عبد الله الفيصل ان هذا المركز سيقـوم بتقـديم افضـل الخدمات الـطبية لمرضى السكر فى المملكة وسيتولى المركز اجراء ابحاث علمية دقيقـة للقضـاء على هذا المـرض باذن الله.

فى تقرير حول قضية الجوع فى العالم. . اعلن إدوارد صوما مدير عام منـظمـة الاغـذية والـزراعـة التابعة للامم المتحدة (الفاو) امس ان عدد الاشخاص الذين يعانون

أمريكــا .. أمريكــا تختنــق

(٤٢٧) مليـون كيلو غرام تقريبـاً من المواد الكيمائية السامة تستنشقها أمريكا رغم أنفها وهى تمثل أبخرة المصانع ومحروقات السيارات، وهذه النسبة تمثل ٢٦٪ من مجمل ما تنفثه جميع المصانع فى الولايات المتحدة الامريكية.

الوكالة الاميريكية لحماية البيئة دهشت من هذه الارقام ومن الدرجة التى عليهـا تلوث الجو الان وهى تبحث لمخرج يخفف من تلوث البيئة والا لمات الانسان اختناقـاً إ ذا استمر الحال على هذا الوضع، أو على اقل تقدير لاضرت به المواد السامة العالقة فى الجو.

واقترح الرئيس الامريكى بوش تنقية الجو بنسبة ٩٠٪ تقريبـاً بحلول القرن القادم.. وذلك باقتراح انتاج سيارات يمكن تسييرها باستخدام بدائل وقودية لا تخلف تلوثـاً فى البيئة.

وأخيراً: يدفع الفرد ثمن الوجه الاخر من الحضارة.

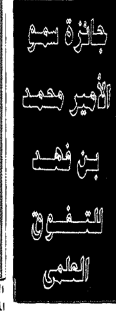
عـن طعـام؟!!



من سوء التغذية فى العالم وصل اليوم الى ٥٠٠ مليون شخص، مؤكدا ان هذا العدد يتزايد بسبب الزيادة المفرطة فى السكان ومشاكل البيئة والأزمة الاقتصادية التى يشهدها العالم.

واتهم صوما فى كلمته امام المؤتمر الخامس والعشرين للمنظمة والمنعقد فى روما الدول الصناعية الكبرى بالمساهمة فى هذا الوضع عن طريق سياسة الحماية التى تتبعها لحماية منتجاتها الزراعية والتى انفقت عليها فى عام ١٩٨٧م فقط ٢٩٠ مليار دولار واستمرار الديون على الدول الفقيرة.

وناشد صوما الدول الاعضاء فى المنظمة التخلص من هذه السياسات التى وصفها بأنها «انتحارية» ودعاهم الى الالتزام بتسديد حصتهم المالية للمنظمة.



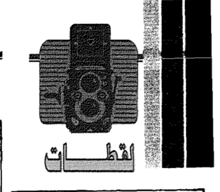
الامير فيصل بن فهد يلقى كلمته فى حفل المهرجان الرابع لجائزة امير المنطقة الشرقية وإلى جواره الأمير محمد بن فهد

بحضور سمو الامير فيصل بن فهد الرئيس العام لرعاية الشباب (ضيف الشرف) وسمو الامير محمد بن فهد بن عبد العزيز أمير المنطقة الشرقية.. ولفيف من كبار ووجهاء المنطقة الشرقية وكبار المهتمين بالعلم والادب والثقافة وفى قاعة المؤتمرات بإمارة المنطقة الشرقية أقيم المهرجان الرابع لجائزة الامير محمد بن فهد للتفوق العلمى تكريماً لطلائع الطلاب والشباب.. حيث تمنح الجائزة للطلاب والشباب المتفوقين.

وقد بدأ المهرجان بتلاوة من القران الكريم تلا ذلك كلمة للطالب هانى محمد سليمان باسم زملائه المتفوقين ثم جاءت كلمة سمو الامير فيصل بن فهد التى ركز فيها على نماذج التفوق السعودى على مدى التاريخ وحاضر الايام معلناً صدور أمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز بإنشاء ناد أدبى فى المنطقة الشرقية بتاريخ ١٥/ ٥/ ١٤١٠هـ وأكد مواصلة الدعم الكامل لكل الاندية الادبية فى سبيل تكوين جيل رائع لطلائع الادباء والمثقفين.

وبعد ذلك ألقى سمو الامير محمد بن فهد كلمته مرحباً بسمو الامير فيصل بن فهد وبالسادة الحضور ومؤكدا على الخطوات الواسعة التى خطتها المملكة على سبيل البناء والتقدم وعلى التوجيهات الدائمة لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز بجعل المواطن السعودى أساس وركيزة التنمية وهو (الهدف منها) وإليه مردودها وعلى جهود سمو الامير فيصل فى مجال النهضة الشبابية ومجالات الادب والثقافة والفن والحفاظ على التراث.

وفى ختام المهرجان تم تكريم الطلبة المتفوقين.. ثم قدم سمو الامير محمد بن فهد درع الجائزة لسمو الامير فيصل بن فهد بن عبد العزيز.



لقطات

الاعلاميون فى الخليج تحت المظلة ؟!!

تسهيلا لاوضاع الصحفيين الخليجيين العاملين فى المؤسسات الصحفية فى دول الخليج العربى وافق الاجتماع الاخير لوزراء الاعلام الخليجيين على الورقة المقدمة من وزارة الاعلام بسلطنة عمان، بخصوص إيجاد المظلة القانونية الصحفية التى يحتاجها هؤلاء الصحفيون والقادرة على الوفاء بمتطلباتهم.

ومن بين البنود التى وافق عليها الوزراء فى اجتماعهم فكرة تخفيض قيمة تذاكر السفر للصحفيين لمعاونتهم فى رحلاتهم المتنقلة من بلد لاخر. وسيصدر القرار على ذلك من مجلس وزراء الاعلام الخليجى فى وقت قريب إن شاء الله.

وكالة الانباء السعودية ونشرة لأول مرة؟!







بدر احمد كريم - المدير العام لوكالة الأنباء السعودية

على الشاعر - وزير الاعلام

صدرت النشرة الاقتصادية الجديدة عن وكالة الانباء السعودية، وذلك لتكريس السياسة الاقتصادية فى حكومة خادم الحرمين الشريفين التى تستند على النظام الاقتصادى الحر وتدعيماً للمهام التى يؤديها كل من القطاع الحكومى والقطاع الخاص للاقتصاد بالمملكة العربية السعودية. . وتهدف (واس) من ذلك الى إثراء التدفق الاخبارى للنشاط الاقتصادي والتجارى بالمملكة، وذلك بأن تحوى النشرة اخبار الحركة المالية والاقتصادية فى الداخل لرسم صورة كاملة عن الحركة الاقتصادية فى المجتمع السعودى وفقاً للتوجيهات السامية كما ستحوى هذه النشرة التحليلات الاقتصادية والآراء فى هذا المجال لأصحاب الاختصاص وأقلام الاكاديميين وخبرات الاقتصاديين والتجار.



لهذا... أوروبا تهتز!!

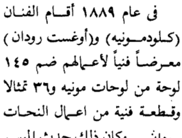


فى حادثة تاريخية اهتزت لها اوروبا كلها انهار جدار برلين الذى يفصل بين المانيا الشرقية والمانيا الغربية عندما اعلنت المانيا الشرقية يوم التاسع من نوفمبر ١٩٨٩م فك القيود المفروضة على السفر عبر الجدار.. وتدفق الالاف

حرية الصحافة

نقلت منظمة (منزل الحرية) الدولية بنيويورك - ان ٦٣ صحفيا ينتمون لـ ٢٢ دولة قد قتلوا خلال العام الحالى.. وانه يوجد ١٠٢ دولة فى العالم تفرض قيودا على وسائل اعلامها تؤثر على حرية الصحافة.

متحف رودان



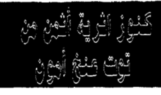
● رودان ● كلود مونيه

فى عام ١٨٨٩ أقام الفنان (كلودمونيه) و(أوغست رودان) معرضاً فنياً لأعمالهم ضم ١٤٥ لوحة من لوحات مونيه و٣٦ تمثالا وقطعة فنية من اعمال النحات رودان . . وكان ذلك حدث الموسم آنذاك . وبعد مئة عام من تاريخ ذلك المعرض، وفى ١٩٨٩م أقيم فى باريس، فى متحف رودان معرض فنى - بمناسبة الذكرى المئوية - ضم (٤٢) عملًا للفنانين كلود مونيه، و أوغست رودان . . وهى من الاعمال التى تم عرضها قبل مئة عام . . وقد ولد الفنانان فى عام ١٨٤٠م بفارق يومين بينهما، وقد قامت بينهما صداقة حميمة . . ويعتبر مونيه اكثر من أثر على فن الرسم فى القرن العشرين بالمقارنة لزملائه المعاصرين.



الفجر . . من اعمال المثال الفرنسى رودان

ومن بين الاعمال المعروضة فى متحف رودان ، لوحتان تعودان الى باريس لاول مرة تم استلافهما من أحد متاحف روتردام . . ولوحات أخرى من المتحف الوطنى فى لندن.



صحراء مصر غنية بالآثار، وما هو مخبأ تحت الارض اكثر بكثير مما تم العثور عليه فعلا وكان اكتشاف الفرعون توت عنخ آمون خلال عام ١٩٢٢م، وما وجد فى ضريحه من كميات هائلة من الذهب قد دفع المكتشفين والآثاريين للبحث الجاد عن كنوز الفراعنة.

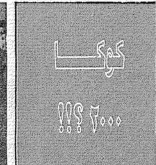
وخلال شهر كانون الثانى الماضى عثر المنقبون على آثار قيمة فى معبد الأقصر من بينها سبعة عشر تمثالا معظمها مهشم داخل أحد المدافن.

ويعتقد ان منطقة الاهرام تحتوى على اكثر من مقبرة وينتظر المسؤولون العثور على ضريح الاسكندر الاكبر.





من الالمان الشرقيين عبر كل المنافذ واصطفت السيارات فى طوابير طويلة أمام بوابات العبور فى محاولة منهم للوصول الى الجانب الاخر من السور، ونسبة لاشتداد الزحام على المنافذ اضطر الكثيرون الى تسلق السور.

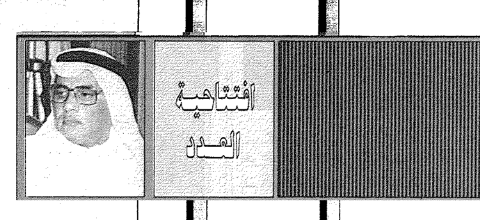


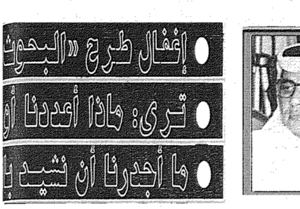


ريتشارد هندريكسون هو صاحب مدرسة فريدة من نوعها، مدرسة للطيور فقط.

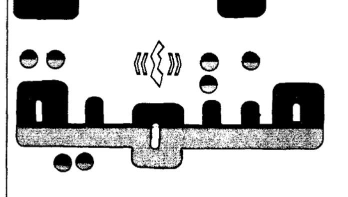
اسم المدرسة الاسترالية (كوكا ٢٠٠٠) وهو مشتق من الكوكاتوه، أو الببغاء ذات العرف، ومهمتها ترويض طيور الببغاء وتعليمها الكلام الصحيح وقواعد الاداب واللياقة.

زبائن هندريكسون اصحاب طيور يتذمرون من عدم انضباط ببغائهم او تأخرها فى تعلم الكلام، فيدفعون ٦٠ دولارا استراليا ويستردون طيورهم بعد اسبوع وقد صارت مهذبة ومطيعة.





فواصل



نبيه بن عبد القدوس الانصاري

● ويستفـزنـا الحـديث لنسكبه فى مواكب الكلمة متـدفقـا .. رخيمًا حينًا.. وصلبًا متماسكا فى أغلب الاحيـان تبعثـه التجربة والمعاناة.. وتمليه المعالجة الصـادقـة.. وتـطرحـه الـرغبـة فى اختـراق الحواجز والسلبيات وصولا للكمال المنشود فى اهم وادق وسائل الالتزام والتوجيه والالهام.

● وتأتى الفواصل (ثانية) قطرات ندية فى لجة بحر متلاطم.. ونيزكًا فى فضاء غير منته .

● فواصـل تتجه لوسائلنا المطبوعة (المجلة) تحللها لتفـرز خصـوبـة منتجهـا.. تقاربها لتجذر منعطفات أداءاتها. تأطرها لتمسك مسوغات ترسيخها ـ ولتنتقل ساعتئذ إ لى مدّمن الانطلاقات العجاف أوالسمان وصولا لنهاياتها المتتابعة المستساغة.

● من البدهى ان تنحو صحافتنا ـ واعنى المجلات بالذات ـ نحو ترسيب مظاهر الشدو والاعتزاز والاكبار لادبـاء الـداخل الجديرين بذلك التفخيم وأسوة بما فعلته (بحق).. وما تباشرة أمم تجاورنا أو تبتعد عنا جغـرافيًا.. حتى غدا مريدوهم أعلامًا نرجع إ ليهم.. ونأخذ عنهم متى ما ألزمتنا الحجة، أو اعوزنا الدليل.. وفى هذا تخليد لاولئك النفر المتميز يعلو بهم شأن الوطن فكريًا ويكبر بهم شأنه.. ويذيع صيته.. ويشع قبسـه.. وهـذا من أمهـات ما نحتاجه فى هذا العصر المادي اللاحب الذى تجاهل الانسان (الانموذج) الذى كرمه الله وحباه بفضله.

* * *

فية العلمية» فى مجلة سيارة أمر مجحف بمنطق العصر ومسوغاته.
فيه «عمليا» لذلك الحشد من أبنائنا خريجى كليات الاعلام والصحافة؟
طرح فى غير ايجاز فعاليات إصداراتنا.

وما اجدرنا ـ لبعضنا البعض ـ ان نشيد بالجاد ونطرح فى ساحات العطاء فى غير ايجاز ـ فعاليات عمق اصداراتنا.. وتحليل مضامينها وإ صلاح ركيكها وتقويم معوجها متى ما صدرت ـ بعيدا عن مجاملات الواقع وشللية الازمات وسلطوية الخلان.. وتجاهل الاخوان. وفى هذا تخليد اخر (للمنتج) من بطون الوطن محفوف بذاتية تذكر فتحمد.

● وما ادعى ان نمحص ـ او نمسك بمقدار متصاعد عن الاعلام ولا أدعو إ لى ان نعرِّف بمطبوعة نقدر (سلفا) انعطافاتها وتوجهاتها غير البريئة ـ لمجرد ان خبرها جاء عن طريق مراسل معتمد او متصحف متعاون، او (لعله) سد فراغات (هلامية) عجز الجهاز عن ان يشغلها بمناقلات اكثر تطلعا واجادة.

* * *

● لخلق كاتب وتشجيع عطاءاته لابد (للمجلة) ان تتداخل بقدرة كبيرة فى ذلك اذ يمكن لها ان تحل شداة الادب ومالكى عنانه والمطبوعين فى الموضع المتميز وتوكل فى لمحة زكية ـ لكبار الادباء تقديم هذا الانتاج وتحليل توفيقاته فى إلمامة موجزة تتوج ذلك الموضوع وتعينه.

* ولابد من فرض ضرورات العناية والابراز المدروس للبحوث الطليعية الجادة المثرية التى من شأنها رفع شأن الاداب والمعارف وصولا لعقول وقلوب الاجيال الماثلة والمقبلة وما يجب ان نربيهم ونحضرهم له.. ونهيئهم من اجله..

* * *

* واغفال طرح (البحوث الصحفية العلمية) فى مجلة سيارة امر مجحف بمنطق العصر ومسوغاته. وما اشد تعثر نمونا عندما نصطدم بجفوة فراغنا من امتلاك اعنة العلم الميسر لانطلاقتنا التى نحفظ بها ذواتنا ونسيِّر بها بيادر نهضتنا وشواهق حضارتنا.

* * *

● ترى: ماذا اعددنا او فكرنا فيه (عمليا) لذلك الحشد المتوافر من ابنائنا الشباب خريجى كليات الاعلام ـ والصحافة.

* نسمع عنهم الكثير.. وتزف الينا الجامعات اخبارهم.. ونلتقى ببعضهم وهمومهم تشغل فراغاتهم.. ونتعامل مع اكثرهم فلا نعثر الا على مسطحات نظريات ومناهج ورقية.

* كلهم يبدون كزنابق رقيقة متوهجة اقتحموا ذلك التخصص.. اما بفعل المجموع.. او بعامل المجهول.. او بدافع الوصول. وصدموا اخيرا بجهلهم فى التقدير او اسقاطهم مسوغ التأهيل ـ فتدافعوا هنا وهناك يحثون الخطا ويتجهمون المجهـــول .. وبتنا كأصحاب توجيه ورسل إعلام نغرقهم فيما لا يستطيعون اليه وصولا او سبيلا.

■ نعتذر (ببساطة) عن احلالهم المحل الانسب بهم ونستعذب (ببرود) استعطافهم.. ونستغرب (بحذر) جفاف عطائهم ونستنهض بتلقائية عزائم تجاربهم.. وختاما: نهملهم ولا نمهلهم.

■ ترى: أليس من حقهم (علينا) ان نأخذ بيد ميرزيهم ومطبوعيهم لمصاف الكمال الصحفى المنشود؟؟.. وأليس من حقهم (علينا) ان نحتضنهم فى تجاربنا وانجازاتنا؟؟.

■ واليس من الممكن المتيسر دراسته أن لا نسقط من ثلة منهم فاقدا يهتدى بوصول زملاء دراسته الاخرين فيبرز فى موقع اخر يحتاجه.

● انها دعوة نرفع بها للمؤسسات الادبية والصحفية بقدر ما يسوغه لها زمانها ـ وبقدر ما تيسره لها امكاناتها وهى (كما اقدر) دعوة لابد ان يجمع لها نفر من أهالي الرؤى والمشورة فى هذه الاجهزة (وفورا) لتدارسها واحتضان ضحاياها الكثر من ابنائنا الدارسين.

* * *

● ليعفى اصحاب الصحف ورؤساء تحرير المجلات (وفورا) بعض أولئك النفر من الكتاب الكبار الذين ارهقونا بملء فراغاتهم المبوبة ذات الاتجاه الواحد والخطوط المتعامدة وليحلوا فى اقطاعياتهم تلك، ملاكًا جددا من ذوى الدخل المحدود.. لنشهد ابداعهم ونفرز عطاءهم.. ونحصد ثمارهم.

مهمة الاديب

لم يمض وقت مقيد قصير سطعت اشعاعات الحضارة فوق الجزيرة العربية فى نهاية القرن العشرين، فحملت هذه الحضارة معها الوانا من الفكر والثقافة، وصورا مختلفة من العادات والتقاليد والاراء.

فلابد من تطوير المجتمع بافساح النور فى شتى مجالات الحياة لكن الاديب السعودى عليه مهمة التوفيق بين الحضارة وقيم البلاد، وظروفها، وتراثها، فتغلب عليه روح الدين الاسلامى، وهو ادب صحيح معافى يبنى ولا يهدم، يجمع ولا يفرق.

عبد الله بالخير

معهد التدريب الصحفى

ولا يدهشنى ان ارى جيلا من الشباب والشابات تستوعبهم الصحافة، بدليل ما نراه من الحضور والمحاولات الادبية والفنية فهناك من بين خريجى الجامعات شريحة تغريهم الكتابة والاخراج الصحفى والتصوير الفوتغرافى والسينمائى وطريقة الحكم على الخبر وتقويمه وموقعه واستعماله فى مقاله، ولا شك ان مناهج الجامعات تحوى الكثير من هذا وفوقه، ولكن الامر يقف عند مسألة الفرق بين ما يتعلمه الدارس من محاضرات فى كراسى الجامعة وبين ما يمارسه على الطبيعة من تطبيقات.

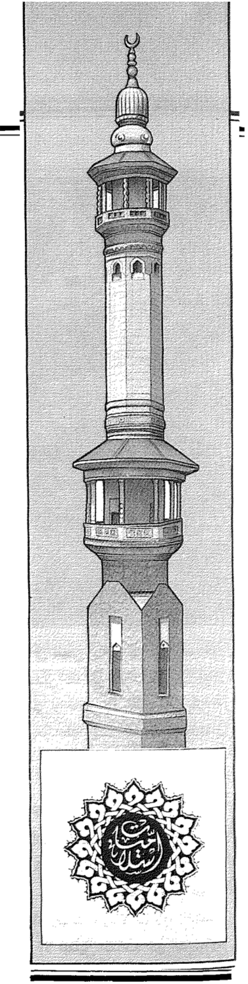
والذى امله ان يبدأ (معهد التدريب الصحفى) فى شكل هيئة مكونة من مندوبين من المؤسسات الصحفية ومندوب عن وزارة الاعلام وتكون اولياته عبارة عن جهود ذاتيه من المؤسسات الصحفيه واعانة معقولة من الدولة ـ وتحدد هذه الهيئة النظام الاساسي ولائحة الالتحاق به.. وتحديد الرسم المطلوب على الدارس لقاء توفير الامكانات ووسائل التدريب النظرى والعملى فى المؤسسات الصحفية.

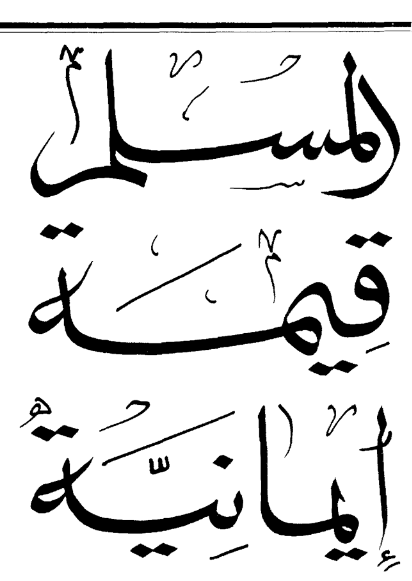
عبد العزيز محمد الذكير

القضايا الادبية

إن قضية الطرح الادبي ودراسة بواعثه لا تعني إسقاط قضية بقدر ما تعني تحريك الماسحة بالبحث فى المضامين والمناخات.. وإدراك المسافات والفوارق التي تفصل بين مرحلة وأخرى بين جيل يرى فى الافاضة اختصارا ـ وبين جيل يعيش على ثقافة.. (الساندوينتش). واذا كانت (شاعرة معاصرة) مثلا تهم شريحة من القراء.. فإن محاولة استعادة صور الماضي والنظام الثقافي العربي فى العصر الجاهلي بكل تركيبه وارتباطاته وأسلوب طرحه هي عمل قد يهم شريحة كبيرة من الدارسين والمتابعين.

عبد الله الحصين





بقلم: محمد بن إبراهيم بخات (المغرب)

إن الدعوة الى الله تحتاج الى الكثير الطيب والكثير المتنوع من الاعمال والوسائل بإخلاص ومنهجية وحركية دائمة كما علم ووجه قراننا وكما علمت ووجهت السنة النبوية مع مواكبة الجهود لها واقبال الافراد عليها.

﴿ وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم ﴾

﴿ واعتصموا بالله هو مولاكم ﴾

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ﴾

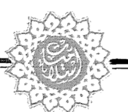
﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾

(جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم)

(الدين: النصيحة).

(بلغوا عنى..)

■ لا مناص من التخصيص لأوقات الدعوة والتفرغ لها



وأقصد اغتنام فرص الدعوة وإيجادها مع التطليق للراحة، ذلك أنه لا راحة فى عصر مثل عصرنا هذا، فالركون إلى الراحة فى عهد جاهليات القرن يعد غفلة بل خيانة بلا مبالغة أو مغالاة، وصدق الفاروق عمر ابن الخطاب عليه الرضوان حينما أعلن عن هذه الحقيقة منبها وموجها جنود الدعوة ورجال الاصلاح.

الراحة للرجال غفلة(١)

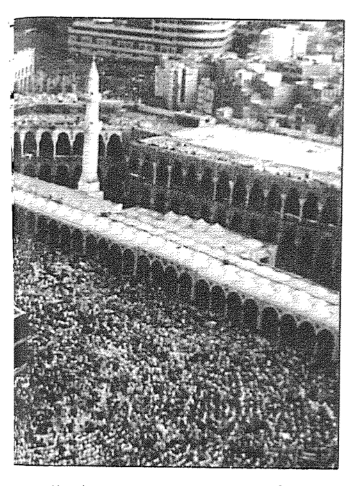
والتخصص فى ميدان الدعوة ما أعظمه وكم يحقق من إيجابية ولكن فى حدود معرفة لغات الغير للاستفادة العلمية عموما فهذه المعرفة تمكن من دعوته بلغته وإقامة الحجة عليه ورد شبهاته والمقارنة بين جاهليته وإسلامنا وهلم جرا، ولكن بشرط أن تكون دعوة المسلم له وهو موقف القوة على أساس أنهم المتهمون وإن الاجرام لجاهليتهم والنقص فيهم والضعف فى ماديتهم والانحلال فى حضارتهم والتهافت لعلمانيتهم.

فالمسلم بحكم قوة عقيدته وصحة شريعته وسلامة قيمه يجب ان يكون دائما فى مركز القوة فى كل مناسبة وعلى أية حالة، يدعو لحقه بصفة مباشرة وغير مباشرة، وخلال دعوته يمضى قدما ونصب عينيه شعار المؤمن الحق:

﴿وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين﴾

وهذا المؤمن وهو فى ميدان الدعوة والدفاع عن الحق، يتحين الوقت المناسب لكيفية الدعوة ولوسيلة دفاعه فيبرز وينتهز، فإن دعا فلفرض حق ولقضاء على باطل كيفما كان، وإن دافع فلفضح العدو وإظهار باطل الغير والتشهير بخوائه ومواطن الضعف فيه، فيكون قد طبق المفصل وأصاب المحز: عرف بالاسلام وفضح الجاهلية وبرهن على فراغها وبين ما وصلت إليه من حضيض، وما نجح فى الدعوة والدفاع إلا لأنه في مستوى مسؤولية الدعوة.

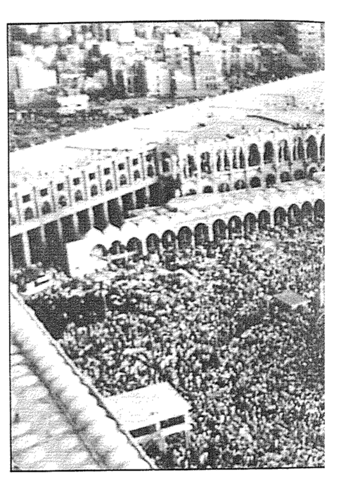
■ وهكذا يكون قد ضرب العدو وأجهز عليه، فإسلامنا



لا يمكن أن يكون فى قفص اتهام، فهو دين الحق الذى أظهره الله على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون فى الماضى والحاضر والمستقبل حتى يأتى أمر الله، فهو يعلو ولا يعلى عليه وإنسانه له أعلويته وقوته فهو قوي وهو عزيز:

﴿ وأنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين﴾
﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾
﴿ واعدوا لهم ما استطعتم من قوة.. ﴾

■ اما أن نتقاعس ونحجم ونبرر بدعوى عدم تخصصنا فسيكون تصرفنا هذا وفهمنا علينا لا لنا لأن التخصص المقصود لا يتحقق إلا للقليل المستعد ذى القابلية ومن ناحية اعدائنا فهم لن يسمحوا لنا ولن يتركونا نعمل لهذا التخصص الذى يستحيل ولا حتى أن نحاوله لأنهم



اكتشفوا نقطة الضعف فينا وهي التقصير وأدركوا حقيقة الخطر الذى سيعرضون له لو تبنا الى ربنا وتبنا الى رشدنا بالعودة لديننا ولذلك فهم يعملون ليل نهار للحيلولة دون ذلك وهم مطمئنون ونحن مقصرون الى القمة وتقصيرنا لا نحمد عليه.

■ وفى موضوع ما نستطيع وما لا نستطيع يجب تبيان حقيقة وهى ان الكثير من المسلمين وحتى الحركيين منهم يدعون ويتذرعون بعدم الاستطاعة فى ميدان الدعوة والعمل، والاصلاح والتغيير قبل أن يخوضوا ويحاولوا أو قبل أن يجربوا ويعملوا.

وهذا التصرف منهم حجة عليهم ويشجبهم فعليهم أن يجربوا أولا فى حدود الطاقة، وكل له طاقه وفى دائرة المسؤولية وكل له مسؤولية وبعدها فإن لم يقدروا وما نجحوا فهم مخلصون ما قصروا، أبرياء لا خونة ويؤيدهم قول الله على لسان نبي الله شعيب، ولا تتوقف لهم محاولة ولا ينقطع لهم أمل، يداومون ويعيدون الكرة تحملا لعبء الدعوة وواجب التضحية:

﴿إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب﴾.

■ وعودة ختامية للدعوة والتخصص تدعوني الى البوح بحقيقة هى من عمق الدعوة وهى: إن التخصص الوحيد بالنسبة للمسلم يكمن فى الاخلاص، فهذا هو التخصص الذى ينقصه، وانعدامه سهل على اعدائنا العمل الكثير لتحريفنا عن ديننا وتحويلنا الى جاهليتهم.

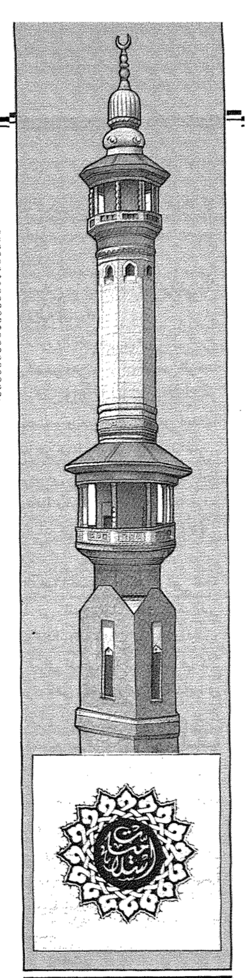
هذا النوع الفريد من التخصص، به حقق سلفنا الصالح ما حقق من دعوة ونصر وهداية وإنقاذ لأنه عرف دوره فى الحياة وقدر وظيفته كما علمه رسول الله ﴿ﷺ﴾: «بلغوا عني ولو آية».

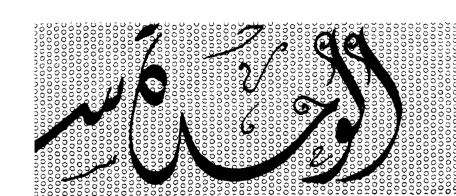
ولو آية: هى جوهرة الدعوة الحتمية فى الاسلام فهى نقطة الانطلاق للمسلم الحركي الملتزم، هذا المسلم الفذ الذى درى ووعى وفكر وقدر وأقبل وتقدم فبلغ عن رسول الخير، القليل من أمر دينه الكافي الهادي أما الكثير منه فما كان ليبخل به. لأن رسول الحق وجه الى ضرورة الدعوة فى حالة ما قل وكثر، وكما رباه صلى الله عليه وسلم يدرك حقيقة فطن إليها فتشبع بها لها علاقة وثيقة وأساسية بالدعوة وهي أن المسلم بحكم إسلامه داعية بالفطرة والضرورة، وبالحال والمقال، في ضوء التزامه لا يعرف التناقض سبيلا الى واقعه بين قوله وفعله.

■ ولهذا فهو دائما يجول ويجاهد يكد ويجتهد فى سبيل الحق وهذا خير دليل على إيجابية إنسان الاسلام الحق ومنهجية دعوتنا التى تنم عن واقعية إسلامنا.

هامش

(١) أدب الدنيا والدين / الماوردى.





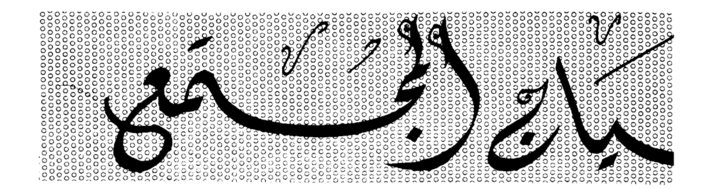
بقلم: د. أحمد عمر هاشم (مصر)

للوحدة أثرها وفاعليتها ومنزلتها وقوتها، فهى من اهم ركائز التضامن الاسلامى الذى تنشده الاقطار الاسلامية عبر التاريخ، فيوم ان يتحد العالم الاسلامى فى مشارق الارض ومغاربها تحت راية: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» يوم ان تنعم المجتمعات والشعوب بالامن والاستقرار والسعادة والرفاهية فلا يتهددها عدو ولا يحدق بها خطر ولا يتامر عليها الباطل مهما كان مدججا بالاسلحة ولا يتسرب الى حماها غزو فكرى.. ولا تيار من التيارات المادية ولا تحلل خلقى وذلك ان الوحدة سياج منيع يصون حماها من كل دخيل ويحفظ عليها امنها واستقرارها.

● بل ولا خوف على غيرها من الامم لأن لديها ايمانها وهو ما يقرر العدل فى الارض ويحقق السلام والاصلاح ويشيع فى جوانب الحياة كل معروف ويطهرها من كل منكر ويومها يفيء الناس فى ظلال الايمان احبة امنين قال الله تعالى: ﴿**كنتم خير أمةٍ أُخْرِجَتْ للناسِ تأمرُونَ بالمعروفِ وتنهون عنِ المنكرِ وتُؤمِنُون بالله**﴾.

● ويقرر القرآن الكريم ان اهل الايمان والحق حين يمكن الله لهم فى الارض فهم ينصرون دين الله ويرفعون راية العدل الالهى.

● ويقيمون شعائر الدين واحكامه ويؤدون الامانة الالهية على اكمل وجه أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر قال الله تعالى: ﴿**الذين إنْ مكنّاهُمْ فى الأرضِ أقامُوا الصَّلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكرِ ولله عاقبةُ الأمورِ**﴾.



● وقد اكد الله تعالى روح هذه الوحدة وجوهر هذا التضامن الاسلامى فى حب بين المؤمنين والولاة ورغبة فى الخير والاصلاح فقال: ﴿**والمؤمنونَ والمؤمناتُ بعضُهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهونَ عن المنكر ويُقيمون الصلاة ويُؤتُون الزكاة ويُطيعون اللهَ ورسولهُ وأولئكَ سيرحمهُمُ اللهُ إنَّ الله عزيزٌ حكيمٌ**﴾.

أساس الخيرة

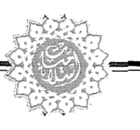
والوحدة اساس كل خير فى دنيا الناس وآخرتهم والفُرقة أخطر الآفات التى تقضى على سعادة المجتمعات والشعوب، وترديهم فى مهاوى التهلكة وتجرهم الى وحل المعصية وتظل تفرقهم شيعا حتى تجعلهم ينفصلون عن الدين: قال تعالى: ﴿**إنَّ الذينَ فرَّقُوا دينَهم وكانوا شيعاً لستَ منهم فى شىء إنما أمرُهُمْ إلى اللهِ ثم ينبئُهُم بما كانُوا يفعلون**﴾.

● بل ان العلم نفسه وهو من اهم دعائم الامم حين لا تخلص فيه النية لله تعالى ويخلو من روح الاخلاص تتسرب الى ميدانه آفات ورذائل فتميل به يمنة او يسرة فتكون النتيجة هى الاختلاف من جراء البغى والحسد والعناد والتعصب.

● فدعوة الوحدة اذن لابد لها من فكر صاف مستنير لا تشوبه آفات الفرقة والاختلاف ولذا نجد القرآن الكريم حين ينبه الى هذا الخطر الداهم من جراء البغى والعصبية يدعو الى اساس من التوحيد الخالص والتمسك بهذا الدين الحنيف قال سبحانه: ﴿**إنَّ الدينَ عندَ اللهِ الإسلامُ وما اخْتلفَ الذينَ أوُتُوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهُمُ العِلْمُ بغياً بينهم ومن يكفر بآياتِ اللهِ فإنَّ الله سريعُ الحساب**﴾.

اساس الوحدة

وكما بين الله ان اساس الفرقة والاختلاف يكون من التعصب والبغى والحسد والعناد وما الى ذلك، فقد بين اساس الوحدة التى يدعو اليها الاسلام وذلك هو الدين والاعتصام بحبل الله ففى ذلك القوة والخير والسعد والفوز فى الدنيا والآخرة ولطالما تعثرت خطا البشرية بأشواك الحياة الجافة القاسية واضطربت فى جو ملبد خانق فبينما كانت تعانى من ظلام دامس واضطراب فى شتى





نواحى الحياة كانت وطأة الصراع المادى وكان بطش القوى بالضعيف وتطاول الغنى على الفقير حتى جاء الاسلام بظلاله الوارفة . . وقوانينه العادلة وكتابه الحق . . ورسوله البشير النذير الذى اخرج الناس من الظلمات الى النور فهدى الناس من الضلالة ووحدهم من فرقة وخلصهم من اثقال واغلال وهداهم الى صراط مستقيم .

التحذير من الفرقة :

ولقد دعم الاسلام اواصر الوحدة وذكر الناس بفضل الله عليهم بكل ذلك وحذر المؤمنين ان يطيعوا دعاة الفرقة والاختلاف وذكرهم بما كان عليه الاوس والخزرج قديما حين دبت العداوة فى صفوفهم ونشبت بينهم الحروب المتطاولة حتى جاء الاسلام فأطفأ نار الفتنة واخمد شرها وجمعهم على كلمة الحق وألَّف بينهم برسول الله صلى الله عليه وسلم .

● وتدعيما لأصول تلك الوحدة وترسيخا لبنائها كلف الله تعالى هذه الامة بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر انتصارا للدين ودفعا لآفات الشر والفساد التى قد تثار حول حماه او ترتكب فى الوطن الاسلامى .

● وقد وجه الرسول ﴿ﷺ﴾ امته الى اساس الوحدة وهو الاعتصام بحبل الله . . عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ «ان الله تعالى يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا فيرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وان تناصحوا من ولَّاه الله امركم ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال» . . رواه مسلم .

■ وهكذا وجَّه الحديث التحذير من الفُرقة والاختلاف «ولا تفرَّقُوا» وجاء هذا النهى بعد الامر بالاعتصام بحبل الله لبيان ان من اعتصم بحبل الله فهو بعيد عن التنازع بعيد عن التفرقة اما الاعراض عنه والتماس الاعتصام بغيره ففيه الضلال «من التمس الهدى فى غيره اضله الله» .

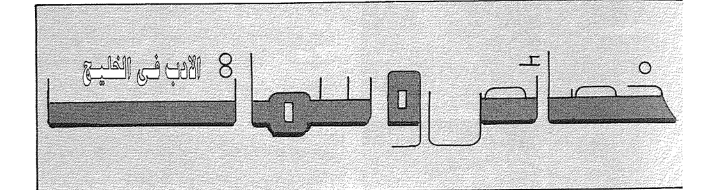
■ والناظر الى التشريع الاسلامى يجده قد دعا المسلمين الى الوحدة عن طريق عملى وتطبيقى كما دعاها فى سائر نداءاته ووصاياه من خلال الهدى القرآنى والسنة المشرفة . . لقد طبق الرسول ﴿ﷺ﴾ معالم الوحدة والتضامن ووحد بين المسلمين فى اول اساس من اسس المجتمع الاسلامى فى المدينة حيث آخى بين المهاجرين والانصار وابرم وثيقة هذا التضامن فى صورة من الوحدة والاخوة والتعاون بشكل لا تعرف الدنيا له مثيلا .

■ وتمضى تشريعات الاسلام فى غرس اصول الوحدة وتقوية روح التضامن بين المسلمين فى الصلاة وفى الصوم وفى الزكاة وفى الحج . . فصلاة الجماعة لها من المثوبة ما يزيد على صلاة الفرد . . وفى صلاة الجمعة اجتماع اسبوعى كبير وفى صلاة العيدين اجتماع اكبر فى كل عام ثم فى فريضة الحج اجتماع اكبر واعظم .

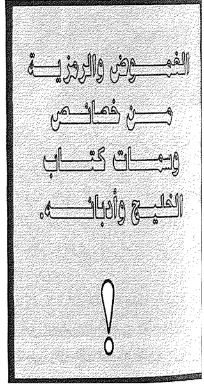
■ ويؤكد الرسول ﴿ﷺ﴾ جوهر الوحدة فى قوله : «يأيها الناس ان ربكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على اسود ولا لأسود على احمر الا بالتقوى» رواه احمد .

● الأدب العربى فى الخليج تأثر بالعديد من الصور والافكار المنقولة من الثقافات والحضارات المهاجرة عبر رمال الخليج وشطآنه ووديانه.

● الادباء الخليجيون حرصوا على ابراز دور الفن فى نشر الوعى الاجتماعى والتربوى والسياسى من خلال الأدب المقروء والمسموع.

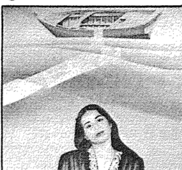


بقلم: عبد الرحمن العبيد



اذا حاولنا تدقيق النظر فى الخريطة الجغرافية والتاريخية لموقع الخليج العربى فانه تبرز لنا عدة ملامح وامور لا تدع لنا مجالا للاحتماء خلف جدران الاحتمالات والشكوك ذلك ان هذا الموقع الجغرافى المتميز لهذه المنطقة من العالم جعلها معبرا للعديد من الاجناس واللغات والديانات التى تآلفت منها كثير من الثقافات التى حملها جموع النازحين المهاجرين والعابرين عبر هذه المنطقة الى شتى بقاع العالم تاركة بعض اثارها وجزءا كبيرا منها فى رمالها وعلى شواطئها المترامية الاطراف والممتدة لمسافات طويلة بحيث احتلت جميعها مساحة كبيرة فى عقلية ابن الخليج الذى انبهر اول الامر بهذه الثقافات والمعتقدات والاديان التى وفدت اليه، ومن ثم راح يعاملها ويتفاعل معها.

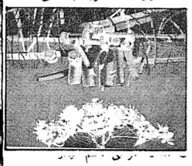
● منظر عام من مدينة الدوحة بتنسيقها العمراني الرائع.



● الامل الباقى للفنان عبد الرسول سلمان



● تشكيلية للفنانة ثريا البقصمى



كما نستطيع ان نضيف ايضا ان هذه المنطقة التى هى فى الاصل منطقة بحرية كان لها السبق فى الاتصال بالحضارات الاخرى فى قلب آسيا وجنوبها بحيث اصبحت حضارة الديلمون ـ على سبيل المثال ـ وهى حضارة سواحل الخليج فى جزيرة فيلكا بالكويت والبحرين ـ واسطة بين حضارة البابليين والحضارة الهندية والتى اثرت ـ هذه الحضارة ـ وتأثرت بما حولها من مظاهر وهياكل حضارية تميزت بها هذه البقعة من العالم.

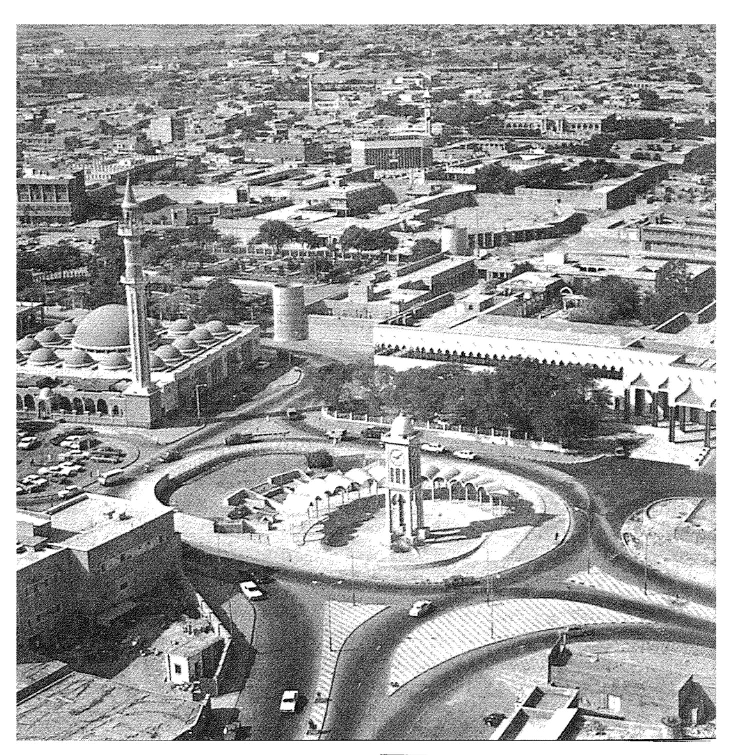
ولعل ما تميزت به هذه المنطقة باتصالاتها التجارية الواسعة مع اطراف ودول كثيرة بامتداد هذا الجزء من العالم واتساع دول العالم، نقول اوجد هذا الاتصال ـ نوعا من الانفتاح التجارى والاقتصادى ربط بين هذه الدول ودول منطقة الخليج مثلما ربط بينها بالعديد من الصلات والعلاقات الثقافية والدينية التى تأصلت عبر الايام والسنين.

نعود فنؤكد هنا مرة اخرى ان خاصية الانفتاح على تجارة واقتصاد العالم وكذا الانفتاح على ثقافات وافكار العوالم الاخرى المحيطة بدول الخليج بالاضافة الى فرصة الاطلاع والانفتاح والتأثر بحضارات اخرى وعقائد ولغات واديان شعوب اخرى كان مدعاة الى ان تتأثر اللغة العربية ـ كما تأثرت بذلك ثقافة وحضارة وعادات وتقاليد دول الخليج بفضل هذه الهجرات والحركات بحيث اننا نستطيع ان نلمح بل ونرصد محاولات الشعراء والادباء العرب فى الخليج ادخال العديد من المفردات الهندية والاردية والصينية والفارسية بل وكلمات كاملة وعبارات بحالها الى اشعارهم وكتاباتهم.

ونستطيع القول باستمرار هذا التأثر اللامحدود بهذه الثقافات والحضارات المهاجرة عبر رمال الخليج وشطآنه ووديانه التى اثرت فى ادب وفكر ابناء الخليج بصفة عامة وهذا يمكن ان نطلقه على معظم ادب الخليج وفكره عبر مسافات طويلة موغلة فى الزمن بصفة مباشرة.

وليس ادل على هذا من تأثر الادب العربى فى الخليج بالعديد من الصور والافكار التى تم نقلها حتى اصبحت صورا بارزة لمدى التأثر الخليجى بالحضارات والثقافات التى تميزت بها هذه المنطقة من العالم والتى عبرت الى مناطق اخرى عبر شبه الجزيرة العربية ودول الخليج بالتحديد.

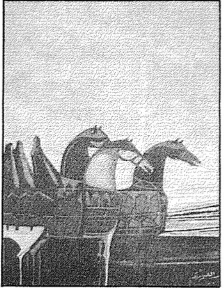
ولعلنا نستطيع ان نؤكد هنا ان هذه المنطقة ظلت ولمدد طويلة مهددة من قبل بعض العناصر الاسيوية المهاجرة والتى كانت تتميز بارسال اعداد كثيرة من ابنائها إلى الخليج.

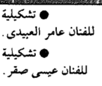


من هنا نستطيع ان نتبين اول ملمح يتصف به الادب العربى فى الخليج وهو سمة الانفتاح الفكرى والثقافى على ثقافة وفكر الغير والذى جاء نتيجة انفتاح هذه المنطقة جغرافيا واقتصاديا وسياسيا وتعرضه للكثير من الهجرات الجماعية، فقد تأثر ادب الخليج بهذه الهجرات مثلما استطاع ان يؤثر ايضا سواء سلبا او ايجابا فى البيئة الفكرية والثقافية لادب هذه المنطقة المحيطة به.

وبقدر ما تأثر الادب العربى وظهرت استجابته لهذه الهجرات واتصف تبعا لذلك بسمة الانفتاح الفكرى بقدر ما كان هذا مدعاة الى نشأة تيار اخر اوجد سمة اخرى اتصف بها واعنى ان هذه الهجرات التى تلازمت معها صفة الانفتاح اوجدت نزعة اخرى مضادة ظلت ملازمة لأدب الخليج وفكره وهى ازدياد حدة الوعى القومى العربى.

■ وعلى سبيل المثال فإن الشاعر الذى تنضج مداركه ويزداد وعيه لتقبل معطيات الاخرين الثقافية والفكرية فانه انما يصدر عن وعى كامل واحساس لا يغادره بأن هذا كله يتم من خلال شعوره بانه عربى وليس من واقع شعوره بالعالمية او الاممية.. فهو يتقبل





● تشكيلية
للفنان عامر العبيدى.
● تشكيلية
للفنان عيسى صقر.

ويترك لنفسه حرية ان يتأثر او لا يتأثر باحساس واضح انه عربى ولقد ظلت التهديدات السياسية التى ما برحت تنشأ بين دول هذه المنطقة عبر التاريخ تغذى هذا الشعور الحاد بالوعى القومى العربى. . وهذه الظاهرة مخالفة تماما ومعاكسة لظاهرة أو سمة الانفتاح التى تميز بها الادب العربى فى الخليج.

وفى اعتقادى ان هذه السمة او هذا الاتجاه فى الادب العربى فى الخليج نشأ لمواجهة المغالاة والتسيب فى التأثر بثقافات وادب الاخرين ونستطيع تلمس ظاهرة او سمة الحرص على تنمية الوعى القومى العربى من خلال استعداد ادباء الخليج وتقبلهم لكل التيارات الفكرية شريطة ان ينبع هذا من موقع الكيان الفكرى الذاتى والقومى.

وهذا بالضبط يدعونا الى القول ايضا بان ادبنا العربى فى الخليج قد تميز ايضا بحرص - ادبائه الخليجيين - على ابراز دور الفن فى نشر الوعى الاجتماعى والتربوى والسياسى من خلال الادب المقروء والمسموع بحيث ولج الشعر هذا الميدان - على سبيل المثال والتجربة - لخدمة الاغراض القومية والسياسية لأبناء وشعب الخليج، كما استطاع هذا الاتجاه ان يؤثر بشكل ايجابى فى وحدة دول الخليج السياسية. . كما استطاع ان يشكل هذا فى النهاية ملمحا بارزا فى ادب الخليج وثقافته. وكما سبق ان اسلفنا انه نتيجة للمغالاة فى الاعتماد على ترك باب الانفتاح مفتوحا امام كل شىء واى شىء، نقول ان هذا الاتجاه اصابه داء التضخم لدرجة ان الباب ظل مفتوحا ايضا امام ادب الشعارات الذى استهلك الكثير من طاقة شعوب هذه المنطقة وكان ذلك على حساب الفن الذى ظل ادباء الخليج القدامى حريصين عليه حرصهم على الاجادة والتميز والتفرد.

■ ان التاريخ السياسى لهذه المنطقة من العالم قد دفع بأدب الخليج الى ان يسلك طريقا نكاد ان نصفه بالعالمية بمعنى ان ظروف دول العالم تدفع بابناء اى وطن واى ارض الى تبنى فكرة الالتزام بقضايا هذا الوطن ونعنى بهذا الالتزام فى معناه الذاتى وليس الالتزام المصطلح وبقدر ما اصاب التطور الحركة الوطنية فى بلدان الخليج بقدر ما ازداد اثر هذه الحركة فى تغذية حس الالتزام والشعور بالانتماء القومى بعد الخمسينيات حيث تزايد المد القومى لحركة القومية العربية.

ولقـد ساعـد هذا كله على بروز واتساع الحس القـومى الملتـزم بقضـايا الوطن فى ربوع الخليج . . وبلدانه التى كانت فى امسّ الحاجة الى زيادة وعيها القـومى حتى تحافظ على كيانها ووحـدتها السياسية وتحـافظ ايضـا على حريتهـا السياسية واستقلالها فى مواجهة موجات الغزو الاجنبى بكل اشكاله ووسائله .

■ ولا نستطيع ونحن نعرض خصائص وسمات أدب الخليج ان نغفـل سمـة الغموض والرمزية التى لجأ اليهـا كتـاب الخليج وادباؤه فانه وان كان الغموض والـرمـزية ليست الا نوعـا من الاختباء الادبى فان الـرمـزية بمعنـاها الاكاديمى المتعارف عليه ليست سوى نوعـا من التجربة الادبية التى تستخدم فيها الكلمات لاستحضـار حالات وجدانية سواء أكانت شعـورية او لا شعـورية بغض النـظر عن الماديات الملموسة التى ترمز اليها هذه الكلمات وبصرف النظر عن المحتوى التمثيلى والعقلى الذى تضمنه ذلك . . ان التجربة الادبية ما هى الا تجربة وجدانية فى المقام الاول .

على ان الغمـوض الـذى لجأ اليه ادباء الخليج وغرقوا فيه كان غموضا ذاتيا كما انه كان مقصودا لذاته على اعتبـار ان الرمزية تطوير وامتداد لامكانياتنا فى التعبير عما بداخل انفسنا وعقولنا .

■ ونستطيع القول بان ظاهرة الرمزية هذه لم تكن الا استجـابـة امينـة ودقيقة للظروف التى عاشها ادب الخليج فانه فى اعتقادنا ـ كان مجبورا على ان يعبر عن نفسه بهذه الطريقة وهذا الاسلوب الذى اسميناه من قبل اسلوب الاختباء الادبى وراء الرمز .

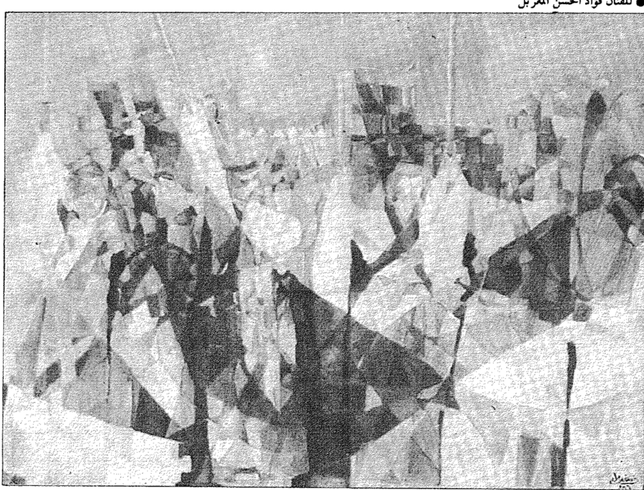
على ان الغموض والرمزية فى حد ذاتها حركة ذاتية ـ كما سبق القول ـ ناشئة بمعنى انه لا يمكن ارجاعها الى الاصول الذاتية او الانسانية لأبناء الخليج ولذا فإنا نجد أن هذه الخصيصة كانت تأثيرا مباشرا بفعل هذه المـوجـات النفسية والـذاتية فى الحس والشعور تشكلت مع الاحداث والتيارات التى اوجدت هذا الغمـوض الذاتى الذى اصبح سمة مميزة لا يمكن التغاضى عنها فى معرض حديثنا عن الادب العربى فى الخليج .

■ ويبقى ان نقول انه بقدر ما اتصف هذا الادب بانفتاحه وغموضه والتزامه جنبا الى جنب مع زيادة الوعى القومى العربى فيما يعرضه هذا الادب نجد انه ايضا كان ادبا رافضا بحكم ان هذه المنطقة من العـالم كانت موطن حركات المعارضة والرفض ولقد تأكـد هذا بعد ظهور الاسلام حين تبنى قطرى بن الفجاءة جناح المعارضة والرفض الاسلامى فيما اطلق عليه وعلى من سار خلفه انذاك «الخوارج» وألقت هذه الصفـة بظلالهـا واشكـالهـا وافكارها على كل أنواع الادب سواء المكتوب او المقروء او المسموع فى بلدان الخليج .

● للفنان التشكيلى السعودى عبد الجبار اليحيا .



● للفنان فؤاد الحسن المغربل



■ كما اننا لا نستطيع ـ ونحن فى معرض الحديث عن صفات وخصائص هذا الادب الخليجى المتميز أن نغفل اهم ما يتصف به هذا الادب على الرغم من محاولاته المتعددة للتعبير عن مشاكل قومية والمشاركة العربية فى بعض القضايا العربية التى تهم مجموع العرب، الا ان هذا الادب ظل وفيا لمحليته واقليميته، بمعنى ان ادب الخليج ظل ادبا محليا صرفا ولم تتح له فرصة المشاركة العربية الواسعة او الاستجابة للتيارات العالمية لقضايا العالم ومشاكله الانسانية سياسية كانت او اقتصادية او فكرية.

■ ونحن لا نستطيع ـ ايضا ـ ان نلوم او نشير بأصابع الاتهام لادبائنا العرب فى الخليج باعتبار انهم مسئولون عن هذا.. ذلك ان الستار الحديدى الذى فرض على هذه المنطقة من العالم وعلى شعوبها وابنائها فى المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فرض هذا النوع من العملة السياسية والفكرية والثقافية فى وقت سابق على هذا القرن الذى نعيش احداثه وامتدت حتى وقت متأخر من هذا القرن.

■ وهذا يعنى باختصار أن هذه المحلية لم تكن ناشئة عن عجز اصاب أدباءنا فى الخليج بقدر ما هى ناشئة عن افتقار اديب الخليج آنذاك الى عنصر الاحتكاك المستمر بثقافات الاخرين مثلما استغرقت مشاكل وقضايا الوطن كل اهتمام وحماس اديبنا الخليجى الذى وجد نفسه غارقاً فى تيار الذاتية الوطنية وقد استغرقته الحالة السياسية والاقتصادية والفكرية والثقافية التى تردت فيها بلدان الخليج بفعل الاحتلال الاجنبى وبفعل غيابها عن مسرح احداث العالم الذى اصابه الكثير من التغيرات بتأثير رياح التغيير التى راحت تقلب كل شىء رأسا على عقب خاصة فى اعقاب الثورة الصناعية التى حدثت فى اواسط القرن الثامن

عشر وبداية القرن التاسع عشر.

■ من هنا نستطيع ان نوجز ما اسلفنا في بضع كلمات عن خصائص وسمات هذا الادب الذى عبرنا عنه بسمة الانفتاح وازدياد الوعى القومى العربى وتعاظم حدته بالاضافة الى خاصية الالتزام بقضايا الوطن ولجوء هذا الادب في اغلب الاحيان الى الغموض والرمزية هربا من المباشرة وتعبيرا عن مكنونات الذات في جو ساده القهر والارهاب ومقاومة الادب والادباء في فترة الاستعمار زد على ذلك افتقار هذا الادب الى عنصر الاحتكاك المستمر بافكار وثقافات الاخرين وظل غارقا في محليته واقليميته.

لعلنا نستطيع ان نضيف هنا انه على الرغم من محلية ادب الخليج القديم والمعاصر واستغراقه في اقليميته وذاتيته الا انه لم يتمكن بعد ولم يعبر بشكل واضح ومتفرد عن المجتمع الخليجى.

● ان الادب العربى في الخليج قد اتيحت له الفرصة كى يعبر عن نفسه وعن اصالته ان هو استفاد من الظروف المحيطة به من خلال تكثيفه الحى لما يمر به هذا المجتمع من احداث وتطورات ويطرح عليه من افكار ونظريات ويبلور هذا في قالب ادبى او فنى.

● ان هذا يحتاج الى خيال جديد وادوات ادبية جديدة قدر ما يحتاج الى شجاعة ادبية متعاظمة للغوص داخل اعماق ووجدان هذا المجتمع لاستخراج مكنوناته والتعبير عنه بصدق وحرارة فالمادة الانسانية والفكرة الادبية موجودة وبوفرة لكنها تحتاج الى شجاعة التعبير عنها من خلال الاطر الفنية والادبية وذلك بقصد ايقاظ العقل العربى والضمير في هذه المنطقة من السبات الذى راح يغط فيه.

● ان الادب العربى في الخليج ينبغى له ان يصنع هذا الانسان الجاد الذى تتمثل فيه بذرة المجتمع العربى في المستقبل وهذا الانسان موجود بالطبع لكننا في حاجة الى اعادة اكتشافه من جديد في مجتمع النفط الجديد وهذا في اعتقادى يحتاج الى مزيد من الجهد حتى يمكن التعبير عن المشكلات والتعقيدات الواقعية التى خلفها الزلزال في حياة وسلوكيات ابناء الخليج.

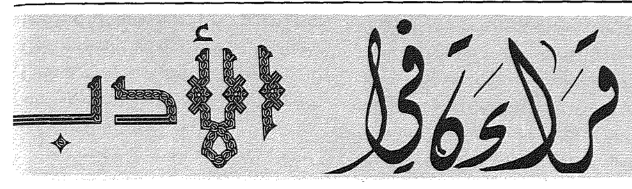
■■ والادب العربى في الخليج ينبغى له ان يعيد طرح قضية الانسان العربى من جديد فهو انسان اصيل وذو قيم ومبادىء كما انه انسان حضرى متميز وناقد جاءته الفرصة مرة ثانية كى يثبت كذب وادعاء من ارادوا تشويهه ومحاولة القائه في مزبلة التاريخ.. فليس صحيحا ان الاحساس المادى بالحضارة افقد الانسان العربى حسه وضميره وقيمه فليس العربى هكذا ولعلنا ان رجعنا الى التاريخ القريب والبعيد نلمس انه قد كانت للعرب رسالة يوم لم يكن لهم الثروة المادية وهم الان في حاجة الى تأكيد هذا الدور بعد ان تملكوا هذه الثروة المادية بحيث ينبغى تسخير هذه الثروة في ابراز هذه الصورة: الرسالة والدعوة لها.

■■ والتحدى الذى يفرض نفسه على العرب هو ايجاد حل لهذه المعادلة التى فرضت نفسها على جموع العرب والفكر والادب والثقافة الذى يحمل لواء المسيرة العربية نحو تأكيد هذه القيم الحضارية والانسانية التى يتمتع بها العرب واستخدام هذه الثروة المادية العظيمة في ترسيخ هذا كله.

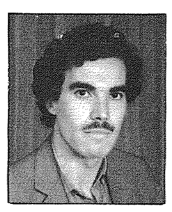
ثم لعله ان الاوان كى نختم هذا الجزء من دراستنا عن ادب الخليج وسمات وخصائص هذا الادب لكن لا ينبغى ان يفوتنا هنا التنويه الى ان ادبنا العربى فى الخليج مدعو الان قبل اى وقت مضى الى اخذ زمام المبادرة فهو يملك من الامكانيات المادية ما يمكنه من ان يقول كلمته، وان يسمعها القاصى والدانى ومن ثم فلا عذر له ان هو تخلى عن دور القيادة فى المسيرة الحضارية لابناء الخليج فى زماننا الذى نعيشه الان هذا العصر الذى بات يستخدم الانسان فيه جميع ما لديه من ادوات وامكانيات لابراز مقوماته ومكوناته الحضارية ويحاول عرضها على مسرح الحياة المعاصرة والادب والفن احد هذه الادوات التى نحاول هنا على هذه الارض ان تتأكد قيمتها وان يتعاظم دورها.

● فترة حكم الولاة فى الأندلس لها ميزتها من حيث طبيعة الشعر وخصائصه ومن

● وراء النثر كانت دوافع وأسباب منها ما كان دينيا ومنها ما كان سياسيا وك



● لولا تأثير المشارقة على الأندلسيين لما وجد شعر ولا نثر



بقلم: الغلاب سعيد (المغرب)

يمكن تقسيم تاريخ الادب الاندلسى الى عصور وفترات، وقد اختلفت فيما بينها بتباين سمة الحكم هناك إضافة الى تمايز المؤثرات السياسية والاجتماعية والثقافية داخل هذا الادب.

وهذا التقسيم له خصوصياته من جهة الدلالة باعتبار أن كل فترة تعكس لنا لحظة زمنية عاشها الادب والادباء، من قوة أو ضعف، من تقهقر أو استماتة.

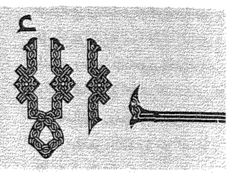
ولعل اهم هذه الفترات هي فترة الولاة الذين حكموا الاندلس وهى فترة لها ميزتها من حيث طبيعة الشعر وخصائصه، ومن حيث طبيعة الحكم فى ذلك الاقليم، ومن حيث الجو الثقافى العام الذي سيطر على هذه الحقبة.

بادىء ذي بدء تتسم فترة الولاة بالتمزق والتفكك خاصة وأننا إذا أردنا استقراء خريطة الأندلس لوجدنا أن العناصر البشرية التى كانت تقطن هذا البلد عناصر مركبة وممتزجة من عرب وبربر واسبان، وكان من شأن وجود هذه العناصر استدعاء عنصر الصراع بينها من أجل المصالح، فهناك تطاحن العرب والبربر وهناك تقاتل العرب فيما بينهم من أجل البلوغ إلى مقاليد السلطة والحكم، وهناك تنازع العرب والاسبان.

■ فى هذه الحالة المتردية بدأت شحنات النزاع وإحداث القلاقل

طبيعة الحكم فى هذا الاقليم ومن حيث الجو الثقافى العام الذى سيطر على هذه الحقبة.

قرطبة هو النواة الأولى لتخريج أفواج من حملة العلم.



الأندلس

بين هذه العناصر فالجو العام جو الفوضى والاضطراب السياسي والنفسي بشتى المظاهر.

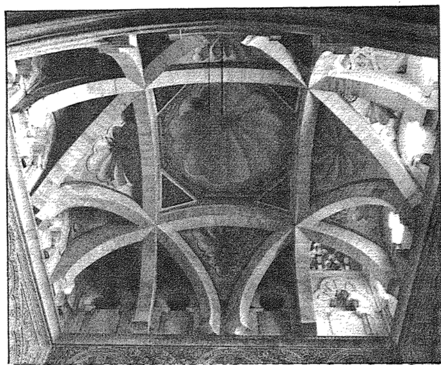
فبداية القرن الأول الهجرى مرحلة حكم الولاة وقد سموا بهذا الاسم لأن الملك الذى كان يحكم كان يختار ولاته من شمال افريقيا أو من دمشق. وهذه المرحلة بالطبع عكست الصراع الدموي بين مختلف العناصر المنصهرة ولكن هذا الانصهار محكوم بعصبيات دموية تثير القلق والضجر والعدوان. فأمام هذه المحنة المأساوية من فترة الحكم لا نستطيع الحديث عن الثقافة أو العلوم لأنها مرحلة تمهيدية لخلق النظام، فهذا تاريخ السياسة والحروب لا الثقافة والعلوم، لكن البحوث التاريخية تشير بكبير الدقة والوضوح حتى وإن كان العصر

● منظر قطاع من قاعة السفراء بقصر أشبيلية



عصر فتن وحروب لكنه عرف لونا من الثقافة ذلك أن العرب أو الفاتحين المسلمين حملوا معهم كتب العلم والمعرفة خاصة كتب الفقه والتفسير وراحوا يعلمون الناس لغة القرآن ويبينون لهم الاساليب العربية وحرصهم الشديد على تفقه معاني القرآن ومقاصد الحديث.

■ وما فى هذا من شك فى أن



● قبة المحراب بجامع قرطبة

نتحامل على هذه الفترة ونحكم عليها أشد الحكم فلو نظرنا بعيون متمعنة لوجدنا أن ثقافة تلك المرحلة اصطبغت بنوع من التواضع والحذر كوجود حلقات بعض المساجد المنتشرة فى بعض البلدان مع قلة الاساتذة. وقد نشأ الادب ضئيلا متعثرا مع النفر الذين كانوا يخدمون الولاية الاسلامية آنذاك، وهذا النزر اليسير من الادب يعتبر بذورا جنينية لتفتق الأدب بالأندلس.

■ أما شعر هذه الفترة فيقتضي منا العودة أدراجا الى العنصر البشرى، فتواجد العرب داخل الاندلس يعني حضور ملكتهم الشعرية، ومواهبهم الفنية، وقدراتهم على الخلق والابداع فقد نظموا الشعر وا توا بالقصائد، وقد حفظت لنا المراجع مختلف أسماء الشعراء الذين قالوا الشعر ونكتفي بذكر واحد منهم لكي نمثل به شاعر عصره وهو أبو الأجرب جعونة ابن الصمة والذي قيل فيه لو أنه أنصف فى شعره لبلغ مرتبة جرير والفرزدق. وأبرز الأغراض التى قيلت فى تلك المرحلة المدح والهجاء، الوصف، الحماسة، الفخر، ولكن الأمر الهام هو أنه يصعب تحديد خصائص هذا الشعر ومميزاته لأننا فى الحقيقة لا نملك نصوصا أو نماذج مختارة نمثل بها شعر تلك المرحلة. . من هنا يمكننا القول بأن هذا الشعر الذي قيل فى الأندلس ليس له من الأندلسية إلا لأنه قيل فى الأندلس.

■ فحقيقة هذا الشعر الذي قيل لمشارقة وافدين من مختلف الأبقاع إبان الفتح الاسلامي. . كما تحسن الاشاره الى أن الطابع الذي يغلب على شعر هذه الفترة هو طابع التحفظ كما كان عليه المشرق من حيث الأغراض والبناء والصور فقد أجرى الشعراء موضوعاتهم على أغراض فنية متداولة فى المشرق وصبوا نماذجهم القليلة فى قوالب محافظة كلاسيكية تعنى بجزالة اللفظ وفخامة المعنى دون توصل لعمق الفكرة مع العناية بالأساليب الفنية.

■ أما نثر هذه المرحلة فقد عرف أفقا واسعا فى ميدان التأليف وإن كان الباحثون يشيرون إلى أن نثر هذه المرحلة كان ضئيلا ولكن يجب أن نشير إلى أن نثر هذه المرحلة وإن كان ضئيلا لكنه كان أوفر حظا من الشعر فقد كانت هناك أسباب ودوافع لهذا النثر فمنه ما كان يستعمل فى الخطابة لوعظ الجنود للحرب واستنهاض هممهم فهنا نرى السبب سياسيا. . .
وهناك دافع ديني كان النفر من الصحابة والتابعين يسلكون سبيل الوعظ والارشاد فكان لزاما عليهم أن يستعملوا اسلوب التوجيه فى خطبهم وتعليمهم فالكتابة كانت ضرورة تفرضها ظروف المرحلة سواء أكانت ظروفا شخصية أو عهودا أو رسائل.

وقد برز فى تلك الفترة كتاب

أكفاء نذكر من بينهم أمية بن يزيد وخالد بن يزيد الذى كان يعمل ليوسف الفهري وهو أحد ولاة الأندلس. أما عن خصائص هذا النثر فهى تشبه الى حد بعيد خصائص النثر المشرقي المعروف فى عصر بنى أمية بحيث تميز النثر بالقوة والجزالة فى العبارة أكثر من العناية بتجميلها.

■ إما إذا ما انتقلنا الى فترة تأسيس الامارة فإننا لا نجد قطيعة بين مرحلة وأخرى بقدر ما نجد أن الفترة الأولى كانت بداية تأسيس وتمهيد المناخ للفترة اللاحقة وقد اتسمت فترة تولي عبد الرحمن الداخل وابنه هشام وحفيده الحكم بأهمية بالغة من الناحية السياسية وذلك لمعالجة كثير من الامراض إبان عهد الولاة بحيث لو كشفنا غطاء هذه المرحلة لوجدناها تتسم بالاضطراب والانشقاق فى صفوف السكان من عرب، وبربر، وإسبان. فقد قضى عبد الرحمن الداخل على كل هذه الأمراض كالثورة، والتمرد والأرستقراطية، وذلك قصد بناء النظام وتدعيم الحكم، ومعالجة الأمور السياسية. وقد عمل عبد الرحمن الداخل على كسر شوكة هؤلاء المتمردين وقضى عليهم قضاء مبرما ومع هذه الحالة ظهرت طبقة اجتماعية تسمى بطبقة المولدين وهي الطبقة الاسبانية التى اعتنقت الاسلام، وصبغت حياتها بصبغة العروبة والاسلامية.

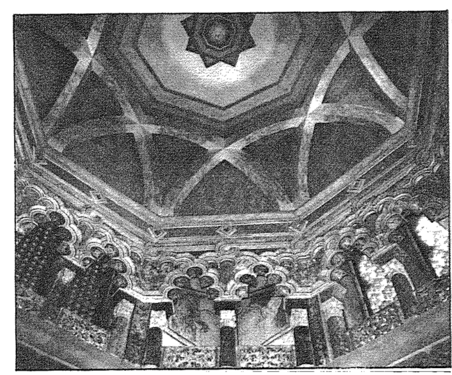
■ وهناك مظهر آخر من المظاهر الاجتماعية فى فترة تأسيس الامارة الأموية وهو ميدان الانعاش والتعمير كتأسيس جامع قرطبة، واتخاذ الرصافة مقراً للخلافة غير أن إعجابنا بهذه الفترة ازداد وذلك ببروز العنصر النسوي فى ميدان الفن بحيث كانت شخصية المرأة معروفة فى مجال الغناء والموسيقى. وهكذا عرفت هذه الفترة نوعا من الاستقرار النسبي وبدأ المجتمع يفتح عينيه على بواكير حضارة جديدة أراد الأمويون خلقها فى المشرق.

■ ومع هذا وذاك برزت معالم الثقافة الاسلامية الحقة من خلال عوامل متنوعة منها فرار نفر كبير من الأمويين إلى الاندلس فرارا من بطش العباسيين الذين استولوا على الحكم أو طلبا لعيش حياة هنيئة لما سمعوه عن هذا الاقليم الاسلامي من خيرات.

والمعروف أن أغلبية المصادر ترى أن الذين قدموا الى الاندلس ممن يحملون معهم زادا معرفيا وقدرا من العلم استطاعوا من خلاله أن يبثوا الثقافة فى البلاد، إضافة الى رجوع أغلبية الاندلسيين الذين نهلوا من تراث المشرق الى بلادهم ولا ننسى نقطة هامة وهى الدور الفعال الذى قام به مسجد قرطبة الذى يعتبر النواة الأولى لتخريج أفواج من حملة العلم.

■ ومما لا شك فيه أن هناك دافعا هاما غيّر مجرى الحياة الثقافية بالاندلس وهو مسألة المذهب بحيث كان المذهب الأوزاعي هو المذهب الأكثر انتشارا لكن ما لبث أن تغير وتم استبداله بالمذهب المالكي فترة حكم عبد الرحمن الداخل وذلك على يد طائفة من العلماء الذين درسوا المذهب المالكي فى المشرق وبذلك أصبح المذهب الرسمي للدولة. وهناك من الفقهاء من وافق على هذا المذهب وهو يحيى بن يحيى الليثي الذى درس على يد الامام مالك نفسه وقد أصبح من خاصة هشام بن عبد الرحمن الداخل، وما جعل أيضا الأندلسيين يوافقون على هذا المذهب أنه وافق طبيعتهم العقلية.

■ وهكذا نجد أن أولية الأدب الاندلسي تنطلق ببروز جيل من الادباء الاندلسيين ولم نلاحظ ظهور أدبيات لأن الادب لم يكن مقتصرا على الشعب وحده بل شارك فيه الحكام والولاة ومن هنا تظهر الميزة الخاصة التى تطبع هذا الأدب بأنه أدب متميز عن غيره رغم أنه لم يظهر بصورة واضحة، ولكننا سنجد فى هذه الفترة نماذج أدبية شعرية ونثرية ليست بمشرقية



● قبة مصلى قصر الجعفرية

ولا بمغربية وإنما هي من صميم البيئة الأندلسية.

■ فقد برز شعر هذه الفترة بصورة واضحة بالرغم من أن الاتجاه الشعري هو اتجاه محافظ كلاسيكي إلا أنه اتسم بالجزالة والقوة وإحكام العبارة مع التطرق الى شتى الاغراض الفنية من مدح وهجاء ووصف وحماسة وفخر وهذا ما نجده عند شاعرنا الموهوب أبا المخشي الذى مدح عبد الرحمن الداخل فى إحدى انتصاراته. ولو حاولنا تسليط الأضواء على بعض النماذج الأدبية لوجدنا أن الشعر ظل محافظا على طابعه المشرقي وذلك من حيث بناء القصيدة ووحدة الروي وموسيقية الايقاع، والنبر الذى تحدثه الغنة عند نهاية كل مقطع. كل هذه المواصفات توحي بمسيرة الشعر الاندلسي على درب الشعر المشرقي من حيث وصف الرحلة والوصول للممدوح وتحمل العناء، والصور الشعرية المستنبطة من الاسلوب البدوى القديم من حيث الجزالة والمتانة والابحر الطويلة والتفاعيل الكثيرة والقوافي الرنانة.

■ ونود هنا أن نتساءل عما إذا كان هذا الأدب والشعر هما محاكاة وتقليد للمشرق أم أنهما من إنتاج وخلق الأندلسيين؟

كثير من الباحثين يرى أن سير الاندلسيين على شاكلة المشارقة إنما هو بدافع التقليد ونحن نود أن نجيب بأن هذا ليس تقليداً برمته ذلك لأن بيئة شبه الجزيرة العربية مخالفة للبيئة الاندلسية وأن الظروف التى نشأ فيها وترعرع الأدباء والشعراء هي غير الظروف التى عاشها الاندلسيون رغم التبادل المعرفي فى مراحله الاولى من بداية تاريخ الاندلس. فالمواضيع التى تطرق لها الاندلسيون تشبه موضوعات المشارقة، ذلك أن الانعكاسات البيئية خلقت نفس الأدب بالاندلس، فالحرب والعنف، والهدوء والاستقرار كل ذلك من خصائص الابداع والقول الشعري والبوح النفسي.

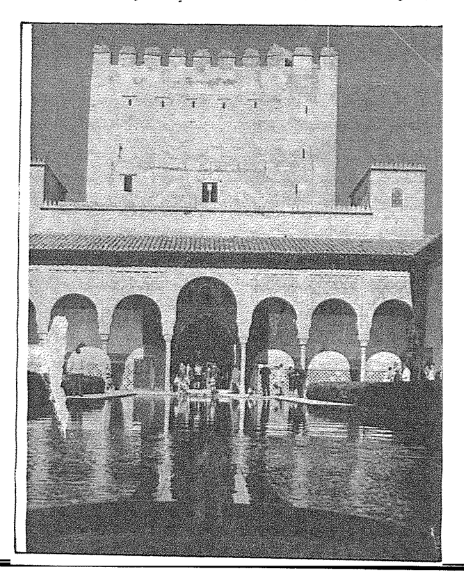
■ فليس هناك إطلاقا شاعر لم يتغن بقصائده فى هذا المضمار، فهذه الخصائص تضطر الشاعر أو الأديب أن يعكس إحساسه فى إنتاجه الفني وأن يتطرق الى أغراض بعينها كانت سائدة فى المشرق من مدح الخلفاء عند الانتصار أو البلاء من المرض والهجاء عند شح الخليفة وبخله عن العطاء والسخاوة، والحماسة عند تخاذل الجند أو استنهاض الهمم، والغزل عند الكشف عن اللوعة، والحب والعاطفة. كلها ألوان وجدت فى تربة الأندلس وهذا الشعر والنثر هو من البيئة الأندلسية معكوسة فى نماذج أدبية وشعرية.

■ وهنا من يرى مليا أن هذا الادب والشعر ليسا سوى محاكاة للنمط المشرقى ويذهب العديد من الدارسين لتأييد هذا الرأى.

والرأى عندنا أن هؤلاء الباحثين كانوا ينظرون إلى العهود الأولى التى برز فيها الفكر والأدب بالاندلس من خلال الروافد العلمية، والبعثات المشرقية، وقدوم حملة العلم والأدب من المشرق الى الاندلس جعل الأندلسيين يسيرون على نهج المشارقة كيفا ثم صاروا ينسجون القصائد ويؤلفون النصوص مستغلين موضوعات الأدب المشرقي . ، لكن هناك نقطة هامة ومقنعة وهى أن الاندلسيين ابتداء من القرن الرابع الهجرى لم يعودوا ينظرون لا إلى الأدب المشرقي ولا المغربى وإنما أظهروا كفاءتهم فى ميدان العلم والمعرفة وأبانوا عن قدراتهم وطاقاتهم الابداعية فى الشعر والنثر وفى جميع المناحي المعرفية من تعمير وتجميل للعمران وبناء المساجد والمدارس، حتى أن الاندلس ظهر بها لون من الشعر لم يكن يعهده المشارقة وهو الموشحات الاندلسية فسار الشعراء والادباء يشحذون قرائحهم لقول الشعر وفتح أبواب التنافس والتطرق إلى مختلف الاغراض الفنية وفتح باب عهد جديد من الاسهام والانتاج فى مجالات التفسير والفقه والاخبار والنحو، والبلاغة .

فالتاريخ يبين لنا بجلاء أن شبه الجزيرة العربية هى أول منطقة عرفت الشعر والأدب باعتبارها مهدا للتراث العربى والاسلامي فنحن نرى أنه لولا تأثير المشارقة على الاندلسيين لما وجد شعر ولا نثر وإن وجد بقسط يسير فإنها نظرات خاطفة وخواطر، إذاً فلا أحد ينكر الدور الفعال الذى قام به المشرق، بحضارته إزاء الأندلس وماذا سيكون فى الاندلس لولا تدخل الفتح الاسلامى أي تدخل العنصر العربى محملا بالشعر وفنونه وأغراضه، محملا بالصحف والمواثيق مزودا بلغة القرآن وبيانه العربى، فكيف يتسنى للأندلسيين أن يحصلوا على هذا القدر الكبير من الثقافة؟ .

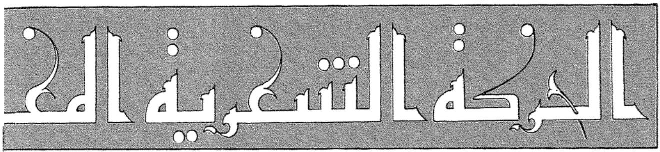
حقيقة ان البيئة تولد ألوانا من المعرفة لكن هذه المعرفة لا تنضج ولا تكتمل إلا فى حضن شعب قد سبقت تجاربه فى هذا المضمار وهم العرب فقد زودوا الاندلسيين وطعموا تفكيرهم حتى أصبحت لديهم حضارة جديدة بمدلولها العلمي والمعرفي .



● الأندية والجمعيات والمؤسسات الثقافية لا تزال من الأبواب العريضة فى حلب.

● ظاهرة المجموعات المشتركة تدل على أن الشاعر بعيد عن عقدة النجومية.

● الفرق كبير بين من ينظم ومن يبدع.



■■ إذا كنت من المتتبعين لأدب هذه المدينة فإن ذلك ليس من باب الاقليمية الضيقة، وإنما من باب الحق وإظهار الحقيقة، وهذا ما قلته فى مقدمة كتابي (الحركة الشعرية المعاصرة فى حلب) الصادر فى عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) والذي تناول حركة الشعر فيها ما بين عامى (١٩٣٠ - ١٩٧٥م) وحديثي عن الشعر فيها نابع من واقع هذه الأرض التى عشت مرآة أدبها وجها لوجه لم يكن بينى وبينه - أي الشعر فى حلب - حجاب أو قناع، والاندية والجمعيات والمؤسسات الثقافية دخلتها ومازالت من الأبواب العريضة، وفي يدى قلم ودفتر، وهمي أن أرسم خارطة حقيقية للشعر فى هذه المدينة التى أهديتها ثلاثة كتب نقدية، وخمس مجموعات شعرية. صدرت هذه الأعمال ما بين عامي (١٩٧٢ - ١٩٨٥م).. وأنا أضع نصب عينى أن الايمان بالعمل واجب.

■ ولا شك فى أن الفترة الواقعة ما بين عامى (١٩٧٥-١٩٨٦م) حدث فيها ما حدث فقد أصبح عدد من الأسماء الشعرية فى عداد الراحلين، وعدد سقط من قائمة الشعراء، وآخر دخل عالم الشعر، ومنهم من تحول من شاعر قصيدة أصولية الى قصيدة التفعيلة، ومن ثم الى قصيدة النثر - مجازاً.

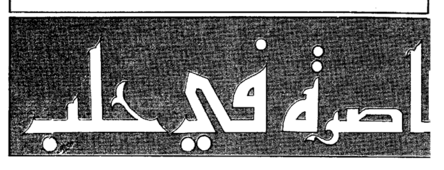
قافلة الراحلين

مروراً بالحركة الشعرية المعاصرة فى حلب، لابد أن نترحم على الشعراء الذين أعطوا ورحلوا الى عالم البقاء أمثال الشاعر (على الناصر) الذى مات غدراً وهو فى عيادته وقد عرف بأسبقيته للشعر الحر، فقد صدر له ديوان (الظمأ) فى الثلاثينيات من هذا القرن سبقت أولوية باكثير و«السياب» و«نازك الملائكة» و«خير الدين الأسدى» علّامة حلب، صاحب ديوان (أغانى القبة) الذى يجنح فيه الى الصوفية، و(عمر يحيى) الحموى النشأة.. الحلبى الاقامة، و(خليل هنداوى) الذى كان يرسم خطوط الزمن من خلال زجاج مقهى «السندباد» و«فاضل ضياء الدين» ذهب، ومازالت جملته التى خطها على باب منزله

بقلم: احمد دوغان (سوريا)

حلب تلك المدينة التى عرفت بأدبها الرفيع، مازالت شجرة الشعر فيها سامقة، لان النبوغ فيها أصالة وفطرة.

وإنني فى مقالتي هذه سأمر على الذين أعطوا هذه المدينة عصارة نفسهم وفاكهة قلوبهم، وإ حساس وجدانهم.. من خلال الشعر، وعذرا إ ن غفل اسم إ ذا خانتنى الذاكرة، لاننى لا أفعل ذلك قصدا، وكل ما أبتغيه أ ن أخدم هذه المدينة التى أحببتها، وقد علمتني حب الله والوطن، ومن العرفان بالجميل أن نظل أوفياء.



(مغنى عرق الجبين) وتشاء الظروف أن يرثى صديقه الاستاذ محمد انطاكى قبل وفاته بأيام، ومن يعد الى هذه القصيدة، فإنه يشعر أن «فاضل ضياء الدين» يرثى نفسه فيها.

■ أما الشاعر «عمر أبو قوس» فقد رحل وهو يحلم بالطفولة التى لم يسعد بها، كما رحل الشاعر (ممدوح مولود) بعد معاناة أليمة لاقى فيها شظف الحياة وعذاب المرض الذى أودى بذراعه اليمنى فبترت قبل أن يودع الحياة الدنيا.

■ وهناك أسماء عدة قد غيبها الموت، وهذه سنة الحياة، وهؤلاء الذين ذكرتهم لا يمثلون جيل السبعينيات وإنما هم من الأجيال التى سبقت عام السبعين من حيث العطاء، ولكن رحيلهم كان بعد عام ١٩٧٠م.

رعيل ما قبل السبعينيات

ومن الواجب أن نأتى الى الشعراء الذين مازالوا معاصرين، ومازال النسغ فيهم يمد وجدان هذه المدينة بالعطاء دون النظر الى النوعية ـ كماً وكيفاً ـ لأننا لسنا فى مرحلة تقويم، بقدر ما نقدم صورة عن الشعر المعاصر فى هذه المدينة حلب.

■ ومن منا لا يذكر الشاعر «عمر أبو ريشة» الذى عرف بوجهه الذى حمل ألوية السفارات ليحط مرة فى «بيروت» وأخرى فى غيرها:

رب، ضاقت ملاعبى
فى الدروب المقيده
أنا عمر مخضب
وأمان مشرده
ونشيد خنقت في
كبريائى تنهده
رب مازلت ضاربـًا
من زماني تمرده
صغر اليأس لن يرى
بين جفني مقصده
بسماتى ، سخية
وجراحي مضمده

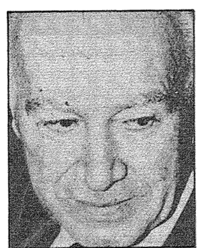
■ أما الشاعر الآنساني عبد الله يوركي حلاق فما زال ملازماً مجلة «الضاد» التى جاوز عمرها نصف قرن، ومازال يعطيها، إنه القائل:

عربى عربى عربى
ولي الفخر بهذا النسب
أنا صب تيمتنى لغة
صانها القران أسنى الكتب

■ ويذكر الشعر فى حلب الشاعر «عمر بهاء الدين الاميرى» بعد أن اتخذ من «مراكش» فى المغرب مقراً وإقامة وهو فى شعره ينحو منحى العابدين فى محراب التصوف إنه:

شارد اللب غريب الروح
فى الافلاك حائر
ظمىء لا يرتوى هيمان
بالمجهول ، شاعر
ثائر الاعماق والبسمة
لا تجفوه ، صابر

■ كما أقام الشاعر مصطفى بدوى فى دمشق وليس وحده الذى ترك حلب، وأقام فى دمشق، وإنما هناك عدد من الشعراء أمثال (نهاد



● عمر أبو ريشة

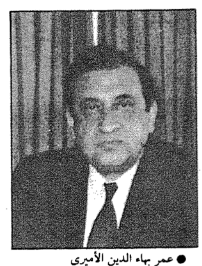
رضا) و(صباح الدين كريدي) و(محمد محمود كلزى) إلا أن الأخير عاد الى حلب من جديد.

■ أما الشاعر «على الزيبق» فهو أشبه بناسك فى دار الكتب الوطنية بحلب، من خلال إدارته لها وإشرافه اسبوعياً على حلقة كتاب تقام فى قاعة «عمر أبى ريشة» وحسبه قوله:

إيه يا كبرياء حملتنى إرث أبى مؤمل الامجاد
فأنا موقف لاهلي .. لشعبى لمصير الانسان ملء جهادى
فاخرسى يازوابع القحط ما عمرى ضياع فى حانة أو ناد

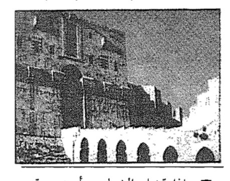
■ وإذا كان الشعر يحيا فى طبيعة المبدع فطرة وأصالة وإلهاماً فإن ذلك يتجسد فى عطاء الشاعر أحمد عسلية الذى يظل بعيداً عن الأضواء.

وهناك شاعر آخر معطاء يملك حساً نقدياً، وذوقاً شاعرياً قلما نجد ذلك عند غيره، وهو صاحب ديوان «صور» الذي أغلى مهره إيماناً منه بدور الكلمة إنه الشاعر «محمد هلال فخرو»:



● عمر بهاء الدين الأميرى

لك فى الفؤاد محبة يا (مى) قصتها طويلة
كتبت على أفق الدموع بريشة الشفق النحيلة
لا تحسبى إن لم أجبك بأن أشواقى قليلة
أنا ما بخلت وإنما يا (مى) أيامى بخيلة
لا يشتكى منى القرين ولا تعاتبنى الفضيلة
أبقى نبيلا فى الغرام، ولا أحب سوى نبيلة
ما بين صدرى خافق أبدا مشاعره أصيلة
قلب نشيط فى الهوى لكن من يهوى كسولة



■ وإذا تمثل الشاعر أحمد ديبة بالأصول التراثية، ولكن بروح يشوبها العصر، فإن الشعراء (نهاد رضا، حامد بدرخان، صباح الدين كريدى، محمد كلزي، سعيد رجو، لؤي فؤاد الأسعد، نبيه الشعار) قد مثلوا الحداثة ثم تجاوزها كل من (صباح الدين كريدي، سعيد رجو، لؤي فؤاد الأسعد، حامد بدر خان) الى قصيدة النثر، وهناك الشاعر (عبد الفتاح قلعه جي) الذى زاوج بين الشعر والمسرح بينها الشاعر (ظهير كنيفاتى) بعد ما طلع بديوانه (الكوخ فرس زرقاء) فى الربع الأخير من الستينيات، لم نعد نسمع أو نقرأ له شيئاً، كما صمت الشاعر علاء الدين سلطان، بينما الشاعر (عبد القادر مايو) مازال فى اليمن عضواً فى البعثة التعليمية السورية يواصل كلمته الشاعرة، أما الشاعر (أنور عدي) ما فتىء يعمق الروح الانسانية فى الشعر بشفافية وصوفية متسامية.

جيل السبعينيات

ويصل بنا المطاف الى جيل السبعينيات الشعرى فى «حلب الشهباء» هذا الجيل الذى بدأ فى مطلع هذا العقد وهاجاً ينبىء بمستقبل أدبى، وأخذت الصحافة والمجلات المحلية تهتم بهذه الظاهرة الثقافية، فتنشر قصائد الشباب، وتكتب عن نتاجهم، ومن المؤسسات والجمعيات الثقافية التى عملت على إبراز هذا الجيل (مديرية المركز الثقافى العربى) و(فرع اتحاد الكتاب العرب) و(مديرية دار الكتب الوطنية) و(جمعية الفرقة الشعبية للفنون) و(الجمعية العربية المتحدة للآداب والفنون) و(فرع الاتحاد الوطنى للطلبة بجامعة حلب).



■ وإذا كنت فى كتابى «الحركة الشعرية المعاصرة فى حلب» الآنف الذكر قد ترجمت لأكثر من ستين شاعراً فقد جئت على ظاهرة جيل السبعينيات، ولكننى أنظر اليوم إلى الساحة الأدبية فأرى أن عدداً كبيراً من أسماء هذا الجيل قد انسحب وقل غاب على الرغم من أن بعض هؤلاء قد قدم أعمالاً شعرية مطبوعة وقائمة هؤلاء الذين لم يعد لهم ظهور أدبى تضم (عبد القادر عاشور، محمد كلزية، نواف درغام الاحمد، مضر صقال، أنور محمد، هدى قاطرجى، عبد اللطيف والاتى، محمد سعيد فخرو، وليد ربيع، عبد الرحمن هوى، عمر أبو سمره، عمران كيالى، محمود ختام) وقد يكون بعض هؤلاء مستمر العطاء إلا أنه لا يظهر على الساحة بانتاجه.

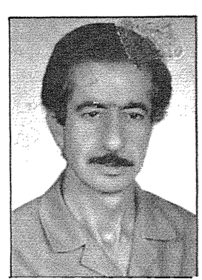
ولا يفوتنى أن اترحم على الشاعر (رياض صالح الحسين) الذى ظهر فى منتصف السبعينيات صوتاً شعرياً تنبأ له الدارسون مستقبلاً إلا أن الموت غيّبه.

■ وهناك عدد من الأسماء الشعرية التى هاجرت الى أقطار عربية، ولست أدرى إن كانت هجرة مؤقتة أو دائمة فالشاعران (محمد قلعجى) و(عبد الرزاق تاجر) قد هاجرا الى الامارات العربية بينما توجه كل من الشاعرين (محمد عبد الله قولي) و(عبد الرزاق اسماعيل) الى الكويت، كما توجه الشاعر (عبد الرزاق معروف) الى الجزائر، أما الشاعر (محمد خليفة) فهو يتنقل ما بين (بيروت) والعواصم الأوربية.

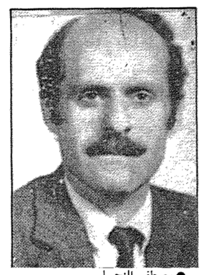
■ أما الأسماء الشعرية التى أثبتت حضورها أدبياً على المستوى المحلي من خلال إبداعها وعطائها المستمر (حسن عاصى الشيخ، محمد جلال قواس، محمد جميل حافظ، محمد وفاء الدين مؤقت) وإذا كان كل من الشعراء الذين ذكرتهم لم يقم بطبع مجموعة شعرية، فإن أوراقه المخطوطة تزيد على أكثر من مجموعة.

بينما نجد الأسماء التى سأذكرها قد تجاوزت المستوى المحلي الى المستوى العربى بإبداعها وفعاليتها فى الصحف والمجلات العربية، وقدم كل واحد أكثر من عمل شعري مطبوع فالشاعر (محمد أبو معتوق) اهتم بالمسرح الشعرى، وبخاصة فيما يتعلق بمسرح الأطفال الى جانب القصيدة التى تنحو منحى الملحمية لديه وخاصة فى الآونة الأخيرة.. أما الشاعر (محمد فهمى الحمدان) فإنه اتخذ من «بزاعة» مسقط رأسه زاوية للشعر والأدب.

■ ونجد الشاعر (محمد جلال قضيماتى) فى مجموعته الثانية يزاوج بين الفكر الفلسفى والواقع المعاش برؤية هى أقرب الى المنحى الصوفى، من حيث التجليات، أما الشاعر (محمد مضر سخيطة) فهو يقرأ الواقع العربى من خلال وعي حضارى يجسد فيه إيمانه بأن هذا



● عبد الفتاح قلعجى



● مصطفى النجـار

الـواقـع يجب أن يتلمس حاضره منطلقاً من الرؤيا المتضمنة الزمن :

يا طـارق

احرق . . أحرق كل السفن

جدد فينا حب الوطن

عمق فينا حب الوطن

واعبر . . نعبر جسر الزمن .

والله . . الحب . . التاريخ علينا الشاهد

أو نسقط (ما أخلف منا رجل واحد)

■ بينما الشاعر (عبود كنجو) بعد ان كان يميـل الى الهمس فى مجموعته المطبوعتين نراه الآن يعمق الغموض فى شعره مندفعاً وراء موجة الحداثة . . أما الشاعر (حسام الدين كردى) الذى انطلق منذ أيام الجامعة فى (رابطة عبقر) فإنه يتلمس واقع الأمة العربية بإحساس ومعاناة واعية للشعر.

ويأتى الشاعر (سمير ددم) الـذى أكد هويته الشعرية من خلال عطائه الدائم والرؤيا المشرقة للقصيدة الجديدة المتمثلة للحداثة المتمسكة بالجـذور، مؤمناً بأن الشعر جزء من الحضارة، ولذلك يعمل على أن يترك شعره حضوراً زمنياً يتجاوز اللحظة التى ينطلق منها .

■ وإذا توقفنا عند الشاعر (مصـطفى النجـار) الـذى قدم مجموعته الشعرية (شحارير بيضاء) فى بداية الستينيات فإنه بين فى أكثر من مقـابلة أدبية أن الشعر كان وجـهـه الحـقـيـقـى فى بداية السبعينيات، ولـذا كان عطاؤه فى أربع مجموعات شعرية حملت اسمه وخمس مجموعات شعرية مشتركة مع شعراء من (سورية، والاردن، ومصر العربية، وتونس والمغرب) وظاهرة المجموعات المشتركة تدل على أن الشاعر بعيد عن عقدة النجومية . . وهذه السمة أصيلة فى ذات الشاعر «مصطفى النجار» ولعـل أصـدق كلمة قيلت عن شاعرنا ما كتبه الشاعر الراحل «سليمان عواد» فى مجلة «الثقافة» الـدمشقية الصادرة فى عددها ١٩٧٤/١٢/١ (مصطفى النجار شاعر تروبادور مغن جوال) يحاول إيقاظ الذين يعيشون فى الواقع . . فى العـالم . . وهم فى الحقيقة لا ينتمـون إلا بالصـورة الشعـرية، والهيكل الانسانى الى هذا العالم، ولكن الأخ مصطفى لم يخطر بباله أن العيون التى تعودت على ثقب الأرض، ونهش كبدها، لا تدرك معنى لكـل أصـوات الشعـراء والمنقذين فى العالم) .

■ وإذا كنت قد أنكـرت بعض الأسماء من كل الأجيال، فإن عدداً من أصحابها ليسوا شعراء، وإنما هم نظامـون والفرق كبير بين من ينظم وبين من يبدع، فالشعر هبة الله، ومعذرة إذا كنت قد اتصلت بالكلمة الشاعرة ووقفت عندها فقط، حتى ولـو طبقت كلمة «الفاروق» (يا حق ما تركت لى صاحباً) .



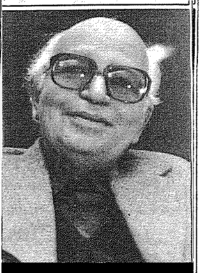
حوار

دكتور حسين مؤنس

الأكاديمية.. الصحافة.. والإبداع

• لا أرى الادب العربي إلا باللغة الفصحى.

• تقهقر الشعر .. ليس في العربية فقط بل في كل العالم.



(ذكر أحد للملك فهد أن عينى مريضة، فاستدعانى للعلاج بالسعودية.. واستقبلنى الامير سلطان بالود والترحاب) ٥

حديث اجراه: حزين عمر (القاهرة)

بنبرة تعبير عن الوفاء والحب والاخلاص ذكر الدكتور حسين مؤنس هذه العبارة.. فى ثنايا حديثة الى (المنهل).. والذى امتد فى رحاب الفكر والفن والكلمة المخلصة من أجل العروبة ولغتها وأدبها.. تحدث المفكر المؤرخ الاديب العالم الدكتور حسين مؤنس عن بداياته مع الصحافة والادب ومع الحياة وكيف كانت سهلة ميسرة يستطيع صاحب الموهبة أن ينبغ فيها ويتقدم وصاحب الطموح أن يبرز ويظهر.. وذكر فجر شبابه المكافح الذى رضى فيه بالجنيهات اليسيرة وتنقل من (فتى مكتبة) حتى وصل الى قمة الفكر وأضحى علما من أعلامنا العربية البارزة.. فنال ـ كبعض من التكريم والعرفان ـ جائزة الدولة التقديرية فى مصر.

● من المناسب أن تكون جائزة الدولة للأدباء والمفكرين العرب متميزة في كل بلد عربي عن البلد الآخر

● سألني د. طه حسين عن الدكتوراة متى انتهي منها فأجبته: في ثلاثة أشهر

المنهل: جائزة الدولة هل جاءتك متأخرة؟ وهل تعبر بحق ماديا ومعنويا عن جهود كبار مفكرينا فى خدمة الثقافة العربية؟؟ أليس من الممكن أن تصبح جائزة الدولة التقديرية فى مصر جائزة عربية تكرم كل مفكرى العرب؟

قال:

■ جائزة الدولة لم تأتنى متأخرة.. بل أنا راض عن وقتها وعن قيمتها المادية والمعنوية.. ولا أظن الدولة تستطيع زيادتها أكثر من خمسة آلاف جنيه.. والذى يعمل لا يقدم عمله من أجل المادة فأنا أجود بكل ما عندى ولا أنتظر مقابلا.

ولا أرى ضرورة أن تكون الجائزة عربية، فكل بلد عربى يجب أن يتميز عن الآخر. فهناك جائزة الملك فيصل فى المملكة العربية السعودية.. وهناك جوائز فى العراق والأردن وغيرهما.. ولن يكون لها ثقل أكبر بتعميمها.. ونحن فى أحيان كثيرة لا نعرف بعض المتقدمين لنيل الجائزة من مصر.. فما بالك لو تقدم لها مفكرو العرب الآخرون؟.. خاصة أن أرض العرب عامرة بالعباقرة فى كل مجال.

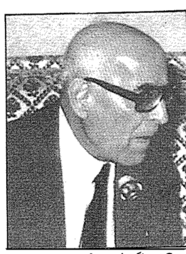
المنهل: د. حسين مؤنس.. بين الجامعة والادب والصحافة قطع طريقا طويلا.. فماذا عن كل منها فى حياتك الفكرية ومكوناتها؟؟.

■ حين تخرجنا فى الجامعة، كلنا كان يريد أن يكون طه حسين أو العقاد.. وهما يومها كانا النجمين.. ولكن الحقيقة أنى بعد التخرج لم أجد عملا.. وحينما علمت بوظيفة تسمى (فتى مكتبة) أشبه ما تكون بالساعى أو الفراش - تقدمت إليها وكان كل عملى أن أقف فى الصالة ويطلب منى القراء أن أحضر ياقوت الحموى أو المتنبى أو أى كتاب آخر فأحضره.. فاستأت جداً ورأيت أن طه حسين الذى نأمل أن نكون مثله شىء مختلف.. لقد كان عنيداً ولم يحدث فى التاريخ أن عاد مبعوث من الخارج ليكون عميداً لكلية كما حدث لطه حسين.. فى ذلك الوقت قرأت فى جريدة فرنسية كانت تصدر بمصر يطلبون مترجما لبنك التسليف الزراعى من فرنسى لعربى.. فتقدمت لها ومعى اثنان للامتحان.. وحين علما بأن مرتبهما من المحلات التى يعملان فيها أكثر من مرتب البنك انصرفا وبقيت وحدى.. فقال لى مدير البنك: أنت وحدك وبالتالى فلست ناجحا فى الامتحان، ولكنا سنختبرك فى العمل. قلت: نعم. وكم المرتب؟. فذكر أنه احد عشر جنيها.. وكنت اتقاضى من المكتبة ستة جنيهات.. فعملت ونجحت فى البنك لدرجة أننى أصبحت سكرتير المدير.. وكان البنك وقتها بنكا عالميا كبيراً وليس كالآن.. وارتحت فى العمل هذا وبدأت دراسة الماجستير، وكنت قريبا فى عملى من مجلة «اللطائف المصورة» التى أنشأها اثناء الحرب العالمية الأولى وكان يملكها الانجليزى (الكساندر مكاريوس) ورئيس التحرير محمد يونس القاضى كان شاعراً وزجالاً.. فعملت معه بجنيهين بالاضافة

للبنك.

■ وكانت هذه بداية الصحافة . . ثم تركت السلطائف إلى مجلة (كوكب الشرق) وكان يرأس تحريرها أحمد حافظ عوض المؤرخ ورضى كثيرا عنى ووعدنى بستة جنيهات فى الشهر . . تمرنت على الكتابة جيدا فى هذه الصحيفة وأصبحت اليد اليمنى لأحمد عوض، حتى إنه كان يكتب ثلاثة أسطر من الافتتاحية ويدعها لى لأكملها . . وكانت الصحافة كلها - فى ذلك الوقت - أدبا . . وكنت دائما أقبل على الحياة، وأشعر بسهولتها فقد كان لى أخوات بنات وأراد والدى إخراجهن من المدارس لتزويجهن فرفضت وتكلفت أنا بكل مصروفات الدراسة والتعليم وقلت: إن لهن الحق فى التعليم . . وسألنى ذات مرة طه حسين عن رسالة الدكتوراه ومتى أنتهى منها فقلت له: اننى أنهيها فى ثلاثة أشهر. المهم عندى أن أسافر وأتعلم لغة أجنبية وأفهم موسيقى .

وفى ذلك الوقت عرضت علىَّ الجامعة عمل سكرتير للأستاذ عبد الرزاق السنهورى الحقوقى المعروف فعملت معه وتركت البنك على أمل الخروج فى بعثة دراسية . . ولكنى وجدت السنهورى يعمل ثلاث فترات فى اليوم ليلا ونهاراً . فقلت له: إنك تبنى مستقبلك وأضيع أنا



● د. زكى نجيب محمود

مستقبلى . . وقابلت سكرتير عام الجامعة فقدم لى فرصة عمل مدرس ابتدائى فى محافظة البحيرة وسعدت جداً بهذه الوظيفة . . فقد كانت المدرسة خمسة عشر فدانا واستأذنت للمبيت فيها. فكانت إقامتى هناك دائمة ولم أقطع علاقتى بالصحافة . . فقد كنت أدرك أنها تعطى ثقلا للعاملين بها وهيبة لشخصياتهم وظللت بالمدرسة ثمانية أشهر، حتى أتتنى برقية من الجامعة بمنحة لمدة ثمانية أشهر فرفضتها لقصر مدتها وعدم كفايتها للزيارة والدراسة معا . . ونالها واحد غيرى حتى أتت لحسن حظى ثلاث فرص أخرى للسفر . فسافرت . . ولم أنس الأدب ولا الصحافة فى أى وقت أبدا . . فالصحافة تجعلنى فى مركز الأحداث دائما، وكنت أحس بأننى (مهم) بعملى فيها.

المنهل: ألم تكن الناس تقول عن الصحافى (جورنالجى) مثلما تقول عن الممثل (مشخصاتى).؟.



● ثروت أباظة

■ بالنسبة لى لم أحس ببؤس العمل فيها . . فقد كان دخلى متنوعا . . ولم أعتمد عليها فى حياتى المادية . . أما غيرى ممن كانوا يعتمدون على الصحافة فقد كانوا فى (غلب) ولم تكن تتوافر لهم لقمة العيش البسيطة . . وأول من رفع الصحافة والصحفيين بعض الشىء ودفعها للأمام - مصطفى أمين - بإنشائه لأخبار اليوم .

أقول لك إن الكتابة والقراءة أصبحت فى دمى وفى أوربا تابعت القراءة والعمل .

المنهل: الاكاديمية والصحافة.. هل تفسدان الابداع الادبى؟ وماذا عن الادعاء الشائع بأن أساتذة الجامعة لا يجيدون التعامل مع الادب نقدا وإبداعا؟؟

■ الانسان هو نفسه . . فى الأدب والصحافة . وأنا عملت فى كليهما وتعودت أن أعطى اكثر مما آخذ .



● ابراهيم ناجى



● بيرم التونسى

والحرف الأخرى بجوار الأدب لا أظنها تضره. وأذكر من أصدقائى الشعراء غير المحترفين الدكتور ابراهيم ناجى والمهندس على محمود طه. وكانا على مستوى جيد من الشاعرية والابداع.. ومازال عندنا المفكرون المؤرخون المبدعون وتصدر لهم كتب رائعة ولكننى لا أجد مكانا أنقد فيه وأكتب عن الجديد.

المنهل: كيف .. وكل الصحف مفتوحة لك..؟

■ أنا أعمل فى مجلة (اكتوبر) القاهرية فأكتب فيها فقط لا اتجاوزها فالمقالة التى اكتبها فيها تستغرق منى نصف أسبوع لأقرأ وأفكر وأطلع على أحوال المجتمع.. ثم اكتب واراجع و(أبيض) ما كتبته.. فانا أهتم جدا بالناس وأحترمهم وأعرف انهم يتابعوننى ولذلك لا اكتب (أى كلام).

المنهل: فى صدد المقارنة بين القديم والجديد.. هناك قضية الشعر بين الامس واليوم.. يقال إن الشعر فقد عرشه بين الاجناس الادبية الاخرى.؟؟

■ نعم.. الشعر تقهقر.. ليس فى العربية فقط بل فى كل العالم.. والشعر كجنس أدبى سيظل شعراً مدى الحياة لكن ليس كما كان أيام شوقى ذا رنين وصدى.. وشوقى وصل الى قمة الشعر. فماذا نقرأ بعده؟

ولمن نقرأ.؟.. أما القصة فهى التجربة ولأجل هذا تتقدم وتستمر. وأنا اكتب قصة ولكنى لم اكتب الشعر أبداً.

المنهل: وأسماء مثل: صلاح عبد الصبور.. وأمل دنقل.. وبدر شاكر السياب.. ونازك الملائكة.. ألا وجود لها؟؟

■ إنهم موجودون.. وشعرهم كوجبة جميلة.. ولكنها لا تعجبنى..

المنهل: العامية والفصحى.. قضية قديمة جديدة.. ألا ترى أن انتشار العامية تفتيت للثقافة العربية وإضعاف لشأنها..؟

■ أنا لا أرى الأدب العربى إلا باللغة الفصحى.. ولا مانع من وجود زجال عظيم مثل بيرم التونسى.. ولكن أن نحول الأدب العربى الى عامية وعاميات كثيرة فهذا خطأ كبير.. والشعر عندى هو الفصحى.. والفن فيه شىء من الكمال يحتم كتابته بالعربية الفصحى.. أما الحلول الوسط، والمحاولات الضعيفة فلا تجدى.. وهى مثل معظم مسلسلات التليفزيون لا علاقة لها بالفن الحقيقى.

المنهل: مع ملاحظة أنها أضحت ثقافة العصر؟.

■ نعم.. هى كذلك للأسف لدى الأجيال الجديدة وبعض المنتمين للكبار. ولكنى أحمد الله أنى مثل القليلين الذين يحافظون على مستوى ثقافى راق لا ينزلون عنه.

المنهل: العروبة.. والطبيعة..

والمـرأة.. والموسيقى.. ماذا تعنى فى وجدان الدكتور مؤنس؟

■ العروبة : هى الصداقة والأخوة

■ الطبيعة : نحن مساكين فى مصر . . كلها ناس فى ناس .

■ المرأة : أن يهبك الله زوجة فاضلة هذا افضل ما فى الوجود .

المنهل: المرأة كزوجة فقط..؟

■ هى يجب أن تكون كذلك . . لكـن الحب الشيطانى هذا . . لا أعرفه . . لقد أقمت فى أوربا سنين طويلة وعرفت أناساً كثيرين لكنى كنت محافظاً على قيمى .

■ والمـوسيقى : أود أن أصحح معلومـة للناس . . وهى أنه ليس هنـاك موسيقى شرقية ومـوسيقى غربـية . . بل هى جميعـا موسيقى . . ولا فرق بينهما .

المنهل: الاساتذة: نجيب محفوظ.. ويـوسف ادريس.. وثـروت أباظة.. وزكى نجيب محمود.. ماذا تقول عنهم؟؟.

■ نجيب محفـوظ : جدير بكـل احـترام وتقـدير . يعمـل مثـل موظف الحكـومـة بشكـل يدعـو للاعجـاب الى جانب أنه مهذب جداً وقنوع جداً . . يكفى أن أقول لك اننى كتبت قصة وأتت صحفية تشـتريهـا منى ولم أعـرف ثمنهـا فاتصلت به ليحدده لى . . فقال : ألم تجد غيرى تسـألـه؟ . إننـى (أخيب واحد) . . إن أصغر فرد فى التليفزيون يأخذ عن قصصه نقوداً اكثر منى .

■ يوسف إدريس : رأس عظيم . . تعجبنى أحاديثه .

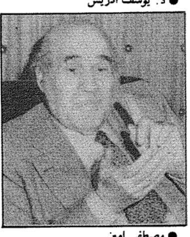
■ ثروت أباظة : رجل الأخلاق . . محترم . . ونسعد بلقائه . . لقد أحيا اتحاد الكتاب فأصبح ينبض بالحياة .

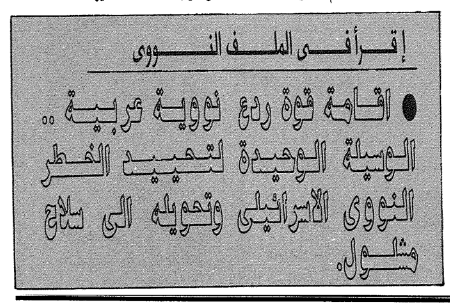
■ زكى نجيب محمـود : مفكـر عظيم له أثـره فى الفكـر العـربى الحديث . . ومخلص له . .

المنهل: الى الان لم نطرق جوانب كثيرة من شخصية الدكتور مؤنس.. مثـل النشـأة والـدراسة الاولى وأثر التراث فيها.

■ حياتى كلهـا سهلة وفى الوقت نفسـه جادة . . فلم أعـرف فيهـا ترفيها ، ولا تنزهات ، ولا رحلات ، إلا للعلم والعمل . . عملت كثيرا والنتيجة أحمد الله عليها .


● د. يوسف ادريس

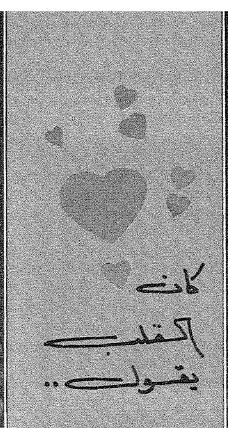

● مصطفى امين



«« ٨ »»

على جناح طائر

لحظات ، على جناح طائر تطارده الرياح
هى التى يتاح فيها لقاء
ولكـــــن ...
ما اجمل أنْ تسطع شعاعا فى ضباب الايام
عندما أرى الحسن ... هناك على الشاطىء الضاحك
وموجات راقصة ، تتعلق ، مفتونة بالقدمين الصغيرتين
كثيرا ما فى هذه اللحظات ... وهى تمر كعصفور نزق
تتدفق فى القلب انغام من عبقر
ومعان ... ريش اجنحتها خمائل اهداب ...
لست ادرى كيف تملأ صدرى صخبا وهديرا
واقف امامها
امام الحسن ... هناك على الشاطىء الضاحك
فيا للصمت المعجزة
يستطيع ان يقول الكثير
ان يلمس شغاف القلب
يهز اعماق النفس
والف وتر هناك
يعزف الحانا من عبقر ...
وابتسامة خفرة ... تبخل حتى برؤية اللؤلؤ النضيد
تبرق وتتوهج ، على الثغر الشهى
تجيب الف سؤال
تعانق حرى الاشواق ...
تحترق ... وتتقطع الاوتار ..
وتضحك الموجة ... مترامية على القدمين الصغيرتين
تقول : حتى نحن ... قد فهمنا ما قاله الصمت فى لحظات ..
لحظات على جناح طائر تطارده الرياح
تسطع شعاعا فى ضباب الايام
لحظات .. يتم فيها لقاء ...



مناجاة يراع خفاق .. يستطيب التجربة وينفعل بالوجد .. يرتحل فى أعماق الذات الانسانية فيحصد المعنى المُعَنَّى .. ويتواصل مع نمير الكلم العذب فيطوع شارده ويعصف بركيكه وصولاً لغرض انفاسه فى طواعية واقتدار عبورا للمتلقى والمبدع على حد سواء.



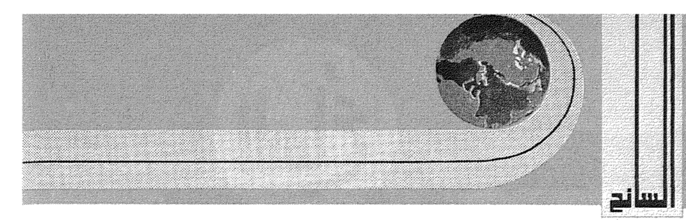
عزيز ضياء



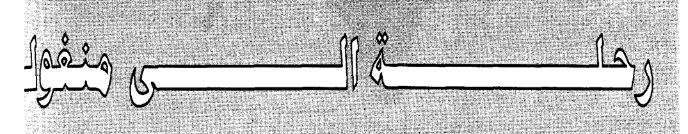
تغرّب عن الأوطان في طلب العلا
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحبة ماجد



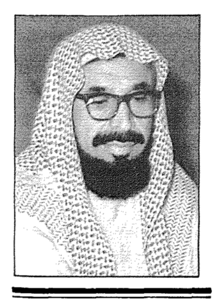
- رحلة إلى منغوليا الداخلية — محمد بن ناصر العبودي
- أيام في العراق — زهير محمد جميل كتبي



فى اعماق الصين الشعبية ٢



- المسلمون فى خواخوت يهتمون بتربية أبنائهم
- تفنن الصينيين فى صناعة ألوان الطعام الـ
- عدد المسلمين فى خواخوت يبلغ ٢٨٠٠٠ ويسكنون

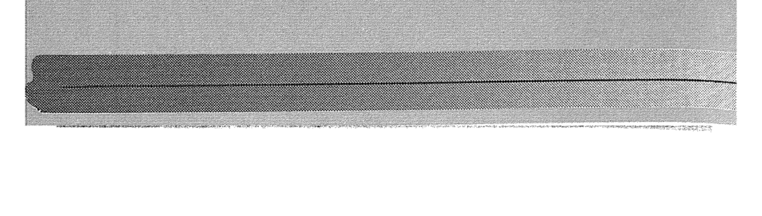


بقلم: الشيخ محمد بن ناصر العبودى (مكة المكرمة)

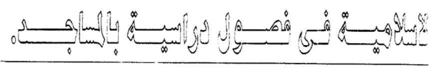
صلة ما سبق:

فى الحلقة الاولى من هذه الرحلة تحدث رحالتنا العبودي عن دخوله أرض الصين الشعبية ووصوله ـ مع رفقائه ـ الى مطار بكين. ثم تحدث عن المشاهد الطبيعية فيما بين بكين ومدينة خوخاخوت والمناظر التى لفتت نظره ذاكرا مشاهداته عن المجتمع الصينى ومظاهر حياته المعاصرة.

وفى هذه الحلقة يواصل الشيخ العبودي أفكاره وانطباعاته بعد وصوله منغوليا وفى عاصمتها خوخاخوت بالذات التى يوجد بها مسجد جامع كبير يتجه إليه للصلاة معظم مسلمي هذه المدينة العريقة والتى دخلها الاسلام قبل أكثر من ٤٠٠ سنة. كما تحدث عن اجتماع وفد رابطة العالم الاسلامي هناك مع بعض المسؤولين المسلمين.







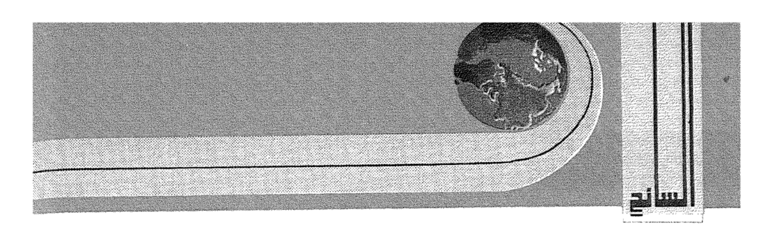
فى مدينة خوخاخوت

أنـزلـونا فى فندق منغوليا وهو واسـع حديث بل هو ضخم ممتد الأركان ذكروا انه أفتتح منذ سنتين فى عام ١٩٨٥م وهو مظهر من مظاهـر الانـفتـاح الصينى على العالم، لأن حكومة الصين الشعبية قد اوعزت لحكومات المقاطعات فى الصـين أن تقيم علاقـات تجارية واقتصادية مع الحكومات الاجنبية اذا رأت هذا مناسـبا، ولـذلـك صارت تلك الحكـومـات تشيد الفنادق من اجل استقبال الضيوف الاجانب التى تتعامل معهم ومن أجـل الـسياح الـذين صارت المقاطعات تستقبلهم نتيجة لسهولة الحصـول على سمـة الـدخـول السياحية للصين الشعبية.

ومـعلوم أن المقـاطعـات فى الصـين هى كالولايات فى امريكا الشـمالية تكـون لها الحكـومـات المحلية ومجلس النـواب المحـلى، ولكن شتـان بين الحقيقتين لكل من الفريقين، فحكومات الولايات المتحدة الامريكية لها من السلطات القانونية والقوة المحلية ما يصعب معه احيانا على الحكومة المركزية ان تنال منه.

■ أمـا هذه الحكـومـات المحلية الـصيـنية ومجـالـسهـا التمثيلية والتمثيلية هذه نسبة الى انها أشبه بالـتمثيل على الشعب وليس من كونها تمثل الشعب حقيقة فالشعب لا ينتخب ممثليه الذين رضى بهم وانـما الحـال فيهـا كالحال فى بقية الـدول الـشيوعية حيث يرشـح الحـزب الـشـيوعـى عددا من الاشخـاص يطلب من الناس أن ينتخبـوا احـدهم.. والحكـومات المحلية نفسهـا هى حكومات من هذا القبيل..

فى هذا الفنـدق الكبـير فندق منغوليا حانة واسعة بجانبها مقهاة عظيمـة الامتـداد جلسنا فيها مع موظـفينـا نتنـاقش فى موضـوع





● جانب من الفنون الشعبية الشهيرة عندهم بالزى الشعبى

البرنامج الموضوع لزيارتنا فى هذه المقاطعة بينما كان باقى الاخوة يسعون فى نقل الامتعة التى أحضروها الى الغرف. . ثم أخبرونا أن أمامنا فرصة للراحة حوالى ثلث ساعة نبدأ بعدها البرنامج. ونزلت فى غرفة فى الطابق الثانى عشر من الفندق مؤلفة من غرفتين منفصلتين احداهما قاعة جلوس واسعة، والثانية غرفة نوم فيها سريران وحمام ليس فى مستوى جودة الفندق، ولا فى مستوى الجودة فى حمام فندق (شى يوان شى) الذى خرجنا منه فى بكين مع أن كلا الفندقين حديث الانشاء، وكمل بناؤهما فى سنة واحدة فذلك الفندق

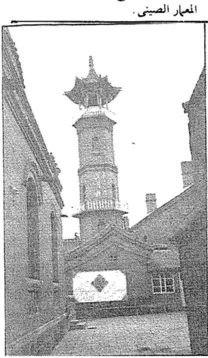


● أسرة منغولية على مائدة الطعام.

(البكينى) نسبة الى مدينة بكين - جعلوه على الطراز الامريكى الحديث وهذا الفندق على الطراز الاوروبى ولكنهم لم يبالغوا فى اختيار الرخام الفاخر له ولا فى تنجيد أثاثه تنجيدا غاليا.

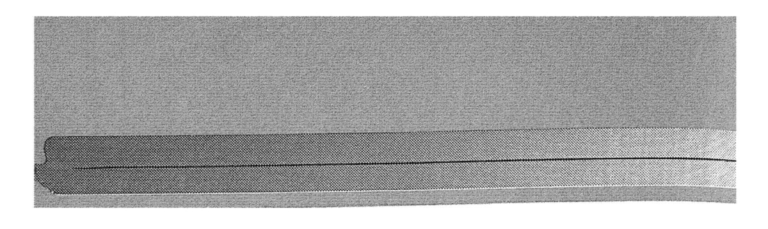
■ وقد صار القوم فى الصين يحاولون أن يرضوا أذواق الزوار الذين يرون فى العلاقة معهم حلا للمشكلة الاقتصادية التى تعانى

● منــــارة جامع خوخاخوت على طريقة المعمار الصينى.



منها الصين وهى التأخر الصناعى والتخلف الاقتصادى حتى ولو كان ذلك على حساب ظهور بعض المرافق فى البلاد كالفنادق والابنية بمظهر لا يحمل الطابع الصينى المميز وانما يتميز بالمظهر الغربى.

وفى اطلالة من نافذتى فى الغرفة من خلف الزجاج عرفت أن البلاد تعانى من شتاء قارس البرد لأن النافذة فيها زجاج مزدوج اى هى نافذتان من الزجاج دونهما ثالثة من السلك فى بعض اجزاء النافذة العريضة. . تماما مثل ما هى عليه النوافذ فى مدينتى موسكو ولننجراد



فى الاتحاد السوفيتى ومدينة وارسو فى بولندا وبلغراد عاصمة يوغسلافيا.

■ وقد زرت هذه الاخيرة فى اواخر شهـر ديسمبر من عام ١٩٧١م وكانت درجة الحرارة فيها حسبما قالته مضيفة الطائرة اليوغسلافية التى كنا قادمين عليها آنذاك من اسطنبول هى ١٨ درجة مئوية تحت الصفر.

رأيت ان نوافذ الفندق الذى كنا نزلنا فيه وهو فندق البلكان (بلكان هوتيل) جميعها من الزجاج المزدوج اى هى نافذة من الزجاج بعدها فراغ بعده نافذة أخرى من الزجاج دون ذلك نافذة خشبية.

وهـذه النافـذة المنغولية هى كذلك وبذلك لم استطع ان افتح النافذتين كلتيهما لالتقط صورة لما أراه من المدينة من هذا الارتفاع الـذى هو الـطابق الثانى عشر للفنـدق. فالتقـطت الصـورة من خلف الزجاج وأرجو ان تكون واضحة.

وتطل هذه النافذة الجنوبية على جزءين من مدينـة (خـوخاخوت) احدهما بيوت كثيرة مستطيلة أشبه ما تكـون بالعنـابـر التى يسكنهـا الجنود ونحوهم والثانية لقسم جيد



● مجموعة من المسلمات بزيهن المميز خرجن لاستقبال الوفد الزائر من ارض الحرمين الشريفين.



● قطاع يمثل نظام المعمار فى منغوليا.

من المدينة فيه بيوت حديثة جيدة تحيط بها حدائق الاشجار الخضراء وفيه بركتان اصطناعيتان لا أدرى الغـرض منهـا. ثم انتقلت الى النـاحية الشمالية من الفندق من عند المصعد وفيه نافذة ذات زجاج واحـد غير مزدوج والصـورة من خلالها ستكون أوضح فرأيت منها ما هالنى من كثرة مداخن المصانع فى المدينة حتى انها تبدو كأنها الغابة

من تلك المصانع وذلك فى المنطقة الواقعة شمال الفندق وجنوبا من تلة غير عالية ولكنها مستطيلة تطل على المدينة من جهة الشمال.

وتبين لي أن جزءا مما قيل لى فى بكين عن مدينة (خوخاخوت) التى هى عاصمـة مقـاطعـة شبـه صحراوية قد صارت تعج بالمصانع الى درجة أن أهالي المدينة طالبوا بايقاف انشاء المصانع فيها حرصا على نقـاء الهـواء وعـدم الاضرار بصحة السكان.

■ وهـذا أمر مناسب لأن المدينة ستعـوض بهذا النشـاط الصناعى عن النشاط الزراعى الذى لم ترزق حظا من توفر ما يلزم له وهو الماء الـوفـير، والجـو المعتـدل ـ وكلهـا مصـانـع تملكهـا الـدولـة إلا أن





● واجهة المعبد البوذى ويظهر فى الصورة (من اليمين) كاهن المعبد، العبودى وثلاثة من المسلمين.

المصانع المقامة فيها كثير منها يتعلق بما تنتجه المقاطعة مثل مصانع: **غزل الصوف ومصانع النسيج ومصانع السجاد** ومن المقرر فى البرنامج ان نزور ثلاثة منها غدا ومنها مصانع الجلود فكل هذه المصانع قامت على الثروة الحيوانية المتوافرة فى هذه المقاطعة حيث تتيح لها طبيعة ارضها شبه الصحراوية ان ترعى فيها ملايين القطعان من الاغنام او الابقار والخيول والابل.

وإبلهم هى ذات السنامين وليست ذات السنام الواحد، لأن ذات السنامين هى التى تصبر على البرد الشديد، بل تصبر على الثلج المطبق وقد جعل الله لها من أوبارها الحفة سميكة بعضها فوق بعض.

وذلك بخلاف البعير ذى السنام الواحد مثل إبلنا فانها خلقت للأجواء الصحراوية الحارة وكذلك تصبر على العطش فى الصحراء ما يزيد على ثمانية أيام ويضر بها البرد الشديد.

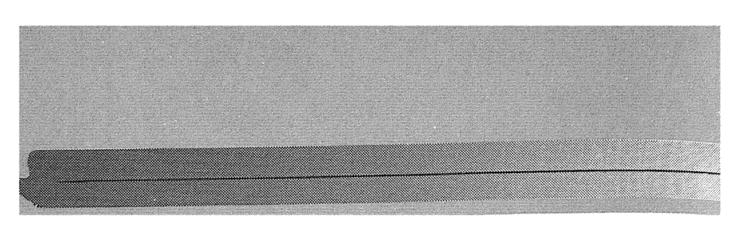
■ وعلى اية حال فان محاولة التعويض عن نقص المياه وحتى عن انعدام الزراعة بايجاد المصانع هى فكرة صائبة حبذا لو اخذت بها مدننا السعودية وقد اخذ الاتحاد السوفيتى ببعضها اذ أنشأ المصانع تحت الأرض فى البلدان الشديدة البرودة فى بلاده الواقعة على حدود المنطقة المتجمدة الشمالية وان كان الفرق ما بين تلك المنطقة والصحراء هو وجود المياه التى قد تذاب من الجليد.

أول لباس عربى

رأيت المسئولة عن ادارة الطابق الثانى عشر الذى نسكنه فى الفندق وهى تحملق بثيابى العربية الطويلة وانا اخرج وادخل التقط الصور من شمال الفندق وتذكرت ان ما قاله لنا الاخوة فى قائمة كبار الزوار فى المطار قبل قليل من اننا أول وفد سعودى يدخل الى هذه المقاطعة وان ملابسنا العربية هى اول ملابس عربية يراها اهلها على اناس يرتدونها لأن معظم العرب الذين يزورون الصين بعامة وهذه المقاطعة خاصة يرتدون الزى العالمى المسمى بالافرنجى.

ولذلك طال عجب الناس عندما رأونا لابسين الملابس العربية ونسير فيها وبخاصة فى هذا الفندق الكبير الذى فيه كثير من العاملين.

وعدت أتأمل ما فى الغرفة فلاحظت الطبيعة الصحراوية لهذه المقاطعة ظاهرة فى أشياء غير ظاهرة الاستعداد للبرد الشديد فى الشتاء.



ومن ذلك وجود غبار دقيق جدا على كل شيء في الغرفة تقريبا مثل المناشف وحتى الكراسي وليس معنى ذلك انه لم ينظف وانما معناه ان المنطقة يغلب الجفاف عليها ولابد أنها تتعرض لعواصف من الغبار الدقيق وهذا ما لم أسأل عنه ولكن آثاره ظاهرة في اثاث هذا الفندق.

ووضعوا في الغرفة زمزميات المياه الحارة وهي الاوعية التي تحفظ المياه حارة وبجانبها اكواب الشاي الصيني وهي خزفية ثقيلة لها اغطية ثقيلة مثلها أيضا، وبجانبها علبة فيها شاي صيني أصيل يصنعه المرء في غرفته اذا أراد وصنعه لا يحتاج الى كثير عناء وإنما ينحصر في وضع اوراق الشاي في الفنجان ويسكب فوقها من هذا الماء الحار ويتركها لمدة دقيقتين او ثلاث ثم يرتشف من الفنجان شايا صينيًا أصيلا لا طعم له ولا لون فهو خال من السكر ولا يضاف اليه الحليب أصلا، ولونه ليس احمر قانيا ولا اخضر ظاهرا بل هو بين ذلك وفعله مثل لونه مختلف عن الشاي



● الفتاة توقف حركة المرور لاصلاح الطريق.



● في منغوليا تكثر الجمال ذات السنامين وفي الصورة الاستاذ العبودي على ظهر أحدها.

الذي اعتدنا على شربه فهو يدر البول اكثر مما يفعله شاينا المعهود ولكنه لا يطرد النعاس او لنقل انه لا يجلب السهر كما يجلبه الشاي الثقيل في بلادنا وبخاصة الاخضر منه.

■ وهذا هو ما عرفته بنفسي من أثره وفعله واما ما حدثنا به اخواننا الصينيون عنه فانه اكثر من ذلك إذ يذكرون من فوائده قطع العطش والمساعدة على هضم الطعام وعدم زيادة الوزن عن طريق إذابة الشحوم في الجسم، واعتقد ان ذلك ناتج عن كونه لا يوضع فيه السكر غير مسمن وليس طارداً للسمن ويسبب بنفسه تخفيف الوزن.

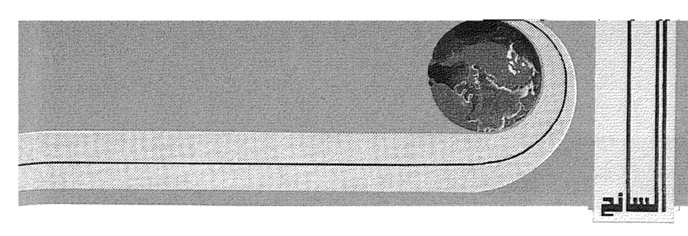
وقد وضعوا في الغرفة ايضا ضيافة الفاكهة عنقودا من الموز ليس غير، لان بلادهم هذه ليست بلاد فاكهة وانما الفاكهة الوحيدة التي توجد فيها وليس هذا أوان ادراكها هي الخوخ والكمثرى وذلك على قلة أيضا وانما الموز هذا مستورد من مقاطعة صينية جنوبية بعيدة.

عشاء منغولي

وهو في الوقت نفسه عشاء صيني لان الذين صنعوه هم صينيون يعيشون في منغوليا الداخلية هذه.

وهذا العشاء معتاد وليس مأدبة رسمية، فتلك ذكروا أن موعدها هو الليلة القادمة في هذا الفندق نفسه وانه سيحضرها عدد من رجال الادارة في المقاطعة من المغول منهم نائب رئيس الحكومة ومدير مصلحة الشئون الدينية في المقاطعة.

أما مائدة اليوم فانها مقتصرة علينا نحن ومعنا الاخوان المرافقان من بكين واثنان او ثلاثة من زعماء المسلمين في المقاطعة.





● المعسكر المعد للوفد الزائر.

تحركنا من غرفتنا في الفندق بصحبة هؤلاء الاخوة الكرام الى غرفة خاصة منفصلة عن مطعم الفندق في الطابق الارضي اخترقنا لها بهو الفندق الواسع ورأينا فيه مما يتعلق بالمغول تمثالا لرجل مغولى يعزف على آلة السمسمية كما يعزف البدوى على الربابة في الصحراء وهو رجل شاب مشدود العضلات بل معروق الجسم معتدل البنية عليه الملامح المغولية المميزة من شاربين دقيقين ليس فيما تحت الانف منهما شعر وعينين ضيقتين مائلتين الا انها تحت جفنين غير ممتلئين ووجنتين بارزتين الا أنهما فوق خد اسيل نوعا ما وليس كالخدود الصينية الشمالية غير الواسعة التى لا تلاحظ أن جزءا منها يزيد ارتفاعا او انخفاضا عن الجزء الآخر.

كما رسموا على حيطان الفندق صورا مكبرة واضحة لقطعان الأغنام البيض التى تكثر في هذه المقاطعة.

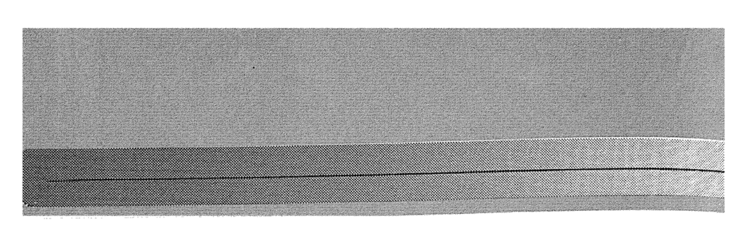
وقال لى احدهم وهو يشير الى صورة هذه الاغنام: هل ذقت لحم هذه الاغنام البيض من قبل انه لحم لذيذ؟.. فقلت، لا فقال ستذوقه فيما بعد ان شاء الله.. ثم اضاف: لقد باعت حكومة هذه المقاطعة المنغولية أربعين الف رأس من الغنم هذه الى الكويت وصدرتها حية على بواخر كما رأينا هم رسموا سهولا من سهول المراعى ترعى فيها خيول المغول الشهيرة في التاريخ بشجاعة اهلها وان لم تكن مشهورة بجودتها في السباق.

فقلت، **ماذا عن أكل المغول للحوم الخيل؟** فأجاب هم يأكلونها ولكن اكثر أكلهم كان في القديم لحوم الأغنام لا لحوم الخيل، الا أن حياة بعضهم تغيرت الان فأصبحوا يأكلون الخبز والبقول مثل غيرهم ما عدا قلة منهم لا تزال معتصمة بالصحراء.

فقلت. معنى ذلك أنها ما تزال محافظة على نقائها وعلى حياتها القديمة فهل لى بزيارتها في مواطنها؟.

فأجاب وكأنما هو يضحك في سره من سذاجتى مع أننى أعرف جوابه مقدما ولكننى قلت ما قلته بدافع رغبتى الشديدة في رؤية اولئك الاقوام، انهم يسكنون في بلاد بعيدة لا تصل اليها الطائرة ولا توجد بينها وبين العاصمة طرق ازفلتية حديثة.

وجدنا في الغرفة المخصصة لعشائنا مائدة مستديرة منصوبة قد وضعوا عليها مقدمات المائدة الصينية المعتادة التى يكون عليها في الغالب أنواع من الاطعمة تصل



الى عشرة انواع فى المتوسط وغالباً ما تكـون من الاطـعـمـة البـاردة والمخللات وأخذت مضيفة المائدة التى استقبلتنا وهى امرأة مغولية فى حدود الخامسة والثلاثين من عمرها وتمتاز بمـظهـر أجمـل من مظاهر الـصينيات الاصيلات ما عدا اللون فهى أصفى منهن لونا.

اخـذت توضـح لنا الاطعمة الموضوعة على المائدة وفيها غرائب من غرائب الأطعمة الصينية التى هى غريبة حقا.

فالصينيون قد تفننـوا فى طبخ الطعام كما تفننوا فى زخرفة الابنية وتعقيدها بدلا من تبسيطها وكنت قلت لرفقائى فى المرة الماضية اننى اعتقـد ان الصينـين لو اتقنوا من الصناعـات ما اتقنـوه من طبـخ الـطعـام لفاقوا العالم.. او بعبارة اكثـر واقعية: انهم لو بذلـوا من الجهـد والتدقيق فى الصناعات ما بذلوه فى طبخ الطعام لكان لهم فى هذا العالم شأن صناعى هام.

وقد كنت - ومازلت - اسأل عن السر فى تفوق الصينيين فى التفنن فى صناعة الطعام، ولم أجد لى مجيبا يجيب بما هو صحيح من الكلام، وبخـاصـة عنـدما حدثنى اخواننا وقت أن كنـا فى مدينـة (قوانشقو)

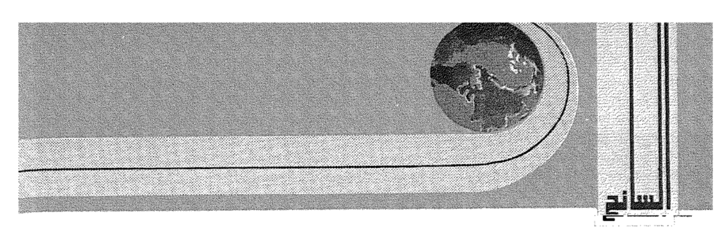


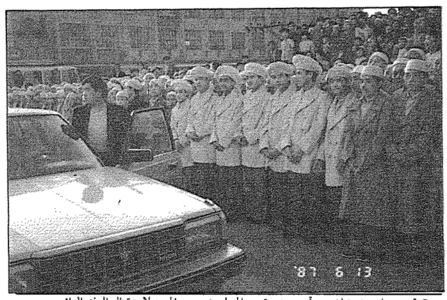
● الدراجات مظهر من مظاهر المدينة ووسيلة للمواصلات محببة عندهم.

التى كنا نعرفها باسم (كانتون) فى الرحلة السابقة بأن أخا مسلما كانوا احضروه ليطبخ لنا عشاء فى مأدبة رسمية اقامتها الجمعية الاسلامية هنـاك دعت اليهـا كبار المسئولين الحكوميين وجاءوا بالطباخ المسلم لنراه فنطمئن إلى ان الطعام ليس فيه شىء من الحـرام وقـالـوا هذا الاخ المسلم طباخ مشهور حتى انه فاز فى مسابقة كانت قد اقيمت فى المـدينـة لمن يجيد أنـواعاً اكثر من الـطبـخ المتقن ففـاز ذلـك الاخ المسلم بالجـائـزة لأنـه أعـد اثنين واربعين نوعا من أنواع الطعام من الاسماك لم يصنع مثلها الآخرون.

■ ان الانـواع الغـريبـة فى هذه الاطعمة الموجودة فوق المائدة المعدة فى هذا المسـاء خيار يسبـح وسط سائل احمر اللون يشبه (الصلصة) ولكنـه حلو المـذاق.. وطحـين السمسم المخلوط بمادة حلوة وقطع من الطماطم الصغيرة الطازجة قد نثـر عليهـا قليل من السكر مما لم نألفه، ولم نستسغ طعمه وإنما الذي استسغنا طعمه على غرابته هو طبق من عصب البقر جاءوا به ناضجا موضـوعـا فى صحن فيه مرق فيه بعض اللزوجـة فكـان العصب ينزلق الى الحلق بسهولة عند أدنى مضغ وقد استطبناه لغرابته.

■ وكـل هذه الاطعمـة يأتون بها بمقادير مقدرة لانه اذا كانت المائدة مؤلفـة من عشرين نوعا من أنواع الطعام مثلا فان الآكل لايستطيع





● قرب جامع خوخاخوت تجمع جمهرة من المسلمين بزيهم المميز لاستقبال الوفد الزائر.

الاكثار من كل الأنواع بطبيعة الحال.

كما جاءوا بما أسموه فطر الغابات وهو أسود اللون يشبه الفقع وهو الكمأة فى اللون الا أن طعمه لا يشبهه تماما فهو ما بين طعم الفقع وبين طعم الفطر المزروع مع كونه يوجد طبيعيا غير مستزرع وهم يحبونه ويفضلون أكله وقد أكلنا منه حتى أكثرنا.

وجاءت الصحون تترى، وكلما ضاقت المائدة بها حملت المضيفة بعضها واحضرت بديلا عنه نوعا آخر ومن ذلك صحن من عروق البامبو والبامبو - كما هو معروف - قصب غليظ ينبت فى البلدان الاستوائية والبلدان المطيرة وتتخذ منه المنازل مثلما تتخذ من الخشب، ولكن أهل الصين اتخذوا من عروقه البيض خضارا يأكلونه كما نأكل نحن الكوسا والباذنجان مثلا واحضروا معه فى الصحن بعض الفطر الأبيض المستنبت عندهم.

وجاءوا بالفاكهة فى وسط المائدة كما اعتادوا وهى هنا معلبة كلها إذ لا توجد الفاكهة طازجة الان فى مقاطعتهم وهى قطع من الأناناس واليوسفى الذى يسمى فى الغرب العربى «المذرين».

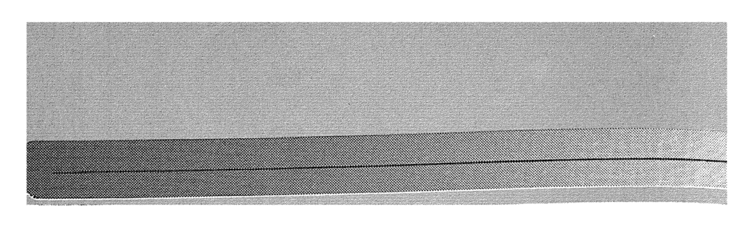
واما اللحوم فإنها متنوعة من ذلك سمك نهرى جيد الا أنه عابه عندنا كونه وضع عليه ما يشبه الصلصة الحمراء ولكن بطعم حلو كطعم السكر. كما احضروا مقادير قليلة من لحم البقر الجيد، ودجاجة واحدة محمرة ولكننا لم نستطع أكلها لكثرة الأنواع وانما اكل اصحابنا منها قليلا.

ومن الخضار الغريب الذى قدموه نوع يسمونه «الشعرى» لأنه فى هيئة شعر الانسان أسود ذو خيوط دقيقة طويلة ذكروا أنه ينبت طبيعيا فى الجبال والتلال ولا يزرع وان الناس يحرصون على أكله وبخاصة فى الشتاء حيث لا توجد خضروات طرية.

كما احضروا بذورا لنبات ذكروا اسمه ولم نعرفه محلاة بالسكر ذكروا انها مفيدة للصحة، ولا شك فى ان الأكل الجيد كله مفيد للصحة.

■ اما الخبز فانهم قدموه قبيل انتهاء المائدة وهو الخبز الصينى المعروف لنا من قبل الذى لونه لون العجين الابيض لا يختلف عنه فى شىء ولذلك لم نمسه ويصنعونه كرات بيضاء وفى بعض الاحيان يصنعونه على هيئة لفائف مكورة من الحبال.

كما أحضروا المأثوم وهو طعام عرفناه فى الحجاز من اخواننا البخاريين يشبه السنبوسك يحشى باللحم الدسم ولكنه يغلى غليا فيسلق سلقا بدلا من ان يقلى كما



تقلى السمبوسك.. ثم جاءوا بمسك الختام للطعام وهو عندهم الشربة الدسمة ولم أذقها وقلما ذقتها عندهم لأننا نكون قد اكتفينا بالاطعمة اللذيذة المتنوعة قبلها.

الاستقبال الحافل

كان الذهاب الى المسجد الجامع الكبير حيث ذكروا انه سيكون هناك اجتماع بأئمة المساجد وهم يسمونهم الخلفاء - جمع خليفة - ويريدون بهم طلبة العلم.

لم يذكروا لنا شيئا عن مجموع المسلمين المحتشدة امام المسجد الكبير وفى ساحاتها الواسعة أمامه والا لكنا اخذنا للأمر أهبته وصورناهم ونحن نمر من بينهم.. فقد فوجئنا عندما قربنا من الجامع بوجود عدد كبير من ضباط الامن معهم طائفة من الجنود وقد وقفوا يمين طريق السيارات ويسارهم وخلفهم الجموع الحاشدة من المسلمين يضاف اليهم طائفة من غير المسلمين من اهل البلاد مثلهم او أكثر منهم من غير المسلمين حضروا بدافع الفضول ومن باب الاطلاع على ما يجرى فى ذلك الاجتماع.

اصطف المسلمون صفا طويلا فى الجامع خلفه كتل من الناس بعضهم احضر شيئا يرفعهم عن الارض حتى يستطيعوا ان يروا اخوانهم القادمين من مكة المكرمة دون ان يحجبهم من هم دونهم.

وجعلوا للنساء صفا على حدة خلفه الاف من النساء.. كما جعلوا للبنات صفا وحدهن اى منفردا عن كبيرات السن وخلفهن الاف مثلهن غيرهن.

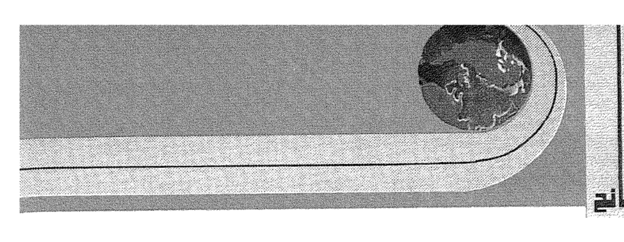
اما الشباب فانهم اختلطوا بالرجال وحتى اطفال المسلمين كانوا قد احضروهم معهم، ليشهدوا هذا الاحتفال باليوم العظيم عندهم الذى يستقبلون فيه أول زوار لبلدتهم جاءوا من جوار الحرمين الشريفين ومن مهابط الوحى فى مكة المكرمة والمدينة المنورة.

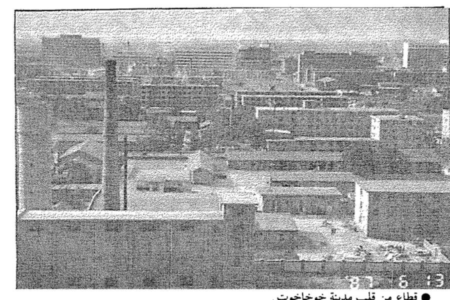
وغلبنا التأثر خاصة عندما تجاوزت السيارات بعض الواقفين والواقفات الذين ذكروا انهم كانوا واقفين من منتصف النهار فى انتظار ان يشاهدوا الزوار ولو كان لنا من الامر شىء أو عرفنا به من قبل لأوقفنا السيارة عند اول انسان من هؤلاء الاخوة المسلمين الواقفين وصافحناهم او على الاقل اشرنا اليهم بالسلام لأنه تبين فيما بعد ان فى مصافحتهم كلهم خطرا كبيرا اذ كانوا يحاولون ان يندفعوا بكل قواهم الينا وهم كتل متراصة فكان ان وقف الضباط والجنود ومضيفونا يحولون بيننا وبينهم خوفا على حياتنا او خوفا علينا من ضرر لا يستطيع حتى مستقبلونا الذين يحرصون على مصافحتنا ان يتلافوه. لأن الذين خلفهم يدفعونهم من غير ان يستطيعوا مقاومة ذلك.

ولقد تأثرت وانا أرى بعضهم واسمعه يرحب والكلمات تختنق فى حلقه إذ انفجر بعضهم يبكون من فرط التأثر.

وقد ملأوا المنطقة بلافتات عربية جميلة ذكر لى فيها بعد انهم كانوا يعملون فى كتابتها وتزويقها منذ أسبوع فهى كبيرة واسعة.. وبعض الذين يعرفون كلمات من العربية كانوا يقولونها ويرددون ما يقولونه: مرحبا مرحبا ثم يغلبهم التأثر فيبكون.

وقد زاد الموقف تأثيرا فى نفسى أنهم البسوا صبيانهم واطفالهم قلانس اى (طواقى) بيضاء مثلما البسوها كبارهم وذلك شعار المسلمين فى الصين مما حول هذا





● قطاع من قلب مدينة خوخاخوت.

الاستقبال الى أشبه ما يكون بالمظاهرة الاسلامية قليلة النظير فى هذه البلاد.

واردت ان اخرج المصورة وليس هذا أوان اخراجها لأن ضباط الشرطة والمرافقين كانوا قد التفوا حولى سدا منيعا من اجسادهم يمنع هذه الكتل البشرية الضاغطة من التقدم.

فى الجامع الكبير

تنفس اخواننا المستقبلون والمرافقون الصعداء عندما دخلنا الجامع الكبير لانهم شعروا اننا قد اصبحنا فى أمان من اندفاع جماهير المسلمين المشتاقين الى اخوانهم الذين احسنوا الظن بهم.. وكان المسجد ايضا قد ملئت حيطانه باللافتات التى تحمل الترحيب.

لبثنا نسير فيه مع مرافقينا ومستقبلينا الذين كانوا يحتفون بنا والمسجد يدخل اليه من ممر طويل يحاذى المسجد الرئيسى المصلى لأن هذا المسجد كأكثر المساجد فى الصين تتبعه أفنية وملحقات على هيئة غرف وقاعات.

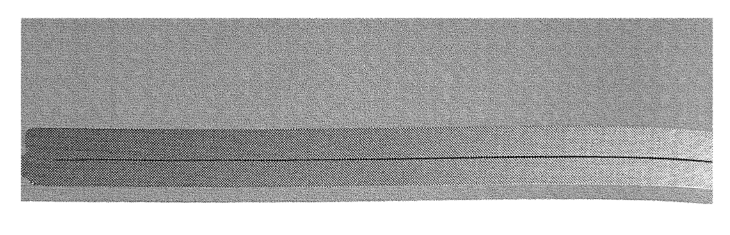
فاداروا صوت مكبر جهورى الصوت كانوا قد أعدوا سماعاته من قبل بالتكبير فكان يقول: الله اكبر. الله اكبر، اشهد ان لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله.

وقد تخلصنا من ضغط الجموع الحاشدة المستقبلة التى بقيت فى اماكنها خارج المسجد لانهم أغلقوا بابه دونها ولأن الضباط والجنود كانوا يمنعونهم والذين كانوا معنا من ائمة المساجد - كما وصفوهم - ومن الخلفاء اى طلبة العلم، ومن العاملين فى الجمعية الاسلامية، وبعض المثقفين من المسلمين لا يزال كبيرا.

فاجتزنا فناء المسجد دون وقوف حتى دخلنا قاعة كبيرة مستطيلة ملحقة بالمسجد يفتح بابها الى فنائه.

الحفل الخطابى

واذا بهم قد اعدوا فيها الحفل الخطابى.. احضروا له مصورى التلفزيون ومصورين صحفيين فكان أن اجلسونا فى هذه القاعة على يسار من الشيخ (على جنغ ده خه) رئيس الجمعية الاسلامية فى منغوليا وشغلت بقية المقاعد بذوى الشأن عند المسلمين منهم.. وامام المقاعد كانت موائد حافلة، بما غلا وندر من الفاكهة والنقول المستوردة الى هذه المقاطعة كالموز والمشمش واليوسفى والحلوى واللبن الرائب والأشربة الغازية والمثلجات



(الايس كريم) والى جانب ذلك الشاى الصينى المعهود.

وبعد السلام وكلمات الترحيب من الحاضرين القى رئيس الجمعية الاسلامية فى هذه المقاطعة الشيخ (على) كلمة قصيرة مكتوبة تضمنت الترحيب ونوه فيها بالعلاقات الوثيقة بين مسلمى الصين ممثلين فى الجمعية الاسلامية وفروعها وبين رابطة العالم الاسلامى فى مكة المكرمة التى لها علاقات وارتباطات مع المسلمين فى جميع انحاء العالم.

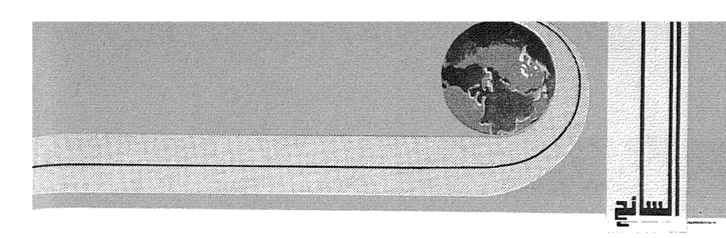
وأعرب عن تأييد المسلمين الصينيين لحقوق الشعب الصينى ونضال الشعب الافغانى.. وقال فى نهايتها سيلقى عليكم نائب رئيس الجمعية (عيسى سا ومنغ لنغ) بيانا وافيا بأحوال المسلمين فى هذه المقاطعة ثم القى نائب رئيس الجمعية الاسلامية كلمة مبسوطة مكتوبة ايضا وكلتاهما بالصينية وكان يترجم ما يدور من الكلام معرباً الصينيه الى العربية وبالعكس الاستاذ (مصطفى) الذى كان مرافقا لنا طيلة جولتنا هذه فى الصين جزاه الله خيرا.

وقد بسط فيها القول فى بعض الامور التى تهم الباحث فى أمر المسلمين فى هذه المقاطعة وان كانت مثل كلمة رئيس الجمعية ذات طابع يتسم بالطابع الرسمى أحيانا مثل العبارات التى تحث على السلام العالمى والصداقة بين الشعوب.

ثم القى الحاج (على جنغ ده خه) كلمة ترحيب قصيرة تحدث فيها عن ترحيب وفرحة المسلمين فى منغوليا بالزيارة وقال: انما المؤمنون اخوة ومن هذا المبدأ القرآنى نرحب بكم وبقدومكم من مكة المكرمة وقال: دخل الاسلام الى هذه المنطقة منذ ٣٠٠ سنة ويبلغ عدد المسلمين ١٧٠ الف نسمة ينتشرون فى كل أنحاء منغوليا ويبلغ عددهم فى العاصمة خواخوت ٢٨ ألف نسمة، ومثل هذا العدد يوجد فى بودو. وينتمى المسلمون الى قوميات خوى والا يغور والمغول واكثرهم من قومية خوي ويوجد ١٣٦ مسجداً فى منغوليا ويبلغ عدد الائمة ٢٦٩ إماما الى جانب ١٤٥ طالبا يدرسون العلوم الاسلامية فى المساجد.. ويقوم المسلمون بدفع اجور ونفقات هؤلاء الاشخاص. وكذلك تقدم الحكومة المحلية احياناً المساعدة المالية فقد قدمت الدولة ٩٠٠ الف يناً لترميم المساجد ورواتب الأئمة فى السنوات الاخيرة بعد انتهاء الثورة الثقافية. ثم قال:

إن عدد المسلمين فى خواخوت يبلغ ٢٨ الفاً ويسكنون فى هذا الحى خوى جو ومعظم الرؤساء والمسئولين فى هذا الحى هم من المسلمين وفى هذه المدينة خواخوت توجد اربعة مساجد مفتوحة كما لا يزال بها ثلاثة مساجد تحت الترميم ويتوفر لدينا ١٥ إماما و٧٥ طالباً فى العلوم الاسلامية. والمسلمون يؤدون فرائضهم الدينية فبعضهم يأتى للمسجد وبعضهم من الشيوخ يصلون من منازلهم وفى شهر رمضان المبارك يقدم المسجد وجبات افطار للصائمين مجاناً كما تؤدى فيه صلاة التراويح. وذكر عدد الحجاج فى مقاطعة منغوليا هذه فقال: وقد حج خمسة اشخاص من منغوليا ضمن بعثات الحج الصينية وسيسافر هذه السنة اثنان منهم لأداء فريضة الحج.

ثم قال: وتتحسن فى هذه السنوات معيشة المسلمين واحوالهم فمنهم من يقدم الزكاة عن طريق المساجد. وكذلك يهتم المسلمون بتربية ابنائهم بالعلوم الاسلامية فى

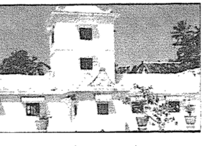




● الوفد الزائر فى صورة تذكارية مع نائب رئيس الوزراء فى منغوليا وبعض المسؤولين فى الحكومة.

فصول دراسية بالمساجد وقد بلغ عدد الطلاب الدارسين ٤٠ طالباً.. ويقوم الأئمة بالاضافة الى امامة المصلين فى الصلاة بتجهيز وتشييع الجنازة وعقد عقود الانكحة الشرعية فى المساجد بعد التسجيل الرسمى للزواج فى مكاتب الدولة...

وبعد ان أنهى كلمته عقبت عليها بالشكر على الترحيب وعلى كلماتهم عن احوال المسلمين هنا مبلغا لهم تحيات وسلام اخوانهم المسلمين فى الرابطة وفى انحاء العالم ورغبتهم فى معرفة احوالهم واوضاعهم وعن اهتمام الرابطة بهم وبمساعدتهم وتوثيق الزيارات والاتصالات بهم واستعدادها فى



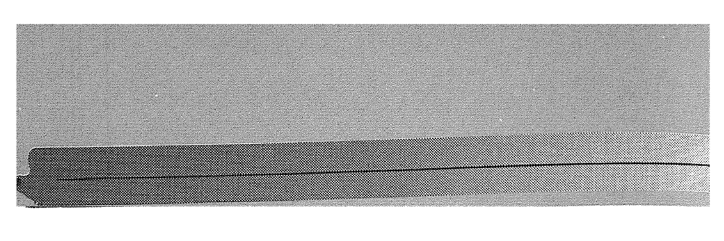
تقديم العون لهم لترميم وبناء مساجدهم اذا جاءت طلباتهم الى الرابطة بواسطة الجمعية الاسلامية الصينية المركزية، كما ان الرابطة على استعداد لتزويدهم بالكتب الاسلامية وفى النظر على توفير منح دراسية لابنائهم.

ثم حثهم على تربية وتعليم ابنائهم واطفالهم احكام وتعاليم الاسلام حتى يكون فى ذلك استمرار لوجودهم الاسلامى الذى بدأه اباؤهم منذ مئات السنين وانهيت كلامى بالدعاء لهم.

كان المسجد ذا سعة كبيرة واثار الترميم والاصلاح الحديث ظاهرة للعيان. وبعض الشباب المسلم الذين يدرسون العلوم الاسلامية فى المسجد بملابسهم المميزة منتشرون. ولم نتمكن من دخول فصل دراسى لانتهاء فترة الدراسة ولكن شاهدنا غرف سكناهم واقامتهم.

وكان الازدحام كبيراً ولم نتمكن من مشاهدة جوانب المسجد ومبانيه بحرية بسبب كثرة المسلمين حولنا وعند خروجنا من المسجد دعانا المسئولون المسلمون الى غرس شجرتين عند مدخل المسجد تذكاراً لزيارة اول وفد من الاراضى المقدسة لمنغوليا الداخلية وبعد الانتهاء من ذلك وسط فرحة المسلمين وابتهاجهم عدنا الى الفندق.

لقد أصغينا الى كلام هذا الأخ الكريم وهو يذكر أحوال المسلمين فى هذه المقاطعة منغوليا فى معلومات جديدة علينا لم نستطع التأكد منها عند سماعها ولكنه كان يلقيها أمام عدد من الاخوة المسلمين بل عدد كبير منهم ومن المسئولين فى الدولة ولم يعترض



عليها أحد فى السرولا فى العلن مما يعطيها شيئاً من التدقيق.

أحوال المسلمين فى منغوليا الداخلية

هذا وكنت أتأمل القاعة وما فيها إبان الحفل الخطابى فأجد رسما كبيرا للمسجد الحرام يغطى جهة منها كاملة ولكنه للمسجد قبل التوسعة السعودية الحديثة التى بدأت قبل ثلاثين سنة وقد حافظوا على هذه الصور اذ لم يتيسر لهم الحصول على صورة حديثة للمسجد الحرام بعد التوسعة التى غيرت مظهره تماما.

كما اتأمل ملابس الاخوة الموجودين فى القاعة فلا أرى منهم حاسر الرأس أبدا وإنما عليهم العمائم البيض ذات الذوائب المرخاة خلف الرقبة الى ما بين الكتفين اوالقلانس البيض وحدها. كما لم أر منهم من يرتدى الزى الافرنجى الا واحدا هو الاستاذ (سليمان عبد العزيز ساوتاجونغ) كما اسمى لى نفسه وهو يتكلم العربية جيدا ويشبه المصريين تماما فى تقاسيم وجهه وفى بعض تصرفاته.

ولما داعبته بقولى له أأنت مصرى الأصل؟ أجاب: بل استاذى الذى درست عليه العربية هو مصرى كان مدرسا فى المعهد الاسلامى فى بكين عام ١٩٦٠م.

وذكر انه عمل مدرسا فى معهد اللغة العربية الذى انشىء فى (تونغ شين) الواقعة فى مقاطعة كانسو وكنا زرناها المرة السالفة وذكرت ذلك فى كتاب: «داخل أسوار الصين» وقبل انشاء ذلك المعهد الذى ذكر انه أنشى فى عام ١٩٨٥م ثم هو الان مدرس لطلبة العلم هنا فى منغوليا فالشيخ سليمان هو الوحيد الذى يلبس الزى الافرنجى ولكنه يضع على رأسه قلنسوة أى طاقية بيضاء.

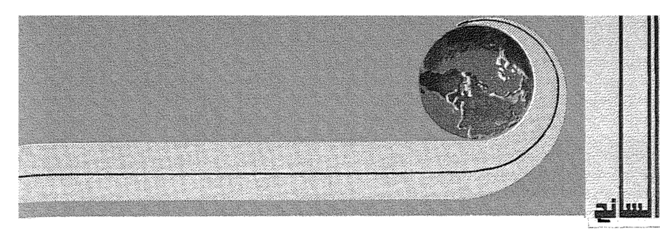
غرس الشجرة التذكارية

استمر الحفل الخطابى حتى أزف الوقت لصلاة المغرب والشمس تغرب هنا فى الثامنة والنصف وبضع دقائق وعند نهايته كانت الفقرة التالية فى البرنامج غرس شجرة تذكارية عند باب المسجد من اجل تذكر زيارتنا لهذه المقاطعة كما قالوا.

ولا شك فى ان غرس الشجرة شىء مطلوب فى اى مكان وأما التذكار فان المطلوب منه هو ابقاء الصلة وعدم انقطاع الأثر وهذا يتم بأشياء أنفع من غرس الشجرة وأبقى منها على الدهر مثل العمل على ارسال المعونات التى يحتاج اليها فى تعمير المساجد واعطاء المنح الدراسية لأبناء المسلمين للدراسة العالية فى كليات البلدان الاسلامية وبخاصة العربية منها.. فخرجنا من مكان الحفل الخطابى الى خارج باب المسجد فرأينا جمع المسلمين من رجال ونساء لا يزالون موجودين عند باب المسجد ولا أدرى أكانوا يستمعون الى الحفل الخطابى أم لا لانه كان من مكبر للصوت لكنى لا أدرى الى أين يبلغ.

وأرونا شجرة يبلغ ارتفاعها الى صدر الرجل من اشجار البلدان الباردة وجعلونى اغرسها وأحثو التراب على جذعها بالمجرفة وهم يساعدون على الامساك بها.. ثم احضروا الماء فسقيتها.

وهكذا انتهى غرس الشجرة بسرعة حسب ما اراده الضباط المسئولون عن الامن لانهم كانوا يخافون من ازدحام الناس علينا فينفلت الامن.





● مجموعة من المودعين للوفد الزائر قرب الطائرة.

الصلاة فى الجامع

وهنا كان وقت المغرب فقد حان فصدح المؤذن بالاذان فاستجابت لاصدائه الجموع من الذين كانوا معنا داخل الجامع واما من كانوا خارجه من رجال ونساء فكانوا يمنعونهم من الدخول الى المسجد وقد آلمنى ذلك مما جعلنى أسأل بعض الاخوة المرافقين فيقول أن السبب فى ذلك هو طلب الامن والمحافظة عليكم.

وخيل الى ان منارة الجامع العظيمة العالية قد جاوبت النداء أيضا وهى ترى أفواجا جاءوا من جوار الكعبة المشرفة حيث الصلاة تحت منارات المسجد الحرام واذا لم تكن المنارة قد فعلت ذلك فان الاخوة المسلمين قد فعلوا ما هو اكثر منه على اليقين.

قدمونى للصلاة فيهم فأبيت وقلت لهم: لا أتقدم على صاحب البيت وانا أريد من ذلك ان أرى كيف يصلون وكيف يقرأون وماذا هم فاعلون بعد الصلاة.

فتقدم الاخ الشيخ ابراهيم (شن فوشن) فصلى بنا صلاة موجزة ولكنها كاملة والحق يقال صلاة مؤثرة خاشعة لا اعتقد انها تمحى من ذاكرتنا على الأيام. ولم يفعلوا بعد الصلاة الا ادعية سرية كان الامام يفتتحها بكلمة جهرية مفهومة مثل الحمد لله رب العالمين ثم يظل يدعو سرا والقوم يدعون سرا كذلك ربما يظهرون أنهم يتابعونه وان كانوا لا يسمعون ما يقول ثم يقول جهرا الحمد لله رب العالمين،! واللهم صلى على محمد.

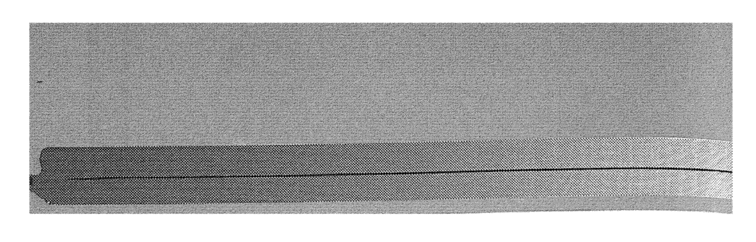
وهذا دعاء غير طويل ومعه صلاة النافلة من الجمع لم يتخلف منهم احد عن أدائها حتى كأنها فى ذلك صلاة الفرض، وان كان كل واحد منهم يصلى منفرداً.

وخرجنا بعد المغرب من المسجد ولا تزال جموع المسلمين من رجال ونساء متجمهرة عند بابه فودعناهم بالاشارة اذ لا سبيل الى المصافحة لكثرتهم والخوف من انفراط الامن بينهم. وعدنا الى الفندق.

فطور منغولى

ومرة ثانية نقول ان منغوليته هذه جاءت من كونه فى (منغوليا) بلاد المغول وربما ليس لكونه قد صنعه المغول على ان المضيفة التى قدمته مغولية خالصة.

اول الغرائب فى هذا الفطور هو الشاى مع الحليب على مائدة صينية فالقوم فى الصين غالبا ما يشربون الشاى ساذجاً خاليا من اى شىء كما قدمت.



واما وجود الحليب مع الشاى فان ذلك من عادة مغولية كما اخبرونا الا ان الغريب فيه انهم وضعوا فيه بدلا من السكر ملحا وليس هذا غلطا لذلك جاءوا بالمزيد من الملح لمن لا يكفيه ما فى هذا الشاى من الملح وقد فعل اخواننا المرافقون الصينيون ذلك فزادوه ملحا على ملح.

اما نحن فقد ذقناه فما استطبناه، وطلبنا ان نعطى شايا خالصا أحمر اذا تيسر فتيسر الشاى الاحمر الحقيقى وتيسرت معه قهوة خفيفة جدا وهى المعروفة فى الصين على قلة استعمال الصينيين للقهوة على وجه العموم وقهوتهم اذا جاءوا بها فانها بدون سكر مثل قهوتنا ولكنها فى قلة القهوة وكثرة الماء ليس لها مثل الا ما قاله احد ظرفاء العامة فى بلادنا غير ما رأى مثلها هى ماء البئر (تحررونه وتمررونه) اى تجعلونه حارا مراً والا فهى الماء الخالص من البئر الذى لا يختلف عن ذلك بشىء.

ومع القهوة والشاى حساء اى شوربة من الرز وقليل من لحم البقر ولم نمسه لاننا كنا قد اكثرنا من اللحم والسمك البارحة.

ثم جاءوا بالحليب الخالص الحار وقد حلب لتوه ولم يدخله مسحوق ومعه احضروا بيضا مسلوقا وشيئا من المربى واما الخبز فانه الافرنجى المعتاد.

الى ريف منغوليا

وكدت اكتبها (الى صحراء منغوليا) لأن الريف هو فى الأصل الارض المربعة من ربيع مطبوع أو مزروع ولكنى عدلت عن ذلك حتى أرى من أمر هذا الريف المغولى ما لم أره.

وكنت طلبت من الاخوة ونحن فى بكين ان يتضمن البرنامج فى منغوليا زيارة للاطلاع على برارى هذه البلاد المغولية البعيدة عن المدينة.

فوافقوا على ذلك ووجدناهم حددوا له الثامنة من صباح هذا اليوم مع النص على ان الفطور لن يكون قبل السابعة والنصف لان الموظفين لا يأتون الى الفندق الا بعد السابعة فلا يستطيعون انجازه قبل السابعة والنصف.

ونصحونا بتغيير اللباس العربى وكنا بحاجة الى ذلك، لكونه يحتاج الى عناية واذا احتاج الى غسل او كى لم يحسنوه.

ولكنهم ذكروا لنا ان طبيعة الانتقال فى المكان الذى نقصده تتطلب ان يكون اللباس عالميا وهو ما يسمى بالافرنجى وقالوا: انه لن يكون هناك برنامج للمقابلات يستدعى ان تلبس له الملابس الرسمية.

■ كما ذكروا لنا شيئا لم يخطر ببالنا وهو ان الجو فى المنطقة التى نقصدها هو بارد لا تكفى فيه الملابس العربية المعتادة ولابد فيه من لبس (الجاكيت) وذلك لانه ذاهب الى الشمال قليلا وهو مرتفع اكثر من موقع العاصمة (خوخاخوت) بكثير.

وجدناهم أحضروا حافلة متوسطة فيها مع الاخوين الاثنين الذين رافقانا من بكين وسكنا معنا فى الفندق احد عشر مرافقا من منطقة منغوليا الداخلية فنكون نحن خمسة عشر شخصا فى هذه الحافلة. واخذنا للأمر أهبته من المصورات وشرائطها واخذوا هم الى ذلك مصورا خاصة رافقنا طول الرحلة لتسجيلها.

■ وظللنا برهة راكبين فى الحافلة عند باب الفندق دون ان نتحرك وفسروا لنا ذلك بأنه انتظار لطعام الغداء الذى سنحمله معنا الى



● كانت جموع المسلمين تحتشد في المسجد الجامع الكبير وكان المشهد مؤثرا للغاية.

● محاولة التعويض عن نقص المياه وحتى عن انعدام الزراعة بإيجاد المصانع.. هي فكرة صائبة جداً.

تلك البرية المغولية.

وانتهزت أنا الفرصة فخرجت من فناء الفندق الضخم الذى يقع على شارع متوسط السعة ولكنه يعج بالحركة فالتقطت عدة صور للشارع وللناس الذين هم فيه وهم ذاهبون الى أعمالهم دون ذلك صورة لمدخنة كبيرة كأنها برج المياه الشاهق وهى لأحد المصانع.

وكان رئيس الرحلة الذى نراه يأمر فيها وينهى وكان معنا منذ اللحظة الاولى لوصولنا الاخ الشيخ (ابراهيم باى فن مين).

وظل راكبا بجانبى فى مقدمة الحافلة يجيب على اسئلتى الكثيرة ويصبر على فضولى الذى ربما كان لم يعتد عليه وان كنت اراه مثل غيره من الاخوة المسلمين فى هذه المقاطعة يحرصون بل يفرحون بتلبية كل ما نطلبه ولو كان فى ذلك ما يشق عليهم أو على الاقل ما يقلل من راحتهم.

والاخ (ابراهيم باى‌فن‌مين) هو نائب رئيس الجمعية الاسلامية فى مقاطعة منغوليا الداخلية هذه ولرئيس الجمعية نواب عدة كما هى العادة فى الصين وحتى فى الاتحاد السوفيتى حيث يكثر النواب لرئيس واحد إرضاء لهم وربما لتوزيع العمل بينهم.

وهو إمام قديم اذ كان قبل الثورة الشيوعية هو إمام الجامع الكبير فى (خوخاخوت) الذى كنا فيه الليلة البارحة وهو متقاعد منذ اربع سنين إذ يبلغ الرابعة والستين من العمر وسن التقاعد فى الصين هى الستون. كما اصبح معنا ممن يحسنون العربية اثنان اذ انضم الى ركاب الحافلة الاخ سليمان بن عبد العزيز من الاخوة المسلمين الذين يسكنون فى هذه المدينة وتعلم العربية فى مصر.

حول اسم المكان

تحركت الحافلة فى الثامنة والنصف قاصدة (تساوخا) التى تبعد بما يزيد قليلا عن مائة كيلو متر عن (خوخاخوت) ولكنها فى منطقة مغولية خالصة تقع الى الشمال الغربى من عاصمة

المقاطعة وينبغي ان نعرف ان السين هنا ليست سينا عربية خالصة ولكنها مثل السين التى فى الاسم الثانى لزعيم الشيوعية الصينية الهالك (ماو تسى تونغ) فتسى ليست ثلاثة حروف كما يتصورها من لم يعرف اللغة الصينية وبخاصة فلسفتها فى الأسماء التى لا تزيد على حرفين أولهما متحرك والثانى ساكن جريا على عادة اللغة الصينية فى استعمال المقاطع وانما هى حرفان فقط ولكن الصحفيين والاخباريين الاجانب لم يجدوا فى لغاتهم الاوروبية ما يماثل ذلك الحرف فرسموه بأقرب الحروف اليه فى النصف وهو السين وزادوا قبله تاء لتوضح ان السين منه ليست سينا حقيقية مثلما نفعل نحن فى لغتنا العربية حينما ننقل اسم تشرشل أو تشارلس والحرف الاول منه ليس موجودا فى العربية فنزيده تاء فى الكتابة وان لم تزد فى النطق وانما ينطق به من يعرف النطق الصحيح فيه بالحرف الذى ينطق به فى لغته الاصلية وهو حرف (CH) المؤلف من حرفين فى الكتابة.

ومثل ما يفعل الافرنج بكتابة حرف الخاء فى (خالد) العربى مثلا فإنهم يضعون الكاف ومعها الهاء إشارة الى ان الكاف ليست هى الصحيحة الصريحة الموجودة فى لغتهم. فاسم (تسى) فى (ماوتسى تونغ) هو حرفان لا ثلاثة أولهما ما كتب له الحرفان العربيان وهما التاء والسين والثانى هو الياء الصحيحة وذلك لأنه لا يوجد فى العربية حرف يقابل حرف (ت س) وانما هو ينطق به بالضبط مثلما تنطق العامة فى نجد بالكاف فى كلمة (كم)؟ الاستفهامية او كلمة كثير ضد قليل فالعامة لا تنطق بالكاف فيها كافا صحيحة كالكاف فى كلمة (كلهم) مثلا او كالكاف فى التلاوة القرآنية الصحيحة.

■ ولو كنت من المشتغلين بالصينيات لأعدت كتابة هذه الحروف الصينية القريبة الى لغتنا العربية كما نكتبها اذا وردت فى لغتنا العامية الى اللغة الفصيحة.

لذلك كنت اكتب (ماوتسى تونغ) (ماوكي تونغ)..

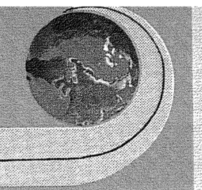
■ وهكذا اسم رئيس وزراء الصين فى الوقت الحاضر يرسم بالعربية تبعا لترجمته من الانكليزية (زهاو) وهذا يعنى انه اربعة حروف والواقع انه حرفان فقط احدهما وهو الذى كتب (ره) ينطق به الصينيون كما تنطق العامة فى نجد او بعضهم بحرف القاف فى (قربه) او قليل ضد كثير او..

ولو كنت أيضا من المريمين للاشتغال بالصينيات لناديت باعادة كتابة الحروف الصينية طبقا لما نكتبه الان فى الفصحى عندما ننقل كلام العوام من أهل بلادنا.

■ ولا شك فى ان أسلافنا من اللغويين العرب قد واجهتهم مثل هذه المسألة ولا اقول المشكلة فحلوها بما ننادى به الان وهو أن تكتب الحروف التى ليس لها نظير فى الهجاء العربى بما يقرب من الحروف من مخارجها ولا نتصرف فيها فنزيدها حرفا او حرفين من عندنا يبعدانها من نطقها الصحيح، ولا يقربانها منه.

■ وبهذه الطريقة كتب أسلافنا الحروف الخارجة عن نطق الهجاء العربى الموجودة فى لهجات بعض القبائل العربية مثل كسكسة تميم وكشكشة ربيعة ولو كانت تلك اللهجات عربية صحيحة وليس هنا مجال الحديث عنها وقد أوضحت امرها فى مقدمة كتابى (معجم الالفاظ العامية) الذى لا يزال مخطوطاً.

« يتبع »




فـى اعمـــاق الجمهوريـــة العراقيــــة:

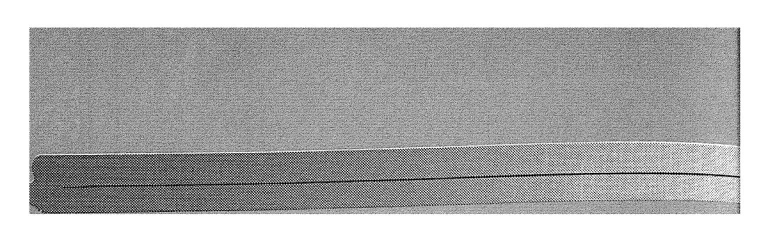
● « بانـوراما القـادسيـة » تمثل الأحداث التاريخية بأدق تفاصيـ
● اليـوم يطالعك فـى بغـداد التطـور العمرانى والـ
● عمليات الترميم والصيانة لكل الآثار التاريخية فـ

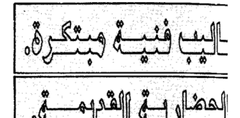
أيام في العـ



بقلم: زهير محمد جميل كتبى (مكة المكرمة)

■ وصلنا الى بغداد مساء يوم الثلاثاء ١٣ شعبان ١٤٠٦هـ. وكان فى استقبالنا معالى المهندس «محمد عبد الوهاب المفتى» رحمه الله، أمين مدينة بغداد ورئيس المؤتمر حينذاك. وبدأت الرحلة فى اليوم التالى لوصولنا: حيث بدأنا بمدينة بغداد. وما فيها من تطور عمرانى حديث كما شاهدنا الكثير من المعالم الحضارية القديمة، منها الاسواق التجارية وما فيها من حوانيت ودكاكين وبضائع وصناعات وخاصة صناعة العباءة العربية (المشلح أو البشت) وكنا نسمع ونحن نسير أغانى عراقية جميلة منها القديمة ومنها الحديثة، ومما أذكره الان اغانى المطرب العراقى الكبير ـ ناظم الغزالي ـ لاننى أعجبت بأغانيه واشتريت مجموعة لا بأس بها من الاشرطة ـ الكاسيت ـ ثم سرنا نحو شارع الرشيد. وشاهدنا هناك الفن



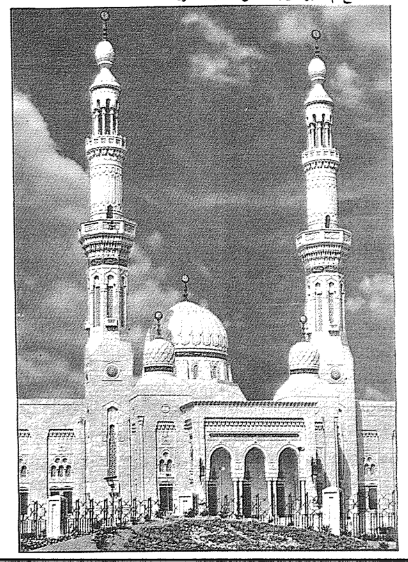


اق لا تزال مستمرة.



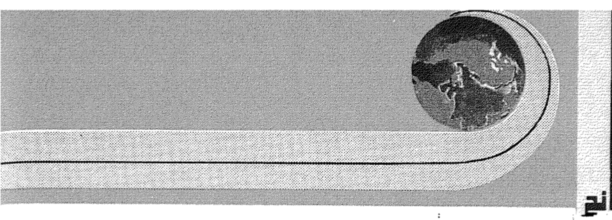
سنحت لى الفرصة بزيارة الجمهورية العراقية الشقيقة ضمن وفد المملكة العربية السعودية ـ لحضور اجتماعات المجلس الادارى التاسع لمنظمة العواصم والمدن الاسلامية. والاجتماع الثانى لصندوق تعاون العواصم والمدن الاسلامية وذلك فى شهر شعبان ١٤٠٦هـ. ولقد وصلنا العراق قبل افتتاح مراسم وفعاليات المؤتمر بفترة مناسبة. وهذه أول مرة لى فى حياتى أصل الى العراق رغم كثرة سفرى وترحالى.

● جامع أم الطبول فى بغداد من المساجد الأثرية.



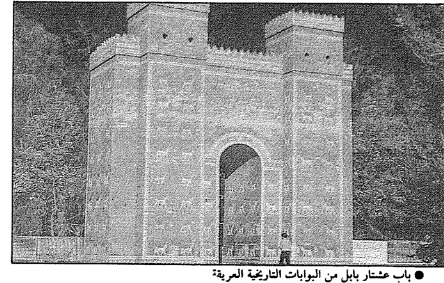
المعمارى العربى الاسلامي العريق فكنت اطرح الكثير من الاسئلة والاستفسارات عما يدور فى خلدي وخاطرى. قلت لأحد المرافقين ان العراق ارض الحضارات العربية الاسلامية فقال منشداً:

سألتنى عن العراق
وقالت:
قد سمعت أن العراق جميل
قلت يا لندا لا تثيري شجونى
فحديثي عن العراق طويل

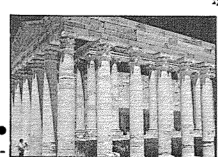




● مئذنة الملوية في سامراء



● باب عشتار ببابل من البوابات التاريخية العريقة



● من الآثار العراقية ـ الحضر نينوى

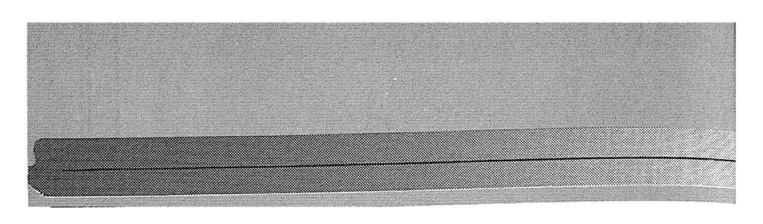
تلك أرضي سماؤها مثل عينيك صفاء
وماؤها سلسبيل
الجنان المعلقات وعدن في رباها
وفي رباها النخيل.
فاعذريني ان لم ترق لي أرض بعد أرضي
أو عزّ عندي البديل.

■ قال لي الاخ سالم هذه الابيات فقلت: له أنني أرغب ان اكتبها لاني لم استطع حفظها منك ونحن نسير في هذا الشارع العريق ـ الرشيد ـ فقال سوف اعطيك اياها ضمن دليل سياحي عن العراق. وكان ذلك مما استفدت منه في كتابة مقالي هذا.

■ ومن الاسواق التي شاهدتها **(الصفافير ـ النحاسين ـ وسوق الشورجة ـ وسوق البزازين).**

ثم ذهبنا الى مشاهدة (المدرسة المستنصرية) وهي اهم جامعات العالم الاسلامي في العصر العباسي واشتهرت بتدريس اللغة العربية وعلوم الدين والفلك والرياضيات والطب والصيدلة وبها مستشفى خاص لتدريب طلبتها.

وتطل المدرسة المستنصرية على نهر دجلة وشيدت في عهد المستنصر بالله العباسي وسميت باسمه وهو الخليفة السابع والثلاثون ودامت خلافته من (٦٢٣-٦٤٠هـ) وتم بناء المدرسة في ست سنوات (٦٢٥-٦٣١هـ) وهي مستطيلة الشكل طولها (١٠٤٫٨م) وعرضها (٤٤٫٢٠م) مساحتها الكلية (٤٨٣٦م²) في وسط المدرسة ساحة مساحتها (١٧١٠م²) تطل عليها اواوين. وهي عبارة عن وحدات بنائية تغطيها اقبية كبيرة وزخارف جميلة مفتوحة، بكل اتساعها على الساحة ويوجد بالمدرسة غرفة



لسكن الطلبة بطابقين وبها مكتبة تضم حوالى ثمانين الف كتاب الى جانب صيدلية ومستشفى وبستان وأيضا بها دار للحديث والقرآن.

■ ومما اشتهرت بها هذه المدرسة العريقة **«الساعة المتميزة التى كانت تحدد الوقت فلكيا»** الى جانب تعيين مواضع الشمس والقمر فى كل آن. وشاهدنا الحكومة العراقية تقوم بأعمال ترميم وصيانة لهذه المدرسة وأعجبت كثيرا بالبوابة المزخرفة بالزخارف الاسلامية العربية الجميلة الرائعة.

ثم انتقلنا الى مدرسة اخرى من نفس طراز المدرسة المستنصرية، هى المدرسة المرجانية وتسمى اليوم بجامع مرجان. وتقع بمنطقة الشورجة فى شارع الرشيد الجميل الذى ذكرنى كثيرا بتاريخ الخليفة العظيم هارون الرشيد وربطت تلك المعلومات التاريخية التى فى ذهنى عن عصر الرشيد الذهبى بما دار فى خلدي انذاك بمياه عين زبيدة زوج الرشيد. هذا الاثر الطيب الذى لن ينسى للسيده زبيدة بمكة المكرمة. وما قدمته من خدمة كبيرة جليلة لسكان العاصمة المقدسة، وحجاج بيت الله الحرام.

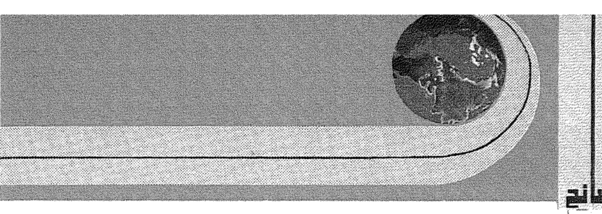


● الدبكة الكردية من الرقصات الشعبية فى شمال العراق.

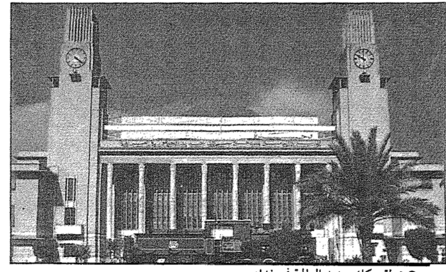
■ وقد سميت المدرسة المرجانية، نسبة الى أمين الدين مرجان حيث شيدت هذه المدرسة فى سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٧م. ولقد قيل لنا أن أجزاء من هذه المدرسة قد هدمت وبنى مكانها مسجد وبقيت بعض اطلالها. ثم انتقل بنا الاخ المرافق الى أثر معمارى اسلامى رائع. يدل على ما وصل اليه المسلمون العرب من تقدم فى الفن الهندسي المعمارى.

■ انه سور بغداد وابوابه. قيل لنا ان أبا جعفر المنصور عندما خطط مدينة بغداد اتخذ اسلوباً جديداً فى التخطيط حيث استخدم التخطيط المستدير لأسوارها، والمداخل الاربعة ذات الانعطاف بتسعين درجة لأغراض دفاعية شيد الجزء الشرقى لسور بغداد ـ الرصافه ـ على يد الخليفة المسترشد بالله الذى حكم فى الفترة من (٥١٢ـ٥٢٩هـ) (١١١٨ـ١١٣٥م) يتكون السور الشرقى من جدار سميك من الآجر تدعمه ابراج عديدة يتقدم السور خندق عميق متصل بدجلة وحوله مسناة.

ومن ابواب السور الشرقى باب المعظم، باب الظفرية ـ الوسطانى ـ باب الحلبة، باب البصلية. أما الباب الوسطانى فهو الباب الوحيد الشاخص حتى اليوم وكنا عندما ننتهى من فعاليات الاجتماع وجلسات العمل نتناول الحديث عن الحضارة العربية والحضارة الاسلامية بالعراق والحديث ذو





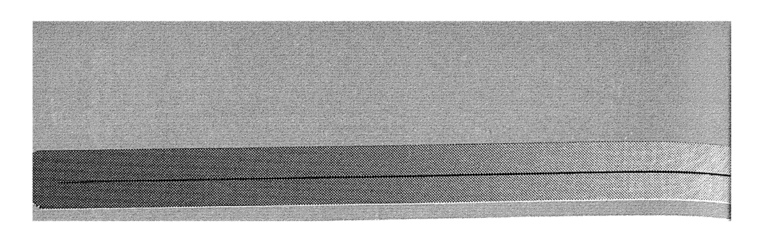


● محطة سكك حديد العالمية فى بغداد.

شجون فى هذا المجال واستمر النقاش، حتى وصل الى ذكر منطقة تسمى - طيسفون - وهى المدائن وتبادلنا الحديث حولها وطلبنا زيارتها من اجل الاطلاع على ما بها من اثار. وتم ذلك بان قمنا بزيارتها وهى تبعد حوالى ٣٠كم عن العاصمة بغداد ومدينة المدائن شيدت كما علمت فى القرن الثانى قبل الميلاد. وبها معلم حضارى شاخص حتى اليوم هو جزء من قصر كبير على مقربة من نهر دجلة يرجع عهده الى منتصف القرن الثالث للميلاد. وقيل لنا ان هذا الطريق من اكبر الطرق المشيدة بالآجر في العالم واعلاها. ان طراز بنائه متطور عن اساليب معمارية عراقية عريقة وسألت عن كيفية فكرة الايوان. فأجاب الدليل السياحى المرافق لنا بقوله بأن فكرة الايوان جاءت متطورة عن الابنية العراقية القديمة.

ارتفاع الايوان ٣٧م وامتداد المسافة بين جداريه الايمن والايسر ٢٥٫٥م وعمق الايوان ٤٨م وسمك جدرانه فى الاسفل ٧م ويقترب من هذا الايوان متحف محلى لآثار المنطقة لم نقم بزيارته.

ثم ركبنا سيارتنا المخصصة لمرافقتنا الى مبنى كبير اطلق عليه (بانوراما القادسية) بنفس المدائن حيث تعتبر كما قيل لنا احدث (بانوراما) في العالم بعد بانورامات (موسكو - لينينغراد - بالجيكا - كوريا الشماليه). وهى مشروع سياحى وتاريخى وتمثل (البانوراما) مجموعة من الاحداث والمشاهد بنيت على أسس متطورة تمثل فى جوانبها حدثا أو أحداثاً تاريخية ثابتة من شأنها توضيح هذه الحوادث والوقوف على أدق تفاصيلها بأساليب فنية وتكتيكية مبتكرة كالصوت والضوء والديكور. ومختلف المؤثرات البصرية الاخرى. بحيث توظف هذه الوسائل بأكملها للوحة التشكلية الكبيرة المعبرة عن الحدث التاريخى المطلوب. ففى (بانوراما) القادسية رسمت معركة القادسية الكبرى على لوحة ضخمة تمثل جميع جوانبها وتفاصيلها اضافة الى الاصوات التى ترافق تلك المشاهد والتى تعتبر من وسائل الايضاح المهمة للمعركة كصهيل الخيول وضجيج الجند وصليل الاسلحة ومختلف وسائل الحرب المستعملة آنذاك اضافة الى الاضواء التى وزعت بشكل فنى مناسب تشعر المشاهد وكأنه امام معركة حقيقية واحداث حية. والحقيقة اننى اعجبت كثيراً بما شاهدته فى هذه (البانوراما) وفكرته. وشيدت (بانوراما القادسية) على مساحة ٢٥٠٠م² وارتفاع البناية حوالى ٢٨م وتبلغ ابعاد اللوحة الدائرية التى



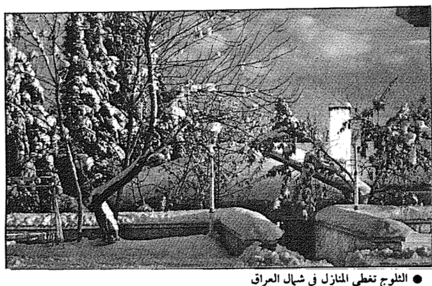
وزعت عليها احداث المعركة بطول ١١٠م وبارتفاع ١٥م وقد رسمت تفاصيل المعركة على مساحة مقدارها ١٦٤٠م.

ثم عدنا الى عاصمة الحضارات بغداد وتجولنا بها وشاهدنا الكثير من الجوامع والمساجد وما بها من زخارف ومآذن وقباب والمطلى بعضها بصفائح الذهب. واستمعنا الي قصص وعبر عن دور تلك الجوامع والمساجد فى نشر الاسلام. ودورها العظيم فى العبادة والعلم.

■■ **ومن تلك المساجد والجوامع :**

جامع الامام الاعظم ـ جامع الشيخ عبد القادر الكيلانى ـ مسجد الخلفاء ـ مسجد الشهداء فى أم الطبول.

■ وفى احد الايام طلبنا تناول بعض الاكلات الشعبية المعروفة بالعراق. فلبي طلبنا، وذهب بنا الى شارع يسمى بشارع ابى نواس. وكان الوقت ليلا حيث يقع هذا الشارع على امتداد نهر دجلة بين جسرى الجمهورية حتى منطقة الجادرية وسمى باسم الشاعر العباسى نديم الخليفة هارون الرشيد. والشهير بشاعر الانس والمرح. ونحن نسير شاهدنا

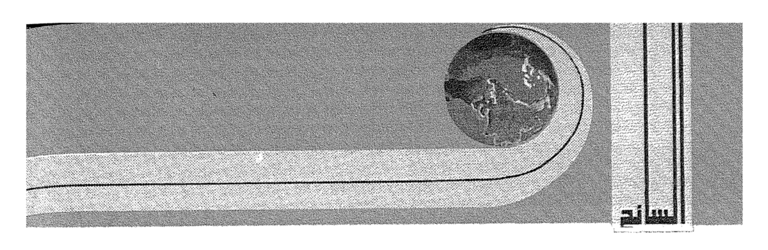


● الثلوج تغطى المنازل فى شمال العراق

مجموعة من المبانى ذات طراز موحد وجميل فسألت عنه وماهيته فقيل لنا انه فلل سكنية للمواطنين تعمل بالطاقة الشمسية فسررت كثيرا لهذا التقدم العلمى الذى يعيشه هذا القطر العربى الشقيق نعم كان شارع ابو نواس ذا منظر جميل وبديع.

ان أبا نواس شاعر الانس والمرح يوم كانت بغداد تثير السحر بالاذهان ويقصدها الزوار من اقاصى الارض ولعل اجمل مشاهد هذا الشارع فى الليل نيرانه المشتعلة هنا وهناك على ضفة النهر وسألنا عن هذه النيران المشتعلة داخل المطاعم فقالوا حيث بشوى السمك المسكوف وهى الاكلة الشعبية الاولى فى العراق. اذا يؤخذ السمك حيا فيغسل وينظف ويوضع على اوتاد خشبية فى دائرة وشبه دائرة حول نار الحطب المتأججة ليقدم بعد الشوى مع ما لذ وطاب من المخللات والخضروات والخبز المصنوع من القمح الى جانب العصيرات.

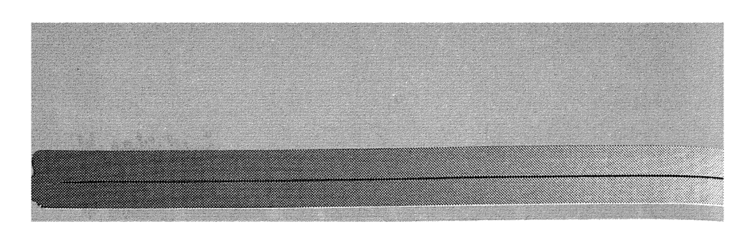
■ ثم نظمت لنا ادارة الاجتماع رحلات ميدانية لزيارة مدن عراقية اخرى وفعلا بدأنا بزيارة مدينة بابل وهى من المدن القديمة، كانت من عواصم الدنيا الكبرى ونالت من الشهرة وذيوع الصيت ما لم تنله مدن عاصرتها. وتعتبر مدينة بابل من احدى عجائب الدنيا السبع وقيل لنا عنها انه وردت اخبارها من العصر الاكدى قبل نحو ٤٣٠٠ سنة ـ وحصلت بابل



● صناعة السجاد من
الصناعات اليدوية المشهورة فى العراق.

على منزلة مرموقة وخاصة زمن عاهلها الفذ حمورابى الذى حكم فى الفترة من (١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م) وهو المشرع الكبير الذى تقترن باسمه مسلته المشهورة. كما نالت بابل منزله خاصة زمن الحاكم نبوخذ نصر. الذى حكم فى الفترة من (٦٠٤-٥٦٢ ق.م).

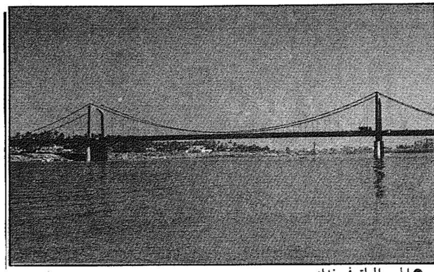
■ ولمدينة بابل سور خارجى يمتد لنحو ١٨كم. وكذلك سور داخلى مستطيل الشكل يمر النهر من خلاله ويقسمه الى قسمين.. وفى القسم الشرقى توجد القصور والمعابد.. وفى الغرب المدينة الجديدة وشاهدنا فى مدينة بابل المسرح الاغريقى وشارع الموكب واسد بابل وبوابة عشتار كما شاهدنا نموذجاً مصغراً لمدينة بابل ثم شاهدنا قصر الملك نبوخذ نصر. وكذلك القصر الصيفى حيث يوجد به فتحات تهوية فى اعلى الجدران الخلفية لحجرات القصر الداخلية وهو من قصور نبوخذ نصر. ومن المدن العراقية التى قمنا بزيارتها مدينة كربلاء التى تقع على بعد ١٠٢كم من بغداد والتى مرت بالكثير من



الاحداث والوقائع التاريخية الاسلامية.

■ وكذلك قمنا بزيارة لمدينة النجف الاشرف وهى تبعد ٨كم من مدينة الكوفة وبها مسجد سيدنا عليّ بن ابى طالب كرم الله وجهه وبه قبة ذهبية، وكذلك منارته ذهبية وشاهدت بالمسجد نفائس لا تقدر اثمانها كما قيل وهى هدايا الملوك والسلاطين. ولقد قمنا كذلك بزيارة لمدينة الكوفة وهى مدينة هامة فى التاريخ الاسلامى وقد شيد العرب الكوفة عام (٥١٧ـ٦١٨م) على يد القائد المسلم العربى سعد بن ابى وقاص.

■ وبعد هذه الرحلات الميدانية توقفنا يوماً لتكملة أحداث وفعاليات الاجتماع.. وفى اليوم التالى قمنا بزيارة مدينة هامة هى سامراء التى انتقلت اليها الخلافة العباسية بعد بغداد فى فترة حكم الخليفة المعتصم وتبعه ابنه الواثق. وازدهرت سامراء ايام حكم الخليفة المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ) ثم تركها الخليفة المعتمد عام (٢٧٩هـ) وعاد بالخلافة الاسلامية الى بغداد حيث تقع سامراء على جانب الشرقى لنهر دجلة لامتداد خمسة



● الجسر المعلق فى بغداد.



● اشجار النخيل الباسقة تلقى ظلالها على المياه الهادئة فى الأهوار

وثلاثين كيلو متراً وشاهدنا الجامع الكبير والمئذنة الملوية، وقصر بلكواره. وبيت الخليفة وساحة الفروسية وتل العليق. وسور آشناس. وجامع ابى دلف والمتوكلية وأعجبنا كثيرا بقصر (العاشق).

وارتحت كثيرا بما شاهدته من عمليات الترميم والصيانة لجميع الاثار التاريخية العربية والاسلامية التى يعود بناؤها لتاريخنا الاسلامي العربي العريق.. والتى توضح بحق مدى ما وصل اليه العرب المسلمون من تقدم حضاري وعلمي استفادت منه الحضارة الغربية.

● مفهوم الشعر فى القرآن الكريم والحديث النبوى

● الرسول ﴿ﷺ﴾ كان يسمع الشعر الطيب ويشجع

مفهوم الشعر في الحديث النبوي

ويتواصل الرواد فى ساحة المنهل .. يثرونه علماً .. ويروونه فضلا ـ فأهلا بهم.

المنهل



بقلم: احمد عبد الغفور عطار (مكة المكرمة)

مفهوم الشعر فى القران الكريم وفى الحديث النبوى الشريف واحد غير مختلف فيه بين العرب مسلمين وغير مسلمين، ولهذا لما سمعوا رسول الله ﴿ﷺ﴾ يتلو عليهم القران الكريم لم يستطيعوا أن يقولوا عنه: إنه شعر، :نه ليس بشعر كما ذكر الوليد بن المغيرة حين قال ان القران ليس بشعر البتة، وحار المشركون ووحدوا كلمتهم وصفوفهم فى محاربة رسول الله ﴿ﷺ﴾ والقران والاسلام كله.

■ فالعرب الألى كانوا فى عصر الاسلام كانت لغتهم محصورة بين النثر والشعر ولا ثالث لهما، ولهذا لما جاء رسول الله ﴿ﷺ﴾ لم يجدوا القرآن نثراً إذ رأوا النثر فى الخطب والأمثال والندوات مغايراً لنسق القرآن، ولم يبق بين أيديهم إلا الشعر فحسبوا القرآن شعرا، وهم مضطرون أن يقولوا فى القرآن انه شعر مع فهمهم الشعر مثل مفهوم القرآن إياه وفهم رسول الاسلام الذى كان يسمع الشعر فى مسجده الشريف بالمدينة المنورة ويجيز عليه.

■■ عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يضع لحسان منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر رسول الله ﴿ﷺ﴾ ـ أو ينافح ـ ويقول رسول الله ﴿ﷺ﴾: **«إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح ـ أو فاخر ـ عن رسول الله»** أخرجه الامام البخارى رحمه الله.

■■ وعن عمرو بن الشريد بن سويد الثقفي عن أبيه قال: ردفت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يوما فقال: **«هل معك شيىء من شعر أمية بن أبى الصلت؟» قلت: نعم، قال: «هيه» فقال: أنشدته بيتا، فقال: «هيه» حتى أنشدته مئة بيت، فقال: «لقد كاد يسلم فى شعره»** أخرجه مسلم.

واحــد غيــر مختلــف فيـــه. ويستزيــد منـــه.

ـع الشـريف

■■ سمع الهيثم بن أبى سنان أبا هريرة فى قصصه يذكر النبى ﴿ﷺ﴾ يقول: «إن أخا لكم لا يقول الرفث» يعنى بذلك ابن الرواحة، قال:

أتــانــا رســول الــلـه يتــلو كتــابــه
إ ذا انــشــق معــروف من الــفجــر ساطــع
أرانــا الــهــدى بعــد الـعـمـى فقلوبنـا
به موقـنـات أ ن ما قال واقـع
يبـيـت يجـافـى جنـبـه عن فراشـه
إ ذا استـثقلت بالكـافـرين المضـاجـع

اخرجه البخاري

■■ وقـد ورد عن الـرسول ﴿ﷺ﴾ موقفان فى ظاهرهما التناقض ولكن ليس فى الأمر تناقض، فهو عليه الصلاة والسلام يسمع الشعر الطيب ويشجع عليه ويستزيد منه فى غير موقف، سمعه وهو راكب وسمعه وهو بالمسجد.

● هذا موقفه صلى الله عليه وسلم من الشعر الطيب، وأما موقفه من الشعر الخبيث فمن البداهة أن يقف منه موقف السخط والتبرم والعداء.

ونقل من «جامع الأصول فى أحاديث الرسول ﴿ﷺ﴾» تأليف الامام أبى السعادات مبارك بن محمد، ابن الأثير الجـزرى ٥٤٤ـ٦٠٦هـ الجـزء السـادس، صفحـة

١٠٩ـ١١٨ وتركنا رقم كل حديث كما ذكره المؤلف رحمه الله احتفاظا بأمانة النقل العلمية.

٣٢١٧ (خ د ـ أُبىّ بن كعب رضى الله عنه) قال: إن النبى ﴿ﷺ﴾ قال: «إن من الشعـر حكمـة». أخـرجه البخارى وأبو داود.

٣٢١٨ (ت ـ ابن مسعود رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ «إن من الشعر حكمة». أخرجه الترمذى.

٣٢١٩ (د ت ـ عبد الله بن عباس رضى الله عنهما) مثله، وقال: «حُكْماً». أخرجه الترمذى. وفى رواية أبى داود، قال: «جـاء أعـرابى إلى النبى ﴿ﷺ﴾، فجعـل يتكلم بكلام، فقال: إن من البيان سحراً، وإن من الشعر حُكما».

وعقد المؤلف الفصل الثانى: فى ذم الشعر.

٣٢٢٠ (خ م د ت ـ أبـو هريرة رضى الله عنـه) أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا حتى يَرِيَهُ(١) خير له من أن يمتـلىء شعـراً». أخـرجـه البخـارى ومسلم والـترمذى، وأخرجه أبو داود ولم يذكر «حتى يريه».

٣٢٢١ (خ ـ عبـد الله بن عمر رضى الله عنهما) أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً خير له أن يمتلئ شعراً». أخرجه البخارى.

٣٢٢٢ (م ت ـ سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه) أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحـاً حتى يريه خير له من أن يمتـلىء شعراً». أخرجه مسلم والترمذى.

٣٢٢٣ (م ـ أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه) قال: «بينا نحن نسير مع رسول الله ﴿ﷺ﴾ بالعَرْج إذ عرض شاعر ينشد فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾: خذوا الشيطان ـ أو أمسكوا الشيطان ـ لأن يمتلىء جوف رجل قيحاً خير له أن يمتلىء شعراً». اخرجه مسلم.

وذكر رزين فى كتابه، قال: وزاد النسائى: وساقه عن عائشة «هُجيتُ به» وأنكر ابن معين هذه الزيادة. ولم أجد هذه الزيادة، ولا الحديث بأسره فى كتاب النسائى الذى قرأته، ولعله قد وقع له فى بعض النسخ فأثبته.

وعقد المؤلف الفصل الثالث فى استماع النبى ﴿ﷺ﴾ الشعر، وإنشاده فى المسجد.

٣٢٢٤ (خ د ت ـ عائشة رضى الله عنها) قالت: «كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يضع لحسان منبراً فى المسجد، يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله ﴿ﷺ﴾، أو ينافح ويقول رسول الله ﴿ﷺ﴾: إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح ـ أو فاخر ـ عن رسول الله». أخرجه البخارى.

وفى رواية أبى داود «فيقوم عليه يهجو من قال فى رسول الله ﴿ﷺ﴾، وقال رسول الله: روح القدس مع حسان ما نافح عن رسول الله» وأخرجه الترمذى بنحو الأولى.

٣٢٢٥ (م ـ عمرو بن الشريد بن سويد الثقفى) عن أبيه قال: «ردفت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يوماً فقال: هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت شىء؟ قلت: نعم قال: هيه(٢) فأنشدته بيتاً فقال: هيه، ثم أنشدته بيتاً، فقال: هيه، حتى أنشدته مائة بيت» وفى رواية، قال: «استنشدنى رسول الله ﴿ﷺ﴾ ـ وذكر نحوه». وزاد: فقال ـ يعنى: النبى ﴿ﷺ﴾: «إن كاد ليسلم». وفى أخرى «فلقد كاد يسلم فى شعره». أخرجه مسلم.

٣٢٢٦ (ت ـ جابر بن سمرة رضى الله عنه) قال: «جالست النبى ﴿ﷺ﴾ أكثر من مائة مرة، فكان أصحابه يتناشدون الشعر، ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية، وهو ساكت. فربما تبسم معهم». أخرجه الترمذى.

٣٢٢٧ (خ م د س ـ أبو هريرة رضى الله عنه) أن عمر «مرَّ بحسان وهو ينشد الشعر فى المسجد، فلحظ إليه شزراً، فقال: قد كنت أنشد فيه، وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبى هريرة فقال: أنشدُكَ الله: أسمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول أجب عنى، اللهم أيده بروح القدس؟ فقال: اللهم نعم». أخرجه البخارى ومسلم. وأخرجه أبو داود عن ابن المسيب مرسلا، إلى قوله «خير منك». وأخرجه عن ابن المسيب عن أبى هريرة، إلى قوله: «خير منك». وزاد: «فخشى أن يرميه برسول الله ﴿ﷺ﴾ فأجازه». وأخرجه النسائى عن ابن المسيب مرسلا بتمامه.

٣٢٢٨ (ت س ـ أنس بن مالك رضى الله عنه) «أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ دخل مكة فى عمرة القضاء، وعبد الله بن رواحة يمشى بين يديه، ويقول:

خلوا بنى الكفار عن سبيله
اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر: يا ابن رواحة، بين يدى رسول الله ﴿ﷺ﴾ وفى حرم الله تقول الشعر؟ فقال رسول الله: خل عنه يا عمر فَلَهِىَ أسرع فيهم من نضح النبل». أخرجه الترمذى(٣) والنسائى. قال الترمذى: وقد روى فى غير هذا الحديث «أن النبى ﴿ﷺ﴾ دخل مكة فى عمرة القضاء، وكعب بن مالك بين يديه» وهذا أصح عند بعض أهل الحديث، لأن عبد الله بن رواحة قتل يوم مؤتة وانما كانت عمرة القضاء بعد ذلك.

٣٢٢٩ (خ م ـ أنس بن مالك رضى الله عنه) قال:

«كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ فى بعض أسفاره ، وغلام أسود يقال له : أنجشة يحدو، فقال له رسول الله ﴿ﷺ﴾ : ويحك يا أنجشة رويدك ، سوقك بالقوارير» قال أبو قِلابة : يعنى النساء. وفى رواية، قال: «كان للنبى ﴿ﷺ﴾ حادٍ، يقال له : أنجشة وكان حسن الصوت، فقال له النبى : رويدك يا أنجشة ، لا تكسر القوارير» . قال قتادة : يعنى : ضعفة النساء . أخرجه البخارى ومسلم .

وللبخارى قال: «كانت أم سُلَيم فى الثِّقل، وأنجشة غلام النبى ﴿ﷺ﴾ يسوق بهن ، فقال النبى : يا أنجشُ، رويدك ، سوقك بالقوارير» , زاد مسلم : قال أبو قلابة : «تكلم رسول الله ﴿ﷺ﴾ بكلمة لو تكلم بها بعضكم لعبتموها عليه(٤)» . وللبخارى أيضا قال «كان النبى ﴿ﷺ﴾ فى مسير فحدا الحادى فقال النبى : ارفق يا أنجشة ويحك بالقوارير»(٥) ولمسلم بنحو الأولى، ولم يذكر حُسن الصوت. ولهُ فى أخرى، قال: «كانت أم سليم مع نساء النبى ﴿ﷺ﴾، ويسوق بهن سواق، فقال نبى الله : يا أنجشة، رويدك سوقك بالقوارير». أخرجه البخارى ومسلم .

٣٢٣٠ (خ ـ الهيثم بن أبى سنان) أنه سمع أبا هريرة فى قصصه يذكر النبى ﴿ﷺ﴾، يقول: «إن أخاً لكم لا يقول الرفث ـ يعنى بذاك : ابن الرواحة ، قال :

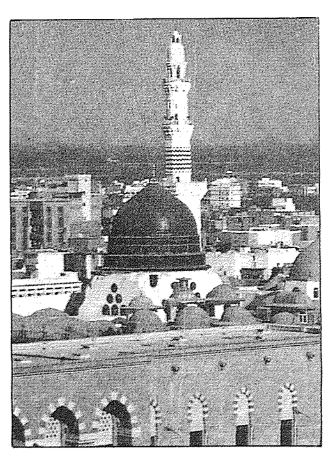
أتانا رسول الله يتلو كتابه
إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى، فقلوبنا
به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه
إذا استثقلت بالكافرين المضاجع

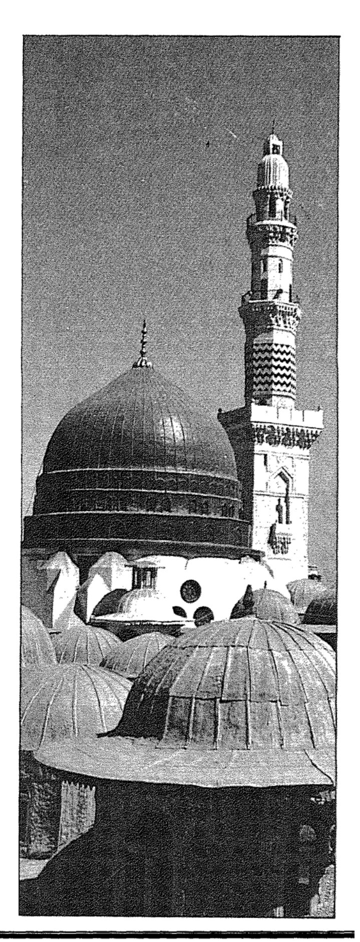
أخرجه البخارى.

وفى الفصل الرابع: فى أمر النبى ﴿ﷺ﴾ بهجاء المشركين:

٣٢٣١ (خ م ـ البراء بن عازب رضى الله عنه) أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال يوم قريظة لحسان : «أُهجُ المشركين، فإن جبريل معك». وفى رواية : قال «اهجهم ـ أو هاجهم ـ وجبريل معك». أخرجه البخارى ومسلم .

٣٢٣٢ (خ م ـ عائشة رضى الله عنها) قالت : «استأذن حسان ابن ثابت رسول الله ﴿ﷺ﴾ فى هجاء المشركين، فقال رسول الله : فكيف بنسبى؟ فقال حسان : لأسُلَّنَّكَ منهم كما تُسلُّ الشعرة من العجين» . وفى رواية قال عروة : «ذهبت أسب حسان عند عائشة ، فقالت: لا تسُبَّه، فإنه كان ينافح عن رسول الله». وفى رواية «أن حسان بن ثابت كان ممن كبر(٦) على عائشة ، فسببته، فقالت: يا ابن أختى، دعه ـ وذكر باقى الحديث». وفى رواية قالت: «قال حسان: يا رسول الله، ائذن لى فى أبى سفيان، قال: كيف بقرابتى منه؟ قال: والذى أكرمك لأسلنك كما تسل الشعرة من الخمير، فقال حسان :





وإ ن سنـام الـمـجـد من ال هاشـم

بنـو بيـت مخـزوم ووالـدك الـعـبـد

● قصيدته هذه. أخرجه البخارى ومسلم.

●● وفى رواية لمسلم أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: «اهجوا قريشاً، فإنه أشد عليها من رشق النبل، فأرسل الى ابن رواحة فقال: اهجهم، فهجاهم فلم يُرْضِ. فأرسل الى كعب بن مالك، ثم أرسل الى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضـارب بذَنَبِه، ثم أدلع لسانه، فجعل يحركه، فقال: والذى بعثك بالحق، لأفرينهم بلسانى فري الأديم، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾: لا تعجل. فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لى فيهم نسباً حتى يلخص لك نسبى، فأتاه حسان، ثم رجع، فقال: والذى بعثك بالحق، لأسلنك منهم كما تسـل الشعـرة من العجين، قالت عائشة: فسمعت رسـول الله ﴿ﷺ﴾ يقـول لحسـان: إن روح القـدس لا يزال يؤيدك، ما نافحت عن الله ورسـوله. وقـالت: سمعت رسـول الله ﴿ﷺ﴾ يقـول: هجـاهم حسان، فشفى واشتفى، قال حسان:

هجـوتَ محـمـدا فأجـبـتُ عنـه

وعـنـد الـله فى ذاك الـجـزاء

هجـوت محـمـدا برا تقـيـا(٧)

رسـول الـله شيـمـتـه الـوفـاء

فإ ن أبـى ووالـده وعـرضـى

لعـرض محـمـد منـكـم وقـاء

ثكـلت بنـيـتـى إ ن لم تروهـا

تثـيـر الـنـقـع من كنـفـى كداء (٨)

يبـاريـن الاعـنـة مصـعـدات

على أكـتـافـهـا الاسـل الـظمـاء

تظل جيـادنـا متـمـطرات

تلطمـهـن بالـخـمـر الـنـسـاء

فإ ن أعـرضـتـم عنـا اعـتـمـرنـا
وكـان الـفـتـح وانـكـشـف الـغـطاء

وإ لا فاصـبـروا لضـراب يوم
يعـز الـلـه فيـه من يشـاء

وقـال الـلـه: قد أرسـلت عبـدا
يقـول الـحـق، ليس به خفـاء

وقـال الـلـه: قد يسـرت جنـدا
هم الانـصـار عرضـتـهـا الـلقـاء

تلاقـى كل يوم من معـد
سبـاب، أو قتـال، أو هجـاء

فمـن يهـجـو رسـول الـله منـكـم
ويـمـدحـه ويـنـصـره سواء

وجـبـريـل رسـول الـله فيـنـا
وروح الـقـدس ليس له كفـاء)

وفى الفصل الخامس: فيما تمثل به النبى ﴿ﷺ﴾ من الشعر:

٣٢٣٣ (خ م ت ـ أبو هريرة رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «أصدق كلمة قالها شاعر: كلمة لبيد: «ألا كل شىء ما خلا الله باطل» وكاد ابن أبى الصلت يسلم». وفى رواية قال: «أشعر كلمة تكلمت بها العرب: كلمة لبيد: ألا كل شىء ما خلا الله باطل». أخرجه البخارى ومسلم.

●● وفى رواية الترمذى «أشعر كلمة تكلمت بها العرب: كلمة لبيد: ألا كل شىء ما خلا الله باطل».

٣٢٣٤ (ت ـ عائشة رضى الله عنها) قيل لها: «هل كان النبى ﴿ﷺ﴾ يتمثل بشىء من الشعر؟ قالت: كان يتمثل بشعر ابن رواحة، ويتمثل ويقول: ويأتيك بالأخبار من لم تزوِّد» أخرجه الترمذى.

٣٢٣٥ (خ م ـ جندب بن عبد الله البجلى رضى الله عنه) قال: «بينما نحن مع رسول الله ﴿ﷺ﴾ إذ أصابه حجر فعثر، فدميت إصبعه، فقال: هل أنت إلا إصبع دميتِ؟ وفى سبيل الله ما لقيتِ». وفى رواية «أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ كان فى بعض المشاهد، وقد دميت إصبعه، فقال ـ الحديث». أخرجه البخارى ومسلم.

●● وقد جاء عن النبى ﴿ﷺ﴾ فى استماع الشعر والتمثل به أحاديث عدة، وقد ذُكِرَتْ فى أبوابها التى هى بها أولى، مثل غزوة الخندق، وغيرها من المواضع، فلذلك لم نعد ذكرها فى هذا الكتاب، والله أعلم.

الهوامش

(١) قال النووى (١٥ : ١٤) قال أهل اللغة والغريب «يريه» بفتح الياء وكسر الراء من الوَرْى، وهو داء يفسد الجوف . ، ومعناه: قيحا يأكل جوفه ويفسده.

(٢) قال النووى (ج١٥ ص١١): هو بكسر الهاء وإسكان الياء وكسر الهاء الثانية، قالوا: والهاء الأولى بدل من الهمزة، وأصله: «إيه» وهى كلمة للاستزادة من الحديث المعهود. قال ابن السكيت: هى للاستزادة من حديث أو عمل معهودين. قالوا وهى مبنية على الكسر، فإن وصلتها نونتها، فقلت: إيه حدثنا، أى: زدنا من هذا الحديث، فإن أردت الاستزادة من حديث غير معهود نونت، فقلت: إيه، لأن التنوين للتنكير، وأما «إيهاً» بالنصب، فمعناها: الكف والأمر بالسكوت.

(٣) وقال الترمذى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وقد روى عبد الرزاق هذا الحديث أيضا عن معمر عن الزهرى عن أنس نحو هذا.

(٤) وهذه أيضا عند البخارى.

(٥) قال الحافظ (١٠ : ٤١٥) القوارير: جمع قارورة. وهى الزجاجة، سميت بذلك لاستقرار الشراب فيها وكنى عن النساء بالقوارير لرقتهن وضعفهن عن الحركة وللطافتهن.

(٦) كذا بالأصل بالباء الموحدة وشرحها بأنه مأخوذ من قول الله «والذى تولى كبره منهم» لكن فى صحيح مسلم «كثر» بالثاء المهملة مشددة مفتوحة.

(٧) فى صحيح مسلم «حنيفا».

(٨) قال النووى (ج١٦ ص٥٠) «تثير النقع» أى: ترفع الغبار وتهيجه وقوله: «من كنفى كداء» هو بفتح النون، أى جانبى كداء، بفتح الكاف وبالمد وهى ثنية على باب مكة سبق بيانها فى كتاب الحج، وعلى هذه الرواية: برفع «كداء» فى هذا البيت إقواء مخالف لباقيها. وفى بعض النسخ «غايتها كداء» وفى بعضها «موعدها كداء».

علينا ان ننقل الثقافة الغربية لحاضرتنا بقدر وميزان.. وعلينا أن نستفيد منها لاثراء ملكاتنا وعلينا ان نطرح شوائبها ونزحف من معينها المتفق مع حضارتنا ومثلنا ومقوماتنا.

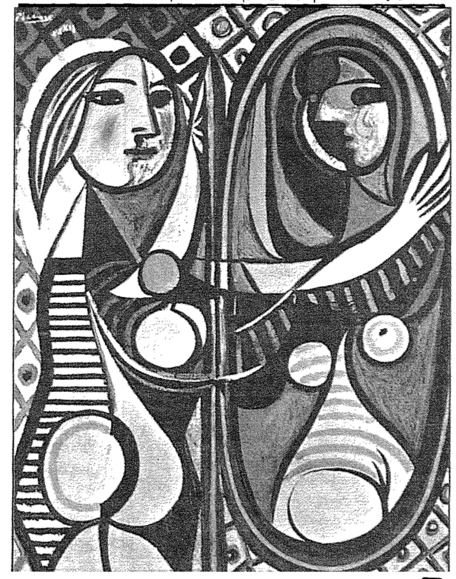
المنهل

مساحة الضوء

الرؤية الابداع

● حياة «بيكاسو» سلسلة متصلة من ال

● كان بيكاسو يؤكد أهمية التفرد والاصالـ



● ماري تيرز ولتر (فتاة امام المرآة) من رسوم بيكاسو ١٩٣٢م



بقلم: د. شاكر عبد الحميد سليمان (القاهرة)

■ أشهر المصورين فى القرن العشرين. . اسباني الأصل ولد فى ٢٥/١٠/١٨٨١م بمدينة ملقا، وعاش فى باريس منذ عام ١٩٠٣، كانت حياته سلسلة متصلة من الابداع والتطور المستمر وقد بدأ بتصوير مناظر طبيعية ونماذج من اسبانيا وابتدع المدرسة التكعيبية سنة ١٩٠٧م.. ثم دخل فى

ـــية لــــدى «بيكاســـو»

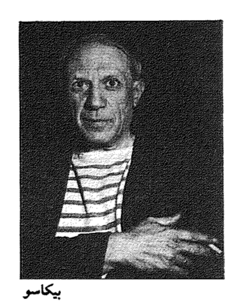
والتطـــور وهـــو مبتـــدع المدرســـة التكعيبيـــة ســـنة ١٩٠٧م.

ة والابتكـــار كمـــا كـــان يخشـــى أن يقـــوم بتكـــرار نفســـه.

مرحلة أقرب الى الواقعية بعد ذلك وبعد الحرب العالمية الاولى تحول الى تصوير لوحات فى أشكال متداخلة متشابكة تبدو أحيانا مطابقة للواقع الى حد كبير أو ضئيل لكنه كان يحاول دائما ايجاد التناسق من خلال التناقض، ابتدع رمز حمامة السلام التى أصبحت شعارا لمؤتمر السلام سنة ١٩٤٩، من أهم أعماله لوحة الجيرنيكا الشهيرة.

■ الشيء اللافت للنظر هو ذلك التنوع الشديد والاصالة الكبيرة التى اتسمت بها أفكار «بيكاسو» طوال حياته، لقد كانت حياته سلسلة متصلة من الابداعات والاكتشافات والتجديدات المتفوقة، وفى كل أسلوب فنى حاوله كلاسيكيا كان أورومانتيكيا أو تعبيريا أو تكعيبيا أو غير ذلك كان بيكاسو دائما قادرا على التمكن من هذا الاسلوب وعلى الاضافة اليه ثم تجاوزه بعد ذلك الى أساليب أخرى أكثر قدرة على خدمته فى توضيح افكاره وتحقيقها، وكما يقول لازارو فانه مرورا بالمرحلة الزرقاء والمرحلة الوردية وغيرهما فان «بيكاسو» لم يتوقف عن ادهاشنا بسهولة ويسر وخصوبة أفكاره، لقد سار فى كل الاتجاهات وتوقع أغلب التطورات فى مجال الفن المعاصر.

■ وقد أكد «بيكاسو» الاهمية الكبيرة لوجود اتفاق أو توافق بين الافكار التى أراد التعبير عنها وبين الاساليب التى استخدمها لجعل هذه الافكار مرئية فقال «اننى لا استخدم عناصر مختلفة جوهريا بالنسبة للاساليب المختلفة التى حاولتها، فاذا كان الموضوع يتطلب وسائل خاصة للتعبير فإننى لا أتردد فى تبنى هذه الاساليب



بيكاسو

واستخدامها، إننى لا أقوم باختبارات أو تجارب وفى كل مرة يكون لدى شيء ما كي أقوله، وأنا أقوله بالطريقة التى أشعر أنها الأحسن من غيرها، ان الموضوعات المختلفة تتطلب اساليب مختلفة وهذا لا يتطلب بالضرورة تطورا أو تقدما ولكنه يتطلب اساسا ضرورة وجود الاتفاق بين الفكرة التى يريد المرء

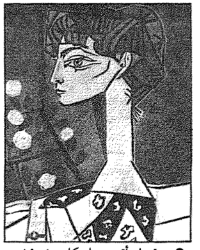

● أولغاكوكلوفا/ زوجة الفنان الأولى

التعبير عنها وبين وسائل التعبير عن هذه الفكرة».

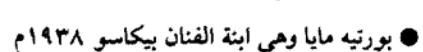
■ لقد كان «بيكاسو» يؤكد دائما أن الشيء الهام الضروري والذى لابد منه بالنسبة للمصور المتميز هو الابداع ولا شيء غيره فقال «لسابارتيز» ان الشيء الهام هو الإبداع، ولا شيء آخر يهم، الابداع هو كل شيء.

وقال فى سياق آخر «اننى لا أبحث ولكنى اكتشف».

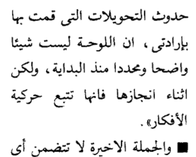
■ وقد أكد بيكاسو دائما أن الافكار الاساسية الاولية للفنان التى توجد عند بداية العمل لا تتغير جوهريا عند نهايته وان الرؤية الاولى تظل غالبا سليمة لم تمس رغم مظاهرها وتجلياتها المختلفة فقال فى حديثه مع «زرفوس» انني أقوم بتنظيم الاشياء بما يتفق مع انفعالاتى، اننى أضع فى لوحاتى كل شيء أحبه، ان اللوحات تتجه نحو اكتمالها بالتدريج وكل يوم يجلب اليها شيئا جديدا، واللوحة بالنسبة


● بورتيه امرأة رسمها بيكاسو ١٩٥٤

لى ليست مجموعة من الاضافات انها أساسا مجموعة من عمليات الهدم أو التدمير، اننى ارسم لوحة ثم أقوم بتدميرها ولكن لا شيء يتم فقدانه فى النهاية، فاللون الاحمر الذى استبعدته من مكان ما فى اللوحة يظهر فى مكان آخر، وأنا أدرك عندما يتم تصوير هذا العمل فوتوغرافيا، أن ما أدخلته لتصحيح رؤيتي الأولى قد اختفى وبعد كل شيء فإن النسخة الاخيرة من اللوحة تتفق الى حد كبير مع رؤيتي الاولى التى كانت موجودة قبل

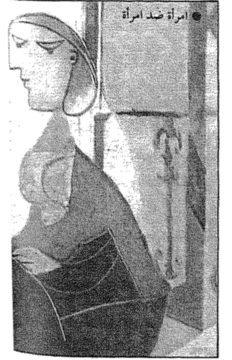

● بورتيه مايا وهي ابنة الفنان بيكاسو ١٩٣٨م





حدوث التحويلات التى قمت بها بإرادتى، ان اللوحة ليست شيئا واضحا ومحددا منذ البداية، ولكن اثناء انجازها فانها تتبع حركية الأفكار».

■ والجملة الاخيرة لا تتضمن أى تناقض بين ما سبق أن قاله بيكاسو فى البداية عن وجود اتفاق كبير بين الرؤية الاولى والعمل النهائي، فلن تكون الرؤية الأولى ممكنة التحقيق إلا من خلال عديد من المحاولات، أى البحث عن أنسب الصيغ أو الأشكال التى تتفق أكثر من غيرها معها، فالتغير والتفاعل والحركية والاستمرارية هى أمور لابد منها لتحقيق الأهداف الإبداعية يؤكد هذا بيكاسو أيضا فيما يتعلق بالالوان فيقول «عندما أكون مستغرقا فى عمل لوحة فاننى


● امرأة ضد امرأة

أفكر فى اللون الابيض واستخدمه ولكنى لا استطيع أن أظل مستمرا فى العمل، أفكر واستخدم اللون الابيض، فالألوان كقسمات الوجه تتبع تغيرات الانفعالات».

■ لقد قال «بيكاسو» مرة «لفرانسوا جيلو» (اننى أطيع الرؤية التى تفرض نفسها علىّ» لكن هذه الرؤية فى مسارها التشكيلى تمر بعديد من التحولات والعمليات والتنقيحات وأشكال التعبير انتقالا من مستوى الواقع الى مستوى أو مستويات الإبداع الفنى المختلفة، لقد أكد بيكاسو هذا لزرفوس فقال «هل تعتقد أن الذى يثير اهتمامى هو أن هذه الصورة تمثل اثنين من الناس؟ إنهما يوجدان ولا شىء أكثر، لكن رؤيتهما تمنحنى انفعالا أوليا، وشيئا فشيئا يصبح وجودهما

● متعة العيش فى انتيبوليس ١٩٤٦م

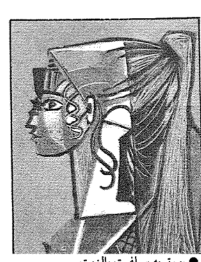




الواقعى أمرا مبهما أو غامضا، انهما يصبحان بالنسبة لى وهما أوتوهما، ثم يختفيان أو بالاحرى يتم تحويلهما الى مشاكل ذات أنواع متعددة، وبالنسبة لى فإنهما لا يكونان مجرد شخصية، ولكن أشكالا وألوانا تقوم بتلخيص فكرة الشخصين وتحافظ على اهتزازات وترددات حياتهما الاساسية».

■ لقد كان «بيكاسو» يؤكد دائما أهمية التفرد والاصالة والابتكارية المستمرة وكان يخشى فى كل لحظة أن يقوم بتكرار نفسه. إن لدىَّ رعبا شديدا من أن أكرر نفسى، ولكنى لا أتردد عندما أجرى مجموعة من أعمالى القديمة فى أن آخذ منها ما أريد وقد كان لديه فهم عميق لمعنى الاصالة والابداع تجلى فى قوله «الفن ليس هو تطبيق قانون للجمال ولكنه ما تستطيع الغريزة والعقل أن يدركاه بطريقة مستقلة عن القانون».

■ ان حياة بيكاسو وابداعاته واكتشافاته الاصيلة وقدرته الفائقة على التجاوز والحراك من أسلوب فنى الى آخر. والعودة أحيانا الى اسلوب سابق كما فى عودته لفترة ما



● بورتريه سيلفيت بالزيت

من التكعيبية الى الكلاسيكية، لكن بيكاسو كان يؤكد دائما أنه غالبا ما يحتاج بين الفينة والفينة الى أن يعيد حساباته وينظر فيما قدمه ويحاول ان يستشرف من خلاله امكانيات التقدم فى المستقبل لقد كان بيكاسو معنيا دائما بالانسان وكثيراً ما أكد ان ما يثير اهتمامه هو قلق «سيزان» وعذابات «فان جوخ» اى دراما الانسان وما تبقى بعد ذلك هو أمور زائفة.

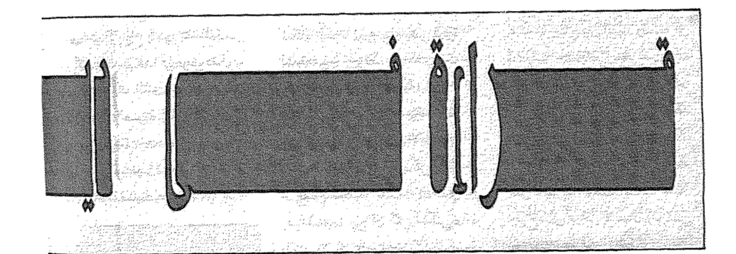
■ لقد أكد كثيرا أنه يحتاج الى الانفعالات وبدونها لن يستطيع العمل فهى الطاقة المحركة القادرة على إحداث التكامل بين العينين والعقل واليدين وهى أجهزة الابداع التى لا يمكن الاستغناء عنها، ورغم أن بيكاسو لم يكن يتحدث كثيرا عن الفن الا ان القليل الذى قاله يتضمن الكثير من الفهم الشامل والرؤية العميقة التى جعلته أشهر المصورين فى القرن العشرين.

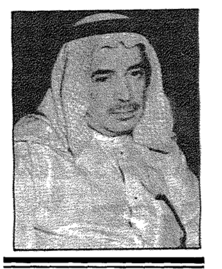
علينا ان ننقل الثقافة الغربية لحاضرتنا بقدر وميزان.. وعلينا أن نستفيد منها لاثراء ملكاتنا وعلينا ان نطرح شوائبها ونرحق من معينها المتفق مع حضارتنا ومثلنا ومقوماتنا.

المنهل

مساحة للضوء

- أنا منحاز عربياً الى الشعر الجاهلى وفر
- مالا يقوله النص هو النص ومسؤولية انتاج
- لون الحقيقة أسود مثل لون بؤرة البص





بقلم: عابد خزندار (جدة)

الاستاذ عابد خزندار من المشتغلين بالقراءات المكثفة فى الاداب الاوروبية.. وهى لا شك قراءات تحليلية ناقدة، تنقل إلينا المنتقى من أدب وثقافة أولئك المبدعين.. ويسعدنا أن ننقل هذا الابداع المنتقى للقارىء الكريم فى حلقات متتالية يكتبها للمنهل خاصة.

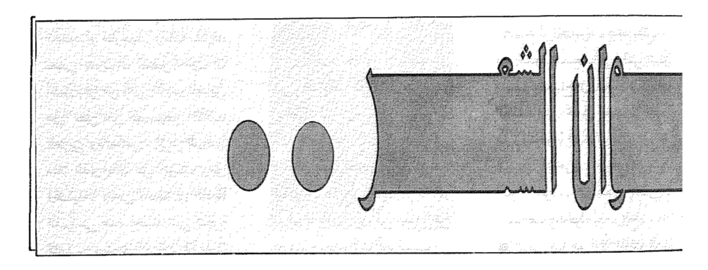
وهذا الباب (مساحة للضوء) خصص لغرض التعرف على مناهج التفكير الاوروبية، وميادين ابداعها المتعددة.

المنهل

لى بودلير ومالارميه وانجليزيا الى ويتمان واليوت.

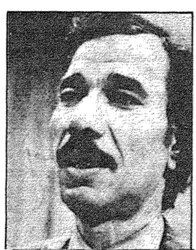
المكبوح» أو «المضمر» أو النص غير المكتوب تقع على القارىء.

لعين.. ولون تراب الوطن أسود والسواد عند العرب مرادف للخصب.



وديوان الشعر الذى أقرأه ليس ديواناً لشعر بعينه كلاسيكياً أو تراثياً أو حداثياً. وانما قراءة لديوان الشعر كله عربياً وانجليزياً وفرنسياً - وهى اللغات التى أعرفها، ومترجماً عن لغات أخرى. والنماذج التى سأختارها هى نماذج اعتباطية. ولهذا فان كلمة الاختيار هنا غير دقيقة. ذلك لأننى أقرأ الشعر كل يوم، وأخصص له ساعة أو ساعتين فى كل يوم من أيام حياتى، من الساعة الخامسة صباحاً، وحتى السادسة صباحاً أيضا، وأحيانا ساعة أو بعض الساعة قبل أن أنام، وأنا أعترف بأننى منحاز فى قراءاتى، وكما يقول التوسير:

«اذا كانت القراءة جريمة، فاسألونى عن الكتاب الذى أقترفه الآن. . »، وما يعنيه التوسير هو أن القارىء دائما منحاز، ولا يمكن الا أن يكون منحازاً، ذلك لأنه عندما يقرأ نصا ما فانه يستحضر معه، أراد أم لم يرد كل النصوص السابقة التى قرأها، بحيث تشكل هذه النصوص قراءته للنص الجديد، وتكيف فهمه له، وقد قلت فى غير هذا الموضع أن القراءة تناص. أنا منحاز عربياً الى الشعر الجاهلى، ونادراً ما أقرأ شعراً غيره، وفرنسيا الى «بودلير، ومالارميه وانجليزيا الى ويتمان، والیوت، وولاس استيفنز. وقراءاتى هذه تصبغ



● أمل دنقل



● إليوت

قراءاتى لأى نص يقع ضمن هذه الحدود أو خارجها. وغالباً ما أجد نفسى بدون أن أشعر أحاول أن أطبق رمزاً من رموز الأدب الغربى على نص من نصوص الأدب العربى وبالعكس، كرمز البياض مثلا الذى يدل على الموت، وعلى الخواء، ونحن نجد فى الأدب الفرنسى هذه الجملة التى تتكرر كثيراً - وتستحق أن أفرد لها مقالاً خاصاً بها - فى شعر الرومانتكيين والرمزيين والسورياليين، وهى *(MIROIR SAN STAIN)* «مرآة بدون قصدير» وكلنا يعرف أن القصدير الذى يطلى به الجانب الخلفى للزجاج هو الذى يحوله الى مرآة، ووظيفة المرآة هى أن تعكس، تعكس الماهيه، والواقع، وتعكس الفكرة أيضا ولهذا قيل إن الأدب مرآة، وعندما تصبح المرآة بدون قصدير، فانها تصبح شفافة، تصبح بياضا، والبياض هو الخواء، واللاشىء، أو العدم، والموت.

ولا ضير هنا فى أن أعمد الى شىء قليل من الاستطراد، وهو استطراد لن يخرجنا عن الموضوع، لأن الشواهد التى تؤكد معنى «المرآه بدون قصدير» هى شواهد شعرية، مما يعنى أننا لن نغادر ديوان الشعر، أى لن نخرج عن الموضوع وهذه الشواهد ليست من اختيارى، أو من بنات هذا الاختيار، وانما من اختيار ريفاتير(١): وبعد أن أثبتها أترجمها الى العربية:

CHAQUE JOUR DE SES DENTS AIGUES
LE TEMPS DECHIRE UN PEU LE TAIN
DE CE MIROIR

■ والنص بدون فواصل، أو نقطه ختامية، مما يعنى أننا ازاء حدث ليس له بداية، وليست له نهاية، ولا يتوقف أثناء ذلك، النص هنا مفتوح يصور اللانهاية والفضاء الذى لا تحده حدود. وترجمته:

فى كل يوم بأسنانه الحادة
يمزق الزمن شيئاً فشيئاً قصدير
هذه المرآه.

■ والنص للشاعر الفرنسى ديسنوس *(DESNOS)*

● الصورة - رغم وجود المرآه اللامعة أو المصقوله - قاتمة مظلمة، ولا حدود للمعانى التى تنبثق منها، وتنداح فى فضاء الكلمة، الكلمة التى تحمل أبعاداً لا حدود لها، وتتحول الى دال يشير الى كل الدوال الأخرى، ويبدع النص، نص الموت، الفناء، التعريه، التجريف، الخواء... الخ.

■ الزمن هنا هو أولاً الموت الذى يتسلل الينا فى لحظة الميلاد نفسها، ثم يستقر فيها ليمحو ما سطره الزمن. وهنا ينقلب المعنى، ويتغير النص، ونجد أن الزمن لا يسطر، ولكنه يمحو، واذن فانه هو العدد الاول، ولا يمكن أن تكون له أى قيمة ايجابية فى أى نص من نصوص الشعر، وهو ما يجب أن نتنبه له من الآن فصاعدا عندما نقرأ أى نص شعرى.

والمرآه قد تشير الى الذاكره التى تنعكس عليها المحسوسات

والمدركات، وقد تترسب قليلا فى قصديرها، ولكن الزمن ما يلبث أن يمزق هذا القصدير. وتصبح الذاكره بيضاء لا شية فيها، أو لا شىء فيها.

■ وقد يقال ان المرآة عندما تفقد قصديرها تصبح شفافه، والشفافية تعنى الاشراق، والوضوح، والبياض، ولكن البياض كما قلت يعنى الخواء يعنى اللاشىء يعنى العدم وبالتالى يعنى الموت.. الكفن أبيض، وملابس الحداد عند كثير من الشعوب ـ وعندنا فى مكة، وهو وضع مازال قائماً حتى الآن ـ بيضاء.

■ وتعالوا معى نتأمل هذه الأبيات لأمل دنقل:

أهلى الغربـــاء.
عشروا بى مع الصبح، أهذى بغيبوبة الموت
محتقن الوجه، خاوى الوفاض
يتفتت حلقى لقطرة حب...
غير أن الينـــابيع جفت بعينى،
والبحر غاض...
والشـــطوط العراض
تتنـــادى....
ويهـــوى البيـاض.

■ كل السيمات *(SEMES)* فى هذا النص تدل على الخـواء، والعـدم، ثم المـوت: «خـاوى الـوفـاض» «يتفتت حلقى لقـطرة حب». «الينـابيع جفت بعينى،


● بودلير


● شيلى

أى تحولت الى بياض، ولم تعد تبصر»، «والبحر غاض، الخواء أو العدم المطلق».

«تتنــاءى... ينمحى القصدير» ثم «يهوى البياض» أى «الموت». ثم أن الكفن أبيض كما قلت وخالى الوفاض، وليست له جيوب، وكلها معان تبدت وتجلت فى نص أمل دنقل.

■ وهـذا المعنى أو على الأصح النص، لأن النص هو معنى المعنى يجرنى غصباً الى تذكر هذين البيتين للشاعر الفرنسى بول ايلوار:

DE TOUT CE QUE J'AI DIT
DE MOT QUE RESTE -T- IL
J'AI CONSERVÉ DE FAUX
TRESOR DAN DES
ARMOIRE VIDES

« ما الذى يتبقى من كل ما كتبته عن نفسى
لقد ألقيت بكنوز خاوية فى مخازن خاوية.»

وهو ما يذكرنى بقول الشاعر العربى.. «لقد ألقيت حاجاتى: بواد غير ذى زرع» والوادى الذى ليس فيه زرع أبـيض، هو نص مقتبس من القرآن الكريم.

■ وتعالوا أيضاً نقرأ نصا آخر لأمل دنقل:

فى غرف العمليات،
كان نقاب الأطباء أبيض
لون المعاطف أبيض،
تاج الحكيمات أبيض، أردية الراهابات،
الملاءات،
لون الأسرة، أربطة الشاش والقطن،
قرص المنوم، أنبوبة المصل،
كوب اللبن.
كل هذا يشيع بقلبى الوهن.
كل هذا البياض يذكرنى بالكفن
فلماذا اذا مت

يأتى المعزون متشحين . .
بشارات لون الحداد؟
هل لأن السواد . . .
هو لون النجاة من الموت ،
لون التميمة ضد . . . الزمن
ضـــد من . . . ؟
بين لونين : استقبل الأصدقاء
. . .
الذين يرون سريرى قبرا
وحياتى . . . دهرا
وأرى فى العيون العميقه
لون الحقيقه
لون تراب الوطن

■ كنت أريد أن أعلق على هذه القصيدة، ولكن شدت حواسى الفكريه، وأنا أتصفح ديوان أمل دنقل هذه الأبيات له:

أيها الشعر . . . يأيها الفرح المختلس
. . . .
. . . .
كل ما كنت أكتب فى هذه الصفحة الورقيه
صادرتــه العسس
. . . .
. . . .

■ النقط هنا جزء مهم من أجزاء الـنص، انها «الـنص المصـادر» والـنص المكبـوح ، أو «النص المضمر» كما يسميه أستاذنا وشيخنا الدكتور ناصر الرشيد وهو «النص الحقيقى». ومالا يقوله النص، هو النص. ومسئولية انتاج . . «النص المكبـوح» أو «المضمـر» أو «النص غير المكتوب أو المنطوق تقع على القارىء.

■ وهذه قضية أو قضايا استقل بها واستغرقها علم جديد يسمى بعلم «انتاج النص» وفى مكتبتى كتابان عن هذا العلم «سأثبتهما فى هامش هذا المـقـال»، ومـع الأسـف فالكتـابان باللغة الفرنسيه، وقراء هذه اللغـة فى بلادنـا معـدودون وكـانت اللغـة الفـرنسية على أيام دراسـتـى تدرس فى المـدارس الثـانـوية، ثم ألغيت من المنهج، وهـو أمـر يؤسف له حقاً لأننـا محتاجون الى التواصل مع الثقافات العـالميه. والفـرنسيون بالـذات تسـيدوا ميدان الـنقـد الأدبى، ومعـظم النقـاد المبدعين فى القرن الـعشرين فرنـسـيون: بارت وديريدا، ولاكـان، وديليز، وتـودوروف، وجـينـيت، وجولدمان، وجريماس، وريفاتير، وبـوليه، وسـوشانا فلمان، وهيلين سيكـوس. . . الخ. نسيت أن أذكـر جولياكـريستيفـا، وهى من أعظم ناقدات هذا العصر، ورغم أن لغتها معقده تستعصى على الفهم.

■ بعـد ذلـك نعود الى نص أمل دنقل، ولكن هل خرجنا عنه؟ بنية النص «نص أمل دنقل» تنطلق من التضـاد وتستنـد عليه، ولهذا يجب أن نبحـث عن الـنص من خلال التضاد، التضاد بين البياض والسـواد وقـد تحدثنا كثيراً فى هذا المقال عن البياض وما يرمز اليه، ولم نتحدث عن السواد ولكن هل هذا صحيح؟ لقد قيل بضدها أو بنقيضهـا تعرف الأشياء، أى أننا عندما نتحدث عن البياض فاننا فى نفس الوقت نتحدث عن السواد.

وهــذا يغـرينى بأن أعكس الآيه، وأتحـدث هذه المـرة عن السـواد. . كنـوع من التجـربـة العلمية لمعرفة ما اذا كان الحديث عن النقيض، هو فى نفس الوقت حديث عن النقيض الاول، وليس المنقـوض لأنـه ليس ثمـة ناقض ومنقـوض، الابيض لا يمكن أن ينقض الأسود والعكس صحيح، والاثنـان يوجـدان دائـما فى نفس الوقت ووجود أحدهما فى نص ما لا يلغى وجود الآخر، بل يستحضره ويستدعيه ويجبرنا على أن نراه.

■ السـواد هو العمق، والحقيقة، والأصـل، والخـصب، وهـو فى النهاية الحياة

■ وهذا كله يتجلى فى نص أمل دنقل:

وأرى فى العيون العميقه
لون الحقيقة
لون تراب الوطن!

■ العيون العميقـه وحـدهـا هى

التى تبصر، لأن البياض عندما يعشا العين ويتغشاها لا تبصر، والعيون العميقة وحدها هى التى ترى الحقيقة، لأن لون الحقيقة أسود مثل لون بؤرة البصر فى العين. ولون تراب الوطن أسود، وهو لون الحياة. والسواد عند العرب مرادف للخصب.

■ وهم يسمون اللون الأخضر «لون النبات» باللون الأسود، ولهذا قيل سواد العراق، دلالة على أرض العراق، أرض الهلال الخصيب.

■ نعود الى ما سبق لنستطرد فى الحديث عن البياض «نقيض السواد» وبالطبع ليس ثمة أى خروج عن الموضوع.

البياض سراب، والسراب لا شىء: «كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً..».

■ والبياض هو السديم، ذلك الشىء الذى لم يتشكل بعد، ولم يتكون بعد، وهو أيضا السديم القطبى الذى حدثنا عنه الشاعر الفرنسى «رامبو» وهو عوالم وليست عالما واحدا من البياض لا ماهية لها ولا معنى.. ونعود أيضا بعدما سبق الى استعراض الشواهد التى قدمها لنا ريفاتير عن المرآه التى فقدت قصديرها:

J'A SENTI MON COEUR
SAISI... ÊTE INT
COMME UN MOI-MÊME
INDISTINCT
AU FOND D'UN MIROIR
SANS TAIN.

■ لقد أحسست بأن قلبى مأخوذ .... هامد

كأنها نفسى التى تبدو باهتة فى أعماق مرآة بلا قصدير.

والنص للشاعر ميلوز.

■ وهنا نوع من «الارداف» كما يسميه البلاغيون العرب، القلب الهامد أوالنار المطفأة، الصورة الباهته لشخص لا يبدو منه شىء من خلال المرآه التى لا قصدير لها، والنص هو عن العدم أو اللاوجود وهو بالطبع أيضا عن البياض. والمرآة التى لا قصدير لها ردف تابع للبياض. وبالطبع ليس لها عمق.

VIDES ET CLAIRS AINSI QUE
DES MIROIR SANS TAIN
SES YEUX NE VIVENT PAS
DANS SON MASQUE
D'ARGILE.

ان عينيه خلف القناع الصلصالى خاويتان وشفافتان كأنها مرايا بدون قصدير.

وما ينسحب على النصوص السابقة ينسحب أيضا على هذا النص.

وهذا أيضا نص للشاعر الفرنسى بول ايلوار:

JE DEVINS ESCLAVE DE LA
FACULTÉ PUREDE VOIR
JE SUPRIMAI LE VISIBLE ET
L'INVISIBLE,JE ME PERDIS
DANS UN MIROIR SANS TAIN

لقد أصبحت عبدا لقدرة البصر الخالصه..
وألغيت المرئى واللامرئى،
وضيعت نفسى فى مرآة بلا قصدير

وفى هذا النص مناقضه. انه يقول لنا أنه أصبح عبداً لحاسة البصر، البصر الذى لا تشوبه شائبه، ثم يفجؤنا بعد ذلك بقوله أنه تبعا لذلك

ألغى المرئى واللامرئي من قاموس حياته، وأصبح مرآة بلا قصدير، أو عيناً بدون سواد، وهى بالطبع عين لا تبصر.

وريفاتير يقدم لنا أمثلة عديدة على «القلب» *(CONVERS-ION)* والنموذج له هو: «أنا أرى اللا شىء» و«أسمع اللاصوت».

■ الجملة تبدأ بفعل ايجابى يعقبه اسناد سلبى، والجملتان فى حقيقتهما هما: «لا أدرى شيئاً» و«لا أسمع شيئاً» ولكن الفرق بين الصيغتين فرق هام جداً، إن جملتى «لا أرى شيئا» و«لا أسمع شيئاً» جملتان تقريريتان نثريتان فى حين أن جملتى «أنا أرى اللاشىء» و«أسمع اللاصوت» جملتان شعريتان، والقلب هو الذى أضفى عليهما الشعرية. وتعالوا

نتأمل بعض الأمثله التى انطلقت من هذين النموذجين للقلب:

JE ESCOUTE À DEMY TRANSPORTÉ,
LE BRUIT DES AILES DU SILENCE,
QUI VOLE DANS L'OBSCURITÉ.

■ والنص نص باروكى قديم، ولغته لغة انقرضت وانمحت. وترجمته هى: «أننى أسمع، وأنا شبه مأخوذ، ضجيج أجنحة الصمت التى تحلق فى الظلمات».

هل ثمة ضرورة لأن أشرح النص، أم أترك ذلك لفطنة القارىء.؟ وهذا ما سأفعله. على القارىء أن يبذل بعض الجهد معى. وعليه وحده مسئولية خلق النص.

وقد استغرقتنا النصوص الفرنسية، ولهذا فمن المستحسن، أو من اللازم أن نستشهد بنص انجليزى، وهو:

THE BEAT OF HER UNSEEN FEET,
WHICH ONLY THE ANGELS HEAR.

■ وهذا النص هو للشاعر الانجليزى «شيلى».

«الملائكة وحدهم، هم الذين يستطيعون أن يسمعوا وقع أقدامها اللامرئيه..»

هل للأقدام اللامرئيه وقع؟ أليس ذلك معادلاً لجملة «اننى أسمع اللاصوت».

ونعود الى نصوص فرنسية أخرى اختارها أيضا «ريفاتير»:

وهذا النص للشاعر السوريالى أندريه بريتون، وهذا النص يعطينا فكرة عن هذا المذهب الذى تسيّد الأدب فى فرنسا وأوروبا فى فترة ما بين الحربين العالميتين. والسورياليه تنطلق من عالم الأحلام بدلاً من الانطلاق من الواقع، ولهذا ليس من قبيل الصدفه أن نجد أن نص بريتون هو عن الأحلام ولكن أية أحلام؟:

MES RÊVES SERONT FORMELS ET VAINS
COMME LE BRUIT
DE PAUPIRRES DE L'EAU
DANS L'OMBRE
LES MILLE PAUPIERES
DE L EAU QUI DORT."

■ ان أحلامى لن تعدو أن تكون أشكالاً بلا محتوى، كأنها صخب جفون الماء فى الظلام
جفون الماء الألف النائمه».

■ النص هنا يتحدث عن «اللاحقيقة» أو «اللاشىء» أو «اللاوجود» أو «العدم» انه وغيره من النصوص التى تتحدث عن الصمت «اننى أسمع الصمت» أو «أسمع اللاصوت» معادل موضوعى ومنطقى لنص المرآه التى لا قصدير لها أو التى فقدت قصديرها والذى يقول لنا «اننى أرى اللامرئى، أو «أرى البياض أو الشفافيه». والنص فى النهاية هو «لا أرى ولا أسمع» ولكنه صيغ صياغة شعرية أضفت عليه عمقاً وأبعاداً سحيقة، خلقت منه شعراً يعود فى نهاية المطاف ليصور الواقع الأوروبى فى القرن العشرين، الواقع الذى كفر بالاله وكفر بكل القيم، وأصبح كجفون الماء، لا صوت لها ولا محتوى.

■ الواقع الذى فقد فيه الانسان أهم حاستين من حواسه، وهما السمع والبصر، هل يحتاج نص بريتون الى ايضاح أكثر، ربما ولكننى ألجأ مرة أخرى إلى القارىء، وأطلب منه أن يخلق نصه، وعلى أية حال فقد تعبت، وغلبنى النوم.

فإلى اللقاء رغم أنى لم أذكر كل النصوص التى تسمع الصمت وترى اللامرئى.

هوامش

(1) MICHAEL RIFFATERRE. SEMIOTICS OF POETRY. INDIANA UNIVERSITY PRESS, 1984
(2) OSWALD DUCROT. DIRE ET NE PAS DIRE. COLLECTION SAVOIRS, HERMAN, PARIS, 1980.

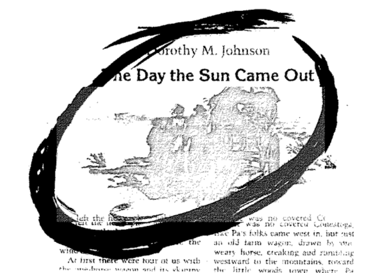
علينا ان ننقل الثقافة الغربية لحاضرتنا بقدر وميزان.. وعلينا أن نستفيد منها لاثراء ملكاتنا وعلينا ان نطرح شوائبها ونرحق من معينها المتفق مع حضارتنا ومثلنا ومقوماتنا.

المنهل

مساحة الضوء

يوم أشـــرقت الشمس



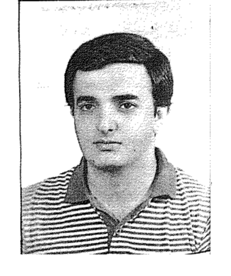


بقلم الكاتبة الامريكية : دورثى جونسن

ترجمة ابراهيم عبد الله العلو (الأردن)

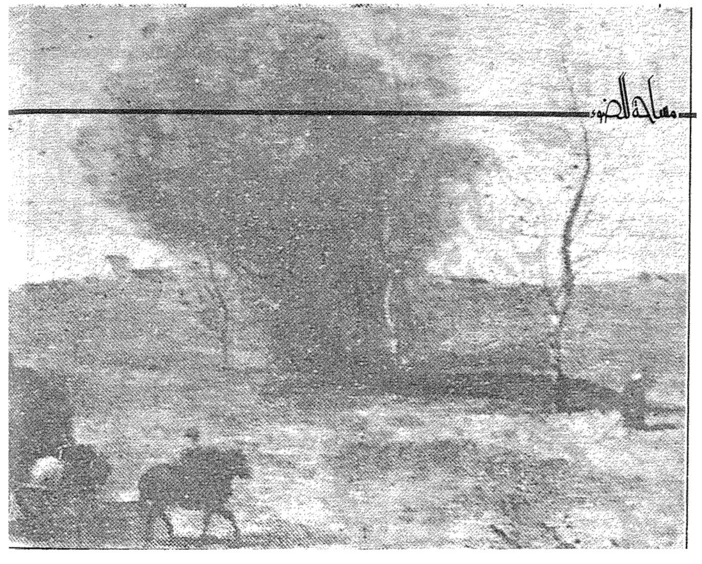
(*) دورثى جونســون مواليد ١٩٠٥م كاتبة امريكية تخرجت من جامعة مونتانا عام ١٩٢٨ وعملت بعد ذلك فى عدة دور نشر فى نيويورك لمدة خمسة عشر عاماً. بعد عودتها الى مونتانا قامت بتدريس مادة الصحافة فى الجامعة وعملت محررة فى احدى الصحف المحلية.

تصور معظم كتبها تاريخ الغرب الأمريكى، من كتبها الشهيرة «الشجرة المتدلية» عام ١٩٥٧ و«رجال قانون شهيرين من الغرب الامريكى» عام ١٩٦٣ «محاربون من أجل أمة ضائعة» عام ١٩٦٩.



■ تركنا منزلنا خلفنا ميلاً بعد ميل، متجهين نحو الجبال عبر البراري حيث كانت الرياح تعصف بلا انقطاع.

فى البداية كنا أربعة مع العربة التى يجرها حصان واحد وحملها الخفيف، كنت أمشي مع والدي لأني كنت فتى كبيراً فى الحادية عشر من العمر، كانت أختاي الصغيرتان تمشيان حتى يدركهما التعب ونضطر الى حملها ووضعهما فى سرير العربة، لم تكن عربة مغطاة كالتى حضر فيها أجداد والدي الى الغرب ولكنها كانت مجرد هيكل قديم لعربة يجرها حصان منهك، كانت تزقزق وتقعقع ونحن متجهون نحو الجبال حيث مدينة الأخشاب الصغيرة،



كان والدي يظن أن لديه عماً مسناً يملك منشرة أخشاب صغيرة في تلك المدينة، مرّ اسبوعان على مسيرنا عندما انضمت ماري إلينا كانت قد هربت من مكان لم تخبرنا عنه لم يرد والدى أن تصحبنا ولكنها وقفت أمامه دون أي خوف في صوتها: «أفضل أن أذهب مع عائلة وأرعى الأطفال ولكنى لن أعود، إذا لم تأخذنى معك فسوف أسافر مع اى عربة تقبلني».

عبس والـدي ولـكـن عينيهـا الزرقاوين نظرتا ثانية.

سألها والدي: «كم عمرك»

أجـابت «عشرون عاماً. هنـاك بعض العربات التى تحضر من هذا الطريق أحياناً ولكني لن أعود.

أخبرها والدى «لقد أوشك طعامنا على الانتهاء، ولا يوجد لدينا أى مال لدى كل ما استـطيع تحمله بدون إضـافـة أى فرد آخر» تحول عنها كما لو أنه كره مرآها واضاف «سوف تضطرين الى المشى».

انضمت ماري إلينا وبدأت ترعى الصغيرتين ولكن والدى لم يتحدث إليها.

كانت الرياح تهب فى البرية والمطر يهطل بغزارة فى الجبال، توقفنا فى غابة صغيرة فى الطريق أخبرنا السكان أن المطر كان ينزل طوال الصيف، كانت المحـاصيل بين الجـذوع المسودة متعفنة وتالفة، لم يكن هناك أى ابتهاج بحضورنا أو حسن ضيافـة كان الأفـراد الذين تحدثـنـا إليهم قد تعـدوا مرحلة القلق، كانـوا خائفـين ويائسـين بنفس الـوقت، وكـذلـك كان والدي، كان يقطع كل يوم ضعف المسافة التى تقطعها العربة يجوب الغابة مع بندقيته ولكنه لم ير أية طرائد.

كان يرغب فى الحصول على بعض الغزلان ولكننا لم نحصل على أي منها سوى هدية من السكان المتذمرين.

جلب لنـا فى احـدى المـرات «شيهم»(*) وكـان ذلـك لحما دسما ولذيذا شوته ماري بقطع كبيرة على النار نصف باكية من أثر الدخان، كنت أساعد والدي فى نصب ستار يمنع إطفاء النار.



(عربة التبن) كاميي كورو ١٨٦٥م

نفـذ الشيهم منـذ مدة لولا بعض الدهن الجاف الذي ادخرته ماري.

تابعنا السير حتى وصلنا إلى كوخ قديم مهجور، قال والدي أننا يجب أن نتوقف كان الحصان قد أنهكه التعب ولم يعد يستطيع أن يجر على هذه التدرجات فى الطرق العميقة المحفورة عبر الجبال، كان الكوخ يؤمن لنـا ملاذاً على الأقـل، كان لدينـا بعض ما تبقى من البطاطا وطحـين الذرة وكان بقربنا جدول ظننا أن فيه بعض السمك.

بعد جهد جهيد وصل والدي الى الجدول وحاول لفترة نصف يوم أن يصطاد شيئاً ولكنه استسلم خاسراً فى النهاية، منذ ذلك اليوم لم أرغب فى صيد السمك.

أتـذكـر عيني والدي الغارقتين فى وجهه الكئيب المقطب.

أخـذنى وماري الى خارج الكوخ كي يتحـدث إلينـا. كان المـطر يتسايل علينا من الأغصان.. أظن أننى أعرف أين نحن، إذا صدقت حسابـاتي فسوف أصل الى العم جون وأعـود خلال أربـعـة أيام تقـريبـاً، سيكـون هنـاك بعض الـطعام فى السوق وسوف أجلب بعضـاً منـه سواء كان العم جون هناك أم لا».

ونظر إلى محذراً «إفعل كما تقول لك».

كانت تلك هى المرة الأولى التى يعترف بأن ماري كانت على وجه الأرض رغم مرور اسبـوعين على انضمامها إلينا.

وأضـــاف قائـلا «إنها أكـبر منـك وأوعى يجب أن تطيعها.. وانفجر قائلاً بحرارة: «لم يبق خير على وجه الأرض. لم يعد الناس يأبهون سواء عشنا أم متنا ولكننى سوف أجلب طعاماً من المدينة».

أخـذ نفسـاً عميقـاً وأضـاف «إذا جعتم اذبحـوا الحصـان.. سوف يكون ذلك أفضل من الموت جوعاً».

قبل الصغيرتين مودعاً ونهادى عبر الغابة يحمل بندقية وبطانية.

كان الكـــوخ متعفنـا وبـدون أى ارضية، تركنـا النار مشتعلة تحت فتحة فى السقف ولهذا ظل الكوخ مليئاً بالدخان المعمى، كان علينا أن نبقى النار متقدة كى يجف الخشب.

فى الليلة الثـالثة أضعنا الحصان، لقد أخافه دب تائه، سمعنا لغطاً فى الخـــارج وعنـدمـا خرجت مع ماري لم نر شيئاً سوى الظلام.

عنـدما أشرق ضوء النهار الفضى ذهبت أبحث عنـه، ربـما مشيت خمســة عشر ميلا، كنت اريد أن أعيد الحصان قبل أن يأتى والدي وإلا سيضربني، ضللت الـطريق عدة مرات وظننت أنني سأمــوت وحيداً دون أن يعلم أحد عني شيئاً ولكنني وجـــدت الـــطريق أخـيراً وعدت إلى كوخنا.

مر اليوم الـرابع ولم يعد والدى فى ذلك اليوم تناولنا آخر ما تبقى لدينا من الطعام فى اليوم الخامس ذهبت ماري تبحث عن الحصان، كانت اختاي تئنان وتنشجان وقد تغطينا بلحـاف واحـد قرب النـار، كان الخوف والجوع قد أخذا منهما كل مأخذ.

لم تجف ثيابى قط، كنت مضـطراً دائمـاً لجلب الخشب الـرطب من خارج الكوخ ومن حين لآخر كنت أصرخ لكـي تـسمعني ماري ولا

(*) الشيهم : حيوان شائك.



تضل الطريق، ولكني لم أستطع أن أبكي مثلما فعلت الصغيرتان لأنني كنت كبيراً، أحد عشر عاما.

كان الوقت قبل الغروب بقليل عندما كان هناك جواب لصراخي، عادت ماري بدون الحصان، لم نر أثراً لذلك الحصان بعد ذلك، ولكنها كانت تحمل معها شيئاً كبيراً أبيض بدا وكأنه بطيخة عديمة اللون.

لم تقل شيئاً ولكنها نظرت حولها ولاحظت أن والدي لم يعد.

سألتها أختي اليزابيث «ما هذا الذى لديك».

أجابت ماري: فطر. أكاد أجزم أن وزنه يزيد عن عشرة أرطال.

قلت بسخرية وماذا ستفعلين به؟ هل ستلعبين كرة القدم به.

قالت وهى تضعه فى زاوية «ربما نأكله».

كان شعرها المبلل يسترخى على كتفيها، جلست قرب النار.

بدأت أختى سارة تئن من جديد وتقول «إننى جائعة».

قلت: إن الفطر غير صالح للأكل، وربما يودى بحياتك».

أجابت ربما، ربما يفعل ذلك، لا أعرف كل شيىء مثل بعض الناس»

سألتها: ما تلك العلامة على كتفيك؟ لقد مزقت الأغصان ثوبك.

«وماذا تظن أنها تكون؟ قالت ورأسها مطأطأ فى الدخان.

قلت: «تبدو وكأنها جروح».

«نعم. إنها جروح. لقد جرحتنى الأغصان والأشواق، دعني الآن وشأنى، أريد أن أفكر.

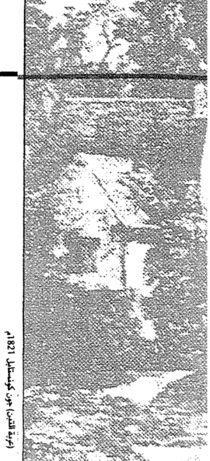
نشجت اليزابيث «لماذا لم يعد والدي».

أجابت ماري: «إنه آت، ولكنه لا يستطيع العودة فى الظلام، سيعود متى تمكن من ذلك».

نهضت تبحث فى صندوق الطعام، «لا يوجد سوى الصحون الفارغة» قالت وهى تهدد، توقفت ماري، كانت تحمل علبة فيها ما تبقى من دهن الشيهم.

قالت ببرود «سوف أجهز شيئاً لأكله، لن تستطيعوا أن تأكلوامنه، ولا أريد أى صراخ مفهوم؟.

كان الذي فعلته أمراً قاسياً ومرعباً، قطعت ذلك الفطر القاسي الكبير وسخنت الدهن فى المقلاة، أخرجت رائحة الدهن الصغيرتين من لحافهما ولكنها أمرتهما بصوت مرعب أن تعودا، أطاعتاها وبكتا



(عربة القش) جون كونستابل 1821م

بكاء يقطع القلوب.
لم أبك، نظرت إليها وأنا أمقتها.
تحملت رائحة الفطر المقلي لفترة ثم قلت: «أعطني بعضاً منه».
أجـابت ماري «غـداً، ربـما غداً ولكن ليس الليلة».
ثم تحولـت مع أمـر صارم «لا تزعجنى. دعني أنهي طعامي». .
ركعت قرب النـار بعد أن انتهت من قلي الفطر.
لو كانت بنـدقية والـدي معي فى تلك اللحظة لقتلتها فى مكانها.
لم تأكل مباشرة، نظرت إلى القطعة الـنية المحمـرة لفـترة ثم قالت: «بحلول صبـاح الغـد تستـطيع القول ما إذا كنت تريد أن تأكل منه».
حدقت الصغيرتان بها وهي تأكل، كانت سارة تلوك قفازاً جلدياً قديمـاً.
عندما زحفت ماري تحت اللحاف ابتعدتا عنها قدر الامكان.
كنت خائفـاً لدرجـة أن معـدتي خفقت رغم خوارها.
لم تبق ماري تحت اللحـاف لفترة طويلة، شربـت جرعـة ماء من الجـردل وجلست قرب النار تنظر إلى عبر الدخان.
قالت بصـوت خفيض «لا أعرف ماذا سيحـدث إذا كان الـفـطر سامـاً، افعـل ما بوسعـك مع الصغـيرتـين، لأن والـدك سيعود . . . من الأفـضـل أن تذهـب وتنام، سوف أبقى ساهرة».
بالتـأكيد ستسهـر، إذاكانت تلك الليلة، ليلتـك الأخـيرة على هذه الأرض تنتظر الموت فى أى لحظة.
جلست قرب النار المدخنة تتذكر، كانت تتذكر وتودع الحياة.
جلسنا صامتين بعد أن نامت الصغيرتان.
سألتها مرة «كم من الوقت يتطلب السم؟».
أجابت: «لم أسمع بذلك قط، لا تفكر بذلك».
نمت بعد فترة وذقني ملتصقة بصدري.
أيقظتنى جلبة ماري وهي تتحرك فى الكوخ، كان سواد الليل قد تلاشى.
قالت ماري «أظن أن الفـطر غير سام، أظن أنـه مرّ من الـوقت ما يكفي، ألا تظن كذلك؟.»
أجبت بفظاظة «لا أعرف».
توقفت فى ممر الباب لوهلة تنظر إلى الماء المتساقط كما لو أنها وجدته جميلا.
بعـد ذلـك طبخت بعض شرائح الفـطر بينـما كانت الصغـيرتـان ترقصان فرحاً.
احتفلنا نحن الثلاثة، أنا وأختاي، أكـلنـا بنهـم حتـى قالـت ماري «كفى» ولم تذق مارى أيًا من الفطر.
كان ذلـك يومـاً غريبـاً فى الكوخ المتعفن، ضحكت ماري بسرور.
حكت لنـا قصص ولعبنا لعبة مع قمح صنوبري.
سمعنا صرخة بعيد الظهر، هتفت أختاي وركضت أمامهما.
توقف المطر. حضر والدي يخوض متهوراً عبر الغابة وهو يجر حصان أمتعـة أتـذكـر جيداً كنوز الطعام التى كان الحصان يحملها.
نظر إلينا بقلق وهو يفك الحبال التي كانت تربط الأمتعة.
سألنا «أين ذهبت الأخرى».
خرجت ماري آنذاك من الكوخ ثم مشت بثبات ورصانة.
عنـدمـا حضرت نحـونـا بدأت الشمس بالشروق.
لقد كانت زوجة والدي امرأة رائعة.

« تمت »



جاء في كتاب فضائل القدس: أخذ الفرنج بيت المقدس يوم الجمعة ثالث عشرين شعبان سنة اثنين وتسعين واربعمئة هـ وقتلوا زائداً على سبعين ألف مسلم، واخذوا من عند الصخرة نيفاً واربعين قنديلاً من فضة، .. وورد المستنفرون من بلاد الشام وأخبرونا بما جرى وقام القاضي أبو سعد الهروي قاضي دمشق (أي أحد المستنفرين الى عاصمة الخلافة) في الديوان ببغداد وأورد كلاماً أبكى الحاضرين.

فندب من الديوان من يمضي الى العسكر، ويعرفهم حال هذه المصيبة، فندب لذلك أعيان العلماء مثل ابن عقيل وغيره، فتعللوا واعتذروا ووقع التقاعد، قال المظفر الأبيوردي قصيدة يصف فيها الحال:

وكيف تنام العين ملء جفونها
على هفوات ايقظت كل نائم

واخوانكم بالشام يضحي مقيلهم
ظهور المذاكي أو بطون القشاعم

يسومهم الروم الهوان، وانتم
تجرون ذيل الخفض فعل المسالم

وتلك حروب من يغب عن غمارها
ليسلم يقرع بعدها سن نادم

يكاد لها المستجن بطيبة
ينادي بأعلى صوته يال هاشم

(١٤٨) فتح بيت المقدس

وما زالت بيت المقدس مع الكفار الى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة. فقصدها صلاح الدين النائب هناك عن أمير المؤمنين الناصر لدين الله بعد أن ملك ما حوله، فوصل الخبر الينا في سابع وعشرين من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمئة، أن يوسف بن أيوب الملقب صلاح الدين فتح بيت المقدس وخطب فيه بنفسه وصلى فيه(٢).

(١٤٩) ما أشبه الليلة بالبارحة

ما أشبه الليلة بالبارحة، كان احتلال الصليبيين لفلسطين في زمن ضعف الخلافة واستبداد الأمراء وخروجهم عنوة باسم النواب، ويكفى أمير المؤمنين أن يدعى له على المنابر، وكانت الخلافة الاخرى في مصر قد انتابها الوهن وهكذا عاش الصليبيون في فلسطين نيفاً ومائة، وقد ضموا إليها نصف بلاد الشام من الرها شمالا الى الكرك جنوباً بل وهددوا الحجاز فغزوا الحوراء ودمروها.

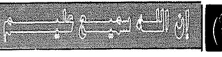
وجاء اليهود حين عاث الصليبيون الجدد في بلاد الاسلام وقطعوها أقاليم ونواحي وعملوا منها دويلات وجعلوا لها حدوداً وجنسيات ولكل حاكم صلاحيات وحسابات ثم وضعوا ايديهم من وراء هذا المولود الشقى لأنهم رأوا فيه آمالهم تتجدد، ورأوا فيه تحقيق ما لم يستطيعوا تحقيقه، ثم لم تستح اكبرهم دولة بأن تقول: اننا ضامنون بقاء هذا الكيان، يا أصدقاءنا العرب، نعم نحن اصدقاؤهم شئنا أم أبينا، ولكن ألم يفكر احد هؤلاء العباقرة أن الايتام قد يكبرون وأن أمرهم قد ينصلح، فيقولون لهم: اننا مصرون على زوال غرستكم الخبيثة يا اصدقاءنا البيض؟! فهل يكبر اليتامى، وهل يرشدون، ما ذلك على الله بعزيز؟! ولله در المتنبي حين يقول:

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح في ميت إيلام





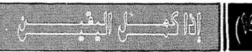




قيل: اجتمع بمصر محمد بن جرير الطبرى، ومحمد بن اسحاق بن خزيمة، ومحمد بن نصر المروزي، ومحمد بن هارون الروياني (أربعة محمدون فى مسكن واحد) فأرملوا ولم يبق عندهم ما يقوتهم، وأضرّبهم الجوع، فاجتمعوا ليلة فى السكن الذى كانوا يأوون إليه، فاتفق رأيهم على أن يستهموا ويضربوا القرعة، فمن خرجت عليه سأل لأصحابه الطعام، فخرجت القرعة على محمد بن اسحاق، فقال لأصحابه: أمهلوني حتى أتوضأ وأصلى صلاة الخيرة. قالوا: لا بأس. فاندفع فى الصلاة فاذا هم بالشموع فاذا بخصي من قبل والى مصر يدق الباب، فنزل عن دابته، فقال: أيكم محمد بن نصر؟ فقيل هو هذا، فأخرج صرة فيها خمسون ديناراً فدفعها إليه.

ثم قال: أيكم محمد بن جرير؟ ففعل به وبصاحبيه كما فعل بابن نصر.

ثم قال: ان الأمير كان قائلا بالأمس فرأى فى المنام خيالا، قال: إن المحامد طووا كشحهم جياعاً، فأنفذ إليكم هذه الصرر، وأقسم عليكم إذا نفدت فابعثوا اليّ احدكم(٣).



دخل الوليد بن عبد الملك المسجد النبوى فرأى ابن المسيب جالساً، فلم يكترث بوجود الملك، ولم يقم له، فاقترب منه الوليد، وقال: ألا تؤثر الموت يا شيخ؟! قال ابن المسيب: لا لقد ذهب الشباب وشره وأتى الكبر وخيره، فانا إذا قمت حمدت الله واذا قعدت ذكرته، وأحب أن تدوم لى هاتان الخلتان.

وكان عبد الملك بن مروان أراد أن يزوج الوليد بنت ابن المسيب، فأبى ابن المسيب وزوّجها أحد تلاميذه، غير ملتفت إلى أموال عبد الملك وبعده الوليد. وكان ابن المسيب فقيه أهل المدينة فى زمنه وامام التابعين، وأحد المعلمين الزهاد، وممن لا تأخذهم فى الله لومة لائم.

ويستغرب منه رحمه الله أنه كان مهاجراً لأبيه حتى مات، ولعل لذلك سبباً لم يصل إلى علمنا. (لعل له عذراً وأنت تلوم).



ولدك سبع سنين ريحانتك، وسبع سنين حاجبك، ثم عدو أو صديق.

الأشياء الخفيفة تطير مع الريح. على قدر الروافد يقع الفيضان. نظرة المقفي الى المقبل غير نظرة المقبل إلى المقفي. ليس التمدن بسكنى القصور، إنما التمدن فى العقول.

قال الشافعى: عدو عالم خير من صديق جاهل.



قال جرير:

لو قلت: أين هوادي الخيل؟ ما عرفوا
قالوا لاذنابها: هذي هواديها!

الهوامش

(١، ٢) فضائل بيت المقدس ١٢٥ - ١٢٨ وابن الجوزى رحمه الله يقول فى سنة ٤٩٢ اخبرونا وفى سنة ٥٨٣ وصل الخبر الينا وكأنه كان حياً شاهدا فى التاريخين بينما هو ولد سنة ٥٠٨ ومات سنة ٥٩٧هـ وقوله: الملقب صلاح الدين، املته المعاصرة، ذلك ان العظماء قل ان يعرف قدرهم معاصروهم.

(٣) تاريخ بغداد ٢/ ١٦٤، ١٦٥

مجتمع الصالحين

كيف يكون المجتمع الصالح. هل هو ذلك الذي وصل فيه الفرد الى مستوى قياسي فأصبح مترفا يأكل ما يشاء، ويشرب ما يشاء لا يخاف من بطالة، أو يخشى من مرض؟ هل هو ذلك المجتمع الذي ملك كل وسائل القوة المادية فأصبح سيدا في الارض لا ينازعه فيها منازع؟.. هل هو المجتمع الذي تتوفر في أرضه كل عوامل القوة الزراعية والصناعية؟.

قلت: والجواب على هذا يستلزم معرفة المقياس الذي يقاس به صلاح مجتمع ما؛ فإن كان هذا المقياس ماديا بحتاً فان المجتمع الذي يملك وسائل القوة بانواعها هو المجتمع الصالح كما قد ينظر اليه في الزمن المعاصر. وان كان المقياس روحيا فإن المجتمع الصالح هو من يرى في المقومات الروحية أساسا لوجوده ومنها ينطلق الى ايجاد قوته، وفرض حضارته.

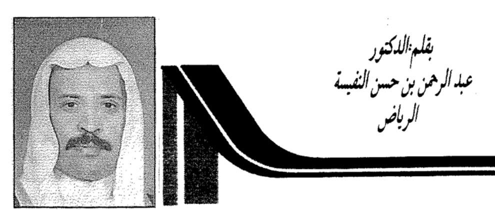
■ وبين مجتمع المادة، ومجتمع الروح فروق كثيرة: فالاول يقوم على نزعة ترى في المادة بداية ونهاية لتبدأ من حيث وجدت نفسها، وتنتهي بنفس الطريقة. وعلى هذه النزعة ينبني سلوك المؤمنين بها ولن يحد من هذا السلوك في طغيانه الا قواعد خلقية توضع لضبطه وتقييده وغالبا ما تكون عرضة لعدم الالتزام بها فينشأ القتل بأبشع انواعه وتتفشى الجريمة بكل اوصافها.

وفي ظل هذه النزعة تبدو لنا وقائع انسانية مفزعة شهدناها فيما جرى في بلد واحد من سبعة ملايين قضية اجهاض. وشهدناها في قضية مواطن في احدى المدن الغربية حين قتل سبعة وثلاثين شخصا، وترك عظامهم وبقاياهم في منزله ليتلذذ بمشهدها. وشهدناها كذلك في قضية الثرى الذى أوصى بعد موته بملايينه للقطط الضالة شحًّا بها على الانسان المحتاج حتى وان كان اقرب اقربائه.

وشهدنا هذه الوقائع في صور اكثر بشاعة حين قامت شركات بتلقيح الفتيات المنحرفات ومن ثم اجهاضهن واستخلاص مادة من اجسام اطفالهن وادخالها في مواد التجميل او حقنها في اجسام المرضى ثم رمي ما بقي منها في حوافظ النفايات.

قلت: أما مجتمع الروح فهو مجتمع الصالحين.. وهذا المجتمع يقوم على الايمان المطلق بوجود الله ووحدانيته وتصرفه في خلقه.. يصفه الصالحون كما وصف به نفسه **﴿ليس كمثله شيىء وهو السميع البصير﴾.. ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير﴾..** أبدي الوجود يحيط بكل ما عليه خلقه إحاطة لا يضاهيها علم من غيره **﴿يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور﴾..** يصرف ملكوت السموات والارض تصرفا ابديا يقوم على ربوبيته الواحدة، والوهيته المطلقة، وصفاته الكاملة التى وصف بها نفسه في قوله تعالى: **﴿الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيىء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم﴾.**

ومجتمع الصالحين يقوم على الإيمان، والاعتراف الكامل بأنبياء الله، ورسالات رسله وآخرها وأفضلها



بقلم: الدكتور
عبد الرحمن بن حسن النفيسة
الرياض

رسالة رسوله محمد ﴿ﷺ﴾ اعترافا يقوم على الاستجابة للأمر الذى جاء به، والانتهاء عن النهي الذى نهى عنه.

■ مجتمع الصالحين يقوم على ان الحياة الدنيا مرحلة اختبار، ومرحلة عبور. فمرحلة الاختبار واضحة فى ان الانسان مكلف بأداء الامانة بعد ان تهيأت له الوسائل، ووضحت له الطرق، واستقامت له المعايير، وتجلت له الحقائق.. ومجتمع الصالحين يتعايش مع هذه الحقيقة تعايشا يقوم على الامتثال الطوعي لأداء هذه الامانة:

● أداء الامانة باقامة كل الشعائر التى تجعل الصلة دائمة مع الله امتثالاً طوعيا للأمر بما أمر به والانتهاء عما نهى عنه.

● أداء الامانة باقامة العدل إقامة مطلقة تفرض الحق لأهله ليكون القوي هو الضعيف حتى يؤخذ الحق منه والضعيف هو القوى حتى يؤخذ الحق له.

● أداء الامانة باقامة التكافل الذى يحب فيه الانسان غيره كما يحب نفسه عملا بقول رسول الهدى ﴿ﷺ﴾ **«لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**..

● اداء الامانة على نحو يتجسد فيه حسن التعامل والعلاقة بين الانسان واخيه علاقة تقوم على التآخي والعقيدة.

● اداء الامانة فى الأعتراف بنعم الله اعترافا ينبنى على الاعتقاد بان هذه النعم ليست مخصوصة لإنسان لفضل يفضل به غيره، وانما هي مرهونة بعمل يعمله او جهد يقوم به او بركة يضعها الله فى رزقه.

قلت: اما مرحلة العبور فان مجتمع الصالحين يؤمن ايمانا ثابتا بأن الحياة مرحلة عابرة ينتهي فيها الانسان الى أجله المسمى. وعلى اساس هذا الاعتقاد ليست الدنيا غاية له فى ذاتها، وليست هدفا ينشده او مبتغى يبتغيه بقدر ما هي بلاغ لقضاء حاجة مرهونة بانتهاء الاجل.

قلت: وليس معنى ذلك - بأى حال - انطواء هذا المجتمع واستسلامه للفقر والعوز فى انتظار الآخرة فذلكم هو المنطق الذى يرفضه الاسلام لأن ازدهار المجتمع الصالح ورخاءه ورفاه عيشه مقصد ومطلب من مقاصد الاسلام ومطالبه، ولكن المقصود هو قناعة هذا المجتمع وبعده عن الترف المادي الذى تتحول معه الحياة الى عبودية للمال وصراع من أجله.

■ ومجتمع الصالحين يقوم على كفالة الزمن والحرية للانسان ولكن هذه الحرية تقوم على الشعور، والالتزام بحرية الآخرين، فليس من صفات هذا المجتمع ان يعبث انسان فيه باسم حقه فى الحرية الشخصية، او يتخطى فيه آخر قواعد السلوك وضوابط المجتمع باسم هذه الحرية.

■ واخيرا فإن مجتمع الصالحين يتجدد مع تجدد الزمن، ويتطور مع تطوره.. يؤمن بأبدية عقيدته الاسلامية وصلاحها المطلق لكل زمان ومكان.. يؤمن بأن الارض لله استخلف عليها عباده لينظر كيف يعملون.. وقد وعد الصالحين منهم بإرثها وحكمها الى اجلهم المسمى **﴿ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون.. ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين﴾**.

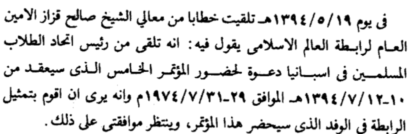
قلت: ومجتمع الصالحين يرى فى هذا النص القرآنى بلاغا له ينطلق منه الى ارث الارض، واقامة حكم الله فيها حكما أساسه رسالة الله وقوامه العدل وصفاته الرحمه وعماده المحبة وركيزته الايمان بوعد الله لعباده الصالحين.. والله المستعان.

ذكريات اديب:

٣١



في مؤتمر الطلاب العالمى باسبانيا



فى يوم ١٩/٥/١٣٩٤هـ تلقيت خطابا من معالي الشيخ صالح قزاز الامين العام لرابطة العالم الاسلامى يقول فيه: انه تلقى من رئيس اتحاد الطلاب المسلمين فى اسبانيا دعوة لحضور المؤتمر الخامس الذى سيعقد من ١٠-١٢/٧/١٣٩٤هـ الموافق ٢٩-٣١/٧/١٩٧٤م وانه يرى ان اقوم بتمثيل الرابطة فى الوفد الذى سيحضر هذا المؤتمر، وينتظر موافقتى على ذلك.

وكتب امين الرابطة ايضا خطاباً الى رئاسة مجلس الشورى - باعتباري عضوا فيه - يستأذنه فى انتدابى لحضور المؤتمر المذكور - فكتب نائب رئيس مجلس الشورى الشيخ أحمد غزاوى - رحمه الله - الى رئاسة مجلس الوزراء يطلب الاذن بذلك - وجاءت الموافقة السامية فى ٢٤/٦/١٣٩٤هـ على حضورى فى المؤتمر ممثلاً لرابطة العالم الاسلامى.

وعندما علم رئيس المؤتمر الدكتور رامز الأتاسي بأني سوف احضر المؤتمر بعث إليّ بخطاب يقول فيه:

● **سعادة الاخ الكبير الاستاذ احمد محمد جمال**

حفظه الله ووفقه لكل خير.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد:

علمنا من برقية الرابطة انه تم الموافقة على طلبنا منها بإرسال سعادتكم الى الأندلس لحضور المؤتمر المزمع عقده خلال الفترة ١٠، ١١، ١٢ رجب الخير ١٣٩٤هـ الموافق ٢٩، ٣٠، ٣١/٧/١٩٧٤م فحمدنا الله تعالى على ذلك.. نرجو أن يكون وصولكم برفقة المندوب الآخر قبل انعقاد المؤتمر ليتسنى لنا الجلوس معكم، والاستئناس بآرائكم فقد اشتقنا لكم، كما أن الاخ الاستاذ نزار الصباغ يذكركم دوماً بالخير والهمة والنشاط، بارك الله بكم، ونفعنا بعلمكم وجهادكم ونحن بانتظار عنوان محاضرتكم فنرجو إرساله بالتلغراف ليصار الى طبع البرنامج بأسرع وقت.



● الشيخ محمد صالح قزاز ● الشيخ محمد الحركان ● د. المهدى بن عبود ● الشيخ احمد الفزاوى

نأمل ان يكون موضوع المحاضرة يعالج اساليب الدعوة للاسلام، وموقف الدعاة امام وسائل الهدم المعاصرة، وكيفية عرض الاسلام بصورة حضارية تتفق مع أسسه، وتلائم الوسط الذى هو فيه وذلك لضرورة مثل هذا فى أبحاث المؤتمر، وللفائدة المرجوة من ورائه).

وحضرت المؤتمر. وكان رفيقى الدكتور محمد العروسي عبد القادر العضو الثانى فى وفد الرابطة، وكان مؤتمراً رائعاً بنشاطه الفكرى والاجتماعى، وقدمت التقرير الآتى الى الامين العام للرابطة ـ رحمه الله ـ

(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وأحمد الله اليكم، ويسعدنى ان اتقدم لمعاليكم بتقرير موجز عن ابتعاثكم إياي لحضور مؤتمر الاتحاد العالمي للطلاب المسلمين الذى دعت اليه الجمعية الاسلامية بغرناطة ـ فى أسبانيا ـ

■ **أولا**: استغرقت الرحلة (١٢) يوما نظرا لمواعيد السفر والانتقال بين بيروت وروما ـ ومدريد ـ ثم مقر المؤتمر فى قرية تبعد عن غرناطة بنحو مئة كيلو متر ـ كان الانتقال بين مدريد «العاصمة» وغرناطة ثم العودة اليها، فزيارة اشبيليه، وقرطبة، والعودة الى مدريد كان مرة بالسيارة لمدة (٨) ساعات، وبالقطار مرة اخرى لنفس المدة ـ ثم كانت العودة من مدريد الى القاهرة بالطائرة فى يوم كامل.

■ **ثانيا**: تجدون معاليكم مع خطابى هذا جدول العمل فى المؤتمر من محاضرات ومناقشات. وكانت محاضرتى: (الشباب والدعوة الاسلامية) فى مساء اليوم الثانى الثلاثاء ١١/٧/٩٤هـ وتلتها مناقشات واسئلة من الطلاب، وقد اشترك الاساتذة الدكتور مهدى بن عبود ـ والدكتور عبد السلام الهراس وفتحى يكن بالقاء محاضرات اخرى.

■ **ثالثا**: اننى اعتبر هذا المؤتمر انجح وانفع مؤتمر للطلاب والشباب حضرته واشتركت فيه، وذلك لما اتيح للشباب فيه من التقاء مع المحاضرين واجتماع بهم عدة مرات صباحا ومساء، وتوجيه اسئلة اليهم حول مشكلات الشباب والطلاب، وتلقى هؤلاء الشباب والطلاب الاجوبة والحلول الشافية على مسائلهم ومشاكلهم.

■ **رابعا**: اثنى الأخوان رامز الاتاسى ونزار الصباغ المشرفان على المؤتمر على رابطة العالم الاسلامى لما تقدمه من عون للجمعية الاسلامية فى غرناطة ـ وذلك فى خطابيهما لافتتاح المؤتمر.. كما اثنيا على وزارة المعارف السعودية ولجنة الشؤون الاسلامية ايضا.

■ **خامسا**: الجمعية المذكورة بما تقوم به من نشاط ديني بين الطلاب فى تلك المنطقة ـ تستحق العون الكثير مادياً وثقافياً من رابطة العالم الاسلامى، كما تستحق مساهمتها فى ما تعقده من مؤتمرات ونشاطات للطلاب والشباب المسلمين هناك.



■ سادسا: كان اشتراك رابطة العالم الاسلامى فى جلسات هذا المؤتمر مهما وذا أثر فعال.. لأن المسلمين فى كل مكان ينتظرون ان يروا «السعودية» رائدة العالم الاسلامى حاضرة ومشتركة فى كل نشاط اسلامي، كما يرجون عونها ومساهمتها المادية والمعنوية لكل جهد يبذل لرفع كلمة المسلمين عالية بين الناس فى شرق الدنيا وغربها كاستئجار مقر للجمعية، وبناء مسجد، وتحمل نفقات بعض نشاطات الجمعية، وإهداء المطبوعات الثقافية... الخ.

■ سابعا: أسفنا اسفا شديدا لإهمال السفارة السعودية هناك، فى مدريد، وعدم قيامها باستقبال وفد الرابطة، فلا السفير حضر لاستقباله فى المطار وتسهيل اجراءات السفر ولا بعث مندوبا عنه لهذه المهمة، ولا كلف مرافقا يعين الوفد على معرفة الطرقات والاماكن والوسائل اللازمة لتنقلاته واتصالاته، وقد عانى الوفد من ذلك الكثير، لأنه لا يتكلم اللغة الاسبانية كما أن الاسبان لا يتكلمون اللغة الانجليزية.. حين حاولنا التفاهم معهم بها.

وهو ما لم نره فى رحلات وفود الرابطة السابقة حيث كان السفراء انفسهم يستقبلون الوفود فى المطارات ويضعون السيارات الخاصة تحت تصرفهم مع تخصيص مرافقين لهم لتسهيل اتصالاتهم وتنقلاتهم وزياراتهم.

●● هذا ولمعاليكم خالص الدعاء وصادق الرجاء بتوفيق الله اياكم لصالح الاعمال وسديد الخطا فى سبيل قوة الرابطة وعزتها ونشاطها الاسلامى الدائم).

■ وفى ١٤٠٢/٨/٢١هـ تلقت رابطة العالم الاسلامى برقية من المركز الاسلامى باسبانيا عن عزمه بعقد المؤتمر التاسع فى ١٤٠٢/١٠/١٤هـ ورغبته فى ان ترشح الرابطة مندوباً عنها وكان موضوع المناقشة هو (ظاهرة التطرف والالتزام فى المجتمعات الاسلامية المعاصرة. واضاف مدير المركز الدكتور رامز الاتاسى قوله: (.. مع ملاحظة انه سبق حضور الداعية الاستاذ احمد محمد جمال الى اسبانيا فى مؤتمر سابق، وكان لحضوره اثر كبير فى نفوس الشباب والطلاب المشتركين فى ذلك المؤتمر..).

وابرق معالى الشيخ محمد بن على الحركان امين الرابطة فى ١٤٠٢/١٠/٧هـ الى جلالة الملك يستأذنه فى انتدابى لحضور المؤتمر ـ البرقية التالية:

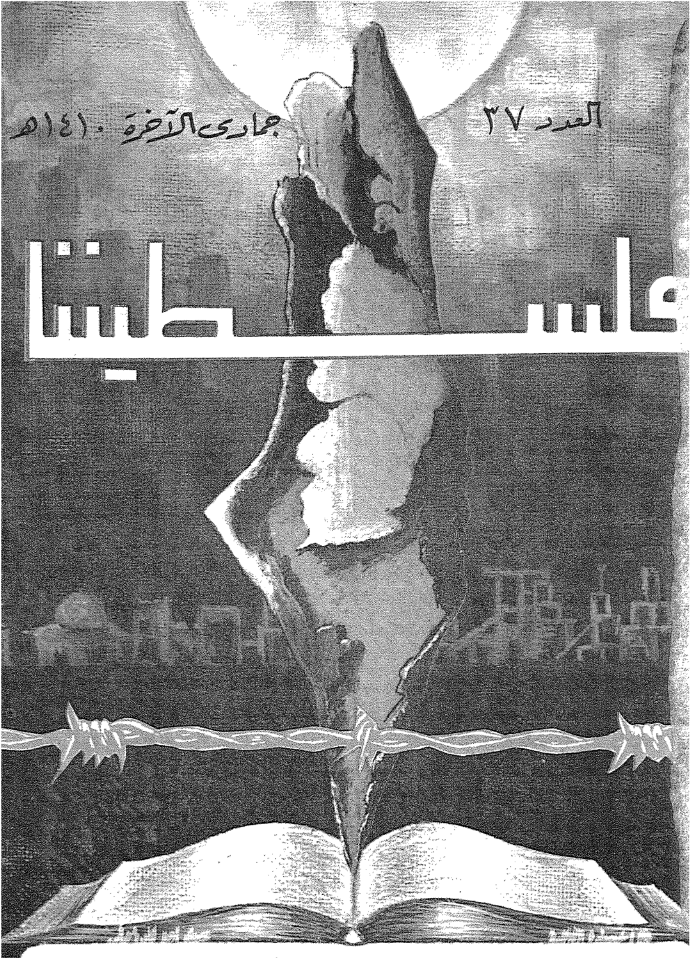
● حضرة صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز المفدى ـ حفظه الله

يشرفنى ان ارفع لجلالتكم بأن الامانة العامة للرابطة قد تلقت دعوة من المركز الاسلامى فى اسبانيا لحضور مؤتمره التاسع الذى سيعقده يوم ١٤٠٢/١٠/١٤هـ عن (ظاهرة التطرف والالتزام فى المجتمعات الاسلامية المعاصرة) وفى المؤتمر السابق للمركز اوفدت الرابطة سعادة الاستاذ احمد محمد جمال وكان لحضوره أثر كبير فى نفوس الشباب والطلاب المشاركين وقدم تقريره الى الرابطة لرفع لجلالتكم صورة منه برقم ٩٠٧٢ وتاريخ ١٢/ ٩/ ١٣٩٤هـ.

ارجو من جلالتكم التكرم بالموافقة على ايفاد سعادة الاستاذ احمد محمد جمال لحضور المؤتمر المشار اليه وفق الله جلالتكم وسدد خطاكم لما فيه خير الاسلام وصلاح المسلمين والله يحفظكم ويرعاكم.

■ وجاءت الاجابة الملكية الآتية:

(ج/ لبرقيتكم رقم ٤١٢٠ وتاريخ ١٤٠٢/١٠/٧هـ بشأن الدعوة التى تلقيتموها من المركز الاسلامى فى اسبانيا لحضور مؤتمره التاسع الذى سيعقد يوم ١٤٠٢/١٠/١٤هـ عن ظاهرة التطرف والالتزام فى المجتمعات الاسلامية المعاصرة وما ذكرتم من ان الرابطة سبق ان اوفدت الاستاذ احمد محمد جمال لحضور المؤتمر السابق وقدم تقريراً ايجابياً عن المؤتمر وأعماله وطلبكم إعادة إيفاده مرة اخرى لحضور هذا المؤتمر ـ نخبركم بموافقتنا على ذلك.. اكملوا ما يلزم).



- لنكن صرحـــاء
- متى .. وهل
- الجذور التاريخية للجهاد الاسلامى
- قراءة فى اطروحة الاستيطان الاسرائيلى
- فلسطين في شعر محمود حسن اسماعيل

لنكن صرحاء:

الدولة الفلسطينية.. الواق

● استطاعت الانتفاضة أن تدخل القضية الفلسطينية فى مرحلة

● إسرائيل تظل تراوغ وتناور رغم الابواب التى فتحت للسلام

● جاءت الانتفاضة ـ قلباً حرقته غطرسة الصهاينة

●● تاريخ الجهاد الفلسطيني ضد اليهود والصهيونية تاريخ طويل ممتد عبر عشرات السنين منذ مطلع هذا القرن حين بداية الهجرات اليهودية من الدول الاوروبية الى فلسطين ومحاولات الصهيونية المدروسة لاستغلال فترة الانتداب البريطانى على فلسطين من أجل تكثيف الهجرات اليهودية الى فلسطين (أرض المعاد) كما يدعون . . ومن أجل تنفيذ عملية الاستيطان القهرية الجبرية فى ارض ليس لهم فيها حق.

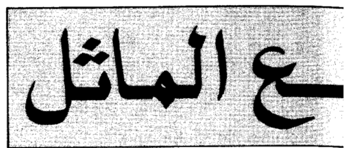
منذ تلك الفترة بدأ الصراع الفلسطينى ضد المستعمر الغاصب، وضد المخطط الصهيوني اليهودى العامد إلى سلب الارض بكاملها من أهلها بأى أسلوب واى ثمن.

●● وتأكيدا لقضية الاستيطان فى أعماق اليهود فإن حركتهم قد استغلت الجانب الدينى فى تثبيت أحقية اليهود فى فلسطين، . . وهذا المبدأ بدا واضحاً منذ انعقاد المؤتمر الصهيونى العالمى الأول فى مدينة بال عام ١٨٩٧م وكان برئاسة الصهيونى المتزمت تيودور هرتزل. . وما من وسيلة لاستلاب الأرض من اصحابها وتهجيرهم خارج وطنهم الأم أو تهميش حياتهم فى وطنهم ـ أقول ما من وسيلة ـ تؤدى الى ذلك إلا وسلكها اليهود. . فضربوا، وشردوا، ودمروا . . واستخدموا فى ذلك كافة أسلحتهم العسكرية والسياسية المراوغة الغادرة.

●● ولتثبيت أقدامهم فى أرض ليس لهم فيها شرعية عملوا الى جانب كل ذلك على تهميش الدور العربى تجاه القضية الفلسطينية. . وشنوا فى ذلك مجموعة من الحروب والاعتداءات على الدول العربية التى هى فى خط المواجهة.



● الفجيعة فى الاهل والولد من أقسى الاشياء على النفس. والفجيعة فى الوطن اكثر قسوة ومرارة.



من مراحل الوعى الحضارى.

ى أسلوب المحاورة الهادئ.

اليهود.

وجاءت حرب رمضان المبارك لتكون قاصمة الظهر لاسرائيل، ولتفتح محاور جديدة فى قضية السلام فى الشرق الاوسط، وعلى رأسه قضية فلسطين المحتلة.

ورغم الأبواب التى فتحت للسلام القائم على أسلوب المحاورة الهادىء إلا ان اسرائيل تظل تراوغ وتناور، وترفع الى ساحة الجدال المفتعل من قبلها الخطة تلو الخطة، والمناورة تلو المناورة، وما ذلك إلا لإشغال الرأى العام أولا، وكسب عامل الوقت لصالحهم ثانياً، ومحاولة صرف النظر إلى قضايا جانبية وهامشية ثالثاً. ولكن كل ذلك جاء رد فعله معاكساً لما كانوا يخططون له ويتوقعونه.

■ وفى ديسمبر ١٩٨٧م انفجرت قنبلة الغضب الموقوته، انفجرت قنبلة الانتفاضة قذيفة غاضبة هادرة.

جاءت الانتفاضة قلباً حرقته غطرسة الصهاينة، وإرهاب اليهود.. لا تحمل غير الحجر فهو قذيفة نفس أبية لا تسكت على الظلم واستمرارية الانتفاضة بهذا التنظيم الدقيق أدخل اسرائيل فى ورطة سياسية لم تجد منها مخرجاً غير التخبط.

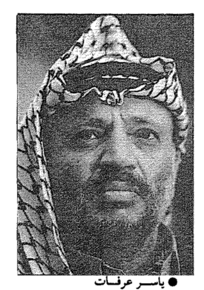
■ ومن ناحية ثانية استطاعت الانتفاضة ان تدخل القضية الفلسطينية فى مرحلة جديدة من مراحل الوعى الحضارى بالغاية والهدف.. مما اعطى قضية السلام دفعة جديدة الى دائرة الضوء، واصبح العالم بأسره أكثر تعاطفاً مع الفلسطينيين والحق الفلسطينى وذلك لما يشاهده كل يوم من قهر وإذلال، وإرهاب وقمع، وتقتيل وتشريد من قبل الصهاينة اليهود للشعب الفلسطينى.

■ وهذا التعاطف أدى لما يمكن تسميته بالانفراج فى الرأى العام العالمي تجاه القضية الفلسطينية،





● جلسة اعلان الدولة الفلسطينية.



● ياسـر عرفـات

وقد كان الاعلام الإسرائيلي من قبل معتما على أجوائه بسحابة سوداء قاتمة . . وخلال هذا التعتيم الاعـلامى الاسرائيلى تسنى لليهـود أن يصمـوا منـظمة التحرير الفلسطينية بالإرهاب وإشاعة الإرهاب، وما تكاد هذه السحابة المعتمة تنقشع حتى يستبين العالم كذب وافتراء اليهود، وصدق نوايا الفلسطينيين فى السلام.

■ وبعد عام من عمر الانتفاضة الجسورة يأتى القرار الجسور أيضاً، قرار إعلان الدولة الفلسطينية فى الخامس عشر من نوفمبر ١٩٨٨م . . وجاء القرار فى وقته المناسب مستفيداً من الإنفراج الدولي فى توجه الرأى العام العالمى . . ويقوم قرار اعلان الدولة الفلسطينية على الموافقة على قيام دولتين فى فلسطين، دولة فلسطينية، ودولة يهوديه بناء على قرارات الامم المتحدة (١٨١) الصادر فى عام ١٩٤٧ . و(٢٤٢، ٣٣٨) . .

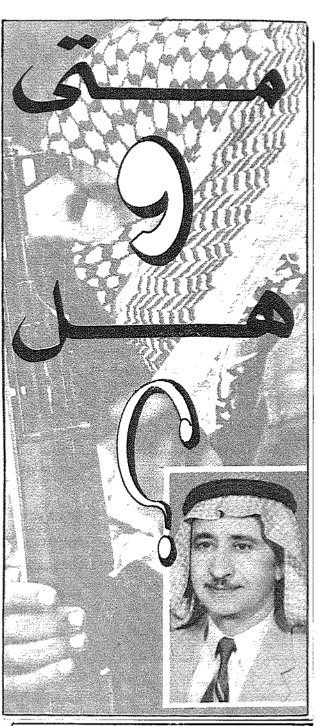
■ ومنذ اعلان الدولة الفلسطينية فقد كسبت تأييد وموافقة اكثر من مئة دولة . . وبادرت كل الدول العـربية بتأييد هذه الدولة وفى مقدمتها المملكة العربية السعودية التى بادرت الى تحويل مكتب منظمة التحرير الفلسطينية الى سفارة للدولة الفلسطينية المعلنة ـ وكذلك الحال فى عدد من الدول حيث تحولت مكاتب المنظمة فيها إلى سفارات.

■ اعلان الدولة الفلسطينية اكسب منظمة التحرير الفلسطينية مصداقية دولية . . واعترافاً دولياً جعلها تستعيد زمام المبادرة، وتذيب الجليد الذى جمد وصول صوتها إلى من تود أن يصله.

ولا شك ان المنظمة استطاعت بذلك نقل الكرة ـ كما يقولون ـ الى ملعب اسرائيل ليروا ان كانت تملك مصداقية الكلمة فى الدعوة الى السلام وإلى التعايش السلمى . . ولكن اسرائيل رغم صدمتها الكبيرة بهذا القرار الا انها لا تزال تملك اسلوب المناورة والمخادعة وتضييع الوقت.

والدليل على ذلك مناورتها الاخيرة تحت مسمى الانتخابات فى الضفة والقطاع أو خطة شامير للانتخابات، وهى خطة تعمل على استبعاد المنظمة . . ولم تنجح هذه الخطة . . وما خطة بيكر إلا محاولة أخرى لاخراج اسرائيل من هذه المنطقة الحرجة، ولابد التأكيد هنا على أن منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الوحيد والشرعى للفلسطينيين ولا يمكن تجاوزها بأى حال فى أى محاولة تعمل على إحلال السلام فى الشرق الاوسط.

فلسطيننا



شعر

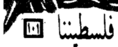
كمال عبد الكريم الوحيدى (الدوحة)

متـى تضـمـد الـجـراح؟
متـى يشـرق الـصبـاح!؟
متـى نبـصـر الـروابـى
بهـا يبـسـم الاقـاح؟

متـى تسـطع الـشـمـوس
على ربـوة تبـاح !؟
وهـل ينـجـلي الـظلام
وهـل ينـتـهـي الـنـواح !؟
وهـل يرفـع الاذان
على مسـجـد أبـاحـوا !؟
وهـل نشـهـد الـحـقـولا
وقـد زانـهـا وشـاح !؟
متـى نبـصـر الـخـيـولا
ومـن فوقـهـا رمـاح
لقـد أطـبـقـت غيـوم
وقـد ولـولـت ريـاح
ونـادى طريـد غدر
فلم ينـطلق كفـاح
وقـد بحـت الـبـواكـي
وسـالـت دمـاً بطاح
وكـم هدمـت بيـوت
وقـد كسـر الـجـنـاح
وهـيـنـت محـصـنـات
فلم ينـتـفض صلاح(١)
وديـسـت مقـدسـات
فمـا زغـرد الـسـلاح
ولـن تنـفـع الـمـواضـي
إذا شامـهـا رزاح(٢)
ومـن يفـقـد الـضـيـاء
فأنـى له الـفـلاح(٣) !؟

الهوامش

(١) صلاح دين جديد
(٢) شام السيف : شهره ـ رزاح : إعياء وهزال.
(٣) ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور.



اخر ما كتبه الشهيد الدكتور عبد الله عزام

الجذور التاريخية للجهاد الإسـ

- **أشرف عبد الله عزام رحمه الله على العديد من الخدمات والـ**
- **واجهت أمتنا المسلمة اليهود في فلسطين منذ بداية الـ**
- **صار القسام رمزا لجهاد شعب فلسطين وبطولاته**

■ إن المتبصر بآي الذكر الحكيم يدرك الحكمة الربانية من إفراد صفحات كثيرة من كتاب الله العزيز فى تتبع تاريخ اليهود ومواقفهم تجاه انبيائهم عليهم السلام وكشف طبيعة جنسهم وإيضاح خبيئهم. وذلك ـ والله أعلم ـ لأنه سبحانه يعلم ان هذا الجنس كان عبر التاريخ كله معول هدم لكل القيم، ومسحاة تجتث بها الاخلاق وتحارب بها المبادىء والمثل ولأمر ما يعلمه الله ـ استغرق تاريخهم هذه المساحة من كتاب الله الكريم وكأن البصيرة تدرك أن لهذا الجنس دوراً خطيراً فى مواجهة هذا الدين عبر حقب زمنية قادمة.

ولذا لابد لأبناء هذا الدين من أن يأخذوا حذرهم، ويعدوا عدتهم.. فإذا كان اليهود قد أقدموا على قتل الأنبياء عليهم السلام **﴿ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق، ذلك بما عصوا وكان يعتدون﴾** (البقرة٦١) فكيف يستحلون بعد هذا محاربة حملة المبادىء وأصحاب العقائد.

ولقد حملت اجيال اليهود فى أعماقها الاحقاد السوداء على البشرية جمعاء، فقد كانت النكبات التى تعرضوا لها جزاء لما ارتكبوه من جرائم، ومن هذه النكبات بالسبى الصغير على يد بختنصر الكلداني ٥٨٦ ق.م، والسبى الكبير على يد تيطس الرومانى الذى خرب القدس سنه ٧٠م وهدم الهيكل (المسجد الأقصى) الذى كان قبل سيدنا سليمان عليه السلام وكان البيت الثاني على وجه الكرة الأرضية بعد المسجد الحرام بأربعين عاماً، ثم جاء سيدنا سليمان وجدد بناء المسجد الاقصى كما فى صحيح النسائى. لكن اليهود أطلقوا على المسجد الاقصى «الهيكل» ظلماً وعدواناً.

وسبى اليهود الى بابل بالاضافة إلى عمليات الابادة التى تعرضوا لها فى أوربا.. كل هذا زرع الأحقاد في قلوبهم فقد جاء فى البروتوكولات: «سننزع فكرة الله من أذهان المسيحيين»، وقد رتبوا لنجاح أكبر ثورتين فى أوربا:



الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده اما بعد:

فمما لا شك فيه ان فلسطين الارض المباركة قد فتحها الاسلام وعاشت بالاسلام طيلة العهود التاريخية، وكلما تعرضت للغزو وسقطت بين براثن صائل كافر، او طاغوت ملحد تقدم الاسلام لينقذها من وهدة الموت ومن ظلام الجاهلية. وظلت فلسطين تنعم بالتفيؤ فى ظلال الاسلام وتستروح أرج هذا الدين القويم لا يعكر موردها كدر ولا يلوث جوها وباء.

...الأمي...

...ت الصحية والتعليمية والعسكرية للمجاهدين وأبنائهم.

...العالمية على فلسطين.

...ـاهـ.

بقلم: الدكتور عبد الله عزام

١ - الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م لتحطيم فرنسا الكاثوليكية وحصنها الحصين، وكان شعار هذه الثورة كلمة ميرابو: «اشنقوا آخر ملك بأمعاء قسيس».

٢ - رتبوا للثورة البلشفية فى روسيا عام ١٩١٧م.

وصدر فى الاسبوع الاول لهذه الثورة فى (اكتوبر عام ١٩١٧م - اى قبل صدور وعد بلفور بأسابيع قليلة - قرار ذو شقين بحق اليهود:

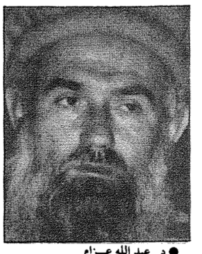
١ - يعتبر عداء اليهود، عداء للجنس السامي، يعاقب عليه القانون.

٢ - الاعتراف بحق اليهود فى إنشاء وطن قومى فى فلسطين.

● ولقد كان كتاب موسى هيس اليهودى (من روما إلى القدس). . اول دعوة منظمة لاقامة دولة يهودية فى فلسطين، وكان مؤلف هذا الكتاب استاذاً لماركس الشيوعي، إذ يقول ماركس عنه: «لقد اتخذت هذا العبقرى «هيس» مثالا وقدوة لى».

والواقع ان نابليون سبق هيس في هذه الدعوة إذ أعلن فى ٢٠/٤/١٧٩٩م بالجريدة الرسمية الفرنسية الدعوة الى اليهود للالتحاق بجيشه ليدخلوا معه القدس.

وبعد هيس جاء هرتزل وكتب كتابه (الدولة اليهودية: محاولة ايجاد حل عصرى للمسألة اليهودية» وذلك فى ١٤ فبراير سنة ١٨٩٦م

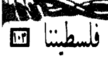


● د. عبد الله عـزام

قرر فيه أن ينذر نفسه لاقامة دولة لليهود. وفى السنة التى بعدها قام مؤتمر بازل بجهود هرتزل ووايزمن، وهو أول مؤتمر للصهيونية العالمية فى العالم وحضره ٢٠٤ من المندوبين اليهود قرروا فيه قيام دولة لليهود بفلسطين.

السلطان عبد الحميد وموقفه النبيل من فلسطين

وبمرور الزمن بدأ اتصال اليهود بالسلطان عبد الحميد فى





● نابليـــون



● بلفــور ● السلطان عبد الحميد

١٨٨٢م عنـدمـا قدمت جمعية صهيونية إسمهـا (أحباء صهيون) طلبـا للقنصـل العثماني فى روسيا للاقـامـة فى فلسـطين، فكـان رد السـلطان عبـد الحميد: «تحيط الحكومة العثمانية علماً جميع اليهود الراغبين فى الهجرة الى تركيا بأنه لا يسـمـح لهم بالاسـتـقـرار فى فلسـطين». فثـارت ثائـرة اليهـود الذين أرسلوا الوفد تلو الآخر، ولم يسمعوا إلا الرفض من السلطان. حينئذ تدخل السفير الامريكى فى تركيا فقال السلطان:

«إن الامـبراطـورية العثـمانية ملك العثمانيين الذين لا يمكن ان يوافقـوا على هذا الأمر فاحفـظوا أموالكم فى جيوبكم».

ولـلأسف العميق فإن عبـد الحـميد ذهب مظلومـاً. وبقيت الألسـنة تنهش لحمـه ومضى غير مأسـوف عليه من قبل المسلمين، مع وصمـه بالـدكتـاتـورية، والـغـطرسـة، والصلف. وبقى مغمـوط الشأن. مغمور الشرف، حتى نشرت مذكرات هرتزل بعد سنة ١٩٢٠م فعرف الناس مكانته ذات الشأو الرفيع، وندموا ولات ساعة مندم.

بعد تلك المقابلة صمم اليهود أن يطيحوا بالسلطان عبد الحميد، وأرسل إليه «قرصو» اليهودى برقية يقول فيها:

«ستدفع ثمن هذه المقابلة من عرشك ونفسك» !؟.. وفى الليلة التى أُقْصِى فيهـا السلطان عبـد الحميد نستطيع أن نسجل حدثين عظيمين:



● ياسر عرفـات

١ ـ غيـاب الاسـلام الفعـلي عن الوجود السياسى آنذاك.

٢ ـ سقوط فلسطين بيد اليهود.

■ وفى اكتـوبـر من عام ١٩١٧م صدر وعد لينين لليهود بوطن قومي في فلسـطين.. وفى ٢ نوفمبر من نفس العام صدر وعد بلفور لليهود بوطن قومي فى فلسـطين.. وقـد وافقت فرنسا على وعد بلفور بعد صدوره بثـلاثة أشهر اى في شهر فبراير عام ١٩١٨م. ووافـقـت امريكا رسمياً عام ١٩٢٢م.

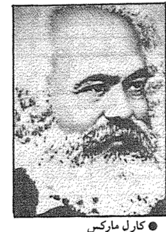
وممـا لا شك فيه أن قيام دولة إسرائيل كان بمـؤامـرة عالمـية، واتفاق دولي. ولكن لابد أن يكون واضحـاً فى الأذهـان أن الجهـود الضخمـة التى قدمهـا اليهـود والمعاناة المريرة طيلة الخمسين عاماً لم تكن أمراً سهلا ولا ميسوراً وأن قيام الـدولة كان ثمرة دماء وعرق وسـهـر، ورعـب، فالـيهـودى الامـريكى والبـولنـدى الذي ترك وطنـه وخاطر بنفسه وعاش مهدداً فى فلسطين أربعين سنة أو اكثر كان يحيا على أعصابه ويتوقع الموت فى كل لحظة من أجل أرض الميعاد، والآباء والأجداد.

■ لقد واجهت أمتنا المسلمة اليهود فى فلسـطين منذ البداية.. بداية المؤامرة العالمية على فلسطين فسقط على أرضهـا عشرة ملايين شهيد مسـلم، وذلـك عبر الحـروب والمـواجهـات مع الصهـاينـة فى الأراضـى المحـتلة وعـبر الأدوار التاريخية المتعاقبة.

ومن هذه المـواجهـات جهـاد



● عز الدين القسام



● كارل ماركس



● لينين

الشيخ عز الدين القسام الذى فطن منذ عام ١٩٢١م الى تربية جيل على حب الجهاد، وقد شكل مجموعة ورباها، قوامها مائتا رجل وبثهم فى أرجاء فلسطين يضربون المستوطنات وكان رئيسا لجمعية الشبان المسلمين فى حيفا، وكان مدرساً فى مسجد الاستقلال.

وفى ٢٠ نوفمبر ١٩٣٥م خرج الى أحراش يتعبد قرب جنين، فوجهت بريطانيا إليه قوة واستشهد مع مجاهدين من أصحابه.

■ وكان للقسام اتصال بالاستاذ حسن البنا المرشد العام للاخوان المسلمين فى مصر آنذاك وقد التقيا معاً فى القاهرة.. وكان لاستشهاد القسام أثره فى حماس الفلسطينيين حيث حملوا جثمان الشيخ القسام وصاحبيه على مسافة ٥ كم، وصليت صلاة الغائب عليهم فى معظم مساجد فلسطين وذلك نهار الجمعة ١٩٣٥/١١/٢٢م حيث أصبح الشيخ القسام رمزاً لجهاد شعب فلسطين وبطولتهم وكفاحهم.

■ وقد توالت الجهود الدولية فى تأييد الاعداء الصهاينة خاصة بعد ما رأت هذه الدول المد الجهادي للمسلمين أمثال حركة الشيخ القسام وحركة الاخوان المسلمين فى مصر وسوريا والامدادات التى جاءت الفلسطينيين من كافة الدول العربية والاسلامية وفي مقدمتها المساعدات السعودية التى قدرت جهاد شعب فلسطين منذ أن جاء الملك عبد العزيز رحمه الله مروراً بجهود الملك فيصل رحمه الله الذي ضحى بالاموال وعرف بالسياسة الحكيمة حتى يوم استشهاده فى ربيع عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.. وتوالت المساعدات السخية التى قدمتها حكومة خادم الحرمين الشريفين وإلى يومنا هذا ولا شك أن هذا الدعم يمثل قوة دفع للقضية الفلسطينية.

ترجمة لحياة د. عزام

تعرض المجاهد المسلم عبد الله عزام لعملية اغتيال هو وولداه عندما انفجرت عبوة بالقرب من السيارة التى كان يستقلها وهو فى الطريق من صلاة الجمعة فى مدينة بشاور فى الشهر الماضى ربيع الثانى ١٤١٠هـ.. وقد ترك هذا الحادث الاليم أثرا وسخطا عند الذين يعرفون جهاده رحمه الله لا على الساحة المجابهة لنظام كابول بل فى اجزاء اخرى فى فلسطين المحتلة حيث نعته الهيئات وبعض المراكز الاسلامية الدولية الى أبناء العالم الاسلامي فى شرقه وغربه.

تفرغ رحمه الله للجهاد فترك عمله كأستاذ للدراسات الاسلامية بالجامعة الاسلامية با سلام أباد منذ عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م واسس مجلة (رسالة الجهاد) لتكون منبرا اسلاميا وإعلاميا لنشر اخبار الجهاد فى أفغانستان بعيدا عن زيف الاعلام الغربى.

والدكتور عزام من مواليد عام ١٩٤١م فى بلدة سيلة الحارثية فى جنين بفلسطين درس الشريعة الاسلامية بجامعة دمشق وحصل على الماجستير والدكتوراة من جامعة الازهر عام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

وكان للشهيد د. عزام دور بارز وهام فى مسيرة الجهاد الافغانى وقد أشرف رحمه الله على العديد من العمليات الواسعة وشارك فى العديد من الخدمات والمساعدات الصحية والتعليمية والعسكرية التى تقدم للمجاهدين وأبنائهم.. وكان له دوره فى تكوين حركة المقاومة الاسلامية (حماس) فى فلسطين ـ محرم ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.



● أكدت الحكومة الاسرائيلية سياستها التوسعية عن طريق زرع

● كنت أتوقع من الباحث أن يتحدث فى أطروحته

● استغلت السلطات الاسرائيلية قوانين الطوارىء الا

قراءة فى أطروحة الاستيطان

لقد كان الاستيطان لفلسطين منطلقاً فى العمل الصهيونى باعتبار ان المسألة اليهودية مسألة قومية تتطلب بناء دولة تقوم على الاستيطان فى فلسطين التى تقع فى قلب العالم العربى.

ففى نهاية القرن التاسع عشر، وفى حماية الاستعمار الغربى، انتهت الحركة الصهيونية الاستعمارية الى المطالبة بوطن لليهود فى فلسطين يتسع لليهود الموزعين فى أرجاء العالم، والى انتحال ما اسموه بالقومية اليهودية، رابطة مصطنعة لليهود المنتمين الى القوميات المختلفة، والى بعث التعصب الدينى، واحياء اللغة العبرية المندثرة، وايجاد رابطة للمهاجرين الغرباء اليهود بأرض فلسطين العربية.



بقلم: مصطفى محمد الفار (عمان)

والتقت اهداف الاستعمار مع اهداف الصهيونية، فاتخذها أداة لتثبيت مطامعه واستغلالاته غير المشروعة فى الوطن العربى الكبير. ولقد اتصلت مكاسب الصهيونية من الاستعمار، فكان وعد بلفور البريطانى فى عام ١٩١٧ بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين والاعتراف بالوكالة اليهودية فى فلسطين دولة تؤازرها دولة الانتداب، وتوسيع قاعدة الهجرة اليهودية وارهاب العرب واخراجهم من ديارهم، وقيام اسرائيل فى منتصف ايار (مايو) لعام ١٩٤٨ أداة للاستعمار، ومصدر تهديد لأمن المنطقة ووحدتها وتقدمها. وقد زاد الأمر خطورة، حين تمكنت الآلة العسكرية فى الكيان الصهيونى من استكمال احتلال فلسطين فى حرب حزيران (يونيه) ١٩٦٧ ومنذ ذلك الحين، بدأت القيادة الصهيونية بتطبيق سياسة زرع المستوطنات فى المناطق المحتلة، فهل حققت الصهيونية اهدافها الاستيطانية؟ أم أن هذه الأهداف لا تزال بعيدة المنال؟

■ **وما هى الوسائل التى استخدمتها الصهيونية لتنفيذ مآربها؟** وما هى المؤسسات التى تشرف على رسم المنهج الاستيطانى وتنفيذه؟ وما هى أنماط الاستيطان الصهيونى وعناصره. وكيف توزع المستوطنات فى أرض فلسطين؟.

من المستوطنات فى الاراضى المحتلة لازالة حدود ما قبل ٦٧.

ـعى الصهيونيين قبل عام ١٨٩٧ الى استيطان اسرائيل.

ـة لتنفيذ أغراض المصادرات.

ـان الاسرائيلى فى الأرض المحتلة

●● يجيب عن هذه التساؤلات وغيرها السيد/ محمد أمين الجمال فى اطروحته التى اعدها وحصل فيها على درجة الماجستير من جامعة القاهرة وموضوعها: الاستيطان الاسرائيلى فى الأراضى المحتلة منذ عام ١٩٦٧، والتى أشرف عليها الاستاذ الدكتور/ محمد السيد غلاب الأستاذ بمعهد الدراسات الافريقية بجامعة القاهرة.

■ تقع الأطروحة فى ستة ابواب هى على الترتيب:

١ ـ عناصر الاستيطان، ويتألف من فصلين: الأرض والانسان.

٢ ـ المعطيات الطبيعية لفلسطين المحتلة ويتألف من ثلاثة فصـول هى: «المساحة والشكل ـ الموقع الجغرافى والتضاريس ـ الموارد الطبيعية».

الباب الثالث: ويتألف من أربعة فصول هى:

[١] القوى السياسية الداخلية فى اسرائيل وسياسة الاستيطان.

[٢] الاستيطان الأسرائيلى بعد وصول كتلة ليكود الى الحكم.

[٣] الأمم المتحدة والاستيطان الاسرائيلى.

[٤] الاستيطان فى مواجهة التجمع الدولى.

الباب الرابع: ويتألف من ثلاثة فصول هى:

[١] المؤسسات الاستيطانية.

[٢] أنماط الاستيطان القروى.

[٣] تخطيط المستوطنة.

الباب الخامس: ويتألف من ثلاثة فصول هى:

[١] الاستيطان فى القدس.

[٢] الاستيطان فى الضفة الغربية وقطاع غزة.

[٣] الاستيطان فى سيناء والجولان.

الباب السادس: ويتألف من ثلاثة فصول هى:

[١] ايكلوجيا الأرض المحتلة، والتغيرات الطارئة.

[٢] السكان وملامح التغير فى البناء الديمغرافى.

[٣] الظواهر الاجتماعية فى فترة الاحتلال الاسرائيلى.

■ وفى مدخل الأطروحة يحدد الباحث مراحل تطور الاستيطان الاسرائيلى فى الاراضى العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ واصفا الاستيطان بأنه الصهيونية فى حالة العمل،



ومؤكدا أن التوسع الاقليمى الاسرائيلى فى اعقاب حرب حزيران (يونيه) عام ١٩٦٧ لا يستند من قريب أو بعيد الى أى سند قانونى، الأمر الذى ادى الى عدم تمتعه بأية درجة من درجات القبول العام من جانب أعضاء المجتمع الدولى، وخلاصة ما يريد الباحث قوله، ان السياسة الاسرائيلية المعلنة ذاتها لم تستقر على اتجاه محدد ازاء مصير هذه المناطق المحتجزة.

■ وخلال هذه السطور سنحاول عرض اهم ما تضمنته ابواب الأطروحه لنضع بين يدى القارىء الكريم خلاصة لهذا المجهود الواضح الذى قدمه الباحث فى اطروحته المهمة:

[١] ركز الباحث فى الفصل الأول من الباب الاول على الارض باعتبارها القاعدة الاساسية للاستيطان والتى يمكن استخدامها وفق الاستراتيجية الصهيونية لتنفيذ الانقلاب الديمغرافى فى طرد العرب، وتوطين اليهود، وقد أوضح الباحث أن استملاك الارض هو من المبادىء الرئيسية للحركة الصهيونية، وانه وفقا للسياسات الاستيطانية فى المناطق المحتلة، فقد شرعت السلطات ابتداء من عام ١٩٦٧ فى سلسلة من الاجراءات للسيطرة على اراضى المواطنين العرب.

فمنذ الشهر الاول للاحتلال، تمت مصادرة أكثر من ٢٠ الف دونم فى منطقة اللطرون وحدها بعد تدمير ثلاثاً من القرى العربية فى المنطقة، وقد تواصلت المصادرات حتى بلغت ٢٥٠ الف دونم فى القدس، والضفة الغربية لصالح المستوطنات اليهودية بالاضافة الى أكثر من مليون دونم من اخصب أراضيهم الزراعيه، والمملوكة لهم ملكية خاصة.

اما فى قطاع غزة، فإن نسبة الارض المصادرة أو التى فى حكم المصادرة، فتصل الى نسبة ٣٣٪ من مجموع مساحة القطاع البالغة نحو ٤٠٠ الف دونم، منها ٤٠ الف من الاراضى الحكومية و٩٣ الف دونم تعتبرها السلطات ذات ملكية غير واضحة، بالاضافة الى املاك الغائبين والتى تقدر بـ ٨٠٠٠ دونم كما تمت مصادرة عشرات الآلاف من الدونمات فى سيناء والجولان، وطرد اصحابها فى ظروف مأساوية.

■ ويقول الباحث انه لتنفيذ اغراض المصادرات، فان السلطات تستغل قوانين الطوارىء الانتدابية كذلك فانه بموجب قانون املاك الغائبين الذى وضع للاستيلاء على أراضى الفلسطينيين الذين تغيبوا عن أراضيهم أو طردوا منها حيث يعرف هذا القانون أراضى الغائبين بأنها تلك الاراضى التى غادرها مالكوها، او المتصرفون بها حتى يوم ٦٧/٦/٧ ويشمل ذلك الفلسطينيين المقيمين فى الدول الاجنبية غير العربية، وتبلغ ملكية هؤلاء ٤٠٠ الف دونم و١١ الف منزل فى الضفة الغربية وحدها.

[٢] يتحدث الباحث فى الفصل الثانى من الباب الثالث عن الاستيطان الصهيوني فى الأراضى العربية المحتلة بعد وصول كتلة ليكود الى الحكم فيقول: ان اسرائيل قد تعمدت عدم الاعلان عن حدودها عند قيامها عام ١٩٤٨ مدعية أنها دولة جميع يهود العالم، واستكمالا للتوسع البشرى كان زعماء الكيان الصهيونى يخططون لتحقيق التوسع الجغرافى، وبشكل خاص فى اتجاه الضفة الغربية، وقطاع غزة وجنوب لبنان مؤكدين أن الحدود التى رسمها المجتمع الدولى على اسرائيل ليست الحدود التى يريدونها، بل إن اسرائيل قد رفضت تقديم خريطة رسمية ونهائية لحدودها.

وتأكيدا لهذه السياسة التوسعية، فقد عمدت الحكومة الاسرائيلية الى زرع العديد من المستوطنات المختلفة فى الاراضى المحتلة لازالة حدود ما قبل ١٩٦٧، وقد نشرت حكومة حزب العمل أول خريطة للمستوطنات الصهيونية ونتيجة لوصول تكتل ليكود بعد انتخابات ١٧/٥/٧٧م، الى سدة الحكم، فقد قاد هذا التكتل مع الحركات والاحزاب اليمينية والدينية عملية التوسع الاستيطانى فى جميع المناطق العربية فى الضفة الغربية وقطاع غزة بما اطلق عليها (أرض اسرائيل المحررة) وقد اعطى تولى ليكود السلطة فى اسرائيل دفعا خاصا حيث تمت اقامة نحو ٣٠ مستعمره جديدة خلال أيار (مايو) ١٩٧٧ وحتى أواخر

سنة ١٩٧٩م.

■ وقد اهتم الباحث بابراز استراتيجية الاستيطان اليهودى الرامية الى تنظيم العمليات الاستيطانية وتوجيهها للتوصل الى ما يسمى بالحفاظ على الطابع اليهودى للدولة عن طريق التخلص من السكان العرب.

■ فى الفصل الثالث من الباب السادس تحدث الباحث حول الظواهر الاجتماعية فى فترة الاحتلال الاسرائيلى، فبين أن هذه الظواهر تتصل بتسكين المشكلة الفلسطينية بوجه عام من وجهة النظر الاسرائيلية ومن ثم فقد عمد الكيان الصهيونى الى الضغط على العرب فى الأراضى المحتلة لحملهم على ترك أراضيهم ترغيبا وترهيبا.

■ ومن بين هذه الوسائل المتبعة: قيام السلطات الصهيونية بتأسيس الشركات لتشجيع الشباب العربى على الهجرة الى أوروبا عن طريق اعطائهم اجازة عمل، أو التصريح بالسفر الى البلاد العربية عبر الصحراء، بشرط عدم العودة، هذا بالاضافة الى تخيير المعتقلين بين الاعتقال أو الهجرة مع عدم العودة.

وقد تم الافراج عن ٧٠٪ من المعتقلين بهذه الطريقة، ويبين الباحث أن هدف اسرائيل من وراء اتباع هذه السياسة التهجيرية هو تفريغ الأرض المحتلة من العناصر القيادية الواعية، بل ان التهجير قد انصب على الفئات التى لديها امكانية المشاركة فى اعمال وطنية وبذلك ارتفعت نسبة المهاجرين الشباب بين (٢٠-٤٤) سنة حيث خرج ما بين عام ١٩٦٧-١٩٧٣ ما يقرب من ٧٠,٠٠٠ شاب وقد ادى هذا الى انخفاض نسبة الذكور الى الاناث فأصبح هناك ٧٤٥ ذكراً لكل الف انثى فى عام ١٩٦٩، وانخفضت هذه النسبة عام ١٩٧٢ الى ٧٢٤ ذكر لكل الف انثى.

■ وقد اوضح الباحث ان هناك محاولات صهيونية للقضاء على تجمعات اللاجئين الفلسطينيين وفى اطار ذلك يبذل الكيان الصهيونى جهودا حثيثة لتفريق تجمعات اللاجئين الفلسطينيين اما بطردهم الى خارج الأرض المحتلة، او توطينهم فى معسكرات جديدة، أو إلى محاولة ادخالهم ضمن نطاق القوة العاملة، وذلك بهدف تفريغ مخيمات اللاجئين فى قطاع غزة والضفة الغربية، واعادة توزيعهم فى معسكرات فرعية، او مدن أو قرى وفى ذلك قضاء على التجمعات الأساسية التى تحمل التراث الفلسطينى وترمز بشكل مؤكد لجوهر القضية الفلسطينية.

■ وبعد.. فقد كنت اتوقع من الباحث أن يتحدث فى هذه الاطروحة عن سعى الصهيونيين قبل عام ١٨٩٧ الى استيطان فلسطين، وكيف تعاون فى هذا الهدف الاشتراكيون اليهود ورأس المال اليهودى.

اذ عمل اليهود القادمون من روسيا وأوروبا الشرقية تحت حركة احياء صهيون وبمساعدة (روتشيلد) وبالاضافة الى تعاون المعسكر الاستعمارى ممثلا فى بريطانيا مع الكيان الصهيونى سياسيا وعسكريا وماليا حيث قدم لهم العون السياسى والعسكرى والمالى فقد تعاون المعسكر الاشتراكى مع الصهيونية حينما فتح الأبواب الروسية لهجرة اليهود الى فلسطين، ومن هنا فقد كان دور اليهود القادمين من روسيا وأوروبا الشرقية متميزا من حيث الأعداد الكثيرة الوافدة الى فلسطين، بالاضافة الى انهم مثلوا التطرف الصهيونى فى ممارساته السلوكية العملية.

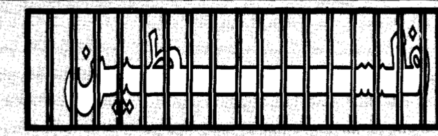
■ ومع ذلك فلا جدال فى أن هذه الاطروحة قد القت اضواء كثيرة تعتبر كشفا جديدا لحركة الاستيطان الصهيونى بعد عام ١٩٦٧، واستطيع القول ان الباحث قد نجح فى توضيح المخططات الصهيونية الرامية الى انتزاع الأرض من اصحابها العرب غير مبالين بما يعترضهم من مشاق ولا مكترثين بمن يعارضهم صديقا كان او عدوا، وبالرغم مما تشكله مثل هذه السياسة على السلام العالمى. وقد حاول الباحث التنبيه الى خطورة سياسة الاسنيطان الصهيونية، لعل هذا التنبيه يكون حافزا لمزيد من اليقظة للعالم العربى الذى آن له ان يتحد لمواجهة المخططات الصهيونية ونواياها التوسعية.

● قصائد محمود حسن اسماعيل عبرت عن الشخصية الـ

● كتاب رجاء «جارودى» فلسطين أرض الرسالات

● إحساس محمود حسن اسماعيل بقضية فلسطين

● عبر محمود حسن اسماعيل عن ثورة



في اش

بقلم: د. عبد العزيز شرف (مصر)



لقد أكدت قضية فلسطين فى الشعر العربى عامة، وفى شعر محمود حسن اسماعيل خاصة، شعور الانسان العربى بأنه مدعو الى عمل قومى مشترك، وهو من صميم العمل الادبى، وأهدافه النضال من اجل الحرية، ومقاومة كافة انواع الظلم والعنصرية، وما يسود المجتمع العربى من معوقات امام ركب الحضارة العربية.

■ ولقد وقّى الشعر العربي لقضية فلسطين التى يحاول الثالوث الجهنمي المكون من الاستعمار والصهيونية وعملائها - ان يغرقها طوفان من الصراعات المحلية. . ولكنها مازالت تتنفس بقوة، تيارا هادرا.

جارودى وارض الرسالات الالهية

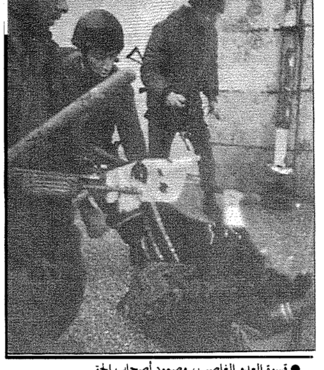
واذكر فى هذا السياق للقارىء الكريم الكتاب القيم الذى كتبه المفكر العالمى المسلم رجاء جارودى عن «فلسطين ارض الرسالات الالهية» وعربه الاستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين، حيث عالج الكتاب باسلوب اكاديمى، هذه القضية المصيرية وفضح الادوار المشبوهة، وكشف الاسرار المخبوءة وهذا الكتاب الذى وصف بحق بانه كتاب القرن العشرين عن المواجهة بين الصهيونية والاسلام يعد نقطة تحول فى فهم القضية وفى علاقة العالم

ى بعدها العربى والاسلامى.

ضح الأدوار المشبوهة للصهيونية.

ر منذ وقت مبكر.

اب.



● قسوة العدو الغاصب، وصمود أصحاب الحق

ر محمود حسن اسماعيل

كله بها.

* ان فلسطين تبدو هنا جذوة متوهجة، تاريخا، ومأساة ومصيرا.

* وان الصهيونية هنا كيان مفضوح، تاريخا، وايديولوجية وسلوكا.

* وان الاسلام يتجلى هنا وهو مستقبل الصراع كله ولكن ماذا عن فلسطين فى عيون الشعراء؟!.

محمود حسن اسماعيل

وللاجابة على هذا السؤال نبدأ بفلسطين فى شعر محمود حسن اسماعيل الذى رحل عن عالمنا فى الخامس والعشرين من ابريل عام ١٩٧٧م - ٧ جمادى الاولى ١٣٩٧هـ. عن سبعة وستين عاما. فقد ولد محمود حسن اسماعيل فى ٢ يونيو ١٩١٠م واثرى الحياة الادبية والشعرية بروائع نتاجه الفكرى، منذ اصدر اول ديوان له عام ١٩٣٤م «اننا فى الكوخ» متغنيا بالقرية والوطن والطبيعة، واستمر بعد ذلك يغنى للحرية والثورة فى دواوينه الاخرى: «هكذا اغنى» ١٩٣٧م - «اين المفر» ١٩٤٧ - «نار واصفاد» ١٩٥٩ - «قاب قوسين» ١٩٦٤ - «لابد» ١٩٦٦ - «التائهون» ١٩٦٨ - «هدير البرزخ» ١٩٦٩ - «صلاة ورفض» ١٩٧٠ - «السلام الذى اعرف» ١٩٧٠ - «نهر الحقيقة» ١٩٧٢ - «موسيقى من السر» ١٩٧٨ - الى جانب اعماله التى لم تنشر بعد.

■ عبر محمود حسن اسماعيل عن ثورة الشباب فى مصر عام ١٩٣٥، وثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وتعبر قصائده عن الشخصية المصرية فى بعدها العربى والاسلامى، وان كنا نركز اليوم فى هذا الحديث على جانب واحد من هذا البعد الاصيل فى شخصيته الفردية والجماعية، واعنى قضية فلسطين التى يتبلور احساس الشاعر بها منذ وقت مبكر، وليس من قبيل المصادفة ان يعبر عن ثورة الشباب فى مصر سنة ١٩٣٥، وان تكون هذه السنة ذاتها بالقياس الى القضية الفلسطينية من سنوات المقاومة حين تجمعت فى ١٩٣٥ حركة ثورية «حقيقية» على حد تعبير جارودى الذى



محمود حسن اسماعيل — رجـــاء جــارودى

يقول:

«لم يعد الامر امر ثورة محلية للفلاحين والبسطاء بل اصبحت حركة جماعية، وقد تجسد هذا الشكل الجديد من المقاومة من عام ١٩٣٣ حتى عام ١٩٣٥ فى الشيخ عز الدين القسام وهو رائد الصراع المسلح، المعتمد على المجاميع الشعبية. ولم يعد الامر ثرثرة اعيان، بما معهم من متحدثين فى لندن، بل اصبح نشاطا ضد الاستعمار تقوم به الجماهير، ذا اهداف محددة: اصبح ثورة باسم الاسلام لانهاء الانتداب البريطانى وبذلك يمنع نقل السلطة الى الصهاينة».

■ «وقد نظم القسام عام ١٩٣٣م تعبئة العمال والفلاحين فى الاحياء المغضوب عليها فى حيفا، والتى نشأت نتيجة الهجرة الريفية للفلاحين بلا ارض، وللعمال المحرومين من اعمالهم، بسبب السياسة العنصرية للصهاينة وللهستدروت».

■ وفى عام ١٩٣٥ حين تجمعت بهذه الطريقة حركة ثورية حقيقية نقل القسام مركز قيادته من حيفا الى الريف، وهنا دارت حرب عصابات تعتمد على الفلاحين، وقد كانت فى الريف افضل منها فى المدن، حيث كانت تتركز الفرق الانجليزية.

«وفى ١٩ من نوفمبر عام ١٩٣٥ قتل القسام، وسلاحه فى يده، فى معركة حاصر فيها ستمائة جندى بريطاني مركز قيادته العامة، وكان معه خمسة وعشرون من أنصاره وجن جنون قواته لاستشهاده، فاستجمعوا امرهم واعلنوا التمرد العام سنة ١٩٣٦م والذى استمر حتى بداية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩».

«لقد شل الاضراب العام جميع القطاعات العاملة معتمدا على المقاومة المسلحة التى ازعجت القوات البريطانية وقوات الشرطة.. والمستعمرات الصهيونية».

عام ١٩٣٥ اذن عام جهاد مشترك بين الفلسطينيين والمصريين ضد الاستعمار وقواه، وفى هذا العام القى محمود حسن اسماعيل فى احد المؤتمرات الوطنية التى عقدها الشباب فى مصر قصيدة «راهب الغرب» احتجاجا على تصريح المستر هور وزير خارجية انجلترا ابان ثورة سنة ١٩٣٥م:

هاجها مزهرى وقد خنق القيد
اناشيده فضج وثارا
وهى حيرى تطل لهفى على النيل
وترنو لمتعبين حيارى
منذ خمسين .. لم تحرك اليهم
قدما، او تطق اليهم مزارا
درجت فى السنين من عهد (خوفو)
حرة ما وعت لديها اسارا
عقدت تاجها على الشمس كبرا
أن يخلى جواهرا ونضارا

■ الى ان يقول فى ختام هذه القصيدة المجاهدة عام ١٩٣٥:

فابعثوها تصم سمع الليالي
ثورة تضرم السماكين نارا
مات عهد الكلام فلنجعل الثورة
والموت للجهاد شعارا

■ ثم يجسد الرمز المقابل فى معادلة الصراع: المقاومة التى يمثلها الابطال والمجاهدون فى دفاع عن الحمى كانوا فيه، وما لغيره «يرمون ويقصدون» وهم يقومون كالعاصف المجلجل يجتاح فلا ينثنى ولا يتردد.

وما يلبث ان يوجه الشاعر الى ضمير الانسانية زفرة على فلسطين الدامية والى ريح التمييز العاتية فيقول:

صوت بأرض القدس مشتعل الصدى
كادت له الاكباد ان تتوقدا
لما تأوه صارخا بين الورى
اسيان يرزم تحت نيران العدا
وشدوا بملحمة السلام، ورنموا
مزموره للكون خلاب الصدى
لكن شعبهم اثار عجاجة
فى الشرق صافحة باهوال الردى
فاذا التعاليم التى هتفوا بها
من سورة الاطماع قد ضاعت سدى

■ وفى هذه القصيدة يعبر الشاعر عن وحدة النضال العربى، فى مواجهة المراوغات الاستعمارية وخداعها التى تعرضت لها مصر وفلسطين فى فترة واحدة ومن ذلك بالقياس الى فلسطين التى يتحدث عنها الشاعر فى هذه القصيدة، ويحدثنا الاطار التاريخى، ان الاضطهاد البريطاني كان غاشما فى مواجهة الاضراب العام، حيث وصلت الى الانجليز مساعدات عسكرية، واشتركت معهم الهاجانا والمجموعات الارهابية الصهيونية الاخرى، واذا بالعرب مطاردين فى كل مكان: اعتقالات جماعية واعدام بلا محاكمة، واحتجاز فى معسكرات التجميع، وقد اشترك فى هذا الاضطهاد عشرون الفا من الجنود البريطانيين وثلاثة آلاف من الشرطة، والاحتياطيون الصهاينة. وقد قرر المؤرخ اليهودى الامريكى فورتون، ان عدد القتلى كان ثلاثة آلاف، وستة آلاف معتقل وأعدم مائة وعشرة من الزعماء. ومات من الانجليز مائة وخمسة وثلاثون. وجرح ثمانمائة وسبعة وستون. اما الصهاينة فقد قتل منهم ثلثمائة وتسعة وعشرون وجرح ثلثمائه وستة وثمانون.

■ **ويقول «جارودى» معقبا على ذلك:**

«ان هذا الاضطهاد لم يقض على التمرد الذى لم يتوقف الا عندما بدأت الحرب العالمية الثانية وخشى الانجليز من تثبتت قواتهم فوعدوا مرة اخرى الفلسطينيين فى «كتاب ابيض» بالاستقلال. وبتحديد الهجرة الصهيونية وجاءت نداءات بوقف القتال من قبل قادة الدول العربية المجاورة الذين اعتقدوا، او تظاهروا بالاعتقاد فى صدق هذه الوعود فوقف الصراع الى حين».

■ وهنا يقول محمود حسن اسماعيل:

واذا بلحن السم بين شفاههم
عصفت به شهواتهم فتبددا
تخذوا الرصاص شريعة قدسية
وقذائف الارواح نهجا مرشدا
لم يرهبوا التاريخ فى استعمارهم
انى سطوا وكزوه .. اروع سيدا
لطموه فى القدس المحرم لطمة
كادت لها الاجيال ان تتهددا
مهد الشرائع من قديم .. ماله
اضحى لاحرار البرية موقدا
فى كل مرتبع به وحنية
تلقى صريعا فى التراب ممددا
هانت على البطل المجاهد نفسه
فسعى لحوض الموت يطلب موردا

■ وفلسطين فى شعر محمود حسن اسماعيل، تمثل الرمز الاساسى فى رؤياه الابداعية، المعادل للجهاد، ذلك انه منذ عام ١٩٣٥ وهو يصور مفهوم البطولة، ويلهب حماسة الشباب، ويحرك مشاعر مواطنيه، فاذا كنا فى هذه القصيدة عن فلسطين، نقرأ له الصورة الشعرية، فى لوحة تعبيريه فإن هذه الصورة ترسم لنا مفهوم «المقاومة» وعظمة الاستشهاد دفاعا عن «فلسطين» كما صورها فى الدفاع عن «مصر».

■ فهو يستوحي قصيدة «على مذبح الحرية» مثلا من موكب احد الشهداء عام ١٩٣٥ فى مصر، ويدور مضمونها العام - كما يقول د. «شفيع السيد» حول تمجيد دور الشهيد. لكن الشاعر يقدم هذا المضمون من خلال عدد من المشاهد المتتابعة التى تتآزر معا على اداثه. فالمشهد الاول يبدأ برصد نقطة الذروة فى الموقف الى ان يربط آخر المشهد ببدايته بحوار ضمنى بين أرواح



الشهداء، والشاعر الذى راح يشدو بقصة كفاحهم المضيئة، اذ يقول على لسان الشاعر:

فوقفت ابعث ذكرها بملاحنى
فشدت مرفوفة على ابياتى
يا شاعرا غنى فكاد نشيده
يهتز فى الاكفان من رفاتى
هذا خيال الخالدين فغننى
وأعد بشعرك للشباب حياتى

■ ومحمود حسن اسماعيل فى قصيدة «زفرة على فلسطين الدامية» يصور هذا المفهوم للشهادة، المستمد من رؤياه الاسلامية، يقول:

هانت على البطل المجاهد نفسه
فسعى لحوض الموت يطلب موردا
القى الى اللهب المسعر روحه
وكذا يكون الحر فى يوم الفدا

■ ويختتم هذه القصيدة الرائعة، مخاطبا وعد «بلفور»:

يا يوم (بلفور) وشؤمك خالد
ما ضر لو اخلفت هذا الموعدا؟
عاهدت اعزال الجسوم، سلاحهم
ما كان الا الحق صاح مقيدا
وتركتهم رهن المطامع تبتغى
منهم على حر المواطن اعبدا
ثاروا بارض الله ثورة عاجز
سمع القوى شكاته فتوعدا
هاجوا على الاصفاد هيجة ناسك
زحته غاشام الصبا فتمردا
ضجوا على (نابلس) حتى كاد من
صخب الاسى والحزن ان يتنهدا
عجبا ! يكاد الصخر يدمع رحمة
لهم ! وقلب اكدمى تصلدا
ومعالم الاسلام بين ربوعهم
كادت تزمجر لهفة وتوجدا
بسطت الى قدم النزيل رحابها
فبغى على قسماتها وتهددا

■ ويختتم محمود حسن اسماعيل هذه القصيدة ببيتين نوجههما - اليوم - الى الذين «ناموا» عن قضية فلسطين .. قضية كل عربى .. يقول:

والشرق؟ ويح الشرق نام اسوده
عن ثائر فى القدس ضج وارعدا
شلت عزائمهم ونام جهادهم
وتضرعوا فى كل مهد هجدا

●● رحم الله محمود حسن اسماعيل . .



رباه .. يا صاحب النور .. يا نور النور



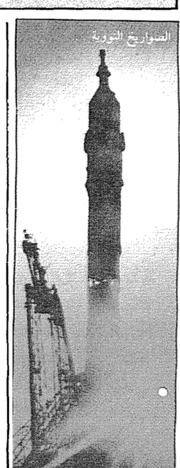
رباه . . يا عالماً بالنفوس . . يا خبيراً بالضمائر .
انطفأت قناديل الصبر بقلبي . . وتحمل القلب مزيداً من العناء والمعاناة . .
وضاق الأمر بصدري . . وضاق الصدر بالأمر . .
أناجيك بكشف ضري . .
فما أقسى المشاكل تحرق الأعصاب . .
وما أصعب الحياة بقلب مثقل بما يدمر كل معالم الحياة فيه . .
رباه . . يا عالماً بالنفوس . . يا خبيراً بالضمائر .
مزقت الهموم قلبي . . ومزقت السموم حياتي . .
حاولت مواجهة كل الصعاب . . انتصرت في كثير من المواقع . .
لكن هناك قوى تحاصرني أكبر مني . . ! !
حاولت أن أبدو أول الأمر غير آبه . .
حاولت أن أتشكل مع الظروف . . وأتأقلم مع الأحداث . .
ولكنني فشلت . .
ومع هذا الفشل رفضت إعلان الاستسلام . .
وخنقت بنفسي كل اليأس . . لأن الأمل فيك يارب كبير . .
ولأنني أعلم بأن لك في لحظة ألف فرج . .
ولأنني أعلم أنك لا تطرد آيباً ، ولا ترد طالباً . .
لهذا أنخت ركائبي ببابك . .
فأنر بقلبي النور يا صاحب النور . . يا نور النور . .
فقد انطفأت كل القناديل عندي إلا قناديل انوارك يـــارب .



الجـــزء الثـالـــث والاخيـــر

استراتيجيـــة الاحتـ
النـــووى الاسـ

- البعد الاستراتيجى لظهور السلاح النووى فى اسرائيل
- هناك شعوب ومناطق اقليمية ليست أقل حساسية وتأ
- تحرر النضال الوطنى الفلسطينى من الضغط النـ


الصواريخ النووية

■ وهناك مجال آخر يعكس بدوره نتائج تفاعلاته مع حيازة اسرائيل لسلاح نووي على مستقبل النضال الوطني الفلسطيني والحقوق الفلسطينية.

فالبعد الدولي لظهور السلاح النووى فى اسرائيل ودخوله بواسطتها الى الشرق الاوسط وسط الصراع العربي الاسرائيلي ليس بحاجة الى تنويه.

■ فمن النتائج المباشرة التى تترتب على حيازة اسرائيل لسلاح نووي ومشاركتها فى برنامج الدفاع الاستراتيجي الامريكى، وشروعها فى انتاج صواريخ متوسطة المدى من طراز (يريحو-٢) يصل مداها الى (١٤٥٠) كم واحتمال موافقتها على نشر صواريخ بيرشينغ متوسطة المدى والتى تحمل رؤوسا نووية ان يضعها فى مواجهة الاتحاد السوفياتى كأحد مصادر التهديد القائمة فعلا لأمنه القومي والعالمي والتي لا تقل خطرا عن المانيا الغربية وبريطانيا فى اوروبا الغربية مثلا، وقد جاء رد الفعل السوفياتى السريع والمباشر على قيام اسرائيل بتجربة صاروخها الجديد والمتزامنة مع الدقائق الاخيرة لمفاوضات الدولتين العظميين حول سحب الصواريخ النووية المتوسطة المدى فى اوروبا لتؤكد هذا الاحتمال.

الا ان علينا ان نتذكر بأن القيادة الاسرائيلية هى التى بادرت

على مدى الحلقتين السابقتين من هذه الدراسة التحليلية الدقيقة القيمة عرض الكاتب لمجموعة من الموضوعات ذات الاهمية العسكرية والامنية بالنسبة للجانب العربى مقارنـًا بالجانب الاسرائيلى فى مجال التسليح وبخاصة اطار التقنية الحديثة التى قلبت موازين القوى.

ومن يمتلك زمام التقنية الحديثة فله الغلبة فى ميادين الحروب الخاطفة الان والسريعة.. ودخول اسرائيل التصنيع النووى يجعل العرب الان اكثر حرصـًا على امتلاك هذا الجانب حتى يبقى ميزان القوى متوازنـًا.

ـكار ـرائيلى

وسط الصراع العربى الاسرائيلى ليس بحاجة الى تنويه.

بظهور العنصر النووى فى الشرق الاوسط.

ى الاسرائيلى ميزة هامة.

بقلم: د. نافع محمد الحسن (الرباط)

الى اعتبار الاتحاد السوفياتى احد مصدرين للاخطار الخارجية التى تواجهها اسرائيل، فحكومة الليكود ضمن التغييرات والتجديدات التى احدثتها فى «العقيدة الامنية الاسرائيلية» كانت قد وسعت دائرة «المصالح الامنية والمجال الحيوى لأمن اسرائيل» لتتجاوز به حدود الدول العربية الاكثر بعدا عن اسرائيل فأضافت مصدر تهديد آخر لأمنها وهو الاتحاد السوفياتى وليس هذا من باب التخمين او المبالغة فقد وردت هذه الافكار بصراحة فى خطاب ارئيل شارون وزير الدفاع الاسرائيلي السابق فى ندوة نظمها مركز الدراسات الاستراتيجية بجامعة تل ابيب حول المشكلات الاستراتيجية لاسرائيل واعتبرت نقطة تحول فى الفكر الاستراتيجى الاسرائيلي عقب حرب اكتوبر ١٩٧٣م، فقد اعلن شارون صراحة ان «ثمة تهديدات خارجية لاسرائيل، الاول مصدره المواجهة العربية، والثانى مصدره التوسع السوفياتى الذي يعتمد على المواجهة العربية ويزودها بالادوات السياسية والعسكرية الاساسية»(٢٢).

■ هذا الموقف تجنبت حكومات حزب العمل اتخاذه فى الماضى وعملت على تقليص التوتر مع الاتحاد السوفياتى ولم تتعامل معه باعتباره مصدر تهديد لوجود اسرائيل منذ ان اخذ السوفيات دورهم على ساحة الشرق الاوسط باعتبارهم احد اطراف الصراع غير المباشرين ولكن طالما ان التأكيد العلني للعداء للسوفيات يستجيب لتوجه ادارة الرئيس رونالد ريغان

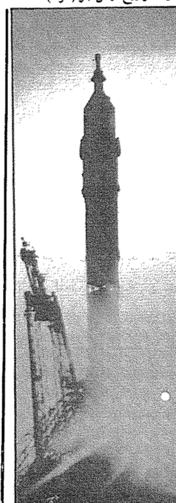
(٢٢) محاضرة اريئيل شارون فى الندوة الدولية حول «المشكلات الاستراتيجية لاسرائيل» التى نظمها مركز الدراسات الاستراتيجية بجامعة تل ابيب فى ١٤ ديسمبر ١٩٨١، قرأت عنه بالنيابة، فقد تعين عليه فى ذلك اليوم المشاركة فى مناقشة الكنيست الاسرائيلي لقانون ضم الجولان، ولذا اشتهر فى الصحافة الاسرائيلية وبالخطاب الذى لم يلق» معارف ١٨/١٢/١٩٨١.

استراتيجية الاحتكار النووى الاسرائيلي

وسياسة المجابهة التى انتهجها على الصعيد الدولي مع الاتحاد السوفياتى ويزيد من التأكيد على دور اسرائيل كثروة استراتيجية للولايات المتحدة، فقد كان هذا



● صواريخ ارض جو (هوك)



جانبا من جهود اسرائيل فى مجالات عديدة بذلتها بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣م لتأكيد كونها رصيدا استراتيجيا للولايات المتحدة واستهدفت تسريع عملية دمجها فى نظام المجابهة الاستراتيجى للولايات المتحدة مع الاتحاد السوفياتى والذى جرى انجازه فعلا بتوقيع مذكرة التفاهم الاستراتيجى فى ديسمبر ١٩٨١م بين الولايات المتحدة واسرائيل ومشاركتها لاحقا فى عام ١٩٨٦ فى برنامج الدفاع الاستراتيجى (حرب النجوم).

وبالنظر الى امعان اسرائيل فى سياستها العدوانية التوسعية والتى تستمد حوافزها وقوتها من الروابط الاستراتيجية مع الولايات المتحدة الامريكية فليس من المحتمل فى المستقبل المنظور ان تقوم بفك هذه الروابط والخروج على استراتيجية الولايات المتحدة، واذا نجحت الولايات المتحدة حقا فى جعل برنامج الدفاع الاستراتيجى والذى تشارك فيه اسرائيل مشروعا واقعيا ونقلته من طور البحث الى حيز الاستخدام فى الفضاء الكوني فإن سباق التسلح النووي سيأخذ طابع اللاعودة ليس فى الشرق الاوسط فحسب بل وفي العالم اجمع مما يجعل مصير البشرية كلها عمليا موضع تساؤل.

■ هذا المناخ النووى المحموم الذى تغذيه عدوانية الولايات المتحدة وشعورها الغامر بالتفوق العنصرى الحضارى والتكنولوجي سيؤدى حتما الى تسارع عملية الاصطفاف العالمية ونمو عوامل التوتر والمجابهة، كل سيبحث عن امكانية الاحتماء باحدى المظلتين النوويتين العملاقتين، وهذا الواقع الجديد المحتمل سيحمل الاتحاد السوفياتى واصدقاءه من العرب الذين يتأثرون اكثر من غيرهم بخطر التهديد النووي الاسرائيلي المباشر فى البحث عن رد على التهديد النووي القادم من اسرائيل، والذى يتمتع بمظلة الحماية الامريكية، كأن يقوم الاتحاد السوفياتى بتزويد العرب بمفاعلات نووية وتزويد حلفائه بمظلة نووية او نشر صواريخ حاملة لرؤوس نووية فى بعض البلدان العربية مع توفير انظمة

الدفاع اللازمة لوقايتها من عمليات القصف وهجمات الصواريخ والطيران الاسرائيلي، الامر الذى سينتزع من اسرائيل ميزة الانفراد بالردع النووى فى مواجهة العرب، وهذا ما يفسر بحد ذاته لماذا تحاول اسرائيل ابقاء تطورها النووى طى الكتمان وذلك تحسبا من التزام الاتحاد السوفياتى بامداد الدول العربية الحليفة له بمظلة نووية، وانظمة للصواريخ الموجهة القصيرة والمتوسطة والصواريخ المضادة. فالاستراتيجيون الاسرائيليون يعتقدون ان بامكان اسرائيل ان تتمتع بمزايا الردع النووى دون ان تضطر الى الاعلان رسميا عن وجود سلاح نووي فى حوزتها، وفى خطوة ملفتة قام الاتحاد السوفياتى مؤخرا بتزويد لجنة الطاقة الذرية الدولية وهيئة الامم المتحدة بصور التقطتها اقماره الصناعية للمنشآت النووية الاسرائيلية.

■ إن واقع الاصطفاف الجديد لقوى المجابهة النووية العالمية الذى انخرطت فيه اسرائيل سيرفع من مكانة المنطقة العربية والنضال الوطنى الفلسطينى والذى تقوده منظمة التحرير الفلسطينية فى الاستراتيجية السوفياتية الشرق أوسطية والعالمية باعتباره قوة مواجهة رئيسية لاسرائيل احد مصادر التهديد النووى للاتحاد السوفياتى، ولكن هناك ميزة اكثر اهمية للنضال الوطني الفلسطينى تميزه عن قوى المجابهة العربية الاخرى وهو تحرره من الضغط النووي الاسرائيلى والذى لا يعنيه بقدر ما ينجح فى ردع العرب وشل قدرتهم على اتخاذ قرارات وتنفيذ اعمال فى مستوى التحدى النووى الاسرائيلي.

غير ان هذا مشروط باستمرار تماسك منظمة التحرير الفلسطينية وصمودها فى وجه حملات التطويق والحصار والتصفية العربية واحتفاظها بثقلها العربى ونفوذها الضاغط فى محيطها العربي وكقوة مجابهة حقيقية للسياسة العدوانية الاسرائيلية، ذلك ان تراخى النضال الوطنى الفلسطينى لأى من الاسباب وتراجع المنظمة كقوة مجابهة رئيسية قد يؤدى الى تغليب سياسة التفاهم والمساومة مع اسرائيل للحد من الاخطار النووية والتى تشكل احد مصادرها وبذلك تنخرط كطرف فى المساومات الدولية المتصلة بتقييد استخدام الصواريخ القصيرة والمتوسطة المدى والحد من انتشارها ومنع انتشار السلاح النووى وذلك مقابل خطوات سوفياتية ليست ذات صلة بالتسلح النووى، فالخيارات والبدائل ليست قليلة لدى الجانب الاسرائيلي، وكذلك لدى الجانب السوفياتى، وبهذا يؤدي ظهور السلاح النووي فى اسرائيل الى رفع قيمتها فى الحسابات والتوازنات والتسويات العالمية، كما سيحمل الاتحاد السوفياتى فى ظل ضعف عوامل المجابهة العربية والفلسطينية لاسرائيل على ان يوازن بين الخيارات والافضليات المتاحة لتجنب الخطر النووي التى تشكل اسرائيل احد مصادره الخطرة.

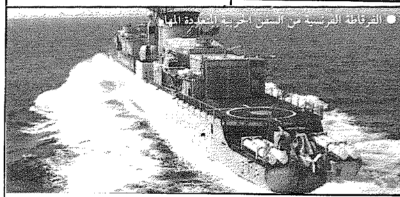
■ ويتساءل زئيف شيف بهذا الصدد عن مدى جدية التهديد الاذاعي السوفياتى لاسرائيل والذى جرى بثه من خلال تعليق لراديو موسكو باللغة العبرية في ١٩٨٧/٧/٢٤م والذى حذر اسرائيل من مغبة النتائج الخطرة المترتبة على تطوير اسرائيل لصاروخ ذي رأس نووي يصل مداه الى جنوب الاتحاد السوفياتى ويشكل تحدياً له وتهديداً لأمنه، فيجيب بأن هذا التهديد يمكن ان يكون جادا، ولكن ليس من المستبعد ان يكون التوجه الروسي فى الوقت نفسه منطويا على تلميح اضافي وبداية لحوار مع اسرائيل، وهذه المرة على ما يبدو فى مجال الحد من انظمة الاسلحة الاستراتيجية، وذلك يمكن ان يكون ايضا بمثابة خطوة اولية باتجاه مطلب روسي من الولايات المتحدة بالحاق اسرائيل فى اطار المفاوضات المتعلقة بالحد من انظمة الاسلحة، وعلى اية حال لا ينبغى التعامل مع التحذيرات المتكررة على انها بث تقليدى عبر اثير راديو موسكو(٢٣).

وتظل الاحتمالات هنا مفتوحة

(٢٣) زئيف شيف «كيف نتعامل مع التهديد الروسي» هارتس، ١٩٨٧/٧/٣١.

استراتيجية الاحتكار النووي الاسرائيلي

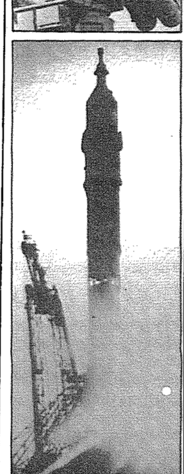
بالنظر الى تقلبات الواقع العربي والسياسة العربية ومدى نجاح الردع النووي الاسرائيلي في مصادرة الارادة العربية ورضوخ العرب للتهديد النووي الاسرائيلي



● الفرقاطة الفرنسية من السفن الحربية المتعددة المهام

● نظام دفاع جوي بحري ـ كروتال





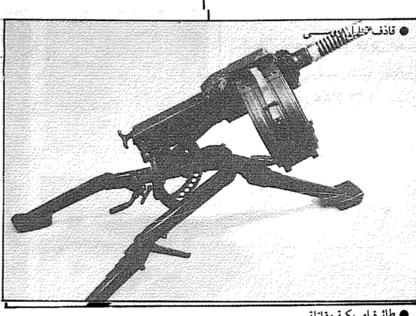
والتخلي عن خيار المواجهة وقبول التحدى النووى الاسرائيلي.

■ وقد ادرك الزعيم الفلسطينى هذه التغيرات المحتملة فى واقع الصراع العربي الاسرائيلي والمترتبة على ظهور العنصر النووي بمبادرة اسرائيل على مسرح الصراع فى الشرق الاوسط، كما ادرك اهمية التحالف مع الاتحاد السوفياتي باعتباره الوحيد القادر على كسر احتكار اسرائيل للسلاح النووي فى المنطقة العربية وازالة الخطر النووي الاسرائيلي من فوق رؤوس العرب وابطال مفعول الردع النووي الاسرائيلي واقامة توازن «رعب نووي» بين العرب واسرائيل فى حين كانت سياسة القيادة الفلسطينية ولا تزال هي تجاهل سياسة الردع النووية الاسرائيلية وعدم اعارة تلك المعلومات المنشورة والمتأتية من مصادر مختلفة فى الشرق والغرب حول تنامي القوة النووية الاسرائيلية اى اهتمام، فقد كانت الاشارة الوحيدة التى تناولت هذا الموضوع على مستوى رسمى فلسطينى قد جاءت على لسان الاخ ياسر عرفات فى مطلع عام ١٩٧٨م حين ترددت انباء عن اختفاء شحنة كبيرة من مادة اليورانيوم الخام قيل انه جرى تهريبها الى اسرائيل من احدى الدول الاوروبية الغربية.

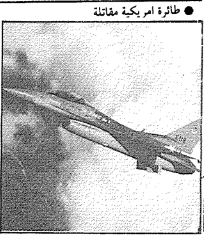
■ الا ان المرة الاولى التي تناولت فيها القيادة الفلسطينية هذا الموضوع بوضوح كبير كانت قبل شهر ونيف فى خطاب ألقاه الاخ ياسر عرفات فى ندوة الطاولة المستديرة بقصر المؤتمرات بالكرملين بحضور الزعيم السوفياتى ميخائيل غورباتشوف والتي اقيمت في الرابع من نوفمبر ١٩٨٧ بمناسبة الذكرى السبعين لثورة اكتوبر الاشتراكية فأعلن في منتهى الوضوح انه «علينا ان نتذكر ان اسرائيل المشاركة فى برنامج حرب النجوم الامريكي والتى تقدم لها امريكا الحماية الكاملة والدعم اللامحدود عسكريا وسياسيا واقتصاديا وماليا واعلاميا ودبلوماسيا قد ادخلت بمساعدة الولايات المتحدة الامريكية وبعض الدول الغربية الاسلحة النووية الى منطقة الشرق الاوسط وهددت اكثر من مرة باستخدامها، بل لقد ساعدتها الولايات المتحدة

على انتاج صواريخ بعيدة المدى تحمل رؤوسا نووية قادرة على ضرب مناطق داخل الاتحاد السوفياتي واماكن عربية وشرق اوسطية وافريقية بعيدة» وتوقع ان «يدفع بهذه المنطقة الحساسة استراتيجيا الى حافة الهاوية للحروب التقليدية والنووية» ولهذا اعلن عن مبادرة هامة «بالدعوة لجعل منطقة الشرق الاوسط والبحر المتوسط منطقة خالية من الاسلحة النووية تأكيدا للسياسة التى اعلنها الرفيق غورباتشوف بشأن خطورة هذه الاسلحة النووية على مستقبل البشرية، ودعا الى مستقبل لشعوب العالم بعيد عن شبح الاخطار النووية والتقليدية القاتلة والمدمرة»(٢٤).

■ ولا شك ان التنبيه الواضح لمخاطر التسلح النووي الاسرائيلي والنداء الصادر عن زعيم حركة التحرر الوطنية الفلسطينية ياسر عرفات والذي دأب فى الماضي على تجاهل نمو القوة النووية الاسرائيلية لا يشكل تغييرا لموقف «التجاهل وعدم الاكتراث» لسلاح نووى بأيدى اسرائيل يظل عاجزا مهما تعددت سيناريوهات ومستويات استخدامه عن اخضاع حركة تحرير وطنية بقدر ما يعكس تخوفه من احتمال رضوخ العرب للتهديد النووي الاسرائيلي ونجاح استراتيجية الردع النووية الاسرائيلية فى شل قدرة العرب على التفكير والعمل لمواجهة



● قاذف قنابل امريكي



● طائرة امريكية مقاتلة

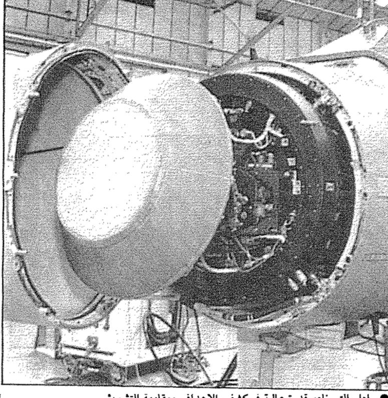
التحدي النووي الاسرائيلي وايجاد رد عليه، كما يعكس جوهر خطاب موسكو حقيقة ان ياسر عرفات يدرك ان طريق مجابهة القوة النووية الاسرائيلية يمر عبر موسكو وذلك على ضوء الدروس المستخلصة من قيام اسرائيل بقصف المفاعل النووي العراقي (تموزا) ونجاحها فى تدميره وذلك بمزيد من العلانية والعنجهية والصخب الاعلامي والدعاوي التى رافقته، فحين يطلق مبادرته بشأن جعل منطقة الشرق الاوسط والبحر المتوسط خالية من السلاح النووي وتأييد مبادرة غورباتشوف والسياسات السوفياتية بشأن الحد من انتشار الاسلحة النووية ـ باعتبار ظهور السلاح النووي بيد اسرائيل يهدد موسكو ايضا ـ فهو يريد من خلال ذلك التأكيد انه فى حالة عدم انصياع اسرائيل للمبادرات والقرارات الدولية بشأن الحد من انتشار السلاح النووي وجعل منطقة الشرق الاوسط والبحر المتوسط منطقة خالية من السلاح النووي، فان موسكو هى الوحيدة ذات المصلحة والقادرة على توفير الرد المطلوب على الردع النووي الاسرائيلي.

■ وكان الباحثون الاستراتيجيون الاسرائيليون فى اعقاب التهديد الاذاعى السوفياتى لاسرائيل والذى اشار بوضوح الى ان اسرائيل لن تظل طيلة الوقت تحتكر ادخال اسلحة نووية الى الشرق الاوسط، قد طرحوا هذا التساؤل من جانبهم قائلين «ما هي قيمة التهديد النووي الاسرائيلي للعرب، اذا تم

(٢٤) «وفاء» النشرة الاخبارية اليومية لوكالة الانباء الفلسطينية، تونس ١٩٨٧/١١/٥.

استراتيجية الاحتكار النووي الاسرائيلي

ابطال مفعوله عن طريق تهديد روسي»(٢٥). وقد ردت اسرائيل على الفور فى محاولة لاثبات حسن نواياها وتجنب مخاطر انتقال الردع النووي السوفياتى الى الشرق



● رادار التورنادو قدرة عالية فى كشف الاهداف ومقاومة التشويش

الاوسط، ببيان علني ألقاه شمعون بيريز وزير الخارجية قال فيه «ان النظرية الامنية الاسرائيلية ليست هجومية، وان اسرائيل لا تعتبر الاتحاد السوفياتي عدوا لها وليست لها اية عدوانية ضده»(٢٦).

■ وهناك شعوب اخرى ومناطق اقليمية ليست اقل حساسية وتأثرا بظهور العنصر النووي فى الشرق الاوسط، فاحتمالات استخدام السلاح النووي فى المجابهات القادمة بين العرب واسرائيل يؤرق حتما شعوبا افريقية واسيوية غير عربية وليست ذات علاقة مباشرة بالصراع العربى الاسرائيلي ولكنها ستكون اكثر اهتماما به من ذى قبل حين تدرك خطر الاشعاعات النووية التى قد تتساقط عليها من جراء استخدام اسرائيل للسلاح النووي ضد العرب فتصبح ذات مصلحة كبرى فى تجنب الخطر النووي الاسرائيلي او ردعه الامر الذى سيحملها على ممارسة دور اكبر فى السعى نحو ايجاد حل سياسى عادل للصراع العربى الاسرائيلى ودعم كفاح الشعب الفلسطينى والقاء ثقلها للحيلولة دون وقوع مجابهات قد لا تقتصر على استخدام السلاح التقليدي المتطور.

وقد عبر عن هذا القلق مؤتمر القمة الافريقي الاخير المنعقد فى اديس ابابا (اواخر يوليو ١٩٨٧) حين اصدر قرارا يشير صراحة الى ان اسرائيل نشرت صواريخ نووية فى هضبة الجولان وصحراء النقب، وان ذلك يشكل تهديدا ليس للدول العربية فحسب وانما ايضا للدول الافريقية».

غير ان هناك مصدراً اخر للخطر النووي على الدول الافريقية وهو دولة جنوب افريقيا العنصرية، حيث تقيم جالية يهودية كبيرة (١٢٠٫٠٠٠) الف يهودي ويتطور باضطراد تعاونها النووي مع اسرائيل والذى وضعت اسسه فى ابريل ١٩٧٦ اثناء زيارة جون فورستر رئيس وزراء جنوب

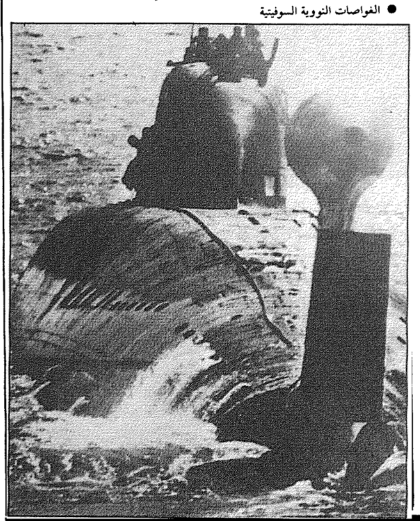
افريقيا لاسرائيل حيث وقعت بين الطرفين مذكرة التعاون العلمي والتكنولوجي والتي نصت على التعاون في المجال النووي، وقامت جنوب افريقيا بتزويد اسرائيل باليورانيوم لتنمية قدراتها النووية، هذا التعاون الذي توج في ٢٣ سبتمبر ١٩٧٩ باجراء اول تفجير نووي مشترك بين اسرائيل وجنوب افريقيا بالقرب من الشواطىء الجنوبية للاخيرة.

كما ان دولا نووية اسيوية قريبة مثل الهند وباكستان قد لا تقبل بدورها بسهولة التهديد النووي الاسرائيلي للعرب بسبب النتائج المتوقعة لاستخدام مثل هذا السلاح مثل تساقط المطر والاشعاعات النووية عليها.

■ وفي ضوء هذه الاحتمالات فالمتوقع ان تأخذ القضية الفلسطينية في العصر النووي للشرق الاوسط بُعداً عالميا اكبر واعمق وتواجه بشعور اكبر بالمسؤولية والتعاطف من جانب الشعوب والدول المحيطة بمنطقتنا غير ان هذا مشروط بالحفاظ على زخم النضال الفلسطيني المتصاعد في الداخل وتكامله مع النضال الفلسطيني في الخارج واستمرار تماسك منظمة التحرير الفلسطينية وحفاظها على الاعتراف الدولي بها.

■ وقد اثبتت حادثة الطائرة الشراعية الفلسطينية في ٢٥ نوفمبر ١٩٨٧م والتي اخترقت خطوط الانذار المبكر والدفاعات الاسرائيلية لكي تهبط في معسكر «حيبور» للجيش الاسرائيلي غربي مستعمرة كريات شمونه واشتباك قائدها مع الجنود الاسرائيليين ان بامكان الفلسطينيين ايضا في مراحل قادمة تسهل فيها حيازة مواد نووية ان يذكروا اسرائيل بأنه لا فرق في العمليات الانتحارية بين استخدام سلاح تقليدي او شبه نووي، وانه طالما يظل مبدأ التضحية عبر العمليات الانتحارية وارداً فإن الاستشهاد مع ابادة عدة الاف من المستعمرين يكون اكثر روعة وخلودا، اننا نتحدث عن وقت قد لا يستحيل فيه ايضا امتلاك الفلسطينيين لمواد نووية والتهديد بها، وقت يصبح دمج التكنولوجيا النووية بالعمليات الانتحارية شكلاً من اشكال الرد الفلسطيني على الردع الاسرائيلي، لتذكير اسرائيل وحلفائها بفشل الخيار النووي الاسرائيلي في ضمان صميم وجود اسرائيل وغلق ملف القضية الفلسطينية. فلن يضع احتكار اسرائيل للسلاح النووي حداً للبطولات الفردية والجماعية

● الغواصات النووية السوفيتية

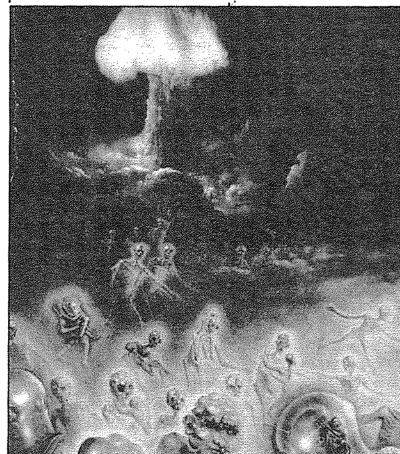


(٢٥) زئيف شيف، مصدر سبق.

(٢٦) من بيان شمعون بيريز وزير الخارجية الاسرائيلي، على همشمار ٢٧/٧/١٩٨٧.

استراتيجية الاحتكار النووى الاسرائيلى

الفلسطينية، فلا زال هناك متسع ولوقت طويل لتجلي البطولات الفردية والجماعية الفلسطينية، ولا زال بإمكاننا ان نشهد مزيدا من هذه البطولات ذات الابعاد



● ازداد الاهتمام الدولى بتقييد سلطات الدولة فى الالتجاء الى الحرب الذرية

السياسية والعسكرية الاكثر شمولا وتأثيرا فى العصر النووى للشرق الاوسط.

الشرق الاوسط بين نزع السلاح والردع النووي المتبادل

«خلاصة»

تمضى اسرائيل بهدوء وبمزيد من التكتم فى استكمال برنامجها النووي بالرغم من افتضاح امره والاجماع الدولي على حقيقة امتلاك اسرائيل للسلاح النووي وتتبدى مخاطر السلاح النووى الاسرائيلي أكثر من خلال استمرار سياسة الغموض النووى المتبعة، فقد وصلت اسرائيل إلى قمة التكنولوجيا الحديثة دون أن يجرى نقاش عام ومسؤول فى اسرائيل حول طبيعة ونتائج الخيارات النووية، فالسلاح النووي ليس مسألة داخلية بل يقع فى صميم مسؤوليات واهتمامات شعوب المنطقة والعالم اجمع، وابقاء استخدامه رهينة ارادة النخبة الحاكمة يفقد المجتمع المحلي والرأي العام الدولي الذي لا يرغب بالتأكيد فى رؤية مصير البشرية يتقرر على ايدي حفنة من الحمقى وذوى الرؤوس الحامية امكانية الرقابة وفرض القيود على استخدام هذا السلاح المدمر، ولذا فان سياسة الغموض النووي الراهنة هى اخطر بكثير من الاعلان عنه فى ظل معرفتنا بواقع وخصائص النهج الحربى والتوسعي المغامر للدولة الصهيونية.

■ ورغم ان الشعوب العربية ليست بحاجة الى دليل جديد لتأكيد النهج الحربى الجنونى لدولة عدوانية توسعية، الا ان حروب اسرائيل المتصلة ومغامراتها وارسال وحدات جيشها وقواتها الخاصة الى

اقصى الاماكن لمقاتلة العرب والفلسطينين، ومن ثم قيامها بتدمير المفاعل النووي العراقي الذى لم يشكل خطرا على اسرائيل، بل وافتقد الى المصداقية كرادع نووى بسبب طبيعته الوليدة والسلمية وبسبب الرقابة الفرنسية والدولية عليه قد طرح بعدا جديدا للتهديد الصهيوني للشعوب العربية والامن القومي العربى وهو تقرير مصير المنطقة العربية كلها انطلاقا من دائرة المصالح الاسرائيلية والتى يشكل مركزها دولة «يهودية صرفة فى فلسطين» بحدودها الطبيعية تشكل«قوة اقليمية كبرى مهيمنة» او دولة امبريالية صغرى فرعية للولايات المتحدة فى الشرق الاوسط.

■ امام واقع افتضاح امر السلاح النووى الاسرائيلي فى منطقة تجلس اصلا على برميل من البارود، بكل ما يحمله من تهديد نوعي للشعوب العربية بل ولحياة وامن الشعوب المجاورة كان يتحتم على العرب توجيه ضربة وقائية للمنشآت النووية الاسرائيلية فى مراحل بنائها الاولى، باعتبارها اجراء دفاعيا مشروعا ينسجم مع مبدأ الدفاع عن النفس وانقاذ شعوب الشرق الاوسط من مخاطر وقوع السلاح النووى المدمر بأيدي دولة تعيش على الاستخدام الدائم للقوة على قاعدة «انا احارب فأنا موجود» دولة ذات عدوانية غريزية اجمع العالم على ادانتها كدولة عنصرية توسعية عدوانية، دولة اوصلت العالم اجمع نتيجة امعانها فى سياسة الغزو والتوسع وفى اكثر من مرة (١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٣) الى حافة الهاوية حافة الصدام النووي العالمي المروع، ويستمد هذا الاجراء الدفاعي مشروعيته ايضا من الاجماع العالمي ضد انتشار الاسلحة النووية والذي لا يهدد منطقة بعينها فحسب بل كوكبنا الارضي بكامله، وقد سارعت اسرائيل بنفسها الى تأكيد شرعية تدمير منشآتها النووية وذلك بقيامها فى السابع من تموز/ يوليو ١٩٨١م بتدمير المفاعل النووي العراقي (تموز ١).

■ وكان الزعيم العربى الراحل جمال عبد الناصر قد نبه مبكرا مباشرة او بالواسطة الى مخاطر التسلح النووي الاسرائيلي والذي يستهدف مصادرة ارادة الامة العربية وشل قدرتها على التفكير والعمل وجعلها رهينة للرعب النووي فدعا عام ١٩٦٠ الى توجيه ضربة وقائية الى المنشآت النووية الاسرائيلية، ولعل موقف عبد الناصر النافذ البصيرة هذا كان بين الاسباب التى ادت الى تسريع عملية ضرب الوحدة المصرية السورية ومحاولات اضعافه ولمحاصرته بالاحلاف السياسية والعسكرية الغربية وتوريطه واستنزافه فى معارك جانبية.

■ ومن اجل صرف نظر العرب عن الخطر النووي الاسرائيلي المبكر وافقادهم القدرة على الرد كان لابد من اهدار طاقاتهم ومواردهم عبر استدراجهم فى حروب لم يختاروا وقتها وزمانها وليسوا مستعدين لها وزجهم فى اتون صراعات محلية لا نهاية لها ومن ثم اخراج مصر القائدة من ميدان المجابهة مع اسرائيل، فجرى اصطيادها بشبكة السلام المصرى الاسرائيلي وتأجيج الحروب الاهلية والطائفية والعربية

● الهجوم المستور بالظلام على المواقع الدفاعية

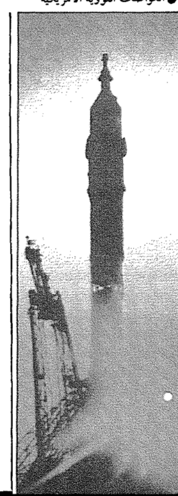


استراتيجية الاحتكار النووي الاسرائيلي

العربية، وخلق اكثر من صراع محلي فى المشرق والمغرب واهدار طاقات العرب فى حرب لا نهاية لها مع ايران، وتفليس الدول العربية النفطية، وتوريط ليبيا فى الحرب



● الغواصات النووية الامريكية



القبلية فى تشاد لاستنزاف مواردها، هذا بينما كانت اسرائيل تمضي بهدوء فى برنامجها النووي على ايقاع صخب الخلافات والحروب العربية العربية المتصاعد.

■ وتواصل اسرائيل باصرار رفض التوقيع على المعاهدة الدولية لعام ١٩٦٨ حول الحد من انتشار الاسلحة النووية والتى تمتنع الدول غير النووية بموجبها والموقعة عليها من صناعة الاسلحة والمتفجرات النووية او تطويرها، كما تقبل بوضع منشآتها النووية المخصصة للاغراض السلمية تحت رقابة الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وذلك مقابل حماية تلك الدول غير النووية من الابتزاز النووى ومساعدتها فى مجالات استخدام الطاقة النووية للاغراض السلمية.

■ وفى الوقت الذى كانت تمضى فيه اسرائيل بثبات نحو انتاج قنبلتها النووية فى اطار السرية والتكتم ورفضها الانضمام الى معاهدة عدم انتشار الاسلحة النووية ورفض اخضاع منشآتها لنظام الرقابة الدولية، كانت الدول العربية تمنح موافقتها الفورية ودون جدال لتلك القرارات الصادرة عن منظمة الامم المتحدة والمتصلة بجعل الشرق الاوسط منطقة خالية من السلاح النووي، وذلك قبل ان تبدأ المنظمة الدولية فى التنبيه بشكل خاص لمخاطر البرنامج النووي الاسرائيلي فى السنوات الاخيرة، تلك القرارات التى ساوت بين جميع دول المنطقة - اى بين الدول العربية التى لا تمتلك سلاحا نوويا فحسب بل ولم تدخل بعد عصر المفاعلات النووية واستخدامها فى اغراض التنمية الاقتصادية علاوة على ان الغالبية الساحقة للدول العربية لا تملك اصلا توجهات نووية - وبين اسرائيل الدولة الوحيدة التى تحتكر هذا السلاح فى المنطقة وتملك بنية نووية تحتية عمرها ما يزيد على ثلاثين عاما وقد قبلت الدول العربية هذه القرارات فى السابق دون محاولة تعديلها بحيث تأخذ بعين الاعتبار هذه الحقيقة.

■ وكانت الدول العربية قد اخذت تتسابق فى الانضمام الى

معاهدة عدم انتشار الاسلحة النووية، واذا تفحصنا واقع الدول العربية المنضمة الى هذه المعاهدة لوجدنا ان الغالبية الساحقة لهذه الدول ليست فى وارد استخدام الطاقة النووية لاغراض التنمية الاقتصادية فى المدى المنظور ناهيك عن اقامة بنية نووية تحتية مكلفة، فى حين ان الدول التى تمتلك او تسعى لامتلاك مفاعلات نووية لاستخدامها فى الاغراض السلمية مثل العراق، سوريا، مصر، ليبيا، السعودية، لن تستطيع استغلال هذه المفاعلات ووضعها فى خدمة التنمية الاقتصادية قبل مرور عقد او عقدين من الزمن، هذا على افتراض ان اسرائيل ستمنحها «براءة» البقاء والتشغيل.

●● ان التنازلات المجانية والسياسات العربية البلهاء والقصيرة النظر وفقدان القرار العربي المستقل جردت العرب من امكانية استثمار ثرواتهم وطاقاتهم العلمية لصالح رد مطلوب اكثر مما

● صواريخ جو جو تحت جسم طائرة (تورنادو) صواريخ (فلاش بريطانية)

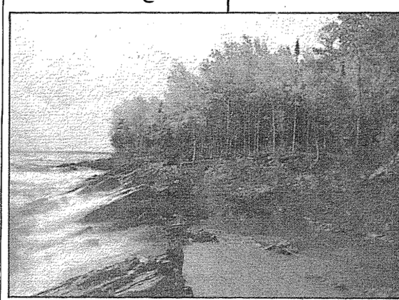
هو ممكن لمواجهة مشروعات اسرائيل النووية، فالسياسات العربية المنتهجة حتى الان لم ولن تؤدى الى كبح جماح التسلح النووى الاسرائيلى فحسب بل ادت الى مزيد من استهتار الدولة الصهيونية بالسلوك العربى فى مواجهة اخطر سلاح للفتك الجماعى يهدد وجودهم وفى مواجهة سياسة اسرائيلية حازمة لا ينقصها التصميم على تدمير المفاعل النووى العراقى بدون اى رد عربى مماثل ورادع كدفاع مشروع عن النفس، الامر الذى يعنى القبول عمليا بالاحتكار الاسرائيلي للسلاح النووى فى الشرق الاوسط، وتكون اسرائيل صاحبة الكلمة الاخيرة فى مصير المنطقة السياسي واتجاهات تطورها العلمي والتقنى، ويؤكد دقة الخيار الاسرائيلي القائم على استيعاب كامل لعوامل الضعف العربى، وعجز العرب حتى عن الرد دفاعا عن النفس واستعدادهم لتقبل الضربات الاستراتيجية والاهانات الكبرى التى ستطبع تاريخهم المعاصر بالعار بسبب فقدان الارادة وحرية اتخاذ القرار السياسي العربى المستقل وكأن لسان حالهم يقول **«اذا ضربتني اسرائيل على خدي الايمن ادرت لها خدى الايسر»** كما يؤكد من جهة اخرى مصداقية التهديدات الاسرائيلية بشأن الحفاظ على تفوق اسرائيل النوعى.

ولقد دأبت اسرائيل وهي في اوج نشاطها لصناعة قنبلتها النووية

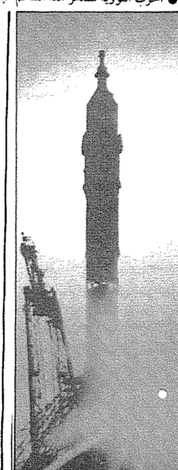
● القاذفات الامريكية ب ـ ١ قدرة كبيرة على حمل الاسلحة النووية

استراتيجية الاحتكار النووي الاسرائيلي

على رفض المعاهدات والقرارات الدولية بالحد من انتشار السلاح النووي وبذات الوقت دعوة العرب الى مفاوضات مباشرة لكبح سباق التسلح في الشرق الاوسط،



● الحرب النووية ستذمر هذا التناغم البديع في الطبيعة



فالعرب وليس اسرائيل فحسب لهم مصلحة في كبح سباق التسلح الذرى(٢٧).

■ وهناك بين الباحثين الاستراتيجيين من ينادي بالتنازل النووى باعتبار العنصر النووى ورقة مساومة بيد اسرائيل «فاذا نشأ وضع يمكن فيه تحقيق التزام متبادل بعدم انتاج سلاح نووى ان يمنع بفعالية وضع برنامج لتطوير مثل هذا السلاح من جانب العرب فسيتعين على اية حكومة اسرائيلية تتحلى بالمسؤولية ان تفكر في مثل هذا الاحتمال بجدية»(٢٨).

وفى عام ١٩٥٩ اقر الكنيست لأول مرة منذ الشروع فى بناء مفاعل ديمونا النووى المبادىء الاساسية الداعية الى نزع سلاح اقليمى شامل بما فى ذلك الغاء القوات المسلحة «**شرط ضمان الاشراف المنتظم والمتبادل وبلا عوائق وعدم المساس بحدود جميع هذه الدول وبسيادتها**».

وفى دورة الجمعية العامة للامم المتحدة لعام ١٩٨٠ قدمت اسرائيل اقتراحا كرد على اقتراح مصري دعت فيه الى اجراء مفاوضات مع العرب لتحقيق نزع السلاح النووى من الشرق الاوسط على غرار اتفاقية «تلاتلولكو» فى امريكا اللاتينية، كما دعت الى تقليص القوات العسكرية التقليدية بشكل متبادل.

■ ويتضح من المقترحات الاسرائيلية والمناورات السياسية التى تدور حولها ان الهدف الذى يحرك القيادة الاسرائيلية هو جعل الصراع العربى الاسرائيلي على الارض مسألة ثانوية واحلال قضايا التسلح النووى محل الحقوق الفلسطينية والعربية وجعلها القضية الرئيسية فى الصراع العربى الاسرائيلي والموضوع الرئيسي في المفاوضات العربية الاسرائيلية مستقبلا ـ اذا حدثت ـ وهكذا سيجرى استخدام الردع النووى لصرف النظر عن السبب الرئيسى للصراع العربى الاسرائيلي، وبالتالي زج العرب فى دوامة البحث عن نتائج الصراع، وافرازاته وحقائقه الراهنة بكل تعقيداتها، وحصر اهتماماتهم فى الحفاظ على

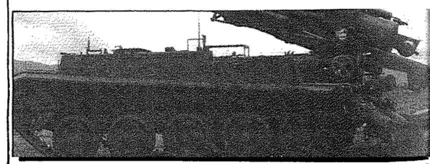
سكاى فلاش.. النموذج الاعتراضى من التورنادو

امن الانظمة العربية السائدة انطلاقا من النقطة التى وصل اليها التوسع الصهيونى والتفوق الاسرائيلي ومنعهم من تطوير قوة نووية تشكل رداً على الترسانة النووية الاسرائيلية تقوم على احتكار السلاح النووى وانتهاج سياسة ردع للعرب تحول دون تطورهم النووى ولو بخطوة واحدة نحو الاستفادة من الطاقة النووية فى التنمية الاقتصادية والاغراض السلمية الاخرى، والسياسة الاسرائيلية المنادية بنزع السلاح تستهدف فعلا جعل الشرق الاوسط منطقة خالية من السلاح النووى فى الجانب العربى فحسب.

واذ ترفض اسرائيل الضمانات التى اجمعت عليها الارادة الدولية فى معاهدة الحد من انتشار السلاح النووى فلا شك ان اسرائيل تسعى وراء معاهدة اقليمية تترك لها اكبر قدر من الخيارات النووية وتمنع العرب فى المقابل من تطوير سلاح نووى خاص بهم، فكيف يمكن ان نجعل منطقة الشرق الاوسط منزوعة السلاح فى ظل اصرار اسرائيل على احتكارها للسلاح النووى.

■ ان ابداء حسن النية من قبل الضعيف واتخاذ المواقف المجانية التى تفتقد الى عناصر القوة لا تسهم الا فى اغراء الطرف الاقوى على المضي قدما فى تنفيذ خططه العدوانية، فالطريق الى الجحيم مفروشة بدورها بالنوايا الحسنة وجريمة الابادة النووية يرتكبها اثنان على الدوام، عدو احمق اصيب بالجنون وتغمره مشاعر التفوق ومغفل جاهل معدوم الارادة اقعده اليأس والاحباط عن محاولة البحث عن وسائل درء المخاطر قبل وقوعها رغم امتلاكه لطاقات هائلة بها لا يقاس مع عدوه فلا يوجد اى رادع اخلاقي يمنع اسرائيل من استخدام هذا السلاح ضد العرب فى اللحظة التى تقررها وتتطلبها مصالحها، ولقد دق تدمير المفاعل النووي العراقى ناقوس الخطر النووى الداهم على الامة العربية وضاعت الى الابد الفرصة الضعيفة التى وجدت قبل ذلك لنزع السلاح النووى من الشرق الاوسط ولا يمكن للامة العربية ان تظل بلبلا بين الغربان، لذا بات مطلوبا عدم الخضوع للارادة الاسرائيلية الامريكية والتوجه نحو خيارنا الوحيد الضرورى وهو بناء القوة العربية النووية الرادعة كضرورة استراتيجية لمواجهة تعاظم القوة الاسرائيلية فى السلاح غير التقليدى ولإقامة التوازن المطلوب للحيلولة دون شلل الارادة والفكر العربى تحت ضغط التهديد النووي الاسرائيلي.

ويظل الرد بواسطة العنصر البشري هو احدى وسائل الرد العربى وليس الفلسطينى فحسب على الردع النووي الاسرائيلي. فيجب الكف عن الدعوة الى تحديد النسل ما دام العالم العربي ينطوى على موارد هائلة بعضها لم يكتشف وبعضها الآخر لم يستثمر بعد، ويمتلك ثروات مالية



(٢٧) الياهو سلبيتر، مصدر سبق ذكره.

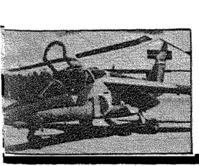
(٢٨) بروفيسور ايلان داوتي، محاضر في العلاقات الدولية بجامعة حيفا ويجب ترك القنبلة فى القبو» بوليتيكا، اذار/ مارس ١٩٨٧.

استراتيجية الاحتكار النووى الاسرائيلي

● من اسلحة الدمار النووية

ضخمة وما دام التهديد النوعي الاسرائيلي للعرب قائما.

■ غير انــه يجب اعتماد سياسة سكانية جديدة تقوم على الانتشار الافقي والحد من الانتشار العامودي، الذى أدى الى الاكتظاظ السكاني وبناء العمارات الشاهقة ذات الطوابق العديدة فى مدن قليلة والذي ينطوى على اضرار اقتصادية واجتماعية وعلى مستوى الامن القومى. سياسة تقوم على الانتشار السكاني في المناطق الشاسعة واستصلاح الاراضي وتوفير المياه والبحث عن مصادر الثروة الطبيعية وبناء مدن جديدة بدلا من ازدحام السكان فى مدن قليلة (فالقاهرة مثلا تضم اثنى عشر مليون مواطن أي ربع سكان مصر تقريبا) الامر الذى يفرضه أيضا متطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية (استصلاح الاراضى اكتشاف مزيد من مصادر الثروة الطبيعية، توسيع الاقتصاد الانتاجي وتأمين مواطن شغل للاعداد المتزايدة من السكان والحد من زحفها نحو المدن) فالتهديد النووي الاسرائيلي من هذا المنطلق يجب أن يشكل حافزا لصيانة الامن القومي العربي الاستراتيجى بجوهره الشعبي التقدمي وليس بمفهومه الرسمي حيث يغيب فى العالم العربي مفهوما موحدا للامن القومي العربي وفي مجالاته المختلفة العسكرية



والاقتصادية والاجتماعية.

■ يجب الحد اذن من تضخم كتل اللحم البشري فى اماكن محدودة والتي تسهل على اسرائيل اصطيادها والتهامها بقنابل قليلة، في حين ان الانتشار السكاني سيرفع الكلفة فى الجانب الاسرائيلى من حيث حاجته على سبيل المثال التقريبى والمقارن الى خمسين قنبلة هيدروجينية - وليس تكتيكية - لإبادة مصر مثلا بدلا من عشرين قنبلة تحتاج اليها حاليا لضرب اهم المراكز السكانية والعسكرية والمنشآت الصناعية المعروفة فى مصر كما انه سيضيف مزيدا من القيود والعوائق والكوابح، أمام خطط اسرائيل لتوجيه ضربة واحدة ساحقة وفي اتجاهات متعددة وفى أكثر من بلد عربى دون التعرض للرد العربى الفورى.

غير ان هذا لا يشكل بديلا لإقامة قوة ردع عربية باعتبارها الوسيلة المادية الوحيدة لتحييد الخطر النووي الاسرائيلي وتحويله الى سلاح مشلول، وهذا حق مشروع للعرب طالما ترفض اسرائيل التعامل بالمثل وترفض التخلي عن نواياها العدوانية وسياستها التوسعية الاستيطانية وتهديد الامن القومي العربي فى الصميم.

الا ان اي مشروع نووي عربى يبقى بدون مستقبل ومهددا بالتحول الى اطلال نبكي عليها اذا لم تغطيه سماء نظيفة من الطائرات المعادية ومظلة صاروخية مضادة واقية واجهزة انذار مبكر وعين رادارية يقظة وموثوقة، فتدمير المفاعل النووى العراقى بحد ذاته يمثل درسا غالي الثمن من اجل حث العرب على الاصرار على امتلاك الردع النووى واجادة تحصين وتمويه المنشآت النووية العربية.

●● واخيرا فإن السلاح النووى بيد اسرائيل هو سلاح ذو حدين ويمكن أن يجيد العرب استخدامه وأن يضبطوا خطواتهم فى الاتجاه الصحيح ويرفضوا الانصياع للابتزاز الامريكى الاسرائيلى متجهين نحو تعميق التحالف مع الاصدقاء والحلفاء الطبيعيين لقضيتهم العادلة. ***فهل نشهد فى المستقبل مبادرة لكسر احتكار اسرائيل للسلاح النووى فى الشرق الاوسط؟؟.***

● مازالت افكار كلا وزفتيز تجد رواجا فى الفكر العسكرى رغم اختراع الاسلحة النووية



• الاقدام على وضع «الببليوجرافية الاسلامية» على غرار ما

• الحاجة الى نشر أكثر ما يمكن من المخطوطات

نشر التراث

بقلم: الاستاذ محمد الفاسى (المغرب)

ان فكرة القيام بنشر مجموعة من المخطوطات التى يزخر بها التراث الاسلامى من العوامل المهمة فى ابراز ما كان للاسلام من فضل على الانسانية بسبب حثه على العلم وطلبه.. وعلى البحث والنظر والتفكير فى مظاهر الكون.. ومن ثم وضع المؤلفات فى كل العلوم والفنون مما جعل حصيلة ما أنتجه الفكر الاسلامى فى كل هذه المناحى لا يحصره عد.

■ حيث اننى أرى أن ما وضعه المسلمون من مؤلفات يفوق مجموع ما كتبه غيرهم وبكل اللغات. . ثم ان نشر التراث تقوم به كل الدول الاسلامية وحتى غيرها من الامم التى تهتم بها يسمى الاستشراق فى أكثر جامعاتها منذ عدة قرون.

ولا شك أن تضافر كل هذه الجهود لا يزيده مشروع صندوق التضامن الاسلامى إلا متانة وتقوية. الا أننى أرى أن هناك أمرا من الاهمية بمكان ولا يمكن أن تضطلع به دولة وحدها ولا حتى مجموعة الدول لأسباب قومية ومالية. وهذا الامر هو الاقدام على وضع «البيليوغرافية الاسلامية» على غرار ما تفعله كل دولة فى العالم المتحضر الآن.

■ ومعنى هذا ان كل دولة تعمد الى حصر ثروتها من الانتاج الفكرى التى تحتوى عليه خزاناتها فى فهارس عامة تستوعب كل ما تضم هذه الخزانات فى كل مدينة وكل قرية من مخطوطات ووثائق ومطبوعات من الكتب والدوريات.

لذلك يتعين أن يقوم صندوق التضامن الاسلامى بهذا العمل الجبار بالنسبة للتراث الاسلامى لأن هذا العمل يهم الامة الاسلامية بأجمعها فلا يمكن أن تقوم به دولة بمفردها. . ولا تستطيع ذلك من عدة وجوه ـ لعدم الامكانات المادية ووسائل الاطلاع على ما يوجد فى كل البلاد الاسلامية وغيرها. . وتوفر الكفاءات العلمية من علماء متخصصين وخبراء فى شؤون الخزانات. . وهنا أتوقف لأقول ان استعمال لفظة مكتبة لما يسمى بالانكليزية *Library* وبالفرنسية *Biblioflique* استعمال خاطىء

ل دولة فى العالم المتحضر الآن أمر من الأهمية بمكان، ن تكرار الطبع لما سبق طبعه.

ـــالإســـلامي

وكان القدماء يسمونها خزانة والمشرف عليها يسمى الخازن - وكان هذا بالمشرق والمغرب - ويخصون بلفظة مكتبة محل بيع الكتب كما هو الشأن فى الانكليزية والفرنسية أيضا. أى Book-s-hop بالانكليزية و Libraire بالفرنسية.

■ أما بالمشرق فانهم يستعملون لفظة واحدة لكلا الامرين وهى مكتبة وبالمغرب نفرق بين الخزانة والمكتبة وان كانت طريقة تقليد المشرق تسربت الينا وصرت تسمع المكتبة الملكية ومكتبة القرويين عوضاً عن الخزانة الملكية وخزانة القرويين؟.

بعد هذا الاستطراد أعود للموضوع وأقول ان صندوق التضامن الاسلامى وحده الكفيل بانجاز هذا المشروع الضروري، وذلك بأن يؤسس فرعا له خاصا يطلب تمويله من كل البلاد الاسلامية خصوصا التى تمكنها مواردها من المساهمة فيه بقدر مهم.. ثم يعين هيئة عليا للسهر على تنفيذه تتكون من علماء اخصائيين يضعون لذلك البرامج والتخطيطات لعدة سنوات ويبدأ أولا بمسح عام للخزانات العالمية التى تضم مخطوطات اسلامية - اذ أرى أن الببليوغرافية الاسلامية يجب أن تحتوى على مجرد المخطوطات وتترك المطبوعات للفهارس الوطنية.

■ وحيث ان الميدان فسيح بحيث يشتمل العالم كله - ينبغى أن يوزع العمل على لجان خمس تختص بالبلاد العربية والبلاد الاسلامية.. وبلاد آسيا.. وبلاد افريقيا.. وبلاد أوربا والامريكتين.. وعندما يتم هذا المسح يشرع فى أعمال الفهرسة حسب قواعد هذا العلم وترتيباته.. ومن المعلوم أن أكثر خزانات العالم الكبرى لها فهارس خاصة بمخطوطاتها العربية أو الشرقية عموما وهذا مما يسهل العمل على الخبراء الذين سيتولون القيام به من قبل الهيئة العليا.. الا أن هناك خزانات مهمة فى مختلف أقطار العالم ليست لها فهارس مطبوعة وفى هذه الصورة يتعين ايفاد خبراء لهذه الاقطار يكلفون بوضع الفهارس للمخطوطات الاسلامية الموجودة بها باتفاق مع المسؤولين الوطنيين.

■ اننا نعلم أن معهد المخطوطات التابع لمنظمة الجامعة العربية للتربية والثقافة والعلوم يقوم منذ سنين عديدة بتصوير نخبة من المخطوطات العربية الموجودة فى عدة بلاد خصوصا العربية منها ثم يضع الفهارس لهذه المؤلفات -

وهذا عمل يشكر عليه ـ وقد أفاد جدا الباحثين والعاملين على نشر التراث الاسلامى . . الا أن تلك الفهارس هى أقرب الى أن تكون مجرد قوائم وعناوين للكتب ـ ثم ان ميدان نشاط هذا المعهد محدود وحتى الخزانات التى زارها خبراؤه لم يصوروا منها الا أقل القليل على حد علمنا .

■ هذا واننا عندما نقول التراث الاسلامى فاننا نعنى أولا كل ما كتب بالعربية فى بلاد الحضارة الاسلامية سواء كتبه مسلمون أو غيرهم ، لأن الثقافة الاسلامية هى التى كانت سائدة . . ثم ان هناك تراثا اسلاميا كتب فى لغات أخرى كالفارسية والتركية والاوردو واللغة السواحلية وغيرها من اللغات الاسلامية فينبغى الاهتمام به أيضا ووضع فهارس له .

■ وهذه الفهارس كلها ينبغى أن تحتوى فى آخر كل واحد منها على قائمة بأرقام المؤلفات التى لازالت لم تطبع الى الآن ، وهذا ما يفيد القائمين على نشر التراث حتى لا تضيع الجهود بطبع ما هو مطبوع ـ فى حين أن الحاجة الى نشر أكثر ما يمكن من المخطوطات هى أسمى من تكرار الطبع لما سبق طبعه . . وقد كنت وضعت فهرسا لنوادر الخزانة الملكية بالرباط نبهت فيه بالنسبة لكل كتاب الى أنه طبع أو لم يطبع .

■ ومن البديهى أن هذا المشروع لا يمكن أن ينجز الا فى زمن طويل يقدر بعشرين أو ثلاثين سنة اذا رصدت له كل ما يتوقف عليه من مال ورجال . . وعلى سبيل المثال فان الفهرس العام لمخطوطات الخزانات الفرنسية تطلب أكثر من عشر سنوات ـ ومثل هذا الفهرس ونحوه من الفهارس العالمية سيفيد فى انجاز هذه الببليوغرافية واليكم الآن قائمة موجزة بهذه الفهارس :

* المخطوطات العربية بخزانة الاسكوريال . لمؤلفه : درمبور
* المخطوطات العربية بخزانة غوطة . لمؤلفه : برتش
* فهرس الكتب العربية بخزانة مكتب الهند . بلندن
* فهرس المخطوطات العربية بخزانة برلين لمؤلفه : اهلفارت .
* الخزانة البودلانية بأكسفورد بانكلترا
* فهرس المخطوطات بالمتحف البريطانى بلندن القسم الثانى : المخطوطات العربية .
* فهرس المخطوطات العربية والفارسية والتركية بجامعة كلية تالوت بكامبريدج .
* فهرس الكتب العربية المحفوظة الكتبخانة الخديوية المصرية .
* فهرس المخطوطات بخزانة كوبرولو زاده محمد باشا باسطنبول .
* فهرس خزانة أيا صوفيا باسطنبول .
* فهرس المخطوطات العربية والفارسية والتركية بأكادمية فيينا .
* فهرس المخطوطات العربية بالخزانة الوطنية بمدريد .
* فهرس خزانة نور عثمانية باسطنبول .
* فهرس الخزانة الوطنية بباريس (قسم المخطوطات العربية) .
* فهرس المخطوطات الشرقية بخزانة لينتجراد .
* فهرس خزانة راجب باشا باسطنبول .
* فهرس المخطوطات العربية بالخزانة العامة بالرباط .
* فهرس خزانة ينى جامع باسطنبول .
* فهرس المخطوطات العربية والفارسية والاوردية بالجامعة الاسلامية بعليكرة .
* فهرس مخطوطات خزانة لا للي بأسطنبول .
* فهرس المخطوطات العربية بجامعة ليدن بهولاندا .
* فهرس كتب الخزانة السليمية باسطنبول .
* فهرس مخطوطات خزانة الاسكوريال باسبانيا .
* دفتر المكتبة الصادقية بتونس .
* فهرس المخطوطات الفارسية والعربية بخزانة المجلس بطهران .
* فهرس كتبخانة أسعد أفندى بأسطنبول .
* فهرس الكتب العربية والمخطوطات فى خزانة الجمعية الاسيوية بالبنغال .
* فهرس مخطوطات خزانة بايزيد باسطنبول .
* فهرس المخطوطات العربية والفارسية فى خزانة مدرسة كالكوتة .
* فهرس المخطوطات الاسلامية

بكامبردج.
* فهرس كتب خزانة حامدية تربة باسطنبول.
* فهرس المخطوطات الاسلامية والمسيحية الشرقية الخ بجامعة لابتسيك.

■■ ومع وجود هذه الفهارس وغيرها حيث ان ما ذكرته منها ـ انما هو على سبيل المثال لا الاستقصاء ـ يتعين الرجوع اليه فى كل خزانة الى الجذاذات المخطوطة التى تضم ما دخل تلك الخزانات بعد وضع فهارسها والجذاذات القديمة تحتوى كذلك على تصحيحات وتحقيقات يضعها عادة المشرفون على خزانات المخطوطات.

وينبغى التنبيه هنا على ما يسمى بالمجاميع ـ ذلك أن من عادة العلماء أصحاب الخزانات التى تؤول فى النهاية الى اقتنائها من قبل الخزانات العامة.. والخزانات الوطنية.. وخزانات الجامعات.. أقول: هؤلاء العلماء من عادتهم أن يضموا مؤلفات صغيرة ورسائل ومنظومات فى مجلد واحد يطلق عليه فى الاصطلاح اسم (مجموع) وكثيرا ما يلتبس الامر على واضعى الفهارس فيضعون للسفر المحتوى على مجموع اسم أول كتاب فيه ـ ظانين أن الكتاب كله هو ذلك الذى كتب اسمه فى أول المجموع فتبقى هكذا مؤلفات كاملة مجهولة حتى يقيض الله لها من يفحص المجموع فيستخرجها.. فالتحرى التام هنا من لوازم عمل الفهرسة بكيفية علمية مدققة.

ثم ان هناك عدة خزانات مهمة ولكن لا توجد لها فهارس مطبوعة.. وعلى سبيل المثال أذكر ان خزانات المخطوطات الموجودة بالمغرب من هذا القبيل وكلها تحتوى على ذخائر ثمينة وعلى رأسها الخزانة الملكية(١) ولها قصة لها مغزى كبير يدل على اهتمام المسلمين بتراثهم والغيرة عليه ـ وذلك أن صاحب الجلالة الحسن الثانى أيده الله حكى لى فى سنة ١٩٦١ ما يلى:

« لما ذهبت الى فاس للاطلاع على مرافق القصر الملكى وقفت على قاعة مقفلة، فأمرت بفتحها فقيل لى لا يمكننا ذلك لأن مفتاحها كان دائما عند والدكم المرحوم بكرم الله وكان لا يفارقه، فاحتجنا الى نجار لفتحها، فلما دخلتها وجدتها غاصة بصناديق ففتحتها واذا هى مليئة بالمخطوطات فأمرت بنقلها الى الرباط ـ فيجب أن نقوم بفهرستها وصيانتها».

■ وهذه القصة تدل على أن المولى عبد الحفيظ لما تنازل بمحض اختياره عن الملك بعد التوقيع على معاهدة الحماية أوصى أن يجعل كتب خزانة القصر فى صناديق مقفلة، وتجعل فى قاعة داخل القصر فى المحل الخاص بالملك وأسرته، حتى لا يمكن أن تمتد الى ذلك التراث أيدى الفرنسيين ثم أوصى خلفه المولى يوسف ابنه محمد الخامس الذى كانت وفاته فجأة، فكان من حظ خلفه أن يكتشف هذا الكنز العظيم.

وهناك حادثة أخرى على المستوى الشعبى لها نفس المغزى ـ وذلك أن رؤساء الزاوية الناصرية بتامكروت فى الصحراء الشرقية من المملكة المغربية كان لهم اهتمام عظيم بجمع الكتب والتنقيب عنها حتى تكونت عندهم خزانة مليئة بالمخطوطات النادرة فى كل العلوم.. وقد كان هؤلاء الرؤساء من العلماء الراسخين.. ولهم أنفسهم مؤلفات فى علوم شتى ـ منها المطبوع ومنها ما لايزال مخطوطا واشتهرت هذه الخزانة عند علماء المغرب وعند المستشرقين. فلما احتل الفرنسيون تلك الناحية كان أول ما عمدوا اليه أن وجهوا بعض المستعربين الى (تامكروت) ليطلعوا على الخزانة ـ أو قل لنقل نفائسها الى باريس بدعوى جعلها فى الخزانة العامة بالرباط.. ولكنهم فوجئوا بأن كل المخطوطات التى وجدوها على رفوف الخزانة لا تخرج عن مواضيع لها أهميتها بالنسبة للمسلمين من تفسير وحديث وتوحيد.. وفقه وأصول وبلاغة ونحو وصرف.. وتصوف ونحوها. وأما الفلسفة والتاريخ والمسالك والممالك والادب ودواوين الشعر والطب وعلم الحيوان والنبات والرياضيات والفلك ونحوها ـ فانهم لم يجدوا شيئا منها مطلقا.. وطلبوا من المسؤولين عن الخزانة

هل هناك كتب أخرى؟. فأجابوهم هذا مجموع ما عندنا من الكتب وهي كتب ثمينة بالنسبة لعلومنا الاسلامية.. فرجع المستشرقون وهم مقتنعون أن الخزانة الناصرية لها شهرة باطلة وأنها اسطورة لا أساس لها من الصحة. وقد كنت أومن أيام الحماية أن هناك سرا لم أستطع أن أكشفه الا بعد الاستقلال حيث أسندت اليَّ أول وزارة للتعليم والثقافة ـ فأول ما عمدت اليه أن بعثت الى (تامكروت) خبيرا هو الاستاذ ابراهيم الكتاني الذي عينته مديرا لقسم المخطوطات في الخزانة العامة وكلفته إذاك بالاطلاع على حقيقة الامر في الخزانة الناصرية.. وكان أن وصل في أول الليل الى الزاوية فاستقبله المسؤولون بكل حفاوة ورحبوا بما جاء اليه. انما قالوا له: كان بودنا أن نطلعك على كل المخطوطات من الآن الا أن الامر يحتاج الى مجيء بناء لهدم الحائط الذي يفصل ذخائر الخزانة عن الغرف المحتوية على ما ذكرنا.

■ وهكذا في الصباح هدم الحائط واستطاع (الاستاذ الكتاني) أن يرى مئات المخطوطات الثمينة في صناديق مقفلة فحكوا له أنهم لما وصلت جيوش الاحتلال الى ناحيتهم قاموا باختيار الكتب الموضوعة في المواضيع التي يعلمون اهتمام المستعربين بها، وجعلوها في تلك الصناديق، وبنوا عليها، وبقيت هكذا محفوظة حتى قيض لنا أن نخرجها من تلك الظلمات الواقية الى نور الإفادة.. فنقلنا مجموعة منها الى الخزانة العامة بالرباط وهي في متناول الباحثين. وقد قامت وحدة التصوير التابعة لمعهد المخطوطات العربية بتصويرها في أشرطة صغيرة مما سهل نشر بعضها في السنين الاخيرة.

■ جرنا الى هذا أنه لا تزال خزانات عديدة بكل البلاد العربية تحتوي على ذخائر من المخطوطات لا يعرف عنها جمهور العلماء والباحثين شيئا.. ومن جملتها خزانة القرويين بفاس.. وخزانة ابن يوسف بمراكش.. ومخطوطات الخزانة العامة بتطوان.. وجزء كبير من مخطوطات الخزانة العامة بالرباط.. لأن الفهرس المطبوع المذكور آنفا لم يستوعب كل ما تحتوي عليه من مخطوطات رغم كونه يتركب من ثلاثة أجزاء وكذلك خزانات مساجد كثير من المدن. وخزانات الزوايا مثل الزاوية الناصرية التي حكينا قصتها. **وزاوية تانغملت التي وجدنا بها أقدم مخطوط عربي موجود في الدنيا وهو في نسب قريش وقد قام بنشره الدكتور المنجد ببيروت.**

ويظهر من هذه الامثلة القليلة الفائدة العظمى التي لهذا المشروع المقترح انجازه، وهو دين في عنق المسؤولين عن المؤتمر الاسلامي وصندوقه للتضامن الاسلامي، لانه الوحيد من بين المنظمات العربية والاسلامية الذي يمكنه أن يضطلع به ويخرجه الى حيز الوجود.

■ هذا والقيام بهذا العمل لا يتنافى مع الشروع من الآن في نشر بعض المؤلفات القيمة لأنهما نشاطان يكمل أحدهما الآخر. وقد طلب منا اختيار ما يحسن نشره.. وكان في امكاني ولا يزال أن أقدم نماذج من هذا التراث الضخم مما لا يزال قابعا في رفوف هذه الخزانات المتعددة ـ ولكنني أرى أولا: أن هذا الاختيار ينبغي أن يستند الى مقاييس ومعايير تضع الاولويات وهذا مما يجب مناقشته.. ويعد ذلك ارتكازا على ما نتوصل اليه من توجيهات يمكن أن نختار بكل سهولة المؤلفات التي نبتدىء بها في النشر.

فيجب اذن أن نعرف هل الاولوية تكون لكتب علوم الانسان من أدب نثري وشعري.. ومن تاريخ وجغرافية ورحلات.. ومن فقه بكل فروعه ومن أصول.. ومن علوم الآلة ـ اللغة والنحو والصرف والبلاغة.. ومن العلوم الاسلامية من تفسير وقراءات وتجويد وناسخ ومنسوخ.. وحديث وعلومه من مصطلح وطرق الرواية ومن علوم التوحيد والفلسفة الاسلامية.. الى غير ذلك من هذه العلوم النقلية

فى أكثرها. أم يجب أن يقع الاختيار فى الاول على كتب العلوم العقلية.. من منطق ورياضيات وفلك.. وكيمياء وطبيعة وعلوم المعادن والنبات والحيوان.. الى غير ذلك من كل أنواع العلوم والفنون التى برع فيها المسلمون ووضعوا فيها المؤلفات القيمة التى لا تزال تفيد الى الآن فى تقديم المعارف الانسانية.

■ هذا من جهة ومن جهة أخرى يجب أن نعرف الامكانات المادية الموجودة الآن.. لنعلم هل يجب اختيار كتب ضخمة تتركب من عدة أجزاء أو كتب متوسطة الحجم لا تخرج فى أكثر من ثلاثة اجزاء مثلا.. أو كتب صغيرة لا تتعدى جزءا واحدا متوسط الحجم. ثم يجب كذلك أن ندرس هل يجب اعطاء الاسبقية لمؤلفات العصور الاولى للحضارة الاسلامية الى آخر القرن الرابع الهجرى أو الخامس - مع العلم أن ازدهار هذه الحضارة فى الجناح الغربى للعالم الاسلامى استمر الى القرن الثامن.

وهناك احتمال آخر اذا توفرت الامكانات المادية هو أن يختار من اثنين أو ثلاثة كتب يشتغل فى تحقيقها فى آن واحد.

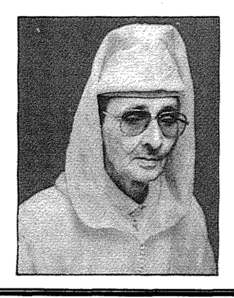
■ ***هذه أسئلة يتعين الجواب عنها أولا قبل القيام بالاختيار المطلوب واذ ذاك يسهل كما قلت تعيين مجموعة من الكتب يشرع فى طبع واحد منها أو أكثر والله نسأل أن يوفقنا الى ما فيه خير الدارين والسلام.***

هامش

(١) منذ كتبت هذا البحث قام محافظ الخزانة الملكية البحاثة العالم السيد العربى الخطابى بوضع ثلاثة فهارس لها فى التاريخ والجغرافية والعلوم الرياضية.

الخزانات المغربية

من خلال ما تتوفر عليه من مصادر لتاريخ المملكة العربية السعودية



بقلم: الاستاذ محمد المنونى (الرباط)

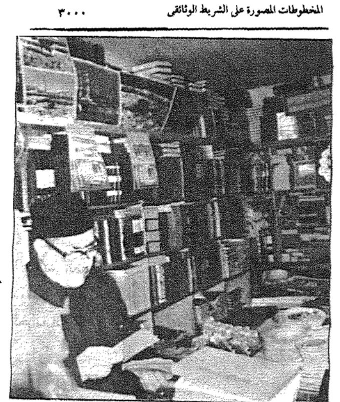
تتوفر لدى المغرب ثروة ضخمة من المخطوطات العربية على تنوع موضوعاتها بين علوم انسانية ومعارف اسلامية وعربية. وفضلا عن المدن تنتشر خزانات المخطوطات الى الارياف المغربية ومجموعها يتفرع الى قسمين رئيسيين: مكتبات قديمة التأسيس، واخرى حديثة، وتمثل هذه الاخيرة خزانات عصرية تأتى فى طليعتها خزانتان اثنتان: الخزانة العامة بالرباط ثم المكتبة العامة بتطوان:

الخزانات الحديثة

(١) الخزانة العامة بالرباط:

تشتمل على عدة اقسام من بينها: «قطاع المطبوعات العربية ـ قطاع المطبوعات باللغات الاجنبية وخصوصا الفرنسية ويشتمل كل منهما على الكتب والجرائد والدوريات والوثائق المطبوعة ـ قطاع المخطوطات العربية ويستوعب عشرة فروع حسب التوضيح التالي:

اصناف المخطوطات	الحرف الخاص بكل صنف	العدد الاجمالي للارقام
المخطوطات الاولى	د	قرابة ٥٠٠٠
مخطوطات الاوقاف	ق	١٢١٦
مخطوطات الجامع الكبير بالرباط	ر	٦٤
مخطوطات الكتاني	ك	٣٣٧١
مخطوطات الجلاوي	ج	١٣٨١
مخطوطات الحجوي	ح	٢٦٢
مخطوطات المقري	م	٦٥
مخطوطات التوزاني	ت	٦
المخطوطات المصورة على الشريط الوثائقي		٣٠٠٠



(٢) المكتبة العامة بتطوان:

بها عدة اقسام منها: «قطاع المطبوعات العربية ـ قطاع المطبوعات باللغات الاجنبية وخصوصاً الاسبانية، ويشتمل كل منها على الكتب والجرائد والدوريات والوثائق المطبوعة ـ قطاع المخطوطات العربية وله ثلاثة فروع»: «المخطوطات ـ المصورات على الشريط ـ الوثائقي».

الخزانات القديمة

أولا: الخزانة الحسنية بالرباط:

وتشتمل على اربعة اقسام.. مخطوطات.. ومطبوعات.. ووثائق.. ومصورات عليالورق.

ثانيا: الخزانات الوقفية، وكانت منتشرة بالمغرب وفيما يلي جدول بثلاث عشرة منها:

الاسم والبلدة او الاقليم	عصر التأسيس	العدد الاجمالي
خزانة القرويين بفاس	العصر المريني	٥١٥٧
خزانة الجامع الاعظم بتازا	العصر المريني	؟
خزانة الجامع الكبير بمكناس	العصر المريني	٤٩٣
خزانة ابن يوسف بمراكش	العصر السعدي	٢٤٠٠
خزانة المعهد الاسلامي بتارودانت	العصر السعدي	١٨٣
خزانة ايزو: إقليم ازيلال	العصر السعدي	٧٠
خزانة زاوية تنغملت اقليم أزيلال	العصر السعدي	٧٩١
دار الكتب الناصرية بتمكروت: اقليم ورزازات.	العصر العلوي	٤٢٠٠
الخزانة الحمزاوية بإقليم الرشيدية	العصر العلوي	١٢٠٢
خزانة المعهد الديني العالي بتطوان	العصر العلوي	١٠٠
خزانة الجامع الكبير بزرهون	العصر العلوي	؟
خزانة الجامع الكبير بطنجة	العصر العلوي	؟
خزانة الجامع الكبير بوزان	العصر العلوي	؟

بعد هذا المدخل ننتقل الى عرض ٦١ مخطوطا مما تتوفر عليه الخزانات المغربية من المصادر لتاريخ العربية السعودية، ويأتي تقديمها موزعة بين خمسة فروع كل فرع مرتب حسب التسلسل التاريخي لوفيات او عصور المؤلفين

مع ملاحظة ان هذه الجذاذات تعرض بعض مخطوطات سبق نشرها على اصول لم تكن بينها النسخة المغربية مما يلح على ذكرها ولو انها مطبوعة .

■■ ونشير ـ بعد هذا ـ الى ان مراكز المخطوطات التي تقع الاحالة عليها جاء ذكرها حسب الاشارات التالية :

خ ، ع ، د: قسم حرف الدال من الخزانة العامة بالرباط .

خ ، ع ، ق: قسم حرف القاف من الخزانة العامة بالرباط .

خ ، ع ، ك: قسم حرف الكاف في الخزانة العامة بالرباط .

خ ، ق : خزانة القرويين بفاس .

م ، ع ، ت: المكتبة العامة بتطوان .

المصـــــادر

أولاً: أخبار الحرمين الشريفين وما إليهما

١ ـ أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار

للأزرقي : محمد بن عبد الله بن أحمد المكي ، ت نحو ٢٤٤ ـ ٨٥٨

خ . ع ، ق ٤٣ : مبتور الاخر .

ح ، س ١٤٠ : نسخة تامة بخط عتيق مهمش ببلاغات السماع والعرض ٥٦١ ص .

٢ ـ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين

لتقي الدين الفاسي : محمد بن أحمد بن علي الحسني المكي ، ت ١٤٣٩/٨٣٢

الموجود: الأول منه .

خ . ع ، ق ٨٢٥

٣ ـ تحصيل المرام ، من تاريخ البلد الحرام

لنفس المؤلف .

خ . ق ١٢٥٠ : في جزء .

٤ ـ شفاء الغرام . بأخبار البلد الحرام

لنفس المؤلف .

خ . ق ٥٥٥ : نسخة تامة في مجلد .

٥ ـ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى

لنور الدين السمهودي : علي بن عبد الله بن أحمد الحسني المدني ، ت ١٥٠٦/٩١١ .

خ . ع ، ق ٥٣٥ : في مجلد .

خ . ع ، ك : الاول : ٢٣١٩ ، ولثاني : ٢٨٢

خ . ق ٥٤٢ : في سفرين .

٦ ـ خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى

لنفس المؤلف : اختصر به سابقه

خ . ع ، ك ٢٧

خ . ق ، ٥٤٦ في سفر

خ . ق ، ٥٤٧

خ . س ٥٠٩٨ في سفر

٧ ـ الدر الثمين في أخبار طيبة

دار الوحي والتمكين

للسخاوي : عبد المعطي بن أحمد بن محمد المدني كان بقيد الحياة قرب عام ١٥٥٣/٩٦٠

خ ، س ٨١٢٦ : في سفر .

٨ ـ الجامع اللطيف في فضل

مكة وأهلها والبيت الشريف

لابن ظهيرة : جار الله محمد بن محمد بن أبي بكر القرشي المخزومي المكي ، ت ١٥٧٨/٩٨٦

خ . ع ، ك ٢٤٥ : في سفر به ٢٤٢ ص ـ مبتور من الورقة الأولى .

٩ ـ إتحاف الكرام بفضائل الكعبة

الغراء والبيت الحرام

تأليف أحمد بن محمد الأسدي المكي ، ت ١٦٥٦/١٠٦٦ اختصره من كتابه «إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام»

خ . ع ، ك ١١٤١ ، أول مجموع .

١٠ ـ إخبار الكرام، بأخبار المسجد الحرام

لنفس المؤلف .

خ . ع ، ق ١٠٠٧ : فى جزء .

١١ ـ النبذة اللطيفة فى بيان مقاصد
الحجاز ومعالمه الشريفة

لشهاب الدين القليوبى : أحمد بن أحمد بن سلامة المصرى، ت ١٠٦٩/١٦٥٩

خ . ع ، ك ١٤١١

١٢ ـ الدرة الثمينة فيما لزائر النبى
﴿ﷺ﴾ الى المدينة

لصفى الدين القشاشى : أحمد بن محمد بن عبد النبى الدجانى المقدسى ثم المدنى ، ت ١٠٧١/١٦٦١

خ . ع . د ٩٠٩

خ . ع . د ٣٧٤٦

خ . ع . ك ١٢٢٣ : ثانية مجموع : ص ٢١ـ٢١٦

خ . س ١٢٢٤

١٣ ـ تهنئة الاسلام . بتجديد بيت الله الحرام

للميمونى : ابراهيم بن محمد بن عيسى المصرى، ت ١٠٧٩/١٦٦٩

ـ خزانة الزاوية الحمزاوية رقم ١٠٦

ـ خزانة الزاوية الحمزاوية رقم ١٨٨ : غير تام ، وهى بخط المؤلف .

خ . ع : مصورة منها على الشريط(١) .

١٤ ـ المنهج القويم فى فضل
المسجد النبوى العظيم

تأليف محمد بن عمر البالى المدنى كان حيا عام ١٢٨٥/١٨٦٨

خ . ع ، ك ١٢٢٣ : ثالث مجموع : ص ٢٣٣ ـ ٢٤٩

١٥ ـ نتيجة الألباب فى الصلاة لجانب المحراب
(محراب المسجد النبوى الشريف)

لمحمد بن خليفة المسعودى التونسى ثم المدنى ، ت ١٣١٣/ ١٨٩٥

خ . ع . ك ١٢٢٣ : رابعة مجموع . ص ٢٥٠ـ٢٦٩ مكتوبة بخط المؤلف .

١٦ ـ إتحاف ذوى التكرمة فى بيان
عدم دخول الطاعون مكة المعظمة

لابن مرداد: عبد الله بن احمد بن عبد الله المكى، ت ١٣٤٣/١٩٢٤

ح . ع ، ك ١١٨٠

١٧ ـ قرة العين فى أوصاف الحرمين

تأليف محمد المحجوبى؟

خ . س ٤٦٤٢ : ٥٨ ورقة

خ ، ع ك ١٤٤٧

بها بعض الرسوم التوضيحية .

ثانيا: الفهارس:

١٨ ـ رسالة فى الأسانيد الصوفية

لصفى الدين القشاشى : احمد بن محمد بن عبد رب النبى الدجانى المقدسى ثم المدنى ، ت ١٠٧١/١٦٦١

خ . ع . ك ١٤٢١ : أول مجموع .

١٩ ـ الأمم لإيقاظ الهمم

للبرهان الكورانى : إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الشهرزورى الكردى ثم المدنى ، ت : ١١٠١/ ١٦٩٠ وهى فهرسته الكبرى .

خ . ع ، ك ١٢١٣ : أول مجموع : ص ١ـ١٤٠

ح . ع ، ك ١٤٨٢

مذيل بتراجم أشياخ المؤلف : ص ١٤١ـ١٤٧

٢٠ ـ كفاية المتطلع لما ظهر وخفى ، من غالب مرويات
الشيخ حسن بن على العجيمى المكى الحنفى

من جمع ولده محمد، وتوفى والده عام ١١١٣/١٧٠٢ .

خ . ع ، ك ١٠٩٨ : سفران فى مجلد يشتمل على ٣٠٤ ص

٢١ ـ **بغية الطالبين ، لبيان الأشياخ المحققين المدققين**
للنخلى: أحمد بن محمد بن أحمد بن على المكى ت ١٧١٨/١١٣٠
خ . س ١٠٩١٤ ـ ٢٨ ورقة .

٢٢ ـ **الامداد بمعرفة علوم الاسناد**
اسم فهرس عبد الله بن سالم بن محمد البصرى ثم المكى ت ١٧٢٢/١١٣٤
ح . ع ك ١٢٥٤ : ثانى مجموع : ص٢٠١ـ٢٦١
خ . ع ، ك ٣١٠٤

٢٣ ـ **المواهب الجزيلة فى مرويات الفقير**
الى الله تعالى محمد بن احمد بن عقيلة
وهو من أعلام مكة المكرمة، ت ١١٥٠/ ١٧٣٧ .
خ . ع ، ك ١٢٥٤ : أول مجموع : ص ١ـ٢٠٠، وهى فهرسته الكبرى

٢٤ ـ **الفوائد الجليلة فى مسلسلات ابن عقيلة**
وهو مؤلف الفهرس السابق، فذاك فى المرويات عموما، وهذا فى خصوص المسلسلات .
خ . ع . ك ١٤١٦

٢٥ ـ **عقد الجواهر فى سلاسل الأكابر**
لنفس المؤلف .
ثبت صغير خصصه لأسانيده الصوفية .
خ . ع ، ك ١٢٥٢ : أول مجموع .

٢٦ ـ **شيم المبارق من ديم المهارق**
اسم الفهرسة الكبرى لمحمد فالح بن محمد بن عبد الله المهنوى الظاهرى المدنى ، ت ١٣٢٨/ ١٩١٠
خ . ع . ك ١٣٦٠ : فى سفر يشتمل على ٢٦٨ ص .

٢٧ ـ **صحائف العامل بالشرع الكامل**
لنفس المؤلف
ح . ع ، ك ١١٠٥ : أول محفظة

٢٨ ـ **فتح القوى . فى أسانيد**
السيد حسين الحبشى العلوى
وهو حسين بن محمد بن حسين الحبشى الباعلوى المكى ت ١٣٣٠/١٩١٢
والفهرس من جمع بعض أصحابه
خ . ع ، ك ١٣٦٢ : ضمن محفظة ١٣٩ ص .

ثالثا: موضوعات من علم الكلام:

٢٩ ـ **رسالة فى مسألة الكسب**
لصفى الدين القشاشى : احمد بن محمد بن عبد النبى الدجانى المقدسى ثم المدنى، ت ١٠٧١/١٦٦١ .
خ . ع ، ك ٣١ : فى مجموع ص ٦٢ـ٦٨
بها تشطيب والحاق كأنها بخط المؤلف .

٣٠ ـ **مسلك السداد الى مسألة خلق أفعال العباد**
للبرهان الكورانى : ابراهيم بن حسن بن شهاب الدين الشهرزورى الكردى ثم المدنى ، ت ١١٠١/ ١٦٩٠ .
خ . ع . ك ١١٠٥ : ثانى مجموع
خزانة الزاوية الحمزاوية ١٦٩ : سادس مجموع .
خ . ع : مصورة على الشريط رقم ١٦٧ .

٣١ ـ **نبراس الايناس . بأجوبة أهل فاس**
لإبراهيم الكورانى سابق الذكر عند رقم ٣٠
راجع بها الرسائل الفاسية آتية الذكر وشيكا .
ـ خزانة الزاوية الحمزاوية رقم ١٦٩ : خامسة مجموع .
ـخ . ع : مصورة منها على الشريط .

---

(١) عن ظرف تأليف هذه الرسالة والتعريف بها: يرجع الى «الرحلة العباسية» ط.ق: ١/١٤٣ـ١٤٤

٣٢ ـ اللمعة السنية . فى تحقيق الالقاء فى الأمنية
لنفس المؤلف .
خزانة الزاوية الحمزاوية رقم ١٦٩ : ثالثة مجموع .
خ . ع : مصورة منها على الشريط .

٣٣ ـ النبذة اليسيرة واللمعة الخطيرة
فى مسألة خلق أفعال العباد الشهيرة
لمحمد المهدى بن أحمد بن على الفاسى، ت ١١٠٩/١٦٩٨ .
ناقش فيها رسالة الكورانى : «مسلك السداد» . . سابقة الذكر رقم ٣٠
خ . ع ، ك ١٢٣٤ : خامسة مجموع .

٣٤ ـ رسالة فى مراجعة
«اللمعة السنية» للكورانى
تأليف محمد بن عبد القادر الفاسى، ت: ١١١٦/ ١٧٠٤ .
ـ خزانة الزاوية الحمزاوية رقم ١٦٩ : رابعة مجموع .
ـ خ . ع : مصورة منها على الشريط .

٣٥ ـ رسالة فى مراجعة
«مسلك السداد» للكورانى
تأليف محمد الفاسى سابق الذكر عند رقم ٣٤ .
خ . ع ، ك ١١٥٤ : ثانية مجموع(٢) .

٣٦ ـ كتاب التوحيد
للشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمى النجدى، ت ١٢٠٦/١٧٩٢ .
خ . ع ، ك ٣٠: فى مجموع ص ١٦٥ـ٢٢١ .
مذيل ببعض التعاليق .

٣٧ ـ رسالة فى تحليل مشاجرة عقائدية
بين المكيين والنجديين
مؤلفها محمد بن ناصر الحازمى اليمنى، ت: ١٢٠٣/ ١٨٦٦ .
خ . ع ، ك ٣٠: فى مجموع ص: ١/ ٣٩.

٣٨ ـ رسالة فى اثبات الصفات
لمؤلف الرسالة قبلها
خ . ع ، ك ٣٠ : فى مجموع ص ٩٣ ـ ١٦٤ .

رابعا: موضوعات متنوعة

٣٩ ـ الاستبصار فى أنساب الانصار
لابن قدامة : عبد الله بن احمد بن محمد الجماعيلى المقدسى ثم الدمشقى، ت ٦٢٠/١٢٢٣ .
خ . ع ، ق ٤٨٥
خ . ع ، ك ١٤٨١
١٥٢ ص .
فى سفر

٤٠ ـ غاية الإحكام فى أحاديث الأحكام
لمحب الدين الطبرى : أحمد بن عبد الله بن محمد المكى، ت ٦٩٤/١٢٩٥ .
الموجود منها أربعة أجزاء : ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦ وهو الأخير.
خ . ع ، ق ٣٨٢، بخط مشرقى :
الأول: ٦٤٤ ص .
الثالث: ٦٣٠ ص.
الرابع: ٦٧٨ ص.
السادس: ٥٤٤ ص.

٤١ ـ ذيل التقييد
للتقى الفاسى : محمد بن أحمد بن على الحسنى المكى، ت ٨٣٢/١٤٢٩
ذيل به على كتاب «تقييد، لمعرفة رواة السنن والأسانيد» لابن نقطة الحنبلى .
خ ، ع ، د ١٧٨٨ : فى مجلد من قطع صغير يشتمل على ٦٣١ ص بخط شرقى .

٤٢ ـ مختصر حياة الحيوان للدميرى
تأليف التقى الفاسى: محمد بن احمد بن على الحسنى المكى، ت ٨٣٢ / ١٤٢٩.
خ. ع، ك ١٦١٨

٤٣ ـ هداية السبيل فى شرح التسبيل
مؤلفه عبد القادر بن أبى القاسم بن احمد الأنصارى السعدى العبادى المكى، ت ١٤٧٥/٨٨٠
الموجود منه الجزء الثانى.
خ. ع، ق ٦٣٦

٤٤ ـ حاشية على التوضيح لابن هشام
لنفس المؤلف.
خ. ع، ك ١٧٠٧.

٤٥ ـ العقد الفريد فى أحكام التقليد
لنور الدين السمهودى: على بن عبد الله بن احمد الحسنى المدنى، ت ١٥٠٦/٩١١.
خ. ع. ك ٢٨١٠

٤٦ ـ جواهر العقدين فى فضل الشرفين
(شرف العلم وشرف النسب)
لنفس المؤلف.
خ. س ٣٥٣٢: فى سفر
خ. ع. ق ١٠٢٥: فى سفر

٤٧ ـ شرح كتاب الشامل لبهرام فى الفقه المالكى
الشارح هو السخاوى: عبد المعطى بن احمد بن محمد المدنى، كان بقيد الحياة قرب عام ٩٦٠/ ١٥٥٣.
خزانة الزاوية الحمزاوية رقم: ٣٣٨.

٤٨ ـ الآيات المقصورة على الأبيات المقصورة
مؤلفها هو الطبرى: عبد القادر بن محمد بن يحيى الحسينى المكى، ت ١٦٢٤/١٠٣٣.
وهى شرح على المقصورة الدريدية.
خ. ع، ق ٩٢٤: فى جزء به ٤٦٠ ص.
م. ع، ت ٣٤٠: فى جزء

٤٩ ـ وسيلة المنال فى عد مناقب الآل
مؤلفه هو باكثير: احمد بن الفضل بن محمد الحضرمى المكى، ت ١٦٣٧/١٠٤٧.
خ. ع، ك ٦٠٦ فى جزء مشتمل على ٢٥٩ ص.

٥٠ ـ رفع الخصائص عن طلاب الخصائص
مؤلفه محمد على بن محمد بن علان البكرى الصديقى المكى، ت ١٦٤٧/١٠٥٧
وهو شرح لأرجوزته التى نظم فيها «أنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب» للسيوطى.
خ. ع، ك ٨ ـ ٣٣٠ ص

٥١ ـ التذكـــرة
تأليف حنيف الدين بن عبد الرحمن بن عيسى العمرى المكى، ت ١٦٥٧/١٠٦٧.
خ. ع، ك ٩٥٩
وتقارن مع رقم خ. ع، ك ٤٤٩

٥٢ ـ شرح الحكم العطائية
لصفى الدين القشاشى المتكرر الذكر.
خ. ع، ك ٢٥١٢

٥٣ ـ تاج المجاميع
مؤلفه احمد بن تاج الدين احمد بن ابراهيم المدنى، ت حدود ١٦٨٩/١١٠٠.
جمع فيه ما وقف عليه من كلام والده نظما ونثرا، وأسئلة وأجوبة، ومكاتبات وعقودا، فجاء فى مجلد ضخم.
خ، ع ك ٦٠٢: ٧١٠ ص.

---

(٢) عن مناقشات شيوخ المغرب لأفكار الكورانى يرجع الى «نشر المثانى» مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء: ٨/٣ ـ ١٥.

٥٤ ـ البرد المحبر الحواشى، فى نبذة من ترجمة القطب سيدنا احمد القشاشى

للبرزنجي: جعفر بن حسن بن عبد الكريم المدنى، ت ١١٧٧/١٧٦٤.

خ، ع، ك ١٢١٣: ثانى مجموع ص ١٤٨-١٦٦.

مذيل بوفيات وتراجم: ص ١٦٧-١٧٦.

٥٥ ـ تحفة المحبين والأصحاب فى معرفة ما للمدنيين من الأنساب

للأنصارى: عبد الرحمن بن عبد الكريم المدنى، ت ١١٩٥/١٧٨١.

خ. ع، ك ١٢٢١: فى سفر مشتمل على ٣٠٠ ص.

٥٦ ـ ديوان شعرى

نظم محمد عابد بن احمد بن على السندى الانصارى نزيل المدينة المنورة ت ١٢٥٧/١٨٤١.

خ. ع، ك ١٧٥٦: فى جزء يشتمل على ٨٥ ص.

٥٧ ـ رسالة فى حكم التوسل

تأليف محمد عابد بن أحمد بن على السندى الأنصارى نزيل المدينة المنورة، ت ١٢٥٧/١٨٤١.

خ. ع. ك ١١٤٣، أول مجموع ص ١-٦٠.

٥٨ ـ شرح رسالة أبى بكر الصديق لعلى بن أبى طالب

تأليف محمود بن محمد نسيب بن حسين الحسينى الحمزاوى الدمشقى، ت ١٣٠٥/١٨٨٧.

خ. ع، ك ٣٥٥.

٥٩ ـ ديوان شعرى

نظم محمد بن خليفة المسعودى التونسى ثم المدنى، ت ١٣١٣/١٨٩٥.

خ. ع، ك ٣٠٧٤. ست ورقات.

خامسا: رسوم لبعض الآثار الشريفة

٦٠ ـ رسم للبيت الحرام

من وضع احمد بن على الزبادى الحسنى الفاسى، ت ١٤٤٧

أثبته عبد المجيد الزيادى شفيق الرسام: فى رحلته

خ. ع، ك ٣٩٨ ـ ص ١٧٦.

٦١ ـ ١٠ رسوم للنعال النبوية الشريفة

فى كتاب ذخيرة المحتاج .. لمحمد المعطى الشرف العمرى.

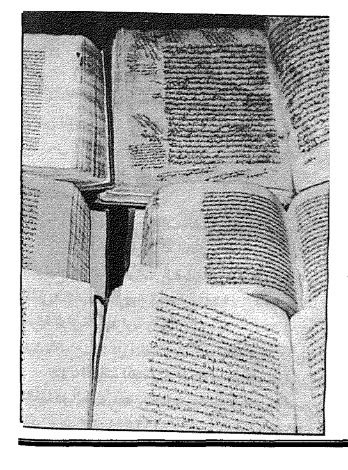
مجلد خ. س ٧٩٥٢

مجلد خ. س ٧٨٧٥.

٦٢ ـ رسم محراب المسجد النبوى

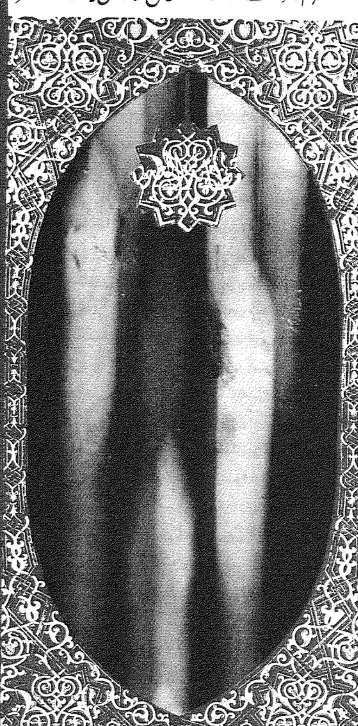
فى كتاب «ذخيرة المحتاج».. لمحمد المعطى العمرى.

مجلد خ، س ٧٩١٢: فى سبعة نماذج.



المختار

إذا الشعر لم يهززك عند سماعه فليس خليقاً أن يقال له شعر



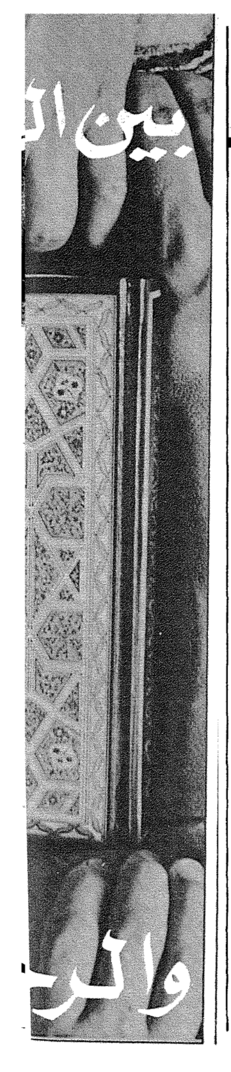
العدد ٥١ جمادى الثانية ١٤١٠هـ

المشرف

محمود كارت

قصائد العدد

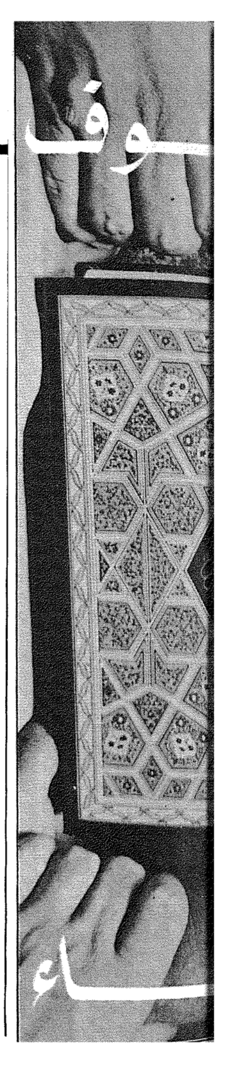


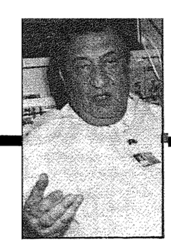


هى الساعات تخترم الامانى
وتدني فى تسربها الاوانا
وتستعدى من الواعى بدارا
واعدادا ليستبق الزمانا
فمالى لا أبالي والليالى
تنبهنى بأن الوعد حانا
وان الله وقت لي قدومي
ويطوى خطوتى انا فانا
اتضطرب المشاعر فى كيانى
ويغمرنى شجى فعم الكيانا(١)
ويربكنى التهيب عن مضاء
الى الهدف الذى ملك الجنانا
والبث فى تعلات وهاة
وأزعم أن قصدى لا يدانى
وحتام التحير والتواني
وسيف الوقت يقطع من توانى
ولا أدرى وقد أنفقت عمرى
متى أصحو؟ فخيط الفجر بانا
غدا قد ألطم الخدين حزنا
وما الجدوى؟ وما قد كان كانا

* * *

أيا ربا برحمته تولى
خلائق ملكه ورعى وصانا
عبيدك لا ينى يدعو ويرجو
وما خاب العبيد بك استعانا
هو الخطاء والنزغات شتى
يغالبها وتوسعه حرانا
أعنه على تجاوز ما يعاني
فانت ولي من أكدى وعانى(٢)





شعر

عمر بهاء الدين الاميري (المغرب)

لقد قرب اللقاء فكيف يرقى
اليك وذنبه اربى ورانا
تجل على عزيمته ليسمو
من الوهدات يمتشق الرعانا
وأشرق فى جوارحه ليغدو
بمجدك فى الوجود اعز شانا
لقد غلب الرجاء عليه لما
رأى الاعك الجلى عيانا
فانت حبوته الاسلام دينا
على توحيد قدسك فاستبانا
وأنت قد اصطفيت له انتماء
إلى النسب المعلى لا يدانى[٣]
وأنت خلقته عبدا أبيا
من الاحرار يأنف أن يهانا
وأنت وهبته الذوق المصفى
وانت منحته النفس الحصانا
وأنت جعلته عفا كريما
ولو ارخت له الدنيا العنانا
أجل لكنه الخطاء مهما
تحرى رشده يهوى الحسانا
وها قد جاء معترفاً مقرا
يعوذ يلوذ فامنحه الامانا

الهوامش

(١) فعم: ملأ: غمر
(٢) أكدى: افتقر بعد غنى، خاب، ويقال: أكدى الحافر: بلغ الكدية فلا يمكنه أن يحفر
(٣) اشارة إلى النسب النبوى الأطهر.





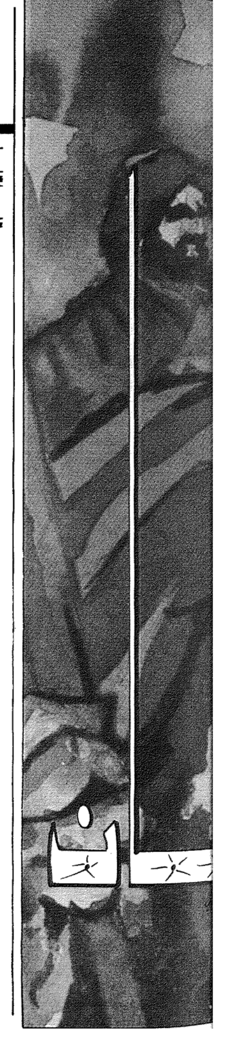
جذب الجمال إليه عاشقة
وأنا عشقت المجد والشمما
ولقد أقول لكل سانحة
تبدو وبارحة بددتموا الظلما
سيروا بنا قدما بلا نصب
وتسنما - بوركتما - القمما
إنى لذو قلب بلا أمل
إلا لما يستنفر الالما
فهو الذى يرعى ضمائرنا
ويقودها لتطهر الذمما
فلقد شقيت بما أكابده
حتى ألفت الاين والسقما
فتبديا لى نعمة هزمت
روحى بها الاسواء والنقما
فكرت فى الالاء فارتجفت
نفسى التى تستمرئى النعما
فزعت وقالت .. انها نعم
تغرى وقد تتألف الخدما
فأجبتها لا تحزني .. وثقي
أنى بها أتوسم الهمما
تلك التى لم تحن قامتها
إلا لمجد يرفع القيما..
أفلا أمهد دربها بيد؟
تستعذب التكريم والكرما؟
كيما أسير بجنبها وأرى
قمم الذرى تستعجل القدما؟.
ولكى تناجى الروض ينفحها
بوروده .. وتودع السلما

***

ما ثم فى هذى الحياة ضحى
يبقى لنا - ويطارد العدما
كلا فإن دجاه يغمره
بظلامه .. ويبدد الحلما

***





شعـــــر

محمد حسن فقى

ولـقـد أقـول لكـل طاغـيـة
ظن الـخـلـيـقـة كلهـا غنـمـا
ورأى ذخـائـرهـا له سلعـا
بيـعـت له.. فاخـتـار والـتـهـمـا
ثم اسـتـدار لهـم ونـاولـهـم
منـهـا الـخـسـيس الـنـزر والـلـمـا
متـنـفـجـا أن كان ذا كـرم
يصـل الـضـعـيـف.. ويـبـرىء الـذمـمـا
إحذر فقـد تنـحـط فى درك
أن كـنـت جبـارا ومـغـتـنـمـا
لا تنـخـذع بالـضـعـف تظهـره
لك أنـفـس تطوى لك الـنـقـمـا
قد تسـتـبـيـن لك الـبـغـاث غدا
صقـرا.. وأنـت تظنـهـا رخـمـا
ولـرب بركـان تحـط به
سكـنـا ويـقـذف جوفـه الـحـمـمـا

* * *

خذنـى الـيـك.. فلن تمـكـنـهـم
منـى.. لكـيـلا يحـطـمـوا الـقـلـمـا
إنى أرانـى فوق أرؤسـهـم
أشـدو ولا أسـتـكـره الـكـلـمـا
وأراهـمـوا لحـمـا على وضـم
فتـعـاف نفـسـي الـلـحـم والـورمـا
وأخـاف ان أغـدو بلا رحـم
بيـن الـذيـن تحـيـفـوا الـرحـمـا
وتـنـصـبـوا كرهـا لنـا حرمـا
فى حـيـن مـا كانـوا لنـا حرمـا
فلئـن كتـمـت ومـا أعـالـنـهـم
بغـضـا فرب مخـاصـم كتـمـا
ولـرب عمـلاق ينـاصـبـه
قدر فيـركـب ظهـره الـقـزمـا

* * *

إنى لأكـرم من مبـاذلـهـم
وأجـل من أن أعـبـد الـصـنـمـا



زفـــ

شعـــــر

احمد خليل عبد الجبار

ماذا تخـبــىء يا قدر؟

أتـرى الـســرور أم الـكــدر؟

انــا من عرفــت على الاســى

واذا صبــرت فمــن صبــر

كأس الــحــيــاة شربــتـــهـــا

حمــمــا وحــطمــت الــوتــر

ونـــســجــت لليــل الــحــزيــن

بأدمــعـــى الــثــوب الــسمــر

كن غاضــبـــا او مدلــهــمـــا

إن أردت ومــكــفــهــر

او فابــتـــســم لى إننـــى

أهـــوى ابـــتـــســامــك يا قدر

شدوى على نايـــى الــشـــ

ـــجى يشــوقــه سحــر الـقمــر

وفـــؤادى الـــثـــمــل الـــفـــتـــ

ـي تلذه ذكــرى الـــصـغــر

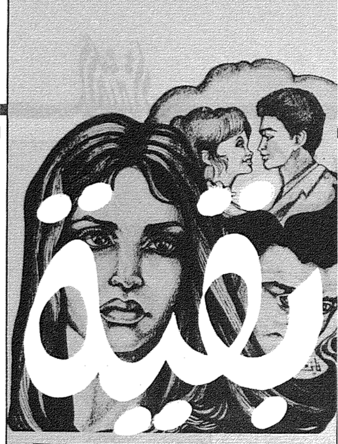
آه لآمـــال الــحــيـــاة

ومـــا طوت بيـــن الـــصــور





ـى يمـر وأمـسـى الـ
ـدامـى على كفـى احـتـضـر
ـدى ولا أدرى
أيـخـلـد ام يروح ويـنـدثـر
ـدو الـزمـان لنـاظـر
ى بقـبـضـة الـمـوت الاشـر
ـن الـفـنـاء ارى الـحـيـا
ة كبـرعـم غض بدر
ـو بأوقـات الـربـيـ
ـع وتـسـتـفـيـق وتـزدهـر
ا الـخـريـف أتـى وأذبـلهـ
ـا تداعـت كالـزهـر
ـفـى تمـر بهـا الـنـسـ
ـائـم والـزعـازع والـعـصـر
ـدا يكـفـنـهـا الـقـ
ـضـاء فلا شـبـاب ولا كبـر
الـخـلـود من الامـا
نى تسـتـجـد وتسـتـقـر
ـب الـنـفـوس ضـرا
مهـا وضـرام امـالـى شـرر

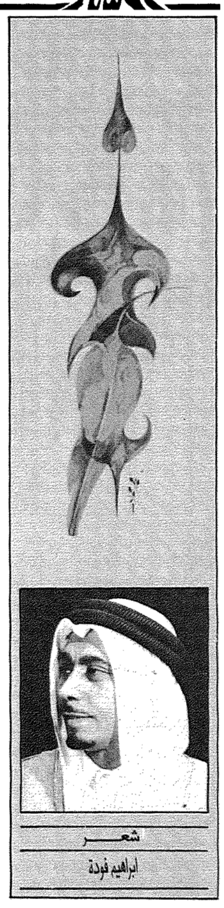






وطفقت أستهدى النجوم ، ولا نجوم على سمائى
غارت .. وغرت ، وغار ما قد كنت أحسبه رجائى
وظللت لا نفسي معي .. كلا .. ولا قلبى وعائى
ياعمر .. ما صنعت بك الايام ، والايام واسعة الفضاء؟
ضاقت على رحباتها ، وانفض سامرها إزائى
أو كيف .. يخذلنى الربيع، وكيف يمعن فى التنائى
وتظلنى شمس الخريف .. وبرده ، وكلاهما جم البلاء
رفقا ، فما أنا حمل اكثر من عدو .. فى لقاء؟
يا ساعة للياس يحملها الضمير، ويستثير بها مضائى
لا .. لا .. لن استلين، ولن تنالى من بنائى
أنا صامد بالله يا عهد العواصف فاقلعى الا ولائى
ستظل تربطنى بإيمانى حبائل فى بقيتها بقائى

ثنائيات



عرفتك

عرفتك منذ اليوم يا حسن الاسم
ولست حسينا فى الفعال ولا النفس
ولا ذنب للاباء فى طيب ظنهم
اذا خاب فى أبنائهم وهج الحدس

عسى

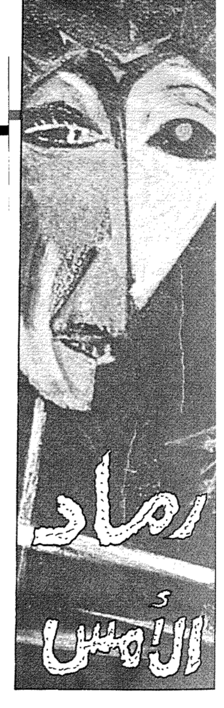
ذقت فى حبك صبرا
لم اذقه فى حياتى
فعسى ألقى على
كفيك احلى أمنياتى

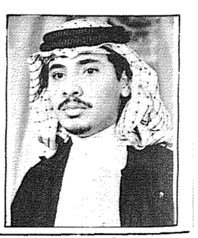
شوك من الشوق

أبيت على شوق وأصحو على شوق
وأحصد من شوقى (ركاما) من الشوك
فلو كان (شوقى) فى مكانى لما جنى
من الشوق إلا ما جنيت من الهلك

الانذال والرجال

ما أجهل الانذال بالرجال
وان دروا حقائق الانذال
وأعرف الرجال بالرجال
وحالهم فى سائر الاحوال





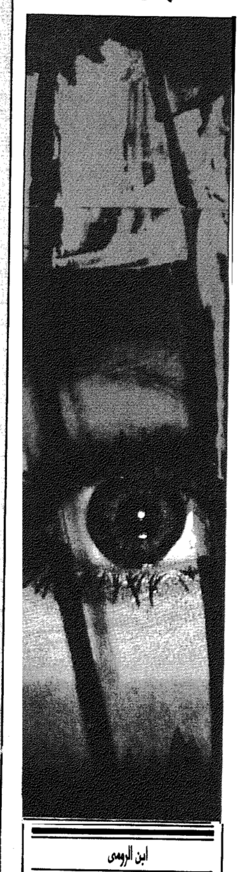
شعر

حسين أحمد النجمي (أبها)

عودي بحبي إلى أيامه الاولى
وأغمدي صارماً بالغدر مسلولا
واستنزفي كلمات العشق من شفتي
فخافقي قد غدا بالهجر مشلولا
وأشفقي بغريق عز منقذه
قد صار فى غابة الالام معزولا
وأشعلي فى رماد الامس جذوته
واسمعيه كلام العشق معسولا
صلى حبالك بالماضى وقصته
فقلبه لم يزل بالامس موصولا
مدي اليه يدا بيضاء تنقذه
فإنه قد غدا بالحزن مشغولا
أضحى يهيم بلا درب يسير به
كأنه من هموم القلب مخبولا
وصار ينظر للدنيا ويقرأها
كقصة ملئت زيفاً وتهويلا
أو أنها حلم حارت عقولهم
فى أن تصيب له معنى وتأويلا
فهام يسبح فى أرجائها ولها
عرضاً يجوب بلاد الله أو طولا
زاد الحنين به حتى غدا حلماً
مجسماً من رؤى أيامه الاولى
لاحت له ذكريات الامس باسمة
ولم يزل حلم الايام مأمولا
فقد أذاب عناء الروح قوته
فصار يحسب جد الجد تمثيلا
لا تتركيه بليل الهم يسحقه
وأشعلي فى ظلام اليأس قنديلا
وأكرميه بحب خالد أبدا
وألبسيه من الافراح إكليلا
لا تتركيه ببحر الحزن يغرقه
مدي إليه من الامال جندولا

المختار

صحبة الناس



عدوك من صديقك مستفاد ... فلا تستكثرن من الصحاب(١)

فإن الداء أكثر ما تراه ... يجيء من الطعام أو الشراب(٢)

إذا القلب الصديق غدا عدوا ... مبينا(٣) والأمور إلى انقلاب

ولو كان الكثير يطيب كانت ... مصاحبة الكثير من الصواب

ولكن قلما استكثرت إلا ... سقطت على ذئاب في ثياب(٤)

فدع عنك الكثير فكم كثير ... يعاف(٥) وكم قليل مستطاب

وما اللجج الملاح بمرويات ... وتلقى الري في النطف العذاب(٦)

ابن الرومي

---

(١) يعني كثيرا ما تنقلب الاصدقاء: فلا تكثر من الاصحاب فتزيد في الاعداء

(٢) أكثر الادواء تأتي من الاغذية.

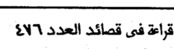
(٣) عظيما

(٤) يعني في ثياب ناس.

(٥) يكره.

(٦) اللجج جمع لجة، والملاح جمع مليحة أي ظاهرة الحسن بمرويات بمزيلات العطش: لان ماءها ملح أجاج. والنطف جمع نطفة.

أسطر في الشعر



قراءة فى قصائد العدد ٤٧٦

بقلم: محمد السمان (السودان)

حتى لا أظلم شعراء هذا (المشتار) وحتى لا أظلم نفسى أيضا فهذه الاسطر ليست قراءة، وانما هى خواطر جاءت على استحياء.

انكرتنى نفسى

محاولة شد عنيف لمشاعر القارىء حتى ليحوله فى لحظة واحدة من مجرد قارىء يستمتع بقراءة أبيات وهو متكىء على أريكته، الى متعاطف معه فى مشاعره وأحاسيسه، بل الى مشارك له تماماً فى مآسيه وآلامه.. «انكرتنى نفسى» انكار لنفس للنفس لابد له من مقدمات طويلة تسبقه ومن مسببات عدة تسوق الى ذلك.. ولكن هذه الأنفاس القلقة ـ أنفاس هذا الصبى البائس ـ ليس لديها من امتداد الزمن النفسى الا بقدر ما يوصلنا الى هذه النتيجة النهائية (انكرتنى نفسى) فليس لديه الوقت ليذكر الحيثيات فالحيثيات والمقدمات من شأن المتمهل.

وبعد جهد جهيد نسمع قوله: «وانكرنى الناس» ولعل هذه لم تأت أيضاً إلا إجابة سريعة لعلامات استفهام متلاحقة اخترقت أذنيه.. لماذا؟ لم..؟ ما السبب؟.. «وأصبحت بينهم كالهشيم» ما هذا الكرم.. لا نؤلم هذا الصبى اكثر مما هو فيه من ألم.. فهو لا يطيق جحيمه.. صورة شاخصة للصبى.

مخشوش يشق أديمى ـ فى الدرب ألف رجيم ـ فواجعى وكلومى ـ غريم وخصيهم ـ أرهقتنى ـ ويل الرضيع ـ ويل اليتيم ـ وخز ـ انداح بعيداً عنى ـ حرباً طحونا ـ ثناءيت عن حطامى.

■ الاستاذ الشاعر محمد حسن فقى فى قصيدته (يارب) يجبهنا بهذه التعابير والكلمات أليمة الوقع على النفس، وهذه الكلمات فى جملتها تكون اللبنات التى ابتنى بها الشاعر شباب هذا الصبى.. فقد فرك هذا الصبى عينيه من نعاس كئيب ليجد نفسه يتيماً يتقلب فى مخشوشن يشق أديمه.

«فالصبا الغض. ما ألذ الصبا الغض وأحلاه..».

أيام مضت لم يجد فيها صباه.. هذا الصبا الغض الذى ينعم به أترابه قد تجافاه..

ارهقتنى رؤاه يتماً، وما أقسى حياة على الصبى اليتيم.

وتأملت فى الوجوه اللواتى حضنتنى وجلها من حريم وقد لا يكون فى حضانة الحريم غرابة، وقد يبدو الامر عادياً ولكن تكبر المأساة فى عين هذا الصبى عندما يكتشف:

فوجدت الحنان يرنو الى المال، ليغدو حنان قلب وخيم.

وهنا تتضاعف مأساة هذا الصبى البائس وتزداد همومه ويصبح الاسى رفيقه:

وتلبثت فترة راعنى اليتم بها، كارتياعه من رقيمى
لكأنى أصغى إليه وقد راح يناجى تخبطى ووجومى

وتدفعه هذه القسوة دفعاً ليصرخ فى وجه الحياة.

ويل هذى الحياة من عنت الناس، وويل الرضيع، ويل القطيم

سحابة من الحزن داكنة تغطى سماء هذا الصبى، ويبقى أمل الآيس يحمله بين جفنيه

«فرب سموم عاد برداً»

المشتار

هذا الصبى يحمل نفساً أبية . . نفساً بعدت عن حطام الدنيا، والمجد المزوّق، وكان تغنيه بها :

فربحت الضمير ما أفدح الخسر لعادٍ على الضمير الكريم .
ويمضى الدهر راكضاً يصرم العمر.
فرأيت العجاب فيه وأهليه ، فمن مترف ومن محروم
وأثيم يزهو على الناس بالاثم وينأى به عن التحريم
وظلوم يلهو بسيف ورمح ويباهى بالهدم والتحطيم

■ ولعلى به يصيح بأعلى صوته «هذا زمانك يا مهازل فامرحى . . »

ويهدينا الشاعر خاتمة قصيدته حكمة سائرة، وموعظة غالية .

يا نديمى لقد عزفت عن اللهو
وأمسى شيبى الوقور نديمى
لن تروع العقبى الوخيمة إلا
كل من سار فى الطريق الوخيم

■ لا ندرى أيهما أهلك صاحبه . . الليل . . أم الشعراء . . الليل يشهد مساقط دموع العاشقين ويحتضن لوعتهم . . والليل أيضا أمين سر نجواهم . . وهذا لسان الشاعر عبد الرحمن صالح العشماوى يشهد بذلك :

اجتر فى جنح الظلام مواجعى
وأبث فى سكن الوجود ندائى
وألون الليل الطويل بحسرتى
فكأنه مستودع لشقائى

■ ورغم هذا التواد والأخوة الحميمة بين الليل والشاعر فإنه يعلن جهاراً .

«يهفو الى ضوء الصباح مسائى» . . مادامت الذكريات والهموم قد اسهدت ليله فمن حقه اذن ان يتوق الى خيوط الصبح تنسل بيضاء من هديل الليل الداكن . ومن حقه ان يتساءل أيضاً : «ما بال الصباح ورائى»؟! .

الذكريات وكل اغنية على
شفة الضحى ذابت وكل حداء
حجب مكشفة عليك، وانما
يزهو ضياء البدر فى الظلماء

■ أحب ، وتغنى للحب :

ومضيت فى دربى إليك يزفنى
شغف يشب النار فى أحشائى

■ وعرض فى الابيات التالية كل مقومات هذا الحب، مقداره ودواعيه، ثم يأتى لينسف هذا الحب بحيثية لا تدخل فى قاموس المحبين، بل هى أقرب إلى القاموس التجارى العطاء والأخذ :

أو تدعى حبى فأين عطاؤه
أسمعت عن حب بدون عطاء

■ وقبل هذا بعدة ابيات نسمعه يقول :

من مقلتيك شربت كأس سعادتى
ونسجت كل قصيدة عصماء
أفرغت فيها ذوب احساس، وها
أنذا أقدمها على استحياء

■ ثم نسمع منه بعده :

يا صاحبا عبث الغرور برأسه
فكوى بنار غروره أحشائى

■ وعلى كل فانا نجد العذر للمحبين، اذ أن الحب يبقى المعزوفة الجميلة فى نفوسهم وما قد يبدو من شدة او مشادة لا يعدو ان يكون عتباً رقيقاً .

ولعلنى قد توقفت كثيراً فى آخر القصيدة إذ ان خاتمتها لم تأت بقوة بداياتها . . فبعض الأبيات فى آخر القصيدة أميل الى رصد حقائق بدهية مقررة :

اسمعت عن شوق بدون تحرق
اسمعت عن ارض بدون سماء
اسمعت عن ليل بدون ظلامه
اسمعت عن فجر بدون ضياء

●● **فصول كأهوال الخطوب كثيرة**
وهل لك فى شر نصيب به عدا
ولما تجافتنى الحياة بما دجت
وأخلف عنى ما توسمته رغدا

■ الدكتور ابراهيم السامرائى عالم لغوى متمكن، وشاعر يملك ناصية الكلمة، ولا نود أن ندخل فى الجدال المعهود . . القائل : ان العلماء اكثر عقلانية فى قصيدهم . . وان كنت لا أرى سبيلا لفصل العقل عن العاطفة ، بل عدم الاستغراق فى احدهما دون الآخر.

وشعر الدكتور السامرائى فيه الرصانة ودقة الكلمة وحسن تخيرها والبيتان السابقان يمثلان دفقاً نفسياً، يرتب عليه الشاعر ما يذهب اليه من اختيار:

أذنت لنفسى ان تفيىء إلى هوى
وان تبتغى ما كان فى نهجها أهدى

* * *

هوى أتصبى فيه صوناً وعفة
ولست به عما شقيت به فقدا

وجــدت به لى صاحــبــاً لا أمــلـه
هو (الحــرف) لا أنفـك اصغى له الحـمـدا

■ وهـذا الاختيار (الـرحب) لا يكفيه لعزاء نفسه، وما وصـل اليه الا بالصبر والجلد، وأخذ النفس على مدارج الشدة لنسطر ذاتيتها ويستبين لها الطريق.

■ عشر مقطوعات موسيقية منسقة، منمقة ضمتها هذه القصيدة الرائعة تسير كلها فى مواكب الجمال والشباب.. كل مقطوعة فيها تغنى اوتارها أربع معزوفات:

هتــف الـكــون وغـنـى بالـنـشـيـد الـعـلوى
وانـشـنـت دنـيــا الـليــالى بالقصيـد العبقــرى
أنـفس تصبــو وارواح على الـنــاى الـشـجى
هدهــدتهـا نشــوة المـهـمــوم فى كاس وضى

■ كلمات هذه القصيدة (المعزوفة) سريعة الوقع، راقصة.

كل طيــف يتراءى كخيــالى فى الـتـمـنــى
يا حبــيـبـى هذه لـيـلتـنــا هيــا نغـنــى
انــت فى فكــرى أحــلامى وفى دنيــاى فنى

●● آهة حرى على الشعر الذى ضاع خلف غيوم الرمز، يرسلهـا الشـاعر عبد الفتاح محمود فى قصيدته (يا ملهم الشعر) ولا شك نتعاطف معه فيما ذهب إليه، وان كنا نرى بين هذا الركام الجميل الرائع الذى يستحق ان نقف عنده.

وختم قصيدتـه بقـوله: «واعذب اللحن ما غنى به السلف» انعطافة جميلة منه ورباط وثيق بسلفه، لكن مع اختـلاف الـزمـان والمكان وطبيعة البيئة واتجاهات الفكر والرؤية نجد الآن من أجاد إجادتهم.

●● عنـدما يتلاقى الأحبة تصفق لهم بلابل الزمن - أو هكـذا يتخيلون - ولا بأس عليهم فيما تخيلوه أو ظنـوه، مادامت ليالى الصفاء، وامتدت خيوط الفجر الناعمة بين قلبيهـما تضيء هذا الأفق الواسع الممتد وفى ضوء هذه الخيوط المضيئة نستمع لنبض الشاعر الدكتور نور الدين صمود:

ورحـــنــا نـســابــق أحــلى الأمــانــى
ونـــجــرى وراء طـيــوف الحــنــان
نغــنــى لحـون الــوفـــاء
كسرب طـيــور الــربــيـع

■ وما أجمل هذا النبض الرائع من الصفاء:

أحــبــك رغــم ابــتــعــاد المــكــان
وأهــواك رغــم حدود الــزمـــان

■ أليس الحب نجمة سارية فى الأفق الواسع لا تحجزها أو تحجبها عن الأعين حدود دولية أو اقليمية.. وهكذا قلوب المحبين لا يحجبها عن بعضها (ابتعاد المكان) أو (حدود الزمان).. ومع هذا التسامح الرائع ينكسر امتداد زمان (الصدود والجفاء):

سنـحـيـا بعـهــد جديــد
نـــردد أعــذب لحـــن
ونـنـســى زمــان الــصـدود
ونــقــضــى الحـيــاة نغــنــى
ونــزرع أحــلى الــورود
ونــقــطف من كل غصـــن

■ هذا الحب المتسامح، والود المتعالى عن حدود الزمان، كم تمنينـا ونتمنى ان يكون هذا الانموذج الرفيع دستور هذه الحياة الكدرة المقفرة.

يا جيرة الحــى.. قد أودى بى الألم
واهــتــاج جرحــى، ومــا أنـفــك أتهم

●● اذن الشاعر ينبئونا عن جرح سابق لم يندمل.. وتهتاج آلامه حيناً فحينا.. الشاعر عبد الله السيد شرف يحمل فى راحتيه قلباً جريحاً ما ذاق طعم الهناء الا أيام الطفولة والصبا:

عهــد الـطفــولــة لاهــم ولا شجــن
والــروح من جهـلهــا بالـفــرح تعـتـصم

■ ويأتى زمـان النكد، هذا الزمان الاغبر ليهيل التراب على ايام الطفولة الحالمة:

دنــا من الــوهــم ما تفــك خادعــة
أودت بنــا.. فزمــان الــسـعــد منهــدم

■ ولكن يبقى السؤال من أدخـل هذا الـوتـر النشاز فى معزوفة الحياة الجميلة لعلنا نحن بأنفسنا واختيارنا قد فعلنا ذلـك.. كدرنـاهـا فتكـدرت، وأيام الطفولة اصطبغت بصبغة النقاء والطهارة فجملت..

ويظل الشـاعـر ينـادى جيرة الحى حينا، ويستغيث حيناً، ويتذاكر معهم أيام السعد والهناء.

يا جيرة الحــى مازلــنــا يراودنــا
ذكــر الهــنــاء يـبــاديـنــا فنـبـتــسـم
يا جيرة الحــى ان الــشــوق يجذبـنــى
والــعــمــر أضــحــى شقــاء هده الضرم

■ فهل لجيرة الحى من سبيل..؟!.

عبد القدوس الأنصاري

- هل بلغ العقاد سوء الأدب حتى لا يكرم أنصاريا لفضله
- جمع الأنصاري في ساحة المنهل بين الأساتذة والتلاميذ وكان
- كان عبد القدوس الانصاري ـ الطالب ـ من لدن دراسته في المدرسة
- كان الانصاري لا يبتسم لشيء قدر ما يبتسم للدرس والكتاب واكب عل

حينما قدمت الوفود العربية لمبايعة أحمد شوقى بإمارة الشعر، أنشد فى مهرجانه الرائع قصيدة قال فيها:

يا عكاظا تألف الشرق فيه
من فلسطينه إلى بغدانه
أفتقدنا الحجاز فيه فلم نعثر
على قسه ولا سحبانه

فكان قوله الناقد ينبىء عن حقيقة أليمة.. هى تأخر النهضة الادبية فى الحجاز إذا قيس انتاجه الفكرى باثار الدول الشقيقة. ولم يكن شوقى فى قوله يحمل روح التعالى كما توهم بعض من نقدوه، ولكنه كان يحمس فريقا من أدباء الحجاز كى ينهضوا فى مقدمة الركب الادبى، وهذا ما كان، فقد انبرى فريق للرد عليه موضحا ما نشأ فى روضة الحجاز الطاهرة من براعم توشك أن تتفتح عن أزاهير، كما اعترف فريق اخر بصحة ما قال شوقى مبينا الاسباب الحقيقية لتأخر النهضة الادبية فى الحجاز ومن هؤلاء الاستاذ (عبد القدوس الانصارى) حيث قال:(1)


ـ عبد القدوس الانصارى ـ

«إن انتقال الفاتحين الماهدين من هذه الربوع إلى أقطار العالم لنشر الهداية. قد نقل معهم بذور دوحة الشعر، إلى تلك الأقطار،

في ذكراه السابعة

...مه وأدبه وجواره لرسول الله ﷺ.

«عباس محمود العقاد»

المنهل متنفسا مريحا للصفوة.

...شغوفا بمسائل الأدب واللغة والتاريخ.

...باب من لا ينشد مجرد النجاح.



بقلم: د. محمد رجب البيومى (مصر)

فصوح منها موطنها الاصلى فيما بعد وقد خلت البلاد بسبب انتقال أولئك الفاتحين من بلادهم الى بلاد أخرى من كل نشاط دينى أو اجتماعى أو سياسى أو عمرانى أو اقتصادى أو أدبى، ثم مضت البلاد فى متاهة من الفوضى واختلال الأمن وشلل القدرات حتى كادت تفقد كيانها وذاتيتها فى غمرة الاحداث. وهكذا صار فى المؤخرة من كان فى الطليعة».

هذا عن الوضع العام، أما الحالة الأدبية فى الحجاز فى مفتتح هذا العصر، فقد عبر عنها الأستاذ عبد القدوس الانصارى حين قال(٢).

كانت الحياة الأدبية عندنا فيما قبل الحرب العامة الماضية تجرى على سنن أدباء القرون الوسطى جريا تقليديا محضا، ميكانيكيا خالصا، قصائد غزل ورثاء، ومدح وهجاء، وتطريز وتشجير، ورسائل معذرة واطراء، وعتاب وتواصل وتقاطع، وكانت هذه الرسائل وهاتيك القصائد منهوكة القوى المعنوية بما تحمله دواما من أغلال السجع المرهفة واتقان المحسنات البديعية الجافة، فللألفاظ فى الأدب عامة المقام الأول، أما المعانى فهى فى الدرجة الثالثة أو الرابعة فى الأهمية، وبقدر اقتدار الأديب ناثرا أو شاعرا على تنميق الألفاظ يقاس أدبه، وبموجبه يصدر له أو عليه الحكم».

فى هذا المحيط الأدبى نشأ الاستاذ عبد القدوس الانصارى حيث رأى النور بالمدينة المنورة سنة ١٣٢٤هـ، وقد تربى يتيما فقد أبويه معا قبل أن يبلغ السابعة من عمره، ولكن الله هيأ له عالما فاضلا هو خال أبيه فشمله برعايته القصوى ماديا وعلميا اذ أن الشيخ محمد الطيب الانصارى كان من وجوه العلماء بالحجاز وله رياسة






الزيات — جورجي زيدان — محمد سعيد العامودي

علمية بمـدرسـة العلوم الشرعية التي أنشـأهـا السيد احمد الفيض أبـادي، فعمل الخال الكريم على ان يلتحق النـاشيء بالمدرسة بعد أن مهد له بدراسة ابتدائية تشمل متـون النحـو والفقـه وشذورا من قضـايا البيان والبـديع والتفسـير والحـديث، وكـأن الـطالب وقـد اتصل سببه بالمدرسة، وله الصلة الوثيقة برئيسها شاء أن يكون قدوة في التحصيل العلمي، فأكب على دراسته اكباب من ينشد الاولية في الـترتـيب، لا من يرتـقـب مجرد النجـاح، وواصـل الـدراسـة ما استطاع حتى تخرج من المدرسة، وكـان الامتحـان الشفـوي هامـا يحضره الجمهـور، وكـأنـه مناقشة رسـالـة علمية، فازدحمت المدرسة بالـزائـرين وفي مقـدمتهم رئيس ديوان الامـارة، ولمس من إجـابـة الـطالب ما كان موضـع تقديره، فعين بإدارة الامارة بالمدينة المنورة، ولم يكـن يطمـع في سرعـة هذا التعيين، ولكن الثمرة سقطت في يده لذيذة مشـتهـاة وقـد تحدث

الأنصاري عن أحلامه الطامحة في باكورة صباه حين التحق بمدرسة العلوم الشرعية فقال(٣).

«كان الفتى خجولا منطويا على نفسـه، محبـا للعزلة أنى وجد لها سبيلا، وكان لا يبتسم لشيء قدر ما يبتسم للدرس والكتـاب، ومـا يستتبعـانـه من حفظ ومـطالعـة وتكرار، وكأن إنطوائيته فتحت له آفـاق الـدأب في تحصيل العلوم، فكانت متعته أن يتخيل نفسه، وقد بز الأقران، وصار علماً يشار له بالبنان.

■ وقد ازداد جد الفتى وتضاعف إقباله على التحصيل، وواصل ليله بنهاره ولم يرض مطلقا إبان دراسته إلا أن يكـون الاول في كل الاختبـارات فآثـر النصب على الـراحـة وأعرض بالكلية وما كان قبل مقبلا - عن ألوان اللهو والمتع الـتي كانت تستهـوي أقـرانـه الآخرين، وكان الفتى مغتبطا بهذا العهـد الجـديد أيما اغتبـاط، وقد شعـر المـدير بما يحمله قلبـه من حرص واجـتـهـاد، فما قصر في

إغـداق المسـاعدات عليه، وصار يعهد إليه فوق ذلك ببعض المهام زيادة في نشـاطـه ورفعـا لمستواه الفكري في ميدان الاعمال الادارية والاجتماعية».

كان الطالب من لدن دراسته في المـدرسـة الشرعية مشغـوفـا بمسائل الأدب واللغة والتاريخ وقد كان يتـطلع إلى مجلات الـعـالم العربي في شوق ويعد كتابها الكبار أساتذته الحقيقيين، وقد اعترف أن المنفلوطي ومحمـد فريد وجـدي ومحمـد حسـين هيكـل والعقاد والمـازني كانـوا المصـدر الأوفى لإلهـامـاتـه الادبية وطمـوحـاتـه العلمية، فهـو في وظيفته الجديدة بديوان الامارة بالمدينة ثم فيما تلاها من رئـاسـة التحـرير بصحيفة أم القرى بمكة ومن العمل في ديوان سمـو الأمـير ولي العهـد ثم في إدارات المالية والمشاريع والانظمة هو في كل هذه الاعمال لم يغب عنه لحظة أنـه صاحب قلم، وأن من آدابه الملحة أن ينشيء مجلة أدبية تشبه الهلال أو المقتطف وقد حبب الى نفسـه أن يختـار حقبة محدودة أستـاذا بالمدرسة التي تعلم فيها، فكانت أستاذيته تلك مبعث نهضة كبرى بالمـدينة المنورة لأنه استطاع أن يقـوم على إعـداد جيل يبعث النهضـة الفكرية في الحجاز، وقد هدتـه بصـيرتـه اللغـوية إلى تتبع اللغـويات المخطئة في الصحف، ليكـون ذلك أول عمل علمي في

تنقية الاساليب الصحفية، وطبيعى أن يدور نقاش ما حول هذه اللغويات وفقا لأهواء المعقبين، إذ فيهم من يقتصر على النص الوارد فى الشعر العربى والنصوص التى يحتج بها من رائع النثر وفيهم من يرى التسامح فى اتخاذ ألفاظ جديدة لم تعرفها العرب من قبل، وكان العلامة الكبير الشيخ أحمد الاسكندرى فى طليعة من يتشددون فى اقتفاء اللفظ المعترف به، وله أدلة علمية كانت موضع الاقتناع من الاستاذ الانصارى مضافا الى ذلك سعة محفوظه من الشعر القديم حين يسعفه بلفظ لم يرد فى المعاجم، وظنه الباحثون غير فصيح.

■ وقد جمع الانصارى تحقيقاته فى أول بواكيره العلمية وهو ما اسماه «اصلاحات فى لغة الكتابة والأدب» ومازال الانصارى على هيامه بالتصحيح اللغوى، حتى فى ضبط حرف واحد من حروف الكلمة.

والقراء يعرفون معركته الكبرى فى نطق كلمة (جُدَّة) إذ خالف فتح الجيم ورأى وجوب ضمها وكان من المشتركين فى النقاش أعلام كبار، وكنت اجتمعت معه ليلة فى منزل الرائد الكبير الاستاذ محمد سعيد العامودى بمكة فدار نقاش حول حق المحدثين فى اتخاذ الالفاظ جديدة، وكنت على ذكر مما قرره المجمع حين تقدم الاستاذ احمد



شوقى - حسين هيكل - المازنى

حسن الزيات باقتراحه الخاص فى إثبات حق البلغاء من المحدثين فى وضع الكلمات المستحدثة فأخرج الاستاذ من جيبه كناشة ودون ملخص ما قلت، وأذكر أنى حدثته بوجوب التريث حتى أبعث له مجلة المجمع ليرى الرأى من مصدره الموثوق دون تحوير ما، فقال سأرجع إلى المجلة لا محالة ولكنى سأفكر فيما قلت وكتبت، لأبنى رأيى الخاص كما يتضح عن قريب.

■ أما الكتاب الثانى الذى تلا كتابه اللغوى فهو مؤلفه الحافل عن آثار المدينة المنورة، إذ قرأ الرجل الكثير مما دون عن هذه الآثار فى كتب التراث ثم فى كتب الرحلات إلى الحج فى القديم والحديث، ورأى فى هذه الاقوال ما يتضارب تضاربا يصل إلى حد التناقض، وأدرك أن بعض المتحدثين لم يقوموا بدراسات ميدانية الى مواقع هذه الآثار ولكنهم اكتفوا بما قيل عنها، حين يردده خالف عن سالف دون تحقيق، فوطد العزم على أن يكون هو الدارس الميدانى الاول، وحمل أوراقا كالجذاذات معه فى زيارته ليدون فى كل ورقة ما يقع تحت ملاحظته ثم يقارن ما كتب بها قيل، كما رسم خريطة من ابداعه دون التقيد بخرائط مماثلة لتوضح هذه الآثار المباركة أثرا أثرا، واستطاع بعد جهد الدارس المستوعب أن يتحدث عن آثار المدينة كما رجع الى بقاياها، وأن يسدد ما وقع فيه سابقوه من الاخطاء، وكان لكتاب الاثار ضجة علمية فى العالم العربى اذ طلع على الناس بحقائق جديدة لم تعرف من قبل، وأذكر أن العلامة الكبير الأستاذ محمد فريد وجدى قد عرف للكتاب الأثرى مكانه العلمى فخصه بكلمة مرحبه فى مجلة الازهر التى يقوم على تحريرها وقد قال فيها: «هذا كتاب نفيس ألم المؤلف الفاضل فيه بكل ما تقع عليه العين من آثار مدينة رسول الله ﴿ﷺ﴾، من الدور والقصور والحصون والمساجد والبلاطات والامكنة المشهورة والجبال والحرار

والأودية والآبار والعيون، وكل هذه الأشياء يهم زائر المدينة أن يعرفها ويعرف تاريخها، فهذا الكتاب بمثابة دليل مفصل لها، وقد وضع بعناية وتدقيق عظيمين، كما حلى بالصور الفوتغرافية مما زاد فى قيمته العلمية.

ثم أخذ الاستاذ فريد وجدى ينقل فصولا من الكتاب كنماذج مما يتضمن فنقل ما تحدث به الأنصارى عن أول مسجد فى الاسلام وهو مسجد رسول الله فأتى على صورته فى مهده متابعا ما أدخله الولاة على مر العصور من الاصلاحات فى بيان دقيق تؤيده الأرقام وتدعمه التواريخ كما نقل الاستاذ وجدى ما جاء فى كتاب الآثار النبوية عن مسجد الجمعة وعن مسجد المصلى أو مسجد الغمامة وفى ذلك من الاحتفال بالكتاب ما يضعه الموضع الكريم.

■ وأذكر انْ الدكتور محمد حسين هيكل حين حج بيت الله الحرام، وأراد أن يحقق الاماكن التاريخية فى مسرح الدعوة الاسلامية الأول طلب من ذوى الامر بالمملكة العربية السعودية أن يزامله أستاذ متخصص فى الاماكن النبوية التى سعدت من قبل برسول الله فكان الاستاذ الانصارى فى مقدمة من استرشد بهم الكاتب الكبير. وحين كتب مؤلفه (فى منزل الوحى) سجل للاستاذ الانصارى من جيد الآراء ما ازدان به كتاب الدكتور هيكل، لأن الانصارى كان يأتى بالقول الفصل عند اشتباه الآراء، من ذلك تحقيق موقع الخندق الذى حفره المسلمون يوم الاحزاب، فقد تضاربت الأقوال فى شأنه، ووقع الباحثون فى غيم غير كاشف، فحار الدكتور هيكل فيما يأخذ ويدع. ثم اطمأن إلى ما قاله الاستاذ الانصارى، وقد رصده فى قوله(ه):

« ولقد فكرت أن أجعل الخندق الذى حفره المسلمون فى غزوة الاحزاب أيام النبى حدا فاصلا بين المدينة وظاهرها لكنى لم ألبث حين البحث أن رأيت تحديده عسيرا فقد سألت الاستاذ عبد القدوس الانصارى يوما ان يرينى اياه، فلم يخف على أنه يتوهمه ولا يراه علم اليقين، وله من العذر فى ذلك ما نقله فى كتابه (آثار المدينة المنورة) عن المطرى الذى أرخها فى القرن الثامن الهجرى إذ قال «وقد عفا أثر الخندق اليوم، ولم يبق منه شيء يعرف إلا ناصيته لأن الوادى وادى بطحان استولى على موضع الخندق وصار مسيله فى الخندق، على أنه حاول أن يقف بى عندما يعتقده أثره، كما بينه على خريطة تقريبية ضمها كتابه. أما والتحديد الصحيح للخندق غير ميسور، فلأجعل هذا التحديد التقريبى بديلا منه للغرض الذى أتوخاه غرض الفصل ما بين المدينة وظاهرها، والخندق كما صوره الاستاذ عبد القدوس يقع فى شمال المدينة بينها وبين احد، وينحدر إلى الشرق بينها وبين حرة واقم ويتصل من الجنوب بوادى بطحان، ومن الغرب بحرة الوبرة، وفيها وراء الخندق من الشرق تقع منازل اليهود فى عهد الرسول، بنى قريظة وبنى النضير، وفيها وراءه من الغرب يقع وادى العقيق وتقع قباء فى جنوبه».

■ وفى كتابه «منزل الوحى» اراء أثرية منثورة للاستاذ عبد القدوس تكشف عن دراسته الذاتيه لهذه الربوع الكريمة، وهى دراسة استعداد وإلهام أكثر منها دراسة كلية وأستاذ.

■ ومن الكتب الأثرية ذات الطابع التاريخى مما ألفه الانصارى كتاب **«تحقيق أمكنة بالحجاز وتهامة»** وكتاب **«تاريخ مدينة جُدَّة»** وكتاب **«تاريخ العين العزيزية بجُدَّة»**، وكتاب **«بنو سليم»** وكتب **«الرحلات الأربع رحلة الرياض ورحلة الباحة، ورحلة الحجاز ورحلة بنى تميم»**، وكتاب **«بين التاريخ والآثار»**، وكتاب **«مصادر المياه بالمملكة العربية السعودية»**، وكتاب **«بُناة العلم فى الحجاز الحديث»**، وهى كتب تاريخية أصيلة فى بابها ولو اقتصر عليها الباحث، لأدى دوراً طيبا يحفظ اسمه فى سجل الكبار من المؤلفين ولكنه زاول قضايا الأدب واللغة والدين ورأس تحرير صحيفة أدبية

ظلت تصدر فى حياته تسعا وأربعين عاما، حيث انتقل الاستاذ عبد القدوس الانصارى الى رحمة بارئه فى شهر جمادى الاخرة ١٤٠٣هـ وتناول راية التواصل الثقافى بعده ابنه الاستاذ نبيه عبد القدوس الانصارى وشهدت المنهل فى عهده تطورات ملموسة فى الشكل والمضمون مع الحفاظ التام على طابعها المميز لها، ولابد أن نشير إليها فى معرض التنويه.

■ فقد تأخر ظهور الصحف فى الحجاز اذا قورن بما ظهر فى مصر والشام والعراق، لأن سيطرة الحكم التركى لم تسمح بانتشار التعليم على وجه متسع، وبالتالى لم تنتج القارىء المتعطش للمعرفة سواء عن طريق الكتب أو الصحف، والذين يؤرخون للصحافة الحجازية يذكرون أن أول صحيفة ظهرت بمكة هى جريدة الحجاز وكانت ذات قسمين تركى وعربى، ثم صدرت عدة نشرات تسمى صحفا عن طريق التجوز، وقد أفرد الاستاذ الكبير محمد سعيد العامودى بحثا عن تاريخ الصحافة فى بلده نشره فى كتاب من تاريخنا فسرد أسماء الصحف على ترتيب الصدور وكان مما لفت نظره أن العهد العثمانى جميعه لم يحظ بمجلة واحدة للعلوم والآداب وأرجع السبب فى ذلك الاهمال إلى قلة انتشار التعليم، واعتماد المدرسة الرشدية وهى



المنفلوطى — العقاد — احمد الغزاوى

المدرسة الوحيدة إذ ذاك فى مكة على اللغة التركية فى تعليم تلاميذها، ولم يكن غريبا أن تنحدر الصحافة فى بلاد لم يكن بها غير مدرسة واحدة(٦)، ثم كانت النهضة العربية فى عام ١٣٣٤هـ فيصلا بين عهدين ولكنها كانت فى رأى الاستاذ العامودى ضعيفة الأثر، وقد ظهرت على التوالى صحف «القبلة» و«الفلاح» و«المجلة الزراعية» و«ام القرى»، (الاصلاح) و«صوت الحجاز» وهى صحف تعيش البحوث الأدبية على هامشها، دون أن تفرد لها أبواب دائمة، لذلك كان المتطلعون إلى قيادة الحركة الأدبية يهاجرون بمقالاتهم إلى صحف مصر والشام، وقد أسهم الانصارى فى تحرير مجلات بريد العرب والمقتطف والسياسة بمصر وفى صحيفة المرشد العربى بظفار، وفى مجلة العالم الاسلامى بسومطرة، فامتد نشاطه إلى آفاق العالم الاسلامى ورأى من ترحيب هذه المجلات بآثاره العلمية ما دفعه إلى التفكير فى اصدار مجلة أدبية تنحو منحى المقتطف والهلال وهو تفكير طامح حقا، لأن الطباعة والنشر ووسائل الذيوع وجمهرة القراء ليست فى الحجاز مما يؤذن بنجاح مجلة ينهض بها فرد واحد بالغا مبلغ القوة والاعتزاز، وقد قامت بعض الصعاب دون التنفيذ حيث التمس الاذن بصدور المنهل سنة ١٣٤٨هـ ومضت الأعوام فى رد واستطلاع حتى سمح له فى ذى القعدة سنة ١٣٥٥هـ اذ صدر الامر الملكى بالموافقة على إصدار «المنهل» ولم تكن مقدرة الأنصارى المادية بالتى تعينه على نفقات الطبع فى يسر اذ كان كل ما يملك لا يزيد عن أربعين ريالا، دفعها للعدد الأول، وبقى من النفقات المطبعية عشرون.

■ واذا كانت الأعمال بالنيات فقد ألهم الانصارى أن يوزع اعلانات على الادارات الحكومية تدعو الموظفين الى الاشتراك فى تعضيد «المنهل» ولاقى استجابة عاجلة ممن عرفوا مكانته وقرءوه من قبل فى

الصحف الداخلية والخارجية، وبذلك تذلل العسير، وشاعت أول مجلة أدبية تنطلق من المدينة المنورة لترسل ضياءها في محيطها القريب بدءا ثم يأذن الله بانتشار الضوء بعد أن طال أو قصر حتى يبلغ أرجاء العالم العربي فكان للمنهل قراؤه وكتابه في مصر والشام والعراق والمغرب وتونس واليمن ولمعت على صفحاته أسماء جديدة أخذت تتسنم ذروة الاشتهار الأدبي حتى أصبحت فيما بعد ذات توجيه ريادي في محيطها الكبير، ولن تجد في نصف القرن الاول كاتبا عربيا يعيش بالمملكة دون ان تجد للمنهل أثراً في ذيوعه.

■ لقد كان ظهور المنهل متنفسا مريحا للصفوة من زملاء الأنصاري وتلاميذه بالجزيرة العربية اذ بعث فيهم من العزيمة ما دفعهم إلى الانتاج الجاد، وقد أخذ الاستاذ الانصاري نفسه بخطة معتدلة في تقديم الثمار الفكرية لقرائه فجعل من ديدنه أن يجمع بين الاساتذة والتلاميذ في ساحة المنهل، فهو يحتفل بجهود الكبار ويجعلها نمطا للاحتذاء، ثم يرعى في الوقت نفسه جهود الناشئة فيقدم من آثارهم بواكير تدفعهم إلى مواصلة الجد، ليتسلموا الراية بعد أن يستووا على سوقهم، وإذا كان الاستاذ احمد حسن الزيات قد اعلن على صفحات الرسالة ان مجلته في اختيار مواردها الأدبية، لا تجامل القوي، ولا تشجع الضعيف بمعنى أن الكاتب الكبير إذا كتب في ساعة الجفاف الأدبي «مقالا» لا يعطي الثمرة المرجوة فلن يحظى بالنشر في مجلة الرسالة، كما أن الأديب الشاب إذا لم يرتفع إلى مستوى الابداع الحقيقي لا يجد الترحيب من الزيات، اذا كانت هذه خطة الرسالة فإن المنهل يختلف عنها من حيث النظرة إلى انتاج الشباب الطامح، وحسنا فعل الأنصاري، لأنه بالتضحية التربوية العاقلة ببضع صفحات للاقلام الواعدة قد أورث نفوس الشبيبة أملا كبيرا، إذ لا يدفع الشاب الموهوب إلى مواصلة إبداعه غير التشجيع المطرد، وكائن من شاب طامح تطلعت نفسه إلى السباق في حلبات الأدب الرحيبة فأوصدت أمامه الطرق، وعاود الالحاح مثنى وثلاث ورباع فلم يحظ بطائل حتى تملكه اليأس، وودع رياض الفكر باكيا منتحبا، فإذا وجدنا الآن أقلاما ممتازة تحتل الساحة الأدبية في المملكة العربية السعودية فإلى المنهل يرجع كثير من الفضل.

على أن المنهل كان بركة علمية ضافية على صاحبه، وفي حقله الواسع نشرت مقالات الانصاري على نطاق فسيح فتكونت من مجموعها كتب أدبية رآها القراء متفرقة في أعداد المنهل مرة أولى، ثم مجموعة في كتب مختلفة مرة ثانية، وهكذا كان يفعل كبار الأدباء والعلماء من أمثال يعقوب صروف صاحب المقتطف وجورجي زيدان صاحب الهلال ومحمد حسين هيكل صاحب السياسة الأسبوعية ومن لا نحصي من أئمة الصحافة الأدبية في العالم العربي، وقد لاحظت أن المنهل كان أقرب الى مجلة الهلال منه الى مجلة المقتطف وكلتاهما مجلة شهرية «كالمنهل» فمجال الموازنة بين الثلاثة وارد غير مقضي، لأن الطابع التاريخي والأدبي في مجلة الهلال قد انتقل شيئا فشيئا الى المنهل، ولم يكن ذلك دون جهد شاق بذله الانصاري لاختلاف البيئة الثقافية بين مصر والحجاز إذ ساعدت عوامل عدة على سبق الأولى في النهوض الأدبي حينا من الدهر، كما سبقت الجزيرة العربية من قبل ربوع العالم الاسلامي في الابداع الشعري فعلى نغمات شعر الحجاز ونجد في قديم الأدب العربي تيقظت النفوس، وامتدت الأحلام بحيث أصبح أدب الجزيرة باعث الالهام، وموقظ الآمال.

■ في العدد الاول من مجلته ذكر الأنصاري في افتتاحيته الصادرة في ذي الحجة سنة ١٣٥٥هـ، ان من علامات حظوة المنهل بما تصبو إليه من نجاح مطرد ما نراه ماثلا في الأذهان من ضرورة السمو بهذا الأدب وابرازه في حلة قشيبة. تليق

بمكانة المنطقة الدينية ومنزلتها الاجتماعية فى العروبة والاسلام، وهـذا الشعور الطيب سيكون بتوفيق الله تعالى أكبر معوان للمنهل فى الفوز بمطامحها الجليلة وان من أهم ما تصبو اليه أن تكون فاتحة عصر ناضر فى أدبنا فى هذه البلاد فتعيد الى هذه البلاد المقدسة مكانتها الادبية الشامخة بين أقطار العروبة، ليغتبط العالم الحديث بقس الحجاز وسحبانه ويشدو بنابغته الجديد وحسانه.

■ والأدب فى المملكة - كما يقول الانصارى - وان كان وليد أعوام معدودة فإنه قد خطا الى الامام خطوات مباركة تدل على ما بعدها إذ أطلع فى سمائه فى ظرف وجيز نجوما لها شهرتها الأدبية بما أذاعته من قصائد رائعة. ونثر قيم، وهذه النجوم الطالعة فى سماء البلاد اذا ساعفتها المقادير، ووجدت آفاقا واسعة للجولان والنشر والدعاية الكافية فإنها ستتطور فى سنوات معدودة إلى أقمار زاهرة وشموس بارعة إذ الحجاز هو مهد الأدب العربى وموطنه الأول، ومنه إلى سائر الاقطار.

وليس الأدب أداة تسلية وهو ولكنه من أسمى الفنون التى تنهض الأمم وتنعشها وهو المحرك الكهربائى الذى يبعث روح الاصلاح فى الشعوب ويوقظ فيها الفتوة والشعور بالكرامة ويحفزها الى التقدم وهو الذى يوحى أسمى الخيالات إلى الأذهان الخاملة ويثير الحماسة إلى المثل العليا فى الصدور وينتشلها من مستنقع الانحطاط وهو الحادى الحافز كلما عاودها الوهن والفتور.

■ وقد قال الانصارى فى كتيب صغير نشره ملحقا بعدد ذى الحجة سنة ١٤٠٣هـ من المنهل إن المنهل بدأ ضعيفا مهلهلا فى طباعته وإخراجه ومواده وكل شىء فيه!! وهـذا القول ينبىء عن طموح صاحبه المديد، بحيث لم يرض إلا بالكمال التام لأنى أرى العدد الاول وقد درسته دراسة فاحصة لا يوصف بالضعف ولا بالهلهلة فقد جمع مقالات أدبية ودراسات تاريخية ونفثات تربوية، كما قدم أعلاماً من رجالنا لم تسلط عليهم الأضواء من قبل مثل عبد العزيز ابن يحيى بن مسلم الكنانى العالم الحجازى الذى ائتلق فى عصر المأمون، هذا غير الشذور اللغوية والقصائد الشعرية ومثل هذا العدد الواعد لا يوصف بالضعف ولكنه هلال يؤذن بقدوم البدر.

■ واذا كانت البحوث الأدبية العامة قدرا مشتركا بين قراء العربية جميعا فقد امتازت المنهل بمعالجة شئون البيئة الحجازية معالجة شجاعة لا تنقصها الصراحة حتى ولو آلمت بعض النفوس فالاستاذ الانصارى مثلا يتحدث عن مشكلة الهجرة(٧). الى البلاد السعودية فيقرر أنها احدى المشاكل الاجتماعية العسيرة لأن آلاف الوافدين يتكدسون فى البلاد فيسببون الأزمات الاقتصادية (كان هذا سنة ١٣٧٤هـ) فى الغذاء والكساء مع أنهما مستوردان لا يكفيان لتموين الأصلاء ثم يرى الكاتب علاج هذه المشكلة فى تهيئة منافذ العمل الجاد لهؤلاء إذ أن مساحة المملكة شاسعة وكثير منها لا يزال صحارى خالية من السكان، وفى هذه الصحارى أماكن عديدة بعضها واحات خصبة كانت مزروعة من قبل، ولكن تنقصها الأيدى العاملة ولابد من فحص المهاجرين، ومعرفة قدراتهم العملية وتهيئة وسائل الكسب لهم فيما يحسنون من أعمال.

■ ويخوض المنهل معارك اجتماعية وثقافية تدور رحاها حول قضايا المرأة، والتوجيه التربوى وشئون التجارة والزراعة، ومسائل الأدب والنقد، وطبيعى أن يكون لهذه المعارك صدى متجاوب ما بين تأييد وتفنيد، وأن يشتد النقد بصورة لا ترضى من يلتمسون جانب العلاج الرقيق ولكن الأنصارى يرى فى هذه المعارك بشائر نصر محقق، لأن احتكاك العقول يبعث شرارا يتقد فيضىء ثم يتساءل أى نقد يريد؟ ويرد على هذا التساؤل قائلا(٨).

■ إنه النقد البرىء النزيه.. انه النقد الواعي الذى يقوم على الدراسة والخبرة والمعرفة، ونشدان

الإصلاح الحقيقي، وليس بالنقد المتهافت المغرض إذ ما دخل هذا النوع من النقد على أمة إلا ذاقت منه الأمرين، وأوسع الخلاف بين أبناء الدين الواحد والوطن الواحد، ولكن النقد النزيه حافز لتكوين الوعي، والشعور بالنقص تأهبه للكمال، ولن يتكون الوعي الحقيقي إلا بصراحة الرأي ونزاهة القصد.

وحين انتقلت إلى الصحف السعودية قضية الادب والالتزام، ووجد من ينادي بأن يكون الفن للفن، وهي معركة تتكرر في البلد الواحد دائما، ولا يفتأ التالي مرددا ما قال السابق، وكان الأجدر بنا أن نواصل المسيرة لا أن نبدأ الخطو من جديد لننتهي الى ما انتهينا من قبل، وكأننا ندور في حلقة مفرغة، أقول حينما اشتغلت الصحف السعودية بهذا الجدل لم يفت الاستاذ الانصاري وقد جعل صحيفة المنهل أداة لترقية البلاد فكريا وسياسيا واجتماعيا أن يعلن رأيه الصريح في الالتزام برسالة سامية للأدب في مجتمعه كي ينهض على أجنحة أدبائه وشعرائه، وإذ ذاك يكون جمال التعبير وروعة الخيال مصدر استهواء لإصلاح حقيقي يرتقي بشعور الفرد ويسمو بالمجتمع أدبيا وماديا، يقول الانصاري ما ملخصه ان الأدب للفن قد انبعث عن التفكير الذهني المجرد الذي يفصل الماهية عن الما صدق، ويفصل الجوهر عن العرض اذ يرى للجمال وجودا مستقلا قائما بذاته أما الأدب للحياة فلا يفصل الماهية عن الماصدق إذ ليس للجمال وجود مستقل قائم بذاته(٩).

■ هذه الآراء وأمثالها قد ائتلفت على صفحات المنهل في مدى أربعين عاما وقد أفرد لها الاستاذ الدكتور سيد تقي الدين بحثا شافيا يقع في مجلدين تحت عنوان (مجلة المنهل وأثرها في النهضة السعودية) فأدى خدمة كبرى لتاريخ الصحافة الأدبية في المملكة العربية السعودية ممثلة في أعرق مجلاتها، اذ كانت المنهل أما لما تلاها من مجلات أدبية (العرب والفيصل والدارة والمجلة العربية). ومن السعادة الهنيئة لمجلة المنهل أن تكون أما رؤما لهؤلاء.

على ان شخصية الانصاري تركت طابعها الجاد على مجلته، فالاستاذ الانصاري قوى الخلق صريح الاتجاه، مجادل متمكن، يلج الحوار مسلحا بأقوى عدده، وقد جالسته كثيرا وامتد الجدل في مناهج مختلفة من شئون الأدب والسياسة، فكنت أسعد كل السعادة حين يخالفني في الرأي، لأنه يبسط حججه في براعة، ويحيط بالموضوع من كافة أطرافه ثم لا ينقطع حتى يبلغ ما يريد بسطا دون طي، وهكذا شأنه حتى مع كبار المجادلين من أمثال المفكر الكبير الاستاذ عباس محمود العقاد اذ شاهدته في المقدمة البديعة التي كتبها الاستاذ الكبير احمد عبد الغفور العطار لكتاب الأنصاري (مع كتاب الواضح للزبيدي) شاهدت موقفا طريفا في احدى ندوات العقاد الاسبوعية جلاه الاستاذ العطار حين قال(١٠).

«وفي احدى ندوات العقاد حضر الاستاذ الانصاري وثار جدل عنيف بينهما وكان العنف في كلام الشيخ الانصاري واللطف في كلام الاستاذ العقاد رحمهما الله، ثم غادر أبو نبيه الانصاري الندوة، وعجب الحاضرون من لطف العقاد إذ يعرفونه شديد الوطأة على من يجادلونه، وسألوه فقال لهم: هذا الانصاري ومن العقاد في جانب رسول الله محمد ﴿ﷺ﴾ الذي أكرم الانصار، وإذا أكرمهم رسول الله أفلا يكرمهم العقاد؟ وهل بلغ العقاد سوء الأدب حتى لا يكرم أنصاريا لفضله وعلمه وأدبه وجواره لرسول الله».. ولعلي بهذه المناسبة أعلن ما قررت من قبل حين لمست أوجه شبه بين العقاد والأنصاري فكتبت مقالا تحت عنوان (الأنصاري في مصر(١١)) موازنا بين الاستاذين الصديقين الرائدين عبد القدوس الانصاري ومحمد سعيد العامودي، جاء فيه:

وانا اقدس الصداقة الفكرية وأعدها أقوى أسباب المودة، وقد

شاهدت بين الاستاذين الكبيرين عبد القدوس الانصارى ومحمد سعيد العامودى صداقة مثالية لبابها الأدب الخالص ومحورها المثل العالى للخلق الكامل، وبين الأنصارى والعامودى اختلاف كبير يذكرنى باختلاف ما بين المازنى والعقاد من سمات فكرية، ولكنه اختلاف مثمر نافع لأن كلا الصديقين فى هذا الاختلاف يجد المجال الممتع لنقاش صاحبه، وتقبل ما لديه بارتياح، العامودى كالمازنى ذاتى أكثر منه موضوعيا، يعتمد على عواطفه الخاصة أكثر مما يعتمد على اطلاعه ويميل الى التشجيع والتغاضى عما يؤلم منقوديه، وقد يلتمس المعاذير لأكثر الأخطاء.

■ وهكذا كان المازنى، والأنصارى كالعقاد موضوعي يستشير المراجع، ويفصل ما بين الآراء، وفكره مجال تبريزه الأول، واذا نقد فلابد أن يكشف كل المآخذ دون نقاب، وهكذا كان العقاد، واذا كان الاطلاع الدائب الملحاح ديدن الكاتبين المصريين فهو أيضا ديدن الكاتبين السعوديين وقد عرفت عن عزيمة الأنصارى أنه اذا تفرغ لعمل علمى لا يستريح حتى ينتهى منه، ومما أتمثل به فى ذلك كتابه الرائع عن عبد المحسن الكاظمى شاعر العرب الأشهر اذ تفرغ لدراسته وكتابته على طوله النسبى فى اجازة العيد التى لا تتجاوز أربعة أيام.

وليس معنى ذلك أنه لم يعرف الكاظمى من قبل فهو كقارئى كبير قد والى قصائد الشاعر العراقى حين كانت تشرق فى أمهات الصحف، كما قرأ ما كتب عنه تقريظا ونقدا، وسعد بمجموعة من شعره تقع فى مجلدين، . ثم انفعل كل ذلك فى نفسه الدراسية فجاشت بشتى الأفكار العاطفة نحو هذا الشاعر الكبير، ولم يجد بدا من الترويح عن خواطره فخط كتابا يحمل ما يعتمل بنفسه على مدى متطاول، وكان القلم يتسابق مع خاطره لينقل كل ما يجيش فى نفسه. ونحن نعرف الكاظمى شاعر الارتجال الأول فى عصره، ومن يدرى فلعل الأنصارى فى دراسته العاجلة كان يقابل ارتجالا بارتجال، ولن تعاب السرعة حين تنقل عن فكر قوى جياش. ولكنها تعاب حين تقول مالا يسمع من التفاهات.

■ ولقد أدى الأنصارى دوره الثقافى فى وطنه فأصبح أحد أعلام الفكر المعاصر، وتبوأ مقعد صدق لدى المؤرخين والرجل بعد هذا النضال المتصل كان واسع الصدر كل السعة لدى من يناقشه فى حيدة وإخلاص، أذكر أنى نشرت فى مجلة الدعوة بالرياض مقالا نقديا عن كتاب الكاظمى، وأعيد نشره بمجلة المنهل فيها بعد(١٢) وكان مما استوقفنى كثيرا قولة الأنصارى رحمه الله.

«ان النصر للنازح الغريب الى مصر، ليس بالأمر السهل فمن طبيعة المصريين أنهم يقدرون من كان مصريا فقط. وقد رأينا السيد رشيد رضا يتبرم من أن بعض المصريين كان ينظر اليه كأنه دخيل».

■ استوقفنى هذا الكلام فقلت فى نقده «انى أخالفه كل المخالفة لأن المصريين باعترافه كانوا يقولون عن شكيب ارسلان ص١٤ انه كاتب الشرق وأمير البيان. ويقولون عن جمال الدين الأفغانى انه حكيم الشرق.

وقد كان خليل مطران شاعر القطرين لديهم، أما السيد رشيد رضا فقد غاب عن الاستاذ الأنصارى انه يشكو حملة «سلامة موسى» عليه وعلى كل سورى يشتغل بالصحافة ومثل سلامة موسى لابد أن يضيق بالسيد رشيد كما ضاق بمصطفى صادق الرافعى وقد تمتع السيد رشيد رضا بحب المصريين لدرجة أنه كان يشتم شيخ الأزهر الاستاذ الظواهرى ويوسف الدجوى عضو جماعة كبار العلماء دون أن يجد من يعترض طريقه، ولعل الاستاذ الانصارى يعلم أن الأزهر الشريف قد أتى عليه زمن كان شيخه الأكبر محمد الخضر حسين تونسيا وكان وكيله الاستاذ محمد نور الحسن سودانيا، وشيخ كلية الشريعة عيسى منون

فلسطينيا وذلك كله فى وقت واحد! فكيف تضيق مصر إذن بغير المصريين !! أما الاشارة بأعلام العرب من غير المصريين فى دواوين الشعراء المعاصرين فأبرز من أن تنكر، ففى الشوقيات روائع شعرية قيلت فى عمر المختار وفوزى الغزى وأمين الريحانى ومولانا محمد على، فما معنى هذا والاساتذة محب الدين الخطيب وكرد على والنشاشيبى والمغربى قد ائتلقوا على صحف مصر ولاقوا من أدبائها كل احتفاء.

■ وما كاد المقال ينشر بمجلة الدعوة حتى رأيت الاستاذ الانصارى يتكرم بزيارة منزلى بالرياض ويقول انه يرجع عن قوله بعد أن ذكرت له من الأسماء من لا يشك فى تقديرهم ولكنه يطلب تفسيرا لإهمال الكاظمى ماديا فى مصر، فقلت له لا يرجع ذلك إلى عراقيته ولكن حرفة الأدب قد مهدت له شوك العناء. كما أحرقت بنارها أحمد محرم وهو فى طليعة شعراء عصره، وكما عذبت أحمد الكاشف فانكفأ الى قريته يائسا، وكلاهما فى شاعريته لا ينحدر عن مستوى الكاظمى، بل ان محرما يفوقه بكل تأكيد، ولم أكد أنتهى من قولى حتى وجدت الأنصارى يسلم على فى ابتسام ويطلب قلما ليدون خلاصة ما قلت، ثم أصر على أن أصحبه فى جولاته بالرياض وكانت ساعات مسامرته من أنفس الساعات!! وقد أدهشنى ما رأيته من تضلعه الشديد فى الأحكام الفقهية اذ عرضت لنا مطارحات علمية فى مسائل الربا وفوائد البنوك، والتأمين على الحياة ونقل الدم من جسم إلى جسم، فأجاب الأديب الشاعر إجابة الفقيه المثبت، ولازلت أعتقد أن علوم الاسلام مد متصل وأن الثقافة العامة فى شتى العلوم تنير الطريق، وبمثل الأنصارى تزدان المعارف، وفى ذهنه الخصيب تتنوع الثمار، وتتعدد الأفانين.. رحمه الله.

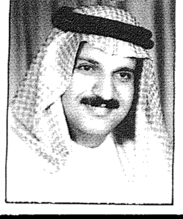
الهوامش

(١) مجلة المنهل: مارس ١٩٥٦م.
(٢) مجلة الرسالة العدد ١٤٩ - ١١/٥/١٩٣٦م.
(٣) مجلة الرسالة العدد ٦٧١ - ١٣/٥/١٩٤٦م.
(٤) مجلة الازهر، المجلد السادس ص٣٦٦ وما بعدها سنة ١٣٥٤هـ.
(٥) فى منزل الوحى للدكتور محمد حسين هيكل ط أولى ص٥٠٤.
(٦) من تاريخنا للاستاذ محمد سعيد العامودى ص١٨٨ وما بعدها.
(٧) المنهل - المحرم ١٣٧٤هـ.
(٨) المنهل: جمادى الاولى ١٣٧١هـ.
(٩) مجلة المنهل وأثرها للدكتور سيد تقى الدين ص٢٣٧.
(١٠) مقدمة كتاب (مع كتاب الواضح للزبيدى) للاستاذ العطار ص١٥.
(١١) المنهل: العدد ٤٣٠ - محرم - ١٤٠٥هـ.
(١٢) المنهل عدد ربيع الاول سنة ١٤٠٤هـ.





بدأ على احمد باكثير (١٩٠٣-١٩٦٩) حياته شاعرا فى حضرموت.. وبدأ ينظم الشعر منذ الثالثة عشرة من عمره، حيث تلقى علومه العربية والثقافة الاسلامية واستوعب الشعر العربى قديمه وحديثه قبل هجرته الطويلة الى مصر سنة 1934م، وقد شغلت باله اوضاع موطنه الصغير من بداية حياته، غير ان قضية حضرموت اتسعت فيما بعد لتشمل اهتمامه بقضية موطنه الكبير كل جزيرة العرب والعالم العربى والاسلامى.



بقلم: د. محمد أبو بكر حميد (الرياض)

حيث حمل همومه ولم يستثن منه طرا، فكلما رأي باكثير أن شعباً سلما يتعرض للظلم صرخ وا سلاماه، وأنشد:

ددت لو انـى فى فلسطين ثائر ... لاهلى تنعاني الظبى لا القصائد

او انني فى اسكندرونة شاهر ... حسامى عليه من دم الوحش حاسد

وفى برقة او في الجزائر قاصم ... ظهور العدى والباترات رواعد

فتلك بلادى لا افرق بينها ... لها طارف من مجد قومي تالد

■ وظل باكثير يصرخ بالشعر. يحزن لأمته، ويكافح بقلمه من أجلها، وكانت لقضية فلسطين



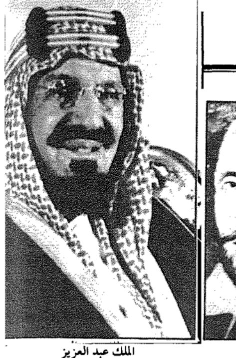
علي احمد باكثير



علال الفاسي



شكسبير



الملك عبد العزيز

وقضايا العرب والمسلمين مكانة في شعره، كما في اعماله الروائية والمسرحية. وقليل في شعره الغزل والحب الا ما يقوله في محبوبته الوحيدة التي اخلص ونذر حياته لها وهي امته العربية والاسلامية. وفجع باكثير بهزيمة ١٩٦٧، وفي الوقت الذي ارتفع فيه الكثير من الاصوات تنادي بالاستسلام صرخ علي احمد باكثير بالشعر مناديا بالامل، وهو يضع الامة العربية في خيار حين يقول في ملحمته الشعرية الكبرى:

اما نكون ابدا
او لا نكون ابدا
غدا وما أدنى غدا لو تعلمون
اما نكون ابدا او لا نكون
قد وضح الصبح لذي عينين
اين الخلاص اين؟ اين؟
لم يبق بين بين
اما نحوز الغايتين
او نخسر الكرامتين

■ ويهلل باكثير لكل دعوة لوحدة الصف العربي إسلامياً ويقف الى جوار كل مكافح مظلوم فله قصائده الكثيرة التي يحيي فيها الكثير من الزعامات العربية والاسلامية النظيفة مثل المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود.. والفضيل الورتلاني.. وعلال الفاسي والدكتور محمد مصدق وبطل اندونسيا وغيرهم كثير ممن توسم فيهم باكثير الخير لأمته.

ولقد اشتبك باكثير مع بعض الذين فقدوا الايمان برسالة أمتهم فعندما هاجمه احدهم بقصيده عنوانها «**رقصة مقدسة**» مخاطباً فيها باكثير:

كيف تدعونى الى رقصتنا
أنا لا أملك ساقاً ثانية

■ يرد عليه باكثير بقصيدة طويلة فتسكته، مطلعها:

لست أدعوك الى رقصتنا
نحن لا ندعو اليها الضعفاء
أنت لا تذكر من قصتنا
يوم كنا نمـَ الدنيا ضياء
لست أدعوك الى رقصتنا
رقصة الموت الى وادي الحياة
رقصته تفضل شرعتنا
وقفة الخاشع في قدس الصلاة
ايها الباكي على ساقك مهلك
قبل ان تقطع كانت زائفة
انا ايضا تلفت ساقي مثلك
غير انى لست ابكي التالفة
في سبيل الله من اجل بلادي
حدث بالاولى وبالاخرى أجود
دون أن أفسد بالمن جهادي
أنا لله ولله أعود!



اغفل كثير من الدارسين الاشارة لريادة باكثير للشعر الحديث او ما سماه باكثير نفسه بالشعر المرسل المنطلق.. وسواء كان هذا الاغفال عن قصد او جهل فالحقيقة التاريخية لا تلبث ان تبرز مشرقة، وهذا ما ظهر اخيرا في العديد من الدراسات الحديثه التي تناولت ريادة علي احمد باكثير للشعر الحديث. فقد ترجم باكثير

مسرحية **(روميـــو وجـــولـيـيت)** لشكسبير للشعر المرسل المنطلق، وهـو ما زال بعد طالبا فى الجامعة المصرية سنة ١٩٣٦م. وقد اعتبر الـدكتور عز الدين اسماعيل هذه المسرحية اول عمل ادبى يترجم الى الشعـر المرسـل فى اللغة العربية ويتقـدم باكثـير فى تجربتـه فيؤلف مسرحية **(اخنــاتـــون ونفـرتيتى)** بالشعر الحديث سنة ١٩٣٨م.

ويروى باكثير نفسه فى مقدمة الطبعـة الثانية لمسرحية (اخناتون ونفـرتيتى) ان بدر شاكـر السياب ظل يذكر له هذا الفضل فى الريادة وكـان يكتب له ذلـك فى كلمات الاهـــداء الـتى كان يخطهـا على دواوينـه المهـداة لبـاكثـير. وكلما التقيا فى القاهرة.

روائى وكاتب مسرحى

ويعتـبر على احمـد باكثـير من قممنـا الادبية الشـامخة فهو يمثل اليوم باعماله الجليلة حقبة مهمة من تاريخ ادبنـا المعـاصر. فهـو من الجيل الثـاني الـذى تلا العـمالقـة امثال: العقاد، وطه حسين وتتلمذ على ايديهـم، ومـن ابـنــاء جيله نجيب محفوظ وعبد الحميد السحار وعبــد الـرحمن الشرقـاوى. هذا الجيل انفـرد بمواهب فذة ومثابرة وجـدية فى الانتـاج والاطـلاع.. ويعتبر على احمد باكثير فى نظر النقاد من اكثر ابناء هذا الجيل وفرة وجودة فى الانتـاج. ولقد شهد له نجيب محفوظ فى معرض حديثه عن ابناء جيله فى كتـاب «أدباء يتحدثون» للاستـاذ فـؤاد دوارة فقـال:

«حين أعـود بذاكرتي الى سنوات الثلاثينيات اجد ان علي احمد باكثير وعبـد الحميد السحار لم يداخلهما اى شك فى قيمـة انـتـاجـهـما، ووجوب الاستمرار فيه. فقد كانا ممتلئين بالتفاؤل اما (الاخرون) وانا فكنـا نعاني من ازمة نفسية غريبة جدا طابعهـا التشـاؤم الشـديد والاحساس بعدم قيمة اى شيء فى الدنيا.

■ وليس هذا الا إنعكـاس لوعي باكثير المبكر برسالته كأديب مسلم فالاديب عنده يجب ان يكون رائدا لأمتـه يبصرهـا بالاخـطار قبـل وقوعها، لتتقيها او تستعد لدفعها. والتزم باكثير برسالته هذه تجاه امته العربية وعالمه الاسلامى فلم يحد عنها ابدا لأنها اتضحت ورسخت بعقله وفكره منذ كان صبيا صغيرا فى حضرمـوت وصورها من خلال اشعاره ومقالاته التى كتبها فى وطنه هناك ـ ثم اتسعت آفاق هذه الرؤية وهو شاب يافع فى القاهرة ليصبح فيها علي احمد باكثير عقلا اسلاميا ناضجا يتسع لفكر انساني لا يعرف الحـدود فيجمـع فى اهابه مواهب عدة فهـو روائي فذ، فقـد امتعنا برواياتــه الـتـاريخية الاسـلامية **(سـلامـة القس)** وقد انتجت الى فيلم سينمائى قامت ببطولته والغناء فيه السيدة ام كلثـوم ومن رواياته بعد ذلك: **(سيرة شجاع)** و**(الثائر الاحمر)** و**(ليلة النهر)** وقد لمع على احمـد باكثـير فى عالم الرواية حين اصدر روايته الشهيرة **(وا اسلاماه)** التى اخرجت للسينما ايضا. ولقد كتب اكثـر رواياتـه باقتـدار وادار الصراع فيها بمهارة لم نعهدها فى روايات ابنـاء جيله التاريخية ولهذا يعتـبر باكثـير قفـزة كبيرة فى تطور الـرواية التـاريخية العـربية، وقـد ساعده على ذلك ثقافته الانكليزية الواسعة وتمكنه من العربية، وايمانه بالحضارة الاسلامية.

■ على ان مواهب باكثير لم تنحصر فى الرواية وحدها فقد ترك لنا تراثا ضخـما من المسرحـيات، بحيث يعتبر فى طليعة الذين كتبوا للمسرح العـربى مسرحيات جديرة بالبقاء منذ ١٩٣٤م، واستمر فى الكتابة للمسرح حتى وفـاتــه واستـطاع بجـدارة ان يقف الى جوار توفيق الحكيم فى قمـة المسرح العـربى، وقـد تميزت مسرحـيات باكـثـير بالاتجـاه السياسى. فنجـد حسـه السياسى يقـوده الى التنبؤ بنكبـة فلسطين قبل وقوعها بثلاث سنوات وذلك فى مسرحية **(شيلوك الجديد)** التى كتبهـا قبـل النكبـة بثـلاث سنـوات اى في سنـة ١٩٤٤م. وكتب بعد ذلك مسرحيته (شعب الله المختار) ثم إله اسرائيل وكلها تمت قبل سنة ١٩٤٨م وما بعدها. انــذر فيهـا باكثـير الى حقيقـة الصهيونية وفضـح شعـاراتهـا وقد





د. عز الدين اسماعيل — عبد الرحمن الشرقاوى — د. محمد مندور

ظهرت على خشبة المسرح مسرحية **(شعب الله المختار)** التى قدمها المسرح للشعب المصرى فى يناير **١٩٥٨م** على مسرح حديقة الازبكية. ذلك اضافة الى العديد من المسرحيات ذات الفصل الواحد التى كان يكتبها فى الاربعينيات عن قضية فلسطين وقد جمع بعضها فى كتابه **(مسرح السياسة)** وكانت مسرحية **(التوراة الضائعة)** آخر ما كتبه عن قضية فلسطين قبيل وفاته وقد نشرتها الدار السعودية للنشر بعد وفاته بشهور.

ولم تكن متابعة باكثير لقضية فلسطين الا لإيمانه المطلق بانها قضية العرب والمسلمين جميعا، هي معركتهم المصيرية لذلك وقف علي احمد باكثير فى بغداد سنة **١٩٦٩م** يخاطب الادباء العرب في مؤتمرهم السابع فيقول: «علي كل مواطن عربي مهما تكن صفته واينما يكن مسقط رأسه، فى الوطن العربى الكبير ان يهتم بالمعركة المصيرية التى تخوضها امته اليوم، اهتماما يفضي الى الوعي الصادق العميق، الذى يدفعه الى الاسهام فى نصرة قومه، بكل ما يقدر عليه».

■ ولقد حمل علي احمد باكثير في مرحلة ما قبل حركة يوليو **١٩٥٢م** عبئا كبيرا فى سبيل تحديد علامات وخصائص الدراما الوطنية ففي غمار الموقف الوطنى المضاد للاحتلال الانكليزى قدم باكثير مسرحية **(امبراطورية فى المزاد)** التى هاجم فيها الاستعمار المؤيد للصهيونية.

وفى هذه الفترة ايضا ابان الغليان الوطني وحوادث الفدائيين فى معركة قناة السويس يقدم باكثير مسرحيته الشهيرة **(مسمار جحا)** التى اخرجها زكي طليمات، واثارت بعد تمثيلها ضجة واسعة لما كانت تحمله من تحريض على الثورة ضد الاستعمار.

■ وفى مسرحية **(الفرعون الموعود)** التى كتبها سنة **١٩٥٠م** يكشف عن الاوضاع السياسية الفاسدة بمصر، ويتنبأ فيها بالفرعون الموعود الذى يخلص مصر من الاستعمار والفساد الا ان حلم باكثير فى تلك الزعامه لم يتحقق بالصورة التى رآها. ثم قدمت له الفرقة القومية المصرية فى الموسم المسرحي **١٩٥٣-١٩٥٤م** مسرحيتى **(سر الحاكم بامر الله)** و**(سر شهر زاد)** ففى الاولي يطرح باكثير رؤية جديدة لشخصية تاريخية احيط سلوكها بالغموض والابهام، وقد ابدع باكثير فى تصوير تلك الرياضة التى يحاول فيها الحاكم الاتصال بالله.

وقد عرضت هذه المسرحية لاول مرة سنة **١٩٤٨م** ثم اعيد عرضها بنجاح كبير سنة **١٩٧١** حين اخرجها فتوح نشاطى بعد وفاة باكثير رحمه الله. اما الثانية وهى (سر شهرزاد) التى عالج فيها باكثير هذه الاسطورة معالجة جديدة حيث اعتبرها الدكتور محمد مندور خير مسرحية كتبت حول هذا الموضوع باللغة العربية. وقد تفوق باكثير فى معالجتها دراميا على زميليه توفيق الحكيم وعزيز اباظة، ثم ترجمت هذه المسرحية للفرنسية فى حينها.

■ وقد كتب باكثير العديد من المسرحيات التى استمد موضوعاتها من التاريخ والاساطير مثل مسرحيته الشهيرة (مأساة اوديب) واتجاهه الشديد لاستلهام التاريخ والاساطير الا اننا نجده يلتفت الى ميدان المسرحية الاجتماعية فيقدم

لنـا اكـثـر من ثماني مسرحيات اجتماعية فكاهية هادفة من اشهرها **(جلفـدان هانم) و(قطط وفئران) و(الدنيا فوضى)** وقد عرض بعضها في الستينيات.

والى جانب ذلك كله فإن على احمد باكثير يعتبر اعظم من كتب للمسرح الاسـلامي فقـد عالـج القضايا الاسلامية باقتدار في اعماله جميعـا، فهنـاك مسرحية **(هاروت ومـاروت)** ومجمـوعـاته الاسلامية **(هكذا لقي الله) و(من فوق سبع سموات)**.

ولعل اعظم ما كتب باكثير من مسرحيات اسـلامية هي **(ملحمة عمر)** التي تضم ثمانية عشر جزءا صدرت طبعتها الاولى في القاهرة ثم اعيد طبعها في الكويت ونشرتها مكتبـة دار البيان.. تنـاول فيهـا التاريخ الاسلامي في عهد الخليفة عمـر بن الخـطاب.. وقد اعطى المؤلف منحـة تفـرغ لمدة سنتين لكتابتها (١٩٦١-١٩٦٢) وهو اول كاتب يمنح هذه المنحة في مصر..

وقد تحدث باكثير عن انه يتمنى ان يراها تمثل على المسرح في عدة حفـلات او في التلفزيون في عدة حلقـات. وهـذا بلا شك عمـل جليل يعـود بالنفـع على مجتمعاتنا الاسـلامـية فيجـب ان يسـتفيد اعـلامنـا بهذا التنـاول الممتاز ويتحف تلفـزيوننـا ومسرحنـا به كمستـوى فني ومنهج وفكر معا، بدلا من الاعمال الضحلة التي لا تضيف جديدا الى حياتنا الفكرية والخلقية.

■ ولقـد عاني كثـيراً، وتعـرض المرحـوم علي احمـد باكثير في آخر سنـوات حياتـه لكـثـير من الاضـطهـاد. وكثير من الظلم في محاولـة حاقـدة لحجبـه عن مراكز الضوء، ولعزله عن القافلة الادبية ولذلك فان باكثير لم يثر حول نفسه الـغـبــار، وانـــما لاذ بالـصـمـت واحتجب في سكـون، ولكنه ظل يكـتب لانــه كان يؤمن بان حياة الاديب في قلمـه، وان موت الاديب في توقفـه عن الكتـابـه. وليس في ابعاده عن مراكز الضوء. وقلم باكثير لم يجف حبره ابدا.. فقد ظل مستمرا حتي آخر لحظات حياته مؤمنا بان عمر العمل الادبي اطول من عمر صاحبه.

■ وقد مات علي احمد باكثير حزينا في العاشر من نوفمبر سنة ١٩٦٩م وهـو يردد كلمتـه الاخـيرة: **«لقد ذبحـوني»** لكن قلبـه كان يصرخ دومـا: **(وا اسـلاماه)** مؤكدا ايمانه بالمبـدأ الـذى يسير على هداه منذ صباه حتى وفاته، ولم ينحرف عنه ابدا ويكفيه عظمة وخلودا انه التزم الفكر الاسلامي في كل اعماله وظل يصر عليه ويصرخ به في وجه كل العواصف الملونة الوافده من خارج الحدود الاسلامية.

■ لقد ترك علي احمد باكثير اكثر من ستـين مسرحـية وخمس روايات وديوان موزعة اشعاره بين القاهرة وحضرموت ومجلات عربية بحاجة لمن يجمعهـا.. وتـرك ايضا عشرة اعـمال ادبية مخطوطـة معـظمهـا مسرحيات مازالت ترقد في منزله في القاهرة بحاجة الى طبع، وفي شوق للخروج الى الناس.

واليوم وقـد انقضى عشرون عامـا على وفـاتـه، فمن يتصـدى لإخـراج تراث باكثير المخـطوط وطبعه، لكل سطر خطه تحت راية القرآن؟!





من المشكل في الرسم

بقلم: ابراهيم السامرائي (صنعاء)

كنت قد قرأت فى (مقالة) فى عدد من (المنهل) من الاعداد المتأخرين شيئا يندرج فى تصحيح المعربين جاء فيه بما معناه : أن ألف (ابن) تحذف بين علمين إ ن كانا ولدا وأباه، فإ ن كان العلم الثانى ليس أبـاً، بل جدا أو ما هو فوق ذلك فلا تحذف (الألف)(١).

أقول: إ ن هذا الذي نبه عليه كاتب المقال وهو عدم حذف الألف إ ن كان العلم الثانـي غير أب، لم أقف عليه، وما أظن أن احدا من أهل العلم الاوائـل الذين كتبوا فى الرسم قد ذهب اليه، وسأقول فى هذه المسألة.

■ إن هذا الشيء الذى يتصل برسم (ابن) قد حفزني الى الكتابة فى «المشكل فى الرسم» فجمعت طائفة من الكلم أوعبتها لهذا الموجز.

أقول: إن (ابن) وكذاك (ابنة) و(اسم) و(اثنان) وغير هذا يندرج فى بابه (ألف الوصل) ومجيئها فى أسماء عدة ذكرت طرفاً منها. وهي (همزة الوصل) فى كتب النحاة المتأخرين والكتب المدرسية.

■ ان النحاة المتأخرين وغيرهم من المعنيين بالرسم لم يهتدوا الى علة حذف الالف هذه، بل جعلوها تنبيهاً للدارسين الشداة، وكأن حذف الألف خاص بـ«ابن» فى حالة مجيئها بين علمين. إن سقوط الالف بين علمين قد نبه إليه النحاة الأوائل، ذلك ان اولئك قد فطنوا الى أن علة الحذف مسألة صوتية.

قال الخليل بن احمد ان الالف فى (ابن) سلم يوصل به الى الساكن وهو الباء. وهذا يعنى أن هذه الألف ساكنة، فإذا وقعت بين علمين التقى ساكنان هذه الالف والباء الساكنة. فى (ابن) فحذفت الألف تخلصاً وذلك فى سبيل أن يكون الأداء مما تطمئن إليه الأذن العربية.

أقول: هذه هى العلة الموجبة لحذف الألف، وهى تكون سواء أكان العلم الثاني أباً أم جداً. فإن قلت: فلم تحذف الألف من (ابن) فى قولنا مثلا: قال ابن مالك.

قلت: هذا يندرج فى العلة الصوتية ولكن المعربين أجروه رسماً، وإن سقطت الألف نطقاً، وكان حق الألف جرياً على هذا ان تسقط.

ولنفسح فى المكان لـ (ابن) هذه فنقول: إنها مثل (اسم) وهما كلمتان ثنائيتان، والثنائي فى العربية لا ينصرف الى الفوائد اللغوية. ومن هنا ذهب به فى الاستعمال الى الثلاثي، ولذلك قال الصرفيون واللغويون: انهما ثلاثيان، وان الحرف الثالث قد حذف، والاصل (بنو) و(سمو).

أقول: انهما ثنائيان والوصول بهما الى الثلاثي يحقق غرض المستعملين ولو انهما بقيا ثنائيين لم يتأت منهما شيء. ونخلص من هذا ان الألف فيهما زيدت للوصول الى البدء بالساكن، والألف على سكونها تحتمل شيئاً من حركة إن بدىء بـ (ابن) نحو قولنا: ابن مالك أول من نظم علم النحو.

أقول: بعد هذا أود أن أصرف نظر القارىء الى (اسم) وحذف ألفها فى (البسملة) فى تلاوتنا: «بسم الله الرحمن الرحيم». وليس حذف الالف خاصاً بالبسملة كما نص

على ذلك والمسألة صوتية، وهي ما ذكرناه في «ابن» وعندي أني لو قلت: «باسمه تعالى» كان حقيقاً أن أرسم: «بسمه تعالى» ولكن لم يجر أهل العلم على هذا النحو على صحته.

ولا أراني أقول قولهم: إن لفظ «بسم الله . . . » تكرر كثيراً فلُجىء الى هذا، ذلك أن العلة تتصل بحسن الأداء وحق التلاوة الحسنة تقتضي الحذف.

ولنـرجـع الى (ابن) في كتب النحـو في باب «الف الـوصل» فنجد «إبنُمن» وهي بمعنى (ابن) وقد سكت النحـاة عن الكـلام على «ابنمن» هذه، وكـأنهم جهلوا حقيقتهـا. والذي يقوي هذا الظن أنهم رسموها على ما نرى وأنهوها بالنون. وحقيقة الأمر ان الأصل هو «إبنُمْ» وكـان ينبغي ان تظل الميم ساكنة، وهي من عربية أهل اليمن ورثوها من لغتهم السبئية القديمة.

■ إن هذه الميم تقابل نون التنوين في العربية العدنانية، وأنا ادعوها «ميم التمييم» كقولنا: «نون التنوين».

أقول: لجهل النحاة بهذه الحقيقة اللغوية التاريخية ختموا الكلمة بنون هي التنوين وقد رسموها خطأ خلافاً لما جروا عليه من أن نون التنوين تنطق ولا ترسم.

■ وقد وردت هذه الميم في قول حسان:

ولـدنـا بني الـعـنـقـاء وابـنَيْ محرّق
فأكـرِمْ بنـا خالا وأكـرم بنـا ابـنَـما

■ ومن جهل اللغويين والنحاة زعمهم ان الميم هذه زائدة وهي كالميم في زُرْقُم وشَدْقم زيدت لتكثير البناء وأصلها: زرق وشدق.

ولنمضِ قليلا مع «ابنمن» هذه لنقف على آبدة طريفة وقع عليها اللغويون والنحاة فوقعوا في خلط وخبط.

أقـول: لقـد أثبتوا كلمة «أيمُن» مع الاسماء التى ألفها «ألف وصل» وكأن الكلمة أحدثت خلافاً فمنهم من أصر على إثباتها، ومنهم من استبعدها.

■ ان الذين استبعدوها قد أدركوا أنها جمع «يمين» مثل «أشهُر» جمع «شهر». وكنت قد نبهت الى ان الكلمة قد انـدرجت مع هذه الاسـماء تصحيفـاً واشتبـاهاً ذلك أن الكلمة هي «ابنُمن» التى تكلمنا عليها. ومن اليسير ان تتحول هذه الى «أيمُن» لتشابه الرسم.

أقول: وكم أضاف «الاشتباه» والاعجام والاهمال في رسم الحروف من الكلم واندرج في متن المعجم.

وقـد وسعـوا القـول في «ايمُن» فقالوا: تحذف نونها فتكون «وايم» في القسم كقولهم: وايمُ الحق. . . وقالوا: قد تنطق «ويم الحق» وغير هذا.

اقـول: وكأن استعمال الكلمة في القسم مسبوقة بالواو، وتكـرار هذا القسم وترداده في كلامهم أوهمهم ان ألفها الف وصل لسقوطها بعد الواو.

■ هذا ما كنت قد أشرت إليه في غير هذا الموجز وذهبت الى ان همزة «أيمن» هي همزة قطع لأنها همزة بناء الجمع على «أفعُل».

انتهى الكلام على «ابن» وتوابعها.

■ ومن الرسم قد يتأتّى إحداث ما ليس من العربية بوجه، ومن هذا:

قولهم: استَحَى، يَستحي.

أقول: ان أصل الفعل هو استَحْيَى يَسْتَحيي وبسبب من إساءة «الرسم» صرنا الى هذا الفعل الذي انخرمت منه احدى أصوله وهي الياء.

فإن قلتَ: إن لهذا نظائر في العربية وهو الفعل «تَـخِذَ» وليس له فعل مضارع، قلتُ: هذا من النوادر التي وردت في العربية، ونوادر العربية أدب جم.

وأذكر مما يندرج في باب «الرسم» ما قرأته أيام الطلب في كتاب «الكامل» لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد الذي أورد شاهدا على «المتفيهقين» بمعنى «الثرثارين» وهو قول الأعشى:

نفـى الـذمَّ عن رهط المـحـلِّق جفـنـه
كجـابـيـة الـشـيـخ الـعـراقي تَفْـهَـقُ

■ قال أبو العباس:

كذا ينشده أهل البصرة، وتأويله عندهم أن العراقي اذا تمكن من الماء ملأ جابيته لأنه حضري فلا يعرف مواقع المـاء ولا محالّه. (قـال أبـو العباس): وسمعت أعرابية تنشد: . . . . كجابية السَّيْح . . . تريد النهر الذى يجرى على جابيته فماؤها لا ينقطع لأن النهر يمده.

وكأن أبا العباس قد ضعّف قول الأعرابية وحسبها قد ذهبت الى ضرب من التصـور والخيال فقـال مؤيداً قول البصريين وكأنه رآه الصواب:

ومثل قول البصريين فيما ذكروا به «العراقي الشيخ قول ذي الرمة:

لها ذنب ضافٍ وذفرَى أسيلةٌ
وخد كمرآة الغريبة أسجَحُ

أقول: ان هذا الذي سمعه المبرد من قول الأعرابية يعني أن الأعرابية تبعت نفراً من الناس ممن يقرؤون قد صحفوا «الشيخ» فصار «سيحاً» بسبب الاعجام والإهمال.

انتهى هذا الخبر والكلام عليه.

■ ومما يندرج في هذا مصادر جاء فعلها على «فَاعَلَ» وأصله مضعف ثلاثي نحو: «مشاحَّة» و«مُشادَّة».

■ إن المعربين في عصرنا جهلاً منهم بالأصول أهملوا النطق بالتشديد، فكان في نطقهم واستعمالهم «مشاحَة» و«مشادَّة» وتجاوزوا الى أبعد من هذا ففتحوا الميم فيهما.

واذكر أني سألت طلاب «الدراسات العليا» في بغداد وعمّان وصنعاء عن الفعل من «مشادة» هذه، فقال أكثرهم «شادّ» أقول: والشكوى الى الله.

فانظر الى إساءة الرسم وعدم إثبات علامة التشديد، وما أدى كل ذلك من عبث.

ومثل هذا «تضامٌّ» وهو مصدر على «تفاعُل» والثلاثي هو «ضمَّ» والميم لابد أن تكون مشددة في المصدر.

ولكن المعربين يجهلون فتجري السنتهم الى الأسهل والايسر فأهملوا التشديد، ثم بدا لهم ان التنوين نون فكتبوا في استعمالهم ما ينطقونه فتحولت «تضام» الى «تضامن».

أقول: إن المراد بـ «التضامُّ» الاتحاد وذلك ان ينضم الناس بعضهم الى بعض وليس المراد ان «يضمن» أحدهم الآخر. ومن هذا التصور الخاطىء نشأ «التضامن» فقالوا: بنك التضامن، وجمعية التضامن وغير ذلك، والمراد الاتحاد لا الضمان.

فانظر ـ رعاك الله ـ ايها القارىء الى كثير مما نعبث فيه.

وأنهي هذا الموجز فاذكر خبراً يتصل برسم «عمرو» وقد كسع هذا العلم في صنعة أهل الرسم بواو، وهذه الواو كأنها فارقة جيء بها لتمييز «عمر» عن «عمرو» وهذان العلمان مما يتردد في كتب الروايات وما يكون فيها من أسانيد وهم بهذا ابتعدوا عما يمكن أن يكون من الخطأ.

والأصل في هذه الصنعة ان رسم الحروف والكتابة قد خففوا فيهما من ذكر الحركات، فهم قلما يشكلون الكلم.

وإن كان التفريق حاصلاً بين «عمر» و«عمرو» في حال نصب «عمرو» إذ لا حاجة للواو، ذلك ان «عمر» لا ينون و«عمرو» يُنون فنقول:

رأيتُ عمرَ ، ورأيت عَمْراً

أقول هذه المسألة ظهرت في نكتة بديعة في ترجمة الشريف الرضي في «وفيات الاعيان لابن خلكان، جاء فيها: (٢)

ذكر ابو الفتح ابن جني . . . في بعض مجاميعه: ان الشريف الرضي . . . أحضر الى ابن السيرافيّ النحوي، وهو طفل جداً ـ لم يبلغ عمره عشر سنين ـ فلقنه النحو، وقعد معه يوماً في حلقته، فذاكره بشيء من الإعراب ـ على عادة التعليم ـ فقال له: اذا قلنا: «رأيت عَمْرو» (كذا) فما علامة النصب في «عمرو»؟.

فقال له الرضي: بُغضُ علي.

فعجب السيرافيّ والحاضرون من حدة خاطره.

أقول: لابد أن يكون في الخبر شيء يوجب ان يجعل الشريف يذهب الى جوابه هذا الذي دل على حدة خاطره. وهو أن السائل لم ينوّن «عمرو» إذ لو نوّنه لم يكن للشريف أن يجيب هذا الجواب.

وأنا اذهب الى ان «عمرو» في هذه النكتة «النادرة» هو «عُمرو» لا «عُمَر» كما في «الوفيات» نشرة الدكتور إحسان، وذلك لأن الشريف يعلم، وهو في سن صغيرة، ان «عمر» لم يبغض «علياً» وما كانت الصلة بين الرجلين ـ رضي الله عنهما ـ صلة بغض وكراهة، ذلك أن امير المؤمنين علي بن ابي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال في إحدى خطبه:

. . . ان ابن الخطاب كان نقي الثوب، قليل العيب، أدى الى الله طاعته . . . وقد قال عمر في علي ـ رضي الله عنهما: لولا عليّ لهلك عمر.

■ **وبعد فهذا موجز لطيف صرفت فيه الكلام على «الرسم» وشجونه.**

الهوامش

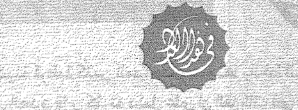
(١) أقول: درج الناس من أهل العلم على حذف ألف «ابن» بين علمين وكأنهم لم يتجاوزوا هذا، فلو قيل مثلاً: ذكر ابو الفتح ابن جني، أثبتوا الألف، وكان حق الألف ان تسقط لما ذكرت في كلامي من أمر العلة الصوتية.

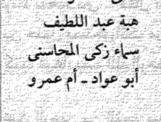
(٢) وفيات الأعيان ج٢، ص٣ (المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٠هـ.



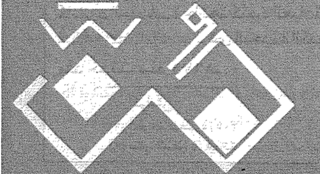


النساء .. شقائق الرجال



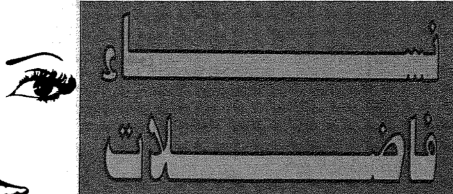


الاشراف
د. ابتسام صادق — الرياض
هياة عبد الحميد عنبر — جدة





وداد سكاكيني «دمشق»







قيل إ ن مئة وسبعين قارئة للقران في مدينة قرطبة كتبن المصاحف ونسخنها بالخط الكوفى فإ ذا كان المؤرخ الذي روى هذا الخبر غلا فى العدد فإ ن كثرته دليل على أن القارئات فى القران الكريم ومن علمن التجويد فيه والترتيل كن ألوفا، أما الكاتبات الناسخات للمصاحف كن جديرات بالتقدير لاجادتهن فى أنواع الخطوط، ومن المحدثات كانت أمية بنت عبد الواحد السعدى المقدسي ثم الدمشقى محدثة والدة السيف بن المجد الحافظ، قال أخوها الضياء: ما فى زمانها مثلها، توفيت سنة ٦٤٠هـ(١).

آمنه الرملية ـ عابدة زاهدة من أهل الرملة بفلسطين عاشت فى القرن الثالث الهجرى، جاء فى صفوة الصفوة عن جعفر بن محمد صاحب بشر بن الحارث قال: (اعتل بشر بن الحارث فعادته امنة الرملية. وأنها عنده ذات يوم إ ذ دخل عليهما أحمد بن حنبل فسأل: من هذه؟ قال صديقه: هذه امنة الرملية العابدة الزاهدة وقد جاءت من الرملة لتعودنى .. فقال ابن حنبل: قل لها تدعو لنا ... فأجابت: اللهم إ ن بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل يستجيرانك من النار فأجرهما... قال أحمد: وانصرفت رملة ولما كان الليل ألقت إ لي رقعة كتب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم (قد فعلنا ولدينا مزيد)(٢).

آمنة عبد الرحمن المقدسية بنت الموفق عبد الرحمن بن النجم سمعت من النجيب عدة اجزاء من الموافقات وكانت امنة صالحة خيرة، قال البدر الفلسطينى النابلسى فى مشيخته إ ن امنة كانت صالحة عابدة خاشعة كثيرة العبادة توفيت فى ٦ شوال ٧٤٧هـ.

آمنة محمد المقدسى ـ هى المحدثة الكبيرة أخذت العلوم عن علماء عصرها، وذاع صيتها كمحدثة وقد حدثت سنة ٦٧١هـ.

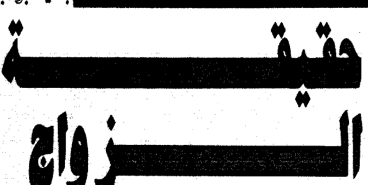
الهوامش

(١) شذرات الذهب ٥/ ٢٠٧

(٢) صفوة الصفوة ٤/ ٧٠٥

كلمة وربع

بهية بوسبيت «الأحساء»



حقيقة الزواج

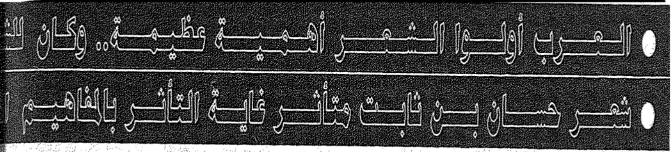
كثر فى الآونة الأخيرة الحديث عن الزواج وتأخر زواج الفتيات ورفض بعضهن الخاطب، وإلقاء اللوم على الفتاة التى يمضى بها قطار الزمن بحجة أنها تشترط شروطا صعبة فى المتقدم لها ويرجع ذلك إلى أنها مغرورة وما إلى ذلك من اتهامات باطلة دون أدنى سبب، سوى أنها لا تملك حق الـدفـاع عن نفسها بصراحة أو جرأة، لأن ايمانها وحياءها يمنعانها من ذلك، حتى وإن اشترطت - فتاة - فالشاذ لا يوضع تحت المقارنة، ومسألة الزواج وتأخرها أو تبكيرها ليست فى يد الانسـان، فالله سبحـانه وتعالى هو الذى يقسم ويجود والزواج قبل كل شيىء قسمة ونصيب والمقسوم لكل انسان لابد أن يناله فى وقته مهما تأخر.

■ أما رفض الفتاة للاشخاص الذين يتقدمون لخطبتها فليس من باب الغرور أو التكبر، بل لأنها تطمع فى زوج معين بصفات معينة يكفل لها حياة كريمة سعيدة ويكون لها سكناً ويعتبرها نصفه الآخر الذى لا يستطيع الاستغناء عنه، الفتاة العاقلة لا تطمع فى أكثر من زوج يحترمها ويقدرها ويكفل لها المودة . . يعاملها بحنان وحب وتقدير، يكون لها زوجاً وابأ واخاً وحبيباً يشاركها . . فى افراحها واتراحها يساعدها إذا احتاجت لمساعدته، يكون عونا لها فى الشدة كما فى الرخاء، لا أن يتذكرها فى الرخاء، ويهرب منها وقت الشدة، المرأة لا تفكر فى سن الرجل أو منصبه أو شهاداته العـاليه، أو حالـه وعقاراته، إنها لو تقترن بزوج كهذا وتفقد معه كل أسس مقومات السعادة الزوجية التى خصصها القرآن الكريم فى معاملة الزوج لزوجته، لن تشعر بالسعادة، بل ستندم لزواجها من رجل لا يحب إلا نفسه ولا يعيش الا لها ولجمع المال - الزواج أيها الأخوة رباط قوى يجمع شخصين على مودة وسكينة وتضحية وليس مجرد واجهة يظهر بها الزوج أو الزوجة . . المرأة تطمح إلى زوج كفء لها يهيىء كل اسباب السعادة وهذا الزوج إن لم تتوفر فيه الاخلاق الكريمة، والدين والوعى والاحساس بالمسؤولية فهو لا يستحق أن يكون زوجاً أو اباً فى يوم من الأيام. والمرأة ليست كلها عيوب كما أن الفتاة الجامعية ليست مغرورة فالانسان ليس بشهادته . وتأخر الفتاة عن الزواج ليس بيدها.



■ هل يمكن لأى فتاة تعجب بشخص ما أن تخطبه لنفسها - بالطبع الاجابه لا . . والزواج قسمة ونصيب.

فلماذا يا أيها الرجال تلقون باللوم على الفتاة وهى التى لا تملك من امرها شيئا.. تذكروا الله وتـذكروا أن كل شيىء بقدر معلوم فلا تظلموا اللائى لم يأت نصيبهن حتى الان وتدعوا انهن مغرورات أو يبحثن عن زوج يحمل شهادات عالية ويملك المال الكثير.



دور الشعر العربي في الدع

■ والشاعر يحظى بمكانته فى قبيلته وتحظى قبيلته بمكانة عالية بين القبائل لانتماء الشاعر إليها، وظهور موهبة شعرية عند شاعر فى الجاهلية كان أمراً يستحق الاعتبار ويلفت الانظار، فكان إذا نبغ فى القبيلة شاعر أتت القبائل واجتمعت متفاخرة بوجوده بين ظهرانيهم فكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج.

ولما كان دور الشاعر التغنى بمنا قب القبيلة ورثاء موتاها وهجاء أعدائها.. ولما كانت للشاعر مكانة عظيمة بين القبائل فى الجاهلية فإن الشعراء قد إعتدوا بأنفسهم.

■ وقد ورد فى تاريخ العرب ما يدل على اعتداد الشعراء بأنفسهم واعتبارهم لأنفسهم أرقى الطبقات عقلاً فى مجتمع الجاهلية بدليل ما صدر عنهم من شعر.

ولعل موقف الطفيل بن عمرو شاعر دوس من محاولة عزل قريش له ومنعه من مقابلة النبى ﴿ﷺ﴾ يوضح لنا اعتزاز الشاعر بعقله، فقد أبى أن يكون مجرد تابع لقريش فيما يقولونه وهو الشاعر الذى تعود أن يكون مسموع الكلمة، صائب الرأى. إذ قال الطفيل «والله إنى لرجل لبيب شاعر لا يخفى علىّ الحسن من القبيح فما يمنعنى أن أسمع من الرجل ما يقول فإن كان الذى يأتى به حسناً فعلته، وإن كان قبيحاً تركته».

■ وقد كان للشاعر فى مجتمع الجاهلية مكانته بما كان لكلمته من سرعة انتشار لا مثيل لها فقد كانت قصائد الشعراء تطير عابرة الصحراء أسرع من الرياح فتحدث أثرها العظيم فى نفوس من يسمعونها، وكان الشعراء أداة النشر وطرق الاعلام حتى أن حدثاً يذكر فى قصيدة جدير بأن تعلم به القبائل فى قاصيها ودانيها. وكان الشعراء صحفيى الجزيرة العربية لهم المكانة والنفوذ فالشاعر إذا رأى الرحيل ارتحلت قبيلته واذا قال بالحرب حاربت.

●● ومن هذا يتضح أن شعر العصر الجاهلى يتميز بـ:

١ ـ لون متأصل فى النفوس ومحبب الى النفس العربية.

٢ ـ لون يتحقق له سرعة الانتشار بين الناس.

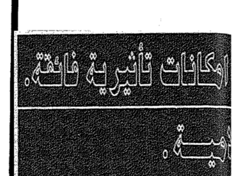
٣ ـ لون يتحقق لقائله التأثير فى الناس.

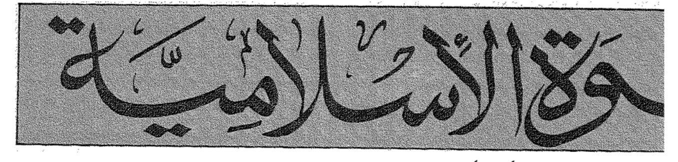
■ ولما كان الأمر كذلك أراد النبى ﴿ﷺ﴾ أن يلتقى والعرب حول لون مألوف محبب الى نفوسهم وهو يخاطبهم بالدعوة للاسلام. كما لم يشأ النبى أن يدع مجال التأثير من خلال الشعر وقفا على شعراء قريش ومن يعادونه ولذلك أوجد النبى نوعاً من الاتصال بالرأى العام من خلال هذا الشكل المحبب وهو الشعر.

وكان الناس يتشوقون الى معرفة ما بين محمد وأعدائه من قريش وما انتهى إليه أمر الصراع بينهما فخرجت

أولى العرب الشعر أهمية عظيمة، فأحاديثهم فى مجالسهم وتنافسهم فى مجتمعاتهم وبخاصة فى الاسواق ومواسم الحج، وحاجتهم الى التأثير فى القلوب وامتلاك الافئدة كى يصلوا الى ما يريدون من قضاء الحاجات أو حل المشكلات أو الزهو والتعالى على من سواهم كل ذلك أبرز عندهم أهمية الشعر والشعراء.

وللشعراء امكانات تأثيرية فائقة، ويحفل تاريخ الجاهلية بأمثلة كثيرة لشعراء دافعوا عن أعراض قبائلهم، وشعراء شفعوا لقبائلهم لدى الملوك والحكام، ولشعراء حط هجاؤهم من شأن اعدائهم، ولشعراء سما بهم شعرهم حتى نادموا الملوك وكانوا من خواصهم.





منى محمود «المدينة المنورة»

أمثلة من الشعر الاسلامى ودوره فى مجال الدعوة الاسلامية:

صاغ شعراء الاسلام: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة العديد من القصائد التى كان لها تأثيرها فى نفوس سامعيها.

فقال حسان بن ثابت فى مدح الرسول ﴿ﷺ﴾:

شق له من اسمه كى يجله
فذو العرش محمود وهذا محمد
نبى أتانا بعد يأس وفترة
من الرسل والاوثان فى الارض تعبد
فأنذرنا نارا وبشر جنة
وعلمنا الاسلام فالله نحمد
وأنت إله الخلق ربى وخالقى
بذلك ما عمرت فى الناس أشهد
تعاليت رب الناس عن قول من دعا
سواك إلها أنت أعلى وأمجد

القصائد الاسلامية إعلاماً صادقاً ينقل أخبار النزال بين الحق والباطل.

ولذلك لم يتجاهل النبى الشعر فكان يعلم عليه الصلاة والسلام المكانة التأثيرية للشعراء، ولذلك سمع النبى ﴿ﷺ﴾ شعراً فى مدحه ومدح الدين الذى جاء به، وفى ذم قريش وأعداء الاسلام.. واستقبل ذلك قائلاً: «ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم».

● وقال النبى ﴿ﷺ﴾: أمرت عبد الله بن رواحه فقال وأحسن.. وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن.. وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى».. واستمع النبى لحسان وهو ينشد فقال: لهذا أشد عليهم من وقع النبل «أى على المشركين».

■ ويتضح مما سبق أن النبى وأصحابه ما كانوا غافلين عن أثر الشعر فى نفوس العرب وفاعليته فى التأثير على الرأى العام. وكان تقدير الاسلام للشعراء نابعاً من أن الشعر هو اللغة المحببه الى نفوسهم.. ومن هنا كان أداة لا يستهان بها فى نشر الدعوة وسخر الشعراء المسلمون الشعر للاتصال بالناس واقناعهم بالدين الجديد.

لك الـخـلـق والـنـعـمـاء والامـر كله
فإياك نستـهـدى وإياك نعـبـد
لان ثواب الـلـه كل موحـد
جنـان من الـفـردوس فيـهـا يخـلـد

■ ولعل المتأمل فى هذه الأبيات يدرك حقيقة هامة وهى أن شعر حسان متأثر غاية التأثر بالمفاهيم الاسلامية والآيات القرآنية وفى ذلك أعظم تأييد للدعوة الاسلامية وهذا يوضح أنه ليس من الضرورى أن يكون الشعر مؤديا دوره فى الدعوة للاسلام من خلال الفاظ تحمل وتحث الناس على الدخول فى الاسلام بالتوجيه المباشر ولكن بحسب الشاعر أن يردد المفاهيم الاسلامية وأن يضمن شعره كلمات التوحيد وأن يتأمل الكون ويلاحظ الطبيعة فتخرج هذه المعانى من نفس المسلم وعندئذ يكون قد أدى أعظم دور للاسلام من خلال لون محبب الى النفوس.

■ والملاحظ أن حسان بن ثابت حتى وهو يهجو أعداء النبى ﴿ﷺ﴾ مدافعاً عنه كان يقوم بالدعوة الى الاسلام ويعكس بشعره المعانى الاسلامية المستمدة من النصوص القرآنية.

فقد قال حسان لأُبَىّ بن خلف ـ وقد جاء الى النبى ﴿ﷺ﴾ بعظم بال قائلاً له: تزعم أن ربك يحيى الموتى فمن يحيى هذا..

■ فقال له حسان:

لقـد ورث الـضـلالـة عن أبـيـه
أُبـىّ يوم فارقـه الـرسـول
أجئـت مـحـمـدا عظمـا رمـيـمـا
لتـكـذبـه وأنـت به جهـول؟

■ ولعلنا نلمح تأثر الشاعر بآيات قرآنية من سورة يس حيث يقول الحق ﴿وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم﴾ (يس/٧٨) وما بعدها. وكان حسان يؤكد وهو يهجو أن البعث أمر حتمى لا مجال للشك فيه كما أنكر أبى بن خلف فرد عليه حسان بن ثابت مؤكداً مفهوماً من المفاهيم الاسلامية وهو حتمية البعث بعد الموت.

وحسان يرثى من استشهد من المسلمين فى سبيل الدعوة عندما خرجوا دعاة مسالمين فنالهم غدر الغادرين ـ نجده يردد مفاهيم اسلامية فيعلن على الناس أن من معانى الاسلام وأخلاقه الوفاء بالعهد وعدم الخيانة.

●● قال حسان يرثى دعاة يوم الرجيع:

ولـكـن الـرجـيـع لهـم محـل
به الـلـؤم الـمـبـيـن والـعـيـون
هم غروا بذمـتـهـم خبـيـبـا
فبئس الـعـهـد عهـدهـم الـكـذوب

●● ويقول فى نفس المعنى مؤكدا خسة من غدروا بالدعاة:

ليـت خبـيـبـا لم تخـنـه أمـانـة
ولـيـتـه كان بالـقـوم عالـمـا

●● وقال حسان عن يوم بدر:

لقـد علمـت قريش يوم بدر
غداة الاسـر والـقـتـل الـشـريـد
بأنـا حيـن تشـجـر الـعـوالـى
حمـاة الـروع يوم أبـى الـولـيـد
قتـلـنـا ابـنـى ربـيـعـه يوم ساروا
إليـنـا فى مضـاعـفـة الـحـديـد

■ وهو يبدو فى قصيدته يحيط العرب علما بما انتهت اليه واقعة بدر ويصدر بيانات عسكرية لها تأثيرها على الرأى العام تتضمن:

١ ـ ذكر انتصار المسلمين وهزيمة قريش.
٢ ـ الاشارة الى دلائل هزيمة قريش بأن قتل البعض وأسر آخرون.
٣ ـ التنبيه الى مرارة الهزيمة فقد قتل الاشراف من قريش كعتبة وشيبة ابنى ربيعة.

●● فكان يتصل بالرأى العام إتصالا إعلامياً يخبره فيه بنتائج المعركة التى يرتقب سماع أى نبأ عنها.

الشعر وأثره فى رفع الروح المعنوية

أخذ الشعر مكانة وأدى الشعراء أدوارهم فى المعارك فعاونوا بالكلمة الى جانب السيف فى إلهاب حماس المسلمين وكان لوقع كلماتهم فى النفوس أبلغ الأثر. وقد كان النبى يشهد لهم بذلك.

■ ومن خلال قصائدهم أوصل الشعراء للناس كلماتهم ترغيباً فى القتال وحثاً على الشهادة وقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه ورغبوا الناس فيه واستشهد بعضهم وهو فى غمرة القتال يحث الناس على بذل الأرواح فى سبيل رفعة أمر الدين. وفى عمرة القضاء أخذ ابن رواحة يقول الشعر وعمر بن الخطاب يقول له يا ابن رواحة أبين يدى الرسول وفى حرم الله تقول الشعر؟.. فقال له النبى ﴿ﷺ﴾ خل عنه يا عمر فلهى (أى هذه الأبيات ونكايتها فى المشركين) أسرع من نضح النبل.

وأخذ حسان شاعر الرسول دوره فى هذا المجال فانبرى كذلك يوم عزم النبى على غزو مكة وفتحها يحرض الناس.

وفى سرية مؤتة ـ وقد جعل النبى قيادة المسلمين فيها لزيد بن حارثة أولا فإن أصيب فجعفر بن أبى طالب فإن أصيب فعبد الله بن رواحة.. وقد رأى جعفر هول الموقف فانطلق وسط جموع الروم وهو يردد كلمات تزيده قوة وتبعث فيمن حوله روح الاقدام حتى الموت:

حبذا الجنة واقترابها
طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها
على اذ لاقيتها ضرابها

●● ورأى ابن رواحة أن عليه كشاعر أن يستزيد من حماسة القوم لا سيما أنهم مقدمون على جهاد بنى الأصفر ـ وهم الروم ـ بعددهم وعدتهم فأعلن ابن رواحه من البداية أنه لا يتمنى الا الشهادة وأن تناله ضربة تنقله الى عالم الشهداء الظافرين فأنشد يقول:



لكننى أسأل الرحمن مغفرة
وضربة ذات فرع تقذف الزبدا
أو طعنة بيدى حران مجهزة
بحربة تنفذ الاشلاء والكبدا
حتى يقال اذا مروا على جدثى
يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

●● وبعد استشهاد زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب صار ابن رواحة أميراً للجيوش فما لبث أن صاح:

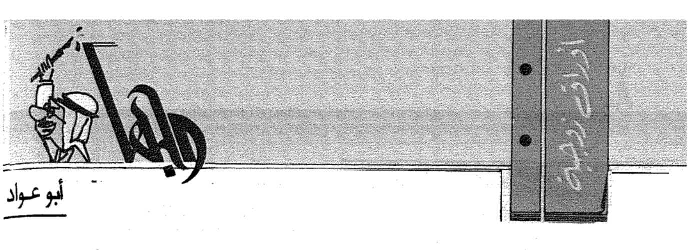
يا نفسى إلا تعتلى تموتى
هذا حمام الموت قد صليت
ما تمنيت فقد أعطيت
إن تفعلى فعلهما هديت

■ ويعنى بذلك صاحبيه اللذين سبقاه الى الشهادة زيدا وجعفر.

●● وأخذ كعب بن مالك مجاله فى الاتصال بالرأى العام من خلال الشكل الشعرى وصاغ قصائده معبرة عن انتصار المسلمين وما فتح الله عليهم. فبعد فتح مكة وبعد الفراغ من حنين قال كعب قصيدة بعد ان أجمع رسول الله السير الى الطائف:

قضينا من تهامة كل ريب
وخيبر ثم اجمعنا السيوفا
نخبرها ولو نطقت لقالت
قواطعهن دوسا أو ثقيفا

■ وهكذا يتجلى لنا أن الاسلام قد استفاد من العبقرية العربية فى عالم الشعر فطوع المواهب الشعرية لخدمة الدعوة الاسلامية ونشر الدين الجديد بتقوية العزائم وشحذ الهمم للدفاع عن الاسلام.



أبو عـواد ٤١٤

معـظم الـرجـال الـذين فتحـوا قلوبهم لأزواجهم وأعــطوهن آذانــا صاغية تنـازلـوا عن سلطتهم تدريجياً للمــرأة . . الـتـى سلختهم من جذورهم . . وجعلتهم يتنكرون لأقرب الناس إليهم . . فهل عرفت كيف وصلت هذه القنـاعة لبقية الأزواج مما اضطرهم ليكونوا رسميين بعض الشيء فى بيوتهم ويخشون على أنفسهم وذويهم اذا هم سمحوا بالمزايدات على تلك السلطة؟!.

أم عمرو ٤١٤

خلق الله للانسان عقلا يميز به الغث من السمين. على الزوج أن يستمع ويفكر ويميز ويختار. هذه وظائف العقـل البشرى. الـذين يخافـون من الانقياد لزوجاتهم أفراد غير قادرين على الاختيار وعادة ما يهربون من حفرة ليقعوا فى بئر.

أبو عـواد ٤١٥

يوشك الرجل منا أن يفاتح زوجته بكل شيء ويأتمنها على كل شيء . . لكنـه سرعـان ما يدرك فداحـة الخسارة لو ركبت الزوجة رأسها عند منعطف ما . . ثم بدأت فى نشر أسراره على الملأ . . ذلك أن المرأة حين تلجأ للانتقام لا تفرق بين الضربات الموجعة والضربات القاضية.

أم عمرو ٤١٥

يجب أن يتـأكد كل من الطرفين من سلامة العلاقة وإمكـانيـة استمرارها قبل أن يأتمن الآخر على اسراره. العلاقات القوية لا توصل عادة الى حلبة المصارعة.

أبو عـواد ٤١٦

أين قلب المـرأة . . وحنـانها . . وعـطفها . . حين تعامل أبناء الزوج بمنتهى القسوة . . والوحشية . . ؟؟.

أم عمرو ٤١٦

قلب المرأة فى هذه الحالة يكون خالياً من حنان الزوج وعطفه ومملوءاً باهماله وتجاهله، وكل إناء ينضح بما فيه.

أبو عـواد ٤١٧

إن الله جلت قدرتـه قد وزع العقول والارزاق بين الـرجال والنساء . . فرضى الرجل والمرأة كل بعقله لكن الـرجـل زاد على المرأة باقتناعه بنصيبه ورزقه ومكانته . . والمـرأة عبثـاً لازالت تبحث عن نصيب أوفـر. إنها تريد مضاهاة الرجل وهى بذلك إنما تنشد المستحيل. . فتلك سنة الحياة.

أم عمرو ٤١٧

مع المـرأة التى تحمـل فى صبر ومعـانـاة أعبـاء الأم والـزوجـة ـ وربما تصارع أيضاً خارج جدران بيتها فى معترك الحياة. لم أفهم من العبارة ما اذا كانت المرأة تريد مضاهاة الرجل نزولاً أم صعوداً.

أبو عـواد ٤١٨

للأسف وجـدت المـرأة شاعـراً يتغـزل . . وعـاشقاً يتـذلـل . . و ـ صائعـاً ـ يلهث خلفها ويمطرها باطرائه واعجابه . . فتوهمت أن كل الرجال سعادتهم وقف على رضائها . .

أم عمرو ٤١٨

ليس وهماً ولكنه حقيقة فالمرأة الراضية تصنع من بيتها جنة وفى الجنة يرتاح الشعراء والعشاق واللاهثون وحتى أصحاب الأقنعة الفولاذية المزيفة.

أبو عـواد ٤١٩

مفهوم ـ الصراحة ـ عند المرأة ـ هو أن تقول ما يفترض أن يكون . . فلو سألت الزوجة زوجها كى يجيبها بصراحة



أم عمرو

عن مقدار حبه لها فهى تنتظر أن يقول: أن حبه لها اكبر من المحيط حتى لو كان بحجم حوض الماء.

٤١٩ أم عمرو

التى تلح فى طلب الاجابة على سؤال عن مدى حب الزوج، زوجة تعرف جيداً أن هذا الحب منقوص او مهزوز لذا لن يكون مفيداً إعطاؤها اجابة غير حقيقية. فليقل لها الحقيقة فهى تعرفها جيداً.

٤٢٠ أبو عواد

صحيح أن معظم الرجال يقعون فى الشباك التى تضعها المرأة لاصطيادهم لكن الصحيح أيضا أن جميع النساء وبلا استثناء ينخدعن بكلام الرجال.

٤٢٠ أم عمرو

ظل الرجل يخدع نفسه بهذه الاكذوبة حتى صدقها، كما يتخلص الرجال من الشباك المنصوبة بسرعة تنسى النساء الكلام المعسول بسرعة أكبر.

٤٢١ أبو عواد

حين يتزوج الرجل منا فانه يمني نفسه بزوجة تحصر صلاحياتها فى حدود بيتها.. (وهى في البداية لا تتمنى اكثر من هذا) لكى تظل علاقاته وطيدة بأهله وأرحامه لكنه يفاجأ بعد فترة أن الزوجة تسعى لانتزاع الزوج من مكانه.. وروابطه والتزاماته.. تريده ألا يرى أحداً إلا من خلال ما تفتح له من نوافذ.. ومن هنا يبدأ الصراع.. وتبدأ المشاكل..

٤٢١ أم عمرو

فى الوقت الذى لم يرتق فيه عقل كثير من الزوجات ليعى معنى مكانة الزوج خارج نطاق الاسرة واحتياجاته، لم يرتق عقل كثير من الازواج ليعي حق الزوجة فى المشاركة والتواجد فى حياة زوجها.

المشكلة مشتركة فليصلح كل طرف نفسه.

٤٢٢ أم عمرو

كلما لبى الرجل طلباً لزوجته تجرأت لطلب اكبر.. وحين يتجاوب معها.. بدلا من أن تحمد ربها على كل هذا الهناء والسعادة مع هذا الزوج.. تبدأ فى احراجه واجباره على اتخاذ قرارات مصيرية فإن حسمها لصالح الآخرين انقلبت سعادتها إلى شقاء وخيبة أمل (بيدها وحدها) وان حسمها لصالحها تطير فرحاً فى الوقت الذى يبدأ فيه الزوج اعادة حساباته مع هذه المرأة الانانية.. فيحق عليها قولهم «دجاجة حفرت.. على رأسها عفرت».

٤٢٢ أم عمرو

كثير من الازواج يتكلمون عن زوجاتهم بلغة «معلمى الصبيان» الذين كانوا يمشون ويشيرون ويتفاهمون بالعصا لأنهم لا يملكون غيرها.. حتى معلمى الصبيان أصبحوا الآن يعرفون لغة جديدة اسمها «التفاهم».

٤٢٣ أبو عواد

هناك عدة مرايا يفترض أن تقف أمامها المرأة لترى نفسها من خلالها.. لكنها تقف فقط أمام مرآة واحدة منها لترى منظر ـ الكحلة ـ فى عينيها.

٤٢٣ أم عمرو

هذا.. لأن زوجها عندما اختارها لم ينظر الى شىء إلا الى هذه الكحلة فى عينيها. لذا فهى ترعاها حفاظاً على استمرار ما أبداه نحوها من اهتمام.

نساء من الشرق

• كانت النكبة الفلسطينية رافدا كبيرا من رواف...

• نظمت الشعر فى أشكاله المختلفة وقوالب...

فدوى طوقان

■ ولدت «فدوى طوقان» فى مدينة (نابلس) الفلسطينية عام ١٩١٤م والحرب العالمية الأولى تزأر بنيرانها. نشأت الطفلة فى بيت يعتصم بالتقاليد فى المجتمع العربى، بين أبيها عبد الفتاح طوقان من أعيان نابلس وعلم من أعلام الوطنية فيها، وبين أمها الودود الذكية التى توزع حنانها بين أبنائها العشرة بالتساوى، وبين أخوتها وأخواتها.

وكانت فدوى فى طفولتها تميل الى العزلة والوحدة، كأنها كانت تؤجل نفسها للقراءة عند سن الطفولة المتأخرة، ودخلت المدرسة فى نابلس، وعينها على أكداس الكتب فى بيتها وصورة أخيها إبراهيم الشقيق الاكبر لا تفارقها، وهو يقلب الأوراق ويكتب وكأنها وضعت صورة أخيها مثلا أعلى لها، ولهذا فى مدرستها أحبت المعلمة والدرس، تكتب دروسها بفخر واعتزاز وحب، وقد خصتها مدرسة اللغة العربية بعناية خاصة لما رأته من نبوغ وذكاء كبيرين تتفوق بهما على رفيقاتها.

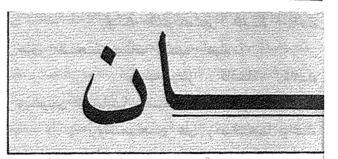
■ وأحس أخوها الشاعر ابراهيم ما تنطوى عليه نفس فدوى من شاعرية وقريحة وقّادة فتعهدها بالدرس، وكان هو معلمها فى هذه الفترة من حياتها، وكان كل يوم يمر يحس أخوها بميلها الفطرى إلى الشعر، فخصص لها فترات من وقته يعطيها خلالها دروسا فى الأدب والشعر، وكان يختار لها عيون الشعر العربى، ويقرأ معها القرآن الكريم، ليفتح ببلاغته ومعانيه أبواب الثقافة والحقائق الانسانية والعلمية.

■ ولم ترو الدراسة فى معاهد البنات بنابلس، ولا دروس أخيها إبراهيم ـ الظمأ الفكرى والعطش الثقافى لفدوى، فعهدت على التحصيل والتثقيف الذاتى بمثابرة وإلحاح، يدفعها شوق ظامىء ورغبة قوية الى تحقيق هدف وبلوغ مراده. وكان السند الذى يشد من أزرها مثلها الأعلى ابراهيم طوقان، فكلما وقفت المثبطات حيال خطواتها تكتنفها وتتعقبها، من تقاليد بالية، وصرامة فى المحافظة الأسرية وغيرها، كان ابراهيم مصدر القوة النفسية الخفية فى روحها والتى تدفعها دائما الى الأمام لكى تحقق ما تصبو إليه.

■ وكما كان أخوها إبراهيم هو السند والنصير، والقوة الروحية فى طريقها الى الهدف، كان موته هو المعول الذى فجر الشعر فى قلبها ينابيعا متدفقة، كان فقده ينبوع ألم لا

طوقان العاطفية

الكثير من النقاد شبهوها بالخنساء، التى فجر حزنها على أخيها صخر ينبوع الشعر فى قلبها، وكذلك فدوى فجر موت أخيها ابراهيم ينابيع الشعر فى أفئدتها. وعاشت مأساة بلدها فلسطين، فتفجرت الوطنية من اجل فلسطين وما كان شعرها نواحا ومآتم، ولكن كان هتاف العودة وصرخة النخوة والامل.




● فدوى طوقان

ينضب، وبريق حزن لا ينطفىء ومن هذا الينبوع وذلك البريق تتفجر الأشعار على اختلاف موضوعاتها وأغراضها.

■ وكانت فاجعة أخيها إبراهيم هى النبراس الذى أخذ إسم الشاعرة العربية فدوى طوقان إلى الأسماع العربية، لتعانق بأشعارها حسا عربيا راقيا؛ وتلقى أشعارها الرقيقة الحزينة السامية لتحفر بها فى قلوب المسامع العربية أخاديدا لا تبلى مع الزمن وإلى روح شقيقها ابراهيم كتبت عيون قصائدها ومنها «حلم الذكرى»:

أخى يا أحب نداء يرف
على شفتى مثقلا بالحنان
أخى لك نجواى مهما ارتطمت
بقيد المكان وقيد الزمان
أحقا يحول الردى بيننا
ويفصلنى عنك سجن كيانى
فمالى إذا ذكرتك أشعر
أنك حولى بكل مكان

أحس وجودك أومن أنك
تسمع صوتى هنا وترانى
وكم طائف منك طاف بروحى
إذا ما الكرى لفنى وحوانى

* * *

أخى أمس والليل يعمق غورا
ويحضن قلب الوجود الكبير
وذكراك تغمر أقطار نفسى
وتملأ قلبى بفيض غمير




● ابراهيم طوقان

تفلت بين انعتاق الرؤى
خيالك فى غفوة من شعورى
تحدر من شرفات الخلود
على وهج من غمام وثير

■ بمثل هذا الشعر الرقراق، الرقيق المعانى، المتألق الألفاظ المتدفق الحس، العميق الشعور، الفياض الشاعرية، المعطر بالعواطف، المتموسق الكلمات، المضاء بنبضات القلب الصادقة، بمثل هذا برزت الشاعرة وبدأ نجم شاعريتها يبزغ فى الأفق العربية، وأكدت الشاعرة موهبتها بالاطلاع على آداب الانجليزية وخاصة شعرها، واهتمت أيضا بمطالعة القصص العالمى مما كان له أكبر الأثر فى جنوح خيالها، الذى أثرى تجربتها الشعرية، وما الخيال للشاعر إلا الزاد الوفير الذى يغترف منه.

■ وعكفت الشاعرة بصفة خاصة على أدب العربية المهجرى ذلك الأدب الذى نبع من أغوار النفس الانسانية وانبعث من أعماق الروح، وانطلق بعيدا عن زخرف اللفظ ورثاثة الموضوع، وانعتاقه من سطحية الافكار وتقليدية المعانى، فكان ـ ورغم بعض المثالب ـ محققا لأدبنا العربى ـ وخاصة الشعر ـ دفعة كبرى نحو الصروح الطبيعية والحقيقية للشعر فى خضم الصدق والاخلاص وقد بدا أثر هذا التأثر واضحا جليا فى شعر فدوى، وفى تألقها وتفوقها على أقرانها من الشعراء وخاصة الشواعر.

■ وكانت الحادثة الثانية ـ بعد موت أخيها ابراهيم ـ وهى النكبة الفلسطينية رافدا كبيرا من روافدها العاطفية التى تمدها بأصدق الاشعار، فقد تأثرت الشاعرة بها قاسى أبناء فلسطين قبل النكبة من ظلم الانتداب ودسائس الصهيونية وما كابدوه بعد النكبة من ضياع وتشرد وجوع وشقاء، وأبصرت أشلاء قومها هنا وهناك على طرق السابلة وعيونهم المفقأة بعثرت حباتها على الثرى. فقالت دموع فدوى:

خلال دخان علا واستدار
رأيت الحمى خربة ما حله
على العتبات تدب هوام
وتعبر قافلة قافله
وبين الزوايا عناكب تحبو
وتمعن فى زحفها واغله
وأبصرت أشلاء قومى هنا
وهناك على طرق السابله
عيون مفقأة بعثرت
على الارض حباتها السائله
وأيد مقطعة ووجوه
غزا الترب ألوانها الحائله

* * *

وكان هناك وراء الدخان
قطيع تشتت فى كل بيد
قطيع وديع بقية قومى
فهذا شريد، وهذا طريد
تظللهم فى العراء الخيام
وقد أخلدوا فى هدوء بليد
براكين خامدة لا تغور
استحال اللظى فى حشاها جليد
قصارى مطامحهم لقمة
مغمسة بهوان العبيد
تجود بها كف جلادهم
لتحذيرهم كل صبح جديد

■ وأصبح للشاعرة مكانة مرموقة بين أصحاب القريض فحضرت الكثير من المؤتمرات الأدبية، ومهرجانات الشعر التى عقدت فى أكبر العواصم العربية، وألقت فيها قصائدها، كما زارت الكثير من البلاد الاوروبية وعاشت فترة من الزمن فى مدينة لندن الانجليزية . . ونظمت فدوى الشعر فى اغراضه المختلفة ولكن اكثره كان تعبيرا عن همسات روحها وخلجات قلبها، ومناجاة الطبيعة بعد تجسيدها، والارتماء فى أحضانها، وبثها الالم والأسى، وكانت النزعة الذاتية والرّومانسية هما النزعة السائدة فى شعرها، وفى العديد من قصائدها كانت تبحث عن المجهول، وتفر من الواقع، وتلوذ إلى التأمل النفسى ولها قصائد جيدة فى الاغراض الوطنية وفى تصوير فداحة المأساة وفواجعها الدامية، وفى الأغراض الانسانية والاجتماعية .

■ ونظمت الشعر فى أشكاله المختلفة وقوالبه المتعددة فهناك قصائد من الشعر الذى التزمت فيه بوحدة الوزن والقافية، وأخرى التزمت فيها وحدة الوزن مع تعدد القوافى، وثالثة سارت فيها على نظام الموشحات ورابعة نهجت فيها طريقة الشعر الحر المعتمد على وحدة التفعيلة . ولها محاولات فى التجديد فى الموسيقى الشعرية، وقد استطاعت أن تحلق فى الأجواء العالية بما لديها من رصيد وقدرة فائقة على اختيار الالفاظ وابتكار الصور، والتلوين الموسيقى والملائمة بين الانغام والموضوعات .

■ وقد عرجت على الادب الرمزى فأحبت ان تجربه وتجرى فى مداه لكن تجاربها غابت وراء المنظور والمفهوم وشعر العرب يبطل سحره حين يضيع معناه، وكان أكبر ما نظمت فدوى حين رمزت ولغزت ضربا من الكلام الموهوم، فعدلت عنه الى سجيتها الاولى فأحسنت وأبدعت ومازال عطاؤها مستمرا متدفقا .

■ ومن آثار فدوى الشعرية دواوينها التالية :

● **«وحدى مع الايام» . . «وجدتها» . . «أعطنا حبا» . . «أمام الباب المغلق» . . «الليل والفرسان» .**



● كانت فلورنس تنفق من مالها الخاص على شرا

● فلورنس نايتنجيل جعلت النظرة الى التمريض

فلورانس نايت

■ ولدت فلورنس في مدينة فلورنسا بإيطاليا وسميت نسبة لهذه المدينة حيث كان والدها يعيش ولما بلغت العام الأول من عمرها عاد والدها بها إلى بريطانيا ولما كانت أسرتها موسرة فقد عاشت حياة رغد ومسرة، وانصرف والدها إلى تعليمها وتربيتها فتلقت دروساً في الرياضيات والموسيقى والفن والأدب، وأتقنت من اللغات الايطالية والألمانية والفرنسية.

لكنها آثرت أن تهجر حياة المتعة والتسلية لتشارك في عمل اجتماعي يعود على الانسانية بالخير، وانكبت على المطالعة، وأتيح لها في الثلاثينيات من عمرها أن تتعرف على شخصيات أدبية بارزة كجورج إليوت وإليزابث براوننج وغيرهما..

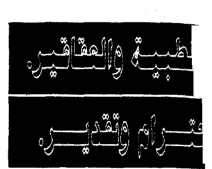
كما أن ثروتها أتاحت لها التنقل والسفر فذهبت إلى فرنسا حيث لفت نظرها الأعمال الانسانية في خدمة المرضى وشاهدت بنفسها العمليات الجراحية التي كان الأطباء يقومون بها للمرضى، وأعقبت هذه الرحلة رحلات أخرى مماثلة إلى المانيا ومقاطعات بريطانيا النائية.

وأصبحت زيارة المستشفيات شغلها الشاغل منذ عام ١٨٤٤، وكانت ترغب في القيام بعمل تفيد به أبناء وطنها ولم تجد أفضل من أن تقف جهودها على البر والرحمة في المستشفيات، فدرست أوضاع المستشفيات في بلادها واتجهت الى مؤسسة سالزبري للتمريض، ففحصت بإمعان التقارير الرسمية عن الأمراض المختلفة وعلم الصحة العام ونظم المستشفيات في ذلك الحين.

وكان أول عمل قامت به فلورنس بعد هذه الدراسة والاطلاع هو الاشراف على دار للتمريض خاصة بالسيدات، وأثبتت خبرة فائقة في شؤون الادارة، وطاقة لا حدود لها.

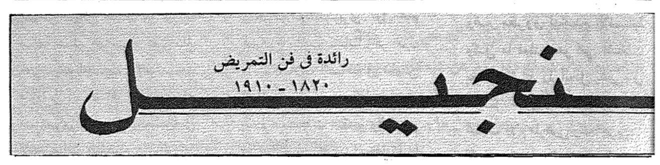
وكانت مهنة التمريض في عهدها تكاد تكون معدومة ولا تتوفر فيها شروط التمريض من نظافة وإتقان ورعاية، ولكن بفضل جهود فلورنس أصبحت مهنة التمريض مهنة محترمة ينظر إليها الناس بتقدير واحترام.

ثم بدأت فلورنس تفكر في القيام بمشروع كبير، وتصادف أن



اقترن اسم (فلورنس نايتينجيل) في أذهان الناس بفن التمريض الحديث فقد وضعت أسس فن التمريض وعاشت حياة مليئة بالعمل والكفاح للتخفيف من الام المرض والعناية بالمرضى، ورفع شأن مهنة التمريض.

صدر حديثا في لندن كتاب يبحث في سيرة حياة (فلورنس نايتينجيل) وكفاحها في التمريض ضمن سلسلة كتب تصدر عن معهد تاريخ الطب في لندن وهو أكبر معهد لابحاث ودراسات الطب في العالم، بعنوان (فلورنس نايتينجيل وتراث التمريض) بقلم مونيكا بالي.



طلب منها الوزير «سيدني هربرت» الحضور الى الأناضول على رأس فريق من الممرضات لتساعد الهيئات الطبية العسكرية وتدخل نظام التمريض النسائى فى الجيش البريطانى لأول مرة.

■ ولما كانت «نايتينجيل» من السيدات الثريات فقد أخذت تنفق من مالها الخاص لشراء المعدات الطبية ومواد المئونة والعقاقير.

ومنذ ذلك الحين كرست وقتها لخدمة المرضى فلم تأبه لما واجهها من صعوبات ومشاق فى سبيل تأدية رسالتها الانسانية فى التخفيف عن آلام المرضى، ومهدت الطريق لكثيرات من بنات جنسها فأقبلن على تمريض المرضى



إقبالا عظيماً.

■ وعادت الى بلادها بعد انتهاء الحرب واستقبلت بحفاوة على أنها لم تتوقف عن العمل والكفاح فواصلت جهودها لتغيير النظم الاساسية فى القسم الطبى بالجيش، ولتأسيس مدارس للمرضات المثقفات للخدمة فى المستشفيات ولوضع أسس علم التمريض بالشكل العلمى الصحيح.

■ وهكذا أسست فلورنس مدرسة باسمها لتخريج الممرضات بعد تدريبهن على فن التمريض والعناية بالمرضى.

واهتمت أيضاً بالنساء العاجزات فأسست لهن مستشفى خاصاً للعناية بهن.

وكانت فلورنس تمارس بنفسها التمريض، وتقف ساعات طويلة متتالية فى السهر على راحة المرضى والجرحى، وتشرف على علاجهم بالاضافة الى مواساتهم والتخفيف

مِهَن

عنهم بما يبعث الأمل فى نفوسهم بالشفاء.

ولم يثنها شيىء عن مواصلة العمل، فقد أصيبت ذات مرة أثناء تأدية واجبها بحمى شديدة تسربت إليها من المستشفى الذى كانت تعمل فيه، وكان ذلك فى ربيع عام ١٨٥٥، غير أن هذا المرض لم يكن حائلاً بينها وبين متابعة عملها فقامت به دون كلل حتى نهاية الحرب. واستمرت فلورنس فى نضالها من أجل رفع مستوى العمل والعناية فى المستشفيات وللقضاء على الروتين المعتاد الذى يعيق تقدم العمل، حتى أنها كانت تتولى الأمور بنفسها، وتشرف على كل شيىء خاصة فيما يتعلق بالنظافة والطعام.

■ وكانت تحاط بالتقدير والاجلال من كل المحيطين بها من جنود ومرضى فى المستشفيات العسكرية ولما انتهت حرب القرم وعاد السلام الى بلادها تفرغت كلياً لإصلاح المستشفيات ومراكز الرعاية الاجتماعية ووجهت جهودها فيما بعد إلى إنشاء جمعيات الصليب الأحمر، وتدريس فن التمريض وإسعاف الجرحى فى جميع أنحاء العالم.

■ ألفت فلورنس كتاباً عن التمريض وضعت فيه عصارة تجربتها فى هذا المجال، وعنوانه «مذكرة فى التمريض»(١).

■ ترجم هذا الكتاب إلى عدة لغات ووصل الى مئات الألوف فى العالم. وكان لجهودها أكبر الأثر فى تعزيز الصحة العامة ومنع تفشى الأمراض، مما أدى الى الاقلال من بعض الأمراض المعدية كالتيفوس والكوليرا والدينزترى. وفى عام ١٨٥٨م نشرت كتاباً آخر حول «المشكلات الصحية فى الجيش البريطانى» ولمع اسم فلورنس فى العالم فاستحقت التقدير والتكريم فكان الناس يستقبلونها بحفاوة أينما حلت لما قدمته من خدمات إنسانية جليلة، وقدمت لها الجوائز والمكافآت لما أحرزته من شرف عظيم فى خدماتها للمرضى، لكنها أبت أن تتسلم المبلغ الذى قدم لها وهو (٥٠) ألف جنيه، وآثرت التبرع به لمدارس وكليات تخريج الممرضات فى انكلترا، وكان ذلك فى عام ١٨٦٠، وكانت فلورنس تقول دائماً.

«يجب أن أضحى براحتى وسعادتي فى سبيل الحصول على سعادة أكبر وهى سعادة الجميع».

ومن كتبها الأخرى كتاب آخر ضم أبحاثاً عديدة فى الصحة والمستشفيات وأسس فن التمريض.. ورغم أنها تقاعدت فى القسم الثانى من حياتها فقد كانت تعمل باستمرار لرفع شأن مهنة التمريض ومما قالته عن هذه المهنة وعن كفاحها الطويل العبارات التالية:

● **«لو استطعت أن أطلعكم على شيىء من تاريخ حياتى لأريتكم كيف أن امرأة لا تتفوق كثيراً على أقرانها قادها الله فى طريق غريب وغير مطروق لتخدم الانسانية وكل ما فعلته هو أنني اشتغلت بجد ونشاط ولم أبخل بشيىء فى سبيل تحقيق ما أصبو إليه من تخفيف آلام المرضى والعاجزين».**

■ لقد كانت فلورنس أول امرأة تنال وسام الاستحقاق من بلادها وذلك عام ١٩٠٧م، قبل وفاتها بثلاث سنوات، لكنها لم تكن تنتظر شيئاً مقابل ما تقدمه من خدمات.. ورغم تقدم السن استمرت فلورنس فى مزاولة المهنة التى اختارتها لنفسها فظلت تخدم المرضى وتشرف بنفسها على راحتهم حتى سن الثمانين إلى أن توفيت فى لندن عام ١٩١٠م بعد حياة حافلة بالعطاء والتضحية فى سبيل الآخرين.

الهامش

(1) Living biographies of famous Women by Henry thomas and dana Lee Thomas, Newyork.

روايـــة طويلـــة مسلسلـــة

بقلـــــم:

غالـــب حمـــزة أبـــو الفـــرج

الحلقة الثالثة

ملخص لما سبق

الرسائل التى بعثتها إليها اختها وقلبت كيانها كتأثير هز نفسها ذكرتها بطفولتها وحبها انذاك مع فريد الصغير فى حوش التاجورى بالمدينة مما ينم عن عزمها من جديد على تغيير حياتها الرتيبة روحيا ووجدانيا رغم انها سعيدة مع اخويها من ابيها (بدر) و(بندر) فى خدمتها لهما عندما غابت سارة أمهما عن جدة واحست هي بشعور جديد وعجيب.



حوش التاجوري

شعـرت وكـأن سؤالهـا كان مطرقـة تهوى فوق ام رأسي. . سرحت ورحت أفكـر في أمري وأمرها. . في حيـاتنـا نحن الاثنتين. . انني اشجعها على الزواج من الدكتور خالد في الوقت الذى أتهرب فيه من أي انسان يشير من قريب أو بعيد الى موضوع ارتباطي بالزواج من أي انسان كان.

ترى هل كتب علي أن أعالج أختي من عقدتها من الزواج في الوقت الذى يبدو وكأن عقدتي منه أكبر وأشد؟.

أختي لم تترك لي مجالا للاستمرار في الشرود والتفكير لأنني وجدتها تهزني وتقول «رباب. . رباب لم تجيبي على سؤالي. . ».

تمالكت أعصـابي واستعـدت الابتسامة التي كانت مرسـومة على شفتي بل وقلبتها الى ضحكة مجلجلة وأنا أقـول بمـرح مصطنـع حتى لا تلاحظ أختي شرودي واضطرابي لمجرد التفكير في موضوع ارتباطي أنا بانسان ما بالـزواج. . « مهـلا علي يا أختي سوف أجيبك». . ووجدتني بعد أن استجمعت أفكاري أردد «من قال لك أنني لا أفكـر بالزواج ولكن فارسي لم يأت بعد. . هل تريدينني أن أخطب لنفسي أحدهم وأطلبه عريسا لي. . طبعـا مثـل هذا الأمـر لا يجوز على الاقـل في مجتمعاتنا الشرقية أليس كذلك؟.

ضحكنا سويا هذه المرة ودلفنا الى غرفة الطعام لنتناول عشـاءنا وكل منا تفكر بطريقتها الخاصة. . من ناحيتي كنت واثقـة تمامـا من أن موافقة أختي على زواجها من الدكتور خالد مضمونة تماما.

وتزوجت أختي بالفعل من خالد بعد خطبة قصيرة وانتقلت لتعيش معه في البيت الملحق في المستشفى الذى تعمل به. . في السكن المخصص لأطباء المستشفى.

وقد كان يثلج صدري أنني كنت أراها سعيدة مشرقة تبدو وكأن الحظ أصبح يبتسم لها بلا حدود. . أما أنا فقد أصبحت أعيش وحدي في ذلك البيت الواسع. . بيت أبي الكبير الذى لا يضم سوى بدر وبندر أخويَّ وجدتي التي أصبحت مجرد هيكـل بشري أشرف على خدمتـه ورعايته بكل الجهد الذى أستطيعه.

نظرت مرة الى جسـدها المسجي على السرير بأسى فلقد هالني ما يصل اليه الانسان في أرذل العمر. . أهذه جدتي التي كانت تملأ البيت حركـة ونشـاطـاً وانسا وبهجة؟ . . أهذه جدتي التي كانت تنطق بالحكمة في كل أقوالها وتصرفاتها؟ الا ان ما عزاني هو أنها كانت لا تزال تتعرف على بعض من يزورها وبالأخص على أنا. . كنت أعرف ذلك من ابتسامتها التي كانت تكبر وتكبر كلما رأتني والتي كانت أيضـا تحمـل كل معـاني العـطف والحنان والحب. . أمـا وقتها فلقد كانت تمضي معظمه في قراءة سور من القرآن الكريم باسلوبها ولهجتها المحببة الى نفسي.

وقد تتساءلون وأنا؟ ماذا عني وعن حياتي وعواطفي؟.

عن هذا السؤال أجيب: «أنا أصبحت أعيش لأخوي بدر وبندر وكأني الام التي اختارها الله سبحانه وتعالى لهما بعد أن لفظتها سارة أمهما التي ولدتهما واستتب لها الحال مع زوجها الجديد سامر. .

مرت الأيـام ورزقت أختي بطفـل ثم طفلة أسمت الاول باسم ابي والثـانيـة باسمي أنا. . ومع أنها كانت مشغولة ترعى بيتها وأولادها وزوجها الا أن ذلك لم يكن ليمنعها من أن تلتحق باحدى الجمعيات الخيرية في محاولة منها للاسهام في خدمة مجتمعها واسعاد بعض من تستطيع اسعاده وكان بالطبع زوجها الدكتور خالد يشجعها على ذلك. . ألم أقل لكم أن معدنه أصيل وأنه كريم الأ[illegible] والمنبت. . رائـع الخلق والمعشر. . وان أفعالـه الـ[illegible] وأخلاقه الحسنة تشهد له بذلك.

وفي احدى تلك الليالي وبينما كنت الطبيبة المناو[illegible] المستشفى الـذى أعمـل به سمعت جلبـة وضوضا[illegible] دخول سيارة الاسعاف الى قسم الطواريء. . عرفت

هناك أمراً. حملت سماعتي وقبل أن أغادر مكتبي الى قسم الطوارىء رن الهاتف ليعلن لى المناوب الليلي فى قسم الطوارىء ما توقعته. قال «هناك حادث.. رجل مصاب. كان يسوق سيارته بنفسه عندما حصل الحادث.. لا نعرف ملابسات ما حصل.. أحضرته لنا دورية الشرطة».

لقد جاء كلامه متقطعا من هول ما يرى فى ذلك المصاب ولذلك أسرعت بقفل السماعة والذهاب الى قسم الطوارىء بعد أن قلت له «لا بأس لا بأس.. أنا فى طريقى اليكم..».

ووصلت الى قسم الطوارىء واقتربت من ذلك الجسم المسجى أمامي وما أن طالعني وجهه حتى أصبت بشىء من الهلع.. لقد كان فريدا.. فريدا.. الذى كنت أتحاشى مقابلته أو مجرد الحديث عنه.. ولكن فى هذه المرة لم يكن هناك وقت للعواطف.

الأمر مختلف تماما.. انه انسان مصاب وأنا الطبيبة المعالجة.. لا يمكن أن أتهرب منه كما كنت أفعل كلما حاول لقائى أو الكلام معي بعدما ترك أختي وبعدما تزوجت أختي حيث كثرت محاولاته لاعتقاده أن زواج أختي من الدكتور خالد قد يقرب بيننا.. بينى وبينه.

أمضيت الليل كله ساهرة عليه بدافع واجبى الانسانى فقط لا غير.

أو هكذا خيل الى فلأول مرة أواجهه وجها لوجه ولأول مرة أشعر أنني لا أعرفه وأنه ليس ذلك الشخص الذى عاش فى خيالي وأنا على أعتاب الشباب.

يا الهى أكان كل ذلك وهما نسجته أنا لنفسي بنفسى.

.. انه أمامي ولكنه لا يحرك فى أى عاطفة كانت.. فى الصباح وعندما تحدثت أختي معي تلفونيا تذكرنى بالندوة التى وعدت أن أشارك فيها عصر ذلك اليوم فى الجامعة التى تنتسب اليها أهملت ذكر فريد اذ عندما سألتني «كيف كانت ليلة الأمس؟».

أجبتها بعدم اكتراث «لا شىء يذكر..».

■ قضيت الليل أقرأ وأشرف على بعض أولئك المرضى المتواجدين فى المستشفى.. لقد كان جل تفكيرى ينصب فى أن أبعدها عن سماع أخبار ذلك الغادر الذى يرقد محطما على أحد الاسرة على بعد قليل منها فسكن الأطباء الذى تسكن فيه كان خلف المستشفى تماما.

مرت شهور وفريد راقد فى المستشفى ومع ذلك فلم تدر أختى شيئا عنه حتى الدكتور خالد اتفق على اخفائى الخبر عن أختي وأكد أنه «لا داعى لأن تعرف شيئا فهو الآن ليس الا أحد أولئك الذين يؤمون المستشفى للعلاج والذين نقوم نحن بواجبنا تجاههم بغض النظر عمن يكونون».

ألم أقل لكم أن كل الأحداث قاطبة تؤكد معدنه الاصيل وخلقه الرفيع.

أخذت حال فريد تتحسن شيئا فشيئا ولكني أنا شخصيا كنت أنأى عن الحديث اليه الا فى أضيق نطاق ممكن.. وفى تلك المرة التى وجدت ان من واجبى كوني الطبيبة المعالجة أن أقول له شيئا خصوصا بعد أن عرفت أن سبب الحادثة كانت أنه كان يسوق بعد أن تعاطى بعض المخدرات.. وعندما كنت أحاول افهامه الهوة السحيقة التى كان ينحدر اليها بتعاطيه مثل تلك السموم اذا به يفاجئنى قائلا «أنت السبب».

تساءلت باستنكار «كيف؟؟».

قال: رفضت أن تقترني بى بعد أن طلقت أختك رغم أنني تقدمت اليك بعد زواجها لعلمي أنه لم يعد هناك عقبة ما.. أو أمر محرج غير مستساغ..».

قلت له: بغضب «ولكنك تعرف أن الأمر مستحيل فأنا أعرف أن أختى كانت يوما ما تكن لك من الحب الشىء الكثير.

قال: ولكنها تركتني وتزوجت بغيرى ونسينا الأمر تماما.. لماذا لم توافقي أن نبدأ من جديد رحلة حياتنا معا خصوصا وان الدين يمنحنا مثل هذا الحق.

ابتسمت ابتسامة حزينة وأنا أدرك أنه حتى العواطف

الانسانية كان فريد مجردا منها . . فكل ما فكر فيه هو أنه أصبح لا يوجد عقبة بيني وبينه . . أما علاقتي بأختي شقيقتي وحبي الكبير لها وتضحيتي بنفسي في سبيل اسعادها فذلك أمر لم يكن ليخطر على باله أبدا.

لذلك كله حاولت أن أنهي الموضوع بصورة مختلفة فقلت له «صدقني يا فريد أنا لم أعد أصلح للزواج.

أجابني في ثقة وعناد . . «وأنا لازلت أريدك . . أريدك على ما انت عليه الآن . . ثم أنسيت حديث الطفولة وتعلقك بي . . إن تكوني قد نسيت فهناك من لم ينس . . «وكان يشير بذلك الى أخته سارة . . »

سادت لحظات من الصمت بيننا كنت أفكر خلالها بفريد الذي اعتقدت في يوم من الايام أنني أحببته بالفعل ولا أدري كيف انطلقت من شفتي العبارة التالية :

«لماذا رضيت خطبة أختي اذا كنت لا تحبها هي بل تحبني أنا؟ .

لا أدري كيف انطلق ذلك السؤال الذي ظل حبيس في نفسي سنوات وسنوات . . سؤال كان يلح علي . . صدقوني ليس لأنني كنت ألومه على زواجه من أختي بل كان محاولة مني لإقناع نفسي أنه لم يكن رجلا بمعنى الكلمة . . أي لم يكن ذلك الرجل الذي كنت أحلم وأتمنى أن يكونه وانه بذلك بالفعل لا يستحق ان أفكر به لحظة واحدة .

سمعت صدى صوته وأنا أسبح بافكاري هذه يقول :

«خطبت أختك بضغط من والدي وانت تعرفين أننا لا نستطيع شيئا حيال ما يقرره الكبار . . لقد نشأنا في حوش التاجوري وأنت أدرى الناس بحوش التاجوري والناس الذين كانوا يعيشون في حوش التاجوري.

أعادت الى عبارة حوش التاجوري والناس الذين يعيشون في حوش التاجوري ذكريات وذكريات .

ذكريات كنت أود نسيانها ولكن هيهات فبعض الذكريات تنغرس في باطن أعماقنا لا تريد فكاكا . . .

ترى ما هو شعوري نحوه الآن؟ . . سؤال بعد حديثي هذا مع فريد لم أعد أعرف كيف أجيب عليه ولم ينقذني من أفكاري سوى دخول الدكتور سمير زميلي الى الغرفة بعد أن عرف مكاني وكان يريد أن يستشيرني في احدى الحالات .

نظر الدكتور سمير الى فريد وقال لي بمرح :

«أنت مدهشة فمريضك ولله الحمد في تحسن دائم . .

ثم خاطب فريدا قائلا :

«افرح يا عم سوف تخرج بعد بضعة أيام وذلك بفضل هذه الطبيبة الماهرة . . ضحكنا أنا والدكتور سمير . . أما فريد فقد قال بعصبية : «ولكني لا أريد أن أخرج حتى أعالج كليا . . »

ابتسم سمير في محاولة لتهدئته وقال :

«ومن قال لك أنك ستخرج قبل أن ينتهي علاجك تماما . . بالطبع كان فريد يقصد شيئا آخر من بقائه في المستشفى . . شيئا مغايرا لما كان يقصده الدكتور سمير . . كان يريد أن يوهمني أنه يريد البقاء في المستشفى حتى يراني أمامه باستمرار .

حاولت أنا أن أنهي المناقشة فتسللت خارجة من الغرفة وتبعني الدكتور سمير بعد أن طيب خاطر فريد .

سألني الدكتور سمير ونحن نسير في الممر الطويل باتجاه المصعد .

«أو تعرفين هذا المريض معرفة شخصية . . »

أجبته بلا اكتراث أو هكذا حاولت أن يبدو صوتي :

نعم . . لقد كان في يوم من الأيام زوجا لأختي . .

قال الدكتور سمير ولكنه يبدو . .

قاطعته وأنا أتمتم « ولقد كان جارنا في المدينة . . في حوش التاجوري . . خرجت كلمات حوش التاجوري . . مرتعشة من فمي بشكل كادت أن تفضحني فأردفت قائلة وأنا أضحك :

«لقد كنا صغارا وكنا نلعب معا في تلك الحقبة من الزمن»

وعلت وجهي حمرة خفيفة وأنا أنطق بهذه العبارة وكأني

طفلة صغيرة خافت أن يكشف الآخرون سرها.

* * *

■ أختي وزوجها وأطفالها - فقد رزقها الله بطفل آخر بعد احمد ورباب أسماه الدكتور خالد أسعد على اسم أبيه - في بيتنا في ضيافة طويلة. فلقد رغبت في أن يقضوا معنا عطلة عيد الفطر المبارك الذي جاء والصيف على اشده.. وصدقوني أنه مع الفرحة التي كانت تغمرنا والسعادة التي كنا نتمتع بها وقد تجمع شمل عائلتنا الصغيرة لم نشعر بقيظ الحر ولفحاته أبدا.

ربما كان أيضا لوسائل الراحة التي امتلأت بها بيوت أهل جدة في هذه الآونة من الزمن دخل هي الأخرى في اشاعة المزيد من الراحة والسعادة على قلوبنا جميعا.

وخلال تلك العطلة وبينما كنت في المطبخ مع أختي نعد معا الطعام الذي اشتهرت به المدينة مسقط رأسينا ومرتع طفولتنا تطرق الحديث بيننا الى أيام الطفولة ولعبنا ومرحنا في تلك الايام ووجدتني أسألها فجأة ودون وعي مني عن فريد..

قلت «ترى هل لازلت تذكرين فريدا؟....».

انتفضت أختي وكأن عقربا لسعها فأدركت أنني أخطأت بمجرد ذكر اسمه ولكن ادراكي لهذا الخطأ كان بعد فوات الأوان... لذت بالصمت وأنا أرى سحابة حزن تكسو محيا أختي التي قالت بعد لحظات مجيبة على سؤالي: «لقد خرجت من بيته بقلب حزين كسير ولكني لا أكتمك القول أنني عندما انغمست في طريق العلم بدأت أنساه رويدا رويدا.. أما بعدما تزوجت وانجبت فانني لم اعد أرى له مكانا في قلبي.. أتصدقين لقد نسيت حياتي القاسية معه.

حقا ان الزمن كفيل بمداواة الجروح..

تمتمت قائلة وكأني أحدث نفسي ولكن هل يمكن للمرأة أن تنسى أول حب في حياتها؟.

ووجدت أختي تقول بصوت هادىء رزين «الحياة يا اختاه تفرض على المرأة نسيان مثل هذا الحب خصوصا اذا رافقته آلام وأحزان وكان الوهم فيه أكبر من الحقيقة لو تدرين يا أختي... لقد دخلت بيت الزوجية مع فريد وأنا أظن أنني أحبه ولكن عندما عاشرته تبخر ذلك الحب، بل ووجدت أن ذلك الحب لم يكن الا وهما من صنع خيالي... هل تتصورين أن فريدا انسان أبعد ما يكون عن الشرف والايمان؟... لقد كان يتعاطى المخدرات ويقضي معظم لياليه خارج البيت..

صدقيني لقد حاولت اصلاحه ولكني أعترف أنني فشلت... والمصيبة هي أنه كان يعايرني بك ويؤكد لي أنه لو تزوجك انت لتركته يفعل ما يحب ويشتهي دون أن تكدري عليه أيامه بالنقاش والمجادلة والتبرم والسخط ومحاولة ارغامه على التخلي عن شيء يحبه..».

ضربت بيدي على صدري وقلت باستنكار «أهو كان يقول ذلك؟».

اذن فهو لا يعرفني اطلاقا فلست أنا التي ترغب بانصاف الرجال أو ممن هم على هامش الرجال والرجولة.... ولكن لماذا ياعـزيزتي لم تخبريني بكـل هذه الامـور في حينها؟» قالت «لا عليك لتنسى الامر كليا فلو لم أتزوجه أنا وأقاسي منه الامرّين لكنت انت التي سوف تقاسين لأنه لم يكن ليتزوج بغيرك وهذا مالا أرضاه لك أبدا..

عانقت أختي وأنا أجدها ترد لي حبي لها بحب أكبر. فأنا أيضا في يوم من الايام وعندما علمت بحبها لفريد طويت حبي له أوما كنت أظنه حبا في قلبي وداريته عنها بل سحقته سحقا كي تنعم هي بحياة كنت أظنها سوف تكون سعيدة..

أما اختي فقد كانت تبتسم وهي تقول «أتدرين يارباب قد تفسد بعض التقاليد الاجتماعية أحيانا أشياء كثيرة في حياتنا..

انظري ماذا فعلت بحياتي وأنا على اعتاب الصبا. اتفاق أبي ووالد فريد على تزويجنا من بعض كان السبب في تعاستي في تلك الفترة.. أحمد الله أننا الآن بلغنا من العلم والوعي ما يجعل الكثيرات منا يقفن في وجه مثل تلك

التقاليد.

ووجدتنى أفكر في عالمنا الاسلامي ككل وكيف أن ما شرع للمرأة فى الاسلام لهو قمة وهو يعطيها حقها كاملا غير منقوص ويصونها جوهرة مكنونة في كل أطوار حياتها بعيدا عن أى شىء قد يقهرها أو يسبب لها ظلما مهما كان ضئيلا بعكس المرأة هناك فى الغرب قد ظلمت فى التاريخ القديم والتاريخ الحديث على السواء.

فى التاريخ الماضى مثلا ظلمت المرأة فى أوروبا وأمريكا واستراليا وغيرها كما أنها ظلمت هناك أيضا فى التاريخ الحديث وان كانت أنواع الظلم قد تغيرت أو تبدلت . . . والغريب أن العلم الذى فتح لنا نحن نافذة على الوعي والادراك وجعلنا نعرف حقوقنا وواجباتنا بصورة أوضح لم يصل بالمرأة فى العالم الذى يسمى نفسه العالم المتقدم الى مثل هذا الامر فالمرأة هناك كانت ولا تزال أسيرة رغبات الرجال الذين يستنفذون طاقتها وكأنهم يتآمرون عليها مع العمر والزمن وحتى اذا ما غدت حطاما أو تقدمت فى السن لفظوها وتركوها دون هوادة ولا رحمة.

حمدا لله فقد رسم الاسلام للمرأة عندنا نحن المسلمين طريقا يضمن لها حسن الخاتمة والحياة الكريمة الى آواخر أيام حياتها بحيث تكون تحت رعاية وكنف زوجها أو ولدها أو أقربائها لا يتخلون عنها مهما كانت الظروف والاحوال بل يحترمونها ويجعلونها تحتل الصدارة فى بيوتهم معززة مكرمة.

أكثر من شهور ستة مضت وسارة لم تعد بعد من رحلتها مع زوجها سامر . . . . شهور عسل يمضيانها متسكعين . . فى رحلة حول العالم وطبعا الفضل فى ذلك يعود الى المال الذى ورثته عن أبي فكلنا نعرف مدى امكانيات زوجها وكيف أنه غير قادر حتى على اعالتها أو تلبية أقل متطلباتها وأنا لا يهمنى بالطبع ماذا تفعل سارة أو كيف تبذر المال الذى ورثته ولكن كل ما يهمني أنها لم تعد تسأل عن ولديها واني استطيع بذلك أن أقدم لهما الرعاية والعناية الشاملة حسب وصية أبى رحمه الله وطيب ثراه . . . طبعا هناك أوقات تأتى يسأل فيها أحدهما عن سارة . . . عن أمه . . . وحيث انني كنت أرغب فى ابعاد الصغيرين عن المشاكل والهموم والاحزان لذلك كنت دائما أقول لهما أنها مسافرة وأنها عندما تعود سوف تحمل لهما من الهدايا الشىء الكثير . .

رأى أختى كان عكس رأيي . . . كانت تود لو نطالعهما على حقيقة ما حدث ويظهر أن رأيها كان صائبا هذه المرة لأننى فى احدى المرات الكثيرة التى كانا يسألان فيها عن أمهما فوجئت بقول بندر «عمتى أليس هناك من وسيلة نتصل بها أو تتصل هى بنا أم أنها أصبحت تحب زوجها الجديد أكثر منا؟ . .»

وعرفت أنهما يعرفان الحقيقة فلقد تسربت اليهما بطريقة أو بأخرى ولقد دفعنى ذلك لأن أفكر فى أن أقول لهما رأيي الحقيقي فى سارة أمهما وأن أنعتها بالاستهتار والخفة والطيش والنزق ولكني عدت واستغفرت الله ان أفعل حتى لا تتحطم صورتها كأم فى نفسيهما البريئتين . . . لملمت نفسى وأخذت أداعبهما قائلة «ألست أنا أمكما الان؟» . .

قالا وفى صوت واحد «بل انت تفضلينها يا عمتاه».

وابتسمت فى سعادة فهذا وحده يجعلنى فى قمة السعادة أنا المرأة التى لم تتزوج ترى لها ولدين اثنين يكنان لها كل هذا الحب . . . وأنا من جهتي فرغم اننى لم أذق طعم الامومة الا أنني كنت امارسها فى أفضل حالاتها مع اخوي العزيزين على قلبى بدر وبندر . .

أيمكن للمرأة ان تنسى امومتها وشوقها لهذه الامومة؟ . .

أليست المرأة هى الوعاء الكبير الذى يمنح الدنيا شرايين الحياة عن طريق الاطفال الذين تلدهم ليعمروا الارض ويضيفوا الى أمجادها أمجادا جديدة.

هذا ما كنت أفكر فيه دائما ومع ذلك فقد كنت أرى ان وظيفتى فى هذه الحياة قد كملت رغم أنني لم أتزوج وذلك عن طريق رعاية وتربية اخوي بدر وبندر . .

جدتى فى فترة صحو من الفترات القليلة التى كنت أراها فيها صافية الذهن قادرة على التركيز قالت لى وهى تبتسم ابتسامة عذبة ملؤها الحب والحنان:

«أتدرين يارباب لو أنك تزوجت وانجبت يابنيتى لما استطعت ان تمنحي أطفالك أكثر من هذا الحب الذى تمنحينه لاخويك... حقا ان الله لطيف بالعباد... سخرك لهما بعد مضي أبيهما الى بارئه وهجر والدتهما لهما... هنيئا لك بما تصنعين وجزاك الله عما تفعلين خيرا... بل خيرا كثيرا...».

أما أختى ثريا فقد كان جل همها أن تراني عروسا وقد ارتديت الطرحة البيضاء اتمختر بها فى ليلة الزفاف وسط دقات الدفوف وزغاريد الزفافات... تلك الامنية التى تنتظر تحقيقها كل فتاة على رأى أختى... وهى تهمس بكل هذا فى اذني كلما سنحت لها الفرصة... أما أنا فقد كنت أقابل ذلك بابتسامة فقط لا غيرالشيء الذى كان يثيرها ويجعلها تردد أنها لا تمزح وأنه آن الاوان كى أفكر بالزواج وإلا... كانت تصل الى هذا الحد من الكلام وتصمت... فى احدى المرات أردت مداعبتها فأكملت لها جملتها قائلة «والا فسوف يفوتني قطار الزواج وابقى عانسا مدى الحياة... اليس هذا الذى تودين أن تقوليه لي...

انتفضت أختى وراحت تقول بعصبية «بعيد الشر عنك يا اختى... لماذا تصبحين عانسا وكل يوم يطرق بابك خطيب أو أكثر... كل ما عليك ان تشيرى بإصبعك الى أحدهم حتى يتقدم لك وتجدين نفسك ما بين يوم وآخر فى الكوشة ترتدين الثوب الابيض والطرحة البيضاء.»

صمت لحظة وأنا اقابل انفعالها بهدوء مما جعلها تهدأ وتعاود كلامها قائلة «رباب أريدك أن تفكري جديا فى وضع حد لحياتك بهذا الشكل.. أريد أن أراك فى كنف زوج يظلل عليك ويسعدك..»

قلت لها عندئذ جادة: «اسمعى يا ثريا.... ألست



معي وبعد تجربتك الفاشلة مع فريد أن بقاء الفتاة دون زواج أرحم من أن تتزوج انسانا لا ترى سعادتها معه؟..»

قالت: «معك حق ولكن ليس كل الرجال مثل فريد.....»

قلت لها بلطف «إذن فنحن متفقتان فإما زواج من رجل شهم يعتمد عليه وذى أخلاق حميدة وإلا فلا...»

واستطعت بذلك اقناعها وقفل باب المناقشة بخصوص موضوع زواجي... سرحت بعد ذلك افكر فى اولئك اللواتي يتزوجن من أول طارق على بابهن دون روية أو دون اقتناع وفقط لمجرد الا يمضي بهن قطار العمر دون زواج ولعلهن لا يدركن خطأ ما يفعلن الا بعد فوات الاوان.. وعندما لا يجدى الندم شيئا ولا يعيد لهن الحياة الى الوراء..

وصممت أن أظل عند رأيى...

لا يمكن أن أغيره مهما كانت الظروف والأحوال....

نعم لن أتزوج الا من الرجل المناسب هذا اذا وضع الله فى طريقي مثل هذا الرجل والا فسوف ابقى هكذا بلا زواج دون ندم ولا أسف وأعتقد أني برأيى هذا على صواب وان على كل فتاة أن تحذو حذوي عندما يصبح الأمر متعلقا بمستقبلها الشخصى..

ألستم معي في رأيى هذا....؟....

يتبع



الاسابيع الثقافية التى تقيمها الدول أو المراكز الثقافية لا شك تمثل امتداداً وثيقاً للوعى الثقافى والمعرفى، هذا اضافة الى أن مثل هذه الاسابيع تعطى فرصة أوسع للقاء والحوار بين الادباء والمثقفين والفنانين والمفكرين، وهذا أيضاً يعد اثراءاً فى حد ذاته له مردوده الايجابى على مسيرة التحرك الدافع للأمام.

وفى الشهر الماضى جاء الأسبوع الثقافى البحرينى، الذى أقيم فى المملكة العربية السعودية،



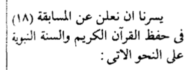
تأكيداً لهذه المفاهيم الايجابية. وامتدت اللقاءات بين الأدباء والشعراء والمثقفين طوال ايام المعرض وجاء المعرض توثيقا لعرى الصداقة والمحبة بين الشعبين الشقيقين. وافتتح المعرض صاحب السمو الملكى الامير فيصل بن فهد بن عبد العزيز الرئيس العام لرعاية الشباب، ووزير الاعلام البحرينى الاستاذ طارق عبد الرحمن المؤيد وكان المعرض تحت عنوان (البحرين .. تاريخ وحضارة).

اصدار جديد من مجلة البحوث الفقهية المعاصرة

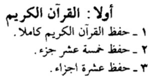
صدرت مجلة (البحوث الفقهية المعاصرة) فى عددها الثانى للسنة الاولى (محرم - صفر - ربيع الاول ١٤١٠هـ، اغسطس - سبتمبر - اكتوبر ١٩٨٩م التى يرأس تحريرها د. عبد الرحمن بن حسن النفيسة، وصاحبها فى نفس الوقت الاصدار الجديد غاص بالبحوث الفقهية والشرعية حيث نجد فى أوله كلمة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز عن (أخلاق أهل العلم) و(احكام الفقه فى الخمر والمخدرات) للشيخ عثمان العيارى، و(مقاصد الشريعة الاسلامية والمصالح المحمية بالعقوبات) للدكتور اسماعيل ابو شريعة.

ويعتبر موضوع (الحد من النسل) قضية هذا الاصدار وهو بقلم رئيس تحرير المجلة. كما ضم العدد الجديد مجموعة من الفتاوى الشرعية والدينية، التى يجيب فيها اصحاب الفضيلة العلماء فى المجامع الفقهية على اسئلة طالبى المعرفة للا حكام الدينية فى مختلف أوجه الحياة المعاصرة.





يسرنا ان نعلن عن المسابقة (١٨) فى حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية على النحو الاتى:



أولا: القرآن الكريم

١ - حفظ القرآن الكريم كاملا.
٢ - حفظ خمسة عشر جزء.
٣ - حفظ عشرة اجزاء.

ثانيا: الحديث النبوى

١ - حفظ الاربعين النووية
٢ - حفظ عشرين من الاربعين النووية.
٣ - حفظ عشرة من الاربعين النووية.

الجوائز

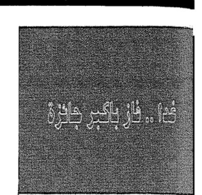
يمنح الفائزون فى المادتين كل على حدة الجوائز التالية:

١ - الاول ثلاثة الاف ريال (٣٠٠٠)
٢ - الثانى الفى ريال (٢٠٠٠)
٣ - الثالث الف ريال (١٠٠٠)

الشـــروط

١ - لابد للمتسابق فى حفظ القرآن الكريم من معرفة احكام التجويد.
٢ - لابد للمتسابق فى حفظ الحديث النبوى من معرفة راوى الحديث ومعرفة مخرجه ومعانى المفردات.
٣ - لا يتقدم المتسابق الا فى مادة واحدة فقط.
٤ - سوف تجرى المسابقة خلال الاسبوع الاول من شهر شعبان ١٤١٠هـ بمدرسة تحفيظ القرآن الكريم بأبها وسيعلن عن ذلك فى حينه على بوابة النادى وبوابة المدرسة.
٥ - تعلن النتيجة وتوزع الجوائز خلال شهر رمضان المعظم.
٦ - على كل متسابق ان يتقدم بطلبه للنادى ويوضح عنوانه كاملا ورقم هاتفه.
٧ - المسابقة مفتوحة لكل من يستطيع مراجعة النادى والمدرسة محليا.

والله ولى التوفيق



«إن العقول الكبرى فى عالم اليوم يجب أن تركز على المشكلات المهمة عالمياً، اذا كان للبشرية أن ترى غداً جديداً، وأفقاً جديداً».

جاءت هذه الكلمات فى البيان الذى أعلن فيه (تيد ترينر) - القطب الاذاعى الامريكى، وصاحب مؤسسة (تيرنر) للاذاعة والنشر - عن انشاء اكبر جائزة للابداع الأدبى تصل قيمتها الى (٥٠٠) ألف دولار.. وهو مبلغ يزيد على ما تدفعه جائزة نوبل.

والجائزة مفتوحة للابداع الانسانى فى كل انحاء العالم وبكل اللغات لما يتناول حلولا ايجابية للمشكلات العالمية.. واضافة الى الجائزة الاساسية فان الفائز الاول يحوز على ضمان نشر ٥٠ ألف نسخة من روايته وحملة دعاية وترويج لها بمبلغ ٥٠ ألف دولار.

ويعمل فى لجنة فرز الاعمال الفائزة الكاتب والاس سيجنز، والروائى بيتر ماتيسن وكاتب قصص الخيال العلمى راى برادبورى وآخرون.

وسيتم قبول الاعمال للجائزة من ١٥ يناير الى ٢٠ نوفمبر ١٩٩٠م.. ويتم اعلان الفائزين فى شهرى مايو - يونيو ١٩٩١م.



رسالة وتعليق

سعادة رئيس التحرير لمجلة المنهل الغراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تحياتنا الطيبة المباركة وبعد..

يسرنا ان نشعركم بان مجلة المنهل التى تفضلتم باهدائها الى روضة العلوم استجابة لطلبنا المتواضع لا تزال تصل الينا بانتظام. فننتهز هذه الفرصة الطيبة لنتقدم اليكم بالشكر الجزيل على معروفكم الجميل واهتمامكم بشأن الطلبة والاساتذة فى كيرالا فى جنوب الهند.

وروضة العلوم كما تعرفون انتم تضم ثلاث كليات كلية روضة العلوم العربية للتخصص فى الشريعة الاسلامية والادب العربى وكلية الفاروق لشهادات البكالوريوس والماجستير فى مختلف العلوم والفنون واللغات وكلية الفاروق التدريبية لاعداد المدرسين.. فلا ينبغى ان تخلو مكتبة روضة العلوم من صحيفتكم الغراء التى تطلع القراء افاقا من المعرفة وتنشط فيهم الوعى الصحيح.

فنرجو منكم متابعة ارسال المنهل وان تدرجوا اسم روضة العلوم فى قائمة المؤسسات التى تهدى اليها المنهل باستمرار.

وندعو الله سبحانه وتعالى ان يقوى أيدي العاملين وراء مجلتكم الغراء وان يوفق لرسالتها النجاح الكامل.

المخلص/ محمد كوتاشيرى
مدير روضة العلوم فاروق
كيرالا - الهند

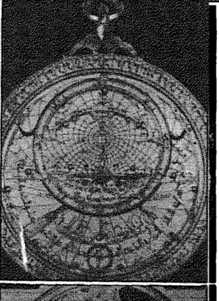
المنهل:

مجلتكم المنهل بفضل الله سبحانه رسالة علمية وثقافية مفتوحة لكل راغبى العلم والمعرفة.. ويسعدنا ان يطلع عليها اكبر عدد ممكن وأن تبقى لديكم ضمن المراجع التى يرجع اليها وهذه رسالتنا جميعا.. ونأمل ان يتلقى المنهل نتاج اقلام العلماء والمفكرين والباحثين لينشر على صفحات مجلتكم المنهل.. وستصلكم المنهل بانتظام باذن الله تعالى.

متابعات

معرض التراث

● دليل مكة المكرمة والمدينة المنورة (نسخة بخط المؤلف غلام علي) جمادى الآخرة (٩٩٠هـ).



● اسطرلاب مسطح ذو صفائح رسمه (احمد بن حسين بن باسو) في الاندلس (٧٠٩-٧١٠هـ)

معروضات التراث العلمي الاسلامي تبقى دائماً مكان شد انتباه الزوار لقيمتها الموضوعية والتاريخية.. في شهر ديسمبر الماضي أقيم (معرض التراث العلمي الاسلامي) في المركز الثقافي بالرياض.. وتتناول لوحات ومعروضات المعرض التراث العلمي للحضارة الاسلامية وما قدمه العلماء المسلمون من منجزات ومبتكرات للحضارة الانسانية بعامة.. وتتزامن المعرض مع انعقاد المؤتمر العالمي لجمعية مستكشفي الفضاء الذي استضافته الرياض.. وافتتح المعرض صاحب السمو الملكي الامير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز رائد الفضاء العربي المسلم ورئيس اللجنة الاستشارية لمجمع العلوم والفضاء.. وهذا المعرض يمثل نواة لمتحف الحضارة الاسلامية الذي سيقام ضمن منتزه الرياض العام.



● خريطة العالم بناء على الخارطة التي رسمها (ابن حوقل) في القرن التاسع الهجري.



الرواية والشعر

الاستاذ الناقد جبرا ابراهيم جبرا:

الاهتمام البالغ الذي ينصب على الرواية تأليفاً وتلقياً.. هل ينافس الاهتمام المنصب على الشعر قبل الرواية؟ هل نجد رأيكم في ذلك..؟

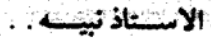
إن الاهتمام المكثف على الرواية حالياً ليس خطراً على مستقبل الشعر الذي ربما في بعض أساليبه (بسبب الضرورات الجديدة) قد نوفس لكنني أرى ان الذي جرى في الغرب سيحدث لدينا في الشرق، والشرق العربي بالذات.

وهو ان المتلقين للأعمال الادبية يهتمون بالفن الروائي، الذي يعتمد في جزء كبير على الشحنة الشعرية فيه لكن هؤلاء لا يكتفون بذلك. لأن الذي يهتم كثيراً - من هؤلاء بالشعر - هم دارسو هذا الشعر، أو من كانت له منهم عبقريته الشعرية الخاصة.

وهذا ما يحدث تماماً في الغرب. لذا كان الشعراء أقل أثرا في المجتمعات الأوربية مثل المجتمع الفرنسي والمجتمع الانجليزي مما كانوا في الفترة الرومانسية حيث بساطة الريف وصغر المدن آنذاك، لا أدري لذلك سبباً، لكن هذا الواقع هو

رسائل المحرر

رسالة وتعليق



الاستاذ نبيه . .

رئيس التحرير لمجلة المنهل الغراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اكتب اليك بعد لحظات قليلة من وصول رسالة من أخي الأستاذ مازن صلاح مطبقاني، فقد طلبت منه أن يرسل لي عنوان مجلة المنهل التى سمعت عنها ولم أرها، فقد قرأت فى كتاب «المغرب العربى بين الاستعمار والاستشراق» للاستاذ مازن، أن البحثين اللذين يتضمنهما الكتاب، منشوران فى مجلة المنهل وهو الأمر الذى جعلنى أتحفز لرؤية هذه المجلة، والكتابة فيها بإذن الله ولما كنت أجهل «خطة المجلة وطبيعة موضوعاتها فإنه قد تعذر علي الكتابة على صفحاتها، لذا أرجو منكم التكرم بإرسال بعض اعداد المجلة . . ويا حبذا لو كانت هذه المجلة تصل الجزائر.

أخى: أحيطك علما بأننى من طالبى المعرفة، وكاتب ناشىء أحضر الماجستير بجامعة الامير عبد القادر الاسلامية بقسنطينة وقد أخبرنى أخى الاستاذ مازن بأن مجلة المنهل تنوى إقامة ندوة عن التعريب فى الوطن العربى والجزائر خاصة، وهذا أمر جد مؤثر فى النفس لان العربية ليست كبقية اللغات الاخرى أى وسيلة يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، فهذا التعريف ينطبق على كل اللغات إلا على العربية، وذلك لأنها جزء من الوحى الالهى.

فهنيئا لكم ولمجلتكم الغراء «المنهل» هذا المسعى الطيب الكريم وجعلها الله منهلا لكل خير وعز وسؤدد.

وأحيطكم علما بأن الدكتور احمد بن نعمان من المتخصصين فى قضايا التعريب بالجزائر، وهو مدير الدراسات والبحوث فى المعهد الوطنى للدراسات الاستراتيجية الشاملة بالجزائر.

وسوف أعمل من جهتى على نشر عنوان مجلتكم بشأن موافاتكم ببعض المقالات والدراسات من الجزائر. . وشكرا.

اخوكم ابراهيم نويسرى

«بوخضرة ـ ولاية تبسه»

المنهل:

نقدر مشاعركم.. ونؤكد اعتزازنا بتواصلكم والاعلام المبرزين من رجال الفكر وادبائه فى جزائرنا الشقيق.

وما يقدمه المنهل ويشتقه بين حين واخر ما هو الا لتأكيد الرسالة والريادة على مستوى توجه فكر واصالة وابداع الامة العربية فى وسائلها المطبوعة وفى النية العمل على تواجد المنهل فى مكتبات الجزائر ان شاء الله بعد تجاوز الاشكالات البسيطة المعوقة وسنبعث لكم العدد هدية.

وشكرا.



الناقد: جبرا ابراهيم جبرا

ـذى حدث فى حضارة تلك لجتمعات الاوربية وأتصور أنه برى الان فى حضارتنا ـ نحن دأنا النشر ـ على المستوى الذى هو مامنا ـ فى الاربعينيات لخمسينيات وهى الفترة التى ارى نها فترة ذهبية، تلك التى أتت تجدد ثقافتنا الابداعية والابداع حالة نعيشها دون أن ننظرها الضرورة وفيها بعد نبدأ بتنظير ما حاولنا أن نبدعه فتتحول تلك لفترة الذهبية الى الفترة الفضية. والذى جرى أننا فى فترتنا الذهبية نلك كنا نتوق الى تغيير المجتمع عن طريق الكلمة الثقافية والصورة الفنية، وكان ذلك من الدوافع المساعدة والمشجعة لكتابة الكثير من الشعر.

تنويه

لاسباب فنية، وطارئة تعتذر المجلة هذا الشهر عن احتجاب موضوعات:

(السيدة الجميلة،

تحقيقات عرضية،

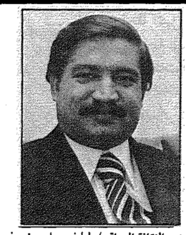
وأخطاء مشهورة)

المربد العاشر

المربد: هذا التواصل الثقافى المتلاحق هو فى حد ذاته ظاهرة صحية - كما يقولون - وكل ما يماثله - من سوابقه أو لواحقه - علامات مضيئة فى طريق الوعى العربى.. اضاءات ينبغى ان نحافظ عليها متقدة تمثل جذوة يستضيء بها الآخرون.. وهذا الحرص على الاستمرارية والبقاء يحتم علينا من طرف آخر ان نكون نقدة مهرة نستبقى ما يزيد قوة الدفع الخير فينا ونستبعد الغث الهزيل الذى لا نفيد منه شيئا.

فى الشهر قبل الفائت انعقدت اعمال المربد العاشر فى العراق.. حفل باللقاءات الفكرية والثقافية والادبية على مستوى الندوات والمحاضرات وأوراق العمل.. وأيضا اللقاءات على مستوى الافراد.. وعبر لياليه نوقشت مجموعة من القضايا فى الادب والفكر والثقافة.

ولعل من ابرز علامات الاستفهام التى طرحت تدور حول: المربد والدور المستقبل للثقافة.. ولا شك ان هذا مما ينبغى ان يدور البحث فيه ليس فى المربد فحسب بل فى كل المؤتمرات والندوات واللقاءات الثقافية والفكرية التى تعقد على مستوى عالمنا العربى.. وهذا - بالطبع - لا ينقص من قيمة أو مستوى الحركة الابداعية والمعرفية لدينا بل مما يزيدها قوة ومتانة.. وهذا أيضا



وزير الثقافة العراقى/ لطيف جاسم نصيف

من قبيل نقد الذات

لعل سنوات الحرب كان لها أثرها فى ظهور (قصيدة الحرب) واحياء ما يتبعها من الفاظ تراثية كانت هى العدة فى الحرب (الخيل - السيف - الفارس) وهذا شىء طبيعى.. وكما يقولون ولادة طبيعية لمقدمات طبيعية.

وتظل اللقاءات الثقافية والفكرية والادبية لأصحاب الشأن فى عالمنا العربى منابع عطاء متجدد ابدا.. وتم فى المهرجان توزيع جائزة صدام للآداب.

● فى تاريخ الادب: منحت الجائزة للاستاذ الدكتور نورى حمودى القيسى، وهو عميد كلية الاداب جامعة بغداد.. ويعمل امينا عاما للمجمع العلمى العراقى وعضوا بمجمع اللغة العربية فى الاردن.

● فى الدراسات اللغوية: منحت للاستاذ الدكتور احمد مختار عمر من جمهورية مصر العربية، وتقرر لجنة الجائزة ان بحوثه ودراساته تتميز بالاصالة والغزارة وربط القديم بالحديث.

● فى الشعر: منحت الجائزة للشاعر محمد الفيتورى من مواليد السودان، عمل فى الصحافة، ويعمل الآن مستشاراً اعلاميا فى جامعة الدول العربية.. امتد حضوره الشعرى منذ عام ١٩٤٨م حتى الآن.. وتمثل روح التجديد فى حركة الشعر العربى.

● الدراسات الأدبية: منحت جائزتها للاستاذ الدكتور محمد مفتاح من مواليد المغرب، يعمل استاذاً فى كلية الآداب جامعة محمد الخامس بالمغرب.. ترى لجنة الجائزة انه من أفضل من زاوج بين الثقافة النقدية والادبية العربية التراثية والثقافات الحديثة فى الادب والنقد.

● القصة والرواية والمسرح: منحت هذه الجائزة للاستاذ فتحى غانم من جمهورية مصر العربية الذى يعد من ابرز اعلام القصة فى الرواية العربية.. ولاحظت لجنة التحكيم ان اعماله ذات صلة بالواقع العربى.

● النتاج الادبى الموسوعى: ونال جائزته الاستاذ محمد بهجة الأثرى.




دكتور
محمد على البار



يدور هذا المصطلح كثيرا فى كتابات المهتمين فى هذا الجانب فهل يجد القارىء من الدكتور محمد على البار نبذة مختصرة نتعرف بها على المضمون.. والى أى حد استطعنا ان نتحرك فى هذا التوجه؟.

إن أسلمة العلوم قضية هامة لا تنبع من فراغ.

صحيح ان العلوم (المقصود التقنية أى (Science) ليس لها وطن واحد ولا لغة واحدة بل وليست مرتبطة بثقافة معينة ارتباطا كاملا.. ومع ذلك فإن العلوم لا تصاغ فى فراغ.. ولابد أن تصاغ فى لغة معينة وفى ثقافة معينة وفى إطار ثقافى كامل.

ولذا نجد أن الفلسفة دائما تكون خلف هذه العلوم.. بل إن أصل هذه العلوم المختلفة هى الفلسفة.. ولا تزال جامعات الغرب الى اليوم عندما تعطى شهادة الدكتوراه فى الفيزياء أو الكيمياء أو الذرة أو البيولجيا تسميها دكتوراة فى الفلسفة. Ph.D

واضرب مثالا بسيطا على تأثير الفكر والفلسفة فى الكتب العلمية التى تدرس فى الجامعات.. ففى كتاب الكيمياء الذى يدرس فى كليات الطب يتحدث المؤلف انه لا يوجد فى الكون شىء غير المادة.. والمادة تتشكل بأشكال مختلفة وتتحول الى طاقة.. وبالتالى فالكون كله مادة فحسب.. وألغى العالم الكبير بجرة قلم عالم الروح وعالم الغيب وعالم الملائكة والجن.. الخ.

وينص قانون بقاء المادة الذى يدرس فى جميع المدارس القانونية فى كافة البلاد الاسلامية عربية وأعجمية على: أن المادة لا تفنى ولا تخلق من العدم ومعنى ذلك ببساطة أن الله غير موجود وأنه لم يخلق هذا الكون.. وأنه ليس هناك بعث ولا قيامة.. يوم تفنى الاشياء كلها **﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام﴾.. والله يقول ﴿كل شىء هالك الا وجهه﴾** سبحانه وتعالى.

وفى كتب علم البيولجيا وعلم الأجنة.. الخ هراء كثير عن الطبيعة التى تخلق والطبيعة التى تبدع والطبيعة التى تحور وتبدل.

وفيها أيضا هراء كثير عن نظرية دارون ومحاولة تصويرها بأنها الحقيقة التى لا تقبل الجدل.

لهذا كله فإن هذه العلوم ينبغى أن تكتب بطريقة صحيحة سليمة ويزال عنها هذا الغبش الذى يرين عليها.. وأن تنطلق من منطلقات سليمة صحيحة فى العقيدة بحيث ترى يد الله سبحانه وتعالى وقدرته وراء كل عجيبة وغريبة فى هذا الكون الملىء بالاعاجيب.

اللغة العربية مرت بعديد من مراحل النسيان والتناسى من ناحية، والضغوط الاستعمارية عليها من ناحية أخرى حولت جل ألفاظها واستخداماتها الى (تراث) ينظر إليه نظرة الغريب، مما أبعد كثيرا من ألفاظها عن دائرة الاستخدام اللغوى والثقافى مما يخشى معه حقيقة من غربة اللغة بين أهلها.. وهذا الامر يتحتم معه بطبيعة الحال أن تجتهد الهيئات القومية فى الوطن العربى من أجل إعادة مكانة اللغة العربية والثقافة العربية إليها ثانية فى الوجود العربى والاسلامى.. وفى الرباط انعقدت الدورة السابعة لمؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشئون الثقافية فى الوطن العربى بحضور تسع عشرة دولة عربية يمثلها وزراء الثقافة العرب بالاضافة الى تسع منظمات عربية واسلامية ومنظمة اليونسكو.. وانعقد المؤتمر تحت شعار (مكانة اللغة العربية فى الثقافة العربية الاسلامية والثقافات العالمية الاخرى) وهذا انطلاقا من الاشعاعات الانسانية الخلاقة التى اطلقتها اللغة العربية فى تاريخها القديم والحديث.. ولابد ان ينطلق هذا المد الثقافى العربى والاسلامى لصد محاولات الهيمنة والتهميش والاستلاب التى تواجهها اللغة العربية والثقافية العربية والاسلامية.. وضد التوسع القائم فعلا فى احلال العامية محل الفصحى.

- **وجاء ضمن التوصيات**
- **نشر الثقافة العربية والاسلامية**
- **تطوير العمل الثقافى العربى فى اطار توسيع دائرة اللغة العربية**



مسك الختام

■ اقتحمتني رسالة استاذنا نبيه ابن استاذنا عبد القدوس الانصاري رحمه الله ـ مع انها رسالة رفيعة الاسلوب، ولا يمكن وصفها بالاقتحام ـ يطلب من قلمي المتواضع ان يفرز مسكا، وليس في قلمي الا الحبر الناشف وهو لا علاقة له بالمسك او العنبر، ولذلك اعتبرت هذه الدعوة اقتحاما وقد هزتني هزا شديدا وجعلتني اعيد النظر في قلمي مستغربا متعجبا مقلبا له كأنني أرى فيه كائنا غريبا مثل الذي يعلن عن رؤيته على كوكب الارض بين فترة واخرى . .

فعهدي بهذا القلم انه يفحط ويلهث وراء المعاني والجمل، وليس في مقدوره ان يسمو الى مجلة عميقة الفكر، رفيعة الادب يجول فيها كتاب لهم مكانتهم الادبية والفكرية بما يجعل اقتحام مثل هذه الاجواء من المخاطر بل ومن سوء الادب فنحن من جيل تعلم الصمت في مجالس الكبار، مع كامل الاحترام والتوقير لهم، وعلى اقلامنا ان تفعل مثلنا وإلا حطمناها وذرونا حبرها مع الرياح.

■ وقد تجرأت عددا من المرات بالكتابة في بعض المجلات المتخصصة في الأدب والثقافة بدعوات كريمة من القائمين عليها ، واحجمت عن الانسياق وراء بريق بعضها الآخر، ولكن لم يصل طموحي الى الكتابة في مجلة كـ«المنهل» لأنها تمثل اسلوبا ونمطا فكريا وأدبيا خاصا يضاف الى ذلك عراقتها فهي قد تجاوزت الخمسة والخمسين عاما ولا يكتب فيها الا النخبة من الكبار علما وأدبا وفكرا ولست من هؤلاء ولا هؤلاء، فـ«المنهل» اكبر مني عمرا وفضلا في استقطابها لمناهل الفكر والأدب في العالم العربي والاسلامي والمحلي واستمراريتها طوال هذه الاعوام تؤدي دورها باخلاص وتسعى الى ان تتطور في المضمون والمحتوى، والشكل ولا اعتقد أن كتابتي فيها ستضيف لها شيئا

وأعتز بأنني ممن عرفوا مؤسس المنهل رحمه الله ، وقد عرفته عن طريق صنوه ورفيق دربه استاذنا محمد سعيد العامودي متعه الله بالصحة والعافية فقد كان الاستاذ الانصاري يزور الاستاذ العامودي في منزله بمكة المكرمة وعرفته من هناك ، ولا أدعي ان صلتي قد توثقت به ولكني كنت اشعر ك



بقلم: حامد عباس

ـــك..والحبر

ما القاه انني قريب من نفسه، ومع كل المرات التى التقينا فيها، ورغم لطفه وتشجيعه لى الا اننى لم اجرؤ على كتابة سطور لنشرها فى المنهل حتى ولو من باب التشجيع لي ورفع معنوياتي، وهذه هى المرة الاولى لى التى اكتب فيها سطورا مثلما ترون ووجهتها هذه المجلة التى تقرأونها، وأظن ان استاذنا نبيه سيندم بعد ان يقرأ هذه السطور، وأفوضه من عندى بعدم نشرها إن رأى ـ مثلما رأيت ـ أن مثل هذا الهذر لا يستحق النشر فى مجلة راقية مثل: المنهل وأظنه أيضا ـ وبعض الظن اثم ـ قد ندم على توجيهه دعوة لى بزيادة انتاج المسك فى مجلته، أو أنه كما اعتقد قد أراد شخصاً آخر، وجاءتنى الدعوة بالخطأ وان كان تشابه الاسماء بالنسبة لاسمي غير وارد.

على العموم ها أنذا قد سكبت لكم بضاعتى، وأنا أعى انها انتاج ردىء وهذرت ببعض ما فى نفسى، وهى امارة بالسوء والا ما دفعتنى الى هذا فقد كان أجدر بها وبى أن اعرف قدرى، ولا أجازف وان احسن الظن بى صاحب المجلة ورئيس تحريرها استاذنا نبيه بن عبد القدوس الانصارى، لكنى قد فعلتها، فإن أجازها رئيس التحرير للنشر، يكون قد اضاف فضلا آخر الى فضله، الأول انه أحسن الظن بقلمى المتواضع وأنه ضم اسمى الى النخبة من كتاب المجلة، اسمى الصغير بين اسماء الكبار، الكبار. . ولعل عدد سنوات العمر التى اضيفت الى عمرى تجيز بعض ما لا يجوز. . ؟!

* . . وبعض الرأي:

اكتب هذه السطور اضافة الى سابقتها، ان لم تكف السطور الاولى لسد فراغ مسك الختام، فقد عودتنا المهنة أن نقيس كل شيء بمقداره ولم اتعود قياس صفحات المجلة بكم ما أكتب، ولعل ابرز ما يميز الكاتب المهنى المحترف، وبالذات كتاب الاعمدة اليومية أو الاسبوعية انهم يعادلون بين المساحة المخصصة لهم بما يكتبون ونادرا ما يكون هناك فرق كبير، اذ لا يتجاوز الفرق عن سنتميترات لا تؤثر فى الحجم المخصص زيادة أو نقصانا، بينما الكتاب الذين لم يحتكوا بمهنة الصحافة ليس هناك مقياس يحكمهم، فهم يكتبون فى الموضوع الى أن ينتهى ما لديهم، فترى موضوعهم خمس صفحات مثلا، وأخرى عشر صفحات، وتقع المجلة أو الصحيفة فى حرج والبعض يحل الحرج بنقل بقيته الى مكان آخر، والبعض اما بالحذف، واما بتصغير حجم الحروف ليضطر كاتبه ان يستعين بالمكبر ليقرأه، وكم تعانى الصحف والمجلات من هؤلاء الكتاب فان كانوا من المبتدئين عملت فى انتاجهم مالا يعمل حتى لا يكاد الواحد من المبتدئين يعرف ما كتب، وان كانوا من الأسماء الكبيرة عالجت الموقف بواحد مما ذكرت.

وتقودنى المهنية الى الاشادة باجتهادات الاخراج فى مجلة المنهل والتقسيم فى أبوابها، ولعلى أخصص ـ ان اجتزت امتحان القبول ـ مسكا آخر لهذا الجانب. . ولعلي ـ التي استخدمتها ـ فضول كلام مثل هذه السطور يمكن نشرها ويمكن حذفها حسب حاجة المساحة.



مع تحيات دارة مجلة المنهل



يسرّ إدارة العلاقات العامّة بأرامكو السّعودية أن تعلن عن إجراء مُسابقتها السنويّة الحادية عشرة لرسوم الأطفال من البنين والبنات، إسهامًا منها في تشجيع القدرات والمواهب الفنيّة لدى الأطفال في المملكة العربيّة السّعوديّة.

مَوضوع المسابقة: اختيار موضوع المسابقة متروك للطفل.

الجَوائز: خُصّص للفائزين في هذه المسابقة مائة وخمسون جائزة، وقد قسّمت هذه الجوائز إلى فئات توزع على المتسابقين الفائزين كما يلي:

- خمسون جائزة للذين تقلّ أعمارهم عن ٧ سنوات.
- خمسون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ٧ و ١٠ سنوات.
- خمسون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ١١ و ١٤ سنة.

شروط المسابقة:

١. يستطيع أي طفل لا يزيد عمره على ١٤ عامًا ويقيم حاليًا في المملكة أن يشترك في المسابقة.
٢. يتقدم المتسابق برسم واحد فقط. على أن يكون الرسم من عمل الطفل نفسه.
٣. يراعى ألا تقل مساحة ورقة الرسم عن ٤٥ سم طولاً و ٣٠ سم عرضًا.
٤. يرسم المشهد بالألوان التي يختارها المتسابق.
٥. ترسل الرسوم في مظروف مقوى حفاظًا عليها من التلف.
٦. يكتب المتسابق اسمه خلف الرسم بخط واضح بالإضافة إلى عمره وعنوانه واسم مدرسته ليسهل الاتصال به.
٧. يُرسل المظروف في موعد أقصاه ١٧ شعبان ١٤١٠هـ الموافق ١٤ مارس ١٩٩٠م إلى العنوان التالي:
مبنى الإدارة الشرقي - العلاقات العامّة - غرفة رقم ٢٢١٦ - أرامكو السعودية - الظهران.
ويكتب في أعلى المظروف: مسابقة أرامكو السعودية السنويّة الحادية عشرة لرسوم الأطفال.

تبقى جميع الرسوم في حوزة إدارة العلاقات العامّة مع الاحتفاظ بحق نشر أي منها حسب ماتراه الإدارة.
وسوف تنشر أسماء الفائزين في جميع الصحف والمجلات السعوديّة.

أرامكو السعودية

(PR: 5 89)

دار الأصفهاني للطباعة

